

BP
166
.3
I26
1905

Ibn Qayyim al-Jawziyah,
Muhammad ibn Abi Bakr
Shifā' al-'alīl

PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY





مكتتاب

شفاء العليل

في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل

تأليف

الامام العالم العلامة المتقن الحافظ الناقد شمس الدين
أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر المعروف بابن القيم
الجوزية الحنبلي المتوفى سنة ٧٥١ تغمده الله برحمته

(عني بتصحيحه)

السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

الطبعة الاولى

على نفقة السادات أحمد ناجي الجالبي وشيخ أمين الخانجي وأخيه

سنة ١٣٢٣

طبع بالمطبعة الحسينية المصرية

بجوار مسجد الامام الحسين رضي الله تعالى عنه

لصاحبها ومدير ادارتها محمد عبد اللطيف الخطيب

DEC 20 1966

1151321

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الافضال والانعام * وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والائمة الاعلام
(امام بعد) فان أهم ما يجب معرفته على المكلف التبديل فضلا عن الفاضل الجليل * ماورد في القضاء والقدر
والحكمة والتعليم * فهو من اسنى المقاصد والايمان به قطب رحى التوحيد ونظامه * ومبدأ الدين الميم
وخاتمه * فهو أحد أركان الايمان * وقاعدة أساس الاحسان * التي يرجع إليها * ويدور في جميع
تصاريفه عليها * فالعدل قوام الملك * والحكمة مظهر الحمد * والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة *
وكمال النعمة * ولا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير * فالقدر
والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين * أله الأمر والحق تبارك الله رب العالمين *

فصل في جماهير الغفلاء في هذا الباب في كل * واد * وأخذوا في كل طريق *
وتولجوا كل مضيق * وركبوا كل صعب وذلوا * وقصدوا الوصول الى معرفته * والوقوف على
حقيقته * وتكلمت فيه الامم قديما وحديثا * وساروا للوصول الى مغزاه سيرا حثيثا * وخاضت فيه
الفرق على تباينها واختلافها * وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها * فلا أحد الا وهو
يحدث نفسه بهذا الشأن * ويطلب الوصول فيه الى حقيقة العرفان * فتراها مترددا فيه مع نفسه * أو
مناظرا لبنى جنسه * وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه * ولا يرتقى الاياه * وكلهم
الآمن تسمك بالوحي عن طريق الصواب مردود * وباب الهدى في وجهه مسدود * تحبى علما غير
طائل * وارتوى من ماء آجن * قد طاف على أبواب الافكار * ففاض بأخس الآراء والمطالب * فرح
بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يفي من جوع * وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل
المشروع * والنص المرفوع * حيران يأثم بكل حيران * بحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن

* ينادى الى الصواب من مكان بعيد* أقبل الى الهدى فلا يستجيب الى يوم الوعيد* قد فرح بما عنده من الضلال* وقع باتواع الباطل وأصناف المحال* منه الكفر الذى اعتقده هدى وما هو بالغه عن الهداة المهتدين* ولسان حاله أوقاله يقول أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أليس الله أعلم بالشاكرين*

❦ فصل ❦ ولما كان الكلام في هذا الباب نفيا وإثباتا موقوفاً على الخبر عن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخلقه وأمره وأسعد الناس بالصواب فيه من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين ورغب عقله وفطرته وإيمانه عن آراء المتهوِّكين وتشكيكات المشككين وتكلفات المتطعين واستطرديم الهداية من كلمات أعلم الخلق رب العالمين فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وفي غيره كفت وشتت وجمعت وفترقت وأوضحت وبيّنت وحلت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن ثم تلاه أصحابه من بعده على نهجه المستقيم وطريقه القويم فجاءت كلماتهم كافية شافية مختصرة نافعة لقرب العهد ومباشرة التلقى من تلك المشكاة التي هي مظهر كل نور ومنبع كل خير وأساس كل هدى ثم سلك آثارهم التابعون لهم باحسان فافقوا طريقهم وركبوا منهاجهم واهتدوا بهداهم ودعوا الى مادعوا اليه ومضوا على ما كانوا عليه ثم نبغ في عهدهم وأواخر عهد الصحابة القديرية مجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر وأن الأمر أنف فمن شاء هدى نفسه ومن شاء أضلها ومن شاء نبضها حظها وأهلها ومن شاء وفقها للخير وكملها كل ذلك مردود الى مشيئة العبد ومقتطع من مشيئة العزيز الحميد فأنبتوا في ملكه ما لا يشاء وفي مشيئته ما لا يكون ثم جاء خالف هذا السالف فقرر ما أسسه أولئك من نفى القدر وسموه عدلا وزادوا عليه نفى صفاته سبحانه وحقائق أسمائه وسموه توحيدا فالعدل عندهم اخراج أفعال الملائكة والانس والجن وحركاتهم وأقوالهم وأراداتهم من قدرته ومشيئته وخلقه والتوحيد عند متأخريهم تعطيله عن صفات كماله ونوعت جلاله وأنه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا ارادة تقوم به ولا كلام ماتكلم ولا يتكلم ولا أمر ولا يأمر ولا قال ولا يقول إن ذلك إلا أصوات وحروف مخلوقة منه في الهواء أو في محل مخلوق ولا استوى على عرشه فوق سلاواته ولا ترفع اليه الأيدي ولا تخرج الملائكة والروح اليه ولا ينزل الأمر والوحي من عنده وليس فوق العرش إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد ما فوقه إلا العدم المحض والنفي الصرف فهذا توحيدهم وذلك عدلهم

❦ فصل ❦ ثم نبغت طائفة أخرى من القديرية ففتت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ولا اختيار كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور وأنه غير ميسر لما خلق له بل هو عليه مقسور ومجبور ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين ولمهاجهم مقتفين فقرر روا هذا المذهب واتموا اليه وحققوه وزادوا عليه أن تكليف الرب تعالى لعباده كلها تكليف ما لا يطاق وأنها في الحقيقة كتكليف المقعد أن يرقى الى السبع الطابق بالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد ولا هو له بمقدور وإنما هو تكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير فكأن عباده بأفعاله وليسوا عليها قادرين ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا ليس في الكون

معصية البتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد كما قيل

أصبحت منفعلًا لما يختاره منى ففعلت كله طاعات

ولما وبعض هؤلاء على فعله فقال إن كنت عصيت أمره فقد أطعت إرادته ومطيع الإرادة غير ملوم وهو في الحقيقة غير مذموم وقرر محققوهم من المتكلمين هذا المذهب بأن الإرادة والمشيئة والحجة في حق الرب سبحانه هي واحدة فحجته هي نفس مشيئته وكل ما في الكون فقد أراده وشاءه وكل ما شاء فقد أحبه وأخبرني شيخ الإسلام قدس الله روحه أنه لام بعض هذه الطائفة على حجة ما ينضه الله ورسوله فقال له الملوم الحجة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب وجميع ما في الكون مراده فأى شئ أبغض منه قال الشيخ فقلت له إذا كان قد سخط على أقوام وانهم وغضب عليهم وذمهم فواليتهم أنت وأحببتهم وأحييت أفعالهم ورضيتهم تكون مواليا له أو معاديا قال فهت الجبرى ولم ينطق بكلمة وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنّة ناصرون وللقدر متبوتون ولأقوال أهل البدع مبطلون هذا وقد طووا بساط التكليف وطففوا في الميزان غاية التطفيف وجملوا ذنوبهم على الانذار وبرأوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والاوزار وقالوا انها في الحقيقة فعل الخلاق العايم وإذا سمع المئز له ربّه هذا قال سبحانه هذا بهتان عظيم فالشر ليس اليك والخير كله في يديك ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبته الى أقبح الظم وقالوا إن أوامر الرب ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وكتكليف الميت إحياء الاموات والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل مالا يقدرون على تركه وعلى ترك مالا يقدرون على فعله بل يعاقبهم على نفس فعله الذى هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور ونرى العارف منهم ينشد مترنا ومن ربه متشكيا ومتظالما

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبطل بالماء

وليس عند القوم في نفس الامر سبب ولا غاية ولا حكمة ولا قوة في الاجسام ولا طبيعة ولا غريزة فليس في الماء قوة التبريد ولا في النار قوة التسخين ولا في الأغذية قوة الغذاء ولا في الأدوية قوة الدواء ولا في العين قوة البصار ولا في الاذن قوة السماع ولا في الانف قوة الشم ولا في الحيوان قوة فاعلة ولا حاذية ولا مسكة ولا دافعة والرب تعالى لم يفعل شيئا بشئ ولا شيئا لشيء فليس في افعاله بآء تسبب ولا لام تعليل وموارد من ذلك فمحمول على بآء المصاحبة ولام العاقبة وزادوا على ذلك أن الافعال لا تنقسم في نفسها الى حسن وقبيح ولا فرق في نفس الأمر بين الصدق والكذب والبر والفجور والعدل والظلم والسجود للرحمن والسجود للشيطان والاحسان الى الخلق والاساءة اليهم ومسبة الخالق والتآء عليه وانما نعلم الحسن من ذلك من القبيح بمجرد الأمر والنهى ولذلك يجوز النهى عن كل ما أمر به والامر بكل ما نهى عنه ولو فعل ذلك لكان هذا قبيحا وهذا حسنا وزاد بعض محققهم على هذا أن الاجسام كلها مبنية فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ولا بين المسك والرجيع وانما تفرق بصفاتهما واعراضهما مع تماثلهما في الحد والحقيقة وزادوا على ذلك بأن قالوا الاعراض كلها لا تبقى زمانين ولا تستقر وقتين فاذا جمعت بين قوهلم بعدم بقاء الاعراض وقوهلم بهما للاجسام وتساوى الافعال وان العبد لا فعل له البتة وأنه لا سبب في

الوجود ولا قوة ولا غلبة ولا طبيعة وقولهم ان الرب تعالى ليس له فعل يقوم به وفعله غير مفعوله وقولهم انه ليس بمباين خلقه ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه وقولهم انه لا يتكلم ولا يكلم ولا قال ولا يقول ولا يسمع أحد خطابه ولا يسمعه ولا يراهم المؤمنون يوم القيامة جمهرة بأبصارهم من فوقهم أنجبت لك هذه الاصول عقلا يعارض السمع ويناقض الوحي • وقد أوصاك الاشياخ عند التعارض بتقديم هذا المعقول على ما جاء به الرسول

فلو أني بليت بهاشمي خؤلته بنو عيسد المدان
لهان على مآلتي ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

فصل ولما كانت معرفة الصواب في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل واقعة في مرتبة الحاجة بل في مرتبة الضرورة اجتهدت في جمع هذا الكتاب وتهذيبه وتحريره وتقريبه فجاء فردا في معناه بديعا في مغزاه وسميته (شفاء العليل • في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وجملته أبوابا (الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض) (الباب الثاني في تقدير الرب تعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد الأول) (الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم) (الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه) (الباب الخامس في التقدير الرابع ليلية القدر) (الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومي) (الباب السابع في ان سبق المقادير بالسعادة والشقاوة لا يقتضي ترك الاعمال بل يوجب الاجتهاد والحرص لأنه تقدير بالاسباب) (الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) (الباب التاسع في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر) (الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من استكمل معرفتها والايان بها فقد آمن بالقدر وذكر المرتبة الاولى) (الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة الكتابة) (الباب الثانى عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهى مرتبة المشيئة) (الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهى مرتبة خلق الاعمال) (الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما) (الباب الخامس عشر في الطبع والحتم والقفل والغل والسد والغشاوة ونحوها وهى مرتبة مفعول الرب) (الباب السادس عشر في تفرد الرب بالخلق للذات والصفات والافعال) (الباب السابع عشر في الكتب والحبر ومعناها لغة واصطلاحا واطلاقا ونقبا واثباتا) (الباب الثامن عشر في فعل وافعل في القضاء والقدر وذكر الفعل والافتعال) (الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة بين جبرى وسنى) (الباب العشرون في مناظرة بين قدرى وسنى) (الباب الحادى والعشرون في تنزيه القضاء الالهى عن الشرودخوله في المقضى) (الباب الثانى والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحيدة التي فعل وأمر لاجلها وهو من أجل أبواب الكتاب) (الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه نفاة الحكمة وذكر الاجوبة المنفصلة عنها)* (الباب الرابع والعشرون في معنى قول السلف في الايمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره) (الباب الخامس والعشرون في بيان بطلان قول من قال ان الرب تعالى يريد للشر وفاعل له وامتناع اطلاق ذلك شيئا واثباتا) (الباب السادس والعشرون في ابدال عليه قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضائك من سخطك وأعوذ

بغفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك من تحقيق القدر وأنباته واسرار هذا الدعاء *) (الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد تحت قوله ماض في حكمك عدل في قضاؤك وما تضمنه الحديث من قواعد الدين) (الباب الثامن والعشرون في أحكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه) (الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والقدر والارادة والكتابة والحكم والامر والاذن والجعل والكلمات والبث والارسال والتحريم والعطاء والمنع الى كوني يتعلق بخلقه ودينى يتعلق بأمره وما في تحقيق ذلك من ازالة اللبس والاشكال) (الباب الموفاي للاثنتين في الفطرة الاولى التى فطر الله عباده عايتها وبيان أنها لاتنافي القضاء والعدل بل توافقه وبجامعه) * وهذا حين الشروع في المقصود فما كان فيه من صواب فمن الله وحده هو المأمون به وما كان فيه من خطأ فنى ومن الشيطان والله برى منه ورسوله

فيأيتها المتأمل له الواقع عليه لك غنمه * وعلى مؤلفه غرمه * ولك فائدته * وعليه عائدته * فلا تمحل بأنكار ما لم يتقدم لك أسباب معرفته ولا يحملك شأن مؤلفه وأصحابه على ان تحرم ما فيه من الفوائد التى لعلك لاتظفر بها في كتاب ولعل أكثر من تعظمه ماتوا بحسرتها ولم يصلوا الى معرفتها والله يقيم فضله بين خلقه بعلمه وحكمته وهو العليم الحكيم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الباب الاول في تقدير المقادير قبل خلق السموات والارض .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرضه على الماء رواه مسلم في الصحيح وفيه دليل على أن خلق العرش سابق على خلق القلم وهذا أصح القولين لما روى أبو داود في سننه عن أبى حفصة الشامى قال قال عبادة بن الصامت لابنه يابى إنك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة يابى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس منى وكتابة القلم للقدر كان في الساعة التى خلق فيها لما رواه الامام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الصامت قال حدثنى أبى قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصنى واجتهدلى فقال اجلسونى فلما أجلسوه قال يابى انك لن تجد طعم الايمان ولن تبغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره قلت يا أبتاه وكيف لى أن أعلم ما خيره القدر وشره قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك يابى إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال أكتب تجزى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة يابى ان مت ولست على ذلك دخلت النار * وهذا الذى كتبه القلم هو القدر لما رواه ابن وهب أخبرنى عمر بن محمد أن سايان بن مهران حدثه قال قال عبادة بن الصامت ادعوا لى ابنى وهو يموت لعلى أخبره بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول شئ خلقه الله من خلقه القلم فقال له أكتب فقال يارب ماذا أكتب قال القدر قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤمن بالقدر خبره وشهره أحرقه الله بالنار* وعن عبد الله بن عباس قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فسل الله واذا استغثت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح* وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله اني رجل شاب وأنا أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فسكت عني ثم قلت مثل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاخصص على ذلك أو ذر رواه البخاري في صحيحه قال حدثنا أصبغ ثنا ابن وهب عن يونس عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ورواه ابن وهب في كتاب القدر وقال فيه فائذن لي أن احتجى قال فسكت عني حتى قلت ذلك ثلاث مرات فقال جف القلم بما أنت لاق وقال أبو داود الطيالسي ثنا عبد المؤمن هو ابن عبد الله قال كنا عند الحسن فأتاه يزيد بن أبي مريم السلولي يتوكأ على عصا فقال يا أبا سعيد أخبرني عن قول الله عز وجل (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) فقال الحسن نعم والله ان الله لقضى القضية في السماء ثم يضرب لها أجلا انه كائن في يوم كذا وكذا في ساعة كذا وكذا في الخاصة والعامة حتى ان الرجل ليأخذ العصا ما يأخذها الا بقضاء وقدر قال يا أبا سعيد والله لقد أخذتها واتى عنها الغنى ثم لاصبر لي عنها قال الحسن أو لا ترى* واختلف في الضمير في قوله من قبل أن نبرأها فقيل هو عائد على النفس لقربها منه وقيل هو عائد على الارض وقيل هو عائد على المصيبة والتحقيق أن يقال هو عائد على البرية التي تعم هذا كله ودل عليه السياق وقوله نبرأها فينتظم التقادير الثلاثة اتظاما واحدا والله أعلم* وقال ابن وهب أخبرني عمر بن محمد أن سليمان بن مهران حدثه قال قال عبد الله بن مسعود إن أول شئ خلقه الله عز وجل من خلقه القلم فقال له أكتب فكتب كل شئ يكون في الدنيا الى يوم القيامة فيجمع بين الكتاب الاول وبين أعمال العباد فلا يخالف الفا ولا واوا وميما* وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور شئ اهتدى ومن أخطأ ضل قال عبد الله فذلك أقول جف القلم بما هو كائن رواه الامام أحمد وقال أبو داود حدثنا عباس بن الوليد بن مزيد قال أخبرني أبي قال سمعت الازداعي قال حدثني ربيعة بن يزيد ويحيى بن أبي عمرو الشيباني قال حدثني عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو ابن العاص وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط فقلت خصال باقتنى عنك تحدث بها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من شرب الخمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وان الشق من شق في بطن أمه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأ ضل فذلك أقول جف القلم على علم الله ورواه الامام أحمد في مسنده أطول من هذا عن عبد الله بن فيروز الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو محاضر فقي من قریش يزن بشرب الخمر

فقلت بلغنى عنك حديث ان من شرب شربة خمر لم تقبل توبته أربعين صباحا وان الشقى من شقى في بطن أمه وان من أتى بيت المقدس لايهزه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكر الحر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو انى للأجل لأحد ان يقول على ما لم أقل سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من شرب من الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من ردة الجبال يوم القيامة* قال وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله* وسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان سليمان بن داود سأل الله عز وجل ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة* سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه فاعطاه الله إياه وسأله ملكا لاينبغى لأحد من بعده فاعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فتحن نرجوا أن يكون الله تعالى عز وجل قد أعطانا إياه ورواه الحاكم في صحيحه وهو على شرط الشيخين ولا علة له*

الباب الثاني في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وأجالهم وأعمالهم قبل خلقهم وهو تقدير ثان بعد التقدير الاول

عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه قال كنا في جنازة فيبقيع الغرقد فأتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه مخضرة فنكس فجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد مامن نفس منفوسة الا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة قال فقال رجل يا رسول الله أفلا نمكك على كتابنا وندع العمل فقال من كان من أهل السعادة فيسير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيسير الى عمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وفي لفظ اعملوا فكل ميسر اما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة واما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)* وعن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم يعمل العاملون قال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخارى كل يعمل لما خلق له أو لما يسرله* وعن أبى الاسود الدؤلى قال قال لى عمران بن حصين أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به عما أتاهم به منهم وثبت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففرغت من ذلك فرعا شديدا وقلت كل شئ خاق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال فقال لى يرحمك الله انى لم أرد بما سألتك الا لاحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكدهون فيه أشئ

فقضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أوفيا يستقبلون مما آتاهم به منهم وثبت الحجة عليهم فقال بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفسه ما سواها فاطمها فجورها وتقواها) رواه مسلم في صحيحه * وعن شفي الاصبجي عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قال قلنا لا إلا أن تجربنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى باسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل عليهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص أبدا ثم قال للذي في يساره هذا كتاب أهل النار باسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا شئ نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يجتنب له بعمل الجنة وإن عمل أى عمل وإن صاحب النار يجتنب له بعمل النار وإن عمل أى عمل ثم قال بيده فقبضها ثم قال فرغ ربكم عز وجل من العباد ثم قال باليمن فقبضها فقال فريق في الجنة ونبد باليسرى فقال فريق في السعير رواه الترمذى عن قتيبة عن ليث بن أبي قبيس عن شفي وعن قتيبة عن بكر بن نصر عن أبي قبيس به وقال حديث حسن صحيح غريب ورواه النسائي والامام أحمد وهذا السياق له * (وفي صحيح الحاكم) وغيره من حديث أبي جعفر الرازي ثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال جمعهم له يومئذ جمعا ما هو كائن الى يوم القيامة فجاءهم أزواجهم ثم صورهم واستنطقهم فمسكهم وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألمست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) الى قوله المبطون قال فأتى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أبائكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم أو تقولوا انا كنا عن هذا غافلين فلا تتركوا بى شيئا فأتى أرسل اليكم رسلى يذكر ونكم عهدى وميثاقى وائزل عليكم كتبى فقالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك ورفع لهم أبوههم آدم فرأى فيهم الغنى والفقر وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لوسويت بين عبادك فقال إني أحب ان اشكر وراى فيهم الانبياء مثل السرج وذكر تمام الحديث وفي صحيحه وجامع الترمذى من حديث هشام بن يزيد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان منهم وبينى من نور ثم عرضهم على آدم فقال من هؤلاء يارب فقال هؤلاء ذريتك فرأى فيهم رجلا أعجبه وبص ما بين عينيه فقال يارب من هذا قال ابنك داود يكون في آخر الامم قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يارب زده من عمرى أربعين سنة قال الله اذا يكتب ويحتم فلا يبدل فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال أولم يبق من عمرى أربعون سنة قال له أولم تجعلها لابنك داود قال فجحد فجحدت ذريته ونسى فسدت ذريته وخطلت فخطئت ذريته قال هذا على شرط مسلم (وفي) موطأ مالك عن زيد بن أبي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم ابن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره

بينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فإنا خلقت هؤلاء النار ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله النار* قال الحاكم هذا الحديث على شرط مسلم وليس كما قاله بل هو حديث منقطع (قال أبو عمر هو حديث منقطع فان مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب بينهما نعم بن ربيعة هذا إن صح أن الذي رواه عن زيد بن أبي أنيسة فذكر فيه نعم بن ربيعة إذ ليس هو بأحفظ من مالك ولا يمن يحتاج به اذا خلفه مالك ومع ذلك فان نعم بن ربيعة ومسلم بن يسار جميعا مجهولان غير معروفين بحمل العلم ونقل الحديث وليس هو مسلم بن يسار العابد البصري وانما هو رجل مدني مجهول ثم ذكر من تاريخ ابن أبي خيثمة قال قرأت على يحيى بن معين حديث مالك هذا فكتب بيده على مسلم بن يسار لا يعرف* قال أبو عمر هذا الحديث وان كان لعل الاسناد فان معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم قد روى من وجوه كثيرة من حديث عمر بن الخطاب وغيره وعن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه في القدر على بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وأبو سريحة العبادي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص وذو الناجية الكلابي وعمران بن حصين وعائشة وأنس بن مالك وسراقة بن جهمم وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت قلت وحذيفة بن اليان وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وأبو ذر ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبو عبد الله رجل من الصحابة روى عنه أبو نصر وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وعمرو بن العاص وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن الزبير وأبو امامة الباهلي وأبو الطفيل وعبد الرحمن بن عوف وبعض أحاديثهم موقوفة وستمرك بك جميعا متفرقة في أبواب الكتاب إن شاء الله عز وجل* وقال اسحاق بن راهويه أخبرنا بقية بن الوليد قال أخبرني الزبيدي ومحمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن أبي قتادة عن أبيه عن هشام بن حكيم بن حزام أن رجلا قال يا رسول الله اتبدا الأعمال أم قدمضى القضاء فقال ان الله لما أخرج ذرية آدم من ظهره أشهدهم على أنفسهم ثم أقاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار فأهل الجنة يمسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يمسرون لعمل أهل النار قال اسحاق وأخبرنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا الحريري عن أبي نصر أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي فقالوا له ما يبكيك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله قبض قبضة يمينه وأخرى بيده الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي فلا أدري في أى القبضتين أنا* أخبرنا عمرو بن محمد بن اسماعيل بن رافع عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى اذا كان صلاصلا كالفضار كان ابليس يمر به فيقول خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه قال يارب ما ذريتي قال اختر يا آدم قال اخترت يمين ربي وكتابت يدي ربي يمين فبسط الله كفه فاذا كل من هو كائن من ذريته في كف ربي يمين* أخبرنا النضر أخبرنا أبو معشر عن أبي سعيد المقبري ونافع مولى الزبير عن أبي هريرة قال لما أراد الله

أن يخلق آدم فذكر خلق آدم فقال له يا آدم أي يدي أحب إليك أن أريك ذريتك فيها قال يمين ربي
وكلتا يدي ربي يمين فبسط يمينه وإذا فيها ذريته كلهم ماهو خالق الى يوم القيامة الصحيح على هيئته
والمبتلى على هيئته والانباء على هيئاتهم فقال الأاعفيتهم كلهم فقال اني أحببت أن أشكر وذكر الحديث
* وقال محمد بن نصر المروزي حدثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن أبي مريم أنا ثابت بن سعد حدثني ابن
عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيده
فقبضها فقال اختريا آدم فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديك يمين فبسطها فإذا فيها ذريته فقال من هؤلاء
يارب قال من قضيت أن أخلق من ذريتك من أهل الجنة الى أن تقوم الساعة (قال) وثنا اسحاق بن
راهويه أنا جعفر بن عون أنا هشام بن سعد عن زيد بن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى
يوم القيامة وذكر الحديث (وقال) اسحاق بن الملالى ثنا المسعودي عن علي بن نديم عن سعد عن
ابن عباس في قوله تعالى (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال ان الله أخذ على آدم
ميثاقه أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصيباته ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فاخذ عليهم الميثاق
أنهم ربه وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم (قال) وحدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت
عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاخرج كل طيب في يمينه وفي يده الاخرى كل خبيث (وقال)
محمد بن نصر حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني وثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه اليمين فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء
نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه اليسرى فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء
أهل النار ثم أخذ عهده على الايمان والمعرفة به والتصدق له وبإمره من بنى آدم كلهم واشهدهم على
أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقرؤا * حدثنا اسحاق ثنا روح بن عباد بن محمد بن عبد الملك عن
أبيه عن الزبير بن موسى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس بهذا الحديث وزاد قال ابن جريج وبأقوى
أنه أخرجهم على كفة امثال الحردل (قال) اسحاق وأخبرنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد
الله بن عمرو في قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم قال أخذهم كما يؤخذ بالمشط وفي تفسير اسباط عن
السدي عن أصحابه أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرقة الهمداني عن ابن مسعود عن أناس
من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم الآية قال لما أخرج الله
آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ
كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة
الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق
فقال ألسن بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة
(شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل) الآية فإنا
ليس أحد من ولد آدم الا وهو يعرف ان الله ربه ولا مشرك الا وهو يقول إنا وجدنا آبائنا على أمة
وإنا على آثارتهم مقتدون فذلك قوله عز وجل (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم) وذلك
حين يقول (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وذلك حين يقول (نل فله الجنة البالغة

فلو شاء لهداكم أجمعين) قال يعني يوم أخذ الميثاق * وقال اسحق حدثنا وكيع حدثنا مضر عن ابن سديط قال قال أبو بكر رضى الله عنه خاق الله الخاق قبضتين فقال لمن في يمينه ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الاخرى ادخلوا النار ولا أبالي وأخبرنا جرير عن الأعمش عن أبي طبيان عن رجل من الانصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الخلق قبض قبضتين بيده فقال لمن في يمينه أنهم أصحاب اليمين وقال لمن في اليد الاخرى أنهم أصحاب الشمال فذهبت الى يوم القيامة * وقال عبد الله بن وهب في كتاب القدر أخبرني جرير بن حازم عن أيوب السخيتاني عن أبي قلابة قال ان الله عز وجل لما خلق آدم أخرج ذريته ثم نشرهم في كفهم ثم أقاضهم فالتقوا في يمينه عن يمينه والتي في يده الاخرى عن شماله ثم قال هؤلاء لهذه ولا أبالي وهؤلاء لهذه ولا أبالي وكتب أهل النار وما هم عاملون وأهل الجنة وما هم عاملون فطوى الكتاب ورفع القلم * وقال أبو داود ثمامة حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي صالح فذكره قال ابن وهب وأخبرني عمرو بن الحرث وحيوة ابن سريح عن ابن أبي أسيد هكذا قال عن أبي فراس حدثنا انه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله عز وجل لما خلق آدم نفثه نفث المروء فاخرج من ظهره ذريته أمثال الغنم فقبضهم قبضتين ثم ألقاهم ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير * قال ابن وهب وأخبرني يونس بن يزيد عن الازداعي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من كان يزعم ان مع الله قاضيا أوراقا أو يملك لنفسه ضرا أو نفما أو موتا أو حياة أو نشورا لم يلق الله فأدحض حجته وأحرق لسانه وجعل صلاته وصيامه هباء وقطع به الأسباب وأكبه الله على وجهه في النار وقال ان الله خلق الخلق فاخذ منهم الميثاق وكان عرشه على الماء * وذكر أبو داود ثمامة بن حبيب ثنا معتمر ثنا أبي عن أبي العالية في قوله عز وجل (يوم تبض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) قال صاروا فريقين وقال لمن سود وجوههم وغيرهم أكفرتم بعد إيمانكم قال هو الايمان الذي كان حيث كانوا أمة واحدة مسلمين قال أبو داود وحدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد حدثنا أبو نعامه السمدى قال كنا عند أبي عثمان النهدي فحمدنا الله عز وجل فذكرناه ودعواناه فقلت لأنأباول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال أبو عثمان نبتك الله كنا عند سلمان فحمدنا الله عز وجل وذكرناه ودعواناه فقلت لأنأباول هذا الامر أشد فرحاً مني بآخره فقال سلمان نبتك الله ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج من ظهره ما هو ذارئ الى يوم القيامة شقاق الذكر والانثى والشقاوة والسعادة والارزاق والآجال والالوان ومن علم السعادة فعل الخير وبجالس الخير ومن علم الشقاوة فعل الشر وبجالس الشر وقال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح ربك تعالى ظهر آدم فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة أخذهم ودهم ومواثيقهم قال سعيد فيرون ان القلم جنب يومئذ * وقال الضحاك خرجوا كاملال الذر ثم أعادهم فهدو غيرها تدل على ان الله سبحانه قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وأجالهم وسعادتهم وشقاوتهم عقيب خلق أيهم وأراهم لا يهيم آدم صورهم وأشكالهم وحلاهم وهذا والله أعلم أمثالهم وصورهم * وأما تفسير قوله تعالى واخذ ربك من بنى آدم الآية به ففيه ما فيه وحديث عمر لوصح لم يكن تفسيراً للآية وبيان

ان ذلك هو المراد بها فلا يدل الحديث عليه ولكن الآية دلت على ان هذا الاخذ من بنى آدم لامن آدم وانه من ظهورهم لامن ظهره وانهم ذرياتهم أمة بعمدة وانه إلهاد تقوم به الحجة له سبحانه فلا يقول الكافر يوم القيامة كنت غافلا عن هذا ولا يقول الولد أشرك أبى وتبعته فان ما فطرهم الله عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وخالقهم وفطرهم حجة عليهم ثم دلّ حديث عمر وغيره على أمر آخر لم يدل عليه الآية وهو القدر السابق والميثاق الاول وهو سبحانه لا يحتاج عليهم بذلك وانما يحتاج عليهم برسله وهو الذى دلت عليه الآية فضمنت الآية والا حاديت اثبات القدر والشرع واقامة الحجة والايمان بالقدر فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عنها بما يحتاج العبد الى معرفته والاقرار به و... وبالله التوفيق

الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى في ذلك وحكم النبي صلى الله

عليه وسلم لا دم صلوات الله وسلامه عليهم

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أتولمنى على أمر قدره الله علىّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى فخرج آدم موسى وفي رواية كتب لك التوراة بيده وفي لفظ آخر حاج آدم وموسى فخرج آدم موسى فقال له موسى أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى أعطاه الله علم كل شيء واصطفاه على الناس برسائه قال نعم قال أفعلونى على أمر قدر على قبل أن اخلقك* وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى فقال موسى أنت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك الى الارض قال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكّم وجدت الله كتب التوراة قبل أن اخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم هل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أفعلونى على أن عملت عملا كتبه الله على أن عمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى* وفي لفظ آخر احتج آدم وموسى فقال له موسى أنت الذى أخرجتنا خطيئتك من الجنة وذكر الحديث متفق على صحته وهذا التقدير بعد التقدير الاول السابق بخلاف السموات بخمسين ألف سنة* وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المتعزلة كأبى على الجبائى ومن وافقه على ذلك وقال لوصح لبطلت نبوات الانبياء فان القدر اذا كان حجة للعاصى بطل الامر والنهى فان العاصى بترك الامر أو فعل النهى اذا صح له الحجة بالقدر السابق ارتفع اليوم عنه وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فان هذا الحديث صحيح متفق على صحته لم ينزل الامة متلقاه بالقبول من عهد نبينا قرنا بعد قرن وتقالبه بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قاله وحكموا بصحته فما لأجهل الناس بالنسبة ومن عرف بعداوتها وعداوتها وحماتها والشهادة عليهم بانهم مجسمة ومشبهة بحشوية وهذا الشأن ولم ينزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية وأحاديث علو الله على خلقه وأحاديث صفاته القائمة به وأحاديث الشفاعة وأحاديث نزوله الى سائه ونزوله الى الارض للفصل بين عباده وأحاديث تكلمه بالوحى كلاما يسمعه من شاء من خلقه حقيقة الى أمثال ذلك وكما ردت الحوارج والمعتزلة أحاديث خروج أهل الكباثر من النار بالشفاعة وغيرها وكما ردت الراضية أحاديث فضائل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وكما ردت المعطاة أحاديث الصفات والأفعال الاختيارية وكما ردت القدرية المجوسية أحاديث القضاء والقدر السابق وكل من أصل أصلا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرا الى رد السنة وتحريفها عن مواضعها فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلا غير ما جاء به الرسول فهو أصابهم الذى عليه يملون وجنتهم الى اليها يرجعون * ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى فقالت فرقة انما حجه لان آدم أبوه فحجه كما يحج الرجل ابنه وهذا الكلام لا يحصل فيه البتة فان حجة الله يجب المصير اليها مع الاب كانت أو الابن أو العبد أو السيد ولو حج الرجل أباه يحق وجب المصير الى الحجة وقالت فرقة انما حجه لان الذنب كان في شريعة واليوم في شريعة وهذا من جنس ما قبله اذ لتأثير لهذا في الحجة بوجه وهذه الامة تلوم الامم الخالفة لرسائها المتقدمة عاينها وان كان لم تجمهم شريعة واحدة وقبل الله شهادتهم عليهم وان كانوا من غير أهل شريعتهم وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه كان قد تاب من الذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يجوز لومه وهذا وان كان أقرب مما قبله فلا يصح لثلاثة أوجه أحدها ان آدم لم يذكر ذلك الوجه ولا جملة حجة على موسى ولم يقل أتلومنى على ذنب قد تبنت منه الثانى ان موسى اعرف بالله سبحانه وبامر ودينه من أن يلوم على ذنب قد أخبره سبحانه انه قد تاب على فاعله واجتنبه بعده وهداه فان هذا لا يجوز لأحد المؤمنين أن يفعله فضلا عن كليم الرحمن الثالث ان هذا يستلزم الغاء معلق به النبي صلى الله عليه وسلم وجه الحجة واعتبار ما للغاء فلا يلتفت اليه وقالت فرقة أخرى انما حجه لانه لومه في غير دار التكليف ولولامه في دار التكليف لكانت الحجة لموسى عليه وهذا أيضا فاسد من وجهين أحدهما ان آدم لم يقل له لتنى في غير دار التكليف وانما قال أتلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق فلم يتعرض للدار وانما احتج في القدر السابق الثانى ان الله سبحانه يلوم المومنين من عباده في غير دار التكليف فيلومهم بعد الموت ويلومهم يوم القيامة وقالت فرقة أخرى انما حجه لان آدم شهد الحكم وجريانه على الخليفة وتقرّد الرب سبحانه بربوبيته وانه لا تحرك ذرة الابعثيته وعلمه وانه لا ارادة لقضائه وقدره وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن قالوا ومشاهدة العبد الحكم لا يدع له استتباب سيئة لانه شهد نفسه عدما محضا والأحكام جارية عليه معروفة له وهو مقهور مربوب مدبر لاحية له ولا قوة له قالوا ومن شهد هذا المشهد سقط عنه اليوم وهذا المسلك أبطل مسلك سلك في هذا الحديث وهو شر من مسلك القدرية في رده وهم انما ردوه ابطالا لهذا القول وردا على قائله وأصابوا في ردهم عليهم وابطال قولهم واخطأوا في رده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هذا المسلك لو صح لبطلت الديانات جملة وكان القدر حجة لكل مشرك وكافر وظالم ولم يبق للحدود معنى ولا يلام جان على جنائته ولا ظالم على ظلمه ولا ينكر منكرا أبدا ولهذا قال شيخ المسلمين ابن سينا في اشاراته العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله تعالى في القدر وهذا كلام

منسوخ من الملك ومتابعة الرسل وأعرف خلق الله به رساله وأنباؤه وهم أعظم الناس انكارا للمنكر وانما أرسلوا لانكار المنكر فالعارف أعظم الناس انكارا للمنكر لبصرته بالامر والقدر فان الامر يوجب عليه الانكار والقدر يعينه عليه وينفذه له فيقوم في مقام ايك نعبدايك نستعين وفي مقام قاعبه وتوكل عليه فنعبد به امره وقدره وتوكل عليه في تنفيذ امره بقدره فهذا حقيقة المعرفة وصاحب هذا المقام هو العارف بالله وعلى هذا أجمعت الرسل من أولهم الى خاتمهم وامامن يقول

أصبحت منفعلا لمسا يختاره منى ففعلى كله طاعات

ويقول انا وان عصيت امره فقد أطعت ارادته ومشيت به ويقول العارف لا ينكر منكرا لاستبصاره بسر الله في القدر نخارج عما عليه الرسل قاطبة وليس هو من اتباعهم وانما حكي الله سبحانه الاحتجاج في القدر عن المشركن اعداء الرسل فقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الى قوله (قل فله الحجة البالغة فلو شاء هداكم أجمعين) وقال تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) الى قوله (فهل على الرسول الا البلاغ المبين) وقال تعالى (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا والذين آمنوا أنفقوا من لوبشاء الله أطعمه) وقال تعالى (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون) فهذه أربع مواضع حكى فيها الاحتجاج بالقدر عن أعدائهم وشيخهم وإمامهم في ذلك عدوه الاحقر ابليس حيث احتج عليه بقضائه فقال (رب بما أغويتني لأزين لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) فان قيل قد علم بالنصوص والمعقول صحة قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولو شاء الرحمن ما عبدناهم فانه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد قال تعالى (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) فكيف أكذبهم ونفى عنهم العلم وأثبت لهم الحرص فيما هم فيه صادقون وأهل السنة جميعا يقولون لو شاء الله ما أشرك به مشرك ولا كفر به كافر ولا عصاه أحد من خلقه فكيف ينكر عليهم ما هم فيه صادقون (قيل) أنكر سبحانه عليهم ما هم فيه أكذب الكاذبين وأخبر الفاجرين ولم ينكر عليهم صدقا ولا حقا بل أنكر عليهم أبطل الباطل فانهم لم يذكروا ماذكروه إنبا بالقدره وروبوته ووحدانيته وافقاروا اليه وتوكلوا عليه واستعانته به ولو قالوه كذلك لكانوا مصيبين وإنما قالوه معارضين به لشرعه ودافعين به لأمره فعارضوا شرعه وأمره ودفعوه بقضائه وقدره ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر وأيضا فانهم احتجوا بمشيتة العامة وقدره على محبته لما شاءه ورضاه به واذنه فيه فجمعوا بين أنواع من الضلال معارضة الأمر بالقدر ودفعه به والاخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه وان لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر وقودورهم في هذا الضلال وتبعهم عليه طوائف من الناس ممن يدعى التحقيق والمعرفة أو يدعى فيه ذلك وقالوا العارف اذا شاهد الحكم سقط عنه اليوم وقد وقع في كلام شيخ الاسلام أبى اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى ما يوههم ذلك وقد أعاده الله منه فانه قال في باب التوبة من منازل السائرین ولطائف التوبة ثلاثة أشياء * أولها ان ننظر في الجناية والقضية فنعرف مراد الله فيها إذ خلأك وإتيناها فان الله تعالى إنما يخلى العبد والذنوب لاحد معنيين أن يعرف عبرته في قضائه وبره في مسيره وحلمه في إهمال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته * والثاني ليقم على العبد حجة عدله فيما عابه

على ذنبه بحجته* واللطيفة الثانية أن يعلم أن طلب البصير الصادق سفته لم تنق له حسنة بحال لانه يسير بين مشاهدة المنة وبطلب عيب النفس والعمل* والمطيفة الثالثة أن مشاهدة العبد الحكيم لم يدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة لصموده من جميع المعاني الى معنى الحكيم* فهذا الكلام الاخير ظاهره يبطل استحسان الحسن واستقباح القبيح والشرائع كلها منبهاها على استحسان هذا واستقباح هذا بل مشاهدة الحكيم تزيد البصير استحسانا للحسن واستقباحا للقبيح وكلما ازدادت معرفته بالله وأسمائه وصفاته وأمره قوى استحسانه واستقباحه فانه يوافق في ذلك ربه ورسله ومقتضى الاسماء الحسنى والصفات الملى وقد كان شيخ الاسلام في ذلك موافقا للامر وغضبه لله ولحدوده ومحارمه ومقاماته في ذلك شهيرة عند الخاصة والعامة وكلامه المتقدم بين في رسوخ قدمه في استقباح ما يقبحه الله واستحسان ما يحسنه الله وهو كالحكمم فيه وهذا متشابه فبرد الى محكم كلامه والذي يابق به مذكروه شيخنا أبو العباس أحمد بن اراهيم الواسطى في شرحه فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام فقال الفناء عبارة عن اصطلام العبد لقلبه وجود الحق وقوة العلم به في العبد فيزيد بذلك يقينه به ومعرفته به وبصفاته سبحانه فيذهل بذلك كما يذهل الانسان في أمر عظيم دهمه فانه ربما غاب عن شعوره بما دهمه من الامور المهمة مثاله رجل وقف بين يدى سلطان عظيم قاهر من ملوك الارض فاذهله ما يلاحظه من هيئته وسلطانه عن كثير مما يشعر به وهذا تقرب والامر فوق ذلك فكيف بمن اشهده الله عز وجل فردائته حيث كان ولا شيء معه فرأى الاشياء مواتا لا قوام لها الا بقدرته فشاهدها خيالا كالحباء بالنسبة الى وجود الحق تعالى وذلك في البصائر القلبية بالكشف الصحيح بعد التصفية والتدرب في اقيام بأعباء الشريعة وحمل ألقاها والتخلق باخلاقتها وصفى الله عبده من درنه ويكشف لقلبه فيرى حقائق الاشياء فتجلى على العبد أنوار المشاهدة الحقيقية الروحية الدالة على عظمة الفردانية تلاشى الوجود الذى للعبد واضمححل كما يتلاشى الليل اذا اسفر عليه الصباح ويكون العبد في ذلك آكلا شارباً فلا يظهر عليه شيء مغاير لما اعتاده لكن يزداد إيمانه ويقينه حتى ربما غطى إيمانه عن قلبه كل شيء في أوقات سكره وسبق وجوده كالخيال قائماً بالعبودية في حضرة ذى الجلال وتعود عليه البصائر الصحيحة في معرفة الاشياء عند صحوه ثم يزول عنه عدم التمييز ويقوى على حاله فيتصرف وذلك هو البقاء بحيث يتصرف في الاشياء ولا يحجب عنه ما يوجد من الايمان والايقان في حال البقاء بل يعود عليه شعوره الاول بوجود آخر يتولاه الله عز وجل مشهده فيه قيامه عليه بتدبيره ويصل الى مقام المراد بعد عبوره على مقام المرید فيصير به يسمع وبه ينطق كما جاء في الحديث الصحيح ووجه آخر وهو أن الثاني في حال فئائه قبل أن يباين الى مقام البقاء والصحو والتمييز فيستر من قلبه محل الزهد والصبر والورع لاي معنى أن تلك المقامات ذهبت وارتفعت عنها العبد لكن بمعنى أن الشهوة وستر محلها من القلب وانطوت واندرجت في ضمن ما يوجد اندراج الحال النازل في الحال العالى فصارت فيما وجده الواحد من وجود الحق ضمناً وتبعاً وصار القلب مشغولاً بالحال الاعلى عن الحال الادنى بحيث لو فُتس قلب العبد لوجد فيه الزهد والورع وحقائق الخوف والرجاء مستورا بامثال الجبال من الاحوال الوجودية التى يضيق القلب عن الانساع لمجموعها وفي حال البقاء والصحو والتمييز تعود عليه تلك المقامات بالله لا بوجود نفسه اذا علمت ذلك المحل اشكال قوله إن مشاهدة العبد لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة

لصعوده الى معنى الحكم أى ان صفة حكم الله حشت بصيرته وملأها فشهد قيام الله على الاشياء وتصرفه فيها وحكمه عليها فرأى الاشياء كلها منه صادرة عن نفاذ حكمه وتقديره وارادته القدرية فغاب بما لاحظ من الجمع عن التمييز والفرق ويسمى هذا جملاً لأن العبد اجتمع نظره الى مولاه في كل حكم وقع في الكون وفي ملاحظة هذا الحكم الذى صدرت عنه تصرفات اجتمع قلبه ولضعف قلبه حين هذا الاجتماع لم يتسع للتمييز الشرعى بين الحسن والقيح بمعنى أنه انطوى حكم معرفته بالحسن والقيح في طى هذه المعرفة الساترة له عن التميز لاي معنى انه ارتفع عن قلبه حكم التحسين والتقبيح بل اندرج في مشهده وانطوى بحيث لو فتش لوجد حكم التحسين والتقبيح مستورا في طى مشهده ذلك وبالله التوفيق* وتلخص ما ذكره شيخنا رحمه الله أن للفعل وجهين وجه قائم بالرب تعالى وهو قضاؤه وقدره له وعلمه به والعبد له ملاحظتان ملاحظة للوجه الأول وملاحظة للوجه الثانى والكمال أن لا يغيب باحد الملاحظتين عن الاخرى بل يشهد قضاء الرب وقدره ومشيتته ويشهد مع ذلك فعله وجنابته وطاعته ومعصيته فيشهد الربوبية والعبودية فيجتمع في قلبه معنى قوله (من شاء منكم أن يستقيم) مع قوله (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وقوله (إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) فمن الناس من يتسع قلبه لهذين الشهودين ومنهم من يضيق قلبه عن إجماعهما بقوة الوارد عليه وضعف المحل فيغيب بشهود العبودية والكسب وجهة الطاعة والمعصية عن شهود الحكم القائم بالرب تعالى من غير إنكار له فلا يظهر عليه الا أثر الفعل وحكمه الشرعى وهذا لا يضره اذا كان الايمان بالحكم قائما في قلبه ومنهم من يغيب بشهود الحكم وسبقه وأولية الرب تعالى وسبقه للاشياء عن جهة عبوديته وكسبه وطاعته ومعصيته فيغيب بشهود الحكم عن المحكوم به فضلا عن صفته فاذا لم يشهد له فعلا فكيف يشهد كونه حسنا أو قبيحا وهذا أيضا لا يضره اذا كان علمه بحسن الفعل وقبحه قائما في قلبه وانما توارى عنه لاستيلاء شهود الحكم على قلبه وبالله التوفيق* فأين هذا من احتجاج أعداء الله بمشيئته وقدره على ابطال أمره ونهيه وعباد هؤلاء الكفرة يشهدون أفعالهم كلها طاعات لموافقته المشيئة السابقة ولو أغضبهم غيرهم وقصر في حقوقهم لم يشهدوا فعله طاعة مع أنه وافق فيه المشيئة فما احتج بالقدر على ابطال الامر والنهى الامن هو من أجهل الناس وأظلمهم وأتبعهم لهواه وتأمل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على ابطال ما أمرهم به رسوله وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاء منهم (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهذا كم أجمعين) فآخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه وبيان ما ينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الايمان بمرفق وأمره ونواهيه وأعطاهم الاسماع والابصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حججهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ثم قرر تمام الحجة بقوله (فلو شاء لهذا كم أجمعين) فان هذا يتضمن انه المنفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه وأنه لا رب غيره ولا إله سواه فكيف يعبدون معه لإله غيره فاثبات القدر والمشيئة من تمام حججه البالغة عليهم وان الامر كله لله وان كل شئ ما خلا الله باطل فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد لجعلها للظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك فكانت حجة الله هي البالغة وحججهم هي الداحضة وبالله التوفيق* اذا عرفت هذا فموسى أعرف بالله وأسماؤه وصفاته من أن يلوم على ذنب قد تاب منه فاعله فاجتباؤه ربه بعده وهدهاء واصطفاه وأدم

أعرف بربه من أن يحتاج بقضائه وقدره على معصيته بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء والحنة بسبب خطيئة أبيهم فذكر الخطيئة تنبها على سبب المصيبة والحنة التي نالت الذرية ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة وفي لفظ خيبتنا فاحتج آدم بالقدر على المصيبة وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خاتمي والقدر يحتاج به في المصائب دون المعائب أي أتولموني على معصية قدرت على وعليكم قبل خاتمي بكذا وكذا سنة هذا جواب شيخنا رحمه الله وقد توجه جواب آخر وهو أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذلك من التوحيد ومعرفه أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينفع به الذكر والسماع لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة * يوضحه أن آدم قال لموسى أتولموني على أن عملت عملا كان مكتوبا على قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فإنه مؤنب عليه ولما حسن منه أن يحتاج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر على قبل أن أخلق فإنه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لاثم فيحتاج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج بالمصريين على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا (لوشاء الله ما شركنا ولا أبأؤنا ولوشاء الرحمن ما عبدناهم) فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه وأنهم لم يندموا على فعله ولم يعزموا على تركه ولم يقرؤا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود فاذا لاهه لاثم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله * ونكتة المسئلة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان اللوم واقعا فلا احتجاج بالقدر باطل * فإن قيل فقد احتج على بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الصحيح عن علي أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال لهم ألا تظنون قال فقلت يا رسول الله إنما أفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا فأنصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مدبر يصرب نخذه وهو يقول (وكان الإنسان أكبر شيء جدلا) * قيل على لم يحتاج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم وإنما قال إن نفسه ونفس فاطمة بيد الله فإذا شاء أن يوقفهما ويبيع أنفسهما بهما وهذا موافق لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة ناموا في الوادي أن الله قبض أرواحنا حيث شاء ووردها حيث شاء وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه فالتائم غير مفرط واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح وقد أوردنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الاحتجاج بالقدر في الموضع الذي ينفع العبد بالاحتجاج به (فروى) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير لحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فان لو فتفتح عمل الشيطان فتضمن هذا الحديث الشريف أصولا عظيمة من أصول الإيمان (أحدها) أن الله سبحانه موصوف بالحجة وأنه

يحب حقيقة (الثاني) انه يحب مقتضى أسائه وصفاته وما وافقها فهو القوى ويجب المؤمن القوى وهو
وتر يحب الوتر وحيل يحب الجمال وعليم يحب العلماء ونظيف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين
ومحسن يحب المحسنين وصابر يحب الصابرين وشاكر يحب الشاكرين * ومنها ان محبة المؤمنين تفضل
فيحب بعضهم أكثر من بعض * ومنها ان سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده
والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكما
كله في مجموع هذين الامرين ان يكون حريصا وان يكون حرصه على ما ينتفع به فان حرصا على مالا
ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فانه من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على
ما ينفع ولما كان حرص الانسان وفعاله انما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره ان يستعين به ليجمع
له مقام إياك نعبد وإياك نستعين فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم الابعودية فأمره بان يعبد
وان يستعين به ثم قال ولا تعجز فان العجز ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص
على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل رجوع المقدور الى ما هو من أعظم أسباب
حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمه الامور بيده ومصدرها منه ومردّها اليه فان فاته
ما لم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز الى لولا فائدة في لوهنا بل
هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهأ صلى الله تعالى
عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر وملاحظته وأنه لو
قدر له لم يفقد ولم يلقه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشية الرب النافذة التي توجب
وجود المقدور واذا انتفت امتنع وجوده فلماذا قال فان غلبك أمر فلا تقل لواني فعلت لكان كذا ولكن
قل قدر الله وما شاء فعل فإرشده الى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلماذا
كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدا بل هو أشد شئ اليه ضرورة وهو يتضمن اثبات القدر
والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالي حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق

الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه

وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر

ما يلقاه وذكر الجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك

عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان أحدكم
ليجمع خلقا في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقه مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك
ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد
فوالذي لا إله غيره ان أحدكم يعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه
الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها متفق عليه (وعن) حذيفة بن
أسيد يبلغ به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل الملك على الطفلة بعد ما تستقر في الرحم
بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول يارب اشقى أم سعيد فيكتبان فيقول أى رب أذكر أم أنسى

فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص رواد مسلم (وعن) عامر بن وائلة انه سمع عبدالله بن مسعود يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له حذيفة بن اسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل أتجيب من ذلك فأتى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا مرّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدّها ولحمها وعظمها ثم قال يارب أذكر أم أنتى فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب رزقه فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما مر ولا ينقص (وفي لفظ آخر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بانثى هاتين يقول ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يتسور عليها الملك قال زهير بن معاوية أحسبه قال الذي يخلقها فيقول يارب أذكر أم أنتى فيجمله الله ذكرًا أو أنثى ثم يقول يارب أسوى أم غير سوى فيجمله الله سويا أو غير سوى ثم يقول يارب مارزقه وما أجله وما خلقه ثم يجمله الله شقيا أو سعيدا وفي لفظ آخر إن ملكا موكلًا بالرحم اذا أراد الله أن يخلق شيئا باذن الله ولبضع وأربعين ليلة ثم ذكر نحوه وهذا الحديث بطرقه انفرد به مسلم (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل وكل بالرحم ملكا فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة واذا أراد أن يقضى خلقا قال الملك أى رب ذكرًا أو أنثى شقى أو سعيدا فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه متفق عليه (وقال) ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن سعيد بن عبد الرحمن بن هنيذة حدثهم أن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق النسيمة قال ملك الارحام معها يارب أذكر أم أنتى فيقضى الله بأمرد ثم يقول يارب شقى أم سعيد فيقضى الله أمره ثم يكتب بين عينيه ماهو لاق حتى النكبة ينكها (قال) ابن وهب وأخبرني عبدالله بن لهيعة عن بكر بن سواده الجدي عن أبي تميم الحيشاني عن ابي ذر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت يعنى النطفة في الرحم أربعين أتى ملك النفس فمرج الى الرب فقال يارب عبدك أذكر أو أنتى فيقضى الله بما هو قاض أشقى أم سعيد فيكتب ماهو كائن وذكر بقية الحديث (وقال) ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن كعب بن علقمة عن عيسى عن هلال عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال اذا مكثت النطفة في رحم المرأة أربعين ليلة جاءها ملك فاختلجها ثم عرج بها الى الله تعالى أخلق يا أحسن الخالقين فيقضى الله فيها بما يشاء من أمره ثم تدفع الى الملك فيسأل الملك عند ذلك فيقول يارب اسقط أم تم فيبين له ثم يقول يارب أوأحد أم توأم فيبين له ثم يقول أقطع رزقه مع خلقه فيقضيهما جميعا فوالذي نفس محمد بيده لا ينال الا ما قسم له يومئذ اذا أكل رزقه قبض (وقال) عبد الله بن أحمد أنا العللاءنا أبو الاشعث ثنا أبو عامر عن الزبير بن عبد الله حدثني جعفر بن مصعب قال سمعت عروة بن الزبير يتحدث عن عائشة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله سبحانه حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول أى رب ماذا فيقول غلام أو جارية أو ماشاء أن يخلق في الرحم فيقول أى رب أشقى أم سعيد فيقول شقى أو سعيد فيقول أى رب ما أجله فيقول كذا وكذا فيقول ما خلقه ما خلّقه فيقول

كذا وكذا فاشئ* الا وهو يخلق معه في الرحم (وفي المسند) من حديث اسماعيل بن عبيد الله وهو ابن أبي المهاجر أن أم الدرداء حدثته عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس من أجله ورزقه ومضجعه وأثره وشق أم سعيد (وقال) ابن حميد بن يعقوب ابن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا وقعت النطفة في الرحم تلبث أربعة أشهر وعشرا ثم تنفخ فيها الروح ثم تلبث أربعين ليلة ثم يموت اليها ملك فنفقها فيقرة القفا وكتب شقياً أو سعيداً وروى ابن أبي خزيمة ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال السعيد من سعد في بطن أمه رواه أبو داود في القدر عن عبد الرحمن عن حماد عن هشام بن حسان عن محمد بن أحمد بن عبد بن علي بن عبد الله بن ميسر ثنا عبد الحميد بن بيان ثنا خالد بن عبد الله عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه وقال سعيد عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وقال شعبة عن مخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال ان أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها فاتبعوا ولا تبدعوا فان الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره وان شر الروايات روايا الكذب وشر الأمور محدثاتها وكل ما هو آت قريب رواه أبو داود في القدر وذكر الطبري من رواية أبي اسحاق عن أبي عبدة عنه انه كان يحيى* كل يوم خميس يقوم قائماً لا يجلس فيقول إنما هما اثنتان فالحسن الهدى هدى محمد وأصدق الحديث كتاب الله وشر الأمور محدثاتها وكل محدث ضلالة ان الشقي من شقي في بطن أمه وان السعيد من وعظ بغيره الا فلا يطولن عليكم الأمد ولا يأمينكم الا مل فان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما ليس آتيا وان من شرار الناس بطل التهار حيفة الليل وان قتل المؤمن كفر وان سبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا إن شر الروايات روايا الكذب وانه لا يصح من الكذب جد ولا هزل ولا ان يعد الرجل صفيه ثم لا يشجزه الا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الصادق يقال له صدق وبر* وان الكاذب يقال له كذب وبخر* واني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان العبد ليصدق فيكتب عند الله صديقاً وانه ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً الاهل تدرن ما لعضه هي النيمة التي تفسد بين الناس وهذا متواتر عن عبد الله وبلغ معاوية أن الوباء اشتد بأهل دار فقال لو حولناهم عن مكانهم فقال له أبو الدرداء وكيف لك يا معاوية بأنفس قد حضرت أجالها فكأن معاوية وجد على أبي الدرداء فقال له كعب يا معاوية لا تجد على أخيك فان الله سبحانه لم يدع نفسا حين تستقر نطفها في الرحم أربعين ليلة الا كتب خلقها وخلقها وأجلها ورزقها ثم لكل نفس ورقة خضراء معلقة بالعرش فاذا دنا أجلها خالقت تلك الورقة حتى تيبس ثم تسقط فاذا يبست سقطت تلك النفس وانقطع أجلها ورزقها ذكره أبو داود عن محمود بن خالد ثنا مروان بن معاوية بن سلام حدثني أخي زيد بن سلام عن جده ابن سلام قال بلغ معاوية فذكره وقال أبو داود ثنا واصل بن عبد الأعلى ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم عن مجاهد في قوله تعالى وكل إنسان ائتمناه طائفة في

عنه قال مامن مولود يولد الا في عتقه ورقة مكتوب فيها شق اوسعيد وفي الصحيحين عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافر ولو عاش لارهق أبويه طفانا وكفرا وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت توفي صبي من الانصار فقلت طوى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أوغير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبئهم ولا يناقض هذا حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخارى في صحيحه من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين حول ابراهيم الخليل في الروضة فان الاطفال منقسمون الى شقى وسعيد كالبالغين فالذى رآه حول ابراهيم السعداء من أطفال المسلمين والمشركين وأنكر على عائشة شهادتها للطفل المعين أنه عصفور من عصافير الجنة فاجتمعت هذه الاحاديث والآثار على تقدير رزق العبد وأجله وشقاوته وسعادته وهو في بطن أمه واختلفت في وقت هذا التقدير وهذا تقدير بعد التقدير الاول السابق على خلق السموات والارض وبعد التقدير الذى وقع يوم استخراج الذرية بعد خلق آبهى آدم ففي حديث ابن مسعود ان هذا التقدير يقع بعد مائة وعشرين يوما من حصول النطفة في الرحم وحديث أنس غير مؤقّت وأما حديث حذيفة بن أسيد فقد وقع فيه التقدير باربعين يوما وفي لفظ باربعين ليلة وفي لفظ ثنتين وأربعين ليلة وفي لفظ ثلاث وأربعين ليلة وهو حديث تفرد به مسلم ولم يروه البخارى وكثير من الناس يظن التعارض بين الحديثين ولا تعارض بينهما بحمد الله وان الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الاربعين الاولى حتى يأخذ في الطور الثانى وهو العلقه وأما الملك الذى ينفخ فيه فانما ينفخها بعد الاربعين الثالثة فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته وهذا تقدير آخر غير التقدير الذى كتبه الملك الموكل بالنطفة ولهذا قال في حديث ابن مسعود ثم يرسل الى الملك فيؤمر باربع كلمات وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها باذن الله من حال الى حال فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوما فهو تقدير بعد تقدير فاتفقت احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق بعضها بعضا ودلت كلها على إثبات القدر السابق ومراتب التقدير وما يؤتى أحد الامن غلط الفهم أو غلط في الرواية ومضى تحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الامر كله من مشكاة واحدة صادقة متضمنة لنفس الحق وبالله التوفيق

الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

قال الله تعالى (حم والكتاب المين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمر من عندنا إنا كنا مرسلين) وهذه هي ليلة القدر قطعنا لقوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ومن زعم انها ليلة النصف من شعبان فقد غلط قال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ليلة القدر ليلة الحكم وقال سفيان عن محمد بن سوفة عن سعيد بن جبير يؤذن للحدجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يقادر منهم أحد ولا يزداد فيهم ولا ينقص منهم وقال ابن عاتية تناربيعة بن كانوا قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرايت ليلة القدر في كل رمضان هي قال نعم والله الذى لا إله الا هو

إنها لفي كل رمضان وأنها ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وعمل وورق إلى مثلها وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس قال يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة وورق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية أنك لتري الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال مقاتل بقدر الله في ليلة القدر أمر السنة في بلاده وعباده إلى السنة القابلة وقال أبو عبد الرحمن السلمي يقدر أمر السنة كلها في ليلة القدر وهذا هو الصحيح أن القدر مصدر قدر الشيء يقدره قدرا فهي ليلة الحكم والتقدير وقالت طائفة ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة من قولهم لفلان قدر في الناس فإن أراد صاحب هذا القول أن لها قدرا وشرفا مع ما يكون فيها من التقدير فقد أصاب وإن أراد أن معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط إن الله سبحانه أخبر أن فيها يفرق أي يفصل الله ويبين ويرسم كل أمر حكيم

الباب السادس في التقدير الخامس اليومي

قال الله تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن) ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبي حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن ما خالق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفءاه من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتبه نور ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة في كل نظرة منها يخلق ويرزق ويحيى ويميت ويعز ويزيل ويفعل ما يشاء فذلك قوله (كل يوم هو في شأن) وقال مجاهد والكلبي وعبد ابن عمير وأبو مسرة وعطاء ومقاتل من شأنه أنه يحيى ويميت ويرزق ويمنع وينصر ويعز وبذل ويفك عانيا ويشفي مريضا ويحبب داءيا ويعطي سائلا ويتوب على قوم ويكشف كرا وب يغفر ذنبا ويضع أقواما ويرفع آخرين دخل كلام بعضهم في بعض وقد ذكر الطبراني في المعجم والستة وعثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على المريسي عن عبد الله بن مسعود قال إن ربكم عز وجل ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والأرض نور وجهه وإن مقدار كل يوم من أيامكم عنده ثنتي عشرة ساعة فيعرض عليه أعمالكم فيها على ما يكره فيفضله ذلك وأول من يعلم غضبه حملة العرش يجذونه ينقل عليهم فيسبحه حملة العرش وسراقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء إلا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلي الرحمن عز وجل رحمة فذلك ست ساعات ثم يؤتى بالآرحام فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) وقوله (يحب لمن يشاء) أنا وأيوب لمن يشاء المذكور أبو رز وجهم ذكر أنا وإنا ويجعل من يشاء عقيما أنه عالم قدير) فذلك تسع ساعات ثم يؤتى بالآرزا فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله في كتابه (يسطر الرزق لمن يشاء) ويقدر كل يوم هو في شأن) قال هذا شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى قال الطبراني ثنا بشر بن موسى ثنا يحيى بن اسحاق أنا حماد بن سلمة عن أبي عبد السلام عن عبد الله أو عبيد الله ابن مكرز عن ابن مسعود فذكره وقال عثمان بن سعيد الدارمي ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن أبي عبد السلام عن أيوب بن عبيد الله الفهري أن ابن مسعود قال إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار فذكر الحديث إلى قوله فيسبحه حملة العرش وسراقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة فهذا تقدير يومي والذي قبله تقدير حولي والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس

به والذي قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضغة والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السموات والارض والذي قبله تقدير سابق على خلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق وفي ذلك دليل على كمال علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة تعريف ملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسائه وقد قال تعالى (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنسخ من اللوح المحفوظ فتستنسخ الملائكة ما يكون من أعمال بني آدم قبل أن يعملوه فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه فيثبت الله تعالى منه ما فيه ثواب أو عقاب ويطلع منه اللغو وذكر ابن مردويه في تفسيره من طرق إلى بقية عن أروطة بن المنذر عن مجاهد عن ابن عمر رفعه أن أول ما خلق الله القلم فآخذه بيمنه وكلتا يديه يمين فكتب الدنيا وما يكون فيها من عمل معمول من بر أو فجور رطب أو يابس فأحصاه عند الذكر وقال اقرأوا إن شئتم (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) فهل تكون النسخة إلا من شيء قد فرغ منه وقال آدم ثنا ورفاء عن عطاء بن السائب عن مقسم عن ابن عباس إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال تستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم فالما يعمل الانسان على ما تستنسخ الملك من أم الكتاب وفي تفسير الأشجع عن سفيان عن منصور عن مقسم عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وفي تفسير الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الانسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يرتدى من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظوا عليه ذلك كله وإذا كان الشيء صعدا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم

الباب السابع في أن سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضى

ترك الأعمال بل يقتضى الاجتهاد والحرص

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة في الأعمال وإن ماضاه الرب سبحانه وقدره لا بد من وقوعه فتوسط العمل لفائدة فيه وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاجابهم بما فيه الشفاء والهدى في الصحيحين عن عيسى بن أبي طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه مخضرة فنكس فجعل ينكت بمخضرته ثم قال ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة الا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر أم أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأم أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره اليسرى) وفي بعض طرق البخاري أفلا تتكلم على كتابنا وندع العمل فن

كان من أهل السعادة فيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فيصير الى عمل أهل الشقاوة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال جاء سراق بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كما كنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفما جفت به الآلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الآلام وجرت به المقادير قال فقيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر رواه مسلم وعن عمران بن حصين قال قيل يا رسول الله اعلم أهل الجنة من أهل النار فقال نعم قيل فقيم العمل فقيم العمل فقال كل ميسر لما خلق له متفق عليه وفي بعض طرق البخاري كل يعمل لما خلق له أولا يسر له ورواه الامام أحمد أطول من هذا فقال ثنا صفوان بن عيسى ثنا عروة بن ثابت عن يحيى بن عجيل عن أبي نعيم عن أبي الاسود الدؤلي قال غدوت على عمران بن حصين يوما من الأيام فقال ان رجلا من جهنمة أو مزينة أتى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس اليوم ويكادحون فيه شيء قضى عليهم أو مضى عليهم في قدر قد سبق أو فيما يستقبلونه مما آتاهم به نبيهم واتخذت عليهم الحجة قال بل شيء قضى عليهم قال فلم يعملوا اذا يا رسول الله قال من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين فبهاه لعلها وتصدق ذلك في كتاب الله (ونفس وما سواها فاهلها ما تجورها وقتوها) وقال الحاملي ثنا أحمد بن المقدام ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبا سفيان يحدث عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر أنه قال نزل منهم شقي وسعيد فقال عمر يابني الله على م نعمل على أمر قد فرغ منه ألم يفرغ منه قال لا على أمر قد فرغ منه قد جرت به الآلام ولكن كل ميسرأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى فاتفقت هذه الأحاديث ونظائرهما على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الانتكال عليه بل بوجب الجهد والاجتهاد ولهذا لما سمع بعض الصحابة ذلك قال ما كنت أشد اجتهادا مني الآن وهذا عما يدل على جلالة فقه الصحابة ودقة أفهامهم وصحة علومهم فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرهم بالقدر السابق وجريانه على الحقيقة بالاسباب فان العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ويمكن منه وهى له فاذا أتى بالسبب أوصاله الى القدر الذي سبق له في أم الكتاب وكلما زاد اجتهادا في تحصيل السبب كان حصول المقدور أدنى اليه وهذا كما اذا قدر له ان يكون من أعلم أهل زمانه فانه لا ينال ذلك الا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه واذا قدر له أن يرزق الولد لم ينل ذلك الا بالنكاح أو التسرى والوطىء واذا قدر له أن يستقل من أرضه من الثفل كذا وكذا لم ينله الا بالبذر وفعل أسباب الزرع واذا قدر الشعب والرى فذلك موقوف على الاسباب المحصلة لذلك من الاكل والشرب واللبس وهذا شأن أمور المعاش والمعاد فمن عطل العمل انتكالا على القدر السابق فهو بمنزلة من عطل الاكل والشرب والحركة في المعاش وسائر أسبابه انتكالا على ما قدر له وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على الاسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم الدنيوية بل فطر الله على ذلك سائر الحيوانات فهكذا الاسباب التي بها مصالحهم الآخروية في معادهم فانه سبحانه رب الدنيا والآخرة وهو الحكيم بما نصبه من الاسباب في المعاش والمعاد وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة فهو مهيباً له ميسر له فاذا علم العبد ان مصالح آخرته مرتبطة بالاسباب الموصلة اليها كان أشد اجتهادا في فعلها من القيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه وقد فقه هذا كل الفقه من قال

ما كنت أشد اجتهادا مني الآن فان العبد اذا علم ان سلوك هذا الطريق يقضى به الى رياض موقفة وبساتين معجبة ومساكن طيبة ولذة ونعيم لا يشوبه نكد ولا تعب كان حرصه على ساوكتها واجتهاده في السير فيها بحسب علمه بما يقضى اليه ولهذا قال ابو عثمان النهدي لسلطان لا نابول هذا الامر أشد فرحا مني بآخره وذلك لأنه اذا كان قد سبق له من الله سابقة وهياه ويسره للوصول اليها كان فرحا بالسابقة التي سبقت له من الله أعظم من فرحه بالاسباب التي تأتي بها فانها سبقت له من الله قبل الوسيلة منه وعلمها الله وشاءها وكتبها وقدرها وهياها لاسبابها لتوصله اليها فالامر كله من فضله وجوده السابق فسبق له من الله سابقة السعادة ووسيلتها وغايتها فالمرء من أشد فرحا بذلك من كون أمره مجمعا اليه كما قال بعض السلف والله ما أحب أن يحمل أمرى الى إله اذا كان بيد الله خيرا من أن يكون بيدي فالتدرج السابق معين على الاحمال وما يبحث عليها ومقتض لها لأنه مناف لها وصاد عنها وهذا موضع منزلة قدم من ثبت قدمه فاز بالتعظيم المقيم ومن زلت قدمه عنه هوى الى قرار الجحيم فالتبني صلى الله تعالى عليه وسلم ارشد الامة في القدر الى امرين هما سبيل السعادة الايمان بالافدار فانه نظام التوحيد والاتباع بالاسباب التي توصل الى خيره وتحمجز عن شره وذلك نظام الشرع فأرشدتهم الى نظام التوحيد والامر فاني المنحرفون الى القدر بانكاره في أصل التوحيد أو القدر باتباعه في أصل الشرع ولم تتسع عقولهم التي لم يبق الله عليها من نوره لا جمع بين ما جرت الرسل جميعهم بينه وهو القدر والشرع والخلق والامر وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والتبني صلى الله تعالى عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الامرين للامة وقد تقدم قوله احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان العاجز من لم يتسع للامرين وبالله التوفيق

الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

قد تقدمت الاحاديث بوقوع أهل السعادة في احدى القضيتين وكتابتهم باسمائهم وأسماء آباءهم في ديوان السعداء قبل خلقهم وفي صحيح الحاكم من حديث الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) قال المشركون فلللائكة وعيسى وعزيرا يعبدون من دون الله قال فزلت (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وهذا اسناد صحيح وقال علي بن المديني ثنا يحيى بن آدم ثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم قال اخبرني ابو رزين عن ابني يحيى عن ابن عباس أنه قال آية لا يسأل الناس عنها لأدرى اعرفوها فلم يسألوا عنها وأجهلوا فلا يسألون عنها فقيل له وما هي فقال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها وارادون شق ذلك على قريش أو على أهل مكة وقالوا يشتم أئمتنا جاء ابن الزبير فقال ما لكم قالوا يشتم أئمتنا قال وما قال قالوا قال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها وارادون) قال ادعوه لي فلما دعى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا محمد هذا شيء لا أئمتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال لا بل لكل من عبد من دون الله قال فقال ابن الزبير خصمت ورب هذه البنية يعني الكعبة ألتزعم ان الملائكة عباد صالحون وان عيسى عبد صالح وان عزيرا عبد صالح وهذه بنو مليح تعبد الملائكة وهذه النصارى تعبد عيسى وهذه اليهود تعبد عزيرا قال فضج أهل مكة فأنزل

الله عز وجل (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها) قال ونزلت
(ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون) قال هو الضجيج وهذا اليراد الذي أوردته ابن
الزيمري لا يرد على الآية فإنه سبحانه قال أنكم وما تمبدون من دون الله ولم يقل ومن تمبدون ومالما
لا يعقل فلا يدخل فيها الملائكة والمسيح وعزير. وأما ذلك للاحجار ونحوها التي لا تمقل وايضافان
السورة مكية والخطاب فيها للعباد الاصنام فإنه قال أنكم وما تمبدون فللفظة أنكم ولفظه ما تبطل سؤاله
وهو رجل فصيح من العرب لا يخفى عليه ذلك ولكن إرادته أنما كان من جهة القياس والمعوم المعنوي
الذي يعم الحكم فيه بعموم علته أى ان كان كونه معبوداً يوجب أن يكون حصب جهنم فهذا المعنى
بعبه موجود في الملائكة وعزير والمسيح فاحيب بالفارق وذلك من وجوب أحداهن الملائكة
والمسيح وعزير ممن سبقت لهم من الله الحسنى فهم سعداء لم يفعلوا ما يستوجبون به النار فلا يعذبون
بعبادة غيرهم مع بعضهم ومعاداتهم لهم فالنسوية بينهم وبين الاصنام أتبع من النسوية بين البيع والربا
والميتة والذكي وهذا شأن أهل الباطل وأما يسوون بين ما فرق الشرع والعقل والنطرة بينه ويفرقون
بين ماسوى الله ورسوله بين الفرق الثاني ان الاوثان حجارة غير مكلفة ولا ناطقة فإذا حصبت بها
جهنم أهانة لها ولما بدى لها لم يكن في ذلك من لا يستحق العذاب بخلاف الملائكة والمسيح وعزير فانهم
أحياء ناطقون فلو حصبت بهم النار كان ذلك إيلا ما وتذنيا لهم * الثالث ان من عبد هؤلاء بزعمه فإنه
لم يعبدتهم في الحقيقة فانهم لم يدعوا الى عبادتهم وأما عبد المشركون الشياطين وتوهموا ان العبادة هؤلاء
فانهم عبدوا بزعمهم من ادعى انه معبود مع الله وأنه معه إله وقديراً الله سبحانه ملائكة والمسيح
وعزير ممن ذلك وأما ادعى ذلك الشياطين وهم بزعمهم يعتقدون أنهم يرضون بأن يكونوا معبودين مع
الله ولا يرضى بذلك الا الشياطين ولهذا قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء
إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكرهتم بهم مؤمنون)
وقال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تمبدوا الشيطان) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم يأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن
ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي
الظالمين) فما عبد غير الله الا الشيطان وهذه الاجوبة بمنزعة من قوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
فتأمل الآية نجدتها تلوح في صفحات الفاظها وبالله التوفيق والمقصود ذكر الحسنى التي سبقت من الله
لاهل السعادة قبل وجودهم وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم ثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد ثنا أبو عامر
العقدي ثنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا الزهري عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ان عبد الرحمن
ابن عوف مرض مرضاً شديداً اغمى عليه فافاق فقال اغمى على قالوا نعم قال انه أتاني رجلان غليظان
فاخذابيدي فقالا انطلق نحاكم الى العزيز الامين فانطلقا بي فلتقاهما رجل وقال أين تريدان به قال
نحاكم الى العزيز الامين فقال دعاه فان هذا عن سبقت له السعادة وهو في بطن أمه وقال عبد الله بن
محمد البغوي ثنا داود بن رشيد ثنا ابن علية حدثني محمد بن محمد القرشي عن عامر بن سعد قال اقبل
سعد من ارض له فاذا الناس عكوف على رجل فاطلع فاذا هو يسب طلمحة والزير عالياً فهاهنا فكأنما
زاده إغراء فقال وبالك تريدان تسب أقواماً هم خير منك لتنتهن أو لا تدعون عليك فقال كأنما يخوفني

نبي من الانبياء فانطلق فدخل داراً فتوضأ ودخل المسجد ثم قال انهم ان كان هذا قد سب أقواماً قد سبقت لهم منك حتى اسخطك سبه اياهم فارني اليوم آية تكون للؤمنين آية وقال نخرج بخيئة من دار بني فلان لا يرد بها شيء حتى تنتهي اليه ويفرق الناس وتحملة بين قوائمها وتطأه حتى طفي قال فانا رأيت سعدا يتبعه الناس يقولون استجاب الله لك يا أبا اسحاق استجاب الله لك يا أبا اسحاق وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) أي الله سماكم من قبل القرآن وفي القرآن فسبقت تسمية الحق سبحانه لهم مسلمين قبل اسلامهم وقبل وجودهم وقال تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال ابن عباس في رواية الوابي عنه في قوله (ويسر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول وهذا لا يخالف قول من قال انه الاعمال الصالحة التي قدموها ولا قول من قال انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبق لهم من الله في الذكر الاول السعادة بأعمالهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم فهو خير تقدم لهم من الله ثم قدمه لهم على يد رسوله ثم تقدمهم عليه يوم لقائه وقد قال تعالى (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيا أخذتم عذاب عظيم) وقد اختلف السلف في هذا الكتاب السابق فقال جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم لولا قضاء من الله سبق لكم بأهل بدر في التلوح المحفوظ ان الغنائم حلال لكم لعاقبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق انه لا يذب أحدا الا بعد الحجلة لعاقبكم وقال آخرون لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر انه مغفور لهم وإن عملوا ما شاؤا لعاقبهم وقال آخرون وهو الصواب لولا كتاب من الله سبق بهذا كله لمسكم فيا أخذتم عذاب عظيم والله أعلم

الباب التاسع في قوله تعالى أنا كل شيء خلقناه بقدر

قال سفيان عن زياد بن اسماعيل الخزمي ثنا محمد بن عباد بن جعفر ثنا أبو هريرة قال جاء مشركو قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاضعون في القدر فنزلت هذه الآية (أن الحمرين في ضال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر أنا كل شيء خلقناه بقدر رواه مسلم وقد روى الدارقطني من حديث حبيب بن عمرو الانصاري عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد اين خصماء الله وهم القدرية ولكن حبيب هذا قال الدارقطني مجبول والحديث مضطرب الاسناد ولا يثبت واخصامون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونبيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني من يشكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقدر فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر اقدارا وخلق الحلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم للبلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى وقال الامام أحمد القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدا وقال هذا يدل على دقة علم أحد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء فان انكار القدر انكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها وسائر القدرية كانوا ينكرون علمه بها وهم الذين اتفق سائر الامة على تكفيرهم وسنذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله وفي تفسير علي بن أبي طلحة

عن ابن عباس في قوله تعالى **أَنَا خَاشِعٌ لِلَّهِ** من عباده العلماء قال الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بحقائق الاسماء والصفات فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها ولو كانوا يقولون بها فنكروا القدر وخلق أفعال العباد لا يقولون بها على وجهها ومنكروا أفعال الرب القائمة به لا يقولون بها على وجهها بل يصرحون أنه لا يتقدر على فعل يقوم به ومن لا يقر بأن الله سبحانه كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصعبين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وأنه سبحانه مقاب القلوب حقيقة وأنه إن شاء يقيم القلب أقامه وإن شاء أن يزيعه أزاعه لا يقر بأن الله على كل شيء قدير ومن لا يقر بأنه استوى على عرشه بمدان خلق السموات والأرض وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا يقول من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له وأنه نزل إلى الشجرة فكلهم موسى كلمه منها وأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة حين تخلو من سكانها وأنه يحيى يوم القيامة فيفصل بين عباده وأنه يحيى لهم يضحك وأنه يريهم نفسه المقدسة وأنه يضع رجله على النار فيضيق بها أهلها وينزوي بعضها إلى بعض إلى غير ذلك من شؤنه وأفعاله التي من لم يقربها لم يقرب أنه على كل شيء قدير فإلها كلمة من حبر الأمة وترجمان القرآن وقد كان ابن عباس شديدا على التدنية وكذلك الصحابة كما سند ذكر ذلك أن شاء الله تعالى

الباب العاشر في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

وهي أربع مراتب **(المرتبة الأولى)** علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها **(المرتبة الثانية)** كتابته لها قبل كونها **(المرتبة الثالثة)** مشيئته لها **(الرابعة)** خلقه لها * فلما علم المرتبة الأولى وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالقهم مجوس الأمة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها وقد قال تعالى **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأُتِ كُفَى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)** قال مجاهد علم من إبليس المعصية وخلقها لها وقال قتادة كان في علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة وقال ابن مسعود أعلم ما لا تعلمون من إبليس وقال مجاهد أيضا علم من إبليس أنه لا يسجد لآدم وقال تعالى **(إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيَهْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّا تَكْتُمُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** * وفي المسند من حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رسول الله ما عندك من علم الذئب فقال ضحك منك من الغيب لا يعلمها إلا الله وأشار بيده فقلت ما هن قال علم الميت قد علم متى أمية أحدكم لا تعلمونه وعلم متى يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه وعلم متى غدا قد علم ما أنت طاعم ولا تعلمه وعلم يوم الغيث يشرق عليكم مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب قال لقيط إن ندم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة وقد تقدم حديث على المتفق على تحته ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة الاوقد علم مكانها من الجنة أو النار وقال البرزخ حدثنا محمد بن عمر بن هياج النكفي في شأني عبد الله بن موسى ثنائيل بن مرزوق عن عطية عن

أبى سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أحسبه قال يؤتى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتي كتاب ولا رسول ويقول المعتوه أى رب لم تجمل لي عقلا أعقل به خيرا ولاشرا ويقول المولود أى رب لم أدرك العمل قال فيرفع لهم نارا فيقال لهم ردوها أو قال أدخلوها فيردها من كان في علم الله سعيدا أن لو أدرك العمل قال ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا أن لو أدرك العمل فيقول تبارك وتعالى إياي عصيت فكيف رسل بالغيب وفي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كاتنج البهيمة جماعا هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أتم فاجدونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت منهم وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ومعنى الحديث الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) قال ابن عباس علم ما يكون قبل أن يخلقه وقال أيضا على علم قد سبق عنده وقال أيضا يريد الامر الذي سبق له في أم الكتاب وقال سعيد ابن جبير ومقاتل على علمه فيه وقال أبو اسحاق أى على ماسبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه وهذا الذي ذكره جمهور المفسرين وقال الثعلبي على علم منه بما قبله أمره قال وقيل على ماسبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه وكذلك ذكر البغوي وأبو الفرج بن الجوزي قال على علمه السابق فيه أنه لا يهتدى وذكر طائفة منهم المهدوي وغيره قولين في الآية هذا أحدهما قال المهدوي فأضله الله على علم علمه منه بأنه لا يستحقه قال وقيل على علم من عابد الصم أنه لا ينفع ولا يضر وعلى الاول يكون على علم من الفاعل المعنى أضله الله علما بأنه من أهل الضلال في سابق علمه وعلى الثاني حال من المفعول أى أضله الله في حال علم الكافر بأنه ضال قلت وعلى الوجه الاول قال المعنى أضله الله علما به وباقوا له وما يناسبه ويليق به ولا يصلح له غيره قبل خلقه وبمبدئه وأنه أهل للضلال وليس أهلا أن يهتدى وأنه لو هدى لكان قد وضع الهدى في غير محله وعند من لا يستحقه والرب تعالى حكيم إنما يضع الاشياء في محالها اللائقة بها فانظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لاجلها قدر عليه الضلال وذكر الملم إذهو الكاشف المبين لحقائق الامور ووضع الشيء في مواضعه واعطاء الخير من يستحقه ومنعه من لا يستحقه فان هذا لا يحصل بدون العلم فهو سبحانه أضله على علمه باحواله التي تناسب ضلاله وتقضيه وتستدعيه وهو سبحانه كثيرا ما يذكر ذلك مع اخباره بأنه أضل الكافر كما قال (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) وقال تعالى (ضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض أولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) (والله لا يهدي القوم الفاسقين) ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار • ويضل الله الظالمين • كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب • كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يؤمنون) وقد أخبر سبحانه أنه يفعل ذلك عقوبة لارباب هذه الجرائم وهذا إضلال ثان بعد الاضلال الاول كما قال تعالى (وقالوا قلوا بئنا غلغف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) وقال تعالى (وما يشعركم انها جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (واذ قال

موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزرأع الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم وأعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تخشعون) أى ان تركتم الاستجابة لله ورسوله عاقبكم بان يحول بينكم وبين قلوبكم فلا تقفرون على الاستجابة بعد ذلك ويشبه هذا ان لم يكن بعينه قوله (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا) الآية وفي موضع آخر (تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وفي هذه الآية ثلاثة أقوال أحدها قال أبو اسحاق هذا اخبار عن قوم لا يؤمنون كما قال عن نوح (انهن يؤمن من قومك الا من قد آمن) واحتج على هذا بقوله (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قال وهذا يدل على انه قد طبع على قلوبهم وقال ابن عباس فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم فآمنوا كرها وأقروا باللسان وأضرموا التكذيب وقال مجاهد فما كانوا لواحييناهم بعدهم لا كذبوا بما كذبوا به من قبل هلاكهم وهو نظير قوله ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وقال آخرون لما جاءتهم رسلهم بالآيات التي اقترحوها وطلبوها ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيتها ومعانيها بما كذبوا به من قبل رؤيتها ومعانيها فمنهم تكذيبهم السابق بالحق لما عرفوه من الايمان به بعد ذلك وهذه عقوبة من رد الحق أو أعرض عنه فلم يقبله فانه يصرف عنه ويحال بينه وبينه ويقلب قلبه عنه فهذا إضلال العقوبة وهو من عدل الرب في عيده وأما الاضلال السابق الذى ضل به عن قبوله أولا والاهتداء به فهو اضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده انه لا يصلح للهدى ولا يليق به وان محله غير قابل له. والله أعلم حيث يضع هداة وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته فهو أعلم حيث يجعلها أصلا وميراثا وكانه ليس كل محل أهلا لتحمل الرسالة عنه وأدائها الى الخلق فليس كل محل أهلا لقبولها واتصديق بها كما قال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أى ابتلينا واختبرنا بعضهم ببعض فأبى الرؤساء والسادة بالاتباع والموالي والضعفاء فاذا نظر الرئيس والمطاع الى المولى والضعيف إنفة وأتق أن يسلم وقال هذا بمن الله عليه بالهدى والسعادة دونى قال الله تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وهم الذين يعرفون النعمة وقدرها ويشكرون الله عليها بالاعتراف والذلل والخضوع والعبودية فلو كانت قلوبكم مثل قلوبهم تعرفون قدر نعمتى وتشكرونى عليها وتذكرونى بها وتخضعون لى كخضوعهم وتحبونى كحبههم لمنت عليكم كما منت عليهم ولكن لنتى ونعمى محال لا تليق الا بها ولا تحسن الا عندها ولهذا يقرن كثيرا بين التخصيص والعلم كقوله ههنا (أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقوله (اذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى نأتى مثل ما أتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقوله (وربك يخاف ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى سبحانه المتفرد بالخلق والاختيار مما خلق وهو الاصطفاء والاجتباء ولهذا كان الوقف التام عند قوله ويختار ثم نفى عنهم الاختيار الذى اقترحوه بإرادتهم وان ذلك ليس اليهم بل الى الخالق العليم الذى هو أعلم بمحال الاختيار ومواضعه لامن قال (ولا تزل هذا القرآن على رجلي من الفريتين العظيم) فاخبر سبحانه انه لا يمت الرسل باختيارهم

وان البشر ليس لهم أن يخاروا على الله بل هو الذى يختار ما يشاء ويختار ثم نفي سبحانه أن تكون لهم الحيرة كما ليس لهم الخلق ومن زعم أن مامفعول يختار فقد غلط اذ لو كان هذا هو المراد لكانت الحيرة منصوبة على أنها خبر كان ولا يصح المعنى ما كان لهم الحيرة فيه وحذف العائد فان العائد ههنا مجرور بحرف لم يجز الموصول بمثله فلو حذف مع الحرف لم يكن عليه دليل فلا يجوز حذفه وكذلك لم يفهم معنى الآية من قال ان الاختيار ههنا هو الارادة كما يقوله المتكلمون انه سبحانه فاعل بالاختيار فان هذا الاصطلاح حادث منهم لا يعمل عليه كلام الله بل لفظ الاختيار في القرآن مطابق لمعناه في اللغة وهو اختيار الشيء على غيره وهو يقتضى ترجيح ذلك المختار وتخصيصه وتقدمه على غيره وهذا أمر أخص من مطابق الارادة والمشية قال في الصحاح الحيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الامر والحيرة أيضا يقول محمد خير الله من خلقه وخيرة الله أيضا بالتسكين والاختيار الاصطلاح وكذلك التخيير والاستخارة طلب الحيرة يقال استخر الله بخيرك وخيرته بين الشئين فوضت اليه الاختيار انتهى فهذا هو الاختيار في اللغة وهو أخص مما اصطاح عليه أهل الكلام ومن هذا قوله (وما كان لؤى من ولأؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الحيرة من أمرهم) وقوله تعالى (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أى اختار منهم وبهذا يحصل جواب السؤال الذى تورده القدرية بقولون في الكفر والمعاصي هل هي واقعة باختيار الله أم بغير اختياره فان قلتم باختياره فكل مختار مرضى مصطفى محبوب فتكون مرضية محبوبة له وان قلتم بغير اختياره لم يكن بمشيئته واختياره وجوابه ان يقال ماتعون بالاختيار العام في اصطلاح المتكلمين وهو المشية والارادة أم نقضون به الاختيار الخاص الواقع في القرآن والسنة وكلام العرب وان أردتم بالاختيار الاول فهي واقعة باختياره لهذا الاعتبار لكن لا يجوز أن يطابق ذلك عليها لما في لفظ الاختيار من معنى الاصطفاة والمجبة بل يقال واقعة بمشيئته وقدرته وان أردتم بالاختيار معناه في القرآن ولغة العرب فهي غير واقعة باختياره بهذا المعنى وان كانت واقعة بمشيئته فان قيل فهل تقولون انها واقعة بآرادته أم لا تطعنون ذلك قيل لفظ الارادة في كتاب الله نوعان ارادة كونه شاملة لجميع المخلوقات كقوله (فعل لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) ونظائر ذلك وارادة دينية أمرية لا يجب وقوع مرادها كقوله (يريد الله بكم اليسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فهي مرادة بالمعنى الاول غير مرادة بالمعنى الثانى وكذلك ان قيل هل هي واقعة بآذنه أم لا والاذن أيضا نوعان كونه كقوله (وما هم بضارين به من أحد) لا بآذن الله) ودينى امرى كقوله (آلمة أذن لكم) وقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) ولفظ الاختيار مشتق من الخير المخالف للشر ولما كان الأصل في الحى انه يريد ما ينفعه وما هو خير سميت الارادة اختيارا وهذا يتضمن ان الارادة لا ترجح نوعا على نوع الامر جرح رجح ذلك النوع عند الفاعل والمقصود انه يذكر العلم عند التخصيصات كقوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) لاختلاف بين الناس ان المعنى على علم منا بهم أهل الاختيار فالجمله في موضع نصب سبب على الحال أى اخترناهم عالمين بهم وبأحوالهم وما يقتضى اختيارهم من قبل خلقهم - ذكر سبحانه اختيارهم وحكمته في اختياره إياهم وذكر علمه الدال على مواضع حكمته واختياره ومن هذا قوله سبحانه (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) وأصح الأقوال في الآية ان المعنى من قبل نزول التوراة فانه سبحانه قال (ولقد آتينا موسى وهرون

الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين وقال (وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفانتم له منكرون) ثم قال ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل ذلك ولهذا قطعت قبل عن الاضافة وبنت لان المضاف منوى معلوم وان كان غير مذكور في اللفظ وذكر سبحانه هؤلاء الثلاثة وهم أئمة الرسل وأكرم الخلق عليه محمد و ابراهيم وموسى وقد قيل من قبل أى في حال صغره قبل البلوغ وليس في اللفظ ما يدل على هذا والسياق انما يقتضى من قبل ما ذكر وقيل المعنى بقوله من قبل أى في سابق علمنا وليس في الآية أيضا ما يدل على ذلك ولا هو أمر مختص ب ابراهيم بل كل مؤمن فقد قدر الله هداية في سابق علمه والمقصود قوله وكنابه عالين قال البغوى انه أهل للهداية والتبوة وقال أبو الفرج أى عالين بأنه موضع لابتاء الرشده وقال صاحب الكشف المعنى علمه به انه علم منه أحوالا بديعة واسراراً بحبيبة وصفات قدر ضيها وحدها حتى أهله لخالاته ومخالصته وهذا كقولك في حر من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذانم الاحتواء على محاسن الاوصاف وهذا كقوله والله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله (ولقد اخترناهم على علم) ونظيره قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضهم من بعض والله سميع عليم) وقريب منه قوله (ولسليمان الريح عاصفة تحرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شيء عالين) حيث وضعنا هذا التخصيص في المحل الذى يابق به من الاماكن والأناسى

فصل وهو سبحانه كما هو العليم الحكيم في اختياره من يختاره من خلقه واضلاله من يضله منهم فهو العليم الحكيم بما في أمره وشرعه من العواقب الحميدة والغايات العظيمة قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) بين سبحانه ان ما أمرهم به يعلم ما فيه من المصاحبة والمنفعة لهم التى اقتضت ان يختاره ويأمرهم به وهم قد يكرهونه اما لعدم العلم واما لتفوق الطبع فهذا علمه بما في عواقب أمره مما لا يعلمونه وذلك علمه بما في اختياره من خلقه بما لا يعلمونه فهذه الآية تضمنت الحظ على التزام أمر الله وان شق على النفوس وعلى الرضا بقضائه وان كرهته النفوس وفي حديث الاستخارة اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمري فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلمه شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمري فأصرفه عنى واصرفنى عنه وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به * ولما كان العبد يحتاج في فعل ما ينفعه في معاشه ومعهاده الى علم ما فيه من المصاحبة وقدرته عليه ويسره له وليس له من نفسه شيء من ذلك بل علمه بمن علم الانسان ما لم يعلم وقدرته منه فان لم يقدره عليه والافوه عاجز ويسيره منه فان لم يسره عليه والافوه متعسر عليه بعدا قدره ارشده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى محض العبودية وهو جلب الخيرة من العالم بعواقب الامور وتفصيلها وخبرها وشهرها وطلب القدرة منه فانه ان لم يقدره والافوه عاجز وطلب فضله منه فان لم يسره له ويهيئه له والافوه متعذر عليه ثم اذا اختاره له بعلمه وأعاناه عليه بقدرته ويسره له من فضله فهو يحتاج الى ان يقيه عليه ويدينه بالبركة التى يضمها فيه والبركة تضمن ثبوته ونموه وهذا قدر زائد على إقداره عليه ويسره له ثم اذا فعل ذلك كله فهو محتاج الى أن يرضيه فانه قد يهيب له ما يكرهه فيضل ساخطا ويكون قد خار الله فيه قال عبد الله بن عمران الرجل ليستخير الله فيخار له فيسخط على ربه فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فإذا هو قد خار له وفي المسند من

حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاهما قضاء الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله عز وجل ومن شقوة ابن آدم سيخطه بما قضى الله فالمقدور يكتنفه امران الاستخارة قبله والرضا بعده فمن توفيق الله لعبده واسعاده اياه ان يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه ومن خذله له ان لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه وقال عمر بن الخطاب لأبلي أصبحت على ما أحب وأوعى ما أكره لانى لأدرى الخير فيما أحب أو فيما أكره وقال الحسن لا تتركوا النعمات الواقعة والبلايا الحادثة فرب امر تتركه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثر فيه عطبك

فصل - وما يناسب هذا قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله اثني عشرين مخلصين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) بين سبحانه حكمة ما كرهه عام الحديبية من صد المشركين لهم حتى رجعوا ولم يعتمروا وبين لهم ان مطلوبهم يحصل بعد هذا الفصل في العام القابل وقال سبحانه فلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وهو صاحب الحديبية وهو أول الفتح المذكور في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا فان بسببه حصل من مصالح الدين والدنيا والنصر وظهور الاسلام وبطلان الكفر مالم يكونوا يرجونه قبل ذلك ودخل الناس بعضهم في بعض وتكلم المسلمون بكلمة الاسلام وبراهينه وأدلتهم هجرة لا تخافون ودخل في ذلك الوقت في الاسلام قريب ممن دخل فيه الى ذلك الوقت وظهر لكل أحد بغى المشركين وعداوتهم وعنادهم وعلم الخناس والعام ان محمدا وأصحابه أولى الحق والهدى وان أعداءهم ليس بأيديهم الا العدوان والعناد فان البيت الحرام لم يصد عنه حاج ولا معتمر من زمن إبراهيم فتحققت العرب عناد قريش وعداوتهم وكان ذلك داعية لبشر كثير الى الاسلام وزاد عناد القوم وطغيانهم وذلك من أكبر العون على نفوسهم وزاد صبر المؤمنين واحتماهم والتزامهم لحكم الله وطاعة رسوله وذلك من أعظم أسباب نصرهم الى غير ذلك من الامور التي علمها الله ولم يعلمها الصحابة ولهذا سماه فتحا وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفتح هو قال نعم

فصل - ويشبه هذا قول يوسف الصديق (يا بئس هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسنى اذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وأخوتى ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم) فاخبر انه يلطف لما يريد فأتى به بطرق خفية لا يعلمها الناس واسمه اللطيف يتضمن علمه بالاشياء الدقيقة وايصاله الرحمة بالطرق الخفية ومنه اللطيف كما قال اهل الكهف (وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا) فكان ظاهر ما منحني به يوسف من مفارقة أبيه والبقاء في السجن ويعة رقيقا ثم مرادة التي هو في بيتها عن نفسه وكذبها عليه وسجنه محنا ومصائب وباطنها نعماء وفتحها ما الله سببا لسعادته في الدنيا والآخرة * ومن هذا الباب ما يتلى به عبادة من المصائب وأمرهم به من انكاره ونهاهم عنه من الشهوات هي طرق يوصلهم بها الى سعادتهم في العاجل والآجل وقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقضى الله لامؤمن قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك الا للؤمن فالقضاء كله خير لمن أعطى الشكر والصبر جالبا ما جلب

وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله تعالى عليهم وسلم من الامور التي هي في الظاهر محن وابتلاء وهي في الباطن طرق خفية أدخلها بهم الى غاية كمالهم وسعادتهم فتأمل قصة موسى وما لطف له من إخراجيه في وقت ذبح فرعون للاطفال ووجهه الى أمه ان تاتيه في اليم وسوقه بلطفه الى دار عدوه الذي قدر هلاكه على يديه وهو يذبح الأطفال في طلبه فرماه في بيته وحجره على فراشه ثم قدر له سببا أخرجه من مصر وأوصله به الى موضع الأحكام لفرعون عليه ثم قدر له سببا وأوصله به الى النكاح والغنى بعد العزوبة والعيالة ثم ساقه الى بلد عدوه فاقام عليه به حجته ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإعلا كهم وهم ينظرون وهذا كله مما يبين انه سبحانه يفعل ما يريد من العواقب الحميدة والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق مع ما في ضمنها من الرحمة التامة والنعمة السابغة والتعريف الى عباده باسمائه وصفاته فكم في أكل آدم من الشجرة التي نهى عنها وإخراجه بسببها من الجنة من حكمة بالغة لا تهتدى العقول الى تفاصيلها وكذلك ما قدره لسيد ولده من الامور التي أوصله بها الى اشرف غاياته وأوصله بالطرق الخفية فيها الى أحد العواقب وكذلك فعله بعباده وأوليائه يوصل اليهم نعمه ويسوقهم الى كمالهم وسعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون الى معرفتها الا اذا لاحت لهم عواقبها وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله ويحصر اللسان عن التعبير عنه وأعرف خالق الله به أنبياءه ورسله وأعرفهم به خاتمهم وأفضاهم وأتمه في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وباسمائه وصفاته وهو سبحانه قد أحاط علما بذلك كله قبل السموات والارض وقدره وكتبه عنده ثم يأمر ملائكته بكتابة ذلك من الكتاب الاول قبل خلق العبد فيطابق حاله وشانه لما كتب في الكتاب ولما كتبه الملائكة لا يزيد شيئا ولا ينقص مما كتبه سبحانه وأثبت عنده كان في علمه قبل ان يكتبه ثم كتبه كما في علمه ثم وجد كما كتبه قال تعالى (ألم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) والله سبحانه قد علم قبل أن يوجد عباده أحوالهم وما هم عاملون وما هم اليه صائرون ثم أخرجهم الى هذه الدار ليظهر معلومه الذي علمه فيهم كما علمه وابتلاهم من الامر والهي والخير والشر بما أظهر معلومه فاستحقوا المدح والذم والثواب والعقاب بما قام بهم من الأفعال والصفات المطابقة للعلم السابق ولم يكونوا يستحقون ذلك وهي في علمه قبل ان يعملوا فافأرسل رسله وأزل كتبه وشرع شرائعه اعدارا اليهم وإقامة للحجة عليهم لتلايقولوا كيف تعاقبنا على علمك فينا وهذا لا يدخل تحت كسبنا وقدرتنا فلما ظهر علمه فيهم بأفعالهم حصل العقاب على معلومه الذي أظهره الابتلاء والاختبار وكما ابتلاهم بأمره ونهيه ابتلاهم بما زين لهم من الدنيا وبما ركب فيهم من الشهوات فذلك ابتلاء بشرعه وأمره وهذا ابتلاء بقضائه وقدره وقال تعالى (إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال (هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) فآخبر في هذه الآية انه خلق السموات والارض ليتلى عباده بأمره ونهيه وهذا من الحق الذي خلق به خلقه وأخبر في الآية التي قبلها انه خلق الموت والحياة ليتلهم أيضا فاحياهم ليتلهم بأمره ونهيه وقدر عليهم الموت الذي ينالوا به عاقبة ذلك الابتلاء من الثواب والعقاب وان خبر في الآية الاولى انه زين لهم ما على الارض ليتلهم به أيهم يؤثر ما عنده عليه وابتلا بعضهم ببعض

وابتلاهم بالنعم والمصائب فظهر هذا الابتلاء علمه السابق فيهم موجودا عيانا بعد ان كان غيبا في علمه فابتلى أبوى الانس والجن كل منهما بالآخر فظهر ابتلاء آدم ماعلمه منه وأظهر ابتلاء إبليس ماعلمه منه فلهذا قال الملائكة (إني أعلم ما لاتعلمون) واستمر هذا الابتلاء في الذرية الى يوم القيامة فابتلى الانبياء بهم وابتلى أممهم بهم وقال لعبيده ورسوله وخليفه إني مبتليكم بقرآنك والآخر بالبشر والآخر بفتنة والآخر بترجمون وقال (وجعلنا بعضهم لبعض فتنة) وفي الحديث الصحيح ان ثلاثة أراد الله أن يبتليهم أبرص وأقرع وأعمى فظهر الابتلاء حقائقهم التي كانت في علمه قبل أن يخلقهم فاما الأعمى فاعترف بانعام الله عليه وانه كان أعمى فقير افطع الله البصر والغنى وبذل للسائل ما طابه شكر الله وأما الأقرع والابرص فكلاهما جحدا ما كان عليه قبل ذلك من سوء الحال والفقر وقال في الغنى انما أوتيته كبرا عن كبر وهذا حال أكثر الناس لا يعترف بما كان عليه أولا من نقص أو جهل وفقر وذنوب وان الله سبحانه نقله من ذلك الى ضد ما كان عليه وأنعم بذلك عليه ولهذا ينبه سبحانه الانسان على مبدأ خلقه الضعيف من الماء المهيئ ثم نقله في اطباق خلقه وأطواره من حال الى حال حتى جعله بشرا سويا يسمع ويبصر ويقول وينطق ويبطش ويعلم فلتى مبدأ وأوله وكيف كان ولم يعترف بنعم ربه عليه كما قال تعالى (أيطمع كل امرئ أن يدخل جنة نعيم كلاً انا خلقناهم ما يعالون) وأنت اذا تأملت ارتباط احدى الجملتين بالآخرى وجدت تحتها كنزا عظيما من كنوز المعرفة والعلم فاشار سبحانه بمبدأ خلقه مما يعلمون من النطفة وما بعدها الى موضع الحجة والآية الدالة على وجوده ووحدانيته وكاله وتفردة بالربوبية والالهية وانه لا يحسن به مع ذلك أن يتركهم سدى لا يرسل اليهم رسولا ولا ينزل عليهم كتابا وانه لا يعجز مع ذلك أن يخلقهم بعد ما أماتهم خلقا جديداً وبعثهم الى دار يوفيه فيها أعمالهم من الخير والشر فكيف يطعمون في دخول الجنة وهم يكذبون ويكذبون رسلى ويعبدون بى خلقى وهم يعلمون من أى شئ خلقهم ويشبه هذا قوله (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) وهم كانوا مصدقين بأنه خالقهم ولكن احتج عليهم بخلقهم لهم على توحيدهم ومعرفة وصدق رسله فدعاهم منهم ومن خلقه الى الاقرار باسمائه وصفاته وتوحيده وصدق رسله والايان بالمعاد وهو سبحانه يذكر عبادته بنعمه عليهم ويدعوهم بها الى معرفته ومحبته وتصديق رسله والايان ببقائه كما تضمنته سورة النعم وهى سورة النحل من قوله خلق الانسان من نطفة الى قوله (والله جميل لكم بما خلق ظلالا وجعل لكم من الحيات أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) فذكرهم باصول النعم وفروعها وعددها عليهم نعمة نعمة وأخبر انه أنعم بذلك عليهم ليسلموا له فتكمل نعمه عليهم بالاسلام الذى هو رأس النعم ثم أخبر عن كفره ولم يشكر نعمه بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال مجاهد المساكين والأنعام وسراويل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونها بأن يقولوا هذا كان لأبائنا ورتناه عنهم وقال عون بن عبد الله يقولون لولا فلان لكان كذا وكذا وقال الفراء وابن قتيبة يعرفون ان النعم من الله ولكن يقولون هذه بشفاعت آلهتنا وقالت طائفة النعمة ههنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وإنكارها جحدتهم نبوته وهذا يروى عن مجاهد والسدى وهذا أقرب الى حقيقة الإنكار فانه إنكار لما هو أجل النعم أن تكون نعمة وأما على القول الاول والثاني والثالث فانهم لما أضافوا النعمة الى غير الله فقد أنكروا

نعمة الله بنسبتها إلى غيره فإن الذي قال إنما كان هذا لأبائنا ورثناه كبراً عن كبر جاحداً نعمة الله عليه غير معترف بها وهو كالابرص والاقرع اللذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهم ما فأنكروا وقالوا إنما ورثنا هذا كبراً عن كبر فقال ان كنتم كاذبين فصيركم الله إلى ما كنتم وكونهم موروثين عن الآباء أبلغ في انعام الله عليهم اذ أنعم بها على آبائهم ثم ورثهم إياها فتمتعوا بهم وآبؤهم بنعمة وأما قول الآخرين لولا فلان لما كان كذا فيتضمن قطع اضافة النعمة إلى من لولاه لم تكن وأضافتها إلى من لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرراً ولا نفعاً وغايته أن تكون جزء من اجزاء السبب أجرى الله تعالى نعمته على يده والسبب لا يستقل بالايجاد وحده سبباً هو من نعم الله عليه وهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله من أسبابها فالسبب والمسبب من انعامه وهو سبحانه قد نعم بذلك السبب وقد نعم بدوره فلا يكون له أثر وقد يسلبه تسيبيته وقد يجعل لها معارضا يقاومها وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة وأما قول القائل بشفاعه ألهتنا فتضمن الشرك مع اضافة النعمة إلى غير وليها فالآله التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده الا من بعد إذنه لمن ارتضاه فالشفاعة بأذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له لأذليس كل أحد أهلاً أن يشفع له فمن المنعم على الحقيقة سواء قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) فالعبد لا خروج له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفه عين لافي الدنيا ولا في الآخرة ولهذا ذم الله سبحانه من آتاه شيئاً من نعمة فقال إنما أوتيته على علم عندي وفي الآية الاخرى (واذا مس الانسان ضرر دعا ثم اذ اخولته نعمة منا قال إنما أوتيته على علم) وقال بغوى على علم من الله اني له أهل وقال مقاتل على خير علمه الله عندي وقال آخرون على علم من الله اني له أهل ومضمون هذا القول ان الله آتاه على علمه بأني أهله وقال آخرون بل العلم له نفسه ومعناه أوتيته على علم مني بوجوه المكاسب قاله قتادة وغيره وقيل المعنى قد علمت اني لما أوتيت هذا في الدنيا في عند الله منزلة وشرف وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف قال تعالى بل هي فتنة أي النعم التي أوتيتها فتنة تختبر فيها ومحنة تمتحن بها لا يدل على اصطفاؤه واجتباؤه وانه محبوب لنا مقرب عندنا ولهذا قال في قصة قارون (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جملاً) فلو كان إعطاء المال والقوة والجاه يدل على رضا الله سبحانه عن آتاه ذلك وشرف قدره وعلو منزلته عنده لما أهلك من آتاه من ذلك أكثر ثم أتى قارون فلما أهلكهم مع سعة هذا العطاء وبسطه علم ان عطاءه إنما كان ابتلاء وفتنة لا محبة ورضا واصطفاء لهم على غيرهم ولهذا قال في الآية الاخرى بل هي فتنة أي النعمة فتنة لأكرامة ولكن أكثرهم لا يعلمون ثم أكد هذا المعنى بقوله (قد قالها الذين من قبلهم فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي قد قال هذه المقالة الذين من قبلهم لما آتيناهم نعمنا قال قال ابن عباس كانوا قد بطروا نعمة الله اذ آتاهم الدنيا وفرحوا بها وظفوا واولقوا هذه كرامة من الله لنا وقوله فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون المعنى انهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا ولم يكن كذلك لانهم وقعوا في العذاب ولم ينز عنهم ما كسبوا شيئاً وتبين أن تلك النعم لم تكن لكرامتهم علينا وهو ان من منعناه إياها وقال أبو اسحاق معنى الآية ان قولهم إنما آتانا الله ذلك لكرامتنا عليه وإياها أخطأ عملهم فكفى عن إحباط العمل بقوله (فأنغى عنهم ما كانوا يكرسون) ثم أبطل

سبحانه هذا الظن الكاذب منهم بقوله (أو لم يعلموا أن الله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر) والمقصود أن قوله على علم عندي إن أريد به علمه نفسه كان المعنى أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة والمعرفة التي توصلت بها إلى ذلك وحصلته بها وإن أريد به علم الله كان المعنى أوتيته على ما علم الله عندي من الخير والاستحقاق وإلى أهله وذلك من كرامتي عليه وقد يرجح هذا القول بقوله أوتيته ولم يقل حصلته واكتسبته بعلمي ومعرفتي فدل على اعترافه بأن غيره آياه ويدل عليه قوله تعالى (بل هي فتنة) أي محنة واختبار والمعنى أنه لم يؤت هذا لكرامته علينا بل أوتيته امتحانا منا وابتلاء واختبارا هل يشكر فيه أم يكفر وأيضا فهذا يوافق قوله (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن) فهو قد اعترف بأن ربه هو الذي آتاه ذلك ولكن ظن أنه لكرامته عليه فالآية على التقدير الأول تتضمن ذم من أضاف النعم إلى نفسه وعلمه وقوته ولم يصفها إلى فضل الله وإحسانه وذلك محض الكفر بها فإن رأس الشكر الاعتراف بالنعمة وأنها من المنعم وحده فإذا أضيفت إلى غيره كان ججدا لها فإذا قال أوتيته على ما عندي من العلم والخبرة التي حصلت بها ذلك فقد أضافها إلى نفسه وأعجب بها كما أضافها إلى قدرته الذين قالوا من أشد منا قوة فهؤلاء اغتروا بقوتهم وهذا اغترى بعلمه فما أغنى عن هؤلاء قوتهم ولا عن هذا علمه وعلى التقدير الثاني تتضمن ذم من اعتقد أن أنعام الله عليه لكونه أهلا ومستحقا لها فقد جعل سبب النعمة مقام به من الصفات التي يستحق بها على الله أن ينعم عليه وإن تلك النعمة جزاء له على إحسانه وخيره فقد جعل سببا ما أنصف به هؤلاء ما قام بربه من الجود والإحسان والفضل والمنة ولم يعلم أن ذلك ابتلاء واختبار له أشكر أم يكفر ليس ذلك جزاء على ما هو منه ولو كان ذلك جزاء على عمله أو خير قام به فالله سبحانه هو المنعم عليه بذلك السبب فهو المنعم بالمسبب والجزاء والكل محض منته وفضله وجوده وليس للعبد من نفسه مثقال ذرة من الخير وعلى التقديرين فهو لم يصف النعمة إلى الرب من كل وجه وإن أضافها إليه من وجه دون وجه وهو سبحانه وحده هو المنعم من جميع الوجوه على الحقيقة بالنعم وأسبابها وأسبابها من نعمه على العبد وإن حصلت بكسبه فكسبه من نعمه فكل نعمة فمن الله وحده حتى الشكر فانه نعمة وهي منه سبحانه فلا يطيق أحد أن يشكره إلا بنعمته وشكره نعمة منه عليه كما قال داود يارب كيف أشكرك وشكركي لك نعمة من نعمك على تستوجب شكرا آخر فقال الآن شكرتني يا داود ذكره الإمام أحمد وذكر أيضا عن الحسن قال قال داود إلي لو أن لكل شجرة من شعري لسانين يذكر أنك بالليل والنهار والذهب كله لما أدوا مالك على من حق نعمة واحدة (والمقصود) أن حال الشاكر ضد حال القائل إنما أوتيته على علم عندي ونظير ذلك قوله (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه السرف فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذالي) قال ابن عباس يريد من عندي وقال مقاتل يعني أنا أحق بهذا وقال مجاهد هذا بعلمي وأنا محقوق به وقال الزجاج هذا واجب بعلمي استحقته فوصف الإنسان بأقبح صفتين إن مسه الشر صار إلى حال القانط ووجم وجوم الأيس فإذا مسه الخير نسي أن الله هو المنعم عليه المفضل بما أعطاه فاطر وظن أنه هو المستحق لذلك ثم أضاف إلى ذلك تكذيبه بالبعث فقال وما ظن الساعة قائمة ثم أضاف إلى ذلك ظنه الكاذب أنه إن بعث كان له عند الله الحسن فلم يدع هذا للجهل والفرو وموضعا

فصل وفي قوله تعالى (وأضله الله على علم) قول آخر انه على علم الضال كما قيل على علم منه ان معبوده لا ينفع ولا يضر فيكون المعنى أضله الله مع علمه الذى تقوم به عليه الحجة لم يضل على جهل وعدم علم هذا يشبه قوله (فلا تجملوا الله أن ينادوا أنهم تعلمون) وقوله (فصدهم عن السيل وكانوا مستبصرين) وقوله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وقوله (وآية نوحود الناقة مبصرة فظاوما بها) وقول موسى لفرعون (لقد علمت مأثزل هؤلاء الأرب السموات والأرض بصائر) وقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقوله (فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعداذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) ونظائره كثيرة وعلى هذا التقدير فهو ضال عن سلوك طريق رشده وهو يراها عيانا كما في الحديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه فان الضال عن الطريق قد يكون متبعيا لهواه عالما بان الرشده والهدى في خلاف ما يعمل ولما كان الهدى هو معرفة الحق والعمل به كان له ضدان الجهل وترك العمل به فالأول ضال في العلم والثانى ضال في القصد والعمل فقد وقع قوله على علم في قوله تعالى (ولقد اخترناهم على علم) وفي قوله وأضله الله على علم وفي قوله قال انما أوتيته على علم فالأول يرجع العلم فيه الى الله قولاً واحداً والثانى والثالث فيهما قولان والراجح في قوله وأضله الله على علم أن يكون كالأول وهو قول عامة السلف والثالث فيه قولان محتملان وقد ذكر توجههما والله أعلم والمقصود ذكر مراتب القضاء والقدر علما وكتابة ومشيئة وخلقاً

الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية وهى مرتبة الكتابة

وقد تقدم في أول الكتاب ما دل على ذلك من نصوص القرآن والسنة الصحيحة الصريحة فذكر هنا بعض ما لم نذكره قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادى الصالحون ان في هذا لبالغا لقوم عابدين) فالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود والذكر أم الكتاب الذى عند الله والأرض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهى علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الأرض فاخبرهم ربهم تبارك وتعالى انه كتب في الذكر الأول انهم يرثون الأرض من الكفار ثم كتب ذلك في الكتب التى أنزلها على رسله والكتاب قد أطلق عليه الذكر في قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ فهذا هو الذكر الذى كتب فيه ان الدنيا تصير لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والكتب المنزلة قد أطلق عليها الزبور في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر أى أرسلناهم بالآيات الواضحات والكتب التى فيها الهدى والنور والذكر هنا الكتابان اللذان أنزلا قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهما التوراة والإنجيل والذكر في قوله (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) هو القرآن ففي هذه الآية علم بما كان قبل كونه وكتابته بعد علمه وقال تعالى (إننا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم

وكما شئ أحصيناه في اماميين) خُفِعَ بين الكتابين الكتاب السابق لأعمالهم قبل وجودهم والكتاب
المقارن لأعمالهم فاخبر انه يحييهم بعد ما ماتهم للبعث ويجازيهم بأعمالهم ونبه بكتابه لها على ذلك قال
نكتب ما قدموا من خير أوشر فعلوه في حياتهم وآثارهم ما سوا من سنة خير أوشر فافتدى بهم فيها
بعد موتهم وقال ابن عباس في رواية عطاء آثارهم ما أثروا من خير أوشر كقوله (نبأ الانسان يومئذ
بناهم وأخر) (فان قلت) قد استفيد هذا من قوله قدموا فما أفاد قوله آثارهم على قوله (قلت) أفاد فائدة
جديدة وهو انه سبحانه يكتب ما عملوه وما تولد من أعمالهم فيكون المتولد عنها كأنهم عملوه في الخير والشر
وهو أثر أعمالهم فآثارهم هي آثار أعمالهم المتولدة عنها وهذا القول أعم من قول مقاتل وكأن مقاتلا
أراد التمثيل والبيان على عادة السلف في تفسير النافذة العامة بنوع أو فرد من أفراد مدلولها تقريبا
وتمثيلا لأحصرا وإحاطة وقال أنس وابن عباس في رواية عكرمة نزلت هذه الآية في بنى سلمة
أرادوا أن ينقلوا الى قرب المسجد وكانت منازلهم بعيدة فلما نزلت قالوا بل نمك مكاننا واحتج أرباب
هذا القول بما في صحيح البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة
فأرادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الآية (إنما نحن نجى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سامة دياركم تكتب آثاركم وقد روى مسلم في صحيحه نحوه من
حديث جابر وأنس وفي هذا القول نظر فان سورة يس مكية وقصة بنى سلمة بالمدينة الا أن يقال
هذه الآية وحدها مدنية وأحسن من هذا أن تكون ذكرت عند هذه القصة ودلت عليها وذكروا
بها عندها إمامان النبي صلى الله عليه وسلم وأما من جبريل فاطلق على ذلك النزول ولعل هذا مراد
من قال في نظائر ذلك نزلت مرتين والمقصود أن خطاهم الى المساجد من آثارهم التي يكتبها الله لهم
قال عمر بن الخطاب لو كان الله سبحانه تاركا لابن آدم شيئا لترك ما عطف عليه الرياح من أثر وقال مسروق
ما خطار رجل خطوة الا كتب له حسنة أو سيئة والمقصود ان قوله (وكل شئ أحصيناه في اماميين)
وهو اللوح المحفوظ وهو أم الكتاب وهو الذكر الذى كتب فيه كل شئ يتضمن كتابة أعمال العباد
قبل أن يعملوها والا حصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظه لها والاحاطة ببدنها وإبائها فيه وقال
تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ)
ثم الى ربهم يحشرون) وقد اختلف في الكتاب ههنا هل هو القرآن أو اللوح المحفوظ على قولين
فقلت طائفة المراد به القرآن وهذا من العام المراد به الخاص أى ما فرطنا فيه من شئ يحتاجون الى ذكره
وبانه كقوله (وأنزلنا اليك الكتاب تبيانا لكل شئ) ويجوز أن يكون من العام المراد به عمومهم والمراد
ان كل شئ ذكر فيه مجملا ومفصلا كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة مالي لآل من
لعنه الله في كتابه فقالت امرأة لقد قرأت القرآن فما وجدته فقال ان كنت قرأتيه فقد وجدته قال تعالى
(ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة
وقال الشافعى ما نزل بأحد من المسلمين نازلة الا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها وقالت طائفة المراد
بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه كل شئ وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان
هذا القول أظهر في الآية والسباق يدل عليه فانه قال (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم
أمثالكم) وهذا يتضمن انها أم أمثالنا في الخلق والرزق والاكل والتقدير الاول وانها لم تخلق سدى

بل هى معبدة مذلة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وماتصير اليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها
ثم قال إلى ربهم يحشرون فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحاتين قوله (ما فرطنا في الكتاب)
من شئ أى كلها قد كتبت وقد رت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الامر
والنهي وإنما يناسب ذكر الكتاب الاول * ولما نصر القول الاول أن يجب عن هذا بان في ذكر
القرآن ههنا الاخبار عن تضمنه لذكر ذلك والاخبار به فلم يفرط فيه من شئ بل أخبرناكم بكل ما
كان وما هو كائن اجمالاً وتفصيلاً ويرجعه أمر آخر وهو أن هذا ذكر عقيب قوله (وقالوا لولا نزل
عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) ففهمهم على أعظم الآيات
وأدلهما على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الذى يتضمن بيان كل شئ ولم يفرط فيه
من شئ ثم نبههم بانهم أمة من جملة الامم التى فى السموات والارض وهذا يتضمن التعريف بوجود
الخالق وبكل قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والامم التى لا يحصىها غيره وهذا يتضمن أنه
لا اله غيره ولا رب سواه وأنه رب العالمين فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه
وقدره وانزال الكتاب الذى لم يفرط فيه من شئ دليل من جهة أمره وكلامه فهذا استدلال بأمرة
وذلك بخلقه ألا اله الا هو والامر تبارك الله رب العالمين * وشهد لهذا أيضاً قوله (وقالوا لولا نزل
آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أياك الكتاب يتلى عليهم
ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) ولما نصر أن المراد بالكتاب التوحيات المحفوظ أن يقول
لما سألو آية أخبرهم سبحانه بأنه لم يترك انزالها لعدم قدرته على ذلك فإنه قادر على ذلك وانما لم ينزلها
لحكمته ورحمته بهم واحسانه اليهم اذ لو أنزلها على وفق اقتراحهم لأموجلو بالعقوبة ان لم يؤمنوا ثم ذكر
ما يدل على كمال قدرته بخلق الامم العظيمة التى لا يحصى عددها الا هو فن قدر على خلق هذه الامم
مع اختلاف أجناسها وأنواعها وصفاتها وهيئاتها كيف يعجز عن انزال آية ثم أخبر عن كمال قدرته
وعلمه بان هؤلاء الامم قد أحصاهم وكتبهم وقدر أرزاقهم وأجلهم وأحوالهم في كتاب لم يفرط فيه
من شئ ثم نبههم ثم يحشرهم اليه والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات عن النظر والاعتبار الذى
يؤدبهم الى معرفة ربوبيته ووحدانيته وصدق رساله ثم أخبر ان الآيات لا تستقل بالهدى ولو أنزلها على
وفق اقتراح البشر بل الامر كله لمن يشأ بضالاه ومن يشأ يجهل على صراط مستقيم فهو أظهر القولين
والله أعلم وقال (حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وأنه في أم الكتاب لدينا
لعلى حكيم قال ابن عباس فى البوح المحفوظ المقرئ عندنا قال مقاتل ان نسخة فى أصل الكتاب وهو
اللوحة المحفوظ وأم الكتاب أصل الكتاب وأما كل شئ أصله والقرآن كتبه الله فى اللوح المحفوظ
قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) واجمع الصحابة والتابعون
وجميع أهل السنة والحديث ان كل كائن الى يوم القيامة فهو مكتوب فى أم الكتاب وقد دل القرآن
على ان الرب تعالى كتب فى أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكاتب فى اللوح أفعاله وكلامه فثبت بدا
أبى لهب فى اللوح المحفوظ قبل وجود أبى لهب وقوله لدينا يجوز فيه أن تكون من صلة أم الكتاب
أى انه فى الكتاب الذى عندنا وهذا اختيار ابن عباس ويجوز أن يكون من صلة الخبر انه على حكيم
عندنا ليس هو كما عند المكذبين به أى وان كذبتم به وكفرتم فهو عندنا فى غاية الارتقاء والشرف

والاحكام وقال تعالى (من اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قال سعيد بن جبير ومجاهد وعطية أى ماسبق لهم فى الكتاب من الشقاوة والسعادة ثم قرأ عطية (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة والمعنى ان هؤلاء أدركهم ما كتب لهم من الشقاوة وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء قال يريد ماسبق عليهم فى علمى فى اللوح المحفوظ فالكتاب على هذا القول الكتاب الاول ونصيبهم ما كتب لهم من الشقاوة وأسبابها وقال ابن زيد والقرطبي والربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم من الارزاق والاعمال فاذا فنى نصيبهم واستكملوه جاءتهم رسلنا يتوفونهم ورجح بعضهم هذا القول لمكان حتى التى هى للغاية يعنى أنهم يستوفون أرزاقهم وأعمارهم الى الموت ولما نضر القول الاول أن يقول حتى فى هذا الموضع هى التى تدخل على الحمل ويتصرف الكلام فيها الى الابتداء كما فى كقوله * فياعجبا حتى كليب تسبى* والصحيح ان نصيبهم من الكتاب يتناول الامرين فهو نصيبهم من الشقاوة ونصيبهم من الاعمال التى هى أسبابها ونصيبهم من الاعمار التى هى مدة اكتسابها ونصيبهم من الارزاق التى استعانوا بها على ذلك فعمت الآية هذا النصيب كله وذكر هؤلاء بعضه وهؤلاء بعضه هذا على القول الصحيح وان المراد ماسبق لهم فى أم الكتاب وقالت طائفة المراد بالكتاب القرآن قال الزجاج معنى نصيبهم من الكتاب ما أخبر الله من جزائهم نحو قوله (فانذرتكم نارا تلظى) وقوله يسلكه عذابا صعدا) قال أرباب هذا القول وهذا هو الظاهر لانه ذكر عذابهم فى القرآن فى مواضع ثم أخبر انه ينالهم نصيبهم منه والصحيح القول الاول وهو نصيبهم الذى كتب لهم أن ينالوه قبل أن يخلقوا ولهذا القول وجه حسن وهو أن نصيب المؤمنين منه الرحمة والسعادة ونصيب هؤلاء منه العذاب والشقاء فتصيب كل فريق منه ما اختاروه لانفسهم وآثروه على غيره كما ان حظ المؤمنين منه كان الهدى والرحمة فحفظ هؤلاء منه الضلال والحية فكان حظهم من هذه النعمة أن صارت نعمة وحسرة عليهم وقريب من هذا قوله وتعملون رزقكم انكم تكذبون أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظهم من كتاب الله الا التكذيب به وقال تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر) قال عطاء ومقاتل كل شئ فعلوه مكتوب عليهم فى اللوح المحفوظ وروى حماد بن زيد عن داود بن أبى هند عن الشعبي وكل شئ فعلوه فى الزبر قال كتب عليهم قبل أن يعلموه وقالت طائفة المعنى انهم يحصى عليهم فى كتب أعمالهم وجمع أبو اسحاق بين القولين فقال مكتوب عليهم قبل أن يفعلوه ومكتوب عليهم اذا فعلوه لاجزاء وهذا أصح وبالله التوفيق وفى الصحيحين من حديث ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه بالاعمم مما قال أبو هريرة ان أنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن آدم حفظه من أن ينأدر ذلك بالحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتى والفرج يصدق ذلك ويكذبه وفى الصحيح أيضا عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لاحالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق الفرج ذلك كله ويكذبه وفى صحيح البخارى وغيره عن عمران بن حصين قال دخلت على النبی صلى الله تعالى عليه وسلم وعقلت ناقتى بالباب فانه ناس من بنى تميم فقال اقبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا

مرتين ثم دخل عليه ناس من الجن فقال اقبلوا بشري يا اهل الجن اذم يقباها بنو تميم قالوا قد قبلنا
يا رسول الله قالوا جئنا لنسألك عن هذا الامر قال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء
وكتب في الذكر كل شئ وخلق السموات والارض فنادى مناد ذهبت ناقةك يا بن الحصن فانطلقت
فاذا هي ينقطع دونها السراب فوالله لوددت اني كنت تركتها فارب سبجانه كتب ما يقوله وما يقوله
وما يكون بقوله وفعله وكتب مقتضى أسنانه وصفاته وآثارها كما في الصحيحين من حديث أبي الزناد
عن الاعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في
كتابه فهو عنده فوق العرش ان ربحني غلبت غضبي

الباب الثاني عشر

في ذكر المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة

وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم الى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله
والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وايس في الوجود موجب ومقتض المشيئة
الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم الا به والمسلمون من أولهم
الى آخرهم مجمعون على انه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا
الموضع وان كان منهم في موضع آخر تجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وان يشاء ما لا يكون
وخالف الرسل كلهم واتباعهم من نفي مشيئة الله بالكلية ولم يثبت له سبحانه مشيئة واختيار أو جديها
الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة واتباعهم والقرآن والسنة مملوءان بتكذيب
الطائفتين فقوله تعالى (ولو شاء الله ما قتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم اليينات ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وكذلك يفعل
الله ما يشاء وقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا ولو شاء ربك ما فلوه فذرهم وما يفترون) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم
جميعا) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) وقال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) وقال (ولو شئنا
لآتينا كل نفس هداها) وقال (ولو شاء الله لاتنصر منهم) وقال (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك) وقال
(فان يشأ الله يحتم على قلبك) وقال (ان يشأ يذهبكم ايها الناس وايات باخرين وكان الله على ذلك قديرا)
وقال (لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين) وقال عن نوح انه قال لقومه (انما يأْتيك به الله ان
شاء) وقال امام الحنفاء وأبو الانبياء لقومه (ولأخاف ما تشركون به الآن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل
شئ) علما وقال الذبيح له (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) وقال خطيب الانبياء شعيب (وما يكون
لنا ان نعود فيها الآن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا) وقال الصديق الكريم ابن
الكريم ابن الكريم (ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) وقال حمود موسى (وما أريد أن أشق عليك ستجدنى
ان شاء الله من الصالحين) وقال كليم الرحمن للخضر (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا)
وقال قوم موسى له (وانا ان شاء الله لمهدون) وقال لسيد ولد آدم وأكرمهم عليه (ولا تقولن لشيء انى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) وقال (قل لأملك لنفسي ضرأ ولا نفعنا الا ما شاء الله) وقال عن اهل

الجنة (خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) وعن أهل النار كذلك ليعين ان الامر راجع الى مشيئته ولوشاء لكان غير ذلك وقال (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحكم أو ان يشأ يعذبكم) وقال (يفغر لمن يشاء ويمذب من يشاء) وقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) وقال (ان ربك يسبط الرزق لمن يشاء ويقدر) وقال (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وقال (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال (وما أرسلنا من رسول الا باللسان قومه ليعين لهم فضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) وقال (ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) وقال (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقال (قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (قل لوشاء الله ماتلونه عليكم ولا أدراكه به) وقال (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) وقال (وما يذكرون الا ان يشاء الله) وفي الآية الاخرى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فاختبر أن مشيئته وفعاله موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا وقال (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء) وقال (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال (ويمذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم) وقوله (يختص برحمته من يشاء) وقوله (ولكن الله يزكي من يشاء) وقوله (والله يضاعف لمن يشاء) وقوله (نصيب برحمتنا من نشاء) وقوله (ترفع درجات من نشاء) وقوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وقوله (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقوله (فتنجي من نشاء) وقوله (فيبسطه في السماء كيف يشاء) وقوله (ان ربي لطيف لما يشاء) وقوله (يؤتي الحكمة من يشاء) وقوله (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) وقوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) وقوله (ان يشأ يسكن الريح) وقوله (لو نشاء لجعلناه جملنا حطاما لو نشاء لجعلناه آحاجا) وقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء) وقوله (ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدهم ما يشاء) وقوله (ولو شاء الله لأعنتكم) وقوله (الله يجتبي اليه من يشاء) وقوله (عن كلمه موسى ان) هي الاقتتلك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) وهذه الآيات ونحوها تضمن ان رد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم وهو سبحانه تارة يخبر أن كل ما في الكون بمشيئته وتارة ان ما لم يشأ لم يكن وتارة انه لو شاء لكان خلاف الواقع وانه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وانه لو شاء ماعصى وانه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فضمن ذلك ان الواقع بمشيئته وان ما لم يقع فهو لعدم مشيئته وهذا حقيقة الربوبية وهو معنى كونه رب العالمين وكونه القيوم القائم بتدبير عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا إضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة الا بعد إذنه وكل ذلك بمشيئته وتكونه اذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقال (وتقرر في الازام ما نشاء) وقال (في أي صورة ما شاء ركبك) وقال (الله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا وإناثا أو يجعل من يشاء عقيما) وقال (يهدي الله نوره من يشاء) وتقدم في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجن فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك وفي صحيح البخاري من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما يشاء وفي صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب

حين طرقة النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة ليلا فقال الاتصليان فقال علي انما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا وفي صحيحه أيضا في قصة نومهم في الوادي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قبض أرواحكم حين شاء وردّها حين شاء وفي حديث ابن مسعود الذي في المسند وغيره في قصة رجوعهم من الحديبية ونومهم عن صلاة الصبح فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لو شاء لم تناموا عنها ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم فمكثا لمن نام ونسي وفي لفظ آخر ان الله سبحانه لو شاء أبقتنا ولكنه أراد أن يكون لمن بعدكم وفي مسند الامام أحمد عن طفيل بن سخبرة أخى عائشة لامها انه رأى فيأبى يرى النائم كأنه مرّ برهط من اليهود فقال من أتم قالوا نحن اليهود قال انكم أتم القوم لولا انكم تزعمون ان عزيرا ابن الله فقالت اليهود وأتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مرّ برهط من النصارى فقال من أتم قالوا نحن النصارى قال انكم أتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أخبرني أحدا قال نعم فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه فقال ان طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم وإنكم تقولون كلمة كان ينبغي الحياء منكم زاد البقي فلا تقولوها ولكن قولوا ماشاء الله وحده لا شريك له وروى جعفر عن عون عن الاجاح عن يزيد بن الاصم عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال الرجل لرسول الله ماشاء الله وشئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعتني لله عدلا بل ماشاء الله وحده وروى سعيد عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ماشاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان قال الشافعي في رواية الربيع عنه المشيئة ارادة الله قال الله عز وجل (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأعلم الله خلقه ان المشيئة له دون خلقه وان مشيئتهم لا تكون الا أن يشاء الله فيقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم شئت ولا يقال ماشاء الله وشئت قال ويقال من يطع الله ورسوله فان الله تعبد العباد بان فرض عليهم طاعة رسوله فإذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفي حديث التواس بن سميان سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول مامن قلب الابيين أصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاعه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميراث بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاءكم فيما سلف من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وذكر الحديث وقال في آخره فذلك فضلي أوتيته من أشاء وفي صحيح البخارى مرفوعا مثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء وقال عبد الرزاق عن معمر عن همام هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما قال الشافعي تأويله والله أعلم ان العرب كان شأنها

أن تدم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك فيقولون إنما بهمكننا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون أصابهم قوارع الدهر وبادهم الدهر فيجولون الليل والنهار بفعالان الأشياء فيذمون الدهر بأنه الذي يفتنهم ويفعل بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر على أنه الذي يفتنكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فأنما تسبون الله تبارك وتعالى فإنه فاعل هذه الأشياء وفي حديث أنس يرفعه اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا للنفحات رحمة الله فإن الله عز وجل سبحانه من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تباعون على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنا ولا تسرقوا فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله أن شاء عذبه وإن شاء غفر له وفيها أيضا من حديث احتجاج الجنة والنار قول الله للجنة أنت رحتي أرحم بك من أشاء وللنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء وفيه أيضا من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت وأرحمني إن شئت وأرزقني إن شئت ليعزم مسئلته أنه يفعل ما يشاء لا مكره له وفي صحيح مسلم عنه يرفعه المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان وفي حديث أبي ذر يابعدى كلكم ضال الامن هديته الحديث وفي آخره ذلك بائع جوادا بفعل ما شاء عطائي كلام فإذا أردت شيئا فأنما أقول له كن فيكون وفي حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد من نعمه من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آية بدون الموت وهذا الحديث الصحيح مشتق من قوله تعالى (ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وفي حديث الشفاعة فإذا رأيت ربى وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني وفي حديث آخر أهل الجنة دخولا إليها فيسكت ما شاء الله أن يسكت وفيه قوله سبحانه لا أهزأ بك ولكني على ما أشاءقدير والحديثان في الصحيحين وفيهما من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة فاريدان شاء الله أن أختي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وقال لا يدخل النار إن شاء الله من أحبب الشجرة الذين يبيعوا تحتها أحد وقال اني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع ما بين أيلة إلى كذا وقال في المدينة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله وقال في زيارة المقابر وإن شاء الله بكم لاحقون وقال لما حاصر الطائف أنا قائلون غدا إن شاء الله وقال لما قدم مكة منزلا غدا إن شاء الله بخيف بنى كنانة وقال يوم بدر هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلان إن شاء الله وقال في بعض أسفاره انكم تسرون عشيتكم وليلتكم ثم انكم تأتون المساء غدا إن شاء الله وقال للإعرابي الذي عادده من الحمى لأبأس طهور إن شاء الله وأخبر عن سليمان بن داود أنه قال لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة ثأني بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل فطاف عليهن جميعا فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وقال من خافب فقال إن شاء الله فإن

بشاء مضى وإن شاء رجع غير حث وقال لا غزن. قریشا ثم قال في الثالثة إن شاء الله وقال الامشعر
للجنة فقالت الصحابة بمن المشمرون لها يارسول الله فقال قولوا إن شاء الله وقال تعالى (واذكر ربك
إذا نسيت) قال الحسن إذا نسيت أن تقول إن شاء الله وهذا هو الاستثناء الذي كان يجوز به ابن
عباس مترجما ويتأول عليه الآية لا الاستثناء في الاقرار والعين والطلاق والعناق وهذا من كمال علم
ابن عباس وفقهه في القرآن وقد أجمع المسلمون على أن الخالف إذا استثنى في عيئه متصلا بها فقال
لا فعلن كذا أو لا أفعله إن شاء الله أنه لا يحنث إذا خالف ما حلف عليه لأن من أصل أهل الاسلام
أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله فإذا علق الخالف الفعل أو الترك بالمشيئة لم يحنث عند عدم المشيئة ولا
تجب عليه الكفارة ولو ذهبنا نذكر كل حديث أو أثر جاء فيه لفظ المشيئة وتعلق فعل الرب بها
لطال الكتاب جدا واما الإرادة فوردتها في نصوص القرآن والسنة معلوم أيضا كقوله (فما لم يريد
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) وإذا أردنا أن نهلك قرية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وإنما أمره
إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا) وقول نوح (ولا
يتفكركم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون) وقوله
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (وإذا
أراد الله بقوم سوء فلا مرد له) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن
تنبأوا ميلا عظيما) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) وأخبر أنه إذا لم يرد تطهير قلوب
عباده لم يكن لهم سبيل إلى تطهيرها فقال (أولئك الذين لم يرد الله أن يهديهم فهم في الدناخزي
ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وقال (وان الله يهدي من يريد. وان الله يحكم ما يريد) وقال (ما يريد
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقوله (فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح
ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا) وقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وقوله
(قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء أو أراد بكم رحمة) وقول صاحب يس (ألتخذ من
دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) وقوله (قل أرأيتم ما تدعون من
دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) وقوله
(يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة) وقوله (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)
والنصوص النبوية في إثبات ارادة الله أكثر من أن تحصر كقوله من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
من يرد الله به خيرا يصب منه إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق إذا أراد الله رحمة أمة
قبض نبيها قبلها إذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حتى فأقر عينه بهلكها إذا أراد الله بعبد خيرا عجل
له العقوبة في الدنيا إذا أراد الله بعبد شرا أمسك عنه توبته حتى يوافي يوم القيامة كأنه غير إذا أراد
الله قبض عبدا برض جعل له إليها حاجة إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم باب الرفق إذا
أراد الله بقوم عذابا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على بناتهم والآثار النبوية في ذلك أكثر من
أن نستوعبها

فصل ١٢ وههنا أمر يجب التنبيه عليه والتنبه له وبمعرفته نزول إشكالات كثيرة تعرض لمن
لم يحيط به علما وهو أن الله سبحانه له الخلق والامر وأمره سبحانه نوعان أمر كوني قدرى وأمر ديني

شرعى فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكونى وكذلك تتعلق بما يجب وبما يكرهه كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغيضه وخلق الشياطين والكفار والاعيان والافعال المستوطنة له وهو يبغيضها فمشيئته سبحانه شاملة لذلك كله وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على السنة وسله فما وجد منه تعلق به المحبة والمشية جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والانباء والمؤمنين وما لم يوجد منه تعلق به محبته وأمره الدينى ولم يتعلق به مشيئته وما وجد من الكفر والنسوق والمعاصى تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى وما لم يوجد منها لم يتعلق به مشيئته ولا محبته فللفظ المشيئة كونى ولفظ المحبة دينى شرعى ولفظ الارادة ينقسم الى ارادة كونية فتكون هى المشيئة وارادة دينية فتكون هى المحبة اذا عرفت هذا فقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) وقوله (لا يحب الفساد) وقوله (ولا يريد بكم العسر) لا يناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره فان المحبة غير المشيئة والامر غير الخلق ونظير هذا لفظ الامر فانه نوعان أمر تكوين وأمر تشريع والثانى قد يعصى ويخالف بخلاف الاول فقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) لا يناقض قوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء ولا حاجة الى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقونا وفسقوا فيها بل الامر ههنا أمر تكوين وتقدير لأمر تشريع لوجوه أحدها ان المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول أمرته فقام وأمرته فاكل كالوصح بلطفة افعل كقوله تعالى (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كما تقول دعوته فاقبل وقال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الثانى ان الامر بالطاعة لا يخص المترفين فلا يصح حمل الآية عليه بل تسقط فائدة ذكر المترفين فان جميع المبعوث اليهم مأمورون بالطاعة فلا يصح أن يكون أمر المترفين علة اهلاك جميعهم الثالث ان هذا النسق العجيب والترتيب البديع مقتضى ترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها ترتيب المسبب على سببه والمعلول على علته ألا ترى ان الفسق علة حق القول عليهم وحق القول عليهم علة لتدميرهم فهكذا الامر سبب لفسقهم ومقتضى له وذلك هو أمر التكوين لا التشريع الرابع ان ارادته سبحانه لاهلاكهم انما كانت بعد معصيتهم ومخالفتهم لرسله فمعصيتهم ومخالفتهم قد تقدمت فأراد الله اهلاكهم فعاقبهم بأن قدر عليهم الاعمال التى يتحتم معها هلاكهم فان قيل فمعصيتهم السابقة سبب هلاكهم فما الفائدة في قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) وقد تقدم الفسق منهم قيل المصلحة السابقة وان كانت سببا للهلاك لكن يجوز تخلف الهلاك عنها ولا يتحتم كما هو عادة الرب تعالى المعلومه في خلقه انه لا يتحتم هلاكهم بمعاصيهم فاذا أراد اهلاكهم ولا بد احدث سببا آخر يتحتم معه الهلاك ألا ترى ان نمود لم يهلكهم بكفرهم السابق حتى أخرج لهم النافقة فعقروها فاهلكوا حينئذ قوم فرعون لم يهلكهم بكفرهم السابق بموسى حتى أراهم الآيات المتتابعات واستحكم بغيرهم وعنادهم فحينئذ اهلكوا وكذلك قوم لوط لما أراد هلاكهم أرسل الملائكة الى لوط في صورة الاضياف فقصصوهم بالفاحشة ونالوا من لوط وتواعدوه وكذلك سائر الامم اذا اراد الله هلاكها احدث لها بنيا وعدوانا يأخذها على أثره وهذه عادته مع عباد عموما وخصوصا فيهصيه العبد وهو يحلم عنه ولا يعاجله حتى اذا أراد أخذه قبض له عملا يأخذه به مضافا الى أعماله الاولى فيظن الظان انه أخذه بذلك العمل وحده وليس كذلك بل حق عليه القول بذلك وكان قبل ذلك

لم يحق عليه القول بأعماله الأولى حيث عمل ما يقتضى ثبوت الحق عليه ولكن لم يحكم به أحكم الحاكمين ولم يرض الحكم فإذا عمل بعد ذلك ما يقرر غضب الرب عليه أمضى حكمه عليه وأنقذه قال تعالى (فلما أسفونا انتقمنا منهم) وقد كانوا قبل ذلك أغضبوه بمعضية رسوله ولكن لم يكن غضبه سبحانه قد استقر واستحكم عليهم إذ كان يصعدان يزول بآياتهم فلما أيس من إيمانهم تقرر الغضب واستحكم خلت العقوبة فهذا الموضع من أسرار القرآن وأسرار القدر الإلهي وفكر العبد فيه من أنفع الأمور له فإنه لا يدري أى المعاصي هى الموجبة التى يتعم عندما عقوبته فلا يقال بعدها والله المستعان وسنعتقد لهذا الفصل بابا في الفرق بين القضاء الكوني والديني نشيع الكلام فيه ان شاء الله لشدة الحاجة اليه اذ المقصود في هذا الباب مشيئة الرب وانها الموجبة لكل موجود كان عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء فهما الموجبتان ماشاء الله وجب وجوده وما لم يشاء وجب عدمه وامتناعه وهذا أمر يعلم كل مقدور من الاعيان والانعام والحركات والسكنات فسبحانه أن يكون في ملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون وان كان فيها ما لا يحب ولا يرضاه وان كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ولو شاء لوجد

الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء

والقدر وهى مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وإيجاده لها

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل صلى الله تعالى عليهم وسلم وعليه اتفقت الكتب الالهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الامم فاخرجت طاعات ملائكته وانبيائه ورسله وعباده المؤمنين وهى أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلواهم هم الخالقون لها ولانها لها بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته وكذلك قالوا في جميع أفعال الحيوانات الاختيارية فعندهم انه سبحانه لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا ولا يقدر أن يحمل المسلم مسلما والكافر كافرا والمصلى مصليا وانما ذلك يحملهم أنفسهم كذلك لا يجمله تعالى وقد نادى القرآن بل الكتب السماوية كلها والسنة وأدلة التوحيد والعقول على بطلان قولهم وصاح بهم أهل العلم والايمان من أقطار الارض وصنف حزب الاسلام وعصابة الرسول وعسكره التصانيف في الرد عليهم وهى أكثر من أن يحصىها الا الله ولم تزل أيدى السلف وأئمة السنة في أفقيتهم ونواصيهم تحت أرجلهم إذ كانوا يردون باطلهم بالحق المحض وبدعهم بالسنة والسنة لا يقوم لها شيء فكانوا معهم كالذمة مع المسلمين الى أن نبئت نابتة ردوا بدعهم ببدة تقابها وقابلوا باطلهم بباطل من جسده وقالوا العبد مجبور على أفعاله مقيم عليه لأتأثير له في وجودها البتة وهى واقعة بإرادته واختياره وغلا غلاتهم فقالوا بل هى عين أفعال الله ولا ينسب الى العبد الاعلى المجاز والله سبحانه يلوم العبد ويعاقبه ويخلده في النار على ما لم يكن للعبد فيه صنع ولا هو فعله بل هو محض فعل الله وهذا قول الجبرية وهو ان لم يكن شرا من القدرية فليس هو بدونه في البطلان واجماع الرسل واتفاق الكتب الالهية وأدلة العقول والفطر واليمان يكذب هذا القول ويرده والطاققان في عمى عن الحق القويم والصراط المستقيم ولما رأى القاضى وغيره بطلان هذا القول وتناقضه للشرائع والعدل والحيلة قالوا قدرة العبد وان لم تؤثر في وجود الفعل فهى مؤثرة في صفة من صفاته

وتلك الصفة تسمى كسبا وهي متعلق الامر والنهي والثواب والعقاب فان الحركة التي هي من طاعته والحركة التي هي من معصيته قد اشتركا في نفس الحركة وامتازت إحداهما عن الأخرى بالطاعة والمعصية فذات الحركة ووجودها واقع بقدرة الله وإيجاده وكونها طاعة ومعصية واقع بقدرة العبد وتأثيره وهذا وان كان أقرب الي الصواب فالقائل به لم يوفه حقه فان كونها طاعة ومعصية هو موافقة الامر ومخالفته فهذه الموافقة والمخالفة إما أن تكون فعلا للعبد يتعلق بقدرة واختياره وان كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ولا كسب البتة فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة كسب الاشعري وأحوال أبي هاشم وطفرة النظام ولما رأى طائفة فساد هذا قالوا المؤثر في وجود الفعل هو قدرة الرب على سبيل الاستقلال قالوا ولا يمتنع اجتماع المؤثرين على أثر واحد ولم يستوحش هؤلاء من القول بوقوع مفعول بين فاعلين ولا مقدور بين قادرين قالوا كما يمتنع وقوع معلوم بين عالين ومراد بين مرئيين ومحجوب بين محجوبين ومكروه بين مكروهين قالوا ونحن نشاهد قادرين مستقلين كل منهما يمكنه أن يستقل بالفعل يقع بينهما مفعول واحد يشتركان في فعله والتأثير فيه قالوا وليس معكم ما يبطل هذا الاقولكم ان اضافته الى أحدهما على سبيل الاستقلال يمنع اضافته الى الآخر واضافته اليها وفي هذه الحجة اجمال لا بدله من تفصيل فيجوز وقوع مفعول بين فاعلين لا يستقل أحدهما به كالمتعاونين على الامر لا يقدر عليه أحدهما وحده ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه كل منهما يستقل به على سبيل البدل وهذا ظاهر أيضا ويجوز وقوع مفعول بين فاعلين يشتركان فيه وكل منهما يقدر عليه حال الانفراكم محمول بحمله اثنان كل منهما يمكنه أن يستقل بحمله وحده وكل هذه الاقسام ممكنة بل واقعة بقي قسم واحد وهو مفعول بين فاعلين كل منهما فعله على سبيل الاستقلال فهذا محال فان استقلال كل منهما بفعله ينفي فعل الآخر له فاستقلالهما ينافي استقلالهما وأكثر الطوائف يقر بوقوع مقدور بين قادرين وان اختلفوا في كيفية وقوعه • فقالت طائفة الفعل يضاف الى قدرة الله سبحانه على وجه الاستقلال بالتأثير ويضاف الى قدرة العبد لكنها غير مستقلة فاذا انضمت قدرة الله الى قدرة العبد صارَت قدرة العبد مؤثرة على سبيل الاستقلال بتوسط اعانة قدرة الله وجعل قدرة العبد مؤثرة والقائل بهذا لم يتخلص من الخطأ حيث زعم أن قدرة العبد مستقلة باعانة قدرة الله له فعاد الامر الى اجتماع مؤثرين على أثر واحد لكن قدرة أحدهما وتأثيره مستند الى قدرة الآخر وتأثيره وكأنه والله أعلم أراد أن قدرة الرب مستقلة بالتأثير في إيجاد الفعل وهذا قد قاله طائفة من العلماء وقائل هذا لم يتخلص من الخطأ حيث جعل قدرة العبد مستقلة بالتأثير في إيجاد المقدور وهذا باطل اذ غاية قدرة العبد أن تكون سببا بل جزأ من السبب والسبب لا يستقل بمحصول السبب ولا يوجهه وليس في الوجود ما يوجب حصول المقدور الا مشيئة الله وحده وأصحاب هذا القول زعموا ان الله أعطى العبد قدرة وأرادة وفوض اليههما الفعل والترك وخلاه وما يريد فهو يفعل ويترك بقدرة وارادته اللتين فوض اليه الفعل والترك بهما وقالت طائفة أخرى مقدور العبد هو عين مقدور الرب بشرط أن يفعله العبد اذا تركه الرب ولم يفعله لآعلى أنه يفعله والرب له فاعل لاستحالة خلق بين خالقين وهذا بعينه مذهب من يقول بوقوع مفعول بين فاعلين على سبيل وهذا مذهب كثير من القدرية منهم الشحام وغيره

وقالت طائفة يجوز وقوع فعل بين فاعلين بنسبتين مختلفتين باحدهما يكون محدثا وبالآخرى يكون كاسبا وهذا مذهب التجار وضرار بن عمرو ومحمد بن عيسى بن حفص والفرق بين هذا المذهب ومذهب الاشعريين من وجهين أحدهما ان صاحب هذا المذهب يقول العبد فاعل حقيقة وان لم يكن محدثا مخترعا للفعل والاشعري يقول العبد ليس بفاعل وان نسب اليه الفعل وانما الفاعل في الحقيقة هو الله فلا فاعل سواه الثاني أنهم يقولون الرب هو المحدث والعبد هو الفاعل وقالت فرقة بل أفعال العباد فعل لله على الحقيقة وفعل العبد على المجاز وهذا أحد قولي الاشعري وقالت فرقة أخرى منهم القلانسي وأبو إسحاق في بعض كتبه انها فعل لله على الحقيقة وفعل الانسان على الحقيقة لاعلى معنى انه أحدثها بل على معنى انه كسب له وقالت طائفة أخرى وهم جهم واتباعه ان القادر على الحقيقة هو الله وحده وهو الفاعل حقا ومن سواه ليس بفاعل على الحقيقة ولا كاسب أصلا بل هو مضطر الى جميع ما فيه من حركة وسكون وقول القائل قام وقعد وأكل وشرب مجاز بمنزلة مات وكبر ووقع وطلعت الشمس وغربت وهذا قول الجبيرة الغلاة وقابله طائفة أخرى فقالوا العباد موجودون لافعالهم مخترعون لها بقدرهم وارادتهم والرب لا يوصف بالقدرة على مقدور العبد ولا تدخل افعالهم تحت قدرته كما لا يوصف العباد بمقدور الرب ولا تدخل أفعاله تحت قدرهم وهذا قول جمهور القدرية وكلهم متفقون على ان الله سبحانه غير فاعل لافعال العباد واختلفوا هل يوصف بأنه مخترعها ومحدثها وانه قادر عليها وخالق لها فجهم ورهم نفوا ذلك ومن يقرب منهم الى السنة أثبت كونها مقدورة لله وان الله سبحانه قادر على أعيانها وان العباد أحدثوها باقدار الله لهم على احداثها وليس معنى قدرة الله عليها عندهم انه قادر على فعلها هذا عندهم عين الحال بل قدرته عليها إقدارهم على احداثها فأثبتا أحدثوها بقدرته واقداره وتمكينه وهؤلاء أقرب القدرية الى السنة وأرباب هذه المذاهب مع كل طائفة منهم خطأ وصواب وبعضهم أقرب الى الصواب وبعضهم أقرب الى الخطأ وأدلة كل منهم وحججه انما تنص على بطلان خطأ الطائفة الاخرى لاعلى ابطال ما أصابوا فيه فكل دليل صحيح للجبيرة انما يدل على اثبات قدرة الرب تعالى ومشيتته وانه لا خالق غيره وانه على كل شيء قدير لا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادرا مريدا فاعلا بمشيئته وقدرته وانه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به وانها فعل له والله وانها قائمة به لا بالله وكل دليل صحيح يقيم القدرية فانما يدل على ان أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيتهم وارادتهم وانهم مخترعون لها غير مضطرين ولا مجبورين وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله سبحانه قادرا على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين فادلة الجبيرة متظافرة صحيحة على من نفي قدرة الرب سبحانه على كل شيء من الاعيان والافعال ونفي عموم مشيئته وخلقه لكل موجود وأثبت في الوجود شيئا بدون مشيئته وخلقه وأدلة القدرية متظافرة صحيحة على من نفي فعل العبد وقدرته ومشيتته واختياره وقال انه ليس بفاعل شيئا والله يعاقبه على ما لم يفعله ولاله قدرة عليه بل هو مضطر اليه مجبور عليه وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الايمان لامع هؤلاء ولامع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم براء من باطلهم فذهبهم جمع حق الطوائف بعضهم الى بعض والقول

به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ونفى باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من هذا الوجه فهم حكام بين الطوائف لا يميزون الى فئة منهم على الإطلاق ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة ولا يردون باطلاً بباطل ولا يحملهم شأن قوم بإعادتهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال (فلذلك قاعد واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم) فأمره سبحانه أن يدعو الى دينه وكتابه وأن يستقيم في نفسه كما أمره وأن لا يتبع هوى أحد من الفرق وأن يؤمن بالحق جميعه لا يؤمن ببعضه دون بعض وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات وأنت اذا تأملت هذه الآية وجدت أهل الكلام الباطل وأهل الأهواء والبدع من جميع الطوائف أغس الناس منها حظاً وأقلم نصيباً ووجدت حزب الله ورسوله وأنصار سنته هم أحق بها وأهلها وهم في هذه المسئلة وغيرها من المسائل أسعد بالحق من جميع الطوائف فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الاعيان والافعال ومشيتته العامة وينزهونه أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه ولا هو واقع تحت مشيئته ويثبتون القدر السابق وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه وأنه لا يشاؤون الا أن يشاء الله ولا يفعلون الا من بعد مشيئته وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه ومشيتته وخلقه فلا يحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله على الحقيقة اذا قالها غيرهم على المجاز اذا العالم علويه وسفليه وكل حي يفعل فعلاً فان فعله بقوة فيه على الفعل وهو في حول من ترك الى فعل ومن فعل الى ترك ومن فعل الى فعل وذلك كله بالله تعالى لا بالعبد ويؤمنون بان من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأنه هو الذي يجعل المسلم مساماً والكافر كافراً والمصلح مصلحاً والمتحرك متحركاً وهو الذي يسير عبده في البر والبحر وهو المسير والعبد السائر وهو المحرك والعبد المتحرك وهو المقيم والعبد القائم وهو الهادي والعبد المهتدى وأنه المطعم والعبد الطاعم وهو الحي الميت والعبد الذي يحيى ويموت ويثبتون مع ذلك قدرة العبد وادبته واختياره وفعله حقيقة لا مجازاً وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول كما حكاه عنهم البغوى وغيره فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهى مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة والذي قام بالبر عز وجل علمه وقدرته ومشيتته وتكوينه والذي قام بهم هو ففهمهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم ومشيتته وفعله بعد مشيئته فما يشاؤون الا أن يشاء الله وما يفعلون الا أن يشاء الله واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصرط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقريب منه وبعيد وبين ذلك واذا أعطيت الفاتحة حقها وجدتها من أولها الى آخرها منادية على ذلك دالة عليه صريحة فيه وان كان حمده لا يقتضى غير ذلك وكذلك كمال ربوبيته للعالمين لا يقتضى غير ذلك فكيف يكون الحمد كله لمن لا يقدر على مقدور أهل سماواته وأرضه من الملائكة والجن والانس والطير والوحش بل يفعلون مالا يقدر عليه ولا يشاءه وبشاء مالا يفعله

كثير منهم فيشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء وهل يقتضى ذلك كمال حمده وهل يقتضيه كمال ربوبيته ثم قوله (اياك نعبد واياك نستعين) مبطل لقول الطائفتين المذكورتين عن قصد البديل فإنه يتضمن إثبات فعل العبد وقيام العباد به حقيقة فهو العابد على الحقيقة وإن ذلك لا يحصل له إلا بإعانة رب العالمين عز وجل له فإن لم يعنه ولم يقدره ولم يشأ له العباد لم يتمكن منها ولم يوجد منه البتة فالفعل منه والاقدار والإعانة من الرب عز وجل ثم قوله (اهدنا الصراط المستقيم) يتضمن طلب الهداية ممن هو قادر عليها وهي بيده إن شاء أعطاها عبده وإن شاء منعه إياها والهداية معرفة الحق والعمل به فمن لم يحمله الله تعالى علما بالحق عاملا به لم يكن له سبيل إلى الاهتداء فهو سبحانه المتفرد بالهداية الموجبة للاهتداء التي لا تخاف عنها وهي جعل العبد مريدا لا يهدي بحاله مؤثرا له عاملا به بهذه الهداية ليست إلى ملك مقرب ولأنني مرسل وهي التي قال سبحانه فيها (أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) مع قوله تعالى (وأنك تهدي إلى صراط مستقيم) فهذه هداية الدعوة والتعليم والإرشاد وهي التي هدى بها نوح فاستجبوا العمي عليها وهي التي قال تعالى فيها (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فهذه هدى البيان الذي تقوم به حجته عليهم ومنهم الهداية الموجبة للاهتداء التي لا يضل من هداه بها فذلك غدله فيهم وهذا حكمته فاعطاهم ما تقوم به الحجة عليهم ومنعهم ما ليسوا له باهل ولا يليق بهم وسنذكر في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله تعالى ذكر الهدى والضلال ومراتبهما وأقسامهما فإنه عليه مدار مسائل القدر والمقصود ذكر بعض ما يدل على إثبات هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له والابتنظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخلية في مسمى اسمه فإن الله سبحانه اسم للاله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال والعالم قسمان أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته قالت القدريّة نحن نقول إن الله خالق أفعال العباد لأعلى أنه محدثها ومخترعها لكن على معنى أنه مقدره فإن الخلق التقدير كما قال تعالى (فبارك الله أحسن الخالقين) وقال الشاعر

ولانت تقري ما خلقت وبمسـسـ القوم يخلق ثم لا يفري

أي لانت تمضي ما قدرته وتنفذه بعزمك وقدرتك وبعض القوم يقدر ثم لا قوة له ولا عزيمة على انفاذ ما قدره وامضائه قاله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها قال أهل السنة قدمائكم ينكرون تقدير الله سبحانه لأعمال العباد البتة فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع إلى تأثير وإنما هو مجرد العلم بها والخبر عنها وليس التقدير عندهم جعلها على قدر كذا وكذا فإن هذا عندهم غير مقدور للرب ولا مصنوع له وإنما هو صنع العبد واحداثه فرجع التقدير إلى مجرد العلم والخبر وهذا لا يسمى خلقا في لغة أمة من الأمم ولو كان هذا خلقا لكان من علم شيئا وعلم أسمائه وصفاته وأخبر عنه بذلك خالقاه فالتقدير الذي أثبتوه وإن كان متضمنا للتأثير

في إيجاد الفعل فهو خلاف مذهبكم وإن لم يتضمن تأثيرا في إيجادهم فهو راجع الى محض العلم والخبر . قالت القدريه قوله الله خالق كل شيء من العام المراد به الخاص ولا سيما فانكم قلتم إن القرآن لم يدخل في هذا العموم وهو من أعظم الأشياء وأجلها نخصنا منه أفعال العباد بالدالة الدالة على كونها فعلهم ومنهم . قالت أهل السنة القرآن كلام الله سبحانه وكلامه صفة من صفاته وصفات الخالق وذاته لم تدخل في المخلوق فان الخالق غير المخلوق فليس ههنا تخصيصا للشيء بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق وكل ما عداه مخلوق وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه إذ ليس الا الخالق والمخلوق والله وحده الخالق وما سواه كله مخلوق واما الدالة الدالة على ان أفعال العباد صنع لهم وانما أفعالهم القائمة بهم وانهم هم الذين فعلوها فكلها حق نقول بموجبها ولكن لا ينبغي أن تكون أفعالهم ومخلوقة مفعولة لله فان الفعل غير المفعول ولا نقول انها فعل لله والعبد مضطر مجبور عليها ولا نقول انها فعل للعبد والله غير قادر عليها ولا جاعل للعبد فاعلا لها ولا نقول انها مخلوقة بين مخلوقين مستقلين بالايجاد والتأثير وهذه الأقوال كلها باطلة . قالت القدريه يعنى قوله تعالى الله خالق كل شيء مما لا يقدر عليه غيره وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد فاضافتها اليهم ينفي اضافتها اليه والالزم وقوع مفعولين بين فاعلين وهو محال . قالت أهل السنة اضافتها اليهم فعلا وكسبه لا ينفي اضافتها اليه سبحانه خلقا ومشية فهو سبحانه الذي شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلم تكن مضافة الى مشيئته وقدرته وخلقها لاستحالة وقوعها منهم إذ العباد اعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأ الله ولم يقدر عليه ولا خلقه

فصل ١٠ ومما يدل على قدرته سبحانه على أفعالهم قوله (والله على كل شيء قدير) واعتراض القدريه على الاستدلال بذلك والجواب عنه نظير الاعتراض على قوله (الله خالق كل شيء) وجوابه وزيده تقرير ان أفعالهم أشياء ممكنة والله قادر على كل ممكن فهو الذي جعلهم فاعلين بقدرته ومشيته ولو شاء لحال بينهم وبين الفعل مع سلامة آلة الفعل منهم كما قال تعالى (ولو شاء الله ماقتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ماقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال (ولو شاء ربك ما فعلوه) وقال (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا) فهو سبحانه يحول بين المرء وقلبه وبين الانسان ونطقه وبين اليد وبطشها وبين الرجل ومشيا فكيف يظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه لا يقدر على ما يقدر عليه عباد الله ولا تدخل أفعالهم تحت قدرته تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون لقدرة علوا كبيرا نعم ولا نظن به ظن السوء ويجعل له مثل السوء انه يعاقب عباد الله على ما لم يفعلوه ولا قدرة لهم على فعله بل على ما فعلوه هودونهم واضطربهم اليه وجبرهم عليه وذلك بمنزلة عقوبة الزمن اذا لم يطر الى السماء وعقوبة أشل اليد على ترك الكتابة وعقوبة الاخرس على ترك الكلام تعالى الله عن هذين المذهبيين الباطلين المنحرفين عن سواء السبيل

فصل ١١ ومن الدليل على خلق أعمال العباد قوله تعالى والله جعل لكم من الحلال أكثانا وجعل لكم سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأنكم) فالخير أنه هو الذي جعل السرايل وهي الدروع والياب المصنوعة ومادتها لتسمى سرايل إلا أن بعد تحيائها

صنعة الآدميين وعملمهم فإذا كانت مجمولة لله فهي مخلوقة له بحجراتها واصورتها ومادتها وهياتها ونظير هذا قوله (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم) فاخبر سبحانه ان البيوت المصنوعة المستقرة والمستقاة مجمولة له وهي انما صارت بيوتا بالصنعة الادمية ونظيره قوله تعالى (وآية لهم اناحلنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فاخبر سبحانه انه خالق الفلك المصنوع للعباد وابعد من قال ان المراد بمثله هو الابل فانه اخراج المماثل حقيقة واعتبار لما هو بعيد عن المماثلة ونظير ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله انه قال لقومه اتعبدون ما تحتون والله خلقتكم وما تعملون فان كانت مامصدية كما قدره بعضهم فلا استدلال ظاهر وليس بقوى إذ لا تناسب بين اسكاره عليهم عبادة ما تحتونه بأيديهم وبين اخبارهم بان الله خالق اعمالهم من عبادة تلك الالهة ونحتها وغير ذلك فالاولى ان تكون ماموضلة أى والله خلقتكم وخلق الهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لآلهة شركاء منه فاخبر انه خلق معمولهم وقد حله عملهم وضعهم ولا يقال المراد مادته فان مادته غير معمولة لهم وانما يصير معمولا بعد عملهم

فصل ١٢٠ وقد أخبر سبحانه انه هو الذى جعل أئمة الخير يدعون الى الهدى وأئمة الشر يدعون الى النار فذلك الامامة والدعوة بجمعه فهي مجمولة له وفهم لهم قال تعالى عن آل فرعون (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وقال عن أئمة الهدى (وجعلناهم أئمة يهدون باسرها) فاخبر ان هذا وهذا يجعله مع كونه كسبا وفعلالا لثلاثة ونظير ذلك قول الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك فاخبر الخليل انه سبحانه هو الذى يجعل المسلم مسلما وعند القدرية هو الذى جعل نفسه مسلما لان الله جعله مسلما ولا جعله اماما يهدى باسره ولا جعل الآخر اماما يدعو الى النار على الحقيقة بل هم الجاعلون لانفسهم كذلك حقيقة ونسبة هذا الجعل الى الله مجاز بمعنى التسمية أى سمنا مسلمين لك وكذلك جعلناهم أئمة أى سميناهم كذلك وهم جعلوا انفسهم أئمة رشد وضلال ففهم الحقيقة ومنه المجاز والتعير

فصل ١٢١ ومن ذلك اخباره سبحانه بانه هو الذى يلهم العبد فجوره وتقواه والالهام الالقاء في القلب لا مجرد البيان والتعليم كما قاله طائفة من المفسرين اذ لا يقال لمن بين لغيره شيئا وعلمه اياه انه قد آلهه ذلك هذا لا يعرف في اللغة البتة بل الصواب ما قاله ابن زيد قال جعل فيها فجورها وتقواها وعليه حديث عمران بن حصين ان رجلا من مريئة أوجبهتة أى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس فيه ويكدهون اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سابق أوفيا يستقبلون مما أناهم به منهم قال بل شئ قضى عليهم ومضى قال ففهم العمل قال من خلقه الله لاحدى المنزلة استعمله بعمل أهله وتصديق ذلك في كتاب الله (ونفس وماسواها فاهمها فجورها وتقواها) فقراءته هذه الآية عقيب اخباره بتقديم القضاء والقدر السابق يدل على ان المراد بالالهام استعمالها فيما سبق لها لا مجرد تعريفها فان التعريف والبيان لا يستلزم وقوع ماسبق به القضاء والقدر ومن فسر الآية من السلف بالتعليم والتعريف فقرأه تعريف مستلزم حصول ذلك لا تعريف مجرد عن الحصول فانه لا يسمى الهاما والله التوفيق

فصل ١٢٢ ومن ذلك قوله تعالى (واسروا قولكم أو اجهروا به انه علم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وذات الصدور كلمة لا يشتمل عليه الصدر من الاعتقادات والارادات

والحب والبغض أى صاحبة الصدور فإنها لما كانت فيها قائمة بها نسبت إليها نسبة الصفة والملازمة وقد اختلف في أعراب من خالق هو النصب أو الرفع فمن كان مرفوعا فهو استدلال على علمه بذلك خلقه له والتقدير أنه يعلم ما تضمنته الصدور وكيف لا يعلم الخالق ما خلقه وهذا الاستدلال في غاية الظهور والصحة فإن الخالق يستلزم حياة الخلق وقدرته وعلمه ومشيتته وإن كان منصوبا فالعلمي الأليم مخلوقه وذكر لفظة من تغلبا ليتناول العلم العاقل وصفاته على التقديرين فالآية دالة على خالق ما في الصدور كما هي دالة على علمه سبحانه به وإيضاحه سبحانه خلقه لما في الصدور دليلا على علمه بها فقال الأليم من خالق أى كيف يُنفى عليه ما في الصدور وهو الذى خلقه فالو كان ذلك غير مخلوق له لبطل الاستدلال به على العلم بخلق سبحانه للشيء من أعظم الأدلة على علمه به فإذا انتفى الخلق انتفى دليل العلم فلم يبق ما يدل على علمه بما يتطوى عليه الدر اذ كان غير خالق لذلك وهذا من أعظم الكفر برب العالمين وحججه لما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وعلم بالضرورة أنهم القوه إلى الامم كما القوا إليهم أنه إله واحد لا شريك له

فصل ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتي وقوله فاجعل أئمة من الناس تهوى إليهم وقوله تعالى (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) وقوله حكاية عن زكريا أنه قال عن ولده (واجعله رب راضيا) وقال في الطرف الآخر (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) وقال (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الأكنة والوقر هي شدة البغض والتفرة والاعراض التي لا يستطيعون معها سمعا ولا عقلا والتحقيق أن هذا ناشئ عن الأكنة والوقر فهو موجب ذلك ومقتضاه فمن فسر الأكنة والوقر به فقد فسرهما بموجبهما ومقتضاهما وبكل حال فذلك التفرة والاعراض والبغض من أفعالهم وهي مجعولة لله سبحانه كما أن الرأفة والرحمة وميل الأئمة إلى بيته هو من أفعالهم والله جاعله فبما الجاعل للذوات وصفاتها وأفعالها وإراداتها واعتقاداتها فذلك كله بمحمول مخلوق له وإن كان العبد فاعلا له باختياره وإرادته فإن قيل هذا كله معارض بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) والبحيرة والسائبة إنما صارت كذلك بجعل العباد لها فخير سبحانه أن ذلك لم يكن بجعله قيل (لا تعارض بحمد الله بين نصوص الكتاب بوجه ما والجعل هنا جعل شرعى أمرى لا كونى قدرى فإن الجعل في كتاب الله ينقسم إلى هذه النوعين كما ينقسم إليهما الأمر والأذن والقضاء والكتابة والتحريم كما سيأتى بيانه إن شاء الله فنفى سبحانه عن البحيرة والسائبة جعله الدينى الشرعى أى لم يشرع ذلك ولا أمر به ولكن الذين كفروا افترضوا عليه الكذب وجعلوا ذلك ديناً له بلا علم ومن ذلك قوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فخير سبحانه أن هذه الفتنة الحاصلة بما ألقى الشيطان هي بجعله سبحانه وهذا جعل كونى قدرى ومن هذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه اللهم اجعلنى لك شكرا لك ذكرا لك رهبا لك مطوعا لك مخبئا إليك أو أهما منيأ فسأل ربه أن يجعله كذلك وهذه كلها أفعال اختيارية واقعة بإرادة العبد واختياره وفي هذا الحديث وسدد لسانى وتسديد اللسان جعله ناطقا بالسداد من القول ومثله قوله في الحديث الآخر اللهم اجعلنى لك مخلصا ومثله قوله

اللهم اجعلني أعظم شكرك وأكثر ذكرك واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك ومثله قول المؤمنين ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا فالصبر وثبات الأقدام فعلان اختياراتان ولكن التصيير والتثبيت فعمل الرب تعالى وهو المسؤول والعصير والثبات فاعلم القائم بهم حقيقة ومثله قوله (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) وقال ابن عباس والمفسرون بعده الهنفي قال أبو اسحاق وبأويله في اللغة كفى عن الأشياء إلا النفس شكر نعمتك ولهذا يقال في تفسير الموزع المولع ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم موزعا بالسؤال أي مواجا به كأنه كف ومنع الأمانة وقال في الصحاح وزعته أزعه وزعا كففته فآزعه عنه أي كف وأوزعته بالشيء أغزبته به فأوزع به فهو موزع به واستوزعت الله شكره فأوزعني أي استأنمته فلهمني فقد دار معنى اللفظة على معنى الهنفي ذلك واجلاني مغزى به وكفى عما سواه وعند القدرة أن هذا غير مقدور للرب بل هو غير مقدور العبد

فصل ومن ذلك قوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) فتجيبه سبحانه الإيمان إلى عباده المؤمنين هو إلقاء محبة في قلوبهم وهذا لا يقدر عليه سواه وأما تحبيب العبد الشيء إلى غيره فائما هو بتزيينه وذكر أوصافه وما يدعو إلى محبة فآخبر سبحانه أنه جعل في قلوب عباده المؤمنين الأمرين حبه وحسنه الداعي إلى حبه والقي في قلوبهم كراهة ضده من الكفر والفسوق والعصيان وإن ذلك محض فضله ومثله عليهم حيث لم يكنهم إلى أنفسهم بل تولى هو سبحانه هذا التحبيب والتزيين وتكره ضده فجاء عليهم به فضلا منه ونعمة والله عليم بمواقع فضله ومن يصلح له ومن لا يصلح حكم بحكمه في مواضعه ومن ذلك قوله تعالى هو الذي أبدك نصرته بل يؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله آلف بينهم أنه عزيز حكيم. واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وتآلف القلوب جعل بعضها يألف بعضها ويميل إليه ويحبه وهو من أفعاله الاختيارية وقد أخبر سبحانه أنه هو الذي فعل ذلك لا غيره ومن ذلك قوله (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ان يسبطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) فآخبر سبحانه بفعلهم وهو أنهم وبفعله وهو كفهم عما هموا به ولا يصح أن يقال أنه سبحانه أشل أيديهم وأمتهم وأنزل عليهم عذابا حل بينهم وبين ما هموا به بل كف قدرهم وأرادتهم مع سلامة حواسهم وبنتهم وحجة آلات العمل منهم وعند القدرة هذا محال بل هم الذين يكفون أنفسهم والقرآن صريح في إبطال قولهم ومثله قوله (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) فهذا كف أيدي الفرقتين مع سلامتهما وصحتهما وهو بأن حال بينهم وبين الفعل فكف بعضهم عن بعض ومن ذلك قوله تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) والإيمان والطاعة من أجل النعم بل هما أجل النعم على الإطلاق فهما منه سبحانه تعليم وإرشاد وإلهام وتوفيق ومشية وخلق ولا يصح أن يقال إنها أمر أو بيان فقط فإن ذلك حاصل بالنسبة إلى الكفار والعصاة فتكون نعمته على أكثر الخلق كنعمته على أهل الإيمان والطاعة والبر منهم إذ نعمة البيان والإرشاد مشتركة وهذا قول القدرة وقد صرح به كثير منهم ولم يجعلوا لله على العبد نعمة في مشيئته

وخلقه فعليه وتوفيته إياه حين فعله وهذا من قولهم الذي بينوا به جميع الرسل والكتب وطردوا ذلك حين لم يجعلوا الله على العبد منة في إعطائه الجزاء بل قالوا ذلك محض حقه الذي لامنة الله عليه فيه واحتجوا بقوله (لهم أجر غير ممنون) قالوا أي غير ممنون به عليهم إذ هو جزاء أعمالهم وأجورها قالوا والمنة تكسر النعمة والعطية ولم يدعوا هؤلاء للجهل بالله موصفا وقاسوا منته على منة المخلوق فاتهم مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات وليست المنة في الحقيقة إلا الله فهو المان بفضله وأهل سمواته وأهل أرضه في محض منته عليهم قال تعالى (يؤمنون عليكم ان أسألوكم ان لاتمتوا على أسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان ان كنتم صادقين) وقال تعالى لكليمه موسى (ولقد متنا عليك مرة أخرى) وقال (ولقد متنا على موسى وهارون) وقال (وزيد ان يمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم للإنصار ألم أجدكم ضاللا فهداكم الله بنى وعالة فآمنناكم الله بنى قالوا الله ورسوله آمن وقال الرسل لقومهم (ان نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فمنه سبحانه محض إحسانه وفضله ورحمته ومطاب عيش أهل الجنة فيها لا يمنته عليهم ولهذا قال أهلها وقد أقبل بعضهم على بعض يتسألون انا كنا قبل في أهلنا مشفقين ثم الله علينا ووقانا عذاب السموم فآجر والمعزهم برهم وحقه عليهم ان نجاهم من عذاب السموم بمحض منته عليهم وقد قال اعلم الخالق بالله وأحبهم اليه وأقربهم منه وأطوعهم له ان يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولأنت يا رسول الله قال ولأنا إلا ان يتعدنى الله برحمته منه وفضل وقال ان الله لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذب بهم وهو غير ظالم لهم ولورحمهم لكأن رحمة لهم خيرا من أعمالهم والاول في الصحيح والثاني في المسند والسنن وصححه الحاكم وغيره فآخبر سيد العالمين والعالمين انه لا يدخل الجنة بعمله وقالت القدرية أنهم يدخلونها بأعمالهم لثلاث يتكدر نعيمهم عليهم عيشة الله بل يكون ذلك التعميم عوضا عما رمى الساف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم القدرية عن قوس واحدة الإلظام بدعهم ومناقضها لما بعث الله به أنبياءه ورسله فلو أتى العباد بكل طاعة وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المننة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم فهو المان بفضله فمن أنكر منته فقد أنكر إحسانه وأما قوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) فلم يختلف أهل العلم بالله ورسوله وكتابه ان معناه غير مقطوع ومنه ريب المنون وهو الموت لانه يقطع العمر

فصل — ومن ذلك قوله تعالى (وأغرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وقوله (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) وهذا الاغراء والالقاء محض فعله سبحانه والتباغض والتباغض أثره وهو محض فعلهم وأصل ضلال القدرية والخيرية من عدم اهتدائهم الى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد فالخيرية جعلوا التعادى والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذي لا صنع لله فيه ولا قدرة ولا مشيئة وأهل الصراط السوى جعلوا ذلك فعلهم وهو أثر فعل الله وقدرته ومشيئته كما قال تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) قال التفسير فعله والسير فعل العباد وهو أثر التسيير وكذلك الهدى والاضلال فعله والاهتداء والضلال أثر فعله وهما أفعالنا القائمة بنا فهو الهادى والعبد المهتدى وهو الذى يضل من يشاء والعبد الضال وهذا حقيقة وهذا

حقيقة والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان

فصل ومن ذلك قوله تعالى عن خليله إبراهيم انه قال (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الاصنام) فهاتان أمران تخيب عبادتها واجتنبها فسأل الخليل ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها ليحصل منهم اجتنابها فالاجتناب فعلمهم والتجنب فعله ولا سبيل الي ففهمهم الا بعد فله ونظير ذلك قول يوسف الصديق (رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصاب اليهن وأكن من الجاهلين) فسجناب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) وصرف كيدهن هو صرف دواعي قلوبهم ومكرهن بالسنن وأعمالهن وتلك أفعال اختيارية وهو سبحانه الصارف لها فالصرف فعله والا تصرف أثر فعله وهو فعل النسوة ومن ذلك قوله سبحانه لئيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولو لان ابتلاك اقدكدت تركن اليهم شيا قليلا) فالتبنيث فعله والثبات فعل رسوله فهو سبحانه المثبت وعبدته الثابت ومثله قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضلل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) فاخبر سبحانه أن تثبيت المؤمنين وازلال الظالمين فعله فانه يفعل ما يشاء واما الثبات والاضلال فخص أفعالهم ومن ذلك قوله تعالى (فبا نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه) فاخبرانه هو الذي قسى قلوبهم حتى صارت قاسية فالقاسوة وصفها وفعالها وهي أثر فعله وهو جعلها قاسية وذلك أثر معاصيهم ونقضهم ميثاقهم وتركهم بعض ما ذكروا به فالآية مبجلة لقول القدريية والجبرية

فصل ومن ذلك قوله تعالى (فاخرجناهم من جنات وزيروع ومقام كريم) وهم اما خرجوا باختيارهم وقد أخبر انه هو الذي أخرجهم فالإخراج فعله حقيقة والخروج فعلمهم حقيقة ولولا إخراجهم لما خرجوا وهذا بخلاف قوله (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجهم إخراجا) وقوله (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر) وقوله (أخرجكم من بطون أمهاتكم) فان هذا الإخراج لأصنع لهم فيه فانه بغير اختيارهم وإرادتهم وأما قوله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) فيحتمل أن يكون إخراجا بقدره ومشيئته فيكون من الاول ويحتمل أن يكون إخراجا يوجب به أمره فلا يكون من هذا فيكون الإخراج في كتاب الله ثلاثة أنواع أحدها إخراج الخارج باختياره ومشيئته والثاني إخراجة قهرا وكرها والثالث إخراجة أمرا وشرعا

فصل وقد ظن طائفة من الناس ان من هذا الباب قوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمي) وجعلوا ذلك من أدلهم على القدريية ولم يفهموا مراد الآية وليست من هذا الباب فان هذا خطاب لهم في وقعة بدر حيث أنزل الله سبحانه ملائكته فقتلوا أعداءه فلم يفرد المسلمون بقتلهم بل قتلهم الملائكة وأما رميه صلى الله عليه وسلم فقد ورد كان هو الحذف والالقاء واما إيصال مارمي به الى وجوه العدو مع البعد وإيصال ذلك الى وجوه جميعهم فلم يكن من فعله ولكنه فعل الله وحده فالرمي يراد به الحذف والإيصال فأنبت له الحذف بقوله إذ رميت ونفى عنه الإيصال بقوله وما رميت

فصل ومن ذلك قوله (وانه هو أضحك وبكى) والضحك والبكاء فعلان اختياريان فهو سبحانه المضحك المبكي حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة وتأويل الآية بخلاف ذلك إخراج للكلام

عن ظاهره بغير موجب ولا منافاة بين ما يذكر من تلك التأويلات وبين ظاهره فإن اضحك الأرض بالنبات وابكاء السماء بالمطر واضحك العبد وابكاء بخالق آلات الضحك والبكاء له لاينافي حقيقة اللفظ وموضوعه ومعناه من أنه جاعل الضحك والبكاء فيه بل الجميع حق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) ورؤية البرق أمر واقع باحساسهم فالإراءة فعله والرؤية فعلنا ولا يقال إراءة البرق خلقه فإن خلقه لا يسمى إراءة ولا يستلزم رؤيتا له بل إراءتنا له جعلنا نراه وذلك فعله سبحانه ومن ذلك قول الخضر لموسى (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) فبلغوا الإشد ليس من فعلهما واستخرجا الكنز من أفعالهما الاختيارية وقد أخبر أن كليهما بإرادته سبحانه ومن ذلك قوله تعالى عن السحرة (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله) وليس أذنه هاهنا أمره وشرعه بل قضاءه وقدره ومشيئته فهو إذا كوفى قدرى لاديني أمرى

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (والزهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وكلمة التقوى هي الكلمة التي يتق الله بها وأعلى أنواع هذه الكلمة هي قول لا اله الا الله ثم كل كلمة يتق الله بها بعد هذا فهي من كلمة التقوى وقد أخبر سبحانه أنه ألزمها عباده المؤمنين جعلها لازمة لهم لا ينفكون عنها فبالإزامة التزموها ولولا الإزامة لهم إياها لما التزموها والتزامها فعل اختياري تابع لإرادتهم واختيارهم فهو الملتزم وهم الملتزمون

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (إن الإنسان خلق هولوًا إذا مسه الجزع وإذا مسه الجزع) وهذا تفسير الهلوع وهو شدة الحرص الذي يترتب عليه الجزع والمنع فأخبر سبحانه أنه خالق الإنسان كذلك وذلك صريح في أن هلمه مخلوق لله كما أن ذاته مخلوقة فالإنسان بمجملته ذاته وصفاته وأفعاله وأخلاقه مخلوق لله ليس فيه شيء خلق لله وثنى خلق لغيره بل الله خالق الإنسان بمجملته وأحواله كلها فالحال فعله حقيقة والله خالق ذلك فيه حقيقة فليس الله سبحانه بهلوع ولا العبد هو الخالق لذلك (فصل) ومن ذلك قوله تعالى (وما كان لفسن أن يؤمن إلا بأذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وأذنه هاهنا قضاءه وقدره لا مجرد أمره وشرعه كذلك قال السلف في تفسير هذه الآية قال ابن المبارك عن الثوري بقضاء الله وقال محمد بن جرير يقول جل ذكره لثيبه ومالئفس خلقها من سبيل الى أن تصدقك إلا أن يأذن لها في ذلك فلا تجهدن نفسك في طلب هداها وبلغها وعيد الله ثم خلتها فإن هداها بيد خالقها وما قبل الآية وما بعدها لا يدل الا على ذلك فانه سبحانه قال (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) أى لا تكني دعوتك في حصول الإيمان حتى يأذن الله لمن دعوته أن يؤمن ثم قال قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون قال ابن جرير يقول تعالى يا محمد قل لهؤلاء السائلينك الآيات على صحة ما تدعو اليه من توحيد الله وخلع الانداد والاولان انظروا أيها القوم ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقية ما تدعوكم اليه من توحيد الله من شمسها وقرها واختلاف لياها ونهارها وزول النيب بارزاق العباد من سحابها وفي الأرض من جبالها وتصدها بناتها وأقوات أهلها وسائر صنوف عجائبها فان في ذلك لكم ان عقلم وتدبرتم

عظة ومعتبرا ودلالة على ان ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك ولا له على حفظه وتديره ظهير بغنيكم عما سواها من الآيات وما يغني عن قوم قد سبق لهم من الله الشقاء وقضى عليهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار فهم لا يؤمنون بشئ من ذلك ولا يصدقون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى ١ وكل انسان أزمان طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال ابن جرير وكل انسان أزمان ما قضى له أنه عامله وما هو صائر اليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفرقه وهذا ما قاله الناس في الآية وهو ما طار له من الشقاء والسعادة وما طار عنه من العمل ثم ذكر عن ابن عباس قال طائر عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أينما كان وزائل معه أينما زال وكذلك قال ابن جريج وقتادة ومجاهد هو عمله زاد مجاهد وما كتب له وقال قتادة أيضا سعادته وشقاوته بعمله قال ابن جرير فان قال قائل فكيف قال أزمان طائر في عنقه ان كان الامر على ما وصفت ولم يقل في يديه أو رجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد قيل ان العنق هي موضع السمات وموضع القلائد والاطوق وغير ذلك مما يزين أو يشين فخرى كلام العرب بنسبة الاشياء اللازمة سائر الابدان الى الاعناق كما اضافوا اجناب أعضاء الابدان الى اليد فقالوا ذلك بما كسبت يدها وان كان الذي جره عليه لسانه أو فرجه فكذلك قوله (أزمان طائر في عنقه) وقال الفراء الطائر معناه عندهم العمل قال الازهرى والاصل في هذا ان الله سبحانه لما خلق آدم عم المطيع من ذريته والمعاصي فكتب ماعله منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا فطار لكل ما هو صائر اليه عند خلقه وانشائه وأما قوله في عنقه فقال أبو اسحاق انما يقال للشئ اللازم هذا في عنق فلان أى لزومه له كزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوقك كذا وقادت كذا أى صرفته نحوك وألزمتك اياه ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق وقيل انما خص العنق لان عمله لا يتخلو اما أن يكون خيرا أو شرا وذلك مما يزين أو يشين كالخلى والغل فاضيف الى الاعناق قالت القدرية الزامه ذلك وسمه به وتعليمه بعلامة يعرف الملائكة انه سعيد أو شقي والخبر عنه لانه ألزمه العمل فجعله لازما له قال أهل السنة هذه طريقة لكم معروفة في تحريف الكلام عن مواضعه سلكتوها في الجنب والطبع والقل وهذا لا يعرفه أهل اللغة وهو خلاف حقيقة اللفظ وما فسره به اعلم الامه بالقرآن ولا يعرف ما قاتموه عن أحد من سلف الامه البتة ولا يفسر الآية غيركم به ولا يصح حل الآية عليه فان الخبر عنه بذلك والعلامة اعلم بها انما حصل بعد طائر الازم له من عمله فلما ألزمه ذلك الطائر ولم ينفك عنه أخبر عنه بذلك وصارت عليه علامة وسمه ونحن قد أريناكم أقوال أئمة الهدى وسلف الامه في الطائر فارونا قولكم عن واحد منهم قاله قبلكم وكل طائفة من أهل البدع تجر القرآن الى بدعها وضلالها وتفسره بمذاهبها وآرائها والقرآن برئ من ذلك وبالله التوفيق

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (وما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلك في قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وقد وقع هذا المعنى في القرآن في موضعين هذا أحدهما والثاني في سورة الشعراء في قوله (ولو نزلنا على بعض العجمين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك نسلكتنا في

قاوب المحرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الآليم) قال ابن عباس سلك الشرك في قلوب المكذبين كما سلك الحُرزة في الحيط وقال أبو اسحاق أى كما فعل بالمجرمين الذين استهزؤا بمن تقدم من الرسل كذلك سلك الضلال في قلوب المجرمين واحتافتوا في مفسر الضمير في قوله نسلكه فقال ابن عباس سلكنا الشرك وهو قول الحسن وقال الزجاج وغيره هو الضلال وقال الربيع يعنى الاستهزاء وقال الفراء التكذيب وهذه الأقوال ترجع الى شئ واحد والتكذيب والاستهزاء والشرك كل ذلك فعملهم حقيقة وقد أخبر أنه سبحانه هو الذى سلكه في قلوبهم وعندى في هذه الأقوال شئ فان الظاهر ان الضمير في قوله لا يؤمنون به هو الضمير في قوله سلكناه فلا يصح أن يكون المبنى لا يؤمنون بالشرك والتكذيب والاستهزاء فلا تصح تلك الأقوال الا باختلاف مفسر الضمير والظاهر اتحادها فالذين لا يؤمنون به هو الذى سلكه في قلوبهم وهو القرآن فان قيل فما معنى سلكه اياه في قلوبهم وهم يتكبرونه قبل سلكه في قلوبهم بهذه الحال أى سلكناه غير مؤمنين به فدخل في قلوبهم مكذبا به كما دخل في قلوب المؤمنين مصدقا به وهذا مراد من قال ان الذى سلكه في قلوبهم هو التكذيب والضلال ولكن فسر الآية بالمعنى فانه اذا دخل في قلوبهم مكذبين به فقد دخل التكذيب والضلال في قلوبهم فان قيل فما معنى ادخاله في قلوبهم وهم لا يؤمنون به قيل لتقوم عليهم بذلك حجة الله فدخل في قلوبهم وعلموا انه حق وكذبوا به فلم يدخل في قلوبهم دخول مصدق به مؤمن به مرضى به وتكذبهم به بعد دخوله في قلوبهم أعظم كفرا من تكذبهم به قبل أن يدخل في قلوبهم فان المكذب بالحق بعد معرفته له شر من المكذب به ولم يعرفه فتأمل فانه من فقه التفسير والله الموفق للصواب

فصل ٢٠ ومن ذلك قوله تعالى (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) فالارسال هاهنا ارسال كونه قدرى كالرسال الرياح وليس بالرسال دينى شرعى فهو ارسال تسليط بخلاف قوله في المؤمنين (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) فهذا السلطان المنفى عنه على المؤمنين هو الذى أرسل به جنده على الكافرين قال أبو اسحاق ومعنى الارسال ههنا التسليط تقول قد أرسلت فلانا على فلان اذا سلطته عليه كما قال (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من أتبعك من الفاوين) فاعلم ان من أتبعه هو مسلط عليه قلت ويشهد له قوله تعالى (انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقوله (تؤزهم أزا) فالأز في اللغة التحريك والتهيج ومنه يقال غلبان القدر الازيز لتحرك الماء عند الغلبان وفي الحديث كان لصدور رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كازيز المرجل من البكاء وعبارات الساف تدور على هذا المعنى قال ابن عباس تقريرهم اغراء وفي رواية أخرى عنه تساهم سلا وفي رواية أخرى تحرزهم تحريضا وفي أخرى ترزجهم للماصى ازعاجا وفي أخرى توقدهم إيقادا أى كما تحرك الماء بالوقد تحته قال أبو عبيدة الازيز الالهاب والحركة كالتهاب النار في الحطب يقال إز قدرك أى ألهب تحتها النار وانتزعت النار اذا اشتد غلبتها وهذا اختيار الاخفش والتحقيق ان اللفظة تجمع المعنيين جميعا . قالت القدريه معنى أرسلنا الشياطين على الكافرين خلينا بينهم وبينهم ليس معناه التسليط قال أبو على الارسال يستعمل بمعنى التخيلة بين المرسى وما يريد فمعنى الآية خلينا بين الشياطين وبين الكافرين ولم يمنهم منهم ولم يعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان قال الواحدى الى هذا الوجه يذهب القدريه في معنى الآية قال وليس المعنى على

ما ذهبوا اليه وقال أبو اسحاق واختار انهم أرسلوا عليهم وقبض لهم بكفرهم كما قال تعالى (ومن يمش
عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فهو له قرين) وقال وقبضنا لهم قرنا فزبنوا لهم ما بين أيديهم
وما خلفهم) وانما معنى الارسال التسليط قلت وهذا هو المفهوم من معنى الارسال كما في الحديث اذا أرسلت
كاتبك المعلم أى سلطته ولو خلى بينه وبين الصيد من غير ارسال منه لم يسبح صيده وكذلك قوله (وفي
عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى سلطناها وسخرناها عليهم وكذلك قوله (وأرسل عليهم طيرا
أبابيل) وكذلك قوله (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) والتخيلة بين المرسل وبين ما أرسل عليه
من لوازم هذا المعنى ولا يتم التسليط الا به فاذا أرسل الله الذى من طبعه وشأنه ان يفعل فعلا ولم
تتمعه من فعله فهذا هو التسليط ثم ان القدرة تناقضا في هذا القول فاتهم ان جوزوا منهم منهم
وعصمتهم واعادتهم فقد نقضوا أصلهم فان منع المختار من فعله الاختيارى مع سلامة التية وصحة بنيته
تدل على ان فعله وتركه مقدور لرب وهذا عين قول أهل السنة وان قالوا لا يقدر على منعهم وعصمتهم
منهم واعادتهم فقد جعلوا قدرتهم ومشيتهم بفعل مالا يقدر الرب على المنع منه وهذا بطل الباطل ثم
قالت القدرة تؤزهم اذا تأمرهم بالمعاصى أمرا وحكوا ذلك عن الضحك وهذا لا يلتفت اليه اذ يقال
لمن أمر غيره بشئ قد أذره ولا تساعد اللغة على ذلك ولو كان ذلك صحيحا لكان يؤز المؤمنين أيضا
فانه يأمرهم بالمعاصى أكثر من أمر الكافرين فان الكافر سريعا الطاعة والقبول من الشيطان فلا
يحتاج من أمره ما يحتاج اليه من أمر المؤمنين بل يأمر الكافر مرة ويأمر المؤمن مرات فلو كان
الأمر الامر لم يكن له اختصاص بالكافرين

فصل ومن ذلك قوله تعالى (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إلى الناس من شر الوسواس
الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) وقوله (أعوذ بك من هزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون) وقوله (فاذا قرأت القرآن فاستمع بالله من الشيطان الرجيم) ومن
المعلوم ان الاعادة من الشيطان الرجيم ليست باماته ولا تعطيل آت كيده وانما هى بان يعصم المستعذ
من اذاه له ويحول بينه وبين فعله الاختيارى له فدل على ان فعله مقدور له سبحانه ان شاء سلطه على
العبد وان شاء حال بينه وبينه وهذا على أصول القدرة باطل فلا يثبتون حقيقة الاعادة وان أثبتوا
حقيقة الاستعاذة من العبد وجماعوا الآية ردا على الجبرية والخبرية أثبتوا حقيقة الاعادة ولم يثبتوا
حقيقة الاستعاذة من العبد بل الاستعاذة فعل الرب حقيقة كما ان الاعادة فعله وقد ضل الطائفتان عن
الصراط المستقيم وأصاب كل طائفة منهما فيما أثبتته من الحق

فصل ومن ذلك قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقول هود وما توفيقى الا بالله
ومعالم ان الصبر والتوفيق فعل اختيارى للعبد وقد أخبرنا به لابل العبد وهذا لا ينفعنى أن يكون فعلا
للعبد حقيقة ولهذا أمر به وهو لا يأمر عبده بفعل نفسه سبحانه وانما يؤمر العبد بفعله هو ومع هذا
فليس فعله واقعا به وانما هو بالخالق لكل شئ الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فالتصير منه سبحانه
وهو فعله والصبر هو القائم بالعبد وهو فعل العبد ولهذا أتى على من يسأله أن يصبر فقال تعالى (ولما
برزوا للجبالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزم موهم
بأذن الله) ففى الآية أربعة أدلة أحدها قولهم أفرغ علينا صبرا والصبر فعلهم الاختيارى فسأله عن هو

بيده ومشيئته وأذنه ان شاء أعطهموه وان شاء منعهموه . الثاني قولهم وثبت أقدامنا وثبات الأقدام فعل اختياري ولكن التثبيت فعله والثبات فعلهم ولا سبيل الى فعلهم الا بعد فعله . الثالث قولهم وانصرنا على القوم الكافرين) فأنشأه النصر وذلك بان يقوى عزائمهم ويشجعهم ويصبرهم ويشبهم ويبقى في قلوب أعداهم الحور والخوف والرعب فيحصل النصر وأيضا فان كون الانسان منصورا على غيره اما ان يكون بافعال الجوارح وهو واقع بقدرة العبد واختياره واما ان يكون بالحجة والبيان والعلم وذلك أيضا فعل العبد وقد أخبر سبحانه ان النصر بحجته من عنده وأثنى على من طلبه منه وعند القدرة لا يدخل تحت مقدور الرب . الرابع قوله فهزمهم بإذن الله وأذنه هاهنا هو الاذن الكوني القدرى أى بمشيئته وقضائه وقدره ليس هو الاذن الشرعى الذى بمعنى الامر فان ذلك لا يستازم الهزيمة بخلاف اذنه الكوني وأمره الكوني فان المأمور المكون لا يخاف عنه البتة

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتسع هواه) وفي الآية رد ظاهر على الطائفتين وإبطال لقولهما فانه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره ففعل هو فالأغفل فعل الله والغفلة فعل العبد ثم أخبر عن أتباعه هواه وذلك فعل العبد حقيقة والقدرة تحرف هذا النص وامثاله بالتسمية والعلم فيقولون معنى أغفلنا قلبه سمناء غافلا أو وجدنا غافلا أى علمناه كذلك وهذا من تحريفهم بل أغفلته مثل أفتته وأفعدته وأغنيته وأفقرته أى جعلته كذلك وأما أفعلته أو أوجدته كذلك كاحمدته وأحجنه وأجخلته وأعجزته فلا يقع في أفعال الله البتة انما يقع في أفعال العاجزان يجعل جباناً وبخيلاً وعاجزاً فيكون معناه صادفته كذلك وهل يخطر بقلب الداعى اللهم اقدرنى أو أوزعنى والهمنى أى سمنى واعلمنى كذلك وهل هذا الا كذب عليه وعلى المدعو سبحانه والعقلاء يعلمون علما ضروريا ان الداعى انما سأل الله أن يخلق له ذلك ويشاء له ويقدره عليه حتى القدرى اذا غاب عنه بدعته وما تقلده عن أشياخه واسلافه وبقي وفطرته لم يخطر بقلبه سوى ذلك وأيضا فلا يمكن أن يكون العبد هو المغفل لنفسه عن الشيء فان اغفاله لنفسه عنه مشروط بشعوره به وذلك مضاد لغفلته عنه بخلاف اغفال الرب تعالى له فانه لا يضاد علمه بما يغفل عنه العبد بخلاف غفلة العبد فانها لا تكون الا مع عدم شعوره بالمغفول عنه وهذا ظاهر جدا فثبت ان الاغفال فعل الله بعبد والغفلة فعل العبد

(فصل) ومن ذلك قوله تعالى اخبارا عن نبيه شعيبانه قال لقومه (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذنحنا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) وهذا يبطل تأويل القدرة المشقة في مثل ذلك بمعنى الامر فقد علمت انه من الممتنع على الله ان يأمر بالدخول في ملة الكفر والشرك به ولكن استنوا بمشيئته التى يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء ثم قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فرد الامر الى مشيئته وعلمه فان له سبحانه في خلقه علم محيط ومشيئته نافذة وراء ما بعلمه الخلاق فامتناعنا من العود فيها هو مبلغ علومنا ومشيئتنا والله علم آخر ومشيئة أخرى وراء علومنا ومشيئتنا فلذلك رد الامر اليه ومثله قول ابراهيم (ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء الله ربى شئاً وسع ربى كل شئ) علما فلا يتذكرون (فاعادت الرسل بكمال معرفتها بالله أمورها الى مشيئة الرب وعلمه ولهذا أمر الله رسوله أن لا يقول لشيء انه فاعله حتى يستثنى بمشيئة الله فانه ان شاء فاعله

وان شاء لم يفعله وقد تقدم تقرير هذا المعنى وبالجملة في كل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أعمال العباد ولهذا كان اثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس الإيمان بالاندر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده

الباب الرابع عشر

في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

هذا المذهب هو قلب أبواب القدر ومسائله فان أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال وكل نعمة دون نعمة الهدى وكل مصيبة دون مصيبة الضلال وقد اتفقت رسل الله من أولهم الى آخرهم وكتبته المنزلة عليهم على انه سبحانه يفضل من يشاء ويهدي من يشاء وانه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وان الهدى والاضلال بيده لا بيد العبد وان العبد هو الضال أو المتهدى فالهداية والاضلال فعله سبحانه وقدره والاعتداء والضلال فعل العبد وكسبه ولا بد قبل الخوض في تقرير ذلك من ذكر مراتب الهدى والضلال في القرآن فاما مراتب الهدى فاربعة . احدها الهدى العام وهو هداية كل نفس الى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتب . المرتبة الثانية الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة الى مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الاولى وأعم من الثالثة . المرتبة الثالثة الهداية المستزمنة للاعتداء وهي هداية التوفيق ومشية الله لعبده الهداية وخلقته دواعي الهدى وارادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التي لا يقدر عليها الا الله عز وجل . المرتبة الرابعة الهداية يوم المعاد الى طريق الجنة والنار

فصل في مراتب الهدى فقد قال سبحانه اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى) فذكر سبحانه أربعة أمور عامة الخلق والتسوية والتقدير والهداية وجعل التسوية من تمام الخلق والهداية من تمام التقدير قال عطاء خلق فسوى أحسن ما خلقه وشاهده قوله تعالى (الذي أحسن كل شئ خلقه) فاحسان خلقه يتضمن تسويته وتناسب خلقه وأجزائه بحيث لم يحصل بينها تفاوت يخل بالنسب والاعتدال فالخلق الإيجاد والتسوية اتقانه واحسان خلقه وقل الكلي خلق كل ذى روح فجمع خلقه وسواه باليدن والعينين والرجلين وقال مقاتل خلق لكل دابة ما يصلح لها من الخلق وقال أبو اسحاق خلق الانسان مستويا وهذا تمثيل والا فالخلق والتسوية شامل للانسان وغيره قال تعالى (ونفس وما سواها) وقال (فسواهن سبع سموات) فالتسوية شاملة لجميع مخلوقاته (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) وما يوجد من التفاوت وعدم التسوية فهو راجع الى عدم اعطاء التسوية للمخلوق فان التسوية أمر وجودى تتعلق بالتأثير والابداع فما عدم منها فاعدم ارادة الخلق للتسوية وذلك أمر عدمى يكفي فيه عدم الابداع والتأثير فتأمل ذلك فانه يزيل عنك الاشكال في قوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فالتفاوت حاصل بسبب عدم مشية التسوية كما كان الجهل والصمم والعمى والخرس والبيكم يكنى فيها عدم مشية خلقها وإيجادها وتما هذا يأتي ان شاء الله في باب دخول الشر في القضاء عند قول النبي صلى الله عليه وسلم والشر ليس إليك والمتصودان كل

مخلوق فقد سواه خالقه سبحانه في مرتبة خلقه وان فاتته التسوية من وجه آخر لم يخلق له
 ﴿فصل﴾ وأما التقدير والهداية فقال مقاتل قدر خلق الذكر والانثى فهدى الذكر للانثى كيف
 يأتيها وقال ابن عباس والكلي وكذلك قال عطاء قدر من النسل ما أراد ثم هدى الذكر للانثى واختار
 هذا القول صاحب النظم فقال معنى هدى هداية الذكر لانثى كيف يأتيها لان آتيان ذكر ان
 الحيوان لانائه مختلف لاختلاف الصور والخلق والهيآت فلولا انه سبحانه جبل كل ذكر على معرفة
 كيف يأتي أنثى جنسه لما اعتدى لذلك وقال مقاتل ايضا هداة لمعيشته ومرعاه وقال السدي قدر مدة
 الجنين في الرحم ثم هداة للخروج وقال مجاهد هدى الانسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة
 وقال الفراء التقدير هدى وأضل فاكتفى من ذكر أحدهما بالآخر قلت الآية أعم من هذا كله
 وأضنف الاقوال فيها قول الفراء إذ المراد هاهنا الهداية العامة لمصالح الحيوان في معاشه ليس المراد
 هداية الايمان والضلال بمشيئته وهو نظير قوله (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فأعطاء الخلق
 الجاهل في الخارج والهداية التامع والدلالة على سبيل بقائه وما يحفظه وبقيمه وما ذكر مجاهد فهو تمثيل
 منه لتفسير مطابق للآية فان الآية شاملة لهداية الحيوان كله ناطقه ومهيمة طيره ودوابه فضيحه وأعجبه
 وكذلك قول من قال انه هداية الذكر لانثى انثى تمثيل أيضا وهو فرد واحد من أفراد الهداية
 التي لا يخصها الا الله وكذلك قول من قال هداة للمرعى فان ذلك من الهداية فان الهداية الى النقام
 التي عند خروجه من بطن أمه والهداية الى معرفته أمه دون غيرها حتى يتبعها أين ذهبت والهداية
 الى قد ما ينفعه من المرعى دون ما يضره منه وهداية الطير والوحش والدواب الى الافعال العجيبة
 التي يعجز عنها الانسان كهداية النحل الى سلوك السبل التي فيها مراعيها على تباينها ثم عودها الى بيوتها من
 الشجر والجبال وما يفرس بنو آدم وأمر النحل في هدايتها من أعجب العجائب وذلك أن لها أميرا ومديرا
 وهو اليمسوب وهو أكبر جسمان جميع النحل وأحسن لونا وشكلا وأناث النحل تلد في إقبال
 الربيع وأكثر أولادها يكن اناثا واذا وقع فيها ذكر لم تدعه بينها بل امانا ان تطرده واما أن تقتله
 الاطافقة يسيرة منها تكون حول الملك وذلك ان الذكر منها لا تعمل شيئا ولا تكسب ثم يجمع الامهات
 وفرأخها عند الملك فيخرج بها الى المرعى من المروج والرياح والبساتين والمراعي في أقصد الطرق
 وأقربها فيجتنى منها كفايتها فيرجع بها الملك فإذا انتهوا الى الحلايا وقف على بابها ولم يدع ذكر او اولا
 نخلة غريبة تدخلها فإذا تكامل دخولها دخل بعدها وتواجدت النحل مقاعدها وأما كنهها فيتدنى
 الملك بالعمل كانه يعلمها إياه فيأخذ النحل في العمل ويتسارع اليه ويترك الملك العمل ويجلس ناحية
 بحيث يشاهد النحل فيأخذ النحل في إيجاد الشمع من لزوجات الاوراق والانوار ثم تقسم النحل
 فرقافنها فرقة تازم الملك ولا تقارقه ولا تعمل ولا تكسب وهم حاشية الملك من الذكورة ومنها
 فرقة تربي الشمع وتصنعه والشمع هو ثقل العسل وفيه حلاوة كحلاوة الزين وللنحل فيه عناية شديدة
 فوق عنايتها بالعسل فينظفه النحل ويصفيه ويخاضه مما يخالطه من أبوالها وغيرها وفرقة تبني البيوت
 وفرقة تسقي الماء وتحمله على متونها وفرقة تكنس الحلايا وتنظفها من الاوساخ والحيف والزبل واذا
 رأت بينها نخلة مهينة بظالة قطعها وقتلها حتى لا تنفسد اعين نية العمال وتعيدهن ببطلتها ومهايتها وأول
 ما يبني في الخلية مقعد الملك وبيته فيبني له يتمازعا يشبه السرير والتخت فيجلس عليه ويستدير حوله

طائفة من النحل يشبه الامراء والخدم والخواص لا يفارقه ويجعل النحل بين يديه شياً يشبه الحوض يصب فيه من العسل أصفى ما يقدر عليه ويأخذ منه الحوض يكون ذلك طعاما للملك وخواصه ثم يأخذن في ابتناء البيوت على خطوط متساوية كأنها سكك ومحال وتبنى بيوتها سدسة متساوية الاضلاع كأنها قرأت كتاب اقليدس حتى عرفت أوفق الاشكال لبيوتها لان المطلوب من بناء الدور هو الوثاقه والسعة والشكل المسدس دون سائر الاشكال اذا انضمت بعض اشكاله الى بعض صار شكلا مستديرا كاستدارة الرحى ولا يبقى فيه فروج ولا خلل ويشد بعضه بعضا حتى يصير طبقا واحدا محكما لا يدخل بين بيوتها رؤس الابرفبارك الذى ألهمها أن تبنى بيوتها هذا البناء المحكم الذى يعجز البشر عن صنع مثله فعلت انها محتاجة الى أن تبنى بيوتها من اشكال موصوفة بصفتين احدهما ان لا يكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق معطلا الثانية أن تكون تلك البيوت مشكلة باشكال اذا انضم بعضها الى بعض وامتلاّت العرصة منها فلا يبقى منها ضائعا ثم انها علمت ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط فان المثلثات والمربعات وان أمكن امتلاء العرصة منها الا ان زواياها ضيقة واما سائر الاشكال وان كانت زواياها واسعة الا انها لا تمتلئ العرصة منها بل يبقى فيها بينها فروج خالية ضائعة واما المسدس فهو موصوف بهاتين الصفتين فهذه اها سبحانه على بناء بيوتها على هذا الشكل من غير مسطر ولا آلة ولا مثال يحتذى عليه وأصنع بنى آدم لا يقدر على بناء البيت المسدس الا بالآلات الكبيرة فبنارك الذى هداها ان تسلك سبل مراعيها على قوتها وتأتمها ذلالا لا تستعصى عليها ولا تضل عنها وان يجتنى أطيب ما في المرعى والطفه وأن آمود الى بيوتها الحالية فتسب فيها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس في ذلك لايات لقوم يتفكرون فاذا فرغت من بناء البيوت خرجت خصاصا تسبح سهلا وجبالا فالت من الحلاوات المرتفعة على رؤس الازهار وورق الاشجار فترجع بطانا وجعل سبحانه في أفواهها حرارة منضجة تنضج ما جنته فيعيده حلاوة ونضجا ثم تجتمع في البيوت حتى اذا امتلاّت ختمتها وسدت رؤسها بالشمع المصفى فاذا امتلاّت تلك البيوت عمدت الى مكان آخر ان صادفته فاتخذت فيه بيوتا وفعلت كما فعلت في البيوت الاولى فاذا برد الهوى وأخاف المرعى وحيل بينها وبين الكسب لزمّت بيوتها واعتذرت بما ادخرته من العسل وهى في أيام الكسب والسعى تخرج بكرة وتسيح في المراتع وتستعمل كل فرقة منها بما ينحسها من العمل فاذا أمت رجعت الى بيوتها واذا كان وقت رجوعها وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان فكل نخلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدوها فان وجد منها رائحة منكراً أو رأى بها لطخة من قدر منعها من الدخول وعزلها ناحية الى أن يدخل الجميع فيرجع الى المعزولات المنوعات من الدخول فيفقدهن ويكشف أحوالهن مرة ثانية فمن وجدته قد وقع على شئ منتهى أو نجس قدّمه نصفين ومن كانت جنايته خفيفة تركه خارج الخلية هذا دأب البواب كل عشيّة وأما الملك فلا يكثر الخروج من الخلية الا نادرا اذا اشتى التزه فيخرج ومعه أمراء النحل والحلم فيطوف في المروج والرياض والبساتين ساعة من النهار ثم يعود الى مكانه ومن عجيب أمره انه ربما لحقه أذى من النحل أو من صاحب الخلية أو من خدمه فيغضب ويخرج من الخلية ويتقاعد عنها ويتبعه جميع النحل وتبقى الخلية خالية فاذا رأى صاحبها ذلك وخاف أن يأخذ النحل وبذهب بها الى مكان آخر احتال لاسترجاعه وطلب رضاه فيتعرف موضعه الذى صار اليه بالنحل فيعرفه

باجتماع النحل اليه فانها لاتفارقه وتجتمع عليه حتى تصير عليه عنقودا وهو اذا خرج غضبا جالس على مكان مرتفع من الشجرة وطافت به النحل وانضمت اليه حتى يصير كالكرة فيأخذ صاحب النحل رمحا أو قصبه طويلة ويشد على رأسه حزمة من النبات الطيب الرائحة العطر النظيف ويدنيه الى محل الملك ويكون معه إما مزهر أو براع أو شيء من آلات الطرب فيحركه وقد أدنى اليه ذلك الحشيش فلا يزال كذلك الى أن يرضى الملك فاذا رضى وزال غضبه طفر ووقع على الضفت وتبعه خدمه وسائر النحل فيحمله صاحبه الى الخلية فينزل ويدخلها هو وجنوده ولا يقع النحل على حيفة ولا حيوان ولا طعام ومن عجيب أمرها أنها تقتل الملوك الفاسدة ولاتدين لضعاتها والنحل الصغار المجتمع على الخلق هي العسالة وهي تحاول مقاتلة الطوال القليلة النفع واخراجها ونفيها عن الخلايا واذا فعلت ذلك جاد العسل وتجهد أن تقتل ما تريد قتله خارج الخلية صيانة لداخله عن حيفته ومنها صنف قليل النفع كبير الجسم وبينها وبين العسالة حرب فهي تقصدها وتقاتلها وتفتح عليها بيوتها وتقصد هلاكها والعسالة شديدة التيقظ والتحفظ منها فاذا هجمت عليها في بيوتها حاولتها وأجأها الى أبواب البيوت فتتألم بالعسل فلا تقدر على الطيران ولا يفلت منها الاكل طويل العمر فاذا انقضت الحرب وبرد القتال عادت الى القتلى فحملتها وألقها خارج الخلية وقد ذكرنا ان الملك لا يخرج الا في الاحايين واذا خرج خرج في جوع من الفراخ والشبان واذا عزم على الخروج ظل قبل ذلك اليوم أو يومين يعلم الفراخ وينزلها منازلها ويرتبها فيخرج ويخرجن معه على ترتيب ونظام قد دبره معهن لا يخرجن عنه واذا تولدت عنده ذكران عرف أنهم يتطلبن الملك فيجعل كل واحد منهم على طائفة من الفراخ ولا يقتل ملك منها ملكا آخر لما في ذلك من فساد الرعية وهلاكها وتفرقها واذا رأى صاحب الخلية الملوك قد كثرت في الخلية وخاف من تفرق النحل بسبهم احتال عليهم وأخذ الملوك كلها الا واحدا ويحبس الباقي عنده في آناء ويدع عندهم من العسل ما يكفهم حتى اذا حدث بالملك المنسوب حدث مرض أو موت أو كان مفسدا فقتله النحل أخذ من هؤلاء المحبوسين واحدا وجعله مكانه ثلاثا يبقى النحل بلا ملك فيتشتت أمرها ومن عجيب أمرها ان الملك اذا خرج منزله ومعه الامراء والجنود ربما لحقه إعياء فتحمله الفراخ وفي النحل كرام عمال لها سعى وهمة واجتهاد وفيها لئام كسالى قليلة النفع مؤثرة للبطالة فالكرام دائما تطردها وتسفيها عن الخلية ولا تسأكنها خشية ان تعدى كرامها وتفسدها والنحل من ألطف الحيوان وافتاه ولذلك لاتنفي زبانا الا حسين تطير وتكره الثن والروائح الخبيثة وابتكارها وفراخها أحرس وأشد اجتهادا من الكبار وأقل لسعا وأجود عسلا ولسعها اذا لمعت أقل ضررا من لسع الكبار ولما كانت النحل من أففع الحيوان وأبركه قد خصت من وحي الرب تعالى وهدايته بما لم يشركها فيه غيرها وكان الخارج من بطونها مادة الشفاء من الاسقام والنور الذي يضيء في الظلام بمنزلة الهداة من الانام كان أكثر الحيوان أعداء وكان أعداؤها من أقل الحيوان منفعة وبركة وهذه سنة الله في خلقه وهو العزيز الحكيم

فصل في هدى النمل من اهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فان النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وان بعدت عليها الطريق فاذا نظرت به حملته وساقته في طرق معوجة بعيدة ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل الى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الامكان

فاذا خزنتها عمدت الى ما ينبت منها ففلقتهم فاقبتين لثلا ينبت فان كان ينبت مع فلقه باثنتين فلقته باربعة
 فاذا اصابه بلل وخافت عليه العفن والفساد انظرت به يوما ذا شمس فخرجت به ففشترته على ابواب بيوتها
 ثم اعادته اليها ولا تتغذى منها ثمة مما جمعه غيرها ويكنى في هداية النمل ما حكاه الله سبحانه في القرآن
 عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لاصحابها بقولها (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
 سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فاستفتحت خطابها بالداء الذي يسمعه من خاطبته ثم أتت بالاسم
 المبهم ثم اتبعته بما يشبه من اسم الجنس ارادة للعموم ثم أمرتهم بان يدخلوا مساكنهم فيتحصنون من
 العسكر ثم اخبرت عن سبب هذا الدخول وهو خشية أن يصيهم معرفة الجيش فيحطلمهم سليمان
 وجنوده ثم اعتذرت عن نبي الله وجنوده بأنهم لا يشعرون بذلك وهذا من أعجب الهداية وتأمل كيف
 عظم الله سبحانه شأن النمل بقوله (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون)
 ثم قال (حتى اذا اتوا على وادى النمل فاخبر أنهم باجمعهم مروا على ذلك الوادى ودل على ان ذلك
 الوادى معروف بالنمل كوادى السباع ونحوه ثم اخبر بما دل على شدة فطنة هذه النملة ودقة معرفتها
 حيث أمرتهم أن يدخلوا مساكنهم المختصة بهم فقد عرفت هي والنمل أن لكل طائفة منها مسكنا
 لا يدخل عليهم فيه سواهم ثم قالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فجمعت بين اسمه وعينه وعرفته بهما
 وعرفت جنوده وقائدها ثم قالت وهم لا يشعرون فكأنها جمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم
 لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم يأخذوا حذرهم ويدخلوا مساكنهم ولذلك تبسم نبي الله
 ضاحكا من قولها وانه لموضع تعجب وتبسم وقد روى الزهري عن عبد الله بن عبد الله بن عينة عن
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النمل والتحلة والهدهد والصدرد وفي الصحيح
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل نبي من الانبياء تحت شجرة فقرصته نملة فأمر
 بجهازه فأخرج وأمر بقربة النمل فأحرقت فأوحى الله اليه أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من
 الامم تسبح فيها نملة واحدة وذكر هشام بن حسان ان أهل الاخنف بن قيس لقوا من النمل شدة
 فأمر الاخنف بكرسى فوضع عند تنورين فجلس عليه ثم تشهد ثم قال لتبين أولي حرقن عليكن ونفعل
 ونفعل قال فذهبن وروى عوف بن أبي جميلة عن قسامة بن زهير قال قال أبو موسى الاشعري ان لكل
 شئ سادة حتى للنمل سادة ومن عجيب هدايتها انها تعرف ربهما بانه فوق سمواته على عرشه كما رواه
 الامام أحمد في كتاب الزهد من حديث أبي هريرة يرفعه قال خرج نبي من الانبياء بالناس يستسقون
 فاذا هم بنملة رافعة قوائمها الى السماء تدعو مستلقية على ظهرها فقال ارجعوا فقد كفيتم أو سقيتم
 بغيركم ولهذا الاثر عدة طرق ورواه الطحاوي في التهذيب وغيره وقال الامام احمد حدثنا

قال خرج سليمان بن داود يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها
 الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ليس بنا غنا عن سقائك ورزقك فاما أن تسقينا وترزقنا
 واما أن تهلكنا فقال ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ولقد حدثني ان نملة خرجت من بيتها فصادفت
 شق جرادة فاولت أن تحمله فلم تطلق فذهبت وجاءت معها باعوان يحملونه معها قال فرفعت ذاك من
 الارض فطافت في مكانه فلم تجده فانصرفوا وتركوها قال فوضعتهم فمادت تحاول حمله فلم تقدر فذهبت
 وجاءت بهم فرفعتهم فطافت فلم تجده فانصرفوا قال فمات ذلك مرارا فلما كان في المرة الاخرى استدار

التمل حلقة ووضعوها في وسطها ونظموها عضوا قال شيخنا وقد حكيت له هذه الحكاية فقال هذه التمل فطرها الله سبحانه على قبح الكذب وعقوبة الكذاب والتمل من أحرص الحيوان ويضرب بحرصه المثل ويذكر أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حرص النملة وشدة ادخارها للغذاء استحضرت نملة وسألتها كم تأكل النملة من الطعام كل سنة قالت ثلاث حبات من الخطة قاصر بالقائها في قارورة وسد فم القارورة وحمل معها ثلاث حبات خبطة وتركة هائلة بعد ما قالت ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة فوجد حبة ونصف حبة فقال أين زعمك أنت زعمت أن قوتك كل سنة ثلاث حبات فقالت نعم ولكن لما رأيته مشغولا بمصالح أبناء جنسك حسبت الذي بقي من عمري فوجدته أكثر من المدة المضروبة فتصرت على نصف القوت واستيقنت نصفه استيقنا لنفسى فوجب سليمان من شدة حرصها وهذا من أعجب الهدايا والعطية ومن حرصها أنها تكد طول الصيف وتجمع لشتاء عامتها بأعواز الطالب في الشتاء وتمذر الكسب فيه وهي على ضعفها شديدة القوى فأنها تحمّل أضعاف أضعاف وزنها وتجريه إلى بيتها ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت عضو كزبرة يابس فادنيه إلى أنفك لم تشم له رائحة فإذا وضعت على الأرض أقبلت النملة من مكان يمد إليه فان عجزت عن حملها ذهبت وأتت معها نصف من التمل يحتملونه فكيف وجدت رائحة ذلك من جوف بيتها حتى أقبلت بسرعة إليه فهي تدرك بالشم من البعد ما يدركه غيرها بالبصر أو بالسمع فتأتي من مكان يمد إلى موضع أكل فيه الإنسان وتبقى فيه فترات من الحزن أو غيره فتحمله وتذهب به وإن كان أكبر منها فان عجزت عن حملها ذهبت إلى جحرها وجاءت معها بطائفة من أمتحائها فجواك خيط أسود يتبع بعضهم يضا حتى يتساعدوا على حملها ونقلها وهي تأتي إلى السبلة فتشم فان وجدتها حنطة قطعتها ومنبتها وحملتها وإن وجدتها شعيرا فلاؤها صدق الشم وبعد الهمة وشدة الحرص والجراة على محاولة نقل ما هو أضعاف أضعاف وزنها وليس للأمل قائد ورئيس يدبرها كما يكون للإنجل إلا أن لها رائدا يطل الرزق فإذا وقف عليه أخبر أمتحابه فيخرجن مجتمعات وكل نملة تجتهد في صلاح العامة منها غير محتسنة من الحب شيئا لنفسها دون صواباتها ومن عجيب أمرها أن الرجل إذا أراد أن يجترز من التمل لا يسقط في عمل أو نحوه فإنه يحفر حفيرة ويجعل حولها ماء أو يخذلها ماء كبيرا ويملاؤه ماء ثم يضع فيه ذلك الشيء فيأتي النمل يطيب به فلا يقدر عليه فيسلق في الحائط ويمشي على السقف إلى أن يحاذي ذلك الشيء فتلقى نفسها عليه وجبرنا نحن ذلك وأحس صانع مرة طوقا بالنار ورماء على الأرض ليرد واتفق أن اشتمل الطوق على نمل فتوجه في الجهات ليخرج فالحق وهو ج النار فازم المركز ووسط الطوق وكان ذلك مركزا له وهو أبعد مكان من المحيط

فصل وهذا الهدى من أهدي الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض لا يراه غيره ومن هدايته ما حكاك الله عنه في كتابه أن قال النبي الله سليمان وقد فقدته وتوعد فلما جاءه بدرد بالعذر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة وخاطبه خطابا عجيبة به على الاصفاء إليه والقبول منه فقال أحطت بما لم تحط به وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته حق المعرفة بحيث أحطت به وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال وجئتكم من سبأ نبأ يقين والنبأ هو الخبر الذي له شأن والتفوس مطالعة إلى معرفته ثم وصفه بأنه نبأ يقين لاشك فيه ولا ريب فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استفرغت

قلب الخبز لتأقي الخبز وأوجبت له التشوف التام الى سماعه ومعرفته وهذا نوع من براعة الاستدلال
 وخطاب التبريج ثم كشف عن حقيقة الخبز كشفا مؤكدا بادلة التأكيد فقال اني وجدت امراء تملككم
 ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وانها من اجل الملوك بحيث اوتيت من كل شيء بصاح ان تواته الملوك
 ثم زاد في تعظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وانه عرش عظيم ثم أخبر بما بدعوههم الى قصدهم
 وغزوهم في غفر دارهم بعد دعوتهم الى الله فقال وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
 وحذف اداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيدانا بأنها هي المقصودة
 وما قبلها توطئة لما تم أخبر عن المغوى لهم الحامل لهم على ذلك وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى
 صاهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده ثم أخبر ان ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية
 والسجود لله الذي لا يبنى السجود الا لله ثم ذكر من أفعاله سبحانه اخراج الحب في السموات والارض
 وهو الخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الارض وفي ذكر
 الهدى هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه اشعار بما ختمه الله به من اخراج الماء الخبز
 تحت الارض قال صاحب الكشف وفي اخراج الحب اشارة على انه من كلام الهدى لهدى له من معرفته
 الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الحب في السموات والارض جات قدرته ولطف علمه ولا
 يكاد يخفى على ذي الفراسة الناظر بنور الله مخايل كل شخص بصناعة أو فني من العلم في روائه ومنطقه
 وشمائله فما عمل آدمي عملا الا أتى الله عليه رداء عمله

فصل وهذا الحام من عجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي أعقل الطير الحام وبرد الحام
 هي التي تحمل الرسائل والكتب ربما زادت قيمة الطير منها على قيمة المملوك والعبد فان الغرض
 الذي يحصل به لا يحصل بمملوك ولا بحيوان غيره لانه يذهب ويرجع الى مكانه من مسيرة ألف فرسخ
 قادونها وتنهي الاخبار والأغراض والمقاصد التي تتعلق بها مهمات الممالك والدول والقيومون بأمرها
 يعتنون بانسابها اعتناء عظيما فيفرون بين ذكورها وانثاه وقت السفاد وتنقل الذكور عن انثاه الى
 غيرها والانث عن ذكورها ويحافون عليها من فساد انسابها وحملها من غيرها ويتعرفون حجة طرقها
 ومحالها لا يأمنون أن نفس الانثي ذكرها من عرض الحام فتعثرها الهجنة والقيومون بأمرها لا يحفظون
 أرحام نسائهم ويحاطون لها كما يحفظون أرحام حمامهم ويحاطون لها والقيومون لهم في ذلك قواعد
 وطرق يعتنون بها غاية الاعتناء بحيث اذاروا حماما ساقطاً لم يخف عليهم حسنها ونسبها وبلدها ويعظمون
 صاحب التجربة والمعرفة وتسمج أنفسهم بالجمال الواقف له ويختارون لحل الكتب والرسائل الذكور
 منها ويقولون هو أحسن الى بيتهم لكان أتم وهو أشد متنا وأقوى بدنا وأحسن اهتداء وظائفة منهم
 يختار لذلك الاناث ويقولون الذكر اذا سافر وبعد عهده حن الى الاناث وتاقت نفسه اليهن فرما
 رأى أنثى في طريقة ومجيئه فلا يصبر عنها فيترك المسير ومال الى قضاء وطره منها وهدايته على قدر
 التعام والتوطين والحام موصوف بالحن والالف للناس ويحب الناس ويحبونه وبألف الممكن وبثبت
 على العهد والوفاء لصاحبه وان أساء اليه ويعود اليه من مسافات بعيدة وربما صد فترك وطنه عشر
 حجج وهو ثابت على الوفاء حتى اذا وجد فرصة واستطاعة عاد اليه والحام اذا أراد السفاد يالظف
 اللاتي غاية الملقف فيبدأ بنثر ذنبه وارضاء جناحه ثم يدنو من الانثى فيهدر لها ويقلها ويزفها وينتفض

ويرفع صدره ثم يعتريه ضرب من الوله والأتى في ذلك مرسله جناحها وكشفها على الأرض
 فإذا قضى حاجته منها ركبته الأتى وليس ذلك في شيء من الحيوان سواء وإذا علم الذكر أنه أودع
 رحم الأتى ما يكون منه الولد يقدم هو والأتى بطلب القصب والجمشيش وصغار العيدان فيعملان منه
 أخوصة ويسجنانهما نسجاً متداخلاً في الوضع الذي يكون بقدر حيان الحلمة ويحملان حرورهما شاخصة
 مرتفعة لئلا يتدحرج عنها البيض ويكون حصناً للحاضن ثم يتعاونان ذلك المكان ويتعاقبان الاخوص
 يستخانه ويطيانه ويتقيان طباعه الاول ويمجدان فيه طبعا آخر مشتقا ومستخرجا من طباع ابدانهما
 ورائحتهما لكي تقع البيضة اذا وقعت في مكان هو أشبه المواضع بارحام اللحم ويكون على مقدار من الحر
 والبرد والرخاوة والصلابة ثم اذا ضربها الخاض بادرت الى ذلك المكان وضعت فيه البيض فان أفرعها
 رعد قاصف رمت بالبيضة دون ذلك المكان الذي هيأته كالمرأة التي تسقط من الفرع فإذا وضعت البيض
 في ذلك المكان لم يزالا يتعاقبان الحاضن حتى اذا بلغ الحاضن مداه وانتهت أيامه انصدع عن الفرخ
 فأعانه على خروجه فيبدآن أولاً بنفخ الريح في حلقه حتى تتسع حوصلة علمانهما بان الجوالة تضيق
 عن الغذاء فتسرع الجوالة بعد التحامها وتتفتق بعد ارتناقها ثم يعلمان ان الجوالة وان كانت قد اتسعت
 شيئاً فإنها في أول الامر لا تحتمل الغذاء فيزقانه بلعابهما المختلط بالغذاء وفيه قوى الطعم ثم يعلمان ان طبع
 الجوالة تضعف عن استمرار الغذاء وانها تحتاج الى دفع وتقوية لتكون لها بعض التامة فيلقطان
 من الفطيان الحب اللين الرخو ويزقانه الفرخ ثم يزقانه بعد ذلك الحب الذي هو أقوى وأشد ولا يزالان
 يزقانه الحب والماء على تدرج بمسبب قوة الفرخ وهو يطالب ذلك منهما حتى اذا علما انه قد أطلق اللقط
 منعهما بعض المنع ليحتاج الى اللقط ويعتاده واذا علما ان رثته قد قويت ونمت وانهما ان فطماه
 فطما تماماً قوى على اللقط وتبلغ نفسه ضرباه اذا سألها الزق ومنعهما ثم تنزع تلك الرحمة العجيبة منهما
 وينسيان ذلك التططف المتكمن حين يعلمان انه قد أطلق القيام بنفسه والتكسب ثم يبدآن العمل ابتداء
 على ذلك النظام والحلم يشا كل الناس في أكثر طباعه ومذاهبه فان من اناته أتى لا تريد الازوجها
 وفيه أخرى لا تريد دلامس وأخرى لا تنال الا بعد الطلب الخفيف وأخرى تركب من أول وهلة وأول
 طلب وأخرى لها ذكر معروف بها وهي تمكن ذكر آخر منها اذا غاب زوجها لم تمتنع من ركبها
 وأخرى تمكن من يغنيها عن زوجها وهو يراها ويشاهدهما ولا تبالي بمحضوره وأخرى تعطي الذكر
 وتدعوه الى نفسها وأتى تركب أتى وتساقها وذكر يركب ذكرها ويسفها وكل حالة توجد في
 الناس ذكورهم واناثهم توجد في اللحم وفيها من لا تبيض وان باضت أفسدت البيضة كالمرأة التي لا تريد
 الولد كيلا يشغلها عن شأنها وفي اناث اللحم من اذا عرض لها ذكر أى ذكر كان أسرع هاربة ولا
 توافي غير زوجها البتة بمنزلة المرأة الحرة ومنها ما يأخذ أتى يتمتع بها ثم ينتقل عنها الى غيرها وكذلك
 الأتى توافق ذكر آخر عن زوجها وتنتقل عنه وان كانوا جميعاً في برج واحد ومنها ما يتصالح على
 الأتى منها ذكران أو أكثر فتعابريهم كلهم حتى اذا غلب واحد منهم لرفيقه وقهره مالت اليه
 وأعرضت عن المغلوب وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى حمامة تتبع حمامة فقال شيطان
 يتبع شيطانة ومنها ما يزق فراخه خاصة ومنها ما فيه شفقة ورحمة بالغة يزق فراخه وغيرها ومن يحب
 هداهاها اذا حملت الرسائل سلكت الطرق البعيدة عن القرى ومواضع الناس لئلا يعرض لها من

يصدها ولا يريد مياهم بل يرد المياه التي لا يريدها الناس ومن هدايتها أيضا انه اذا رأى الناس في الهواء عرف أى صنف يريد وأى نوع من الانواع ضده فيخالف فعله ليسلم منه ومن هدايته انه في أول نهوضه ينفل ويمر بين السرو والعقاب وبين الرخم والبازي وبين الثراب والصقر فيعرف من يقصده ومن لا يقصده وان رأى الشاهين فكأنه يرى السم النافع وتأخذه حيرة كما يأخذ الشاة عند رؤية الذئب والحمار عند مشاهدة الأسد ومن هداية الحمام ان الذكر والانثى يتقاسمان أمر الفراخ فيكون الحضانة والتربية والكفالة على الانثى وجلب القوت والزق على الذكر فان الاب هو صاحب الميال والكاسب لهم والام هي التي تحبل وتلد وترضع ومن عجيب أمرها ما ذكره الجاحظ ان رجلا كان له زوج حمام مقصوص وزوج طيار وللطيار فرخان قال ففتحت لهما في أعلى الغرفة كوة لدخول والخروج وزق فراخهما قال غبسي السلطان خوة فاهتمت بشأن المقصوص غاية الاهتمام ولم أشك في موتها لانهما لا يقدران على الخروج من الكوة وليس عندهما ما يأكلان ويشربان قال فلما خلى سبيل لم يكن لي هم غيرهما ففتحت البيت فوجدت الفراخ قد كبرت ووجدت المقصوص على أحسن حال فعجبت فمالبث ان جاء الزوج الطيار فدنا الزوج المقصوص الى أفواههما يستعلمهما كما يستعلم الفرخ فرقاها فانظر الى هذه الهداية فان المقصوصين لما شاهدنا تطلق الفراخ للابوين وكيف يستعلمهما اذا اشتد بهما الجوع والعطش فعلا كفمل الفرخين فأدركتهما رحمة الطيارين فرقاها كما يزقان فرخيهما ونظير ذلك ما ذكره الجاحظ وغيره قال الجاحظ وهو أمر مشهور عندنا بالبصرة انه لما وقع الطاعون الجارف أتى على أهل دار فلم يشك أهل تلك الحلة انه لم يبق منهم أحد فعمدوا الى باب الدار فسدوه وكان قد بقي صبي صغير يرضع ولم يفظنوا له فلما كان بعد ذلك بمدة تحول اليها بعض ورثة القوم ففتح الباب فلما أفضى الى عرصة الدار اذاهو بصبي يلعب مع جراء كلبة قد كانت لاهل الدار فراعته ذلك فلم يلبث ان أقبلت كلبة قد كانت لاهل الدار فلما رآها الصبي حبا اليها فامكنته من أطباها فصعها وذلك ان الصبي لما اشتد جوعه ورأى جراء الكلبة يرتاضون من أطباء الكلبة حبا اليها فعطفت عليه فلما سقته مرة أدامت له ذلك وأدام هو الطالب ولا يستعده هذا وما هو أعجب منه فان الذي هدى المولود الى مص إمامه ساعة يولد ثم هداه الى التقام حاملة ندى لم يتقدم له به عادة كأنه قد قبل له هذه خزانة طعامك وشرايك التي كأنك لم تنزل بها عارفوا في هدايته للحيوان الى مصالحه ما هو أعجب من ذلك ومن ذلك ان الديك الشاب اذا لقي حبا لم يأكله حتى يفرقه فاذا هره وشاخ أكله من غير تفريق كما قال المدائني ان إياس بن معاوية مر بديك ينقر حبا ولا يفرقه فقال ينبغي أن يكون هرا فان الديك الشاب يفرق الحب ليجتمع الدجاج حوله فتصيب منه والهرم قد فئت رغبته فليس له همة الا نفسه قال إياس والديك يأخذ الحبة فهو يريها الدجاجة حتى يلتقيها من فيه والهرم يتعلمها ولا يلقيا للدجاجة وذكر ابن الاعرابي قال أكلت حية ببض مكاء فجعل المكاء يصوت ويظهر على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاهها وهمت به ألقى حسكة فاخذت بحلقها حتى ماتت وأنشد أبو عمرو الشيباني في ذلك قول الاسدي

ان كنت ابصر تتي علا ومصطاما فرمما قتل المكاء تمبا

وهداية الحيوانات الى مصالح معاشها كالبحر حدث عنه ولا حرج ومن عجيب هدايتها ان الثعلب اذا

امتلاً من البراغيث أخذ صوفة بضمه ثم عمداً إلى ماء رقيق فنزل فيه قليلاً قليلاً حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة فيأقيها في الماء ويخرج ومن عجيب أمره أن ذئباً أكل أولاده وكان للذئب أولاد وهناك زبية فعمد الثعالب وألقى نفسه فيها وحفر فيها سر داباً يخرج منه ثم عمداً إلى أولاد الذئب فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب فلما أقبل وعرف أنها فاعته هرب قدامه وهو يتبعه فالتى نفسه في الزبية ثم خرج من السر داب فالتى الذئب نفسه وراءه فلم يجده ولم يطق الخروج فقتله أهل الناحية ومن عجيب أمره أن رجلاً كان معه دجاجة فاحتقن له وخطف أحدهما فرسم عمل فكره في أخذ الأخرى فترأى لصاحبها من يده وفيه شيء شبيه بالطائر وأطعمه في استعادتها بأن تركه وفر فظن الرجل أنها الدجاجة فأسرغ نحوها وخالفه الثعالب إلى اختها فآخذها وذهب ومن عجيب أمره أنه أتى إلى جزيرة فيم طير فاعمل الحلية كيف يأخذ منها شيئاً فلم يطق فذهب وجاء بضغث من حشيش وأتاه في مجرى الماء الذي نحو الطير ففزع منه فلما عرفت أنه حشيش رجعت إلى أمكنها فعاد لذلك مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى تواظب الطير على ذلك والفته فعمد إلى جرزة أكبر من ذلك فدخل فيها وعبر إلى الطير فلم يشك الطير أنه من جنس ما قبله فلم تنفر منه فوثب على طائر منها وعدابه ومن عجيب أمر الذئب أنه عرض لإنسان يريد قتله فرأى معه قوساً وسهماً فذهب وجاء بعظم رأس جل في فيه وأقبل نحو الرجل فجعل الرجل كما رماه بسهم اتقاه بذلك العظم حتى أعجزه وعان نفاذ سهمه فصادف من استعان به على طرد الذئب ومن عجيب أمر القرد ما ذكره البخاري في صحيحه عن عمرو بن ميمون الأودي قال رأيت في الجاهلية قرداً وقرودة زنباً فاجتمع عليهما القردود فرجوهما حتى ماتا ففؤلاء القردود أقاموا حد الله حين عطله بنو آدم وهذه البقرة يضرب ببلادها المثل وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً بينا هو يسوق بقرة إذ ركبتها فقالت لم أخلق لهذا فقال الناس سبحان الله بقرة تتكلم فقال فأتى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم قال وبيننا رجل يرعى غنماً له أذعدا الذئب على شاة منها فاستنقذها منه فقال الذئب هذه استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لأراعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وماهما ثم ومن هداية الحمار الذي هو من أبلد الحيوان أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فإذا خلى جاء إليه ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يبحث به على السير ومن عجيب أمر الفأر أنها إذا شربت من الزيت الذي في أعلا الحجرة فتقص وعز عليها الوصول إليه ذهبته وحملت في أفواهها ماء وصبته في الحجرة حتى يرتفع الزيت فتشربه والأطباء ترعى أن الحفنة أخذت من طائر طويل المنقار إذا تعمس عليه الذرق جاء إلى البحر المالح وأخذ بمنقاره منه واحتقن به فيخرج الذرق بسرعة وهذا الثعالب إذا اشتد به الجوع انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه حيفة فتداوله الطير فلا يظهر حركة ولا نفساً فلا تشك أنه ميت حتى إذا نقر بمنقاره وثب عليها فضمه ضمة الموت وهذا ابن عرس والقفند إذا أكل الأفاعى والحيات عمداً إلى الصخر التبرى فأكلاه كالترياق لذلك ومن عجيب أمر الثعالب أنه إذا أصاب القنفذ قلبه لظهره لأجل شوكه فيجتمع القنفذ حتى يصير كبة شوك فيبول الثعالب على بطنه ما بين مغرز عجيبة إلى فكيه فإذا أصابه البول اعتراه الأسر فابسط فيسلخه الثعالب من بطنه ويأكل مسلوخه وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أموراً تنفع في معاشه وأخلاقه

وصناعته وحر به وحزمه وصبره وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) قال أبو جعفر الباقر والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلاً منها فمن هدى الآتي من السباع إذا وضعت ولدها ان ترفعه في الهواء أياً ما تهرب به من الذر والنمل لأنها تضعه كقطعة من لحم فهي تخاف عليه الذر والنمل فلا تزال ترفعه وتضعه وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد وقال ابن الأعرابي قيل لشيخ من قريش من علمك هذا كله وإنما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب قال علي الله ما علم الحماة تقلب بيضها حتى أعطى الوجهين جميعاً نصيباً من حضانتها ولحوف طباع الأرض على البيض إذا استمر على جانب واحد وقيل لا يخرج من علمك اللجاج في الحاجة والصبر عليها وإن استعصت حتى تظفر بها قال من علم الحفساء إذا صدعت في الحائط تسقط ثم تصعد ثم تسقط مراراً عديدة حتى تستمر صاعدة وقيل لا يخرج من علمك البكور في حوائجك أول النهار لأجل به قال من علم الطير تغدو خماساً كل بكرة في طلب أفواتها على قربها وبعدها لانسأ ذلك ولا تخاف ما يمرض لها في الجو والأرض وقيل لا يخرج من علمك السكون والتحفظ والتأبوت حتى تظفر بأربك فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته فقال الذي علم السهر أن ترصد بجحر الفأرة فلا تتحرك ولا تتلوى ولا تحتاج كأنها ميتة حتى إذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالأسد وقيل لا يخرج من علمك الصبر والجلد والاحتمال وعدم السكون قال من علم أبا أيوب صبره على الأثقال والأحمال الثقيلة واشتى والتعب وغلظة الجمال وضربه فالقتل والكل على ظهره ومرارة الجوع والمعاش في كبده وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه ولا يعدل به ذلك عن الصبر وقيل لا يخرج من علمك حسن الأيتار والسباحة بالبذل قال من علم الديك يصادف الحبة في الأرض وهو يحتاج إليها فلا يأكلها بل يستدعي الدجاج ويطلبهن طلباً حثيثاً حتى يجي الواحدة منهن فتأكلها وهو مسرور بذلك طيب النفس به وإذا وضع له الحب الكثير فرقه هاهنا وهاهنا وإن لم يكن هناك دجاج لأن طبعه قد ألف البذل والجود فهو يرى من المؤم أن يستبد وحده بالعلم وقيل لا يخرج من علمك هذا التحيل في طلب الرزق ووجوه تحصيله قال من علم الثعلب تلك الحيل التي يعجز العقلاء عن علمها وعملها وهي أكثر من أن تذكر ومن علم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتل أثره ويطلب عفي أثر مشيته بذنبه ومن علمه أن يأتي إلى شابه في اليوم الثالث من وضعه فينفخ في منخره لأن البوة تضعه جرواً كالبيت فلا تزال تحرسه حتى يأتي أبوه فيعمل به ذلك ومن العلم كرام الأسود وأشرفها أن لا تأكل إلا من فريستها وإذا مر بفريسة غيره لم يبد منها ولو جهده الجوع ومن علم الأسد أن يخضع للبر ويدل له إذا اجتمعما حتى ينال منه له ومن عجيب أمره أنه إذا استصى عليه شيء من السباع دعا الأسد فاجابه أجابة المملوك لمالكه ثم أمره فربض بين يديه فيبول في أذنيه فإذا رأت السباع ذلك أذعنت له بالطاعة والخضوع ومن علم الثعلب إذا اشتد به الجوع أن يستلقي على ظهره ويختلس نفسه إلى داخل بدنه حتى ياتفخ فيظن الظان أنه ميتة فيقع عليه فيشب على من اقتضى عمره منها ومن علمه إذا أصابه صدم أو جرح أن يأتي إلى صبيغ معروف فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم ومن علم الدب إذا أصابه كأم أن يأتي إلى نبت قد عرفه وجهه صاحب الحشائش فيتداوى به فيبرأ ومن علم الآتي من الفيلة إذا دنا وقت ولادتها أن تأتي إلى الماء فتلد فيه لأنها دون

الحيوانات لاتلد الا قائمة لان أوصلها على خلاف أوصل الحيوان وهي عالية فخاف أن تسقط على الارض فينصدع أو ينشق فتأتي ماء وسطا تنضمه فيه يكون كالفرش الابن والوطاء الناعم ومن علم الذباب اذا سقط في مائع أن يتق بالجنح الذي فيه الداء دون الآخرو من علم الكلب اذا عابن الظباء أن يعرف المعتل من غيره والذكر من الانثى فيقصد الذكر مع علمه بان عدو دأشد وأبعد وشبه ويدع الانثى على نقصان عدوها لانه قد علم ان الذكر اذا عدا شوطا أو شوطين حقق ببوله وكل حيوان اذا اشتد فزعها فانه يدركه الحقن واذا حقق الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو فقل عدوه فيدركه الكلب وأما الانثى فتحذف بولها لسمه التقل وسهولة المخرج فيدوم عدوها ومن علمه انه اذا كسا الناج الارض أن يتأمل الموضع الرقيق الذي قد انخفض فيعلم ان تحته جحر الارنب فينبشه ويستطادها علما منه بان حرارة أنفاسها تذيب بعض الناج فيرق ومن علم الذئب اذا نام أن يجعل النوم نوبا بين عينيه فينام باحداهما حتى اذا نمت الاخرى نام بها وفتح النائمة حتى قال بعض العرب

ينام باحدى مقلتيه ويتقى باخرى المتنايفهو يقظان نائم

ومن علم العصفورة اذا سقط فرحها ان تستغيث فلا يبق عصفور بجوارها حتى يحجي فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بافعالهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم قال بعض الصيادين ربما رأيت العصفور على الحائط قاومي بيدي كأني أرميه فلا يطير وربما أهويت الى الارض كأني أتناول شيئا فلا يتحرك فان مسست بيدي أدنى حصاة أو حجر أو نواة طار قبل أن تتمكن منها بيدي ومن علم الحمامة اذا حملت أن تأخذ هي والاب في بناء العش وأن يقبلا له حروفا تشبه الحائط ثم يسخناه ويحدثا فيه طبيعة أخرى ثم يقبلان البيض في الايام ومن قسم بينهما الحضنة والكد فأكثر ساعات الحضنة على الانثى وأكثر ساعات جلب القوت على الاب واذا خرج الفرخ عما سبق حوصلته عن الطعام فنفخا فيه نفخا متداركا حتى تنسع حوصلته ثم يزقانه بالاعاب أو شيئا قبل الطعام وهو كالبا لاطفل ثم يعلمان احتياج الحوصلة الى دباغ فيزقانه من أصل الحيطان من شيء بين الملح والتراب تدبج به الحوصلة فاذا اندبغت زقاه الحب فاذا علما انه أطاق اللقط منماه الزق على التدريج فاذا تكملت قوته وسألهما الكفالة ضرباه ومن علمهما اذا ارادا السفاد أن يتدبى الذكر بالدعاء فتعاطد له الانثى قليلا لتذيقه حلاوة المواصلات ثم تطيعه في نفسها ثم تمتنع بعض التمتع ليشد طلبه وحبه ثم تهادى وتتكسل وتريه معافطها وتعرض محاسنها ثم يحدث بينهما من التفرل والعشق والتقييل والرشف ماهو مشاهد بالعيان ومن علم المرسلة منها اذا سافرت ليلا أن تستدل ببطلون الاودية وبجاري المياه والحيال ومهاب الریح ومطلع الشمس ومنزها فتستدل بذلك وبغيره اذا ضلت فاذا عرفت الطريق مرت كالريح ومن علم اللب وهو صنف من الغناكب أن يلطأ بالارض ويجمع نفسه فيرى الذبابة انه لاد عنها ثم يثب عليها وثوب الفهد ومن علم العنكبوت أن تنسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة وتجعل في أعلاها خطا ثم تتعلق به فاذا تفرقت البعوضة في الشبكة تدلت اليها فاصطادتها ومن علم الظبي انه لا يدخل كناسه الا مستبرا ليستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفه ومن علم السور اذا رأى فارة في السقف أن يرفع رأسه كالشير اليها بالعود ثم يشير اليها بالرجوع وانما يريد أن يدهشها فتزلق وتسقط ومن علم البربوع أن يحفر بيته في سفح الوادي حيث يرتفع عن مجرى السيل ليسلم من مدق الحافر ومجرى الماء ويعمقه ثم يتخذ في زواياه

أبوابا عديدة ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزا رقيقا فإذا أحس بالسر فتح بعضها بإسرها
 وخرج منه ولما كان كثير النسيان لم يحضر يته إلا عند أكمة أو صخرة علامة له على البيت إذا ضل
 عنه ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر ومن تلم
 الليل إذا سقط قرنه أن يتوارى لأن سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك فإذا مكل نبات قرنه تعرض
 للشمس والريح وأكثر من الحركة ليشتد لجهه ويزول السمن المانع له من المدو وهذا باب واسع جدا
 ويكتفي فيه قوله سبحانه (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما نطنا في
 الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن
 يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن الكلاب أمة من الأمم لامرت
 بقتلها وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن يكون إخبارا عن أمر غير ممكن فنه وهو أن الكلاب أمة
 لا يمكن إفناؤها لكثرتها في الأرض فلو أمكن إعدامها من الأرض لامرت بقتلها والثاني أن يكون مثل
 قوله أمن أجل أن قرصك غلة أحرقت أمة من الأمم تسبح فهي أمة مخلوقة بحكمة ومصاحبة فإعدامها
 وإفناؤها يناقض ما خلقت لأجله والله أعلم بما أراد رسوله قال ابن عباس في رواية عطاء الأم أمثالكم يريد
 يعرفوني ويوجدوني ويسبحونني ويحمدونني مثل قوله تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده) ومثل
 قوله (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات ومن في الأرض والطير صافات كل قد علم صلواته وتسبيحه)
 ويدل على هذا قوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر
 والنجوم والحبال والشجر والدواب) وقوله (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) وبدل
 عليه قوله تعالى (يا جبال أوبي معه والطير) وبدل عليه قوله (وأوحى ربك إلى النحل) وقوله
 (قالت غلة يا أيها النمل) وقول سليمان (علمنا منطلق الطير) وقال مجاهد أمم أمثالكم أصناف مصنفات تعرف
 بأسمائها وقال الزجاج أمم أمثالكم في أنها تبت وقال ابن قتيبة أمم أمثالكم في طلب الغذاء وابتغاء الرزق
 وتوق المهلاك وقال سفيان بن عيينة ما في الأرض آدمى إلا وفيه شبه من البهائم فهم من بهتصر اهتصار
 الأسد ومنهم من يعدو الذئب ومنهم من ينبس نباح الكلب ومنهم من يتغوس كغمل الطاووس
 ومنهم من يشبه الخنازير التي لو ألقى إليها الطعام الطيب عافته فإذا قام الرجل عن رجليه وافت فيه
 فلذلك تجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها وإن أخطأ رجل ترواه وحفظه
 قال الخطابي ما أحسن ما أول سفيان هذه الآية واستنبط منها هذه الحكمة وذلك أن الكلام إذا لم
 يكن حكمه مطاوعا للظاهر ووجب المصير إلى باطنه وقد أخبر الله عن وجود المماتة بين الإنسان وبين كل طائر
 ودابة وذلك تمتع من جهة الخلقة والصورة وعدم من جهة النطق والمعرفة فوجب أن يكون منصرفا
 إلى المماثلة في الطباع والأخلاق وإذا كان الأمر كذلك فاعلم أنك إنما تعاشر البهائم والسباع فليكن
 حذرهم ومباعدتك إياهم عى حسب ذلك انتهى كلامه والله سبحانه تد جعل بعض الدواب
 كسوبا محتالا وبعضها متوكلا غير محتال وبعض الحشرات بدخر لنفسه قوت سنة وبعضها يتكفل على
 الثقة بأن له في كل يوم قدر كفايته رزقا مضمونا أو أمرا مقنونا وبعضها يدخر وبعضها لا يتكسب له وادخ
 الذكور يمول ولده وبعضها لا يعرف ولده البنة وبعض الأنثى تكفل ولدها لا تدود وبعضها تضع
 ولدها وتكفل ولدها غير ها وبعضها لا تعرف ولدها إذا استغنى عنها وبعضها لا تزال تعرفه وتعص عليه

وجعل بعض الحيوانات يتما من قبل أمهاتها وبعضها يتما من قبل آبائها وبعضها لا يلتصق الولد
وبعضها ينفرغ الهم في طبعه وبعضها يعرف الاحسان ويشكره وبعضها ليس ذلك عنده شيئا وبعضها يؤثر
على نفسه وبعضها اذا ظفر بما يكفي أمة من جنسه لم يدع أحدا يدنو منه وبعضها يحب السفاد ويكثر
منه وبعضها لا يفضل في السنة الامرة وبعضها يقتصر على أئاده وبعضها لا يقف على أئتي ولو كانت أمه
أو اخته وبعضها لا تمكن غير زوجها من نفسها وبعضها لا ترد يد لأمس وبعضها يألف بني آدم ويأنس بهم
وبعضها يستوحش منهم وينفر غاية النفر وبعضها لا يأكل الا الطيب وبعضها لا يأكل الا الحباثت وبعضها
يجمع بين الارين وبعضها لا يؤذى الا من بالغ في أذاها وبعضها يؤذى من لا يؤذيها وبعضها حقوق
لأنسى الاساءة وبعضها لا يذكرها البتة وبعضها لا ينضب وبعضها يشتد غضبه فلا يزال يسترضى حتى
يرضى وبعضها عنده علم ومعرفة بأمور دقيقة لا يمتدئ اليها أكثر الناس وبعضها لا معرفة له بشئ من
ذلك البتة وبعضها يستبجح القبيح وينفر منه وبعضها الحسن والقبيح سواء عنده وبعضها يقبل التعليم
بسرعة وبعضها مع الطول وبعضها لا يقبل ذلك بحال وهذا كله من أدل الدلائل على الخلق لها سبحانه
وعلى آتت صنعه وبحسب تدبيره ولطيف حكمته فان فيما أودعها من غرائب المعارف وغوامض الحيل
وحسن التدبير وأنشأت لما تريد ما يستطيق الافراد بالتسبيح ويملا القلوب من معرفته ومعرفة حكمته
وقدرته وما يعلم به كل عاقل انه لم يخلق عبدا ولم يترك سدى وان له سبحانه في كل مخلوق حكمة باهرة
وأية ظاهرة وبرهانا قاطعا يدل على انه رب كل شئ ومليكه وانه المنفرد بكل كمال دون خلقه وانه
على كل شئ قدير وبكل شئ عليم

﴿ فصل في ما سألنا الى هذا الموضع وهو الكلام على الهداية العامة التي هي قرينة الخلق في
الدلالة على الرب تبارك وتعالى وأسماؤه وصفاته وتوحيده قال تعالى إخبارا عن فرعون انه
قال (فن ربكم يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى) قال مجاهد أعطى كل شئ
خلقته لم يعط الانسان خلق البهائم ولا البهائم خلق الانسان وأقوال أكثر المفسرين تدور
على هذا المعنى قال عدلية ومقاتل أعطى كل شئ صورته وقال الحسن وقادة أعطى كل شئ صلاحه
والمنى أعضاء من الخلق والتصوير ما يصاح به لما خلق له ثم هدا ما خلق له وهداه لما يصاح به في
معيشتهم ومطعمهم ومشربهم ومنكحهم وتقابله وتصرفه هذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور
المفسرين فيكون نظير قوله (قدر فهدى) وقال الكلبي والسدي أعطى الرجل المرأة والبعير الناقة
والذكر الاثني من جنسه ولغز السدي أعطى الذكر الاثني مثل خلقه ثم هدى الى الجماع وهذا
القول اخيار ابن قتيبة والفراء قال الفراء أعطى الذكر من الناس امرأة مثله والشاة شاة والثور بقرة
ثم الهم الذكر كيف يأتمها قال أبو اسحاق وهذا التفسير جائز لأن ترى الذكر من الحيوان يأتي الاثني
ولم ير ذكر اثنى قبله فاطمنا الله ذلك وهداه اليه قال والقول الاول ينتظم هذا المعنى لانه اذا
هداه الى الجماع فالحل في المصاحبة قلت أرباب هذا القول هضموا الآية معناها فان معناها أجل
وأنه لا يزوج من غيره فلهذا المعنى كل شئ يأتي هذا التفسير فان حل كل شئ على ذكر الحيوان وانه
لا يزوج من غيره فكيف يخرج من هذا اللفظ الملائكة والجن ومن لم يتزوج من بني آدم ومن
لم يزوج من غيرهم وكيف يسمى الحيوان الذي يأتيه الذكر خلقا له واين نظير هذا في القرآن

وهو سبحانه لما أراد التعبير عن هذا المعنى الذي ذكره ذكره بادل عبارة عليه ولا يصح تفسيره
 خلق الزوجين الذكر والانثى فجعل قوله أعطى كل شيء خلقه على هذا المعنى غير صحيح فله
 وفي الآية قول آخر قال الضحاك قال أعطى كل شيء خلقه أعطى اليد البعش ورجل موسى
 واللسان النطق والعين البصر والاذن السمع ومعنى هذا القول أعطى كل عضو من الاعضاء ما خلق
 له والخلق على هذا بمعنى المفعول أى أعطى كل عضو مخلوقه الذى خلقه له فان هذه المعاني كما ان مخلوقة
 لله أودعها الاعضاء وهذا المعنى وان كان صحيحا في نفسه لكن معنى الآية اعم والقول هو الاول وانه
 سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به ثم هداه لما خلق له ولا خلق سواه
 فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية ووحدانيته فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون
 ولهذا لما علم فرعون ان هذه حجة قاطعة لا مطعن فيها بوجه من الوجود عدل الى سؤال فاسد عن وارث
 فقال (فما بال القرون الاولى) أى فمالا تقولون الاولى لم تقر بهذا الرب ولم تعبد بل عبت الاولين ولم
 لو كان ما تقول حقا لم يخف على القرون الاولى ولم يملوه فاحتج عليه بما يشاهده هو وغيره من آثار
 ربوبية رب العالمين فعارضه عدو الله بكفر الكافرين به وشرك المشركين وهذا شأن كل مبطل ولهذا
 صار هذا ميزانا في ورثته يعارضون نصوص الانبياء باقوال الزنادقة والملاحدة وإفراخ الملأسة
 والصابئة والسحرة ومبتدعة الامة وأهل الضلال منهم فاجابه موسى عن معارضته باحسن جواب
 فقال (عليه عايند ربى) أى أعمال تلك القرون وكفرهم وشركهم معلوم ارنى قد احصاه وحفظه وأودعه
 في كتاب فيجازيهم عليه يوم القيامة ولم يودعه في كتاب خشية النسيان والاسلاف فاجابه
 ولا ينسى وعلى هذا فالكتاب هاهنا كتاب الاعمال وقيل النكاح معنى به الخلق الخلق على هذا
 فهو كتاب القدر السابق والمعنى على هذا انه سبحانه قد علم أعمالهم وكتبها عنده قبل ان يعملوها
 فيكون هذا من تمام قوله الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فتمامه

فصل وهو سبحانه في القرآن كثيرا ما يجمع بين الخلق والهداية فيكون قوله في سورة
 أنزلها على رسوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى
 علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وقوله (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقوله (لم نجعل
 له عينين ولسانا وشفقتين وهديناه السبيلين فلا اقتحم العقبة) وقوله (الخلق الانسان من علق)
 أمشاج بنبيه فجاءناه سميما بصيرا فانهديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) وقوله (من خلق
 السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فتنبتنا به حقائق ذات بهجة) الآية ثم قال (أمن بالله
 في ظلمات السبر والبحر) فالخلق اعطاء الوجود العيني الخارجى والهدى اعطاء الوجود المعنى الهادى
 فهذا خلقه وهذا هداه وتعليمه

فصل المراتبة الثانية من مراتب الهداية هداية الارشاد والبيان للمكلفين وهذه الهداية
 لا تستلزم حصول التوفيق واتباع الحق وان كانت شرطها فيه أوجزه سبب وذلك لا يستلزم حصول
 المشروط والمسبب بل قد يخالف عنه المقضى اما لعدم كمال السبب أو لوجود مانع ولهذا قال تعالى
 (وأما نمود فهديناهم فاستجابوا لعمى على الهدى) وقال (وما كان ليعضل قوما بعد اذ هداهم حتى
 يبين لهم ما يتقون) فهذه الهدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضاهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولا

بعد أن عرفوا الهدى فاعرضوا عنه فاعلمهم عنه بعد أن أراهموه وهذا شأنه سبحانه في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت نسيبه وحظه كقَالَ تعالى (ذلك بأن الله ليمك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالى عن قوم فرعون (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) أى جحدوا بآياتنا بعد أن نيقنوا بحجتها وقال (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين) وهذه الهداية هى التى أنبتها لرسوله حيث قال (وانك لن تهدى إلى صراط مستقيم) ونفى عنه ملك الهداية الموحية وهى هداية التوفيق والالهام بقوله (انك لن تهدى من أحببت) ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا وبلغا وليس لى من الهداية شئ بعثت إبليس مزينا ومغويا وليس اليه من الضلالة شئ قال تعالى (والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فجمع سبحانه بين الهداء بتبين العامة والخاصة فعم بالدعوة حجة مشيئة وعدلا وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلا وهذه المرتبة أخص من التى قبلها فانها هداية تخص المكلفين وهى حجة الله على خلقه التى لا يهذب أحدا الا بعد إقامة عليه قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال (ان تقول نفس يا مسر تا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين) وقال (كأما اتقي فيها فوج سألم خزتها ألم يأتكم نذر قالوا بلى قد جئنا نذير فكذبنا وقلنا مائز الله من شئ إن آتكم الا في ضلال كبير) فإن قيل كيف تقوم حجة عليهم وقد منعهم من الهدى وحال بينهم وبينه قيل حجة قائمة عليهم بحجته بخلية بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم واراءتهم الصراط المستقيم حتى كأنهم يشاهدونه عيانا وأقام لهم أسباب الهداية ظاهرا وباطنا ولم يحل بينهم وبين تلك الأسباب ومن حال بينه وبينها منهم بزوال عقل أو صغر لا يتميز معه أو كونه بناحية من الأرض لم تبلغه دعوة رساله فانه لا يعذبه حتى يقيم عليه حجة فلم يمنعه من هذا الهدى ولم يحل بينهم وبينه نعم قطع عنهم توفيقه ولم يرد من نفسه اعانتهم والاقبال بقلوبهم اليه فلم يحل بينهم وبين ما هو مقدور لهم وإن حال بينهم وبين ما لا يقدرون عليه وهو فضله ومشيتته وتوفيقه فهذا غير مقدور لهم وهو الذى منعوه وحيل بينهم وبينه فتأمل هذا الموضع واعرف قدره والله المستعان

فصل ^١ المرتبة الثالثة من مراتب الهداية هداية التوفيق والالهام وخلق المشيئة المستلزمة للفعل وهذه المرتبة أخص من التى قبلها وهى التى ضل جهال القدرة بانكارها وصاح عليهم سلف الامة وأهل السنة منهم من نواحى الأرض عصرا بعد عصر الى وقتنا هذا ولكن الجبرية ظلمتهم ولم تصفهم كما ظلموا أنفسهم بانكار الأسباب والقوى وانكار فعل العبد وقدرته وأن يكون له تأثير في الفعل البتة فلم يمتدوا لقول هؤلاء بل زادهم ضلالا على ضلالهم وتمسك بما هم عليه وهذا شأن المبطل اذا دعى مبطلا آخر الى ترك مذهبه لقوله ومذهبه الباطل كالنصرانى اذا دعى اليهودى الى التثليث وعبادة العليق وان المسيح اله تاه غير مخلوق الى أمثال ذلك من الباطل الذى هو عليه وهذه المرتبة تستلزم أمرين أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى والثانى فعل العبد وهو الاهتداء وهو أثر فعله سبحانه فهو الهدى والعبد المهتدى قال تعالى (من يهد الله فهو المهتد) ولا سبيل الى وجود الأثر

الايثاره التام فان لم يحصل فعله لم يحصل فعل العبد ولهذا قال تعالى (ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل) وهذا صريح في ان هذا الهدى ليس له صلى الله عليه وسلم ولو حرص عليه ولا الى أحد غير الله وان الله سبحانه اذا أضل عبدا لم يكن لأحد سبيل الى هدايته كما قال تعالى (من يضل الله فلا هادي له) وقال تعالى (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشأ ويهدي من يشأ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشأ) وقال (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وقال (أفم يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) وقال (فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) وقال أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) ولم يريدوا ان بعض الهدى منه وبعضه منهم بل الهدى كله منه ولولا هدايته لهم لما اهتدوا وقال تعالى (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فإله من هاد ومن يهد الله فإله من مضل أليس الله بعزيز ذواتقام) وقال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وهو العزيز الحليم) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشأ) وقال تعالى (كذلك يضل الله من يشأ ويهدي من يشأ وما يعلم جنود ربك الا هو) وقال (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) وقال (يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجه من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم) وأمر سبحانه عباده كلهم ان يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس وذلك يتضمن الهداية الى الصراط والهداية فيه كما كان الضلال نوعان ضلال عن الصراط فلا يهتدى اليه وضلال فيه فالاول ضلال عن معرفته والثاني ضلال عن تقاضيه أو بعضها قال شيخنا ولما كان العبد في كل حال مقتفرا الى هذه الهداية في جميع ما يأتيه ويذره من أمور قد أنها على غير الهداية فهو محتاج الى التوبة منها وأمور هدى الى أصلها دون تفصيلها أو هدى اليها من وجه دون وجه فهو محتاج الى تمام الهداية فيها ليزداد هدى وأمور هو محتاج الى ان يحصل له من الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي وأمور هو خال عن اعتقاد فيها فهو محتاج الى الهداية وأمور لم يفعلها فهو محتاج الى فعلها على وجه الهداية الى غير ذلك من أنواع الهدايات فرض الله عليه ان يسأله هذه الهداية في أفضل أحواله وهي الصلاة مرات متعددة في اليوم واليلة انتهى كلامه ولا يتم المقصود الا بالهداية الى الطريق والهداية فيها فان العبد قديمتهدى الى طريق قصده وتنزله عن غيرها ولا يهتدى الى تفاصيل سيره فيها وأوقات السير من غيره وزاد المسير وأفات الطريق ولهذا قال ابن عباس في قوله تعالى (لكل جملة منكم شرعة ومنهاج) قال سيلا وسنة وهذا التفسير يحتاج الى تفسير فالسيلا الطريق وهي المنهاج والسنة الشرعة وهي تفاصيل الطريق وحزونه وكيفية السير فيه وأوقات المسير وعلى هذا فقله سيلا وسنة يكون السبيل المنهاج

والسنة الشريعة فالتقدم في الآية لا يؤخر في التفسير وفي لفظ آخر سنة وسبيلاً فيكون التقدم للمقدم والمؤخر للتالي

فصل في هذا إخباره سبحانه بأنه طبع على قلوب الكافرين وختم عليها وأنه أصمها عن الحق وأعمى أبصارها عنه كما قال تعالى (أن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) والوقف التام هنا ثم قال (وعلى أبصارهم غشاوة) كقوله (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غاف بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين . كذلك يطبع الله على قلوب المعتدين . ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) وأخبر سبحانه أن على بعض القلوب أقفالاً تمنعها من أن تنفتح لدخول الهدى إليها وقال (قل هو اللذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) فهذا الوقر والعمى حال بينهم وبين أن يكون لهم هدى وشفاء وقال تعالى (أنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأها الكوفيون وصد بضم الصاد حملا على زين وقال تعالى (أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) وقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) ومعلوم أنه لم ينف هدى البيان والدلالة الذي تقوم به الحجة فانه حجته على عباده والقدرة ترد هذا كله الى التشابه وتجعله من متشابه القرآن وتأوله على غير تأويله بل تأوله بما يقطع بطلانه وعدم ارادة المتكلم له كقول بعضهم المراد من ذلك تسمية الله العبد مهتديا وضالاً فجعلوا هداة واذلاله مجرد تسمية العبد بذلك وهذا مما يعلم قطعاً انه لا يصح حمل هذه الآيات عليه وأنت اذا تأملتها وجدتها لا تحتل ما ذكره البتة وليس في لغة أمة من الامم فضلا عن أفصح اللغات وأكملها هداة بمعنى مهتديا وأضله سماء ضالا وهل يصح أن يقال علمه اذا ساء علما وفهمه اذا ساء فهما وكيف يصح هذا في مثل قوله تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) فهل فهم أحد غير القدرة المحرقة للقرآن من هذا ليس عليك تسميتهم مهتدين ولكن الله يسمى من يشاء مهتديا وهل فهم أحد قط من قوله تعالى (انك لا تهدي من أحببت) لتسميته مهتديا ولكن الله يسميه بهذا الاسم وهل فهم أحد من قول الداعي اهدنا الصراط المستقيم وقوله اللهم اهدني من عندك ونحوه اللهم سمى مهتديا وهذا من جنابة القدرة على القرآن ومعناه تغير جنابة إخوانهم من الجهمية على نصوص الصفات ويجريها عن مواضعها وفتحوا للزنادقة والملاحدة جنابيتهم على نصوص المعاد وتأويلها بتأويلات ان لم تكن أقوى من تأويلاتهم لم تكن دونها وفتحوا القرامطة والباطنية تأويل نصوص الأمر والنهي بنحو تأويلاتهم فتأويل التحريف الذي سلسلته هذه الطوائف أصل فساد الدنيا والدين وخراب العالم وسفرد ان شاء الله كتابا نذكر فيه جنابة المتأولين على الدنيا والدين وأنت اذا وازيت بين تأويلات القدرة والجهمية والرافضة لم تجد بينها وبين تأويلات الملاحدة والزنادقة من القرامطة والباطنية وأمثالهم كبير فرق والتأويل الباطل يتضمن تعطيل ما جاء به الرسول والكذب على المتكلم انه أراد ذلك المعنى فتضمن ابطال الحق وتحقيق الباطل ونسبة المتكلم الى ما لا يليق به من التليس والالغاز مع القول عليه بلا علم انه أراد هذا المعنى فالتأويل عليه أن يبين صلاحية اللفظ للمعنى الذي ذكره أولا واستعمال المتكلم له في ذلك المعنى في أكثر

المواضع حتى اذا استعمله فيما يحتمل غيره حل على ما عهد منه استعماله فيه وعليه ان يقيم دليلا سالما عن المعارض على الموجب لصرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته الى مجازه واستعارته والا كان ذلك مجرد دعوى منه فلا تقبل. وتأويل بعضهم هذه النصوص على ان المراد بها هداية البيان والتعريف لخلق الهدى في القلب فان الله سبحانه لا يقدر على ذلك عند هذه الطاقة وهذا التأويل من ابطال الباطل فان الله سبحانه يخبر انه قسم هدايته للعبد قسمين قسما لا يقدر عليه غيره وقسما مقدورا للعباد فقال في القسم المقدور للغير (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) وقال في غير المقدور للغير (انك لاتهدي من احببت) وقال (من يضلل الله فلا هادي له) ومعلوم قطعا ان البيان والدلالة قد تحصل له ولا تنفي عنه وكذلك قوله (فان الله لا يهدي من يضل) لا يصح حمله على هداية الدعوة والبيان فان هذا يهدي وان أضله الله بالدعوة والبيان وكذا قوله (وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) هل يجوز حمله على معنى فمن يدعوه الى الهدى ويبين له ما تقوم به حجة الله عليه وكيف يضع هؤلاء بالنصوص التي فيها انه سبحانه هو الذي أضلهم أيحوز لهم حملها على انه دعاهم الى الضلال فان قالوا ليس ذلك معناها وانما معناها الفاهم ووجدتهم كذلك أو اعلم ملائكته ورسله بضالهم أو جعل على قلوبهم علامة يعرف الملائكة بها انهم ضلال قيل هذا من جنس قولكم ان هداية سبحانه واضلاله بتسميتهم مهتدين وضالين فهذه أربع تحريفات لكم وهو انه سماهم بذلك وعلمهم بعلامة يعرفهم بها الملائكة وأخبر عنهم بذلك ووجدتهم كذلك فالأخبار من جنس التسمية وقد بينا ان اللغة لاتحتمل ذلك وان النصوص اذا تأملها المتأمل وجدها أبعد شيء من هذا المعنى وأما العلامة فيانحيا للفرقة التحريف وما جنت على القرآن والایمان ففي أى لغة وأى لسان يدل قوله تعالى (انك لاتهدي من احببت) على معنى انك لاتعلمه بعلامة ولكن الله هو الذي يعلمه بها وقوله (من يضلل الله فلا هادي له) من يعلمه الله بعلامة الضلال لم يعلمه غيره بعلامة الهدى وقوله (ولو شئنا لآتيناك كل نفس هداها) لعلمنا بها بعلامة الهدى الذي خلقته هي لنفسها وأعطته نفسها وفي أى لغة يفهم من قول الداسي اهدنا الصراط المستقيم علمنا بعلامة يعرف الملائكة بها اننا مهتدون وقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا لاتعلمها بعلامة أهل الزيغ وقوله يا مقاب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرف قلبي على طاعتك وأمثال ذلك من النصوص ففي أى لغة وأى لسان يفهم من هذا علمنا بعلامة الثبات والتصرف على طاعتك وفي أى لغة يكون معنى قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية) علمنا بعلامة القسوة أو وجدناها كذلك نعم لو نزل القرآن بلاغة القدريّة والجميعة وأهل البدع لا يمكن حمله على ذلك أو كان الحق نبعا لا هوأئهم وكانت نصوصه تبعا لبدع المبتدعين وآراء المتحيرين وأنت تجد جميع هذه الطوائف تنزل القرآن على مذاهبها وبدعها وآرائها فالقرآن عند الجميعة جهمي وعند المعتزلة معتزلي وعند القدريّة قدرى وعند الرافضة رافضى وكذلك هو عند جميع أهل الباطل وما كانوا أولياءه ان أوليائه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون واما تحريفهم هذه النصوص وأمثالها بان المعنى الفاهم ووجدتهم ففي أى لسان وأى لغة وجدتم هديت الرجل ادا وجدته مهتديا وختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة وجدته كذلك بل هذا لا انفراء محض على القرآن والباغة فان قالوا نحن لم نقل هذا في نحو ذلك وانما قلناه في نحو أضله الله أى وجده ضالا كما يقال أهدت الرجل وأبخلته وأجنته اذا

وجدته كذلك أو نسبت به فيقال لفرقة التحريف هذا لما ورد في ألفاظ معدودة نادرة والأفوض
 هذا البناء على أنك فعلت ذلك به ولا سيما إذا كانت الهمزة للتعدية من الثلاثي كقام وأتمته وقعدوا فعدته
 وذهب وأذهبته وسمع وأسمعته ونام وأتمته وكذا ضل وأضله الله وأسعدته وأشقاء وأعطاه وأخزاه
 وأمانه وأحياه وأزاع قلبه وأقامه إلى طاعته وأيقظه من غفلته وأراه آياته وأنزله منزلا مباركا وأسكنه
 جنته إلى أضعاف ذلك هل تجد فيه اللفظا واحدا معناه أنه وجده كذلك تعالى الله عما يقول المحرفون
 ثم انظر في كتاب فعل وأفعل هل تظفر فيه بأفعلة بمعنى وجدته مع سعة الباب الافي الحرفين أو
 الثلاثة فقلنا عن أهل اللغة ثم انظر هل قال أحد من الأولين والآخرين من أهل اللغة إن العرب
 وضمت أضله الله وهداه وحتم على سمعه وقلبه وأزاع قلبه وصرفه عن طاعته ونحو ذلك لمعنى وجده
 كذلك ولما أراد سبحانه الإبانة عن هذا المعنى قال (ووجدك ضالا فهدى) ولم يقل وأضلك وقال في
 حق من خالف الرسول وكفر بما جاء به وأضله على علم ولم يقل ووجده الله ضالا ثم أى توحيد
 وتمدح وتعرف للعباد أن الأمر كله لله ويبدعه وأنه ليس لاحد من أمره شيء في مجرد التسمية والعلامة
 ومصادفة الرب تعالى عباده كذلك ووجوده لهم على هذه الصفات من غير أن يكون له فيها صنع أو
 خلق أو مشيئة وهل يعجز البشر عن التسمية والمصادفة والوجود كذلك فأى مدح وأى ثناء يحسن
 على الرب تعالى بمجرد ذلك قائم وأخوانكم من الجبرية لم تمدحوا الرب بما يستحق أن يمدح به ولم تنتوا
 عليه بأوصاف كماله ولم تقدره حق قدره واتباع الرسول وحزبه وخاصته يريئون منكم ومنهم في
 باطلكم وباطلهم وهم معكم ومعهم فيما عندكم من الحق لا يتحيزون إلى غير ما بينه الرسول وجاء به ولا
 يخرفون عنه نصرة لآراء الرجال المختلفة وأهوائهم المتشعبة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو
 الفضل العظيم قال ابن مسعود علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة
 أن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل
 فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبقرا ثلاث آيات (اتقوا الله حق
 تقاه الآية اتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا)
 الآية قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن خالد
 الحذاء عن عبد الأعلى عن عبد الله بن الحارث قال خطب عمر بن الخطاب بالجابية فحمد الله وأثنى
 عليه وعنده جاتليق يترجم له ما يقول فقال من يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي فنفض جبينه
 كالمنكر لما يقول قال عمر ما يقول قالوا يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحدا قال عمر كذبت أى
 عدو الله بل الله خلقك وقد أضلك ثم يذلك النار أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك إن الله
 عز وجل خلق أهل الجنة وما هم عاملون وخلق أهل النار وما هم عاملون فقال هؤلاء هذه وهؤلاء
 لهذه قال ففرق الناس وما يختلفون في القدر

فصل في المرتبة الرابعة من مراتب الهداية الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى
 (أحسروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) وقال
 تعالى (والذين قبلوا في سبيل الله فإن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم) فهذه هداية بعد قتلهم فليل
 المعنى سيديهم إلى طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة بارتضاء خسرانهم وقبول أعمالهم وقال ابن

عباس سيدهم الى أرشد الامور وبصمهم أيام حياتهم في الدنيا واستشكك هذا بقول لانه أخبر عن
المقتولين في سبيله بلهم سيدهم واحذره الزجج وقال يصلح بالهم في انفسهم واحكام الدنيا قال
وأراد به يجمع لهم خير الدنيا والآخرة وعلى هذا القول فلا بد من حمل قوله قتلوا في سبيل الله على
معنى يصح معه اثبات الهداية واصلاح البال

الباب الخامس عشر

في الطبع والختم والقفل والغل والسد والغشاوة والحائل بين الكافر وبين الايمان

وان ذلك مجموع للرب تعالى

قال تعالى (ان الذين كفروا وساءوا عليهم أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى أبصارهم غشاوة) وقال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلفت بل
طبع الله عليها بكفرهم) وقال (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) وقال (ونطبع على قلوبهم فهم
لا يسمعون) وقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال (لقد حق القول على أكثرهم فهم
لا يؤمنون انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا فاعشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أنذرهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقد دخل هذه
الآيات ونحوها طائفتا القدريه والخبرية فخرها القدريه بأنواع من التحريف المبطل لمعانيها وما أريد منها
وزعمت الخبرية ان الله أكرهها على ذلك وقهرها عليه وأجبرها من غير فعل منها ولا ارادة ولا اختيار
ولا كسب البتة بل حال بينها وبين الهدى ابتداء من غير ذنب ولا سبب من العبد يقتضى ذلك بل أمره
وحال مع أمره بينه وبين الهدى فلم يسر اليه سبيلا ولا اعطاه عليه قدرة ولا مكنه منه بوجه وأراد
بعضهم بل أحب له الضلال والكفر والمعاصي ورضيه منه فهدى أهل السنة والحديث واتباع الرسول لما
اختلف فيه هاتان الطائفتان من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. قالت القدريه لا يجوز
حمل هذه الآيات على انه منهم من الايمان وحال بينهم وبينه اذ يكون لهم الحجة على الله ويقولون كيف
يأمرنا بأمر ثم يحول بيننا وبينه ويعاقبنا عليه وقد منعنا من فعله وكف بكلفنا بأمر لا قدرة لنا عليه وهل
هذا الابتاثية من امر عبده بالدخول من باب ثم سد عليه الباب سدا محكما لا يمكنه الدخول معه البتة ثم
عاقبه أشد العقوبة على عدم الدخول وبمزالة من أمره بالمشي الى مكان ثم قيده بقيد لا يمكنه معه نقل قدمه
ثم أخذ يعاقبه على ترك المشي واذا كان هذا قبيحا في حق الخلق الفقير المحتاج فكيف ينسب الى الرب
تعالى مع كمال غناه وعلمه واحسانه ورحمته قالوا وقد كذب الله سبحانه الذين قالوا قلوبنا غلفت وفي أكنة
وانها قد طبع عليها وذمهم على هذا القول فكيف ينسب اليه تعالى ولكن القوم لما أعرضوا وتركوا
الاهتمام بهداه الذي بعث به رسله حتى صار ذلك الاعراض والنفار كالألف والطبيعة والسجية أشبه
حالهم حال من منع عن الشيء وصده عنه وصار هذا وقرا في آذانهم وختم على قلوبهم وغشاوة على
أعينهم فلا يخلص اليها الهدى وانما أضاف الله تعالى ذلك اليه لان هذه الصفة قد صارت في تمكينا
وقوة نباتها كالحلقة التي خاق عليها العبد قالوا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون) وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وقال (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وقال (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) ولعمرك ان الذي قاله هؤلاء حق أكثر من باطله وصحيحة أكثر من سقيمه ولكن لم يوفوه حقه وعظماؤا الله من جهة وأخلاقا بعظميه من جهة فعظماؤه يتزايه عن الظلم وخلاف الحكمة وأخلاقا بعظميه من جهة التوحيد وكمال القدرة ونفوذ المشيئة والقرآن يدل على صحة ما قالوه في الران والطبع والحق من وجه وبطلانه من وجه وأما صحته فانه سبحانه جعل ذلك عقوبة لهم وجزاء على كفرهم وأعراضهم عن الحق بعد أن عرفوه كما قال تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال (ونقاب أفندتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقد اعترف بعض القدرة بان ذلك خلق الله سبحانه ولكنه عقوبة على كفرهم وأعراضهم السابق فانه سبحانه يعاقب على الضلال المقدور بالضلال بعده ويثيب على الهدى بهدى بعده كما يعاقب على السيئة بسيئة مثلهما ويثيب على الحسنة بحسنة مثلهما وقال تعالى (والذين اهدتوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا بين الحق والباطل وقال في ضد ذلك (فألكم في المنافقين فتنين والله أركسهم بما كسبوا) وقال (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وهذا الذي ذهب اليه هؤلاء حق والقرآن دل عليه وهو موجب العدل والله سبحانه ماض في العبد حكمه عدل في عبده قضاءه فانه اذا دعى عبده الى معرفته ومحبة وذكره وشكره فأبى العبد الا اعراضا وكفرا قضى عليه بان اغفل قلبه عن ذكره وصدده عن الايمان به وحال بنين قلبه وبين قبول الهدى وذلك عدل منه فيه وتكون عقوبته بالحق والطبع والصدق عن الايمان كعقوبته له بذلك في الآخرة مع دخول النار كما قال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالو الجحيم) فحجابه عنهم اضلال لهم وصد عن رؤيتهم وكمال معرفته كما عاقب قلوبهم في هذه الدار بصددها عن الايمان وكذلك عقوبته لهم بصددهم عن السجود له يوم القيامة مع الساجدين هو جزاء امتناعهم من السجود له في الدنيا وكذلك عماهم عن الهدى في الآخرة عقوبة لهم على عماهم في الدنيا ولكن أسباب هذه الجزايم في الدنيا كانت مقدورة لهم واقعة باختيارهم وارادتهم وفعلاهم فاذا وقعت عقوبات لم تكن مقدورة بل قضاء جار عليهم ماض عدل فيهم وقال تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ومن هنا يفتح للعبد باب واسع عظيم النفع جدا في قضاء الله المعصية والكفر والفسوق على العبد وان ذلك محض عدل فيه وليس المراد بالعدل ما يقوله الجبرية انه الممكن فكل ما يمكن فعله بالعبد فهو عندهم عدل والظالم هو الممتنع لذاته فهو لا قد سدوا على أنفسهم باب الكلام في الاسباب والحكم والمراد به ما يقوله القدرة الفاعلة انه انكار عموم قدرة الله ومشيئته على أفعال عباده وهدايتهم واضلالهم وعموم مشيئته لذلك وان الامر اليهم لا اليه وتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك عدل في قضائك كيف ذكر البعد في القضاء مع الحكم المتأفد وفي ذلك رد لقول الطائفتين القدرة والجبرية فان العدل الذي أثبتته القدرة مناف للتوحيد معطل

لكمال قدرة الرب وعموم مشيئته والعدل الذي أثبتته الجبرية منافع للحكمة والرحمة ولحقيقة العدل والعدل الذي هو اسمه وصفته ومنتهى سبحانه خارج عن هذا وهذا ولم يعرفه الا بالرسول وآبائهم ولهذا قال هود عليه الصلاة والسلام لقومه (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) فاجبر عن عموم قدرته ونفوذ مشيئته وتصرفه في خلقه كيف شاء ثم اخبر انه في هذا التصرف والحكم على صراط مستقيم وقال أبو اسحاق أى هو سبحانه وان كانت قدرته تنالهم بما شاء فانه لا يشاء الا بالعدل وقال ابن الانبارى لما قال هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا يخرج من قبضته وانه قاهر بعظيم سلطانه لكل دابة فاتبع قوله ان ربي على صراط مستقيم قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا بحسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان على طريقة حسنة وليس ثم طريق ثم ذكر وجها آخر فقال لما ذكر ان سلطانه قد قهر كل دابة أتبع هذا قوله ان ربي على صراط مستقيم أى لا تخفى عليه مشيئته ولا يمدل عنه هارب فذكر الصراط المستقيم وهو يعنى به الطريق الذى لا يكون لاحد مسلك الاعلى كما قال ان ربك لبالمرصاد قلت فعلى هذا القول الاول يكون المراد انه في تصرفه في ملكه يتصرف بالعدل ومجازاته المحسن باحسانه والمسيء باسائه ولا يظلم مثقال ذرة ولا يعاقب أحدا بما لم يجبه ولا يعضمه ثواب ما عمله ولا يحمل عليه ذنب غيره ولا يأخذ أحدا بجريرة أحد ولا يكلف نفسا ما لا تطيقه فيكون من باب له الملك وله الحمد ومن باب ماض في حكمك عدل في قضاؤك ومن باب الحمد لله رب العالمين أى كما انه رب العالمين المتصرف فيهم بقدرته ومشيتته فهو المحمود على هذا التصرف وله الحمد على جميعه وعلى القول الثانى المراد به التهديد والوعيد وان مصير العباد اليه وطريقهم عليه لا يفوته منهم أحد كما قال تعالى (قال هذا صراط على مستقيم) قال الفراء يقول مرجمهم الى فاجازهم كقوله ان ربك لبالمرصاد قال وهذا كما تقول في الكلام طريقك على وأنا على طريقك لمن أوعده وكذلك قال الكلبي والكسائي ومثل قوله وعلى الله قصد السبيل على إحدى القولين في الآية وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه ومنها أى ومن السبيل ما هو جائر عن الحق ولو شاء لهداكم أجمعين فاجبر عن عموم مشيئته وان طريق الحق عليه موصلة اليه فمن سلكها فاليه يصل ومن عدل عنها فانه يضل عنه والمقصود ان هذه الايات تتضمن عدل الرب تعالى وتوحيده والله يتصرف في خلقه بملكه وحده وعدله وأحسانه فهو على صراط مستقيم في قوله وفعله وشرعه وقدره وثوابه وعقابه يقول الحق ويفعل العدل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل فهذا العدل والتوحيد الذين دل عليهما القرآن لا يتناقضان وأما توحيد أهل القدر والجبر وعدلهم فكل منهما يبطل الآخر ويناقضه

فصل في مناقضة القدرة هذه الطريق فقد توسط بين الطائفتين لكنه يلزمه الرجوع الى مثبتى القدر قطعا والاتناقض أبين تناقض فانه اذا زعم ان الضلال والطبع والحتم والغفل والوقر وما يحول بين العبد وبين الايمان مخلوق لله وهو واقع بقدرته ومشيتته فقد أعطى ان أفعال العباد مخلوقة وانها واهمة بمشيئته فلا فرق بين الفعل الابتدائى والفعل الجبرائى ان كان هذا مقدور الله وأفعاله بمشيئته والآخر كذلك وان لم يكن ذلك مقدورا ولا يصح دخوله تحت المشيئة فهذا كذلك والتفريق بين النوعين تناقض محض وقد حكى هذا التفريق عن بعض القدرية أبو القاسم الانصارى في شرحه

الارشاد فقال ولقد اعترف بعض القدرية بان الختم والطبع توابع غير انها عقوبات من الله لاصحاب الجرائم قال ومن صار الى هذا المذهب عبد الواحد بن زيد البصري وبكر بن اخته قال وسبيل المنعاقين بذلك سبيل المنعاقين بالنار وهؤلاء قد بقي عليهم درجة واحدة وقد تحيزوا الى اهل السنة والحديث

﴿فصل﴾ وقالت طائفة منهم الكافر هو الذي طبع على قلب نفسه في الحقيقة وختم على قلبه والشیطان أيضا فعل ذلك ولكن لما كان الله سبحانه هو الذي أقدر العبد والشیطان على ذلك نسب الفعل اليه لاقراره للتفاعل على ذلك لانه هو الذي فعله • قال اهل السنة والعدل هذا الكلام فيه حق وباطل فلا يقبل مطلقا ولا يرد مطلقا فتقولكم ان الله سبحانه أقدر الكافر والشیطان على الطبع والختم كلام باطل فانه لم يقدره الاعلى التزين والوسوسة والدعوة الى الكفر ولم يقدره على خلق ذلك في قلب العبد البتة وهو اقل من ذلك وأعجز وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بشت داعيا ومبغيا وليس الى من الهداية شيء وخلق ابليس مزينيا وليس اليه من الضلالة شيء فقدور الشيطان أن يدعو العبد الى فعل الاسباب التي اذا فعلها ختم الله على قلبه وسمعه وطبع عليه كما يدعو الى الاسباب التي اذا فعلها عاقبه الله بالنار فمقابله بالنار كمتابته بالختم والطبع واسباب العقاب فعله وتزينها وتحسينها فعل الشيطان والجميع مخلوق لله • واماما في هذا الكلام من الحق فهو ان الله سبحانه أقدر العبد على الفعل الذي أوجب الطبع والختم على قلبه فلولا اقدار الله له على ذلك لم يفعله وهذا حق لكن القدرية لم توف هذا الموضع حقه وقالت أقدره قدرة تصلح للضدين فكان فعل أحدهما باختياره ومشيته التي لا تدخل تحت مقدور الرب وان دخلت قدرته الصالحة لهما تحت مقدوره سبحانه فمشيته واختياره وقوله غير واقع تحت مقدور الرب وهذا من ابطال الباطل فان كل ماسوا تعالی مخلوق له داخل تحت قدرته واقع بمشيته ولو لم يشأ لم يكن • قلت القدرية لما عرضوا عن التدبير ولم يصفوا الى التذكر وكان ذلك مقارنا لاراد الله سبحانه حجة عليهم أضيفت أفعالهم الى الله لان حدوثها انما اتفق عند اراد الحجة عليهم • قال اهل السنة هذا من احوال الحال أن يضيف الرب الى نفسه أمر الاضافة اليه البتة لمقارنته ماهو من فعله ومن المعلوم ان الضديقارن الضد فالشر يقارن الخير والحق يقارن الباطل والصدق يقارن الكذب وهل يقال ان الله يحب الكفر والفسوق والعنسان لمقارنتها ما يحبه من الايمان والطاعة وانما يحب ابليس لمقارنته وجوده لوجود الملائكة فان قيل قد ينسب الشيء الى الشيء لمقارنته له وان لم يكن له فيه تأثير كقوله تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول انكم زادته هذاه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وما تواوهم كافرين) ومعلوم ان السورة لم تحدث لهم زيادة رجس بل قارن زيادة رجسهم نزولها فنسب اليها قيل لم ينحصر الامر في هذين الامرين اللذين ذكرتموهما وهما احداث السورة الرجس والثاني مقارنته لنزولها بل ههنا أمر ثالث وهو ان السورة لما أنزلت اقضى نزولها الايمان بها والتصديق والاذعان لأوامرها ونواهيها والعمل بما فيها فوطن المؤمنون أنفسهم على ذلك فازدادوا ايمانا بسببها فنسبت زيادة الايمان اليها اذ هي السبب في زيادته وكذبها الكافرون وجحدوها وكذبوا من جاء بها ووطنوا أنفسهم على مخالفة ما تضمنته وانكاره فازدادوا بذلك رجسا فنسب اليها اذ كان نزولها ووصولها اليهم هو السبب في تلك

الزيادة فإن هذا من نسبة الافعال القيحة عندكم التي لا تجوز نسبتها الى الله عند دعوتهم الى الايمان وتدر آياته على ان افعالهم القيحة لا تنسب الى الله سبحانه وانما هي منسوبة اليهم والمنسوب اليه سبحانه أفعاله الحسنة الجليلة المتضمنة للمنايات المحمودة والحكم المطلوبة والحلم والطبع والفعل والاضلال أفعال حسنة من الله وضمها في أليق المواضع بها اذ لا يليق بذلك المحل الخبيث غيرها والشرك والكفر والمعاصي والظلم أفعاله القيحة التي لا تنسب الى الله فعلا وان نسبت اليه خلقا خلقها غيرها والخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول والقضاء غير المقضى والقدر غير المقدور وستمر بك هذه المسئلة مستوفاة ان شاء الله في باب اجتماع الرضاء بالقضاء وسخط الكفر والفسوق والعصيان ان شاء الله . قالت القدريه لما بانوا في الكفر الى حيث لم يبق طريق الى الايمان لهم الا بالقسر والالءاء ولم تقتض حكمته تعالى ان يقرهم على الايمان ثلاثا تزول حكمه التكليف عنهم ترك الالءاء والقسر بالحلم والطبع إعلاما لهم بانهم اتهموا في الكفر والاعراض الى حيث لا ينتهون عنه الا بالقسر وتلك الغاية في وصف لجاحهم وتماديهم في الكفر . قال أهل السنة هذا كلام باطل فانه سبحانه قادر على أن يخلق فيهم مشيئة الايمان وارادته ومحبته فيؤمنون بغير قسر ولا الءاء بل ايمان اختيار وطاعة كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وايمان القسر والالءاء لا يسمى ايمانا ولهذا يؤمن الناس كلهم يوم القيامة ولا يسمى ذلك ايمانا لانه عن الءاء واضطرار قال تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) وما يحصل للنفس من المعرفة والتصديق بطريق الالءاء والاضطرار والقسر لا يسمى هدى وكذلك قوله (أفلم يأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فقولكم لم يبق طريق الى الايمان الا بالقسر باطل فانه بقي الى ايمانهم طريق لم يرهم الله اياه وهو مشيئته وتوفيقه والهامة وامالة قلوبهم الى الهدى واقامتها على الصراط المستقيم وذلك أمر لا يعجز عنه رب كل شيء ومليكه بل هو القادر عليه كقدرته على خلقه ذواتهم وصفاتهم ودرائهم ولكن منهم ذلك لحكمته وعدله فيهم وعدم استحقاقهم وأهليتهم لبذل ذلك لهم كما منع السفلى خصائص العلو ومنع الحار خصائص البارد ومنع الخبيث خصائص الطيب ولا يقال فلم فعل هذا فان ذلك من لوازم ملكه وربوبيته ومن مقتضيات أسمائه وصفاته وهل يليق بحكمته أن يسوى بين الطيب والخبيث والحسن والقبيح والجيد والردي ومن لوازم الربوبية خلق الزوجين وتنويع المخلوقات وأخلاقها . فقول القائل لم خلق الردي والخبيث واللئيم سؤال جاهل باسمائه وصفاته وملكه وربوبيته وهو سبحانه فرق بين خلقه أعظم تفريق وذلك من كمال قدرته وربوبيته فجعل منه ما يقبل جميع الكمالات الممكن ومنه ما لا يقبل شيئا منه وبين ذلك درجات متفاوتة لايحصيها الا الخلاق العليم وهدى كل نفس الى حصول ما هي قابلة له والقابل والمقبول والقبول كله مفعوله ومخلوقه وأثر فعله وخلقه وهذا هو الذي ذهب عن الجبرية والقدريه ولم يهتدوا اليه وبالله التوفيق . قالت القدريه الحتم والطبع هو شهادته سبحانه عليهم بانهم لا يؤمنون وعلى اسماعهم وعلى قلوبهم . قال أهل السنة هذا هو قولكم بان الحتم والطبع هو الاخبار عنهم بذلك وقد تقدم فساد هذا بما فيه كفاية وانه لا يقال في لغة من لغات الامم لمن أخبر عن غيره بانه مطبوع على قلبه وان عليه حتما أنه قد طبع على قلبه وختم عليه بل هذا كذب على اللغات وعلى القرآن وكذلك قول من قال ان ختمه على قلوبهم اطلاعه على ما فيها من الكفر ونذلك قول من قال انه احصاؤه

عليهم حتى يجازيهم به وقول من قال انه اعلامها بعلامه تعرفها بها الملائكة وقد بنا بطلان ذلك بما فيه كفاية . قالت القدرية لا يلزم من الطبع والحتم والقفل أن تكون مانعة من الايمان بل يجوز أن يجعل الله فيهم ذلك من غير أن يكون منهم من الايمان بل يكون ذلك من جنس الغفلة والبلادة والغشا في البصر فيورث ذلك اعراضا عن الحق وتعاميا عنه ولو أنعم النظر وتفكر وتدبر لما آثر على الايمان غيره وهذا الذي قالوه يجوز أن يكون في أول الامر فإذا تمكن واستحكم من القلب ورسخ فيه امتنع معه الايمان ومع هذا فهو أثر فعله وإعراضه وغفلته وإثبات شهوته وكبره على الحق والهدى فلما تمكن فيه واستحكم صار صفة راسخة وطبعاً وحتماً وقفلاً ورائاً فكان مبداه غير حائل بينهم وبين الايمان والايمان يمكن معه لو شاؤا لآمنوا مع مبادئ تلك الموانع فلما استحكمت لم يبق الى الايمان سبيل ونظير هذا ان العبد يستحسن ما يهواه فيميل اليه بعض الميل في هذه الحال يمكن صرف الداعية له اذ الاسباب لم تستحكم فإذا استمر على ميله واستدعى أسبابه واستمكن لم يمكنه صرف قلبه عن الهوى والحجة فيطبع على قلبه ويحتم عليه فلا يبقى فيه محل لغير ما يهواه ويحبه وكان الانصراف مقدورا له في أول الامر فلما تمكن أسبابه لم يبق مقدورا له كما قال الشاعر

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فلو أنهم بادروا في مبدأ الامر الى مخالفة الاسباب الصادة عن الهدى لسهل عليهم ولما استعصى عليهم ولقدروا عليه ونظير ذلك المبادرة الى ازالة العلة قبل استحكام أسبابها ولزومها للبدن لزوما لا ينفك منها فإذا استحكمت العلة وصارت كالجزء من البدن عز على الطبيب استنقاذ العليل منها ونظير ذلك المتوكل في حمة فانه ما لم يدخل تحتها فهو قادر على التخلص فإذا توسط معظمها عز عليه وعلى غيره انقاذه فبادئ الامور مقدورة للعبد فإذا استحكمت أسبابها وتمكنت لم يبق الأمر مقدورا له فتأمل هذا الموضع حق التأمل فانه من انفع الاشياء في باب القدر والله الموفق للصواب والله سبحانه جاعل ذلك كله وخالفه فيهم باسباب منهم وتلك الاسباب قد تكون أمورا عديمة يكفي فيها عدم مشيئة اضدادها فلا يشاء سبحانه أن يخلق للعبد أسباب الهدى فيبقى على العدم الاصلى وأن أراد من عبده الهداية فهي لا تحصل حتى يريد من نفسه اعانته وتوقيفه فإذا لم يرد سبحانه من نفسه ذلك لم تحصل الهداية

فصل ١٠ وما ينبغي أن يعلم انه لا يمتنع مع الطبع والحتم والقفل حصول الايمان بأن يفك الذي ختم على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل ذلك الحتم والطابع والقفل ويهديه بعد ضلاله ويعلمه بعد جهله ويرشده بعد غيه ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التي هي بيده حتى لو كتب على جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يحموها ويكتب عليه السعادة والايمان وقرأ قارئ عند عمر بن الخطأب أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها وعنده شاب فقال اللهم عليها أقفالها ومفاتيحها بيدك لا يفتحها سواك فمر بها له عمر وزادته عنده خيرا وكان عمر يقول في دعائه اللهم ان كنت كنتي شقيا فامحني واكتبني سعيدا فانك تمحو ما تشاء وتثبت فالرب تعالى فعال لما يريد لا حرج عليه وقد ضل ههنا فريقان القدرية حيث زعمت ان ذلك ليس مقدورا للرب ولا يدخل تحت فعله اذ لو كان مقدورا له ومنعه العبد لناقض جوده ولطفه والجرية حيث زعمت انه سبحانه اذا قدر قدرا أو علم

شيئا فانه لا يغيره بعد هذا ولا يتصرف فيه بخلاف ما قدره وعلمه والطائفتان حجرت على من لا يدخل تحت حجر احد اصلا وجميع خلقه تحت حجره شرعا وقدره وهذه المسئلة من أكبر مسائل القدر وسيمر بك ان شاء الله في باب المحو والأبواب ما يشفيك فيها والمقصود انه مع الطبع والحتم والقفل لو تعرض البعد أمكنه فك ذلك الحتم والطابع وفتح ذلك القفل يفتح من بيده مفتاح كل شيء وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير متممة عليه وان كان فك الحتم وفتح القفل غير مقدوره كما ان شرب الدواء مقدور له وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور فاذا استحكم به المرض وصار صفة لازمة له لم يكن له عذر في تقاطي ماله من أسباب الشفاء وان كان غير مقدور له ولكن لما الف العلة وساكها ولم يجب زوالها ولا آثر ضدها عليها مع معرفته بما بينها وبين ضدها من التفاوت فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية والله سبحانه يهدي عبده اذا كان ضالا وهو يحسب انه على هدى فاذا تبين له الهدى لم يعدل عنه لمحبهه وملائمته لنفسه فاذا عرف الهدى فلم يحبه ولم يرض به وآثر عليه الضلال مع تكرر تعرفه منعمة هذا وخيره ومضرة هذا وشره فقد سد على نفسه باب الهدى بالكلية فهو انه في هذه الحال تعرض واقفر الى من بيده هداه وعلم انه ليس اليه هدى نفسه وانه ان لم يهد الله فهو ضال وسأل الله أن يقبل بقلبه وان يقيه شر نفسه وقفه وهداه بل لو علم الله منه كراهية لما هو عليه من الضلال وانه مرض قاتل ان لم يشفه منه أهلكه لكأن كراهته وبغضه اياه مع كونه مبتلي به من أسباب الشفاء والهداية ولكن من أعظم أسباب الشقاء والضلال محبته له ورضاه به وكراهته الهدى والحق فلو ان المطبوع على قلبه الخنوم عليه كره ذلك ورغب الى الله في فك ذلك عنه وفعل مقدوره لكن هداه أقرب شيء اليه ولكن اذا استحكم الطبع والحتم حال بينه وبين كراهة ذلك وسؤال الرب فكه وفتح قلبه

(فصل) فان قيل فاذا جوزتم أن يكون الطبع والحتم والقفل عقوبة وجزاء على الجرائم والاعراض والكفر السابق على فعل الجرائم قيل هذا موضع يغلط فيه أكثر الناس ويظنون بالله سبحانه خلاف موجب أسأته وصفاته والقرآن من أوله الى آخره انما يدل على ان الطبع والحتم والغشاوة لم يبقها الرب سبحانه بعبد من أول وهلة حين أمره بالإيمان أو بينه له وانما فعله بعد تكرار الدعوة منه سبحانه والتأكيد في البيان والارشاد وتكرار الاعراض منهم والمبالغة في الكفر والعناد فحينئذ يطبع على قلوبهم ويختم عليها فلا تقبل الهدى بعد ذلك والاعراض والكفر الاول لم يكن مع ختم وطبع بل كان اختيارا فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية فتأمل هذا المعنى في قوله (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) ومعلوم ان هذا ليس حكما يعم جميع الكفار بل الذين آمنوا وصدقوا الرسل كان أكثرهم كفارا قبل ذلك ولم يختم على قلوبهم وعلى أسماعهم فهذه الآيات في حق أقوام مخصوصين من الكفار فعل الله بهم ذلك عقوبة منه لهم في الدنيا بهذا النوع من العقوبة العاجلة كما عاقب بعضهم بالسلخ قرده وخازير وبعضهم بالطمس على أعينهم فهو سبحانه يعاقب بالطمس على القلوب كما يعاقب بالطمس على الأعين وهو سبحانه قد يعاقب بالضلال عن الحق عقوبة دائمة مستمرة وقد يعاقب به الى وقت ثم يعافي عبده ويهديه كما يعاقب بالنداب كذلك

(فصل) وهنأ عدة أمور عاقب بها الكفار بمنهم عن الايمان وهى الحتم والطبع والاكنة .
والغطاء والغلاف والحجاب والوقر والفاشاة والران والف والف والسد والقفل والسمم والبكم
والعمى والصد والصرف والشدة على القلب والضلال والاعغال والمرض وتقلب الافئدة .
والحول بين المرء وقلبه . وازاعة القلوب والحذلان والاركاس والتشيط والتزيين وعدم ارادة
هداهم وتطهيرهم وامانة قلوبهم بعد خلق الحياة فيها فتبقى على الموت الاصلى وامسك النور عنها فتبقى
في الظلمة الاصلية . وجعل القلب قاسيا لا ينطبع فيه مثال الهدى وصورته . وجعل الصدر ضيقا حرجا
لا يقبل الايمان . وهذه الامور منها ما يرجع الى القلب كالحتم والطبع والقفل والاكنة والاعغال والمرض
ونحوها ومنها ما يرجع الى رسوله الموصل اليه الهدى كاصم والوقر ومنها ما يرجع الى طبيعته ورائده
كالعمى والفاشاة ومنها ما يرجع الى ترجمانه ورسوله المبلغ عنه كالبكم النطقى وهو نتيجة البكم القلبي فاذا
بكم القلب بكم اللسان ولا تصغ الى قول من يقول ان هذه مجازات واستعارات فانه قال بحسب مبالغه
من العلم والفهم عن الله ورسوله وكان هذا القائل حقيقة القعل عنده أن يكون من حديد والحتم أن
يكون بشمع أو طين والمرض أن يكون حصى بنافض أو قولنج أو غيرهما من أمراض البدن والموت
هو مفارقة الروح للبدن ليس الا والعمى ذهب ضوء العين الذى تبصر به وهذه الفرقه من أغلظ
الثاس حجابا فان هذه الامور اذا أضيفت الى محالها كانت بحسب تلك المحال فنبسة قفل القلب الى
القلب كنسبة قفل الباب اليه وكذلك الحتم والطابع الذى عليه هو بالنسبة اليه كالحتم والطابع الذى
على الباب والصندوق ونحوهما وكذلك نسبة السمم والعمى الى الاذن والعين وكذلك موته وحياته
نظير موت البدن وحياته بل هذه الامور الزم للقلب منها للبدن فلو قيل انها حقيقة في ذلك مجاز في
الاجسام المحسوسة لكان مثل قول هؤلاء أقوى منه وكلاهما باطل فالعمى في الحقيقة والبكم
والموت والقفل للقلب ثم قال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور والمعنى
انه معظم العمى وأصله وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم انما الربا في النسيئة وقوله انما الماء من الماء
وقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقوله ليس المسكين الذى ترده اللقمة
واللقمتان والقررة والتمران انما المسكين الذى لا يجد ما يعينه ولا يفتن له فيتصدق عليه وقوله ليس
الشديد بالصرع انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ولم يزد فى الاسم عن هذه المسيمات انما
أراد أن هؤلاء اولى بهذه الاسماء وأحق ممن يسمونه بها فهم كذا قوله لاتعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التى في الصدور وقرب من هذا قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب
ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وعلى التقديرين فقد أثبت للقلب عمى حقيقة وهكذا
جميع ما نسب اليه ولما كان القلب ملك الاعضاء وهى جنوده وهو الذى يحركها ويستعملها والارادة
والقوى والحركة الاختيارية تبعث كانت هذه الامثال أصلا ولا أعضاء فيما فلد ذكر هذه الامور
مفصلة ومواقفها في القرآن فقد تقدم الحتم قال الازهرى وأصله التغطية وختم البذر في الارض
اذا غطاه قال أبو اسحاق معنى ختم وطبع في اللغة واحد وهو التغطية على الشئ والاستتياق منه فلا
يدخله شئ كما قال تعالى أم على قلوب أقفالها وكذلك قوله طبع الله على قلوبهم قلت الحتم والطبع
يشتركان فيما ذكر ويفترقان في معنى آخر وهو ان الطبع ختم يصير سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا

يفارق وأما الاكثة ففي قوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم اكثة ن يفقهوه وهي جمع كنان كنان واعنة وأصله من الستر والتغطية ويقال كنه وأكنه وكنان بمعنى واحد بل بينهما فرق فأكنه اذا ستره واخفاه كقوله تعالى (أو أكنتم في أنفسكم) وكنه اذا صانه وحفظه كقوله يرض مكنون ويشتركان في الستر والكنان ما أكن الشيء وستره وهو كالغلاف وقد أقرأوا على أنفسهم بذلك فقالوا قلوبنا في أكثة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فذكروا غطاء القلب وهي الاكثة وغطاء الاذن وهو القبر وغطاء الدين، وهو الحجاب والمعنى لا تفقه كلامك ولا نسمعه ولا نراك والمعنى انا في ترك القبول منك بمنزلة من لا يفقه ما نقول ولا يراك قال ابن عباس قلوبنا في أكثة مثل الكنانة التي فيها السهام وقال مجاهد كجعبة النبل وقال مقاتل عليها غطاء فلانفقه ما نقول

فصل وأما الغطاء فقد تعالى (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء من ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا) وهذا يتضمن معنيين أحدهما أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده ومحجبات قدرته والثاني أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء به وهذا الغطاء للقلب أولاً ثم يسرى منه الى العين

(فصل) وأما الغلاف فقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) وقد اختلف في معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم فسا بالها لانهم عنك مأيت به أولاً تحتاج اليك وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف والصحيح قول أكثر المفسرين ان المعنى قلوبنا لا تفقه ولا تفهم ما نقول وعلى هذا فهو جمع أغلف كأغلف وجرى قال أبو عبيدة كل شيء في غلاف فهو اغلف كما يقال سيف أغلف وقوس أغلف ورجل أغلف غير محتون قال ابن عباس وقادة ومجاهد على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تسمى ولا تفقه ما نقول وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن كقولهم (قلوبنا في أكثة) وقوله تعالى (كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) ونظائر ذلك وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الانسان نفسه بالعلم والحكمة فابن وجدتم في الاستعمال قول القائل قلبي غلاف وقلوب المؤمنين العالمين غاف أي أوعية للعلم والغلاف قد يكون وعاء للجيد والردئ فلا يلزم من كون القلب غلافاً أن يكون داخله العلم والحكمة وهذا ظاهر جداً فان قيل فالاضراب ببل على هذا القول الذي قويتهم مامعناه وأما على القول الآخر فظاهر أي ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة بل مطبوع عليها قيل وجه الاضراب في غاية الظهور وهو انهم احتجوا بان الله لم يفتح لهم الطريق الى فهم ما جاء به الرسول ومعرفته بل جعل قلوبهم داخلة في غاف فلا تفقهه فكيف تقوم به عليهم الحجة وكانهم ادعوا ان قلوبهم خلقت في غاف فهم معذورون في عدم الايمان فأكذبهم الله وقال (بل طبع الله عليها بكفرهم) وفي الآية الاخرى (بل لعنهم الله بكفرهم) فخير سبحانه ان الطبع والابعاد عن توقيفه وفضله انما كان بكفرهم الذي اختاروه لانفسهم وآثروا على الايمان فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة والمعنى لم تخلق قلوبهم غافاً لا تسمى ولا تفقه ثم ما مرهم بلايان وهم لا يفهمونه ولا يفقهونه بل اكتسبوا انما عاقبتهم عالم بالطبع على التلويح والتمسك عليها

(فصل) وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم (ومن بيننا وبينك حجاب) وقوله (فاذا قرأت

القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) على أصح التولين والمعنى جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجاباً يحول بينهم وبين فهمه وتدبره والايان به وبينه قوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله (وقالوا قلوبنا في أكنة مما ندعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) فأخبر سبحانه أن ذلك جعله فالحجاب يمنع رؤية الحق والأكنة تمنع من فهمه والوقر يمنع من سماعه وقال الكلبي الحجاب ههنا مانع يمنعهم من الوصول الى رسول الله بالأذى من الرعب ونحوه مما يصددهم عن الاقدام عليه ووصفه بكونه مستوراً فقليل بمعنى سائر وقيل على النسب أي ذو ستر والصحيح أنه على بابه أي مستوراعن الابصار فلا يرى وبجىء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت والنسب في مفعول لم يشق من فعله كمكان مهول أي ذى هول ورجل مرطوب أي ذى رطوبة فاما مفعول فهو جار على فعله فهو الذى وقع عليه الفعل كضروب ومجروح ومستور

(فصل) وأما الران فقد قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال أبو عبيدة غلب عليها والحر ترين على عقل السكران والموت يرون على الميت فيذهب به ومن هذا حديث اسينع جهينة وقول عمر فاصبح قدرين به أي غلب عليه واحاط به الرين وقال أبو معاذ التحوى الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والافعال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب وقال الفراء كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وقال أبو اسحق ران غطي يقال ران على قلبه الذنوب يرين رينا أي غشي قال والرين كانشاء يفتش القلب ومثله العين قلت اخطأ أبو اسحاق فالعين ألطف شيء وأرقه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنه لignan على قلمي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها وقال مجاهد هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتشاء فيموت القلب وقال مقاتل غمرت القلوب أعماهم الحيثة وفي سنن النسائي والترمذى من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تملو قلبه وهو الران الذى ذكر الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) قال الترمذى هذا حديث صحيح وقال عبد الله بن مسعود كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله فأخبر سبحانه ان ذنوبهم التى اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم وهو خلق الله فيهم فهو خالق السبب ومسببه لكن السبب باختيار العبد والمسبب خارج عن قدرته واختياره

(فصل) وأما الغل فقال تعالى (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في أغانهم أغلا لا ينهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) قال الفراء حبسناهم عن الاتفاق في سبيل الله وقال أبو عبيدة منعناهم عن الايمان بموانع ولما كان الغل مانعا لا يفلو من التصرف والتقلب كان الغل الذى على القلب مانعا من الايمان فان قيل فالغل المانع من الايمان هو الذى في القلب فكيف ذكر الغل الذى في العنق قيل لما كان عادة الغل أن يوضع في العنق نسب ذكر محله والمراد به القلب كقوله تعالى (وكل انسان أثمناه

طائر في عنقه) ومن هذا قولهم انتهى في عنقك وهذا في عنقك ومن هذا قوله (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) شبه الامساك عن الاتفاق باليد اذا غلت الى العنق ومن هذا قال الفراء انا جعلنا في أعناقهم أغلالا حبسناهم عن الاتفاق قال أبو اسحاق وانما يقال لشيء اللزوم هذا في عنق فلان أى لزومه كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق قال أبو على هذا مثل قولهم طوتك كذا وقادتك كذا ومنه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قلت ومن هذا قولهم قلدت فلانا حكما كذا وكذا كانك جعلته طوقا في عنقه وقد سمي الله التكليف الشاقة اغلالا في قوله (ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم) فشبها بالاغلال لشدها وصعوبتها قال الحسن هي الشدائد التي كانت في العبادة كقطع أثر البدل وقتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الحاططة وتبع العروق من اللحم وقال ابن قتيبة هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لامة محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها اغلالا لان التحريم يمنع كما يقبض الغل اليد وقوله فهي الى الاذقان قالت طائفة الضمير يعود الى الايدي وان لم تذكر لدلالة السياق عليها قالوا لان الغل يكون في العنق فتجمع اليه اليد ولذلك سمي جامعة وعلى هذا فالغنى فأيديهم أو أيمانهم مضمومة الى أذقانهم هذا قول الفراء والزجاج وقالت طائفة الضمير يرجع الى الاغلال وهذا هو الظاهر وقوله فهي الى الاذقان أى واصلة ومزورة اليها فهو غل عريض قد احاط بالعنق حتى وصل الى الذقن وقوله فهم مقمحوون قال الفراء والزجاج المقمح هو الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقحاح في اللغة رفع الرأس وغض البصر يقال أقحح البصر رأسه وقح وقال الاصمعي بعير قامح اذا رفع رأسه عن الجوض ولم يشرب قال الازهرى لما غلت أيديهم الى أعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم ورؤسهم صعدا كالابل الرافعة رؤسها انتهى فان قيل فما وجه التشبيه بين هذا وبين حبس القلب عن الهدى والايمان قيل أحسن وجه وأبينه فان الغل اذا كان في العنق واليد مجموعة اليها منع اليد عن التصرف والبطن اذا كان عريضا قد ملأ العنق ووصل الى الذقن منع الرأس من تصويبه وجعل صاحبه شاخص الرأس منتصبه لا يستطيع له حركة ثم أكد هذا المعنى والحبس بقوله (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) قال ابن عباس منعهم من الهدى لما سبق في علمه والسد الذي جعل من بين أيديهم ومن خلفهم هو الذي سد عليهم طريق الهدى فاخبر سبحانه عن الموانع التي منعهم بها من الايمان عقوبة لهم ومنلها باحسن تمثيل وأبلغه وذلك حال قوم قد وضعت الاغلال العريضة الواصلة الى الاذقان في أعناقهم وضمت أيديهم اليها وجعلوا بين السدين لا يستطيعون النفوذ من بينهما وأغشيت أبصارهم فهم لا يرون شيئا واذا تأملت حال الكافر الذي عرف الحق وتبين له ثم جحدته وكفر به وعاداه أعظم معاداة وجسدت هذا المثل مطابقا له اتم مطابقة وانه قد حيل بينه وبين الايمان كاحيل بين هذا وبين التصرف والله المستعان

(فصل) واما القفل فقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) قال ابن عباس يريد على قلوب هؤلاء أقفال وقال مقاتل يعنى الطبع على القلب وكأن القلب بمنزلة الباب المرتج الذي قد ضرب عليه قفل فانه ما لم يفتح القفل لا يمكن فتح الباب والوصول الى ما وراءه وكذلك ما لم يرفع الحتم والقفل عن القلب لم يدخل الايمان والقرآن وتأمل تنكير القلب وتعريف الاقفال فان تنكير القلوب يتضمن

أرادة قلوب هؤلاء وقوب من هم بهذه الصفة ولوقل أم على القلوب أفتاها لم تدخل قلوب غيرهم في الجملة وفي قوله أفتاها بالتعريف نوع تأكيد فانه لو قال أفتاها لذهب الوهم الى ما يعرف بهذا الاسم فلما أضافها الى القلوب علم ان مراد بها ما هو بالقلب بمنزلة النفل للباب فكأنه أراد أفتاها المختصة بها التي لا تكون غيرها والله أعلم

(فصل) وأما الصمم والوقر ففي قوله تعالى (صم بكم عمي) وقوله (ولك الذين لعنهم الله فاصمم وأعمى أبصارهم) وقوله (ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل وأولئك هم الفاسقون) وقوله (والذين لا يؤمنون بالآخرة في آذانهم وقروهم عليهم غمى أولئك ينادون من مكان بعيد) قال ابن عباس في آذانهم صمم عن استماع القرآن وهو عليهم غمى أعمى الله قلوبهم فلا يفقهون أولئك ينادون من مكان بعيد مثل البهيمة التي لا تفهم الادعاء وبداء وقال مجاهد بعيد من قلوبهم وقال الفراء تقول لارجل الذي لا يفهم كذلك أنت تتادى من مكان بعيد قال وجاء في التفسير كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون انتهى والمعنى أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعى من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم

(فصل) وأما البكم فقال تعالى (صم بكم عمي) والبكم جمع أ بكم وهو الذي لا ينطق والبكم نوعان بكم القلب وبكم اللسان كان النطق نطقا نطق القلب ونطق اللسان وأشد هما بكم القلب كما ان عماء وصممه أشد من عمى العين وصمم الاذن فوصفهم سبحانه بانهم لا يفقهون الحق ولا تنطق به السنتهم والعلم يدخل الى البعد من ثلاثة أبواب من سمعه وبصره وقابه وقد سدت عليهم هذه الابواب الثلاثة فسد السمع بالصمم والبصر بالعمى والقلب بالبكم ونظيره قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) وقد جمع سبحانه بين الثلاثة في قوله (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله) فاذا أراد سبحانه هداية عبد فتح قلبه وسمعه وبصره واذا أراد ضلاله أصممه وأعماه وأبكمه وبالله التوفيق

(فصل) وأما الغشاوة فهو غطاء العين كما قال تعالى (وجعل على بصره غشاوة) وهذا الغطاء سرى اليها من غطاء القلب فان ما في القلب يظهر على العين من الخير والشر فالعين مرآة القلب تظهر ما فيه وأنت اذا أبغضت رجلا بغضا شديدا أو أبغضت كلامه وبجاسته تجدد على عينك غشاوة عند رؤيته ومخالطته فذلك أثر البغض والاعراض عنه وغلظت على الكفار عقوبة لهم على اعراضهم ونفورهم عن الرسول وجعل الغشاوة عليها يشعر بالاحاطة على ماتحته كالعمامة ولماعشوا عن ذكره الذي أنزله صار ذلك الغشاوة غشاوة على أعينهم فلا تبصر مواقع الهدى

(فصل) وأما الصد فقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) قرأ أهل الكوفة على البناء للمفعول حملا على زين وقرأ الباقون وصد بفتح الصاد ويحتمل وجهين أحدهما اعرض فيكون لازما والثاني يكون صد غيره فيكون متعديا والقراءتان كالأيتين لا يتناقضان وأما الشد على القلب ففي قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن

سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قل قد احييت
دعوتكما فاستقيما فهذا الشد على القلب هو الصد والمنع ولهذا قال ابن عباس يريد منها والمنع
قسها واطمع عليها حتى لا تلتين ولا تنشرح للايمان وهذا مطابق لما في التوراة ان الله سبحانه قال لموسى
اذهب الى فرعون فاني ساقى قلبه فلا يؤمن حتى تظهر آياتي وعجائبي بمصر وهذا الشد والتقسية من
كل عدل الرب سبحانه في أعدائه جعله عقوبة لهم على كفرهم واعراضهم كعقوبته لهم بالمصائب
ولهذا كان محمودا عليه فهو حسن منه وأقبح شئ منهم فانه عدل منه وحكمة وهو ظالم منهم وسفنه
فالقضاء والقدر فعل عادل حكيم غنى عليم يضع الخير والشر في اليق المواعظ بهما والمتقضى المقدر يكون
ظلما وجورا وسفها وهو فعل جاهل ظالم سفه

(فصل) وأما الصرف فقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) فاخبر سبحانه عن فعلهم وهو الانصراف وعن
فعله فيهم وهو صرف قلوبهم عن القرآن وتدبره لانهم ليسوا اهلالة فاحل غير صالح ولا قابل فان
صلاحه المحل بشيئين حسن فهم وحسن قصد وهؤلاء قلوبهم لا تفقه وقصودهم سيئة وقد صرح
سبحانه بهذا في قوله (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) فاخبر سبحانه
عن عدم قابلية الايمان فيهم وانهم لا خير فيهم يدخل بسببه الى قلوبهم فلم يسمعهم سماع إقبالهم ينتفعون
به وان سمعوه سماعا تقوم به عليهم حاجته فسمع الفهم الذي سمعه به المؤمنون لم يحصل لهم ثم اخبر
سبحانه عن مانع آخر قام بقلوبهم يمنعه من الايمان لو اسمعهم هذا السماع الخاص وهو الكبر والتولي
والاعراض فالاول مانع من الفهم والثاني مانع من الانقياد والاذعان فانهم سيئة وقصود رديئة وهذه
نسخة الضلال وعلم الشقاء كما ان نسخة الهدى وعلم السعادة فهم صحيح وقصد صالح والله المستعان
وتأمل قوله سبحانه (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) كيف جعل هذه الجملة الثانية سواء كانت خبرا
أو اعادة عقوبة لانصرفهم فاعقبهم عليه بصرف آخر غير الصرف الاول فان انصرفهم كان لعدم ارادته
سبحانه ومشيئته لاقبالهم لانه لاصلاحية فيهم لا قبول فلم ينأهم الاقبال والاذعان فانصرف قلوبهم بما
فيها من الجهل والظلم عن القرآن فجازاهم على ذلك صرفا آخر غير الصرف الاول كجوازهم على زيف
قلوبهم عن الهدى ازاغة غير الزيف الاول كما قال (ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهكذا اذا عرض
العبد عن ربه سبحانه جازاه بان يمرض عنه فلا يمكنه من الاقبال عليه ولكن قصة ابليس منك
على ذكر تنفع بها أتم انتفاع فانه لما عصى ربه تعالى ولم يتقذ الامر واصر على ذلك عاقبه بان
جعله داعيا الى كل معصية فعاقبه على معصيته الاولى بان جعله داعيا الى كل معصية وفروعهما صغيرها
وكبيرها وصار هذا الاعراض والكفر منه عقوبة لذلك الاعراض والكفر السابق فمن عقاب السيئة
السيئة بعدها كما ان من ثواب الحسنة الحسنة بعدها فان قيل فكيف يثلم انكاره سبحانه عليهم الانصراف
والاعراض عنه وقد قال تعالى (فاني يصرفون) وأنى يؤفكون وقال فلهم عن التذكرة معرضين) فاذا
كان هو الذى صرفهم وجعلهم معرضين وما فوكن فكيف يثلم ذلك عليهم قيل هو دائرون بين عدله
وحجته عليهم فكأنهم وفتح لهم الباب ونهج لهم الطريق وهما لهم الاسباب فارسل اليهم رساله وأنزل
عليهم كتبه ودعاهم على السنة رساله وجعل لهم عقولا تميز بين الخير والشر والنافع والضار وأسباب

الردى وأسباب الفلاح وجعل لهم أسماء وأبصاراً قاتروا الهوى على التقوى واستحبوا العمى على الهدى وقالوا مصيبتك أتر عندنا من طاعتك والشرك أحب إلينا من توحيدك وعبادة سواك أنفع لنا في دنيانا من عبادتك فأعرضت قلوبهم عن ربهم وخلقتهم وملكتهم وانصرفت عن طاعته ومحبته فبهذا عدله فيهم وتلك حجته عليهم فهم سدوا على أنفسهم باب الهدى إرادة منهم واختياراً ففسده عليهم اضطراباً خلاهم وما اختاروا لأنفسهم وولاهم ما تولوه ومكنهم فيما ارتضوه وأدخلهم من الباب الذي استبقوا إليه وأغلق عنهم الباب الذي تولوا عنه وهم معرضون فلا أقبح من فعلهم ولا أحسن من فعله ولو شاء خلقهم على غير هذه الصفة ولأنشأهم على غير هذه النشأة ولكنه سبحانه خالق العلو والسفل والنور والظلمة والتافع والضار والطيب والحيث والملائكة والشياطين والنساء والذباب ومعطيها آلائها وصفاتها وقواها وأفعلها ومستعملها فيما خلقت له فبعضها بطاعها وبعضها بآرائها ومشيتها وكل ذلك جار على وفق حكمته وهو موجب حمده ومقتضى كماله المقدس وملكه التام ولا نسبة لما عمله الخالق من ذلك إلى ما خفي عليهم بوجه ما ان هو الاكثرة عصفور من البحر

(فصل) وأما الاغفال فقال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً) سئل أبو العباس ثعلب عن قوله (أغفلنا قلبه عن ذكرنا) فقال جعلناه غافلاً قال ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلاً ووجدته غافلاً قلت الغفل الشيء الفارغ والارض الغفل التي لا علامة بها والكتاب الغفل الذي لا شكل عليه فاغفلناه تركناه غفلاً عن الذكر فارغاً منه فهو ابقاء له على العدم الاصلى لانه سبحانه لم يشأ له الذكر فبقى غافلاً بالغفلة وصفه والاغفال فعل الله فيه بمشيئته وعدم مشيئته لتذكره فكل منهما مقتض لغفلته فاذا لم يشأ له التذكر لم يتذكر واذا شاء غفلته امتنع منه التذكر فإن قيل فهل تضاف الغفلة والكفر والاعراض ونحوها الى عدم مشيئة الرب اضدادها أم الى مشيئته لوقوعها قيل القرآن قد نطق بهذا وبهذا قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم) وقال (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ومن يرد أن يضله) فان قيل فكيف يكون عدم السبب المقتضى موجبا للآثر قيل الاثر ان كان وجوديا فلا بد له من مؤثر وجودي واما العدم فيكفي فيه عدم سببه وموجبه فيبقى على العدم الاصلى فاذا أضيف اليه كان من باب اضافة الشيء الى دليله فعدم السبب دليل على عدم المسبب واذا سمى موجبا ومقتضيا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في ذلك واما أن يكون العدم أثراً ومؤثراً فلا وهذا الاغفال ترتب عليه اتباع هواه وتفریطه في أمره قال مجاهد كان أمره فرطاً أى ضياعاً وقال قتادة أضاع أكبر الضيعة وقال السدى هلاكا وقال أبو الهيثم أمر فرط أى متهاون به مضيع والتفريط تقديم العجز قال أبو اسحاق من قدم العجز في أمراضه وأهلكه قال الليث الفرط الامر الذي يفرط فيه يقول كل أمر فلان فرط قال الفراء فرطاً متروكاً يفرط فيما لا ينبغي التفريط فيه واتباع ما لا ينبغي اتباعه وغفل عما لا يحسن الغفلة عنه

(فصل) وأما المرض فقال تعالى (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) وقال (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) وقال (ولا يرتأب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً) ومرض القلب خروج عن سجيته واعتداله فان صحته أن يكون عارفاً بالحق محباً له مؤثراً له على غيره فرضه اما بالشك فيه واما بإثارة غيره عليه فرض

المنافقين مرض شك ورب ومرض العصاة مرض غي وشهوة وقد سمي الله سبحانه كلا منهما مرضا قال ابن الأنباري أصل المرض في اللغة الفساد مرض فلان فسد جسمه وتغيرت حاله ومرضت بالمرض تغيرت وفست قالت ليلي الاخيلية

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاه

وقال آخر

ألم تر أن الأرض أضحيت مريضة لفقد الحسين والبلاد أقشعت
والمرض يدور على أربعة أشياء فساد وضعف ونقصان وظلمة ومنه مرض الرجل في الامر اذا ضعف
فيه ولم يبلغ وعين مريضة النظر أى فطرة ضعيفة وريح مريضة اذا هب هبوبا كما قال

* راحت لاربك الريح مريضة *

أى لينة ضعيفة حتى لا يعنى أثرها وقال ابن الاعرابي أصل المرض النقصان ومنه بدن مريض أى ناقص
القوة وقلب مريض ناقص الدين ومريض في حاجتي اذا نقصت حركته وقال الأزهري عن المنذرى عن
بعض أصحابه المرض اظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها قال وأنشد

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضي لها شمس ولا قمر

هذا أصله في اللغة ثم الشك والجهل والحيرة والضلال وارادة الغي وشهوة الفجور في القلب تعود
الى هذه الامور الاربعة فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لا يثاره
أسبابه وتعاطيه لها

(فصل) وأما قلب الأفتدة فقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) وهذا عطف على أنها اذا جاءت لا يؤمنون أى تحول بينهم وبين الايمان ولو جاءتهم
تلك الآية فلا يؤمنون واختلف في قوله كما لم يؤمنوا به أول مرة فقال كثير من المفسرين المعنى
تحول بينهم وبين الايمان لوجاءتهم الآية كما حلنا بينهم وبين الايمان أول مرة قال ابن عباس في رواية
عطاء عنه ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حتى يرجعوا الى ما سبق عليهم من علمي قال وهذا كقوله واعلموا
ان الله يحول بين المرء وقلبه وقال آخرون المعنى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لتركم الايمان به أول
مرة فعاقبتهم بتقلب أفئدتهم وأبصارهم وهذا معنى حسن فان كاف التشبيه تتضمن نوعا من التعليل
كقوله (وأحسن كما أحسن الله اليك) وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم) والذي حسن اجتماع
التعليل والتشبيه الاعلام بأن الجزء من جنس العمل في الخير والشر والتقلب تحويز الشيء من وجه
الى وجه وكان الواجب من مقتضى انزال الآية ووصولهم اليها كما سألوا ان يؤمنوا اذا جاءتهم لانهم
رأوها عيانا وعرفوا أدلتها وتحققوا صدقها فاذا لم يؤمنوا كان ذلك تقليا لقلوبهم وأبصارهم عن وجهها
الذى ينبغي أن تكون عليه وقد روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على
طاغوتك وروى الترمذي من حديث أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ياقلب

القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء قال هذا حديث حسن وروى حماد عن أيوب وهشام ويعلى بن زياد عن الحسن قال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها دعوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها ياقلب القلب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله دعوة كثيرا ما يدعو بها قال انه ليس من عبد الا وقلبه بين اصبعين من أصابع الله فاذا شاء أن يقيمه اقامه واذا شاء أن يزيغه ازاغه وقوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) قال ابن عباس أخذهم وأدعهم في ضلالهم يتعادون

فصل في ازاغة القلوب فقال تعالى (فلما ازاغوا ازاغ الله قلوبهم) وقال عن عباده المؤمنين انهم سألوه ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وأصل الزيغ الميل ومنه زاغت الشمس اذا مالت فازاغة القلب امالته وزيغه ميله عن الهدى الى الضلال والزيغ يوصف به القلب والبصر كما قال تعالى (واذا زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) وقال قتادة ومقاتل شخصت فرقا وهذا اقرب للمعنى فان الشخصوص غير الزيغ وهو أن يفتح عينه ينظر الى الشيء فلا يطرق ومنه شخص بصر الميتم ولما مالت الابصار عن كل شيء فلم تنظر الا الى هؤلاء الذين أقبلوا اليهم من كل جانب اشتغلت عن النظر الى شيء آخر فمالت عنه وشخصت بالنظر الى الاحزاب وقال الكلبي مالت ابصارهم الا من النظر اليهم وقال الفراء زاغت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها متجيرة تنظر اليه قلت القلب اذا امتلأ رعبا شغاه ذلك عن ملاحظة ما سوى الخوف فراغ البصر عن الوقوع عليه وهو مقابله (فصل) وأما الخذلان فقال تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) وأصل الخذلان الترك والتخلى ويقال للبقر والشاة اذا تخلفت مع ولدها في المرعى وتركت صواحباتها خذول قال محمد بن اسحاق في هذه الآية ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس ولن يضرك خذلان من خذلك وأن يخذلك فلن ينصرك الناس أى لا تترك أمرى للناس وأرفض الناس لأمرى والخذلان أن يخلى الله تعالى بين العبد وبين نفسه ويكفه اليها والتوفيق ضده أن لا يدعه ونفسه ولا يكفه اليها بل يصنع له ويلطف به ويعينه ويدفع عنه ويكلاه كلاءة الوالد الشفيق للولد العاجز عن نفسه فمن خلى بينه وبين نفسه فقد هلك كل الهالك ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم يا حي يا قيوم يا بدیع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا اله الا انت برحمتك أستغيث اصلح لى شأنى كله ولا تسكنى الى نفسى طرفه عين ولا الى أحد من خلقك فالعبد مطروح بين الله وبين عدوه ابليس فان تولاه الله لم يظفر به عدوه وان خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة فان قيل فما ذنب الشاة اذا خلى الراعى بين الذئب وبينها وهل يمكنه أن تقوى على الذئب وتخومه قيل لعمر الله ان الشيطان ذئب الانسان كما قاله الصادق المصدوق ولكن لم يجعل الله لهذا الذئب اللعين على هذه الشاة ساطانا مع ضعفها فاذا أعطت بيدها وسالت الذئب ودعاها فلبت بدعوتة وأجابت أمره ولم تخاف بل أقبلت نحوه سرية مطيعة وفارقت حى الراعى الذى ليس للذئب عليه سبيل ودخلت في محل الذئب الذى من دخله كان صيدا لهم فهل الذئب كل الذئب الا الشاة فكيف والراعى يخذرها ويخوقها وينذرها وقد أراها مصارع الشاة التى انفردت عن الراعى ودخلت وادى

الذئب قال أحد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة سمعت ابن أبي الدنيا يقول ان الله سبحانه من العلوم ما لا يحصى يعطي كل واحد من ذلك ما لا يعطى غيره لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطن ثنا عبيد الله بن بكر السهمي عن أبيه ان قوما كانوا في سفر فكان فيهم رجل ير بالطائر فيقول أئدرون ما تقول هؤلاء فيقولون لا فيقول تقول كذا وكذا فيجئنا على شيء لا ندري أصادق فيه هوام كاذب الى ان مروا على غم وفيها شاة قد تحلفت على سخلة لها فجعلت تحنو عنقها اليها وتغو فقال أئدرون ما تقول هذه الشاة قلنا لا قال تقول للسخلة الحق لا يا كلك الذئب كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان قال فانتبهنا الى الراعي فقلنا له ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا قال نعم ولدت سخلة عام أول فاكلها الذئب بهذا المكان ثم أتينا على قوم فيهم طعينة على جمل لها وهو يرغو ويحنو عنقه لها فقال أئدرون ما يقول هذا البعير قلنا لا قال فانه يلعن راكبيه ويزعم انها رحلته على مخيط وهو في سنامه قال فانتبهنا اليهم فقلنا يا هؤلاء ان صاحبنا هذا يزعم ان هذا البعير يلعن راكبيه ويزعم انها رحلته على مخيط وانه في سنامه قال فأناخوا البعير وحطوا عنه فاذا هو كما قال فهذه شاة قد حذرت سخلتها من الذئب مرة فحذرت وقد حذر الله سبحانه ابن آدم من ذئبه مرة بعد مرة وهو يأبى الا أن يستجيب له اذا دعاه ويبيت معه ويصبح (وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدهم وقال الحق ووعدهم فأكلفتمكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخني اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم)

(فصل) وأما الاركاس فقال تعالى (فالكم في المناققين فثنين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فان تجد له سبيلا) قال الفراء أركسهم ردهم الى الكفر وقال أبو عبيدة يقال ركست الشيء وأركسته لغتان اذا رددته والركس قلب الشيء على رأسه أورد أوله على آخره والارتكاس الارتداد قال أمة

فاركسوا في حمم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والازورا

ومن هذا يقال للروث الركس لانه رد الى حال النجاسة ولهذا المعنى سمي رجيفا والركس والنكس والمركوس والمنكوس بمعنى واحد قال الزجاج أركسهم نكسهم وردهم والمعنى انه ردهم الى حكم الكفار من النذل والصغار واخبر سبحانه عن حكمه وقضائه فيهم وعذابه وان كان أركانه كان بسبب كسبهم واعمالهم كما قال (بل ان على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فهذا توحيدهم وهذا عدله لاما تقوله القدرة المعطلة من ان التوحيد انكار الصفات والعدل والتكذيب بالقدر

(فصل) وأما التبيط فقال تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله لئبائهم فبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) والتبيط رد الانسان عن الشيء الذي يفعله قال ابن عباس يريد خذلهم وكسبهم عن الخروج وقال في رواية أخرى حبسهم قال مقاتل وأوحى الى قلوبهم أقعدوا مع القاعدين وقد بين سبحانه حكمته في هذا التبيط والخذلان قبل وبعد فقال (انما يستأذن الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتاب قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولوأرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله لئبائهم فبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين) فلما تركوا الايمان به وبلقائه وارتابوا بما لأرب فيه ولم يريدوا الخروج في طاعة الله ولم يستعدوا له ولا اخذوا أهبة ذلك كره سبحانه لئبائهم من هذا شأنه فان من لم يرفع به وبرسوله أو كتابه رأسه ولم يقبل هديته أو أهدها اليه على يد أحب

خافه اليه وأكرمهم عليه ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها بل بدلها كفرًا فان طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه الله سبحانه فنبطه لئلا يقع ما يكره من خروجه وأوحى الى قلبه قدرًا وكونا أن يقعد مع القاعدين ثم اخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تثبيت هؤلاء عنهم فقال (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالاً ولأؤثروا) والخيال الفساد والاضطراب فلو خرجوا مع المؤمنين لافسدوا عليهم امرهم فلو قعدوا بينهم الاضطراب والاختلاف قال ابن عباس ما زادوكم الا خيالاً عجزا وجبنًا يعنى يجنبوهم عن لقاء العدو بتحويل امرهم وتغلبهم في صدورهم ثم قال ولا وضوًا خلالكم أى اسرعوا في الدخول بينكم للتفريق والافساد قال ابن عباس يريد ضعفوا شجاعتكم يعنى بالتفريق بينهم لتفريق الكلمة فيجبوا عن العدو وقال الحسن لا وضوًا خلالكم بالنعمة لافساد ذات الدين وقال الكلبي ساروا بينكم يغيثوكم العيب قال لبيد

أرانا مومنين حُتم عيب وسحر بالطعام وبالشراب

أى مسرعين ومنه قول عمر بن أبى ربيعة

تباهن بالمر فإن لما عرفنى وقان امرؤ باغ أكل وادضا

أى اسرع حتى كات مطيته (يغيثوكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) قال قتادة وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم وقال ابن اسحاق وفيكم قوم اهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرف فهم فيهم ومعناه على هذا القول وفيكم اهل سمع وطاعة لهم لو صحبهم هؤلاء المنافقون افسدوهم عليكم قلت فضمن سماعين معنى مستجيبين وقال مجاهد وابن زيد والكلبي المني وفيكم عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم أى جواسيس والقول هو الاول كما قال تعالى سماعون للكذب اى قائلون له ولم يكن في المؤمنين جواسيس للمنافقين فان المنافقين كانوا مختلطين بالمؤمنين ينزلون معهم ويرحلون ويصلون معهم ويخالسونهم ولم يكونوا متجيزين عنهم قد ارسلوافهم العيون ينقلون اليهم اخبارهم فان هذا انما يفعله من انحاز عن طائفة ولم يخالفها وأرصد بينهم عيونًا له فالقول قول قتادة وابن اسحاق والله اعلم فان قيل انبعاثهم الى طاعته طاعة له فكيف يكرهها اذا كان سبحانه يكرهها فهو يحب ضدها لا محالة إذ كراهة أحد الضدين تستلزم محبة الضد الآخر فيكون قعودهم محبوبة له فكيف يعاقبهم عليه قيل : هذا سؤال له شأن وهو من أكبر الاسئلة في هذا الباب وأجوبة الطوائف على حسب أصولهم فالجبرية تحيب عنه بان أفعاله لا تعمل بالحكم والمصالح وكل ممكن فهو جائز عليه ويجوز أن يعذبهم على فعل ما يحبه ويرضاه وترك ما يبغضه ويسخطه والجميع بالنسبة اليه سواء وهذه الفقرة قد سدت على نفسها باب الحكمة والتعليل والقدرية تحيب عنه على أصولها بانه سبحانه لم يبطئهم حقيقة ولم يمتهم بل هم منعوا أنفسهم ونبطوها عن الخروج وفعلوا ما لا يريد ولما كان في خروجهم المفسدة التي ذكرها الله سبحانه التي في نفوسهم كراهة الخروج مع رسوله قالوا وجعل سبحانه القاء كراهة الانبعاث في قلوبهم كراهة مشيئة من غير أن يكره هو سبحانه انبعاثهم فانه أمرهم به قالوا وكيف يأمرهم بما يكرهه ولا يخفى على من نور الله بصيرته فساد هذين الجوابين وبعدهما من دلالة القرآن فالجواب الصحيح انه سبحانه أمرهم بالخروج طاعة له ولامره واتباعا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ونصرة له وللمؤمنين وأحب ذلك منهم ورضيه لهم دينًا وعلم سبحانه ان خروجهم لو خرجوا لم يقع على هذا

الوجه بل يكون خروجهم خذلان لرسوله وللمؤمنين فكان خروجاً يتضمن خلاف ما يحبه ويرضاه ويستلزم وقوع ما يكرهه ويبغضه فكان مكروهاً له من هذا الوجه ومحبوباً له من الوجه الذي خرج عليه أولاً وهو يعلم أنه لا يقع منهم إلا على الوجه المكروه إليه فكرهه وعاقبهم على ترك الخروج الذي يحبه ويرضاه لاعتلى ترك الخروج الذي يبغضه ويستخطه وعلى هذا فليس الخروج الذي كرهه منهم طاعة حتى لو فعلوه لم يشبههم عليه ولم يرزهم منهم وهذا الخروج المكروه له ضدان أحدهما الخروج المرضى المحبوب وهذا الضد هو الذي يحبه والثاني التخلف عن رسوله والقعود عن الغزو معه وهذا الضد يبغضه ويكرهه أيضاً وكراسته للخروج على الوجه الذي كانوا يخرجون عليه لا ينافي كراسته لهذا الضد فقول للسائل قعودهم مغبوض له ولكن ههنا أمران مكروهان له سبحانه وأحدهما أكره له من الآخر لأنه أعظم مفسدة فإن قعودهم مكروه له وخروجهم على الوجه الذي ذكره أكره إليه ولم يكن لهم بدّ من أحد المكروهين إليه سبحانه فدفعت المكروه الأعلى بالمكروه الأدنى فإن مفسدة قعودهم عنه أصغر من مفسدة خروجهم معه فإن مفسدة قعودهم تخص بهم ومفسدة خروجهم تعود على المؤمنين فتأمل هذا الموضع فإن قلت فهلا وفقهم للخروج الذي يحبه ويرضاه وهو الذي خرج عليه المؤمنون قلت قد تقدم جواب مثل هذا السؤال مراراً وإن حكمته سبحانه تأتي أن يضع التوفيق في غير محله وعند غير أهله فالتأمل حيث يجعل هداة وتوفيقه وفضله وليس كل محل يصلح لذلك ووضع الشيء في غير محله لا يليق بحكمته فإن قلت وعلى ذلك فهلا جعل المحال كلها صالحة قلت يأباه كمال ربوبيته وملكوته وظهور آثار أسمائه وصفاته في الخلق والأمر وهو سبحانه لو فعل ذلك لكان محبوباً له فانه يحب أن يذكر ويشكر ويبطع ويوحّد ويعبد ولكن كان ذلك يستلزم فوات ما هو أحب إليه من استواء أقدام الخلائق في الطاعة والإيمان وهو محبة لجهان أعدائه والانتقام منهم وإظهار قدر أوليائه وشرفهم وتخصيصهم بفضله وبذل نفوسهم له في معاداة من عاداه وظهور عزته وقدرته وسطوته وشدة أخذه وأليم عقابه وأضعاف أضعاف هذه الحكم التي لا سبيل للخلق ولو تهاووا في العلم والمعرفة إلى الإحاطة بها ونسبة ما عقلوه منها إلى ما خفي عليهم كمنقرة عصفور في بحر

(فصل) وأما التزيين فقال تعالى (وكذلك زيننا لكل أمة عمامهم) وقال إسن زين له سوء عمله فراه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقال (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) فاضاف التزيين إليه منه سبحانه خلقاً ومشية وحذف فاعله تارة ونسبه إلى سببه ومن أجراه على يده تارة وهذا التزيين سبحانه حسن إذ هو ابتلاء واختبار بعد لتمييز المطيع منهم من العاصي والمؤمن من الكافر كما قال تعالى (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) وهو من الشيطان قبيح وأيضاً قزينة سبحانه للبعد عمله السيئ عقوبة منه له على اعراضه عن توحيده وعبوديته وإثارة سيئ العمل على حسنه فانه لا بد أن يعرفه سبحانه السيئ من الحسن فإذا أثر القبيح واختاره وأحبه ورضيه لنفسه زينه سبحانه له وأعماه عن رؤية قبحه بعد أن رآه قبيحاً وكل ظالم وفاجر وفاسق لا بد أن يرى الله تعالى ظلمه وغفوره وفسقه قبيحاً فإذا تمادى عليه ارتفعت رؤية قبحه من قلبه فربما رآه حسناً عقوبة له فانه إنما يكشف له عن قبحه بالنور الذي في قلبه وهو حجة الله عليه فإذا تمادى في غيه وظلمه ذهب

ذلك النور فلم يرقبه في ظلمات الجهل والفسق والغلم ومع هذا حجة الله قائمة عليه بالرسالة وبالتعريف الاول فترين الرب تعالى عدل وعقوبته حكمة وتزيين الشيطان إغواء وظلم وهو السبب الخارج عن العبد والسبب الداخلى فيه حبه وبغضه واعراضه والرب سبحانه خالق الجميع والجميع واقع بمشيئته وقدرته ولول شاء لهدى خلقه أجمعين والمعصوم من عصمه الله واخذول من خذله الله الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين

(فصل) وأما عدم مشيئة سبحانه وارادته فكما قال تعالى (أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم) وقال (ولوشئنا لأيننا كل نفس هادها ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا) وعدم مشيئته لاشئ مستلزم لعدم وجوده كما ان مشيئته تستلزم وجوده فما شاء الله وجب وجوده وما لم يشأ امتنع وجوده وقد أخبر سبحانه ان العباد لا يشاؤون الا بعد مشيئته ولا يفعلون شيئا الا بعد مشيئته فقال (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) وقال (وما يدركون الا أن يشاء الله) فان قيل فهل يكون الفعل مقدورا للعبد في حال عدم مشيئة الله له أن يفعله قيل ان أريد بكونه مقدورا سلامة آلة العبد التي يتمكن بها من الفعل وصحة أعضائه ووجود قواه وتمكينه من أسباب الفعل وتهبته طريق فعله وفتح الطريق له فنعم هو مقدور بهذا الاعتبار وان أريد بكونه مقدورا القدرة المقارنة للفعل وهي الموجبة له التي اذا وجدت لم يتخلف عنها الفعل فليس بمقدور بهذا الاعتبار وتقرر ذلك ان القدرة نوعان قدرة مصححة وهي قدرة الأسباب والشروط وسلامة الآلة وهي مناط التكليف وهذه متقدمة على الفعل غير موجبة له وقدرة مقارئة للفعل مستلزمة له لا يتخلف الفعل عنها وهذه ليست شرطا في التكليف فلا يتوقف صحته وحسنه عليها فإيمان من لم يشأ الله إيمانه وطاعة من لم يشأ طاعته مقدور بالاعتبار الاول غير مقدور بالاعتبار الثاني وبهذا التحقيق تزول الشبهة في تكليف ما لا يطاق كما يأتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى فاذا قيل هل خالق لمن علم انه لا يؤمن قدرة على الايمان أم لم يخلق له قدرة قيل خالق له قدرة مصححة متقدمة على الفعل هي مناط الامر والنهي ولم يخلق له قدرة موجبة للفعل مستلزمة له لا يتخلف عنها فهذه فضله يؤتية من يشاء وتلك عدله التي تقوم بها حجته على عبده فان قيل فهل يتمكن الفعل ولم يخلق له هذه القدرة قيل هذا هو السؤال السابق بعينه وقد عرفت جوابه وبالله التوفيق

(فصل) وأما امانة قلوبهم ففي قوله (انك لاتسمع الموتى) وقوله (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقوله (لينذر من كان حيا) وقوله (وما أنت بمسمع من في القبور) فوصف الكافر بأنه ميت وانه بمنزلة أصحاب القبور وذلك ان القلب الحى هو الذى يعرف الحق ويقبله ويحبه ويؤثره على غيره فاذا مات القلب لم يبق فيه احساس ولا تمييز بين الحق والباطل ولا ارادة للحق وكراهة للباطل بمنزلة الجسد الميت الذى لا يحس بلذة الطعام والشراب ولم يفدنهما وكذلك وصف سبحانه كتابه ووحيه بانه روح لحصول حياة القلب به فيكون القلب حيا ويزداد حياة بروح الوحي فيحصل له حياة على حياة ونور على نور نور الوحي على نور الفطرة قال (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لا يحصل

به من الحياة ونور الما يحصل به من الهدى والاضاءة وذلك نور وحياة زائدة على نور الفطرة وحياتها فهو نور على نور وحياة على حياة ولهذا يضرب سبحانه لمن عدم ذلك مثلاً بمسوقه النار التي ذهب عنه ضوؤها وبصاحب الصيب الذي كان حظه منه الصواعق والظلمات والرعد والبرق فلا استتار بما أوقد من النار ولا حي بما في الصيب من الماء ولذلك ضرب هذين المثالين في سورة الرعد لمن استجاب له فحصل على الحياة والنور ولمن لم يستجب له وكان حظه الموت والظلمة فاخبر عن أمسك عنه نوره بأنه في الظلمة ليس له من نفسه نور فقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء) ثم ذكر من أمسك عنه هذا النور ولم يجعله له فقال (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) أو كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) وفي المسند من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم التي عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأ ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله وقال تعالى (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ الله يجعله على صراط مستقيم) وهذه الظلمات ضد الانوار التي يتقلب فيها المؤمن فان نور الايمان في قلبه ومدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور ومشيته في الناس نور وكلامه نور ومصيره الى نور والكافر بالضد* ولما كان النور من أسمائه الحسنی وصفاته كان دينه نوراً ورسوله نوراً وكلامه نوراً وداره نوراً يتلألاً والنور يتوقد في قلوب عباده المؤمنين ويجرى على السنتهم ويظهر على وجوههم وكذلك لما كان الايمان واسمه المؤمن لم يعطه الا أحب خلقه اليه وكذلك الاحسان صفته وهو المحسن ويجب المحسنين وهو صابر يجب الصابرين شاكر يجب الشاكرين عفوي يجب أهل العفو حتى يجب أهل الحياء ستر يجب أهل الستر قوى يجب أهل القوة من المؤمنين عليم يجب أهل العلم من عباده جواد يجب أهل الجود جميل يجب المتجملين بر يجب الابرار رحيم يجب الرحماء عدل يجب أهل العدل رشيد يجب أهل الرشده وهو الذي جعل من يحبه من خلقه كذلك وأعطاه من هذه الصفات ماشاء وأمسكها عن يفيضه وجعله على أعدائها فهذا عدله وذاك فضله والله ذو الفضل العظيم

فصل ١٠ - وأما جعله القلب قاسية فقال تعالى (فما تقضم ميثاقهم لئلا نهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) والقسوة الشدة والصلابة في كل شيء يقال حجر قاس وأرض قاسية لا تثبت شيئاً قال ابن عباس قاسية عن الايمان وقال الحسن طبع عليها والقلوب ثلاثة قلب قاس وهو اليابس الصلب الذي لا يقبل صورة الحق ولا تطيع فيه وضده القلب اللين التماسك وهو السليم من المرض الذي يقبل صورة الحق بليته ويحفظه بتماسكه بخلاف المريض الذي لا يحفظ ما تطيع فيه ليعانه ورخاوة كالمائع الذي اذا طبعت فيه الشيء قبل صورته بما فيه من اللين ولكن رخاوة تمنعه من حفظها خيرا القلوب القلب الصلب الصافي اللين فهو يرى الحق بصفاته ويقبله بليته

ويحفظه بصلايته وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم القلوب آية الله في أرضه فاجها اليه أصلها وأرقها وأصفاها وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله (ليجعل ما ياتي الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أتوا العلم أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) فذكر القلب المريض وهو الضعيف المنحل الذي لا تثبت فيه صورة الحق والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطق فيه فهذان القلبان شقيان معذبان ثم ذكر القلب المحب المطمئن اليه وهو الذي يتنفع بالقرآن ويذكره قال الكلبي فتخبت له قلوبهم فترق القرآن قلوبهم وقد بين سبحانه حقيقة الاختبات ووصف المحبتين في قوله (وبشر المحبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على مآصيبهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) فذكر لامحبتين أربع علامات وجل قلوبهم عند ذكره والوجل خوف مقرون بهيبة ومحبة وصبرهم على أقداره وآتيانهم بالصلاة قائمة الأركان ظاهرا وباطنا واحسانهم الى عبادهم بالانفاق مما آتاهم وهذا إنما يتأتى للقلب المحب قال ابن عباس المحبتين المتواضعين وقال مجاهد المطمئنين الى الله وقال الأخفش الخاشعين وقال ابن جرير الخاضعين قال الزجاج اشتقاقه من الحب وهو المنخفض من الأرض وكل تخبت متواضع فالاختبات سكون الجوارح على وجه التواضع والخشوع لله* فان قيل فإذا كان معناه التواضع والخشوع فكيف عدى بآلي في قوله (واخبتوا الى ربهم) قيل ضمن معنى أنابوا واطمأنوا وآتوا وهذه عبارات السلف في هذا الموضع والمقصود ان القلب المحب ضد القاسي والمريض وهو سبحانه الذي جعل بعض القلوب محبته اليه وبعضها قاسيا وحيل للقسوة آثارا وللأخبات آثارا فمن آثار القسوة تحريف الكلم عن مواضعه وذلك من سوء الفهم وسوء القصد وكلاهما ناشئ عن قسوة القلب ومنها نسيان ما ذكر به وهو ترك ما أمر به علما وعملا ومن آثار الأخبات وجل القلوب لذكره سبحانه والصبر على أقداره والاخلاص في عبادته والاحسان الى خلقه

﴿فصل﴾ وأما تضيق الصدر وجعله حرجا لا يقبل الايمان فقال تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء) والحرج هو الشديد الضيق في قول أهل اللغة جميعهم يقال رجل حرج وحرج أى ضيق الصدر قال الشاعر * لا حرج الصدر ولا عنيف * وقال عبيد بن عمير قرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قالوا الوادى الكثير الشجر الذى لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال ايتوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيا فأنوبه فقال عمر يافى ما الحرجة فيكم فقال الشجرة تحدد بها الأشجار الكثيرة فلا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب الكافر لا يصل اليه شئ من الخير قال ابن عباس يجعل صدره ضيقا حرجا اذا سمع ذكر الله أشمأز قلبه وان ذكر شئ من عبادة الاصنام ارتاح الى ذلك ولما كان القلب محلا للمعرفة والعلم والحجة والابانة وكانت هذه الاشياء إنما تدخل في القلب اذا اتسع لها فاذا أراد الله هداية عبد وسع صدره وشرحه فدخلت فيه وسكنته واذا أراد ضلاله ضيق صدره وأحرجه فلم يجد محلا يدخل فيه فيعدل عنه ولا يساكنه وكل اناء فارغ اذا دخل فيه الشئ ضاق به وكلما أفرغت فيه الشئ ضاق الا القلب البين فكلما أفرغ فيه الايمان والعلم اتسع وانفسح وهذا

وهذا من آيات قدرة الرب تعالى وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله فشرح الصدر من أعظم أسباب الهدى وتضييقه من أسباب الضلال كما ان شرحه من أجل النعم وتضييقه من أعظم النقم فالؤمن منشرح الصدر منفسحه في هذه الدار على مآثله من مكر وهما واذا قوى الايمان وخالطت بشاشته القلوب كان على مكارها انشرح صدرا منه على شهواتها ومحايها فاذا فارقتها كان انفساح روحه والشرح الحاصل له بفراقها أعظم بكثير كحال من خرج من سجن ضيق الى قضاء واسع موافق له فانها سجن المؤمن فاذا بعث الله يوم القيامة رأى من انشراح صدره وسعته ما لا نسبة لما قبله اليه فشرح الصدر كما أنه سبب الهداية فهو أصل كل نعمة وأساس كل خير وقد سأل كلهم الرحمن موسى بن عمران ربه أن يشرح له صدره لما علم انه لا يمكن من تبليغ رسالته والقيام بعبائهما الا اذا شرح له صدره وقد عدد سبحانه من نعمه على خاتم أنبيائه ورسله شرح صدره له وأخبر عن اتباعه انه شرح صدورهم للإسلام* فان قلت فما الاسباب التي تشرح الصدور والتي تضيقه قلت السبب الذي يشرح الصدر النور الذي يقذفه الله فيه فاذا دخله ذلك النور اتسع بحسب قوة النور وضعفه واذا فقد ذلك النور أضلم وتضايق* فان قلت فهل يمكن اكتساب هذا النور أم هو وهى قات هو وهى وكسبى واكتسابه أيضا مجرد موهبة من الله تعالى فالامر كله لله والحمد كله له والخير كله بيده وليس مع العبد من نفسه شئ البتة بل الله واهب الاسباب ومسبباتها وجاعلها أسبابا ومانعها من يشاء ومانعها من يشاء اذا أراد بعبد خيرا وفقه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة اليه فانهما مادتا التوفيق فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق* فان قلت فالرغبة والرهبة بيده لا بيد العبد قلت نعم والله وهما مجرد فضله ومنته وانما يجعلاهما في المحل الذي يليق بهما ويحبسهما عن لا يصلح لهما فان قلت فما ذنب من لا يصلح قلت أكبر ذنوبه انه لا يصلح لأن صلاحيته بما اختاره لنفسه وآثره واحبه من الضلال والغى على بصيرة من أمره فآثر هواه على حق ربه ومرضاته واستحب العمى على الهدى وكان كفر المنعم عليه بصفوف النعم وجحدا لهيئته والشرك به والسعى في مسأخله أحب اليه من شكره وتوحيده والسعى في مرضاته فهذا من عدم صلاحيته لتوفيق خالقه ومالكه وأى ذنب فوق هذا فاذا أمسك الحكم العدل توفيقه عن هذا شأنه كان قد عدل فيه وانسدت عليه أبواب الهداية وطرق الرشاد فانظّم قلبه فضاق عن دخول الاسلام والايمان فيه فلوجاهته كل آية لم تزد الا ضلالا وكفرا واذا تأمل من شرح الله صدره للاسلام والايمان هذه الآية وما تضمنته من أسرار التوحيد والغفر والعدل وعظيمة شأن الربوبية صار لقلبه عبودية أخرى ومعرفة خاصة وعلم انه عبد من كل وجه وبكل اعتبار وإن الرب تعالى رب كل شئ ومليكه من الاعيان والصفات والأفعال والامر كله بيده والحمد كله له وأزمة الامور بيده ومرجمها كلها اليه ولهذه الآية شأن فوق عقولنا وأجل من أفهامنا وأعظم مما قال فيها المتكلمون الذين ظله وهامعناها وأنفسهم كانوا يظلمون تالله لقد غاظ عنها حجابهم وكثفت عنها أفهامهم ومنعتهم من الوصول الى المراد بها أصولهم التي أصولها وقواعدهم التي أسسوها فانها تضمنت اثبات التوحيد والعدل الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه والعدل الذي يقوله معطو الصفات ونفاة القدر

وتضمنت اثبات الحكمة والقدرة والشرع والقدر والسبب والحكم والذنب والعقوبة ففتحت للقلب الصحيح باباً واسما من معرفة الرب تعالى باسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله وحكمته في شرعه وقدره وعدله في عقابه وفضله في ثوابه وتضمنت كمال توحيد ورؤيته وقيومته وإلهيته وإن مصادر الأمور كلها عن محض ارادته ومردّها الى كمال حكمته وإن المهدي من خصه الله بهدياته وشرح صدره لدينه وشرعته وإن الضال من جعل صدره ضيقاً حرجاً عن معرفته ومحبه كائناً يتصاعد في السماء وليس ذلك في قدرته وإن ذلك عدل في عقوبته لمن لم يقدره حق قدره ويجحد كمال رؤيته وكفر بنعمته وآثر عبادة الشيطان على عبوديته فسد عليه باب توفيقه وهدياته وفتح عليه أبواب غيه وضلاله فضاقت صدره وقسا قلبه وتعطلت من عبودية ربها حوارحه وامتلاّت بالظلمة حوائجه والذنب له حيث أعرض عن الإيمان واستبدل به الكفر والفسوق والعصيان ورضى عوالة الشيطان وهانت عليه معاداة الرحمن فلا يتحدث نفسه بالرجوع الى مولاه ولا يعزم يوماً على إقلاعه عن هواه قد ضادّه الله في أمره بحب ما يبغضه وببغض ما يحبه ويوالى من يعاديه ويعادى من يواليه يفضب إذا رضى الرب ويرضى إذا غضب هذا وهو يتقلب في أحسانه ويسكن في داره ويتغذى برزقه ويتقوى على معاصيه بنعمه فمن أعدل منه سبحانه غما يصفه به الجاهلون والظالمون إذا جعل الوحي على أمثال هذا من الذين لا يؤمنون

فصل ١٠ - وإذا شرح الله صدر عبده بنوره الذي يقذفه في قلبه أراه في ضوء ذلك النور حقائق الاسماء والصفات التي تضل فيها معرفة العبد إذا لم يكن أن يعرفها العبد على ما هي عليه في نفس الامر وأراه في ضوء ذلك النور حقائق الإيمان وحقائق العبودية وما يصححها وما يفسدها وتفاوت معرفة الاسماء والصفات والإيمان والاخلاص وأحكام العبودية بحسب تفاوتهم في هذا النور قال تعالى (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به) فيكشف لقلب المؤمن في ضوء ذلك النور عن حقيقة المثل الأعلى مستويًا على عرش الإيمان في قلب العبد المؤمن فيشهد بقلبه رباً عظيماً قاهراً قادراً أكبر من كل شيء في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله السموات السبع قبضة إحدى يديه والأرضون السبع قبضة اليد الأخرى يمسك السموات على أصبع والأرضين على أصبع والحيال على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك فالسموات السبع في كفّه كخردلة في كف العبد يحيط ولا يحيط به ويحصر خلقه ولا يحصرونه ويدركهم ولا يدركونه لو أن الناس من لدن آدم الى آخر الخلق قاموا صفًا واحداً ما أحاطوا به سبحانه ثم يشهد في علمه فوق كل علم وفي قدرته فوق كل قدر وفي جوده فوق كل جواد وفي رحمته فوق كل رحيم وفي جماله فوق كل جميل حتى لو كان جمال الخلائق كلهم على شخص واحد منهم ثم أعطى الخلق كلهم مثل ذلك الجمال لكانت نسبته الى جمال الرب سبحانه دون نسبة سراج ضعيف الى ضوء الشمس ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم ثم أعطى كل منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها الى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة الى حمالة العرش ولو كان جودهم على رجل واحد وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبته الى جوده دون نسبة قطرة الى

البحر وكذلك علم الخلائق اذا نسب الى علمه كان كمنقرة عصفور من البحر وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره وارادته فلو فرض البحر المحيط بالارض مدادا محيط به سبعة ابحر وجميع أشجار الارض شيا بعد شيء اقلام لفتى ذلك المداد والاقلام ولافتى كلماته ولافتد فهو أكبر في علمه من كل عالم وفي قدرته من كل قادر وفي جوده من كل جواد وفي غناه من كل غنى وفي علوه من كل عال وفي رحمته من كل رحيم استوى على عرشه واستولى على خلقه متفرد بتدبير مملكته فلا قبض ولا بسط ولا منع ولا هدى ولا ضلال ولا مساعدة ولا شقاوة ولا موت ولا حياة ولا نفع ولا ضرر الا بيده لا مالك غيره ولا مدبر سواه لا يستقل أحد معه بملك مثقال ذرة في السموات والارض ولا له شركة في ملكها ولا يحتاج الى وزير ولا ظهور ولا معين ولا يغيب في خلقه غيره ولا يعي فيعنه سواه ولا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه الا من بعد اذنه لمن شاء وفيمن شاء فهو أول مشاهد المرفة ثم يرتقى منه الى مشهد فوقه لا يتم الاب به وهو مشهد الالهية فيشهد سبحانه متجليا في كاله بأمره ونبيه ووعد ووعده وثواب وعقابه وفضله في ثوابه فيشهد ربا قيوما متكلما آمرا ناهيا يحب ويغض ويرضى ويغضب قد أرسل رسله وأنزل كتبه وأقام على عبادته الحجة البالغة وأتم عليهم نعمته السائغة يهدى من يشاء منه نعمة وفضلا ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا ينزل اليهم أوامره وتعرض عليه أعمالهم لم يخلتهم عبنا ولم يتركهم سدى بل أمره جار عليهم في حركاتهم وسكناتهم وظواهرهم وبواطنهم فله عليهم حكم وأمر في كل تحريك وتسكينة ولحظة ولقطة وينكشف له في هذا النور عدله وحكمته وورحمته وإطافه وإحسانه وبره في شرعه وأحكامه وإنها أحكام رب رحيم محسن لطيف حكيم قد بهرت حكمته العقول وأقرت بها الفطر وشهدت لمنزلها بالوحداية ولمن جاء بها بالرسالة والنبوة وينكشف له في ضوء ذلك النور اثبات صفاته الكمال وتنزهه سبحانه عن التقص والمثال وان كل كمال في الوجود فمعطيه وخالقه أحق به وأولى وكل نقص وعيب فهو سبحانه منزّه متعال عنه وينكشف له في ضوء هذا النور حقائق المعاد واليوم الآخر وما أخبر به الرسول عنه حتى كأنه يشاهده عيانا وكأنه يخبر عن الله واسمائه وصفاته وأمره ونبيه ووعد ووعده وإخبار من كأنه قد رأى وعان وشاهد ما أخبر به فمن أراد سبحانه هدايته شرح صدره لهذا فأتبع له وانفسح ومن أراد ضلالتة جعل صدره من ذلك في ضيق وحرر لا يجذ فيه مسلكا ولا منفذا والله الموفق المعين وهذا الباب يكفي التيب في معرفة القدر والحكمة ويطالع على العدل والتوحيد الذي تضمنهما قوله (شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام).

الباب السادس عشر

فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما

هو متفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم

قال البخاري في كتاب خلق أفعال العباد حدثنا علي بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك

عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه قال البخارى وتلا بعضهم عند ذلك (والله خلقكم وما تعملون) حدثنا محمد أبو معاوية عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة نحوه موقوفا عليه وأما استشهاد بعضهم بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) بحمل ماعلى المصدر أى خلقكم وأعمالكم فالظاهر خلاف هذا وإنما موصولة أى خالقكم وخلق الاصنام التى تعملونها فهو يدل على خالق أعمالهم من جهة الزوم فان الصنم اسم للآلة التى حل فيها العمل المخصوص فاذا كان مخلوقا لله كان خلقه متناولا لمادته وصورته قال البخارى وحدثنا عمرو بن محمد حدثنا ابن عينة عن عمرو بن طاووس عن ابن عمر كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خذك قال البخارى وحدثني اسماعيل قال حدثني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر حتى العجز والكس ورواه مسلم في صحيحه عن طاووس وقال سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكس قال البخارى وقال ليث عن طاووس عن ابن عباس (أنا كل شئ خلقناه بقدر) حتى العجز والكس قال البخارى سمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون أفعال العباد مخلوقة قال البخارى حرركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة وقال جابر بن عبد الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انه استخبرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فيسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم ان هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمى حاجته قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح فقوله إذا هم أحدكم بالأمر صريح في أنه الفعل الاختيارى المتعلق بإرادة العبد وإذا علم ذلك فقوله استقدرك بقدرتك أى أسألك أن تقدرنى على فعله بقدرتك ومعلوم انه لم يستل القدرة المصححة التى هى سلامة الاعضاء وصحة البنية وإنما سأل القدرة التى توجب الفعل فعمل انها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله فانك تقدر ولا أقدر أى تقدر أن تجعلى قادرا فاعلا ولا أقدر أن أجعل نفسى كذلك وكذلك قوله تعلم ولا أعلم أى حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلاتها والنافع منها والضار عندك وليس عندى وقوله يسره لي وأصرفه عني فانه طلب من الله تيسيره ان كان له فيه مصاحبة وصرفه عنه ان كان فيه مفسدة وهذا التيسير والصرف متضمن للقاء داعية الفعل في القلب أو اللقاء لداعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل وعند القدرة ترجيح فاعلية العبد على الترك منه ليس للرب فيه صنع ولا تأثير فطلب هذا التيسير منه لامعنى له عندهم فان تيسير الأسباب التى لاقدرة للعبد عليها موجود ولم يسأله العبد وقوله ثم رضني به يدل على ان حصول الرضا وهو فعل اختيارى من أفعال القلوب أمر مقدور للرب تعالى وهو الذى يجعل نفسه راضيا وقوله فأصرفه عني وأصرفني عنه صريح في أنه سبحانه هو الذى يصرف عبده عن فعله الاختيارى إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حق يوسف الصديق (كذلك لنصرف عنه

السوء والفحشاء) وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله اليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيهما وقوله وأقدر لي الخير حيث كان يعم الخير المقدور للعبد من طاعته وغير المقدور له فلم ان فصل العبد للطاعة والخير أمر مقدور لله ان لم يقدره الله لعبد لم يقع من العبد ففي هذا الحديث الشفاء في مسألة القدر وأمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الداعي به ان يقدم بين يدي هذا الدعاء ركعتين عبودية منه بين يدي نجاؤه وان يكونا من غير الفريضة ليتجرده فعلهما لهذا الغرض المطلوب ولما كان الفعل الاختياري متوقفا على العلم والقدرة والارادة لا يحصل الا بها توسل الداعي الى الله بعلمه وقدرته وارادته التي يؤتيه بها من فضله وأكد هذا المعنى بتجرده وبرائه من ذلك فقال انك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأمر الداعي أن يعلق التيسير بالخير والعرف بالشر وهو علم الله سبحانه تحقيقا للتفويض اليه واعترافا بجعل العبد بمواقب الامور كما اعترف بعجزه في هذا الدعاء اعطاء العبودية حقها واعطاء الربوبية حقها وباللغة المستعان . وفي الترمذي وغيره من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضي عليك انه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت . فقوله اهدني سؤال للهداية المطلقة التي لا يتخلف عنها الاهتداء وعند القدرة ان الرب سبحانه وتعالى عن قولهم لا يقدر على هذه الهداية وانما يقدر على هداية البيان والدلالة المشتركة بين المؤمنين والكفار وقوله فيمن هديت فيه فوائد أحدها أنه سؤال له أن يدخله في جملة المهديين وزمرتهم ورفقتهم الثانية توسل اليه باحسانه وانعامه أى ياربى قد هديت من عبادك بشرا كثيرا فضلا منك واحسانا فاحسن الى كما أحسنت اليهم كما يقول الرجل للملك اجمعني من جملة من أغنيته وأعطيته وأحسنيت اليه الثالثة ان ما حصل لأولئك من الهدى لم يكن منهم ولا بانفسهم وانما كان منك فانت الذى هديتهم وقوله وعافني فيمن عافيت انما يسأل ربه العافية المطلقة وهى العافية من الكفر والفسوق والمصيان والغفلة والاعراض وفعل ما لا يحبه وترك ما يحبه فهذا حقيقة العافية ولهذا ما سأل الرب شيئا أحب اليه من العافية لانها كلمة جامعة للتخلص من الشر كله وأسبابه وقوله وتولني فيمن توليت سؤال للتولى الكامل ليس المراد به ما فعله بالكافرين من خلق القدرة وسلامة الآلة وبيان الطريق فان كان هذا هو ولايته للمؤمنين فهو ولي الكفار كما هو ولي المؤمنين وهو سبحانه يتولى أولياءه بامور لا توجد في حق الكفار من توفيقهم والهامهم وجعلهم مهديين مطيعين وبدل عليه قوله انه لا يذل من واليت فانه منصور عزيز غالب بسبب توليك له وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس فهو بنقصان ما فاته من من تولى الله والافع الولاية الكاملة ينتفى الذل كله ولوسلط عليه بالاذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل وقوله وقني شر ما قضيت يتضمن ان الشر بقضائه فانه هو الذى يقى منه وفي المسند وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعاذ بن جبل يا معاذ والله اني لاحبك فلانكس أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وهذه أفعال اختيارية وقد سأل الله أن يعينه على فعلها وهذا الطلب لامعنى له عند القدرة فان الاعانة عندهم الاقدار والتكفين وازاحة الاعذار وسلامة الآلة وهذا حاصل للسائل وللکفار أيضا والاعانة التي سألتها أن يجعلها ذاكرة شاكرة محسنة لعبادته كما في حديث ابن

عباس عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه المشهور رب أعني ولا تمن علي وانصرني ولا تنصر علي
وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهادي لي وانصرني على من بغى علي رب اجعلني لك شكرا
لك ذكرا لك رهبا لك مطوعا لك محببا إليك اواها منيبا رب قبل توبتي واغسل حوبتي واجب
دعوتي وثبت حجتي واهد قلبي وسدد لساني واسل سخيمة صدرى رواه الامام أحمد في المسند
وفيه أحد وعشرون دليلا قاطعا وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد انقضاء صلاته
لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول ذلك الدعاء عند اعتداله من الركوع ففي هذا نفي
الشريك عنه بكل اعتبار وثابت عموم الملك له بكل اعتبار وثابت عموم الحمد وثابت عموم القدرة
وان الله سبحانه اذا أعطى عبدا فلا مانع له واذا منعه فلا معطي له وعند القدرة ان العبد قد يمنع
من أعطى الله ويعطى من منعه فانه يفعل باختياره عطاء ومنعه لم يشأ الله ولم يحمله معطيا مانعا
فيتصور أن يكون لمن أعطى مانع ولمن منع معط وفي الصحيح ان رجلا سأله أن يدلّه على عمل
يدخل به الجنة فقال انه ليسير على من يسره الله عليه فدل على ان التيسير الصادر من قبله سبحانه
يوجب اليسر في العمل وعدم التيسير يستلزم عدم العمل لانه مزرومه والمزروم يتفق لانقضاء لازمه
والتيسير بمعنى التمكين وخلق الفعل وازاحة الاعذار وسلامة الاعضاء حاصل للمؤمن والكافر
والتيسير المذكور في الحديث أمر آخر وراء ذلك وبالله التوفيق والتيسير وفي الصحيح عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لا بى موسى الا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله
وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة وتلقيها بالتقبل وهي شافية كافية في إثبات القدر وإبطال قول
القدرية وفي بعض الحديث اذا قالها العبد قال الله أسلم عبدي واستسلم وفي بعضه فوض الى عبدي
قال بعض المنتسبين للقدر لما كانت القدرة بالنسبة الى الفعل والى الترك بحصول الدواعي على التسوية
ومادام الامر كذلك امتنع صدور الفعل فاذا رجح جانب الفعل على الترك بحصول الدواعي وازالة
الصوارف حصل الفعل وهذه القوة هي المشار اليها بقولنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وشأن
الكلمة أعظم مما قال فان العالم العلوى والسفلى له شمول من حال الى حال وذلك التحول لا يقع
الابقوة يقع بها التحول فكذلك الحول وتلك القوة قائمة بالله وحده ليست بالتحويل فيدخل في هذا
كل حركة في العالم العلوى والسفلى وكل قوة على تلك الحركة سواء كانت الحركة قسرية أو ارادية
أو طبيعية وسواء كانت من الوسط أو الى الوسط أو على الوسط وسواء كانت في الكم أو الكيف أو في
الان كحركة الثبات وحركة الطبيعة وحركة الحيوان وحركة الفلك وحركة النفس والقلب
والقوة على هذه الحركات التي هي حول فلا حول ولا قوة الا بالله ولما كان الكثر هو المال النفيس
الاجتماع الذي يخفى على أكثر الناس وكان هذا شأن هذه الكلمة كانت كنزا من كنوز الجنة فأوتيا
النبي صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش وكان قائمها أسلم واستسلم لمن أزمه الامور بيديه وفوض
أمره اليه وفي المسند والسنن عن أبي الديلمي قال آيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر
فحدثني بشيء لعل الله يذهب عني من قلبي فقال ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم
وهو غير ظالم لهم ولورحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله

منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ولومت على غير ذلك كنت من أهل النار قال فآيت عبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت فكل منهم حدثني بمثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه وله شأن عظيم وهو دال على ان من تكلم به أعرف الخلق بالله وأعطاهم له توحيدا وأكثرهم له تعظيما وفيه الشفاء التام في باب العدل والتوحيد فانه لا يزال يحول في نفوس كثير من الناس كيف يجتمع القضاء والقدر والامر والنهي وكيف يجتمع العدل والعقاب على المقتضى المقدر الذي لا بد للعبد من فعله ثم سلك كل طائفة في هذا المقام واديا وطريقا فسلك الجبرية وادى الجبر وطريق المشيئة المحضة الذي يرجح مثلا على مثل من غير اعتبار علة ولا غاية ولا حكمة قالوا وكل ممكن عدل والظلم هو المتع لثانته فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان متصرفا في ملكه والظلم تصرف القادر في غير ملكه وذلك مستحيل عليه سبحانه قالوا ولما كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم تكن الاعمال سببا للنجاة فكانت رحمته للامداد هي المستقلة بنجاتهم فكانت رحمته خيرا من أعمالهم وهؤلاء راعوا جانب الملك وعطلوا جانب الحمد والله سبحانه له الملك وله الحمد وسلكت القدرية وادى العدل والحكمة ولم يوفوه حقه وعطلوا جانب التوحيد وحاروا في هذا الحديث ولم يدروا ما وجهه وربما قابله كثير منهم بالكذب والردنه وان الرسول لم يقل ذلك قالوا وأي ظلم يكون أعظم من تعذيب من استغذ أوقات عمره كلها واستفرغ قواه في طاعته وفعل ما يحبه ولم يصبه طرفة عين وكان يعمل بامر دأبا فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ان تعذيب هذا يكون عدلا لظلمه قالوا ولا يقال ان حقه عليهم وما ينبغي له أعظم من طاعتهم فلا تقع تلك الطاعات في مقابلة نعمه وحقوقه فلو عذبهم لعذبهم بحقه عليهم لانهم اذا فعلوا مقدورهم من طاعته لم يكفوا بغيره فكيف يعذبون على ترك ما لا قدرة لهم عليه وهل ذلك الا بمنزلة يعذبهم على كونهم لم يخلقوا السموات والارض ونحو ذلك مما لا يدخل تحت مقدورهم قالوا فلا وجه لهذا الحديث الارده أو تأويله وحمله على معنى يصح وهو انه لو أراد تعذيبهم جعلهم أمة واحدة على الكفر فلو عذبهم في هذه الحال لكان غير ظالم لهم وهو لم يقل لو عذبهم مع كونهم مطيعين له عابدين له لعذبهم وهو غير ظالم لهم ثم أخبر انه لو عذبهم بالرحمة لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم ثم أخبر انه لا يقبل من العبد عمل حتى يؤمن بالقدر والقدر هو علم الله بالكائنات وحكمه فيها ووقفت طائفة أخرى في وادي الحيرة بين القدر والامر والثواب والعقاب فتارة يغلب عليهم شهود القدر فيغيثون به عن الامر وتارة يغلب عليهم شهود الامر فيغيثون عن القدر وتارة يبقون في حيرة وعمی وهذا كله انما سببه الاصول الفاسدة والقواعد الباطلة التي بنوا عليها ولو جمعوا بين الملك والحمد والربوبية والالهية والحكمة والقدرة وأثبتوا الكمال المطلق ووصفوه بالقدرة التامة الشاملة والمشيئة العامة النافذة التي لا يوجد كائن الا بعد وجودها والحكمة البالغة التي ظهرت في كل موجود لعلوا حقيقة الامر وزالت عنهم الحيرة ودخلوا الى الله سبحانه من باب أوسع من السموات السبع وعرفوا انه لا يليق بكماله المقدس الا ما أخبره عن نفسه على السنة رساله وان مخالفته ظنون كاذبة وأوهام باطلة تولدت بين أفكار باطلة وآراء مظلمة فقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله* الرب تبارك اسمه وتعالى جده ولاله

غيره هو المنعم على الحقيقة يصنوف النعم التي لا يحصوها أهل سمواته وأرضه فإيجادهم نعمة منه وجعلهم أحياء ناطقين نعمة منه واعطاهم الاسماع والابصار والعقول نعمة منه وادار الارزاق عليهم على اختلاف أنواعها وأصنافها نعمة منه وترى فيهم نفسه باسمائه وصفاته وأفعاله نعمة منه وأجراؤه كد على أنفسهم ومحبته ومعرفة على قلوبهم نعمة منه وحفظهم بعد إيجادهم نعمة منه وقيامه بمصالحهم دقيقة وجليلة نعمة منه وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعايشهم نعمة منه وذكر نعمة على سبيل التفصيل لا سبيل إليه ولا قدرة للبشر عليه ويكفي أن النفس من أدنى نعمة التي لا يكادون يعدونها وهو أربعة وعشرون ألف نفس في كل يوم ويلة لله على العبد في النفس خاصة أربعة وعشرون ألف نعمة كل يوم ويلة دع ما عدا ذلك من أصناف نعمة على العبد ولكل نعمة من هذه النعم حق من الشكر يستدعيه ويقضيه فإذا وزعت طاعات العبد كلها على هذه النعم لم يخرج قسط كل نعمة منها إلا جزء يسير جدا لا نسبته إلى قدر تلك النعمة بوجه من الوجود قال أنس بن مالك ينشر للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه ذنوبه وديوان فيه العمل الصالح فيأمر الله تعالى أصغر نعمة من نعمة فيقوم فتستوعب عمله كله ثم يقول أي رب وعزتك وجلالك ما ستوفيت ثمنى وقد بقيت الذنوب والنعم فإذا أراد الله بعبد خيرا قال ابن آدم ضعفت حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك ووهبت لك نعمي فيما بيني وبينك وفي صحيح الحاكم حديث صاحب الرمانة الذي عبد الله خمسمائة سنة يأكل كل يوم رمانة تخرج له من شجرة ثم يقوم إلى صلاته فسأل ربه وقت الأجل أن يقضه ساجدا وإن لا يعمل للأرض عليه سيلا حتى يبعث وهو ساجد فإذا كان يوم القيامة وقف بين يدي الرب فيقول تعالى ادخلوا عبادي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعمل فيقول الرب جل جلاله قايصوا عبادي بتمتعى عليه وبعمله فؤخذ نعمة البصر بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد فضلا عليه فيقول ادخلوا عبادي النار فيجبر إلى النار فينادى رب برحمتك رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول ردوه فيوقف بين يديه فيقول يا عبادي من خلقك ولم تكن شيئا فيقول أنت يا رب فيقول من قواك على عبادة خمسمائة سنة فيقول أنت يا رب فيقول من أنزلك في جبل وسط اللجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح وأخرج لك كل يوم رمانة وأما تخرج مرة في السنة وسألتني أن أقبضك ساجدا ففعلت ذلك بك فيقول أنت يا رب فيقول الله فذلك برحمتي وبرحمتي أدخلك الجنة رواه من طريق يحيى بن بكير حدثنا الليث بن سعد عن سليمان بن هرم عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى عليه وسلم والاستناد صحيح ومعناه تخيير لأرب في فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يججو أحسد منكم بعمله وفي لفظ لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا أو أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يجي أحدا عمله من الأولين ولا من الآخرين إلا أن يرحمه ربه سبحانه فتكون رحمته خيرا له من عمله لأن رحمته تحبه وعمله لا يجبه فلم أنه سبحانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم بعض حق عليهم ومما يوضحه أنه كلما ذكرت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب من دونه فيكون حق الله عليه أعظم وأعماله لا تنفي بحقه عليه وهذا أنما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والاعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته فكيف إذا حصل له من ذلك ما يورى طاعاته أو يزيد عليها فإن من حق الله على عبده أن يعبد لا يشرك به

شيئا وإن يذكره ولا ينساه وإن يشكره ولا يكفره وإن يرضى به ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وليس الرضا بذلك مجرد إطلاق هذا اللفظ وحاله وإرادته وتكذبه وتخالفه فكيف يرضى به ربا من يسخط ما يقضيه له إذا لم يكن موافقا لإرادته وهو اهـ فيقلل سخطا به متبرما يرضى وربه غضبان ويغضب وربه راض فهذا إنما يرضى من ربه حظا لم يرض بالله ربا وكفى بدعى الرضا بالإسلام ديناً من يئذ أصوله خلف ظهره إذا خالفت بدعته وهو اهـ وفروعه وراءه إذا لم يوافق غرضه وشهوته وكيف يصح الرضا بمحمد رسولا من لم يحكمه على ظاهره وباطنه ويتلقى أصول دينه وفروعه من مشكاته وحده وكيف يرضى به رسولا من يترك ما جاءه أقول وغيره ولا يترك قول غيره لقوله ولا يحكمه ويحتج بقوله إلا إذا وافق تقليده ومذهبه فإذا خالفه لم يلتفت إلى قوله والمقصود أن من حقه سبحانه على كل أحد من عبده أن يرضى به ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا وإن يكون حبه كله لله وبفضله في الله وقوله لله وتركه لله وإن يذكره ولا ينساه ويطيعه ولا يعصيه ويشكره ولا يكفره وإذا قام بذلك كله كانت نعم الله عليه أكثر من عمله بل ذلك نفسه من نعم الله عليه حيث وفقه له ويسره وأعانته عليه وجعله من أهله واختصه به على غيره فهو يستدعي شكراً آخر عليه ولا سبيل له إلى القيام بما يجب لله من الشكر أبداً فنعلم الله تعالى بالشكر وأعماله لا تقابلها وذنوبه وغفاته وتقديره قد استنفد عمله فديوان النعم وديوان الذنوب يستنفدان طاعاته كلها هذا وأعمال العبد مستحقة عليه بمقتضى كونه عبداً مملوكاً مستعلاً فيما يأمره به سيده نفسه مملوكة وأعماله مستحقة بموجب العبودية فليس له شيء من أعماله كما أنه ليس له ذرة من نفسه فلا هو مالك لنفسه ولا صفاته ولا أعماله ولا ما يده من المال في الحقيقة بل كل ذلك مملوك عليه مستحق عليه للمالك أعظم استحقاقاً من سيد اشترى عبداً بخالص ماله ثم قال العمل وأدلى فليس لك في نفسك ولا في كسبك شيء فلو عمل هذا العبد من الأعمال ما عمل فإن ذلك كله مستحق عليه لسيدته وحق من حقوقه عليه فكيف بالإنعم المالك على الحقيقة الذي لا تعد نعمه وحقوقه على عبده ولا يمكن أن تقابلها طاعاته بوجه فلو عذبه سبحانه لعذبه وهو غير ظالم له وإذا رحمه فرحمته خير له من أعماله ولا تكون أعماله ثمناً لرحمته البتة فلو لا فضل الله ورحمته ومغفرته ما هنا أحد عيش البتة ولا عرف خالقه ولا ذكره ولا آمن به ولا أطاعه فكما أن وجود العبد محض وجوده وفضله ومنته عليه وهو المحمود على إيجاده فتوابع وجوده كلها كذلك ليس للعبد منها شيء كما ليس له في وجوده شيء فالحمد لله والفضل كله له والأناعم كله له والحق له على جميع خلقه ومن لم ينظر في حقه عليه وتقديره وعجزه عن القيام به فهو من أجهل الخلق بربه وبنفسه ولا تنفعه طاعاته ولا يسمع دعاؤه قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا جري بن حازم عن وهب قال بلغني أن نبي الله موسى مر برجل يدعو ويتضرع فقال يارب ارحمه فأتى قدر رحمة فلوحي الله تعالى إليه لودعاني حتى ينقطع فؤاده ما استجبت له حتى ينظر في حقى عليه والعبد يسير إلى الله سبحانه بين مشاهدة منته عليه ونعمه وحقوقه وبين رؤية عيب نفسه وعمله وتفريطه وأضاعته فهو يعلم أن ربه لو عذبه أشد العذاب لكان قد عدل فيه وإن أقضته كلها عدل فيه وإن مافيه من الخير فمجرد فضله ومنته وصدفته عليه ولهذا كان في حديث سيد الاستغفار أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فلا يرى نفسه إلا متقصراً مذنباً ولا يرى ربه إلا محسناً

متفضلاً وقد قسم الله خلقه الى قسمين لأنك لهما تائبين وظالمين فقال (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وكذلك جعلهم قسمين معذبين وتائبين فمن لم يتب فهو معذب ولا بد قال تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) وأمر جميع المؤمنين من أولهم الى آخرهم بالتوبة ولا يستثنى من ذلك أحد وعلق فلاحهم بها قال تعالى (وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وعدد سبحانه من حجة نعمه على خير خلقه وأكرمهم عليه وأطوعهم له وأخشاهم له ان تاب عليه وعلى خواص أتباعه فقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) ثم كرر توبته عليهم فقال (ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم) وقدم توبته عليهم على توبة الثلاثة الذين خفلوا واخبر سبحانه ان الجنة التي وعدها أهلها في التوراة والانجيل انها يدخلها التائبون فذكر عموم التائبين أولاً ثم خص النبي والمهاجرين والانصار بها ثم خص الثلاثة الذين خفلوا فعمل بذلك احتياج جميع الخلق الى توبته عليهم ومغفرته لهم وعفوه عنهم وقد قال تعالى لسيد ولد آدم وأحب خلقه اليه عفا الله عنك فهذا خبر منه وهو اصدق القائلين أو دعاء لرسوله بعفوه عنه وهو طلب من نفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده أقرب ما يكون من ربه أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك وقال لاطوع نساء الامة وأفضلهن وخيرهن الصديقة بنت الصديق وقد قالت له يا رسول الله لئن وافقت ليلة القدر فما أدعوه قال قولي اللهم انك عفوتحب العفو فاعف عني قال الترمذي حديث حسن صحيح وهو سبحانه لمحبه العفو والتوبة خالق خلقه على صفات وهيئات وأحوال تقتضى توبتهم اليه واستغفارهم وطاهم عفوهم ومغفرته وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم والله تعالى يحب التوابين والتوبة من أحب الطاعات اليه ويكفي في محبتها شدة فرحه بها كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في الفلاة وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى ادركه العطش ثم قال أرجع الى المكان الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليوم فاستيقظ وعنده راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فأنام أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا راحلته وزاده وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير ثم سار حتى كان بفلاة فأدركته القائلة فنزل فقال تحت شجرة فغلبته عينه وانسل بعيره فاستيقظ فسعى شرفاً فلم ير شيئاً ثم سعى شرفاً ثانياً ثم سعى شرفاً ثالثاً فلم ير شيئاً فأقبل حتى أتى الى مكانه الذي قال فيه فبينما هو قاعد فيه اذ جاء بعيره يمشي حتى وضع خطامه في يده فأنام أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره قائماً تحت محبة سبحانه لهذه الطاعة التي هي أصل الطاعات وأساسها فان من زعم أن أحداً من الناس يستغنى عنها ولا حاجة

به اليها فقد جهل حق الربوبية ومرتبة العبودية وينقص بمن أغناه برزعه عن التوبة من حيث زعم أنه معظم له إذ عطله عن هذه الطاعة العظيمة التي هي من أجل الطاعات والقرابة الشريفة التي هي من أجل القربات وقال لست من أهل هذه الطاعة ولا حاجة بك اليها فلا قدر الله حق قدره ولا قدر العبد حق قدره وقد جعل بعض عباده غنيا عن مغفرة الله وعفوه وتوبته اليه وزعم أنه لا يحتاج الى ربه في ذلك وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب عن أحدكم من رجل كان على راحلته بأرض فلاة فانقلبت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع وقد يس من راحلته فيبنا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح وأكمل الخلق أكمهم توبة وأكثرهم استغفاراً وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله أنى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ولما سمع أبو هريرة هذا من النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول مارواه الامام أحمد في كتاب الزهد عنه انى لاستغفر الله في اليوم والليلة اثني عشر ألف مرة بقدر دقيق ثم ساقه من طريق آخر وقال بقدر ذنبه وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون أن أبانا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبى هريرة قال ما جلست الى أحد أكثر استغفاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرجل وما جلست الى أحد أكثر استغفاراً من أبى هريرة وفي صحيح مسلم عن "الأغر المنزلى" ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي السنن والمسند من حديث ابن عمر قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب على انك أنت التواب الرحيم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل ثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبى بردة قال جلست الى شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الكوفة فحدثني قال سمعت رسول الله أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل واستغفروه فأتوب الى الله واستغفره كل يوم مائة مرة قال الامام أحمد وثنائحي عن شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا بردة قال سمعت الأغر يحدث ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم عز وجل فأتوب اليه في اليوم مائة مرة وقال أحمد ثنا يزيد أن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى عثمان النهدي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجمعنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أسأوا استغفروا وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم في أول الصلاة عند الاستفتاح بعد التكبير اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدني لافضل الاصلح للاحسن الا أنت ليك وسعديك والخير في يدك وأنا بك واليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك رواد مسلم وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في دعائه اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقى من خطاياى بالماء والثلج والبرد وكان يقول هذا سرأ لم يعلم به من خلفه حتى سأله عنه أبو هريرة وروى عنه على بن أبى طالب انه كان اذا استفتح الصلاة قال "لا اله الا أنت صمت نفسي وعملت سوءاً فغفر لي انه لا يغفر

الذنوب إلا أنت وفي الصحيحين أنه كان يقول في ركوعه وسجوده سبحانه اللهم ربنا وبمحمدك اللهم اغفر لي وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن أبي أوفى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملاً السموات وملاً الأرض وملاً ما شئت من شيء بعد اللهم طهرني بالراح والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره علامته وسره وفي مسند الامام أحمد أنه كان يقول في صلاته اللهم اغفر لي ووسع علي في ذاتي وبارك لي في رزقي وفي صحيح مسلم عن فروة بن نوفل قال قلت لعائشة حديثي بشيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به في صلاته قالت نعم كان يقول اللهم اني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم وكان يقول بين السجدين اللهم اغفر لي وارحني واجبرني واهدني وارزقني وكان يقول في قيامه الى الصلاة بالليل اللهم لك الحمد الحديث وفيه فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير* وحقيقة الامر ان العبد فقير الى الله من كل وجه وبكل اعتبار فهو فقير اليه من جهة ربوبيته له واحسانه اليه وقيامه بمصالحه وتدبيره له وفقير اليه من جهة إلهيته وكونه معبوده وإلهه ومحجبه الاعظم الذي لا صلاح له ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور الا بان يكون أحب شيء اليه فيكون أحب اليه من نفسه وأهله وماله ووالده وولده ومن الخلق كلهم وفقير اليه من جهة معافاته له من أنواع البلاء فانه ان لم يعافيه منها هلك ببعضها وفقير اليه من جهة عفوه عنه ومغفرته له فان لم يعف عن العبد ويغفر له فلا سبيل الى النجاة فما نجى أحد الا بفؤ الله ولا دخل الجنة الا برحمة الله وكثير من الناس ينظر الى نفس ما يتاب منه فيراه نقصاً ولا ينظر الى كمال الغاية الحاصلة بالتوبة وان العبد بعد التوبة الصوح خير منه قبل الذنب ولا ينظر الى كمال الربوبية وتفرد الرب بالكمال وحده وان لوازم البشرية لا يتفك منها البشر وان التوبة غاية كل أحد من ولد آدم وكاله كما كانت هي غايته وكاله فليس للعبد كمال بدون التوبة البتة كما أنه ليس له انشكاك عن سببها فانه سبحانه هو المتفرد المستأثر بالغنى والحمد من كل وجه وبكل اعتبار والعبد هو الفئير المحتاج اليه المضطر اليه بكل وجه وبكل اعتبار فرحمته للعبد خير له من عمله فان عمله لا يستقل بنجاة ولا سعادته ولو وكل الى عمله لم ينج به البتة فهذا بعض ما يتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم* وما يوضحه ان شكره سبحانه مستحق عليهم بحجة ربوبيته لهم وكونهم عبيده ومماليكه وذلك بوجوب علمهم أن يعرفوه ويعظموه ويوحدوه ويتقربوا اليه تقرب العبد المحب الذي يتقبل في نعمه ولا غناء به عنه طرفه عين فهو يذاب في التقرب اليه بجهده ويستفرغ في ذلك وسمه وطاقته ولا يعدل به سواء في شيء من الاشياء ويؤثر رضا سيده على ارادته وهواه بل لاهوى له ولا ارادة الا فيما يريد سيده ويحبه وهذا يستلزم علوماً وأعمالاً وارادات وغرائم لا يعارضها غيرها ولا يبقى له معها التفات الى غيره

غيره بوجه ومعلوم ان ما يطبع عليه البشر لا يفي بذلك وما يستحقه الرب تعالى لذاته وانه أهل أن يعبد أعظم مما يستحقه لاحسانه فهو المستحق لهاية العبادة والخضوع والذل لذاته ولاحسانه وانعامه وفي بعض الآثار لو لم أخلق جنّة ولا ناراً لكنت أهلاً أن أعبد ولهذا يقول أعبد خلقه له يوم القيامة وهم الملائكة سبحانه ما عبدناك حق عبادتك فمن كرمه وجوده ورحمته ان رضى من عباده بدون اليسير مما ينبغي ان يعبد به ويستحقه لذاته واحسانه فلا نسبة للواقع منهم الى ما يستحقه بوجه من الوجوه فلا يسعهم الا عفوه وتجاوزة وهو سبحانه أعلم بعباده منهم بأنفسهم فلو عذبهم لذنبهم بما يعلمه منهم وان لم يحيطوا به علماً ولو عذبهم قبل أن يرسل رساله اليهم على أعمالهم لم يكن ظالماً لهم كما أنه سبحانه لم يظالمهم بمقتة لهم قبل ارسال رسوله على كفرهم وشركهم وقبائحهم فانه سبحانه نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب ولكن أوجب على نفسه اذ كتب عليها الرحمة أنه لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه برسالته وسر المسئلة انه لما كان شكر المزمع على قدره وعلى قدر نعمه ولا يقوم بذلك أحد كان حقه سبحانه على كل أحد وله المطالبة به وان لم يغفر له ويرحمه والا عذبه فحاجتهم الى مغفرته ورحمته وعفوه كحاجتهم الى حفظه وكلايته ورزقه فان لم يحفظهم هلكوا وان لم يرزقهم هلكوا وان لم يغفر لهم ويرحمهم هلكوا وخسروا ولهذا قال أبوهم آدم وأهمهم حواء (ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وهذا شأن ولده من بعده وقد قال موسى كلمه سبحانه (رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى) وقال (سبحانك تب اليك وأنا اول المؤمنين) وقال (رب اغفر لى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين) وقال (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وقال خليله ابراهيم (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذرىبى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وقال (الذى خلقنى فهو يهدين) الى قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقال اول رساله الى أهل الارض رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين وقال لا كرم خلقه عليه وأحبههم اليه (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وقال (انا فتحناك فتحناً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً) وقد تقدم حديث ابن عباس فى دعائه صلى الله عليه وسلم رب أعنى ولا تمن على وفىه رب تقبل توبتى واغسل حوبتى الحديث وقد أخبر سبحانه عن أعبد البشر داود انه استغفر ربه وخر راكعاً وأتاب وقال تعالى (فغفرنا له ذلك) وقال عن نبيه سايان (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى انك أنت الوهاب) وقال عن نبيه يونس انه ناداه فى الظلمات (لا اله الا أنت سبحانه انى كنت من الظالمين) وقال صديق الامه وخيرها وأبرها وأتقها لله بعد رسوله يارسول الله علمنى دعاء أدعوه به فى صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم فاستفتح الخبر عن نفسه باداة التوكيد التى تقتضى تقرير ما بعدها ثم ثنى بالأخبار عن ظلمه لنفسه ثم وصف ذلك الظلم بكونه ظلماً كبيراً ثم طلب من ربه ان يغفر له مغفرة من عنده أى لا يباغها

علمه ولا سعيه بل هي محض منتبه واحسانه وأكبر من عمله فاذا كان هذا شأن من وزن بالامة
فرجع بهم فكيف بمن دونه

الباب السابع عشر

في الكسب والجبر ومعناها لغة واصطلاحاً واطلاقهما نفيًا وإثباتًا

وما دل عليه السمع والعقل من ذلك * أما الكسب فاصله في اللغة الجمع قاله الجوهري وهو طلب
الرزق يقال كسبت شيئاً واكتسبته بمعنى وكسبت أهلي خيراً وكسبت الرجل مالا فكسبه وهذا مما
جاء على فاعله ففعل والكواسب الجوارح وتكسب تكسب الكسب انتهى والكسب قد وقع في القرآن
على ثلاثة أوجه أحدها عقد القلب وعزمه كقوله تعالى (لا يؤخذكم الله بالأفوف في إيمانكم ولكن
يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) أى بما عزمتم عليه وقصدتموه وقال الزجاج أى يؤخذكم بعزمكم على
أن لا تبروا وأن لا تتقوا وأن تعملوا في ذلك بأنكم حافظتم وكأنه الفت الى لفظ المؤاخذه وانها تقتضى
تمذيباً فجعل كسب قلوبهم عزمهم على ترك البر والتقوى لمكان العيين والقول الاول أضح وهو قول
جمهور أهل التفسير فانه قابل به لغو العيين وهو أن لا يقصد العيين فكسب القلب المقابل لغو العيين
هو عقده وعزمه كما قال في الآية الأخرى (ولكن يؤخذكم بما عقدتم الإيمان) فتمقيد الإيمان هو
كسب القلب (الوجه الثانى) من الكسب كسب المال من التجارة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض) فالاول للتجار والثانى للزراع (الوجه الثالث)
من الكسب السعى والعمل كقوله تعالى (لا يكلف الله نفسه الاوسمها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت)
وقوله (بما كنتم تكسبون .) وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت) فهذا كله للعمل واختلاف الناس في
الكسب والاكتساب هل هما بمعنى واحد أم بينهما فرق فقالت طائفة معانها واحد قال أبو الحسن
على بن أحمد وهو الصحيح عند أهل اللغة ولا فرق بينهما قال ذو الرمة
* أنفى أباه بذاك الكسب يكتسب * وقال الآخرون الاكتساب أخص من الكسب لان الكسب
ينقسم الى كسبه لنفسه ولغيره ولا يقال يكتسب قال الخطيب

ألقيت كاسبهم في قعر مظالمه فافغر هداك ملكك الناس يا عمر .

قلت والاكتساب افعال وهو يستدعي اهتماماً وتعملاً واجتهاداً وأما الكسب فيصح نسبته بادن
شئ ففي جانب الفضل جعل لها ما لها فيه أدنى سعى وفي جانب العدل لم يجعل عليها الا ما لها فيه اجتهاد
واهتمام وأما الجبر فيرجع في اللغة الى ثلاثة أصول أحدها أن يغنى الرجل من فقر أو يحجر عظمه
من كسر وهذا من الإصلاح وهذا الاصل يستعمل لازماً ومتعدياً يقول جبريت العظم وجبر وقد
جمع العجاج بينهما في قوله * قد جبر الدين الاله لجبر * الاصل الثانى الاكراه والقهر وأكثر
ما يستعمل هذا على افعال يقال اجبرته على كذا اذا اكراهته عليه ولا يكاد يحىء جبرته عليه الا
قليلاً والاصل الثالث من العز والامتناع ومنه نخلة جبارة قال الجوهري والحيار من التخل مطالل
وفات اليد قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله عليه ابايل من الطير تنعب

وقال الاخفش في قوله تعالى ان فيها قوما جبارين قال أراد الطول والقوة والعظم ذهب في هذا الى الجبار من التخل وهو الطويل الذي فأت الايدي ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبها بالجبار من التخل قال قتادة كانت لهم اجسام وخلق عجيب ليست لغيرهم وقيل الجبار ههنا من جبره على الامر اذا أكرهه عليه قال الازهرى وهى لغة معروفة وكثير من المجازيين يقولونها وكان الشافعى رحمه الله يقول جبره السلطان ويجوز أن يكون الجبار من أجبره على الامر اذا أكرهه قال الفراء لم أسمع فعلا من أفعل الا في حرفين وهما جبار من أجبر ودراك من أدرك وهذا اختيار الزجاج قال الجبار من الناس العاقى الذى يجبر الناس على ما يريد وأما الجبار من أسماء الرب تعالى فقد فسر به الذى يجبر الكثير ويفى الفقير والرب سبحانه كذلك ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار ولهذا قرنه باسمه المتكبر وانما هو الجبروت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالتكبر والملك والعظيم والقهار قال ابن عباس في قوله تعالى الجبار المتكبر هو العظيم وجبروت الله عظمته والجبار من أسماء الملوك والجبر الملك والجبارة الملوك قال الشاعر * وأنعم صباحا أيها الجبر * أى أيها الملك وقال السدى هو الذى يجبر الناس ويقرهم على ما يريد وعلى هذا فالجبار معناه القهار وقال محمد بن كعب انما سمي الجبار لانه جبر الخلق على ما أراد والخلق أدق شأنا من أن يعصوا ربه من طرفه عين الاعمى قال الزجاج الجبار الذى جبر الخلق على ما أراد وقال ابن الانبارى الجبار في صفة الرب سبحانه الذى لا ينال ومنه قولهم نخلة جبارة اذا قامت يد المتناول فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع الى ثلاثة معان الملك والقهر والعلو فان النخلة اذا طالت وارتفعت وفأت الايدي سميت جبارة ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقرونا بالعزى والتكبر وكل واحد من هذه الاسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين وهذه الاسماء الثلاثة نظائر الاسماء الثلاثة وهى الخالق البارئ المصور فالجبار المتكبر يجربان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزى كما ان البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق فالجبار من أوصافه يرجع الى كل القدرة والعزة والملك ولهذا كان من أسمائه الحسنى وأما الخلق فأتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وما أنت عليهم بجبار أى مساطق تقررهم وتكرهم على الايمان وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس

فصل اذا عرف هذا فالفظ الكسب أطلقه القدرة على معنى والجبرية على معنى وأهل السنة والحديث على معنى فكسب القدرة هو وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد واحداً ومشيتة من غير أن يكون الله شاء أو أوجده وكسب الجبرية لفظ لامعنى له ولا حاصل تحته وقد اختلفت عباراتهم فيه وضربوا له الامثال وأطالوا فيه المقال فقال القاضى الكسب ما وجدوا عليه قدرة محدثة وقيل انه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث وقيل انه المقدور بالقدرة الحادثة قالوا ولنا نريد بقولنا ما وجدوا عليه قدرة محدثة انها قدرة على وجوده فان القادر على وجوده هو الله وحده وانما نعى بذلك ان للكسب تعاقبا بالقدرة الحادثة لامن باب الحدوث والوجود وقال الاسفرائينى حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرته من حيث صح انفراد به وحقيقة الفعل وقوعه بقدرته وحقيقة

الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع انفراده به ويختص القديم تعالى بالخلق ويشترك القديم والحديث في الفعل ويختص بالحديث بالكسب قلت مراده ان اطلاق لفظ الخلق لا يجوز الا على الله وحده واطلاق لفظ الكسب يختص بالحديث واطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه والعبد وقال ايضا كل فعل يقع على التعاون كان كسبا من المستعين قلت يريد ان الخلق يستقل بالخلق والابحاد والكسب انما يقع منه الفعل على جهة المعاونة والمشاركة منه ومن غيره لا يمكنه أن يستقل بإيجاد شيء البتة وقال آخرون قدرة المكتسب تتعلق بمقدوره على وجهه وقدرة الخالق تتعلق به من جميع الوجوه قالوا وليس كون الفعل كسبا من حقائقه التي تخصه بل هو معنى طرأ عليه كما يقول منازعوننا من المعتزلة ان هذه الحركة لطف وهذا الفعل لطف وصيغة أفعل تصير أمرا بالارادة لانها حدثت بالارادة واعتقاد الشيء على ما هو به يصير علما بسكون النفس اليه لانه يحدث كذلك به والاشياء قد تقترن في الوجود فتتغير أوصافها وأحكامها قالوا فالحركة اذا صادفت المتحرك بها على وجه مخصوص تسمى سباحة مثلا ولطما ومشيا ورقصا وقال الأشعري وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بان قال الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثه والفعل فان الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وارادته لاهمافهاذا الاقتران هو الكسب ولهذا قال كثير من المعتزلة ان هذا من محالات الكلام وانه شقيق أحوال أبي هاشم وطرفة النظام والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه القائلون به كلاما وشيء من ذلك غير معقول ولا متصور والذي استقر عليه قول الأشعري ان القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها ولم يقع المقدور ولا صفة من صفاته بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه وتابعه على ذلك عامة أصحابه والقاضي أبو بكر يوافقه مرة ومرة يقول القدرة الحادثة لا تؤثر في اثبات الذات واحداثها ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالا له ثم تارة يقول تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى ولم يمتنع من اثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه وقد اضطربت آراء اتباع الأشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكره كله أبو القاسم سليمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد وذكر اختلاف طرائقهم واضطرابهم فيه ثم قال وقد قال الاستاذ في المختصر قول أهل الحق في الكسب لا يرجع الى اثبات قدرة للعبد عليه كما يقال انه معلوم له الا ان الامام ادعى على الاستاذ انه أثبت للقدرة الحادثة أثر في الحدوث فانه لما نفى الاحوال وأثبت للقدرة الحادثة أثرا فلا يعقل الجمع بينهما الا أن يكون الأثر في الحدوث ثم ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وافرد به عن الاصحاب وهو قريب من مذهب المعتزلة والخلاف بينه وبينهم فيه في الاسم قال وهذه العقدة التي تورط الاصحاب فيها في الكسب شبيهة بالعقدة التي وقعت بين الأئمة في القراءة والمقروء قال وما ذكره الامام في النظامية له وجه غير انه مما انفرد باطلا فلو لكل ناظر نظره والله يرحمنا وإياه قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الأشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بافقه قال قد تقرّر عند كل حازئ بعقله مترق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه يطالب عباده

بأعمالهم في حياتهم ودواعيهم اليها ومثيبتهم ومعاقبهم عليها في مآلهم وتبيين بالنصوص التي لاتعرض
للتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم به وممكنهم من التوصل الى امتثال الامر والانكفاف
عن مواقع الزجر ولو ذهبت اتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع
قطع الريب المتصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن الفواحش
الموبقات وما ينط ببعضها من الحدود والعقوبات ثم تافت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من
تصديق المرسلين في الانباء عما يتوجه على المردة العتاة من الحساب والعقاب وسوء المتقلب والمآب
وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتهم وأيتهم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل
وأوضحت المحجة لئلا يكون للناس على حجة وأحاط بذلك كله ثم استراب في أن أفعال العباد واقعة
على حسب إيتارهم واختيارهم واقدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على جهله
ففي المصير اليه انه لأثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب بما جاء به المرسلون
فإن زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لأثر لقدرة العبد في مقدوره أصلا واذا طوبى بتعلق طلب
الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في الجواب طولا وعرضا وقال الله أن يفعل مايشاء ولا يتعرض
للاعتراض عليه المعتضون لايسئل عما يفعل وهم يسئلون قيل له ليس لما حيث به حاصل كلمة حق
أريد بها باطل نعم يفعل الله مايشاء وبحكم مايريد ولكن يتقدس عن الخلف ونقيض الصدق وقد
فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته طالب عبادته بما أخبر أنهم ممكنون من
الوفاء به فلم يكنهم الا على مبلغ الطاقة والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لأثر للقدرة الحادثة
في مقدورها كما لأثر للعالم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان ثبت في نفسه
ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والحال وفيه إبطال الشرع ورد
ماجاء به التبيون فاذا لزم المصير بان القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها واستحال اطلاق القول بان
العبد خالق أعماله فان فيه الخروج عما درج عليه سلف الامة واقتحام ورطات الضلال ولا سبيل
الى المصير الى وقوع فعل العبد بقدرته الحادثة والقدرة القديمة فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه
بقادريين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرة الله استقل بها وأسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل
ان يقع بعضه بقدرة الله تعالى فان الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا
مرشد موفق اذ المرء بين أن يدعي الاستبداد وبين أن يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع
وفيه ابطال دعوة المرسلين وبين أن يثبت نفسه شريكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
بجملتها باطلة ولا ينجي من هذه الملتطم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل معنى وذلك ان
قائلوا قال العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب سبحانه خالق لما العبد مكتسب له قيل له
فما الكسب وما معناه وأديرت الاقسام المقدمة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا ثم قال فنقول قدرة
العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالإصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا ولكنه
يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة فعلا للعبد وانما هي صفته وهي
ملك لله وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا
وقدم ملك الله تعالى العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله

من حيث انه وقع بفعل الله ولو احدثت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا استبدادا بالاختراع وانفرادا بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا وتبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الاله سبحانه قلنا أحدث الله تعالى القدرة في العبد على اقدار أحاط بها علمه وهما أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالفاصل وأراد من العبدان يفعل فاحدث فيه دواع مستحثة وخيرة وأرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اخترعها العبد على ما علم وأراد فاختارهم واتصافهم بالافتداء والقدرة خالق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلمها وضاء وخلقا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقه وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدى لهذا استمر له الحق المين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منه وفعله تقدير لله من أدلة خلق مقضى ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فاذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزو الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويؤج على الخالفة ويقاب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مرء فيه لمن وعاه حق وعيه وأما الفرقة الضالة فأنهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا الى انه اذا عصى فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره له فكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما لربه في التدبير موقعا ما أراد ابقاعه شاء الرب أو كرهه* فان قيل على ماذا يحملون آيات الطبع والحتم والاضلال في القرآن وهي متضمنة اضطراب الرب سبحانه للاشياء الى ضلالتهم* قلنا اذا أباح الله حل هذا الاشكال والجواب عن هذا السؤال لم يبق على ذوى البصائر بعده غموض فنقول أولا من أنبأ الله سبحانه عن الطبع على قلوبهم كانوا مخاطبين بالايان مطالبين بالاسلام والتزام الاحكام مطالبة تكليف ودعاء مع وصفهم بالتمكن والاقدار والايثار كما سبق تقريره ومن اعتقد انهم كانوا ممنوعين مأمورين مصدودين قهرا مدعويين فالتكليف عنده اذا بمثابة ما لو شد من الرجل يده ورجلاه رباطا وأتى في البحر ثم قيل له لا تبطل وهذا أمر لا يحمل شرائع الرسل عليه الاعائب بنفسه تجزئ على ربه ولا فرق عند هذا القائل بين أمر التسخير والتكوين في قوله (كونوا فرقة خاسئين) وقوله (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وبين أمر التكليف فاذا بطل ذلك فالوجه في الكلام على هذه الآي وقد غوى في حقائقها أكثر الفرق أن يقول اذا أراد الله بعبد خيرا أكمل عقله وأنهم بصيرته ثم صرف عنه العوائق والدوافع وأزاح عنه الموانع ووفق له قرنا الخير وسهل له سبله وقطع عنه الملهيات واسباب الغفلات وقبض له ما يقربه الى القرابات فيوافيها ثم يعتادها ويمرن عليها واذا أراد الله بعبد شرا قدر له ما يبعده عن الخير ويقصيه وهما أسباب تماديهِ في الفنى وحجب اليه التشوف الى الشهوات وعرضه للافات وكلما غلبت عليه دواعي النفس خنس دواعي الخير ثم يستمر على الشرور على مر الدهور ويأثى مهالها ويتعاون عليه الوسواس وتزغات الشيطان وتزفات النفس الامارة بالسوء فتفسخ الغفلة على قلبه غشاوة بقضاء الله وقدره فذلكم الطبع والحتم والاكنة وأنا أضرب في ذلك مثلا فاقول لو فرضنا شابا حديث المهد بحمله لم تهذب المذاهب ولم تحنك التجارب وهو على نهاية في علمته وشهوته وقد استمكن من بلغة من الخطام

وخص بمسحة من الجمال ولم يبق عليه قوام يزرعه عن ورطات الردى ويمنعه عن الارتباك في شبكات
الهُوى ووافاه أخذان الفساد وهو في غلواء شبابه يحدث نفسه بالبقاء أمدا بعيدا ما أقرب من هذا
وصفه من خلع العذار والبدار الى شيم الاشرار وهو مع ذلك كله مؤثر مختار ايسر مجبرا على
المعاصي والزلات ولا مصدودا عن الطاعات ومعه من العقل ما يستوجب به الثلاثة اذا عصى فمن هذا
سبيله لا يستحيل في العقل تكليفه فانه ليس ممنوعا ولكن ان سبق له من الله سوء القضاء فهو صائر
الى حكم الله الجزم وقضائه الفصل محجوج بحجة الله الا ان يتعمده الله برحمته وهو ارحم الراحمين
وهذا الذى ذكرته بين في معاني الآيات لا يتعارى فيه موفق قال الله تعالى ثم قست قلوبكم من
بعد ذلك فهى كالجاراة أراد انهم استمروا على المخالفات وأصروا بانتهاك الحرمان قست قلوبهم وقال
تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فقد جمعت بين تفويض الأمور كلها نفعا وضرها خيرا
وشرها الى الاله جلت قدرته وبين اثبات حقائق التكليف وتقرير قواعد الشرع على الوجه المعلوم
ألت في هذا اهدى سبيلا وأقوم قيدا ممن يقدر الطبع منعا واختم صدا ودفعاً ثم ينفي التكليف
بزرعه وقد افترق الخلق في هذا المقام فرقا فذهب ذاهبون الى أن الخذولين ممنوعون مدفوعون
لا اقتدار لهم على اجابة دعاة الحق وهم مع ذلك ملزمون وهذا خطب جسيم وأمر عظيم وهو طعن
في الشرائع وابطال للدعوات وقد قال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) وقال لا بليس
(ما منعك أن تسجد) نعوذ بالله من سوء النظر في مواقع الخطر وذهب طوائف من الضلال الى ان
العبد يعصى الرب لما يأتى به كاره فهذا خطب في الاحكام الالهية ومزاحة في الربوبية ولو لم يرد الرب
من الفجار ما علمه منهم في أوليته لما فطرهم مع علمه بهم كيف وقد أكمل قواهم وأمدهم بالعدد
والعدد والعتاد وسهل لهم طريق الحيد عن السداد* فان قيل فعل ذلك بهم ليطعوه* فأناتى يستقيم
ذلك وقد علم أنهم يعصونه ويهلكون أنفسهم ويهلكون أولياءهم وأولادهم ويشقون شقاوة لا يسعدون بها أبدا
ولو علم سيد عن وحى أو اخبار نبي انه لو أمد عبده بالسال لطفى وأبق وقطع الطريق فامده بالمال
زاعما انه يرد منه ابتداء الفناطر والمساجد وهو مع ذلك يقول أعلم انه لا يفضل ذلك قطعا فهذا السيد
مفسد عبده وليس مصلحا له باتفاق من أبواب الالباب فقد زاعت الفئتان وضلت الفرقان واعترضت
احداهما على القواعد الشرعية وزاحت الاخرى احكام الربوبية واقتصد الموفقون فقالوا مراد الله
من عباده ما علم انهم اليه يصيرون ولكنه لم يسلمهم قدرتهم ولم يمنهم مرادهم فقرت الشريعة في
نصابها وجرت العقيدة في الاحكام الالهية على صوابها* فان قيل كيف يريد الحكيم السفة فقد أوضحنا
ان الافعال متساوية في حق من لا يتنفع ولا يتضرر ولكن اذا أخبر انه مكاتب مطالب عباده مزيج
علمهم فقوله الحق وكلامه الصدق وأقرب أمر يعارضون به ان الحكيم منا اذا رأى جواريه وعبيده
يترج بعضهم في بعض وهم على محارمهم يترأى منه ومسمع فلا يحسن تركهم على ما هم عليه والرب
سبحانه يطاع على سوء أفعالهم ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال قد أطلقت ألقامى ولكن لو
وجدت في اقتباس هذا العلم من يسرد لى هذا الفصل لكان بحق القائم على كل نفس بما كسبت
أحب الى من ملك الدنيا بخذا فبها أطول امدها انتهى كلامه بانفذه وهذا توسط حسن بين الفريقين
وقد انكره عليه عامة اصحابه منهم الانصارى شارح الارشاد وغيره وقالوا هو اقرب من مذهب

المعتزلة ولا يرجع الخلاف بينه وبينهم الا الى الاسم فقط وان هذا مما انفرد به ولكن بقى عليه فيه امور منها انه نفى كراهة الله لما قدره من المعاصي بناء على اصله ان كل مراده فهو محبوب له وانه اذا كان قد قدر الكفر والفسوق والعصيان فهو يريد به ويحبه ولا يكرهه وان كانت قدرة العبد واختياره مؤثرة في ايجاد الفعل عنده باقدار الرب سبحانه وقد اصاب في هذا واجاد ولكن القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يكرهه اذا كان واقعا قول في غاية البطلان وهو مخالف لصرح العقل بالنقل والذي قاده الى ذلك قوله ان المحبة هي الارادة والمشيئة وان كل ماشاء فقد اراده واحبه ومن لم يفرق بين المشيئة والمحبة لزمه احد امرين باطلين لا بدله من التزامه اما القول بان الله سبحانه يحب الكفر والفسوق والعصيان او القول بانه ماشاء ذلك ولا قدره ولا قضاء وقد قال بكل من المتلازمين طائفة قالت طائفة لا يحبها ولا يرضاهما شاءها ولا قضاهما وقالت طائفة هي واقعة بمشيئته وارادته فهو يحبها ويرضاها فاشترك الطائفتان في هذا الاصل وتباينا في لازمه وقد انكر الله سبحانه على من احتج على محبته بمشيئته في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة الانعام والنحل والزخرف فقال تعالى (سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما شركننا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبعون الا الظن وان اتمم الا تخرصون) وكذلك حكى عنهم في النحل ثم قال (كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين) وقال في الزخرف (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) فاحتجوا على محبته لشركهم ورضاه به بكونه اقرهم عليه وانه لولا محبته له ورضاه به لما شاء منهم وعارضوا بذلك امره ونهيه ودعوة الرسل قالوا كيف يأمر بالشيء قد شاء منا خلافه وكيف يكره منا شيئا قد شاء وقوعه ولو كرهه لم يمكننا منه ولحال بيتنا وبينه فكذبهم سبحانه في ذلك واخبر ان هذا تكذيب منهم ارسله وان رسله متفقون على انه سبحانه يكره شركهم ويبغضه ويمقتهم وانه لولا بغضه وكراهته لما اذاق المشركين بالله عذابه فانه لا يعذب عبده على ما يحبه ثم طالهم بالعلم على صحة مذهبهم بان الله اذن فيه وانه يحبه ويرضى به وبجرد اقراره لهم قدرا لا يدل على ذلك عند احد من العقلاء والا كان الظلم والفواحش والسعي في الارض بالفساد والبغى محبوبا له مرضيا ثم اخبر سبحانه ان مستندهم في ذلك انما هو الظن وهو اكذب الحديث وانهم لذلك كانوا اهل الحرص والكذب ثم اخبر سبحانه ان له الحجة عليهم من جهتين احدهما ما ركب فيه من العقول التي يفرقون بها بين الحسن والقبيح والباطل والاسماع والابصار التي هي آلة ادراك الحق والتي يفرق بها بينه وبين الباطل والثانية ارساله وارساله واثبات كتمه وتمكينهم من الايمان والاسلام ولم يؤاخذهم بأحد الامرين بل بمجموعهما لكمال عدله وقطعا لعذرهم من جميع الوجود ولذلك سمى حجته عليهم بالغة اى قد بلغت غاية البيان واقصاه بحيث لم يبق معها مقال لقائل ولا عذر لمعتذر ومن اعتذر اليه سبحانه بعذر صحيح قبله ثم ختم الآية بقوله (فلو شاء لهداكم اجمعين) وانه لا يكون شيء الا بمشيئته وهذا من تمام حجته البالغة فانه اذا امتنع الشيء لعدم مشيئته لزم وجوده عند مشيئته فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن كان هذا من أعظم أدلة التوحيد ومن أبين أدلة بطلان ما أتم عليه من الشرك واتخاذ الانداد من دونه فما احتججتم به من المشيئة على ما أتم عليه من الشرك هو من

أظهر الأدلة على بطلانه وفساده فلو أنهم ذكروا القدر والمشيئة توحيداً له وافترقا والرجاء اليه وبراءة من الحول والقوة إلا به ورغبة إليه أن يقيام مما لو شاء أن لا يقع منهم لما وقع لتفهم ذلك وافتح لهم باب الهداية ولكن ذكروه معارضين به أمره ومبطلين به دعوة الرسل فما ازدادوا به إلا ضلالاً والمقصود أنه سبحانه قد فرق بين حجيته ومشيتيه وقد حكى أبو الحسن الأشعري في مقالاته اتفاق أهل السنة والحديث على ذلك والذي حكى عنه ابن فورك في كتاب تجريد له لمقالته أنه كان يفرق بين ذلك قال وكان لا يفرق بين الود والحب والارادة والمشيئة والرضا وكان لا يقول إن شيئاً منها يخص بعض المرادات دون بعض بل كان يقول إن كل واحد منها بمعنى صاحبه على جهة التقيد الذي يزول معه الإبهام وهو أن المؤمن محبوب لله إن يكون مؤمناً من أهل الخير كما علم والكافر أيضاً مراد أن يكون كافراً كما علم من أهل الشر ويجب أن يكون ذلك كذلك كما علم وكذلك كان يقول في الرضا والاصطفاء والاختيار ويقيد اللفظ بذلك حتى لا يتوهم فيه الخطأ انتهى والذي عليه أهل الحديث والسنة قاطبة والفقهاء كلهم وجمهور المتكلمين والصوفية أنه سبحانه يكره بعض الاعيان والافعال والصفات وإن كانت واقعة بمشيئته فهو يبغضها ويمقتها كما يبغض ذات إبليس وذوات جنوده ويبغض أعمالهم ولا يحب ذلك وإن وجد بمشيئته قال الله تعالى (والله لا يحب الفساد) وقال (والله لا يحب الظالمين) وقال (إن الله لا يحب كل مختال فخور) وقال (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقال (ولا تعدوا أن الله لا يحب المعتدين) وقال (أن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر) فهذا اخبار عن عدم محبته لهذه الامور ورضاه بها بعد وقوعها فهذا صريح في ابطال قول من تأول النصوص على أنه لا يحبها ممن لم تقع منه وبجها اذا وقعت فهو يحبها ممن وقعت منه ولا يحبها ممن لم تقع منه وهذا من اعظم الباطل والكذب على الله بل هو سبحانه يكرها ويبغضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها فانها قبائح وخبائث والله منزّه عن محبة القبيح والخبث بل هو أكرم شيء إليه قال الله تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقد أخبر سبحانه أنه يكره طاعات المنافقين ولاجل ذلك يشبههم عنها فكيف يحب تفاقمهم ورضاه ويكون أهله محبوبين له مصطفين عنده مرضيين ومن هذا الاصل الباطل نشأ قولهم باستواء الافعال بالنسبة الى الرب سبحانه وانها لا تنقسم في نفسها الى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة اليه سبحانه بين الشكر والكفر ولذلك قالوا لا يجب شكره على نعمه عقلا فعن هذا الاصل قالوا ان مشيئته هي عين محبته وان كل ما شاء فهو محبوب له ومرضى له ومصطفى ومختار فلم يمكنهم بعد تأصل هذا الاصل أن يقولوا انه يبغض الاعيان والافعال التي خلقها ويجب بعضها بل كل ما فله وخلقها فهو محبوب له والمكروه المبعوض مالم يشاء ولم يخلقها وانما أصلوا هذا الاصل محافظة منهم على القدر خفوا به على الشرع والقدر والتمسوا لاحله لوازء شوشوا بها على القدر والحكمة وكابروا لاجلها صرخ العقل وسووا بين أقبح القبائح وأحسن الحسنات في نفس الامر وقالوا هما سواء لا فرق بينهما الا بمجرد الامر والتمسوا بالكذب عندهم والظلم والبغى والعُدوان مساو للصدق والعدل والاحسان في نفس الامر ليس في هذا ما يقتضي حسنه ولا في هذا ما يقتضي قبحه وجعلوا هذا المذهب شعاراً لأهل السنة والقول بخلافه قول أهل البدع من المعتزلة وغيرهم وأمر الله أنه من أبطال الأقوال وأشدّها منافاة

لامقل والشرع وإفطرة الله التي فطر عليها خلقه وقد بينا بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً في كتاب المفاتيح والمقصود انه لما انضم القول به الى القول بانه سبحانه لا يجب شيئاً وينقض شيئاً بل كل موجود فهو محبوب له وكل معدوم فهو مكروه له وانضم الى هذين الآخرين انكار الحكم والغايات المطلوبة في أفعاله سبحانه وانه لا يفضل شيئاً لمعنى البتة وانضم الى ذلك انكار الاسباب وانه لا يفعل شيئاً بشئ وانكار القوى والطبائع والغرائز وأن تكون أسباباً أو يكون لها أثر انسدهم عليهم باب الصواب في مسائل القدر والتزموا لهذه الأصول الباطلة لوازيم هي أنظهر بطلاناً وفساداً وهي من أدل شئ على فساد هذه الأصول وبطلانها فان فساد اللازم من فساد ملازمه فان قيل الكراهة والحجة ترجع الى المنافرة والملائمة للطبع وذلك محال في حق من لا يوصف بطبع ولا منافرة ولا ملائمة قيل قد دلت النصوص التي لا تدفع على وصفه تعالى بالحجة والكراهة فتبينكم حقائق ما دلت عليه بالتعير عنها بملائمة الطبع ومنافرة بطل وهو كفى كل مبطل حقائق أسمائه وصفاته بالتعير عنها بعبارة اصطلاحية توصل بها الى نفى ما وصف به نفسه كتسمية الجبهة المعطاة صفاته اعراضاً ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفىها وسموا أفعاله القائمة به حوادث ثم توصلوا بهذه التسمية الى نفىها وقالوا لانحلل الحوادث كما قالت المعطاة لا تقوم به الاعراض وسموا علوه على خلقه واستواءه على عرشه وكونه قاهراً فوق عباده تحيزاً وتجسماً ثم توصلوا بتنفى ذلك الى نفى علوه عن خلقه واستوائه على عرشه وسموا ما أخبر به عن نفسه من الوجه واليدين والاصبع جوارح واعضاء ثم نفوا ما أثبتته لنفسه بتسميته له بغير تلك الاسماء ان هي الأسماء سميتوها ثم وأبواكم ما أنزل الله بهامن سلطان ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى فتوصلوا بالتشبيه والتجسيم والتركيب والحوادث والاعراض والتجيز الى تعطيل صفات كماله ونعوت جلاله وأفعاله وأخلوا تلك الاسماء من معانيها وعطلوها من حقائقها فيقال ان نفى محبته وكراهته لاستازامهم اميل الطبع ونفرتة ما لفرق بينك وبين من نفى كونه مریداً لاستازام الارادة حركة النفس الى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها ونفى سمعه وبصره لاستازام ذلك تأثر السمع والبصر بالمسموع والمبصر وانطباع صورة المرئي في الرائي وحمل الهواء الصوت المسموع الى اذن السامع ومن نفى علمه لاستازامه انطباع صورة المعلوم في النفس الناطقة ونفى غضبه ورضاه لاستازام ذلك حركة القلب وانفعاله بما يرد عليه من المؤلم واليسار ونفى كلامه لاستازام الكلام محلاً يقوم به ويظهر منه من شفة ولسان ولهوات ولما لم يمكن أحداً أقر بوجود رب العالمين طرد ذلك وقع في التناقض ولا بد فانه أى شئ أثبت له فيه ما لا يزم كمن أثبت منافاه هو من غير فرق البتة ولهذا قال الامام احمد وغيره من أئمة السنة لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين والمقصود انا لا نبيجد محبته تعالى لما يحبه وكراهته لما يكرهه لتسمية النفاة ذلك ملائمة ومنافرة وبينغي التفتن لهذا الموضع فانه من اعظم اصول الضلال فلا نسمى العرش حيزاً ولا نسمى الاستواء تحيزاً ولا نسمى الصفات اعراضاً ولا الافعال حوادث ولا الوجه واليدين والاصابع جوارح واعضاء ولا اثبات صفات كماله التي وصف بها نفسه تجسماً وتشبيهاً فتجنى جنائتين عظيمتين جنابة على اللفظ وجنابة على المعنى فتبدل الاسم ونعطل معناه ونظير هذا تسمية خلقه سبحانه لأفعال عباده وقضائه السابق جبراً ولذلك أنكر أئمة السنة كالأوزاعي

وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي والامام أحمد وغيرهم هذا اللفظ قال الاوزاعي والزبيدي ليس في الكتاب والسنة لفظ جبر وإنما جاءت السنة بلفظ الجبر كما في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجع عبد القيس ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والناة فقال أخلفين خلقت بهما أم جبلت عليهما فقال بل جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على ما يحب فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله جبله على الحلم والناة وهما من الافعال الاختيارية وان كانا خلقين قائمين بالعباد فان من الاخلاق ما هو كسبي ومنها ما لا يدخل تحت الكسب والنوعان قد جبل الله العبد عليهما وهو سبحانه يحب ما جبل عبده عليه من محاسن الاخلاق ويكره ما جبله عليه من مساوئها فكلاهما يحبهما وهذا محبوب له وهذا مكروه كان جبريل صلوات الله عليه مخلوق له وابليس عليه لعائن الله مخلوق له وجبريل محبوب له مصطفى عنده وابليس أبغض خلقه اليه وما يوضح ذلك ان لفظ الجبر لفظ مجمل فانه يقال اجبر الاب ابنته على النكاح وجبر اخاك على البيع ومعنى هذا الجبر أكرهه عليه ليس معناه انه جعله محبا لذلك راضيا به مختارا له والله تعالى اذا خلق فعل العبد جعله محبا له مختارا ليقاؤه راضيا به كاره العدمه فاطلاق لفظ الجبر على ذلك فاسد لفظا ومعنى فان الله سبحانه أجل وأعز من أن يجبر عبده بذلك المعنى وانما يجبر العاجز عن أن يجعل غيره فاعلا برادته ومحبه ورضاه وأما من جعل فعل العبد مریدا محبا مؤثرا لما يفعله فكيف يقال انه جبره عليه فهو سبحانه أجل وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاؤه منه بل اذا شاء من عبده أن يفعل فعلا جعله قادرا عليه مریدا له محبا مختارا ليقاؤه وهو أيضا قادر على أن يجعله فاعلا له باختياره مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه فكل ما يقع من العباد برادتهم ومشيتاتهم فهو سبحانه الذي جعلهم فاعلين له سواء أحبوه أو أبغضوه وكرهوه وهو سبحانه لم يجبرهم في النوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلا برادته ومشيته نعم نحن لا نشكر استعمال لفظ الجبر فيما هو أعم من ذلك بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلا لما يشاء فعله وتاركا لما لا يشاء فعله فانه سبحانه المحدث لارادته له وقدرته عليه قال محمد بن كعب القرظي في اسم الجبار انه سبحانه هو الذي جبر العباد على ما أراد وفي الدعاء المعروف عن علي رضي الله عنه اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها فالجبر بهذا المعنى معناه القهر والقدرة وانه سبحانه قادر على أن يفعل بعبد ما شاء واذا شاء منه شيئا وقع ولا بدوان لم يشأ لم يكن ليس كالعاجز الذي يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوده* أحدها ان المخلوق لا قدرة له على جعل الغير مریدا للعلل محبا له والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك* الثاني ان المخلوق قد يجبر غيره اجبارا يكون به ظلما معتديا عليه والرب أعدل من ذلك فانه لا يظلم أحدا من خلقه بل مشيئته نافذة فهم بالعدل والاحسان بل عدله فيهم من احسانه اليهم كما سنبينه ان شاء الله تعالى* الثالث ان المخلوق يكون في جبره لغيره سفيها أو غائبا أو جاهلا والرب تعالى اذا جبر عبده على أمر من الامور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والاحسان والرحمة ما هو محمود عليه بجميع وجوه الحمد* الرابع ان المخلوق يجبر غيره لحاجته الى ما جبره عليه ولا تنفاعة بذلك وهذا لانه فقير بالذات وأما الرب تعالى فهو الغني بذاته الذي كل ما سواه محتاج اليه وليس به حاجة الى أحد* الخامس ان المخلوق يجبر غيره

لنقصه فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه والرب تعالى له الكمال المطابق من جميع الوجوه
وكاله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذي أعطاهم من الكمال ما يابق بهم فالخلق يجبر
غيره ليتكامل والرب تعالى منزّه عن كل نقص فكماله المقدس بنفى الجبر* السادس ان الخلق يجبر غيره
على فعل يعينه به على غرضه لعجزه عن التوصل اليه الا بمعاوته له فصار الفعل من هذا والقهر
والاكراه من هذا محصلا لغرض المكروه كما أن المدين لغيره باختياره شريك له في الفعل والرب تعالى
غنى عما سواه بكل وجه فيستحيل في حقه الجبر* السابع ان المجبور على مالا يريد فعله يحد من
نفسه فراقضوريا بينه وبين ما يريد فعله باختياره ومحبته فالتسوية بين الامر من تسوية بين ماعلم
بالحس والاضطرار الفرق بينهما وهو كالتسوية بين حركة المرتعش وحركة الكاتب وهذا من
أبطال الباطل* الثامن ان الله سبحانه قد فطر العباد على أن المجبور المكروه على الفعل معذور
لا يستحق الذم والعقوبة ويقولون قد أكره على كذا وجبره السلطان عليه وكما أنهم مفطورون على
هذا فهم مفطورون ايضا على ذم من فعل القبائح باختياره وشريعته سبحانه موافقة لفطرته في ذلك
فمن سوى بين الامرين فقد خرج عن موجب الشرع والعقل والفطرة* التاسع ان من أمر غيره
بمصلحة المأمور وما هو محتاج اليه ولا سعادة له ولا فلاح الا به لا يقال جبره على ذلك وانما يقال
نصحه وأرشده ونفعه وهداه ونحو ذلك وقد لا يختار المأمور المنهى ذلك فيجبره النصاح له على
ذلك من له ولاية الاجبار وهذا جبر الحق وهو جائز بل واقع في شرع الرب وقدره وحكمته
ورحمته وإحسانه لا تمتنع هذا الجبر* العاشر ان الرب ليس كمثل شئ في ذاته ولا في صفاته ولا في
أفعاله فجملة العبد فاعلا لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى والخلق لا يقدر أن
يجعل غيره فاعلا الا باكراهه له على ذلك فان لم يكرهه لم يقدر على غير الدعاء والامر بالفعل وذلك
لا يصير العبد فاعلا فالخلق هو يجبر غيره على الفعل ويكرهه عليه فتنسب ذلك الى الرب تشبيه له في
أفعاله بالخلق الذي لا يجعل غيره فاعلا الا بجبره له واكراهه فكمال قدرته تعالى وكمال علمه وكمال
مشيئته وكمال عدله وإحسانه وكمال غناه وكمال ملكه وكمال حجبته على عبده تنفي الجبر

فصل في الطوائف كلها متفقة على الكسب ومختلفون في حقيقته فقالت القدرية هو
أحداث العبد لفعله بقدرته ومشيئته استقلالاً وليس للرب صنع فيه ولا هو خالق فعله ولا مكنونه ولا
مريدا له وقالت الجبرية الكسب اقتران الفعل بالقدره الحادثة من غير ان يكون لها فيه أمر
وكلا الطائفتين فرق بين الخالق والكسب ثم اختلفوا فيما وقع به الفرق فقال الاشعري في عامة
كتبه معنى الكسب ان يكون الفعل بقدره محدثة فمن وقع منه الفعل بقدره قديمة فهو فاعل خالق
ومن وقع منه بقدره محدثة فهو مكتسب وقال قائلون من يفعل بغير آلة ولا جراحة فهو خالق
ومن يحتاج في فعله الى الآلات والجوارح فهو مكتسب وهذا قول الاسكافي وطوائف من المعتزلة
قال واختلفوا هل يقال ان الانسان فاعل على الحقيقة فقالت المعتزلة كلها الا الثنائي ان الانسان
فاعل محدث ومخترع ومنشئ على الحقيقة دون المجاز وقال الثنائي الانسان لا يفعل في الحقيقة ولا
يحدث في الحقيقة وكان يقول ان الباري أحدث كسب الانسان قال فلزمه محدث لا يحدث في
الحقيقة ومفعول لا لفاعل في الحقيقة قلت وجه الزامه ذلك انه قد أعطى ان الانسان غير فاعل

لفعله وفعله مفعول وليس هو فعلا لله ولا فعلا للعبد فلزمه مفعول من غير فاعل ولعمر الله هذا الالتزام لازم لأبي الحسن وللجبرية فإن عندهم الانسان ليس بفاعل حقيقة والفاعل هو الله وأفعال الانسان قائمة لم تقم بالله فإذا لم يكن الانسان فاعلاها مع قيامها به فكيف يكون الله سبحانه هو فاعلها ولو كان فاعلها لمادت أحكامها عليه واشتقت له منها أسماء وذلك مستحيل على الله فيلزمك أن تكون أفعالا لا فاعلا لها فإن العبد ليس بفاعل عندك ولو كان الرب فاعلا لها لاشتقت له منها أسماء وعاد حكمها عليه * فإن قيل فما تقولون أتم في هذا المقام قلنا لا نقول بواحد من القولين بل نقول هي أفعال للعبد حقيقة ومفعولة للرب فالفاعل عندنا غير المفعول وهو اجماع من أهل السنة حكاه الحسين بن مسعود البغوي وغيره فالعبد فاعل حقيقة والله خالقه وخالق مافعل به من القدرة والارادة وخالق فاعليته وسر المسئلة ان العبد فاعل منفعل باعتبارين هل هو منفعل في فاعليته فربه تعالى هو الذي جعله فاعلا بقدرته ومشئته وأقدره على الفعل وأحدث له المشيئة التي يفعل بها قال الأشعري وكثير من أهل الاثبات يقولون ان الانسان فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب ويمتنعون أنه محدث قلت هؤلاء وقفوا عند الفاظ الكتاب والسنة فأنهما مملوآن من نسبة الأفعال الى العبد باسمها العام وأسمائها الخاصة فالاسم العام كقوله تعالى تعملون تفعلون تكسبون والأسماء الخاصة يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤمنون ويخافون ويتوبون ويجاهدون وأما لفظ الاحداث فلم يجيء الا في الذم كقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله من أحدث حدثا أو آوى محدثا فهذا ليس بمعنى الفعل والكسب وكذلك قول عبد الله بن مغفل لابنه اياك والحدث في الاسلام ولا يمتنع اطلاقه على فعل الخير مع التقييد قال بعض السلف اذا أحدث الله لك نعمة فاحدث لها شكرا واذا احدثت ذنبا فاحدث له توبة ومنه قوله هل احدثت توبة واحداث للذنوب استغفارا ولا يلزم من ذلك اطلاق اسم المحدث عليه والاحداث على فعله قال الأشعري وبلغني ان بعضهم اطلق في الانسان انه محدث في الحقيقة بمعنى مكتسب قلت ههنا الفاظ وهي فاعل وعامل ومكتسب وكاسب وصانع ومحدث وجاعل ومؤثر ومنشئ وموجد وخالق وبارئ ومصور وقادر ومريد وهذه الالفاظ ثلاثة اقسام قسم لم يطلق الا على الرب سبحانه كالبارئ والبديع والمبدع وقسم لا يطلق الا على العبد كالكاسب والمكتسب وقسم وقع اطلاقه على الرب والعبد كاسم صانع وفاعل وعامل ومنشئ ومريد وقادر وأما الخالق والمصور فإن استعمالا مطلقين غير مقيدين لم يطلق الا على الرب كقوله الخالق البارئ المصور وان استعمالا مقيدين اطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه انه خلقه قال ولانت نقرى ما خلقت وبمس* فض القوم بخلق ثم لا يفر

أى لك قدرة تمضى وتنفذ بها ما قدرته في نفسك وغيرك بقدر أشياء وهو عاجز عن انفاذها وامضائها وهذا الاعتبار صح اطلاق خالق على العبد في قوله تعالى (فتبارك الله احسن الخالقين) أى أحسن المصورين والمقدرين والعرب تقول قدرت الادمي وخالقته اذا قصته لتقطع منه مزادة أو قربة ونحوها قال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانين وقال الليث خالق أى صانع وهن الخالقات للنساء وقال مقاتل يقول تعالى هو أحسن خلقا من الذين يخلقون التماثيل وغيرها التي لا يتحرك منها شئ* وأما البارئ فلا يصح اطلاقه الا عليه سبحانه فانه الذى برأ الخليفة وأوجدوا بعد عدمها

والعبد لا تتعاق قدرته بذلك اذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه وتغييرها من حال الى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته وليس من هذا برئت القلم لانه معتل لانه لا يوز ولا برأت من المرض لانه فعل لازم غير متعد وكذلك مبدع الشيء وبديعه لا يصح إطلاقه الا على الرب كقوله بديع السموات والارض والابداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق والعبد يسمى مبتدعا لكونه أحدث قولا لم يتض به سنة ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضا وأما لفظ الموجد فلم يقع في أسمائه سبحانه وان كان هو الموجد على الحقيقة ووقع في أسمائه الواجد وهو بمعنى الغنى الذي له الوجد وأما الموجد فهو مفعول من أوجد وله معنيان أحدهما أن يجعل الشيء موجودا وهو تعديعية وجده وأوجده قال الجوهري وجد الشيء عن عدم فهو موجد مثل حم فهو محموم وأوجده الله ولا يقال وجده والمعنى الثاني أوجده جعل له جدة وغنى وهذا يتعدى الى مفعولين قال في الصحاح أوجده الله مطلوبه أى أظهره به وأوجده أى أغناه قلت وهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من باب حذف أحد المفعولين أى أوجده مالا وغنى وان يكون من باب صيره واجدا مثل أغناه وأفقره اذا صيره غنيا وفقيرا فعلى التقدير الاول يكون تعديعية وجد مالا وغنى وأوجده الله اياه وعلى الثاني يكون تعديعية وجد واجدا اذا استغنى ومصدر هذا الوجد بالضم والفتح والكسر قال تعالى (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) فغير متمتع أن يطلق على من يفعل بالقدرة المجددة انه أوجد مقدوره كما يطلق عليه انه فعله وعمله وصنعه وأحدثه لاعلى سبيل الاستقلال وكذلك لفظ المؤثر لم يرد إطلاقه في أسماء الرب وقد وقع إطلاق الاثر والتأثير على فعل العبد قال تعالى (انا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) قال ابن عباس ما أثروا من خير أو شر فسمي ذلك آثارا لحصوله بتأثيرهم ومن العجب ان المتكلمين يمتعون من اطلاق التأثير والمؤثر على من أطلق عليه في القرآن والسنة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة دياركم تكتب آثاركم أى الزموا دياركم ويخصونه بمن لم يقع إطلاقه عليه في كتاب ولا سنة وان استعمل في حقه الاثار والاستتار كقال أخو يوسف ناله لقد أترك الله علينا وفي الاثر اذا استأثر الله بشئ قاله عنه وقال النازم

استأثر الله بالثناء وبالحمْد وولى الملامة الرجال

ولما كان التأثير تفعيلا من أثرت في كذا تأثيرا فانا مؤثر لم يتمتع إطلاقه على العبد قال في الصحاح التأثير ابقاء الاثر في الشيء وأما لفظ الصانع فلم يرد في أسماء الرب سبحانه ولا يمكن ورودها فان الصانع من صنع شيئا عدلا كان او ظلما سفها او حكمة جائرا او غير جائر وما انقسم مساه الى مدح وذم لم يجز اسمه المطلق في الاسماء الحسنى كالفاعل والعامل والصانع والمريد والتكلم لانقسامه ماني هذه الاسماء الى محمود ومذموم بخلاف العالم والقادر والحي والسميع والبصير وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم العبد صانعا قال البخارى حدثنا على بن عبد الله ثنا مروان بن معاوية ثنا أبو مالك عن ربيعة بن خراش عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يصنع كل صانع وصنعه وقد أطلق سبحانه على فعله اسم الصنع فقال صنع الله الذى أتقن كل شئ وهو منصوب على المصدر لان قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) يدل على الصنعة وقيل هو نصب على المفعولية أى انظروا صنع الله فعلى الاول يكون صنع الله مصدرا بمعنى الفعل وعلى الثاني يكون

بمعنى المصنوع المفعول فانه الذي يمكن وقوع النظر والرؤية عليه وأما الانشاء فانما وقع اطلاقه عليه سبحانه فعلا كقوله (وينشئ السحاب الثقال) وقوله (فأنشأنا لكم به جنات) وقوله (وننشئكم فيما لانعلمون) وهو كثير ولم يرد لفظ المنشئ وأما العبد فيطلق عليه الانشاء باعتبار آخر وهو شروعه في الفعل وابتدأؤه له يقول أنشأ يحدثننا وأنشأ السير فهم منشئ لذلك وهذا انشاء مقيدوانشاء الرب انشاء مطلق وهذه اللفظة تدور على معنى الابتداء أنشأه الله أى ابتدأ خلقه وأنشأ يفعل كذا ابتدأ ونلان ينشئ الاحاديث أى يبتدئ وضعها والنشئ أول مايشأ من السحاب قال الجوهري وناشئة الليل أول ساعاته قلت هذا قد قاله غير واحد من السلف ان ناشئة الليل أوله التي منها ينشأ الليل والصحيح انها لا تختص بالساعة الاولى بل هي ساعاته ناشئة بعد ناشئة كلما انقضت ساعة نشأت بعدها أخرى وقال أبو عبيدة ناشئة الليل ساعاته وأنأؤه ناشئة بعد ناشئة قال الزجاج ناشئة الليل كلما نشأ منه أى حدث منه فهو ناشئة قال ابن قتيبة هي آناء الليل وساعاته مأخوذة من نشأت نشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعدشيء وأنشأها الله فنشأت والمعنى ان ساعات الليل الناشئة وقول صاحب الصحاح منقول عن كثير من السلف قال علي بن الحسين ناشئة الليل ما بين المغرب الى العشاء وهذا قول أنس ونابت وسعيد بن جبير والضحاك والحكم واختيار الكسائي قالوا ناشئة الليل أوله وهؤلاء راعوا معنى الاولى في الناشئة وفيها قول ثالث ان الليل كله ناشئة وهذا قول عكرمة وأبي مجاز ومجاهد والسدي وابن الزبير وابن عباس في رواية قال ابن أبي مليكة سألت ابن الزبير وابن عباس عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة فهذه أقوال من جعل ناشئة الليل زمانا وأما من جعلها فعلا ينشأ بالليل فالناشئة عندهم اسم لما يفعل بالليل من القيام وهذا قول ابن مسعود ومعاوية بن قرة وجاعة قالوا ناشئة الليل قيام الليل وقال آخرون منهم عائشة انما يكون القيام ناشئة اذا تقدمه نوم قالت عائشة ناشئة الليل القيام بعد النوم وهذا قول ابن الاعرابي قال اذا نمت من أول الليل نومة ثم قمت فقلت النشأة ومنه ناشئة الليل فعلى قول الاولين ناشئة الليل بمعنى من اضافة نوع الى جنسه أى ناشئة منه وعلى قول هؤلاء اضافة بمعنى في أى طاعة ناشئة فيه والمقصود ان الانشاء ابتداء سواء تقدمه مثله كالنشأة الثانية أو لم يتقدمه كالنشأة الاولى وأما الجعل فقد أطلق على الله سبحانه بمعنيين أحدهما الإيجاد والخلق والثاني التصيير فالاول يتعدى الى مفعول كقوله وجعلنا الظلمات والنور والثاني أ كثر ما يتعدى الى مفعولين كقوله (انا جعلناه قرآنا عربيا) وأطلق على العبد بالمعنى الثاني خاصة كقوله (وجعلوا لله عما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) وغالب ما يستعمل في حق العبد في جعل التسمية والاعتقاد حيث لا يكون له صنع في الجمول كقوله (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وقوله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا) وهذا يتعدى الى واحد وهو جعل اعتقاد وتسمية وأما الفعل والعمل فاطلاقة على العبد كثير لبس ما كانوا يفعلون لبس ما كانوا يعملون بما كنتم تعملون وأطلقه على نفسه فعلا واسما فالاول كقوله (ويفعل الله ما يشاء) والثاني كقوله (فعل ما يريد) وقوله (وكنا فاعلين) في موضعين من كتابه أحدهما قوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين) والثاني قوله (يوم نطوى السماء كطلى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين) فتأمل قوله كنا فاعلين في هذين الموضعين

المتضمنين لصنع العجيب الخارج عن العادة كيف تجده كالدليل على ما أخبر به وأنه لا يستعصى على
الفاعل حقيقة أى شأننا الفعل كما لا يخفى الجهر والأسرار بالقول على من شأنه العلم والخبرة ولا
تصعب المنفرة على من شأنه أن يغفر الذنوب ولا الرزق على من شأنه أن يرزق العباد وقد وقع
الزجاج على هذا المعنى بعينه فقال وكنا فاعلين قادرين على فعل ما نشاء

الباب الثامن عشر

في فعل وافعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعال

ينبغي الاعتناء بكشف هذا الباب وتحقيق معناه فبذلك يتحل عن العبد أنواع من ضلالات القدرية
والجبرية حيث لم يعطوا هذا الباب حقه من العرفان * اعلم أن الرب سبحانه فاعل غير منفعل والعبد
فاعل منفعل وهو في فاعليته منفعل للفاعل الذي لا ينفعل بوجه فالجبرية شهدت كونه منفعلا بحرى
عليه الحكم بمنزلة الآلة والحل وجمعوا حركته بمنزلة حركات الأشجار ولم يجعلوه فاعلا إلا على
سبيل المجاز فقام وقعد وأكل وشرب وصلى وصام عندهم بمنزلة مرض وألم ومات ونحو ذلك مما هو
فيه منفعل محض والقدرية شهدت كونه فاعلا محضا غير منفعل في فعله وكل من الطائفتين نظر إيمان
عوراء وأهل العلم والاعتدال أعطوا أكلا المقامين حقه ولم يطلوا أحد الأمرين بالآخر فاستقام لهم
نظرهم ومناظرتهم واستقر عندهم الشرع والقدر في نصابه ومهدوا وقوع الثواب والعقاب على من
هو أولى به فالتبوا نطق العبد حقيقة وانطاق الله له حقيقة قال تعالى (وقالوا الجلودهم لم شهدتم
عائنا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فالانطاق فعل الله الذي لا يجوز تعطيله والنطق فعل
العبد الذي لا يمكن إنكاره كما قال تعالى (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فلم
أن كونهم ينطقون هو أمر حقيقى حتى شبه به في تحقيق كون ما أخبر به وإن هذا حقيقة لا يجاز ومن
جعل إضافة نطق العبد إليه مجازا لم يكن ناطقا عنده حقيقة فلا يكون التشبيه بنطقه محققا لما أخبر به
فأمله ونظيره هذا قوله تعالى (وأنه هو أضحكك وأبكى) فهو المضحك المبكى حقيقة والعبد الضاحك
الباكى حقيقة كما قال تعالى (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وقال (أفمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون) فلولوا المنطق الذى أنطق والمضحك المبكى الذى أضحك وأبكى لم يوجد
ناطق ولا ضاحك ولا باك فاذا أحب عبدا أنطقه بما يحب وأبأه عليه وإذا أبغضه أنطقه بما يكرهه
فعاقيه عليه وهو الذى أنطق هذا وهذا وأجرى ما يجب على لسان هذا وما يكره على لسان هذا
كما أنه أجرى على قلب هذا ما أضحكك وعلى قلب هذا ما أبأه وكذلك قوله تعالى (هو الذى يسرركم
في البر والبحر) وقوله (قل سيروا في الارض) فالتسير فعله حقيقة والسير فعل العبد حقيقة فالتسير
فعل محض والسير فعل وانفعال ومن هذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها) فهو
سبحانه المزوج ورسوله المتزوج وكذلك قوله (وزوجناهم بحور عين) فهو المزوج وهم المتزوجون
وقد جمع سبحانه بين الأمرين في قوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فالازاغة فعله والزايغ فعلهم
فان قيل أتم قررتم أنه لم يقع منهم الفعل إلا بعد فعله وأنه لولا انطاقه لهم واضحا كما وبكأوه لسا
نطقوا ولا ضحكوا ولا بكوا وقد دلت هذه الآية على أن فعله بعد فعلهم وأنه أزاغ قلوبهم بعد أن

زاغوا وهذا يدل على ان ازاغة قلوبهم هو حكمه عليها بالزيغ لاجتماعها زائمة وكذلك قوله أنطقنا الله المراد جعل لنا آلة التطق وأضحك وأبكى جعل لهم آلة الضحك والبكاء قيل أما الازاغة المترتبة على زيغهم فهي ازاغة أخرى غير الازاغة التي زاغوا بها أولا عقوبة لهم على زيغهم والرب تعالى يعاقب على السيئة بمثلها كما يثيب على الحسنة بمثلها فحدث لهم زيغ آخر غير الزيغ الاول فهم زاغوا أولا فجازاهم الله بازاغة فوق زيغهم * فان قيل فالزيغ الاول من فعاهم وهو مخلوق لله فيهم على غير وجه الجزاء والا تسلسل الامر * قيل بل الزيغ الاول وقع جزاء لهم وعقوبة على تركهم الايمان والتصديق لما جاءهم من الهدى وهذا الترك امر عديم لا يستدعي فاعلا فان تأثير الفاعل انما هو في الوجود لا في العدم * فان قيل فهذا الترك العدمي له سبب اول سبب له * قيل سببه عدم سبب ضده فيقي على العدم الاصل وي شبه هذا قوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) عاقبهم على نسيانهم له بان انساهم انفسهم ففسوا مصالحها ان يفعلوها ويعيوبها ان يصلحوها وحظوظها ان يتناولوها ومن اعظم مصالحها وانفع حظوظها ذكرها لربها وفاطرها وهي لانهم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح الا بذكره وحبه وطاعته والاقبال عليه والاعراض عما سواه فانساهم ذلك لما نسوه واحداث لهم هذا النسيان نسيانا آخر وهذا ضد حال الذين ذكروه ولم ينسوه فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها واوقفهم على عيوبها فاصلحوها وعرفهم حظوظها العالية فبادروا اليها فجازى اولئك على نسيانهم بان انساهم الايمان ومحبه وذكره وشكره فلما خلت قلوبهم من ذلك لم يجدوا عن ضده محيصا وهذا يبين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها واذا كان قضاءؤه عليها بالكفر والذنوب عدلا منه عليها فقضاءؤه عليها بالعقوبة اعدل واعدل فهو سبحانه ماض في عيده حكمه عدل فيه قضاءؤه وله فيها قضا آن قضاء السبب وقضاء المسبب وكلاهما عدل فيه فانه لما ترك ذكره وترك فعل ما يحبه عاقبه بنسيان نفسه فاحداث له هذا النسيان ارتكاب ما يغيضه ويسخطه بقضائه الذي هو عدل فترتب له على هذا الفعل والترك عقوبات وآلام لم يكن له منها بد بل هي مترتبة عليه ترتب المسببات على اسبابها فهو عدل محض من الرب تعالى فعدل في العبد او لا وآخرا فهو محسن في عدله محبوب عليه محمود فيه مجمده من عدل فيه طوعا وكرها قال الحسن لقد دخلوا النار وان حمدهم في قلوبهم ما وجدوا عليه سيلا وسريرا هذا الموضع بسطا وبيانا في باب دخول الشر في القضاء الالهي ان شاء الله اذ المقصود ههنا بيان كون العبد فاعلا منفعلا والفرق في هذا الباب بين فعل وافعل وان الله سبحانه افعل والعبد فعل فهو الذي اقام العبد واصله واماته والعبد هو الذي قام وضل ومات واما قولكم ان معنى انطقه واضحكه وابكاه جعل له آلة ينطق بها ويضحك ويبكي فاعطاءؤه الآلة وحدها لا يكفي في صدق الفعل بانه انطقه واضحكه فلو ان رجلا صمت يوما كاملا خاف خائف ان الله انطقه لكان كاذبا حاتا ولو دعوت كافرين الى الاسلام فناطق احداهما بكامة الشهادة وسكت الآخر لم يقل احد قط ان الله قد انطق الساكت كما انطق المتكلم وكلاهما قد اعطى آلة التطق ومتعلق الامر والنهي والثواب والعقاب الفعل لا الافعال * فان قيل هل تطردون هذا في جميع افعال العبد من كفره وزناه وسرقته فتقولون ان الله افعله وهو الذي فعل ام تحضون ذلك ببعض الافعال فيظهر تناقضكم * قيل ههنا امر ان امر لغوي وامر معنوي فاما اللغوي فان ذاك لا يطرده في لغة

العرب لا يقولون أننى الله الرجل وأسرقه وأشربه وأقتله اذا جعله يزنى ويسرق ويشرب ويقتل وان كان في لغتها أقامه وأقعدته وأنطقه وأضحكه وأبكاه وأضله وقد بأتى هذا مضاعفا كلفهم وعلمه وسيره وقال تعالى (فقهمنها سليمان) فالتفهم منه سبحانه والفهم من نبيه سليمان وكذلك قوله (وعلمناه من لدنا علما) فالتعليم منه سبحانه وكذلك التسيير والسير والتعلم من العبد فهذا المعنى ثابت في جميع الافعال فهو سبحانه هو الذى جعل العبد فاعلا كما قال ﴿وبما نأثمهم أئمة يهدون بأمرنا وجعلناهم أئمة يدعون الى النار﴾ فهو سبحانه الذى جعل أئمة الهدى يهدون بأمره وجعل أئمة الضلال والبدع يدعون الى النار فامتناع اطلاق أكله فتكلم لا يمنع من اطلاق أطلقه فقط وكذلك امتناع اطلاق أهداه بأمره وادعاه الى النار لا يمنع من اطلاق جعله يهدى بأمره ويدعو الى النار* فان قيل ومع ذلك كله هل تقولون ان الله سبحانه هو الذى جعل الزانيين يزنيان وهو الذى جمع بينهما على الفعل وساق أحدهما الى صاحبه* قيل أصل بلاء أكثر الناس من جهة الالفاظ الجملة التى تشتمل على حق وباطل فيطلقها من يريد حقها فينكرها من يريد باطلها فيريد عليه من يريد حقها وهذا باب اذا تأمله الذكى الفطن رأى منه محجائب وخلصه من ورطات تورط فيها أكثر الطوائف فالجمل المضاف الى الله سبحانه يراد به الجمل الذى يحبه ويرضاه والجمل الذى قدره وقضاه قال الله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) فهذا نفي لجعله الشرعى الدينى أى مasherع ذلك ولا أمر به ولا أحبه ورضيه وقال تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون الى النار﴾ فهذا جمل كوفى قدرى اى قدرنا ذلك وقضيناه وجعل العبد اماما يدعو الى النار ابغ من جعله يزنى ويسرق ويقتل وجعله كذلك ايضا لفظ يحمل يراد به انه جبره واكرهه عليه واضطره اليه وهذا محال في حق الرب تعالى وكاله المقدس يأتى ذلك وصفات كاله تمنع منه كما تقدم ويراد به انه مكنه من ذلك واقدره عليه من غير ان يضطره اليه ولا اكرهه ولا اجبره فهذا حق* فان قيل هذا كله عدول عن المقصود فمن احدث معصية واوجدها وابرزها من العدم الى الوجود* قيل الفاعل لها هو الذى اوجدها وحدثها وابرزها من العدم الى الوجود باقدار الله له على ذلك وتمكينه منه من غير إلجاء له ولا اضطراب منه الى فعلها* فان قيل فمن الذى خلقها اذا* قيل لكم ومن الذى فعلها فان قام الرب سبحانه هو الفاعل للفسوق والعصيان أكدكم العقل والفطرة وكتب الله المنزلة واجماع رساله واثبات حمده وصفات كاله فان فعله سبحانه كله خير وتعالى ان يفعل شرا بوجه من الوجوه فالشر ليس اليه والخير هو الذى اليه ولا يفعل الا خيرا ولا يريد الا خيرا ولو شاء لفعل غير ذلك ولكنه تعالى تنزه عن فعل مالا ينبغي وارادته ومشيتته كما هو منزله عن الوصف به والتسمية به* وان قلتم العبد هو الذى فعلها بما خالق فيه من الارادة والمشية* قيل فالله سبحانه خالق افعال العباد كما بهذا الاعتبار ولو سلك الجبري مع القدرى هذا المسلك لاستراح معه وراحه وكذلك القدرى معه ولكن انحرف الفريقان عن سواء السبيل كما قال

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغرب

فان قيل فهل يمكنه الامتناع منها وقد خلقت فيه نفسها او اسبابها الموجبة لها وخالق السبب الموجب خالق سببيه وموجبه قيل هذا السؤال يورد على وجهين أحدهما ان يراد به انه يصير مضطرا اليها

ملجأ الى فعلها بخلقها أو خلق أسبابها بحيث لا يبق له اختيار في نفسه ولا ارادة وتبقى حركته قسرية لا ارادية الثاني أنه هل لاختياره و ارادته وقدرته تأثير فيها أو التأثير لقدرة الرب ومشيئته فقط وذلك هو السبب الموجب للفعل فان أوردتموه على الوجه الأول فخواه انه يمكنه أن يفعل وان لا يفعل ولا يصير مضطرا ملجأ بخلقها فيه ولاخلق أسبابها ودواعيها فانها إنما خلقت فيه على وجه يمكنه فعلها وتركها ولم يمكنه الترك لزم اجتماع التقيضين وان يكون مريدا غير مريد فاعلا غير فاعل ملجأ غير ملجأ وان أوردتموه على الوجه الثاني فخواه ان لارادته واختياره وقدرته أثرا فيها وهي السبب الذي خلقه الله به في العبد فقولكم انه لا يمكنه الترك مع الاعتراف بكونه متمكنا من الفعل جمع بين التقيضين فانه اذا تمكن من الفعل كان الفعل اختياريا ان شاء فعله وان شاء لم يفعله فكيف يصح أن يقال لا يمكنه ترك الفعل الاختياري الممكن هذا خلف من القول و حقيقة الامر انه يمكنه الترك لو أراد له لكنه لا يريد فصار لازما بالارادة الجازمة* فان قيل فهذا يكفي في كونه مجبورا عليه* قيل هذا من أدل شيء على بطلان الجبر فانه انما لزم ب ارادته المتنافية للجبر ولو كان وجوب الفعل بالارادة يقتضي الجبر لكان الرب تعالى وتقدس مجبورا على أفعاله لوجوبها ب ارادته ومشيئته وذلك محال* فان قيل الفرق ان ارادة الرب تعالى من نفسه لم يجعله غيره مريدا والعبد ارادته من ربه اذهي مخلوقه فانه هو الذي جعله مريدا* قيل هذا موضع اضطرب فيه الناس فسلكت فيه القدريه واديا وسلكت الجبرية واديا فقالت القدريه العبد هو الذي يحدث ارادته و ليست مخلوقة لله والله مكنه من احداث ارادته بان خلقه كذلك وقالت الجبرية بسل الله هو الذي يحدث ارادات العبد شيئا بعد شيء فاحداث الارادات فيه كاحداث لونه وطوله وقصره وسواده وياضه مما لا صنع له فيه البتة فلو أراد ان لا يريد لما أمكنه ذلك وكان كالمو أراد أن يكون طوله وقصره ولونه على غير ماهو عليه فهو مضطرا الى الارادة وكل ارادة من اراداته فهي متوقفة على مشيئة الرب لها بخصوصها فهي مرادله سبحانه كما هي معلومة مقدورة فلزمهم القول بالجبر من هذه الجهة ومن جهة فهمهم أن يكون لارادة العبد وقدرته أثر في الفعل* فان قيل فاي واد تسلكونه غير هذين الواديين وای طريق تمرن فيها سوى هذين الطريقين* قيل نعم ههنا طريقة ثالثة لم يسلكها الفريقان ولم يمتد اليها الطائفتان ولو حكمت كل طاقة مامعها من الحق والتزمت لوازمه وطرده لساقها الى هذه الطريق ولأوقعها على الحجة المستقيمة فنقول وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله* العبد بجملته مخلوق لله جسمه وروحه وصفاته وأفعاله وأحواله فهو مخلوق من جميع الوجوه وخلق على نشأة وصفة يمكن بها من احداث ارادته وأفعاله وتلك النشأة بمشيئة الله وقدرته وتكوينه فهو الذي خلقه وكونه كذلك وهو لم يجعل نفسه كذلك بل خلقه وبأمره جعله محدثا لارادته وأفعاله وبذلك أمره ونهاه وأقام عليه حجته وعرضه للثواب والعقاب فامرهم بما هو متمكن من احدثائه ونهاه عما هو متمكن من تركه ورتب ثوابه وعقابه على هذه الافعال والتروك التي مكنه منها وأقدره عليها وناظمها به وفطر خلقه على مدحه وذمه عليها مؤمنهم وكافرهم المقر بالشرائع منهم والجاهد لها فكان مريدا شائيا بمشيئة الله له ولولا مشيئة الله أن يكون شائيا لكان أعجز وأضعف من أن يجعل نفسه شائيا فالرب سبحانه أعطاه مشيئة وقمرة و ارادة وعرفه ما ينفعه وما يضره وأمره أن يجري مشيئته و ارادته

وقدرته في الطريق التي يصل بها الى غاية صلاحه فاجراؤها في طريق هلاكه بمنزلة من أعطى عبده فرسا يركبها وأوقفه على طريق نجاة وهلكة وقال أجراها في هذه الطريق فعدل بها الى الطريق الاخرى واجراها فيها فغلته بقوة رأسها وشدة سيرها وعز عليه ردها عن جهة جريها وحيل بينه وبين ادارتها الى ورائها مع اختيارها وارادتها فلو قلت كان ردها عن طريقها ممكنا له مقدورا أصبت وان قلت لم يبق في هذه الحال يسده من أمرها شيء ولا هو متمكن أصبت بل قد حال بينه وبين ردها من يحول بين المرء وقلبه ومن يقلب أفئدة المعاندين وأبصارهم وإذا أردت فهم هذا على الحقيقة فتأمل حال من عرضت له صورة بارعة الجمال فدعاه حسنها الى محبتها فتهاد عقله وذكره مافي ذلك من التلف والعطب واره مصارع العشاق عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه فعاد يعاود النظر مرة مرة ويحث نفسه على التعلق وقوة الارادة ويحرض على أسباب المحبة ويدنى الوقود من النار حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها ورمت بشررها وقد أحاطت به طلب الخلاص قال له القلب هيهات لات حين مناص وأنشده

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

فكان الترك أولا مقدوراله لما لم يوجد السبب التام والارادة الحازمة الموجبة للفعل فلما تمكن الداعي واستحكمت الارادة قال الحب لعاذله

يا عاذلي والامر في يده هلا عذات وفي يدي الامر

فكان أول الامر ارادة واختيارا ومحبة ووسطه اضطرارا وآخره عقوبة وبلاء ومثل هذا برجل ركب فرسا لا يملكه رايه ولا يتمكن من رده واجراءه في طريق ينتهي به الى موضع هلاك فكان الامر اليه قبل ركوبها فلما توسطت به الميدان خرج الامر عن يده فلما وصلت به الى الغاية حصل على الهلاك ويشبه هذا حال السكران الذي قد زال عقله اذا جنى عليه في حال سكره لم يكن معذورا لتعاطيه السبب اختيارا فلم يكن معذورا بما ترتب عليه اضطرارا وهذا مأخذ من أوقع طلاقه من الائمة ولهذا قالوا اذا زال عقله بسبب يعذر فيه لم يقع طلاقه فجعلوا وقوع الطلاق عليه من تمام عقوبته والذين لم يوقعوا الطلاق قوهم افقه كما أفتى به عثمان بن عفان ولم يعلمه في الصحابة مخالف ورجع عليه الامام أحد واستقر عليه قوله فان الطلاق ما كان عن وطر والسكران لاوطرله في الطلاق وقد حكم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم وقوع الطلاق في حال الغلق والسكر من الغلق كان الاكراه والجنون من الغلق بل قد نص الامام أحمد وأبو عبيد وأبو داود على ان الغضب اغلاق وفسره الامام أحمد الحديث في رواية ابن طالب وهذا يدل على ان مذهبه ان طلاق الغضبان لا يقع وهذا هو الصحيح الذي يفتي به اذا كان الغضب شديدا قد أغلق عليه قصده فانه يصير بمنزلة السكران والمكره بل قد يكونان أحسن حالا منه فان العبد في حال شدة غضبه يصدر منه ما لا يصدر من السكران والمكره بل قد والأفعال وقد أخبر الله سبحانه انه لا يحجب دعاءه على نفسه وولده في هذه الحال ولو أجابه لقضى اليه أجله وقد عذر سبحانه من اشتد به الفرح بوجود راحلته في الارض المهلكة بعدما يأس منها فقال اللهم أنت عبدى وأنا ربك ولم يجعله بذلك كافرا لانه أخطأ بهذا القول من شدة الفرح فكما قال

رحمته واحسانه وجوده يقتضى ان لا يؤخذ من اشتد غضبه بدعائه على نفسه وأهله وولده ولا بإطلاقه
لزوجته وأما اذا زال عقله بالغضب فلم يقل ما يقول فان الامة متفقة على انه لا يتبع طلاقه ولا عقه
ولا يكفر بما يجرى على لسانه من كلمة الكفر

الباب التاسع عشر

في ذكر مناظرة جرت بين جبري وسني جمعهما مجلس مذاكرة

قال الجبري القول بالجبر لازم لصحة التوحيد ولا يستقيم التوحيد الا به لانا ان لم نقل بالجبر ابتناءا ل
للحوادث مع الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وهذا شرك ظاهر لا يختص منه الا القول بالجبر قال
السني بل القول بالجبر مناف للتوحيد ومع منافاته للتوحيد فهو مناف للشرائع ودعوة الرسل والثواب
والعقاب فلو صح الجبر لبطلت الشرائع وبطل الامر والنهي وينازم من بطلان ذلك بطلان الثواب
والعقاب قال الجبري ليس من العجب دعواك منافاة الجبر للامر والنهي والثواب والعقاب فان هذا
لم يزل يقال وانما العجب دعواك منافاته للتوحيد وهو من أقوى أدلة التوحيد فكيف يكون المصور
لشيء المقوى له منافيا له قال السني منافاته للتوحيد من أظهر الامور ولعلمنا أظهر من منافاته الامر
والنهي وبيان ذلك ان أصل عقد التوحيد واثباته هو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
والجبر ينافي الكلمتين فان الاله هو المستحق لصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال وهو الذي تأله
القلوب وتصد اليه بالحب والخوف والرجاء فالتوحيد الذي جاءت به الرسل هو افراد الرب بالتأله
الذي هو كمال الذل والخضوع والانقياد له مع كمال المحبة والالتابة وبذل الجهد في طاعته ومَرْضائه وإثبات
محبته ومراده الديني على محبة العبد ومراده فهذا أصل دعوة الرسل واليه دعوا الامم وهو التوحيد الذي
لا يقبل الله من أحد ديناً سواه الا من الاولين والامن الآخرين وهو الذي أمر به رساله وأُتزل به كُتبه
ودعا اليه عباده ووضع لهم دار الثواب والعقاب لاحبه وشرع الشرائع لتكميله وتحصيله وكان من قولك أيها
الجبري ان العبد لا قدر له على هذا البتة ولا أثر له فيه ولا هو فاعله وأمره بهذا أمره لا يطبق بل أمره بإيجاد
فعل الرب وان الرب سبحانه أمره بذلك واجبره على ضده وحال بينه وبين مأموره به ومنعه منه وصد عنه ولم
يجعل له اليه سبيلا بوجه من الوجود مع قولك انه لا يحب ولا يحب فلا تأله القلوب والمحبة والود والشوق والطالب
وارادة وجهه والتوحيد معنى يتنظم من اثبات الالهية واثبات العبودية فرفعت معنى الالهية بانكار
كونه محبوبا مودودا تتنافس القلوب في محبته وارادة وجهه والشوق الى لقائه ورفعت حقيقة العبودية
بانكار كون العبد قاعلا وعابدا ومحبا فان هذا كله مجاز لاحقيقة له عندك فضع التوحيد بين الجبر
وانكار محبته وارادة وجهه لاسيا والوصف الذي وصفته به منفر للقلوب عنه حائل بينها وبين محبته فانك
وصفته بانها أمر عبده بما لا قدر له على فعله وينها عما لا يقدر على تركه بل بأمره بفعله هو سبحانه ونهاه عن
فعله هو سبحانه ثم يعاقبه أشد العقوبة على ما لم يفعله البتة بل يعاقبه على أفعاله هو سبحانه وصرحت بان
عقوبته على ترك مأموره وفعل ما نهاه بمنزلة عقوبته على ترك طهرانه الى السماء وترك تحويله للجهنم
عن اماكنها ونقله مياه البحار عن مواضعها ومنزلة عقوبته له على ما لا صنع له فيه من لونه وطوله
وقصره وصرحت بان يجوز عليه ان يعذب أشد العذاب لمن لم يعصه طرفه عين وان حكمته ورحمته

لا تمنع ذلك بل هو جائز عليه ولولا خبره عن نفسه بأنه لا يفعل ذلك لم ينزهه عنه وقلت ان تكليفه عبادته بما كلفهم به بمنزلة تكليف الاعمى للكتابة والزمن للطيران فبغضت الرب الى من دعوته الى هذا الاعتقاد ونقرته عنه وزعمت انك تقرر بذلك توحيد وقد قامت شجرة التوحيد من اصنامها وأما منافاة الجبر للشرائع فامر ظاهر لاختفاءه فان مبنى الشرائع على الامر والنهي وأمر الامر غيره بفعل نفسه لا بفعل المأمور ونهيه عن فعله لا بفعل المنهى عبث ظاهر فان متعلق الامر والنهي فعل العبد وطاعته ومعهيته فمن لا يفعل له كيف يتصور ان يوقعه بطاعة أو معصية واذا ارتفعت حقيقة الطاعة والمعصية ارتفعت حقيقة الثواب والعقاب وكان ما يفعله الله بعباده يوم القيامة من النعم والعذاب أحكاما جارية عليهم ببعض المشيئة والقدرة لانها باسباب طاعتهم ومعاصيهم بل ههنا أمر آخر وهو ان الجبر مناف لاخلاق كما هو مناف للامر فان الله سبحانه له الخلق والأمر وما قامت السموات والابعدة فالخلق قام بعبده وعبده ظهر كما ان الامر بعبده وجد فاعدل سبب وجود الخلق والامر وغايته فهو عليه الفاعلية الغائية والجبر لا يجمع العدل ولا يجمع الشرع والتوحيد قال الجبري لقد نطقت ايها السني بعظيم وفهت بكبير وناقضت بين متوافقين وخالفتم بين متلازمين فان أدلة العقول والشرع المتقول قائمة على الجبر ومادل عليه العقل والنقل كيف ينافي موجب العقل والشرع فاسمع الآن الدليل الباهر والبرهان القاهر على الجبر ثم يتبعه بامثال فتقول صدور الفعل عند حصول القدرة والداعي اما أن يكون واجبا أولا يكون واجبا فان كان واجبا كان فعل العبد اضطراريا وذلك عين الجبر لان حصول القدرة والداعي ليس بالعبء والالزام التسلسل وهو ظاهر واذا كان كذلك فعند حصولهما يكون واجبا وعند عدم حصولهما يكون الفعل ممتعا فكان الجبر لازما لاحالة وأما ان لم يكن حصول الفعل عند حصول القدرة والداعي واجبا فاما أن يتوقف رجحان الفعل على رجحان الترك على مرجح أولا يتوقف فان توقف كان حصول ذلك الفعل عند حصول المرجح واجبا والاعاد الكلام ولزم التسلسل واذا كان واجبا كان اضطراريا وهو عين الجبر وان لم يتوقف على مرجح كان جائز الوقوع وجائز العدم فوقوقه بغير مرجح يستلزم حصول الأثر بالامؤثر وذلك محال * فان قلت المرجح هو ارادة العبد * قلت لك ارادة العبد حادثه والكلام في حدوثها كالكلال في حدوث المراد بها ويأزم التسلسل قال السني هذا أحد سهم في كائناتك وهو بحمد الله سهم لا يرش له ولا انفصال مع عوجه وعدم استقامته وأنا استفسرك عما في هذه الحجة من الالفاظ المجمة المستعملة على حق وباطل وابين فسادها فما تعنى بقولك ان كان الفعل عند القدرة والداعي واجبا كان فعل العبد اضطراريا وهو عين الجبر أتعنى به ان يكون مع القدرة والداعي بمنزلة حركة المرتعش وحركة من نفخته الحمى وحركة من رمى به من مكان عال فهو يتحرك في نزوله اضطرارا منه أم تعنى به ان الفعل عند اجتماع القدرة والداعي يكون لازم الوقوع بالقدرة فان أردت بكونه اضطراريا المعنى الاول كذبتك العقول والفطر والحس والعيان فان الله فطر عباده على التفريق بين حركة من رمى به من شاهق فهو يتحرك الى أسفل وبين حركة من يرقى في الجبل الى علوه وبين حركة المرتعش وبين حركة المصفق وبين حركة الزاني والسارق والجاهد والمسل وحركة المكتوف الذي قد أوثق رباطا وجر على الارض فمن سوى بين الحركتين فقد خلع ربة العقل والقطرة

والشرعة من عنقه وان أردت المعنى الثاني وهو كون العقل لازم الوجود عند القدرة والداعي كان لازم الوجود وهذا لأفئدة فيه وكونه لازما وواجبا بهذا المعنى لا ينافي كونه مختارا مراداله مقدورا له غير مكره عليه ولا يجبر فهذا الوجوب والازم لا ينافي الاختيار ثم نقول لو سحت هذه الحجة لزم أن يكون الرب سبحانه مضطرا على أفعاله مجبورا عليها بمعنى ما ذكرت من مقدماتها وانه سبحانه يفعل بقدرته ومشيئته وما ذكرت من وجوب الفعل عند القدرة والداعي وامتناعه عند عدمهما ثابت في حقه سبحانه وقد اعترف أصحابك بهذا الالتزام وأجابوا عنه بما لا يجدي شيئا قال ابن الخطيب عقيب ذكر هذه الشبهة فان قلت هذا ينفي كونه فاعلا مختارا قلت الفرق ان ارادة العبد محدثة فافتقرت الى ارادة يمجدها الله دفعا للتسلسل وارادة الباري قديمة فلم تقف على ارادة أخرى ورد هذا الفرق صاحب التحصيل فقال ولتأمل ان يقول هذا لا يدفع التقسيم المذكور قلت فان التقسيم متردد بين لزوم الفعل عند الداعي وامتناعه عند عدمه وهذا التقسيم ثابت في حق الغائب والشاهد وكون ارادة الرب سبحانه قديمة من لوازم ذاته لفاعل لها لا يمنع هذا التردد والتقسيم فان عند تعلفها بالمراد يلزم وقوعه وعند عدم تعلفها به يتمتع وقوعه وهذا الازم والامتناع لا يخرج سبحانه عن كونه فاعلا مختارا ثم نقول هذا المعنى لا يسمى جبرا ولا اضطارا فان حقيقة الجبر ما حصل باكره غير الفاعل على الفعل وحمله على ايقاعه بغير رضاه واختياره والرب سبحانه هو الخالق للارادة والمحبة والرضا في قلب العبد فلا يسمى ذلك جبرا لالاعة ولا عقلا ولا شرعا ومن العجب احتجاجك بالقدرة والداعي على ان الفعل الواقع بهما اضطراري من العبد والفعل عندكم لم يقع بهما ولا هو فعل العبد بوجه وانما هو عين فعل الله وذلك لا يتوقف على قدرة من العبد ولا اداع منه ولا هناك ترجيح له عند وجودهما ولا عدم ترجيح عند عدمهما بل نسبة الفعل الى القدرة والداعي كنسبته الى عدمهما فالفعل عندك غير فعل الله فلا ترجيح هناك من العبد ولا مرجح ولان تأثير ولا أثر قال السني وقد أجابك اخوانك من القدرة عن هذه الحجة باجوبة أخرى فقال أبو هاشم وأصحابه لا يتوقف فعل القادر على الداعي بل يكفي في فعله مجرد قدرته قالوا فتقولك عند حصول الداعي امان يجب الفعل أو لا يجب عندنا لا يجب الفعل بالداعي ولا يتوقف عليه ولا يمكنك أيها الجبري الرد على هؤلاء فان الداعي عندك لا تأثير له في الفعل البتة ولا هو متوقف عليه ولا على القدرة فان القدرة الحادثة عندك لا تؤثر في مقدورها فكيف يؤثر الداعي في الفعل فهذه الحجة لا تتوجه على أصولك البتة وغايتها التزام خصوصك بها على أصولهم وقال أبو الحسين البصري وأصحابه يتوقف الفعل على الداعي ثم قال أبو الحسين اذا مجرد الداعي وجب وقوع الفعل ولا يخرج بهذا الوجوب عن كونه اختياريا وقال محمود الخوارزمي صاحبه لا ينتهي بهذا الداعي الى حد الوجوب بل يكون وجوده أولى قالوا فنجيبك عن هذه الشبهة على الرأيين جميعا أما على رأي أبي هاشم فنقول صدور احدي الحركتين عنه دون الاخرى لا يحتاج الى مرجح بل من شأن القادر أن يوقع الفعل من غير مرجح لجانب وجوده على عدمه قالوا ولا استبعاد في العقل في وجود مخلوق متمكن من الفعل بدلا عن الترك وبالضد من غير مرجح كما ان النائم والساهي يتحركان من غير داع و ارادة فان قائم بل هناك داع و ارادة لا يذكرها النائم والناسي كان ذلك مكابرة قلت وأصحاب هذا القول يقولون ان

القادر هو الذى يفعل مع جواز ان لا يفعل وأصحاب القول الاول يقولون بل يفعل مع وجوب ان يفعل ويخمد الحوارمى توسط بين المذهبين وقال بل يفعل مع أولوية ان يفعل ولا يمتى الترجيح الى حد الوجوب فالاقوال خمسة أحدها ان الفعل موقوف على الداعى فاذا انضمت القدرة اليه وجب الفعل بمجموع الامرين وهذا قول جمهور المعتزلة ولم يصنع ابن الخطيب شيئا في نسبته الى الفلاسفة وأبى الحسين البصرى من المعتزلة الثانى ان الفعل يجب بقدرة الله وقدرة العبد وهذا قول من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في مقدوره مع قدرة الله على عين مقدور العبد وهذا قول أبى اسحق واختيار الجوينى في النظامية الثالث قول من يقول يجب بقدرة الله فقط وهذا قول الاشعرى والقاضى أبى بكر ثم اختلفا فقال القاضى كونه فعلا واقع بقدرة الله وكونه صلاة أو حجا أو زنا أو سرقة واقع بقدرة العبد فتأثير قدرة الله في ذات الفعل وتأثير قدرة العبد في صفة الفعل وقال الاشعرى أصل الفعل ووصفه واقعان بقدرة الله ولاتأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا الرابع قول من يقول لا يجب الفعل من القادر البتة بل القادر هو الذى يفعل مع جواز ان لا يفعل فلا يمتى فعل القادر المختار الى الوجوب أصلا وهذا قول أبى هاشم وأصحابه الخامس ان يكون عند الداعى أولى بالوقوع ولا يمتى الى حد الوجوب وهذا قول الحوارمى وقد سلم أبو الحسين ان الفعل يجب مع الداعى وسلم ان الداعى مخلوق لله وقال ان العبد مستقل بإيجاد فعله قال والعلم بذلك ضرورى قال ابن الخطيب وهذا غلوه في القدر وقوله انه يتوقف على الداعى والداعى خلق لله غلو في الجبر خضع بين القدر والجبر مع غلوه فيهما ولم ينصفه فليس ما ذهب اليه غلو في قدر ولا جبر فان توقف الفعل على الداعى ووجوبه عنده بقدرة العبد ليس جبرا فضلا ان يكون غلوا فيه وكون العبد محدثا لفعله ضرورة بما خلقه الله فيه من القدرة والاختيار ليس قولنا بمذهب القدرية فضلا عن كونه غلوا فيه

فصل قال الجبرى اذا كان الداعى ليس من أفعالنا وهو علم القادران في ذلك الفعل مصادقة له وذلك أمر مركوز في طبيعته التى خلق عليها وذلك مفعول لله فيه والفعل واجب عنده فلا معنى للجبر الا هذا * قال له السنى أخوك القدرى يحيبك عن هذا بان ذلك الداعى قد يكون جهلا وغافلا وهذه أمور يحدثها الانسان في نفسه فيفعل على حسب ما يتوهم ان فيه مصلحته صادفها أو لم يصادفها فالداعى لا ينحصر في العلم خاصة * قال الجبرى لا يساوى هذا الجواب شيئا فان العطشان مثلا يدعوه الداعى الى شرب الماء لعلمه بنفعه وشهوته وميله الى شربه وذلك العلم وتلك الشهوة والميل الى الشرب من فعل الله فيجب على القدرى ان يترك مذهبه صاغرا داخرا ويعترف بان ذلك الفعل مضاف الى من خلق فيه الداعى المقتضى * قال القدرى ذلك الداعى وان كان من فعل الله الا أنه جار مجرى فعل المكلف لانه قادر على أن يبطل أثره بان يستحضر صارقاعن الشرب مثل أن يحجم عن الشرب تجربة همل يقدر على مخالفة الداعى أم لا فاحجامة لاجل التجربة أثر داع ناه هو المعارف يعارض الداعى فالحق قادر على تحصيله وقادر على ابقاء الداعى الاول بحاله فبقاؤه الداعى الاول بحاله واعراضه عن احضار المعارض له أمر لولاه ما حصل الشرب فن هذا الوجه كان الشرب فعلا له لانه قادر على تحصيل الاسباب المختلفة التى تصدر عنها الآثار ويصير هذا

كمن شاهد انسانا في نار متأججة وهو قادر على اطفائها عنه من غير مشقة ولا مانع فانه ان لم يطفئها
 استحق النجم وان كان الاحراق من أثر النار وقد أجاب ابن أبي الحديد بجواب آخر فقال ويمكن
 أن يقال اذا تجرد الداعي كما ذكرتم في صورة العطشان فان التكليف بالفعل والترك يسقط لانه يصير
 أسوأ حالا من الملجأ وهذا من أفسد الاحوبة على أصول جميع الفرق فان مقتضى التكليف قائم
 فكيف يسقط مع حضور الفعل والقدرة وهذا قدم رابع من الذين رفع عنهم التكليف أي هذا
 القدرى زائدا على الثلاثة الذين رفع عنهم القلم وهذا خرق منه لاجماع الامة المعلوم بالضرورة ولو
 سقط التكليف عند تجرد الداعي لكان كل من تجرد داعيه الى فعل ما امر به قد سقط عنه التكليف
 وهذا القول أقبح من القول بتكليف ما لا يطاق ولهذا كان القائلون به أكثر من هذا القائل وقولهم
 يحكى وينظر عليه * قال الجبري اذا كان الداعي من الله وهو سبب الفعل والفعل واجب عنده كان
 خالق الفعل هو خالق الداعي أى خالق السبب * قال السفي هذا حق فان الداعي مخلوق لله في العبد
 وهو سبب الفعل والفعل يضاف الى الفاعل لانه صدر منه ووقع بقدرته ومشيئته واختياره وذلك
 لا ينعى اضافته بطريق العموم الى من هو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير وأيضا فالداعي ليس
 هو المؤثر بل هو شرط في تأثير القادر في مقدوره وكون الشرط ليس من العبد لا يخرج عنه كونه
 فاعلا وغاية قدرة العبد وارادته الجازمة ان يكون شرطا أو جزءا سببا والفعل موقوف على شروط
 وأسباب لاصنع للعبد فيها البتة وأسهل الافعال رفع العين لرؤية الشيء فبها ان فتح العين فعل العبد
 الا أنه لا يستقل بالادراك فان تمام الادراك موقوف على خالق الدرك وكونه قابلا للرؤية وخلق آلة
 الادراك وسلامتها وبصرف الموانع عنها فتوقف عليه الرؤية من الاسباب والشروط التي لا تدخل
 تحت مقدور العبد أضعافا مضاعفة ما يقدر عليه من تقليب حدقته نحو المرئي فكيف يقول عاقل ان
 جزء السبب أو الشرط موجب مستقل لوجود الفعل وهذا الموضع مما ضل فيه الفرقان حيث زعمت
 القدرية انه موجب للفعل وزعمت الجبرية انه لا أثر له فيه فخالفت الطائفتان صريح المعقول والمنقول
 وخرجت عن السمع والعقل والتحقيق ان قدرة العبد واداعته ودواعيه جزء من أجزاء السبب التام
 الذي يجب به الفعل فمن زعم ان العبد مستقل بالفعل مع ان أكثر أسبابه ليست اليه فقد خرج عن
 موجب العقل والشرع فبها ان دواعي حركة الضرب منك مستقلة بها فهل سلامة الآلة منك وهل
 وجود المحل المتفعل وقبوله منك وهل خلق الفضاء بينك وبين المضروب وخلوه عن المانع منك
 وهل امساك قدرته عن مضاربك وغلبك منك وهل القوة التي في اليد والرباطات والاتصالات
 التي بين عظامها وشدها أسرها منك ومن زعم انه لا أثر للعبد بوجه ما في الفعل وان وجود قدرته
 واداعته وعدمهما بالنسبة الى الفعل على السواء فقد كابر العقل والحس * قال الجبري ان انتهت
 سلسلة الترتيبات الى مرجح من العبد فذلك المرجح ممكن لاحتمال فان ترجح بلا مرجح انسد
 عليكم باب اثبات الصانع اذا جوزتم رجحان أحد طرفي الممكن وان توقف على مرجح آخر لزم
 التسلسل فلا بد من انتهائه الى مرجح من الله لاصنع للعبد فيه قال السفي اما اخوانك القدرية فانهم
 يقولون القادر المختار يحدث ارادته وداعيته بلا مرجح من غيره قالوا والقطرة شاهدة بذلك فانا
 لانفعل ما لم نرد ولا نريد ما لم نعلم ان في الفعل منفعة لها أو دفع مضرة ولا نجد لهذه الارادة ارادة

أحدثها ولا لعلنا بان ذلك نافع علما آخر أحدثه فالمرجح هو ما خلق عليه العبد وفطر عليه من صفاته القائمة به قاله سبحانه أنشأ العبد نشأة يتحرك فيها بالطبع بحركته بالارادة والمشية من لوازم نشته وكونه حيوانا فارادته وميله من لوازم كونه حيا فافعال العبد الخاصة به هي الدواعي والارادات لا غير وما يقع بها من الافعال شبيه بالفعل المتولد من حيث كان المتولد سببا وهذه الافعال صادرة عن الدواعي التي عرفها العبد ابتداء من غير واسطة فاشتراكهما في ان كل واحد منهما مستند الى فعل خاص بالعبد فهما متماثلان من هذه الجهة قال السني وهذا جواب باطل بأبطل منه ورد فاسد بأفسد منه ومعاذ الله والله أكبر وأجل وأعظم وأعز أن يكون في عبده شيء غير مخلوق له ولا هو داخل تحت قدرته ومشيته فما قدر الله حق قدره من زعم ذلك ولا عرفه حق معرفته ولا عظمه حق تعظيمه بل العبد جسمه وروحه وصفاته وأفعاله ودواعيه وكل ذرة فيه مخلوق لله خلقا تصرف به في عبده وقد بينا ان قدرته وارادته ودواعيه جزء من أجزاء سبب الفعل غير مستقل بإيجاده ومع ذلك فهذا الجزء مخلوق لله فيه فهو عبد مخلوق من كل وجه وبكل اعتبار وفقره الى خالقه وبارئه من لوازم ذاته وقبلة يبدخلقه وبين أصابعه يقلبه كيف يشاء فيجعله مريدا لما شاء وقوعه منه كارها لما لم يشأ وقوعه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ونعم والله سلسلة المرجحات تنتهي الى أمر الله الكوني ومشيته النافذة التي لا سبيل لمخلوق الى الخروج عنها ولكن الجبر لفظ مجمل يراد به حق وباطل كما تقدم فان أردتم به ان العبد مضطر في أفعاله وحركته في الصعود في السلم كحركته في وقوعه منه فهذا مكابرة للعقول والفطر وان أردتم به انه لا حول له ولا قوة الا بربه وفطره فتم لا حول ولا قوة الا بالله وهي كلمة عامة لا تخص فيها بوجه ما القوة والقدرة والحول بالله فلا قدرة له ولا فعل الا بالله فلا تنكر هذا ولا ينجد لتسمية القدرى له جبرا فليس الشأن في الاسماء ان هي الاسماء سميتوها اتم وآبركم ما نزل الله بها من سلطان فلا تترك لهذه الاسماء مقتضى العقل والايمان والمحذور كل المحذور ان تقول ان الله يعذب عبده على ما صنع له فيه ولا قدرة له عليه ولا تأثير له في فعله بوجه ما بل يعذبه على فعله هو سبحانه وعلى حركته اذا سقط من علو الى سفلى نعم لا يمتنع أن يعذبه على ذلك اذا كان قد تعاطى أسبابه بارادته ومحبة كما يعاقب السكران على ما جناه في حال سكره لتفريطه وعدوانه بارتكاب السبب وكما يعاقب العاشق الذي غلب على صبره وعقله وخروج الامر عن يده لتفريطه السابق بتعاطي أسباب العشق وكما يعاقب الذي آل به اعراضه وبعضه ليجق الى ان صار طبعيا وفنلا ورينا على قلبه خرج الامر عن يده وحيل بينه وبين الهدى فيما قبله على ما لم يبق له قدرة عليه ولا ارادة بل هو تنوع منه وعقوبته عليه عدل محض لا ظلم فيه بوجه ما * فان قيل فهل يصير في هذه الحال مكافئا وقد حيل بينه وبين ما أمر به وصد عنه ومنع منه أم يزول التكليف * قيل يستق على الجواب الشافي ان شاء الله عن هذا السؤال في باب القول في تكليف ما لا يطاق قريبا فانه سؤال حبيد اذ المقصود ههنا الكلام في الجبر وما في افقذه من الاجمال وما في معناه من الهدى والضلال

فصل في الجبر اذا صدر من العبد حركة معينة فلما أن تكون مقدورة للرب وحده أو العبد وحده أو للرب والعبد أو لا للرب ولا للعبد وهذا القسم الاخير باطل قطعيا والاقسام

الثلاثة قد قال بكل واحد منها طائفة فان كانت مقدورة للرب وحده فهو الذي يقونه وذلك عين الجبر وان كانت مقدورة للعبد وحده فذلك اخراج لبعض الاشياء عن قدرة الرب تعالى فلا يكون على كل شيء قدير ويكون العبد المحلوق الضعيف قادرا على ما لم يقدر عليه خالقه وفاعله وهذا هو الذي فارقت به القدريّة للتوحيد وضاعت به الجوس وان كانت مقدورة للرب والعبد لزمّت الشركة ووقوع مفعول بين فاعلين ومقدور بين قادرين وأثر بين مؤثرين وذلك محال لان المؤثرين اذا اجتمعا استقلالا على اثر واحد فهو غنى عن كل منهما بكل منهما فيكون محتاجا اليهما مستغنيا عنهما قال السني قد افرق الناس في هذا المقام فرقا شتى ففرقة قالت انما تقع الحركة بقدرة الله وحده لا بقدرة العبد وتأثير قدرة العبد في كونها طاعة او معصية فقدرة الرب وحده اقتضت وجودها وقدرة العبد اقتضت صفتها * وهذا قول القاضي ابى بكر ومن اتبعه ولعمري الله انه لغير شاف ولا كاف فان صفة الحركة ان كان اثر وجوديا فقد أثرت قدرته في امر موجود فلا يتمتع تأثيرها في نفس الحركة وان كان صفتها أمرا عسديا كان متعاق قدرته عندما لا وجودا وذلك متمتع اذا أثر القدرة لا يكون عندما صرفا وفرقة اخرى قالت بل الفعل وصفته واقع بمحض قدرة الله وحده ولا تأثير لقدرة العبد في هذا ولا هذا وهذا قول الاشعري ومن اتبعه وفرقة قالت بل المؤثر قدرة العبد وحده دون قدرة الرب ثم انقسمت هذه الفرقة الى فرقتين فرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة مع كون الرب قادرا على الحركة وقالت ان مقدورات العباد مقدورة لله تعالى وهذا قول ابى الحسين البصري واتباعه الحسينية وفرقة قالت ان قدرة العبد هي المؤثرة والله سبحانه غير قادر على مقدور وهذا قول المشايخية اتباع ابى على وابى هاشم وليس عند ابن الخطيب وجهور المتكلمين غير هذه الاقوال التي لا تنفي عيلا ولا تروى غليلا وليس عند اربابها الا مناقضة بعضهم بعضا * وقد اجاب بعض اصحاب ابى الحسين عن هذا السؤال انه وان كان يقول بمقدور بين قادرين فله ان يقول في هذا المقام ان كان الدليل الذي ذكرته دليلا صحيحا على استحالة اجتماعهما على فعل واحد فانما يدل على استحالة على فعلهما على سبيل الجمع ولا يستحيل على سبيل البديل كما يستحيل حصول جوهرين في مكان واحد ولا يستحيل حصولهما فيه على البديل وهذا جواب باطل قطعا فان مضمونه ان أحدهما لا يقدر عليه الا اذا تركه الآخر خال تلبس العبد بالفعل بقدرته وارادته ان كان مقدورا لله فهو القول بمقدور بين قادرين وان لم يكن مقدورا له لزم اخراج بعض الممكنات عن قدرته * فان قلت هو قادر عليه بشرط أن لا يقدر عليه العبد * قيل لك فهذا تصريح منك بانه في حال قدرة العبد عليه لا يقدر عليه الرب فلا ينفك القول بانه قادر عليه على البديل وأيضا فان قدر عليه بشرط ان لا يقدر عليه العبد فاذا قدر العبد عليه انتفت قدرة الرب لانتفاء شرطها وهذا مما صاح به عليكم أهل التوحيد من أقطار الارض ورموكم به عن قوس واحدة وانما صانعكم به أهل السنة مصانعة والا حقيقة هذا القول ان العبد يقدر على ما لا يقدر عليه الرب وحكاية هذا الرأي الباطل كافية في فساد * فان قلت كما لا يتمتع معلوم واحد بين عالمين ومراد واحد بين مردين * قبل هذا من أقصد القياس لان المعلوم لا يتأثر بالعالم والمراد لا يتأثر بالمريد فيصح الاشتراك في المعلوم والمراد كما يصح الاشتراك في المرئي والمسموع وأما المقدور فيجوز اشتراك القادرين فيه بالقدرة المسححة

وهي صحة وقوعه من كل واحد منهما وصحة التأثير من أحدهما لاتنافي تحتها من الآخر اما اشتراكهما فيه بالقدرة الموجبة المقارنة لمقدورها فهو عين الحال الا أن يراد الاشتراك على البديل فيكون تأثير أحدهما فيه شرطا في تأثير الآخر ولما تظن أبو الحسين لهذا قال لست أقول ان اضافته الى أحدهما هي اضافته الى الآخر كما ان الشيء الواحد يكون معلوما لعالمين ويمتنع ان يكون علم أحدهما به هو علم الآخر فهكذا أقول في المقدور بين قادرين ليست قدرة أحدهما عايه هي قدرة الآخر والمفعول بين فاعلين ليس فعل أحدهما فيه هو فعل الآخر وانما معنى قولى هذا انه فعل لهذا وتأثير له انه لقدرته وداعيته وجد وليس معنى كونه وجد لقدرة هذا وداعيته هو معنى كونه وجد لقدرة الآخر وداعيته قال وليس يمتنع في العقل اضافة شيء واحد الى شيئين لكنه يمتنع ان يكون اضافته الى أحدهما هي عين اضافته الى الآخر * وهذا لا يحدى عنه شيء فان اتقسيم المذكور دائر فيه ونحن نقول قد دل الدليل على شمول قدرة الرب سبحانه لكل ممكن من الذوات والصفات والأفعال وانه لا يخرج شيء عن مقدوره البتة ودل الدليل ايضا على ان العبد فاعل لفعله بقدرته وارادته وانه فعل له حقيقة يمدح ويذم به عقلا وعرفا وشرعا وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهي ودل الدليل على استحالة مفعول واحد باليمين بين فاعلين مستقلين وائر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال ودل الدليل ايضا على استحالة وقوع حادث لا يحدث له ورجحان راجح لأمر جرح له * وهذه أمور كتبها الله سبحانه في العقول وحجج العقل لاتناقض ولا تعارض ولا يجوز ان يضرب بعضها ببعض بل يقال بها كلها ويذهب الى موجهها فانها يصدق بعضها بعضا وانما يعارض بينهما من ضعفت بصيرته وان كثر كلامه وكثرت شكوكه والعلم أمر آخر وراء الشكوك والاشكالات ولهذا تناقض الخصوم * وهذا رأس مال المتكلمين والقول الحق لم ينحصر في هذه الأقوال التي حكوها في المسئلة * والصواب ان يقال تقع الحركة بقدرة العبد وارادته التي جعلها الله فيه فالله سبحانه اذا اراد فعل العبد خلق له القدرة والداعى الى فعله فيضاف الفعل الى قدرة العبد اضافة السبب الى مسببه ويضاف الى قدرة الرب اضافة المخلوق الى الخالق فلا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين قدرة أحدهما أثر لقدرة الآخر وهي جزء سبب وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير والتعبير عن هذا المعنى بمقدور بين قادرين تعبير فاسد وتليس فانه يوهم انهما متكافئان في القدرة كما تقول هذا الثوب بين هذين الرجلين وهذه الدار بين هذين الشريكين وانما المقدور واقع بالقدرة الحادثة وقوع المسبب بسببه والسبب أو المسبب والتفاعل والآلة كانه أثر القدرة القديمة ولا تعطل قدرة الرب سبحانه عن شمولها وكالها وتناولها لكل ممكن ولا تعطل قدرة الرب التي هي سبب عما جعلها الله سببها ومؤثرة فيه وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته وكل ماسواه مخلوق له وهو أثر قدرته ومشيئته ومن أنكر ذلك لزمه اثبات خالق سوى الله أو القول بوجود مخلوق لخالق له فان فعل العبد ان لم يكن مخلوقا لله كان مخلوقا للعبد اما استقلالا واما على سبيل الشركة واما ان يقع بغير خالق ولا تخلص عن هذه الاقسام لمنكر دخول الافعال تحت قدرة الرب ومشيئته وخلقها وانذا عرف هذا فنقول الفعل وقع بقدرة الرب خلقا وتكوينا كما وقعت سائر المخلوقات بقدرة وتكوينه وبقدرة العبد سببا ومباشرة والله خالق الفعل

والعبد فعله وباشره والقدرة الحادثة وأثرها واقمان بقدرة الرب ومشيتته

فصل قال الجبري لو كان العبد فاعلا لافاعاله لكان عالما بتفاصيلها لانه يمكن أن يكون الفعل أزيد مما فعله أو انقص فوقوعه على ذلك الوجه مشروط بالعلم بتفصيله ومعلوم ان النائم والغافل قد يفعل الفعل ولا يشعر بكيفية ولاقدرة وأيضا فالتحرك يقطع المسافة ولاشعوره بتفاصيل الحركة ولا اجزاء المسافة ومحرك أصبعه محرك لاجزائها ولا يشعر بمدد اجزائها ولا بعدد احيائها والمنفس يتفلس باختياره ولا يشعر في الغالب بنفسه فضلا عن أن يشعر بكميته وكيفية ومبدئه ونهايته والغافل قد يتكلم بالكلمة ويفعل الفعل باختياره ثم بعد فراغه منه يعلم انه لم يكن قاصدا له فحين نعلم عالما ضروريا من أنفسنا عدم علمنا بوجود أكثر حركاتنا وسكناتنا في حالة الماشي والقيام والقيود ولو أردنا فصل كل جزء من أجزاء حركاتنا في حالة اسراعنا بالمشي والحركة والاحاطة به لم يمكننا ذلك بل ونعلم ذلك من حل أكمل العقلاء فما الظن بالحيوانات العجم في مشيها وطيرانها وسباحتها حتى الذر والبعوض وهذا مشاهد في السكران ومن اشتد به الغضب ولهذا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) فدل على أن السكران يصدر منه أقوال لا يعلم بها فكيف يكون هو المحدث لتلك الاتوال وهو لا يشعر بها والارادة فرع الشعور ولهذا أفق الصحابة بأنه لا يقع طلاق السكران نزلوا حركة لسانه منزلة تحريك غيره بل بغير ارادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق في الاغلاق لان الاغلاق يمنع العلم والارادة فكيف يكون التطبيق فعله وهو غير عالم به ولا مریده وايضا فقد قال جمهور الفقهاء ان الناسي غير مكلف لان فعله لا يدخل تحت الاختيار ففعله غير مضاف اليه مع انه وقع باختياره وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بعينه في قوله من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فاضاف فعله الى الله لانه لم يكن له فعل في الاكل والشرب فلم يطر به قال السفي هذا موضع تفصيل لا يليق به الاجمال فنقول ما يصدر من العبد من الافعال ينقسم أقساما متعددة بحسب قدرته وعلمه وداعيته وارادته فتارة يكون ملجأ الى الفعل لارادته فيه بوجه ما كن أمسكت يده وضرب بها غيره أو أمسكت أصبعه وقلع بها عين غيره فهذا فعله بمنزلة حركات الاشجار بالريح ولهذا لا يترتب عليه حكم البتة ولا يمدح عليه ولا يذم ولا يثاب ولا يعاقب وهذا لا يسمى فاعلا عقلا ولا شرعا ولا عرفا وتارة يكون مكرها على أن يفعل فهذا فعله يضاف اليه وليس كالملجأ الذي لا فعل له واختلاف الناس هل يقال انه فعل باختياره وانه يختار ما فعله أو لا يطاق عليه ذلك على قولين والتحقيق ان النزاع لفظي فانه فعل بارادة هو محمول عليها مكره عليها فهو مكره مختار مكره على ان يفعل بارادته مرید ليفعل ما كره عليه فان أريد بالاختار من يفعل بارادته وان كان كارهيا لم يفعل فالكراهية مختار وايضا فهو مختار ليفعل ما كره لتخصمه بما هو أكره اليه من الفعل فلما عرض له مكره وان أحدهما أكره اليه من الآخر اختار اسرها دفعا لاشقمها ولهذا يقتل قصاصا اذا قتل عند الجمهور والمملجأ لا يقتل باتفاق الناس وبما يوضح هذا ان المكره على التكلم لا يثنى منه التكلم الا باختياره وارادته ولهذا أوقع طلاقه وعناقه بعض العلماء والجمهور قاولا لا يقع لان الله جعل كلام المكره على كلمة الكفر لغو لا يترتب عليه أثر لانه وان قصد التكلم باللفظ دفعا عن نفسه فلم يقصد معناه وموجبه حتى قال بعض الفقهاء لو قصد الطلاق بقلبه مع الاكراه لم

يقع طلاقه لأن قوله هدر وانمو عند الشارع فوجوده كعدمه في حكمه فبقي مجرد القصد وهو غير موجب للعلاق وهذا ضريف فان الشارع انما ألغى قول المكره اذا تجرد عن القصد وكان قلبه مطمئنا بضده فاما اذا قارن اللفظ القصد واطمأن القلب بموجبه فانه لا يضر* فان قيل فما تقولون فيمن ظن ان الاكراه لا يمنع وقوع الطلاق فقصد جاهلا بان الاكراه مانع من وقوعه* قيل هذا لا يقع طلاقه لانه لما ظن ان الاكراه على الطلاق موجب وقوعه اذا تكلم به كان حكم قصده حكم لفظه فانه انما قصده دفعا عن نفسه لما علم انه لا يخص الابيه ولم يظن ان الكلمة بدون القصد لغوا ودهش عن ذلك ولاو طر له في الطلاق فهذا لا يقع بخلاف الاول فانه لما أكره على الطلاق نشأ له قصد طلاقها اذ لا غرض له ان يقيم مع امرأته أكره على طلاقها وان كان لو لم يكره لم يتبدى طلاقها والمقصود ان المكره مرید لفعله غير ملجأ اليه

فصل في النائم فلا ريب في وقوع الفعل القليل منه والكلام المفيد واختلاف الناس هل تلك الافعال مقدورة له أو مكتسبة أو ضرورية بعد اتفاقهم على انها غير داخلة تحت التكليف فقالت المعتزلة وبعض الاشعرية هي مقدورة له والنوم لا يضاد القدرة وان كان يضاد العلم وغيره من الادراكات وذهب أبو اسحاق وغيره الى ان ذلك الفعل غير مقدور له وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم وذهب القاضي أبو بكر وكثير من الاشعرية الى ان فعل النائم لا يقطع بكونه مكتسبا ولا بكونه ضروريا وكل من الامرين ممكن قال أصحاب القدرة كان النائم قادرا في يقظته وقدرته باقية والنوم لا ينافيها فوجب استصحاب حكمها قالوا وأيضا فالنائم اذا انتبه فهو على ما كان عليه في نومه ولا يتجدد أمر وراء زوال النوم وهو قادر بعد الانتباه وزوال النوم غير موجب للاقتدار ولا وجوده نافيا للقدرة قالوا وأيضا قد يوجد من النائم ما لو وجد منه في حال اليقظة لكان واقعا على حسب الداعي والاختيار والنوم وان نافي القصد فلا ينافي القدرة قال النافون للقدرة قولكم النوم لا ينافي القدرة دعوى كاذبة فان النائم منفعل محض متأثر صرف ولهذا لا يتمتع ممن يؤثر فيه وقولكم لم يتجدد له أمر غير زوال النوم فالتجدد زوال المانع من القدرة فعاد الى ما كان عليه كمن أوتق غير رباطا ومنعه من الحركة فاذا حل رباطه تجدد زوال المانع قالوا نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المرتشم والمفلوج وما ذاك الا أن حركته مقدورة له وحركة المرتشم غير مقدورة له والتحقق ان حركة النائم ضرورية له غير مكتسبة وكما فرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ

فصل في زوال العقل بجنون أو سكر فليست أفعاله اضطرارية كأفعال الملجأ ولا اختيارية بمنزلة أفعال العامل العالم بما يفعله بل هي قسم آخر من الاضطرابية وهي جارية مجرى أفعال الحيوان وفعل الصبي الذي لا يميزه بل لكل واحد من هؤلاء داعية الى الفعل يتصورها وله ارادة يقصد بها وقدرة ينفذ بها وان كان داعية نوع آخر غير داعي العاقل بما يفعله فلا بد أن يتصور ما في الفعل من الغرض ثم يريد ويفعله وهذه أفعال طبيعية واقعة بالداعي والارادة والقدرة والدواعي والارادات تختلف ولهذا لا يكتف أحد هؤلاء بالفعل فافعله لا تدخل تحت التكليف وليست كأفعال الملجأ ولا المكره وهي مضافة اليهم مباشرة الى خالق ذواتهم وصفتهم خلقا فهي مفعولة وأفعال

لهم والساهي الذي يفعل الفعل مع غفلة وذهوله فهو انما يفعله بقدرته اذ لو كان عاجزا لما تاتي منه الفعل وله ارادة لكنه غافل عنها فالارادة شيء والشعور بها شيء آخر فاعبد قد يكون له ارادة وهو ذاهل عن شعوره بها لاشتغال محل التصور منه بامر آخر منعه من الشعور بالارادة فعماهو هي غير مشعور بها وان كان لابد من الشعور عند كل حزن من أحزانه وبالله الوفيق والجليلة فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة وأما الشعور به على التفصيل فلا يستلزمه

فصل قال الجبري ضلال الكافر وجهله عند القدرى مخلوق له موجود بالاجادة اختيارا وهذا ممتنع فانه لو كان كذلك لكان قاصدا له اذ القصد من لوازم الفعل اختيارا واللازم ممتنع فان عاقلا لا يريد لنفسه الضلال والجهل فلا يكون فاعلا له اختيارا * قال السني عجبا لك أيها الجبري تنزه العبد أن يكون فاعلا للكفر والجهل والظلم ثم يحمل ذلك كله فعل الله سبحانه ومن العجب قولك ان العاقل لا يقصد لنفسه الكفر والجهل وأنت ترى كثيرا من الناس يقصد لنفسه ذلك عنادا وبغيا وحسدا مع علمه بان الرشد والحق في خلافه فيطيع دواعي هواه وبغيه وجهله ويخالف داعي رشده وهده ويسلك طريق الضلال ويتنكب عن طريق الهدى وهو يراهما جميعا * قال أصدق القائلين (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) * وقال تعالى (وأما نوح فهديناهم فاستجبوا لعمي على الهدى) وقال تعالى عن قوم فرعون (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) وقال تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) وقال (بس ما شتروا بأنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وقال تعالى (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تكفرون بآيات الله) وقال (يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء) وهذا في القرآن كثير يبين سبحانه فيه اختيارهم الضلال والكفر عمدا على علم هذا وكم من قاصد أمرا يظن انه رشد وهو ضلال وغى

فصل قال الجبري لو جاز تأثير قدرة العبد في القول بالاجادة لجاز تأثيرها في الاجادة كل موجود لان الوجود قضية واحدة مشتركة بين الموجودات الممكنة وان اختلفت عنه وجهاته ويازم من صحة تأثير القدرة في بعضه صحة تأثيرها في جميعه لاتحاد المتاعى وان ماثب لاحد اثناين ثبت للآخر وأيضا فالصحيح للتأثير هو الامكان ويازم من الاشتراك في الصحيح للتأثير الاشتراك في الصحة ومعسوم قطعا ان قدرة العبد لاتعلق بالاجادة الاجسام وأكثر الاعراض انما تتعلق ببعض الاعراض القائمة لمحل قدرته * قال السني انقد كشف الله عوار مذهب يكون اثباته مستندا الى مثل هذه الخرافات التي حاصها انه يازم من صحة قدرة العبد على قلع حصاة من الارض صحة قدرته على قلع الجبل ومن امكان حمله لرطل امكان حمله لمائة ألف رطل ومن الاجادة للفعل القائم به من الاكل والشرب والصلاة وغيرها صحة اجادة خلق السموات والارض وما بينهما وهل سمع في القرنين

باسم من هذا واغث منه واشتراك الموجودات في مسمى الوجود الكلّي العام لا يانزم منه ان ماجاز على موجود ماجاز على كل موجود وهذا أجمع من الاول وأبين فسادا ولا يانزم من ذلك تماثل البهوضة والفيل وتماثل الاجسام والاعراض ومن يحمل من الجبرية للقدرّة الحادثة نعلقا بما فعل العبد يعرف بالفرق ويقول قدرته تتعلق ببعض الاعراض ولا تتعلق بالاجسام ولا بكل الاعراض فان احتج على ابطال التأثير بهذه الشبهة الفتنه ألزم بها بعينها في عموم تماثل قدرته بكل موجود

فصل في قال الجبري دليل التوحيد ينبغي كون العبد فاعلا وأن يكون لقدرته تأثير في فعله وتقريره بدليل التماثل * قال السفي دليل التوحيد انما ينبغي وجود رب ثان ويدل على انه لا رب الا هو سبحانه ولا يدل على امتناع وجود مخلوق له قدرة وارادة مخلوقة يحدث بها وهو وقدرته وارادته وفعله مخلوق لله فهو بعد طول مقدماته واعتراف فضلائكم بالعجز عن تقريره وذكر ما في مقدماته من منع ومعارضة انما ينبغي وجود قادرين متكافئين قدرة كل واحد منهما من لوازم ذاته ليست مستفادة من الآخر وهو دليل صحيح في نفسه وان عجزتم عن تقريره ولكن ليس فيه ما ينبغي ان تكون قدرة العبد وارادته سببا لوجود مقدوره وتأثيرها فيه تأثير الاسباب في مسبباتها فلا للتوحيد قررتم بدليل التماثل ولا للجبر وقد كفنا افضل متأخريكم بيان تنافي هذا الدليل من المنوع والمعارضات * قال الجبري دعنا من هذا كله أليس في القول بتأثير قدرة العبد في مقدوره مع الاعتراف بان الله سبحانه قادر على مقدور العبد الزام وقوع المقدور الواحد بين القادرين والدليل بنفيه * قال السفي ماتمضى بقولك يانزم وقوع مقدور بين قادرين أنتمى به قادرين مستقلين متكافئين أم تعنى به قادرين تكون قدرة أحدهما مستفادة من الآخر فان عنت الاول منمت المألزمة وان عنت الثاني منع انتفاء اللازم ومثبتو الكسب يحجبون عن هذا بانه لا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين لقدرة أحدهما تأثير في ايجاده ولقدرة الآخر تأثير في صفته كما يقوله القاضي أبو بكر ومن تبعه والاشعري يحجب عنه على أصح بان الفعل وقع بين قادرين لا تأثير لقدرة أحدهما في المقدور بل تماثل قدرته بمقدوره كما تماثل العلم بمعلومه وانما الممتنع عنده وقوع مقدور بين قادرين مؤثرين وهذا الاعتذار لا يخرج عن الجبر وان زخرفت له العبارات * وأجاب عنه الحسينية بما حكيناه انه لا يمتنع مقدور بين قادرين على سبيل البذل ويمتنع على سبيل الجمع وقد تقدم فساده وأجاب عنه المشايخه بانه مقدور للعبد وليس مقدورا للرب وهذا أبطل الاجوبة وأفسدها والقائلون به يقولون ان الله سبحانه عن افكهم يريد الشيء فلا يكون ويكون الشيء بغير ارادته ومشيته فيريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد وكفى بهذا بطلانا ونسادا * قال الجبري الفعل عند المرجح التام واجب والمرجح ليس من العبد والالزام التسلسل فهو من الرب فاذا وجب الفعل عنده فهو الجبر بعينه * قال السفي قد تقدم هذا الدليل وبيان ما فيه وحيث أعدتموه بهذه العبارة الوجيزة المختصرة فنحن نذكر الاجوبة عنه كذلك قواكم لا بد من مرجح يرجح الفعل على التارك أو بالعكس مسلم قولكم المرجح ان كان من العبد لزم التسلسل وان كان من الرب لزم الجبر جوابه ما المانع أن يكون من فعل العبد ولا يانزم التسلسل بان يكون من فعله على وجه لا يكون التارك ممكنا له حينئذ ولا يلزم من سلب الاختيار عنه في فعل المرجح سلبه عنه مطلقا من المانع أن يكون المرجح من فعل الله ولا يانزم الجبر فانكم ان

عنيتم بالجبر انه غير مختار للفعل ولا مریده لم يلزم الجبر بهذا الاعتبار لان الرب سبحانه جعل
المرجح اختيار العبد ومشيئته فاتى الجبر وان عنيتم بالجبر انه وجد لايجاد العبد لم يلزم الجبر أيضا
بهذا الاعتبار وان عنيتم انه يجب عند وجود المرحج وانه لا بد منه فيجن لا تنفي الجبر بهذا الاعتبار
وتسمية ذلك جبرا اصطلاح يختص بكم وهو اصطلاح فاسد فان فعل الرب سبحانه يجب عند وجود
مرجح التام ولا يكون ذلك جبرا بالنسبة اليه سبحانه ثم هذا لازم على من أثبت الكسب منكم
فنتقول له في الكسب ماقله في أصل الفعل سواء ومن لم يثبت الكسب لزمت ذلك في فعل الرب كما
تقدم فان قلتم الفرق ان صدور الفعل عن القادر موقوف على الارادة واردة العبد محدثة فافتقرت
الى محدث فان كان ذلك المحدث هو العبد لزم التسلسل فوجب انتهاء جميع الارادات الى ارادة
ضرورية بخلافها التي في القلب ابتداء ويلزم منه الجبر بخلاف ارادة الرب سبحانه فانها قديمة مستغنية
عن ارادة أخرى فلا تسلسل قيل لكم لا يجرى هذا عليكم في دفع الالتزام فان الارادة القديمة
اما ان يصح معها الفعل بدلا عن الترك وبالعكس أولا فان كان الاول فلا بد لاحد الطرفين من
مرجح والكلام في ذلك المرحج كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثاني لزم الجبر* قال
الجبري معتمد في الجبر على حرف لا خلاص لكم منه الا بالزام الجبر وهو ان العبد لو كان فاعلا
لفعله لكان محدثا له ولو كان محدثا له لكان خالقا له والشرع والعقل ينفيه قال تعالى يا أيها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاله الا هو فأنى
تؤفكون* قال السفي قد دل العقل والشرع والحس على ان العبد فاعل له وانه يستحق عليه الذم
واللعن كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى حمرا قد وسم في وجهه فقال ألم انه عن هذا
لعن الله من فعل هذا وقال تعالى (ولو طأ آتينا حكما وعلمنا ننجيها من القرية التي كانت تعمل
الجبائث) وقال (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وقال (ووفيت كل نفس ما عملت) وهذا في القرآن
أكثر من أن يذكر والحس شاهد به فلا تقبل شبهة تقام على خلافه ويكون حكم تلك الشبهة حكم
القدح في الضروريات فلا يلتفت اليه ولا يجب على العالم حل كل شبهة تعرض لكل أحد فان هذا
لا آخر له فقولكم لو كان فاعلا لفعله لكان محدثا له ان أردتم بكونه محدثا صدور الفعل منه اتحاد
اللازم والمزوم وصار حقيقة قولكم لو كان فاعلا لكان فاعلا وان أردتم بكونه محدثا كونه خالفا
سألناكم ما تمنون بكونه خالفا هل تمنون به كونه فاعلا أم تمنون به أمرا آخر فان أردتم الاول
كان اللازم فيه عين المازوم وان أردتم أمرا آخر غير كونه فاعلا فينبوه* فان قلتم نفي به كونه
موجدا للفعل من العدم الى الوجود* قيل هذا معنى كونه فاعلا فما الدليل على احالة هذا المعنى
فسموه ماشعق احدانا أو ايجادا أو خلقا فليس الشأن في التسميات وليس الممتع الآن ان يكون مستقلا
بالايجاد وهذا غير لازم لكونه فاعلا فاننا قد بينا ان غاية قدرة العبد وادارته وداعيه وحركته أن
تكون جزء سبب وما توقف عليه الفعل من الاسباب التي لا تدخل تحت قدرته أكثر من الجزء
الذهي اليه بأضاف مضاعفة والفعل لا يتم الا بها* فان قيل فهذا الجبر بعينه* قيل ذلك السبب الذي
أعنى به من القدرة والارادة هو الذي أخرجه من الجبر وأدخله في الاختيار وكون ذلك السبب
من خالقه وفاطره ومنشيه هو الذي أخرجه من الشرك والتعطيل وأدخله في باب التوحيد فالاول

أدخلة في باب العدل والذي أدخله في باب التوحيد ولم يكن ممن نقض التوحيد بالعدل ولا ممن نقض
العدل بالتوحيد فهو لا جنوا على التوحيد وهؤلاء جنوا على العدل وهدى الله أهل السنة للتوحيد
والعدل والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم


الباب العشرون

في ذكر مناظرة بين قدرى سني

قال القدرى قدأضاف الله الاعمال الى العباد بانواع الاضافة العامة والخاصة فاضافها اليهم بالاستطاعة
تارة كقوله (ومن لم يستطع منكم طولاً ان يشكح الحصينات المؤمنات) وبالمشيئة تارة كقوله ان شاء منكم
أن يستقيم وبالارادة تارة كقول الخضر فارتد ان أعياها وبالفعل والكسب والصنع كقوله يفعلون
يعملون بما كنتم تكسبون لبئس ما كانوا يصنعون وأما بالاضافة الخاصة فكأضافة الصلاة والصيام والحج
والظهار والزنا والسرقة والقتل والكذب والكفر والفسوق وسائر أفعالهم اليهم وهذه الاضافة
تمتّع اضافتها اليه كما ان اضافة أفعاله تعالى تمتّع اضافتها اليهم فلا يجوز اضافة أفعالهم اليه سبحانه دونهم
ولاليه معهم فهي اذا مضافة اليهم دونه قال السني هذا الكلام مشتمل على حق وباطل أما قولك انه
اضاف الافعال اليهم فحق لا ريب فيه وهذا حجة لك على خصومك من الجبرية وهم يجيبونك بان
هذا الاسناد لاحقيقة له وانما هو نسبة مجازية صحيحها قيام الافعال بهم كما يقال جرى الماء ويرد
وسخن ومات زيد ونحن نساعدك على بطلان هذا الجواب ومنافاته للعقول والشرائع والفطر
ولكن قولك هذا الاضافة تمتّع اضافتها اليه سبحانه كلام فيه اجمال وتليس فان أردت بمنع الاضافة
اليه منع قيامها به ووصفه بها وجران أحكامها عليه واشتقاق الاسماء منه له فتمع هي غير مضافة اليه
بشيء من هذه الاعتبار والوجوه وان أردت بعدم اضافتها اليه عدم اضافتها الى علمه بها وقدرته
عليها ومشيئته العامة وخلقه فهذا باطل فانها معلومة له سبحانه مقدورة له مخلوقة واضافتها اليهم لا تمتنع
هذه الاضافة كالاموال فانها مخلوقة له سبحانه وهي ملكه حقيقة قد أضافها اليهم فالاعمال والاموال
خلقه وملكه وهو سبحانه يضيفها الى عبيده وهو الذي جعلهم مالكيها وعاملها فصحت النسبة وان حصول
الاموال بكمهم وارادتهم كحصول الاعمال وهو الذي خلق الاموال وكاسبها والاعمال وعاملها
فاموالهم واعمالهم ملكه ويبدد كما ان اسماءهم وأبناؤهم وانفسهم ملكه ويده فهو الذي جعلهم
يسمعون ويبصرون ويعملون فاعطاهم حاسة السمع والبصر وقوة السمع والبصر وفعل الاسماع
والابصار واعطاهم آلة العمل وقوة العمل ونفس العمل فنسبة قوة العمل الى اليد والكلام الى
اللسان كنسبة قوة السمع الى الاذن والبصر الى العين ونسبة الرؤية والاسماع الى اختيارها الى محملها
كنسبة الكلام والبطش الى محملها وان كانوا هم الذين خلقوا لانفسهم الرؤية والسمع فهل خلقوا
محملها وقوى المحل والاسباب الكثيرة التي تصاحب معها الرؤية والسمع أم الكل خالق من هو خالق
كل شيء وهو الواحد القهار قال القدرى لو كان الله سبحانه هو الفاعل لافعالهم لاشتقت له منها
الاسماء وكان أولى باسمائها منهم اذ لا يعقل الناس على اختلاف لغاتهم وعاداتهم ودياناتهم قائماً الامن فعل
القيام وآكل الامن فعل الاكل وسارق الامن فعل السرقة وهكذا جميع الافعال لازمة ومتعديها

فقلبت أتم الامر وقلبت الحقائق فقلتم من فعل هذه الافعال حقيقة لا يشتق له منها اسم وانما يشتق منها الاسماء لمن لم يفعلها ولم يحدثها وهذا خلاف العقول واللغات وماتعارفه الامم قال السنى هذا انما يازم اخوانك وخصومك الجبرية القائلين بان العبد لم يفعل شيئا البتة وأما من قال العبد فاعل لفعله حقيقة والله خالقه وخالق آلات فعله الظاهرة والباطنة فانه انما يشتق الاسماء لمن فعل تلك الافعال فهو القائم والقاعد والمصلى والسارق والزاني حقيقة فان الفعل اذا قام بالفعل عاد حكمه اليه ولم يعد الى غيره واشتق له منه اسم ولم يشتق لمن لم يقم به فهنا أربعة أمور أمران معنويان في النفي والاثبات وأمران لفظيان فيما قلنا قام الاكل والشرب والزنا والسرقة بالعبد عادت أحكام هذه الافعال اليه واستنتج له منها الاسماء وامتنع عود أحكامها الى الرب واشتقاق أسماؤها له ولكن من أين يمنع هذا أن تكون معلومة للرب سبحانه مقدوره له . مكنونه له واقعة من العباد بقدرة ربه وتكوينه قال القدرى لو كان خالقا لها لزمته هذه الامور قال السنى هذا باطل ودعوى كاذبة فانه سبحانه لا يشتق له اسم مما خلقه في غيره ولا يعود حكمه عليه وانما يشتق الاسم لمن قام به ذلك فانه سبحانه خلق الألوان والطبوع والروائح والحركات في محالها ولم يشتق له منها اسم ولا عادت أحكامها اليه ومعنى عود الحكم الى الحل الاخبار عنه بانه يقوم ويقعد ويأكل ويشرب قال السنى ومن ههنا علم ضلال المعتزلة الذين يقولون ان القرآن مخلوقا خلقه الله في محل ثم اشتق له اسم المتكلم باعتبار خلقه له وعاد حكمه اليه فخير عنه انه تكلم به ومعلوم ان الله سبحانه خالق صفات الاجسام واعراضها وقواها فكيف جاز ان يشتق له اسم مما خلقه من الكلام في غيره ولم يشتق له اسم مما خلقه من الصفات والاعراض في غيره فانت أيها القدرى نقضت أصولك بعضها ببعض وأفسدت قولك في مسألة الكلام بقولك في مسألة القدر وقولك في القدر بقولك في الكلام فخلطته متكلمًا بكلام قائم بغيره وأبطلت أن يكون فاعل الفعل قائمًا بغيره فان كنت أصبت في مسألة الكلام فقد نقضت أصلك في القدر وان أصبت في هذا الاصل لزم خطأك في مسألة الكلام فانت مخطئ على التقديرين قال القدرى فاقول أنت في هذا المقام قال السنى لاتناقض في هذا ولا في هذا بل احسنه سبحانه بما قام به وامتنع من وصفه بما لم يقم قال القدرى فالآن حى الوطيس فانت والمسممون وسائر الخلق تسمونه تعالى خالقا ورازقا وميتا والخلق والرزق والموت قائم بالخلق والمرزوق والميت اذلو قام ذلك بالرب سبحانه فالخلق اما قديم واما حادث فان كان قديما لزم قدم الخلق لانه نسبة بين الخلق والخلق وازم من كونها قديمة قدم المصحح لها وان كان حادثا لزم قيام الحوادث به وافتر ذلك الخلق الى خلق آخر فلزم التسلسل فثبت ان الخلق غير قائم به سبحانه وقد اشتق له منه اسم قال السنى أى لازم من هذه الاوزام التزمه المرء كان خيرا من أن ينفي صفة الخالقية عن الرب سبحانه فان حقيقة هذا القول انه غير خلق فان أثبت خالقي بلا خلق أثبت اسم لامتني له وهو كاثبات سميع لاسمعه وبصر لابصر لهوميتكم وقادر لا كلام له ولا قدرة فتعطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتعطيله عن صفاته القائمة به والتعطيل انواع تعطيل المصنوع عن الصانع وهو تعطيل الدهرية والزنادقة وتعطيل الصانع عن صفات كماله واموت جلالة وهو تعطيل الجهمية نقاة الصفات وتعطيله عن أفعاله وهو أيضا تعطيل الجهمية وهم أثباته ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا لا يقوم بذاته فعل لان الفعل

حادث وليس محال للحوادث كما قال اخوانهم لا تقوم بذاته صفة لان الصفة عرض وليس محالا
 للاعراض فلو التزم الملتزم أى قول التزمه كان خيرا من تعطيل صفات الرب وأفعاله فالمشبهة ضالهم
 وبدعتهم خير من المعطلة ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات وان كان التعطيلان متلازمين
 لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج ومعطلة
 الافعال خير من معطلة الصفات فان هؤلاء نفوا صفة الفعل واخوانهم نفوا صفات الذات
 وأهل السمع والعقل وحزب الرسول والفرقة الناجية برآء من تعطيل هؤلاء كلهم فانهم
 أثبتوا الذات والصفات والافعال وحقائق الاسماء الحسنى اذ جعلها المعطلة مجازا لاحقيقه
 ففسر هذه الفرق لخيرها الفداء والمقصود انه أى قول لزمه الملتزم كان خيرا من نفي الحلق وتعطيل
 هذه الصفة عن الله واذا عرض على العقل السليم مفعول لا فاعل له ومفعول لا فاعل لفعله لم يجد
 بين الامرين فرقا في الاحالة فمفعول بلا فعل كمفعول بلا فاعل لا فرق بينهما البتة فليعرض العاقل
 على نفسه القول بتسلسل الحوادث والقول بقيام الافعال بذات الرب سبحانه والقول بوجود مخلوق
 حادث عن خلق قديم قائم بذات الرب سبحانه والقول بوجود مفعول بلا فعل ولينظر أى هذه
 الاقوال أبعد عن العقل والسمع وأقرب اليهما ونحن نذكر أجوبة الطوائف عن هذا السؤال
 فقالت طائفة يختار من هذا التقسيم والترديد كون الحلق والتكوين قديما قائما بذات الرب سبحانه ولا
 يلزمنا قدم المخلوق المكون كما نقول نحن وأنت ان الارادة قديمة ولا يلزم من قدمها قدم المراء وكل
 ما أجبت به في صورة الالتزام فهو جوابنا بعينه في مسألة المكون وهذا جواب سديد وهو جواب
 جمهور الحنفية والصوفية واتباع الائمة فان قائم انما لا يلزم من قدم الارادة قدم المراء لانها تتعلق
 بوجود المراء في وقته فهو يريد كون الشيء في ذلك الوقت واما تكوينه وخلقه قبل وجوده فمحال
 قيل لكم لسنا نقول انه كونه قبل وقت كونه بل التكوين القديم اقتضى كونه في وقته كما اقتضت
 الارادة القديمة كونه في وقته فان قائم كيف يعقل تكوين ولا مكون قيل كما عقلم ارادة ولا مراء
 فان قائم المريد قد يريد الشيء قبل كونه ولا يكونه قبل كونه قيل كلامنا في الارادة المستلزمة
 لوجوده في الارادة التي لا تستلزم المراء و ارادة الرب سبحانه ومشيئته تستلزم وجود مراده
 وكذلك التكوين يوضحه ان التكوين هو اجتماع القدرة والارادة وكلمة التكوين وذلك كله قديم
 ولم يلزم منه قدم المكون قالوا واذا عرضنا هذا على العقول السليمة وعرضنا عليها مفعولا بلا فعل
 بادرت الى قبول ذلك وانكار هذا فهذا جواب هؤلاء وقالت الكرامية بل نختار من هذا الترديد
 كون التكوين حادثا وقولكم يلزم من ذلك قيام الحوادث بذات الرب سبحانه فالتكوين هو فعله
 وهو قائم به وكانكم قائم يلزم من قيام فعله به قيامه به وسميت أفعاله جوارث وتوسلت بهذه التسمية
 الى تعطيلها كما سمى اخوانكم صفاته اعراضا وتوسلوا بهذه التسمية الى نفيها عنه وكما سموا علوه
 على مخلوقاته واستواءه على عرشه تحيزا وتوسلوا بهذه الى نفيه وكما سموا وجهه الاعلى وبديه جوارح
 وتوسلوا بذلك الى نفيها قالوا ونحن لا نشكر أفعال خالق السموات والارض وما بينهما وكلامه
 وتكليمه ونزوله الى السماء واستواءه على عرشه وبجيته يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده وندائه
 لانبيائه ورسله ولا نكته وفعله ماشاء بتسميتكم لهذا كله حوادث ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه

وب العالمين فانه لا يتقرر في العقول والفطر كونه ربا للعالمين الا بان يثبت له الافعال الاختيارية وذات
لا تتعمل ليست مستحقة للرؤية ولا للالهية فالاحلال من هذا الاحلال واجب والتزيه عن هذا
التزيه متعين فتزيه الرب سبحانه عن قيام الافعال به تزيه له عن الرؤية ومملكه قالوا ولنا على صحة
هذه المسألة أكثر من ألف دليل من القرآن والسنة والعقول وقد اعترف أفضل متأخريكم بفساد
شبهكم كلهم على انكار هذه وذكرها شبهة شبهة وأفسدها والتزم بها جميع الطوائف حتى الفلاسفة
الذين هم أبعد الطوائف من اثبات الصفات والافعال قالوا ولا يمكن اثبات حدوث العالم وكون الرب
خالقا ومتكلما وساعدا ومبصرا ومجيبا للصدوات ومديرا للمخلوقات وقادرا ومريدا الا القول بان
فعال وان أفعاله قائمة به فاذا بطل أن يكون له فعل وان تقوم بذاته الامور المتجددة بطل هذا كله
فصل  وقد أجاب عن هذا عبد العزيز بن يحيى الكنانى في حيسدته فقال في سؤاله
للعريسي بأى شيء حدثت الاشياء فقال له أحدثها الله بقدرته الى لم تزل فقلت له أحدثها بقدرته كما
ذكرت أو ليس تقول انه لم يزل قادرا قال بلى قلت فتقول انه لم يزل يفعل قال لأقول هذا قلت
فلا بد ان نلزمك أن تقول انه خالق بالفعل الذى كان بالقدرة لان القدرة صفة ثم قال عبد العزيز
لم أقل لم يزل الخالق يخلق ولم يزل الفاعل يفعل وانما الفعل صفة والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع
فأثبت عبد العزيز فعلا مقدورا لله هو صفة ليس من المخلوقات وانه خالق المخلوقات وهذا صريح
في ان مذهبه كمذهب السلف وأهل الحديث لان الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول كما حكاه
البعوى اجماعا لاهل السنة وقد صرح عبد العزيز ان فعله سبحانه القائم به وانه خالق به المخلوقات كما
صرح به البخارى في آخر صحيحه وفي كتاب خلق الافعال قال في صحيحه باب مجاء في تخليق
السموات والارض وغيرها من الخلق وفعل الرب وأمره فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره
وكلامه هو الخالق المكون غير مخلوق وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق
مكون فصرح امام السنة ان صفة التخليق هى فعل الرب وأمره وانه خالق بفعله وكلامه وجميع
جند الرسول وحزبه مع محمد بن اسماعيل في هذا القرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليه العقل
والفطرة قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) ثم أجاب
نفسه بقوله (بلى وهو الخالق العالم) فأخبر أنه قادر على نفس فعله وهو أن يخلق بنفسه أن يخلق
فعل له وهو قادر عليه ومن يقول لا فعل له وان الفعل هو عين المفعول يقول لا يقدر على فعل
يتوهم به البتة بل لا يقدر الا على المفعول المبين له الحادث بغير فعل منه سبحانه وهذا أبلغ في الاحالة
من حدونه بغير قدرة بل هو في الاحالة كحدونه بغير فاعل فان المفعول يدل على قدرة الفاعل
باللزوم العقلى ويدل على فعله الذى وجد به بالنعمة فاذا سابت دلالاته التضمنية كان سلب دلالاته
اللزومية أسهل ودلالة المفعول على فاعله وفعله دلالة واحدة وهى أظهر بكثير من دلالاته على قدرته
وارادته وذكر قدرة الرب سبحانه على أفعاله وتكوينه في القرآن كثير كقوله قل هو القادر على
أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم وأن يبعث نفس فعله والعذاب هو مفعوله المبين له وكذلك
قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فاحياء الموتى نفس فعله وحياتهم مفعوله المبين له
وكلاهما مقدور له وقال تعالى (بلى قادرين على أن نسوى بنانه) فتسوية البنان فعله واستواؤها

مفعوله ومنكرو الافعال يقولون ان الرب سبحانه يقدر على المفعولات المبانية له ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لا لازم ولا متعدواهل السنة يقولون الرب سبحانه يقدر على هذا وعلى هذا وهو سبحانه له الخلق والامر فالجهمية أنكرت خلقه وأمره وقالوا خلقه نفس مخلوقة وأمره مخلوق من مخلوقاته فلا خلق ولا أمر ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل فقد أثبت الأمر دون الخلق ولم يقل أحد بقيام أفعاله به ونفى صفة الكلام عنه فثبت الأمر دون الخلق وأهل السنة يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه من الخلق والامر فالخلق فعله والامر قوله وهو سبحانه يقول ويفعل وأجابت طائفة أخرى من أهل السنة والحديث عن هذا بالتزام التسلسل وقالوا ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي دوام قاعدية الرب سبحانه وتعاقب أفعاله شيئا قبل شيء الى غير غاية كما تعاقب شيئا بعد شيء الى غير غاية فلم تزل أفعالا قالوا والفعل صفة كمال ومن يفعل أكمل ممن لا يفعل قالوا ولا يقتضى صريح العقل الا هذا ومن زعم ان الفعل كان متمتا عليه سبحانه في مدد غير مقدرة لانهاية لها ولا يقدر أن يفعل ثم انقلب الفعل من الاستحالة الذاتية الى الامكان الذاتي من غير حدوث سبب ولا تغير في الفاعل فقد نادى على عقله بين الانام قالوا واذا كان هذا في العقول جاز أن ينقلب العالم من العدم الى الوجود من غير فاعل وان امتنع هذا في بداية العقول فكذلك نجد امكان الفعل وانقلابه من الامتناع الذاتي الى الامكان الذاتي بلا سبب واما أن يكون هذا ممكنا وذلك متمتا فليس في العقول ما يقتضى بذلك قالوا والتسلسل لفظ مجمل لم يرد بنفيه ولا اثباته كتاب ناطق ولا سنة متبعة فيجب مراعاة لفظه وهو ينقسم الى واجب وممتنع ويمكن كالتسلسل في المؤثر محال متمتع لذاته وهو أن يكون مؤثرين كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لالى غاية والتسلسل الواجب مادل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الابد وانه كلما انقضى لاهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لانقضاءه وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرق الازل وان كل فعل مسبوق بفعل آخر فهذا واجب في كلامه فانه لم يزل متمكنا اذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته فان كل حي فعال والفرق بين الحي والميت بالفعل ولهذا قال غير واحد من السلف الحي الفعال * وقال عثمان بن سعيد كل حي فعال ولم يكن ربنا سبحانه قط في وقت من الاوقات الحقيقة أو المقدرة معطلا عن كماله من الكلام والارادة الفعل واما التسلسل الممكن فالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف كما يتسلسل في طرف الابد فانه اذا لم يزل حيا قادرا مريدا متمكنا وذلك من لوازم ذاته فالفعل ممكن له بوجود هذه الصفات له وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل ولا يازم من هذا انه لم يزل الخالق معه فانه سبحانه مقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدم لأول له فلكل مخلوق أول والخالق سبحانه لأول له فهو وحده الخالق وكل ماسواه مخلوق كائن بعد أن لم يكن قالوا بكل قول سوى هذا فصرح العقل يردده ويقتضى بطلانه وكل من اعترف بان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل لزمه أحد الامرين لا بدله منهما اما أن يقول بان الفعل لم يزل ممكنا واما أن يقول لم يزل واقعا والا تناقض تناقضا بينا حيث زعم ان الرب سبحانه لم يزل قادرا على الفعل والفعل محال متمتع لذاته لو اراده لم يمكن وجوده بل فرض ارادته عنده محال وهو مقدور له وهذا قول ينقض بعضه بعضا وأجابت طائفة أخرى الجواب المركب على جميع التقادير فقالوا

تسلسل الآثار اما أن يكون ممكنا أو ممثما فان كان ممكنا فلا محذور في التزامه وان كان ممثما لم يلزم من بطلانه بطلان الفعل الذى لا يكون المخلوق الا به فاننا نعم أن المفعول المنفصل لا يكون الا بفعل والمخلوق لا يكون الا بخلق قبل العلم بمجواز التسلسل وبطلانه * ولهذا كثير من الطوائف يقولون الخلق غير المخلوق والفعل غير المفعول مع قولهم بطلان التسلسل مثل كثير من اتباع الائمة الاربعة وكثير من أهل الحديث والصوفية والمتكلمين ثم من هؤلاء من يقول الخلق الذى هو التكوين صفة كالارادة ومنهم من يقول بل هي حادثة بعد ان لم تكن كالكلام والارادة وهي قائمة به سبحانه وهم الكرامية ومن وافقهم أثبتوا حدوثها وقيامها بذاته وأبطلوا دوامها فرارا من القول بحوادث لأول لها وكلا الفريقين لا يقولان ذلك التكوين والخلق مخلوق بل يقولان المخلوق وجد به كما وجد بالقدرة قالوا فاذا كان القول بالتسلسل لازما لكل من قال ان الرب تعالى لم يزل قادرا على الخلق يمكن أن يفعل بلا مانع فهو لازم لك كما ألزمته لخصومك فلا ينفردون بحجابه دونك واما ما ألزموك به من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خالق فهو لازم لك وحدك قالوا ونحن انما قلنا الفعل صفة قائمة به سبحانه وهو قادر عليه لا يمتنع منه مانع والفعل القائم به ليس هو المخلوق المنفصل عنه فلا يلزم أن يكون معه مخلوق في الازل الا اذا ثبت ان الفعل اللازم يستلزم الفعل المتعدى وان المتعدى يستلزم دوام نوع المفعولات ودوام نوعها يستلزم أن يكون معه سبحانه في الازل شئ منها وهذه الامور لا سبيل لك ولا يغيرك الى الاستدلال على ثبوتها كلها وحيثئذ فقول أى لازم لزم من اثبات فعله كان القول به خيرا من نفي الفعل وتعطيله فان ثبت قيام فعله به من غير قيام الحوادث به كما بقوله كثير من الناس بطل قولكم وان لزم من اثبات فعله قيام الامور الاختيارية به والقول بانها مفتوحة ولها أول فهو خير من قولكم كما نقوله الكرامية وان لزم تسلسلها وعدم أوليتها في الافعال اللازمة فهو خير من قولكم وان لزم تسلسل الآثار وكونه سبحانه لم يزل خالقا كما دل عليه النص والعقل فهو خير من قولكم ولو قدر انه يلزم ان الخلق لم يزل مع الله قديما بقدمه كان خيرا من قولكم مع ان هذا لا يلزم ولم يقل به أحد من أهل الاسلام بل ولا أهل الملل فكلمهم متفقون على ان الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق موجود بعد عدمه وليس معه غيره من المخلوقات يكون وجوده مساويا لوجوده فالزم بعد هذا من اثبات خلقه وأمره وصفات كماله ونعوت جلاله وكونه رب العالمين وأن كماله المقدس من لوازم ذاته قائمه فائولون وله ملتزمون كما أنا ملتزمون لكل ما لزم من كونه حيا عالما قديرا سميعا بصيرا متكلما آمرا ناهيا فوق عرشه بائن من خلقه يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا في الجنة وفي عرصات القيامة ويكلمهم ويكلمونه فان هذا حق ولازم الحق مثله وما لم يلزم من اثبات ذلك من الباطل الذى تتخيله خفافيش العقول فتحن له منكرون وعن القول به عادلون وبالله التوفيق * قال القدرى كون العبد موحدا لافعاله وهو الفاعل لها من أجلى الضروريات والبدهييات فان كل عاقل يعلم من نفسه انه فاعل لما يصدر منه من الافعال الواقعة على وفق قصده وداعيته بخلاف حركة المرتش والجروور على وجهه وهذا لا يمارى فيه العاقل ولا يقبل التشكيك والقدح في ذلك والاستدلال على خلافه استدلال على بطلان ما علمت صحته بالضرورة فلا يكون مقبولا * قال السنى قد اجابك خصومك من الجبرية عن هذا بان العاقل يعلم من نفسه وقوع الفعل مقارنا لقدرة

ولا ينفك من نفسه انه واقع بقدرته وانفرد بين الاسرين ظاهر ولو كان وقوعه بقدرته هو المعلوم بالضرورة ما خلف فيه جمع عظيم من العقلاء يستحيل عليهم الاتباع على جحد الضروريات وهذا الجواب مما لا يشفي عيالا ولا يروى غالبا وهو عبارات لاحصل تحتها فان كل عاقل يجد من نفسه وقوع الفعل بقدرته وارادته وداعيته فان ذلك هو المؤثر في الفعل ويجحد تفرقة ضرورة بين مقارنة القدرة والداعية للفعل ومقارنة طول له ولونه وشمه وغير ذلك من صفاته للفعل ونسبة ذلك كله عند الجبري الى الفعل نسبة واحدة والله سبحانه أجرى العادة بخاق الفعل عند القدرة والداعية لاهما وانما اقترن الداعي والقدرة بالفعل اقترانا مجردا ومعلوم ان هذا قدح في الضروريات ولا ريب ان من نظر الى تصرفات العقلاء ومعاملاتهم مع بعضهم بعضا وجدهم يطالبون الفعل من غيرهم طاب عالم بالاضطرار ان المطلوب منه الفعل هو المحصل له الواقع بقدرته وارادته ولذلك يتلطفون لوقوع الفعل منه بكل لطيفة ويحاولون عليه بكل حيلة فيعطونه تارة ويحرفونه تارة ويخوفونه تارة ويتوصلون الى اخراج الفعل منه بأنواع الرغبة والرغبة ويقولون قد فعل فلان كذا فإلا لك لاتفعل كما فعل وهذا أمر مشاهد بالحس والضرورة فالعقلاء ساكنو الانفس الى ان الفعل من العبد يقع وبه يحصل ولو حرك أحدهم أصبعه فشتمت الحرك لها غضب وشمك وقال كيف تشتمني ولم يقل لم تشتم ربي وهذا أوضح من أن يضرب له الامثال أو يبسط فيه المقال وما يمرض في ذلك من الشبه جار مجرى السفسطة وقد فطر الله العقلاء على ذم فاعل الاساءة ومدح فاعل الاحسان وهذا يدل على انهم مفسطرون على العلم بأنه فاعل لان الذم فرع عليه ويستحيل أن يكون الفزع معلوما باضطرار والاصل ليس كذلك والعقلاء قاطبة يعلمون ان الكاتب مثلا يكتب اذا أراد ويمسك اذا أراد وكذلك الباني والصانع وانه اذا عجزت قدرته أو عذمت ارادته بطل فعله فان عادت اليه القدرة والارادة عاد الفعل وقولك لو كان ذلك أمرا ضروريا لاشتراك العقلاء فيه جوابك انه لا يجب الاشتراك في الضروريات فكثير من العقلاء يخالفون كثيرا من الضروريات لدخول شبهة عليهم ولا سيما اذا تناطوا عليها وتناقلوها كخالفه الفلاسفة في الالهيات يسيرون من الضروريات وهم جمع كثير من العقلاء وهؤلاء النصارى يقولون ما يعلم فساد ضرورة العقل وهم يناظرون عليه وينصرون وهؤلاء الرافضة يزعمون أن أبا بكر وعمر لم يؤمنا بالله ورسوله طرفة عين ولم يزايا عدوين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مترصدين لقتله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عليا على رؤس جميع الصحابة وهم ينظرون اليه جبهة وقال هذا وصي وولي العهد من بعدى فكذلك له تسمعون وأطيعوا على كتمان هذا النص وعصيانا وهؤلاء الجهمية ومن قال بقولهم يقولون ما يخالف صريح العقل من وجود مفعول بلا فعل ومخلوق بلا خالق وهؤلاء الفلاسفة وهم المدلون بمقولههم يثبتون ذواتا قائمة بأنفسهم خارج الذهن ليست في العالم ولا خارجة عن العالم ولا متصلة به ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محتاجة وهو ما يعلم بصريح العقل فسادا وهؤلاء طائفة الاتحادية تزعم أن الله هو هذا الوجود وان التعدد والتكثير فيه وهم مخض وهؤلاء منكرو الاسباب يزعمون أنه لا حرارة في النار تحرق بها ولا رطوبة في الماء يروى بها وليس في الاجسام أصلا لا قوى ولا طبائع ولا في العالم شيء يكون سببا لشيء آخر البتة وان لم تكن هذه الامور ججدا بالضروريات فليس في العالم من ججد الضروريات وان كانت ججدا

للضروريات بطل قولكم ان جمعا من العقلاء لا يتفقون على ذلك والاقوال التي يجحد بها المكابون
الضروريات أضعاف أضعاف ما ذكرناه فهم أجحد الناس لما يعلم بضرورة العقل وكيف يصح في عقل
سليم سميع السمع له بصير لا بصير له حتى لا حياة له أم كيف يصح عند ذى عقل مرئى يرى بالابصار
عيانا لا فوق الرأى ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا عن يساره ولا خلفه ولا امامه أم كيف
يصح عند ذى عقل اثبات كلام قديم أزلى لو كان البحر يمدد من بعده سبعة أبحر وجميع أشجار
الارض على اختلافها وكبرها وصغرها أقلام يكتب به انتفدت البحار وفيت الأقلام ولم يبق ذلك
الكلام ومع هذا فهو معنى واحد لا جزء له ولا ينقسم وهو والنهى فيه عين الامر والنفى فيه عين
الاثبات والخبر فيه عين الاستخبار والتوراة فيه عين الانجيل وعين القرآن وذلك كله أمر واحدنا
يختلف بمسمياته ونسبه وقد أطبق على هذا جمع عظيم من العقلاء وكفروا من خالفهم فيه واستحلوا
منهم ما حرمه الله وهؤلاء الجهمية يقولون ان نامل صانعا قائما بذاته ليس في العالم ولا هو خرج العالم
ولا فوق العالم ولا تحته ولا خلفه ولا امامه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا هو مبين له ولا مخبر
له فوصفوا واجب الوجود بصفة تمتع الوجود وكفروا من خالفهم في ذلك واستحلوا دمه وقالوا
ما يعلم فساد بصريح العقل ولو ذهبنا نذكر ما جحد فيه أكثر الطوائف الضروريات لطال الكتاب
جدا وهؤلاء النصارى قد طبقت شرق الارض وغربها وهم من أعظم الناس جحدا للضروريات
وهؤلاء الفلاسفة هم أهل المعقولات وهم من أكثر الناس جحدا للضروريات فاتفق طائفة من
الطوائف على المقالة لا يدل على مخالفتها لصريح العقل وبالله التوفيق

فصل في مناقشة قدرى قال الله سبحانه (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة
فمن نفسك) وعند الجبري ان الكل فعل الله وليس من العبد شيء * قال الجبري في الكلام استفهام
مقدر تقديره أفمن نفسك فهو أنكار لا إثبات وقرأها بعضهم فمن نفسك بفتح الميم ورفع نفسك أى
من أنت حتى تغفلها قال ولا بد من تأويل الآية والنافض قوله في الآية التي قبلها (وان تصبهم
حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله) فآخبر
ان الحسنات والسيئات جميعا من عنده لامن عند العبد * قال السنى أخطأنا جميعا في فهم الآية
أقبح الخطأ ومنشأ غلطكما ان الحسنات والسيئات في الآية المراد بها الطاعات والمعاصي التي هي
فعل العبد الاختيارى وهذا وهم محض في الآية وانما المراد بها النعم والمصائب ونلفظ الحسنات
والسيئات في كتاب الله يراد به هذا تارة وهذا تارة فتقوله تعالى (ان تمسككم حسنة تسوءهم وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها) وقوله (ان تصيبك حسنة تسوءهم وان تصيبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا
من قبل) وقوله (ولولا نعم الحسنات والسيئات) وقوله (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الاسان
كفور) وقوله (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطغوا بموسى ومن معه) وقوله
(ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) المراد في هذا كله النعم والمصائب
وأما قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثما) وقوله (ان الحسنات
يذهبن السيئات) وقوله (فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) والمراد به في هذا كله الاعمال المأمور
بها والمنهى عنها وهو سبحانه انما قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت وما كسبت فما فعله العبد يقال فيه

مأصبت وكسبت وعملت كقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) وكقوله (من يعمل سوءاً يجز به ومن كسب خطيئة أو أثماً) وقول المذنب التائب يا رسول الله أصبت ذنباً فأقم على كتاب الله ولا يقال في هذا أصابك ذنب وأصابتك سيئة وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه أصابك كقوله (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقوله (وان تصبكم مصيبة يقولوا قد أخذنا أمراً من قبل) وقوله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها) جُمع الله في الآية بين مأصباوا بفعلهم وكسبهم وما أصابهم مما ليس فعلا لهم وقوله (ونحن نترص بكم أن يصيبكم الله بمذاب من عنده) وقوله (ولا يزال الذين كفروا نصيبهم بما صنوا قارعة) وقوله (فأصابتكم مصيبة الموت) فقوله (مأصابك من حسنة) هو من هذا القسم الذى يصيبه العبد لا باختياره وهذا اجماع من السلف في تفسير هذه الآية * قال أبو العالية وان تصبكم حسنة هذا في السراء وان تصبهم سيئة هذا في الضراء * قال السدى الحسنة الحطب تنتج مواشيم وانما هم ويحسن حالهم قتل نساؤهم الغلمان قالوا هذا من عند الله وان تصبهم سيئة قال الضر في أموالهم تشاءموا بمحمد وقالوا هذه من عنده قالوا بتركنا ديننا واتباعنا محمداً أصابنا مأصبا فأنزل الله سبحانه ردا عليهم قل كل من عند الله الحسنة والسيئة وقال الواجبى عن ابن عباس مأصابك من حسنة فمن الله قال مافع الله عليك يوم بدر وقال أيضا هو الغنمة والفتح والسيئة مأصابه يوم أحد شج في وجهه وكسرت رابعته وقال اما الحسنة فانعم الله بها عليك وأما السيئة فابتلاك بها وقال أيضا مأصابك من نكبة فذنبك وأنا قدرت ذلك عليك ذكر ذلك كله ابن أبى حاتم وفي تفسير أبى صالح عن ابن عباس ان تصبك حسنة الحطب وان تصبك سيئة الجذب والبلاء وقال ابن قتيبة في هذه الآية الحسنة النعمة والسيئة البلية فان قيل فقد حكى أبو الفرج بن الجوزى عن أبى العالية انه فسر الحسنة والسيئة في هذه الآية بالطاعة والمعصية وهو من أعلم التابعين فالجواب انه لم يذكر بذلك اسنادا ولا نعلم صحته عن أبى العالية وقد ذكر ابن أبى حاتم باسناده عن أبى العالية ما تقدم حكايته ان ذلك في السراء والضراء وهذا هو المعروف عن أبى العالية ولم يذكر ابن أبى حاتم عنه غيره وهو الذى حكاه ابن قتيبة عنه وقد يقال ان المعنيين جميعا مرادان باعتبار ان ما يوفقه الله من الطاعات فهو نعمة في حقه أصابته من الله كما قال وما بكم من نعمة فمن الله فهذا يدخل فيه نعم الدين والدنيا وما يقع منه من المعصية فهو مصيبة أصابته من الله وان كان سببها منه والذى يوضح ذلك ان الله سبحانه اذا جعل السيئة هى الجزاء على المعصية من نفس العبد بقوله ومأصابك من سيئة فمن نفسك فالعمل الذى أوجب الجزاء أولى أن يكون من نفسه فلا منافاة بين أن تكون سيئة العمل من نفسه وسيئة الجزاء من نفسه ولا ينافي ذلك ان يكون الجزاء من الله قضاء وقدرًا ولكن هو من الله عدل وحكمة ومصاحبة وحسن ومن العبد سيئة وقبيح وقد روى عن ابن عباس انه كان يقرأها وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا قدرتها عليك وهذه القراءة زيادة بيان والا فقل دل قوله قبل ذلك قل كل من عند الله على القضاء السابق والقدر التاخذ والمعاصى قد تكون بعضها عقوبة بعض فيكون لله على المعصية عقوبتان عقوبة بمعصية تتولد منها وتكون الاولى سببا فيها وعقوبة بمؤلم يكون جزاءها كما في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة

ولا يزال الرجل يصدق ويحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهذى إلى الفجور والفجور يهذى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه أن الحسن الثانية قد تكون من ثواب الحسنة الأولى وإن المعصية قد تكون عقوبة للمعصية الأولى فالأولى كقوله تعالى ولولائهم ما يعظونكم لكان خيرا لهم وأشد تبيناً وإذا آتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) وأما قوله (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يصل أعمالهم سيدهم ويصلح بالهم) فيحتمل أن لا يكون من هذا وتكون الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة فإنه رتب هذا الجزاء على قتلهم ويحتمل أن يكون منه ويكون قوله سيدهم ويصلح بالهم اخباراً منه سبحانه عما يفعله بهؤلاء الذين قتلوا في سبيله قبل أن قتلوا وأتى به بصيغة المستقبل اعلاماً منه بأنه يجدد له كل وقت نوعاً من أنواع الهداية واصلاح البال شيئاً بعد شيء فإن قلت فكيف يكون ذلك المستقبل خبراً عن الذين قتلوا قلت الخبر قوله فإن يصل أعمالهم أى أنه لا يبطلها عليهم ولا يترهم إياها هذا بعد أن قتلوا ثم أخبر سبحانه خبراً مستأنفاً عنهم أنه سيهديهم ويصلح بالهم لما علم أنهم سيقتلون في سبيله وأنهم بذلوا أنفسهم له فلم جزأ أن جزاء في الدنيا بالهداية على الجهاد وجزء في الآخرة بدخول الجنة فيرد السامع كل جملة إلى وقتها لظهور المعنى وعدم التباسه وهو في القرآن كثير والله أعلم وقال تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) وقال (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي الحسنين) وقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) وقال (وان تطيعوه تهتدوا) وقال (ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذى أحسن) فضمن التمام معنى الانعام فعاده على أى انعاماً منا على الذى أحسن وهذا جزاء على الطاعات بالطاعات وأما الجزاء بالمعاصى على المعاصى فكقوله (فلما زاغوا أنراغ الله قلوبهم) وقوله (ولأنكرونا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وقوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اتعسا استزلم الشيطان ببعض ما كسبوا) وقوله (وقالوا قلونا غاف بل لعنهم الله بكفرهم فقل قليلاً ما يؤمنون) وقوله (ويوم نحسب انك كنت منهم) فلم تغن عنكم شيئاً وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) وهو كثير في القرآن وعلى هذا فيكون النوعان من السيئات أعنى المصائب والمعايب من نفس الإنسان وكلاهما بقدر الله فشر النفس هو الذى أوجب هذا وهذا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته المعروفة ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فشر النفس نوعان صفة وعمل والعمل ينشأ عن الصفة والصفة تتأكد وتقوى بالعمل فكل منهما يمد الآخر وسيئات الاعمال نوعان قد فسرهما الحديث أحدهما مساوياً وقبائحها فتكون الاضافة فيه من النوع إلى جنسه وهى اضافة بمعنى من أى السيئات من أعمالنا والثانى أنها مايسوء العامل مما يعود عليه من عقوبة عمله فيكون من اضافة المسبب إلى سببه وتكون الاضافة على معنى اللام وقد يرجح الاول بأنه يكون قد استعاذ من الصفة والعمل الناشئ عنها وذلك يتضمن الاستعاذة من 'جزاء السي'

المرتّب على ذلك قضيت الاستعاذة ثلاثة أمور الاستعاذة من العذاب ومن سببه الذى هو العمل ومن سبب العمل الذى هو الصفة وقد يرجح الثانى ان شر النفس بعم النوعين كما تقدم فسيئات الاعمال ما يسوء من جزائها وبه بقوله سيئات أعمالنا على ان الذى يسوء من الجزاء أعمالها وبسبب الاعمال الارادية لامن الصفات التى ليست من أعمالنا ولما كانت تلك الصفة شرا استعاذ منها وأدخلها في شر النفس وقال الصديق رضى الله تعالى عنه لنبى صلى الله عليه وسلم علمنى دعاء ادعوه فى صلاتى قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليك أشهد أن لا إله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسى سوءا أو أوجره الى مسلم قاله اذا أصبحت واذا أمسيت واذا أخذت مضجعك* ولما كان الشر له مصدر يتدى منه وغاية يتهى إليها وكان مصدرها امان نفس الانسان وإما من الشيطان وغايته ان يعود على صاحبه أو على أخيه المسلم تضمن الدعاء هذه المراتب الاربعة باوجز لفظ وأوضحه وأبينه

فصل قال السفى فليس لك أيها القدرى أن تحتج بالآية التى نحن فيها لمذهبك لوجوه أحدها انك تقول فعل العبد حسنة كان أوسيته هو منه لامن الله بل الله سبحانه قد أعطى كل واحد من الاستطاعة ما يفعل به الحسنات والسيئات ولكن هذا احدث من عند نفسه ارادة فعل بها الحسنات وهذا احدث ارادة فعل بها السيئات وليست واحدة من الارادتين من احدث الرب سبحانه البتة ولا أوجبتها مشيئته والآية قد فرقت بين الحسنة والسيئة وأتم لاتفرقون بينهما فان الله عندهم لم يشاء هذا ولا هذا قال القدرى اضافة السيئة الى نفس العبد لكونه هو الذى أحدثها وأوجدتها وأضاف الحسنة اليه سبحانه لكونه هو الذى أمر بها وشرعها قال السفى الله سبحانه أضاف الى العبد ما أصابه من سيئة وأضاف الى نفسه ما أصاب العبد من حسنة ومعلوم ان الذى أصاب العبد هو الذى قام به الامر لم يقم بالعبد وإنما قام به المأمور وهو الذى أصابه فالذى أصابه لاتصح اضافته الى الرب عندهم والمضاف الى الرب لم يقم بالعبد فعلم ان الذى أصابه من هذا وهذا أمر قائمه فلو كان المراد به الافعال الاختيارية من الطاعات والمعاصى لاستوت الاضافة ولم يصح الفرق وان افترقا فى كون أحدهما مأمور به والآخر منها عنه على ان التهى أيضا من الله كما ان الامر منه فلو كانت الاضافة لاجل الامر لاستوى المأمور والمنهى فى الاضافة لان هذا مطلوب إيجاد وهذا مطلوب اعدامه قال القدرى أنا أجوز تعالى الطاعة والمعصية بمشيئة الرب سبحانه واحداً على وجه الجزاء لاعلى سبيل الابتداء وذلك ان الله سبحانه يعاقب عبده بما شاء ويثيبه فكما يعاقبه بخلق الجزاء الذى يسوءه وخلق الثواب الذى يسره ولذلك يحسن أن يعاقبه بخلق المعصية وخلق الطاعة فان هذا يكون عدلاً منه وأما ان يخاق فيه الكفر والمعصية ابتداء بلا سبب فعاد الله من ذلك قال السفى هذا توسط حسن جداً لا يابأه العقل ولا الشرع ولكن من ابتداء الاول وليس هو عندك مقدورا لله ولا واقعا بمشيئته فقد أثبت في ملكه ما لا يقدر عليه وادخلت فيه ما لا يشاء وتقضت أصلاك كله فانك أصلت ان فعل العبد الاختيارى قدرة العبد عليه واختياره له ومشيئته تنفع قدرة الرب عليه ومشيئته له وهذا الاصل لا فرق فيه بين الابتدائى والجزائى قال القدرى فالقرآن قد فرق بين النوعين وجعل الكفر والفسوق الثانى جزءا على الاول فعلم ان الاول من العبد قطعاً والالم يستقيم

جعل أحدهما عقوبة على الآخر وقد صرح بذلك في قوله (فبا نقضهم ميثاقهم لجناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فاضاف نقض الميثاق اليهم ونقسية القلوب اليه فالاول سبب منهم والثاني جزاء منه سبحانه قال تعالى (ونقلب أقدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فاضاف عدم الايمان أولا اليهم اذ هو السبب وتقلب القلوب وتركهم في طغيانهم هو الجزاء ومثله قوله (فلما زاغوا أزرار الله قلوبهم) والآيات التي سمعتموها آنفا انما تبدل على هذا قال السنى نعم هذا حق لكن ليس فيه اخراج السبب عن كونه مقدورا للرب سبحانه واقعا بمشيئته ولو شاء لحال بين العبد وبينه ووقفه لضده فهي البقية التي بقيت عليك من القدر كما ان انكار اثبات الاسباب واقتضاها لمسبباتها وترتبها عليها هي البقية التي بقيت على الجبرى في المسئلة أيضا وكلاهما مصيب من وجه مخطئ من وجه ولو خلاص كل منهما من البقية التي بقيت عليه لوجدتما روح الوفاق واصطالحا على الحق والله التوفيق قال القدرى فما تقول انت أيها السنى في العقل الاول اذا لم يكن جزاء فما وجهه وانت ممن يقول بالحكمة والتعليل ونزه الرب سبحانه عن الظلم الذى هو ظلم لا ما يقوله الجبرى انه الجمع بين النقيضين قال السنى لا يلزمى في هذا المقام بيان ذلك فاني لم أنصبه لانا انصبت لابطال احتجاجك بالآية لمذهبك الباطل وقد وفيت به والله في ذلك حكم وغايات محمودة لا تبلغها عقول العقلاء ومباحث الاذكياء قاله سبحانه انما يضع فضله وتوفيقه وامداداه في المحل الذى يصلح له وما لا يصلح له من المحال يدعه غفلا فارغا من الهدى والتوفيق فيجبرى مع طبعه الذى خلق عليه ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ولو أسهمهم لتولوا وهم معرضون قال القدرى فاذا كان الله سبحانه قد أحدث فيهم تلك الارادة والمشيئة المستلزمة لوجود الفعل كان ذلك ايجادا منه سبحانه لذلك فيهم كما أوجد الهدى والايمان في أهله قال السنى هذا معترك النزال وتفرق طرق العالم والله سبحانه أعطى العبد مشيئة وقدرة وارادة تصلح لهذا ولهذا ثم أمداهل الفضل بأمور وجودية زائدة على ذلك المشترك أو جوبله الهداية والايمان وأمست ذلك الامداد عن علم انه لا يصلح له ولا يليق به فانصرفت قوى ارادته ومشيئته الى ضده اختيارا منه ومحبة لا كرها واضطرارا قال القدرى فهل كان يمكنه ارادة ما لم يمن عليه ولم يوفق له بامداد زائد على خالق الارادة قال السنى ان أردت بالامكان انه يمكنه فعله لو اراده ففعم هو ممكن بهذا الاعتبار مقدور له وان أردت به انه ممكن وقوعه بدون مشيئة الرب واذنه فليس يمكن فانه ماشاء الله كان ووجب وجوده وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده قال القدرى فقد سلمت حينئذ انه غير ممكن للعبد اذا لم يشأ الله منه ان يفعله فصار غير مقدور للعبد فقد عوقب على ترك ما لا يقدر على فعله قال السنى عدم ارادة الله سبحانه للعبد ومشيئته ان يفعل لا يوجب كون الفعل غير مقدور له فانه سبحانه لا يريد من نفسه ان يعينه عليه مع كونه اقدره عليه ولا يلزم من اقداره عليه وقوعه حتى توجد منه اعانة أخرى فانتفاء تلك الاعانة لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا للعبد فانه قد يكون قادرا على الفعل لكن يتركه كسلا وتهاونا وايتارا لفعل ضده فلا يصرف الله عنه ترك الواقع ولا يوجب عدم صرفه كونه عاجزا عن الفعل فان الله سبحانه يعلم انه قادر عليه بالقدرة التي أقدره بها ويعلم انه لا يريد مع كونه قادرا عليه فهو سبحانه مريد له ومنه الفعل ولا يريد من نفسه اعانته وتوفيقه وقطع هذه الاعانة والتوفيق لا يخرج الفعل عن كونه مقدورا له وان جعلته غير مراد وسر

المسئلة الفرق بين تعاق الارادة بفعل العبد وتعاقها بفعله هو سبحانه بعده فمن لم يحط معرفة بهذا الفرق لم يكشف له حجاب المسئلة قال الجبرى اما ان تقول ان الله علم ان العبد لا يفعل أولم يعلم ذلك واتانى محال واذا كان قد علم انه لا يفعله صار الفعل متمعا قطعاً اذ لو فعله لانقلب العلم القديم جهلاً قال السنى هذه حجة باطلة من وجوه أحدها ان هذا بعينه يقال فيما علم الله انه لا يفعله وهو مقدوره فانه لا ينفع البتة مع كونه مقدوره لما كان جوابك عن ذلك فهو جوابنا لك وثانها ان الله سبحانه يعلم الامور على ما هي عليه فهو يعلم انه لا يفعله لعدم ارادته له لا لعدم قدرته عليه وثالثها ان العلم كاشف لا موجب وانما الموجب مشيئة الرب والعلم يكشف حقائق المعلومات * عدنا الى الكلام على الآية التى احتج بها القدرى وبيان انه لا حاجة فيها من ثلاثة أوجه أحدها انه قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت الثانى ان المراد بالحسنة والسيئة النعمة والمصيبة الثالث انه قال (قل كل من عند الله) فالانسان هو فاعل السيئات ويستحق عليها العقاب والله هو النعم عليه بالحسنات وعملا وجزاء العادل فيه بالسيئات قضاء وجزاء ولو كان العمل الصالح من نفس العبد كما كان السيء من نفسه لكان الامر ان كلاهما من نفسه والله سبحانه قد فرق بين النوعين وفي الحديث الصحيح الالهى يا عبادى انما هي اعمالكم احصيا لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

فصل في الجبرى أول الآية محكم وهو قوله كل من عند الله وآخرها متشابه وهو قوله ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك قال القدرى آخرها محكم وأولها متشابه قال السنى أخطأنا جميعا بل كلاهما محكم مبين وانما أتينا من قلة الفهم في القرآن وتدره فليس بين اللفظين تناقض لافي المعنى ولا في العبارة فانه سبحانه وتعالى ذكر عن هؤلاء التاكيد عن الجهاداتهم ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه من عندك أى بسبب ما أمرتاه من دينك وتركتنا ما كنا عليه أصابتنا هذه السيئات لانك أمرتنا بما أوجها السيئات ههنا هي المصائب والاعمال التى ظنوا انها سبب المصائب هي التى أمروا بها وقولهم في السيئة التى تصبهم هذه من عندك تتناول مصائب الجهاد التى حصلت لهم من الهزيمة والجراح وقتل من قتل منهم وتناول مصائب الرزق على وجه التطير والتشاؤم أى أصابنا هذا بسبب دينك كما قال تعالى عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه أى اذا جاءهم ما يسرون به ويتعمون به من النعم قالوا نحن اهل ذلك ومستحقوه وان أصابهم ما يسوءهم قالوا هذا بسبب ما جاء به موسى وقال اهل القرية للمرسلين انا نطيرنا بكم وقال قوم صالح له عليه الصلاة والسلام اطيروا بك وبمن معك وكانوا يقولون لما ياتهم من سبب الحرب هذا منك لانك أمرتنا بالاعمال الموجبة له وللمصائب الحاصلة من غير جهة العدو وهذا أيضا منك أى بسبب مفارقتنا لديننا ودين آبائنا والدخول في طاعتك وهذه حال كل من جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم سببا لشر أصابه من السماء أو من الارض وهؤلاء كثير في الناس وهم الافلون عند الله تعالى قدرا الارذلون عنده ومعلوم انهم لم يقولوا هذه من عندك بمعنى أحدثها ومن فهم هذا تبين له ان قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) لا يناقض قوله تعالى قل كل من عند الله بل هذا تحقيق له فانه سبحانه

بين ان التعم والمصائب كلها من عنده فهو الخالق لها المقدر لها المبتلى خلقه بها ففى من عنده ليس بعضها من عنده وبعضها خلقا غيره فكيف يضاف بعضها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضها الى الله تعالى ومعلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدثها فلم يبق الا ظنهم انه سبب لحصولها اما في الجملة كحال أهل التطير واما في الواقعة المعينة كحال اللاتمين له في الجهاد فباطل الله سبحانه ذلك الوهم الكاذب والظن الباطل وبين ان مجاء به لا يوجب الشر البتة بل الخير كله فيما جاء صلى الله عليه وسلم به والشر بسبب أفعالهم وذنوبهم كما قال الرسل عليهم السلام لاهل القرية طائر كم معكم ولا يناقض هذا قول صالح عليه السلام لقومه طائر كم عند الله وقوله تعالى عن قوم فرعون (وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله) بل هاتان النسبتان نظير هاتين النسبتين في هذه الآية وهي نسبة السيئة الى نفس العبد ونسبة الحسنة والسيئة الى أنهما من عند الله عز وجل فتأمل اتفاق القرآن وتصدیق بعضه بعضا حيث جعل الطائر معهم والسيئة من نفس العبد فهو على جهة السبب والموجب أى الشر والشؤم الذى أصابكم هو منكم ومعكم فان أسبابه قائمة بكم كما تقول شرك منك وشؤمك فيك يراد به العمل وطائر كم معك وحيث جعل ذلك كله من عنده فهو لانه الخالق له الحجازى به عدلا وحكمة فالطائر يراد به العمل وجزاءه فالمضاف الى العبد العمل والمضاف الى الرب الجزاء فطائر كم معكم طائر العمل وطائر كم عند الله الجزاء فما جاءت به الرسل ليس سببا لشي من المصائب ولا تكون طاعة الله ورسوله سببا لمصيبة قط بل طاعة الله ورسوله لا توجب الا خيرا في الدنيا والآخرة ولكن قد يصيب المؤمن بالله ورسوله مصائب بسبب ذنوبهم وتقصيرهم في طاعة الله ورسوله كما لحقهم يوم أحد ويوم حنين وكذلك ما امتحنوا به من الضراء وأذى الكفار لهم ليس هو بسبب نفس إيمانهم ولا هو موجب له وإنما امتحنوا به ليخلص ما فيهم من الشر فامتحنوا بذلك كما يمتحن الذهب بالنار ليخلص من غشه والنفوس فيها ما هو من مقتضى طبيعتها فالامتحان يمتحن المؤمن من ذلك الذى هو من موجبات طبعه كما قال تعالى (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) وقال (وليبلى الله ما في صدوركم) فطاعة الله ورسوله لا تجلب الا خيرا ومعصيته لا تجلب الا شرا * ولهذا قال سبحانه فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فانهم لو فقهوا الحديث لعلموا انه ليس في الحديث الذى أنزله الله على رسوله ما يوجب شرا البتة ولعلموا انه سبب كل خير ولو فقهوا القرآن لعلموا انه أمرهم بكل خير ونهاهم عن كل شر وهذا مما يبين ان ما أمر الله به يعلم حسنة بالقلل وانه كله مصالحة ورحمة ومنفعة واحسان بخلاف ما يقوله كثير من أهل الكلام الباطل انه سبحانه يأمر العباد بما لامصاحبة لهم فيه بل يأمرهم بما فيه مضرة لهم وقول هؤلاء تصديق وتقرير لقول المطيرين بالرسل

فصل ١٠ وما يوضح الامر في ذلك انه سبحانه لما قال (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) عقب ذلك بقوله (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) وذلك يتضمن أشياء منها تنبيه أمته على أن رسوله الذى شهد له بالرسالة اذا أصابه ما يكره فمن نفسه فالظن بغيره ومنها ان حجة الله قد قامت عليهم بارساله فاذا أصابهم سبحانه بما يسوءهم لم يكن ظلما لهم في ذلك لانه قد أرسل رسوله اليهم يعلمهم بما فيه مصالحهم وما يحلها لهم وما فيه مضرتهم وما يحلها لهم

فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ومنها أنه سبحانه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات الدالة على صدقه وأنه رسوله حقا فلا يضره جحد هؤلاء الجاهلين الضالين المتعصبين به لرسالته ومن شهد له رب السموات والارض ومنها أنهم أرادوا أن يحملوا سيئاتهم وعقوباتها حجة على ابطال رسالته فشهد له بالرسالة وأخبر ان شهادته كافية فكان في ضمن ذلك ابطال قولهم ان المصائب من عند الرسول صلى الله عليه وسلم وأثبت أنها من عند أنفسهم بطريق الاولى ومنها ابطال قول الجهمية المجبرة ومن وافقهم في قولهم ان الله قد يعذب العباد بلا ذنب ومنها ابطال قول القدرية الذين يقولون ان أسباب الحسنات والسيئات ليست من الله بل هي من العبد ومنها أنه لم يتدبر القرآن ولم يفقهه وان اعراضه عن تدبره وفقهه يوجب له من الضلال والشقاء بحسب اعراضه ومنها اثبات الاسباب وابطال قول من ينفيها ولا يرى لها ارتباطا بمسبباتها ومنها ان الخير كله من الله والشر كله من النفس فان الشر هو الذنوب وعقوبتها والذنوب من النفس وعقوباتها مترتبة عليها والله هو الذى قدر ذلك وقضاه وكل من عنده قضاء وقدر وان كانت نفس العبد سببه بخلاف الخير والحسنات فان سببها مجرد فضل الله ومنه وتوفيقه كما تقدم تقريره ومنها أنه سبحانه لما رد قولهم ان الحسنة من الله والسيئة من رسوله وأبطله بقوله (قل كل من عند الله) رفع وهم من توهم ان نفسه لاتأثير لها في السيئة ولا هي منها أصلا بقوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وخاطبه بهذا تنبيها لغيره كما تقدم ومنها أنه قال في الرد عليهم (قل كل من عند الله) ولم يقل من الله لما جمع بين الحسنات والسيئات والحسنة مضافة الى الله من كل وجه والسيئة انما تضاف اليه قضاء وقدرًا وخلقًا وأنه خالقها كما هو خالق الحسنة فلماذا قال (قل كل من عند الله) وهو سبحانه انما خالقها لحكمة فلا تضاف اليه من جهة كونها سيئة بل من جهة ما تضمنته من الحكمة والعدل والحمد وتضاف الى النفس كونها سيئة ولما ذكر الحسنة مفردة عن السيئة قال (ما أصابك من حسنة فمن الله) ولم يقل من عند الله فالخير منه وأنه موجب أسماؤه وصفاته والشر الذى هو بالنسبة الى العبد شر من عنده سبحانه فانه مخلوق له عدلا منه وحكمة ثم قال (وما أصابك من سيئة فمن نفسك) ولم يقل من عندك لان النفس طبعها ومقتضاها ذلك فهو من نفسها والجميع من عند الله فالسيئة من نفس الانسان بلا ريب والحسنة من الله بلا ريب وكلاهما من عنده سبحانه قضاء وقدرًا وخلقًا ففرق بين مامن الله وبين مامن عنده والشر لا يضاف الى الله ارادة ولا محبة ولا فعلا ولا وصفا ولا اسما فانه لا يريد الا الخير ولا يحب الا الخير ولا يفعل شرا ولا يوصف به ولا يسمى باسمه وستذكر في باب دخول الشر في القضاء الالهى وجه نسبته الى قضاءه وقدره ان شاء الله

﴿فصل﴾ وقد اختلف في كاف الخطاب في قوله (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) هل هي لرسول الله أو هي لكل واحد من الآدميين * فقال ابن عباس في رواية الوالى عنه الحسنات ما فتح الله عليه يوم بدر من الغنمة والفتح والسيئة ما أصابه يوم أحد ان شج في وجهه وكسرت ربعيته * وقالت طائفة بل المراد جنس ابن آدم كقوله (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) روى سعيد عن قتادة (ما أصابك من سيئة فمن نفسك) قال عقوبة يا ابن آدم بذنبك

ورجعت طائفة القول الاول * واحتجوا بقوله (وأرسلناك للناس رسولا) قالوا وأيضا فإنه لم يتقدم ذكر الانسان ولا خطابه وانما تقدم ذكر للطائفة قالوا ما حكا الله عنهم فلو كانوا هم المرادين لقال ما أصابهم أو ما أصابكم على طريق الالتفات قالوا وهذا من باب السب لانه اذا كان سيد ولد آدم وهكذا حكمه فكيف بغيره ورجعت طائفة القول الآخر * واحتجت بان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم لا يصدر عنه ما يوجب أن تصيبه به سيئة قالوا والخطاب وان كان له في الصورة فالمراد به الامة كقوله (يا أيها النبي اذا طلعت النساء) قالوا ولما كان أول الآية خطابا له أجرى الخطاب جميعه على وجه واحد فافرده في الثاني والمراد به الجميع والمعنى وما أصابكم من سيئة فمن أنفسكم فالاول له والثاني لامة ولهذا لما أفرد اصابة السيئة قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (ويوم حنين اذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم توأمت مدينتين) ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فآخبر ان الهزيمة بذنوبهم وبأعجابهم وان النصر بما أنزله على رسوله وأيده به اذ لم يكن منه من سبب الهزيمة ما كان منه وجمعت طائفة ثالثة بين القولين وقالوا صورة الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد العموم كقوله (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) ثم قال (واتبع ما يوحى اليك من ربك) ثم قال (وتوكل على الله) وكقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك ان اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله قانعسد وكن من الشاكرين) وقوله (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاستل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) قالوا وهذا الخطاب نوعان نوع يختص لفظه به لكر يتناول غيره بطريق الاولى كقوله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك بتبغى مرضات أزواجك) ثم قال (قد فرض الله لكم تحلة آياتناكم) ونوع يكون الخطاب له وللامة فافرده بالخطاب لكونه هو المواجه بالوحي وهو الأصل فيه والمبلغ لامة والسفر بينهم وبين الله وهذا معنى قول كثير من المفسرين الخطاب له والمراد غيره ولم يزيدوا بذلك أنه لم يخاطب بذلك أصلا ولم يرد به البتة بل المراد انه لما كان امام الخلائق ومقدمهم ومتبوعهم أفرد بالخطاب وتبعته الامة في حكمه كما يقول السلطان لمقدم العساكر أخرج غدا وأنزل بمكان كذا واحمل على العدو وقت كذا قالوا فقولاه (ما أصابكم من حسنة فمن الله وما أصابكم من سيئة فمن نفسك) خطاب له وجميع الامة داخلون في ذلك بطريق الاولى بخلاف قوله (وأرسلناك للناس رسولا) فان هذا له خاصة قالوا وهذه الشرطية لتستأزم الوقوع بل تربط الجزاء بالشرط وأما وقوع الشرط والجزاء فلا يدل عليه فهو مقدر في حقه محقق في حق غيره والله أعلم * قال القدرى اذا كانت الطاعات والمعاصي مقدره والنعمة والمصائب مقدره فلم يفرق سبحانه بين الحسنات التي هي النعم والسيئات التي هي المصائب فجعل هذه منه سبحانه وهذه من نفس الانسان والجميع مقدر * قال السنى بينهما فروق الفرق الاول ان نعم الله واحسانه الى عباده يقع بلا كسب منهم أصلا بل الرب سبحانه ينعم عليهم بالعافية والرزق والنصر وارسال الرسل وانزال الكتب وأسباب الهداية فيعمل ذلك من لم يكن منه سبب يقتضيه ويشئ للجنة خلقا يسكنهم اياها بغير سبب منهم ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة بلا عمل وأما العقاب فلا يعاقب احدا الا بعمله * افرق الثاني ان عمل الحسنات من إحسان الله

ومنه وتفضله عليه بالهداية والايمان كما قال اهل الجنة ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ تخاف الرب سبحانه لهم الحياة والسمع والبصر والعقول والافئدة وارسال الرسل وتبليغهم البلاغ الذى اهتموا به والهامهم الايمان ونحيبهم اليهم وتزيينه في قلوبهم وتكريه ضده اليهم كل ذلك من نعمه كما قال تعالى ﴿ ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعضيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ فجميع ما يتقلب فيه العالم من خير الدنيا والآخرة هو نعمة محضة بلا سبب سابق يوجب ذلك لهم ومن غير حول وقوة منهم الا به وهو خالقهم وخالق أعمالهم الصالحة وخالق جزائها وهذا كله منه سبحانه بخلاف الشر فانه لا يكون الا بذنوب العبد وذنبه من نفسه واذا تدبر العبد هذا علم ان ماهو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر ربه على ذلك فزاده من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه واذا علم ان الشر لا يحصل له الا من نفسه وبذنوبه استغفر ربه وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون دائما مأكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يتدفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على طاعته ونستغفره من معصيته ومحمد على فضله وأحسانه ثم قال ونعوذ بالله من شرور أنفسنا لما استغفره من الذنوب الماضية استعاذ به من الذنوب التى لم تقع بعد ثم قال ومن سيئات أعمالنا فهذه استعاذة من عقوبتها كما تقدم ثم قال من يهده الله فلا مضل له ومن يصلح فلا هادى له فهذه شهادة للرب بانه المتصرف في خلقه بمشيئته وقدرته وحكمته وعلمه وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء فاذا هدى عبدا لم يضل أحد واذا أضل أحد لم يهد أحد وفي ذلك اثبات ربوبيته وقدرته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره الذى هو عقد نظام التوحيد وأساسه وكل هذا مقدمة بين يدى قوله وأشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فان الشهادتين انما يتحققان بحمد الله واستعاذته واستغفاره والابحار اليه والايمان باقداره والمقصود أنه سبحانه فرق بين الحسنات والسيئات بعد ان جمع بينهما في قوله كل من عند الله فجمع بينهما الجمع الذى لا يتم الايمان الا به وهو اجتماعهما في قضائه وقدره ومشيئته وخلقته ثم فرق بينهما الفرق الذى ينتفعون به وهو ان هذا الخير والحسنة نعمة منه فاشكروه عليه يزدكم من فضله ونعمه وهذا الشر والسيئة بذنوبكم فاستغفروه يرفع عنكم وأصله من شرور أنفسكم فاستعينوا به ليخلصكم منها ولا يتم ذلك الا بالايمان بالله وحده وهو الذى يهدى ويضل وهو الايمان بالقدر فادخلوا عليه من باب فان أزمة الامور بيده فاذا فاعتم ذلك صدق منكم شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فهذه الخطبة العظيمة عقد نظام الاسلام والايمان فلو اقتصر لهم على الجمع دون الفرق أعرض العاصى والمذنب عن ذم نفسه والتوبة من ذنوبه والاستعاذة من شرها وقام في قلبه شاهد الاحتجاج على ربه بالقدر وتلك حجة داحضة تبع الاشقياء فيها ابليس وهى لا تزيد صاحبها الا شقاء وعذابا كما زادت ابليس طردا وبعدا عن ربه وكما زادت المشركين ضلالا وشقاء حين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا بأؤنا وكما زيد الذى يقول يوم القيامة لو أن الله هدانى لكنت من المتقين حسرة وعذابا ولو اقتصر لهم على الفرق دون الجمع لغابوا به في التوحيد والايمان بالقدر والابحار الى الله في الهداية والتوفيق والاستعاذة من شر النفس وسيئات العمل والافتقار التام الى اعانته وفضله وكان في الجمع والفرق

بيان حق العبودية وسيأتي تمام هذا الكلام على هذا الموضع العظيم القدر ان شاء الله باثبات اجتماع
القدر والشرع واقتراحهما * الفرق الثالث ان الحسنة يضاعفها الله سبحانه وينمها ويكتبها للعبد بادن
سمى ويثب على اهلها والسيئة لا يؤخذ على اهلها ولا يضاعفها ويبتلها بالتوبة والحسنة الماحية
والمصائب المكفرة فكانت الحسنة أولى بالاضافة اليه تعالى والسيئة أولى بالاضافة الى النفس * الفرق
الرابع ان الحسنة التي هي الطاعة والنعمة يجبها ويرضاها فهو سبحانه يجب أن يطاع ويجب أن ينعم
ويحسن ويجود وان قدر المصيبة وأراد المنع فالطاعة أحب اليه والبذل والعطاء آثر عنده فكان
اضافة نوعي الحسنة له واطافة نوعي السيئة الى النفس أولى ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا
الادب فأضافوا اليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور الى محالها كما قال امام الخلفاء الذي خلقني فهو
يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فأضاف المرض الى نفسه والشفاء الى
ربه * وقال الخضر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعياها ثم قال وأما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
ويستخرجا كنزهما * وقال مؤمنو الجن وأنا لاندري أشير أريد من في الارض أم أراد بهم ربهم
رشدا * الفرق الخامس ان الحسنة مضافة اليه لانه أحسن بها من كل وجه وبكل اعتبار كما تقدم فا
من وجهه من وجوها الا وهو يقتضى الاضافة اليه وأما السيئة فهو سبحانه انما قدرها وقضاها
لحكمته وهي باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب سبحانه لا يفعل سوا قط كما لا يوصف به
ولا يسمى باسمه بل فعله كله حسن وخير وحكمة كما قال تعالى بيده الخير وقال أعرف الخلق به
والشر ليس اليك فهو لا يخلق شرا محضا من كل وجه بل كل ما خلقه في خلقه مصلحة وحكمة وان
كان في بعضه شر جزئى اضافي وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزّه عنه وليس اليه
* الفرق السادس ان ما يحصل للانسان من الحسنات التي يعملها فهي أمور وجودية متعلقة بمشيئة الرب
وقدره ورحمته وحكمته وليست أموراً عدمية تضاف الى غير الله بل هي كلها أمور وجودية وكل
موجود حادث والله محدثه وخالفه وذلك ان الحسنات اما فعل مأثور أو ترك محظور والترك أمر
وجودى فترك الانسان لما نهى عنه ومعرفة بانه ذنب فيجرب بانه سبب العذاب فيفضله وكرهته له
ومنعه نفسه اذا هو بته وطلبته منه أمور وجودية كما أن معرفته بالحسنات كالعادل والصدق حسنة
وفعله لها أمر وجودى والانسان انما يثاب على ترك السيئات اذا تركها على وجه الكراهة لها والامتناع
عنها وكف النفس عنها قال تعالى (ولكن الله جيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان) وقال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) وقال (ان
الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) * وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه
وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله
ومن كان يكرهه أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن ياتي في النار وقد جعل صلى
الله عليه وسلم البغض في الله من أوثق عرى الايمان وهو أصل الترك وجعل المنع من الله من كمال الايمان
وهو أصل الترك فقال من أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقال من أحب لله
وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وجعل انكار المنكر بالقلب من مراتب الايمان

وهو بغضه وكرهاته المستازم لتركه فلم يكن الترك من الايمان الا بهذه الكراهة والبغض والامتناع
والمنع لله وكذلك براءة الخليل وقومه من المشركين ومعبودهم ليست تركا محضاً بل تركاً صادراً عن
بغض ومعاداة وكرهاته هي أمور وجودية هي عبودية للقلب يترتب عليها خلو الجوارح من العمل
كما أن التصديق والارادة والمحبة للطاعة من عبودية القلب يترتب عليها آثارها في الجوارح وهذا
الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا اله الا الله وهو اثبات تأله القلب لله ومحبه وتوفى تأله لغيره وكرهاته
فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب اليه ويخافه ويرجوه حتى يترك عبادة غيره والتوكل
عليه والانابة اليه وخوفه ورجاه وبغض ذلك وهذه كلها أمور وجودية وهي الحسنات التي يثيب الله
عليها وأما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة ولا يكرها بقلبه ويكف نفسه عنها بل
يكون تركها لعدم خطورها بقلبه ولا يثاب على هذا الترك فهذا تكون السيئات في حقها بمنزلة في حق
الطفل والنائم لكن قد يثاب على اعتقاد نحرهما وإن لم يكن له اليها داعية البتة فالترك ثلاثة أقسام قسم
يثاب عليه وقسم يعاقب عليه وقسم لا يثاب ولا يعاقب فالاول ترك العالم بتحريمها الكفاف نفسه عنها الله
مع قدرته عليها والثاني كترك من يتركها لغير الله لانه فهذا يعاقب على تركه لغير الله كما يعاقب على
فعله لغير الله فإن ذلك الترك والامتناع فعل من أفعال القلب فإذا عبد به غير الله استحق العقوبة
* والثالث كترك من لم يخطر على قلبه علماً ولا محبة ولا كراهة بل بمنزلة ترك النائم والطفل * فإن
قيل كيف يعاقب على ترك المعصية حياء من الخلق وابقاء على جاهه بينهم وخوفا منهم أن يتسلطوا
عليه والله سبحانه لا يذم على ذلك ولا يمنع منه * قيل لا ريب أنه لا يعاقب على ذلك وإنما يعاقب على
تقربه الى الناس بالترك ومراآتهم به وانه تركها خوفاً من الله وسراقبة وهو في الباطن بخلاف ذلك
فالفرق بين ترك يتقرب به اليهم ومراآتهم به وترك يكون مصدره الحياء منهم وخوف أذاهم له
وسقوطه من أعينهم فهذا لا يعاقب عليه بل قد يثاب عليه اذا كان له فيه غرض يحبه الله من حفظ
مقام الدعوة الى الله وقبولهم منه ونحو ذلك وقد تنازع الناس في الترك هل هو أمر وجودى أم
عدمى والا كثرون على أنه وجودى * وقال أبو هاشم وأتباعه هو عدمى وإن المأمور يعاقب على
مجرد عدم الفعل لا على ترك يقوم بقلبه وهؤلاء رتبوا الذم والعقاب على العدم المحض والا كثرون
يقولون إنما يثاب من ترك المحذور على ترك وجودى يقوم بنفسه ويعاقب تارك المأمور على ترك
وجودى يقوم بنفسه وهو امتناعه وكفه نفسه عن فعل مأمور به اذا تبين هذا فالحسنات التي يثاب
عليها كلها وجودية فهو سبحانه الذى حبيب الايمان والطاعة الى العبد وزينه في قلبه وكره اليه اضدادها
وأما السيئات فمنشأها من الجهل والظلم فإن العبد لا يفعل القبيح الا لعدم علمه بكونه قبيحاً أو لخواه
وشهوته مع علمه بقبحه فالاول جهل والثاني ظلم ولا يترك حسنة الا لجهله بكونها حسنة أو لرغبته
في ضدها لموافقته هواه وغرضه وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع الى الجهل والا فلو كان علمه تاماً
برجحان ضررها لم يفعلها فإن هذا خاصة الفعل فانه اذا علم ان لقاء نفسه من مكان عال يضره لم
يقدم عليه وكذلك ابنه تحت حائط مائل والقائه نفسه في ماء يغرق فيه وأكله طعاماً مسموماً لا يضعه
لعلمه التام بضرته الراجحة بل هذه فطرة فطر الله عليها الحيوان بهيمة وناطقه ومن لم يعلم ان ذلك
يضره كالطفل والمجنون والسكران الذى انتهى سكره فقد يفعله وأما من أقدم على ما يضره مع علمه

بما فيه من الضرر فلا بد أن يقوم بقلبه ان منفعة له راحجة ولا بد من رجحان المنفعة عنده اما في الظن واما في المظنون ولو جزم راكب البحر بأنه يغرق ويذهب ماله لم يركب أبدا بسل لا بد من رجحان الانتفاع في ظنه وان أخطأ في ذلك وكذلك الذنوب والمعاصي فلو حزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يقدم على السرقة بل يظن أنه يسلم ويظفر بالمال وكذلك القاتل والشارب والزاني فلو جزم طالب الذنب بأنه يحصل له الضرر الراجح لم يفعله بل اما أن لا يكون جازما بتحريمه أو لا يجزم بمقوته بل يرجو العفو والمغفرة وأن يتوب ويأتى بحسنات تحوثره وقد يغفل عن هذا كله بقوة وارادة الشهوة واستيلاء سلطانها على قلبه بحيث تغيبه عن مطالعة مضرة الذنب والغفلة من اضرار العلم كالغفلة والشهوة أصل الشر كله قال تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وينبغي أن يعلم الهوى وحده لا يستقل بفساد السبلات الا مع الجهل والافصاح الهوى لو جزم بأن ارتكاب هواه يضره ولا بد ضررا راجحا لانصرفت نفسه عن طاعته له بالطبع فان الله سبحانه جعل في النفس حبا لما ينفعها وبغضا لما يضرها فلا تفعل مع حضور عقلها ما تجزم بأنه يضرها ضررا راجحا ولهذا يوصف تارك ذلك بالعقل والحجى والاب قابلية مركب من تزوين الشيطان وجهل النفس فانه زين لها السبلات ويربها أنها في صور المنافع والاشذات والطيبات ويفضلها عن مطالعتها لمضرتها فتولد من بين هذا التزيين وهذا الاغفال والانساء لها ارادة وشهوة ثم يمدّها بأنواع التزيين فلا يزال يقوى حتى يصير عزمها جازما يقتدر به الفعل كما زين للابوين الاكل من الشجرة وأغفلهما عن مطالعة مضرة المعصية فالتزيين هو سبب اتيار الخير والشر كما قال تعالى وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وقال أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال في تزيين الخير (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وقال في تزيين النوعين كذلك زيننا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وتزيين الخير والهدى بواسطة الملائكة والمؤمنين وتزيين الشر والضلال بواسطة الشياطين من الجن والانس كما قال تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وحقيقة الامر ان التزيين انما يفتقر به الجاهل لانه يلبس له الباطل والضار المؤذى صورة الحق والتافع الملائم فاصل البلاء كله من الجهل وعدم العلم ولهذا قال الصحابة كل من عصى الله فهو جاهل وقال تعالى (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وقال (واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قتل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ان من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) قال أبو العالية سألت أختاب محمد عن قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وقال قتادة اجتمع أختاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ماعصى الله به فهو جهالة عمدا كان أو لم يكن وكل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن خطيئته وقال هو وعطاء الجهالة العمد وقال مجاهد من عمل سوءا خطأ أو عمدا فهو جاهل حتى ينزع منه ذكر هذه الآثار ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن قتادة وعمر بن مرة والثوري نحو ذلك خطأ أو عمدا وروى عن مجاهد والضحاك ليس من جهالته أن لا يعلم حلالا ولا

حراما ولكن من جهالة حين دخل فيه وقال عكرمة الدماء كلها جهالة ومما يبين ذلك قوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكل من خشي فاطاعه بفعل أو امره وترك نواهيه فهو عالم كما قال تعالى (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال رجل للشعبي أيها العالم فقال لستنا بعلماء انما العالم من يخشى الله وقال ابن مسعود وكفى بخشية الله علما وبلاغترار بالله جهلا وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يقتضى الحصر من الطرفين ان لا يخشاه الا العلماء ولا يكون عالما الا من يخشاه فلا يخشاه الا علم ومامن عالم الا هو يخشاه فاذا اتنى العلم انتفت الحشية واذا انتفت الحشية دلت على انتفاء العلم لكن وقع الغلط في مسمى العلم اللازم للخشية حيث يظن انه يحصل بدونها وهذا ممتنع فانه ليس في الطبيعة ان لا يخشى النار والاسد والعدو من هو عالم بها مواجها لها وانه لا يخشى الموت من التقي نفسه من شأق ونحو ذلك فامنه في هذه المواطن دليل عدم علمه واحسن احواله ان يكون معه ظن لا يصل الى رتبة العلم اليقيني فان قيل فهذا ينقض عليكم بمصيبة ايلهي فانها كانت عن علم لا عن جهل وبقوله وأمانود فهديتهم فاستجبوا العمى على الهدى وقال وآينا نود النافقة مبصرة وقال عن قوم فروع وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال (وعادا ونمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) وقال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر) وقال (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقال (والذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) يعنى القرآن وأحمد صلى الله عليه وسلم وقال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأتم تعلمون) وقال فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون والجحود انكار الحق بعد معرفته وهذا كثير في القرآن قيل حجج الله لاتناقض بل كلها حق يصدق بعضها بعضا واذا كان سبحانه قد أثبت الجهالة لمع عمل سوء وقد أقر به وبرسالته وبانه حرم ذلك وتوعد عليه بالعقاب ومع ذلك يحكم عليه بالجهالة التي لاجلها عمل سوء فكيف بمن أشرك به وكفر بآياته وعادى رسوله اليس ذلك أجهل الجاهلين وقد سمي تعالى اعداءه جاهلين بعد اقامة الحجة عليهم فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فامرهم بالاعراض عنهم بعد ان أقام عليهم الحجة وعلموا انه صادق وقال (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) فالجاهلون هنا الكفار الذين علموا انه رسول الله فهذا العلم لا ينافي الحكم على صاحبه بالجهل بل يثبت له العلم وينافي عنه في موضع واحد كما قال تعالى عن السحرة من اليهود ولقد علموا لمن شراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فثبت لهم العلم الذي تقوم به عليهم الحجة ونفى عنهم العلم النافع الموجب لترك الضار وهذا نكتة المستثناة وسر الجواب فما دخل النار الاعالم ولادخلها الاجاهل وهذا العلم لا يجتمع مع الجهل في الرجل الواحد يوضحه ان الهوى والغفلة والاعراض تصد عن كماله واستحضاره ومعرفة موجهه على التفصيل وتقيم لصاحبه شها وتؤيلات تعارضه فلا يزال المقتضى يضعف والعارض يعمل عمله حتى كأنه لم يكن ويصير صاحبه بمنزلة الجاهل من كل وجه فلو علم ابليس ان تركه للسجود لا دم يبلغ به ما بلغ وانه يوجب له اعظم العقوبة وتيقن ذلك لم يتركه ولكن حل الله بينه وبين هذا العلم ليقضى أمره

وينفذ قضاؤه وقدره ولو ظن آدم وحواء أنهما إذا كلاما من الشجرة خرجا من الجنة وأجرى عليهما ما جرى ما قارباها ولو علم أعداء الرسل تفاصيل ما يجري عليهما وما يصيرهم يوم القيامة وحزموا بذلك لما عادوهم قال تعالى عن قوم فرعون ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالْأَنْذَرِ﴾ وقب (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل أنهم كانوا في شك مريب) وقال عن المنافقين وقد شاهدوا آيات الرسول وبراهين صدقه عيانا وأرآت قلوبهم فهم في ريبهم يتوددون وقال ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وأرآتكم وقال في قلوبهم مرض وهو الشك ولو كان هذا لعدم العلم الذي تقوم عليه الحجة عليهم لما كانوا في الدرك الأسفل من النار بل هذا بعد قيام الحجة عليهم وعليهم الذي لم ينفعهم فالعلم يضعف قطعاً بالغملة والأعراض واتباع الهوى وإثارة الشهوات هذه الأمور توجب شبهات وآويلات تضاده فتأمل هذا الموضوع حق التأمل فإنه من أسرار القدر والسر والعدل فالعلم يراد به العلم التام المستلزم لآثره ويراد به مقتضى وإن لم يتم بوجود شروطه وانتفاء مؤانته فالثاني يجتمع الجهل دون الأول فتبين أن أصل السيئات الجهل وعدم العلم وإن كان كذلك فعدم العلم ليس أمراً وجودياً بل هو لعدم السمع والبصر والقدرة والإرادة والعدم ليس شيئاً حتى يستدعى فعلاً مؤثراً فيه بل يكفي فيه عدم مشيئة ضده وعدم السبب المنوجب لخصمه والعدم المحض لا يضاف إلى الله فإنه شر والشر ليس إليه فإذا اتقينا هذا الجازم عن العبد ونفسه بطبعها متحركة مريدة وذلك من لوازم شأنها تحرك بمقتضى الطبع والشهوة وغلب ذلك فيها على داعي العلم والمعرفة فوقعت في أسباب الشر ولا بد

فصل والله سبحانه قد أنعم على عباده من جملة إحسانه ونعمه بأمرين هما أصل السعادة أحدهما أن خلقهم في أصل النشأة على الفطرة السليمة فكل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يخرجانه عنها كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وشبه ذلك بخروج البهيمة بحبيبة سالمة حتى يجدها صاحبها وثبت عنه أنه قال يقول الله تعالى أني خلقت عبادي حنفاء فاتهم الشياطين فاختلهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً فإذا تركت النفس وفطرتها لم تؤثر على محبة بارها واطرها وعبادته وحده شيئاً ولم تشرك به ولم تجحد كمال ربوبيته وكان أحب شيء إليها وأطوع شيء لها وآثر شيء عندها ولكن بعدها من يقترب بها من شياطين الجن والانس يزينيه واغوائه حتى ينغمس موجب وحكمها الأمر الثاني أنه سبحانه هدى الناس هداية عامة بما أودعه فيهم من المعرفة ومكنهم من أسبابها وبما أنزل إليهم من الكتب وأرسل إليهم من الرسل وعلمهم ما يكونون إلهونه في كل نفس ما يقتضى معرفتها بالحق ومحبتها وقد هدى الله كل عبد إلى أنواع من العلم يمكنه اتوصل بها إلى سعادة الآخرة وجعل في فطرته محبة لذلك لكن قد يعرض العبد عن طلب علم ما ينفعه فلا يريد ولا يعرفه وكونه لا يريد ذلك ولا يعرفه أمر عدمي فلا يضاف إلى الرب لا هذا ولا هذا فإنه من هذه الخساسة الذي يضاف إلى الرب علمه به وقضاؤه له بعدم مشيئته لضده وإبقائه على عدم الأصل وهو من هذه الجهة خير فإن العلم بالشر خير من الجهل به وعدم رفعه بآيات ضده إذا كان مقتضى الحكمة كان خيراً وإن كان شراً بالنسبة إلى محله وسيأتي تمام تقرير هذا في باب دخول الشر في القضاء الإلهي إن شاء الله سبحانه

فصل وهما حياة أخرى غير الحياة الطبيعية الحيوانية نسبتها إلى القلب كنسبة حياة

البس بعد هذا مدعيه بان الحياة اثمرت له من محبته واجلاله وتعظيمه والحياة منه ومراقبته وطاعته مثل مدتمر حياة البدن له من التصرف والفعل وسعادة النفس ونجاتها وفلاحها بهذه الحياة وهي حياة دائمة سرمدية لا تنقطع ومضى فقدت هذه الحياة واعتاضت عنها بحياتها الطبيعية الحيوانية كانت ضالة مدنية شقية ولم تسر خروجة الاموات ولم تمس عيش الاحياء كما قال تعالى (سذكر من يخشى ويحبها الاشقي الذي يصلئ النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) فان الجزء من جنس العمل فانه في الدنيا بالمعنى الحياة النافسة الحقيقية التي خالق لها بل كانت حياته من جنس حياة البهائم ولم يكن ميتا عديم الاحساس كانت حياته في الآخرة كذلك فان مقصود الحياة حصول ما يتفجع به ويلتذ به والحى لا بد له من لذة أو ألم فاذا لم تحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة كمن هو حى في الدنيا وبه أمراض عظيمة تحول بينه وبين التمتع بما يتفجع به الاصحاء فهو يختر الموت ويتمناه ولا يحصل له فلا هو مع الاحياء ولا مع الاموات اذا عرف هذا فالشر من لوازم هذه الحياة وعدمها شر وهو ليس بشئ حتى يكون مخلوقا والله خالق كل شئ فاذا أمسك عن عبد هذه الحياة كان امسا كما خيرا بالنسبة اليه سبحانه وان كان شرا بالاضافة الى العبد لفوات ما يلتذ ويتفجع به فالياسات من طبيعة النفس ولم يمد بهذه الحياة التي تحول بينها وبينها فصار الشر كله من النفس والخير كله من الله والجميع بقضائه وقدره وحكمته وبالله التوفيق


فصل في قدرى ونحن نعرف بهذا جميعه ونقر بان الله خلق الانسان مريدا ولكن جعله على خلقه يريد بها وهو مريد بالقوة والقبول أى خلقه قابلا لان يريد هذا وهذا وأما كونه مريدا لهذا المعنى فليس ذلك بخاق الله ولكنه هو الذى أحدثه بنفسه ليس هو من احدث الله قال الجبرى هذه الارادة حادثة لابداها من محدث فالحديث لها اما أن يكون نفس الانسان أو مخلوق خارج عنها أوربها وفاطرها وخالقها والنفس الاولان محاك فتمين الثالث أما المقدمة الاولى فظاهرة اذا احدث اما النفس وأما أمر خارج عنها والخارج عنها اما الخالق أو المخلوق وأما المقدمة الثانية فيبين ان النفس لا يصح أن تكون هى المحدثه لارادتها فانها اما ان تحدثها بارادة أو بغير ارادة وكلاهما تمتع فانها لو توقفت احداثها على ارادة أخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ويلزم التسلسل الى غير نهاية فلا توجد ارادة حتى يتقدمها ارادات لا تنتهى وان لم يتوقف احداثها على ارادة منها بطل ان تكون هى المؤثرة في احداثها اذ وقوع الحادث بلا ارادة من الفاعل المختار محال واذا بطل أن تكون محدثة للارادة بارادة وان يحدثها بغير ارادة تعين ان يكون المحدث لتلك الارادة أمرا خارجا عنها فحينئذ اما أن يكون مخلوقا أو يكون هو الخالق سبحانه والاول محال لان ذلك المحدث ان كان غير مريد لم يمكنه جعل الانسان مريدا وان كان مريدا فالكلام في ارادته كالكلام في ارادة الانسان سواء فتعين أن يكون المحدث لتلك الارادة هو الخالق لكل شئ الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن قال القدرى قد اختلفت طرق أصحابنا في الجواب عن هذا الالتزام فقال الجاحظ العبد يحدث أفعاله بغير ارادة منه بل بمجرد قدرته وعلمه بما في الفعل من الملازمة فاذا علم موافقة الفعل له وهو قادر عليه أحدثه بقدرته وعلمه وأبكر توقفه على ارادة محدثة وأنكر حقيقة الارادة في الشاهد ولم ينكر الميل والشهوة ولكن لا يتوقف احداث عليها فان الانسان قد يفعل ما لا يشتهي ولا يميل اليه وخالفه جميع

الاصحاب وأثبتوا الإرادة الحادثة ثم اختلفوا في سبب حدوثها فقال طائفة منهم كون النفس مريدة أمر ذاتي لها وما بالذات لا يعمل ولا يطلب سبب وجوده وطريقة التعليل تسلك ما لم يمنع منها وانع واختصاص الذات بالصفة الذاتية لا تعمل فهكذا اختصاص النفس بكونها مريدة هو أمر ذاتي لها وبذلك كانت نفسا فقول القائل لم أردت كذا وما الذي أوجب لها إرادته كقوله لم كانت نفسا وكقوله لم كانت النار محرقة أو متحركة ولم كان الماء مائما سيالا ولم كان الهواء خفيفا فكانت النفس مريدة متحركة بالإرادة هو معنى كونها نفسا فهو بمنزلة قول القائل لم كانت نفسا وحركتها بمنزلة حركة الفلك فهي خلقت هكذا وقالت طائفة أخرى بل الله سبحانه أحدث فيها الإرادة والإرادة صالحة للضدين فخلق فيها إرادة تصالح للخير والشر فأمرت هي أحدهما على الآخر بشهوته وأميلها فأعطاها قدرة صالحة للضدين وإرادة صالحة لهما فكانت القدرة والإرادة من أحداثه سبحانه واختيارها أحد المقدورين المرادين من قبلها فهي التي رجحتهما قالوا والقادر المختار يرجح أحد مقدوريه على الآخر بغير مرجح كالعطشان إذا قدم له قدحان متساويان من كل وجه والهارب إذا علم له طريقان كذلك فانه يرجح أحدهما بالا مرجح فالله سبحانه أحدث فيه إرادة الفعل ولكن الإرادة لا توجب المراد فحدثها فيه امتحانها وإتلاء وإقداره على خلافها وأمره بخالفها ولا ريب انه قادر على مخالفتها فلا يلزم من كونها مخلوقة لله صالحة بأحداثه وجوب الفعل عندها وقال أبو الحسين البصري ان الفعل يتوقف على الداعي والقدرة وهما من الله خلقا فيه وعندهما يجب وجود الفعل باختيار العبد وداعيه فيكون هو المحدث له بما فيه من الدواعي والقدرة فهذه طرق انحنائي في الجواب عما ذكرتم قال السني ثم تخلصوا بذلك من الالتزام ولم يتنوا به بطلان حجبتهم المذكورة فلا منعم بمقدمتها وينتم فسادها ولا عارضتموها بما هو أقوى منها كما أنهم لم يتخلصوا من التزامكم ولم يدنوا بطلان دليلكم وكان غاية ما عندكم وعندهم المعارضة وبيان كل منكم تناقض الآخر وهذا لا يفيد نصرة الحق وإبطال الباطل بل يفيد بيان خطأكم وخطأهم وعدوكم وإياهم عن منبرج الصواب فقول وبالله التوفيق مع كل منكما صواب من وجه وخطأ من وجه فالما صواب الجبري فمن جهة استاده الحوادث كلها الى مشيئة الله وخالقه وقضائه وقدره والقدرى خالف الضرورة في ذلك فان كون العبد مريدا فاعلا بعد ان لم يكن أمر حادث فالما أن يكون له محدث واما أن لا يكون فان لم يكن له محدث لزم حدوث الحوادث بلا محدث وان كان له محدث فالما أن يكون هو العبد أو الله سبحانه أو غيرهما فان كان هو العبد فالقول في أحداثه تلك الفاعلية كالقول في أحداث سببها ويلزم التسلسل وهو باطل ههنا بالاتفاق لان العبد كائن بعد ان لم يكن فيمتنع أن تقوم به حوادث لأول لها وان كان غير الله فالقول فيه كالقول في العبد فنعين أن يكون الله هو الخالق المكون لإرادة العبد وقدرته وأحداثه وفعله وهذه مقدمات يقينية لا يمكن القدح فيها فمن قال ان إرادة العبد وأحداثه حصل بغير سبب اقضى حدوث ذلك والعبد أحدث ذلك وحاله عند أحداثه كما كان قبله بل خص أحد الوقعين بالأحداث من غير سبب اقضى تحصيله وانه صار مريدا فاعلا محدثا بعد ان لم يكن كذلك من غير من يجمعه كذلك فقد قل ملا يعقل بل يخالف صريح العقل وقول محدث حوادث بلا محدث وقولكم ان الإرادة لا تعمل كلاما باطلا لا حقيقة له فان الإرادة أمر حادث فلا بد له من محدث ونظير هذا المحال قولكم في فعل الرب سبحانه أنه بواسطة إرادته يحدثها

لا في محل من غير سبب اقضى حدوثها يكون مريدا بها للمخلوقات فارتكبت ثلاث محالات حدوث
 حادث بلا ارادة من الفاعل وحدوث حادث بلا سبب حادث وقيام الصفة بنفسها لا في محل وادعيت
 مع ذلك انكم ارباب العقول والنظر فای معقول افسد من هذا واى نظر اعمى منه وان شئت قلت
 كون العبد مريدا امر ممكن والممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا مرجح تام والمرجح التام اما
 من العبد واما من مخلوق آخر ولما من الله سبحانه وتعالى الاولان باطالن فتمين الثالث كما تقدم
 فهذه الحجة لا يمكن دفعها ولا يمكن دفع العلم الضروري باستنادنا الى الاختيارية الى ارادتنا وقدرتنا
 وانا اذا اردنا الحركة بمنة لم تقع بكرة وبالعكس فهذه الحجة لا يمكن دفعها والجمع بين الحجتين هو
 الحق فان الله سبحانه خالق ارادة العبد وقدرته وجعلها سببا لاحداثه الفعل فالعبد محدث لفعله
 بارادته واختياره وقدرته حقيقة وخالق السبب خالق للسبب ولو لم يشأ سبحانه وجود فعله لما
 خلق له السبب الموجد له فقال الفريقان للسفى كيف يكون الرب تعالى محدثا لها والعبد ايضا؟ قال
 السفى احداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خالقها منفصلة عنه قائمة بمجعلها وهو العبد فجعل العبد فاعلا لها
 بما أحدث فيه من القدرة ومشئته واحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به وحدت بارادته وقدرته
 وكل من الاحداثين مستازم للآخر ولكن جهة الاضافة مختلفة فما أحدثه الرب سبحانه من ذلك
 فهو مبين له قائم بالمخلوق مفقود له بالفعل وما أحدثه العبد فهو فعل له قائم به يعود اليه حكمه ويشق
 له منه اسمه وقد اضاف الله سبحانه كثيرا من الحوادث اليه و اضافها الى بعض مخلوقاته كقوله الله
 يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها * وقال قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وقال
 توفته رسائنا وقال اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فتبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين
 كفروا الرعب وقال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا * وقال وانزل الله عليك
 الكتاب وقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقال (فأخذهم العذاب وأخذتهم الصيحة) وقال
 (وكلا أخذنا بذنبه فخذناهم أخذ عزيز مقتدر) وهذا كثير فأضاف هذه الافعال الى نفسه اذهى
 واقامة بخلقه ومشئته وقضائه و اضافها الى أسبابها اذ هو الذى جعلها أسبابا لخصولها بين الاضافتين
 ولا تناقض بين السببين واذا كان كذلك تبين ان اضافة الفعل الاختيارى الى الحيوان بطريق التسبب
 وقيامه به ووقوعه بارادته لا ينافي اضافته الى الرب سبحانه خلفا ومشئته وقدره ونظيره قوله تعالى
 (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وقال نوح فاحمل فيها من كل زوجين اثنين قال رب سبحانه
 هو الذى حماهم فيها بذنبه وامره ومشئته ونوح حماهم بفعله ومباشرته

فصل * وأما قول الجاحظ ان العبد يحدث أفعاله الاختيارية من غير ارادة منه بل بمجرد
 القدرة والمداعى فان أراد نفي ارادة العبد وجحد هذه الصفة عنه فمكبرة لا تنكر من طوائف هم
 أكثر الناس بكثرة وجحد المعلوم بالضرورة فلا أرخص من ذلك عندهم وان أراد أن الارادة
 أمر عدى وهو كونه غير مغلوب ولا ملجأ فيقال هذا العدم من لوازم الارادة لأنه انفسا وكون
 الارادة أمرا عديا مكبرة أخرى وهى بمنزلة قول القائل القدرة أمر عدى لانها بمعنى عدم العجز
 والكلام عدى لانه عدم الحرس والسمع والبصر عدى لانها عدم الصمم والعمى. وأما قوله ان
 الفعل يقع بمجرد القدرة وعلمنا ان بناءه من الملائكة فمكبرة تالفة فان العبد يجد من نفسه قدرة

على الفعل وعاما بمصلحته ولا يفعل له عدم ارادته له لما في فعله من قوات محبوب له أو حصول مكروه اليه فلا يوجب القدره العلم وقوع الفعل مالم تقارنهما الارادة

فصل  وأما قول الآخر ان كون النفس مريدة أمر ذاتي لها فلا تعلق الى آخره كلام في غاية البطلان فنبأ أنا لانطاب علة كونها مريدة فكونها كذلك هو مخلوق فيها أم غير مخلوق وهي التي جعلت نفسها كذلك أم فطرها وخلقها هو الذي جعلها كذلك وإذا كان سبحانه هو الذي أنشأها بجميع صفاتها وطبيعتها وهياتها فكونها مريدة هو وصف لها وخلقها خالق لاوصافها فهو خالق لصفة المريدية فيها فإذا كانت تلك الصفة سببا للفعل وخالق السبب خالق للمسبب والمسبب واقع بقدرته ومشئته وتكوينه وهذا عما لا ينكره الا مكابر معاند

فصل  وأما قول الطائفة الاخرى ان الله سبحانه خلق فيه ارادة سالحة للضدين فاختار أحدهما على الآخر ولا ريب ان الامر كذلك ولكن وقوع أحد الضدين باختياره وإيثاره له وداعيه اليه لا يخرج عن كونه مخلوقا للرب سبحانه مقدورا له مقدرا على العبد واقما بقضاء الرب وقدره وانه لو شاء لصرف داعية العبد وارادته عنه الى ضده فهذه هي البقية التي بقيت على هذه الفرق من انكار القدر فلو ضموها الى قولهم لاصابوا كل الاصابة ولكانوا أسعد بالحق في هذه المسئلة من سائر الطوائف وتحقيق ذلك ان الله سبحانه بعده وحكمته أعطى العبد قدرة وارادة يتمكن بها من جلب ماينفعه ودفع ما يضره فأعانه بأسباب ظاهرة وباطنة ومن جملة تلك الاسباب القدرة والارادة وعزفه طريق الخير والشر ونهجه الى الطريق وأعانه بارسال رسله وانزال كتبه وقرن به ملائكته وأزال عنه كل علة محتج بها عليه ثم فطرهم سبحانه على ارادة ماينفعهم وبكراهة ما يؤذيهم ويضرهم كما فطر على ذلك الحيوان اليبس ثم كان كثير مما ينفعهم لاعم لهم به على التفصيل والذي يعلمونه من المنافع أمر مشترك بينهم وبين الحيوانات وثم أمور عظيمة هي أنفع شيء لهم لاصلاح لهم ولا فلاح ولا سعادة الا بمعرفتها وطلبها وفعلها ولا سيدل لهم الى ذلك الا بوحى منه وتعريف خاص فأرسل اليهم رسله وأرسل عليهم كتبه فعرّفهم ماهو الأنفع لهم وما فيه سعادتهم وفلاحهم فصادقهم الرسل مشغولين باضدادها قد ألفوها وساكنوها وجرت عليها عوائدهم حين الفتا الطباع فأخبرتهم الرسل انها أضر شيء عليهم وانها من أعظم أسباب ألمهم وقوات أربهم وسرورهم فنهضت الارادة طالبة للسعادة والفلاح إذ الدعوة الى ذلك محرّكة للقلوب والاسماع والابصار الى الاستجابة فقام داعي الطبع والالف والعادة في وجهه ذلك الداعي معارضا له يعد النفس ويمنيها ويرغبها ويزين لها ماألفته واعتادته لكونه ملائما له وهو نقد عاجل وراحة مؤثرة ولذة مطلوبة ولهو ولعب وزينة وتفاخر وتكبر وداعي الفلاح يدعو الى أمر آجل في دار غير هذه الدار لاينال الا بفارقة ملاذها وطيباتها ومسرّاتها وتجرع مرارتها والتعرض لآفاتها وإيثار الغير لحبوباتها ومشتبهاتها يقول خدماتراه ودع ماسمعت به فقامت الارادة بين الداعيين تصفى الى هذا مرة وإلى هذا مرة فبهنا معركة الحرب ومحل الحنة فقتيل وأسير وفائز بالظفر والغنيمة فإذا شاء الله سبحانه رحمة عبد جذب قوى ارادته وعزيمته الى ماينفعه ويحييه الحياة الطيبة فأوحى الى ملائكته أن نبثوا عبيد واصرفوا همته وارادته الى مرضاتي وطاعتي كما قال تعالى (اذيوحى ربك الى الملائكة انى معكم فنبثوا الذين آمنوا)

* وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان للملك بقلب ابن آدم لمة وللشيطان لمة فلهما الملك ايعاد بالخير وتصديق بالوعد ولة للشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) واذا أراد خذلان عبد أمسك عنه تأييده وتشيته وخلق بينه وبين نفسه ولم يكن بذلك ضالاله لانه قد أعطاه قدرة وارادة وعرفه الخير والشر وحذر طريق الهلاك وعرفه بها وحضه على سلوك طريق النجاة وعرفه بها ثم تركه وما اختار لنفسه وولاد ما تولى فاذا وجد شراً فلا يلومن الا نفسه * قال القدرى فلك الارادة المعينة المستازمة للفعل المعين ان كانت باحداث العبد فهو قولنا وان كانت باحداث الرب سبحانه فهو قول الجبرى وان كانت بغير محدث لزم المحال * قال السنى لا تقتصر كل ارادة من العبد الى مشيئة خاصة من الله توجب حدودها بل يكفى في ذلك المشيئة العامة لجمله مريدا فان الارادة هى حركة النفس والله سبحانه شاء أن تكون متحركة وأما أن تكون كل حركة تستدعى مشيئة مفردة فلا وهذا كما أنه سبحانه شاء أن يكون الحى متنفسا ولا يفتقر كل نفس من أنفاسه الى مشيئة خاصة وكذلك شاء أن يكون هذا الماء بحملته جاريا ولا يفتقر كل قطرة منه الى مشيئة خاصة يجرى بها الماء وكذلك مشيئة لحركات الافلاك وهبوب الرياح ونزول الغيث وكذلك خطرات القلوب ووساوس النفس وكذلك مشيئته أن يكون العبد متكلما لا يستلزم أن يكون كل حرف بمشيئته غير مشيئة الحرف الآخر واذا تبين ذلك فهو سبحانه شاء أن يكون عبده شائيا مريدا وتلك الارادة والمشيئة صالحة للضدين فاذا شاء أن يهدى عبدا صرف داعيه ومشيئته وارادته الى معاشه ومعاده واذا شاء أن يضله تركه ونفسه وتخلي عنه والنفس متحركة بطبعها لا يدها من مراد محبوب هو مألوهها ومعبودها فان لم يكن الله وحده هو معبودها ومرادها والا كان غيره لها معبودا ومرادا ولا يد فان حركتها ومحبتها من لوازم ذاتها فان لم يحب ربها وفاطرها وتعبده أحببت غيره وعبدته وان لم تتعلق ارادتها بما ينفعها في معادها تعلقت بما يضرها فيه ولا بد فلا تعطيل في طبيعتها وهكذا خلقت * فان قلت فاین مشيئة الله لهذاها وضلالها * قلت اذا شاء اضلالها تركها ودواعيها وخلق بينها وبين ما يختاره واذا شاء هداها جذب دواعيها وارادتها اليه وصرف عنها موانع القبول فيمدها على القدر المشترك بينها وبين سائر النفوس بامداد وجودى ويصرف عنها الموانع التى خلقت بينها وبين غيرها فيها وهذا بمشيئته وقدرته فلم يخرج شئ من الموجودات عن مشيئته وقدرته وتكونه البتة لكن يكون ما يشاء بأسباب وحكم ولو أن الجبرية أثبتت الاسباب والحكم لانحلت عنها عقد هذه المسئلة ولو أن القدرية سحبت ذيل المشيئة والقدر والخلق على جميع الكائنات مع اثبات الحكم والغايات المحمودة في أفعال الرب سبحانه لانحلت عنها عقدها وبالله التوفيق

الباب الحادى والعشرون

في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) فصدر الآية سبحانه بتفردة بالملك كله وانه هو


سبحانه هو الذى يؤتیه من يشاء ويترعه من يشاء لاغيره فالاول تفرده بالملك والثانى تفرده بالتصرف فيه وانه سبحانه هو الذى يعز من يشاء بما يشاء من أنواع العز ويذل من يشاء بسلب ذلك العز عنه وان الخير كله بيديه ليس لاحد معه منه شئ ثم ختمها بقوله انك على كل شئ قدير فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته وتضمنت ان هذه التصرفات كلها بيده وانها كلها خير فسلبه الملك عن يشاء واذلاله من يشاء خير وان كان شرا بالنسبة الى المسلوب الدليل فان هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصاحبة لا تخرج عن ذلك وهذا كله خير بحمد عليه الرب ويثني عليه به كما يحمد ويثني عليه بتزيهه عن الشر وانه ليس اليه كما ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثني على ربه بذلك في دعاء الاستفتاح في قوله ليك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك أنابك واليك تباركت وتعاليت فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بل كل مانسب اليه فهو خير والشر انما صار شرا لانقطاع نسبته واذا فقه اليه فلو أضيف اليه لم يكن شرا كما سيأتى بيانه وهو سبحانه خالق الخير والشر فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذى حقيقة وضع الشئ في غير موضعه كما تقدم فلا يضع الاشياء الا في مواضعها اللائقة بها وذلك خير كله والشر وضع الشئ في غير محله فاذا وضع في محله لم يكن شرا فلم ان الشر ليس اليه وأسأؤه الحسنى تشهد بذلك فان منها القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس لانه مكان يظهر فيه من الذنوب ومن أمه لا يريد الا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه ومنه سميت الجنة حظيرة القدس لطهارتها من آفات الدنيا ومنه سمى جبريل روح القدس لانه طاهر من كل عيب ومنه قول الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقيل المعنى ونقدس أنفسنا لك فعدى باللام وهذا ليس بشئ والصواب ان المعنى نقدسك ونزهك عما لا يليق بك هذا قول جمهور أهل التفسير * وقال ابن جرير ونقدس لك ننسبك الى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس وما أضاف اليك أهل الكفر بك قال وقال بعضهم نعظمك ونجندك قاله أبو صالح * وقال مجاهد نعظمك وتكبرك انتهى وقال بعضهم نزهك عن السوء فلا ننسبه اليك واللام فيه على حدها في قوله ردف لكم لان المعنى تنزيه الله لانزبه نفوسهم لاجله قلت ولهذا قرن هذا اللفظ بقولهم نسبح بحمدك فان التسبيح تنزيه الله سبحانه عن كل سوء * قال ميمون بن مهران سبحانه الله كلمة يعظم بها الرب ويحاشى بها من السوء وقال ابن عباس هي تنزيه لله من كل سوء وأصل اللفظة من المبالغة من قولهم سبحت في الارض اذا تباعدت فيها ومنه كل في فلك يسبحون فمن أثنى على الله ونزهه عن السوء فقد سبحه ويقال سبح الله وسبح له وقده وقده له وكذلك اسمه السلام فانه الذى سلم من العيوب والنقائص ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسلم ومن موجبات وصفه بذلك سلامة خلقه من ظلمه لهم فلم سبحانه من ارادة الظلم والشر ومن التسمية به ومن فعله ومن نسبته اليه فهو السلام من صفات التقص وأفعال التقص وأسماء التقص المسلم خلقه من الظلم ولهذا وصف سبحانه ليله القدر بانها سلام والجنة بانها دار السلام وتحية أهلها السلام وأثنى على أوليائه بالقول السلام

كل ذلك السالم من العيوب وكذلك الكبير من أسائه والمتكبر * قال قتادة وغبيره هو الذى تكبر عن السوء وقال أيضا الذى تكبر عن السيآت وقال مقاتل المتعظم عن كل سوء * وقال أبو اسحق الذى يكبر عن ظلم عباده وكذلك اسمه العزيز الذى له العزة التامة ومن تمام عزته براءته عن كل سوء وشر وعيب فان ذلك ينافي العزة التامة وكذلك اسمه العلى الذى علا عن كل عيب وسوء ونقص ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شئ بل يكون فوق كل شئ وكذلك اسمه الحليم وهو الذى له الحمد كله فكمال حمده يوجب أن لا ينسب اليه شر ولا سوء ولا نقص لافي أسائه ولا في أفعاله ولا في صفاته فاسمائه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم اليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شئ فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم والعبد اذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل الشر والسوء والرب سبحانه هو الذى جعله فاعلا لذلك وهذا الجمل منه عدل وحكمة وصواب فجعله فاعلا خيرا والمنفعول شرفه فهو سبحانه بهذا الجمل قد وضع الشئ موضعه لماله في ذلك من الحكمة البالغة التى يحمده عليها فهو خير وحكمة ومصلحة وان كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشرًا وهذا أمر معقول في الشاهد فان الصانع الخبير اذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه كان ذلك منه عدلا وصوابا يمدح به وان كان في الحل عوج ونقص وعيب يذم به الحل ومن وضع الجبائث في موضعها ومحالها الاثاق بها كان ذلك حكمة وعدلا وصوابا وانما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها فمن وضع العمامة على الرأس والتعل في الرجل والكحل في العين والزبالة في الكتفاسة فقد وضع الشئ موضعه ولم ينظم النعل والزبالة اذ هذا محالها ومن أسائه سبحانه العدل والحكيم الذى لا يضع الشئ الا في موضعه فهو المحسن الجواد الحكيم العدل في كل ما خلقه وفي كل ما وضعه في محله وهياه له وهو سبحانه له الخالق والامر فيكما أنه في أمره لا يأمر الا بأرجح الامرين ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها واذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما وليس في الشريعة أمر بفعل الا ووجوده للأمر خير من عدمه ولا نهى عن فعل الا وعدمه خير من وجوده فان قلت فاذا كان وجوده خيرا من عدمه فكيف لا يشاء وجوده فاذا كان عدمه خيرا من وجوده فكيف يشاء وجوده فالمشيئة العامة تنقض عليك هذه القاعدة الكلية قلت لاتنقضها لان وجوده وان كان خيرا من عدمه فقد يستلزم وجوده فوات محبوب له هو أحب اليه من وقوع هذا المأمور من هذا المعنى وعدم المنهى وان كان خيرا من وجوده فقد يكون وجوده وسيلة وسببا الى ما هو أحب اليه من عدمه وسياى تمام تقرير ذلك في باب اجتماع القدر والشرع واقتراحهما ان شاء الله والرب سبحانه اذا أمر بشئ فقد أحبه ورضيه وأراد به وبينه وهو لا يحب شيئا الا ووجوده خير من عدمه وما نهى عنه فقد أبغضه وكرهه وهو لا يبغض شيئا الا وعدمه خير من وجوده هذا بالنظر الى ذات هذا وهذا وأما باعتبار افضائه الى ما يحب ويكره فله حكم آخر ولهذا أمر سبحانه عباده ان يأخذوا بأحسن ما أنزل اليهم فلاحسن هو المأمور به وهو خير من المنهى عنه واذا كانت هذه سنته في أمره وشرعه فهكذا سنته في خلقه وقضائه وقدره فما أراد أن يخلقه أو يفعله كان أن يخلقه ويضعه خيرا من أن لا يخلقه ولا يفعله وبالعكس وما كان عدمه خيرا من وجوده فوجوده شر وهو لا يفعله بل هو متره عنه والشر ليس

اليه * فان قلت فلم خلقه وهو شر * قلت خلقه له وفعله خير لاشرف فان الخلق والفعل قائم به سبحانه والشر يستحيل قيامه به واتصافه به وما كان في المخلوق من شر فاعدم اضافته ونسبته اليه والفعل والخلق يضاف اليه فكان خيرا والذي شاء كله خير والذي لم يشأ وجوده بقي على العدم الاصيل وهو الشر فان الشر كله عدم وان سببه جهل وهو عدم العلم أو ظلم وهو عدم العدل وما يترتب على ذلك من الآلام فهو من عدم استعداد المحل وقبوله لاسباب الخيرات والذات * فان قلت كثير من الناس يطلق القول بان الخير كله من الوجود ولو ازمه والشر كله من العدم ولو ازمه والوجود خير والشر الحُص لا يكون الا عدما * قلت هذا اللفظ فيه اجمال فان أريد به ان كل ما خلقه الله وأوجده فخير والخير ووجوده خير من عدمه وما لم يخلقه ولم يشأ فهو المعدم الباقي على عدمه ولا خير فيه اذ لو كان فيه خير لفعله فانه يبدء الخير فهذا صحيح فالشر العدمي هو عدم الخير وان أريد ان كل ما يازم الوجود فهو خير وكل ما يازم العدم فهو شر فليس بصحيح فان الوجود قد يلزمه شر مرجوح والعدم قد يلزمه خير راجح مثال الاول النار والمطر والحر والبرد والتلج ووجود الحيوانات فان هذا موجود ويلزمه شر جزئ مغموور بالنسبة الى مافي وجود ذلك من الخير وكذلك المأمور به قد يلزمه من الالم والمثقة ماهو شر جزئ مغموور بالنسبة الى مافه من الخير

فصل - وتحقيق الأمران الشر نوعان شر محض تحقيق من كل وجه وشر نسبي اضافي من وجه دون وجه فالاول لا يدخل في الوجود اذ لو دخل في الوجود لم يكن شرا محضا والثاني هو الذي يدخل في الوجود فالامور التي يقال هي شرور اما ان تكون امور اعدامية او امور وجودية فان كانت اعدامية فانها اما ان تكون عدما لامور ضرورية لشيء في وجوده او ضرورية له في دوام وجوده وبقاءه او ضرورية له في كاله واما ان تكون غير ضرورية له في وجوده ولا بقاءه ولا كاله وان كان وجودها خيرا من عدما فهذا أربعة أقسام فالاول كالحاسن والحركة والنفس للحیوان والثاني كقوة الاغتذاء والنمو للحیوان المقتذى التامی والثالث كصحته وسمعه وبصره وقوته والرابع كالعلم بدقائق المعلومات التي العلم بها خير من الجهل وليست ضرورية له وأما الامور الوجودية فوجود كل ما يضاد الحياة والبقاء والكمال كالامراض وأسبابها والآلام وأسبابها والموانع الوجودية التي تمنع حصول الخير ووصوله الى المحل القابل له المستعد لحصوله كنواد الردية المسانعة من وصول الغذاء الى أعضاء البدن وارتفاعه به وكالعقائد الباطلة والارادات الفاسدة المانعة لحصول اضدادها للقلب اذا عرف هذا فالشر بالذات هو عدم ما هو ضروري لشيء في وجوده أو بقاءه أو كاله ولهذا عدم نواز من شر أيضا فان عدم العلم والعدل يلزمهما من الجهل والظلم ماهو شرور ووجودية وعدم الصحة والاعتدال يلزمهما من الالم والضرر ماهو شر ووجودي وأما عدم الامور المستغنى عنها كعدم الغنى المفرط والعلوم التي لا يضر الجهل بها فليس بشر في الحقيقة ولا وجودها سببا للشر فان العلم منه حيث هو علم والغنى منه حيث هو غنى لم يوضع سببا للشر وانما يترتب الشر من عدم صفة تقضى الخير كعدم العفة والضرب والعدل في حق الغنى فيحصل الشر له في غناه بعدم هذه الصفات وكذلك عدم الحكمة ووضع الشيء موضعه وعدم ارادة الحكمة في حق صاحب العلم يوجب ترتب الشر له على ذلك فظهر ان الشر لم يترتب الا على عدمه والافلا وجود من حيث وجوده لا يكون شرا ولا سببا للشر فالامور الوجودية ليست شرورا

بالذات بل بالعرض من حيث انها تتضمن عدم أمور ضرورية أو نافعة فانك لاتجد شيئا من الافعال التى هى شر الا وهى كل بالنسبة الى أمور وجهة الشرفيه بالنسبة الى أمور آخر مثال ذلك ان الظلم يصدر عن قوة تغلب الغلبة والقهر وهى القوة الغضبية التى كمالها بالغلبة ولهذا خلقت فليس فى ترتب أثرها عليها شر من حيث وجوده بل الشر عدم ترتب أثرها عليها البتة فتكون ضعيفة عاجزة مقهورة وانما الشر الوجودى الحاصل شر اضافى بالنسبة الى المظلوم بقوات نفسه أو ماله أو تصرفه بالنسبة الى الظالم لا من حيث الغلبة والاستيلاء ولكن من حيث وضع الغلبة والقهر والاستيلاء فى غير موضوعة فعدل به من محله الى غير محله ولو استعمل قوة الغضب فى قهر المؤذى الباغى من الحيوانات الناطقة والبهيمة لكان ذلك خيرا ولكن عدله الى غير محله فوضع القهر والغلبة موضع العدل والتصفية ووضع الغالطة موضع الرحمة فلم يكن الشر فى وجود هذه القوة ولا فى ترتب أثرها عليها من حيث هما كذلك بل فى اجرائها فى غير مجراها ومثال ذلك ماء جار فى نهر الى أرض يسقيها وينفعها فكماله فى جريانه حتى يصل اليها فاذا عدله عن مجراه وطريقه الى أرض يضرها ويخرب دورها كان الشر فى العدول به عما أعدله وعدم وصوله اليه فهكذا الإرادة والغضب أعين بهما العبد ليتوصل بهما الى حصول ما ينفعه وقهر ما يؤذيه ويهلكه فاذا استعمالا فى ذلك فهو كمالها وهو خير واذا صرفا عن ذلك الى استعمال هذه القوة فى غير محمها وهذه فى غير محلها صار ذلك شرا اضافيا نسبيا وكذلك النار كمالها فى احراقها فاذا احترقت ما ينبغى احراقه فهو خير وان صادفت ما لا ينبغى احراقه فافسدته فهو شر اضافى بالنسبة الى الحل المعين وكذلك القتل مثلا هو استعمال الآلة القطاعة فى تفريق اتصال البدن فتقوة الانسان على استعمال الآلة خير وكون الآلة قابلة للتأثير خير وكون الحل قابلا لذلك خير وانما الشر نسبى اضافى وهو وضع هذا التأثير فى غير موضعه والعدول به عن الحل المؤذى الى غيره وهذا بالنسبة الى الفاعل واما بالنسبة الى المفعول فهو شر اضافى أيضا وهو ما حصل له من التألم وفاته من الحياة وقد يكون ذلك خيرا له من جهة أخرى وخيرا للغير وكذلك الوطء فان قوة الفاعل وقبول الحل كمال ولكن الشر فى المدول به عن الحل الذى يليق به الى حل لا يحسن ولا يليق وهكذا حركة اللسان وحركات الجوارح كمالها جارية على هذا المجرى فظهر ان دخول الشر فى الامور الوجودية انما هو بالنسبة والاضافة لانها من حيث وجودها وذواتها وشروطها كذلك السجود ليس هو شرا من حيث ذاته ووجوده فاذا أضيف الى غير الله كان شرا بهذه النسبة والاضافة وكذلك كل ما وجوده كفر وشرك انما كان شرا باضافته الى ما جعله كذلك كتعظيم الاصنام والتعظيم من حيث هو تعظيم لا يمدح ولا يذم بالاعتبار متعلقه فاذا كان تعظيما لله وكتبته ودينه ورسوله كان خيرا محضا وان كان تعظيما للصم وللشيطان فاضافته الى هذا الحل جعلته شرا كما ان اضافة السجود الى غير الله جعلته كذلك

فصل  وما ينبغى أن يعلم ان الاشياء المكونة من موادها شيئا فشيئا كالنبات والحيوان ايمان يعرض لها النقص الذى هو شر فى ابتدائها أو بعد تكونها فالاول هو بان يعرض لمادتها من الاسباب ما يجعلها ردية المزاج ناقصة الاستعداد فيقع الشر فيها والنقص فى خلقها بذلك السبب وليس ذلك بان الفاعل حرمه وأذهب عنه أمرا وجوديا به كماله بل لان المتفعل لم يقبل الكمال والتمام وعدم قبوله

أمر عدمى ليس بالفاعل وأما الذى بالفاعل فهو الخير الوجودى الذى يتقبل به كاله وتماه ونقصه والشر الذى حصل فيه هو من عدم امداده بسبب الكمال فبقى على العدم الاصلى وبهذا يفهم سر قوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فان ما خلقه فهو أمر وجودى به كمال الخلق وتماهه وأما عيه ونقصه فن عدم قبوله وعدم القبول ليس أمرا مخلوقا فخلق بفعل الفاعل فالخلق الوجودى ليس فيه تفاوت والتفاوت انما حصل بسبب هذا الخلق فان الخالق سبحانه لم يخلق له استعدادا فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق لامن نفس الخلق فتأمله والذى الى الرب سبحانه هو الخلق وأما العدم فليس هو بفاعل فاذا لم يكمل في مادة الجنين في الرحم ما يقتضى كاله وسلامة أعضائه واعتدالها حصل فيه التفاوت وكذلك النبات

فصل وأما الثانى وهو ان الشر الحاصل بعد تكونه وبإيجاده فهو نوعان أيضا أحدهما أن يقطع عنه الامداد الذى به كاله بعدم وجوده كما يقطع عن النبات امداده بالسقى وعن الحيوان امداده بالغذاء فهو شر مضاف الى العدم أيضا وهو عدم ما يكمل به الثانى حصول مضاد مناف وهو نوعان أحدهما قيام مانع في المحل يمنع تأثير الاسباب الصالحة فيه كما تقوم بالبدن اخلاط ردية تمنع تأثير الغذاء فيه واتقاعه به وكما تقوم بالقلب ارادات واعتقادات فاسدة تمنع اتقاعه بالهدى والعلم فهذا الشر وان كان وجوديا وأسبابه وجودية فهو أيضا من عدم القوة والارادة التى يدفع بها ذلك المانع فلو وجدت قوة وارادة تدفعه لم يتأثر المحل به مثاله ان غلبة الاخلاط واستيلائها من عده القوة المتضجة لها أو القوة الدافعة لما يحتاج الى خروج وكذلك استيلاء الارادات الفاسدة تضعف قوة العفة والصبر واستيلاء الاعتقادات الباطلة لعدم العلم المطابق لمعلومه فكل شر ونقص قائما حصل لعدم سبب ضده وعدم سبب ضده ليس فاعلاله بل يكفي فيه بقاؤه على العدم الاصلى الثانى مانع من خارج كالبرد الشديد والحرق والفرق ونحو ذلك مما يصيب الحيوان والنبات فيحدث فيه الفساد فهذا لا ريب انه شر وجودى مستند الى سبب وجودى ولكنه شر نسبي اضافى وهو خير من وجه آخر فان وجود ذلك الحر والبرد والماء يترتب عليه مصالح وخيرات كلية هذا الشر بالنسبة اليها جزئى فتعطيل تلك الاسباب لتفويت هذا الشر الجزئى يتضمن شرا أكثر منه وهو فوات تلك الخيرات الحاصلة بها فان ما يحصل بالشمس والرياح والمطر والتلج والحر والبرد من مصالح الخلق أضفاف أضفاف ما يحصل بذلك من مفاسد جزئية هى في جنب تلك المصالح كقطرة في بحر هذا لو كان شرها حقيقيا فكيف هى خير من وجه شر من وجه وان لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس فما قدرها الرب سبحانه سدى ولا خلقها باطلا وعند هذا يقال الوجود اما أن يكون خيرا من كل وجه أو شرا من كل وجه أو خيرا من وجه شر من وجه وهذا على ثلاثة أقسام قسم خيره راجح على شره وعكسه وقسم مستو خيره وشره وأما أن لا يكون فيه خير ولا شر فهذه ستة أقسام ولا مزيد عليها فبعضها واقع وبعضها غير واقع فاما القسم الاول وهو الخير الغض من كل وجه الذى لا شر فيه بوجه ما فهو أشرف الموجودات على الاطلاق أو أكملها أو أجملها أو كل كمال وخير فيها فهو مستفاد من خيره وكاله في نفسه وهى تستمد منه وهو لا يستمد منها وهى فقيرة اليه وهو غنى عنها كل منها يسأله كاله فالملائكة تسأله ما لا حياة لها الا به واعاته على ذكره وشكره وحسن

عبادته وتنفيذ أوامره والقيام بما جعل اليهم من مصالح العالم العلوى والسفلى وتسأله أن يغفر لبنى آدم والرسل تسأله أن يعينهم على أداء رسالاته وتبليغها وأن يتصرهم على استعدادهم وغير ذلك من مصالحهم في معاشهم ومعادهم وبنو آدم كلهم يسألونه مصالحهم على تنوعها واختلافها والحيوان كله يسأله رزقه وغذاه وقوته وما يقيمه ويسأله الدفع عنه والشجر والنبات يسأله غذاء وما ياكل به والكون كله يسأله امداده بقاله وحاله (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) فأكف جميع العالم ممتدة اليه بالطلب والسؤال ويده مبسوطة لهم بالمعطاء والنوال يمينه ملائ لا يفرضها نفقة سحاج الليل والنهار وعطاؤه وخيره مبذول للابرار والفجار له كل كمال ومنه كل خير له الحمد كله وله الشاء كله ويبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله تبارك اسمه وتباركت أوصافه وتباركت أفعاله وتباركت ذاته فالبركة كلها له ومنه لا يتعاضده خير سئله ولا تنقص خزائنه على كثرة عطاؤه وبذله فلو صور كل كمال في العالم صورة واحدة ثم كان العالم كله على تلك الصورة لكان نسبة ذلك الى كماله وجلاله وجلاله دون نسبة سراج ضعيف الى عين الشمس

فصل وأما الاقسام الخمسة الباقية فلا يدخل منها في الوجود الاما كانت المصالحة والحكمة والخير في ايجادها أكثر من المفسدة والانسام الاربعة لا تدخل في الوجود أما الشر المحض الذى لاخير فيه فذاك ليس له حقيقة بل هو العدم المحض * فان قيل فابليس شر محض والكفر والشرك كذلك وقد دخلوا في الوجود دفعاً خير في ابليس وفي وجود الكفر * قيل في خلق ابليس من الحكم والمصالح والخيرات التى ترتبت على وجوده ما لا يعلمه الا الله كما سنبه على بعضه فالله سبحانه لا يخافه عبثاً ولا قصد بخلفه اضرار عباده وهلاكهم فيكم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة وآية ظاهرة ونعمة سابغة وهو وان كان للاديان والايمان كالموم للاديان ففي ايجاد الموم من المصالح والحكم ما هو خير من تقويتها وأما الذى لاخير فيه ولا شر فلا يدخل أيضاً في الوجود فانه عبث فعمالى الله عنه واذا امتنع وجود هذا القسم في الوجود فدخول ما للشر في ايجادها أغلب من الخير أولى بالامتناع ومن تأمل هذا الوجود علم ان الخير فيه غالب وان الامراض وان كثرت فالصحة أكثر منها واللذات أكثر من الآلام والعافية أعظم من البلاء والفرق والحرق والهدم ونحوها وان كثرت فالسلامة أكثر ولولم يوجد هذا القسم الذى خيره غالب لاجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب وفوات الخير الغالب شر غالب ومثال ذلك النار فان في وجودها منافع كثيرة وفيها مفسد لكن اذا قابلنا بين مصالحها ومفسدها لم تكن لمفسدها نسبة الى مصالحها وكذلك المطر والرياح والحر والبرد وبالجملة فمناصر هذا العالم السفلى خيرها ممتزج بشرها ولكن خيرها غالب وأما العالم العلوى فبشرى من ذلك * فان قيل فهلا خلق الخالق الحكيم هذه خالية من الشر بحيث تكون خيرات محضة فان قائم اقتضت الحكمة خالق هذا العالم ممتزجاً فيه اللذة بالآلم والخير بالشر فقد كان يمكن خلقه على حالة لا يكون فيه شر كالعالم العلوى سلمنا ان وجود ما الخير فيه أغلب من الشر أولى من عدمه فإى خير ومصلحة في وجود رأس الشر كله ومنبعه وقدوة أهله فيه ابليس وأى خير في ابقائه الى آخر الدهر وأى خير يغلب في نشأة يكون فيها تسعة وتسعون الى النار وواحد في الجنة وأى خير غالب حصل باخراج الابوين من الجنة حتى جرى على الاولاد ما جرى ولوداما في الجنة لا يرتفع

الشر بالكلية وإذا كان قد خلقهم لعبادته فكيف اقتضت حكمته ان صرف بهم عنا ووفق لها الاقل من الناس وأى خير يغلب في خلق الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغى وأى خير في ايدام غير المكلفين كالاطفال والحمايين فان قائم فائدته التعويض انقضض عليكم بايدام البهائم ثم وأى خير في خالق الدجال وتمكينه من الظهور والافتان به واذا قد اقتضت الحكمة ذلك فإى خير حصل في تمكينه من اظهار تلك الحوارق والعجائب وأى خير في السحر وما يترتب عليه من المفاسد والمضار وأى خير في البأس الخلق شيعا واذقة بعضهم بأس بعض وأى خير في خلق السموم وذات السموم والحيوانات العادية المؤذية بطبعها وأى خير في خراب هذه البنية بعد خلقها في أحسن تقويم وردھا الى اردل العمر بعد استقامتها وصلاحتها وكذلك خراب هذا الدار ومحو أثرها فان كان وجود ذلك خيرا غالبا فباطلانه ابطال للخير الغالب دع هذا كله فإى خير راجح أو مرجوح في النار وهى دار الشر الاعظم والبلاء الاكبر ولا خلاص لكم عن هذه الاسئلة الا بسد باب الحكم والتعليل واستناد الكون الى محض المشيئة أو القول بالاجاب والذاتى وان الرب لا يفعل باختياره ومشيئته وهذه الاسئلة انما ترد على من يقول بالفاعل المختار فلهذا لجأ القائلون الى انكار التعليل جملة فاخترأوا أحد المذهبيين ونحيزوا الى احدى الفئتين والافكيف يجمعون بين القول بالحكمة والتعليل وبين هذه الامور فالجواب بعد أن نقول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر بل في تحقيق هذه الكلمات الجواب الشافي ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فكفنا عذاب النار وما خلقنا السموات والارض وما بينهما ليعين ما خلقناهما الا بالحق وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار انما أنصبتهم انما خلقناكم عبداً وانكم الينا لارجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد أحاط بكل شىء علما جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شىء عليم صنع الله الذى أتقن كل شىء وأحسن كل شىء خلقه ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بل هو في غاية التناسب واقع على أكل الوجوه وأقربها الى حصول الغايات المحمودة والحكم المطلوبة فلم يكن تحصل تلك الحكم والغايات التى انفراد الله سبحانه بعلمها على التفصيل وأطلع من شاء من عباده على أيسر البسير منها الا بهذه الاسباب والبدائيات وقد سأله الملائكة المقربون عن جنس هذه الاسئلة وأصلها فقال انى أعلم ما لا تعلمون وأقروا له بكمال العلم والحكمة وانه في جميع أفعاله على صراط مستقيم وقالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ولما ظهر لهم بعض حكمته فيها سألوا عنه وأنهم لم يكونوا يعلمون قال (لم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

فصل ونحن نذكر أصولا مهمة نبين بها جواب هذه الاسئلة وقد اعترف كثير من المتكلمين ممن له نظر في الفلسفة والكلام انه لا يمكن الجواب عنها الا بالاتزام القول بالموجب بالذات أو القول بابطال الحكمة والتعليل وانه سبحانه لا يفعل شيئا لشيء ولا يأمر بشىء بحكمة ولا يحمل شيئا من الاشياء سببا لغيره وأنما المشيئة محضة وقدرة ترجح مثلا على مثل بلا سبب ولا علة وانه لا يقال

في فعله لم ولا كيف ولا لاي سبب وحكمة ولا هو معلل بالمصالح قال الرازى في مباحثه فان قيل فلم لم يخلق الخالق هذه الاشياء عربة عن كل الشرور فتقول لانه لو جعلها كذلك لكان هذا هو القسم الاول وذلك مما خرج عنه يعنى كان ذلك هو القسم الذى هو خير محض لاشرفيه قال وبقي في الفعل قسم آخر وهو الذى يكون خيره غالبا على شره وقد بينا ان الاولى بهذا القسم ان يكون موجودا قال وهذا الجواب لا ينجى لان لقائل ان يقول ان جميع هذه الخيرات والشرور انما توجد باختيار الله سبحانه وارادته فالاحتراق الجاصل عقيب النار ليس موجبا عن النار بل الله اختار خلقه عقيب مماسة النار واذا كان حصول الاحتراق عقيب مماسة النار باختيار الله وارادته فكان يمكنه ان يختار خالق الاحتراق عند ما يكون خيرا ولا يختار خلقه عند ما يكون شرا ولا خلاص عن هذه المطالبة الابيان كونه فاعلا بالذات لا بالقصد والاختيار ويرجع حاصل الكلام في هذه المسألة الى مسألة القدم والحدوث فانظر كيف اعترف بانه لا خلاص عن هذه الاسئلة الابتكديب جميع الرسل من أولهم الى آخرهم وابطال جميع الكتب المنزلة من عند الله ومخالفة صريح العقل في ان خالق العالم سبحانه مرید مختار ماشاء كان بمشيئته وما لم يكن لعدم مشيئته وانه ليس في الكون شئ حاصل بدون مشيئته البتة فاقر على نفسه انه لا خلاص له في تلك الاسئلة بالاتزام طريقة اعداء الرسل والمثل القائلين بان الله لم يخلق السموات والارض في ستة ايام ولا اوجد العالم بعد عدمه ولا يقنيه بعد ايجاده وصدور ما صدر عنه بغير اختياره ومشيئته فلم يكن مختارا مريدا للعالم وليس عنده الا هذا القول أو قول الجبرية منكرى الاسباب والحكم والتعليل أو قول المعتزلة الذين أثبتوا حكمة لا ترجع الى الفاعل وأوجبوا رعاية مصالح شهبوا فيها الخالق بالخلق وجعلوا له بعقولهم شريعة أو جبواعليه فيها وحرّموا وحجروا عليه فالاقوال الثلاثة تتردد في صدره وتتقاذف به مواجها تقاذف السفينة اذا لعبت بها الرياح الشديدة والعافل لا يرضى لنفسه بواحد من هذه الاقوال لمناقضاتها العقل والنقل والقطرة والقول الحق في هذه الاقوال كيوم الجمعة في الايام أضل الله عنه أهل الكتابين قبل هذه الامة وهداهم اليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الجمعة أضل الله عنها من كان قبلنا فالיום لنا وغدا لليهود وبعد غد للتصارى ونحن هكذا نقول بحمد الله ومنه القول الوسط الصواب لنا وانكار الفاعل بالمشيئة والاختيار لاعداء الرسل وانكار الحكمة والمصاحبة والتعايل والاسباب للجهمية والجبرية وانكار عموم القدرة والمشيئة العائدة الى الرب سبحانه من محبته وكرهته وموجب حده ومقتضى أسمائه وصفاته ومعانيها وآثارها القدريّة الجوسية ونحن نبرأ الى الله من هذه الاقوال وقائلها الامن حق تتضمنه مقالة كل فرقة منهم فنحن به قائلون واليه متقادون وله ذاهبون

فصل — الاصل الاول اثبات عموم علمه سبحانه واحاطته بكل معلوم وانه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض بل قد احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا والخراف في هذا الاصل مع فرقتين احدهما اعداء الرسل كلهم وهم الذين ينفون علمه بالجزئيات وحاصل قولهم انه لا يعلم موجودا البتة فان كل موجود جزئى معين فاذا لم يعلم الجزئيات لم يكن علما بشئ من العالم العلوى والسفلى والفرقة الثانية غلاة القدريّة الذين اتفق السانف على كفرهم وحكموا بقتلهم الذين يقولون لا يعلم أعمال العباد حتى يعملوها ولم يعلمها قبل ذلك ولا كتبها ولا قدرها فضلا

عن أن يكون شاءها وكونها وقول هؤلاء معلوم البطلان بالضرورة من أديان جميع المرسلين وكتب الله المنزل وكلام الرسول صلى الله عليه وسلم مملوء بتكذيبهم. وإبطال قولهم وإثبات عموم علمه الذى لا يشاركه فيه خلقه ولا يحيطون بشئ منه إلا بما شاء أن يطلعهم عليه ويعلمهم به وما أخفاه عنهم ولم يطلعهم عليه لانسبة لما عرفوه اليه الا دون نسبة قطرة واحدة الى البحار كلها كما قال اخضر لموسى وهما أعلم أهل الارض حينئذ ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا كما نقص هذا العصفور من البحر ويكفى ان ما يتكلم به من علمه لو قدر ان البحر يمد من بعده سبعة أبحر مداد وأشجار الارض كلها من أول الدهر الى آخره أقلام يكتب به ما يتكلم به بما يعلمه لتفتد البحار وفيت الأقلام ولم تفتد كلماته فنسبة علوم الخلاق الى علمه سبحانه كنسبة قدرتهم الى قدرته وغناهم الى غناه وحكمتهم الى حكمته وإذا كان أعلم الخلق به على الإطلاق يقول لأخصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك ويقول في دعاء الاستخارة فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ويقول سبحانه للملائكة انى أعلم ما لاتعلمون ويقول سبحانه لأعلم الامم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ويقول لاهل الكتاب وما أوليتم من العلم الا قليلا ويقول رسله يوم القيامة حين يسألهم ماذا أجبت قالوا لأعلم لنا انك أنت علام الغيوب وهذا هو الادب المطابق لاحق في نفس الامر فان علومهم وعلوم الخلاق تضاعف وتلاشى في علمه سبحانه كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم الفحشاء والجراة أن يعترض من لانسبة لعلمه الى علوم الناس الى لانسبة لها الى علوم الرسل الى لانسبة لها الى علم رب العالمين عليه ويقدر في حكمته ويظن أن الصواب والاولى أن يكون غير ماجرى به فله وسبق به علمه وأن يكون الامر بخلاف ذلك فسبحان الله رب العالمين تنزيها لرؤيته وإلهيته وعظمته وجلاله عما لا يليق به من كل مانسبه اليه الجاهلون الظالمون فسبحان الله كلمة يباحث الله بها عن كل ما يخالف كماله من سوء ونقص وعيب فهو المنزه للتنزيه التام من كل وجه وبكل اعتبار عن كل نقص متوهم وإثبات عموم حمده وكماله وتماه ينفى ذلك واتصافه بصفات الالهية التى لا تكون لغيره وكونه أكبر من كل شئ في ذاته وأوصافه وأفعاله ينفى ذلك لمن رسخت معرفته في معنى سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وسافر قلبه في منازلها وتلقى معانيها من مشكاة النبوة لامن مشكاة الفلسفة والكلام الباطل وآراء المتكلمين فهذا أصل يجب التمسك به في هذا المقام وان يعلم أن عقول العالمين ومعارفهم وعلومهم وحكمهم تنقص عن الاحاطة بتفاصيل حكمة الرب سبحانه في أصغر مخلوقاته * الاصل الثانى انه سبحانه حى حقيقة وحياته أكمل الحياة وأتمها وهى حياة تستلزم جميع صفات الكمال ونفى أضدادها من جميع الوجوه ومن لوازم الحياة الفعل الاختيارى فان كل حى فعال وصدور الفعل عن الحى بحسب كمال حياته ونقصها وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل وكذلك قدرته ولذلك كان الرب سبحانه على كل شئ قدير وهو فعال لمسايريد وقد ذكر البخارى في كتاب خلق الافعال عن نعيم بن حماد انه قال الحى هو الفاعل وكل حى فعال فلا فرق بين الحى والميت الا بالفعل والشعور وإذا كانت الحياة مستلزمة للفعل وهو الاصل الثالث فالفعل

الذى لا يعقل الناس سواه هو الفعل الاختيارى الارادى الحاصل بقدره الفاعل وارادته ومشيئته وما يصدر عن الذات من غير سفير قدرته منها ولا ارادة لا اسمية أحد من العقلاء فعلا وان كان أثره من آثارها ومتولدا عنها كتأثير النار في الاحراق والمساء في الاغراق والشمس في الحرارة فهذه آثار صادرة عن هذه الاجسام وليست أفعالا لها وان كانت بقوى وطبائع جعلها الله فيها فالفعل والعمل من الحى العالم لا يقع الا بمشيئته وقدرته وكون الرب سبحانه حيا فاعلا مختارا مريدا مما اتفقت عليه الرسل والكتب ودل عليه العقل والفطرة وهدت به الموجودات ناطقها وصامتها جادها وحيوانها علوها وسفلها فمن أنكر فعل الرب الواقع بمشيئته واختياره وفعله فقد جحد ربه وفطره وأنكر أن يكون للعالم رب* الاصل الرابع انه سبحانه ربط الاسباب بمسبباتها شرعا وقدرًا وجعل الاسباب محل حكمته في امره الدينى والشرعى وأمره الكونى القدرى ومحل ملكه وتصرفه فانكار الاسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات وقبح في العقول والفطر ومكابرة للحس وجحد للشرع والجزاء فقد جعل سبحانه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم والثواب والعقاب والحدود والكفارات والاوامر والنواهي والجل والحرمه كل ذلك مرتبطا بالاسباب قائما بها بل العبد نفسه وصفاته وأفعاله سبب لما يصدر عنه بل الموجودات كلها أسباب ومسببات والشرع كله أسباب ومسببات والمقادير أسباب ومسببات والقدر جار عليها متصرف فيها فالاسباب محل الشرع والقدر والقرآن مملوء من اثبات الاسباب كقوله بما كنتم تعلمون بما كنتم تكسبون ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم كلوا واشربوا بما أسلفتم في الايام الخالية جزاء وفاقظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقلمهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف الى قوله وبكفرهم وقولهم على مريم بهتنا عظيمًا وقولهم انا قلنا للمسيح عيسى بن مريم وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية وقوله فيما رحمة من الله لنت لهم وقوله ذلك بلهم كانت تأتهم رسالهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله وقوله ذلك بلهم قالوا انما البيع مثل الربا وقوله ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم وقوله (فعضوا رسول ربهم فاخذهم أخذه راية) وقوله فكذبوها فكانوا من المهلكين فعصى فرعون الرسول فاخذناه أخذًا وبسلا فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم فسواها وقوله فلما أسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فغفلتهم سلفا ومثلا للاخرين وقوله (وأزلقنا من السماء ماء مباركا فالتبنا به جنات وحب الحصيد) وقوله (حتى اذا قلت سبحا بقالا سقناه ليلد ميت فاثرلناه الماء فاخرجنا به من كل الثمرات) وقوله (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم الآية) وقوله (وأزلقنا من المعصرات ماء تجاجا لندرج به حيا ونباتا وجنات الفافا) وكل موضع رتب فيه الحكم الشرعى أو الجزائى على الوصف افاد كونه سببا كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله) وقوله (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقوله (والذين يسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لنضع اجر المصلحين) وقوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) وهذا أكثر من أن يستوعب وكل موضع تضمن الشرط والجزاء افاد سببية

الشرط والجزاء وهو أكثر من أن يستوعب كقوله (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) وقوله (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) وكل موضع رتب فيه الحكم على ما قبله بحرف أفاد التسبب وقد تقدم وكل موضع تقدم ذكرته فيه الباء تعليلا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزء لكذا أفاد التسبب فإن العلة الغائية علة للالة الفاعلة ولوتبعنا ما يفيد اثبات الاسباب من القرآن والسنة لزد على عشرة آلاف موضع ولم نقل ذلك بمبالغة بل حقيقة ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر ولهذا قال من قال من أهل العلم تكلم قوم في انكار الاسباب فاضحكوا ذوى العقول على عقولهم وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فشابهوا المعطلة الذين أنكروا صفات الرب ونعوت كماله وعلوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبته وتكليمه للملائكة وعباده وظنوا أنهم بذلك ينصرون التوحيد فها أفادهم الاتكذيب الله ورسله وتنزيهه عن كل كمال ووصفه بصفات المعدم والمستحيل ونفاه عن زه الله في أفعاله وإن يقوم به فعل البتة وظن أنه ينصر بذلك حدوث العالم وكونه مخلوقا بعد أن لم يكن وقد أنكرك أصل الفعل والخلق جملة ثم من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس ان التوحيد لا يتم إلا بانكار الاسباب فإذا رأى المستقل أنه لا يمكن اثبات توحيد الرب سبحانه إلا بإبطال الاسباب ساءت ظنونهم بالتوحيد وبمن جاء به وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم اثباتا للاسباب من القرآن وبالله العجب إذا كان الله خالق السبب والمسبب وهو الذى جعل هذا سببا لهذا والاسباب والمسببات طوع مشيئة وقدرته متفاد لحكمه ان شاء أن يبطل سببية الشئ أبطلها كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم وإغراق الماء على كلميه وقومه وان شاء أقام لتلك الاسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها وان شاء خلط بينها وبين إقضائها لآثارها فهو سبحانه يفعل هذا وهذا وهذا فأى قدح يوجب ذلك في التوحيد وأى شرك يترتب على ذلك بوجه من الوجوه ولكن ضعفاء العقول إذا سمعوا ان النار لا تحرق والماء لا يفرق والخبر لا يشيع والسيف لا يقطع ولا تأثير لشيء من ذلك البتة ولا هو سبب لهذا الاثر وليس فيه قوة وإنما الخالق المختار يشاء حصول كل أثر من هذه الآثار عند ملاقة كذا لكذا قالت هذا هو التوحيد وأفراد الرب بالخلق والتأثير ولم يدر هذا القائل ان هذا إساءة ظن بالتوحيد وتسلط لاعداء الرسل على ما جاؤا به كما تراه عيانا في كتبهم يتفرون به الناس عن الإيمان ولا ريب ان الصديق الجاهل قد يضر مالا يضره العدو العاقل قال تعالى عن ذى القرنين (وآتيناه من كل شئ سببا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس علما قال قتادة وابن زيد وابن جريج والضحاك علما تسبب به الى ما يريد وكذلك قال اسحق علما يوصله الى حيث يريد وقال المبرد وكل ما وصل شيئا بشئ فهو سبب وقال كثير من المفسرين آتيناه من كل ما بالخلق اليه حاجة علما ومدة له وقد سمي الله سبحانه الطريق سببا في قوله فاتبع سببا قال مجاهد طريقا وقيل السبب الثانى هو الاول أى اتبع سببا من تلك الاسباب التى أوتيتها مما يوصله الى مقصوده وسمى سبحانه أبواب السماء أسبابا إذ منها يدخل الى السماء قال تعالى عن فرعون (لعلنى أبلغ الاسباب أسباب السموات) أى أبوابها التى أدخل منها إليها وقال زهير

ومن هاب أسباب المنايا ينلته ولو رام أسباب السماء بسلم

وسمى الجبل سببا لايصاله الى المنصود قال تعالى (فليمدد بسبب الى السماء) قال بعض أهل اللغة السبب من الجبال القهري الطويل قال ولا يدعى الجبل سببا حتى يصعده وينزل ثم قيل لكل شيء وصلت به الى موضع أو حاجة تريدها سبب يقال ما بيني وبين فلان سبب أي أسرة رحم أو عاطفة مودة وقد سمى تعالى وصل الناس بينهم أسبابا وهي التي يتسببون بها الى قضاء خواجهم بعضهم من بعض قال تعالى (اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب) يعنى الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا وقال ابن عباس وأخبا به يعنى أسباب المودة الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا وقال ابن زيد هي الاعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا بها الى ثواب الله وقيل هي الارحام التي كانوا يتعاطفون بها وبالجملة فسمى الله سبحانه ذلك كله أسبابا لانها كانت يتوصل بها الى مسبباتها وهذا كله عند نقاة الأسباب مجاز لاحقيقة له وبالله التوفيق

فصل الأصل الخامس أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئا عبثا ولا غير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لاجلها فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تحصى ولا سبيل الى استيعاب أفرادها فنذكر بعض أنواعها * النوع الاول التصريح بلفظ الحكمة وما تصرف منه كقوله (حكمة بالغة) وقوله (وأُنزل الله عليك الكتاب والحكمة) وقوله (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) والحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح وسمى حكمة لان العلم والعمل قد تعلقا بمصلحةهما وأوصلا الى غايتيهما وكذلك لا يكون الكلام حكمة حتى يكون موصلا الى الغايات الحمودة والمطالب النافعة فيكون مرشدا الى العلم النافع والعمل الصالح فتحصل الغاية المطلوبة فاذا كان المتكلم به لم يقصد مصالحة المخاطبين ولا هداهم ولا ايصالهم الى سعادتهم ودلائلهم على أسبابها وموانعها ولا كان ذلك هو الغاية المقصودة المطلوبة ولا تكلم لاجلها ولا أرسل الرسل وأزل الكتب لاجلها ولا نصب الثواب والعقاب لاجلها لم يكن حكما ولا كلامه حكمة فضلا عن أن تكون بالغة * النوع الثاني اخباره أنه فعل كذا لكذا وأنه أمر بكذا لكذا كقوله (ذلك تعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض) وقوله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) ينزل الامر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) وقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد) ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شيء عليم) وقوله (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أَرَادَ الله) وقوله (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدر على شيء من فضل الله) وقوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول من ينقلب على عقبيه) وقوله (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) أي ليعلموا بهذا الحفظ والرصد من تبليغ رسالاته فيعلم الله ذلك واقعا وقوله (وينزل من السماء ماء ليظهر كرم به ولا يربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وقوله (ويبطل الباطل) وقوله (وما جعله الله لتثبت قلوبكم به) وقوله (قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) وقوله (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب

ويرداد الذين آمنوا ايماها) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقوله (وأنزّلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزلناهم) وقوله (هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وايدكر اولو الالباب) وقوله (ولقد أرسنا رسانا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) وقوله (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) وقوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) وهذا في القرآن فان قيل اللام في هذا كله لام العاقبة كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وقوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) وقوله (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) وقوله (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا ما هم مقتربون) فان ما بعد اللام في هذا ليس هو الغاية المطلوبة ولكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل وهى في الحقيقة لام العاقبة * فالجواب من وجهين * أحدهما ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن دفعها فالاول كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) والثانى كقول الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى ذهاب

وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير فيستحيل في حقه دخول هذه اللام وانما اللام الواردة في أفعاله وأحكامه لام الحكمة والغاية المطلوبة * الجواب الثانى افراد كل موضع من تلك المواضع بالجواب أما قوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) فهو تعليل لقضاء الله سبحانه بالتقاطه وتقديره له فان التقاطهم له انما كان بقضائه وقدره فهو سبحانه قدر ذلك وقضى به ليكون لهم عدوا وحزنا وذكر فعاهم دون قضائه لانه أبلغ في كونه حزنا لهم وحسرة عليهم فان من اختار أخذ ما يكون هلاكه على يديه اذا أصيب به كان أعظم لحزنه وغمه وحسرتة من أن لا يكون فيه صنع ولا اختيار فانه سبحانه أراد أن يظهر لفرعون وقومه ولغيرهم من خلقه كمال قدرته وعلمه وحكمته الباهرة وان هذا الذى يذبح فرعون الابناء في طلبه هو الذى يتولى تربيته في حجره وبيته باختياره وإرادته ويكون في قبضته وتحت تصرفه فذكر فعاهم به في هذا أبلغ وأعجب من أن يذكر القضاء والقدر وقد أعلمنا سبحانه ان أفعال عباده كلها واقعة بقضائه وقدره وأما قوله تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فلا ريب ان هذا تعليل لفعله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض كما امتحن السادات والاشراف بالعبيد والضعفاء والموالى فاذا نظر الشريف والسيد الى العبد والضعيف والمسكين قد أسلم أنف وحمى أن يسلم معه أو بعده ويقول هذا يسبقنى الى الخير والفلاح وأتخاف أنا فلو كان ذلك خيرا وسعادة ماسبقنا هؤلاء اليه فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية المطلوبة بهذا الامتحان فان هذا القول دال على اباء واستكبار وترك الانقياد للحق بعد المعرفة التامة به وهذا وان كان علة فهو مطلوب لغيره والعلل الغائية تارة تطالب لنفسها وتارة تطالب لغيرها فتكون وسيلة الى مطلوب لنفسه وقول هؤلاء ما قالوه وما يترتب عليه هذا القول موجب لأنار مطلوبة للفاعل من اظهار عدله وحكمته وعزه وقهره وسلطانه وعطائه من يستحق

عطاءه وبحسن وضعه عنده ومنعه من يستحق المنع ولا يابق به غيره ولهذا قال تعالى (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون المنعم عليهم فيها من عليهم من بين من لا يعرفها ولا يشكر ربه عليها وكانت فتنة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذى ترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء

فصل ١٠ — وأما قوله (ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) فهى على بابها وهى لام الحكمة والتعليل أخبر الله سبحانه أنه جعل ما ألقاه الشيطان فى أمانة الرسول محنة واختبار العبادة فافتنت به فريقان وهم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وعلم المؤمنون ان القرآن والرسول حق وان لقاء الشيطان باطل فآمنوا بذلك وأخبت له قلوبهم فهذه غاية مطلوبة مقصودة بهذا القضاء والقدر والله سبحانه جعل القلوب على ثلاثة أقسام مريضة وقاسية ومحبطة وذلك لانها إما أن تكون بإسائة جامدة لا تليّن لاحق اعترافا واذعانا أو لا تكون كذلك فالاول حال القلوب القاسية الحجرية التى لا تقبل ما يثبت فيها ولا ينطبع فيها الحق ولا ترسم فيها العلوم الثمينة ولا تليّن لاعطاء الاعمال الصالحة وأما النوع الثانى فلا يخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع إسنه أو يكون ثابتا مع ضعف وانحلال والثانى هو القلب المريض والاول هو الصحيح الخبت وهو جمع الصلابة والصفاء اللين فيصير الحق بصفائه ويشدد فيه بصلابته ويرحم الخلق بليّنه كما فى أثر مرمى القلوب آية الله فى أرضه فأحبها الى الله أصلها وأرقها وأصفها كما قال تعالى فى أصحاب هذه القلوب (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فهذا وصف منه المؤمنين الذين عرفوا الايمان بصفاء قلوبهم واشتدوا على الكفار بصلابتها وتراحوا فيها بينهم بليّنها وذلك ان القلب عضو من أعضاء البدن وهو أشرف أعضائه وملكها المطاع وكل عضو كاليد مثلا إما أن تكون جامدة وباسية لا تتلوى ولا تبطش أو تبطش بضعف فذلك مثل القلب القاسى أو تكون مريضة ضعيفة عاجزة ولضعفها ومرضاها فذلك مثل الذى فيه مرض أو تكون باطشة بقوة ولين فذلك مثل القلب العليم الرحيم فبالعلم خرج عن المرض الذى ينشأ من الشهوة والشبهة وبالرحمة خرج عن القسوة ولهذا وصف سبحانه من عدا أصحاب القلوب المريضة والقاسية بالعلم والايمان والاخبات فتأمل ظهور حكمته سبحانه فى أصحاب هذه القلوب وهم كل الامة فأخبر ان الذين أوتوا العلم علموا أنه الحق من ربهم كما أخبر أنهم فى التشابه يقولون آمنا به كل من عند ربنا وكلا الوصفين موضع شبهة فكان حظهم من الايمان وحفظ آداب القلوب المنحرفة عن الصحة الافتتان ولهذا جعل سبحانه احكام آياته فى مقابلة ما يلقى الشيطان بازاء الآيات المحكمات فى مقابلة المتشابهات فالاحكام ههنا بمنزلة انزال المحكمات هناك ونسخ ما يلقى الشيطان ههنا فى مقابلة رد المتشابه الى المحكم هناك والنسخ ههنا رفع ما ألقاه الشيطان لارفع ما شرعه الرب سبحانه وللنسخ معنى آخر وهو النسخ من افهام الخاطئين ما فهموه مما لم يرده ولا دل اللفظ عليه وان أوهمه كما أطلق الصحابة النسخ على قوله (وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) قالوا نسخنا قوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) الآية فهذا نسخ من الفهم لانسح لاحكم الثابت فان الحاسبة لا تستلزم العقاب فى الآخرة ولا فى الدنيا أيضا ولهذا عمهم بالحاسبة ثم أخبر بعدها أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ففهم

المؤاخذه التى هى المعاقبة من الآية تحميل لها فوق وسعها فرفع هذا المعنى من فهمه بقوله (ربنا لا تؤاخذنا ان نسبنا أو أخطأنا) الى آخرها فهذا رفع لفهم غير المراد من لقاء الملك وذلك رفع لما ألقاه غير الملك في اسماعهم أو في التمنى وللنسخ معنى ثالث عند الصحابة والتابعين وهو ترك الظاهر اما بتخصيص عام أو بتقييد مطلق وهذا كثير في كلامهم جدا وله معنى رابع وهو الذى يعرفه المتأخرون وعليه اصطاحوا وهو رفع الحكم بجملة بعد ثبوته بدليل رافع له فهذه أربعة معان للنسخ والاحكام له ثلاثة معان * أحدها الاحكام الذى في مقابلة المتشابه كقوله (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) والثانى الاحكام في مقابلة نسخ ما باقى الشيطان كقوله فينسخ الله ما باقى الشيطان ثم يحكم الله آياته وهذه الاحكام يعم جميع آياته وهو اثباتها وتقريرها وبيانها ومنه قوله (كتاب أحكمت آياته) * الثالث احكام في مقابلة الآيات المنسوخة كما بقوله السلف كثير اهداه الآية بحكمة غير منسوخة وذلك لان الاحكام تارة يكون في التنزيل فيكون في مقابلة ما يلقى الشيطان في أميته ما يلقى المبلغ أو في سمع المبلغ فالحكم هنا هو المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من اشتباهه بغير المنزل وفصل منه ما ليس منه بإبطاله وتارة يكون في ابقاء المنزل واستمراره فلا ينسخ بعد ثبوته وتارة يكون في معنى المنزل وتأويله وهو تمييز المعنى المقصود من غيره حتى لا يشتبه به والمقصود ان قوله ليجعل ما باقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض هى لام التعليل على بابها وهذا الاختبار والامتحان مظهر لمختلف القلوب الثلاثة فالقاسية والمریضة ظهر خبؤها من الشك والكفر والحجة ظهر خبؤها من الايمان والهدى وزيادة محبته وزيادة بغض الكفر والشرك والتفرقة عنه وهذا من أعظم حكمة هذا اللقاء

﴿فصل﴾ وأما اللام في قوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة فلام التعليل على بابها فانها مذكورة في بيان حكمته في جمع أوليائه وأعدائه على غير معاد ونصرة أوليائه مع قتلهم ورفقهم وضعف عددهم وعدتهم على أصحاب الشوكة والعدد والحد والحديد الذى لا يتوهم بشر أنهم ينصرون عليهم فكانت تلك آية من أعظم آيات الرب سبحانه صدق بها رسوله وكتابه ليهلك بعدها من اختار لنفسه الكفر والعناد عن بينة فلا يكون له على الله حجة ويحيى من حى بالايمان بالله ورسوله عن بينة فلا يبقى عنده شك ولا ريب وهذا من أعظم الحكم وتظهير هذا قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين)

(فصل) وأما اللام في قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة فهى على بابها للتعليل فانها ان كانت تعليلاً لفعل العدو وهو إحياء بعضهم الى بعض فظاهر وعلى هذا فيكون عطفا على قوله غرورا فانه مفعول لاجله أى ليغروهم بهذا الوحى ولتصغى اليه أفئدة من باقى اليه في رضاه وبعمل بموجبه فيكون سبحانه قد أخبر بمقصودهم من الإحياء المذكور وهو أربعة أمور غرور من يوحون اليه واصفاء أفئدتهم اليهم ومحبتهم لذلك وانفصالهم عنده بالافتراق وان كان ذلك تعليلاً لجملة سبحانه لكل نبى عدوا فيكون هذا الحكم من جملة الغايات والحكم المطلوبة بهذا الجمل وهى غاية وحكمة مقصودة لغيرها لانها مفضية الى أمور هى محبوبة مطلوبة للرب سبحانه وفوائدها يستلزم فوات ما هو أحب اليه من حصولها وعلى التقديرين فاللام لام التعليل والحكمة

(فصل) النوع الثالث الايتان بكى الصريحة في التعليل كقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فنته وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم فليل سبحانه تسمية الفى بين هذه الاصناف كى لا يتداوله الاغنياء دون الفقراء والاقوياء دون الضعفاء وقوله سبحانه (ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) فأخبر سبحانه انه قدر ما يصيبهم من البلاء فى أنفسهم قبل أن يبرأ النفس أو المصيبة أو الارض أو المجموع وهو الاحسن ثم أخبر أن مصدر ذلك قدرته عليه وانه يسير عليه وحكمته البالغة التى منها أن لا يحزن عباده على ما فاتهم اذا علموا ان المصيبة فيه بقدره وكتابته ولا بد قد كتبت قبل خلقهم هان عليهم الثبات فلم يأسوا عايه ولم يفرحوا بالخاصل لعلهم ان المصيبة مقدرة فى كل ماعلى الارض فكيف يفرح بشئ قد قدرت المصيبة فيه قبل خلقه ولما كانت المصيبة تتضمن فوات محبوب أو خوف فواته أو حصول مكروه أو خوف حصوله به بالاسى على الفات على مفارقة المحبوب بعد حصوله وعلى فوته حيث لم يحصل وبه بعده الفرح به اذا وجد على توطين النفس لمفارقته قبل وقوعها وعلى الصبر على مرارتها بعد الوقوع وهذه هى أنواع المصائب فاذا يتقن العبد انها مكتوبة مقدرة وان ما أصابه منها لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه هانت عليه وخف حملها وأزهد منزلة الحر والبرد

(فصل) النوع الرابع ذكر المفعول له وهو علة للفعل المفعول به كقوله (وأزولنا اليك الكتاب نبينا لكل شئ وهدى ورحمة) ونسب ذلك على المفعول له أحسن من غيره كما صرح به فى قوله لنئين للناس ما نزل اليهم وفى قوله (ولأنتم نعتى عليكم ولعلكم تهتدون) فإتمام النعمة هو الرحمة وقوله (وما أهلكنا من قرية الا الهام منذرون ذكرى وما كنا ظالمين) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكرى أى لاجل الذكر كما قال (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) وقوله فالمفقيات ذكرنا عذرا أو نذرا أى للاعذار والانذار وقوله (ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم يلقاء ربهم يؤمنون) فهذا كله مفعول لاجله وقوله (انا صينا الماء صبا) الى قوله (متاعا لكم ولأنعامكم) والمتاع واقع موقع التمتع كما يقع السلام موقع التسليم والاعطاء موضع الاعطاء وأما قوله (يرىكم البرق خوفا وطمعا) فيجتمل أن يكون من ذلك أى اخافة لكم واطمعا وهو أحسن ويحتمل أن يكون مفعول فعل محذوف أى فيرونها خوفا وطمعا فيكونان حالا وقوله (أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها) الى قوله (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) أى لاجل التبصرة والذكرى والفرق بينهما ان التبصرة توجب العلم والمعرفة والذكرى توجب الانابة والانقياد وبهما تم الهداية

(فصل) النوع الخامس الايتان بان والفعل المستقبل بعدها تعليل لما قبله كقوله (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله أن تقول نفس يا حسرتنا وقوله أن تفضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى وتناظره وفى ذلك طريقان أحدهما للكوفيين والمعنى ثلاثا تقولوا ولثلاثا تقول نفس واثنتى للبصريين ان المفعول له محذوف أى كراهية أن تقولوا أو حذار أن تقولوا فان قيل كيف يستقيم الطريقان فى قوله تعالى أن تفضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى فانك ان

قدرت لئلا تضل احداهما لم يستقم العطف فتذكر احداهما عايه وان قدرت حذار أن تضل احداهما لم يستقم العطف أيضا وان قدرت ارادة أن تضل لم تصح أيضا * قيل هذا من الكلام الذى ظهور معناه مزيل للاشكال فان المقصود اذكار احداهما الاخرى اذا ضلت ونسيت فلما كان الضلال سببا للاذكار جعل موضع العلة كما تقول أعددت هذه الحشبة أن يميل الحائط فادع به فاما أعددتها للدعم للاميل وأعددت هذا الدواء أن امراض فتداوى به ونحوه وهذا قول سيدويه والبصريين قال أصل الكوفة تقديره كى تذكر احداهما الاخرى ان ضلت فلما تقدم الجزاء اتصل بما قبله ففتحت أن قال القراء ومثله قوله ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى معناه ليعجبني أن يعطى السائل ان سأل لانه انما يرجيه الاعطاء لا السؤال ومن ذلك قوله تعالى (واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر سبحانه من حكم أخذ الميثاق عليهم أن لا يحتجوا يوم القيامة بغفلتهم عن هذا الامر ولا بتقليد الاسلاف ومنه قوله وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت فالضمير في به القرآن وأن تبسل في محل نصب على أنه مفعول له أى حذار أن تسلم نفس الى الملكة والعذاب وترتن بسوء عملها

(فصل) النوع السادس ذكر ماهو من صرائح التعليل وهو من أجل كقواه من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقد ظنت طائفة ان قوله من أجل ذلك تعليل لقوله فأصبح من النادمين أى من أجل قتله لآخيه وهذا ليس بشئ لانه يشوش صحة النظم وتقل الفائدة بذكره ويذهب شأن التعليل بذلك للكتابة المذكورة وتعظيم شأن القتل حين جعل علة لهذه الكتابة فتأمل * فان قلت كيف يكون قتل أحد بنى آدم الاخر علة لحكمه على أمة أخرى بذلك الحكم واذا كان علة فكيف كان قاتل نفس واحدة بمنزلة قاتل الناس كلام * قلت الرب سبحانه يجعل أقضيته واقداره عللا وأسبابا للشرع وأمره بفعل حكمه الكونى القدرى علة لحكمه الدينى الامرى وذلك ان القتل عنده لما كان من أعلى أنواع الظلم والفساد فخم أمره وعظم شأنه وجعل إثمه أعظم من إثم غيره ونزل قاتل النفس الواحدة منزلة قاتل الانفس كلها ولا يازم من التشبيه أن يكون المشبه بمنزلة المشبه به من كل الوجوه فاذا كان قاتل الانفس كلها يصلى النار وقاتل النفس الواحدة يصلها صاح تشبيه به كما يأتى من شرب قطرة واحدة من الخمر ومن شرب عدة قناطير وان اختلف مقدار الانتم وكذلك من زنى مرة واحدة واخرزنا مرارا كثيرة كلاهما آثم وان اختلف قدر الانتم وهذا معنى قول مجاهد من قتل نفسا واحدة يصلى النار بقاتلها كما يصلها من قتل الناس جميعا وعلى هذا فالتشبيه في أصل العذاب لآفى وصفه وان شئت قلت التشبيه في أصل العقوبة الدينية وقدرها فانه لا يختلف بقلة القتل وكثرته كما لو شرب قطرة فان حده حد من شرب راوية ومن زنى بامرأة واحدة حده حد من زنى بألف وهذا تأويل الحسن وابن زيد قال يجب عليه من القصاص بقاتلها مثل الذى يجب عليه لو قتل الناس جميعا ولك أن تجمل التشبيه في الاذى والغم الواصل الى المؤمنين بقتل الواحد منهم فقد جعلهم كلهم خصماء وأوصل اليهم من الاذى والغم ما يشبه القتل وهذا تأويل ابن الأنبارى وفي الآية تأويلات أخر

فصل النوع السابع التعليل باعل وهي في كلام الله سبحانه للتعليل مجردة عن معنى الترجي فانها انما بقارنها معنى الترجي اذا كانت من المخلوق واما في حق من لا يصح عليه الترجي فبى للتعليل المحض كقوله أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فقيل هو تعليل لقوله أعبدوا ربكم وقيل تعليل لقوله خلقكم والصواب انه تعليل للامرين لشرعه وخلقهم ومنه قوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (لعلكم) تذكرون لعله يذكر أويحشى) فاعلم في هذا كله قد اخلاصت للتعليل والرجاء الذى فيها متعلق بالمخاطبين

فصل النوع الثامن ذكر الحكم الكونى والشرعى عقيب الوصف المناسب له وتارة يذكر بان وتارة يقرن بالثناء وتارة يذكر مجردا فالاول كقوله (وزكريا اذ نادى ربه رب لا تدركنى فردا وأنت خير الوارئين) فاستجباله ووهبته يحيى وأصلح حاله زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) وقوله (ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين) وقوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) وقوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لانضيع أجر المخلصين) والثاني كقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والثالث كقوله ان المتقين في جنات وعيون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم وهذا في التنزيل يزيد على عدة آلاف موضع بل القرآن مملوء منه فان قيل هذا انما يفيد كون تلك الافعال اسبابا لما رتب عليها لا يقتضى اثبات التعليل في فعل الرب وأمره فابن هذا من هذا قيل لما جعل الرب سبحانه هذه الاوصاف عللا لهذه الاحكام واسبابا لما دل ذلك على انه حكم بهاشرا وقدرا لاجل تلك الاوصاف وانه لم يحكم بها لغير علة ولا حكمة ولهذا كان كل من نفى التعليل والحكم نفى الاسباب ولم يجعل حكم الرب الكونى والدينى سببا ولا حكمة هي العلة الغائية وهؤلاء ينفون الاسباب والحكم ومن تأمل شرع الرب وقدره وحزاه جزم جزما ضروريا بطلان قول النفاة والله سبحانه قد رتب الاحكام على اسبابها وعللها وبين ذلك خبرا وحسا وفطرة وعقلا ولو ذكرنا ذلك على التفصيل لقام منه عدة أسفار

فصل النوع التاسع تعليله سبحانه عدم الحكم القدري والشرعى بوجود المانع منه كقوله (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خير بصير) وقوله وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون أى آيات الافتراح لا الآيات الدالة على صدق الرسل التي يقمها هو سبحانه ابتداء وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) وقوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولابسننا عليهم ما يلبسون) فاخبر سبحانه عن المانع الذى منع من انزال الملك عيانا بحيث يشاهدونه وان حكمته وعنايته بخلقه منعت من ذلك فانه لو أنزل الملك ثم عاينوه ولم يؤمنوا لمعوجوا

بالعقوبة ولم ينظروا وايضا فانه جعل الرسول بشرا ليحكمهم اتفق عنه والرجوع اليه ولو جمعه ملكا
 فلما أن يدعه على هيئة الملائكة أو يجمعه على هيئة البشر والاول يتنعم من التلقى عنه والثاني لا يحصل
 مقصودهم اذ كانوا يقولون هو بشر لملك وقال تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى
 الا أن قالوا ائمت الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من
 السماء ملكا رسولا) فاخبر سبحانه عن المانع من انزال الملائكة وهو انه لم يحمل الارض مسكنا لهم
 ولا يستقرون فيها مطمئين بل يكون نزولهم لينفذوا أوامر الرب سبحانه ثم يرجون اليه ومن
 هذا قوله (وما معنا) أن نرسل بالآيات الآن كذب بها الاولون) فاخبر سبحانه عن حكمته في الامتناع
 من ارسال رسله بآيات الاقتراح والتشبهى وهى انها لا توجب الايمان فقد سألها الاولون فلما أوتوها
 كذبوا بها فاهلكوا فليس لهم مصلحة في الارسال بها بل حكمته سبحانه تبنى ذلك كل الالباب ثم نبه على
 ما أصاب ثمود من ذلك فانهم اقترحوا الناقة فلما أعطوا ما سألوا ظاهروا ولم يؤمنوا فكان في اجابتهم
 الى ما سألوا هلاكهم واستصالحهم ثم قال 'وما نرسل بالآيات الا تخويفا) أى لاجل التخويف فهو
 منصوب نصب المفعول لاجله قال قتادة أن الله يخوف الناس بما شاء من آياته ليعلمهم انهم يتوبون أو يذكرون
 أو يرجعون وهذا يعنى آياته التى تكون مع الرسل والتى تقع بعدهم في كل زمان فانه سبحانه لا يزال
 يتحدث لعباده من الآيات ما يخوفهم بها ويذكرهم بها ومن ذلك قوله (وقالوا لولا أنزل عليه آية
 من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون) أى لا يعلمون حكمته تعالى
 ومصلحة عبادته في الامتناع من انزال الآيات التى يقتصرها الناس على الانبياء وليس المراد أن أكثر
 الناس لا يعلمون ان الله قادر فانه لم ينزع في قدرة الله أحد من المقرين بوجوده سبحانه ولكن حكمته
 في ذلك لا يعلمها أكثر الناس

(فصل) النوع العاشر اخباره عن الحكم والغايات التى جعلها في خلقه وأمره كقوله (الذى جعل
 لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقوله (الم
 نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
 النهار معاشا) الى قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء مجحجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفاها) وقوله (الم
 نجعل الارض كفتانا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شاخات وأسقيناكم ماء فرانا) وقوله (والله
 جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
 ومن أضواها وأبوابها وأشعارها أنانا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم
 سرايل تقيكم الحر وسرايل تقيكم بأسكم) وقوله (فلينظر الانسان الى طعامه) الى قوله (متاعا لكم
 ولا نعماكم) وقوله (ومن آياته ان جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها) وقوله (الله الذى
 خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الليل
 لتجرى في البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائيين وسخر لكم الليل
 والنهار) وقوله (الله الذى سخر البحر لتجرى الفلك فيه بامره ولتبتقوا من فضله ولعلمكم تشكرون)
 الى أضاعاف أضاعاف ذلك في القرآن مما يفيد من له أدنى تأمل القطع بانه سبحانه فعل ذلك للحكم
 والمصالح التى ذكرها وغيرها مما لم يذكره وقوله (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال

بيوت ومن اشجر ومن يمشون ثم كل من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله (وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون) وقوله (والانعام خالقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والجيل والبالغ والحير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) فهل يستقيم ذلك ويصح فيمن لا يفعل الحكمة ولا مصلحة ولا غاية هى مقصودة بالفعل ومعلوم بالضرورة ان هذا الالهاب وهذا الثفى متقابلان اعظم التقابل

فصل في النوع الحادى عشر انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا الحكمة كقوله (أخسبتم انما خلقناكم عبثا) وقوله (أحسب الانسان أن يترك سدى) وقوله (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا عين ما خلقناهما الا بالحق) والحق هو الحكم والغايات الممودة الى الاجلها خالق ذلك كله وهو أنواع كثيرة منها أن يعرف الله تعالى بلسانه وصفاته وأفعاله وآياته ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر ويطاع ومنها أن يأمر وينهى ويشعر الشرائع ومنها أن يدبر الامر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فيوجد أثر عدله وفضله موجودا مشهودا فيحمد على ذلك ويشكر ومنها أن يعلم خاتمه انه لا إله غيره ولارب سواه ومنها أن يصدق الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيبينه ومنها ظهور آثار أسمائه وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهنى والجارحى فيعلم عباده ذلك علما مطابقا لما في الواقع ومنها شهادة مخلوقاته كلها بانه وحده ربها وفاطرها ومليكمها وانه وحده إلهها ومعبودها ومنها ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حتى قدبر ومن كان كذلك لم يكن الا فعلا مختارا ومنها أن يظهر أثر حكمته في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذى يليق به ومحبة على الوجه الذى تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة ومنها أنه سبحانه يحب أن يوجد ونعم ويعفو ويغفر ويسامح ولا بد من لوازم ذلك خلقا وشرعا ومنها أنه يحب أن يثنى عليه ويمجد ويمجد ويسبح ويعظم ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته وإلهيته الى غير ذلك من الحكم التى تضمها الخلق خلقا مخلوقاته بسبب الحق ولاجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهوى نفسه حق فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده المؤمنين حيث زهوه عن إيجاد الخلق لآتى لا غاية فقال تعالى (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه) وأخبر ان هذا خلق أعدائه لأطن أولياءه فقال (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك من الذين كفروا) وكيف يتوهم انه عرفه من يقول انه لم يخلق الحكمة مطلوبه ولا أمر الحكمة ولاهى الحكمة وإنما يصدر الخلق والامر عن مشيئة وقدرة محضة للحكمة والغاية مقصودة وهل هذا الا انكار حقيقة حمده بل الخلق والامر انما قام بالحكم والغايات فهما مظهران بحمده وحكمته وانكار الحكمة انكار حقيقة خلقه وأمره فان الذى أثبتة المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقا وأمر الاراحة فيه ولا مصلحة ولا حكمة بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للمكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز

عندهم أن يأمر بكل ماينهى عنه وينهى عن جميع ماأمر به ولا يفرق بين هذا وهذا الا مجرد الامر والنهى ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين بل أننى عمره في طاعته وشكره وذكره وينعم على من لم يعلمه طرفة عين بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه الا بنجرى الرسول والافوه جائز عليه وهذا من أقبح الظن وأسوئه بالرب سبحانه وتزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو عين الظلم الذى يتعالى الله عنه والمعجب العجائب أن كثيرا من أرباب هذا المذهب يزهونه عما وصف به نفسه من صفات الكمال ولعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تحميم وتشبيه ولا يزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون انه عدل وحق وان التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الابانكار استوائه على عرشه وعلوه فوق سمواته وتكلمه وتكليمه وصفات كاله فلا يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الامنيات والله ولي التوفيق

(فصل) النوع الثانى عشر انكاره سبحانه أن يسوى بين المختلفين أو يفرق بين المتماثلين وان حكمته وعدله يأبى ذلك اما الاول فكتة وله (أن يجعل المسلمين كالجور من مالكم كيف تحكمون) فاخبر ان هذا حكم باطل جائز يستحيل نسبته اليه كما يستحيل نسبة الفقر والحاجة والظلم اليه ومنكرو الحكمة والتعليل يجوزون نسبة ذلك اليه بل يقولون بوقوعه وقال تعالى (أم يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفسدين في الارض أم يجعل المتقين كالفجار) وقال (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) فجعل سبحانه ذلك حكما سيئا يتعالى ويتقدس عن أن يجوز عليه فضلا عن أن ينسب اليه بل أبغ من هذا انه أنكر على من حسب أن يدخل الجنة بغير امتحان له وتكليف يبين به صبره وشكره وان حكمته تأبى ذلك كما قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) وقال (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا مؤمنين وليجة) فانكر عليهم هذا الظن والحسبان لمخالفته لحكمته وأما الثانى وهو أن لا يفرق بين المتماثلين فكتة قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) وقوله (والؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقوله (المتافقون والمنافقات بعضهم من بعض) وقوله (فاستجاب لهم ربهم انى لأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض) وقوله (ولما بلغ أشدهم آياتنا حكما وعلماء وكذلك نجزي المحسنين) وقوله (أ كفاركم خير من أولائكم) وقوله (دمر الله عليهم ولا كفرا من أمثالها) وقوله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نتجد لسننتنا تحويلا) وقوله (سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وقوله (سنة الله التى قد خلت من قبل) فسنته سبحانه عادته المعلومه في أوليائه وأعدائه باكرام هؤلاء واعزازهم ونصرتهم وإهانة أولئك وإذلالهم وكتبهم. وقال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله كتبوا كما كتب الذين من قبلهم) والقرآن ملأه من هذا يخبر تعالى ان حكم الشيء في حكمته وعدله حكم نظيره ومماثلة وضد حكم مضاده ومخالفه وكل نوع من هذه

الانواع لو استوعبناه لجاء كتابا مفردا

فصل النوع الثالث عشر أمره سبحانه بتدبر كلامه والتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه وزواجره ونولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والغايات المطلوبة والمواقب الحميدة التى هى محل الفكر لما كان للتفكر فيه معنى وانما دعاهم الى التفكير والتدبر ليطلعهم ذلك على حكمته البالغة ونما فيه من الغايات والمصالح المحمودة التى توجب لمن عرفها اقراره بأنه تنزيل من حكم حديد فلو كان الحق ما يقوله النفاة وان مرجع ذلك وتصوره مجرد القدرة والمشيئة التى يجوز عليها تأييد الكاذب بالمعجزة ونصره واعلائه واهانة الحق واذلاله وكسره لما كان في التدبر والتفكر مما يدلهم على صدق رساله وقيم عليهم حجتة وكان غاية ما دعوا اليه انقدر المحض وذلك مشترك بين الصادق والكاذب والبر والفاجر فهو لاء بانكارهم الحكمة والتعليل سدوا على نفوسهم باب الايمان والهدى وفتحوا عليهم باب المكابرة وجحد الضروريات فان ما في خلق الله وأمره من الحكم والمصالح المقصودة بالخلق والامر والغايات الحميدة أمر تشهد به الفطر والعقول ولا ينكره سليم الفطرة وهم لا ينكرون ذلك وانما يقولون وقع بطريق الاتفاق لا بالقصد كما تسقط خشبة عظيمة فيتفق عبور حيوان مؤذنها قبله ولا ريب ان هذا ينفي حمد الرب سبحانه على حصول هذه المنافع والحكم لانها لم تحصل بقصده وارادته بل بطريق الاتفاق الذى لا يحمد عليه صاحبه ولا يثنى عليه بل هو عندهم بمثابة ما لو رمى رجل درهما للبغرض ولا لفائدة بل لمجرد قدرته ومشيتته على طرحه فاتفق أن وقع في يد محتاج انتفع به فهذا من شأن الحكم والمصالح عند المنكرين

فصل النوع الرابع عشر اخباره عن صدور الخلق والامر عن حكمته وعلمه فيذكر المذنبين الاسمين عند ذكر مصدر خلقه وشرعه تنبيه على انهما انما صدر عن حكمته مقصودة مقارنة للعلم المحيط التام لقوله (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) وقوله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فذكر العزة المتضمنة لكمال القدرة والتصرف والحكمة المتضمنة لكمال الحمد والعلم وقوله (والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) وسمع بعض الاعراب قارئاً يقرأه والله غفور رحيم فقال ليس هذا كلام الله فقال انكذب بالقرآن فقال الاول لكن لا يحسن هذا فرجع القارئ الى خطئه فقال عزيز حكيم فقال صدقت واذا تأملت ختم الآيات بالاسماء والصفات وجدت كلامه محتتماً بذكر الصفة التى يقتضيه ذلك المقام حتى كأنها ذكرت دليلاً عليه وموجبة له وهذا كقوله (ان تمدبهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) أى فان مغفرتك لهم مصدر عن عزة هى كمال القدرة لاعن عجز وجهل وقوله (ذلك تقدير العزيز العليم) في عدة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الاحرام العلوية وما تضمنه من فلق الاصباح وجعل الليل مسكناً واجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها وأخبر أن هذا التقدير الحكم المتفق صادر عن عزته وعلمه ليس أمراً اتفاقياً لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الامور الاتفاقية ومن هذا ختمه سبحانه قصص الانبياء وأهمهم في سورة الشعراء عقيب كل قصة (وان ربك هو العزيز الرحيم) فان ما حكم به لرسله واتباعهم ولاعدائهم صادر عن عزة ورحمة فوضع الرحمة في محلها واتمم من أعدائه بعزته ونجى رسله واتباعهم برحمته والحكمة

الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود وهى غاية النعل لأنها أمر اتفاق

(فصل) النوع الخامس عشر اخباره بان حكمه أحسن الاحكام وتقديره أحسن التقادير ولولا مطابقته للحكمة والمنفعة المقصودة المرادة لما كان كذلك اذ لو كان حسنة لكونه مقدورا معلوما كما يقوله الثلثة لكان هو ووضده سواء فانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير فكان كل معلوم مقدور أحسن الاحكام وأحسن التقادير وهذا تمتع قال تعالى ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وقال ومن أحسن دينا عن أسلم وجهه لله وهو محسن فجعل هذا أن يختار لهم دينا سواء ويرضى دينا غيره كما تمتع عليه العيب والظلم وقال تعالى (ومن أحسن قولاً من دعا الى الله وعمل صالحاً) وقال (اننى من المسلمين) وقال (فقد رنا نعيم الفردون) وقال (فتبارك الله أحسن الخالقين) فلا أحسن من تقديره وخلقه لوقوعه على الوجه الذى اقتضته حكمته برحمته وعلمه وقال تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) ولولا بحبسه على أكمل الوجوه وحسنها ومطابقتها للغايات المحمودة والحكم المطلوبة لكان كله متناوئا أو كان عدم تفاوته أمرا اتفاقيا لا يحمده فاعله لانه لم يردده ولم يقصده وانما اتفق ان صار كذلك

(فصل) النوع السابع عشر اخباره سبحانه أنه على صراط مستقيم في موضعين من كتابه أحدهما قوله حاكيا عن نبيه هود (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) والثاني قوله (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أتنبأ بوجه لآيات بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالبدل وهو على صراط مستقيم) قال أبو اسحاق أخبر أنه وان كانت قدرته تتاهل بما شاء فهو لا يشاء الا العدل قال ابن الانبارى لما قال الا هو آخذ بناصيتها كان في معنى لا يخرج عن قبضته فاهر بعظيم سلطانه كل دابة فاتبع ذلك قوله (ان ربي على صراط مستقيم) أى انه على الحق قال وهذا نحو كلام العرب اذا وصفوا رجلا حسن السيرة والعدل والانصاف قالوا فلان طريقه حسنة وليس ثم طريق وذكر في معنى الآية أقوال أخر هى من لوازم هذا المعنى وآثاره كقول بعضهم ان ربي يدل على صراط مستقيم فدلالته على الصراط من موجبات كونه في نفسه على صراط مستقيم فان تلك الدلالة والتعريف من تمام رحمته واحسانه وعدله وحكمته وقال بعضهم معناه لا يخفى عليه شئ ولا يمدل عنه هارب وقال بعضهم المعنى لا مسلك لاحد ولا طريق له الا عليه كقوله (ان ربك بالمرصاد) وهذا المعنى حق ولكن كونه هو المراد بالآية ليس بالبين فان الناس كلهم لا يسلكون الصراط المستقيم حتى يقال أنهم يفعلون سلوكه اليه ولما أراد سبحانه هذا المعنى قال الينا مرجعهم ان الينا اياهم ان ربك بالمرصاد وان الى ربك المنتهى وأما وصفه سبحانه بأنه على صراط مستقيم فهو كونه يقول الحق ويفعل الصواب فكلماته صدق وعدل وصواب وخير والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل فلا يقول الا بما حمد عليه لكونه حقا وعدلا وصدقا وحكمة في نفسه وهذا معروف في كلام العرب قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

أمير المؤمنين على صراط اذا اوج الموارد مستقيم

واذا عرف هذا فمن ضرورة كونه على صراط مستقيم أنه لا يفعل شأ الا بحكمة بحمد عليها وغاية هى

أولى بالأرادة من غيرها فلا تخرج أفعاله عن الحكمة والمصلحة والاحسان والرحمة والعدل والصواب كما لا تخرج أقواله عن العدل والصدق

(فصل) النوع السابع عشر حمده سبحانه لنفسه على جميع ما فعله وأمره عبادته بحمده وهذا لما في أفعاله من الغايات والعواقب الحميدة التي يستحق فاعلها الحمد فهو يحمده على نفس الفعل وعلى قصد الغاية الحميدة به وعلى حصولها فهنا ثلاث أمور ومنكرو الحكم والتعليل ليس عندهم محمود على قصد الغاية ولا على حصولها إذ قصدوا عندهم مستحيل عليه وحصولها عندهم أمر اتفاقي غير مقصود كما صرحوا به فلا يحمده على ما لا يجوز قصده ولا على حصوله فلم يبق لنفس الفعل ومعلوم أن الفاعل لا يحمده على فعله أن لم يكن له فيه غاية مطلوبة هي أولى به من عدمها والافجود الفعل الصادر عن الفاعل إذا لم يكن له غاية يقصده بها لا يحمده عليه بل وقوع هذا الفعل من القادر المختار الحكيم محال ولا يقع الفعل على هذا الوجه إلا من عائب والله منزّه من العيب فحمده سبحانه من أعظم الأدلة على كمال حكمته وقصده بما فعل يقع خلفه والاحسان إليهم ورحمتهم وإتمام نعمته عليهم وغير ذلك من الحكم والغايات التي تعطيلها تعطيل حقيقة حمده

(فصل) النوع الثامن عشر أخباره بأنعامه على خلقه واحسانه إليهم وأنه خلق لهم ما في السموات وما في الأرض وأعطاهم السمع والابصار والافتدة أتم نعمته عليهم ومعلوم أن المنعم الحسن لا يكون كذلك ولا يستحق هذا الاسم حتى يقصد الأنعام على غيره والاحسان إليه فلو لم يفعل سبحانه لغرض الأنعام والاحسان لم يكن منعمًا في الحقيقة ولا محسنًا إذ يستحيل أن يكون كذلك من لم يقصد الأنعام والاحسان وهذا غنى عن التقرير يوضحه أنه سبحانه حيث ذكر أنعامه واحسانه قائما يذكره مقرونًا بالحكم والمصالح والمنافع التي خلق الخلق وشرع الشرائع لأجلها كقوله في آخر سورة النحل والله جعل لكم ما خالق ظلالًا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرائيل تقيمكم الحر وسرايل تقيمكم بأسمكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلمكم تسامون فهذا في الخلق وقال في التمرع في أمره باستقبال الصلوة ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوههم واخشون ولا تهم بتمتق عليكم ولعلمكم تهتدون وقال في أمره بالوضوء والتيمم ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلمكم تشكرون فجعل تمام نعمته في أن خلق ما خلق للاحسان وأمر بما أمر لذلك

(فصل) النوع التاسع عشر اتصافه بالرحمة وأنه أرحم الراحمين وإن رحمته وسعت كل شيء وذلك لا يتحقق إلا بان تقصد رحمة خلقه بما خلقه لهم وبما أمرهم به فلو لم تكن أو أمره لأجل الرحمة والحكمة والمصلحة وأرادة الاحسان إليهم لما كان رحمة ولو حصلت بها الرحمة لكانت اتفاقية لا مقصودة وذلك لا يوجب أن يكون الأمر سبحانه أرحم الراحمين فتعطيل حكمته والغاية المقصودة التي لأجلها يفعل انكار لرحمته في الحقيقة وتعطيل لها وكان شيخ هذا المذهب جهل بن صنفوان يقف على الجنامي ويشاهد ما هم فيه من البلايا ويقول أرحم الراحمين يفعل مثل هذا يعني أنه ليس ثم رحمة في الحقيقة وإن الأمر راجع إلى محض المشيئة الخالية عن الحكمة والرحمة ولا حكمة

عنده ولا رحمة فان الرحمة لاتعقل الا من فعل من يفعل الشئ لرحمة غيره ونفعه والاحسان اليه فاذا لم يفعل لغرض ولا غاية ولا حكمة لم يفعل الرحمة والاحسان

فصل النوع العشرون جوابه سبحانه لمن سأل عن التخصيص والتميز الواقع في أفعاله بانه لحكمة يعلمها هو سبحانه وان كان السائل لايعلمها كما أجاب الملائكة لما قال لهم (انى جاعل في الارض خليفة) فقالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فأجابهم بقوله (انى أعلم ما لا تعلمون) ولو كان فعله مجردا عن الحكم والغايات والمصالح لكان الملائكة أعلم به ان سألوا هذا السؤال ولم يصح جوابهم بتفرده أعلم ما لا يعلمونه من الحكم والمصلحة التى فى خلق هذه الخليفة ولهذا كان سؤالهم انما وقع عن وجه الحكمة لم يكن اعتراضا على الرب تعالى ولو قدر أنه على وجه الاعتراض فهو دليل على علمهم أنه لا يفعل شئ الا لحكمة فلما رأوا ان خلق هذا الخليفة مناف للحكمة فى الظاهر سألوه عن ذلك ومن هذا قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نأتى مثل ما أتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته فاجابهم بان حكمته وعلمه يأبى أن يضع رسالته فى غير محلها وعند غير أهلها ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن فى هذا جوابا بل كان الجواب ان أفعاله لاتعمل وهو يرجح مثلا على مثل بغير مرجح والامر عائد الى مجرد القدرة كما يقوله المتكبرون وكذلك قوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فلما سألوا عن التخصيص بمشيئة الله وأنكروا ذلك أجيبوا بان الله أعلم بمن يصلح لمشيئته وهو أهل لها وهم الشاكرون الذين يعرفون قدر النعمة ويشكرون عليها المنعم فهو لا يصلحون لمشيئته ولو كان الامر عائدا الى محض المشيئة لم يحسن هذا الجواب ولهذا يذكر سبحانه محفة العلم حيث يذكر التخصيص والتفصيل بينهما على انه انما حصل بعلمه سبحانه بما فى التخصيص المفصل مما يقتضى تخصيصه وتقصيه وهو الذى جعله أهلا لذلك كما قال تعالى (ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شئ عالمين) فذكر علمه عقيب ذكر تخصيصه سليمان بتسخير الريح له وتخصيصه الارض المذكورة بالبركة ومنه قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم) فذكر صفة العلم التى اقتضت تخصيص هذا المكان وهذا الزمان بأمر اختصاص به دون سائر الامكنة والازمنة ومن ذلك قوله سبحانه (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما) فأخبر أنه وضع هذه الكعبة عند أهلها ومن هم أحق بها وأنه أعلم بمن يستحقها من غيرهم فهل هذا وصف من يخص بمحض المشيئة لاسباب وغاية

فصل النوع الحادى والعشرون اخباره سبحانه عن تركه بعض مقدوره لما يستلزمه من المفسدة وان المصلحة فى تركه ولو كان الامر راجعا الى محض المشيئة لم يكن ذلك علة لاجلهم كقولهم تعالى (ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) فقل سبحانه عدم اسمعهم السماع الذى يتفهمونه وهو سماع الفهم بأنهم لاخير فيهم يحسن معه أن يسمعهم وبأن فهمهم ما لنا آخر يمنع من الانتفاع بالمسموع لو سمعوه وهو الكبر

والاعراض فالاول من باب تعليل عدم الحكم بعدم ما يقتضيه والثاني من باب تعليله بوجود مانعه وهذا انما يصح بمن يأمر وينهى وبفعل للحكم والمصالح وأما من مجرد فعله عن ذلك فانه لا يضاف عدم الحكم الا الى مجرد مسببه فقط ومن هذا تنزيهه نفسه عن كثير مما يقدر عليه فلا يفعله لمنافاته لحكمته وحمده كقوله تعالى (ما كان الله ليلزر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليعلمكم على الغيب) وقوله (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) وقوله (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) وقوله (وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو آياته) فترى نفسه عن هذه الافال لانه لا يابق بكماله وينافي حكمته وحمده وعند انقضاء أمها ليست مما ينزه الرب عنه لانها مقدورة له وهو انما ينزه عما لا يقدر عليه ولكن علمنا انها لا تقع لعدم مسببه لها لا لقبحها في نفسها

فصل في النوع الثاني والعشرون ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل اما ان يكون لعدم علم الفاعل بها او تفاسدها وهذا محال في حق من هو بكل شيء عليم واما لمجزه عن تحصينها وهذا يتمتع في حق من هو على كل شيء قدير واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره وايصال النفع اليه وهذا مستحيل في حق أرحم الراحمين ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الاحسانا منعنا مانا واما لما منع يمنع من ارادتها وقصدها وهذا مستحيل في حق من لا ينهه مانع عن فعل ما يريد واما لاستناز امها نقضا ومنافاتها كالا وهذا باطل بل هو قلب للحقائق وعكس للنظر ومناقضة لقضايا العقول فان من يفعل الحكمة وغاية مطلوبة يحمدها عليها أكمل ممن يفعل اللئى البتة كما ان من يخاف أكمل ممن لا يخاف ومن يعلم أكمل ممن لا يعلم ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ومن يقدر ويريد أكمل ممن لا يتصرف بذلك وهذا مركوز في الفطر مستقر في العقول ففي حكمته بمنزلة نفي هذه الاوصاف عنه وذلك يستلزم وصفه باضدادها وهي أنقص التقائق ولهذا صرح كثير من الثقات كالجويني والرازي بانه لم يبق على نفي التقائق عن الله دليل عقلى الا مستدل بالنفي السمع والاجماع وحديث فيقال لهؤلاء ان لم يكن في انبيات الحكمة نقص لم يحز نفيها وان كانت نقضا فإين في السمع أو في الاجماع نفي هذا النقص وجهور الامة ثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع انقضاء سمع ولا عقل ولا اجماع بل السمع والعقل والاجماع والفطرة تشهد بطلان قولهم والله الموفق للصواب وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه وحمده ومجده وحقائق اسمائه الحسنى تمتع كون أفعاله صادرة منه بالحكمة ولا غاية مطلوبة وجميع اسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد بطلانه وانما نبهنا على بعض طرق القرآن والاقتدالة التي تضمنها انبات ذلك اضعاف اضعاف ما ذكرنا وبالله التوفيق

فصل في كيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك وهذا الوجود شاهد بحكمته وعنايته بخلقه أتم عنايته وما في مخلوقاته من الحكم والمصالح والمنافع والغايات المطلوبة والواقب الحميدة أعظم من أن يحيط به وصف أو يحصره عقل ويكفى الانسان فكره في نفسه وخلقته وأعضائه ومنافعها وقواه وصفاته وهياته فانه لو استغف عمره لم يحيط علما بجميع ما تضمنه خلقه من الحكم والمنافع على التفصيل والعالم كله علويه وسفليه بهذه المثابة ولكن لشدة ظهور الحكمة ووضوحها وجد الجاحد

السبيل الى انكارها وهذا شأن النفوس الجاهلة الظالمة كما أنكرت وجود الصانع تعالى مع فرط ظهور آياته ودلائل ربوبيته بحيث استوعبت كل موجود ومع هذا فسمحت بالمكابرة في انكاره وهكذا أدلة علوه سبحانه فوق مخلوقاته مع شدة ظهورها وكثرها سمحت نفوس الجهمية بانكارها وهكذا سواها كصدق انبيائه ورسله ولا سيما خاتمهم صلوات الله وسلامه عليه فان أدلة صدقه في الوضوح للعقول كالشمس في دلائلها على النهار ومع هذا فلم يأنف الجاحدون والمكابرون من الانكار وهكذا أدلة ثبوت صفات الكمال لمعطى الكمال هي من أظهر الاشياء وأوضحها وقد أنكرها من أنكرها ولا يستكر هذا فانك تجد الرجل منغمسا في النعم وقد أحاطت به من كل جانب وهو يشكى حاله ويسخط مما هو فيه وربما أنكر النعمة فضلال النفوس وغياها لاحدله تنتهى اليه ولاسيا النفوس الجاهلة الظالمة ومن أعجب العجب ان تسمح نفس بانكار الحكم والعلل الغائية والمصالح التى تضمنتها هذه الشريعة الكلمة التى هي من أدل الدلائل على صدق من جاءها وأنه رسول الله حقا ولولم يأت بمعجزة سواها لكانت كافية شافية فان ما تضمنته من الحكم والمصالح والغايات الحميدة والعواقب السديدة شاهدة بان الذى شرعها وأزهلها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وشهود ذلك في تضاعيفها ومضمونها كشهود الحكم والمصالح والمنافع في المخلوقات العلوية والسفلية وما بينهما من الحيوان والنبات والعناصر والآثار التى بها انتظام مصالح المعاش فكيف يرضى أحد لنفسه انكار ذلك وجحده وان تحمل واستحى من العقلاء قال ذلك أمر اتفاق غير مقصود بالامر والخلق وسبحان الله كيف يستجيز أحد أن يظن برب العالمين وأحكم الحاكمين أنه يذب كثيرا من خلقه أشد العذاب الابدى لغير غاية ولا حكمة ولا سبب وانما هو محض مشيئة مجردة عن الحكمة والسبب فلا سبب هناك ولا حكمة ولا غاية وهل هذا الامن أسوأ الظن بالرب تعالى وكيف يستجيز أن يظن بربه أنه أمر ونهى وأباح وحرم وأحب وكره وشرع الشرائع وأمر بالحدود للحكمة ولا مصلحة يقصدها بل ماثم الامشيئة محضة رجحت مثلا على مثل بغير مرجح وإى رحمة تكون في هذه الشريعة وكيف يكون المبعوث بها رحمة مهداة للعالمين لو كان الامر كما يقول النفاة وهل يكون الامر والنهى الاعقوبة وكلفة وعبئا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا ونقص عقولنا ومعارفنا وتلاشها وتلاشى علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشى ضوء السراج في عين الشمس وهذا قريب والا فالامر فوق ذلك وهل ابطاله الحكم والمناسبات والافصاف التى شرعت الاحكام لاجلها الا بطلان للشرع جملة وهل يمكن فقيها على وجه الارض أن يتكلم في الفقه مع اعتقاده بطلان الحكمة والمناسبة والتعليل وقصد الشارع بالاحكام مصالح العباد وجناية هذا القول على الشرائع من أعظم الجنايات فان العقلاء لا يمكنهم انكار الاسباب والحكم والمصالح والعلل الغائية فاذا رأوا ان هذا لا يمكن القول به مع موافقة الشرائع ولا يمكنهم رفعه عن نفوسهم خلوا الشرائع وراء ظهورهم وأسأوا بها الظن وقالوا لا يمكننا الجمع بينها وبين عقولنا ولا سبيل لنا الى الخروج عن عقولنا ورأوا ان القول بالفاعل المختار لا يمكن الا مع نفى الاسباب والحكم والقوى والطبائع ولا سبيل الى نفيها فنفا الفاعل وأولئك لم يمكنهم القول بنفى الفاعل المختار ورأوا انه لا يمكنهم اثباته مع اثبات الاسباب والحكم والقوى

والعلل فتفوها وبين الطائفتين بعد المشرقين ولا تستهن بامر هذه المسئلة فان شأنها أعظم وخطرها أجل وفروعها كثيرة ومن فروعها أنهم لما تكلموا فيما يحدثه الله تعالى من المطر والنبات والحيوان والحر والبرد والليل والنهار والاهلال والابدار والكسوف والاستمرار وحوادث الجو وحوادث الارض انقسموا قسمين وصاروا طائفتين فطائفة جعلت الموجب لذلك مجرد مارأوه علة وسببا من الحركات الفلكية والقوى الطبيعية والنفوس والعقول فليس عندهم لذلك فاعل مختار مرید وقابلهم طائفة من المتكلمين فلم يسبوا لذلك سببا الا مجرد المشيئة والقدرة وان الفاعل المختار يرجح مثلا على مثل بلامرجح ولاسبب ولاحكمة ولاغاية يفعل لاجلها ونفوا الاسباب والقوى والطبائع والقرائن والحكم والغايات حتى يقول من أثبت الجوهر الفرد منهم أن الفلك والرحا ونحوهما ما يدور متفكك دائما عند الدوران والقادر المختار يعيده كل وقت كما كان وان الألوان والمقادير والاشكال والصفات تعدم على تعاقب الآتات والقادر المختار يعيدها كل وقت وان ملوحة ماء البحر كل لحظة تعدم وتذهب ويعيدها القادر المختار كل ذلك بلا سبب ولاحكمة ولاغاية غايته ورأوا أنهم لا يمكنهم التخلص من قول الفلاسفة أعداء الرسل الا بذلك ورأى أعداء الرسل أنهم لا يمكنهم الدخول في الشريعة الا بالانزام أصول هؤلاء ولم يهتد الطائفتان للحق الذي لا يجوز غيره وهو انه سبحانه يفعل بمشيئته وقدرته وارادته وبفعل مايفعله باسباب وحكم وغايات محدودة وقد أودع العالم من القوى والطبائع والغرائز والاسباب والمسببات ما به قام الخلق والامر وهذا قول جمهور أهل الاسلام وأكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية وتكلم باصول النفاة فعادى فقهه أصول دينه

الباب الثاني والعشرون

في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل وذكر الاجوبة عنها

قالت النفاة قد اجلبتم علينا بما استطعتم من خيل الادلة ورجلها فاسمعوا الآن ما يبطله ثم اجيبوا عنه ان أمكنكم الجواب فتقول ما قاله أفضل متأخريهم محمد بن عمر الرازي كل من فعل فعلا لاجل تحصيل مصلحة أولدفع مفسدة فان كان تحصيل تلك المصلحة أولى من عدم تحصيلها كان ذلك الفاعل قد استفاد بذلك الفعل تحصيل ذلك ومن كان كذلك كان ناقصا بذاته مستكملا بغيره وهو في حق الله محال وان كان تحصيلها وعدمه بالنسبة اليه سواء فع ذلك لا يحصل الرجحان فامتنع تحصيلها ثم أورد سؤالاً وهو لا يقال حصولها واللا حصولها بالنسبة اليه وان كان على التساوي الآن حصولها للعبد أولى من عدم حصولها له فلاجل هذه الاولوية العائدة الى العبد يرجح الله سبحانه الوجود على العدم ثم أجاب باننا نقول تحصيل تلك المصلحة وعدم تحصيلها له اما أن يكونا متساويين بالنسبة الى الله أولا يستويان حينئذ يعود التقسيم المذكور قال المشتون الجواب عن هذه الشبهة من وجوه أحدها أن قولك أن كل من فعل لغرض يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره مائة في بقولك انه يكون ناقصا بذاته أتعني به أنه يكون عادما لشيء من الكمال الذي لا يجب أن يكون له قبل حدوث ذلك المراد أم تعني به أن يكون عادما لما ليس كمالا قبل وجوده أم تعني به معنى ثالثا

فان عنت الاول فالدعوى باطلة فانه لا يلزم من فعليه لغرض حصوله أولى من عدمه أن يكون
 عادما لشيء من الكمالات الواجب قبل حدوث المراد فانه يتمتع أن يكون كالا قبل حصوله وان عنت
 الثاني لم يكن عدمه نقضا فان الغرض ليس كالا قبل وجوده وما ليس بكمال في وقت لا يكون عدمه
 نقضا فيه فما كان قبل وجوده عدمه أولى من وجوده وبعد وجوده وجوده أولى من عدمه لم يكن
 عدمه قبل وجوده نقضا ولا وجوده بعد عدمه نقضا بل الكمال عدمه قبل وقت وجوده ووجوده
 وقت وجوده وإذا كان كذلك فالحكم المطلوبة والغايات من هذا النوع وجودها وقت وجودها هو
 الكمال وعدمها حينئذ نقص وعدمها وقت عدمها كل وجودها حينئذ نقص وعلى هذا فالنافي هو
 الذي نسب النقص الى الله المالمثبت وان عنت به أمرا ثالثا فلا بد من يسهانه حتى تنظر فيه الجواب
 الثاني ان قولك يلزم أن يكون ناقضا بذاته مستكملا بغيره أتعنى به أن الحكمة التي يجب وجودها
 اما حصلت له من شيء خارج عنه أم تعنى أن تلك الحكمة نفسها غير له وهو مستكمل بها فان عنت
 الاول فهو باطل فانه لا رب غيره ولا خالق سواه ولم يستفد سبحانه من غيره كالا بوجه من الوجوه
 بل العالم كله انما استفاد الكمال الذي فيه منه سبحانه وهو لم يستفد كاله من غيره كالم يستفد وجوده
 من غيره وان عنت الثاني فتلك الحكمة صفته سبحانه وصفاته ليست غيرا له فان حكمته قائمة به وهو
 الحكيم الذي له الحكمة كما أنه العليم الذي له العلم والسميع الذي له السمع والبصير الذي له البصر
 فثبوت حكمته لا يستلزم استكماله بغير منفصل عنه كما ان كاله سبحانه بصفاته وهو لم يستفدها من
 غيره الجواب الثالث انه سبحانه اذا كان انما يفعل لاجل أمر هو أحب اليه من عدمه كان اللازم
 من ذلك حصول مراده الذي يحبه وفعله لاجله وهذا غاية الكمال وعدمه هو النقص فان من كان
 قادرا على تحصيل ما يحبه وفعله في الوقت الذي يجب على الوجه الذي يجب فهو الكامل حقا لا من
 لا محبوب له أو له محبوب لا يقدر على فعله الجواب الرابع أن يقال أنت ذكرت في كتبك أنه لم يقم
 على نفي النقص عن الله دليل عقلي وأثبت في ذلك الجوابي وغيره وقلتم انما ينفي النقص عنه عز وجل
 بالسمع وهو الاجماع فلم تتقوه عن الله عز وجل بالعقول ولا بنص منقول عن الرسول بل بما
 ذكرتوه من الاجماع وحينئذ قلنا ينفي بالاجماع ما انعقد الاجماع على نفيه والفعل بحكمة لم ينعقد
 الاجماع على نفيه فلم يجمع الامة على انتفاء التعاليل لأفعال الله فاذا سميت أنت ذلك نقصا لم تكن هذه
 التسمية موجبة لانقضاء الاجماع على نفيه فان قلت أهل الاجماع أجمعوا على نفي النقص وهذا نقص
 قيل نعم الامة مجمعة على ذلك ولكن الشأن في هذا الوصف المسمى أهو نقص فيكون قد أجمعت على نفيه
 فهذا أول المسئلة والثالثون يثبتون ليس هو عندهم نقضا بل هو عين الكمال ونفيه عين النقص وحينئذ
 فنقول في الجواب الخامس ان اثبات الحكمة كمال كما تقدم تقريره ونفيه نقص والامة مجمعة على
 انتفاء النقص عن الله بل العلم بانتفاءه عن الله تعالى من اعلى العلوم الضرورية المستقرة في فطر الخلق
 فلو كانت أفعاله معطاة عن الحكم والغايات المحمودة لزم النقص وهو محال ولزوم النقص من انتفاء
 الحكم أظهر في العقول والفطر والعلوم الضرورية والنظرية من لزوم النقص من اثبات ذلك وحينئذ
 فنقول في الجواب السادس النقص اما أن يكون جزئيا أو متما فأن كان جزئيا بطل دليلك وان كان
 متما بطل دليلك أيضا فبطل الدليل على التقديرين الجواب السابع ان النقص منتف عن الله عز

وجل عقلا كما هو منتف عنه سمعا والعقل والنقل يوجب اتصافه بصفات الكمال والنقص هو ما يصاد صفات الكمال فالعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلال والحياة صفات كمال وأضدادها نقص فوجب تنزيه عنها لمناقضتها لكمالها وأما حصول ما يحبه الرب تعالى في الوقت الذي يحبه فانما يكون كمالا اذا حصل على الوجه الذي يحبه فعدمه قبل ذلك ليس نقضا اذ كان لا يجب وجوده قبل ذلك الجواب الثامن أن يقال الكمال الذي يستحقه سبحانه وتعالى هو الكمال الممكن أو الممتنع فالاول مسلم والثاني باطل قطعا فلم قلت ان وجود الحادث في غير وقته الذي وجد فيه ممكن بل وجود الحادث في الازل ممتنع فعدمه لا يكون نقضا الجواب التاسع ان عدم الممتنع لا يكون كمالا فان الممتنع ليس بشئ في الخارج وماليس بشئ لا يكون عدمه نقضا فانه ان كان في المقدور ما لا يحدث الا شيئا بعد شئ كان وجوده في الازل ممتنعا فلا يكون عدمه نقضا وانما يكون الكمال وجوده حين يمكن وجوده * الجواب العاشر أن يقال انه تعالى أحدث أشياء بعد ان لم يكن محدثا لها كالحوادث المشهودة حتى أن القائلين بكون الفلك قديما عن علة موجبة يقرون بذلك ويقولون أنه يحدث الحوادث بواسطته وحينئذ فنقول هذا الاحداث اما أن يكون صفة كمال واما أن لا يكون فان كان صفة كمال فقد كان قافدا لها قبل ذلك وان لم يكن صفة كمال فقد اتصف بالنقص فان قلت نحن نقول بانه ليس صفة كمال ولا نقص قيل فهلا قلتم ذلك في التعليل وأيضا فهذا محال في حق الرب تعالى فان كل ما يفضله يستحق عليه الحمد وكل ما يقوم من صفاته فهو صفة كمال وضده نقص وقد ينازع النظار في الفاعلية هل هي صفة كمال أم لا وجهور المسلمين من جميع الفرق يقولون هي صفة كمال وقالت طائفة ليست صفة كمال ولا نقص وهو قول أكثر الاشعرية فاذا التزم له هذا القول قيل له الجواب من وجهين أحدهما ان من المعلوم تصریح العقل ان من يخلق أكمل ممن لا يخلق كما قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وهذا استفهام انكار يتضمن الانكار على من سوى الامرين يعلم ان أحدهما أكمل من الآخر قطعا ولا ريب أن تفضيل من يخلق على من لا يخلق في الفطر والعقول كتفضيل من يعلم على من لا يعلم ومن يقدر على من لا يقدر ومن يسمع ويبصر على من لا يسمع ولا يبصر ولما كان هذا مستقرا في فطر بنى آدم جعله الله تعالى من آلة توحيده وحججه على عباده قال تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستويون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وقال تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى (وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا النور ولا الحرور وما يستوي الاحياء والاموات) وقال تعالى (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون) فن سوى بين صفة الخالقية وعدمها فلم يجعل وجودها كمالا ولا عدمها نقضا فقد أبطل حجج الله وأدلة توحيده وسوى بين ما جعل بينهما أعظم التفاوت وحينئذ فنقول في الجواب الحادي عشر اذا كان الامر كما ذكرتم فلم لا يجوز أن يفعل الحكمة يكون وجودها وعدمها بالنسبة اليه سواء كما أنه عندكم لم يحدث ما يحدثه مع كون الاحداث والخلق وعدمه بالنسبة اليه سواء مع ان هذه ارادة لا تنقل في

اشاهد فتولوا مثل ذلك في حكمة وان ذلك لا يقدر لاسيما وان عمل عندكم هو قول المتفصل
 فجوزوا أيضا أن يفضل الحكمة منفصلة وأنتم انما قائم ذلك قرارا من قيام الحوادث به ومن التسلسل
 فكذلك قولوا بنظر ذلك في الحكمة والذي يازم أولئك فهو نظير ما يزمكم هو * الجواب الثاني
 عشر. أن يقال العقل الصريح يقضى بان من لاحكمة لفعاله ولا غاية يقصدها به أولى بالنقص ممن يفضل
 لحكمة كانت معدومة ثم صاوت موجودة في الوقت الذي اقتضت حكمته احدث الفعل فيه فكيف
 يسوغ لعاقل ان يقول فعليه لاحكمة يستلزم النقص وفعاله لاحكمة لا تنقص فيه * الجواب الثالث عشر
 ان هؤلاء النفاة يقولون أنه سبحانه يفعل ما يشاء من غير اعتبار حكمة فيجوزون عليه كل ممكن
 حتى الامر بالشرك والكذب والظلم والفواحش والنهي عن التوحيد والصدق والعدل والعقاب
 وحينئذ فنقول اذا جازت عليه هذه المراتد وليس في ارادتها نقص وهذا مراد فلا نقص فيه
 فتولم من فعل شيء لشيء كان ناقصا بدونه قضية كلية ممنوعة العموم وعمومها أولى بالمتبع من قول
 القائل من أكرم أهل الجهل والظلم والفساد وأهان أهل العلم والعدل والبر كان سفيا جائرا وهذا
 عند النفاة جائز على الله ولم يكن به سفيا جائرا وكذلك قول القائل من أرسل اماء وعبيده فجور
 بعضهم ببعض ويقتل بعضهم بعضا وهو قادر على أن يكفهم كان سفيا والله قد فعل ذلك ولم يدخل
 في عموم هذه القضية فكذلك القضية الكلية التي ادعوا ثبوتها في محل النزاع أولى أن تكون باطلة
 منتزعة * الجواب الرابع عشر انه لو سلم لهم انه مستكمل بامر حادث لكان هذا من الحوادث المراتد
 وكل ما هو حادث مراد عندهم فليس بقبيح فان القبح عندهم ليس الاخلاق الذميمة والنهي والله
 ليس فوقه أمر ولا ناه فلا يزيه عندهم عن شيء من الممكنات البتة الا ما أخبر بأنه لا يكون فانهم
 يزعمونه عن كونه لمخالفة حكمته والقبيح عندهم هو الممتع الذي لا يدخل تحت القدرة وما دخل
 تحت القدرة لم يكن قبيحا ولا مستلزما نقصا عندهم وجماع ذلك بالجواب الخامس عشر انه مامن
 محذور يلزم من تجويز فعله لحكمة الاوالمحاذير التي يلزم من كونه يفعل لاحكمة أعظم امتناعا
 فان كانت تلك المحاذير غير متممة كانت محاذير اثبات الحكمة أولى بعدم الامتناع وان كانت محاذير
 اثبات الحكمة متممة فمحاذير نفيها أولى بالامتناع * الجواب السادس عشر ان فعل الحي الغام الاختياري
 لا غاية ولا لغرض يدعو الى فعله لا يعقل بل هو من الممتنع ولهذا لا يصدر الا من مجنون أو نائم
 أو زائل العقل فان الحكمة والعلة الغاية هي التي تجعل المرید مريدا فانه اذا علم بمصلحة الفعل ونفعه
 وغايته انبعثت ارادته اليه فاذا لم يعلم في الفعل مصلحة ولا كان له فيه غرض صحيح ولا داع يدعو
 اليه فلا يقع منه الاعلى سبيل العتب هذا الذي لا يعقل المقتل سواء وحينئذ ففي الحكمة والعلة
 والغاية عن فعل أحكم الحاكمين نفي لفعاله الاختياري في الحقيقة وذلك انتقص النقص وقد تقدم
 تقرير ذلك وبالله التوفيق

فصل في نفاة الحكمة شب ان الحجة بطلان دليل بطلان الحكم
 فنحن نذكر حجة غيرها فنقول لو كان فعله تعالى معللا بعلة فلك العلة ان كانت قديمة لازم من
 قدمها قدم الفعل وهو محال وان كانت محدثة افتقر كونه موجدا لعلته الى علة أخرى وهو
 محال وهذا معنى قول القائل علة كل شيء صناعته ولا علة لصنعه قالوا ونحن نقرر هذه الحجة تقريرا

أبسط من هذا فنقول لو كان فعله تعالى الحكمة فذلك الحكمة اما قديمة أو محدثة فإن كانت قديمة فاما أن يلزم من قدمها قدم الفعل أولا يلزم فإن لزم فهو محال وان لم يلزم القدم والفعل موجود بدونها فالحكمة غير حاصلة من ذلك الفعل لحصوله دونها ومالا يكون الحكمة متوقفة على حصوله لا يكون متوقفا عليها وهو المطلوب وان كانت الحكمة حادثة بمحدث الفعل فاما أن تقتصر الى فاعل أولا تقتصر الى فاعل فإن لم تقتصر لزم حدوث من غير فاعل وهو محال وإن اقتصر الى فاعل فذلك الفاعل اما أن يكون هو الله أو غيره لا يجوز أن يكون غيره لانه لا خالق الا الله وان كان هو الله فاما أن يكون له في فعله غرض أولا لغرض له فيه فإن كان الاول فالكلام فيه كالكلام في الاول ويلزم التسلسل وان كان الثاني فقد خلا فعله عن الغرض وهو المطلوب فان قات فعله لذلك الغرض لغرض هو نفسه فما خلا عن غرض ولم يلزم التسلسل قلنا فيلزم مثله في كل مفعول مخلوق وهو أن يكون الغرض منه هو نفسه من غير حاجة الى غرض آخر وهو المطلوب فهذه حجة باهرة وافية بالغرض قال أهل الحكمة بل هي حجة داحضة باطلة من وجوه والجواب عنها من وجوه الجواب الاول أن نقول لا يخلو اما أن يمكن أن يكون الفعل قديم العين أو قديم النوع أو لا يمكن واحد منهما فإن أمكن أن يكون قديم العين أو النوع أمكن في الحكمة التي يكون الفعل لاجلها أن تكون كذلك وان لم يمكن أن يكون الفعل قديم العين ولا النوع فيقال اذا كان فعله حادث العين أو النوع كانت الحكمة كذلك فالحكمة يحذى بها حدوث الفعل فما جاز عليه جاز عليها وما امتنع عليه امتنع عليها الجواب الثاني ان من قال انه خالق مكون في الازل للمم يكن بعد قال قولي هذا كقول من قال هو مرید في الازل للمم يكن بعد فتقولي بقديم كونه فاعلا كقول هؤلاء بقديم كونه مریدا وعلى هذا فيمكنني أن أقول بقديم الحكمة التي يخاق ويريد لاجلها ولا يلزم من قدم الحكمة قدم الفعل كالم يلزم من قدم الارادة قدم المراد وكالم يلزم من قدم صفة التكوين قدم المكون فتقولي في قدم الحكمة مع حدوث الفعل التي فعل لاجلها كقولكم في قدم الارادة والتكوين سواء وما لزمني لزمكم مثله وجوابكم هو جوابي بعينه ولا يمتنع ذلك على أصول طائفة من الطوائف فان من قال من الفلاسفة ان فعله قديم للمفعول المعنى يقول ان الحكمة قديمة ومن قال بمحدث أعيان الفعل ودوام نوعه يقول ذلك في الحكمة سواء ومن قال بمحدث نوع الفعل وقيامه بالرب قال ذلك في الحكمة أيضا كما يقوله كثير من النظار فلا يمتنع على أصل طائفة من الطوائف اثبات الحكمة في فعله سبحانه الجواب الثالث قولك يقتصر كونه محدثا لتلك العلة الى علة أخرى ممنوع فإن هذا انما يلزم ان لو قيل كل حادث فلا بد له من علة ونحن لا نقول هذا بل نقول يفعله الحكمة ومعلوم ان المفعول لاجله مراد للفاعل محبوبه والمراد المحبوب تارة يكون مرادا لنفسه وتارة يكون مرادا لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينشئ الى المراد لنفسه قطعاً لتسلسل وهذا كما نقوله في خلقه بالاسباب أنه يخاق كذا بسبب كذا وكذا بسبب كذا حتى ينتهي الامر الى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب فكذلك يخاق الحكمة وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهي الامر الى حكمة لاحكمة فوقها الجواب الرابع ان النفاة يقولون كل مخلوق فهو مراد لنفسه لا لغيره وحينئذ فلا يمتنع أن يكون بعض الخلق مرادا لغيره وينتهي الامر الى مراد لنفسه بل هذا أولى بالجواز من جعل كل مخلوق مرادا لنفسه وكذلك في الامر يكون مرادا لغيره حتى

يتى الى أمر مراد لنفسه الجواب الخامس أن يقال غاية ما ذكرتم انه يستلزم اتسلسل ولكن أى نوعى التسلسل هو اللازم التسلسل الممتنع أو الجائز فان عنيتم الاول منع الزوم وان عنيتم الثانى منع انتفاء اللازم فان التسلسل في الآثار المستقبلة ممكن بل واجب وفي الآثار الماضية فيه قولان للناس والتسلسل في الملل والفاعلين محال باتفاق العقلاء بان يكون لهذا الفاعل فاعل قبله وكذلك ما قبله الى غير نهاية وأما أن يكون الفاعل الواحد القديم الأبدى لم يزل يفعل ولا يزال فهذا غير ممتنع اذا عرف هذا فالحكمة التى لاجبها يفعل الفعل تكبر حصة بعده فإذا كان بعدها حكمة أخرى فغاية ذلك ان يازم حوادث لانهاية لها وهذا جائز بل واجب باتفاق المسلمين ولم ينازع الا بعض أهل البدع من الجهمية والمعتزلة فان قيل فيازم من هذا ان لا تحصل الغاية المطلوبة أبدا قيل بل اللازم أن لا تزال الغاية المطلوبة حاصلة دائما وهذا أمر معقول في الشاهد فان الواحد من الناس يفعل الشيء لحكمة يحصل بها محبوبه ثم يازم من حصول محبوبه محبوب آخر يفعل لاجله وهلم جرا حتى لو تصور دوامه أبدا لكانت هذه حاله وكجمله فلم تزل محبوباته تحصل شيئا بعد شيء وهذا هو الكمال الذى يريد مع غناه التام الكمال عن كل ماسواه وفقر ماسواه اليه من جميع الوجوه وهل الكمال الا ذلك وفواته هو النقص وهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة والاحسان فرحمته واحسانه من لوازم ذاته فلا يكون الا رحيمًا محسنًا وهو سبحانه إنما أمر العباد بما يحبه ويرضاه واراد لهم من احسانه ورحمته ما يحبه ويرضاه لكن فرق بين ما يريد هو سبحانه أن يخلقه ويفعله لما يحصل به من الحكمة التى يحبها فهذا يفعله سبحانه ولا بد من وجوده وبين ما يريد من العباد أن يفعلوه ويأمرهم بفعله ويجب أن يقع منهم ولا يشاء خلقه وتكوينه ففرق بين ما يريد خلقه وما يأمر به ولا يريد خلقه فان الفرق بين ما يريد الفاعل أن يفعله وما يريد من المأمور أن يفعله فرق واضح والله سبحانه له الخلق والامر فالخلق فإيد والامر قوله ومتعلقه أفعال عبادته وهو سبحانه قد يأمر عبده ويريد من نفسه أن يعين عبده على فعل ما أمره لتحصل حكمته وعييته من ذلك المأمور به وقد يأمره ولا يريد من نفسه اعانته على فعل المأمور لماله من الحكمة الثابتة في هذا الامر وهذا الترك يأمره لئلا يكون له عليه حجة ولئلا يقول ما جأني من نذير ولو أمرتني لبادرت الى طاعتك ولم يرد من نفسه اعانته لان محله غير قابل لهذه النعمة والحكمة التامة تقتضى أن لا توضع النعم عند غير أهلها وان لا تمتنع من أهلها قال تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال (أليس الله باعلم بالشاكرين) وقال (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمهم) ولا يقال فهلا سوى بين خلقه في مجملهم كلهم أهلا لذلك فان هذا ممكن له ولأن يقال فهلا سوى بين صورهم وأشكالهم وأعمارهم وازراقهم ومعاشهم وهذا وإن كان ممكنا فالذى وقع من التفاوت بينهم هو مقتضى حكمته البالغة وملكه التام وربوبته فاقفقت حكمته ان سوى بينهم في الامر وفاوت بينهم في الاعانة عليه كما فاوت بينهم في العلوم والقدرة والنفي والحسن والفصاحة وغسیر ذلك والتخصیصات الواقعة في ملكه لاتناقض حكمته بل هى من أدل شيء على كمال حكمته ولولاها لم يظهر فضله ومنه قال تعالى (ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والفسيان أولئك هم الراشدون) فضلا من الله ونعمة والله عليم بمن يصلح لهذه النعمة حكيم في وضعها عند أهلها ومنعها غير أهلها وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لأفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يباحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وقالت الرسل لقومهم (إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) وقال تعالى (وقولوا لا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهيهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفقنا بعضهم فوق بعض درجات) الآية وفي حديث مثل المؤمنين واليهود والنصارى قال تعالى لاهل الكتاب هل ظلمتكم من حقكم من شيء قلوا لا قال فهو فضلى أوتيته من أشاء وقال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والتهاة والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما) أى يعلم أين يضع فضله ومن يصاح له ممن لا يصاح بل يمنعه غير أهله ولا يضعه عند غير أهله وهذا كثير في القرآن يذكر أن تخصيصه هو فضله ورحمته فلو ساوى بين الخلائق لم يعرف قدر فضله ونعمته ورحمته فهذا بعض ما في تخصيصه من الحكمة وفي كتاب الزهد للإمام أحمد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال أنى أحيت أن أشكر فواضع التحصل ومواقع الفصل التي يقدح بها نفاة الحكمة هي من أدل شيء على كمال حكمته سبحانه ووضعها للفضل مواضع وجعلها عند أهله الذين هم أحق به وأولى من غيرهم وهو الذى جعلهم كذلك بحكمته وعلمه وعزته وملكه فبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ولا ييب بل لا يمكن المشاركة في حكمته بل ما حصل للخلائق كلهم من العلم بها كنقطة عصفور في البحر المحيط وأى نقص في دوام حكمته شئ بعد شئ كما تدوم إرادته وكلامه وأفعاله وأحسانه وجوده وإنعامه وهل الكمال إلا في هذا التسلسل فإذا نفر النفاة منه أنفرهم إن يقال لم يزل ولا يزال عالما قديرا حكيما متكلما محسنا جوادا ملكا موصوفا بكل كمال غنيا عن كل ما سواه لا تنفذ كلماته ولا تنهاى حكمته ولا تعجز قدرته ولا يبيد ملكه ولا تنقطع إرادته ومشيتة بل لم يزل ولا يزال الله الخالق والامر والحكمة والحكم وهل النقص إلا سلب ذلك عنه والله الموفق بفضله وإعانتة الجواب السادس إن الرب تبارك وتعالى إذا خلق شئ فلا بد من وجود لوازمه ولا بد من عدم أضداده فوجود المازوم بدون لازمه محال ووجود الضد مع ضده ممتنع والمحال الممتنع ليس بشئ ولا يصور العقل وجوده في الخارج وإذا كان هذا التسلسل الجائر من لوازم خلقه وحكمته لم يكن في القول محذور بل كان المخذور في نفيه توضيحه الجواب السابع أنه لم يتم دليل عقلى ولا سمعى على امتناع دوام أفعال الرب في الماضى والمستقبل أصلا وكل أدلة النفاة من أولها إلى آخرها باطلة وقد كفى مؤنة إبطالها الرزى والأمدى في أكثر كتبهما وغيرهما وأما اثبات الحكمة فقد قام على صحته العقل والسمع والظن وسائر أنواع الأدلة مما تقدمت الإشارة إلى بعض

ذلك فكيف يقدح في هذا المعلوم الصحيح بذلك النفي الذي لم يرق على صحته دليل البتة الجواب
 الثامن أن التسلسل إما أن يكون ممكنا أو متعنا فان كان ممكنا بطل استدلالكم وان كان متعنا أمكن
 أن يقال في دفعه تنبى ارادات الى مراد لنفسه لاغيره وينقطع لتسلسل الجواب التاسع أن يقال
 ما المانع أن تكون الناعلية معللة بعلّة قديمة قولكم يلزم من قدمها قدم المعلوم ينسب عليكم بالارادة
 فانها قديمة ولم يلزم من قدمها قدم المراد فان قلتم الارادة القديمة تعاقبت بالمراد الحادث في وقت
 حدوثه واقتضت وجوده حينئذ فهل قلتم ان الحكمة القديمة تعاقبت بالمراد وقت حدوثه كما قلتم في
 الارادة فان قلتم شأن الارادة التخصيص قيسل لكم وكذلك الحكمة شأنها تخصيص الشيء بزمانه
 ومكانه وصفته فالتخصيص مصدره الحكمة والارادة والعلم والقدرة فنلزم من قدم الحكمة قدم
 الفعل لزم من قدم الارادة قدمه وان لم يلزم ذلك لم يلزم هذا الجواب العاشر أن يقال لو لم يكن فعله
 لحكمة وغاية مطلوبة لم يكن مريدا فان المريد لا يعقل كونه مريدا اذا كان يريد لغرض وحكمة فاذا
 انتفت الحكمة والغرض انتفت الارادة ويلزم من انتفاء الارادة أن يكون موجبا بالذات وهو علّة تامّة
 في الازل لمعلوله فيلزم أن يقارنه جميع معلوله ولا يتأخر فيلزم من ذلك قدم الحوادث المشهودة وانما
 لزم ذلك من انتفاء الحكمة والغرض المستلزما لنفي الارادة المستلزما للايمان الذاتي المستلزم لتقديم
 الحوادث وتقرير هذا وبسطه في غير هذا الموضع

فصل قال نفاة الحكمة جميع الاغراض يرجع حاصلها الى شيئين تحصيل البتة والسرور
 ودفع الالم والحزن والغم والله سبحانه قادر على تحصيل هذين المطلوبين ابتداء من غير شيء من
 الوسائط ومن كان قادرا على تحصيل المطلوب ابتداء بغير واسطة كان توسله الى تحصيله بالوسائط
 عبثا وهو على الله محال قال أصحاب الحكمة عن هذه الشبهة أجوبة الجواب الاول أن يقال لا ريب
 ان الله على كل شيء قدير لكن لا يلزم اذا كان الشيء مقدورا ممكنا أن تكون الحكمة المطلوبة لوجوده
 يمكن تحصيلها مع عدمه فان الموقوف على الشيء يتمتع حصوله بدون كما يتمتع حصول الابن بكونه ابنا
 بدون الاب فان وجود الملزوم بدون لازمه محال والجمع بين الضدين محال ولا يقال فيلزم العجز
 لان المحال ليس بشيء فلا تماق به القدرة والله على كل شيء قدير فلا يخرج ممكن عن قدرته البتة
 * الجواب الثاني ان دعوى كون توسط أحد الامرين اذا كان شرطاً أو سبباً عبث دعوى كاذبة
 باطلة فان العبث هو الذي لا فائدة فيه وأما توسط الشرط أو السبب أو المادة التي يحدث فيها ما يحدثه
 فليس بعبث توضيحه * الجواب الثالث ان حصول الاعراض والصفات التي يحدثها الله سبحانه في
 موادها شروط لحصول تلك المواد ولا يتصور وجودها بدونها فتوسطها أمر ضروري لا بد منه
 فينقلب عليكم دليلكم وتقول هل يقدر سبحانه على إيجاد تلك الحوادث بدون توسط موادها
 الحاملة لها أولا يمكن فان قلتم يمكن ذلك كان توسطها عبثا وان قلتم لا يقدر كان تعجيزا فان قلتم هذا
 فرض مستحيل والحال ليس بشيء قيل صدقتم وهذا جوابنا بعينه * الجواب الرابع أن يقال اذا
 كان في خالق تلك الوسائط حكم أخرى تحصل بخلافها للفاعل وفي خلقها مصالح ومنافع لتلك الوسائط
 لم يكن توسطها عبثا ولم تكن الحكمة حاصلة بعدمها كما أنه سبحانه اذا جعل رزق بعض خلقه في
 البعشرات مثلاً فاقضى ذلك ان تخليق الصانع الى من يحتاج فينتفع هؤلاء بالصانع وهؤلاء باليمن

كان في ذلك مصاحبة هؤلاء وهؤلاء وإذا تأملت الوجود رأيت به قائما بذلك شاهدا على منكرى الحكمة فكم لله سبحانه في أحداث تلك الوسائط من حكم ومصالح ومنافع للعباد لو بطلت تلك الوسائط لقاتت تلك الحكم والمصالح * الجواب الخامس قولك يلزم العتب وهو على الله محال فيقال ان كان العتب عليه محالا لزم أن لا يفعل ولا يأمر الا لمصاحبة وحكمة فبطل قولك بقولك وان لم يكن العتب عليه محالا بطلت هذه الحجة فيتحقق بطلانها على التقديرين * الجواب السادس أن يقال ما للمانع أن يضل سبحانه أشياء معللة وأشياء غير معللة بل مرادة لذاتها وإذا جاز هذا جاز أن يقال ان هذه الوسائط غير معللة ولا يتكفك نفى هذا القسم الا بان تقول ان شيئا من أفعاله غير معلل البتة وأنت انما نفيت هذا بازوم العتب في توسط تلك الامور ولا يلزم من انتفاء التعليل في بعض الافعال انتفاؤه في الجميع قاله لا يجب أن يكون كل شيء لعلمة فانت نفيت جواز التعليل وغاية هذه الحجة لو صحت أن تدل على أنه لا يجب في كل شيء أن يكون لعلمة فلم يثبت الحكم والدليل وهذا كما يقول الفقهاء مع قولهم بالتعليل ان من الاحكام ما يفيد غير معلل فهلا قلت في الخافى كقولهم في الامر وهذا انما هو بطريق الالتزام والا فالحق ان جميع أفعاله وشرعه لها حكم وغايات لاجلها شرع وفعل وان لم يعلمها الخلق على التفصيل فلا يلزم من عدم علمهم بها انتفاؤها في نفسها * الجواب السادس ان غاية هذه الشبهة أن يكون سبحانه قادرا على تحصيل تلك الحكم بدون تلك الوسائط كما هو قادر على تخصيصها بها وإذا كان الامر ان مقدور ان لم يكن العدول عن أحد المقدورين الى الآخر عبثا الا اذا كان المقدور الآخر مساويا لهذا من كل وجه ولا يمكن عاقلا أن يقول أن تعطيل تلك الوسائط وعدمها مساو من كل وجه لوجودها وهذا من أعظم البهت وأبطل الباطل وهو يتضمن القدح في الحس والعقل والشرع كما هو قدح في الحكمة فان من جعل وجود الرسل وعدمهم سواء ووجود الشمس والقمر والنجوم والمطر والنبات والحيوان وعدمها سواء ووجود هذه الوسائط جميعها وعدمها سواء فلم يدع للمكابرة موضعا * الجواب السابع قولك جميع الاغراض يرجع حاصلها الى شيئين تحصيل اللذة ودفع الهم والحزن أتريد به الفرض الذي يفعل لاجلها الحيوان أو الحكمة التي يفعل الله سبحانه لاجلها أم تريد به ما هو أعم من ذلك فان أردت الاول لم تفدك شيئا وان أردت الثاني أو الثالث كانت دعوى مجردة لا برهان عليها فان حكمة الرب تعالى فوق تحصيل اللذة ودفع الهم والحزن فانه يتعالى عن ذلك بل ليس كمثل حكمته شيء كما أنه موصوف بالارادة وليست كارادة الحيوان فان الحيوان يريد ما يريد له ليجلب له منفعة أو يدفع به عنه مضرة وكذلك غضبه ليس مشابها لغضب خلقه فان غضب المخلوق هو غلبان دم قلبه طلبا للانتقام والله يتعالى عن ذلك وكذلك سائر صفاته فكما أنه ليس كمثل شيء في ارادته ورضاه وغضبه ورحمته وسائر صفاته فهكذا حكمته سبحانه لا تدل حكمة المخلوقين بل هي أجل وأعلى من أن يقال أنها تحصيل لذة أو دفع حزن فالمخلوق انقصه يحتاج أن يفعل ذلك لان مصالحة لا تتم الا به والله سبحانه غنى بذاته عن كل ما سواه لا يستفيد من خلقه كالا بل خلقهم يستفيدون كالمهم منه * الجواب الثامن أن يقال قد دل الوحي مع العقل على أنه سبحانه يحب ويبغض أما الوحي فالقرآن مملوء من ذلك وأما العقل فانا شاهد في العالم من اكرام أوليائه وأهل طاعته وإهانة أعدائه وأهل معصيته شاهد لمحبة هؤلاء ورضاه

عنهم وبغضه لهؤلاء وسخطه عليهم ومعلوم قطعا ان من يحب ويبغض أكل محبة وبغض وهو قادر على تحصيل محابه فان حكمته فيما يفعله ويرتبه أتم حكمة وأكملها فهو يفعل مايفعله لانه يوصل الى محابه ويترك مايرتبه لانه لايجبه واذا فعل مايكرهه لم يفعله الا لافضائه الى مايجب وان كان مكرها في نفسه فان أردت بالذلة والسرور والهضم والحزن الحب والبغض فالرب تعالى يحب ويبغض لم يازم من كونه يفعل لحكمة ان يتصف بذلك * الجواب التاسع أنه سبحانه اذا كان قادرا على تحصيل ذلك بدون الوسائط وهو قادر على تحصيله بها كان فعل النوعين أكمل وأبلغ في القدرة وأعظم في ملكه وربوبيته من كونه لايفعل الا باحد النوعين والرب تعالى يتنوع أفعاله لكمال قدرته وحكمته وربوبيته فهو سبحانه قادر على تحصيل تلك الحكمة بواسطة احداث مخوق منفصل وبدون احدثائه بل بما يقوم به من أفعاله اللازمة وكلماته وثنائيه على نفسه وحمده لنفسه فمحبوه يحصل بهذا وهذا وذلك أكمل عن لا يحصل محبوه الا باحد النوعين * الجواب العاشر أن الرب سبحانه كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله فلا بد من ظهور آثارها في العالم فانه محسن ويستحيل وجود الاحسان بدون من يحسن اليه وزراق فلا بد من وجود من يرزقه وغفار وحليم وجواد ولطيف بعباده ومنان ووهاب وقابض وباسط وخافض ورافع وممزن ومذل وهذه الاسماء تقتضي متعلقات تتعاق بها وآثارا تتحقق بها فلم يكن بدمن وجود متعلقاتها والا تغطت تلك الاوصاف وبطأت تلك الاسماء فتوسط تلك الآثار لابد منه في تحقيق معاني تلك الاسماء والصفات فكيف يقال أنه عبث لا فائدة فيه وبالله التوفيق

فصل قال نفاة الحكمة لو وجب أن يكون خلقه وأمره معللا بحكمة وغرض لكان خلق الله العالم في وقت معين دون ما قبله ودون ما بعده معللا برعاية غرض ومصلحة ثم تلك المصلحة والغرض اما أن يقال كان حاصل قبل ذلك الوقت أو لم يكن حاصل قبله فان كان الما لاجله أوجد الله العالم في ذلك الوقت حاصل قبل أن أوجده فيلزم أن يقال أنه كان موجدا له قبل ان لم يكن موجدا له وذلك محال وان قلنا ان ذلك الغرض والمصلحة لم يكن حاصل قبل ذلك الوقت وانما حدث في ذلك الوقت فتقول حصول ذلك الغرض في ذلك الوقت اما أن يكون مفتقرا الى المحدث أو لا يفتقر فان لم يفتقر فقد حدث الشيء لاعن موجود ومحدث وهو محال وان افتقر الى محدث فان افتقر لم يخص احداث ذلك الغرض بذلك الوقت الى غرض آخر عاد التقسيم الاول فيه ولزم التسلسل وان لم يفتقر الى رعاية غرض آخر فحينئذ تكون موجدية الله سبحانه وخلقيته غنية عن الاغراض والمصالح وهذا هو المطلوب قالوا وهذه الحجة كما أنها قائمة في اختصاص العالم بذلك الوقت المعين فهي قائمة في اختصاص كل حادث من الاحداث بوقته المعين وملخصها ان احداث الاحداث في وقته ان كان لغرض فان كان ذلك الغرض حاصل قبله لزم حدوثه قبل حدوثه والا افتقر الى الاحداث فاحداثه ان كان لغرض تسلسل والا ثبت المطلوب قال أهل الحكمة هذه الحجة بعينها مذكورة في ضمن الحجة الثانية التي تقدمت وكانكم يعجبكم التشيع بكرة الباطل وجميع ما أجبناكم به هناك فهو الجواب هنا بعينه فلية هذا أنه تسلسل في الآثار لافي المؤثرات وتسلسل في الحوادث المستقبلية وذلك جائز بل واجب باتفاق المسلمين سوى قول جهنم والعالاف وغاية الامر أن يكون في الحوادث

مايراد لنفسه وفيها مايراد لغيره والحكمة المطلوبة لنفسها لا تنفقر الى أخرى تراد لاجلها وان هذا الدليل او تحت مقدماته وهيئات فلانما يدل على ان أفعاله تعالى لا يجب تعليلها ولا يلزم من ذلك أن لا يجوز تعليلها فنفى الوجوب شئ وافى الجواز شئ فهب أنا سلمنا الاول فابن دليل الثاني وغايتها أنها تدل على عدم تعليل بعض الحوادث لعل عدم تعليل جميعها وبالجملة فما تقدم هناك مغزاها عن الادل في الاجوبة وسر المسئلة ان دوام قاعليته في المستقبل متفق عليه والسالف على دوامها في الماضي وانما خالف في ذلك كثير من أهل الكلام

(فصل) قال نفاة الحكمة قد قام الدليل على أنه سبحانه خالق كل شئ فأي حكمة أو مصلحة في خلق الكفر والفسوق والعصيان وأي حكمة في خلق من علم أنه يكفر ويفسق ويظلم ويفسد الدنيا والدين وأي حكمة في خلق كثير من الجسادات التي وجودها وعدمها سواء وكذلك كثير من الاشجار والنبات والمعادن المغطاة والحيوانات المهمة بل العادية المؤذية وأي حكمة في خلق السموم والاشياء المضرة وأي حكمة في خلق ابليس والشياطين وان كان في خلقهم حكمة فأي حكمة في بقاءه الى آخر الدهر وامانة الرسل والانبياء وأي حكمة في اخراج آدم وحواء من الجنة وتعريض الذرية لهذا البلاء العظيم وقد أمكن أن يكونوا في أعظم العافية وأي حكمة في ايلام الحيوانات وان كان في ايلام المكافين منها حكمة فما الحكمة في ايلام غير المكاف كالبهائم والاطفال والمجانين وأي حكمة له في خلقه خلقا يعذبهم بأنواع العذاب الدائم الذي لا ينقطع وأي حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب قتلا وأسرًا وعقوبة واستعبادا وأي حكمة في تكليف التقلين وتعريضهما بالتكليف لانواع المشاق والعذاب قالوا ونحن والعقلاء نعلم علما ضروريا ان خلود أهل النار فيها فعل الله ونعلم ضرورة أنه لا فائدة في ذلك تعود اليه ولا الى المعذبين ولا الى غيرهم قالوا وبكيفية في ذلك مناظرة الاشعري لابي هاشم ٣ الحيائي حين سأله عن ثلاثة اخوة مات أحدهم مسلما قبل البلوغ وبلغ الآخران فمات أحدهما مسلما والآخر كافرا فاجتمعوا عند رب العالمين فباع المسلم البالغ الشربة العلية بعمله واسلامه فقال أخوه يارب هلا رفعتني الى منزلة أخى المسلم فقال انه عمل أعمالا لم تعلمها فقال يارب فهلا أحييتني حتى أعمل مثل عمله قال علمت ان موتك صغيرا خير لك اذ لو بلغت لكفرت فصاح الاخ الثالث من اطباق الجحيم وقال يارب فهلا أمتني صغيرا قبل البلوغ كما قلت بأخى فما جوابه قال فانقطع الشيخ ولم يذكر جوابا قال نفاة الحكمة وهذا قاطع في المسئلة لا غبار عليه وقال تعالى (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء) وقال (لله مافي السموات ومافي الارض وان تبدوا مافي أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا يسئل عما يفعل) فرد الامر الى محض مشيئته وأخبر ان صدور الاشياء كلها عنها وقالوا وأصل ضلال الخلق هو طاب تعليل أفعال الرب كما قال شيخ الاسلام في تائمه

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة * هو الخوض في فعل الاله بعلة

فهم لما طلبوا علة أفعاله فمجزهم العلم بها انفرقوا بعد ذلك فطائفة ردت الامر الى الطبيعة والافلاك التزمت مكابرة الحس والعقل وقالوا ان خلود أهل النار في النار أنفع لهم وأصلح

٣ الذي في كتب الكلام ان المناظرة كانت بين أبي الحسن وشيخه أبي علي الحيائي

من كونهم في الجنة وان ابقاء ابليس يغوى الخلق ويضاهم أنفع لهم من اماتته وان اماتة الانبياء أصلح للامم من ابقائهم بينهم وان تعذيب الاطفال خير لهم من رحمتهم الى غير ذلك من الحالات التي قادهم اليها الخوض في تعليل أفعال من لا يستل عما يفعل فلذلك قلنا ان الصواب القول بعدم التعليل وتخلصنا من الجائبل والاشراك التي وقعت فيها قال أهل الحكمة ليست هذه الاسئلة والاعتراضات التي قد حثتم بها في حكمة أحكم الحاكمين بأقوى من الاسئلة والاعتراضات التي قدح بها أهل الالحاد في وجوده سبحانه وقد أقاموا أربعين شبهة تنفي وجوده وكذلك اعتراضات المكذبين لرسله وقد حكيمتم أتم عنهم ثمانين اعتراضا وكذلك الاعتراضات التي قدح بها المعطلة في اثبات صفات كماله قد علمتم شأنها وكبرها وكذلك الاعتراضات التي نفى بها الجهمية علوه على خلقه واستواءه على عرشه وتكلمه بكتبه وتكليمه لعباده وقد علمتم الاعتراضات التي اعترض بها أهل انفلسفة على كونه خالقا للعالم في ستة أيام وعلى كونه يقيم الناس من قبورهم ويمتحنهم الى دار السعادة أو الشقاء ويبدل هذا العالم ويأتي بغيره واعتراضات هؤلاء وأسئلتهم أضعاف اعتراضات نفاة الحكمة وغايات أفعاله المقصودة وكذلك اعتراضات نفاة القدر واستلهم الى غير ذلك وقد اقتضت حكمة الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حق جاحدا ولكل صواب معاندا كما أقام لكل نعمة حاسدا ولكل شر زائدا وهذا من تمام حكمته الباهرة وقدرته القاهرة ليم عليه كلفه وينفذ فيهم مشيئته ويظهر فيهم حكمته ويقضى بينهم بحكمه ويفاضل بينهم بعلمه ويظهر فيهم آثار صفاته العليا وأسبابه الحسنى ويتبين لاوليائه وأعدائه يوم القيامة انه لم يخل الحكمة ولم يخلق عبثا ولا يتركهم سدا وانه لم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا وان له الحمد التام الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه وعلى ما أمر به ونهى عنه وعلى ثوابه وعقابه وانه لم يضع من ذلك شيئا الا في محله الذي لا يليق به سواه قال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لايبحث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لايعلمون ليعين لهم الذي يختلفون فيه ويعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) واذا تبين لاهل الموقف ونفذ فيهم قضاء الفصل وحكمه العدل نطق الكون أجمعه بحمده كما قال تعالى (وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) وجواب هذه الاسئلة من وجوه أحدها أن الحكمة انما تتعلق بالحدوث والوجود والكفر والشرور وأنواع المعاصي راجعة الى مخالفة نهي الله ورسوله وترك ما أمر به وليس ذلك من متعلق اليجاد في شيء ونحن انما التزمنا ان مافعله الله وأوجده فله فيه حكمة وغاية مطلوبة وأما ما تركه سبحانه فلم يفعله فانه وان كان انما تركه لحكمة في ذلك فلم يدخل في كلامنا فلا يرد علينا وقد قيل ان الشر ليس اليه بوجه فانه عدم الخير وأسبابه والعدم ليس بشيء كاسمه فاذا قلنا ان أفعال الرب تعالى واقعة بحكمة وغاية محمودة لم يرد علينا تركه يوضحه الجواب الثاني وهو انه سبحانه قد يترك ما لو خلقه لكان في خلقه له حكمة فيتركه لعدم محبته لوجوده أو لكون وجوده يضاد ما هو أحب أو لاستتزام وجوده فوات محبوب له آخر وعلى هذا فتكون حكمته في عدم خلقه أرجح من حكمته في خلقه والجمع بين الضدين مستحيل فرجح سبحانه أعلى الحكمتين بتفويت أدناهما وهذا غاية الحكمة تخلق وأمره مبنى على تحصيل المصالح الخالصة أو الراجحة بتفويت المرجوحة التي لا يمكن الجمع بينها وبين تلك الراجحة وعلى دفع المفاسد

الحالصة أو الراجعة وان وجدت المفساد المرجوحة التي لا يمكن الجمع بين عدمها وعدم تلك الراجعة وخلاف هذا هو خلاف الحكمة والصواب الجواب الثالث أن يقال غاية ذلك انتفاء الحكمة في هذا النوع من المقدورات فيازم من ذلك انتفاؤها في جميع خاتمة وحكمه فبأن هذا النوع لاحكمة فيه فمن أين يستلزم ذلك نفى الحكمة والفرض في كل شيء كيف وفيه من الحكم والغايات الحمودة ما هو معلوم لاهل البصائر الراسخين في العلم كما سننبه على ذلك منه ان شاء الله * الجواب الرابع اننا لم ندع حكمة يجب أو يمكن اطلاع الخلق على تفاصيلها فان حكمة الله أعظم وأجل من ذلك فالمانع من اشتغال ماذكرتهم من الصور وغيرها على الحكم حجة يتفرد الله بعلمها كما قال للملائكة وقد سألوه عن ذلك اني أعلم ما لاتعلمون فمن يقول بازوم الحكمة لأفعاله وأحكامه مغلقا لا يوجب مشاركة خلقه له في العلم بها * الجواب الخامس ان الله سبحانه ليس كمثل شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وله في جميع ماذكرتهم وغيره حكمة ليست من جنس الحكمة التي للمخلوقين كما ان فعله ليس بمماثلا لفعله ولا قدرته وارادته ومشيئته ومحبه ورضاه وغضبه بمماثلا لصفات المخلوقين * الجواب السادس ان الحكمة تابعة للعلم والقدرة فمن كان أعلم وأقدر كانت أفعاله أحكم وأكمل والرب منفرد بكمال العلم والقدرة فخكمته بحسب علمه وقدرته كما تقدم تقريره فخكمته متعلقة بكل ما تعلق به علمه وقدرته * الجواب السابع ان الأدلة القاطعة قد قامت على أنه حكيم في أفعاله وأحكامه فيجب القول بموجبها وعدم العلم بحكمته في الصور المذكورة لا يكون مسوغا لمخالفة تلك الأدلة القاطعة لاسيما وعدم العلم بالشيء لا يستلزم العلم بعدمه * الجواب الثامن ان كماله المقدس يمنع خلو هذه الصور التي تقتضي عن الحكمة وكلامه أيضا يأبى اطلاع خلقه على جميع حكمته فخكمته تمنع اطلاع خلقه على جميع حكمته بل الواحد منا لو اطاع غيره على جميع شأنه وأمره عذفها جاهلا وشأن الرب أعظم من أن يطاع كل واحد من خلقه على تفاصيل حكمته * الجواب التاسع انكم أمان أن تعرفوا بأن له حكمة في شيء من خلقه وأمره أو تسكروا أن يكون له في شيء من خلقه وأمره حكمة فان أنكرتم ذلك وما هو من الظالمين بعبادكم جميع كتب الله ورسوله والمقل والظطرة والحس وكذبتم عقولكم قبل تكذيب العقلاء فان جحد حكمة الله الباهرة في خلقه وأمره بمنزلة جحد الشمس والقمر والليل والنهار وغير مستنكر لكثير من الطوائف أهل الكلام المكابرة في جحد الضروريات وان أقرتم بحكمته في بعض خلقه وأمره قيل لكم فأي الأمرين أولى به وجود تلك الحكمة أم عدمها فان قلتم عدمها أولى من وجودها كان هذا غاية الكذب والبهت والمحال وان قلتم وجودها أكمل قيل فهل هو قادر على تخصيصها في جميع خلقه وأحكامه أم غير قادر فان قلتم غير قادر جئتم بالمعظمة في العقل والدين وانسلختم من عقولكم وأذهانكم وان قلتم بل هو قادر على ذلك قيل فاذا كان قادرا على شيء وهو كمال في نفسه ووجوده خير من عدمه وهو أولى به فكيف يجوز نفيه عنه فان قلتم انما نفيته لاننا لم نطلع على حقيقته قيل صدقتم والله سائلكم في جميع ما تنفونوه عن الله انما مستندكم في نفيه عدم الاطلاع على حقيقته ولم تكفونوا بقبول قول الرسل فصرتم إلى النفي * الجواب العاشر ان العقلاء قاطبة متفقون على ان الفاعل اذا فعل أفعالا ظهرت فيها حكمته ووقعت على أتم الوجوه ووافقها المصالح المقصودتها ثم اذا رأوا أفعاله قد تكررت كذلك ثم جاءهم من أفعاله ما لا يعمون وجه حكمته فيه لم يسلمهم غير التسليم

لما عرفوا من حكمته واستقر في عقولهم منها وردوا منها ما جهلوه الى محكم ماعلموه هكذا نجد أرباب كل صناعة مع استاذهم حتى ان النفاة يسلكون هذا المسلك بعينه مع أئمتهم وشيوخهم فاذا جاءهم اشكال على قواعدهم وأئمتهم ومذاهبهم قالوا هم أعلم منا وهم فوقنا في كل علم ومعرفة وحكمة ونحن معهم كالصبي مع معلمه وأستاذهم فهنا سلكوا هذا السبيل مع ربهم وخالفهم الذي بهرت حكمته العقول وكان نسبته الى حكمته أولى من نسبة عين الخفاش الى جرم الشمس ولو أن العالم الفاضل المبرز في علوم كثيرة أعرض على من لا يشاركه في صنعته ولا هو من أهلها وقدر في أوضاعها لخرج عن موجب العقل والعلم وعد ذلك نقضا وسفها فكيف بأحكم الحاكمين وأعلم العالمين وأقدر القادرين * الجواب الحادي عشر ان الحكمة انما تتم بخلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار والعلو والسفل والطيب والخبث والحفيف والثقيل والحلو والمر والبرد والام والاذة والحياة والموت والداء والدواء تخلف هذه المتقابلات هو محل ظهور الحكمة الباهرة ومحل ظهور القدرة القاهرة والمشيئة النافذة والملك الكامل انما قوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها وذلك عين الحال فان لكل صفة من الصفات الملائكيا حكماء ومقتضيات وأثرها هو مظهر كمالها وان كانت كاملة في نفسها لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها فلا يجوز تعطيلها فان صفة القادر تستدعي مقدورا وصفة الخالق تستدعي مخلوقا وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع الضار النافع المقدم المؤخر المعز المذل العفو الرؤف تستدعي آثارها وأحكامها فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق المرزوق المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها فلو كان الخلق كلهم مطيعون عابدون حامدون لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والاسماء الحسنى وكيف كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعز والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الاشياء منازلها وتضعها مواضعها فلو كان الخلق كلهم أمة واحدة لفاتت الحكم والآيات والمعبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه وفات كمال الملك والتصرف فان الملك اذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراتها فاما أن يكون عاجزا عن غيره فيتركه عجزا أو جاهلا بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلا وأما أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين فقصره في مملكته لا يقف على مقدور واحد لان ذلك نقص في ملكه فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع والخفض والرفع والثواب والعقاب والاکرام والاهانة والاعزاز والاذلال والتقديم والتأخير والضر والنفع وتخصيص هذا على هذا وإيتار هذا على هذا ولو فعل هذا كله بنوع واحد متماثل الافراد لكان ذلك منافيا لحكمته وحكمته تنبأه كل الاباء فانه لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين مختلفين وقد عاب على من يفعل ذلك وأنكر على من نسبه اليه والقرآن مملوء من عيبه على من يفعل ذلك فكيف يجعل له العبيد مايكرهون ويضربون له مثل السوء وقد فطر الله عباده على انكار ذلك من بعضهم على بعض وطعنهم على من يفعله وكيف يعيب الرب سبحانه من عباده شيئا ويتصف به وهو سبحانه انما عابه لانه نقص فهو أولى أن يتزه عنه واذا كان لا بد من ظهور آثار الاسماء والصفات ولا يمكن ظهور آثارها الا في المتقابلات والمتضادات لم يكن في الحكمة بدمن إيجادها اذ لو فقدت لتعطلت الاحكام تلك الصفات وهو محال يوضحه الوجه الثاني عشر ان من أسمائه الاسماء المزدوجة

كالمز المذل والحافض الرافع والقابض الباسط والمعطى المانع ومن صفاته الصفات المتقابلة كالرضا والسخط والحب والبغض والغنى والافتقار وهذه صفات كمال والام يتصف بها ولم يتسم بأسمائها وإذا كانت صفات كمال فاما أن يتعطل مقتضاها وموجبها وذلك يستلزم تعطيلها في أنفسها واما أن تتعلق بغير محملها الذي يابق بأحكامها وذلك نقص وعيب يتعالى عنه فيتعين تعلقلها بمحملها التي تابق بها وهذا وحده كاف في الجواب لمن كان له فقه في باب الاسماء والصفات ولا غيره بغيره يوضحه الوجه الثالث عشر ان من أسمائه الملك ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكل وجه وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال اذ من الحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة ولا ارادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى ولا يثيب ولا يعاقب ولا يعطى ولا يمنع ولا يعز ويذل ويهين ويكرم وينعم ويتنعم ويخفض ويرفع ويرسل الرسل الى أقطار مملكته ويتقدم الى عبيده بأوامره ونواهيه فأى ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك. وهذا يبين ان المعطيان لاسمائه وصفاته جعلوا تماثيله اكمل منه ويأتى أحدهم أن يقال في أميره وملكه مايقوله هو في ربه فصفة ملكية الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف الا به والكل منه سبحانه فلم يتوقف كمال ملكه على غيره فان كل ماسواه مسند اليه متوقف في وجوده على مشيئته وخلقته يوضحه الوجه الرابع عشر ان كمال ملكه بان يكون مقارنا بحمده فله الملك وله الحمد والتاس في هذا المقام ثلاث فرق فالرسل وأتباعهم أثبتوا له الملك والحمد وهذا مذهب من أثبت له القدر والحكمة وحقائق الاسماء والصفات وزهه عن النقائص ومشابهة الخلوقات وبوحشك في هذا المقام جميع الطوائف غير أهل السنة الذين لم يتحيزوا الى نخلة ولا مقالة ولا مشيوع من أهل الكلام الفرقة الثانية الذين أثبتوا له الملك وعطلوا حقيقة الحمد وهزم الجبرية نفاة الحكمة والتعليل القائلين بأنه يجوز عليه كل ممكن ولا ينزه عن فعل قبيح بل كل ممكن فانه لا يقيح منه واما القبيح المستحيل لذاته كاجتماع بين القبيضين فيجوز عليه تعذيب ملائكته وأتباعه ورسله وأهل طاعته واكرام ابليس وجنوده وجعلهم فوق أوليائه في التعميم المقيم أبدا ولا سبيل لنا الى العلم باستحالة ذلك الا من نفى الخلف في خبره فقط فيجوز أن يأمر بمشيئته ومشية أتباعه والسجود للانصاف والكذب والفجور وسفك نهب الاموال وينهى عن البر والصدق والاحسان والعفاف ولا فرق في نفس الامر بين ماأمر به ونهى عنه الا التحكم بمحض المشيئة وانه أمر بهذا ونهى عن هذا من غير أن يكون فيماأمر به صفة حسن تقتضى محبته والامر به ولا فيما نهى عنه صفة قبح تقتضى كراهته والنهى عنه فهو لا عطلوا حمده في الحقيقة وأثبتوا له ملكا بلا حمد مع أنهم في الحقيقة لم يثبتوا له ملكا فانهم جعلوه معطلا في الازل والابد لا يقوم به فعل البتة وكثير منهم عطله عن صفات الكمال التي لا يتحقق كونه ملكا وربا وإله الا بها فلا ملك أثبتوا ولا حمد الفرقة الثالثة أثبتوا له نوعا من الحمد وعطلوا كمال ملكه وهم القدريه الذين أثبتوا نوعا من الحكمة ونفوا لاجلها كمال قدرته خافضوا على نوع من الحمد عطلوا له كمال الملك وفي الحقيقة لم يثبتوا لاهذا ولا هذا فان الحكمة التي أثبتوها جعلوها راجعة الى الخلق لا يعود اليه سبحانه حكمها والملك الذي أثبتوه فانهم في الحقيقة اتما قروا نفيه لنفى قيام الصفات التي لا يكون ملكا حقا الا بها ونفى قيام الافعال

الاختيارية فلم يبق به عندهم وصف ولا فعل ولا له ولا ارادة ولا كلام ولا سميع ولا بصر ولا فعل ولا له حب ولا بغض معطل عن حقيقة الملك والحمد والمقصود ان عموم ملكه يستلزم اثبات القدر وأن لا يكون في ملكه شيء بغير مشيئة الله أكبر من ذلك وأجل وعموم حمده يستلزم أن لا يكون في خلقه وأمره مالا حكمة فيه ولا غاية محمودة يفعل لاجلها وأيا أمر لاجلها فآله أكبر وأجل من ذلك يوضحه الوجه الخامس عشر ان مجرد الفعل من غير قصد ولا حكمة ولا مصلحة يقصده الفاعل لاجلها لا يكون متعلقا بالحمد فلا يحمد عليه حتى لو حصلت به مصلحة من غير قصد الفاعل لحصولها لم يستحق الحمد عليها كما تقدم تقريره بل الذي يقصد الفعل لمصلحة وحكمة وغاية محمودة وهو عاجز عن تنفيذ مراده أحق بالحمد من قادر لا يفعل لحكمة ولا لمصلحة ولا لقصد الاحسان هذا المستقر في فطر الخلق والرب سبحانه حمده قد ملأ السموات والارض وما بينهما وما بعد ذلك فلا العالم العلوى والسفلى والدنيا والآخرة ووسع حمده ما وسع علمه فله الحمد التام على جميع خلقه ولا حكم يحكم الا بحمده ولا قامت السموات والارض الا بحمده ولا يتحول شيء في العالم العلوى والسفلى من حال الى حال الا بحمده ولا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار الا بحمده كما قال الحسن رحمه الله عليه لقد دخل أهل النار النار وان حمده افي قلوبهم ما وجدوا عليه سبيلا وهو سبحانه انما أنزل الكتاب بحمده وأرسل الرسل بحمده وأما خلقه بحمده وبحمده ولهذا حمد نفسه على ربوبيته الشاملة لذلك كله فالحمد لله رب العالمين وحمد نفسه على انزال كتبه فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وحمد نفسه على خلق السموات والارض الحمد لله الذي خالق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وحمد نفسه على كمال ملكه الحمد لله الذي له مافي السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير فحمد ملأ الزمان والمكان والاعيان وعم الاقوال كلها ف سبحانه الله حين تمسون وحين تضحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وكيف لا يحمد على خلقه كله وهو الذي أحسن كل شيء خلقه وعلى صنعه وقد أقنعه صنع الله الذي أنقذ كل شيء وعلى أمره وكله حكمة ورحمة وعدل ومصلحة وعلى نبيه وكل مانه عن شره وفساد وعلى ثوابه وكله رحمة واحسان وعلى عقابه وكله عدل وحق فله الحمد كله وله الملك كله ويده الخير كله واليه يرجع الامر كله والمقصود أنه كلما كان الفاعل أعظم حكمة كان أعظم حمدا واذا عدم الحكمة ولم يقصدها بفعاله وأمره عدم الحمد الوجه السادس عشر أنه سبحانه يجب أن يشكر ويجب أن يشكر عقلا وشرعا وفطرة فوجوب شكره أظهر من وجوب كل واجب وكيف لا يجب على العباد حمده وتوحيده ومحبته وذكر آلائه واحسانه وتعظيمه وتكبيره والخضوع له والتحدث بنعمته والاقترار بها بجميع طرق الوجوب قال شكر أحب شيء اليه وأعظم ثوابا وانه خلق الخلق وأنزل الكتب وشرع الشرائع وذلك يستلزم خلق الاسباب التي يكون الشكر بها أكمل ومن جملتها ان فاوت بين عبادته في صفاتهم الظاهرة والباطنة في خلقهم واخلقهم وأديلتهم وأرزاقهم ومعايشهم وآجالهم فاذا رأى المعافي المبلى والغنى الفقير والمؤمن الكافر عظم شكره لله وعرف قدر نعمته عليه وما خصه به وفضله به على غيره فازداد شكرا وخضوعا واعترافا بالنعمة * وفي أثر ذكره الامام أحمد في الزهد أن موسى قال يارب هلا سويت بين عبادك قال اني أحببت أن أشكر فان قيل فقد كان

من الممكن أن يسوى بينهم في النعم ويسوى بينهم في الشكر كما فعل باللائكة قبل لو فعل ذلك
 لكان الحاصل من الشكر نوع آخر غير النوع الحاصل منه على هذا الوجه والشكر الواقع على
 التفضيل والتخصيص أعلى وأفضل من غيره ولهذا كان شكر الملائكة وخضوعهم وذلم لعظمته
 وجلاله بعد أن شاهدوا من إبليس ماجرى له ومن هاروت وماروت ما شاهدوه أعلى وأكمل مما
 كان قبله وهذه حكمة الرب ولهذا كان شكر الأنبياء وأتباعهم بعد أن عاينوا هلاك أعدائهم وانتقام
 الرب منهم وما أنزل بهم من بأسه أعلى وأكمل وكذلك شكر أهل الجنة في الجنة وهم يشاهدون
 أعداءه المبكذين لرسله المشركين به في ذلك العذاب فلا ريب أن شكرهم حينئذ ورضاهم ومحبتهم
 لربهم أكمل وأعظم مما لو قدر اشتراك جميع الخلق في النعم فالجنة الحاصلة من أوليائه له والرضا
 والشكر وهم يشاهدون بين جنسهم في ضد ذلك من كل وجه أكمل وأتم * فالضد يظهر حسنه الضد *
 * ويضدها تبين الأشياء * ولولا خالق القبيح لما عرفت فضيلة الجمال والحسن ولولا خالق الظلام
 لما عرفت فضيلة النور ولولا خالق أنواع البلاء لما عرفت قدر العافية ولولا الجحيم لما عرفت قدر الجنة
 ولو جعل الله سبحانه النهار سرمدا لما عرفت قدره ولو جعل الليل سرمدا لما عرفت قدره وأعرف
 الناس بقدر النعمة من ذاق البلاء وأعرفهم بقدر الفقر من قاسى مرار الفقر والحاجة ولو كان الناس
 كلهم على صورة واحدة من الجمال لما عرفت قدر الجمال وكذلك لو كانوا كلهم مؤمنين لما عرفت قدر
 الإيمان والنعمة به فبارك من له في خلقه وأمره الحكيم البواعث والنعم السوابغ يوضحه الوجه السابع
 عشر أنه سبحانه يجب أن يعبد بأنواع العبودية ومن أعلاها وأجها عبودية الموالاة فيه والمعاداة فيه
 والحب فيه والبغض فيه والجهاد في سبيله وبذل مهج النفوس في مرضاته ومعارضة أعدائه وهذا
 النوع هو ذروة سنام العبودية وأعلى مراتبها وهو أحب أنواعها إليه وهو موقوف على ما لا يحصل
 بدونه من خالق الأرواح التي تواليه وتشكره وتؤمن به والأرواح التي تعاديه وتكفر به ويسلط
 بعضها على بعض لتحصيل بذلك محابه على أتم الوجود وتقرب أولياء إليه للجهاد أعدائه ومعارضتهم
 فيه وإذلالهم وكتبهم ومخالفة سبيلهم فتعاقبوا كتمته ودعوته على كلمة الباطل ودعوته ويتبين بذلك
 شرف علوها وظهورها ولو لم يكن للباطل والكفر والشرك وجود فعلى أى شئ كانت كتمته ودعوته
 تعاقبوا فالعلو أمر لئى يستلزم غالباً ما يعلى عليه وعلو الشئ معنى نفسه محال والوقوف على الشئ
 لا يحصل بدونه يوضحه الوجه الثامن عشر أن من عبوديته العتق والصدقة والإيثار والمواساة والعتفو
 والصفح والصبر وكظم الغيظ واحتمال المكآره ونحو ذلك مما لا يتم إلا بوجود متعلقه وأسبابه فلو لا
 لم تحصل عبودية العتق فالرق من أثر الكفر ولو لا الظلم والاساءة والعدوان لم تحصل عبودية الصبر
 والمغفرة وكظم الغيظ ولولا الفقر والحاجة لم تحصل عبودية الصدقة والإيثار والمواساة فلو لا
 يسوى بين خلقه جميعهم لتعطلت هذه العبوديات التي هى أحب شئ إليه ولاجلها خلق الجن والإنس
 ولاجلها شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الدنيا والآخرة وكما أن ذلك من
 صفات كماله فلو لم يقدر الأسباب التي يحصل بها ذلك لغاب هذا الكمال وتعطلت أحكام تلك الصفات
 كما مر توضيحه الوجه التاسع عشر أنه سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه أعظم فرح يقدر أو
 يحظر ببال أو يدور في خلد وحصول هذا الفرح موقوف على التوبة الموقوفة على وجود ما يتاب منه

وما يتوقف عليه الشيء لا يوجد بدون وجه لا يوجود بدون لازمه بحال ولا رب ان وجود الفرح اكمل من عدمه فمن تمام الحكمة تقدير اسبابه ولو ازمه وقد نبه أعلم الخالق بالله على هذا المعنى بعينه حيث يقول في الحديث الصحيح لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم فلو لم يقدر الذنوب والمعاصي فلم يغفر وعلى من يتوب وعمن يعفو ويسقط حقه ويظهر فضله وجوده وحله وكرمه وهو واسع المغفرة فكيف يعطى هذه الصفة أم كيف يتحقق بدون ما يغفر ومن يغفر له ومن يتوب وما يتاب عنه فلو لم يكن في تقدير الذنوب والمعاصي والمخالفات الا هذا وحده لكان به حكمة وغاية محدودة فكيف والحكم والمصالح والغايات المحمودة التي في ضمن هذا التقدير فوق ما يحظر بالبال وكان بعض الابداء يدعو في طوافه اللهم اعصمني من المعاصي ويكرر ذلك فقيل له في المنام أنت سألني العصمة وعبادى يسألوني العصمة فإذا عصمتكم من الذنوب فلمن أغفر وعلى من أتوب وعمن أعفو ولو لم تكن التوبة أحب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخالق عليه يوضحه الوجه العشرون أنه قد يترتب على خالق من يكفر به ويشرك به ويعادي من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة ما لم يكن يحصل بدون ذلك فلو لا كفر قوم نوح لما ظهرت آية الطوفان وبقيت يتحدث بها الناس على عمر الزمان ولو لا كفر عاد لما ظهرت آية الرمح العقيم التي دمرت مامرت عليه ولو لا كفر قوم صالح لما ظهرت آية اهلاكهم بالصيحة ولو لا كفر فرعون لما ظهرت تلك الآيات والعجائب يتحدث بها الامم امة بعد امة واهتدى من شاء الله فهلك بها من هلك عن بينة وحي بها من حي عن بينة وظهر بها فضل الله وعدله وحكمته وآيات رساله وصدقهم فمأرضة الرسل وكسر حججهم ودحضها والجواب عنها واهلاك الله لهم من أعظم أدلة صدقهم وبراهينه ولو لا محجى المشركين بالحد والحديد والعدد والشوكة يوم بدر لما حصلت تلك الآيات العظيمة التي يترتب عليهما من الايمان والهدى والخير ما لم يكن حاصلًا مع عدمها وقد بينا أن الموقوف على الشيء لا يوجد بدون وجود المأزوم بدون لازمه فلهذا كم عمرت قصة بدر من ربيع أصبح أهلاً بالايمان وقد فتحت لاولى النبي من باب وصولوا منه الى الهدى والايقان وكم حصل بها من محبوب لارحن وغبط للشيطان وتلك المفسدة التي نخصت في ضمنها لا كفار مغمورة جدا بالنسبة الى مصالحها وحكمها وهي كفسدة المطر اذا قطع المسافر وبيل الثياب وخرب بعض السيوت بالنسبة الى مصالحة العامة وتأمل ما حصل بالطوفان وغرق آل فرعون الامم من الهدى والايمان الذي غمر مفسدة من هلك به حتى تلاشت في جنب مصاحته وحكمته فكيف من حكمته في آياته التي ابتلى بها أعداءه وأكرم فيها أوليائه وكم له فيها من آية وحجة وتبصرة وتذكيرة ولهذا أمر سبحانه رسوله أن يذكر بها أمته فقال تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك للاء لمن ربكم عظيم) فذكرهم بأياهه وانعامه ونجاتهم من عدوه واهلاكهم وهو يظنون فحصل بذلك من ذكره وشكره ومحبة وتعظيمه واجلاله ما تلاشت فيه مفسدة اهلاك لا بناء وذبهم واخلصحت فتم صاروا الى النعم وخلصوا من مفسدة العبودية لفرعون اذا كبروا وسومهم له سوء العذاب وكان الام الذي

ذاته الابوان عند الذبح أيسر من الآلام التي كانوا تجرعوها باستعباد فرعون وقومه لهم بكثير خطي بذلك الآباء والابناء وأراد سبحانه أن يرى عباده ماهو من أعظم آياته وهو أن يرى هذا المولود الذي ذبح فرعون ماشاء الله من الاولاد في طلبه في حجر فرعون وفي بيته وعلى فراشه فكف في ضمن هذه الآية من حكمة ومصلحة ورحمة وهداية وتبصرة وهي موقوفة على لوازمها وأسبابها ولم تكن لتوجد بدونها فانه تمتع فصاحة تلك الآية وحكمتها غمرت منسدة ذبح الابناء وجعلتها كان لم تكن وكذلك الآيات التي أظهرها سبحانه على يد الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم والعجائب والحكم والمصالح والفوائد التي في تلك القصة التي تزيد على الالف لم تكن لتحصل بدون ذلك السبب الذي كان فيه مفسدة حزونة يعقوب ويوسف ثم انقلبت تلك المفسدة مصالح اضمحلت في جنبها تلك المفسدة بالكلية وبصارت سببا لاعظم المصالح في حق يوسف وحق الاخوة وحق امرأة العزيز وحق أهل مصر وحق المؤمنين الى يوم القيامة فكف حتى أهل المعرفة بالله وأسائه وصفاته ورساله من هذه القصة من ثمرة وكم استفادوا بها من علم وحكمة وتبصرة وكذلك المفسدة التي حصلت لايوب من مس الشيطان له بنصب وعذاب اضمحلت وتلاشت في جنب المصلحة والمنفعة التي حصلت له ولغيره عند مفارقة البلاء وتبدله بالنعماء بل كان ذلك السبب المذكور هو الطريق الموصل اليها والشجرة التي جنت ثمار تلك النعم منها وكذلك الاسباب التي أوصلت خليل الرحمن الى ان صارت النار عليه بردا وسلاما من كفر قومه وشركهم وتكسيره أصنامهم وغضهم لها وإيقاد النيران العظيمة له والقائه فيها بالتجنيق حتى وقع في روضة خضراء في وسط النار وصارت آية وحجة وعبرة ودلالة للامم قرنا بعد قرن فكف لله سبحانه في ضمن هذه الآية من حكمة بالغة ونعمة سابعة ورحمة وحجة وبينة لو تعطلت تلك الاسباب لتعطلت هذه الحكم والمصالح والآيات وحكمته وإكالة المقدس بأبى ذلك وحصول الشيء بدون لازمه تمتع وكم بين ماوقع من المفساد الجزئية في هذه القصة وبين جعل صاحبها اماما للحنفاء الى يوم القيامة وهل تلك المفساد الجزئية الا دون مفسدة الحر والبرد والمطر والتلج بالنسبة الى مصالحها بكثير ولكن الانسان كما قال الله تعالى ظلوم جهول ظلوم لنفسه جهول بربه وعظمته وجلاله وحكمته وإتقان صنعه وكم بين اخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة على تلك الحال ودخوله اليها ذلك الدخول الذي لم يفرض به بشر جهولا لله وقد اكتنفه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله والمهاجرون والانصار قد أحدقوا به والملائكة من فوقهم والوحي من الله ينزل عليه وقد أدخله حرمة ذلك الدخول فاين مفسدة ذلك الاخراج الذي كان كأن لم يكن ولو لامعارضة السحرة لموسى بالقاء العصي والخيال حتى أخذوا أعين الناس واسترهبوهم لما ظهرت آية عصا موسى حتى ابتلعت عصمهم وحبالهم ولهذا أمرهم موسى أن يلقوا أولادهم يلقى هو بعدهم ومن تمام ظهور آيات الرب تعالى وإكالة اقتداره وحكمته أن يتخلق مثل جبريل صلوات الله وسلامه عليه الذي هو أطيب الارواح العلوية وأزكاها وأظهرها وأشرفها وهو السفير في كل خير وهدي وإيان وصلاح ويتخلق بمقابله مثل روح اليعن ابليس الذي هو أخبث الارواح وأنجسها وشرها وهو الداعي الى كل شر وأصله ومادته وكذلك من تمام قدرته وحكمته ان خلق الضياء والظلام والارض والسماء والجنة والنار

وسدرة المنتهى وشجرة الزقوم وليفة القدر وليفة الوباء والملائكة والشياطين والمؤمنين والكفار والابرار والفجار واخر البرد والداء والدواء والآلام والبذات والاحزان والمسررات واستخرج سبحانه من بين ماهو من أحب الاشياء اليه من أنواع العبوديات والتعرف الى خلقه بأنواع الدلالات ولولا خلق الشياطين والهوى والنفس الامارة لحصلت عبودية الصبر ومجاهدة النفس والشيطان ومخالفتها وترك ما يهواه العبد ويحبه لله فان لهذه العبودية شأنًا ليس لغيرها ولولا وجود الكفار لما حصلت عبودية الجهاد ولما نال أهله درجة الشهادة ولما ظهر من يقدم بحجة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده ومن يقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه فإن صبر الرسل واتباعهم وجهادهم وتحملهم لله أنواع المكارة والمشاق وأنواع العبودية المتعلقة بالدعوة وإظهارها ولولا وجود الكفار وتلك العبودية تقتضى علمه وفضله وحكمته ويستخرج منه حمده وشكره ومحبة والرضا عنه يوضحه الوجه الحادى والعشرون انه قد استقرت حكمته سبحانه ان السعادة والتعيم والراحة لا يوصل اليها الا على جسر المشقة والتعب ولا يدخل اليها الا من باب المكارة والصبر وتحمل المشاق ولذلك حلف الجنة بالمكارة والنار بالشهوات ولذلك أخرج صفيه آدم من الجنة وقد خلقها واقتضت حكمته أن لا يدخلها دخول استقرار الابد التعب والنصب فأنخرجه منها الا ليدخلها اليها أتم دخول فله كم بين الدخول الاول والدخول الثانى من التفاوت وكم بين دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في جواد المطعم بن عدى ودخوله اليها يوم الفتح وكم بين راحة المؤمنين ولذتهم في الجنة بعد مقاساة ما قبلها وبين لذتهم لو خلقوا فيها وكم بين فرحة من عافاه بعد ابتلائه وأغناه بعد فقره وهداه بعد ضلاله وجمع قلبه بعد مشتاته وفرحة من لم يذق تلك المرات وقد سبقت ما لحكمة الالهية ان المكارة أسباب اللذات والخيرات كقَالَ تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

وربما كان مكروه النفوس الى محبوبها سبباً ما مثله سبب

يوضحه الوجه الثانى والعشرون ان العقلاء قاطبة متفقون على استحسان آتاعب النفوس في تحصيل كمالها من العلم بالنافع والعمل الصالح والاخلاق الفاضلة وطلب محمده من ينفعهم حمده وكل من كان أتعب في تحصيل ذلك كان أحسن حالاً وأرفع قدراً وكذلك يستحسنون آتاعب النفوس في تحصيل الغنى والمز والشرف ويذمون القاعد عن ذلك وينسبونوه الى دناءة الهمة وخسة النفس وضعة القدر

دع المكالم لاتنهض لبغيها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وهذا التعب والكذب ستارم الاما وحصول مكارة ومشاق هي الطريق الى تلك الكمالات ولم يقدحوا بتحمل تلك في حكمة من يحماها ولا يبدونه عائباً بل هو العقل الوافر ومن أمر غيره به فهو حكيم في أمره ومن نهاه عن ذلك فهو سفيه عدوله هذا في مصالح المعاش فكيف بمصالح الحياة الابدية الدائمة والتعيم المقيم كيف لا يكون الأمر بالتعب القليل في الزمن اليسير الموصل الى الخير الدائم حكيماً رحيماً محسناً ناعماً لمن يأمره وينهاه عن ضده من الراحة واللذة التي تقطعه عن كماله ولذته ومسرته الدائمة هذا الى ما في أمره ونهيه من المصالح العاجلة التي بها سعادته وفلاحه وصلاحه ونهيه عما فيه

مضرته وعطبه وشقاوته فأوامر الرب تعالى رحمة واحسان وشفاء ودواء وغذاء للقلوب وزينة للظاهر والباطن وحياة للقلب والبدن وكرم في ضمنه من مسرة وفرحة ولذة وبهجة ونعيم وقرة عين فما يسميه هؤلاء تكاليف إنما هو قرة العيون وبهجة النفوس وحياة القلوب ونور العقول وتكميل للفطر واحسان تام الى النوع الانساني أعظم من احسانه اليه بالصحة والعافية والطعام والشراب واللباس فعمته على عباده بارسال ارساليهم وانزال كتيبهم وتعليمهم أمره ونهيهم وما يحب وما يكره أعظم النعم وأجلها وأعلاها وأفضلها بل لا نسبة لرحمتهم بالشمس والقمر والغيث والنبات الى رحمتهم بالعلم والايمان والشرائع والحلال والحرام فكيف يقال أى حكمة في ذلك وإنما هو مجرد مشقة ونصب بغير فائدة فوالله ان من زعم ذلك وظنه في أحكم الحاكمين لاضل من الانعام وأسوأ حالا من الحير ونموذ بالله من الخذلان والجهل بالرحمن وأسائه وصفاته وهل قامت مصالح الوجود الا بالامر والنهي وارسال الرسل وانزال الكتب ولولا ذلك لكان الناس بمنزلة البهائم يتهارجون في الطرقات ويتسافدون تسافدا لحيوانات لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا ولا يتمتعون من تيسيح ولا يمتدون الى صواب وأنت ترى الامكنة والازمنة التي خفيت فيها آثار النبوة كيف حال أهلها وما دخل عليهم من الجبل والظلم والكفر بالخالق والشرك بالخلق واستحسان القبائح وفساد العقائد والاعمال فان الشرائع بتزليل الحكيم العليم أنزلها وشرعها الذي يعلم مافي ضمنها من مصالح العباد في المعاش والمعاد وأسباب سعادتهم الدنيوية والاخرية فجعلها غذاء ودواء وشفاء وعصمة وحصنا وملجأ وجنة ووقاية وكانت القياس الى مصالح الابدان بمنزلة حكيم عالم ركب للناس أمرا يصلح لكل مرض ولكل ألم وجعله مع ذلك غذاء للأخياء فمن يغذى به من الاخياء غذاه ومن يداوى به من المرض شفاه وشرائع الرب تعالى فوق ذلك وأجل منه وإنما هو تمثيل وتقريب فلا أحسن من أمره ونهيهم وتحريمه أمره قوت وغذاء وشفاء ونهيهم حمية وصيانة فلم يأمر عباده بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولا اعتبارا بل رحمة واحسانا ومصاحبة ولا تهاهم عما تهاهم عنه بخلافه عليهم بل حماية وصيانة عما يؤذيهم ويعود عليهم بالضرر ان تناولوه فكيف يتوهم من له مسكة من عقل خلوها من الحكم والغايات المحمودة المطلوبة لاجلها ولهذا استدل كثير من العقلاء على النبوة بنفس الشريعة واستغنوا بها عن طلب المعجزة وهذا من أحسن الاستدلال فان دعوة الرسل من أكبر شواهد صدقهم وكل من له خبرة بنوع من أنواع العلوم اذا رأى حاذقا قد صنف فيه كتابا جليلا عرف أنه من أهل ذلك العلم بنظره في كتابه وهكذا كل من له عقل وفطرة سليمة وخبرة بأقوال الرسل ودعوتهم اذا نظر في هذه الشريعة قطع قطعاً نظير القطع بالمحسوسات ان الذي جاء بهذه الشريعة رسول صادق وان الذي شرعها أحكم الحاكمين ولقد شهد لها عقلاء الفلاسفة بالكمال والتمام وأنه لم يطرُق العالم ناموس أكمل ولا أحكم هذه شهادة الاعداء وشهد لها من زعم أنه من الاولياء بانها لم تشرع لحكمة ولا لمصلحة وقالوا أى حكمة في الازام بهذه التكاليف الشاقة المتعبة وأى مصلحة للمكلف في ذلك وأى غرض للمكلف وماهى الاحمض المشيئة المجردة من قصد غاية أو حكمة ولو استحيى هؤلاء من العقلاء لمنعهم الحياء من تسويد القلوب والاوراق بمثل ذلك وهل تركت الشريعة خبيرا ومصلحة الاجاءت به وأمرت به ونذبت اليه وهل تركت شرًا ومفسدة الا نهت عنه وهل تركت لمفرح أفرحا

أولمتنت نعمتا أولسائل مطلباً فمن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون وعند نفاة الحكم أنه يجوز عليه ضد ذلك الحكم من كل وجه وأنه لا فرق بينه وبين ضده في نفس الامر المجرد التحكم والمشينة فلو اجتمعت حكمة جميع الحكماء من أول الدهر الى آخره ثم قيست الى حكمة هذه الشريعة الكاملة الحكيمة الفاضلة لكانت كقطرة من بحر وانما نعى بذلك الشريعة التي أنزلها الله على رسوله وشرعها للامة ودعاهم اليها لا الشريعة المبذلة والمأثولة ولا ما غلط فيه الغالطون وتأولوا المتأولون فان هذين النوعين قد يشتملان على فساد وشر بل الشر والفساد الواقع بين الامة من هاتين الشريعتين اللتين نسبتا الى الشريعة المنزلة من عند الله عمداً أو خطأً والافالشريعة على وجهها خير محض ومصلحة من كل وجه ورحمة وحكمة ولطف بالمكافئين وقيام مصالحهم بها فوق قيام مصالح أبدانهم بالطعام والشراب فهي مكملة للقطر والعقول مرشدة الى ما يحبه الله ويرضاه ناهية عما يبغضه ويسخطه مستعملة لكل قوة وعضو حركة في كاله الذي لا كاله سواه أمرة بمكارم الاخلاق ومعالها ناهية عن ذنبها وسفسافها واختصار ذلك انه شرع استعمال كل قوة وكل عضو وكل حركة في كاله ولا سبيل الى معرفة كاله على الحقيقة الا بالوحى فكانت الشرائع ضرورية في مصالح الخلق وضرورتها له فوق كل ضرورة تقدر فهي أسباب موصلة الى سعادة الدارين ورأس الاسباب الموصلة الى حفظ صحة البدن وقوته واستفراغ اخلاطه ومن لم يتصور الشريعة على هذه الصورة فهو من أبعد الناس عنها وقد جعل الحكيم العليم لكل قوة من القوى ولكل حاسة من الحواس ولكل عضو من الاعضاء كالا حسياً وكالا معنوياً وفقد كاله المعنوى شر من فقد كاله الحسى فكاله المعنوى بمنزلة الروح والحسى بمنزلة الجيم فاعطاه كاله الحسى خلقاً وقدراً واعطاه كاله المعنوى شرعاً وأمرأ فبلغ بذلك غاية السعادة والارتفاع بنفسه فلم يدع للاحسان اليه والاعتناء بمصالحه وارشاده اليها واعاته على تحصيلها أفرأحاً يفرحه ولاشفاء يطلبه بل أعطاه من ذلك ما لم يصل اليه أفرأحه ولا تدرك معرفته ويكفي العاقل البصير الحى القلب فكرة في فرع واحد من فروع الامر والهي وهو الصلاة وما اشتملت عليه من الحكم الباهرة والمصالح الباطنة والظاهرة والمنافع المتصلة بالقلب والروح والبدن والقوى التي لو اجتمع حكماء العالم قاطبة واستفرغوا قواهم وأذهنهم لما أحاطوا بتفاصيل حكمها وأسرارها وغاياتها المحمودة بل انقطعوا كلهم دون أسرار الفاتحة وما فيها من المعارف الالهية والحكم الربانية والعلوم النافعة والتوحيد التام والثناء على الله باصول أممائه وصفاته وذكر أقسام الخلق باعتبار غاياتهم ووسائلهم وما في مقدماتها وشروطها من الحكم العجيبة من تظهير الاعضاء والسياب والمكان واخذ الزينة واستقبال بيته الذي جعله اماماً للناس وتفرغ القلب لله واخلاص النية واقتناحها بكلمة جامعة لمعانى العبودية دالة على أصول الثناء وفروعه مخرجة من القلب الالتفات الى ما سواه والاقبال على غيره فيقدم قبله الوقوف بين يدي عظيم جليل أكبر من كل شئ وأجل من كل شئ وأعظم من كل شئ بلا سبب في كبريائه السموات وما اظلت والارض وما اقلت والعوالم كلها غنت له الوجوه وخضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة قاهر فوق عباده ناظر اليهم عالم بما تكن صدورهم يسمع كلامهم ويرى مكنهم لا يخفى عليه خافية من أمرهم ثم أخذ في تسيبته وحده وذكر تبارك اسمه وتعالى جده وتفرده بالالهية ثم أخذ في الثناء عليه بأفضل ما يثنى عليه به من حمده وذكر ربوبيته للعالم واحسانه اليهم

ورحمته بهم وتمجيده بالملك الاعظم في اليوم الذي لا يكون فيه ملك سواه حتى يجمع الاولين والآخرين في صعد واحد ويدينهم بأعمالهم ثم افراده بنوعى التوحيد توحيد ربوبيته استعانة به وتوحيد إلهيته عبودية له ثم سؤاله أفضل مسئول وأجل مطلوب على الاطلاق وهو هداية الصراط المستقيم الذي نصبه لأنبيائه ورسله واتباعهم وجعله صراطا موصلان سلكه اليه والى جنته وأنه صراط من اختصهم بنعمته بان عرفهم الحق وجعلهم متبعين له دون صراط امة الغضب الذي عرفوا الحق ولم يتبعوه واهل الضلال الذين ضلوا عن معرفته واتباعه فقصمت تعريف الرب والطريق الموصل اليه والغاية بعد الوصول وتضمنت الثناء والدعاء واشرف الغايات وهى العبودية وأقرب الوسائل الها وهى الاستعانة مقدما فيها على الوسيلة والمعبود المستعان على الفعل اذ انما لاختصاصه وان ذلك لا يصلح الاله سبحانه وتضمنت ذكر الالهية والربوبية والرحمة فيثنى عليه ويعبد بهليته ويحقيق ويرزق ويميت ويحيى ويدبر الملك ويضل من يستحق الاضلال ويغضب على من يستحق الغضب ربوبيته وحكمته ونعم ورحم ويجود ويعفو ويغفر ويهدى ويتوب برحمته فله كم في هذه السورة من أنواع المعارف والعلوم والتوحيد وحقائق الايمان ثم يأخذ بعد ذلك في تلاوة ربيع القلوب وشفاء الصدور ونور البصائر وحياة الارواح وهو كلام رب العالمين فيحل به في مائتة من روضات موثقات وحدائق معجبات زاهية ازهارها موفقة ثمارها قد ذلت قطوفها تذليلًا وسهلت لمنازلها تسهيلًا فهو يجتني من تلك الثمار خيرا يؤمر به وشرًا ينهى عنه وحكمة وموعظة وتبصرة وتذكيرة وعبرة وتقريرًا لحق ودحضًا لباطل وازالة لشبهة وجوابا عن مسئلة وايضا حلا لمشكل وترغيبا في أسباب فلاح وسعادة وتحذيرا من أسباب خسران وشقاوة ودعوة الى هدى وترد عن ردى فتزل على القلوب نزول الغيث على الارض التى لاحياة لها بدونها ويحل منها محل الارواح من أبدانها فإى نعيم وقرّة عين ولذة قلب وانهاج وسرور لا يحصل له في هذه المناجاة والرب تعالى يسمع لكلامه جارا على لسان عبده ويقول حمدنى عبدى أننى على عبدى مجدنى عبدى ثم يعود الى تكبير ربه عز وجل فيجد ربه عهد التذكيرة كونه أكبر من كل شئ بحق عبوديته وما ينبغي أن يعامل به ثم يرجع جانيا له ظهره خضوعا لعظمته وتذلا لعزته واستكانة لجبروته مسجدا له بذكر اسمه العظيم فزده عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع قد اطمأن وطأ طأ رأسه وطوى ظهره وربه فوقه يرى خضوعه وذله ويسمع كلامه فهو ركن تعظيم واجلال كما قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب ثم عاد الى حاله من القيام حامدا لربه مثنيا عليه باكمل محامده وأجمعها وأعظمها مثنيا عليه بأنه أهل الثناء والمجد معترفا بعبوديته شاهدا بتوحيده وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه لا ينفع أصحاب الجبذ والاموال والحظوظ جدودهم عنه ولو عظمت ثم يعود الى تكبيره ويحز له ساجدا على أشرف ما فيه وهو الوجه فيعفره في التراب ذلا بين يديه ومسكنة وإنكسارا وقد أخذ كل عضو من البدن حظه من هذا الخضوع حتى أطراف الانامل ورؤس الاصابع ونذب له أن يسجد معه ثيابا وشره فلا يكتفيه وأن لا يكون بعضه محمولا على بعض وان يتأسر التراب بحبته وينال قبل وجهة المصلى ويكون رأسه أسفل ما فيه تكميلا للخضوع والتذليل لمن له العز كله والعظمة كلها وهذا أيسر اليسير من حقه على عبده فلو

دام كذلك من حين خالق الى أن يموت لم أذى حق ربه عليه ثم أمر أن يسبح ربه الاعلى
 فيذكر علوه سبحانه في حال سفوله هو وينزهه عن مثل هذه الحال وان من هو فوق كل شيء
 وعال على كل شيء ينزه عن السفول بكل معنى بل هو الاعلى بكل معنى من معاني العلو ولما كان
 هذا غاية ذل العبد وخضوعه وانكساره كان أقرب ما يكون الرب منه في هذه الحال فامر أن يجتهد
 في الدعاء لقربه من القريب المحيب وقد قال تعالى فاسجد واقترب وكان الركوع كالمقدمة بين يدي
 السجود والتوطئة له فينتقل من خضوع الى خضوع أكمل وأتم منه وأرفع شأنًا وفصل بينهما بركن
 مقصود في نفسه يجتهد فيه بالحمد والتثناء والتمجيد وجعل بين خضوع قلبه وخضوع بعده
 وجعل خضوع السجود بعد الحمد والتثناء والمجد كما جعل خضوع الركوع بعد ذلك فتأمل هذا
 الترتيب العجيب وهذا التنقل في مراتب العبودية كيف ينتقل من مقام التناء على الرب بأحسن
 أوصافه وأسماؤه وأكمل محامده الى من له خضوعه وتذلل ان له هذا التناء ويستصحب في مقامه
 خضوعه بما يناسب ذلك المقام ويبقى به فتذكر عظمة الرب في حال خضوعه وعلوه في حال سفوله
 ولما كان أشرف اذكار الصلاة القرآن شرع في أشرف أحوال الانسان وهي هيئة القيام التي قد
 اتصّب فيها قائما على أحسن هيئة ولما كان أفضل أركانها الفعلية السجود شرع فيها بوصف التكرار
 وجعل خاتمة الركعة وغايتها التي انتهت إليها مطابق افتتاح الركعة بالقرآن واختتامها بالسجود أول
 سورة افتتح بها الوحي فانها بدئت بالقراءة وختمت بالسجود وشرع له بين هذين الخضوعين أن
 يجلس جلسة العبد ويسأل ربه أن يغفر له ويرحمه ويرزقه ويهديه ويعافيه وهذه الدعوات تجمع له
 خير دنياه وآخرته ثم شرع له تكرار هذه الركعة مرة بعد مرة كما شرع تكرار الاذكار والدعوات
 مرة بعد مرة ليستعد بالاول لتكميل ما بعده ويجبر بما بعده ما قبله وليشبع القلب من هذا الغذاء
 وليأخذ رواء ونصيبه وافرا من الدواء ليقاومه فان منزلة الصلاة من القلب منزلة الغذاء والدواء
 فاذا تناول الحبيب الشديد الجوع من اللقمة أو اللقمتين كان غناؤها عنه وسدها من جوعه يسيرا جدا
 وكذلك المرض الذي يحتاج الى قدر يغنى من الدواء اذا أخذ منه المريض قيراطا من ذلك لم يزل
 مرضه بالكلفة وأزال بحسبه فما حصل الغذاء أو الشفاء للقلب بمثل الصلاة وهي لصحته ودوائه
 بمنزلة غذاء البدن ودوائه ثم لما أكمل صلاته شرع له أن يقعد فقدمه العبد الذليل المسكين لسيدته ويثنى
 عليه بافضل التحيات ويسلم على من جاء بهذا الحظ الجزيل ومن ناله الامة على يديه ثم يسلم على نفسه
 وعلى سائر عباد الله المشاركين له في هذه العبودية ثم يشهد شهادة الحق ثم يعود فيصلّي على من علم
 الامة هذا الخير ودلهم عليه ثم شرع له أن يسأل حوائجه ويدعو بما أحب مادام بين يدي ربه
 مقبلا عليه فاذا قضى ذلك أذن له في الخروج منها بالتسليم على المشاركين له في الصلاة
 هذا الى ما تضمنته الاحوال والمعارف من أول المقامات الى آخرها فلا يجد منزلة من منازل السير
 الى الله ولا مقاما من مقامات العارفين الا وهو في ضمن الصلاة وهذا الذي ذكرناه من شأنها
 كقطرة من بحر فكيف يقال أنها تكليف محض لم يشرع لحكمة ولا لغاية قصدتها الشارع بل هي
 محض وكلفة ومشقة مستدّة الى محض المشيئة لا لغرض ولا لفائدة البتة بل مجرد قهر وتكليف
 وليست سببا لشيء من مصالح الدنيا والآخرة ثم تأمل أبواب الشريعة ووسائلها وغاياتها كيف

تجدها مشحونة بالحكم المفسودة والسياسة الخبيثة التي شرعت لاجلها التي لولاها لكان الناس كالبهائم بل أسوأ حالا فكم في الطهارة من حكمة ومنفعة للقلب والبطن وتفرج القلب وتنشط لجوارحه وتخفيف من احمال مأوجبه الطبيعة والقادح النفس من درن الخالفات فهي منظفة للقلب والروح والبدن وفي غسل الجنبانة من زيادة النعومة والاختلاف على البدن نظير ما تمحل منه الجنبانة ماهو من أنفع الامور وتأمل كون الوضوء في الاطراف التي هي محل الكسب والعمل فجعل في الوجه الذي فيه السمع والبصر والكلام والشم والذوق وهذه الابواب هي ابواب المعاصي والذنوب كلها منها يدخل اليها ثم جعل في اليدين وعما طرفاه وجناحاه اللذان بهما يبطش ويأخذ ويعطى ثم في الرجلين اللتين بهما يمشي ويسعى ولما كان غسل الرأس مما فيه أعظم حرج ومشقة جعل مكانه المسح وجعل ذلك مخرجاً للخضاب من هذه المواضع حتى يخرج مع قطر الماء من شعره وبشره كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان يبسطها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجله خرجت كل خطيئة مشتها رجله مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب رواء مسلم وفي صحيح مسلم أيضاً عن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى يخرج من تحت أظفاره فهذا من أجل حكم الوضوء وفوائده وقال نفاة الحكمة أنه تكليف ومشقة وعناء محض لا مصلحة فيه ولا حكمة شرع لاجلها ولو لم يكن في مصلحته وحكمته الا أنه سبأ هذه الامة وعلامتهم في وجوههم وأطرافهم يوم القيامة بين الامم ليست لاحد غيرهم ولو لم يكن فيه من المصلحة والحكمة الا أن المتوضئ يطهر يديه بالماء وقابه بالتوبة ليستعد للدخول على ربه ومناجاة والوقوف بين يديه طاهر البدن والثوب والقلب فاي حكمة ورحمة ومصلحة فوق هذا ولما كانت الشهوة تجرى في جميع البدن حتى ان تحت كل شعرة شهوة سرى غسل الجنبانة الى حيث سرت الشهوة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان تحت كل شعرة جنبانة فامر أن يوصل الماء الى أصل كل شعرة فيبرد حرارة الشهوة فتسكن النفس وتطمئن الى ذكر الله وتلاوة كلامه والوقوف بين يديه فوالله لو أن أبقراط ودونوه أو صوا يمثل هذا الخضع اتباعهم لهم فيه وعظموهم عليه غاية التعظيم وأبدوا له من الحكم والفوائد ما قدروا عليه ثم لما كان العبد خارج الصلاة مهمل جوارحه قد أسامها في مراعات الشهوات والحفظ وأمر العبودية بجميع جوارحه كلها على ربه وتأخذ بحظها من عبوديته فيسلم قلبه وبدنه وجوارحه وحواسه وقواه لربه عز وجل واقفا بين يديه مقبلاً بكنهه عليه بعرضه عن سواه متصلاً من اعراضه عنه وجنائه على حقه ولما كان هذا طبعه وذاته أمران يحد هذا الركوع اليه والاقبال عليه وقتاً بعد وقت لئلا يطول عليه الامد فينسى ربه وينقطع عنه بالكلية وكانت الصلاة من أعظم نعم الله عليه وأفضل هداياه التي ساقها اليه فاني نفاة الحكمة الا جعلها كلفة وعناء وتعباً لا حكمة ولا مصلحة التوبة الا مجرد القهر والمشقة وقد فتح ذلك الباب فساق الشريعة كلها من أولها الى آخرها هذا المساق واستدل بما ظهر لك على ما خفي عنك ولعل الحكمة فيها لم تعلمه أعظم منها فيما علمته فان الذي علمته على قدر عقلك وفهمك وما خفي عنك فهو فوق

عقلك وفهمك ولو تتبعنا تفصيل ذلك لحاء عدة اسفار فيكتفي منه بادنى بيعة والله المستعان * الوجه الثالث والعشرون ان هذه الجمادات والحيوانات المختلفة الاشكال والمقادير والصفات والمنافع والقوى والاغذية والنباتات التي هي كذلك فيها من الحكم والمنافع ما قد اكثرت الاليم في وصفه ومجربته على مر الدهور ومع ذلك فلم يصلوا منه الا الى ايسر شئ واقبه بل لو اتفق جميع الامم لم يحيطوا علما بجميع ما اودع واحدا من ذلك النوع من الحكم والمصالح هذا الى ما في ضمن ذلك من الاعتبار والدلالة الظاهرة على وجود الخالق ومشيئته واختياره وعلمه وقدرته وحكمته فان المادة الواحدة لا تحتل بنفسها هذه الصور الغريبة والاشكال المتنوعة والمنافع والصفات ولو تركت مع غيرها فليس حدوث هذه الانواع والصور بنفس التركيب ايضا ولا هو مقيض له فخصول هذا التنوع والتفاوت والاختلاف في الحيوان والنبات من أعظم آيات الرب تعالى ودلائل ربوبيته وقدرته وحكمته وعلمه وأنه فعال لما يريد اختيارا ومشيئة فتتويع مخلوقاته وحدوثها شيا بعد شئ من أظهر الدلالات وتأمل كيف أرشد القرآن الى ذلك في غير موضع كقوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تعالى ان في خالق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون وقوله ومن آياته خالق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون وقوله هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمعون ثبت لكم به الزرع والزيوت والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآيات اقوم يفكرون وقال تعالى والله خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير فتأمل كيف نبه سبحانه باختلاف الحيوانات في المشي مع اشتراكها في المساعدة على الاختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها واشكالها وقواها وافعائها وأغذيتها ومساكنها فبه على الاشتراك والاختلاف فيسير منه الطائر كلها تشترك في الريش والجناح وتفاوت فيما وراء ذلك أعظم تفاوت واشتراك ذوات الحوافر في الحافر كالفرس والحمار والبغل وتفاوتها في ما وراء ذلك واشتراك ذوات الاثخان في الظلف وتفاوتها في غير ذلك واشتراك ذوات القرون فيها وتفاوتها في الخناق والمنافع والاشكال واشتراك حيوانات الماء في كونها سابحة تأوى فيها وتتكون فيها وتفاوتها أعظم تفاوت عجز البشر الى الآن عن حصره واشتراك الوحوش في البعد عن الناس والتفاوت عنهم وعن مساكنهم ولذاتها في صفاتها واشكالها وطبائعها وافعائها أعظم تفاوت يعجز البشر عن حصره واشتراك الماشي منها على بطنه في ذلك وتفاوت نوعه واشتراك الماشي على رجلين في ذلك وتفاوت نوعه أعظم تفاوت وكل من هذه الانواع له علم وادراك وتحيل على جانب مصالحه ودفع مضاره يعجز كثير منها نوع الانسان من أعظم الحكم الدلالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستبلى قوته وقدرته وحكمته على ذلك كله بحيث جاءت كلها مطبوعة متقادة منساقة الى ما خلقها له على وفق مشيئته وحكمته وذلك أول شئ على قوته

القاهرة وحكمته البالغة وعلمه الشامل فيعلم احاطة قدرة واحدة وعلم واحد وحكمة واحدة أعنى
بالنوع من قادر واحد حكيم واحد بجميع هذه الانواع وأضافها مما لاتعلمه العقول البشرية كما قال
ويخاف ما لاتعلمون وقال فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون فيجمع غايات فعله وحكمة خلقه وأمره
الى غاية واحدة هي منتهى الغايات وهي إلهية الحق التي كل الهية سواها ففنى باطل ومحال فهي غاية
الغايات ثم ينزل منها الى غايات أخر هي وسائل بالنسبة اليها وغايات بالنسبة الى مادونها وان الى
ربك علمتهى فليس وراءه معلوم ولا مطلوب ولا مذكور الا العدم المحض وليس في الوجود الا الله
ومفعولاته وهي آثار أفعاله وأفعاله آثار صفاته وصفاته قائمة به من لوازم ذاته والمقصود ان الغايات
المطلوبة العلم بالاحاطة علم واحد من عالم واحد وفعل واحد من فاعل واحد وقدرة واحدة من قادر
واحد وحكمة واحدة من حكيم واحد بجميع ما فيه على اختلاف ما فيه واجتمعت غايات فعله وأمره
الى غاية واحدة وذلك من أظهر أدلة توحيد الألهية كما ابتدأت كلها من خالق واحد وقادر واحد
ورب واحد ودل على الامرين أعنى توحيد الربوبية والألهية النظام الواحد والحكمة الجامعة
للانواع المختلفة مع ضدها وتبذرها ودل افتقار بعضها الى بعض وتشبك بعضها ببعض ومعاونة
بعضها ببعض وارتباطه به على أنها صنع فاعل واحد ورب واحد فلو كان معه آلهة وأرباب غيره كما
لا ترضى ملوك الدنيا أن يحتاج ملوك أحدهم الى ملوك غيره مثله لما في ذلك من النقص والعيب
المتنافي لكمال الاقدار والغناء ودل اتضامها في الوجود ووقوعها في مباتها واختلافها على أكل الوجوه
وأحسنها على انتهائها الى غاية واحدة ومطلوب واحد هو إلهها الحق ومعبودها الاعلى الذي لا إله
لها غيره ولا معبود لها سواه فتأمل كيف دل اختلاف الموجودات وثباتها واجتماعها فيما اجتمعت فيه
وافترقا فيما افترقت على إله واحد ورب واحد ودل على صفات كماله ونوعوت - بلاله فالوجودات
باسرها كسكر واحد له ملك واحد وسلطان واحد يحفظ بعضه وينظم مصالح بعضه ببعض
ويسد خلل بعضه ببعض فيمد هذا بهذا ويقوى هذا بهذا وينقص من هذا فيزيده في الآخر يوجب
الليل في النهار ويوجب النهار في الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويمد هذا فينشى
مكانه من جنته ما يقوم مقامه ويسد مسده فيشهد حدوث الثاني ان الذى أحده وأوجده هو الذى
أحدث الاول لا غيره وان حكمته لم يتغير وعلمه لم ينقص وقدرته لم تضعف وانه لا يتغير بتغيير ما يغير
منها ولا يضمحل باضمحلاله ولا يتلاشى بتلاشيه بل هو الحى القيوم العزيز الحكيم هذا الى ما في
لوازم مكبرها وانتظام بعضها ببعض وما يصدر عنها من الافعال والآثار من حكم وأفعال أخرى
وغايات أخر حكمها حكم موادها وجوامها كما نشاهده في أشخاصها وأعيانها مثال ذلك في احدوة
واحدة انك ترى المعدة تشاق الغذاء وتجتذبه اليها فانظر لوازم ذلك قبل تناوله ولوازمه بعد تناوله وما
يترتب على تلك اللوازم من عمارة الدنيا فاذا جذبته اليها أنضجته وطبخته كما تتضح القدر ما فيها
فتضجبه الانضاج الذى تمده ليعذى جميع أجزاء البدن وقواه وأرواحه به وهي اذا أنضجته لاجل
نصيبها الذى ينالها منه فهو قليل من كثير بالنسبة الى انتفاع غيرها به فيدفع مافضل عن غذائها عنها
الى من هو شديد الحاجة اليه على قدر حاجته من غير أن يقصد ذلك أو يشعر به ولكن قد قصده
وأحكمه من هو بكل شئ عليم وعلى كى شئ قد ير يدبره بحكمته وطلانه وساقه في الجارى التى لا ينفذ

فيها الا بر لدقة مسالكها حتى أوصله الى المحتاج اليه الذي لاصلاح له الابوصوله اليه وكانت طبيعة الكبد ومزاجها في ذلك تلي طبيعة المعدة وفعلها يلي فعلها وكذلك الامعاء وباقي الاعضاء كالكبد للقلب في أعداد الغذاء والقلب للرئة والرئة للقلب في أعداد الهواء واصلاحه فالاعضاء الموجودة في الشخص اذا تأملتم أو تأملت أفعالها ومنافعها وما أضمنه كل واحد منها من حكمة اختصت به كشكله ووصفه ومزاجه ووضعه من الشخص بذلك الموضع المعين علمت علما يقينا ان ذلك صادر عن خالق واحد ومدير واحد وحكيم واحد فانتقل من هذا الى أشخاص العالم شخصيا شخصا من النوع الانساني تجد الحكمة الواحدة انظاهرة في تلك الافراد الكثيرة قد نفعت بعضهم ببعض وأعاتت بعضهم ببعض حرانا لزراع وزراعا لحاصد وحاتكا لحياط وخطاطا للتجار ونجارا لبناء فهذا يعين هذا بيده وهذا يرحله وهذا يعينه بعينه وهذا يذنه وهذا بلسانه وهذا يماله واذا لا يقدر أحدهم على جميع مصالحه ولا يقوم بحاجة ولا توجد في كل واحد منهم جميع خواص نوعه فهم بأشخاصهم الكثيرة كالنسان واحد يقوم بعضه بمصالح بعض قد كمل خواص الانسانية في صفاته وأفعاله وصناعاته وما يرام منه فان الواحد منهم لا يفي بان يجمع جميع الفضائل العلمية والعملية والقوة والبقاء فجعل ذلك في النوع الانساني بمجملته والله سبحانه قد فرق كالات النوع في أشخاصه وجعل لكل شخص منها ما هو مستعد قابل له بحيث لو قيل أكثر من ذلك لاعطاء فانه جواد لذاته قد فاض جوده وخيره على العالم كله وفضل عنه أضعاف ما فاض عليه فهو يفيضه على آفاق الآت أبدا وكذلك يفضل في الجنة فضل عن أهلها فينشئ لها خلقا يسكنهم فضائها وانما يختص فضله بحسب استعداد العوامل والمعدات وذلك بمشيئته وحكمته فهو الذي أوجدها وهو الذي أعدها وهو الذي أمدها ولما كان جوده وفضله أوسع من حاجة الخلق لما يكن بدم من بقاء كثير منه مبدولا في الوجود مهما لا وهذا كضوء الشمس مثلا فان مصالح الحيوان لا تتم الا به وهي تشرق على مواضع فضلت عن حوائج بني آدم والحيوان وكذلك المطر والنبات وسائر النعم ومع ذلك فلم يعطل وجودها عن حكم ومصالح وعبر ودلالات وعطاء الرب ونعمه أوسع من حوائج خلقه فلا بد ان يبق في المياه والاقوات والنبات وغير ذلك أجزاء مهمة ولا يقال ما الحكمة في خلقها فان هذا سؤال جاهل ظالم فان الحكمة في خلق الارض وما عليها ظاهرة لكل بصير والمعمور بعضها لاكلها والرب تعالى واسع الجود دائمه فخوده وخيره عام دائم فلا يكون الا كذلك فان ذلك من لوازم علمه وقدرته وحكمته ولعلمه وقدرته وحكمته العموم والشمول والكمال المطلق بكل اعتبار فيعلم من استقراء العالم وأحواله انه وده الى عالم واحد وقادر واحد وحكيم واحد أقن نظامه أحسن الاتقان وأوجده على أتم الوجود وهو سبحانه ناظم أفعال الفاعلين مع كثرتها ورباط بعضها ببعض ومعين بعضها ببعض وجعل بعضها سببا لبعض وغاية لبعض وهذا من أدل الدليل على انه خالق واحد ورب واحد وقادر واحد دل على قدرته كثرة أفعاله وتنوعها في الوقت الواحد وتوابعها على تالي الآات وتعين تصرفاته في مخلوقاته على كثرتها ودل على علمه وحكمته كون كل شيء كبير وصغير ودقيق وجليل داخل في النظام الحكمي ليس منها شيء حتى مسام الشعر في الجلد ومرشح العباب في النعم ومجارى الشعب الدقيقة من العروق في أصغر الحيوانات التي تعجز عنها أبصارنا ولا تاتلها قدرتنا وهذا فيما دق لصغره وفيما جل لعظمه كالرياح الحاملة للسحب الى الارض

الجزر التي لانبات بها فيمطرها عليها فيخرج بها نباتا ويحيي بها حيوانا ويجعل فيها جزئين من الطعام والشراب والاقوات والادوية دع ما فوق ذلك من تسخير الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغارها لاقامة دولة الليل والنهار وفصول العام التي بها نظام مصالح من عليها فإذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع عبادته فالسما سقفه والارض بساطه والنجوم زينة والشمس سراجها ومصالح سكانه والليل سكنهم والنهار معاشهم والمطر سقيهم والنبات غذاؤهم ودواهم وفاكهم والحيوان خدمهم ومنه قوتهم ولباسهم والحوار كنوزهم وزخائرهم كل شيء منها لما يصالح له فضر وب النبات لجميع حاجتهم وصنوف الحيوانات معدة لجميع مصالحهم وذلك أدل دليل على وحدانية خالقه وقدرته فلم يكن لون السماء أزرق اتفاقا بل الحكمة بالهرة فان هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر حتى ان في وصف الاطباء لمن أصابه ما ضرب بصره أو كالم بصره ادمان النظر الى الخضرة وما قرب منها الى السواد فجعل أحكم الحاكمين أديم السماء بهذا اللون ليسك الابصار الراجعة فلا ينكأ فيها فهذا الذي أدركه الناس بمد الفكر والتجربة قد وجد مفروغا منه في الخاتمة ولم يكن طلوع الشمس وغروبها على هذا النظام لغير علة ولا حكمة مطبوعة فكم من حكمة ومصلحة في ذلك من اقامة الليل والسكن فيه والنهار والمعاش فيه فلو جعل الله عليهم الليل سرمدا لتعطلت مصالحهم وأكثر معاشهم والحكمة في طلوعها أظهر من أن تنكر ولكن تأمل الحكمة في غروبها إذ لو لا ذلك لم يكن للناس هدوء ولا قرار ولا راحة وكان الكد الدائم بتكافؤ أبدانهم وتسرع فسادهما وكان ما على الارض يحرق بدوام شروق الشمس من حيه ان ونبات فضاير النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ونظامه وكذلك الحكمة في ارتفاع الشمس وانخفاضها لاقامة هذه الازمنة الاربع وما في ذلك من الحكمة فان في الشتاء تقور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد من ذلك مواد الثمار وتكيف الهواء فنشأ منه السحاب ويحدث المطر الذي به حياة الارض والحيوان وتستند أفعال الحيوان وتقوى الافعال الطبيعية وفي الربيع تتحرك الطباع وتظهر المواد الكامنة في الشتاء وفي الصيف يسخن الهواء فتتفجج الثمار ويتحالي فضول الابدان ويخف وجه الارض فينبأ للبناء وغيره وفي الخريف يصفو الهواء ويمتلئ فيذهب بسورة حر الصيف وسمومه الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم وكذلك الحكمة في تنقل الشمس فانها لو كانت واقفة في موضع واحد لفاتت مصالح العالم ولما وصل شعاعها الى كثير من الجهات لان الخيال والجدران يحجبانها عنها فاقضت الحكمة الباهرة ان جعلت تطلع أول النهار من المشرق وتشرق على مقابها من وجه الغرب ثم لا تزال تمشي وجها بعد وجه حتى تنهي الى الغرب فتشرق على ما استتر عنها أول النهار فتأخذ جميع الجهات منها قسطا من النفع وكذلك الحكمة الباهرة في انتهاء مقدار الليل والنهار الى هذا الحد فلو زاد مقدار أحدهما زيادة عظيمة لتعطلت المصالح والمنافع وفسد النظام وكذلك الحكمة في ابتداء القمر دقيقتا ثم أخذه في الزيادة حتى يكمل ثم يأخذ في النقصان حتى يعود الى حالته الاولى فكم في ذلك من حكمة ومصلحة ومنفعة للخلق فان بذلك يعرفون الشهور والسنين والآجال وأشهر الحج والتاريخ ومقادير الاعمار ومدد الاجارات وغيرها وهذا وان كان يحصل بالشمس الا ان معرفته بالقمر وزيادته ونقصانه أمر يشترك فيه الناس كلهم وكذلك الحكمة في

اثارة القمر والكواكب في ظلمة الليل فانه مع الحاجة الى الليل وظلمته لهدوء الحيوان وبرد الهواء عليه وعلى النبات لم يجعل الليل ظلاما محضا لاضياء فيه فلا يمكن فيه سفر ولا عمل وربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في النهار ولشدة الحر فيمتكثون في ضوء القمر من أعمال كثيرة وجعل نوره باردا ليقاوم حرارة نور الشمس فبدر سموه فيعتدل الامر ويكسر كيفية كل منهما كيفية الآخر ويزيل ضررها وكذلك الحكمة في خالق النجوم فان فيها من الهداية في البر والبحر والاستدلال على الاوقات وزينة السماء وغير ذلك ما لم يكن حاصلا بمجرد الاتفاق كما يقوله نفاة الحكمة واقتضت هذه الحكمة ان جعلت نوعين نوعا منها يظهر وقتا ويختبئ آخر ونوعا آخر لا يزال ظاهرا غير محتجب بل جعل ظاهرا بمنزلة الاعلام التي يهتدى بها الناس في الطرقات المجهولة وهم ينظرون اليها متى أرادوا ويهتدون بها الى حيث شاؤوا وجعلت الحكمة في النوع الاول الاستدلال بظهوره على أمور تعاديه متى طلع في وقت يعنى دل على تلك الامور فقامت المصلحة والحكمة بالنوعين مع ما في خلقها من حكم أخرى ومصلح لا يمتدى اليها العباد فما خلق الله شيئا سدى وقد نظم الله سبحانه الحوادث الارضية بالازواج والاجرام العلوية أكمل نظام يعجز عقول البشر عن الاحاطة ببعضه وقد استفرغت الامم السابقة قوى أذهانها في ادراك ذلك فلم يصل منه الا الى ما لا نسبة له الى ما خفي عليها بوجهها وقد جعل الخلاق العليم سبحانه النجوم فرقتين فرقة منها لازمة مراكزها من الفلك ولا تسير الا بسيره وفرقة أخرى مطلقة تنقل في البروج وتسير بانفسها غير سير فلكها فلكل منها مسيران مختلفان أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق وقد شبه هذا النوع بنملة تدب على رجا والرحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال فللنملة في تلك الحال حركتان مختلفتان أحدهما حركة بنفسها تتوجه أمامها والآخرى يغيرها هي مقهورة عليها تبعاً للرحى تجذبها الى خلفها فاذا النوع من النجوم حركتان مختلفتان على وزن وتقدير لا يعدوه فزعم نفاة الحكمة ان ذلك أمر اتفقا للحكمة ولا لغرض مقصود فان قلت فما الغرض المقصود بذلك وأى حكمة فيه قيل استدل بما عرفت من الحكمة على ماخفي عنك منها ولا تجعل ماخفي عليك دليلا على بطلانها مع ان من بعض الحكم في ذلك انها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي تكون من تنقل المتنقل منها ومسيرها في كل واحد من البروج كما يستدل على أمور كثيرة وحوادث جمة بتنقل الشمس والقمر والسيارات في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولارسم يقاس عليه فانه انما يقاس مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يقاس سير السائر على الارض بالمنازل التي يقطعها وبالجملة فلو كانت كلها بحال واحدة لبطل النظام الذي اقتضته الحكمة التي جعلها هكذا فذلك تقدير العزيز العليم وصنع الرب الحكيم وكيف يرتاب ذو بصيرة ان ذلك كله تقدير مقدر حكيم أقن ماضعه وأحكم مادبره ويعرف بما فيه من الحكم والمصلح والمنافع الى خلقه فشدت العقول والفطر بانه ذو الحكمة الباهرة والقدرة القاهرة والعلم التام المحيط وانه لم يخلق ذلك باطلا ولا من الحكمة عطلا وكذلك الحكمة في تقاب الحر والبرد على التدريج على ابدان الحيوان والنبات فان قيامها وكاملها لما كان بذلك اقتضت الحكمة الالهية ان لا يدخل أحدهما على الآخر وهلة فلا يتجمعه بل بالتدرج قليلا قليلا الى أن ينتهي منهاء ويحصل المقصود به من غير ضرر يعم وهذا كله باسباب هي

منشأ الحكم والمصالح فلا يطل السبب بآثار الحكمة ولا الحكمة بالسبب ولا السبب بالحكمة بالمشيئة
 فيكون من الذين يبخس حظهم من العقل والسمع وكذلك الحكمة في خلق النار على ما هي عليه كامنة
 في حاملها فانها لو كانت ظاهرة كالهواء والماء والتراب لاحت العالَم ومافيه ولم يكن بدمن ظهورها في
 الالحايين للحاجة اليها فجعلت مخزونة في الاجسام توري عند الحاجة اليها قمسك بالمادة والحطب
 ما احتسج الى بقائها ثم تجبو اذا استغنى عنها فجعلت على خلقة وتقدير وتدير حصل به الاستمتاع
 بها والاتفااق مع السلامة من ضررها ثم في النار خلقة اخرى وهى أنها مما خص به الانسان دون
 سائر الحيوان فان الحيوانات لاتستعمل النار ولا تستمتع بها ولما اقتضت الحكمة الباهرة ذلك اغتنت
 الحيوانات عنها في لباسها وأقواتها فاعطيت من الشعور والاورار ما يغنيها عنها وجعلت أغذيتها
 بالمفردات التى لا تحتاج الى طبخ وخبز ولما كانت الحاجة اليها شديدة جعل من الآلات والاسباب
 ما يمكن به من اثارها اذا شاء ومن ابطالها ومن حكمها هذه المصاييح التى يوقدها الناس فيمكنون
 بها من كثير حاجاتهم ولولاها لكان نصف أعمارهم بمنزلة أصحاب القبور واما منافها في انضاج
 الاغذية والادوية والدفء فلا يخفى وقد نبه تعالى على ذلك بقوله أفرأيت النار التى توردون أنتم
 أن تأثم شجرتها أم نحن المنشؤون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمعوقين أى تذكر بنار الآخرة فيحترز
 منها ويستمتع بها المقوون وهم التازلون بالفناء وهى الارض الحالية وخص هؤلاء بالذكر اشد
 حاجتهم اليها في خبزهم وطبخهم حيث لا يجودون ما يشترونه فيغنيهم عن ما يصنعونه بالنار وكذلك
 الحكمة في خلق النسيم وما فيه من المصالح والعبر فانه حياة هذه الابدان وقوامها من
 خارج ومن داخل وفيه طرد هذه الاصوات يؤديها الى السامع وهو الحامل لهذه الاريايح يؤديها الى
 المسام وينقأها من موضع الى موضع وهو الذى يزجي السحاب ويسوقه من مكان الى مكان على ظهره
 كالروايا على ظهور الابل وهو الذى يسير السحاب أولا فيكون كسفا متفرقة فيؤائف بينه ثانيا فيصير
 طبقا واحدا ثم يلقحها ثالثا كما يلقح الفحل الاثني فيحمل الماء كما تحمل الاثني من لقاح الفحل ثم يسوقه
 رابعا الى أحوج الاماكن والحيوان اليه ثم يعصره خامسا حتى يخرج ماؤه ثم يذروا ماءه بعد عصره سادسا
 حتى لا يسقط حمأة فيها لك مايقع عليه ثم يربى النبات سابعا فيكون له بمنزلة الماء والغذاء يحففه بجارته
 ثامنا لئلا يعفن ولا يمكن نفاؤه ولهذا اقتضت الحكمة الباهرة أن تكون الرياح مختلفة المهاب والصفات
 والطبائع فزعم نفاة الحكمة ان هذا كله أمر اتفاقي لاسبب ولا غاية وهذا لو تتبعناه لجاء عدة أسفار
 بل لو تتبعنا خلقة الانسان وحده وما فيها من الحكم والغايات لمجزنا نحن وأهل الارض عن
 الاحاطة بتفصيل ذلك فلنرجع الى جواب نفاة الحكمة والتعليل فنقول * في الوجه الرابع والعشرين
 قولهم أى حكمة في خلق ابليس وحنوده ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله الا الله فمنها أن
 يكمل لانيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحنزه ومخالفته ومراغمته في الله واغاظته
 واغاطة أوليائه والاستعاذة به منه والاباء اليه أن يعيدهم من شره وكيدهم فيرتب لهم على ذلك من
 المصالح الدنيوية والاخروية ما لم يحصل بدونه وقدما أن الموقوف على الشئ لا يحصل بدونه ومنها
 خوف الملائكة والمؤمنين من ذنوبهم بعد مشاهدوا من حال ابليس لما شهدوه وسقوطه من المرتبة
 الملكية الى المنزلة الابليسية يكون أقوى وأتم ولا ريب ان الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم

عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخرف آخر كي هو الله مد من حال عبيدك اذارأوه
 قد أهان أحدهم الالهة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه فلا ريب أن خوفهم وحذرهم
 يكون أشد ومنها أنه سبحانه جملة عبدة لمن خالف أمره وتكب من طاعته وأصر على معصيته كما
 جعل ذنب أبي البشر عبدة لمن ارتكب منه أو عصى أمره ثم أبى ورجع إلى ربه فابتلى أبوى
 الحين والانس بالذنب وجعل هذا الاب عبدة لمن أصر وأقام على ذنبه وهذا الاب عبدة لمن تاب
 ورجع إلى ربه فله كفي ضمن ذلك من الحكمة باهرة ولايت باهرة ومنها أنه محك امتحن الله به
 خلقه ليقين به خيئهم من طيهم فانه سبحانه خالق النوع الانساني من الارض وفيها السهل والحزن
 والطيب والحديث فلأبد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعا
 ان الله خالق آدم من قبضة قبضه من جميع الارض فبه آدم على مثل ذلك منهم الطيب والحديث
 والسهل والحزن وغير ذلك فما كان في المادة الاصلية فهو كونه في الخلق منها فاقضت الحكمة
 الالهية اخراجه وظهره فلا بد اذا من سبب يضر ذلك وكذا ليس محكا يميز به الطيب من الحديث
 كما جعل أديانهم ورسله محكا لذلك التمييز قل تعالى ما كان من الامر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز
 الحديث من الطيب فإرسال رسله إلى المكلفين وفيهم الطيب والحديث فانضاف الطيب إلى الطيب
 والحديث إلى الحديث واقتضت حكمته البالغة ان خالفهم في دار الامتحان فإذا صاروا إلى دار القرار
 يميز بينهم وجعل لهؤلاء دارا على حدة وللهؤلاء دارا على حدة حكمة بالغة وقدرة قاهرة ومنها أن
 يظهر كل قدرته في خالق مثل جبريل والملائكة والانس و شياطين وذلك من أعظم آيات قدرته
 ومشيتته وسلطانه فانه خالق الازداد كالسماء والارض والضاياء والظلام والجنة والنار والماء والنار
 والبحر والبرد والطيب والحديث ومنها أن خالق أحد الضدين من كمال حسن ضده فان الضد انما
 يظهر حسنه بضده فاولا التيسر لم تعرف فضيلة الجميل فاولا المنقر لم يعرف قدر الغنا كما تقدم بيانه
 قريبا ومنها أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود
 عدو الله ابليس وجنوده وامتحنهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه فكم بين
 شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلى بعدوه ثم اجتبه ربه وتاب
 عليه وقبله ومنها أن المحبة والانابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه
 وهذه العبودية انما تتحقق بالجهد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل ماسواه فالجهد ذروة سنام
 العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه فكان في خلق ابليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتواضعها
 التي لا يحصى حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح "لا الله ومنها أن في خلق من يضاد رسله ويكذبهم
 ويعادهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته وخصائص صنعته موجوده أحب إليه وأفعل لاوليائه من
 عدمه كما تقدم من ظهور آية الطوفان والعصا واليسر وثق البحر ونماء اخيليل في النار وأضعاف
 أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته فكم يكن بدم من وجود الاسباب التي يترتب عليها
 ذلك كما تقدم ومنها أن المسادة النارية فيها لاحتراق والرواحات وفيها الاشراق والاضاءة والنور
 فأخرج منها سبحانه هذا وهذا كما أن المادة الترابية لأرضية فيها الطيب والحديث والسهل والحزن
 والاحمر والاسود والابيض فأخرج منها ذنب فانه حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ليس

كذلك شيء وهو السميع البصير ومنها أن من أسائه الخافض الرافع المعز المذل الحكيم العدل المنتقم
وهذه الاسماء تستدعي ثلث إظهار فيها إحكامها كاسماء الاحسان والرزق والرحمة ونحوها ولا بد
من ظهور متعلقات هذه وهذه ومنها أنه سبحانه الملك التام الملك ومن تمام ملكه عموم تصرفه
وتنوعه بالثواب والعقاب والاكرام والاهانة والعدل والفضل والاعزاز والاذلال فلا بد من وجود
من يتعاقب به أحد النوعين كما أوجب من يتعاقب به النوع الآخر ومنها أن من أسائه الحكيم والحكمة
من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواء فاقضت خلق
المتضادات وتخصيص كل واحد منها لا يليق به غيره من الاحكام والصفات والخصائص وهل تم
الحكمة الا بذلك فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كما أنه من كمال القدرة ومنها ان حمده سبحانه
تام كامل من جميع الوجوه فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه واهانته كما هو محمود على
فضله وعظائه ورفقه واکرامه فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا وهو يحمد نفسه على ذلك كله
ويحمده عليه ملائكته ورسله وأوليائه ويحمده عليه أهل الموقف جميعهم وما كان من لوازم كمال
حمده وتماه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة كاله عليه الحمد التام فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز
تعطيل حكمته ومنها أنه سبحانه يجب أن يظهر لعباده جلوه وصبره وإثباته وسعته ورحمته وجوده فاقضى
ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويجهده في مخالفته ويسعى في مساخطه بل يشبهه سبحانه
وهو مع ذلك يسوق اليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعافيه ويمكن له من أسباب ما يلبذه من أصناف النعم
ويجيب دعوته ويكشف عنه سوءه ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه
وإساءته فله كم في ذلك من حكمة وحمد ويتوجب الى أوليائه ويتعرف بانواع كالاته كافي الصحيح عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال لأحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجول له الولد وهو يرزقهم ويعاقبهم
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن
آدم وما ينبغي له ذلك أما شتمه أي فقل له اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم
يكن لي كفؤاً أحد وأما تكذيبه أي فقل له ان يمدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون عليه
من أعادته وهو سبحانه مع هذا أشبه له وأنت كاذب يرزق الشاتم المكذب ويعاقبه ويدفع عنه ويدعوه
الى جنته ويقبل توبته اذا تاب اليه ويبدله بسيئاته حسنات ويلطف به في جميع أحواله ويؤمله
لارسال رساله ويأمرهم بان يلبسوا له القول ويرفقوا به قال الفضيل بن عياض ما من ليل إلا يخلط
خلالها الانادي الجليل جل جلاله من أعظم مني جودا الخلاق لي عاصون وأنا أكلاهم في
مضاجعهم كأنهم لم يعمدوني وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا أجود بالفضل على العاصي وأفضل على
المتقي من ذا الذي فلم ألبس ومن ذا الذي فلم أعطه أنا الجواد ومنى الجود أنا الكريم
ومنى الكرم ومن كرمي انى أعطى العبد مأسأني وأعطيه ما لم يسأني ومن كرمي انى أعطى التائب
كأنه لم يذنبني فإن عني يرب الخلاق وأين عن إبني يتحجى العاصون وفي أثر إلهي اني والانسان والجن
في بناء عظيم أخلق ويميد غيري وارزق ويشكر سواي وفي أثر حسن ابن آدم ما أصفقني حيرى اليك نازل
وشرك الى صاعدكم أحب اليك بالنعم وأنا غني عنك وكم تنبغض الى بلعاصي وأنت فقير الى ولايزال
الملك الكريم يرضى وانت بعمل تبيح وفي الحديث الصحيح لو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم

يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم فهو سبحانه الحكيم العليم الوهاب الخلاق
يخلق خلقا يظهر فيهم أحكامها وآثارها فالحجة للعفو خالق من يحسن العفو عنه وحبته للمغفرة خالق
من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله بل يكون يحب أمانه وإيماله ولحبته أعدله وحكمته
سائق من يظهر فيهم عدله وحكمته وحبته للجود والإحسان والبر خالق من يمايله بالأساة والعصيان
وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان فلولا خالق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات
لغات هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضاف أضعافها قتيبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين
ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة الذي وصلت حكمته الى حرب وصات بدرة وفي كرسى حكمة
باهرة كما أن له فيه قدرة القاهرة وهدايات انماد ذكرنا منه قطرة من بحر والا فتقول البشر اعجز
وأضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه فكيف حصل بسبب هذا الحق لبعض
للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى يتصل في حبه ما حصل به من مكروهة والحكيم الباهر
الحكمة هو الذي يحصل أحب الامرين اليه باحتمال المكروه الذي يقضيه ويستخطئه اذا كان طريقا الى
حصول ذلك المحبوب ووجود الملزوم بدون لازمه محال فان يكن قد حصل بعدو الله ايليس من
السرور والمعاصي ما حصل فكيف حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحب الى الله
وأرضى له من جهاد في سبيله ومخالفة هوى النفس وشهوئها له ويمتثل المشاق والمكاره في محبة
ومرضاته وأحب شيء الحبيب أن يرى محبة يتحمل لاجله من الاذى والوصب ما يصدق محبة
من أحلك قد جعلت خدى أرضا للشامت والجسود حتى ترضا

وفي أثر الهى بفتى ما يتحمل المتحملون من أجل لله ما أحب اليه احتمال محبه اذا أعدائه لهم فيه
وفي مرضاته وما أنفع ذلك الاذى لهم وما أحدثهم لعاقبه وما ذابتلوا به من كرامة جيبهم وقربه
قرة عيونهم به ولكن حرام على منكرى محبة الرب تعالى أن لا تكون تلك النسبة أو يدخلوا من
هذا الباب أو يدوقوا من هذا الشراب

سواك يراها في مغيب ومطامع
فما يحسن التخصيص في كل موضع

فان أغضب هذا الخلق ربه فقد أرضاه فيه أنبيائه ورسوله وأوليائه وذلك الرضاء أعظم من ذلك الغضب وان أسخطه ما جرى على يديه من المعاصي والتخلفات فانه سبحانه أشد فرحاً بتوبة عبده من الفقد لرحلته التي عليها طعامه وشرابه اذا وجدها في المفاوز المهمكات وان أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسوله من هذا العدو فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وكتبه وغظه وهذا الرضاء أعظم عنده وأبر لديه من فوات ذلك المكروه المستأز ما فوات هذا المرضى المحبوب وان أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه بتوبته واثباته وخضوعه وتذله بين يديه وانكساره له وان أغضبه إخراج أعدائه لرسوله من حرمه وبلده ذلك الخروج فقد أرضاه أعظم الرضاء دخوله إليها ذلك الدخول وان أسخطه قتلهم أوليائه وأحبائه وتمزيق لحومهم وواراقة دماهم فقد أرضاه نيلهم الحياة التي لأطيب منها ولا أنعم ولا أئد في قربه وجواره وان أسخطه معاصي عباده فقد أرضاه شهود ملائكتهم وأنبياءهم وأوليائهم سعة

مفترته وعفوه وبره وكرمه وجرده وثناء عايه بذلت وحمده وتمجيده بهذا الاوصاف التي حمد بها وأثنى عليه بها أحب اليه وأرضى له من فوات ثلاث لمعاصي وفوات هذه المحبوبات واعلم أن الحمد هو الاصل الجامع لذلك كله فهو عند نظام الخالق والامر والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه فما خالق شياً ولا حكم بشئ الا وله فيه الحمد فوصل حمده الى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبة والرضا به وعنه والثناء عليه والاقرار بحكمته البالغة في كل ما خلقه وأمره بفعيل حكمته غير تعطيل حمده كما تقدم بيانه فكما أنه لا يكون الاحيداء فلا يكون الا حكماً خمدته وحكمته كماله وقدرته وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وانارها فان ذلك يستازم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته يوضحه * الوجه الخامس والعشرون انه كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء انه يجود ويعطي ويمنح فمنها أن يعيد وينصر ويعيث فكما يجب أن يلوذ به اللائذون يجب أن يعوذ به العائذون وكما الملوك أن يلوذ بهم أو يلبسهم ويعوذوا بهم كما قال أحمد بن حسين الكندي في مدوحه
يا من الود به فيما أومسله ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجير الناس عظما أنت كاسره ولا يهضون عظما أنت جاره

ولو قال ذلك في ربه وقاضه لكان أسعد به من مخلوق مثله والمقصود أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به بما ليكه وأن يعوذوا به كما أمر رسوله أن يستعذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه وبذلك يظهر تمام نعمته على عدوه اذا أعاده وأجارد من عدوه فلم يكن أعادته وأجارتها منه بأدنى النعمتين والله تعالى يحب أن يكل نعمته على عباده المؤمنين ويريم نصره لهم على عدوهم وحياتهم منه وظفرهم بهم فيالها من نعمة كل بها سرورهم ونعيمهم وعبدل أظهره في أعدائه وخصماؤه

وبما منهما الاله فيه حكمة يقصر عن ادراكها كل باحث

الوجه السادس والعشرون قوله أي حكمة في ابقاء ابليس الى آخر الدهر وامانة الرسل فكلم الله في ذلك من حكمة تضيق بها الاوهام فمنها أنه سبحانه ما جعله محكوماً بخطة يخرج به الطب من الخيط ووليه من عدوه اقضت حكمته ابقاءه ليحصل الغرض المطلوب بخلقهم ولواماته لفات ذلك الغرض كما ان الحكمه اقضت بقاء أعدائه الكفار في الارض الى آخر الدهر وواهلكهم البتة للحكم الكثيرة في ابقائهم فكما اقضت حكمته امتحان أبي البشر اقضت امتحان أولاده من بعده به فتحصل السعادة لمن خالفه وعاداد ويخاز اليه من وافقه واولاده ومنها أنه لما سبق حلمه وحكمته أنه لا ينصيب له في الآخرة وقد سبق له طاعة وعبادة جزاءها في الدنيا بان أعطاه البقاء فيها الى آخر الدهر فانه سبحانه لا يظلم أحداً حسنة عملها فالما المؤمن فيجزيه بحسناته في الدنيا وفي الآخرة وأما الكافر فيجزيه بخسراته ما عمل في الدنيا فاذا أفضى الى الآخرة لم يكن له شيء كآثت هذا المنفى في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان ابقاءه يمكن كرامة في حقته فانه لو مات كان خيرا له وأخف لعذابه وأقل لشربه ولكن لما غلظ ذنبه بالاصرار على المعصية ومخاضة من ينبغي التسليم لحكمه والقدح في حكمته والخلق على اقطاع عباده وصدهم عن عبوديته كانت عقوبة الذنوب أعظم عقوبة بحسب تماثلها فابقى في الدنيا

وأملى له ليزداد هذا اثماً على إثم ذلك الذنب فيستوجب العقوبة التي لا تصلح لغيره فيكون رأس أهل الشر في العقوبة كاذن رأسهم في الشر والكفر ولما كان مادة كل شر فغنه ينشأ جوزي في النار مثل فعله فكل عذاب ينزل باهل النار يبدأ به فيه ثم يسرى منه الى اتباعه عدلاً ظاهراً وأحكامه باللغة ومنها أنه قال في مخاصمته لربه أرايتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتني الى يوم القيامة لاحتسكن ذريته الا قليلاً وعلم سبحانه أن في الذرية من لا يصلح لمساكنته في داره ولا يصلح الا لما يصلح له الشوك والروت أبداً وقال له لسان القدر هؤلاء أحبائك وأوليائك فاجلس في انتظارهم وكلما مر بك واحد منهم فشانك به فلو صاح لي لما ملكتك منه فاني أتولى الصالحين وهم الذي يصلحون لي وأنت ولي الجرمين الذين غنوا عن مواليتي واتباء مرضاتي قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) فاما امانة الانبياء والمرسلين فلم يكن ذلك هو انهم عليه ولكن ليصلوا الى محل كرامته ويستريحوا من نكد الدنيا وتعبها ومقاساة أعدائهم واتباعهم وليحي الرسل بعدهم يرى رسولا بعد رسول فاما اتهم أصلح لهم والامة اما هم فلراحتهم من الدنيا ولحوقهم بالرفيق الاعلى في أكمل لذة وسرور ولاسيما وقد خیرهم ربهم بين البقاء في الدنيا واللاحق به وأما الائم فيعلم أنهم لم يطعواهم في حياتهم خاصة بل أطاعواهم بعد موتهم كما أطاعواهم في حياتهم وان اتباعهم لم يكنوا يعبدونهم بل يعبدون الله بأمرهم ونهيهم والله هو الحى الذى لا يموت فكف في ايمانهم من حكمة ومصلحة لهم وللائم هذا وهم بشر ولم يخلق الله البشر في الدنيا على خلقه قابلة للدوام بل جعلهم خلائف في الارض يخلف بعضهم بعضاً ففوتوا بقاهم لفات المصلحة والحكمة في جعلهم خلائف ولضاق بهمتم الارض فاموت كمال لكل مؤمن ولو لا الموت لما طاب الميس في الدنيا ولا هناء لاهلها بها فالحكمة في الموت كالحكمة في الحياة* الوجه السابع والعشرون قوله أى حكمة ومصلحة في اخراج آدم من الجنة الى دار الابتلاء والامتحان فالجواب أن يقال كم لله سبحانه في ذلك من حكمة وكم فيه من نعمة ومصلحة تعجز العقول عن معرفتها على التفصيل ولو استغرقت قواها كلها في معرفة ذلك واهباط آدم واخراجه من الجنة كان يسر كماله ليعود اليها على أحسن أحواله وهو سبحانه انما خلقه ليستعمره وذريته في الارض ويجعلهم خلفاء يخلف بعضهم بعضاً خلفهم سبحانه ليأمرهم وينهاهم ويبتليهم وليست الجنة دار ابتلاء وتكليف فاخرج الابوين الى الدار التي خلقوا منها وفيها يترددوا منها الى الدار التي خلقوا لها فاذا وفوا تب دار التكليف ونصبها عرفوا قدر تلك الدار وشرفها وفضائها ولو نشأوا في تلك الدار لما عرفوا قدر نعمته عليهم بها فلكنتهم دار الامتحان وعرضهم فيها لامرهم ونهيهم لينالوا بالطاعة أفضل ثوابه وكرامته وكان من الممكن أن يحصل لهم النعيم المقيم هناك لكن الحاصل عقب الابتلاء والامتحان ومماتات الموت وما بعده وأحوال القيامة والعبور على الصراط نوع آخر مع النعيم لا يدرك قدره وهو أكمل من نعيم من خالق في الجنة من الولدان والصور العين بما لا يشبه بينهما بوجه من الوجود ومن الحكم في ذلك أنه سبحانه أراد أن يتخذ من ذرية آدم رسلاً وأنبياء وشهداء يحبهم ويحبونه وينزل عليهم كتبه ويعهد اليهم عهده ويستعبدهم له في السراء والضراء ويؤثرون محابه ومراجبه على شهواتهم وما يحبونه ويهوونه فانتضت حكمته انزلهم الى دار ابتلاهم فيها بما ابتلاهم ليكملوا بذلك الابتلاء مراتب

عبوديته ويسجدونه بما تكرهه نفوسهم وذلك محض العبودية والأقن يعبد الله لما يحب به وبهواه فهو في الحقيقة إنما يعبد نفسه وهو سبحانه يحب من أوليائه أن يوالوا فيه ويعادوا فيه ويبدلوا نفوسهم في مرضاته ومحابه وهذا كله لا يحصل في دار النعيم المطلق ومن الحكمة في اخراجه من الجنة ما تقدم التنبيه عليه من اقتضاء أسماء الله الحسنى لمسمياتها وعلقاتها كالغفور الرحيم التواب العفو المنتقم الخافض الرافع المعز المذل المحيي المميت الوارث ولا بد من ظهور أثر هذه الاسماء ووجود ما يتعلق به فافتضت حكمته ان انزال الابوين من الجنة ليظهر مقتضى أسمائهم وصفاته فيها وفي ذريتهم فلو تربت الذرية في الجنة لفات آثار هذه الاسماء وعلقاتها والكمال الالهي بأبي ذلك فانه الملك الحق المبين والملك هو الذي يأمر وينهى ويكرم ويهين ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل فانزل الابوين والذرية الى دار تجرى عليهم هذه الاحكام وايضا فانهم أنزلوا الى دار يكون إيمانهم تاما فان الايمان قول وعمل وجهاد وصبر واحتمال وهذا كله انما يكون في دار الامتحان لافي جنة النعيم وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم أبو الوفا بن عقيل وغيره ان أعمال الرسل والانبياء والمؤمنين في الدنيا أفضل من نعيم الجنة قالوا لأن نعيم الجنة حظهم وتنعيمهم فإن يقاس الى الايمان وأعماله والصلوات وقراءة القرآن والجهاد في سبيل الله وبذل النفوس في مرضاته وإثاره على هواها وشهواتها فالإيمان متعلق به سبحانه وهو حقة عليهم ونعيم الجنة متعلق بهم وهو حظهم فهم انما خلقوا للعبادة والجنة دار نعيم لادار تكليف وعبادة وايضا فانه سبحانه سبق حكمه وحكمته بان يجعل في الارض خليفة وأعلم بذلك ملائكته فهو سبحانه قد أراد بكون هذا الخليفة وذريته في الارض قبل خلقه لئلا يفسد في ذلك من الحكم والغايات الحميدة فلم يكن بد من اخراجه من الجنة الى دار قد سكنهاهم فيها قبل أن يخلفه وكان ذلك التقدير باسباب وحكم فمن أسبابه النهي عن تلك الشجرة وتخليته بينه وبين عدوه حتى وسوس اليه بالاكل وتخليته بينه وبين نفسه حتى وقع في المعصية وكانت تلك الاسباب موصلة الى غايات محمودة مطلوبة يترتب على خروجها من الجنة ثم يترتب على خروجها أسباب أخر جعلت غايات لحكم أخر ومن تلك الغايات عودته اليها على أكمل الوجوه فذلك التقدير وتلك الاسباب وغاياتها صادرة عن محض الحكمة الالهية التي يحمد عليها أهل السموات والارض والدنيا والآخرة فها قد قدر أحكم الحاكمين ذلك باطلا ولادبره عبنا ولا أخلاه من حكمته البالغة وحده التام وايضا فانه سبحانه قال للملائكة (انى جعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لا تعلمون) ثم أظهر سبحانه من علمه وحكمته الذى خفى على الملائكة من أمر هذا الخليفة ما لم يكونوا يعرفونه بان جعل من نسله من أوليائه وأحبابه ورسله وأنبيائه من يتقرب اليه بأنواع التقرب وبذل نفسه في محبته ومرضاته يسبح بحمده أثناء الليل وأطراف النهار ويذكره قائما وقاعدا وعلى جنبه ويمدحه ويذكره ويشكره في السراء والضراء والمعافاة والبلاء والشدة والرخاء فلا يشبهه عن ذكره وشكره وعبادته شدة ولا بلاء ولا فقر ولا مرض ويعبده مع معارضة الشهوة وغلبات الهوى وتعاوض الطباع لا حكامها ومعاداة بنى جنسه وغيرهم فلا يصده ذلك عن عبادته وشكره وذكره والتقرب اليه فان كانت عبادتك لم يبال معارضا ولا مانع فعبادة هؤلاء لى مع هذه المعارضات والموانع والشواغل وايضا فانه سبحانه أراد أن يظهر لهم

ما خفي عليهم من شأن ما كانوا يعظّمونه ويحلوّنه ولا يعرفون ما في نفسه من الكبر والجسد والشر
 فذلك الخير وهذا الشر كامن في نفوس لا يعلمونها فلا بد من اخراجه وبراظه لكي يعلم حكمة
 أحكم الحاكمين في مقابلة كل منهما بما يليق به وأيضاً فإنه سبحانه قد خلق خلقه أطواراً وأصنافاً
 وسبق في حكمه وحكمته تفضيل آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلاً جعل عبوديتهم أكمل من
 عبودية غيرهم وكانت العبودية أفضل أحوالهم وأعلى درجاتهم أعنى العبودية الاختيارية التي يأتون
 بها طوعاً واختياراً لا كرها واضطراً وإلهذا أرسل الله جبريل الى سيد هذا النوع الانساني يخبره
 بين أن يكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فاختار بتوفيق ربه لأن يكون عبداً رسولاً وذكره سبحانه
 بأتم العبودية في أشرف مقاماته وأفضل أحواله كمقام الدعوة والتجدي والاسراء وانزال القرآن
 وأنه لما قام عبد الله يدعوه وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا سبحانه الذي أسرى يعبده تبارك
 الذي نزل القرآن على عبده فتى عليه ونوه به لعبوديته التامة له ولهذا يقول أهل الموقف حين
 يطلبون الشفاعة ذهبوا الى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلهذا كانت العبودية أشرف
 أحوال بني آدم وأحبها الى الله وكان لها لوازم وأسباب مشروطة لا يحصل إلا بها كان من أعظم
 الحكمة أن أخرجوا الى دار تجرى عليهم فيها أحكام العبودية وأسبابها وشروطها وموجباتها فكان
 اخراجهم من الجنة كيلاً لهم وتما لنعمته عليهم مع ما في ذلك من محبوبات الرب تعالى فإنه يحب
 اجابة الدعوات وتفريج الكربات وإغاثة الملهضات ومفطرة الزلات وكفيرة السيئات ودفع البليات
 واعزاز من يستحق العز والذلال من يستحق الذل ونصر المظلوم وجبر الكسير ورفع بعض خلقه
 على بعض وجباها درجات يعرف قدر فضله وتخصيصه فاقضى ملكه التام وحده الكمال أن
 يخرجهم الى دار يحصل فيها محبوباته سبحانه وإن كان لكثير منها طرق وأسباب يكرها فبالوقوف
 على الشيء لا بدونه وإيجاد لوازم الحكمة من الحكمة كما أن إيجاد لوازم العدل من العدل كما
 ستقف عليه في فصل ايلام الاطفال إن شاء الله * الوجه الثامن والعشرون أنه سبحانه أبرز خلقه
 من العدم الى الوجود ليجري عليه أحكام أسمائه وصفاته فيظهر كماله المقدس وإن كان لم يزل كاملاً
 فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره وقضائه وقدره ووعدته ووعيده ومنعه وإعطائه وإكرامه
 وإهائته وعدله وفضله وعفوه وإنعامه وسعة حلمه وشدة بطشه وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه أنه
 كل يوم هو في شأن فمن جملة شؤونته أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويشفي مريضاً ويفك عانيا وينصر
 مظلوماً وينيث ملهوماً ويحبر كسيراً ويغني فقيراً ويحبب دعوةً ويقل عثرةً ويعز ذليلاً وبذل متكبراً
 ويقسم جباراً ويميت ويحيي ويضحك ويبكي ويخفف ويرفع ويعطي ويتع ويرسل رسلاً من الملائكة
 ومن البشر في تنفيذ أوامره وسوق مقاديره التي قدرها الى موافقتها التي وقفها لها وهذا كله لم يكن
 ليحصل في ذات البقاء وإنما اقتضت حكمته البالغة حصوله في دار الامتحان والابتلاء بوضوحه * الوجه
 التاسع والعشرون أن كمال ملكه التام اقتضى كمال تصرفه فيه بأنواع التصرف ولهذا جعل الله سبحانه
 الدور ثلاثة دأراً اخلصها للنعم والذلة والمهجة والسرور ودأراً اخلصها للآل والنصب وأنواع البلاء
 والسرور ودأراً خلط خيرها بشرها ومنعها بنعيمها بشقاءها ومنع لذتها بألمها بآلها وبطالباً وجعل
 عمارة تلك الدارين من هذه الدار وأجرى أحكامه على خلقه في الدور الثلاثة بمقتضى ربوبيته

والهيته وعزته وحكمته وعدله ورحمته فلو أسكنهم كلهم دار البقاء من حين أوجدتهم لتعطلت أحكام هذه الصفات ولم يترتب عليها آثارها يوضحه * الوجه الثالثون أن يوم المعاد الأكبر يوم مظهر الاسماء والصفات وأحكامها ولهذا يقول سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقال الملك يومئذ الحق للرحمن وقال (يوم لا يملك نفس نفس شيئا والامر يومئذ لله) حتى أن الله سبحانه يُعرف الى عبادته ذلك اليوم باسماء وصفات لم يعرفوها في هذه الدار فهو يوم ظهور المملوكة العظامى والاسماء الحسنى والصفات العلى فتأمل ما أخبر به الله ورسوله من شأن ذلك اليوم وأحكامه وظهور عزته تعالى وعظمته وعدله وفضله ورحمته وآثار صفاته المقدسة التى لو خالفوا في دار البقاء لتعطلت وكما له سبحانه ينفي ذلك وهذا دليل مستقل لمن عرف الله تعالى واسمائه وصفاته على وقوع المعاد وصدق الرسل فيما أخبروا به عن الله عنه فيطابق دليل العقل ودليل السمع على وقوعه * الوجه الحادى والثلاثون أن الله سبحانه يجب أن يعبد بأنواع التعبدات كلها ولا يلقى ذلك إلا بعظمته وجلاله ولا يحسن ولا يبنى إلا له وحده ومن المعلوم أن أنواع التعبد الحاصلة في دار الابتلاء والامتحان لا يكون في دار المجازاة وإن كان في هذه الدار بعض المجازاة وكما لها. وتماها إنما هو في تلك الدار وليست دار عمل وإنما هي دار جزاء وثواب أوجب كماله المقدس أن يجزى فيها الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فلم يكن بد من دار تقع فيها الإساءة والإحسان ويجزى على أهلها أحكام الاسماء والصفات ثم يعقبا دارا يجازى فيها المحسن والمسيء ويجزى على أهلها فيها أحكام الاسماء والصفات فتعطيل اسمائه وصفاته ممتنع ومستحيل وهو تعطيل لربوبيته وإلهيته وملكوته وعزته وحكمته فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الاسماء والصفات وعلم اختصاصها لآثارها ومتعلقاتها واستحالة تعطيلها علم أن الامر كما أخبر به الرسل وأنه لا يجوز عليه سبحانه ولا يبنى له غيره وأنه يتره عن خلاف ذلك كما يتره عن سائر العيوب والنقائص وهذا باب عزيز من أبواب الايمان فيفتحه الله على من يشاء من عبادته ويحرمه من يشاء * الوجه الثانى والثلاثون أنه كم لله سبحانه من حكمة وحمد وأمر ونهى وقضاء وقدر في جعل بعض عبادته فتنه لبعض كما قال تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض وقال تعالى (وجعلنا بعضهم لبعض فتنه أتصبرون) فهو سبحانه جعل أوليائه فتنه لأعدائه وأعدائه فتنه لأوليائه والملوك فتنه للرعية والرعية فتنه لهم والرجال فتنه للنساء وهن فتنه لهم والاغنياء فتنه للفقراء والفقراء فتنه لهم وإبلى كل أحد بضد جعله متقابلا فما استقرت أقدام الابوين على الارض الا وضدهما متقابلهما واستمر الامر في الذرية كذلك الى أن يطوى الله الدنيا ومن عليها وكم له سبحانه في مثل هذا الابتلاء والامتحان من حكمة بالغة ولعمة سابقة وحكم نافذ وأمر ونهى وتصريف دال على ربوبيته وإلهيته وملكوته وحمده وكذلك ابتلاء عبادته بالخير والشر في هذه الدار هو من كمال حكمته ومقتضى حمده التام * الوجه الثالث والثلاثون أنه لو لا هذا الابتلاء والامتحان لما ظهر فضل الصبر والرضا والتوكل والجهاد والعفة والشجاعة الحلم والعفو والصفح والله سبحانه يحب أن يكرم أوليائه بهذه الكمالات ويحب ظهورها عليهم لينبئ بها عليهم هو وملائكته وينالوا بتأصافهم بها غاية الكرامة واللذة والسرور وإن كانت مرة المأذى فلا أحلى من عوايقها ووجود المنزوم بدون لازمه تمتع وقد أجرى الله سبحانه حكمته بأن كمال الغايات تابعة لقوة أسبابها وكما لها ونقصاتها لنقصاتها فمن كمال

أسباب النعيم واللذة كملت له غاياتها ومن حرّمها حرّمها ومن نقصها نقص له من غاياتها وعلى هذا قام
الجزء بالقسط والثواب والعقاب وكفي بهذا العالم شاهدا لذلك قرب الدنيا والآخرة واحد وحكمته
مطردة فيهما وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون بوضوحه* الوجه الرابع والثلاثون
وهو أن أفضل العطاء وأجله على الإطلاق الإيمان وجزاؤه وهو لا يخفى إلا لامتحان واختبار
قال تعالى (الم أحسب أناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعلمون السيئات أن يسبقونا سوءا ما يحكمون
من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فإنا مجاهدون لنفسه إن الله
لنفى عن العالمين) فذكر سبحانه في هذه السورة أنه لا بد أن يتمحن خلقه ويقتسم لبيتين الصادق من
الكاذب والمؤمن من الكافر ومن يشكره ويمدحه ممن يكفره ويعرض عنه ويمدحه غيره وذكر أحوال
المتحسين في العاجل والآجل وذكر أئمة المتحسين في الدنيا وهم الرسل وأتباعهم وعاقبة أمرهم
وما صاروا إليه وافتتح بالإنكار على من يحسب أنه يتخلص من الامتحان والفتنة في هذه الدار إذا
دعى الإيمان وإن حكمته سبحانه وشأنه في خلقه يأبى ذلك وأخبر عن سر هذه الفتنة والحنة وهو
تبيين الصادق من الكاذب والمؤمن من الكافر وهو سبحانه كان يعلم ذلك قبل وقوعه ولكن اقتضى
عدله وحده أنه لا يجوز العباد بمجرد علمه فيهم بل بمعلومه إذا وجد وتحقق والفتنة هي التي أظهرته
وأخرجته إلى الوجود فحينئذ حسن وقوع الجزاء عليه ثم أنكر سبحانه على من لم يلتزم الإيمان به
ومتابعة رسوله خوف الفتنة والحنة التي يتمحن بها رسوله وأتباعهم ظنه وحسابه أنه باعراه عن الإيمان
وتصديق رسوله يتخلص من الفتنة والحنة فإن بين يديه من الفتنة والحنة والعذاب أعظم وأشق مما
فرعته فإن المكلفين بعد إرسال الرسل إليهم بين أمرين إما أن يقول أحدهم آمنت وإما أن لا يقول
بل يستمر على السيئات فمن قال آمنا امتحنه الرب تعالى وأبتلاه لتحقيق بالإيمان حجة إيمانه وثباته
عليه وأنه ليس بإيمان عافية ورخاء فقط بل إيمان ناهي في حالتي النعماء والبلاء ومن لم يؤمن فلا يحسب
أنه يعجز ربه تعالى ويفوته بل هو في قبضته وناصيته بيده فله من البلاء أعظم مما ابتلى به من قال
آمنت فمن آمن به ورسوله فلا بد أن يبتلى من أعدائه وأعداء رسوله بما يؤلمه ويشق عليه
ومن لم يؤمن به ورسوله فلا بد أن يعاقبه فيحصل له من الألم والمشقة أضاعاف ألم المؤمنين فلا بد
من حصول الألم لكل نفس مؤمنة أو كافرة لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا أشد ثم ينقطع
ويعقبه أعظم اللذة والكافر يحصل له اللذة والسرور ابتداء ثم ينقطع ويعقبه أعظم الألم والمشقة
وهكذا حال الذين يتبعون الشهوات فيلتذون بها ابتداء ثم تعقبها الآلام بحسب ما نالوه منها والذين
يصبرون عنها ينالون بفقدائها ابتداء ثم يعقب ذلك الألم من اللذة والسرور بحسب ما صبروا عنه
وتركوه منها فالألم واللذة أمر ضروري لكل إنسان لكن الفرق بين العاجل المتقطع اليسير والآجل
الدائم العظيم ولهذا كان خاصة العقل النظر في العواقب وغايات فمن ظن أنه يتخلص من الألم بحيث
لا يصيبه البتة فظنه أكذب الحديث فإن الإنسان خالق عرضة للذة الألم والسرور والحزن والفرح
والغصم وذلك من جهتين من جهة تركه وطبيعته وهيئته فانه مركب من اخلاط متفاوتة متضادة
يتبع أو يعز اعتدالها من كل وجه بل لا بد أن ينبغي بعضها على بعض فيخرج عن حد الاعتدال

فيحصل الالم من حرقه في جنة فانه مدني بالاع لا يمكنه ان يديش وحده بل لا يديش الالمهم
وله ولهم لذارات ومطالب متضادة ومتعارضة لا يمكن الجمع بينها بل اذا حصل منها شيء فات منها
اشياء فهو يريد منهم ان يوافقوه على حاله فارادته وهم يريدون منه ذلك فان وافقهم حصل له
من الالم والشقة بنسب مافته من ارادته وان لم يوافقهم اذوه وعذوبه وسعوا في تعطيل مراداته كما
لم يوافقهم على مراداتهم فيحصل له من الالم والتعذيب بحسب ذلك فهو في الالم وشقة وعناء وافقهم
او خالفهم ولا سيما اذا كانت موافقتهم على امور يعلم انها عقائد باطلة وارادات فاسدة واعمال تضره
في عواقبها ففي موافقتهم اعظم الالم وفي مخالفتهم حصول الالم فالسقل والدين والمروءة والعلم تأمره
باحتمال اخف الالمين تخلصا من اشدهما وياشار المنقطع منهما لينجو من الدائم المستمر فمن كان ظهيرا
للمجرمين من الظلمة على ظلمهم ومن اهل الاهواء والبدع على اهوائهم وبدعهم ومن اهل الفجور
والشهوات على خورهم وشهواتهم ليتخاص بمظاهرتهم من الالم اذ هم اصابه من الالم الموافقة لهم عاجلا ولا
اجلا اضعاف اضعاف مافته وسنة الله في خلقه ان يعذبهم بانذار من ايمانهم وظواهرهم وان صبر على المخالفتهم
ومجانبتهم اعقبه ذلك لذة عاجلة واجلة تزيد على لذات الموافقة باضعاف مضاعفة وسنة الله في خلقه ان يرفعه عليهم
ويذله بحسب صبره وتقاوه وتوكله واخلاصه واذا كان لا من الالم والعذاب فذلك في الله وفي رضاه ومتابعة
رسله أولى وانفع منه في الناس ورضائهم وتحصيل مراداتهم ولما كان زمن التألم والعذاب قصيره طويل
ذئفاسه ساعات وساعات ايام وأيامه شهور واعوام بلا سبحانه الممتحنين فيه بان ذلك الانتهاء اجلا ثم ينقطع
وضرب لاهله اجلا لثباته يسليهم به ويشكر نفوسهم ويهون عليهم أثنائه فقال (من كان رجوا لقاء الله فان
أجبل الله لآت وهو السميع العليم) فاذا تصور العبد أجل ذلك البلاء واقطاعه وأجل لقاء المبتلي
سبحانه وثباته هان عليه ماهو فيه وخف عليه حمله ثم لما كان ذلك لا يحصل الابمجاهدة للنفس
وللشيطان ولبنى جنسه وكان العامل اذا علم ان ثمرة علمه وتعبه يعود عليه وحده لا يشركه فيه غيره
كان أتم اجتهادا وأوفر سعيا فقال تعالى (ومن جاهد فإنا نجاهد لنفسه ان الله اكفى عن المالمين) وأيضا
فلا يتوهم متوهم أن منفعة هذه المجاهدة والصبر والاحتمال يعود على الله سبحانه فانه غنى عن
المالمين ثم يأمرهم بما أمرهم به حاجة منه اليهم ولأنهم عما نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه عليهم بل أمرهم بما
يعود نفعه ومصلحته عليهم في معاشهم ومعادهم ونهاهم عما يعود ضرره وعتيه عليهم في معاشهم
ومعادهم فكانت ثمرة هذا الابتلاء والامتحان مختصة بهم واقتضت حكمته ان نصب ذلك سببا مقضيا الى
تمييز الخبيث من الطيب والشقي من القوى ومن يصلح له من الاصلاح قال تعالى (ما كان الله ليزل المؤمنين
على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب فابتلاهم سبحانه بارسال الرسل اليهم باوامره ونواهيه واختباره
فامتاز برسالة طيبهم من خبيثهم وجيدهم من رديهم فوق الثواب والعقاب على معلوم أظهره ذلك
الابتلاء والامتحان ثم لما كان الممتحن لا بد أن يخرف عن طريق الصبر والمجاهدة لدواعي طبيعته
وهواه وضعفه عن مقاومة ما يقبل به وعده سبحانه أن يتجاوز له عن ذلك ويكفره عنه لانه لما أمر
به والتزم طاعته اقتضت رحمته ان كفر عنه سيئاته وجزاه باحسن أعماله ثم ذكر سبحانه ابتلاء
العبد بابويه وما أمر به من طاعتها وصبره على مجاهدتها له على أن لا يشرك به فيصبر على هذه
الحنة والفتنة ولا يطيعها بل يصاحبهما على هذه الحال معروفا ويعرض عنهما الى متابعة سبيل رسله

وفي الاعراض عنها وعن سبيلهما والاقبال على من خلفهما وعلى سبيله من الامتحان والابتلاء ما فيه ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الايمان على ضعف وزرعة وانه ثبت على التوبة والابتلاء وانه اذا اودى في الله كما حيرت به سنة الله واستغنت حكمته من ابتلاء اوليائه باعدائه وتسلطهم عليهم بانواع المكازر والاذى لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن اسبابه كما يفر من عذاب الله فجعل فتنة الناس له على الايمان وطاعة رساله كعذاب الله لمن يعذبه على الشرك ومخالفة رساله وهذا يدل على عدم البصيرة وان الايمان لم يدخل قلبه ولا ذاق حلاوته حتى سوى بين عذاب الله له على الايمان بالله ورسوله وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به وبرسوله وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد لم ترسخ قدمه في الايمان وعبادة الله فيه من المؤمنين المعذبين وان فر من عذاب الناس له على الايمان ثم ذكر حال هذا عند نصرة المؤمنين وانهم اذا نصروا لحق اليهم وقال كنت معكم والله سبحانه يعلم من قلبه خلاف قوله ثم ذكر سبحانه ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الا خمسين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه فابتلاهم بالفرق ثم بعثه بالحرق ثم ذكر ابتلاء ابراهيم بقربه وماردوا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابعته ثم ذكر ابتلاء لوط بقومه وابتلاءهم به وما صار اليه امره وأمرهم ثم ذكر ابتلاء شعيب بقومه وابتلاءهم به وما انتهت اليه حالهم وحاله ثم ذكر ما ابتلى به عادا وثمودا وقارون وفرعون وهامان وجنودهم من الايمان به وعبادته وحده ثم ما ابتلاههم به من أنواع العقوبات ثم ذكر ابتلاء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بانواع الكفار من المشركين وأهل الكتاب وأمره أن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن ثم أمر عباده المبشرين باعدائه أن يهاجروا من أرضهم الى أرضه الواسعة فيعبدونه فيها ثم بينهم بالنقلة الكبرى من دار الدنيا الى دار الآخرة على نقلهم الصغرى من أرض الى أرض وأخبرهم أن مرجعهم اليه فلا قرار لهم في هذه الدار دون لقائه ثم بين لهم حال الصابرين على الابتلاء فيه بانه يؤوئهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فسلامهم عن أرضهم ودارهم التي تركوها لاجله وكانت مياههم بان بوأهم دارا أحسن منها وأجمع لكل خير ولذة ونعيم مع خلود الابد وان ذلك بصبرهم على الابتلاء وتوكلهم على ربهم ثم أخبرهم بانه ضامن لرزقهم في غير أرضهم كما كان يرزقهم في أرضهم فلا يهتموا بحمل الرزق فيكم من دابة سافرت من مكان الى مكان لا تحمل رزقها ثم أخبرهم أن مدة الابتلاء والامتحان في هذه الدار قصيرة جدا بالنسبة الى دار الحيوان والبقاء ثم ذكر سبحانه عاقبة أهل الابتلاء ممن لم يؤمن به وان مقامهم في هذه الدار تمتع وسوف يعلمون عند النقلة منها ما فاتهم من النعيم المقيم وما حصلوا عليه من العذاب الاليم وذكر عاقبة أهل الابتلاء ممن آمن به وأطاع رساله وجاهد نفسه وعدوه في دار الابتلاء ما به هاديه وناصره فآخبر سبحانه أن أجل عطاء وأفضله في الدنيا والآخرة هو لأهل الابتلاء الذين صبروا على ابتلائه وتوكلوا عليه وأخبر أن أعظم عذابه وأشقاه هو للذين لم يصبروا على ابتلائه وفروا منه وآثروا النعيم العاجل عليه فمضمون هذه السورة هو سر الحقائق والامرافات سورة الابتلاء والامتحان وبيان حال أهل البلوى في الدنيا والآخرة ومن تأمل فاتحتها وسعتها وخاتمها وجد في ضمنها ان أول الامر ابتلاء وامتحان ووسطه صبر وتوكل وآخره هداية ونصر والله المستعان بوضحه * الوجه الخامس والثلاثون وهو أنه سبحانه أخبر أنه خالق السموات والأرض العالم الغلوى والسفلى

ليولنا أحسن عملا وأخير أنه زين الأرض بما عليها من حيوان ونبات ومعادن وغيرها لهذا الابتلاء وأنه خالق الموت والحياة لهذا الابتلاء فكان هذا الابتلاء غاية الخلق والامر فلم يكن من يد من دار يقع فيها هذا الابتلاء وهي دار التكليف ولما سبق في حكمته أن الجنة دار نعيم لا دار ابتلاء وامتحان جبل قبلها دار الابتلاء جيرا يعبر عليه إليها ومنزلة يندر فيها وميناء يزود منها وهذا هو الحق الذي خالق الخلق به ولا جله وهو أن يعبد وحده بما أمر به على السنة رسله فامر ونهى على السنة ووعدا بالثواب والعقاب ولم يخلق خلقه سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يتركهم هملا لا يبينهم ولا يعاقبهم بل خلقوا للأمر والنهي والثواب والعقاب ولا يلدق بحكمته وحسده غير ذلك

فصل وقد عرف من هذا الجواب عن قولهم أي حكمة في خلق النفوس مريدة للخير والشر وهلا خلقت مريدة للخير وحده وكيف اقتضت الحكمة تمكينها من الشر مع القدرة على منعها منه وأي حكمة في إعطائها قوة وأسبابا يعلم المعطي أنها لا يفعل بها الا الشر وحده وأي حكمة في اقرار هذه النفوس على غيرها وظلمها وعدوانها ومعلوم أن يفعل الحكمة لا يفعل ذلك وان من يفعل الحكمة اذا رأى عبيده يقتل بعضهم بغيضا ويفسد بعضهم بعضا ويظلم بعضهم بعضا وهو قادر على منعهم فلا بد من حكمته وهما لم بحيث يتركهم كذلك فاما أن يكون عالما بما يأثرون أولا يكون قادرا على منعهم أولا يكون ممن يفعل الفرض وحكمة والاولان مستحيلان في حق الرب تعالى فتعين الثالث ومبنى هذه الشبهة على أصل فاسد وهو قياس الرب على خلقه وتشبيههم في أفعاله بحيث يحسن منه ما يحسن منهم ويتقبح منه ما يتقبح منهم ولهذا كانت القدرة مشبهة الأفعال ومتأخر وهم جمهورا بين هذا التشبيه وبين تعطيل الصفات فصاروا معطلين للصفات مشبهين في الأفعال وهذا الأصل الفاسد مما رده عليهم سائر العقلاء وقالوا بقياس أفعال الرب على أفعال العباد من أفسد القياس وكذلك قياس حكمته على حكمته وصفاته على صفاتهم ومن المعلوم أن الرب تعالى علم ان عباده يقع منهم الكفر والظلم والفسوق وكان قادرا على أن لا يوجد لهم وان يوجد لهم كلهم أمة واحدة على ما يحب ويرضى وان يحول بينهم وبين بنى بعضهم ولكن حكمته البالغة أبت ذلك واقتضت إيجادهم على الوجه الذي هم عليه وهو منبجانه خالق النفوس أصنافا فصنف مريد للخير وحده وهي نفوس الملائكة وصنف مريد للشر وحده وهي نفوس الشياطين وصنف فيه ارادة النوعين وهي النفوس البشرية فالاولى الخير لهم طباع وهي محودة عليه والشر للنفوس الثانية طباع وهي مذمومة عليه والصنف الثالث بحسب الغالب عليه من الوصفين فمن غلب عليه وصف الخير التحق بالصف الاول ومن غلب عليه وصف الشر التحق بالصنف الثالث فاذا اقتضت الحكمة وجود هذا الصنف الثالث فان يقتضى وجود الثاني أولى وأحرى والرب تعالى اقتضت قدرته وعزته وحكمته إيجاد المتقابلات في الذوات والصفات والافعال كما تقدم وقد نوع خلقه تنوعا دالا على كمال قدرته وربوبيته فمن أعظم الجهل والضلال أن يقول القائل هلا كان خلقه كلهم نوعا واحدا فيكون العالم علوا كاله أو نورا كاله أو الحيوان ملكا كاله وقد يقع في الاوهام انما سدة ان هذا كان أولى وأكمل ويعرض الوهم الفاسد ما ليس بممكنا كالا الوجه السادس والثلاثون قوله وأي حكمة في ايلاء الحيوانات غير المكلفة فهذه مسألة تكلم الناس

فيها قديما وحديثا وتباينت طرقهم في الجواب عنها فالجحدون للأفعال الختار الذي يفعل بمشيئته وقدرته يحلون ذلك على الطبيعة المجردة وان ذلك من لوازمها ومقتضياتها ليس بفعل فاعل ولا قدرة قادر ولا ارادة مرهيد ومنكروا الحكمة والتعليل يردون ذلك الى محض المشيئة وصرف الارادة تخصص مثلا على مثل بلاموجب ولا غاية ولا حكمة مطلوبة ولا سبب أصلا وظنوا أنهم بذلك يتخلصون من السؤال ويسدون على نفوسهم باب المطالبة وانما سدوا على نفوسهم باب معرفة الرب وكأله وكال أسائه وأوصافه وأفعاله فغطوا حكمته وحقيقة إلهيته وحجده وكانوا كالمستجبرين من الرضاء بالنار وأما من أثبت حكمة وتمايلا لا يعود الى الخلق بل الى المخلوق سلكوا طريقة التعويض على تلك الآلام في حق من يعث للثواب والعقاب وقالوا قد يكون في ذلك إجابة لاثبتهم بصبرهم وتألمهم وإجابة لهم وتعويض في القيامة بما نالهم من تلك الآلام فلما أورد عليهم آلام الحيوانات التي لا تثاب ولا تمأق (١) وأما المتبتون لخلق أساء الرب وصفاته وحكمته التي هي وصفه ولاجلها تسمى بالحكم وعنها صدر خلقه وأمره فهم أعلم الفرق بهذا الشأن ومسلكتهم فيه أصح المسالك وأسلم من التناقض والاضطراب فانهم جمعوا بين اثبات القدرة والمشية العامة والحكمة الشاملة التي هي غاية الفعل وربطوا ذلك بالاسماء والصفات فتصادق عندهم السمع والعقل والشرع والقطرة وعلموا ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة وانه من لوازمها وان لازم الحق لازم العدل عدل ولو ازم الحكمة من الحكمة فاعلم أن ههنا أمرين نفسا متحركة بالارادة والاختيار وطبيعة متحركة بغير الاختيار والارادة وان الشر منشأ من هذين المتحركين وعن هاتين الحركتين وخلقت هذه النفس وهذه الطبيعة على هذا الوجه فهذه تتحرك لكما لها وهذه تتحرك لكما لها وينشأ عن الحركتين خير وشر كما ينشأ عن حركة الافلاك والشمس والقمر وحركة الرياح والماء والنار خير وشر فالخيرات الناشئة عن هذه الحركات مقصودة بالقصد الاول اما لذاتها واما لكونها وسيلة الى خيرات أتم منها والشرور الناشئة عنها غير مقصودة بالذات وان قصدت قصد الوسائل واللوازم فاتي لا بد منها فاجبت عليه النفس من الحركة هو من لوازم ذاتها فلا تكون النفس البشرية نفسا الالهذا اللازم فاذا قيل لم خلقت متحركة على الدوام فهو بمنزلة أن يقال لم كانت انفس نفسا ولم كانت النار نارا والريح ريحا فلولم يخلق هذا ما كانت نفسا ولولم يخلق الطبيعة هكذا ما كانت طبيعة ولولم يخلق الانسان على هذه الصفة والخلقة ما كان انسانا فان قيل فلم خلقت النفس على هذه الصفة قيل من كمال الوجود خلقها على هذه الصفة كما تقدم وكذلك كمال فاطرها ومبدعها اقتضى خلقها على هذه الصفة لما في ذلك من الحكم التي لا يحصيها الابدعها سبحانه وان كان في ايجاد هذه النفس شرا فهو شر جزئي بالنسبة الى الخير الكلي الذي هو سبب ايجادها فوجودها خير من أن لا توجد فلولم يخلق مثل هذه النفس لكان في الوجود نقص وفوات حكم ومصلح عظيمة موقوفة على خلق مثل هذه النفس ولهذا لما اعترضت الملائكة على خلق الانسان وقالوا (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) أجابهم سبحانه بان في خلقه من الحكم والمصلح ما لا تعلمه الملائكة والخلق سبحانه يعلمه واذا كانت الملائكة لا تعلم ما في خلق هذا الانسان الذي يفسد في الارض ويسفك الدماء من الحكم والمصلح فخيرهم أولى أن لا يحيط به علما فخلق هذا الانسان من تمام الحكمة والرحمة والمصلحة وان كان وجوده مستلزما لشر فهو شر

مغمور بما في إيجاده من الخير كاتزال المطر والناج وهبوب الريح وطول الشمس وخلق الحيوان والنبات والحيال والبحار وهذا كما أنه في خلقه فهو في شرعه ودينه وأمره فان ما أمر به من الاعمال الصالحة خيره ومصلحته راجح وان كان فيه شر فهو مغمور جدا بالنسبة الى خيره وما نهى عنه من الاعمال والاقوال الفبيحة فشره ومفسدته راجح والخير الذي فيه مغمور جدا بالنسبة الى شره فستته سبحانه في خلقه وأمره فعل الخير الخالص والراجح والأمر بالخير الخالص والراجح فاذا تناقضت أسباب الخير والشر والجمع بين التقيضين محال قدم أسباب الخير الراجحة على المرجوحة ولم يكن تقويت المرجوحة شرا ودفع أسباب الشر الراجحة بالأسباب المرجوحة ولم يكن حصول المرجوحة شرا بالنسبة الى ما ندفع بها من الشر الراجح وكذلك سنته في شرعه وأمره فهو يقدم الخير الراجح وان كان في ضمنه شر مرجوح ويمطل الشر الراجح وان فات تعطيله خير مرجوح هذه سنته فيما يحدنه ويبدعه في سمواته وأرضه وما يأمر به وينهى عنه وكذلك سنته في الآخرة وهو سبحانه قد أحسن كل شئ خلقه وقد أتقن كل ما صنع وهذا أمر يعلمه العالمون بالله حجة ويتفاوتون في العلم بتفاصيله واذا عرف ذلك فالآلام والمشاق اما احسان ورحمة واما عدل وحكمة واما اصلاح وتهيئة الخير يحصل بعدها واما لدفع ألم هو أصعب منها واما لتولدها عن لذات ونعم يولدها عنها أمر لازم لتلك اللذات واما أن يكون من لوازم العدل أو لوازم الفضل والاحسان فيكون من لوازم الخير التي ان عطلت لازوماتها فات بتعطيلها خير أعظم من مفسدة تلك الآلام والشرع والقدر أعدلا شاهد بذلك فكهم في طلوع الشمس من ألم لمسافر وحاضر وكهم في نزول الغيث والثلوج من اذى كما ساء الله بقوله وان كان بكم اذى من مطر وكهم في هذا الحر والبرد والرياح من اذى موجب لانواع من الآلام لصنوف الحيوانات وأعظم لذات الدنيا لذة الاكل والشرب والنكاح واللباس والرياسة ومعظم آلام أهل الارض أكلها ناشئة عنها ومتولدة منها بل الكمالات الانسانية لاتصال الآلام بالآلام والمشاق كالعلم والشجاعة والزهد والعفة والحلم والمرؤة والصبر والاحسان كما قال

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والاقدام قتال

واذا كانت الآلام أسبابا للذات أعظم منها وأدوم كان العقل يقضى باحتمالها وكثيرا ماتكون الآلام أسبابا للصحة لولا تلك الآلام لفاتت وهذا شأن أكبر أمراض الابدان فهذه الحمى فيها من المنافع للابدان ما لا يعلمه الا الله وفيها من اذابة الفضائل وانضاج انمواد الفجة وإخراجها ما لا يصل اليه دواء غيرها وكثير من الامراض اذا عرض اصاحبها الحمى استبشر بها الطيب واما اتفاع القلب والروح بالآلام والامراض فأمر لا يحس به الا من فيه حياة فضيحة القلوب والارواح موقوفة على آلام الابدان ومشاقها وقد أصبحت فوائد الامراض فزادت على مائة فائدة وقد حجب الله سبحانه أعظم اللذات بانواع المكروه وجعلها جسرا موصلا اليها كما حجب أعظم الآلام بالشهوات والذات وجعلها جسرا موصلا اليها ولهذا قالت المقلاء قاطبة على أن التعم لا يدرك بالتعم وان الراحة لاتال بالراحة وان من آثر اللذات فاتته اللذات فهذه الآلام والامراض والمشاق من أعظم النعم اذهى أسباب النعم وما تال الحيوانات غير المكثفة منها فمغمور جدا بالنسبة الى مصالحها ومنافعها كما ينالها من حر

الضيف ويرد الشتاء وحسب المطر والثلج والحر والبرودة في صواب أفعالها وغير ذلك ولكن لذاتها أضعاف أضعاف الآمال وما ينالها من المنافع والخيرات أضعاف ما ينالها من الشرور والآلام فسنه الله في خلقه وأمره هي التي أوجبا كل علمه وحكمته وعزته ولو اجتمعت عقول العقلاء كلهم على أن يقترحوا أحسن منها لعجزوا عن ذلك وقيل لكل منهم أرجح بصر العقل فهل ترى من خال (ثم أرجح البصر كرتين ينقلب اليك البصر خائفاً وهو حسير) فبارك الذي من كل حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضعادها والأشياء من خلافها فخرج الحى من الميت والميت من الحى والرطب من اليابس واليابس من الرطب فكذلك أنشأ الذات من الآلام والآلام من الذات فأعظم الذات ثمرات الآلام وتناجها وأعظم الآلام ثمرات الذات وتناجها وبعد فالذرة والسرور والخير والنعم والعافية والصاححة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالآلام والبلاء أكثر من أضعادها بأضعاف مضاعفة فإن الآلام الحيوان من لذته وأين سقمه من سخته وأين جوعه وعطشه من شبعه ووربه وتمبه من راحته قال تعالى (فان مع العسر يسرا) ولين يغلب عسر يسرين وهذا لأن الرحمة غلبت الغضب والغفو سبق العقوبة والنعمة تقدمت الحنة والخير في الصفات والأفعال والشر في المقعولات لافي الأفعال فوصافه كلها كمال وأفعاله كلها خيرات فإن ألم الحيوان لم يعدم بألمه عافية من ألم هو أشد من ذلك الألم أوتيه لقوة وصحة وكمال أو عوضاً لانسبة لذلك الألم إليه بوجه ما قال ألم الدنيا جميعها نسبها إلى لذات الآخرة وخيراتها أقل من نسبة ذرة إلى جبال الدنيا بكثير وكذلك لذات الدنيا جميعها بالنسبة إلى الآلام الآخرة والله سبحانه لم يخلق الآلام واللذات سدى ولم يقدرهما عبثاً ومن كل قدرته وحكمته أن جعل كل واحد منهما يثمر الأخرى هذا ولوازم الحلقة يستحيل ارتفاعها كما يستحيل ارتفاع الفقر والحاجة والتقص عن الخلق فلا يكون الخلق الا فقرا محتاجا ناقص العلم والقدرة فلو كان الانسان وغيره من الحيوان لا يجمع ولا يعطش ولا يتألم في عالم الكون والفساد لم يكن حيواناً ولكانت هذه الدار دار بقاء ولذة مدامة كاملة والله لم يجمها كذلك وإنما جعلها داراً متمراً بأنها بذاتها وسرورها بأجزائها وغمومها وبسختها بسقمها بحكمة منه بالغة

فصل ١٠ ولما كانت الآلام أدوية للأرواح والابدان كانت كلاً للحيوان خصوصاً لنوع الانسان فإن فطره وبأمره أنما مرضه ليشفيه وإنما ابتلاه ليعافيه وإنما أماته ليحييه فهو سبحانه يسوق الحيوان والانسان في مراتب كماله طوراً يمدطور إلى آخر كماله بأسباب لا يد منها وكاله موقف على تلك الاسباب ووجود المازوم بدون لازمه تمتع كوجود الخوق بدون الحاجة والفقر والتقص ولوازم ذلك ولوازم تلك الوازم ولكن أكثر النفوس جاهلة بالله وحكمته وعلمه وكاله فيفرض أموراً متممة ويقدرها تقديراً ذهنيّاً ويحسب أنها كمال من الممكن الواقع ومع هذا فربها يرحمها لحبها وعجزها ونقصها فإن اعترفت بذلك واعترفت له بكماله وحده وقامت بمقتضى هذين الاعترافين كان نصيبها من الرحمة أوفر والله سبحانه افتتح الخلق بالحمد وختم أمر هذا العالم بالحمد فقال (المحمد لله الذى خلق السموات والارض) وقد (وقضى بينهم بالحق) وقيل الحمد لله رب العالمين) وأنزل كتابه بالحمد وشرع دينه بالحمد وأوجب ثوابه وعقابه بالحمد فحمده من لوازم ذاته اذ يستحيل أن يكون الامحودا فالحمد سبب الخلق ونابته الحمد أوجب له والحمد وجد فحمده واسع

لما وسعه علمه ورحمته وقد وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فلم يوجد شيئا ولم يقدره ولم يشعه الا بحمده
والحمده وكل ما خلقه وشرعه فهو متضمن للغايات الحميدة ولا بد من لوازمها ولوازم لوازمها ولهذا
ملا حمد سمواته وأرضه وما بينهما وما شاء من شيء بعد مما خلقه ويخلق به بعد هذا الخلق
لحمده ملا ذلك كله وحمده تعالى أنواع حمد على ربوبيته وحمد على تفرده بها وحمد على الوهية
وتفرده وحمد على نعمته وحمد على منته وحمد على حكمته وحمد على عدله في خلقه
وحمد على غناه عن إيجاد الولد والشريك والولي من الذل وحمده على كماله الذي لا يابق بغيره فهو
محمود على كل حال وفي كل آن ونفس وعلى كل مافعل وكل ماشرع وعلى كل ماهو متصف به وعلى
كل ماهو منزعه عنه وعلى كل مافي الوجود من خير وشر ولذة وألم وعافية وبلاء فكما أن الملك كله
له والقدرة كلها له والعزة كلها له والعلم كله له والجمال كله له والحمد كله له كما في الدعاء المأثور اللهم لك
الحمد كله ولك الملك كله ويسدك الخير كله واليك يرجع الأمر كله وأنت أهل لئن تحمد وما عمرت
الدنيا الا بحمده ولا الجنة الا بحمده ولا النار الا بحمده حتى أن أهلها ليحمدونه كما قال الحسن لقد دخل
أهل النار النار وان قلوبهم لتحمده ما وجدوا عليه من حجة ولا سبيل

فصل **فان قيل** فأي لذو وأي خير ينشأ من العذاب الشديد الدائم الذي لا ينقطع ولا يفتقر
عن أهله بل أهله فيه أبد الآباد كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها لا يقضي عليهم فيموتوا
ولا يخفف عنهم طرفة عين قيل لعمر الله هذا سؤال يقلقل الجبال فضلا عن قلوب الرجال وعن هذا
السؤال أنكر من أنكر حكمة العزيز الحكيم ورد الأمر الى مشيئة محضه لاسبب لها ولا غاية وجوز
على الله أن يعذب أهل طاعته وأوليائه ويزلهم الى أسفل الجحيم وينعم أعداءه المشركين به ويرفعهم
الى أعلى جنات النعيم أبد الآباد وأن يدخل النار من شاء بغير سبب ولا عمل أصلا وإن يفاوت بين
أهلها مع مساوئهم في الاعمال ويسوي بينهم في العذاب مع تفاوتهم في الاعمال وإن يعذب الرجل
بذنوب غيره وإن يظل حسنة كلها فلا يثيب بها أو يثيب بها غيره وكل ذلك جائز عليه لا يعلم أنه
لا يفعله الا بخبر صادق اذ نسبة ذلك وضده اليه على حد سواء وقالوا ولا مخلص عن هذا السؤال الا
بهذا الأصل وربما تمسكوا بظاهر من القول لم يضعوه على مواضعه ولم يجمعوا بينه وبين أدلة العدل
والحكمة وتعلق الامور بأسبابها وترتبها عليها وآثار الموازنة والمقابلة وأخطأوا في فهم القرآن كما
أخطأوا في وصف الرب بما لا يابق به وفي التجوز عليه ما لا يجوز عليه وقابلهم مثبتوا الاسباب
والحكم من القدرية وزعموا أنهم يخلصون من قبيح القول بما أثبتوه من الحكمة والتعليل ولكن
وقعوا في نظيره أو ما هو شر منه حيث أوجبوا على الله سبحانه تخليد من أفنى عمره في طاعته ثم
أرتكب كبيرة واحدة ومات مصرا عليها في النار مع أعدائه الكفار أبد الآباد ولم يرقبوا له طاعة
ولم يرفعوا له اسلا ما وهم في هذا المذهب شر قولاً من اخوانهم الجبرية فان أولئك لم يوجبوا على الله
ذلك الحكم وانما جوزوه عليه وجوزوا أن لا يفعله وهؤلاء أوجبوا عليه تخليد أهل الكبائر مع
الكفار ولم يجوزوا عليه إخراجهم منها وأصابهم في غلطهم على القرآن والسنة وما يجوز على الرب وما
لا يجوز عليه ما أصاب اخوانهم من الجبرية ولما ظن غيرهم من أهل النظر والبحث أن هذا هو الفساد
الذي أخبرت به الرسل وعلموا أن هذا مناف للحكمة والرحمة والعدل والمصلحة قالوا ان ذلك

تخريف وتخييل لاحقيقة له يزرع النفوس السبعية والبهيمية عن عدوانها وشهواتها فتقوم بذنب مصاحبة الوجود وكان من أكبر أسباب احاد هؤلاء وكفرهم بالله واليوم الآخر نسبة أولئك مذاهبهم الباطلة وأقوالهم الفاسدة الى الرسل واخبارهم أنهم دعوا الى الايمان بها كما أصابهم تعميم في باب مسئلة حدوث العالم حيث أخبروهم ان الرسل أخبرت عن الله انه لم يزل معطلا عن الفعل والفعل غير ممكن منه ثم انقلب من الاحالة الذاتية الى الامكان الذاتي عند ابتداءه بلا تجديد سبب ولا أمر قام بالفعل وقالوا من لم يتقد هذا فليس بمؤمن ولا مصدق للرسل فهذا في المبدأ وذلك في المعاد ثم جاءت طائفة أخرى فقلوا بساط الخلق والأمر جملة وقالوا كل هذا عيال وتليس ومائم وجودان بل الوجود كله واحد ليس هناك خالق ومخلوق ورب ومربوب وطاعة ومعصية وما الامر الانق واحد والتفريق من أحكام الوهم والخيال فالسموات والارض والدنيا والآخرة والازل والابد والحسن والقبح كله شيء واحد وهو من عين واحدة ثم استدركوا فقالوا الابل هو العين ونشأ الناس الامن شاء الله بين هؤلاء الطوائف الاربع لا يعرفون سوى أقوالهم ومذاهبهم فعمظت البلية واشتدت المصيبة وصار اذكياء الناس زنادقة العالم وأدناهم الى الخلاص أهل البلاة والبله والعقل والسمع عن هذه الفرق يعمزل ومنازلهم منهما أبعد منزل فقول وبالله التوفيق والله المستعان وعليه التكلان* دل القرآن والسنة والظرة وأدلة العقول أنه سبحانه خلق السموات والارض وما بينهما بالحق ولم يخلق شيئا عبثا ولا سدى ولا باطلا وانما أوجد العالم العلوي والسفلي ومن فيهما بالحق الذي هو وصفه واسمه وقوله وفعله وهو سبحانه الحق المبين فلا يصدر عنه الاحق لا يقول الاحقا ولا يفعل الاحقا ولا يأمر بالباطل ولا يجازي الابحى فالباطل لا يضاف اليه بل الباطل مأم يضاف اليه كالحكم الباطل والدين الباطل الذي لم ياذن فيه ولم يشرعه على السنة رسله والمعبود الباطل الذي لا يستحق العبادة وليس أهلا لها فعبادته باطلة ودعوته باطلة والقول الباطل هو الكذب والزور والحال من القول الذي لا يتعاقب بحق موجود بل متعاقبه باطل لاحقيقة له وهو سبحانه انما خلق الخلق لعبادته ومعرفة أصل عبادته محبته على الاثنه ونعمه وعلى كماله وجلاله وذلك أمر فطرى ابتداء الله عليه خلقه وهي فطرته التي فطر الناس عليها كما فطرهم على الاقرار به كما قالت الرسل لأمهم (أفي الله شك فاطر السموات والارض) فالخلق مقطورون على معرفته وتوحيده فلو خلوا وهذه الفطرة لنشأوا على معرفته وعبادته وحده وهذه الفطرة أمر خاق خلقوا عليه ولا تبدل خلقه فضى الناس على هذه الفطرة فروا عديدة ثم عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والاستقامة بمنزلة ما يعرض للبدن الصحيح والطبيعة الصحيحة مما يوجب خروجها عن الصحة الى الانحراف فارسل رسله ترد الناس الى فطرته الاولى التي فطروا عليها فانقسم الناس معهم ثلاثة أقسام* منهم من استجاب لهم كل الاستجابة وانقاد اليهم كل الانقياد فرجمت فطرته الى ما كانت عليه مع ما حصل لها من الكمال والتمام في قوتى العلم النافع والعمل الصالح فازدادت فطرتهم كمالا الى كمالها فهؤلاء لا يحتاجون في المعاد الى تهذيب وتأديب ونار تذيب فضائلهم الخبيثة وتطهرهم من الادران والاوزاخ فان انقيادهم للرسل ازال عنهم ذلك كله* وقسم استجابوا لهم من وجه دون وجه فبقيت عليهم بقية من الادران والاوزاخ التي تنافي الحق الذي خلقوا له فهياهم العالما الحكيم من الادوية الابتلاء والامتحان بحسب تلك الادواء

التي في هذه الدار والامني البرزخ فان وفي بالخلاص والافني موقف
القيامة واعوانها من تلاك البقية فان وفي بها والافلابد من المداواة بالدواء الاعظم و آخر
الطب الكي فيدخون كثير من الخيصوص والتخايص حتى اذا هذبوا ولم يبق الدواء فائدة أخرجوا من مارستان
المرضى الى دار أهل العافية كمدل على ذلك السنة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم وصرح به
في قوله حتى اذا هذبوا وتقوا أذن لهم في دخول الجنة وكذلك قوله تعالى (طبتم فادخلوها
خالدين) فلم يذن لهم في دخوله إلا بعد طيبهم فانها دار الطيبين فليس فيها شيء من الخبث أصلاً
ولهذا يابث هؤلاء في النار على قدر حاجتهم الى التطهر وزوال الخبث * القسم الثالث قوم لم يستجيبوا
لرسل ولا اتقادوا لهم بل استمروا على الخروج عن الفطرة ولم يرجعوا اليها واستحكم فسادها
فيهم أتم استحكم لا يرجي لهم صلاح فهو لاء لا يفي بحجيء الدنيا ومصائب الموت وما بعده وأهوال
القيامة يزوال أوساخهم وأدرانهم ولا يلقى بحكمة العليم الحكيم أن يجاورهم الطيبين في دارهم ولم
يخافوا لفناء فهو لاء أهل دار الابتلاء والامتحان باقون فيها بقاء مامعهم من درن الكفر والشرك
والنار انما أوقدت عليهم باعمالهم الخبيثة فعذابهم بنفس أعمالهم السيئة لهم منها صور من العذاب يناسبها
ويشاكلها فعذاب باق عليهم ما بقيت حقائق تلك الاعمال وما تولد منها فما دامت موجبات العذاب
باقية فالعذاب باق * يبقى أن يقال فهل ذهب أثر الفطرة الاولى بالكلية بحيث صارت كأن لم تكن وبطلت
بالكلية وانتقل الامر الى المراض المفسد لها وعلى هذا فلا سبيل الى خلاصهم من العذاب إذ هو أثر
ذلك الفساد الذي أزال الفطرة أو يقال الفطرة لم تذهب بالكلية وانما استحكم مرضها وفسادها
وأصاها باق كما يستحكم مرض البدن وفساده والحياة قائمة به لكنها حياة لا تنفع فاذا قدر دواء كره
صعب تناول لاسبيل الى الصحة لا يتكرر تناوله مراراً كثيرة العدد جداً يزيل ذلك المراض العارض
فيظهر أثر الفطرة الاولى فلا يحتاج بعده الى الدواء هذا سر المسئلة ومن يذهب الى هذا التقدير
الثاني فانه يقول العقل لا يدل على امتناع ذلك اذ ليس فيه ما يحيله ونقول بل قد دل العقل والنقل والفطرة
على أن الرب تعالى حكيم رحيم والحكمة والرحمة تأتي بقاء هذه النفوس في العذاب سرمداً أبداً لا
بحيث يدوم عذابها بدوام الله فهذا ليس من الحكمة والرحمة قالوا وقد دلت الدلائل الكثيرة من
النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله في هذه الدار وقدره من العذاب والعقوبات فأتاهو لتهذيب
النفوس وتصفيتها من الشر الذي فيها ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ وفضماً للنفوس عن المعاودة
وغير ذلك من الحكم التي اذا حصلت خلا التعذيب عن الحكمة والمصلحة فيبطل فانه تعذيب عليم
حكيم رحيم لا يعذب سدى ولا تنفع يعود اليه بالتعذيب بل كلا الامر من محال واذا لا يقع التعذيب
الامصلحة المعذب أو مصلحة غيره ومعلوم أنه لا مصلحة له ولا غيره في بقاءه في العذاب سرمداً
أبداً لا قالوا فما دل عليه القرآن والسنة ان جنس الآلام لمصلحة بنى آدم قوله تعالى (ذلك بأنهم
لا يصيبهم نصب ولا مخصصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يفيظ الكفار ولا يتالون من عدو نيلاً
الا كتب لهم به عمل صالح) وقوله (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فاخبر ان أم القتل
والجراح في سبيله تتمحيص أى تطهر وتصفية للمؤمنين وبشر الصابرين على ألم الجوع والخوف
والفقر وقد اجاب وغيرهم بصلاته عليهم ورحمته وهديته وقال تعالى (من يعمل سواء يجزه)

قال أبو بكر الصديق يا رسول الله جاءت قاصمة الظهر وإنما لم نعمل سوءاً فقال يا أبا بكر ألست تنصب
 ألست تحزن أليس يصيبك الذي قال بلى قال فذلك مما يحزنون به وقال تعالى (وما أصابكم من
 مصيبة فبما كسبت أيديكم) وفي هذا تبشير وتحذير إذا علمنا أن مصائب الدنيا عقوبات لذنوبنا وهو
 أرحم أن يثني العقوبة على عبده بذنب قد عاقبه به في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من بلى بشيء
 من هذه القاذورات فستره الله فامره إلى الله أن شاء عذبه وإن شاء غفر له ومن عوقب به في الدنيا
 قاله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده وفي الحديث الحدود كفارات لاهلها وفي الصحيحين من
 حديث عبادة ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له وفي الصحيح عنه صلى الله
 عليه وسلم ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر
 الله بها من خطيئاه وقال لا يزال البلاء بالمؤمن في أهله وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة
 وفي حديث آخر ان المؤمن اذا مرض خرج مثل البردة في صفاتها ولونها وفي الحديث الآخر ان
 الحمى تنفي الذنوب كما ينفي الكبر خبث الحديد وفي حديث آخر لا تنسب الحمى فلها تذهب خطايا بني
 آدم ومن أساء الحمى مكفرة الذنوب وفي الحديث الصحيح يقول الله عز وجل يوم القيامة عبدي
 مرضت فلم تعدني قال كيف أعودك وأنت رب العالمين قال مرض عبدي فلان فلم تعده اما لو عدته
 لو جدتني عنده وهذا أبلغ من قوله في الاطعام والاسقاء لو جدت ذلك عندي فهو سبحانه عند
 المتبلى بالمرض رحمة منه له وخيراً وأقرباً منه لكسر قلبه بالمرض فانه عند المكسرة قلوبهم وهذا أكبر
 من أن يذكر ورب الدنيا والآخرة واحد وحكمته ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة بل ظهور
 رحمته في الآخرة أعظم فعذاب المؤمنين بالنار في الآخرة هو من هذا الباب كعذابهم في الدنيا
 بالمصائب والحدود وكذلك حبسهم بين الجنة والنار حتى يهذبوا وينقوا وقد علم بالخصوص الصحيحة
 الصريحة ان عذابهم في النار متفاوت قدراً ووقتاً بحسب ذنوبهم وانهم لا يخرجون منها جملة واحدة
 بل شيئاً بعد شيء حتى يبقى رجل هو آخرهم خروجاً وكذلك عذاب الكفار فيها متفاوت تفاوتاً
 عظيماً فالتافقون في دركها الأسفل وأبو طالب أخف أهلها عذاباً في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه
 وآل فرعون في أشد العذاب قالوا فاذا كان العذاب في الدار التي فيها رحمة واحدة من مائة رحمة
 هو رحمة باهله ومصلحته لهم ولطف بهم فكيف في الدار التي يظهر فيها مائة رحمة كل رحمة منها طابق
 ما بين السماء والارض وقد قال تعالى (وانذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون)
 فاخبر أنه يعذبهم رحمة بهم ليردهم العذاب اليه كما يعذب الاب الشقيق ولده اذا فر منه إلى عدوه
 ليرجع إلى بره وكرامته وقال الله تعالى (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وأنت تجد تحت هذه
 الكلمات أن تعذيبهم لكم لا يزيد في ملكه ولا يتنفع به ولا هو سدى خال من حكمة ومصلحة وانكم
 اذا بدلتهم الشكر والايمن بالكفر كان عذابكم منكم وكان كفركم هو الذي عذبكم به والافأى شيء
 يباحثه من عذابكم وأي نفع يصل إليه منه قالوا وحيثما فالحكمة تقتضي أن النفوس الثميرة لا بد
 لها من عذاب يهذبها بحسب وقوعها كما دل على ذلك السمع والعقل وذاك يوجب الانتهاء لا الدوام
 قالوا والله تعالى لم يخلق الانسان عبثاً وإنما خلقه ليرحمه لا يعذبه وإنما اكتسب موجب العذاب بعد
 خلقه له فرحمته له سبقت غضبه وموجب الرحمة فيه سابق على موجب الغضب وغالب له تعذيبه ليس

هو الغاية منه ونما تعذيب الحكمة ورحمة والحكمة والرحمة تأتي أن يتصل عذابه سرمداً الى غير نهاية أما الرحمة فظالم وأما الحكمة فلا أنه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها ولم يخلق عليه من أصل الخلق ولا خلق له فهو لم يخلق الا شرار ولا لعذاب وانما خلق لامادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب العذاب فاستحق عليه العذاب وذلك الموجب لادوام له فانه باطل بخلاف الحق الذي هو موجب الرحمة فانه دائم بدوام الحق سبحانه وهو الغاية وليس موجب العذاب غاية كأن العذاب ليس بغاية بخلاف الرحمة فانها غاية وموجبها غاية فتأمله حق التأمل فانه سر المستنة * قالوا والرب تعالى تسمى بالغفور الرحيم ولم تسمى بالمعذب ولا بالمعاقب بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله كما قال تعالى (ني عبدي اني أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) وقال تعالى (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود) وقال (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وهذا كثير في القرآن فانه سبحانه يتدح بالعفو والمغفرة والرحمة والكرم والحلم ويسمى ولم يتدح بانه المعاقب ولا الغضبان ولا المعذب ولا المسيقم الا في الحديث الذي فيه تعديد الاسماء الحسنى ولم يثبت وقد كتب على نفسه كتاباً ان رحمته سبقت غضبه وكذلك هو في أهل النار فان رحمته فيهم سبقت غضبه فانه رحمهم أنواعاً من الرحمة قبل ان أغضبوه يشركهم ورحمهم في حال شركهم ورحمهم باقامة الحجة عليهم ورحمهم بدعوتهم اليه بعد أن أغضبوه وأذوا رسله وكذبوه وأمهاتهم ولم يعاجلهم بل وسعهم رحمته فرحمته غلبت غضبه ولولا ذلك لحرب العالم وسقطت السموات على الأرض وخرت الجبال وإذا كانت الرحمة غالباً للغضب سابقة عليه امتنع أن يكون موجب الغضب دائماً بدوامه غالباً لرحمته قالوا والتعذيب اما أن يكون عبثاً أو لمصلحة وحكمة وكونه عبثاً مما ينزه أحكم الحاكمين عنه ونسبته اليه نسبة لما هو من أعظم النقائص اليه وان كان لمصلحة فالمصلحة هي المنفعة ولوازمها ومازمتها وهي اما أن تعود على الرب تعالى وهو تعالى عن ذلك ويتقدس عنه واما أن تعود الى الخلق اما نفس المعذب واما غيره أوهما والاول تمتع ولا مصلحة له في دوام العقوبة بل انهاء واما مصلحة غيره فان كانت هي الانعاط والازجار فقد حصلت وان كانت تكميل لذته وهيجته وسروره بان يرى عدوه في تلك الحال وهو في غاية النعيم فهذا لو كان أقسى الخلق لرق لعدوه من طول عذابه ودوام ما يقاسيه فلم يبق الا كسر تلك النفوس الجبارة العتيدة ومداواتها كما تصل الى مادة أدواها وأمراضها فتحسمها وتلك المادة شرطاً على خير خلقت عليه في ابتداء فطرتها قالوا والاقسام الممكنة في الخلق خمسة لا مزيد عليها خير محض ومقابله وخير راجح ومقابله وخير متساويان والحكمة تقتضي إيجاد قسمين منها وهما الخير الخالص والراجح وأما الشر الخالص أو الراجح فان الحكمة لا تقتضي وجوده بل تأتي ذلك فان كل ماخلقه الله سبحانه قائماً خلقه لحكمة وجودها أولى من عدمها وخلق الدواب الشريرة والأفعال التي هي شر لما يترتب على خلقها من الخير المحبوب فلم يخلق لجرد الشر الذي لا يستلزم خيراً بوجه ما هذا غاية الحال فالخير هو المقصود بالذات بالمقصود الاول والشر انما قصد قصد الوسائل والمبادئ لا قصد الغايات والنهايات وحينئذ فاذا حصلت الغاية المقصودة بخلقه بطل وزال كابتطل وسائل عند الانتهاء الى غاياتها كما هو معلوم بالحس والعقل وعلى هذا فالعذاب شر وله غاية تطلب به

وهو وسيلة إليها إذا حصلت غايته كان بمنزلة الطريق الموصلة الى القصد فإذا وصل بها السائر الى مقصده لم يبق لسلوكها فائدة وسر المسئلة أن الرحمة غاية الخلق والامر الى العذاب فالعذاب من مخلوقاته وذلك مقتضى أنه خالقه لغاية محمودة ولا بد من ظهور أسائه وأثر صفاته عموما وإطلاقا فإن هذا هو الكمال والرب جل جلاله موصوف بالكمال منزّه عن النقص قالوا وقد قال تعالى (وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الاما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وقال (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) قال أبو سعيد الخدرى هذه تقضى على كل آية في القرآن ذكره البهقي وحرب وغيرهما وقال عبد الله بن مسعود ليا تين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا وعن عمر بن الخطاب وأبى هريرة مثله ذكره جماعة من المصنفين في السنة وهذا يقتضى أن الدار التي لا يبق فيها أحد هي التي يلبث فيها أهلها أحقابا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرنا الله بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى (عطاء غير مجدوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار قالوا ويكفينا ما في سورة الانعام من قوله (ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) الى قوله (يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) وهذا خطاب للكفار من الجن والانس من وجوه* أحدهما استكبارهم منهم أى من إغوائهم وإضلالهم وانما استكبروا من الكفار* الثاني قوله (وقال أولياؤهم من الانس) وأولياؤهم هم الكفار كما قال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) خبز الشيطان هم أولياؤه والثالث قوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) ومع هذا فقال (النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله) ثم ختم الآية بقوله (إن ربك حكيم عليم) فعذبتهم متعلق بعلمه وحكمته وكذلك الاستثناء صادر عن علم وحكمة فهو عليم بما يفعل بهم حكيم في ذلك قالوا وقد ورد في القرآن أنه سبحانه اذا ذكر جزاء أهل رحمته وأهل غضبه معا أبد جزاء أهل الرحمة وأطاع جزاء أهل الغضب كقوله (فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجدوذ) وقوله (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية* ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) وقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) وقد يقرن بينهما في الذكر ويقضى لهم بالخلود كقوله (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) وقوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) ولكن مجرد ذكر الخلود والتأيد لا يقتضى عدم النهاية بل الخلود هو المكث الطويل كقولهم قيد مخلد وتأيد كل شئ بحسبه فقد يكون التأيد لمدة الحياة وقد يكون لمدة الدنيا قال تعالى عن اليهود (ولن يتموه

أبدا بما قدمت أيديهم) ومعلوم أنهم يمتنون به في النار حيث يقولون يا مالك لقص علينا ربك وإنما استفيد
 عدم انتها نعيم الجنة بقوله (إن هذا لرزقنا ماله من نقاد) وقوله (عطاء غير مجدود) وقوله (له أجر
 غير ممنون) أي مقطوع ومن قال لا يمتن به عليهم فقد أخطأ أوجب الخطأ ولم يحجج مثل ذلك في
 عذاب أهل النار وقوله عز وجل (وما هم بخارجين من النار) وما هم منها بمخرجين) وقوله (لا ينقضى
 عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقوله تعالى كما أرادوا أن يخرجهم منها أعيدوا فيها) في
 موضعين من القرآن وقوله (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) غير مصروف عن ظاهره
 وحقيقته على الصحيح وقد زعمت طائفة أن إطلاق هذه الآيات مقيد بآيات التقييد بالاستثناء
 بالمشيئة فيكون من باب تخصيص العموم وهذا كانه قول من قال من السلف في آية الاستثناء أنها تقضى
 على كل وعيد في القرآن والصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها ولكن ليس فيها ما يدل
 على أن نفس النار دائمة بدوام الله لانتهاء لها هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما
 وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائما بدوامها وبين أن يكون هي أبدية لانقطاع لها فلا تستحيل
 ولا تنصلح فهذا شيء وهذا شيء لا يقال فلان فرق على هذا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة إذ
 كان كل منهما يصفى ويبتلع * قيل ما أظهر الفروق بينهما وأمرأين من أن يحتاج إلى فرق وأيضا فعذاب
 الدنيا ينقطع بموت المذنب وإقلاع العذاب عنه وأما عذاب الآخرة فلا يموت من استحق الخلود فيه
 ولا يقلع العذاب عنه ولا يدفعه عنه أحد كما قال تعالى (إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) وهو
 لازم لإفراق قال تعالى (إن عذابها كان غراما) أي لازما ومنه سمي "الغريم غريما" ملازمة غريمه

فصل وأما الآثار في هذه المسئلة فقال الطبراني حدثنا عبد الرحمن بن سلم حدثنا
 سهل بن عثمان حدثنا عبد الله بن مسعود بن كدام عن جعفر بن الزبير عن أنس عن أبي أمامة عن
 النبي صلى الله عليه وسلم لآيتين على جهنم يوم كآتها ورقهاج وأحر شفتي أبوها وقال حرب في
 مسأله سألت إسحاق قلت قول الله عز وجل (خلد في فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء
 ربك قال أنت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان
 قال قال أبي حدثنا أبو نصره عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه
 الآية تأتي على القرآن كله إلا ما شاء ربك أنه فعال لما يريد قال المعتمر قال أي كل وعيد في القرآن
 ثم تأول حرب ذلك فقال معناه عندي والله أعلم أنها تأتي على كل وعيد في القرآن لأهل التوحيد
 وكذلك قوله إلا ما شاء ربك استثنى من أهل العقلة الذين يخرجون من النار وهذا التأويل لا يصح
 لأن الاستثناء إنما هو في وعيد الكفار فإنه سبحانه قال يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي
 وسعيد فاما الذين شقوا في النار الآية ثم قال وأما الذين سعدوا في الجنة فاهل التوحيد من الذين
 سعدوا شقوا وآية الانعام صريحة في حق الكفار كما تقدم بيانه قال حرب وحدثنا عبيد الله بن معاذ
 حدثنا أبي ثنا شعبة عن أبي مليخ سمع عمر بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال لآيتين على
 جهنم يوم تصطفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا حدثنا عبيد الله ثنا أبي
 ثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال أما الذي أقول أنه سيأتي على جهنم
 يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ فاما الذين شقوا في النار الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعني بها

القرآن هو الغاية التي عليها المعول وقد قال ابن مسعود لياتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً وقال ابن جرير حدث عن المسيب عن ذكره عن ابن عباس خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود فذكره وقال حدثنا محمد بن حديد ثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعها خراباً قلت لا يدل قوله أسرعها خراباً على خراب الدار الاخرى كما في قوله تعالى (أحباب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وقوله (الله خير أما يشركون) وقوله في الحديث الله أعلا وأجل وقوله أسرعها عمرانا يحتمل معنيين أحدهما مسارعة الناس الى الاعمال التي يدخلون بها جهنم وإبطاؤهم عن أعمال الدار الاخرى والثاني ان أهلها يدخلونها قبل دخول أهل الجنة إليها فان أهل الجنة انما يدخلونها بعد عبورهم على الصراط وبعد حبسهم على القنطرة التي وراء أهل النار قد تبوأوا منازلهم منها فانهم لا يجوزون على الصراط ولا يجسسون على تلك القنطرة وأيضا في الحديث الصحيح انه لما ينادى المنادى لتبضع كل أمة ما كانت تعبث فتبضع للمشركون أو نائمهم وآلهمم فتساقط بهم في النار وتبقى هذه الامة في الموقف حتى يأتيها ربها عز وجل ويقول ألا تنطقون حيث انطلق الناس وقد ذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة سهل بن عبيد الله بن داود ابن سليمان أبو نصر البخاري حدثنا محمد بن نوح الجندسابوري حدثنا جعفر بن محمد بن عيسى الناقد حدثنا سهل بن عثمان ثنا عبيد الله بن مسعر بن كدام عن جعفر بن الزبير عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على جهنم يوما ما فيها من بني آدم أحد تخفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين وليس العمدة على هذا وحده فان استاده ضعيف وقد روى من وجه آخر عن ابن مسعود وقد تقدم

فصل والذين قطعوا بأبدي النار وانها لا تنفي لهم طرق * أحدها الآيات والاحاديث الدالة على خلودهم فيها وانهم لا يموتون وما هم منها بمخرجين وان الموت يذبح بين الجنة والنار وان الكفار لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الحياط وأمثال هذه النصوص وهذه الطريق لا تدل على ما ذكره وانما يدل على أنها مادامت باقية فهم فيها فأين فيها ما يدل على عدم فنائها * الطريق الثاني دعوى الاجماع على ذلك وقد ذكرنا من أقوال الصحابة والتابعين ما يدل على أن الامر بخلاف ما قالوا حتى لقد ادعى اجماع الصحابة من هذا الجانب استنادا الى تلك القول التي لا يعلم عنهم خلافها * الطريق الثالث انه كالمعلوم بالضرورة من دين الاسلام ان الجنة والنار لا تنفian بل هما باقيتان ولهذا أنكر أهل السنة كلهم على أبي الهذيل وجهم وبشيعةهما ممن قال بفنائها وعدوا أقوالهم من أقوال أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ولا ريب ان هذا من أقوال أهل البدع التي خرجوا بها عن السنة ولكن من أين تصح دعوى العلم النظري ان النار باقية بقاء الله دائمة بدوامه فضلا عن العلم الضروري فأين في الأدلة الشرعية أو العقلية دليل واحد يقتضي ذلك * الطريق الرابع ان السنة المستفيضة أو المتواترة أخبرت بخروج أهل التوحيد من النار دون الكفار وهذا معلوم من السنة قطعاً وهذا الذي قالوه حق لا ريب فيه ولكن أهل التوحيد خرجوا منها وهي باقية لم تقن ولم تعدم والكفار لا يحصل لهم ذلك بل هم باقون فيها ما بقيت * الطريق الخامس ان العقل يدل على

خلود الكفار فيها وعدم خروجهم منها فان نفوسهم غير نابتة بخير فتم لو خرجوا منها لعادوا
كفاراً كما كانوا وقد أشار تعالى الى ذلك بقوله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهذا يدل على غاية
عتوهم وإصرارهم وعدم قبول الخير فيهم بوجه من الوجوه فلا تصلح نفوسهم الشريعة الحثينة الا
للعذاب ولو صاحت لصاحت على طول العذاب حيث لم يؤثر عذابهم تلك الاحقاب الطويلة في
نفوسهم ولم يطيبها علم انه لا قابلية فيهم للخير أصلاً وان أسباب العذاب لم يطف من نفوسهم فلا
يعاني العذاب المترب عليها وهذه الطريق وان أنكرت بآدى الرأى فى طريق قوية وهى ترجع
الى طريق الحكمة وان الحكمة التى اقتضت دخولهم هى التى اقتضت خلودهم ولكن هذه الطريق
محرم سلوكها على نفاة الحكمة وعلى مثبتتها من المعتزلة والقدرية أما النفاة فظاهر وأما المثبتة
فالحكمة عندهم ان عذابهم لمصاحتهم وهذا إنما يصح اذا كان لهم حالتان حالة يعذبون فيها لاجل
مصاحتهم وحالة يزول عنهم العذاب لتحصل لهم تلك المصاحبة والا فكيف تكون مصاحتهم في عذاب
لا انقطاع له أبداً وأما من يثبت حكمة راجعة الى الرب تعالى فيمكنهم سلوك هذه الطريق لكن يقال
الحكمة لا تقتضى دوام عذابهم بدوام بقائه سبحانه وهو لم يخبر انه خلقهم لذلك وانما يعذبون لغاية
محمودة اذا حصلت حصل المقصود من عذابهم وهو سبحانه لا يعذب خلقه سدى وهو قادر على أن
ينشئهم بعد العذاب الطويل نشأة أخرى مجردة عن تلك الشرور والخبائث التى كانت في نفوسهم
وقد أزالها طول العذاب فانهم خلقوا قايدين للخير على الفطرة وهذا القول لازم لخلقهم وبه أقروا
بصانعهم وفطرهم وانما طربا عليه ما بطل مقتضاه فاذا زال ذلك الطارىء بالعذاب الطويل بقى أصل
القول بلا معارض وأما قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا قبل منابرتهم للعذاب قال تعالى
(ولو ترى إذ وقفوا على النار قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم
ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فذلك الخبائث والشرور قائمة
بنفوسهم لم تزلها النار فلو ردوا لعادوا لقيام المقتضى للعود ولكن أين أخبر سبحانه انه لو ردهم
بعد العذاب الطويل السرمدى لعادوا لما نهوا عنه وسر المسئلة ان الفطرة الاصلية لا بد أن تعمل عملها
كما عمل الطارىء عليها عمله وهذه الفطرة عامة لجميع بنى آدم كما في الصحيحين من حديث أبى
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي لفظ على هذه الملة وفي
صحيح مسلم من حديث عياض بن حماد الجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه
قال انى خلقت عبادى خفءا كلهم وانهم أنتم الشياطين فاحتالتم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بى
ما لم أنزل به سلطانا فآخبر ان الاصل فهم الحثيفة وانهم خلقوا عليها وان صدها عارض فهم باققطاع
الشياطين لهم عنها فمن المتع أن يعمل أثر اقتطاع الشياطين ولا يعمل أثر خالق الرحمن جل جلاله
عمله والكل خلقه سبحانه فلا خالق سواه ولكن ذلك خالق يحبه ويرضاه ويضاف أثره اليه وهذا
خالق يبعضه ويسخطه ولا يضاف أثره اليه فان الشر ليس اليه والخير كله في يديه فان قيل فقد قال
سبحانه (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) وهذا يقتضى انه لا قابلية فيهم ولا خير عندهم البتة ولو كان
عندهم لخرجوا به من النار مع الموحدين فانه سبحانه يخرج من النار من في قابله أدنى أدنى مثقال ذرة
من خير فعمل ان هؤلاء ليس معهم هذا القدر لليسير من الخير قبل الخير في هذا الحديث هو الايمان

بالله ورسله كما في اللفظ الآخر أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان وهو تصديق رساله والانقياد لهم بالهاب
 والجوارح وأما الخير في الآية فالمراد به القبول والزكاة ومعرفة قدر النعمة وشكر المتعم عليها فلو
 علم الله سبحانه ذلك فيهم لاسمهم إسماعا ينفعون به فانهم قد سمعوا سماعا تقوم به عليهم الحجة
 فتلك القابلية ذهب أثرها وتعطلت بالكفر والجحود وعادت كالشيء المعلوم الذي لا يتنفع به وإنما
 ظهر أثرها في قيام الحجة عليهم ولم يظهر أثرها في انتفاعهم بما عملوه ويتقنوه فان قيل فالغلام الذي قتله
 الخضر طبع يوم طبع كافرا وقال نوح عن قومه ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وفي الحديث الذي
 رواه الامام احمد والترمذي مرفوعا ان بنى آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى
 مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا الحديث قيل هذا لا يناقض
 كونه مولودا على الفطرة فانه طبع وولد مقدر اكفره اذا عقل والا ففي حال ولادته لا يعرف كفرا
 ولا ايمانا فهي حال مقدره لا مقارنة للعامل فهو مولود على الفطرة ومولود كافرا باعتبارين صحيحين
 ثابتين له هذا بالقبول وإثبات الاسلام لو خلى وهذا بالفعل والارادة فاعقل فاذا جمعت بين
 الفطرة السابقة والرحمة السابقة العالسية والحكمة البالغة والغنى التام وقرنت بين فطرته ورحمته
 وحكمته وغناه تبين لك الامر* الطريق السادس قياس دار العدل على دار الفضل وان هذه كل انها
 أبدية فالأخرى كذلك لان هذه توجب عدله وعدله ورحمته من لوازم ذاته وهذه الطريق غير
 نافذة فان العمل حقه سبحانه لا يجب عليه أن يستوفيه ولا يلحقه بتركه نقص ولا ذم بوجبه من
 الوجود والفضل وعده الذي وعده بعباده وأحقه على نفسه والفرق بين الدارين من وجوه عديدة
 شرعا وعقلا* أحدها ان الله سبحانه أخبر بان نعيم الجنة ماله من نفاذ وان عطاء أهلها غير مجذوذ
 وانه غير ممنون ولم يحجب ذلك في عذاب أهل النار* الثاني انه أخبر بما يدل على انتهاء عذاب أهل
 النار في عدة آيات كما تقدم ولم يخبر بما يدل على انتهاء نعيم أهل الجنة ولهذا احتاج القائلون بالتأيد
 الذي لا انقطاع له الى تأويل تلك الآيات ولم يحجب في نعيم أهل الجنة ما يحتاجون الى تخصيصه بالتأويل
 * الثالث ان الاحاديث التي جاءت في انتهاء عذاب النار لم يحجب شيء منها في انتهاء نعيم الجنة* الرابع
 ان الصحابة والتابعين انما ذكروا انقطاع العذاب ولم يذكر أحد منهم انقطاع النعيم* الخامس انه قد
 ثبت ان الله سبحانه يدخل الجنة بلا عمل أصلا بخلاف النار* السادس انه سبحانه ينشئ في الجنة خلقا
 يمنهم فيها ولا ينشئ في النار خلقا يمدبهم بها* السابع ان الجنة من مقتضى رحمته والنار من مقتضى
 غضبه وان الذين يدخلون النار أضعاف أضعاف الذين يدخلون الجنة فلو دام عذاب هؤلاء كدوام
 نعيم هؤلاء لغالغ غضبه رحمته فكان الغضب هو الغالب السابق وهذا ممنوع* الثامن ان الجنة دار فضله
 والنار دار عدله وفضله يغلب عدله* التاسع ان النار دار استيفاء حقه الذي له والجنة دار وفاء حقه
 الذي أحقه هو على نفسه وهو سبحانه يترك حقه ولا يترك الحق الذي أحقه على نفسه* العاشر ان الجنة هي
 الغاية التي خلقوا لها في الآخرة وأعمالها هي الغاية التي خلقوا لها في الدنيا بخلاف النار فانه سبحانه
 لم يخلق خلقه للكفر به والاشراك وإنما خلقهم لعبادته وليرحمهم* الحادي عشر ان التعميم من موجب
 أسمائه وصفاته والعذاب انما هو من أفعاله قال تعالى (نبى عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى
 هو العذاب الاليم) وقال (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) وقال (اعلموا ان الله شديد العقاب)

وان الله غفور رحيم) وما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فانه يدوم بدوامه فان قيل فان العذاب صادر عن عزته وحكمته وعدله وهذه أسماء حسنى وصفات كمال فيدوم ماصدر عنها بدوامها قيل لعمر الله أن العذاب صدر عن عزة وحكمة وعدل وانهاؤه عند حصول المقصود منه يصدر عن عزة وحكمة وعدل فلم يخرج العذاب ولا انقطاعه عن عزته وحكمته وعدله ولكن عند انتهائه يكون عزة مقرونة برحمة وحكمة مقرونة بمجود واحسان وعفو وصفح فالعزة والحكمة لم يزالا ولم ينقصا بل صدر جميع ما خلقه وبخافه وأمر به وبأمره عن عزته وحكمته * الثاني عشر ان العذاب مقصود لغيره لالتفesse وأما الرحمة والاحسان والتعميم فمقصود لنفسه فالاحسان والتعميم غاية والعذاب والام وسيلة فكيف يقاس أحدهما بالآخر * الثالث عشر انه سبحانه أخبر ان رحمته وسعت كل شيء وان رحمته سبقت غضبه وانه كتب على نفسه الرحمة فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المذنبين فلو بقوا في العذاب لآلى غاية لم تسمعهم رحمته وهذا ظاهر جدا فان قيل فقد قال سبحانه عقيبها فسأ كتبها للذين يتقون الى آخر الآية يخرج غيرهم منها لخروجهم من الوصف الذى يستحق به قيسل الرحمة المكتوبة هؤلاء هي غير الرحمة الواسعة لجميع الخلق بل هي رحمة خاصة خصهم بها دون غيرهم وكتبها لهم دون من سواهم وهم أهل الفلاح الذين لا يمتدبون بل هم أهل الرحمة والفوز والتعميم وذكر الخاص بعد العام استطراداً وهو كثير في القرآن بل قد يستطرد من الخاص الى العام كقوله (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاه حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتاها صالحاً جمالاً له شركاء فيما آتاها فعلى الله عما يشركون) فهذا استطراد من ذكر الابوين الى ذكر الذرية ومن الاستطراد قوله (انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعلناها رجوما للشياطين) فالتى جعلت رجوما ليست هي التى زينت بها السماء ولكن استطرد من ذكر النوع الى نوع آخر وأعاد ضمير الشانى على الاول لدخولهما تحت جنس واحد فكذا قوله ورحمتى وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون فالمكتوب للذين يتقون نوع خاص من الرحمة الواسعة والمقصود ان الرحمة لا بد ان تسع أهل النار ولا بد ان تنتهى حيث ينتهى العلم كما قالت الملائكة ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمنا * الرابع عشر انه قد صح عنه صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة قول أولى العزم ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وهذا صريح في أن ذلك الغضب العظيم لا يدوم. ومعلوم ان أهل النار ائماً دخلوها بذلك الغضب فلو دام ذلك الغضب لدام عذابهم اذ هو موجب ذلك الغضب فاذا رضى الرب تبارك وتعالى وزال ذلك الغضب زال موجب هذا كما أن عقوبات الدنيا العامة والاولى آثار غضبه فاذا استمر غضبه استمر ذلك البلاء فاذا رضى وزال غضبه زال البلاء وخلفته الرحمة * الخامس عشر ان رضاه أحب اليه من غضبه وعفوه أحب اليه من عقوبته ورحمته أحب اليه من عذابه وعطاؤه أحب اليه من منعه وانما يقع الغضب والعقوبة والمنع بأسباب تناقض موجب تلك الصفات والاسماء وهو سبحانه كما يحب أسماء وصفاته ويحب آثارها وموجبها كما في الحديث انه وتر يحب اوتر جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة عفو يحب العفو وهو شكور يحب الشاكرين عالم يحب العالمين جواد يحب أهل الجود حتى ستر يحب أهل الحياء والستر صبور يحب الصابرين رحيم يحب الرءاء فهو

يكره ما يضاد ذلك وكذلك كره الكفر والفسوق والعصيان والظلم والجهل لمضادة هذه الاوصاف
لاوصاف كراهه الموافقة لاسماء وصفاته ولكن يريد سبجانه لاستازامه ما يحبه ويرضاه فهو مرادله
ارادة التوازم المقصودة لغيرها اذ هي معصية الى ما يجب فاذا حصل بها ما يحبه وأدت الى الغاية
المقصودة له سبجانه لم تبق مقصودة لانفسها ولا لغيرها فتزول ويخلفها أضدادها التي هي أحب اليه
سبجانه منها وهي موجب اسمائه وصفاته فان فهمت سر هذا الوجه والاخاوزه الى ما قبله ولا
تعمل بانكاره هذا وسر المسئلة انه سبجانه حكيم رحيم انما يخاف بحكمة ورحمة فاذا عذب من يعذب
لحكمة كان هذا جاريا على مقتضاها كما يوجد في الدنيا من العقوبات الشرعية والقدرية من التهذيب
والتأديب والزجر والرحمة واللاطف ما يزكي النفوس ويطيها ويمحصها ويخلصها من شرها وخبثها
والنفوس الشريرة الضاللة التي لو ردت الى الدنيا قبل المذب لعادت لما نهى عنه لا يصلح أن تسكن
دار السلام التي تنافي الكذب والشر والظلم فاذا عذبت هذه النفوس بالنار عذابا يخلصها من ذلك
الشر ويخرج خبثها كان هذا معقولا في الحكمة كما يوجد في عذاب الدنيا وخلق من فيه شر يزول
بالتعذيب من تمام الحكمة أما خلق نفوس شريرة لا يزول شرها البتة وانما خلقت للشر المحض
وللعذاب السرمم الدائم بدوام خالقها سبجانه فهذا لا يظهر موافقته للحكمة والرحمة وان دخل تحت
القدرة فدخوله تحت الحكمة والرحمة ليست بالين فهذا ما وصل اليه النظر في هذه المسئلة التي
تكع فيها عقول العقلاء وكنت سألت عنها شيخ الاسلام قدس الله روحه فقال لي هذه المسئلة
عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشئ فضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي
بعض تلك الآثار التي ذكرت فارسلت اليه الكتاب وهو في مجلسه الاخير وعلمت على ذلك الموضع
وقلت لرسول قل له هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله
عليه فن كان عنده فضل علم فاجدته فان فوق كل ذى علم عليم وإنافي هذه المسئلة على قول أمير
المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فانه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء وعلى مذهب عبد الله بن
عباس رضى الله عنهما حيث يقول لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم الجنة ولا ناراً
وذكر ذلك في تفسير قوله قال النار مثواكم خالد بن فيها الا ماشاء الله وعلى مذهب أبي سعيد
الخدري حيث يقول انتهى القرآن كله الى هذه الآية (ان ربك فعال لما يريد) وعلى مذهب قتادة
حيث يقول في قوله الا ماشاء ربك الله أعلم بتبينه على ما وقعت وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول
أخبرنا الله بالذى يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذى يشاء لاهل النار والقول
بان النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله فان لم يكن مطابقا لخبره عن نفسه بذلك والا
كان قولاً عليه بغير علم والنصوص لانهم ذلك والله أعلم

فصل في هاهنا مذاهب أخرى باطلة منها قول من قال أنهم يعذبون في النار مدة لبثهم
في الدنيا وقول من قال أنها تقلب عليهم طبيعة نارية يلتذون بها كما يلتذ صاحب الحرب بالحق
وقول من يقول أنها تقفى هي والجنة جميعا ويعودان عدما وقول من يقول تقفى حركاتها وتبقى
أهلهما في سكون دائم ولم يوفق لاصواب في هذا الباب غير الصحابة ومن سلك سبلهم

وبالله التوفيق

فصل - فان قيل فما الحكمة في كون الكفار أكثر من المؤمنين وأهل النار أضعاف أضعاف أهل الجنة كما قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال (وقليل من عبادى الشكور) وقال (الالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال (وان قطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وبعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحد الى الجنة وكيف نشأ هذا عن الرحمة الغالبة وعن الحكمة البالغة وهلاك الانس في هذه المسئلة وان الامر يعود الى الرحمة التي وسعت كل شئ وسبقت الغضب وغلبته وعلى هذا فاندفع السؤال بالكلية ثم نقول المادة الارضية اقتضت حصول التفاوت في النوع الانساني كما في المسند والترمدى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فكان منهم الخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك فاقتضت مادة النوع الانساني تفاوتهم في اخلاقهم واراداتهم واعمالهم ثم اقتضت حكمة العزيز الحكيم ان ابتلى المخلوق من هذه المادة بالشهوة والغضب والحب والبغض ولوازمها وابتلاه بعدوه الذي لا يبالوه خيالا ولا يغفل عنه ثم ابتلاه مع ذلك بزينة الدنيا وبالهوى الذي أمر بمخالفته هذا على ضعفه وحاجته وزين له حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واللؤلؤ المسومة والانعام والحارث وأمره بترك قضاء أوطاره وشهواته في هذه الدار الحاضرة العتيدة المشاهدة الى دار أخرى غايته انما تحصل فيها بعد طي الدنيا والذهاب بها وكان مقتضى الطبيعة الانسانية أن لا يثبت على هذا الابتلاء أحد وان يذهب كلهم مع ميل الطبع ودواعي الغضب والشهوة فلم يحل بينهم وبين ذلك خالفتهم وفطرهم بل أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم مواقع رضاه وغضبه ووعدهم على مخالفة هواهم وطبائعهم أكمل الذات في دار النعيم فلم توقع قول الاكثرين على إثارة الآجل المنتظر بعد زوال الدنيا على هذا العاجل الحاضر المشاهد وقالوا كيف يباع نقد حاضر وهو قبض باليد بنسيئة مؤخره وعدنا بمحصولها بعد طي الدنيا وخراب العالم ولسان حال أكثرهم يقول (خذ ما تراه ودع شئاً سمعت به) فساعد التوفيق الالهى من علم أنه يصلح لمواقع فضله فأمدّه بقوة ايمان وبصيرة رأى في ضوءها حقيقة الآخرة ودوامها وما أعد الله فيها لاهل طاعته وأهل معيته ورأى حقيقة الدنيا وسرعة انقضائها وقلة وفائها وظلم شركائها وأنها كما وصفها الله سبحانه اب وهو وزينة وتفاخر بين أهلها وتكاثر في الاموال والاولاد وانها كفيث أعجب الكفار بناتة ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون خطاما فنشأنا في هذه الدار ونحن منها وبنوها لانألف غيرها وحكمت العادات وقهر سلطان الهوى وساعده داعى النفوس وتقاضاه موجب الطباع وغلب الحس على العسل وكانت الدولة والثاس على دين الملك ولاريب أن الذى يخرق هذه الحجب ويقطع هذه العلائق ويخالف العوائد ولا يستجيب لدواعى الطبع ويمضى سلطان الهوى لا يكون الا الاقل ولهذا كانت المادة النارية أقل اقتضاء لهذا الصنف من المادة الترابية لحفة التاروطيشها وكثرة ثقلها وسرعة حركتها وعدم ثباتها والمساء المادة الملكية فتره من ذلك فذلك كان المخلوق خيرا كله فالعقلاء المخاطبون مخوقون من هذه المواد الثلاث واقتضت الحكمة ان يكونوا على هذه الصفة والحلقة

ولو كانوا على غير ذلك لم يحصل مقصود الامتحان والابتلاء وتنوع العبودية وظهور آثار الاسماء والصفات فلو كان أهل الايمان واخيرهم الاكثرين الغالبين لمانت مصاحبة الجهاد وتوابعه التي هي من أجل أنواع العبودية وفات الكمال المترتب على ذلك فلا أحسن مما اقتضاه حكمة أحكم الحاكمين في الخلق من هذه المواد ثم أنه سبحانه يخلص مافي الخلق من تلك المادتين من الخبث والشر ويمحصه ويستخرج طيبه الى دار الطيبين ويأقي خبيثه حيث تأقي الخبث والادساخ وهذا غاية الحكمة كما هو الواقع في جواهر المعادن المنتفع بها من الذهب والفضة والحديد والنفير خلاصة هذه المواد وطيبها أقل من وسخها وخبثها والناس زرع الارض واخير الصافي من الزرع بعد زوانه وقصله وعصفه وتبته أقل من بقية الاجزاء وتلك الاجزاء كالصور له والوقاية كالخطب والشوك للثر والتراب والحجارة للمعادن النفيسة

فصل الوجه السابع والثلاثون ﴿١﴾ قوله وأى حكمة في تسليط أعدائه على أوليائه يسومونهم سوء العذاب فكلم الله في ذلك من حكم باهرة منها حصول محبوه من عبودية الصبر والجهاد وتحمل الاذى فيه والرضى عنه في السراء والضراء والثبات على عبوديته وطاعته مع قوة المعازض وغلبته وشوكته وتمحيص أوليائه من أحكام البشرية ودواعي الطباع يبذل نفوسهم له وأذى أعدائه لهم وتميز الصادق من الكاذب ومن يريد به ويعبده على جميع الحالات ممن يعبده على حرف ويحصل له مرتبة الشهادة التي هي من أعلى المراتب ولا شيء أبر عند الحبيب من بذل محبة نفسه في مرضاته ومجاهدة عدوه فكلم الله في هذا التسليط من نعمة ورحمة وحكمة وإذا شئت أن تعلم ذلك فتأمل الآيات من أواخر آل عمران من قوله (قد خلقت من قبلكم سنن) الى قوله (انما ذالكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) الى قوله (ما كان الله ليعذ المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) فكان هذا التمييز من بعض حكم ذلك التسليط ولولا ذلك التسليط لم تظهر فضيلة الصبر والنفى والحكم وكظم الغيظ ولا حلولة النصر والظفر والقهر فان الاشياء يظهر حسنها باضدادها ولولا ذلك التسليط لم تستوجب الاعداء الحق والاهانة والكتب فاستخرج ذلك التسليط من القوة الى الفعل ما عند أوليائه فاستحقوا اكرامهم عليه وما عند أعدائه فاستحقوا عقوبتهم عليه فكان هذا التسليط مما أظهر حكمته وعزته ورحمته ونعمته في الفريقين وهو العزيز الحكيم (الوجه الثامن والثلاثون) ﴿٢﴾ قوله وأى حكمة في تكليف النقاين وتعرضهم بذلك العقوبة وأنواع المشاق فاعلم أنه لولا التكليف لكان خلق الانسان عبداً وسدى والله تعالى عن ذلك وقد نزه نفسه عنه كما نزه نفسه عن العيوب والنقائص قال تعالى (أفخبتنم أنما خلقناكم عبداً وانكم الينا لاترجعون) وقال (أحسب الانسان أن يترك سدى) قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى ومعلوم أن ترك الانسان كالبهايم مهمل معطلا مضاد للحكمة فانه خلق لغاية كماله وكماله أن يكون عارفاً بربه محباً له قائماً بعبوديته قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال (لنعموا ان الله على كل شيء قدير وان الله تدأحاط بكل شيء علما) وقال (ذلك ليعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم) فهذه المعرفة وهذه العبودية غمازية الخلق والامروء اعلم كل الانسان والله تعالى من غنايته به ورحمته له عرضه لهذا الكمال وهيال أسبابه الظاهرة والباطنة وممكنه منها

ومدار التكليف على سلامة والائتزاز ولا حرج من ترجع الى كبر لمستم كما دقتها وجباها
منه وتضيئه واجلاله ومعاملته بما ياتي به فتذكر الاول وتذكر فلا يكفر ويضاع فلا
يمضي ويذكر فلا ينسى هذا مع تضمن التكليف لا ينافي العبد ليس خلق جميل واثابه بكل فعل
جميل وقول سديد واجتنبه لكي خلق سيئ وترتكب كل شئ قبيح وقول زور فتكتفيه مضمون
لمكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وصدق القول والاحسان الى الخليفة وتكميل نفسه بانواع الكمالات
وهجر اضداد ذلك والنزعة عنها مع تعريضه بذلك للتكليف لثواب الجزيل الدائم ومجاورة ربه في
دار البقاء ثلثي الامرين الباقى بالحكمة هذا وأرسله عملا كليل والبغال والحمار يأكل ويشرب وينسج
كالبهائم ينبغي كونه مخلص ذك فتعالى الله ان يحق لآله لا هو رب العرش الكريم وكيف يليق
بذلك الكائن ضئيل بساط الأمر والنهي والارباب والنفوس وترتكب ارسلا وارسلا والكتب وشرع
الشرائع وتقرير الاحكام وهل عرف الله من جوارحه عليه خلاف ذلك وهل ذلك الامن سوء الظن به
قال تعالى (وما تدروا الله حتى قدره إذ يقول ما أنزل الله على بشر من شيء) حسن التكليف في القول
كحسن الاحسان وانهما والفضل والطول بل هو من أبلغ أنواع الاحسان والانهما ولهذا سمي سبحانه
ذلك نعمة ومنة وفضلا ورحمة وأخبر أن الفرح به خير من الفرح بالنعمة المشتركة بين الابرار والفجار
قال تعالى (المتر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) فنعمة الله هاهنا نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وما بعته به
من الهدى ودين الحق وقال (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتنا
وزيكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل افى ضلال مبين) وقال تعالى (هو الذي بعث في
الامين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته وزيكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل افى ضلال
مبين وآخرين منهم لما لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
الغضيم) وقال (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون) وقال (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال
(واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) وقال (واعلموا ان فيكم
رسول الله لو يطعكم في كثير من الامر لغنتكم ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره
اليكم الكفر والفسوق والعصيان وأنتك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم) وقال لرسوله
(وأنازل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) وهل النعمة والفضل في
الحقيقة الاذنك وتواضعه وثمرته في القلوب والابدان في الدنيا والآخرة وهل في القول السليمة والقطر
المستقيمة أحسن من ذلك وأليق بكمال الرب وأسمائه وصفاته ﴿الوجهات سبع والثلاثون﴾ قوله في مناظرة
الاشعري للجباي في الاخوة الثلاثة الذين مات أحدهم صغيرا وبلغ الآخر كافرا والثالث مسلما انما
مناظرة كافية في ابطال الحكمة والتمايل ورعاية الاصلح * فاعلم انه انما مبطلة لطريقة أهل البدع
من المعتزلة والقدرية الذين يوجبون على ربهم مراعاة الاصلح لكل عبد وهو الاصلح عندهم
ففسر عن له شريعة يعقلهم ويخرجون عليه ويخرجون عنها ويوجبون عليه القيام بها
وكذلك كانوا من أحق الناس وأعظمهم تشبها بالخلق في افعاله وأعظمهم تعطيلاً عن
صفات كماله فترهوه عن صفات الكمال وشهوه بخلقه في الافعال وأدخلوه تحت الشريعة الموضوعة

بآراء الرجال وسموا ذلك عدلا وتوحيدا بالزور والبهتان وتلك تسمية مأتزل الله بها من سلطان
 فالعدل قيامه بالقسط في أفعاله والتوحيد واثبات صفات كماله شهد الله أنه إله الا هو والملائكة
 وأولو العلم قائما بالقسط لإله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام فهذا العدل والتوحيد
 الذي جاء به المرسلون وذلك التوحيد والعدل الذي جاء به المعطون* والمقصود ان هذه المناظرة
 وان أبطلت قول هؤلاء وزلزلت قواعدهم فانها لا تبطل حكمة الله التي اختص بها دون خلقه
 وطوى بساط الاحاطة بها عنهم ولم يطاعهم منها الا على ما نسبته الى ما خفي عنهم كقطرة من بحار
 الدنيا فكلم الله سبحانه من حكمة في ذلك الذي أخزعه صغيرا وحكمة في الذي مدله في العمر حتى
 بلغ وأسلم وحكمة في الذي أبقاءه حتى بلغ وكفر ولو كان كل من علم انه اذا بلغ يكفر يخترمه صغيرا
 لتطل الجهاد والعبودية التي يحبها الله ويرضاها ولم يكن هناك معارض وكان الناس أمة واحدة
 ولم تظهر آياته وعجائبه في الائم ووقاته وأيامه في أعدائه واقامة الحجج وجدال أهل الباطل بما
 يدحض شبهتهم وينصر الحق ويظهره على الباطل الى أضعاف أضعاف ذلك من الحكم التي لا يحصى
 الا الله والله سبحانه يجب ظهور أسمائه وصفاته في الخلق فلو أخترم كل من علم أنه يكفر اذا بلغ
 لفات ذلك وفواته مناف لكمال تلك الاسماء والصفات واقتضاها أنارها وقد تقدم بسط ذلك أم
 من هذا (الوجه الأربعون) قوله انه سبحانه رد الامر الى محض مشيئة بقوله (يعذب من يشاء
 ويرحم من يشاء) وقوله (فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقوله (فان الله يضل من يشاء ويهدي من
 يشاء) وقوله (لا يستل عما يفعل) فهذا كله حق ولكن أين فيه ابطال حكمته وحده والغايات المحموده
 المطلوبة بفعله وانه لا يفعل شيئا لشيء ولا يأمر بشيء لاجل شيء ولا سبب لفعله ولا غاية أفترى أصحاب
 الحكمة والتعليل يقولون أنه لا يفعل بمشيئته أو أنه يستل عما يفعل بل يقولون أنه يفعل بمشيئته مقارنا
 للحكمة والمصلحة ووضع الاشياء مواضعها وانه يفعل ما يشاء بسباب وحكم ولغايات مطلوبة وعواقب
 حميدة فهم مثبتون للملك وحده وغيرهم ثبت ملكا بلا حمد أو نوعا من الحمد مع هضم الملك إذ
 الرب تعالى له كمال الملك وكمال الحمد فكونه يفعل ما يشاء يمنع أن يشاء بسباب وحكم وغايات وانه
 لا يشاء الا ذلك وأما قوله (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) فهذا لكمال علمه وحكمته لالعدم ذلك
 وأيضا فسباق الآية في معنى آخر وهو ابطال إلهية من سواه واثبات الاولية له وحده فانه سبحانه
 قال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم يتشرون لو كان فيها آلهة الا الله لفسدنا فسيقبح الله رب
 العرش عما يصفون لا يستل عما يفعل وهم يستلون) فإين في هذا ما يدل على ابطال التعليل بوجه من
 الوجوه ولكن أهل الباطل يتعلقون بالفاظ نزولها على باطلهم لا تنزل عليه ويمعان متشابهة يشبه فيها
 الحق بالباطل فعمدتهم المتشابه من الالفاظ والمعاني فاذا فصلت وبينت يتبين أنها لا دلالة فيها وانها مع
 مع ذلك قد تدل على تقيض مطلوبهم وبالله التوفيق

الباب الرابع والعشرون

في قول السلف من أصول الايمان بالاعتماد بالقدر خيرد وشره حلوه ومره

قد تقدم ان القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه فانه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض

وكال من وجه فالشر ليس الى الرب تعالى بوجه من الوجوه لافي ذاته ولا في اسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وانما يدخل الشر الجزئي الاضافي في المقضى المقدر ويكون شرا بالنسبة الى محل وخيرا بالنسبة الى محل آخر وقد يكون خيرا بالنسبة الى المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب وهذا كالتقصص واقامة الحدود وقتل الكفار فانه شر بالنسبة اليهم لامن كل وجه بل من وجهه دون وجه وخير بالنسبة الى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والتكال ودفع الناس بعضهم ببعض وكذلك الآلام والامراض وان كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة وقد تقدم تقرير ذلك فالخير والشر من جنس اللذة والالم والنفع والضرر وذلك في المقضى المقدر لافي نفس صفة الرب وفعله القائم به فان قطع يد السارق شر مؤلم ضار له وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعديل خير وحكمة ومصلحة كما يأتي في الباب الذي بعده هذا ان شاء الله * فان قيل فما الفرق بين كون القدر خيرا وشرا وكونه حلوا ومرا * قيل الخلاوة والمرارة تعود الى مباشرة الاسباب في العاجل والخير والشر يرجع الى حسن العاقبة وسؤها فهو حلو ومر في مبدأه واوله وخير وشر في منتهاه وعاقبته وقد أجرى الله سبحانه سنته وعادته أن خلوة الاسباب في العاجل تعقب المرارة في الآجل ومرارتها تعقب الخلاوة فخلو الدنيا من الآخرة ومر الدنيا حلوا الآخرة وقد اقتضت حكمته سبحانه أن يجعل اللذات تنمر الآلام والآلام تنمر اللذات والقضاء والقدر منتظم لذلك انتظاما لا يخرج عنه شيء البتة والشر مرجعه الى اللذات وأسبابها والخير المطلوب هو اللذات الدائمة والشر المرهوب هو الآلام الدائمة فاسباب هذه الشرور وان اشتملت على لذة ما وأسباب تلك خيرات وان اشتملت على ألم ما فآلم يعقب اللذة الدائمة أولى بالاثار والتحمل من لذة تعقب الالم الدائم فلذة ساعة في جنب ألم طويل كلال لذة وألم ساعة في جنب لذة طويلة كلال ألم

الباب الخامس والعشرون

في امتناع اطلاق القول نفيًا وإثباتًا ان الرب تعالى مرید للشر وفاعل له

هذا موضع اختلف فيه مثبتو القدر ونفاته فقال النفاة لا يجوز أن يقال ان الله سبحانه مرید لاشر أو فاعل له قالوا لا يريد الشر وفاعله شرير هذا هو المعروف لغة وعقلا وشرعا كما أن الظالم فاعل الظلم والفاجر فاعل الفجور ومريده والرب تعالى وينتزه عن ثبوت معاني أسماء السوء له فان أسماء كلها حسنى وأفعاله كلها خير فيستحيل أن يريد الشر فالشر ليس بإرادته ولا بفعله قالوا وقد قام الدليل على ان فعله سبحانه غير مفعوله والشر ليس بفعل له فلا يكون مفعولا له وقاباهم الجبرية فقالوا بل الرب سبحانه يريد الشر ويفعله قالوا لان الشر موجود فلا بد له من خالق ولا خالق الا الله وهو سبحانه انما يخلق بآرادته فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله ووافقوا اخوانهم على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق ثم قالوا والشر مخلوق له ومفعول فهو فعله وخالقه وواقع بإرادته قالوا وانما لم يطلق القول أنه يريد الشر ويفعل الشر أدبا لفظيا فقط كما لا يطاق القول بأنه رب الكلاب والخنازير ويطلق القول بأنه رب كل شيء وخالقه قالوا وأما قولكم ان الشرير مرید الشر وفاعله فجوابه من وجهين * أحدهما انما يمنع ذلك بان الشرير من قام به الشر وفعل الشر لم يقم بذات الرب فان أفعاله

لا تقوم به إذ هي نفس مفعولاته وإنما هي قائمة بالخلق وكذلك اعتبرت لهم منها الأسماء كالنادر
والفاسق والمصلح والحاج والصائم ونحوه. * الجواب الثاني أن أسماء الله تعالى توقيفية ولم يسم نفسه إلا
بأحسن الأسماء قال رب * الرب من الأسماء التي لا يريد ولا يخلع فانه لا يخلع غيره
المغلوب * وتحقق القول في ذلك أنه يتمتع اطلاق ارادة الشرع عليه وفعله تقياً وإثباتاً لما في اطلاق لفظ
الارادة والفعل من إلهام المعنى الفاعل ونفى المعنى المفعول لا إعادة تطابق بمعنى المشيئة وبمعنى
الحبة والرضا فالاول كقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (ومن يرد أن يضله) وقوله (واذا أردنا
أن نهلك قرية) والثاني كقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر) فالأربعة بمعنى الأول تستأزم وقمع الرد ولا تستأزم بمحبته والربا به وبمعنى الثاني لا تستأزم
وقوع المراد وتستأزم بحبته فانها لا تنقسم بل كل ما أراده من أفعاله فهو محبوب مرضي له ففرق بين
ارادة أفعاله وارادة مفعولاته فان أفعاله خير كلها وعدل ومصلحة وحكمة لا شر فيها بوجه من الوجوه
وأما مفعولاته فهي مورد الانقسام وهذا انما يتحقق على قول أهل السنة أن الفعل غيبي المفعول
والخلق غير الخلق كما هو الموافق للعقول والفطر واللغة ودلالة القرآن والحديث واجماع أهل
السنة كما حكاه البغوي في شرح السنة عنهم وعلى هذا فهاهنا ارادتين ومرادان ارادة أن يفعل
ومرادها فعله القائم به وارادة أن يفعل عبده ومرادها مفعوله المنفصل عنه وليسا يتنازعا في فقد
يريد من عبده أن يفعل ولا يريد من نفسه اعانته على الفعل وتوقيفه له هو صرف موانعه عنه كما أراد
من ابليس أن يسجد لآدم ولم يرد من نفسه أن يعينه على السجود وبوقفه له وثبت قلبه عليه
ويصرفه اليه ولو أراد ذلك منه لسجد له لا محالة وقوله (فما لما يريد) إخباره عن ارادته لفعله
لا لأفعال عبده وهذا الفعل والارادة لا ينقسم الى خير وشر كما تقدم وعلى هذا فإذا قيل هو يريد
للشر أوهم أنه يحب له راض به وإذا قيل أنه لم يرد أوهم أنه لم يخلق له ولا كونه وكلاهما باطل
ولذلك إذا قيل ان الشر فعله أو أنه يفعل الشر أوهم ان الشر فعله إقامته به وهذا محال وإذا قيل
لم يفعله أو ليس بفعل له أوهم أنه لم يخلق له ولم يكن له وهذا محال فانظر ما في اطلاق هذه اللفظ في
النفي والاثبات من الحق والباطل الذي يتبين بالاستفصال والتفصيل وان الصواب في هذا الباب
مادل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف الى الرب تعالى لأوصاف ولا فعلا ولا يسمى باسمه
بوجه من الوجوه وإنما يدخل في مفعولاته بطريق انعموم كقوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق من
شر ما خلق) فما هاهنا موصولة أو مصدرية والمصدر بمعنى المفعول أي من شر الذي خلقه أو من
شر مخلوقة وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمن الحن (وانا لا ندرى) * شر أريد بمن في الارض
أم أراد بهم ربهم (رشدا) وقد يستند الى محله القائم به كقول ابراهيم الخليل الذي خلقتني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وقول الحضرة أما السفينة فكانت لمساكين
يعملون في البحر فارت أن أعيها وقال في بلوغ المرامين فاراد ربك أن يلبغا أشدهما وقد جمع
الانواع الثلاثة في الناقحة في قوله لهذا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المنضوب
عليهم ولا الضالين) والله تعالى انما نسب الى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتنزع من تشاء بيدك الخير انك على

كل شيء قدير وأخطأ من قال المعنى يدرك الخير والشر لثلاثة أوجه* أحدها أنه ليس في اللفظ ما يدل على ارادة هذا المحدث بل ترك ذكره قصداً أو بياناً أنه ليس بمبرأ* الثاني أن الذي يد الله تعالى نوعان فضل وعدل كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يمين الله ملائ لا يفيضها نفقة سبحانه الليل والنهار أرأيت ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يفيض ما في يمينه ويده الأخرى القسط يخفض ويرفع فالفضل لأحدى الدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه* الثالث أن قول النبي صلى الله عليه وسلم ليك وسعديك والخير في يدك والشر ليس اليك كالتفسير للآية ففرق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدى الرب سبحانه وقطع إضافة الآخر اليه مع اثبات عموم خلقه لكل شيء

فصل والرب تعالى يشق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به فلو كان يشق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً وأبيض وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم أنما يشق أسمائه من أفعاله وأوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يسمى باسمه ولهذا كان قول من قال أنه يسمى متكماً بكلام منفصل عنه وخلقته في غيره ومريد بارادة منفصلة عنه وعادلاً بعديل مخلوق منفصل عنه وخالقاً لخلق منفصل عنه هو المخلوق قولاً باطلاً مخالفاً للعقل والنقل واللغة مع تناقضه في نفسه فإن اشق له اسم باعتبار مخلوقاته لم يرد ذلك في كل صفة أو فعل خلقه وإن خض ذلك ببعض الأفعال والصفات دون بعض كان تحكما لا معنى له وحقيقة قول هؤلاء أنه لم يقم به عدل ولا إحسان ولا كلام ولا ارادة ولا فعل البتة ومن تجههم منهم نفى حقائق الصفات وقال لم يعم به صفة ثبوتية ففوا صفاته وردوها إلى السبوت والاضافات ونفى أفعاله ودرجها إلى المصنوعات المخلوقات وحقيقة هذا أن أسمائه تعالى المناظر فارغة عن المعاني لا محتاج لها وهذا من الأحاد فيها وإنكار أن يكون حسناً وقد قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وقد دل القرآن والسنة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصفاً كقوله تعالى (إن القوة لله جميعاً) وقوله (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (فاعةوا إنما أنزل بعلم الله) وقوله صلى الله عليه وسلم لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه وقول عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ برضك من سخيف وقوله أسألك الغيب وقد ترك على الخلق وقوله أعوذ بعزيت أن تصاتي ولو لا ههنا المصادر لانت حقائق الأسماء والصفات والأفعال فإن أفعاله غير صفاته وأسمائه غير أفعاله وصفاته فإذا لم يقم به فعل ولا صفة فلا معنى للاسم المجرد وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئاً وهذا غاية الانداد

الباب السادس والعشرون

فما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك
من عقوبتك واعوذ بك منك لا اُحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
من تحقيق القدر وأثباته وما تضمنه الحديث من الاسرار العظيمة

قد دل هذا الحديث العظيم القدر على أمور * منها أنه يستعاذ بصفات الرب تعالى
كما يستعاذ بذاته وكذلك يستعاذ بصفاته كما يستعاذ بذاته كما في الحديث يا حي يا قيوم
يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام لا إله الا أنت برحمتك أستغيث أصالح لى شأنى
كله ولا تكلفنى الى نفسى طرفتين ولا الى حد من خلقك وكذلك قوله في الحديث الآخر أعوذ بعزتك
أن تضانى وكذلك استعاذته بكلمات الله التامات وبوجهه الكريم وتعظيمه وفي هذا ما يدل على أن هذه صفات
ثابتة وجودية إذ لا يستعاذ بالعدم وانها قائمة به غير مخلوقة إذ لا يستعاذ بالمخلوق وهو احتياج صحيح
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستعيز بمخلوق ولا يستغيث به ولا يدل أمته على ذلك * ومنها
ان العفو من صفات الفعل القائمة به وفيه رد على من زعم ان فعله عين مفعوله فان المفعول مخلوق
ولا يستعاذ به * ومنها ان بعض صفاته وأفعاله سبحانه أفضل من بعض فان المستعاذ به أفضل من
المستعاذ منه وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك
كلامه سبحانه هو صفته ومعلوم ان كلامه الذى يثنى على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل
من كلامه الذى يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم ولهذا كانت سورة الاخلاص أفضل من سورة
تبت وكانت تعدل ثلث القرآن دونها وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن ولا تصغ الى قول من
غلظ حجابه ان الصفات قديمة والقديم لا يتفاضل فان الأدلة السمعية والعقلية تبطل قوله وقد
جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير وأهل السعادة بيده البني وما كان من العدل
والقبض بيد الأخرى ولهذا جعل أهل السعادة في قبضة اليمنى وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى
والمقسطون على منابر من نور عن يمينه والسموات مطويات بيمينه والارض بالارض ومنها ان
الغضب والرضا والعفو والعقوبة لما كانت متقابلة استعاذ بأحدهما من الآخر فلما جاء الى الذات
المقدسة التى لا ضد لها ولا مقابل قال وأعوذ بك منك فاستعاذ بصفة الرضى من صفة الغضب
وبفعل العفو من فعل العقوبة وبالموصوف بهذه الصفات والافعال منه وهذا يتضمن كمال الاثبات
للقدر والتوحيد بأوجز لفظ وأخصره فان الذى يستعاذ منه من الشر وأسبابه هو واقع بقضاء
الرب تعالى وقدره وهو المنفرد بخلقهم وتقديره وتكوينه فشاء كان وما لم يشاء لم يكن فالاستعاذ منه
اما وصفه واما فعله واما مفعوله الذى هو أثر فعله والمفعول ليس اليه تقع ولا ضر ولا يضر الا باذن
خالقه كما قال تعالى في أعظم ما يتضرر به العبد وهو السحر (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله)
فالذى يستعاذ منه هو بمشيئته وقضائه وقدرته واعاذته منه وصرفه عن المستعيز انما هو بمشيئته
أيضا وقضائه وقدره فهو المعيز من قدره بقدره ومن ما يصدره عن مشيئته وأرادته بما يصدره عن

دشيتته وارادته والجميع واقع بارادته الكونية القدريّة فهو يعيذ من ارادته بارادته إذ الجميع خلقه وقدره وقضاه، فليس هناك خالق اغيره فيعيذ منه هو بل المستعاذ منه خالق له فهو الذي يعيذ عبده من نفسه بنفسه فيعيذه مما يريد به بما يريد به فليس هناك أسباب مخلوقة لغيره يستعيذ منها المستعيذ به كما يستعيذ من رجل ظالمه وقهره برجل أقوى أو نظيره فالمستعاذ منه هو الذنوب وعقوباتها والآلام وأسبابها والسبب من قضائه والمسبب من قضائه والاعاذه بقضائه فهو الذي يعيذ من قضائه بقضائه فلم يعذ الا بما قدره وشاء وذلك الاستعاذة منه وشائها وقدر الاعاذه وشاءها فالجميع قضاؤه وقدره وموجب مشيئته فتتج هذه الكلمة التي لوقاها غير الرسول لبادر المتكلم الجاهل الى انكارها وردّها انه لا يملك الضر والنفع والخلق والامر والاعاذه غيرك وان المستعاذ منه هو يدك ومحت تصرفك ومخلوق من خلقك فما استعذت الابك ولا استعذت الامنك وهذا نظير قوله في الحديث الآخر لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك فهو الذي ينجي من نفسه بنفسه ويعيذ من نفسه بنفسه وكذلك الفرار يفر عبده منه اليه وهذا كله لتحقيق التوحيد والقدر وانه لا رب غيره ولا خالق سوا ولا يملك المخلوق لنفسه ولا لغيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل الامر كله لله ليس لاحد سواه منه شيء كما قال تعالى لا اكرم خلقه عليه وأحسنهم اليه (ليس لك من الامر شيء) وقال جوابا لمن قال هل لنا من الامر شيء (قل ان الامر كله لله) فالملك كله والامر كله والحمد كله له والشفاعة كلها له والخير كله في يديه وهذا تحقيق تفرده بالربوبية والالوهية فلا إله غيره ولا رب سواه (قل أرايتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا ممسك له من بعده وهو العزيز الحكيم) فالمستعاذ به منه وفر منه اليه واجمل لجالك منه اليه فالامر كله لا يملك أحد معه منه شيأ فلا يأتي بالحسنات الا هو ولا يذهب بالسيئات الا هو ولا تتحرك ذرة فما فوقها الا باذنه ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره الا باذنه ومشيتته يصيب بذلك من يشاء ويصرفه عن يشاء فأعرف الخلق به وأقواهم بتوحيده من قال في دعائه وأعوذ بك منك فليس للخلق معاذ سوا ولا مستعاذ منه الا وهو ربه وخالفه ومليكه وتحت قهره وسلطانه ثم ختم الدعاء بقوله لأحصى ثناء عليك أنت كما أئنت على نفسك اعترافا بان شأنه وعظمته ونعوت كماله وصفاته أعظم وأجل من أن يحصيا أحد من الخلق أو باغ أحد حقيقة الثناء عليه غيره سبحانه فهو توحيد في الاسماء والصفات والنعوت وذلك توحيد في العبودية والتسأله وافراده تعالى بالخوف والرجاء والاستعاذة وهذا مضاد الشرك وذاك مضاد التعطيل وبالله التوفيق

الباب السابع والعشرون

في دخول الايمان بالقضاء والقدر والعدل والتوحيد
والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك
عدل في قضائك وبيان مافي هذا الحديث من القواعد

ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ماصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسئلك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي ألا اذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا قالوا يارسول الله أفلا تعلمهن قال بلى ينبغي لمن يسئلهن أن يتعلمهن فقد دل هذا الحديث الصحيح منها أنه استوعب أقسام المكروه الواردة على القلب فاهلهم يكون على مكروه يتوقع في المستقبل يهتم به القلب والحزن على مكروه ماض من فوات محبوب أو حصول مكروه اذا تذكره أحدث له حزنا والغم يكون على مكروه جاصل في الحال يوجب لصاحبه الغم فهذه المكروهات هي من أعظم أمراض القلب وادوائه وقد تنوع الناس في طرق أدويتها والخلص منها وتباينت طرقهم في ذلك تباينا لا يحصى الا الله بل كل أحد يسعى في التخلص منها بما يظن أو يتوهم انه يخلصه منها وأكثر الطرق والأدوية التي يستعملها الناس في الخلاص منها لا يزيدھا الا شدة لمن يتدأى منها بالمعاصي على اختلافها من أكبر كبرائها الى أصغرها ولكن يتدأى منها بالاهو واللعب والغناء وسماع الاصوات المطربة وغير ذلك فأكثر سعى بني آدم أو كله إنما هو لدفع هذه الامور والتخلص منها وكلهم قد أخطأ الطريق الا من سعى في ازالها بالدواء الذي وصفه الله لازالتها وهو دواء مركب من مجموع أمور متى نقص منها جزء نقص من الشفاء بقدره وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار قال تعالى (فاعلم أنه لا إله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الحديث فان الشيطان يقول أهلكم بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبالإله الا الله ما رأيت ذلك يثبت فيهم الا هواءهم يذنبون ولا يتوبون لانهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولذلك كان الدعاء المفرج للكرب محض التوحيد وهو لا إله الا الله العظيم الحليم لا إله الا هو رب العرش العظيم لا إله الا هو رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة أخى ذى النون مادعاها مكروب الا فرج الله كربه لا إله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فالتوحيد يدخل العبد على الله والاستغفار والتوبة يرفع المانع ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول اليه فاذا وصل القلب اليه زال عنه همه وغمه وحزنه واذا انقطع عنه حصرته اللهموم والغموم والاحزان وأتته من كل طريق ودخلت عليه من كل باب فلذلك صدر هذا الدعاء المذهب اللهم والغم والحزن بالاعتراف له بالعبودية حقا منه ومن آياته ثم اتبع ذلك باعترافة بانه في قبضته ومملكه ومحت تصرفه بكون ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء كما يقاد من أمسك بناصيته شديد القوى

لا يستطيع الا الانقياد له ثم اتبع ذلك باقراره له بنفاذ حكمه فيه وحريانه عليه شاء أم أبى واذا حكم فيه بحكم لم يستطع غيره برده أبدا وهذا اعتراف لربه بكمال القدرة عليه واعتراف من نفسه بغاية العجز والضعف فكأنه قال أنا عبد ضعيف مسكين يحكم فيه قوى قاهر غالب واذا حكم فيه بحكم مضى حكمه فيه ولا بد ثم اتبع ذلك باعترافه بأن كل حكم وكل قضية ينفذها فيه هذا الحاكم فهي عدل محض منه لا جور فيها ولا ظلم بوجه من الوجوه فقال ماض في حكمك عدل في قضائك وهذا يعم جميع أفضيته سبحانه في عبده قضائه السابق فيه قبل إيجاده وقضائه فيه المقارن لحياته وقضائه فيه بعد مماته وقضائه فيه يوم معاده ويتناول قضاءه فيه بالذنب وقضائه فيه بالجزاء عليه ومن لم يثنج صدره لهذا ويكون له كالمملوك الضرورى لم يعرف ربه وكأله ونفسه وعينه ولا عدل في حكمه بل هو جهول ظالم فلا علم ولا انصاف وفي قوله ماض في حكمك عدل في قضائك رد على طائفتي القدريّة والجبريّة وان اعترفوا بذلك بالسّتم فاصولهم تناقضه فان القدريّة تنكر قدرته سبحانه على خلق ما به يهتدى العبد غير ما خلقه فيه وجبله عليه فليس عندهم لله حكم نافذ في عبده غير الحكم الشرعى بالامر والنهى ومعلوم أنه لا يصح حمل الحديث على هذا الحكم فان العبد يطمعه تارة ويعصيه تارة بخلاف الحكم الكونى القدرى فانه ماض في العبد ولا بد (١) قائمة بكلماته التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ثم قوله بعد ذلك عدل في قضاءك دليل على ان الله سبحانه عادل في كل ما يفعله بعبده من قضائه كله خيره وشره حلوه ومره فعله وحزائه فدل الحديث على الايمان بالقدر والايمان بان الله عادل فيما قضا فلاول التوحيد والثانى العدل وعند القدريّة النفاة لو كان حكمه فيه ماضيا لكان ظالما لا بضالاه وعقوبته أما القدريّة الجبريّة فعندهم الظلم لاحقيقة له بل هو الممتنع لذاته الذى لا يدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما يسمى ظلما حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل فعلى قولهم لا فائدة في قوله عدل في قضاءك بل هو بمنزلة أن يقال نافذ في قضاءك ولا بد وهو معنى قوله ماض في حكمك فيكون تكريرا لا فائدة فيه وعلى قولهم فلا يكون بمدح بترك الظلم إذ لا مدح بترك المستحيل لذاته ولا فائدة في قوله انى حرمت الظلم على نفسى أو يظن معناه انى حرمت على نفسى مالا يدخل تحت قدرتى وهو المستحيلات ولا فائدة في قوله (فلا يخاف ظلما ولا هضمًا) فان كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع ولا فائدة في قوله (وما الله يريد ظلما للعباد) ولا في قوله (وما أنا بظالم للعبيد) فنفاذ حكمه في عباده بملكه وعدله فيهم بحمده وهو سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ونظير هذا قوله سبحانه حكاية عن نبيه هود أنه قال (انى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم) فقوله مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها مثل قوله ناصيتي بيديك ماض في حكمك وقوله ان ربي على صراط مستقيم مثل قوله عدل في قضائك أى لا يتصرف في تلك النواصي الا بالعدل والحكمة والمصلحة والرحمة لا يظلم أحباها ولا يعاقبهم بما لم يعملوه ولا يهضمهم حسنا ما عملوه فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله يقول الحق ويفعل الخير والرشد وقد أخبر سبحانه أنه على الصراط المستقيم في سورة هود وفي سورة النحل فاعبر في هود أنه على صراط مستقيم في تصرفه في النواصي التى هى في قبضته وتحت يده وأخبر في النحل انه يأمر بالعدل ويفعله وقد زعمت الجبريّة ان العدل هو المقدور وزعمت القدريّة

أن العدل اخراج أفعال الملائكة والجن والانس عن قدرته وخلقه وأخطأ الطائفتان جميعا في ذلك والصواب ان العدل وضع الاشياء في مواضعها التي تليق بها وانزالها منازلها كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد تسمى سبحانه بالحكم العدل والقدرية تنكر حقيقة اسم الحكم وترده الى الحكم الشرعى الدينى وترغم أنها تثبت حقيقة العدل والعدل عندهم انكار القدر ومع هذا فينسبون الى غاية الظلم فانهم يقولون أنه يخاد في المذاب الاليم من أفنى عمره في طاعته ثم فعل كبيرة ومات عليها فان قيل فالقضاء بالجزاء عدل إنه هو عقوبة على الذنب فيكون القضاء بالذنب عدلا على أصول أهل السنة وهذا السؤال لا يازم القدرية ولا الجبرية أما القدرية فعندهم أنه لم يقض المصيبة وأما الجبرية فعندهم أن كل مقدور عدل وأما يلزمكم أتم هذا السؤال قيل نعم كل قضاءه عدل في عبده فانه وضع له في موضعه الذى لا يحسن في غيره فانه وضع العقوبة ووضع القضاء بسببها وموجبها في موضعه فانه سبحانه كما يجازى بالعقوبة فانه يعاقب بنفس قضاء الذنب فيكون حكمه بالذنب عقوبة على ذنب سابق فان الذنوب تنكسب بعضها بعضا وذلك الذنب السابق عقوبة على غفلته عن ربه واعراضه عنه وتلك الغفلة والاعراض هى في أصل الحيلة والنشأة فمن أراد أن يكمله أقبل بقلبه اليه وجذبه اليه وألهمه رشده وألقى فيه أسباب الخير ومن لم يرد أن يكمله تركه وطبعه وخل بينه وبين نفسه لانه لا يصاح لتكميل وليس محله أهلا ولا قابلا لما وضع فيه من الخير وهاهنا انتهى علم العباد بالقدر وأما كونه تعالى جعل هذا يصلح وأعطاه ما يصلح له وهذا لا يصلح فتمعه ما لا يصلح له فذلك موجب ربوبيته وإلهيته وعلمه وحكمته فانه سبحانه خالق الاشياء وأضدادها وهذا مقتضى كماله وظهور اسمائه وصفاته كما تقدم تقريره والمقصود أنه أعد العادلين في قضائه بالسبب وقضائه بالمسبب فما قضى في عبده بقضاء الا وهو واقع في محله الذى لا يابق به غيره إذ هو الحكم العدل الغنى الحميد

فصل وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان كانت الرواية محفوظة هكذا ففيها إشكال فانه جعل ما أنزلته في كتابه أو علمه أحدا من خلقه أو استأثرت به في علم الغيب عنده قسما لما سمى به نفسه ومعلوم ان هذا تقسيم وتفصيل لما سمى به نفسه فوجه الكلام أن يقال سميت به نفسك فانزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فان هذه الاقسام الثلاثة تفصيل لما سمى به نفسه وجواب هذا الاشكال ان أو حرف عطف والمعطوف بها اخضع ما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فان ماسمى به نفسه يتناول جميع الانواع المذكورة بعده فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام فان قيل المهود من عطف الخاص على العام أن يكون بالواو دون سائر حروف العطف قيل المسوغ لذلك في الواو وهو تخصيص المعطوف بالذکر لمرتبة من بين الجنس واختصاصه بخاصة غيره منه حتى كأنه غيره أو ارادتين لذكره مرتين باسمه الخاص وبالفظة العام وهذا لافرق فيه بين العطف بالواو أو بأو مع ان في العطف بأو على العام فائدة أخرى وهى بناء الكلام على التقسيم والتنويع كما بنى عليه تأما فيقال سميت به نفسك فاما أنزلته في كتابك وإما علمته أحدا من خلقك وقد دل الحديث على ان أسماء الله غير مخلوقة بل

هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها فان الله يقسم عليه بشيء من خلقه فالحديث صريح في ان أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم وأيضا فان أسماءه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به فاسمائها غير مخلوقة فان قيل فالاسم عندهم هو المسمى أو غيره قيل طالما غلط الناس في ذلك وجعلوا الصواب فيه فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى فاذا قلت قال الله كذا واستوى الله على عرشه وسمع الله ورأى وخلق فهذا المراد به المسمى نفسه واذا قلت الله اسم عربي والرحمن اسم عربي والرحان من أسماء الله والرحان وزنه فعلان والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك فالاسم ههنا للمسمى ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الاحمال فان أريد بالمغايرة ان اللفظ غير المعنى خفي وان أريد ان الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه اسما أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والاحاد فقولوه في الحديث سميت به نفسك ولم يقل خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك دليل على أنه سبحانه تكلم بذلك الاسم وسمى به نفسه كما سمي نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقة باسمائه وقوله أو استأثرت به في علم الغيب عندك دليل على ان أسماءه أكثر من تسعة وتسعين وان له أسماء وصفات استأثرت بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره وعلى هذا فقوله ان الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة لا ينبغي أن يكون له غيرها والكلام جملة واحدة أى له أسماء موصوفة بهذه الصفة كما يقال لفلان مائة عبداً عديم لا تجارة وله مائة فرس أعداء لا جهاد وهذا قول الجمهور وخالفهم ابن حزم فزعم أن أسماءه تنحصر في هذا العدد وقد دل الحديث على ان اتوسل اليه سبحانه باسمائه وصفاته أحب اليه وأنتفع لأعبد من التوسل اليه بمخلوقاته وكذلك سائر الاحاديث كما في حديث الاسم الاعظم اللهم اني أسألك بان لك الحمد لا إله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم وفي الحديث الآخر أسألك بانني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وفي الحديث الآخر اللهم اني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق وكلها أحاديث يحتاج رواها ابن حبان والامام احمد والحاكم وهذا تحقيق لقوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقوله أن تجعل القرآن ربيع قلمي ونور صدري يجمع أصاين الحياة والنور فان الربيع هو المطر الذي يحيي الارض فينبت الربيع فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته ان يجعل كتابه الذي جعله روحا للعالمين ونورا وحياة لقلبه بتزلة الماء الذي يحيي به الارض ونورا له بمنزلة انشمس التي تستنير بها الارض والحياة والنور جاع الخير كله قال تعالى (ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات) وقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فاخبر أنه روح تحصل به الحياة ونور تحصل به الحياة ونور تحصل به الهداية فاتباعه لهم الحياة والهداية ومخالفوه لهم الموت والفساد وقد ضرب سبحانه المثل لأوليائه وأعدائه بهذين الايتين في أول سورة البقرة وفي وسط سورة التور وفي سورة الرعد وهما المثل المائى والمثل الثماني وقوله وجلاء حزني وذهاب همي وغمى إن جلاء هذا يتضمن ازالة المؤذى الضار وذلك يتضمن تحصيل النافع السار فضمن

الحديث طلب أصول الخبر كله ودفع الشر وبالله التوفيق

الباب الثامن والعشرون

في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس

في ذلك وتحقيق القول فيه

هذا الباب من تمام الايمان بالقضاء والقدر وقد تنازع الناس فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين وهما وجهان لاصحاب أحمد فهم من أوجبوه واحتج على وجوبه بأنه من لوازم الرضا بالله ربا وذلك واجب واحتج بآثر اسرائيلي من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ له ربا سواي ومنهم من قال هو مستحب غير واجب فان الايجاب يستلزم دليلا شرعيا ولا دليل يدل على الوجوب وهذا القول أرجح فان الرضا من مقامات الاحسان التي هي من أعلى المتسويات وقد غلط في هذا الاصل طائفتان أقبح غلط فقالت القدريّة النفاة الرضا بالقضاء طاعة وقربة والرضا بالمعاصي لا يجوز فايست بقضائه وقدره وقالت غلاة الجبرية الذين طووا بساط الامر والنهي المعاصي بقضاء الله وقدره والرضا بالقضاء قرينة وطاعة فمنح نرضى بها ولا نسخطها واختلفت طرق أهل الانبياء في جواب الطائفتين فاجابهم طائفة بأن لها وجهين وجهها يرضى بها منه وهو اضافتها الى الله سبحانه خلقا ومشيتها ووجه يسخط منه وهو اضافتها الى العبد فعلا واكتسابا وهذا جواب جيد لو فوّه به فان الكسب الذي أثبتته كثير منهم لاحقيقة له إذ هو عندهم مقارنة الفعل للإرادة والقدرة إيجاد به من غير أن يكون لهما تأثير بوجه ما وقد تقدم الكلام في ذلك بما فيه كفاية وأجابهم طائفة أخرى بأننا نرضى بالقضاء الذي هو فعل الرب ونسخط المقضى الذي هو فعل العبد وهذا جواب جيد لعمود واعليه بالنقض وبالإبطال فانهم قالوا الفعل غير المفعول بالقضاء عندهم نفس المقضى فلو قال الاولون بان للكسب تأثيرا في إيجاد الفعل وانه سبب لوجوده وقال الآخرون بان الفعل غير المفعول لاصابوا في الجواب وأجابهم طائفة أخرى بان من القضاء ما يؤمر بالرضاه ومنه ما ينهى عن الرضاه بالقضاء الذي يحبه الله ويرضاه نرضى به والذي يبغضه ويسخطه لانرضى به وهذا كما أن من الخلق ما يبغضه ويسخطه وهو خلقه كالاعيان المسخوطة له فهكذا الكلام في الافعال والاقوال سواء وهذا جواب جيد غير أنه يحتاج الى تمام فقول الحكم والقضاء نوعان ديني وكوني فالديني يجب الرضاه وهو من لوازم الاسلام والكوني منه ما يجب الرضاه كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها ومنه ما لايجوز الرضاه كالمعاصي والذنوب التي يسخطها الله وان كانت بقضائه وقدره ومنه ما يستحب الرضاه كالمصائب وفي وجوبه قولان هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضى وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كالماله وتقديره ومشيته فالرضاه من تمام الرضا بالله ربا وإلهيا ومالكا ومديرا فهذا التفصيل يتبين الصواب ويزيل اللبس في هذه المسئلة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس فان قيل فكيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والثفرة منها وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كارد له والالم يقتض الكراهة والبغض المضاد لالرضا

واجتماع الضدين محال قيل الشيء قد يكون محبوبا مرضيا من جهة ومكروها من جهة أخرى كمشرب الدواء النافع الكريه فان المريض يرضى به مع شدة كراهته له وكصوم اليوم الشديد الحر فان الصائم يرضى به مع شدة كراهته له وكالجهد للإعداء قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) فالجهد المخلص يعلم أن القتال خير له فرضى به وهو يكرهه لما فيه من التعرض لآلئاف النفس والمألمة ومفارقة المحبوب ومتى قوى الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة وان لم يخل من الألم فالألم بالشيء لا ينافي الرضا به وكراهته من وجسه لا ينافي محبته واراادته والرضاه به من وجه آخر فان قيل فهذا في حكم رضا العبد بقضاء الرب فهل يرضى سبحانه ما قضى به من الكفر والفسوق والعصيان بوجه من الوجوه قيل هذا الموضع أشكل من الذي قبله قال كثير من الاشعرية بل جهورهم ومن اتبعهم أن الرضا والحبة والارادة في حق الرب بمعنى واحد وأن كل ما شاء وارااده فقد أحبه ورضيه ثم أوردوا على أنفسهم هذا السؤال وأجابوا بأنه لا يمتنع أن يقال أنه يرضى بها ولكن لأعلى وجه التخصيص بل يقال يرضى بكل ما خلقه وقضاه وقدره ولا يفرد من ذلك الأمور المذمومة كما يقال هو رب كل شيء ولا يقال رب كذا وكذا للأشياء الحقيرة الخسيسة وهذا تصريح منهم بأنه راض بها في نفس الامر وانما امتنع الاطلاق أدبا واحتراما فقط فلما أورد عليهم قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) أجابوا عنه بجوابين أحدهما لم يقع منه وأما من وقع منه فهو رضاء إذ هو بمشيئته واراادته والثاني لا يرضاه لهم ديناً أي لا يشعره لهم ولا يأمرهم به ويرضاه منهم كونا وعلى قولهم فيكون معنى الآية ولا يرضى لعباده الكفر حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضيه وهذا في البطلان والفساد كما تراه وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك وان وقع بمشيئته كما قال تعالى (وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه وكذلك قوله سبحانه (والله لا يحب الفساد) فهو سبحانه لا يحب كونا ولا ديناً وان وقع بتقديره كما لا يحب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربههم وخالقهم فمن جعل الحبة والرضا بمعنى الارادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محبا لإبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم والظلمة وفعلهم وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والاجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ما عليه فطر العالمين التي لم تغير بالتواطى والتواصي بالاقوال الباطلة وقد أخبر سبحانه أنه يمتق أفعالا كثيرة ويكرها ويغضها ويستخطها فقال (ولا تسكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) وقال (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) وقال (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال (ولكن كره الله أنبعائهم فشطهم) ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الامرية لأنه أمرهم بالجهد وقال (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) فآخر أنه يكره ويغض ويمقت ويستخط ويعدى ويذم ويلعن ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لا يليق ذلك به بسببه فإنه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغى والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك الى الله تبارك وتعالى وهذا الاصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مشيى القدر وغلطهم فيه يوازن غلط النفاة في إنكار القدر أو هو أقبح منه وبه تساط عليهم النفاة وتمادوا على قبس قولهم وأعظموا الشناعة

عالمهم به فهو لاء قالوا يجب الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغى والفساد وأولئك قالوا لا يدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه وأولئك قالوا لا يكون في ملكه الامايجه ويرضاه وهؤلاء قالوا يكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون فسيحان الله وتعالى عما يقول الفريقان علوا كبيرا والحمد لله الذى هدانا لما أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وفطر عليه عباده وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء فله الحمد والمنة والفضل والتعمة والثناء الحسن ونسأله التوفيق لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا مضلات البدع والفتن

الباب التاسع والعشرون

في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والامر والاذن والجعل والكلمات

والبعث والارسل والتجريم والانشاء الى كونه متعلق بخلقه والى ديني

متعلق بأمره وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال

هذا الباب متصل بالباب الذى قبله وكل منهما يقرر لصاحبه فما كان من كونه فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الدين فهو متعلق بالاهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخاق والأمر فالخاق قضاءه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه فهو الذى خاق وشرع وأمر وأحكمه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لاحد عن حكمه الكونى القدرى وأما حكمه الدينى الشرعى فيعصيه الفجار والنفاق والأمران غير متلازمين فقد يقضى ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيائهم وينتق الأمران عمالم يقع من المعاصى والفسق والكفر وينفرد القضاء الدينى والحكم الشرعى في ما أمر به وشرعه ولم يفعل المعاصى وينفرد الحكم الكونى فيما وقع من المعاصى اذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان كونى قدرى كقوله (فلما قضينا عليه الموت) وقوله (وقضى بينهم بالحق) وشرعى دينى كقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا الاياه) أى أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لمسا عبيد غير الله والحكم أيضا نوعان فالكونى كقوله (قل رب احكم بالحق) أى افعل ما تنصير به عبادك وتخذل به أعداءك والدينى كقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ان الله يحكم ما يريد) وقد يرد بالمعنيين معا كقوله (ولا يشرك في حكمه احدا) فهذا يتناول حكمه الكونى وحكمه الشرعى والارادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى (فعل لما يريد) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية) وقوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وقوله (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض) والدينية كقوله (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله (والله يريد أن يتوب عليكم) فلو كانت هذه الارادة كونية لما حصل العسر لاحد منا ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الامر والارادة هل هما متلازمان أم لا فقالت القدورية الامر يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتدفع وقالت المنتبة الامر لا يستلزم الارادة واحتجوا بحجج لاتدفع والصواب أن الامر يستلزم الارادة الدينية ولا يستلزم الارادة الكونية فانه لا يأمر الا بما يريد شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريد كونا وقدرا كما ين

من أمره ولم يوفقه للإيمان مرادله دينا لاكونا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يردده كونا وقدرنا وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرنا وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالآيمان فرق قته سبحانه لم يجب من إبراهيم ذبح ولده وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالآيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسوله ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووقفه له وحذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الامر منهم وحصلت من الامر بالذبح

فصل وأما الكتابة فالكونية كيقوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله (كتب عليه أنه من تولاه فانه يضلّه ويهديه الى عذاب السعير) والشرعية الامرية كيقوله (كتب عليكم الصيام) وقوله (حرمت عليكم ما باتكم) الى قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس) فالاولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الامر

فصل والامر الكوني كيقوله (إنما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون) وقوله (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) وقوله (وكان أمر الله مفعولا) وقوله (وكان أمرا مقضيا) وقوله (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فهذا أمر تقدير كوني لأمر ديني شرعي فان الله لا يأمر بالفيحشاء والمعنى قضينا ذلك وقدرناه وقالت طائفة بل هو أمر ديني والمعنى أمرناهم بالطاعة نخالفوننا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوده* أحدها أن الاضمار على خلاف الاصل فلا يصار اليه الا اذا لم يمكن تصحيح الكلام بدون* الثاني أن ذلك يستلزم اضمارن أحدهما أمرناهم بإطاعتنا الثاني نخالفوننا وعصونا ونحو ذلك* الثالث أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا* الرابع أنه سبحانه جعل سبب هلك القرية أمره المذكور ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح ان يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فان قيل أمره بالطاعة مع النسق هو سبب الهلاك قيل هذا يبطل بالوجه* الخامس وهو أن هذا الامر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسوله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الامر بالطاعة بالمترفين بوضوح* الوجه السادس ان الامر لو كان بالطاعة لكان هو نفس ارسال رسله اليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال ارسلنا رسلا الى مترفيها ففسقوا فيها فان ارسال لو كان الى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل اليها* السابع أن ارادة الله سبحانه لاهلاك القرية إنما يكون بعد ارسال الرسل اليهم وتكذيبهم والاقبل ذلك هو لا يريد اهلاكم لانهم معذرون بغفائهم وعدم بلوغ الرسالة اليهم قال تعالى (وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) فإذا أرسل الرسل فكذبهم أراد اهلاكم فامر رؤسائهم ومترفيها أمرا كونيا قدريا لا شرعا دينا بالنسق في القرية فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم حينئذ جاء أمر الله وحق سلطانه بالاهلاك والقصود ذكر الامر الكوني والديني ومن الدين قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وقوله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) وهو كثير

فصل - وأما الاذن الكونى فكقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) أى بمشيئته وقدره وأما الدينى فكقوله (ما قطعن من لينة أو تركنموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أى بأمره ورضاه وقوله (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلنم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم أم على الله تفترون) وقوله (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما يأذن بالله)

فصل - وأما الجعل الكونى فكقوله (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) وقوله (وجعل الرجس على الذين لا يعقلون) وقوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) وهو كثير وأما الجعل الدينى فكقوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) أى ما شرع ذلك ولا أمر به ولا نهى عن خلق له واقع بقدره ومشيئته وأما قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) فهذا يتناول الجليلين فأنها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالا لما مشترك في معنيه بل اطلاق اللفظ وارادة القدر المشترك بين معنيه فأمله

فصل - وأما الكلمات الكونية فكقوله (وكذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) وقوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا اخرج من شر ما خلق فهذه كلماته الكونية التى يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هى التى يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار وأما الدينى فكقوله (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) والمراد به القرآن وقوله صلى الله عليه وسلم فى النساء واستحلتم فروجهن بكلمة الله أى باباحته ودينه وقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) وقد اجتمع النوعان فى قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) فككتبه كلماته التى يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التى يخلق بها ويكون فاضبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جهة مخلوقاته

فصل - وأما البعث الكونى فكقوله (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأسا شديدا) وقوله (فبعث الله غرابا يبحث فى الارض) وأما البعث الدينى فكقوله (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم) وقوله (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)

فصل - وأما الارسال الكونى فكقوله (ألم تر انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا) وقوله (وهو الذى أرسل الرياح) وأما الدينى فكقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا)

فصل - وأما التحريم الكونى فكقوله (وحرمننا عليه المراضع من قبل) وقوله (قال فلها محرمة عليهم أربعين سنة) وقوله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وأما التحريم الدينى فكقوله (حرمت عليكم أمهاتكم وحرمت عليكم المنيعة وحرمت عليكم صيد البر ما دمتم حرما وأحل الله البيع وحرم الربا)

فصل - وأما الايتاء الكونى فكقوله (والله يؤتى ملكه من يشاء) وقوله (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) وأما الايتاء الدينى فكقوله (وما أناكم

الرسول فخذوه) وقوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) وأما قوله (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) فهذا يتناول النوعين فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينها وتوفيقا وإلهاما

(فصل) وانيأود ورسله واتباعهم حظهم من هذه الامور الدينية منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني فحيت مآمال القدر مآلوا معه فدينهم دين القدر ودين انرسل واتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره وخضعا لله يعصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله نعم مع مراده الديني أو الكوني ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده اذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ولم يعاقبه ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله وبالله التوفيق

الباب الموفي ثلاثين

في ذكر الفطرة الأولى ومعناها واختلاف الناس في المراتبها

وانها لاتنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال

قال تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرنا الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما ينتج الهمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أتم فتمجدعونها ثم قرأ أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي لفظ آخر ما من مولود الا يولد على هذه الملة وقد اختلف في معنى هذه الفطرة والمراد بها فقال القاضي أبو يعلى في معنى الفطرة هاهنا روايتان عن أحمد أحدهما الاقرار بمعرفة الله تعالى وهو العهد الذي أخذه الله عليهم في أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم فاخرج من ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى فليس أحد الا هو يقرباً له صانعا ومدبرا وان سماه بغير اسمه قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فكل مولود يولد على ذلك الاقرار الأول قال وليس الفطرة هنا الاسلام لوجهين أحدهما أن معنى الفطرة ابتداء الخلق ومنه قوله تعالى (فاطر السموات والارض) أي مبتدئها واذ كانت الفطرة هي الابتداء وجب أن تكون تلك هي التي وقعت لأول الخليفة وجرت في فطرة المعقول وهو استخراجهم ذرية لأن تلك حالة ابتدائهم ولانها لو كانت الفطرة هنا الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثهما ولا يرثانه مادام طفلا لانه مسلم واختلاف الدين يمنع الارث ولوجب أن لا يصح استرقاقه ولا يحكم باسلامه باسلام أبيه لانه مسلم قال وهذا تأويل ابن قتيبة وذكره ابن بطلة في الابانة قال وليس كل من ثبت له المعرفة حكم باسلامه كالبالغين من الكفار فان المعرفة حاصلة وليسوا بمسلمين قال وقد أوما أحمد الى هذا التأويل وفي رواية النعموني

فقال الفطر الأولي اني فطر الناس عليها فقال له الميعوني بفطره من ثم قال اماضي وأراد
أحمد بالدين المعرفة التي ذكرناها قال والرواية الثانية الفطرة هنا ابتداء خلقه في بطن أمه لأن حمالة
على العهد الذي أخذ عليهم وهو الاقرار بمعرفة حمل للفطرة على الاسلام لأن الاقرار بالمعرفة
اقرار بالآي من المؤمنين مسلم ولو كانت الفطرة الاسلام لوجب اذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثاه
ولا يرثهما قال ولأن ذلك يمنع أن يكون الكفر خلقا لله وأصول أهل السنة بخلافه قال وقد أوما
أحمد الى هذا في رواية على بن سعيد وقد سأله عن قوله كل مولود يولد على الفطرة فقال على الشقاوة
والسعادة ولذلك نقل محمد بن يحيى الكحال انه سأله فقال هي التي فطر اناس عليها شق أو سعيد
وكذلك نقل جليل عنه قال الفطرة التي فطر الله عليها العباد من الشقاوة والسعادة قال وهذا كله
يدل من كلامه على أن المراد بالفطرة هاهنا ابتداء خلقه في بطن أمه قال شيخنا أبوالمعالي ابن تيمية
أحمد لم يذكر العهد الأول وإنما قال الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها وهي الدين وقال في غير
موضع ان الكافر اذا مات أبواه أو أحدهما حكم باسلامه واستدل بهذا الحديث فدل على أنه فسر
الحديث بأنه يولد على فطرة الاسلام كجاء ذلك مصرح به في الحديث ولوم تكن الفطرة عنده الاسلام
لما صح استدلاله بالحديث وقوله في موضع آخر يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة لا يثاني ذلك
فان الله سبحانه قدر السعادة والشقاوة وكتبهما وقدر أنها تكون بالاسباب التي تحصل بها كفعل الابوين
قهيود الابوين وتنصيرهما وتمجيسهما هو ما قدره الله انه يفعل بالمولود والمولود ولد على الفطرة سائما وولد
على أن هذه الفطرة السليمة يغيرها الابوان كما قدر سبحانه ذلك وكتبه كما مثل النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك بقوله كما ينتج البهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء فيبين أن البهيمة تولد سائمة ثم يجدعها الناس
وذلك بقضاء الله وقدره فكذلك المولود يولد على الفطرة سائما ثم يفسده أبواه وذلك أيضا بقضاء
الله وقدره وإنما قال أحمد وغيره من الأئمة على ما فطر عليه من شقاوة أو سعادة لان القدرة محتجون
بهذا الحديث على أن الكفر والمعاصي ليس بقضاء الله وقدره بل مما ابتدأ الناس إحداثه ولهذا قالوا
لما نكح بن أنس أن القدرة محتجون علينا بأول الحديث فقال احتجوا عليهم بآخره وهو قوله الله
أعلم بما كانوا عاملين فيبين الامام أحمد وغيره أنه لا حاجة فيه للقدرة فانهم لا يقولون ان نفس الابوين
خلقاً تهويده وتنصيره بل هو تهود وتنصير باختياره ولكن كانا سببا في حصول ذلك بالتعليم والتلقين
فاذا أضيف اليهما هذا الاعتبار فلا بد أن يضاف الى الله الذي هو خالق كل شيء بطريق الأولى لأنه
سبحانه وان كان خلقه مولودا على الفطرة سائما فقد قدر عليه ما سيكون بعد ذلك من تغييره وعلم
ذلك كما في الحديث الصحيح ان الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو بلغ لارهق أبويه
طغيانا وكفرا فقوله طبع يوم طبع أى قدر وقضى في الكتاب أنه يكفر لان كفره كان موجودا
قبل أن يولد ولا في حال ولادته فانه مولود على الفطرة السليمة وعلى أنه بعد ذلك يتغير ويكفر ومن
ظن أن الطبع على قلبه وهو الطبع المذكور على قلب الكفار فهو غالب فان ذلك لا يقال فيه طبع
يوم طبع اذ كان الصبي على قلبه انما يوجد بعد كفره وقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى انه قال خلقت عبادة حنفاء كلهم
فاختلهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وهذا

صرح في أنه خلقهم على الحنيفية وإن الشياطين اختلهم بعد ذلك وكذلك في حديث الأسود بن سريع الذي رواه أحمد وغيره قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فافضى بهم القتل إلى الذرية فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما حكمكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله ليسوا أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم خلبيا فقال لا أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فخطبته لهم بهذا الحديث عقيب نفيه لهم عن قتل أولاد المشركين وقوله لهم أوليس خياركم أولاد المشركين نص أنه أراد بهم ولدوا غير كفار ثم الكفر طرأ بعد ذلك ولو أراد أن المولود حين يولد يكون إما مسلما وإما كافرا على ما سبق له به القدر لم يكن فيما ذكر حجة على ما قصد من نفيه عن قتل أولاد المشركين وقد ظن بعضهم أن معنى قوله أوليس خياركم أولاد المشركين أنه قد يكون في علم الله أنهم لو بقوا الأمنوا فيكون النبي راجعا إلى هذا المعنى من التجوز وليس هذا معنى الحديث لكن معناه أن خياركم هم السابقون الأولون وهؤلاء من أولاد المشركين فإن آباءهم كانوا كفارا ثم إن البنين أسلموا بعد ذلك فلا يضر الطفل أن يكون من أولاد المشركين إذا كان مؤمنا فإن الله إنما يميزه بعمله لا بعمل أبيه وهو سبحانه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن كما يخرج الحلي من الميت ويخرج الميت من الحلي

(فصل) وهذا الحديث قد روي بالفاظ تفسر بعضها بعضها في الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيح قال الزهري نضلى على مولود يتوفى وإن كان ٣ من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام إذا استهل صارخا ولا نضلى على من لم يستهل من أجل أنه سقط فإن أبا هريرة كان يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود إلا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها وفي الصحيحين من رواية الأعمش ما من مولود إلا وهو على الفطرة وفي رواية ابن معاوية عنه الأعلى هذه الملة حتى يعرب عنه لسانه فهذا صريح بأنه يولد على ملة الإسلام كما فسره ابن شهاب راوى الحديث واستشهد أبي هريرة بالآية يدل على ذلك قال ابن عبد البر وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أئجزى أن يمتهن وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة وقال أبو عمر وقد ذكر النزاع في تفسير الحديث وقال آخرون إن فطرة هاهنا الإسلام وهو المنعروف عند عامة الساف أهل التأويل قد أجمعوا في تأويل قول الله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الإسلام واحتجوا بقول أبي هريرة في هذا الحديث أقرؤا أن شتم فطرة الله التي فطر الناس عليها وذكروا عن عكرمة ومجاهد والحسن وأبراهيم والضحاك وقادة في قوله عز وجل (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قالوا فطرة الله دين الله الإسلام لا تبديل لخلق الله قالوا لدين الله واحتجوا بحديث محمد بن إسحاق عن نور بن يزيد عن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن عابد الأزدي عن عياض بن حماد الحاشمي أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال لئناس يوما لأحدثنكم بما حدثني الله في الكتاب إن الله خلق آدم وبنه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حلالا لأحرام فيه فحملوا ما أعطاهم الله حراما وحلالا الحديث قال وكذلك روى بكر بن مهاجر عن ثور بن يزيد بإسناده مثله في هذا الحديث حنفاء مسلمين قال أبو عمر روى هذا الحديث قتادة عن مطرف بن عبد الله عن عياض ولم يسمعه قتادة من مطرف ولكن قال حدثني ثلاثة عتبة بن عبد العافر وي زيد بن عبد الله بن الشحير والعلاء بن زياد كلهم يقول حدثني مطرف عن عياض عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيه وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم لم يقل مسلمين وكذلك روى الحسن عن مطرف ورواه ابن اسحاق عن لاتيهم عن قتادة بإسناده قال فيه وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولم يقل مسلمين قال فدل هذا على حفظ محمد بن اسحاق وأتقانه وضبطه لأنه ذكر مسلمين في روايته عن ثور بن يزيد لهذا الحديث واسقطه من رواية قتادة وقصر فيه عن قوله مسلمين وزاده ثور بإسناده قاله أعلم قال والحنيف في كلام العرب المستقيم المخلص ولا استقامة أكثر من الاسلام قال وقد روى عن الحسن الحنيفة حج البيت وهذا يدل أنه أراد الاسلام وكذلك روى عن الضحاك والسدي قال حنفاء حجاجا وعن مجاهد حنفاء متبعين قال وهذا كله يدل على أن الحنيفة الاسلام قال وقال أكثر العلماء الحنيف المخلص وقال الله عز وجل (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) وقال تعالى (ملة إبراهيم حنيفا مسلما) وقال (ملة إبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) وقال الشاعر وهو الراعي

أخليفة الرحمن إنا معشر حنفاء نسجد بكرة وأصيلا
عرب نرى لله في أموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا


قال فهذا وصف الحنيفة بالاسلام وهو أمر واضح لاختفاء به قال وما احتج به من ذهب في هذا الحديث الى أن الفطرة في هذا الحديث الاسلام قوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة ويروى عشر من الفطرة قال شيخنا والدلائل على ذلك كثيرة ولولم يكن المراد بالفطرة الاسلام لما سألوا عقيب ذلك أرايت من يموت من اطفال المشركين لأنه لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه والعلم القديم وما يجري مجراه لا يغير وقوله فابواه يهودانه بين فيه أنهم يغيرون الفطرة التي فطر عليها وأيضا فانه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخاق لا تنقص فيها ثم تجدد بعد ذلك فعلم أن التغيير وارد على الفطرة السليمة التي ولد العبد عليها وأيضا فإن الحديث مطابق للقرآن كقوله (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وهذا يعم جميع الناس فعلم أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وأيضا فانه أضاف الفطرة اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقته وأيضا فانه قال فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأيضا فإن هذا تفسير الساف قال ابن جرير يقول فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد بطاعته وهي الدين حنيفا يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله يقول صنعة الله التي خلق الناس عليها ونصب فطرة على المصدر معنى قوله فاقم وجهك للدين حنيفا لأن المعنى فطر الله الناس على ذلك فطرة ذل وبخو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ثم روى عن ابن زيد قال فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الاسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقولون بذلك وعن مجاهد فطرة الله قال

الدين الاسلام ثم روى عن يزيد بن ابي مريم قال عمر لمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الامة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الاخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت وقوله لا تبديل لحق الله يقول لا تغير لدين الله اى لا يصاح ذلك ولا ينبغي أن يفعل قال ابن ابي نجيح عن مجاهد لا تبديل لحق الله اى لدين الله ثم ذكر ان مجاهدا أرسل الى عكرمة يسأله عن قوله لا تبديل لحق الله قال هو الحسا قال مجاهد اخطأ لا تبديل لحق الله انما هو الدين ثم قال لا تبديل لحق الله ذلك الدين القيم وروى عن عكرمة لا تبديل لحق الله قال لدين الله وهو قول سعيد بن جبير والضحاك وابراهيم النخعي وابن زيد وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد هو الحسا ولا منافاة بين القولين كما قال تعالى (ولا مرهن فليبتكن آذان الانعام ولا مرهنهم فليغيرن خلق الله) فتغير ما فطر الله عباده من الدين تغيير خلقه والحسا وقطع آذان الانعام. تغيير خلقه أيضا ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما بالآخر فالوكلان يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الحاقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه

فصل ولما صار القدرية يحتجون بهذا الحديث على قولهم صار الناس يتأولونه على تأويلات يخرجونها بها عن مقتضى فقالت القدرية كل مولود يولد على الاسلام والله سبحانه لا يضل أحدا وانما أبواه يضلانه قال لهم أهل السنة أتم لا تقولون بول الحديث ولا بآخره اما أوله فانه لم يولد أحد عندكم على الاسلام أصلا ولا جعل الله أحدا مسلما ولا كافرا عندكم وهذا أحدث بنفسه الكفر وهذا أحدث لنفسه الاسلام والله لم يخلق واحدا منهما ولكن دعاهما الى الاسلام وأزاح علمهما وأعطاهما قدرة ماثلة فهما يصاح للضدين ولم يخص المؤمن بسبب يقتضى حصول الايمان فان ذلك عندكم غير مقدور له ولو كان مقدورا لكان منع الكافر منه ظلما هذا قول عامة القدرية وان كان أبو الحسن يقول انه خص المؤمن بداعي الايمان ويقول عبد الداعي والقدرة يجب وجرد الايمان وهذا في الحقيقة موافق لقول أهل السنة قالوا فاتم قائم ان معرفة الله لا تحصل الا بالنظر المشروط بالعقل ويستحيل أن تكون المعرفة عندكم ضرورة أو تكون من فعل الله وأما كنكم لا تقولون بآخره فهو انه ينسب فيه التهود والتبصير الى الابوين وعندكم أن المولود هو الذي أحدث لنفسه التهود والتبصير دون الابوين والابوان لا قدرة لهما على ذلك البتة وأيضا فقله الله أعلم بما كانوا عاملين دليل على ان الله يعلم ما يصيرون اليه بعد ولادتهم على الفطرة هل يبقون عليها فيكونون مؤمنين أو يغيرون فيصيرون كفارا فهو دليل على تقدم العلم الذى يشكروه غلاة القدرية واتفق السانف على تكفيرهم بانكاره فالذى استدلتهم به من الحديث على قولكم الباطل وهو قوله فابواه يهودانه وينصرانه لا حاجة لكم بل هو حجة عليكم فغير الله لا يتقدر على جعل الهدى او الضلال في قاب أحد بل المراد بالحديث دعوة الابوين الى ذلك وترتيبهما له وترتيبهما على ذلك بما يفعله المعلم والمرتب الابوين بالذكر على الغالب انه جعل ابوان والافقد يقع من أحدهما أو من غيرهما

(فصل) قال أبو عمر بن عبد البر اختلف العلماء في الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلافا كثيرا وكذلك اختلفوا في الاطفال وحكمهم في الدنيا والآخرة فمثل عنه ابن المبارك فقال تفسيره آخر

الحديث وهو قوله الله اعلم بما كانوا عاملين هكذا ذكر ابو عبيد عن ابن المبارك لم يزد شيئاً وذكر انه سأل محمد بن الحسن عن تأويل هذا الحديث فقال كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يؤمر الناس بالجهاد هذا ما ذكره أبو عبيدة قال ابو عمر أما ما ذكره عن ابن المبارك فقد روى عن مالك نحو ذلك وليس فيه مقتع من التأويل ولا شرح موعب في أمر الاطفال ولكنها تؤدى الى الوقوف عن القطع فيهم بكفر وإيمان أو حنة ونار مالم يباغوا العمل قال واما ما ذكره عن محمد بن الحسن فانضم محمد احدى عن الجواب فيه اما لاشكاله واما لجهله به او لما شاء الله واما قوله ان ذلك كان من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤمر الناس بالجهاد فلا درى ما هذا فان كان اراد ان ذلك منسوخ فغير جائز عند العلماء دخول النسخ في اخبار الله ورسوله اذ الخبر بشئ كان او يكون اذا رجع عن ذلك لم يحل رجوعه من تكذيبه لنفسه او غاظه فيما اخبر به او نسيانه وقد حل الله عن ذلك وعصم رسوله منه وهذا لا يجهله ولا يخالف فيه احد وقول محمد بن الحسن ان هذا كان قبل ان يؤمر الناس بالجهاد ليس كما قال ان في حديث الاسود بن سريع ما يبين ان ذلك كان منه بعد الامر بالجهاد ثم روى بسنده عن الحسن عن الاسود بن سريع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان فقال رجل اوليس انما هم اولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوليس خباركم اولاد المشركين انه ليس من مولود يولد الاعلى الفطرة حتى يعبر عنه لسانه ويهوده ابواه او نصرانه قال وروى هذا الحديث عن الحسن جماعة منهم أبو بكر المزني والعملاء بن زياد والمصري بن يحيى وقد روى عن الاخنف عن الاسود بن سريع قال وهو حديث بصري صحيح قال وروى عوف الاعرابي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فساداه الناس يارسل الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين قال شيخنا اما ما ذكره ابو عمر عن مالك وابن المبارك فيمكن أن يقال ان المقصود ان آخر الحديث يبين ان الاول قد سبق في علم الله يعملون اذا باغوا أو ان منهم من يؤمن فيدخل الجنة ومنهم من يكفر فيدخل النار فلا يخرج بقوله كل مولود يولد على الفطرة على نفي القدر كما احتجبت القدرية به وعلى ان اطفال الكفار كلهم في الجنة لكونهم ولدوا على الفطرة فيكون مقصود مالك وابن المبارك ان حكم الاطفال على ما في آخر الحديث وأما قول محمد فانه رأى الشريعة قد استقرت على ان ولد اليهودي والنصراني يتبع أبوه في الدين في أحكام الدنيا فيحكم له بحكم الكفر في أنه لا يصلي عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه المسلمون ويجوز استرقاقهم فلم يحز لاحد ان يخرج بهذا الحديث على ان حكم الاطفال في الدنيا حكم المؤمنين حتى تعرب عنهم السنتهم وهذا حق ولكن ظن أن الحديث اقتضى الحكم لهم في الدنيا باحكام المؤمنين فقال هذا منسوخ كان قبل الجهاد لانه بالجهاد أصبح استرقق النساء واطفال المؤمنين لاسترقق ولكن كون الطفل يتبع أباه في الدين في الاحكام الدينية أمر مازال مشروعا وما زال الاطفال تبعاً لآبائهم في الامور الدينية والحديث لم يقصد بيان هذه الاحكام وانما قصد بيان ما ولد عليه الاطفال من الفطرة

فصل  وما ينبغي أن يعلم انه اذا قيل انه ولد على الفطرة أو على الاسلام أو على هذه

الملة أو خالق حنيف فليس المراد به أحسن من الله بل هو الذي علم هذا الدين ويريد أن الله يقول (والله أخرجكم من بطون أمماتكم لاتعلمون شيئا) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الاسلام لقربوه ومحبه نفوس الفطرة تستلزم الاقرار بخالقه ومحبه واخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة اذا ساءت من المعارض وليس المراد أيضا بمجرد قبول الفطرة لذلك فان هذا القبول تغير بهويد الابوين وتفسيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها وان سعيها بين بينهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول وأيضا فان هذا القبول ليس هو الاسلام وليس هو هذه الملة وليس هو الحنيفية وأيضا فانه شبه تغير الفطرة بمجرد البهيمه الجمعاء ومعلوم انهم لم يغيروا قبوله ولو تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل واتزال الكتب بل المراد ان كل مولود فانه يولد على فطرته لفطرته واقاراره له بربوبيته وادعائه له بالعبودية فلو خلى وعدم المراض لم يبدل عن ذلك الى غيره كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الاغذية والاشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه وينبغي وهذا من قوله تعالى (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقوله (الذي خالق فسوى والذي قدر فهدى) فهو سبحانه خالق الحيوان مهتديا الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يعرض لكثير من الابدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة فهكذا ما ولد عليه من الفطرة ولهذا شبهت الفطرة باللبن بل كانت اياه في التناويل للرؤيا ولما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء اللبن والتمر أخذ اللبن فقبل له أخذت الفطرة ولو أخذت التمر لغوت أمك فتناسبه اللبن لبذنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها

فصل قال ابن عبد البر وقالت طائفة المراد بالفطرة في هذا الحديث الحلقة التي خالق عليها المولود من المعرفة بربه فكانه قال كل مولود يولد على فطرته يعرف بهاربه اذا بلغ مبلغ المعرفة يريد انه خالق خلقته مخالفة لحلقة البهائم التي لاتصل بخلقها الى معرفتها بها قالوا والفطر هو الخالق وأنكرت أن يكون المولود يفطر على ايمان أو كفر قال شيخنا صاحب هذا القول ان أراد بالفطرة التمكن من المعرفة والقدرة عليها فهذا ضعيف فان بمجرد القدرة على ذلك لا يقتضى أن يكون حنيفا ولا أن يكون على الملة ولا يحتاج أن يذكر تغير أيوبه لفطرته حين يسئل عمن مات صغيرا ولأن القدرة في الكبير أكل منها في الصغير وهو لما نهاهم عن قتل الصبيان فقالوا انهم أولاد المشركين قال أوليس خياركم أولاد المشركين ما من مولود الا ويولد على الفطرة ولو أريد القدرة لكانت بالفطرون كذلك مع كونهم مشركين مستوحين للقتل وان أراد بالفطرة القدرة على المعرفة مع ارادتها بالقدرة الكلمة مع الارادة التامة تستلزم وجود المراد المقدور فدل على انهم فطروا على القدرة على المعرفة وارادتها وذلك مستلزم للإيمان

فصل قال أبو عمر وقال آخرون معنى قوله يولد على الفطرة يعني البداءة التي ابتدأهم عليها يريد انه مولود على ما فطر الله عليه خلقته من انه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء الى ما يصيرون اليه عند البلوغ من قبولهم غير ايمانهم واعتقادهم قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاظ المتبدى وكأنه قال يولد على ما ابتدأ الله عليه من الشقاء والسعادة وغير ذلك مما يصير اليه

وقد فطر عليه واحتجوا بقوله تعالى (كابدكم تعبدون فريقا هدى وفريقا حق عليه الضلالة) وروى
 ناسناده الى ابن عباس قال لم أدر ما فاطر السموات والارض حتى أتانا اعرابيان يختصمان في بئر
 فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها وذكر دعاء على اللهم جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها
 قال شيخنا حقيقة هذا القول ان كل مولود فانه يولد على ماسبق في علم الله انه صائر اليه ومعلوم ان جميع المخلوقات
 بهذه المثابة فجميع البهائم مولودة على ماسبق في علم الله لها والاشجار مخلوقة على ماسبق
 في علم الله وحينئذ فيكون كل مخلوق قد خلق على الفطرة وأيضا فلو كان المراد ذلك لم يكن
 لقوله قابواه يهودانه معنى قائما به ما هو الفطرة التي ولد عليها وعلى هذا القول فلا فرق
 بين اليهود والتتير وبين تلقى الاسلام وتعليمه وبين تعلم سائر الحرف والصنائع فان ذلك كله
 واحد فيما سبق به العلم وأيضا فتمتيله ذلك بالبهيمة التي ولدت جمعاء ثم جدت تبين ان أبويه غيرا
 ولدعاهيه وأيضا فبقوله على هذه الملة وقوله انى خلقت عبادى حنفاء يخالف لهذا وأيضا فلا فرق بين
 حال الولادة وسائر أحوال الانسان فانه من حين كان جنينا الى مالا نهاية له من أحواله على ماسبق
 في علم الله فنخصيص الولادة بكونها على مقتضى القدر تخصيص بلا تخصص وقد ثبت في الصحيح
 انه قيل حين نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فلو قيل كل مولود ينفخ فيه الروح
 على الفطرة لكان أشبه بهذا المعنى مع ان النفخ هو بعد الكتابة

فصل قال أبو عمر قال محمد بن نصر المروزي وهذا المذهب شبيه بما حكاه أبو عبيد عن
 ابن المبارك انه سئل عن هذا الحديث فقال بفسره قوله الله أعلم بما كانوا عاملين قال المروزي وقد
 كان أحمد بن حنبل يذهب الى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر وما رسمه مالك في موطاه وذكر
 في أبواب القدر فيمن الآثار ما يدل على ان مذهبه في ذلك نحو هذا قال شيخنا أئمة السنة مقصودهم
 ان الخلق صائر الى ماسبق في علم الله فيهم من إيمان وكفر كما في الحديث الآخر ان الغلام الذي
 قبله الخضر طبع يوم طبع كافرا والطبع الكتاب اى كتب كافرا كما في الحديث الصحيح فيكتب
 رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد وليس اذا كان الله كتبه كافرا يقتضى انه حين الولادة كافر بل
 يقتضى انه لا بد أن يكفر وذلك الكفر هو التغير كما أن البهيمة التي ولدت جمعاء وقد سبق في علمه
 انها تجدد كتب انها مجدوعة بجدغ يحدث لها بعد الولادة ولا يجب أن تكون عند الولادة مجدوعة

فصل وكلام أحمد في اجوبة له أخرى يدل على ان الفطرة عنده الاسلام كما ذكر محمد
 ابن نصر عنه انه آخر قوليه فانه كان يقول ان صبيان أهل الحرب اذا سبوا بدون الابوين كانوا
 مسلمين وان كانوا معهم فهم على دينهما فان سبوا مع أحدهما فنيه عنه وروايتان وكان يحتج بالحديث قال
 الحلال في الجامع أنبأنا أبو بكر المروزي أنبأنا عبد الله قال سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا
 صفارا وان كانوا مع أحد الابوين وكان يحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قابواه يهودانه
 وينصرانه قال وأما أهل التفر فيقولون اذا كان مع أبويه انهم يخبرونه على الاسلام قال ونحن لا نذهب الى
 هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قابواه يهودانه وينصرانه قال الحلال أنبأنا عبد الملك الميموني قال
 سألت أبا عبد الله قبل الحبس عن الصغير يخرج من أرض الروم وليس معه أبواه فقال ان مات صلى عليه
 المسلمون قلت يكره على الاسلام قال اذا كانوا صفارا يصلون عليهم أكره عليه قلت فان كان

معه أبواه قال اذا كان معه أبواه أو أحدهما لم يكره ودينه على دين أبويه قلت الى أى شئ يذهب الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه قال نعم وعمر بن عبد العزيز فادى به فلم يرد به الى بلاد الروم الا وحكمه حكمهم قلت في الحديث كان معه أبواه قال لا وليس ينبغي الا أن يكون معه أبواه قال الحلال مارواه الميموني قول أول لابي عبد الله ولذلك نقل اسحاق بن منصور ان أبا عبد الله قال اذا لم يكن معه أبواه فهو مسلم قلت لا يجبرونه على الاسلام اذا كان معه أبواه أو أحدهما قال نعم قال الحلال وقد روى هذه المسئلة عن أبي عبد الله خاق كلهم قال اذا كان مع أحد أبويه فهو مسلم وهؤلاء الفر سمعوا من أبي عبد الله بعد المجلس وبعضهم قبل وبعد والذي أذهب اليه مارواه الجماعة قال الحلال وحدنا أبو بكر المروزي قال قلت لابي عبد الله انى كنت بواسط فسألوني عن الذى يموت هو وامرأته ويعدا طفلين ولهما عم ماتقول فيهما فانهم تدكبتوا الى البصرة فيها فقال أكره أن أقول فيها برأى دع حتى أنظر لعل فيها عمن تقدم فلما كان بعد شهر عاودته قال نظرت فيها فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قال فابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس له أبوان قلت يجبر على الاسلام قال نعم هؤلاء مسلمون لقول النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك نقل يعقوب بن سحبان قال قال أبو عبد الله اذا مات الذمى أبواه وهو صغير أحبر على الاسلام وذكر الحديث فابواه يهودانه وينصرانه ونقل عنه عبد الكريم بن الهيثم العاقولي في الجوسيين يولد لهما ولد فيقولان هذا مسلم فيمكث خمس سنين ثم يتوفي قال ذاك يدفعه المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه وقال عبد الله بن أحمد سألت أبي عن قوم يزوجون بناتهم من قوم على انه ماكان من ذكر فهو لارجل مسلم وماكان من أثنى فهي مشركة يهودية أو مجوسية أو نصرانية فقال يجبر هؤلاء من أبائهم على الاسلام لأن أباهم مسلمان لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فابواه يهودانه وينصرانه يردون كلهم الى الاسلام ومثل هذا كثير في أجوبته يحتاج بالحديث على انما يصير كافرا بابويه فاذا لم يكن مع أبوين كافرين فهو مسلم فلو لم تكن الفطرة الاسلام لم يكن بعدم أبويه يفسر مسلمان فان الحديث انما دل على انه يولد على الفطرة ونقل عنه الميموني ان الفطرة هي الدين وهي الفطرة الاولى قال الحلال أخبرني الميموني انه قال لابي عبد الله كل مولود يولد على الفطرة يدخل عليه اذا كان أبواه يعنى أن يكون حكمه حكم ما كانوا صانرا فقال لي نعم ولكن يدخل عليك في هذا فتناظرنا بما يدخل على من هذا القول وبما يكون فقوله قلت لابي عبد الله فما تقول انت فيها والى اى شئ تذهب قال اقول انا ما درى اخبرك هي مسلمة كما ترى ثم قال لي والذي يقول كل مولود يولد على الفطرة ينظر أيضا الى الفطرة الاولى التي فطر الناس عليها قلت له فما الفطرة الاولى هي الدين قال نعم فمن الناس من يحتاج بالفطرة الاولى مع قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة قلت لابي عبد الله فما تقول لاعرف قولك قال اقول انه على الفطرة الاولى قال شيخنا جواب احمد انه على الفطرة الاولى وقوله انها الدين يوافق القول بانه على دين الاسلام

فصل ١٠٠ واما جواب احمد انه على ما فطر من شقاوة وسعادة الذى ذكر محمد بن نصر انه كان يقول به ثم تركه فقال الحلال اخبرني محمد بن يحيى الكحال انه قال لابي عبد الله كل

مولود يولد على الفطرة ما نصيرها قال هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها شقي أو سعيد وكذلك نقل عنه الفضل بن زياد وجبيل وأبو الحارث أنهم سمعوا أبا عبد الله في هذه المسئلة قال الفطرة التي فطر الله العباد عليها من الشقاوة والسعادة وكذلك نقل عنه علي بن سعيد أنه سأل أبا عبد الله عن كل مولود يولد على الفطرة قال الشقاوة والسعادة قال يرجع الى ما خلق وعن الحسن بن يواب قال سألت أبا عبد الله عن اولاد المشركين قلت ان ابن ابي شيبة ابا بكر قال هو على الفطرة حتى يهوداه ابواه أو ينصرانه فلم يعبه شيء من هذا القول وقال كل مولود من اطفال المشركين على الفطرة يولد على الفطرة التي خلق عليها من الشقاء والسعادة التي سبقت في ام الكتاب ارفع ذلك الى الاصل هذا معنى كل مولود يولد على الفطرة فمن احببهم من قال هذا قولاً قديماً لم يتم تركه ومنهم من جعل المسئلة على روايتين واطاق ومنهم من حكى عنه فيها ثلاث روايات الثالثة الوقف

(فصل) قال شيخنا والاجاع والآثار المنقولة عن السلف لا تدل الا على القول الذي رجحناه وهو أنهم على الفطرة ثم صاروا الى ما سبق في علم الله فيهم من سعادة وشقاوة لا يدل على أنهم حين الولادة لم يكونوا على فطرة سليمة مقتضية للإيمان ومستازمة له لولا العارض وروى ابن عبد البر بأسناده عن موسى بن عبيدة سمعت محمد بن كعب القرظي في قوله (كابدكم تعودون فريقيا هدى وفريقيا حق عليهم الضلالة) قال من ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل بعمل اهل الضلالة ومن ابتدأ خلقه للضلالة صيره الى الضلالة وان عمل بعمل اهل الهدى ابتدأ خلق ابايس على الضلالة وعمل بعمل اهل السعادة مع الملائكة ثم رده الله الى ما ابتداء خلقه عليه من الضلالة فقال وكان من الكافرين وابتدأ خلق السحرة على الهدى وعملوا بعمل اهل الضلالة ثم هدامهم الله الى الهدى والسعادة وتوفاهم عليها مسلمين فهذا المنقول عن محمد بن كعب يبين ان الذي ابتداهم عليه هو ما كتب انهم صابرون اليه وانهم قد يعملون قبل ذلك غيره وان من ابتدئ على الضلالة اي كتب ان يموت ضالاً فقد يكون قبل ذلك عاملاً بعمل اهل الهدى وحينئذ فمن ولد على الفطرة السليمة المقتضية للهدى لا يمنع ان يعرض لها ما يغيرها فيصير الى ما سبق به القدر كما في الحديث الصحيح ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة وقال سعيد بن جبير في قوله كابدكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون وقال مجاهد كما بدأكم تعودون شقي وسعيد وقال أيضاً يبعث المسلم مسالماً والكافر كافراً وقال أبو العالية عادوا الى علمه فيهم فريقيا هدى وفريقيا حق عليهم الضلالة قلت هذا المعنى صحيح في نفسه دل عليه القرآن والسنة والآثار السلفية واجماع أهل السنة وأما كونه هو المراد بالآية ففيه ما فيه والذي يظهر من الآية ان معناها معنى نظرائها وأمثالها من الآيات التي يحتاج الله سبحانه فيها على النشأة الثانية بالاولى وعلى المعاد بالمبدأ فجاء باحتجاج في غاية الاختصار والبيان فقال كما بدأكم تعودون كقولوه (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب) وقوله (وضرب لنا مثلاً ونرى خلقه) الآية وقوله (أحسب الانسان ان يترك سدى) ألم يك نطفة من منى يعني ثم كان علقة مخلوق فسوى الى قوله (أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) وقوله

(فليُنظر الانسان مم خاق خاق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجهه لقادر)
 أى على رجح الانسان حيا بمده موته هذا هو الصواب في معنى الآية يبقى أن يقال فكيف يرتبط هذا
 بقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلال فيقال هذا الذى أوجب لاحتجاب ذلك القول ما تأولوا
 به الآية ومن تأمل الآية علم أن القول أولى بها ووجه الارتباط ان الآية تضمنت قواعد الدين
 علما وعملا واعتقادا فامر سبحانه فيها بالقسط هو الذى هو حقيقة شرعه ودينه وهو يتضمن
 التوحيد فانه أعدل العدل والمعدل في معاملة الخلق والمعدل في العبادة وهو الاقتصاد في السنة
 ويتضمن الامر بالاقبال على الله واقامة عبوديته في ثبوته ويتضمن الاخلاص له وهو عبوديته وحده
 لا شريك له فهذا ما فيها من العمل ثم اخبر بمبدأهم ومعادهم فتضمن ذلك حدوث الخلق واعادته فذلك
 الايمان بالمبدأ والمعاد ثم اخبر عن القدر الذى هو نظام التوحيد فقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم
 الضلالة فتضمنت الآية الايمان بالقدر والشرع والمبدأ والمعاد والامر بالعدل والاخلاص ثم ختم الآية
 بذكر حال من لم يصدق هذا الخبر ولم يطع هذا الامر بانه قدوا للشيطان دون ربه وانه على ضلال
 وهو يحسب انه على هدى والله أعلم

﴿فصل﴾ وقال آخرون يعنى قوله كل مولود يولد على الفطرة ان الله فطرهم على الانكار
 والمعرفة وعلى الكفر والايمان فاخذ من ذرية آدم الميثاق حين خلقهم فقال الست بربكم قالوا جميعا
 بلى فاما اهل السعادة فقالوا بلى على معرفة له طوعا من قلوبهم واما اهل الشقاء فقالوا بلى كرها
 غير طوع قالوا وبصدق ذلك قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) قالوا
 وكذلك قوله (كما بدأكم تمودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) قال محمد بن نصر المروزي
 سمعت اسحاق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى واحتج بقول ابى هريرة اقرأوا ان شئتم فطرة الله
 التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال الحق نقول لا تبديل للخلق التى جبل عليها ولد آدم
 كما يعنى من الكفر والايمان والمعرفة والانكار واحتج بقوله تعالى (واذ اخذ ربك من بنى آدم
 من ظهورهم ذرياتهم) الآية قال اسحاق أجمع أهل العلم انها الارواح قبل الاجساد واستنطقهم
 وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى قال انظروا ان لا تقولوا انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا
 انما أشرك آبائنا من قبل وذكر حديث أبى بن كعب في قصة الغلام الذى قتله الحضر قال وكان
 الظاهر ما قال موسى اقلت نفسا زكية بغير نفس فاعلم الله الحضر ما كان الغلام عليه من الفطرة التى
 فطره عليها وانه لا تبديل لخلق الله فامر بقتله لانه كان قد طبع كافرا وفي صحيح البخارى ان ابن
 عباس كان يقرأها وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين قال اسحاق فلو ترك النبي صلى الله
 عليه وسلم الناس ولم يبين لهم حكم الاطفال لم يعرفوا المؤمنين منهم من الكافرين لانهم لا يدرون ما
 جبل كل واحد عاياه حتى اخرج من ظهر آدم فبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الاطفال في الدنيا
 بأن أبوا يهودانه وينصرانه ويمجسانه يقول اتم لانعامون ما طبع عليه في الفطرة الاولى لكن حكم
 الفضل في الدنيا حكم أبويه فاعرفوا ذلك بالابوين فمن كان صغيرا بين أبوين مسلمين الحق يحكم
 الاسلام وأما ايمان ذلك وكفره مما يصير اليه فلم ذلك الى الله ويعلم ذلك فضل الله الحضر في علمه
 هذا على موسى اذ أطلع الله عليه في ذلك الغلام وخصه بذلك قال ولقد سئل ابن عباس عن ولدان

للمؤمنين والمؤمنات فقال حسبك ما اختصم فيه موسى والخضر قال اسحاق الا ترى الى قول عائشة حين مات صلى من الانصار بين ابيون مسامين طوبى له عصفور من عصافير الجنة فرد عليها النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما باعاشة وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا قال اسحاق فهذا الاصل الذي يعتمد عليه اهل العلم وسئل حماد بن سامة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ العهد عليهم في اصلاب بانهم قال ابن قتيبة يريد حين مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته الى يوم القيامة امثال الذر واشهدهم على انفسهم ائتت بركم قالوا بلى قال شيخنا اصل مقصود الأئمة حبيح وهو منع احتجاج القدرية بهذا الحديث على نفى القدر لكن لا يحتاج مع ذلك ان يفسر القرآن والحديث الا بما هو مراد الله ورسوله ويجب أن يتبع في ذلك ما دل عليه الدليل وما ذكره ان الله فطرهم على الكفر والايمان والمعرفة والتكبر ان ارادوا به ان الله سبق في علمه وقدره بانهم سيؤمنون ويكفرون ويعرفون ويشكرون وان ذلك كان بمشيئة الله وقدره وخلقهم فهذا حق رده القدرية فغلاتهم يشكرون العلم وجميعهم يشكرون نعموم خلقه ومشيئته وقدرته وان ارادوا ان هذه المعرفة والتكبر كانت موجودة حين اخذ الميثاق كافي ظاهر المتقول عن اسحاق فهذا يتضمن شيئين أحدهما انهم حينئذ كانت المعرفة والايمان موجودا فيهم كما قال ذلك طوائف من السلف وهو الذي حكى اسحاق الاجماع عليه وفي تفسير الآيات نزاع بين الأئمة وكذلك في خلق الارواح قبل الاجساد قولان معروفان لكن المقصود عنا ان هذا ان كان حقا فهو تأكيد لكونهم ولدوا على تلك المعرفة والافرار فهذا لا يخالف ما دلت عليه الاحاديث من أنه يولد على الفطرة وان الله خلق خلقه خفيا بل هو مؤيد لذلك وأما قول القائل انهم في ذلك الافرار انقسموا الى مطيع وكافر فهذا لم ينقل عن أحد من السلف فيما أعلم الا عن السدي في تفسيره قال لما اخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه ذرية يضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا ابالي ذلك قوله وأصحاب اليمن وأصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بركم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه انيقه فقال هو والملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فليس أحد من ولد آدم الا وهو يعرف الله بأنه ربه وذلك قوله عز وجل (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) وكذلك قوله (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) يعني يوم اخذ الميثاق قال شيخنا وقيل هذا الاثر لا يوثق به فان في تفسير السدي أشياء قد عرف بطلان بعضها وهو ثقة في نفسه وأحسن احوال هذا وأمثاله أن يكون كالمراسيل ان كان مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف اذا كان مأخوذا عن اهل الكتاب ولو لم يكن في هذا الامعاضة لسائر الآثار التي تتضمن التسوية بين جميع الناس في الافرار لكن في اما قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها) فانما هو في الاسلام الموجود منهم بعد خلقهم لم يقل انهم حين العهد الاول اسلموا طوعا وكرها يدل على ذلك ان ذلك الافرار الاول جملة الله عليهم حجة على من ينسب ولو كان فيهم كاره لقال لم أفر طوعا بل كرها فلا يقوم به عليه حجة واما احتجاج احمد بقول ابى هريرة اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي

فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فهذه الآية فيها قولان أحدهما ان معناها النبي كما تقدم عن ابن جرير انه فسرهما فقال أى لا تبدلوا دين الله الذى فطر عليه عباده وهذا قول غير واحد من المفسرين لم يذكروا غيره والثاني ما قاله اسحاق وهو انها خبر على ظاهرها وان خلق الله لا يبدله أحد وظاهر اللفظ خبر فلا يجعل نها بفعل حجة وهذا اصح وحينئذ فيكون المراد ان ما جباهم عليه من الفطرة لا يبدل فلا يجيبون على غير الفطرة لا يقع هذا أصلا والمعنى ان الخلق لا يتبدل فيخلقون على غير الفطرة ولم يرد بذلك ان الفطرة لا تتغير بعد الخلق بل نفس الحديث يبين انها تتغير ولهذا شبههم بالهيممة التي تولد جمعاً ثم تجدد ولا تولد بهيمة مخصصة ولا مجدوعة وقد قال تعالى عن الشيطان ولا أمرهم فليغيرن خلق الله والله اقدر الخلق على ان يغيروا ما خلقهم عليه بقدرته ومشيئته وانما تبديل الخلق بان يخلقوا على غير تلك الفطرة فهذا لا يقدر عليه الا الله والله لا يضلها كما قال لا تبديل لخلق الله ولا يقل لا تتغير فان تبديل الشيء يكون بذهابه وحصول بدله ولكن اذا غير بعد وجوده لم يكن الخلق الموجود عند الولادة واما قول القائل لا يتبدل للخلقة التي جبل عليها بنو آدم كلهم من كفر وايمان فان عنى به ما سبق به القدر من الكفر والايمان لا يقع خلافه فهذا حق ولكن ذلك لا يقتضى ان تبديل الكفر بالايمان وبالعكس يتمتع ولانه غير مقدور بل العبد قادر على ما امره الله به من الايمان وعلى ترك ما نهاه عنه من الكفر وعلى ان يبدل حسنة بالسئآت وسئآت بالحسنات كما قال الله الامن ظلم ثم يبدل حسنا بعد سوء وهذا التبديل كله بقضاء الله وقدره وهذا بخلاف ما فطر واعليه حين الولادة فان ذلك خلق الله الذى لا يقدر على تبدليه غيره وهو سبحانه لا يبدله بخلاف تبديل الكفر بالايمان وبالعكس فانه يبدله كثيرا والعبد قادر على تبدليه باقدار الرب له على ذلك ومما يوضح ذلك قوله تعالى (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) فهذه فطرة محدودة أمر الله بها نبيه فكيف تنقسم الى كفر وايمان مع امر الله تعالى بها وقد تقدم تفسير الساف لا تبديل لخلق الله اى لدين الله أو النبي عن الخصاوصحوة ولم يقل أحد منهم ان المعنى لا يتبدل لاحوال العباد من كفر الى ايمان وتكسبه فان تبديل ذلك موجود ومهما وقع كان هو الذى سبق به القدر والرب تعالى عالم بما سيكون لا يقع خلاف معلومه فاذا وقع التبديل كان هو الذى علمه وأما قوله عن الغلام انه طبع يوم صبح كافرا فالمراد به انه كتب كذلك وقدر وختم فهو من طبع الكتاب ولفظ الطبع لما صار يستعمله كثير من الناس في الطبيعة التي هي بمعنى الخلقة والحيلة ظن الظان ان هذا مراد الحديث وهذا الغلام الذى قتله الحضر ليس في القرآن ما يبين انه كان غير بالغ ولا مكلف بل قراءة ابن عباس تدل على انه كان كافرا في الحال وتسميته غلاما لا يمنع أن يكون مكلفا قريب العهد بالصغر ويدل عليه ان موسى لم ينكر قتله لصغره بل لكونه زاكيا ولم يقتل نفسا لكن يقال في الحديث الصحيح ما يدل على انه كان غير بالغ من وجهين أحدهما انه قال فر بصبى ياب مع الصبيان الثاني انه قال ولو أدرك لارحق أبويه طغيانا وكفرا وهذا دليل على كونه لم يدرك بعد فيل المكلف على لا شك والتقديرين فان كان بالغاً وقد كفر فقد قتل على كفره الواقع بعد البلوغ ولا اشكال وان كان غير بالغ فلمل تلك الشريعة كان فيها التكليف قبل الاحتلام عند قوة عقل الصبي وكما تتميزه وان لم يكن التكليف قبل البلوغ بالشرائع واقفا فلا يتمتع وقوعه بالتوحيد ومعرفة الله كما قاله في التوبة

أهل الكلام والفقه من أصحاب أبي حنيفة وأحمد وغيرهم وعلى هذا فيمكن أن يكون مكلفا بالايان قبل البلوغ وان لم يكن مكلفا بشراعه وكفر الصبي المميز عندها كثر العلماء مؤاخذه به فاذا ارتد صار مرتدا لكن لا يقتل حتى يبلغ فالغلام الذي قتله الحضر اما أن يكون كافرا بعد البلوغ فلا اشكال واما أن يكون غير بالغ وهو مكلف في تلك الشريعة فلا اشكال أيضا واما أن يكون مكلفا بالتوحيد والمعرفة غير مكلف بالشرايع فيجوز قتله في تلك الشريعة واما أن لا يكون مكلفا فقتل لثلاثيقتن أبويه عن دينهما كما يقتل الصبي الكافر في ديننا اذا لم يندفع ضرره عن المسلمين الا بالقتل واما قتل صبي لم يكفر بعد بين أبوين مؤمنين للعلم بأنه اذا بلغ كفر وقتن أبويه فقد يقال ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه وأيضاً فإن الله لم يأمر أن يعاقب أحد بما يعلم أنه يكون منه قبل أن يكون منه ولا هو سبحانه يعاقب العباد على ما يعلم أنهم سيعملونه حتى يعملونه وقائل هذا القول يقول انه ليس في قصة الحضر شئ من الاطلاع على الغيب الذي لا يعلمه عموم الناس وانما فيها علمه بسبب ما لم يكن علم بها موسى مثل علمه بان السفينة لمساكين يعملون ورائهم ملك ظالم وهذا أمر يعلمه غيره وكذلك كون الجدار كان لغلامين يتيمين وان اباهما كان رجلا صالحا وان تحته كنزا لهما بما يمكن أن يعلمه كثير من الناس وكذلك كفر الصبي مما يمكن أنه كان يعلمه كثير من الناس حتى أبواه لكن لجهما له لا ينكران عليه أو لا يقبل منهما فان كان الامر على ذلك فليس في الآية حجة على قولهم أصلا وان ذلك الغلام لم يكفر بعد ولكن سبق في العلم انه اذا بلغ كفر فمن يقول هذا يقول ان قتله دفعا لشربه كما قال نوح (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) وعلى هذا فلم يكن قبل قيام الكفر به كافرا وقراءتا بن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين ظاهرة انه كان حينئذ كافرا فان قيل فهذا الغلام كان أبواه مؤمنين فلو كان مولودا على فطرة الاسلام وهو بين أبوين مسلمين لكان مسالما تبعاهما وبحكم الفطرة فكيف يقتل والحالة هذه قيل ان كان بالغاً فلا اشكال وان كان مميزاً وقد كفر فصيح كفره وردته عند كثير من العلماء وأن لا يقتل حتى يبلغ عندهم فاعلم في تلك الشريعة يجوز قتل المميز الكافر وان كان صغيرا غير مميز فيكون قتله خاصا به لأن الله أطلع الحضر على أنه لو بلغ لا يختار غير دين الابوين وعلى هذا يدل قول ابن عباس لنجدة وقد سأله عن قتل صبيان الكفار فقال لئن علمت فهم ما علمه الحضر من الغلام قتلهم فان قيل اذا كان مولودا على الفطرة وأبواه مؤمنين فمن أين جاء الكفر قيل انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك على الغالب والا فالكفر قد يأتيه من قبل غير أبويه فهذا الغلام ان كان كافرا في الحال فقد جاء الكفر من غير جهة أبويه وان كان المراد أنه اذا بلغ سيكفر باختياره فلا اشكال (فصل) وأما تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم قابوا بهودانه ويتصرانه ويتجسانه أنه أراد به مجرد اللاحق في أحكام الدنيا دون أن يكون أراد انهما يغيران الفطرة فهذا خلاف ما يدل عليه الحديث فانه شبه تكفير الاطفال بمجدة البهائم تشبيها بالتغيير والتغيير وأيضا فانه ذكر هذا الحديث لما قتل أولاد المشركين فتهاجم عن قتالهم وقال اليس خباياكم أولاد المشركين كل مولود يولد على الفطرة فلو أراد أنه تابع لأبويه في الدنيا لكان هذا حجة لهم يقولون هم كفار كابائهم وكون الصديق يتبع أبواه في أحكام الدنيا هو ضرورة بقاءه في الدنيا فانه لا بد له من مرب يربيه وانما يربيه أبواه فكان

تابعاً لهما ضرورة ولهذا من سب منفرداً عنهما صار تابعاً لسايبه عند جمهور العلماء كابي حنيفة والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم لكونه هو الذي يريه وإذا سب منفرداً عن أحدهما أو معهما ففيه نزاع بين العلماء واحتجاج انقياء كأحمد وغيره بهذا الحديث على أنه متى سب منفرداً عن أبويه يصير مسلماً إذا استلزم أن يكون المراد بتكفير الابوين لهما مجرد لحاقه لهما في الدين ولكن وجه الحجة أنه إذا ولد ولد على الملة فأنما ينقله عنه الابوان اللذان يغيرانه عن الفطرة ففي سباه المسلمين منفرداً عنهما لم يكن هناك من يغير دينه وهو مولود على الملة الحنيفة فيصير مسلماً بالملتضى السالم عن المعارض ولو كان الابوان يجملان كافر في نفس الامر بدون تعليم وتلقين لكان الصبي المسي بمزلة البالغ الكافر ومعلوم ان البالغ الكافر إذا سباه المسلمون لم يصير مسلماً لأنه صار كافراً حقيقة فلو كان الصبي التابع لأبويه كافراً حقيقة لم ينتقل عن الكفر بالسبأ فعمل أنه كان يجري عليه حكم الكفر في الدنيا تبعاً لأبويه لأنه صار كافراً في نفس الأمر تبين ذلك أنه لو سباه كفار ولم يكن معه أبواه لم يصير مسلماً فهو هنا كافر في حكم الدنيا وإن لم يكن أبواه هوداء ونصرأ فعمل ان المراد بالحديث ان الابوين يلتقاه الكفر ويعلمانه إياه وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الابوين لانهما الاصل العام الغالب في تربية الاطفال فان كل طفل فلا بد له من أبوين وهما اللذان يربانه مع بقائهما وقدرتهما ومما يبين ذلك قوله في الحديث الآخر كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاما شاكراً واما كفوراً فجعله على الفطرة الى أن يعقل ويميز فحينئذ يتبين له أحد الأمرين ولو كان كافراً في الباطن بكفر الابوين لكان ذلك من حين يولد قبل أن يعرب عنه لسانه وكذلك قوله في الحديث الصحيح اني خلقت عبادى حنفاء فاختلأهم الشيطان وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً صريح في أنهم خلقوا على الحنيفة وان الشياطين اختلأهم وحرمت عليهم الحلال وأمرتهم بالشرك فلو كان الطفل يصير كافراً في نفس الأمر من حين يولد لكونه يتبع أبويه في الدين قبل أن يعلمه أحد الكفر وينقله إياه لم تكن الشياطين هم الذين غيروه عن الحنيفة وأمرهم بالشرك

(فصل) ومنشأ الاشتباه في هذه المسئلة اشتباه أحكام الكفر في الدنيا بأحكام الكفر في الآخرة فان أولاد الكفار لما كان تجري عليهم أحكام الكفر في الدنيا مثل ثبوت الولاية عليهم لآبائهم وحضانتهم لهم ويمكنهم من تعليمهم وتأديبهم والموازنة بينهم وبين نبيهم واسترقاقهم وغير ذلك صار يظن من يظن أنهم كفار في نفس الامر كالذى تكلم بالكفر وعمل به ومن هاهنا قال محمد بن الحسن ان هذا الحديث وهو قوله كل مولود يولد على الفطرة كان قبل أن تنزل الأحكام فاذا عرف أن كونهم ولدوا على الفطرة لا ينافي أن يكونوا تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا وقد زالت الشبهة وقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن بكم إيمانه ولا يعلم المسلمون حاله فلا يغسل ولا يصلى عليه ويدفن مع المشركين وهو في الآخرة من أهل الجنة كما أن المنافقين في الدنيا تجري عليهم أحكام المسلمين وهم في الدرك الأسفل من النار فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا وقوله كل مولود يولد على الفطرة إنما أراد به الاخبار

بالحقيقة التي خلقوا عليها وعلى الثواب والعقاب في الآخرة اذا عملوا بموجبها وسلمت عن المعارض ولم يرد به الاخبار بحكام الدنيا فانه قد علم بالاضطرار من شرع الرسول ان اولاد الكفار تبع لآبائهم في احكام الدنيا وان اولادهم لا ينزعون منهم اذا كانوا ذمة فان كانوا محاربين استرقوا ولم يتنازع المسلمون في ذلك لكن تنازعوا في الطفل اذا مات أبواه أو أحدهما هل يحكم بإسلامه وعن أحمد في ذلك ثلاث روايات أحدها من يحكم بإسلامه بموت الأبوين أو أحدهما لقوله قابواه يهودانه وينصرانه وهذا ليس معه أبواه وهو على الفطرة وهي الإسلام لما تقدم فيكون مسلما والثانية لا يحكم بإسلامه بذلك وهذا قول الجمهور قال شيخنا وهذا القول هو السوابق هو اجماع قديم من السلف والخلف بل هو ثابت بالسنة التي لا ريب فيها فقد علم أن أهل الذمة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ووادي القرى وخيبر ونجران واليمن وغير ذلك وكان فيهم من يموت وله ولد صغير ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم عليه بإسلام أهل الذمة ولا حلفاءه وأهل الذمة كانوا في زمانهم طبق الأرض بالشام ومصر والعراق وخراسان وفيهم من يتأمامهم عدد كثير ولم يحكموا بإسلام واحد منهم فان عقد الذمة اقتضى ان يتولى بعضهم بعضا فهم يتولون حضنة يتأمامهم كما كان الابوان يتولون تربيتهم وأحمد يقول ان الذمي اذا مات ورثه ابنه الطفل مع قوله في إحدى الروايات أنه يصير مسلما لأن أهل الذمة مازال أولادهم يرثوهم لأن الإسلام حصل مع استحقاق الارث لم يحصل قبله ونص على أنه اذا مات الذمي عن حل منه لم يرثه للحكم بإسلامه قبل وضعه وكذلك لو كان الحل من غيره كما اذا مات وخلف امرأة ابنة أو اخيه حاملا فاسلمت أمه قبل وضعه لم يرثه لأنها حكمتا بإسلامه من حين اسلمت أمه وكذلك هناك حكمتا بإسلامه من حين مات أبوه وقد وافق الامام أحمد الجمهور على ان الطفل اذا مات أبواه في دار الحرب لا يحكم بإسلامه وكان موت الأبوين يجعله مسلما يحكم الفطرة الاولى لم يفترق الحال بين دار الحرب ودار الإسلام لوجود مقتضى للإسلام وهو الفطرة وعدم المانع وهو الابوان وقد التزم بعض اصحاب الحكم بإسلامه وهو باطل قطعا اذ من المعلوم بالضرورة ان أهل الحرب فيهم من بلغ بنية لغيره واحكام الكفار المحاربين جارية عليهم والرواية الثالثة ان كفله أهل دينه فهو باق على دين أبويه وان كفله المسلمون فهو مسلم نص عليه في رواية يعقوب بن بختان (١) كما ذكره الحلال في جامعه عنه قال سئل ابو عبد الله عن جارية نصرانية لقوم فولدت عندهم ثم ماتت ما يكون الولد قال اذا كفله المسلمون ولم يكن له من يكفله الا هم فهم مسلمون قيل له فان مات بعد الام بقليل قال يدفعه المسلمون وقال في رواية ابى الحارث في جارية نصرانية لرجل مسلم لها زوج فولدت عنده وماتت عند المسلم وبقي ولدها عنده ما يكون حكم هذا الصبي قال اذا كفله المسلمون فهو مسلم وهذه الرواية ان لم يذكرها عامة الاصحاب وهي من جامع الحلال فهي اصح الاقوال في هذه المسئلة دليلا وهي التي تختارها وبها تجتمع الادلة فان الطفل يتبع مالكة وسايه فكذلك يتبع كافله وحاضنه فانه لا يستقل بنفسه بل لا بد له ممن يتبعه ويكون معه فتبعته لحاضنه وكافله أولى من جعله كافرا بكون أبويه كافرين وقد انقطعت تبعيته لهما بخلاف

(١) هكذا بالأصل واليعرب

ما اذا كفله اهل دين الابوين فانهم يقومون مقامهما ولا اثر لفقد الابوين اذا كفله جده أو وجدته أو غيرهما من اقاربه فهذا القول ارجح في النظر والله اعلم وليس المقصود ذكر هذه المسائل وما يصير به الطفل مسلما فانا قد استوفيناها في كتابنا في احكام اهل الملل بادلها واختلاف العلماء من السلف والخلف فيها وذكر مأخذهم وانما المقصود ذكر الفطرة وانما هي الخفيفة وانما لا تنافي القدر السابق بالشقاوة والله اعلم

فصل قال ابو عمر وقال آخرون في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة لم يرده رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر الفطرة هاهنا كفرا ولا ايمانا ولا معرفة ولا انكارا وانما أراد ان كل مولود يولد على السلامة خلقه وطبعه وبنيه ليس معها كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار ثم يعتقد الكفر أو الايمان بعد البلوغ اذا ميز واحتجوا بقوله في الحديث كما تتج بهيمة بهيمة جماء يعني سالمة هل تحسون فيها ن جدعاء يعني مقطوعة الاذن فتل قلوب بني آدم بالبهائم لانها تولد كاملة الخلق لا يتبين فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وانوفها فيقال هذه السوايب وهذه البحائر يقول كذلك قلوب الاطفال في حين ولادتهم ليس لهم حينئذ كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهائم السالمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفرا اكثرهم وعصم الله اقامهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا على شيء من الكفر والايمان في اولية امرهم ما انتقلوا عنه ابدا فقد تجدهم يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون قالوا ويستحيل في العقول ان يكون الطفل في حال ولادته يفعل كفرا أو ايمانا لأن الله اخرجهم من بطون امهاتهم ليعلمون شيئا فمن لم يعلم شيئا استحال منه كفر أو ايمان ومعرفة أو انكار قال ابو عمر هذا القول اصح ما قيل في معنى الفطرة التي تولد الولدان عليها وذلك ان الفطرة السلامة والاستقامة بدليل قوله تعالى في حديث عياض بن حماد اني خلقت عبادي حنفاء يعني على استقامة وسلامة وكأنه والله اعلم اراد الذين خلاصوا من الآفات كلها والمعاصي والطاعات فلا طاعة منهم ولا معصية اذا لم يعملوا بواحدة منهما ومن الحجة أيضا في هذا قول الله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) وكل نفس بما كسبت رهينة) ومن لم يبلغ وقت العمل يبرهن بشيء قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) قال شيخنا هذا القائل ان اراد بهذا القول انهم خلقوا خاليين من المعرفة والانكار من غير أن تكون الفطرة تقتضي واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما اقبل منه للآخر وهذا هو الذي يشعر به ظاهر الكلام فهذا قول فاسد لانه حينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار والتهويد والتصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال قابواه يسلمانه ويهودانه ويصرانه ويمجسانه فلما ذكر أن أبويه يكفراه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في حصول ذلك بسبب منفصل عن حكم الكفر وأيضا فانه على هذا التقدير لا يكون في القلب سلامة ولا عطب والاستقامة ولا يزيغ اذ نسبت الى كل منهما نسبة واحدة وليس هو باحدهما باولي منه بالآخر كما ان الواح قبل الكتابة لا يثبت له حكم مدح ولا ذم فاما كان قابلا للمدح والذم على السواء لم يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى

يقول (فأقم وجهك للدين خفيضا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فأمره بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها فكيف لا تكون ممدوحة وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المقتضية الخلق وشبه ما طرأ عليها من الكفر بجدع الاثف والاذن ومعلوم ان كاهلها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل القص للاحودة ولا مذمومة

(فصل) وإن كان المراد بهذا القول ما قاله طائفة من العلماء ان المراد أنهم ولدوا على الفطرة السليمة التي لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الانكار والايان على الكفر ولكن بما عرض لها من الفساد خرجت عن هذه الفطرة فهذا القول قد يقال لا يرد عليه ما يرد على القول الذي قبله فان صاحبه يقول في الفطرة قوة تيل بها الى المعرفة والايان كما في البدن السليم قوة يحب بها الاغذية النافعة وبهذا كانت محمودة ودم من افسدها لكن يقال فهذه الفطرة التي فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية هل هي كافية في حصول المعرفة أو تقتض المعرفة على أدلة من خارج فان كانت المعرفة تقتض على أدلة من خارج أمكن أن يوجد تارة ويعدم أخرى ثم ذلك السبب يمتنع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه بل غاية أن يكون معرفا ومذكرا فعند ذلك ان وجب حصول المعرفة كانت واجبة للحصول عند وجود ذلك الاسباب والافلاوحيث أن يكون فيها الاقبال للمعرفة والايان وحيث أن يفرق فيها بين الايمان والكفر والمعرفة والانكار انما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج وهذا هو القسم الاول الذي ابطناه وبيننا انه ليس في ذلك مدح للفطرة وأما ان كان فيها قوة تقتض المعرفة بنفسها وان لم يوجد من يعلمها أدلة المعرفة فيها بدون ما يسمعه من الدالة سواء قيل ان المعرفة ضرورية فيها أو قيل انها تحصل باسباب تنظم في النفس وان لم يسمع كلام مستدل فان النفس قد يقوم بها من النظر والاستدلال ما يحتاج معه الى كلام الناس فان كان كل مولود يولد على هذه الفطرة لزم أن يكون المقتضى للمعرفة حاصل لكل مولود وهو المطلوب والمقتضى التام مستلزم مقتضاه فبين أن احد الامرين لازم اما كون الفطرة مستلزمة للمعرفة وأما استواء الامرين بالنسبة اليها وذلك ينفي مدحها وتلخيص ذلك أن يقال المعرفة والايان بالنسبة اليها يمكن بل اريب فما أن تكون هي موجبة مستلزمة لذلك وأما أن لا تكون مستلزمة له فلا يكون واجبا لها فان كان الثاني لم يكن فرق بين الكفر والايان بالنسبة اليها أو كلاهما يمكن لها فثبت ان المعرفة لازمة لها الان يعارضها معارض فان قيل ليست موجبة مستلزمة للمعرفة ولكن هي اليها الميل مع قبولها للتكرة قيل فحيث اذا لم تستلزم المعرفة وجدت تارة وعدم تارة وهي وحدها لا يحصلها فلا يحصل الا بشخص آخر كالأبوين فيكون الاسلام والتهويد والتنصير والتمجيس ومعلوم ان هذه أنواع بعضها ابعد عن الفطرة من بعض كالتمجيس فان لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام صار نسبته الى ذلك كنسبة التهويد والتنصير الى التمجيس فوجب أن يذكر كما ذكر ذلك ويكون هذا ككون الفطرة لا يقضى الرضاع الاسباب منفصل وليس كذلك بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه فاذا مكن من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة فارتضاعه ضروري اذا لم يوجد معارض وهو مولود

على أن يرضع فكذلك هو مولود على أن يعرف الله والمعرفة ضرورية لاحالة اذا لم يوجد معارض
وأياها فان حب النفس لله وخضوعها له واخلاصها له مع الكفر به والشرك والاعراض عنه ونسيان
ذكره اما أن يكون نسبتهما الى الفطرة سواء أو الفطرة مقتضية للاول دون الثاني فان كانا سواء
لزم انتفاء المدح كالتقدم وان لم يكن فرق بين دعائها الى الكفر ودعائها الى الايمان ويكون تمجييسها
كتخفيفها وقد عرف بطلان هذا وان كان فيها مقتضى لهذا فاما أن يكون المقتضى مستلزما لمقتضاه
عند عدم المعارض واما ان يكون متوقفا على شخص خارج عنها فان كان الاول ثبت ذلك من لوازمها
وانها مفطورة عليه لا يفقد الا اذا فسدت الفطرة وان قدر انه متوقف على شخص فذلك الشخص
هو الذي يجعلها حنيفة كما يجعلها مجوسية وحينئذ فلا فرق بين هذا وهذا واذا قيل هي الى الحنيفة
أميل كان كإيقال هي الى غيرها أميل فتبين أن فيها قوة موجبة لحب لله والدله واخلاص الدين
له وانها موجبة لمقتضاها اذا سلمت من المعارض كما أن فيها قوة تقتضي شرب اللبن الذي فطرت
على محبته وطلبه مما يبين هذا ان كل حركة ارادية فان الموجب لها قوة في المريد فاذا أمكن في
الانسان أن يحب الله ويعبده ويخلص له الدين كان فيه قوة تقتضي ذلك اذ الافعال الارادية
لا يكون سببها الامن نفس الحى المريد الفاعل ولا يشترط في ارادته الا مجرد الشعور بالمراد
فما في النفوس من قوة المحبة له اذا شعرت به تقتضي حبه اذا لم يحصل معارض وهذا موجود
في محبة اطعمة والاشربة والنكاح والعلم وغيرها وقد ثبت أن في النفس قوة المحبة لله والاخلاص
والذل له والخضوع وان فيها قوة الشعور به فيأزم قطعاً وجود المحبة له والتعظيم والخضوع بالفعل
لوجود المقتضى اذا سلم عن المعارض وتبين أن المعرفة والمحبة لا يشترطيهما وجود شخص منفصل
وإن كان وجوده قد يذكر ويحرك كالوخطوب الجائع أو الظمآن بوصف طعام أو خطوب المغتلم
بوصف النساء فان هذا مما يذكر ويحركه ويثير شهوته الكامنة بالقوة في نفسه لأنه يحدث له نفس
تلك الارادة والشهوة بعد ان لم تكن فيه فيجعلها موجودة بعد ان كانت عدماً فكذلك الاسباب
الخارجة عن الفطرة لا يتوقف عليها وجود ما في الفطرة من الشعور بالخالق ومحبته وتعظيمه والخضوع
له وان كان ذلك مذكراً ومحركاً ومنها ومزبلاً للمعارض المانع ولذلك سمي الله سبحانه ما كمل به
موجبات الفطرة بذكراً وذكرى وجعل رسوله مذكراً فقال (فذكر انما أنت مذكر) وقال
(فذكر ان نعت الذكري) وقال (وما يتذكر الامن ينيب) وقال (وما يتذكر الا أوّل الابواب)
وقال (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال
(فانما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) وهذا كثير في القرآن يخبر أن كتابه ورسوله مذكر لهم بما
هو مركز في فطرتهم من معرفته ومحبته وتعظيمه واجلاله والخضوع له والاخلاص له ومحبة
شرعه الذي هو العدل المحض واثاره على ماسواه فالفطر مركز فيها معرفته ومحبته والاخلاص له
والاقرار بشرعه واثاره على غيره فهي تعرف ذلك وتشعر به بجملاً ومنصلاً بعض التفصيل بشفات
الرسول تذكرها بذلك وتنبها عليه وتفصله لها وتبينه وتعرفها الاسباب المعارضة لموجب الفطرة

المانعة من اقتنائها أثرها وهكذا شأن الشرائع التي جاءت بها الرسل فانها أمر بمعروف ونهى عن منكر وبأحة طيب وتحريم خبيث وأمر بعدل ونهى عن ظلم وهذا كله مركز في الفطرة وكما لم تفصيله وتبينه موقوف على الرسل وهكذا باب التوحيد واثبات الصفات فان في الفطرة الاقرار بالكمال المطلق الذي لا نقص فيه لا لخالق سبحانه ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب هو أمر مستقر في فطر الخلائق خلافا لمن قال من المتكلمين انه لم يقد دليل عقل على تنزيهه عن النقائص وانما علم بالاجماع

قبحا لهاتيك العقول فانها عقل على أحبابها ووبال

فليس في المقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم وتنزيهه عن العيوب والنقائص وجاءت الرسل بالتذكيرة بهذه المعرفة وتفصيلها وكذلك في الفطر الاقرار بسعادة النفوس البشرية وشقاوتها وجزائها بكسبها في غير هذه الدار وأما تفصيل ذلك الجزاء والسعادة والشقاوة فلا تعلم الا بالرسول وكذلك فيها معرفة العدل ومحبة وإثاره وأما تفاصيل العدل الذي هو شرع الرب تعالى فلا يعلم الا بالرسول فالرسول يذكر بما في الفطر وتفصيله وتبينه ولهذا كان العقل الصريح موافقا للنقل الصحيح والشرعة مطابقة للفطرة يتصادقان ولا يتعارضان خلافا لمن قال اذا تعارض العقل والوحي قدمنا العقل على الوحي

فقد جاح العقل بنقض الوحي حكمه ويشهد حقا انه هو كاذب

والمقصود ان الله فطر عباده على فطرة فيها الاقرار به ومحبه والاخلاص له والالابة اليه واجلاله وتعظيمه وان الشخص الخارج عنها لا يحدث فيها ذلك ويجعلها فيها بعد ان لم يكن وانما يذكرها بما فيها وينبها عليه ويحركها له وبفصلها لها وبينه ويعرفها الاسباب المقوية والاسباب المعارضة له والممانعة من كماله كما أن الشخص الخارج لا يجعل في الفطرة شهوة اللين عند الرضاع والاكل والشرب والنكاح وانما تذكر النفس وتحركها لما هو مركز فيها بالقوة

فصل في ما يبين ذلك ان الاقرار بالصانع مع خلو القلب عن محبه والخضوع له واخلاص الدين له لا يكون نافعا بل الاقرار به مع الاعراض عنه وعن محبه وتعظيمه والخضوع له أعظم استحقاقا للعذاب فلا بد ان يكون للفطرة مقتض للعلم ومقتض للمحبة والمحبة مشروطة بالعلم فان مالا يشعر به الانسان لا يحبه والحب للمجربوبات لا يكون بسبب من خارج بل هو جبلي فطري فاذا كانت المحبة جبلية فطرية فشرطها وهو المعرفة أيضا جبلي فطري فلا بد ان يكون في الفطرة محبة الخالق مع الاقرار به وهذا أصل الخليفة التي خلق الله خلقه عليها وفطرته فطرتهم عليها فلم ان الخيفية من موجبات الفطرة ومقتضياتها والحب لله والخضوع له والاخلاص هو اواصل أعمال الخيفية وذلك مستانم للاقرار والمعرفة ولازم اللازم لازم وملزوم الملزوم ملازوم فالفطرة ملازمة لهذه الاحوال وهذه الاحوال لازمة لها

فصل في ما يبين دلالة الكتاب والسنة والآثار واتفاق السلف على ان الخالق مفعولون

على دين الله الذي هو معرفته والاقرار به ومحبهه والخضوع له وان ذلك موجب فطرته ومقتضاها يجب حصوله فيها ان لم يحصل مايعارضه وينقض حصول ضده وان حصول ذلك فيها لا يقتضي على وجود شرط بل على انتفاء المانع فاذا لم يوجد فهو لوجود مناهيه لاعدم مقتضيه ولهذا لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لوجود الفطرة شرطا بل ذكر ماينفع موجبها حيث قال فإياها يهودانه وينصرانه ويمجسانه فحصول هذا اليهود والتتبع موقوف على أسباب خارجة عن الفطرة وحصول الحنيفية والاخلاص ومعرفه الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة وان توقف كماله وتقصيه على غيرها وبالله التوفيق

فصل وقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى اني خلقت عبادي حنفاء فاختلهم الشياطين وحرمت عليهم ماأحللت لهم يتضمن أصلين عظيمين مقصودين لانفسهما ووسيلة تعين عليهما أحدهما عبادته وحده لاشريك له والثاني انما يعبد بما شرعه وأحبه وأمر به وهذان الاصلان هما المقصود الذي خالق له الخلق فصدهما الشرك والبدع فالشرك يعبد مع الله غيره وصاحب البدعة يتقرب الى الله بما لم يأمر به ولم يشرعه ولا أحبه وجعل سبحانه حل الطيبات مما يستعان به على ذلك ويتوسل به اليه فمدار الدين على هذين الاصلين وهذه الوسيلة فآخبر سبحانه ان الشياطين أقطعت عبادته عن هذا المقصود وعن هذه الوسيلة فأمرتهم أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا وهذا يتناول الاشراك بالمعبود الحق بان يعبد معه غيره والاشراك بعبادته الحق بان يعبد بغير شرعه وكثيرا ما يجتمع الشركان فيعبد المشرك معه غيره بعبادة لم يشرع سبحانه أن يعبدله بها وقد ينفراد أحد المشركين فيشرك به غيره في نفس العبادة التي شرعها أو يعبد وحده بعبادة شركية لم يشرعها أو يتوسل الى عبادته بتحريم ماأحله وقد ذم الله سبحانه المشركين على هذين النوعين في كتابه في سورة الانعام والاعراف وغيرهما يذكر فيها ذمهم على ما حرموه من المطاعم والملابس وذمهم على ما أشركوا به من عبادة غيره أو على ما ابتدعوه من عبادته بما لم يشرعه وفي المسند أحب الدين الى الله الحنيفية السمحة فهي حنيفية في التوحيد وعدم الشرك سمحة في العمل وعدم الاصرار والاغلال بتحريمهم من الطيبات الحلال فيعبد سبحانه بما أحبه ويستعان على عبادته بما أحله قال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وهذا هو الذي فطر الله عليه خلقه وهو محبوب لكل أحد مستقر سنته في كل فطرة فانه يتضمن التوحيد واخلاص القصد والحب لله وحده وعبادته وحده بما يجب أن يعبد به والامر بالمعروف الذي تحبه القلوب والنهي عن المنكر الذي تبغضه وتنفر منه ويحلل الطيبات النافعة وتحريم الخبائث الضارة

فصل وهذا أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ان كل مولود يولد على الفطرة الحنيفية هو الذي تقوم الدلالة العقلية على صحته وانه كما أخبر به الصادق المصدوق ومن خالف ذلك فقد غلط ويان ذلك من وجوه * أحدها ان الانسان قد يحصل له من الاعتقادات والارادات ما يكون حقا وقد يحصل له منها ما يكون باطلا اذا اعتقاداته قد تكون مطابقة لمعتقدا وهي الحق

والخير عنها يسمى صدقا وقد تكون غير مطابقة وهي الباطل والخير عنها يسمى كذبا والارادات تنقسم الى ماتكون نافعة له متضمنة لمصلحته ومرادها هو الخير والحسن والى ما هو ضارة له مخالفة لمصلحته ومرادها هو الشر والقبح واذا كان الانسان تارة يكون معتقدا للحق مريدا للخير وتارة يكون معتقدا للباطل مريدا للشر فلا يخلو اما أن تكون نسبة نفسه الباطنة الى النوعين نسبة واحدة بحيث لا يكون فيها مرجحا لاحدهما على الآخر أو تكون نفسه مرجحة لاحد الامرين على الآخر فان كان الاول لزم أن لا يوجد أحد النوعين الا بمرجح منفصل عنه فاذا قدر رجحان أحدهما ترجح هذا والآخر ترجح هذا فلما ان يكافأ المرجحان أو يترجح أحدهما فان تكافأ لزم أن لا يحصل واحد منهما وهو خلاف المعلوم بالضرورة فانا نعلم أنه اذا عرض على كل أحد ان يعتقد الحق ويصدق وان يريد ما ينفعه وعرض عليه ان يعتقد الباطل ويكذب ويريد ما يضره مال بفطرته الى الاولى ونقر عن الثاني فم لم ان فطرة الانسان قوة تقتضى اعتقاد الحق واردة للخير وحينئذ الاقرار بوجود فطرته وخالفه ومعرفته ومحبه والايمان به وتعظيمه والاخلاص له اما أن يكون من النوع الاول أو الثاني وكونه من الثاني معلوم الفساد بالضرورة فتعين أن يكون من الاول وحينئذ فيجب ان يكون في الفطرة ما يقتضى محبه ومعرفته والايمان به والتوسل اليه بمحبه* الوجه الثاني ان عبادته وحده بما يحبه اما أن يكون أكمل للناس علما وقصدا أو الاشرار به أكل والثاني معلوم الفساد بالضرورة فتعين الاول وهو أن يكون في الفطرة مقتضى يقتضى توحيدها وتأله وتعظيمه* الوجه الثالث ان الحنيفية التي هي دين الله ولادين له غيرها اما أن تكون مع غيرها من الاديان متماثلين أو الحنيفية أرفع أو تكون مرجوحة والاول والثالث باطلان قطعا فوجب أن يكون في الفطرة مرجح يرجح الحنيفية وامتنع أن يكون نسبتها ونسبة غيرها من الاديان الى الفطرة سواء* الوجه الرابع انه اذا ثبت ان في الفطرة قوة تقتضى طلب معرفة الحق واشاره على ماسواه وأن ذلك حاصل مركز فيها من غير تعلم الابوين ولا غيرها بل لو فرض ان الانسان تربى وحده ثم عقل وميز لوجد نفسه مائلة الى ذلك نافرة عن ضده كما يجد الصبي عند أول تمييزه يعلم ان الحوادث لا بد له من محدث فهو يلتفت اذا ضرب من خلفه لامله ان تلك الضربة لا بد لها من ضارب فاذا شعر به بكى حتى يقتص له منه فيسكن فقد ركز في فطرته الاقرار بالصانع وهو التوحيد ومحبة القصاص وهو العدل واذا ثبت ذلك ثبت ان نفس الفطرة مقتضية لمعرفته سبحانه ومحبه واجلاله وتعظيمه والخضوع له من غير تعليم ولا دعاء الى ذلك وان لم يكن فطرة كل أحد مستقلة بتحصيل ذلك بل يحتاج كثير منهم الى سبب معين للفطرة مقولها وقد بينا ان هذا السبب لا يحدث في الفطرة مالم يكن فيها بل بعينها ويذكرها ويقويه فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين يدعون العباد الى موجب هذه الفطرة فاذا لم يحصل مانع يمنع الفطرة عن مقتضاها استجابت لدعوة الرسل ولا بد بما فيها من المقتضى لذلك كمن دعا جائما أو ظمأ الى شراب وطعام لذى نافع لا تبعه فيه عليه ولا يكلفه منه فانه مالم يحصل هناك مانع فانه يجيبه ولا بد* الوجه الخامس انا نعلم بالضرورة ان الطفل حين ولادته ليس له معرفة بهذا الامر ولا عنده ارادة له ويعلم انه كلما حصل فيه قوة العلم والارادة

حصل له من معرفته بره ومحبه ما يناسب قوة فطرته وضمنها وهذا كما يشاهد في الاطفال من محبة جلب المنافع ودفع المضار بحسب كمال التمييز وضعفه فيكلاما أمر حاصل مع النشأة على التدريج شيئا فشيئا الى ان يصل الى حده الذي ليس في الفطرة استعداد لاكثر منه لكن قد يتفق لكثير من الفطر موانع متنوعة تحول بينها وبين مقتضاها وموجبها * الوجه السادس انه من المعلوم ان النفوس اذا حصل لها معلم وداع حصل لها من العلم والارادة بحسبه ومن المعلوم ان كل نفس قابلة لمعرفة الحق وارادة الخير ومجرد التعالم لا يوجب تلك القابلة فلو لا ان في النفس قوة تقبل ذلك لم يحصل لها القبول فان حصوله في المحل شروط مقبولة له وذلك القبول هو كونه مهيا له مستعدا لحصوله فيه وقد بينا انه يمتنع أن يكون سببه ذلك وضده الى النفس سواء * الوجه السابع انه من المعلوم مشاركة الانسان لنوع الحيوان في الاحساس والحركة الارادية وحس الشعور وان الحيوان البهيم قد يكون أقوى استساسا وحياة وشعورا من الانسان وليس بقابل لما الانسان قابل له من معرفة الحق وارادته دون غيره فلو لا قوة في الفطرة والنفس الناطقة اختص بها الانسان دون الحيوان يقبل بها أن يعرف الحق ويريد الخير لكان هو والحيوان في هذا العدم سواء وحينئذ يلزم أحد أمرين كلاما ممتنع اما كون الانسان فاقد هذه المعرفة والارادة كغيره من الحيوانات أو تكون خاصة لها كحصولها للانسان فلو لا ان في الفطرة والنفس الناطقة قوة تقتضي ذلك لما حصل لها ولو كان بغير قوة ومقتضى منها لا يمكن حصوله لاجمادات والحيوانات لكن فاطرها وبارئها خصها بهذه القوة القابلة وفطرها عليها بوضحه * الوجه الثامن انه لو كان السبب مجرد التعالم من غير قوة قابلة لحصل ذلك في الجمادات والحيوانات لأن السبب واحد ولا قوة هناك يهيئ بها هذا المحل من غيره فلم ان حصول ذلك في محل دون محل هو لاختلاف القوابل والاستعدادات * الوجه التاسع ان حصول هذه المعرفة ولارادة في العدم المحض محال فلا بد من وجود المحل وحصوله في موجود غير قابل محال بل لا بد من قبول المحل وحصوله من غير مدد من الفاعل الى القابل فلو قطع الفاعل امداده لذلك المحل القابل لم يوجد ذلك المقبول فلا بد من اليجاد والاعداد والامداد فاذا استحال وجود القبول من غير إيجاد المحل استحال وجوده من غير اعداده وامداده والخالق العليم سبحانه هو الموجد المعد المد * الوجه العاشر انه من المعلوم ان النفس لا توجب بنفسها لنفسها حصول العلم والارادة بل لا بد فيها من قوة يقبل بها ذلك لا تكون هي المعطية لتلك القوة وتلك القوة لا تتوقف على أخرى والالزم التماسل الممتنع والدور الممتنع وكلامهما ممتنع فهاتنا ثلاثة أمور أحدها وجود قوة قابلة الثاني ان تلك القوة ليست هي المعطية لها الثالث ان تلك القوة لا تتوقف على قوة أخرى فينبذ لزوم أن يكون فاطرها وبارئها قد فطرها على تلك القوة وأعدها بها لقبول ما خاقت له وقد علم بالضرورة ان نسبة ذلك اليها وضده ليسا على السواء * الوجه الحادي عشر انا لو فرضنا توقف هذه المعرفة والمحبة على سبب خارج أليس عند حصول ذلك السبب يوجد في الفطرة ترجيح ذلك ومحبه على ضده فهذا الترجيح والمحبة والامر مركوز في الفطرة * الوجه الثاني عشر انا لو فرضنا انه لم يحصل المفسد الخارج ولا المصلح الخارج لكانت الفطرة مقتضية لارادة المصلح وايناره على مساواه واذا كان مقتضى موجودا والمنانع مفقودا وجب حصول الاثر فانه لا يتخلف الاعدم مقتضيه أو لوجود مانعه

فإذا كان المانع زائلا حصل الأثر بالمقتضى السالم عن المعارض المقاوم* انوجه الثالث عشر ان السبب الذى فى الفطرة لمعرفة الله ومحبهه والاخلاص له اما أن يكون مستازما لذلك واما أن يكون مقتضيا بدون استلزام أو يستحيل أن لا يكون له أثر البتة وعلى التدينين يرتب أثره عليه اما وحده على التقدير الاول واما بانضمام أمر آخر اليه على التقدير الثانى* الوجه الرابع عشر ان النفس الناطقة لاتخلو عن الشعور والارادة بل هذا الخلف ممتنع فيها فان الشعور والارادة من لوازم حقيقتها فلا يتصور الا أن تكون شاعرة مريدة ولا يجوز أن يقال انها قد تخلو في حق خالقها وفطرها عن الشعور بوجوده وعن محبهه وارادته فلا يكون اقرارها به ومحبهه من لوازم ذاتها هذا باطل قطعافان النفس لها مطلوب مراد بضرورة فطرتها وكونها مريدة هو من لوازم ذاتها فانها حية وكل حى شاعر متحرك بالارادة واذا كان كذلك فلا بد لكل مريد من مراد والمراد اما أن يكون مراد لنفسه أو لغيره والمراد لغيره لا بد أن يتمشى الى مراد لنفسه قطعافا لتسلسل في الملل الذاتية فانه محال كالتسلسل في الملل القاعلة واذا كان لا بد للانسان من مراد لنفسه فهو الله الذى لا اله الا هو الذى تأله النفوس وتحميه القلوب وتعرفه الفطر وتقربه العقول وتشهد بانه ربها ومليكها وفطرها فلا بد لكل أحد من إله يأله وصمد يصمد اليه والعباد مفلطرون على محبة الاله الحق ومعلوم بالضرورة انهم ليسوا مفلطرين على تأله غيره فاذا اتفقا فطروا على تأله وعبادته وحده فلو خلو فطروهم لمسا عبدوا غيره ولا تألهوا سواه يوضحه* الوجه الخامس عشر انه يستحيل أن تكون الفطرة خالية عن التأله والمحبة ويستحيل أن يكون فيها تأله غير الله لوجوه منها ان ذلك خلاف الواقع ومنها ان ذلك المخلوق ليس أولى أن يكون إلها لكل المخلوق من المخلوق الآخر ومنها ان المشركن لم يتفقوا على اله واحد بل كل طائفة تعبد ما تستحسنه ومنها ان ذلك المخلوق ان كان ميتا فالحى أكمل منه فيمتنع أن يكون الناس مفلطرين على عبادة الميت وان كان حيا فهو أيضا مريد فله إله تأله وحينئذ قلزم الدور الممتنع أو التسلسل الممتنع فلا بد للمخلوق كالمهم من اله يألهوه ولا يأله هو غيره وهذا برهان قطعى ضرورى فان قلت هذا يستلزم انه لا بد لكل حى مخلوق من اله ولكن لم لا يجوز أن يكون مطلوب النفس هو مطلق التأله والمألوه لا إلها معينا كما تقول طوائف الاتحادية* قلت هذا يتبين بالوجه السادس عشر وهو ان المراد اما ان يراد النوع أو لعينه فالاول كراداة العطشان والجساع والمارى لنوع الشراب والطعام واللباس فانه انما يريد النوع وحيث أراد المعين فهو القدر المشترك بين افراده وذلك القدر المشترك كلى لوجوده له في الخارج فيستحيل ان يراد لذاته اذ المراد لذاته لا يكون الا معينا ويستحيل أن يوجد في اثنين فان ارادة كل واحد منهما لذاته تنافي ارادته لذاته اذ المعنى بارادته لذاته انه وحده هو المراد لذاته الخاصة وهذا يمنع أن يراد معه ثان لذاته واذا عرف ذلك فلو كان القدر المشترك بين افراد النوع أو بين الاثنين هو المراد لذاته قلزم أن يكون ما يختص به أحدهما ليس مراد لذاته وكذلك ما يختص به الآخر والموجود في الخارج انما هو الذات المختصة لالكلى المشترك ١ تعلق الثالثة بالقدر المشترك لم يكن للخلف في الخارج اله ولكن إلههم أمرا ذهنيا وجوده في الاذهان لافي الاعيان وهذا هو الذى يأله طوائف أهل الوحدة والجهمية الذين أنكروا أن يكون الله تعالى لا خارج العالم ولا داخله فان هذا انما هو اله وفروض يفرضه الذهن كما يفرض سائر

المتعانت الخارجة وتقلته واجب الوجود وليس هو ممكن الوجود فضلا عن وجوبه وبهذا يتبين ان
الجمعية واخوانهم من القائمين بوحدة الوجود ليس لهم اله معين في الخارج يألهونه ويعبدونه بل
هو لا اله الا هو الوجود المطلق الكلي وأولئك الهو المعدوم المتمتع وجوده واتباع الانبياء الاهم الله الذي
لا اله الا هو الذي خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له مافي السموات وما
في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء
الحسنى هو الذى فطر القلوب على محبته والاقرباء به واجلاله وتعظيمه واثبات صفات الكمال له
وتنزيهه عن صفات النقائص والعيوب وعلى انه فوق سمواته بائن من خلقه تصعد اليه أعمالهم على
تعاقب الاوقات وترفع اليه أيديهم عند الرغبات يخافونه من فوقهم ويرجون رحمته تنزل اليهم من
عنده فهمهم صاعدة الى عرشه تطالب فوقه إلها عليا عظيما قد استوى على عرشه واستولى على خلقه
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرض اليه في يوم كان مقداره ألف سنة عما تعدون ذلك عالم
الغيب والشهادة العزيز الرحيم والمقصود انه اذا لم يكن في الحسيات الخارجة عن الازهان ماهو مراد
لذاته لم يكن فيها ما يستحق أن يأله أحد فضلا ان يكون فيها ما يجب أن يأله كل أحد فتبين انه
لا بد من اله معين هو المحبوب المراد لذاته ومن المتمتع أن يكون هذا غير فاطر السموات والارض
وتبين انه لو كان في السموات والارض إله غيره لفسدتا وان كل مولود يولد على فطرته ومعرفته واجلاله
وتعظيمه وهذا دليل مستقل كاف فيما نحن فيه وبالله التوفيق * تم الكتاب والحمد لله

يقول مصححه العبد المسكين محمد بدر الدين

الحمد لله حمدًا بقضى رضاء وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفاه
واختاره لرسالته واجتباؤه وعلى آله وصحبه المتمسكين بهديه وهداه
وبعد فقد تم والله الحمد طبع كتاب (شفاء العليل * في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل)
تأليف الامام أبى عبدالله محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية نعمة الله برحمته وأسكننا
واياه فسيح جنته وذلك بعد عناء تصحيح النصف الاول منه على نسخة وصلتنا من
صاحب الفضيلة علامة العراق على الاطلاق آل موسى زاده السيد محمود شكرى افندى
حفظه الله مع مقابلة ذلك على النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية بمصر
ومن ثم الى آخر الكتاب على نسخة دار الكتب الخديوية فقط
وذلك بالمطبعة الحسينية ذات الادوات البهية ادارة صاحبها
الارباب الاديب السيد محمد عبد اللطيف الخطيب
في سنة ١٣٢٣ هجرية أحسن الله خاتمها
والحمد لله أولا وآخرا وصلى
الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم

تحيفه

٢ مقدمة الكتاب

٥ فصل في تسمية الكتاب وتعدادأبوابه

٦ الباب الاول في تقدير المقادير قبل خالق السموات والارض

٨ الباب الثانى في تقدير الرب تبارك وتعالى شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم

قبل خلقهم

١٢ الباب الثالث في ذكر احتجاج آدم وموسى عليهم السلام في ذلك وحكم النبي صلى الله عليه وسلم لآدم

١٩ الباب الرابع في ذكر التقدير الثالث والجنين في بطن أمه

٢٢ الباب الخامس في ذكر التقدير الرابع ليلة القدر

٢٣ الباب السادس في ذكر التقدير الخامس اليومى

٢٤ الباب السابع في ان سبق المقادير بالشقاوة والسعادة لا يقتضى ترك الاعمال

٢٦ الباب الثامن في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون

٢٨ الباب التاسع في قوله تعالى انا كل شىء خلقناه بقدر

٢٩ الباب العاشر في مراتب القضاء والقدرالى من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

٣٩ الباب الحادى عشر في ذكر المرتبة الثانية من مراتب القضاء والقدر وهى مرتبة الكتابة

٤٣ الباب الثانى عشر في ذكر المرتبة الثالثة وهى مرتبة المشيئة

٤٩ الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة وهى مرتبة خلق الله الاعمال

٦٥ الباب الرابع عشر في الهدى والضلال ومراتبهما والمقدور منهما للخلق وغير المقدور لهم

٨٥ الباب الخامس عشر في الطبع والحتم والقفل والغل والسد والفتاوة والحائل بين الكافر

وبين الايمان وان ذلك مجموع للرب تعالى

١٠٩ الباب السادس عشر فيما جاء في السنة من تفرد الرب تعالى بخلق أعمال العباد كما هو منفرد

بخلق ذواتهم وصفاتهم

١٢٠ الباب السابع عشر في الكسب والجبر ومعناها لغة واصطلاحا واطلاقيهما نفيًا وإثباتًا

١٣٤ الباب الثامن عشر في فعل وأفعل في القضاء والقدر والكسب وذكر الفعل والانفعال

١٣٩ الباب التاسع عشر في ذكر مناظرة جرت بين حبرى وسنى جمعهما مجلس مذاكرة

١٥٢ الباب العشرون في ذكر مناظرة بين قدرى وسنى (وقع خطأ بين قدرى سنى)

١٧٨ الباب الحادى والعشرون في تنزيه القضاء الالهى عن الشر

* الباب اثنان والعشرون في طرق اثبات حكمة الرب تعالى في خلقه وأمره وإثبات النيات

* المطلوبة والعواقب الحميدة التى فعل وأمر لاجلها

* الباب الثالث والعشرون في استيفاء شبه النافلين للحكمة والعليل وذكر الاجوبة عنها

* هكذا وقع بالاصل بدون ان يفصل بين الحادى والعشرون والثالث والعشرون

تخفيفه

- ٢٦٨ الباب الرابع والعشرون في قول الساف من أصول الايمان الايمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره
- ٢٦٩ الباب الخامس والعشرون في امتناع اطلاق القول نفيا واثباتا ان الرب تعالى مرید لاشر وفاعل له
- ٢٧٢ الباب السادس والعشرون فيما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك (الى آخر الحديث) من تحقيق القدر واثباته وما تضمنه الحديث من الاسرار العظيمة
- ٢٧٤ الباب السابع والعشرون في دخول الايمان بالقضاء والقدر والمدل والتوحيد والحكمة تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم ماض في حكمك (الحديث) وبيان ما فيه من القواعد
- ٢٧٨ الباب الثامن والعشرون في احكام الرضا بالقضاء واختلاف الناس في ذلك وتحقيق القول فيه
- ٢٨٠ الباب التاسع والعشرون في انقسام القضاء والحكم والارادة والكتابة والاذن والجعل والكلمات والبعث والارسال والتحریم والانشاء الى كوني متعلق بخلقه والى ديني متعلق بامرہ وما يحقق ذلك من ازالة اللبس والاشكال
- ٢٨٣ الباب المو في ثلاثين في ذكر الفطرة الاولى واختلاف الناس في المراد بها وانها لا تنافي القضاء والقدر بالشقاوة والضلال
- تم

(فهرس مطبوعات المكتبة الحلية أنشئت سنة ١٣١٧ هجرية)
(لاصحابها) أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه
(تحت عنوان محمد أمين الخانجي وشركاه)

(بإشراف الخلوحي بمصر)

كتاب المعمرين وطرف أخبارهم ومواعظهم للإمام الحجة أبي حاتم السجستاني
كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الاصفهاني

كتاب الظرف والظرفاء (أو كتاب الموشى) لابن عبد الله الوشاء تلميذ المبرد

كتاب مختصر مكشفة القلوب للإمام أبي حامد محمد الغزالي

كتاب الحرز المنيع في أحكام وفوائد الصلاة والسلام على الحبيب الشفيق للجلال السيوطي

كتاب تعديل الصلاة للإمام أحمد وكتاب أحكام تارك الصلاة لابن قيم الجوزية

كتاب الديات وأحكامها ودقائقها للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو التليلي أبي عاصم الضحاك

فته الاكبر للإمام الاعظم أبي حنيفة النعمان مع شرحه لملا على القاري الحنفي

الاضواء البهجة في ابراز دقائق المنفرجه لشيخ الاسلام القاضي زكريا الانصاري

الحكم المندرجة في شرح المنفرجه باللغة التركية للعلامة الاتقروى شارح المثنوى

ديوان الخطيئة مع شرحه لامام أهل الادب أبو الحسن السكري

كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل للإمام المجتهد أبي محمد علي بن حزم الظاهري وبهامشه

كتاب الملل والنحل لابن الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

اللاالى المصنوعة في الاحاديث الموضوعه للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي

كتاب جمع الوسائل لشرح المائل لملا على القاري الحنفي وبهامشه شرح العلامة المحدث عبد الرؤف

المناولى الشافعى وهما جزآن كبيران

كتاب الصنائع (النثر والنظم) أو الكتابة والشعر تأليف امام أهل الادب في المائة الرابعة أبى

هلال العسكرى

شرح شواهد منى اللبيب للعلامة جلال الدين السيوطي أورديه بيت الشاهد وأعقبه بالقصيدة التى

منها الشاهد وتكلم على غريب ما فيها وتطرق لذكر ترجمة شعراء تلك الشواهد

مفتاح العلوم للإمام السكاكى وبهامشه كتاب اتمام الدرايه لقراء النقايه للعلامة جلال الدين السيوطي

يحتوى على أربعة عشر فنا مميزة عبارة المتن فيه عن الشرح

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين للإمام نضر الدين للرازى مع

تلخيص المحصل للعلامة نصير الطوسى وهو كالشرح له وبهامشه كتاب معالم أصول الدين

للازى المذكور

كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام أبى حامد محمد الغزالي

فصل التفرقة بين الاسلام والزندقة للإمام أبى حامد المذكور

كتاب محك النظر في فن المنطق للإمام أبى حامد الغزالي أيضا

كتاب القسطاس المستقيم للإمام المذكور يتضمن محاوره جرت بينه وبين أحد الباطنية
كتاب الحكمة في مخلوقات الله تعالى للإمام حجة الاسلام أبي حامد الغزالي أيضا
فاتحة العلوم للإمام الغزالي أيضا مرتبة على ثمانية أبواب

كتاب مابعد الطبيعة لفيلسوف الاسلام قاضي القضاة الإمام أبي الوليد أحمد بن رشد
كتاب فلسفة القاضي ابن رشد أيضا يشتمل على فصل المقال فيما بين الحكمة والنميمة من الاتصال
مع ذيله والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة

كتاب تاريخ الأزهري تأليف صاحب السعادة مصطفى بك بيرم
تفريح المهج بتلويح الفرج الجامع ثلاث كتب * أولها حل العقال للأديب الفاضل عبد الله الحجازي
الحلي المعروف بابن قضيب البان * الثاني الأراج في الفرج للإمام جلال الدين السيوطي * الثالث
معيد النعم ومبيد النقم لقاضي القضاة الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي
كتاب الاتحاف بحجب الأشراف للشيخ عبد الله الشبراوي وبهامشه كتاب حسن التوسل في آداب
زيارة أفضل الرسل للعلامة عبد القادر الفاكهي مذيلا بأحياء الميت في الأحاديث الواردة في آل
البيت للإمام جلال الدين السيوطي

كتاب المنهل العذب لكل وارد في بيان فضل عمارة المساجد لحضرة الاستاذ الشيخ حسن السقا
خطيب الجامع الأزهر

فقه الفقه وسر العريبه للإمام أبي منصور الثعالبي مضبوط بالشكل الكامل
كتاب أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن محمد بن حبيب البصري الماوردي وبهامشه كتاب
تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق للعلامة ابن مسكويه

كتاب المبادئ المنطقية للشيخ عبد الله الفيومي بسط فيه الكلام وأوضح الدلائل
كتاب منظومة الكواكب في أصول فقه الحنفية وهي نظم متن المنار مع زيادات عليه للشيخ حسن
الكواكب الحلي تحتوي على نيف وألفي بيت مضبوطة بالشكل

كتاب تأسيس النظائر في اختلاف الفقهاء للإمام الديوبندي وهو أول كتاب دون في هذا الفن لأول إمام كتب فيه
كتاب أفضل الصلوات على سيد السادات جمع الشيخ يوسف أفندي التبهاني رئيس محكمة حقوق بروت
كتاب الخلاصة شقيقة الكشكول لبهاء الدين العاملي بهامشه سكران الساطان لابن أبي حجلة المغربي
وبهامها أسرار البلاغة للامام أبي

كتاب فقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان مع كتاب الفقه الأكبر للإمام الشافعي رضي الله
الله عنهما

كتاب نظم الفرائد في المسائل التي وقع الاختلاف فيها بين الماتريدية والأشاعرة من العقائد
متن الشمسية طبع مصر وشرحها طبع الاستاذ لاما لمحققين سعد الدين التفتازاني

تفسير سورة الاخلاص للشيخ الاسلام أحمد بن تيمية الخبلي .. بسط الكلام فيه على تفسير هذه
السورة الكريمة وبين الرد فيها على كافة الفرق المخالفة للإسلام

جواب أهل العلم والإيمان فيما أخبر به رسول الرحمن من أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن

لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور ذكر فيها معنى المفاضلة في آي القرآن وبسط أقوال العلماء في ذلك
مجموعة الرسائل التسعة لشيخ الاسلام ابن تيمية المذكور وهذا بيان تلك الرسائل (كتاب العبودية
(كتاب الواسطة بين الحق والخلق) (كتاب الحسبة في الاسلام) (رسالة المظالم المشتركة)
(كتاب معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول) (رسالة تنوع العبادات)
(رسالة الرد على التصريه) (رسالة زيارة القبور والاستجداء بالمقبور) (رسالة رفع الملام عن الأئمة
الاعلام)

كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الاسلام ابن تيمية أيضا
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو كتاب الداء والدواء للعلامة شمس الدين بن قيم الجوزية
شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للعلامة ابن قيم الجوزية المذكور
مفتاح دار السعادة ومنشور ألوية العلم والارادة للعلامة ابن قيم المذكور
هداية الخيارى من اليهود والنصارى لابن القيم أيضا

المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى للإمام أبى حامد الغزالى

لواعب البنات في شرح أسماء الله تعالى والصفات للإمام نضر الدين الرازى

شرح ديوان زهير بن أبى سلمى المزنى والد سيدنا كعب للإمام الاعلم النعمانى الشنتمرى

المفصل للعلامة الزمخشري مع شرح شواهد السيد محمد بدر الدين الحلي

مراتب المدلسين في الحديث للحافظ ابن حجر شارح البخارى وبآخره اخبار أهل الرسوخ في

الفقه والتحديث بمقدار التناسخ والمنسوخ من الحديث للعلامة أبو الفرج ابن الجوزى

مفتاح كنوز القرآن لبعض علماء انروس . . وهو أكبر قاموس لفردات آي القرآن

فصوص الحكم لشيخ الأكبر (بشرحه للشيخ عبد الغنى النابلسى ولمولانا ملا جامى) جزآن

رشحات الافلام شرح نظم كفاية الغلام كلاهما للشيخ عبد الغنى النابلسى

الاشباه والنظائر الفقهية للعلامة ابن نجيم المصرى الحنفى صاحب كتاب البحر

الدبر المضيد من مجموعة الحفيد لشيخ الاسلام احمد بن يحيى الهروى الشافعى حفيد السعد التفتازانى

مختصر جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب

الشعر والشعراء أوطبقات الشعراء . . لابن عبد الله محمد بن قتيبة الدينورى

سفر الخير في الرد على أهل الكتاب باللغة التركية للشيخ عبد الله سالك الانطاكي

الاشارة والايجاز الى ما جاء في القرآن من أنواع المجاز للعلامة الغز بن عبد السلام المصرى

دقائق الاخبار

(في)

ذكر الجنة والنار *

للإمام عبد الرحيم بن أحمد القاضي

نفعنا الله به آمين



(وبهامشه كتاب الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان)

(للسيوطي رحمه الله تعالى)



(الطبعة الثانية)

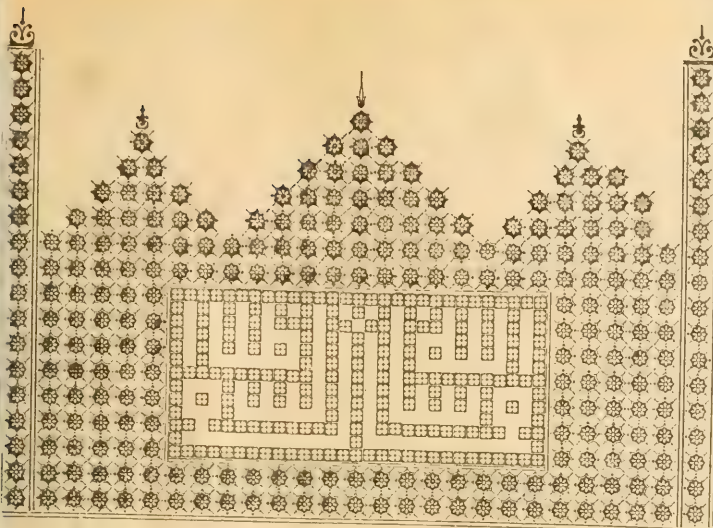
سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

يباع بالمكتبة الجديدة لمصاحبيها محمد علي صبيح وولده محمد بن الصباغ

بأول شارع الصناديق بجوار الازهر الشريف بمصر

طبع بالمطبعة التجارية الكبرى بحارة قايدنمره ٣ بشارع عابدين بالقاهرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)
 الحمد لله رب العالمين والصلاة
 والسلام على سيدنا محمد خاتم
 النبيين وعلى آله وصحبه
 أجمعين (أما بعد) فقد جاء في
 الخبر أن الله تعالى خلق
 شجرة اليقين ثم خلق نور
 محمد صلى الله عليه وسلم في
 حجاب من درة يضاء على
 هيئة الطاوس ووضعه على
 تلك الشجرة فسمي الله تعالى
 عليها مقدار سبعين ألف سنة
 ثم خلق الله تعالى مرآة الحياة
 ووضعها باستقبال ذلك
 الطاوس فلما نظر إليها ذلك
 الطاوس رأى صورته أحسن
 صورة وأزین هيئة فاستحيا
 من الله تعالى فمجد خمس
 مرات فكتب الله خمس صلوات
 على محمد صلى الله عليه وسلم
 وأمه ثم إن الله سبحانه
 وتعالى نظر إلى ذلك النور
 فغرق خيامه من الله سبحانه
 وتعالى فخلق من عرق رأسه
 الملائكة ومن عرق وجهه
 العرش والكرسي والروح
 والقلم والشمس والقمر
 والحجب والكواكب وما
 كان في السماء وخلق من عرق
 صدره الأنبياء والمرسلين
 والعلماء والشهداء والصالحين
 وخلق من عرق ظهره للبيت
 المعمور والأكعبة وبيت
 المقدس ومساجد الدنيا
 وخلق من عرق حاجبيه



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الذي
 اجتبه من خلقه واسطفاه ﴿وبعد﴾ فأقول
 ﴿الباب الأول في خلق الروح الأعظم وهو نور سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام﴾
 قد جاء في الخبر أن الله تعالى خلق شجرة لها أربعة أغصان فصارها شجرة اليقين ثم خلق نور محمد
 في حجاب من درة يضاء كمثل الطاوس ووضعه على تلك الشجرة فسمي عليها مقدار سبعين ألف
 سنة ثم خلق مرآة الحياة فوضعت باستقباله فلما نظر الطاوس فيها رأى صورته أحسن صور
 وأزین هيئة فاستحيا من الله تعالى فغرق فقطر منه ست قطرات فخلق الله تعالى من القطرة الأولى
 أبابكر رضى الله عنه ومن القطرة الثانية عمر رضى الله عنه ومن القطرة الثالثة عثمان رضى
 تعالى عنه ومن القطرة الرابعة عليا رضى الله عنه ومن القطرة الخامسة الورد ومن القطرة السادسة
 الأرز ثم سجد ذلك النور المحمدي خمس مرات فصارت علينا تلك السجدة في ضامّة قفاقره
 الله تعالى خمس صلوات على محمد وأمه ثم نظر الله تعالى إلى ذلك النور مرة أخرى فغرق حياه
 الله تعالى فن عرق أنه خلق الملائكة ومن عرق وجهه خلق العرش والكرسي والروح والقلم
 والشمس والقمر والحجب والكواكب وما كان في السماء ومن عرق صدره خلق الأنبياء والمرسلين
 والعلماء والشهداء والصالحين ومن عرق ظهره خلق البيت المعمور والكعبة المقدسة
 والمساجد والمؤمنات والمسلمات ومن عرق أذنه خلق أرواح البهائم والوحوش والجن
 والمؤمنات والمسلمات ومن عرق رجليه خلق الأرض والسموات ومن عرق يده خلق ما في
 المشرق إلى المغرب وما فيه. ثم قال الله تعالى فخلق النور انواراً من نور محمد قد
 المؤمنون والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وخلق من عرق ذنبه اليم والبر والبحر وما فيهن

فراى امامه نورا ومن ورائه نورا وعن يمينه نورا وعن يساره نورا وهم أبو بكر وعمر وعثمان
وعلى رضي الله تعالى عنهم ثم سمع ذلك النور سبعين ألف سنة ثم خلق الله نور الانبياء من
نور محمد عليه السلام ثم نظر الله الى ذلك النور فخلق منه ارواحهم يعني خالق ارواح
الانبياء من عرق روح محمد عليه السلام وخلق ارواح أم هؤلاء الانبياء من عرق ارواح
أنبيائهم يعني ارواح كل أمة خلقت من عرق روح نبيها وخلقت ارواح المؤمنين من أمة
محمد من عرق محمد عليه السلام فقالوا لا اله الا الله محمد رسول الله ثم خلق قنديلان من العقيق
الاحمر يري ظاهره من باطنه ثم خلق صورة محمد عليه السلام كصورته في الدنيا ثم وضعها
في هذا القنديل فقام فيه كقيامه في الصلاة ثم طافت ارواح الانبياء حول نور محمد عليه
السلام فسبحوا وهللوا مقدار مائة ألف سنة ثم أمر الله تعالى كل الارواح لينظروا اليها
فنظروا اليها ففهم من رأى رأسه فصار خليفة وساطنا بين الخلائق ومنهم رأى جبهته
فصار أميرا عادلا ومنهم من رأى عينيه فصار حافظا لكلام الله تعالى ومنهم من رأى حاجبيه
فصار نقاشا ومنهم من رأى أذنيه فصار مستمعا ومقبلا ومنهم من رأى خديه فصار محسنا
وعاقلا ومنهم من رأى شفتيه فصار وزيرا ومنهم من رأى أنفه فصار حكيما ومطيعا وباعطا
ومنهم من رأى فمه فصار صاعقا ومنهم من رأى سنه فصار حسن الوجه من الرجال والنساء
ومنهم من رأى لسانه فصار رسولا بين السلاطين ومنهم من رأى حلقه فصار واعظا وناصحا
ومؤذنا ومنهم من رأى لحيته فصار مجاهدا في سبيل الله ومنهم من رأى عنقه فصار
تاجرا ومنهم من رأى عضديه فصار فارسا وسيافا ومنهم من رأى عضديه الايمن فصار حجاجا
ومنهم من رأى عضده اليسرى فصار جاهلا ومنهم من رأى كفه الايمن فصار صرافا وطارزا
ومنهم من رأى كفه اليسرى فصار كيا لا ومنهم من رأى يديه فصار سخيا وكيسا ومنهم
من رأى كفه اليسرى فصار بخيلا ومنهم من رأى ظهر كفه الايمن فصار طباحا ومنهم من
رأى انامه اليسرى فصار كاتباً ومنهم من رأى أصابع اليسرى فصار حدادا ومنهم من
رأى صدره فصار عالما ومكرما ومجتهدا ومنهم من رأى ظهره فصار متواضعا ومطيعا
لامر الشرع ومنهم من رأى جنبه فصار غازيا ومنهم من رأى بطنه فصار قائدا وزاهدا
ومنهم من رأى ركبته فصار راكعا وساجدا ومنهم من رأى رجله فصار صيادا ومنهم
من رأى تحت قدميه فصار ماشيا ومنهم من رأى ظله فصار مفتيا وصاحب طنبور ومنهم
من لم ير منه شيئا فكان يهوديا أو نصرانيا أو كافرا أو مجوسيا ومنهم من لم ينظر منه شيئا
فصار مدعياً للربوبية كالفرعنة وغيرهم من الكفار (واعلم) أن الله تعالى أمر الخلق بالصلاة
على صورة اسم احمد ومحمد فالقيام كمثل الالف والركوع كالهاء والاسجود كاليم والقفود
كالدال وخلق الخلق على صورة اسم محمد عليه السلام فالرأس مدور كاليم الاولى واليدان
كالهاء واللبطن كاليم الثانية والرجلان كالدال ولا يحرق أحد من الكفار على صورته
بل تبدل صورته على صورة الخنزير ثم تحرق بالنار

﴿الباب الثاني في خلق آدم عليه السلام﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى جسد آدم عليه السلام من أقلام الدنيا فرأه
من تراب الكعبة وصدره من أقطار الارض وظهره وبطنه من تراب الهند ويده من
تراب المشرق ورجلاه من تراب المغرب وفي رواية اخري قال وهب ابن منبه خلق الله تعالى
رأى لحيته فصار مجاهدا في سبيل الله تعالى ومنهم من رأى لسانه فصار رسولا بين الخلائق ومنهم من رأى منكبه الايمن فصار سيافا

آدم عليه السلام من الارضين السبع فرأسه من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وظاهره وبطنه من الخامسة وفخذه وعجزه من السادسة وساقاه من السابعة وفي رواية أخرى قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى آدم عليه السلام فرأسه من تراب بيت المقدس ووجهه من تراب الجنة وأذناه من تراب طور سيناء ووجهته من تراب العراق وأسنانه من تراب الكوثر ويده اليمنى من تراب الاصابع من تراب الكعبة ويده اليسرى من تراب فارس ورجلاه مع ساقيه من تراب الهند وعظمه من تراب الجبل وعورته من تراب بابل وظاهره من تراب العراق وبطنه من تراب خراسان وقلبه من تراب الفردوس ولسانه من تراب الطائف وعيناه من تراب الحوض ولما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل والبطنة والنطق ولما كان أذناه من تراب طور سيناء صار موضع السمع والنبیحة ولما كانت جبهته من للعراق صارت موضع السجود لله تعالى ولما كان وجهه من تراب الجنة صار موضع الحزن والربنة ولما كانت أسنانه من الكوثر صارت موضع البركة والمعونة في المعیفة والجود ولما كانت يده اليسرى من فارس صارت موضع الطهارة والاستبجاء ولما كان بطنه من خراسان صار موضع الجوع ولما كانت عورته من بابل صارت موضع الشهوة والغل والغش ولما كان عظمه من الجبل صار موضع الصلابة ولما كان قلبه من الفردوس صار موضع الايمان ولما كان لسانه من الطائف صار موضع الشهادة والتضرع ولداه الى الله وجعل فيه تسعة أبواب سبعة في الرأس عیناه وأذناه ومنخرأه وفه وثانأذ في بدنه قبله وظهره وجعل له الحواس الخمس البصر في العين والسمع في الاذنين والذوق في الفم واللمس في اليدين والشم في الانف ويقال لما أراد الله أن ينفخ الروح في آدم عليه السلام أمر الله تعالى الروح أن تدخل فيه ويقال أن الروح دخلت من دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت الروح في عيذه فنظر الى نفسه فرأها طينا يابساً فلما بلغ الى اذنيه سمع تسبیح الملائكة ثم نزلت خشومه فغطس فلما فرغ من عطاسه نزلت الروح الى فمه ولسانه واذنيه ولقنه الله تعالى أن يقول الحمد لله فأجاب به بحمك ربك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره فمجل القيام فلم يمكنه وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا فلما وصلت الروح الى جوفه اشتبه الطعام وانتشرت الروح في كل جسده فصار لحما ودما وعروفاً وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا من ظفر يزداد كل يوم حسناً وجمالا فلما قارف الذنب بدل الله هذا الظفر بالجلد وبقيت منه بقية في أنامله ليذكر بذلك أول حاله فلما تم الله خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح وألبسه من لباس الجنة ونور محمد يلعب في وجهه كالقمر ليلة البدر ثم رفع على سرير وحمل على أعناق الملائكة قال الله تعالى لهم طوفوا به السموات بسريره ليري عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة ربنا سمعنا وأطعنا خفمته الملائكة على أعناقها وطافت به في السموات مقدار مائة عام ثم خلق فرسا من المسك الابيض والاذفر يقال له ميمون وله جناحان من الدر والمرجان فركبه آدم عليه السلام وجبرائيل أخذ بجامه وميكائيل عليه السلام عن يمينه وسمرافيل عليه السلام عن يساره وطافوا به السموات كلها وهويسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون وعليكم السلام فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك ونحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة

❦ باب الثالث في ذكر الملائكة ❦

اعلم أن الله تعالى خلق الملائكة للكرام الاربع اميرافيل عليه السلام وميكائيل عليه السلام وعيناه من حوض الكوثر فلما كان رأسه من بيت المقدس صار موضع العقل ولما كان وجهه من الجنة صار وجبرائيل

فكانت الملائكة تقف خلف آدم صفواً وفاضوا فيسلمون على نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى خاق فرسان المسك يقال لها ميمونة ولها جناحان من الدر والمرجان فركبها آدم وجبريل أخذ بزمامها وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره فطافوا به السموات للهديم وهو يسلم على الملائكة فيقول السلام عليكم فيقولون عليك السلام يا آدم فصارت تحية المسامين من أولاد آدم الى يوم القيامة ثم اعلم ان أول ما خلق الله من الملائكة اربعة اسرافيل صاحب للصور وميكائيل موكل بالامطار وجبريل صاحب الوحي وعزرائيل قابض الارواح ثم ان اسرافيل سأل الله ان يعطيه قوة سبع سموات فاعطاه وقوة سبع ارضين فاعطاه وله من تحت قدميه الى رأسه شعور وأفواه وألسنة فطاة بالاجنحة كل لسان منها يسبح الله تعالى وبالف لفة فيخلق الله تعالى من كل لغة ملكاً على صورة اسرافيل عليه السلام يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وينظر كل يوم وليلة الى جهنم ثلاث مرات فيذوب حتى يصير مثل وتر القوس

خلق الله تعالى الموت واسطاً عليه ملك الموت قال ملك الموت يارب وما الموت فأمر الله تعالى الحجب أن تنكشف حتى رآه ملك الموت فقال الله تعالى للملائكة قفوا وانظروا هذا الموت فوقفت الملائكة كلهم أجمعون وقال الله تعالى له طر عليهم وانشر الاجنحة كلها وافتح اعينك كلها فلما طار انظرت اليه الملائكة فخروا مقشياً عليهم ألف عام فلما أقفوا قالوا ربنا اخلقت أعظم من هذا خلقاً قال الله تعالى أنا خلقتهم وانا اعظمهم منه وقد يذوق كل الخلق منه ثم قال الله يا عزرائيل خذ هذه سلطتك عليه فقال الهي بأى قوة آخذه فانه أعظم منى فاعطاه الله قوة ثم أخذهم فسكرن في يده فقال الموت يارب ائذن لى حتى انادى فى السموات فاذن له فنادى بأعلى صوته أنا الموت الذي افرق بين كل حبيب انا الموت الذي افرق بين الزوج والزوجة وأنا الموت الذي افرق بين البنات والامهات وأنا الموت الذي افرق بين الاخ والاخوات وأنا الموت الذي اخرب الدور والقصور وأنا الموت الذى امر القبور وأنا الموت الذى أطلبكم ولو كنتم فى بروج مشيدة ولا يبقى مخلوق الا يذوقنى وان للكافر والمنافق والشقي اذا حضرهم الموت نزل عليهم وعن يساره ملائكة العذاب سود الوجوه زرق العيون ومعه لباس من العذاب فيجاسون بعيداً منه حتى يحىء ملك الموت واذا جاء ملك الموت احدا منهم قام بين يديه على صورة مهيبة ثم يقول نفس ذلك الشخص من أنت وما تريد فيقول أنا ملك الموت الذى اخرجك من الدنيا واجعل ولدك يقبوا ووجنتك أرملة ومالك موروثا بين ورتك الذين لا تحبهم فى حال خيانتك وانك لم تقدم خيراً لنفسك ولا لاخرتك اليوم جئت اليك لاقبض روحك فاذا جمع به الشخص حول وجهه الى الحائط فيرى ملك الموت قائماً بين يديه فيحول وجهه الى الجانب الآخر فيرى ملك الموت بين يديه قائماً فيقول ملك الموت ألم تعرفنى أنا ملك الموت الذى قبضت روح والدك وانت تنظر إليهما ولم تنفهما اليوم أخذ روحك حتى ينظر أولادك وأقرباؤك ورفقاؤك حتى ينتصحو منك اليوم وأنا ملك الموت الذى قد أنفنت من أقرؤى الماضية من هو أكثر قوة منك وأكثر مالا من مالك وأكثر ولداً من أولادك ثم يقول له ملك الموت كيف رأيت الدنيا فيقول رأيتها مكاراة غدارة ثم يخلق الله تعالى الدنيا على صورة فتقول الدنيا يا عاصي أما تستحي أنت أذنت فى الدنيا ولم تمنع نفسك عن المعاصي انك طابقتى وما طلبتكم ولم تفرق بين حلال وحرام ظننت انك لا تفارق الدنيا فاني برتبة منك ومن مملك ويرى ماله قد وقع فى ملك غيره فيقول المال يا عاصي كسبته بغير حق ولم تصرفنى ولم تصدق بى على الفقراء والمساكين اليوم قد وقعت فى ملك غيرك وذلك قوله تعالى يوم لا نفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم فيقول رب ارجعوني لعلى أعمل صالحاً فاني تركت فيقول الله تعالى اذا جاء أجاهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ثم يأخذ روحه ان كان مؤمناً على السعادة وان كان كافراً أو منافقاً على الشقاوة لقوله تعالى كلا ان كتاباً فنجار لى سجين

باب الخامس فى أحوال ملك الموت كيف يأخذ الارواح

ذكر فى كتاب السلوك عن مقاتل بن سليمان أن ملك الموت كان له سرير فى السماء السابعة ويقال فى الرابعة خلقه الله تعالى من نور وله سبعون ألف قائمة وله اربعة آلاف جناح ملوء جميع جسده بالعيون والالسن وليس أحد من الخلق من الادميين والطيور وكل ذى روح الا وله فى جسده وجه وعين ويد وأذن بعدد كل انسان فيأخذ بتلك اليد الروح

بعدم ارفيل بمجموعة مائة عام
له من رأسه الى قدمه شعور
من الزعفران وأجنحة من
الزبرجد تحت كل شفرة ألف
وجه وفي كل وجه ألف فم وفي
كل فم ألف لسان يستغفر الله
للمذنبين من المؤمنين وكل
قطرة تنظر من دمعه ويخلق
الله منها ملكا على صورة
ميكائيل يسبح الله تعالى الي
يوم للقيامة موكون بالمطر
ونبات الارض والاوراق
والثمار فانه قطرة في البحار
ولا تفر في الاشجار ولا حبة
في الارض الا وعليها ملك
موكل بها واما جبرائيل
فخلق الله الشمس بين عينيه
وكل يوم يدخل بحر النور
ثلاثمائة وستين مرة فاذا خرج
بمقاط من أجنحته قطر
فيخلق الله تعالى من كل قطرة
ملك على صورة جبرئيل عليه
السلام يسبح الله تعالى الي يوم
القيامة وأما صورة ملك
الموت فهي كصورة
امرافيل عليه السلام وفيها
الالسة بعدمدها ان الله
تعالى خالق الموت وحجة
عن الملائكة بالف حجاب
وله قوة تفوق السموات
والارض وله سلاسل طول
كل سلسلة مسيرة ألف عام فإ
ال محجوب عن الملائكة لا
يقربون اليه ولا يعلمون
كانه ولا يسمعون صوته ولا
يدرون ما هو الى أن خالق الله

وينظر بالوجه الذي يحاذيه ولذلك يقبض روح المخلوقين في كل مكان فاذا ماتت نفس في
الدنيا ذهب من جسده صورتها ويقال أن له اربعة اوجه وجه قدمه والثاني على رأسه
والثالث على ظهره والرابع تحت قدميه فيأخذ أرواح الانبياء والملائكة من وجه رأسه
وارواح المؤمنين من وجه قدمه وأرواح الكافرين من وجه وراء ظهره وارواح الجن
من وجه قدميه واحدى رجله على جمر جهنم والاخرى على سرير الجنة ويقال في عظمه
انه لو صب ماء جميع البحور والانهار على رأسه ما وقعت منها قطرة على الارض ويقال أن
الله تعالى جعل الدنيا بأمرها في جنب ملك الموت كخوان قد وضع بين يدي رجل ليأكل
منه ما شاء فكذلك ملك الموت في الخلق يقبض الدنيا كما يقبض الآدمي درهما ويقال لا ينزل
ملك الموت الا على الانبياء والمرسلين وله خليفة على قبض ارواح السباع والبهائم ويقال
ان الله تعالى اذا افنى خلقه من الناس وغيرهم ألقى ملك العيون التي في جسده كلها وبقى
ثمانية من المخلوقين يقال لهم امرافيل وميكائيل وجبرائيل وعزرائيل واربعة من حملة العرش
* وأما معرفة انتهاء الأجل *

فان ملك الموت اذا وقع اليه نسخة الموت والمرض للعبد يقول ألهي متي اقبض روح العبد
وعلى أي حال وهيئة ارفعه فيقول الله تعالى يا ملك الموت هذا علم غيبي لا يطلع عليه أحد
غيري ولكن اعلمك بمجيء وفته واجعل لك علامات تقف عليها أن الملك الذي هو موكل
على الانتقام واصحالم يأتي لتيك فيقول تم نفس فلان والذي على ارضاقه واصحاله يقول تم
رزقه وعمله وان كان من السعداء نبين على اسمه الذي هو مكتوب في صحيفته التي عند
ملك الموت خط من نور أبيض حول اسمه وان كان من الاشقياء تبين فيه خط اسود ثم
لا يتم للعبد ذلك حق تسقط عليه ورقة من الشجرة التي تحت العرش مكتوب على
الورقة اسمه فحينئذ يقبض روحه * روى عن كعب الاحبار أن الله تعالى خلق شجرة تحت
العرش عليها اوراق بعدد كل مخلوق واذا قضى اجل العبد وبقي له من صمره أربعون
يوما سقطت ورقته على حجر عزرائيل عليه السلام فيعلم بذلك أنه امر يقبض روح صاحبها
وبعد ذلك يسمونه ميتا في السماء وهو حي على وجه الارض اربعين يوما ويقال ان ميكائيل
عليه السلام ينزل بصحيفة على ملك الموت من عند الله مكتوب فيها اسم من امر يقبض
روحه والموضع الذي يقبض فيه الروح والسبب الذي يقبض عليه * وذكر أبو اليت رضى
الله عنه انه ينزل قطر ثان من تحت العرش على اسم صاحبها احداها خضراء والاخرى بيضاء
فاذا وقعت الخضراء على أي اسم كان عرف انه شقي واذا وقعت البيضاء على أي اسم كان
عرف انه سعيد واما معرفة الموضع الذي يموت فيه فيقال ان الله تعالى خالق ملكا موكل
بكل مولود يقال له ملك الارحام فاذا خالق المولود امر أن يدرج في النطفة التي في رحم
امه من تراب الارض التي يموت عليها فيدور العبد حينما يدور ثم يعود الى موضع اخذ
ترابه فيموت به وعلى هذا يدل قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم * وعلى هذا حكاية وهي أن ملك الموت كان يظهر في الزمن الاول فدخل
يوما على سليمان عليه السلام فأخذ ينظر الى شاب عنده فارتمد للشباب فلما غاب ملك الموت
قال الشاب يا بني الله اني اريد ان تأمر الريح ان تهملي الى الصين فأمر عليه السلام الريح
فخلته فعاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فسأله عن سبب نظره الى الشاب فقال اني

ادم عليه السلام وأدخله الجنة فمعد ذلك سأل الله عزرائيل عليه السلام على الموت ان يقبض يا عزرائيل على الموت بيدك فلما سمعت

الملائكة خطاب الرحمن جل
ثم قال للملائكة انظروا الموت
فلما رأوه غشى عليهم ألف
حام فلما أفاقوا قالوا يا ربنا
أخفقت خلقتنا أعظم من هذا
قال نعم وأنا أعظم من هذا
وقوته وأنتم وكل مخلوق
تحت عظمتي ثم ان ملك الموت
نادى الهى باى قوة أقدر
عليه فاعطاه الله قوة بليغة
فاخذه وقبض عليه فعند
ذلك صاح ملك الموت صيحة
عظيمة ونادى يارب ائذنلى
أن أنادى في السماء مرة
واحدة فاذن له فنادى أنا
الموت أنا الذي أفرق بين
البنات والامهات أنا الموت
الذي أفرق بين الاب والام
أنا الموت أنا الذي أفرق بين
الاخ والاخوات أنا الموت
أنا الذي أفرق بين القوى
والضعيف أنا الموت أنا الذي
لم يبق مخلوق الا ذاقنى ويقال
ان ملك الموت له أربعة أوجه
وجه من أمامه ووجه من على
رأسه ووجه خلف ظهره
ووجه تحت قدميه فيأخذ
أرواح الاتيياء والملائكة
بالوجه الذى على رأسه
وأرواح المؤمنين من الوجه
الذى خلف ظهره وأرواح
الجن من الوجه الذى تحت
قدميه ويقال أن ملك الموت
يقطب الدنيا بين يديه كيقاب
الآدمي درهمه وله في جسده
عيون بعدد الخلائق فاذا
مات مخلوق في الدنيا ذهبت عين من جسده وقد ورد أن الله تعالى خالق شجرة تحت العرش عليها أوراق بعدد العبد

أمرت أن اقبض روحه في ذلك اليوم في الصين فرأيتـه عندك فتعجبت من ذلك فأخبره
بقصته من كونه سأله أن يأمر الريح لتجعله الى الصين قال ملك الموت فأنا قبضت روحه
ذلك اليوم في الصين * وفي خبر آخر ان ملك الموت له أعوان يقومون بين يديه يقبض
الارواح ألا ترى انه روي ان رجلاً أتى على لسانه اللهم اغفر لي وملك الشمس فاستأذن
هذا الملك ربه في زيارته فلما نزل ملك الشمس عليه قال له انك تكثر الدعاء لى فما حاجتك
قال حاجتى أن نخلنى الى مكانك فأنا أريد أن تسأل لى ملك الموت أن يخبرنى باقتراب
أجلى قال فخله واقعدة مقعدة من الشمس ثم ذهب الى ملك الموت وذكر له أن رجلاً من
بنى آدم أتى على لسانه ان يقول كلـا صلى اللهم اغفر لى وملك الشمس وقد طلب منى ان
أطلب منك أن تعلمه متى يقرب اجله لينأهب له فنظره ملك الموت في كتابه فقال له هيئات
ان لصاحبك شأنًا عظيمًا وانه لا يموت حتى يجلس بجاسك من الشمس قال قد جالس بجاسى
منها فقال ملك الموت توفى عند رسلنا على ذلك وهم لا يعلمون * وفي الخبر من النبي عليه
السلام قال آجال البهائم كلها في ذكر الله تعالى فاذا تركوا ذكر الله قبض الله ارواحهم وليس
لملك الموت من ذلك شيء وقد قيل أن الله تعالى هو قابض الارواح وانما اضيف ذلك الى
ملك الموت كما اضيف القتل الى القاتل والموت الى الامراض وعلى هذا يدل قوله تعالى
الله يتولى الاتمس حين موتها والله اعلم

﴿ الباب السادس في ذكر جواب الروح ﴾

ورد في الخبر ان ملك الموت اذا اراد ان يقبض روح المؤمن فتقول لا اطيعك ما لم تؤمر
بذلك فيقول ملك الموت امرت بذلك فتطلب الروح منه العلامة والبرهان فتقول الروح
ان ربي خلقنى وادخانى في جسدى ولم تكن انت عند ذلك فالآن تريد ان تأخذنى فيرجع
ملك الموت الى الله تعالى فيقول الله تعالى اقبضت روح عبدي فيقول ملك الموت الهى ان
عبدك يقول كذا وكذا يطلب البرهان منى فيقول الله تعالى صدق روح عبدي ثم يقول
الله تعالى ياملك الموت اذهب الى الجنة وخذ تفاحة عليها علامتى وارها روح عبدي فيذهب
ملك الموت الى الجنة ويأخذ تفاحة وعليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم فاذا ارها روح
العبد خرجت بانبساط والدوق والصعاء

﴿ الباب السابع في ذكر جواب الاعضاء ﴾

وفي الخبر اذا اراد الله تعالى قبض روح العبد يجيى ملك الموت من قبل القم ليقبض روحه منه
فيخرج الذكـر من فيه فيقول لا سبيل لك من هذه الجهة فطالما أجرى لسانه في ذكر ربي فيرجع
ملك الموت الى الله تعالى فيقول يارب عبدك قال كذا وكذا فيقول الله تعالى اقبض من جهة أخرى
فيجيى من قبل اليد فتخرج للصدفة فتقول لا سبيل لك اليه فانه تصدق بها كثيرا وسبحها رأس
اليتيم وكتب بالفلم وضرب بالبعيف أغناك الكفار ثم يجيى الى الرجل فتقول لا سبيل لك من
قبلى فانه مشى الى الجماعة والاعباد ومجالس العلم والتعلم ثم يجيى الى الاذن فتقول لا سبيل لك
من جهتي فانه سمع في القرآن والاذن والذكر فيجيى الى العيين فتقول لا سبيل لك من قبلنا
فانه نظرنا الى المصاحف ووجوه العلماء والوالدين والصلحاء فينصرف ملك الموت الى الله تعالى
فيقول يارب اذ عبدك يقول كذا وكذا فيقول الله تعالى ياملك الموت علمنى على كذا وكذا وأظهره
لروح عبدي حتى يراه فيخرج فيكتب اسم الله على كفة فتراه روح العبد فيجيبه فتخرج روح

مات مخلوق في الدنيا ذهبت عين من جسده وقد ورد أن الله تعالى خالق شجرة تحت العرش عليها أوراق بعدد العبد

العبد ببركة اسمه فتصرف عنه سرارة اللزج افلا ينصرف عنه المذاب الفطيم اذا كتب في صدره اسم الله تعالى لقوله تعالى اقم شريح صدره للإسلام فهو على نور من ربه أفلا ينصرف عنهم المذاب وأهوال القيامة وفي الخبر خمسة أشياء مم قاتل وخمسة أخرى تزيقها فالدينيا مم قاتل والوحد تزيقها والمال مم قاتل والرفاة تزيقها والكلام مم قاتل وذكر الله تزيقها والمملكة مم قاتل والطاعة تزيقها وجميع السنة مم قاتل وتزيقها شهر رمضان وفي الخبر اذا وقع للعبد في اللزج ينادي مناد من قبل الرحمن دعه حتى يستريح ساعة واذا بلغ الروح الصدر قال دعه حتى يستريح ساعة وكذلك اذا بلغ الركبتين والسرعة واذا بلغ الحلقوم باه نداء دعه حتى يودع الاعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول في الوداع السلام عليكم اليوم القيامة وكذلك الاذان واليدان والرجلان وتودع الروح النفس فتعوز ذبائهن من وداع الايمان للسان ونمو ذبائهن من وداع المعرفة والايمان للجنان فتنبئ اليدان بالحركة والرجلان بالحركة واليمينان بالناظر والاذان بالاسمع واليدان بالارواح ولو بقي اللسان بلا ايمان والقلب بلا معرفة فكيف يكون حال العبد في الالحاد يرى أحدا لا أبوا ولا أمولا اولادا ولا اخوانا ولا اصحابا ولا فاشا ولا حجابا فلم ير بربا كرامة فقد خسر خسرا عظيما وقال الامام أبو حنيفة أكثر ما يسلب الايمان من العبد وقت اللزج حفظنا الله وإياكم من سلب الايمان

(الباب الثامن في ذكر الشيطان كيف يسلب الايمان)

في الخبر انه يجيء للشيطان لعنه الله فيجلس عند رأس العبد فيقول له اترك هذا الدين فقل الهين اثنين حتى تنجو من هذه الشدة فاذا كان الامر كذلك فالخطر شديد والخوف عظيم فعليك بالبكاء والتضرع واحياء الليل بكثرة الركوع والسجود حتى تنجو من عذاب الله تعالى وسئل أبو حنيفة أى ذنب أخوف بسلب الايمان قال ترك الشكر على الايمان وترك خوف الخاتمة وعظم العباد فان ما كان في قلبه هذه الحصا الثلاثة فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا لا ايمان ادر كنه السعادة ويقال أشد حال الميت حال للعطش واحراق الكبد ففي ذلك لوقت يجد الشيطان فرصة من نزع ايمان المؤمن لشدة عطشه في ذلك الوقت فيجىء الشيطان عند رأسه معه قدح ماء من الجمد فيحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء ولا يدري أنه شيطان فيقول له قل لاصانع للعالم حتى أعطيك فان كان على السعادة لم يجبه ثم يجىء الشيطان الى موضع قدميه وبحرك القدح له فيقول المؤمن أعطني من الماء فيقول قل كذب الرسول عليه السلام حتى أعطيك منه فن أدر كنه الشقاوة يجيبه الى ذلك لانه لا يصبر على العطش فيخرج من الدنيا كافرا نمو ذبائهن من ادر كنه السعادة يرد كلامه ويتفكره امامه كما حكى ابن ابي زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة انه صديقه وهو في سكرة الموت ولقنه الحكمة الطيبة لا اله الا الله محمد رسول الله فاعرض عنه فقال له ثالثا فقال له لا اقول ففتش على صديقه فلما افاق ابوزكريا بعد ساعة وجد خفة فتح عينيه فقال لهم هل قلتم لى شيئا قالوا نعم مرضنا عليك الشهادة ثلاثا فاعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا اقول فقال ابوزكريا أتأني أليس معه قدح من الماء وقف عن يميني وحرك القدح فقال لى أحتاج الى الماء قلت بلى قال عيسى بن الله فاعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلى فقال لى كذلك وفي الثالثة قال قل لا اله الا الله ففرض القدح على الارض وولي هاربا فأتاه نار ددت على ألبليس لا عليك فأشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وفي هذا الخبر روى عن منصور بن وهار قال اذا دان موت العبد قسم حاله على خمسة المال لا ورثة والروح الملك الموت والاحم المدود والعظم للتراب

متيا وهو حتى على الارض أربعين يوما فان كان من أهل السعادة يجده ملك الموت خطا من نور حول الاسم وان كان من أهل الشقاوة يجده من السواد فاذا مضت الاربعون يوما ينزل ملك الموت الى الشخص فيقزع منه ويقول له من أنت وما تريد فيقول أنا ملك الموت أمرنى الله بقبض روحك فاذا همم الشخص كلامه حول وجهه عنه وشخص يصبره فيقول له ملك الموت أمام فتنى أنا الموت الذى قبضت أرواح أولادك والديك واليوم أقبض روحك حتى تنظر أولادك وأقاربك انما الموت لذي أفنيت لقرون الماضية ذكنا أكثر منك مالا ولدا رفوة فكيف رأيت الدنيا وحالها فيقول الشخص رأيها مكارة غدارة ثم يأمر الله الدنيا أن تصور بين يديه وتقول له يا حصى ربك أذنبت فكم من موعظة هممها وكم من المعاصي فعلته ولا تنهني طليعتي وظنك لا تفارقنى فأباريئة منك ومن عملك ثم انه يرى ماله فيقول له يا حصى اكتبنى بغير حق ولو تصدقت في على الفقراء والمساكين نعمتك فاذا أراد ملك الموت أن يقبض الروح فتقول لا أطيعك حتى يامرني ربي بذلك فيقول لها ملك

في ثد خلقني وأدخاني في

ذلك الجسد ولم تكن عندي فكيف أخرج بلا ذن منه فعند ذلك برحم ملك الموت

الى الله تعالى ويقول يا رب
عبدك فلان يقول كذا وكذا
وطلب مني للرهان فيقول
له يا ملك الموت اذهب الى
الجنة فخذ منها نقاعة عليها
هلامة وبرهان اذا رأتها
روح عبدي خرجت
فيذهب ملك لموت الى الجنة
ويأخذ منها نقاعة وعليها
مكتوب بسم الله الرحمن
لرحيم فاذا رآها الشخص
تنصرف عنه مرارة الموت
وتخرج منه ريح وفي الخبر
اذا اراد الله قبض روح عبد
يزل ملك الموت عنده ويريد
ان يقبض روحه من قبل القم
فيخرج الذكر منه فيقول له
لا سبيل لك من قبل هذه
الجهة لان الله تعالى أجرى
فيه الذكر فيرحم ملك الموت
الى الله تعالى ويقول يا رب
ان عبدك فلانا يقول كذا
وكذا فيقول اقبضه من
جهة اخرى فيجيب له من
قبل اليد فتخرج له الصدقة
فتقول لا سبيل لك من قبل
هذه الجهة لقد تصدق بها
كثيرا ومسح بها على رأس
اليوم وكتب به العلم ثم يجيء
الى الرجل فتقول لا سبيل
لك من قبل هذه الجهة لانه
مشي في الى مجالس العلماء
يجيء الى العين فتقول له لا
سبيل لك من قبل هذه الجهة
لانه نظرت في المصاحف

والحسنات للضعفاء والشيطان لسلب الايمان ثم قال ان ذهب الوارث بالمال يجوز وان ذهب
ملك الموت بالروح يجوز وان ذهب الدود باللحم يجوز وان ذاب الخضماء بالحسنات يجوز
بأيت الشيطان لا يذهب بالايمان عند الموت فانه يكون فرقا من الدين فانه ايق الروح للجسد
غير فرقا للرب فانه فرقا لا يدرك احد بعده وخسارته

الباب التاسع في ذكر الداء

وفي الخبر اذا فارق الروح البدن نودي من السماء بثلاث صيحات يا ابن آدم اتركت الدنيا
أم الدنيا تركتك أمجيت الدنيا أم الدنيا جمعتك أقلت الدنيا أم الدنيا قتلتك واذا وضع
على المغسل نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم ابن بدنك القوي ما أضغفك وابن لسانك
للفصيح ما أسكتك وابن أحباؤك ما أوحشك واذا وضع في الكفن نودي بثلاث صيحات
يا ابن آدم تذهب الى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع وتركب فرسا ولا
تركب مثله أبدا وتسير الى بيت ما أهوله واذا حمل على الجنائز نودي بثلاث صيحات يا ابن
آدم طوبى لك ان كنت تائبا طوبى لك ان كان مملكا خيرا طوبى لك ان كان صاحبك رضوان
الله تعالى وويل لك ان صاحبك سخط الله واذا وضع للصلاة نودي بثلاث صيحات يا ابن
آدم كل عمل عملته تراه الساعة ان كان مملكا خيرا تراه خيرا وان كان مملكا شرا تراه شرا
واذا وضعت الجنائز على شفير القبر نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم ما تزودت في العمران
لهذا الخراب وما حملت من الغنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة فاذا وضع في
للحد نودي بثلاث صيحات يا ابن آدم كنت على ظهري ضائكا وصرت في بطني باكيا
وكنت على ظهري فرحا وصرت في بطني حزينا وكنت على ظهري ناطقا فصرت في بطني
ساكتا واذا أدير الناس عنه يقول الله تعالى يا عبدي بقيت فريدا وحيدا وتركوك في ظلمة
القبر وقد عصيتني لاجلهم وللزوجة والولد وأنا أرحمكم اليوم رحمة يتعجب منها الملائق
وأنا أشفق عليكم من الوالدة بولدها

الباب العاشر في ذكر حال الارض والقبر

قال أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان الارض تنادي كل يوم عشر كلمات تقول يا ابن
آدم تسعي على ظهري ومصيرك في بطني وتمضي على ظهري وتمذب في بطني وتضحك على
ظهري وتبكي في بطني وتأكل الحرام على ظهري وتأكل لك الدنانير في بطني وتفرح على ظهري
وتحزن في بطني وتجمع الحرام على ظهري وتذوب في بطني وتحتال على ظهري وتذل في بطني
وتعشى مسرورا على ظهري وتقع حزينا في بطني وتعشى في النور على ظهري وتقع في
الظلمات في بطني وتعشى في الجماع على ظهري وتقع وحيدا في بطني وفي الخبر ان القبر
ينادي كل يوم ثلاث مرات أنا بيت الوحدة والوحشة والعقرب والحية أنا بيت الظلمة وأنا
بيت الدود وماذا أعدت لي ويقال ان القبر ينادي كل يوم خمس مرات أنا بيت الوحدة
فاجعل لك مؤنسا قراءة للقرآن وأنا بيت الظلمة فتورني بصلاة الليل وأنا بيت القربا فاجعل
القراش وهو العمل الصالح وأنا بيت الاناعي فاجعل الترياق وهو بسم الله الرحمن الرحيم
واهرق الدموع وأنا بيت سؤال منكر ونكير فاكثري على ظهري قول لا اله الا الله محمد
رسول الله ليجن لك أن نجيبه

ووجوه العلماء فينصرف ملك الموت الى ربه فيقول يا رب ان عبدك فلانا قال كذا وكذا فيقول الله تعالى (الباب)

في الباب الحادي عشر في ذكر نداء الروح بعد الخروج *

في الخبر روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت قاعدة متربة في البيت اذ دخل رسول الله عليه السلام فسلم علي فأردت ان أقوم له كما كانت عادتني عند دخوله فقال عليه السلام اقمدي مكانك ما كان لك أن تقومي بأم المؤمنين قالت فقمعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه على حجرى فنام مستلقيا على قفاه فجعلت أطلب شبيبة في لحيته فرأيت بها تسع عشرة شمعة يضاء فتفكرت في نفسي فقلت أنه ليخرج من الدنيا قبلني فتبقى الالة بلا نبي فيكيت حتى سال دمع عيني على خدى وتماطر منه على وجهه فأتته من نومه فقال عليه السلام ماله الذي ابكك بأم المؤمنين فقسمت عليه القصة ثم قال عليه السلام أي حال أشد على الميت فقلت قل يا رسول الله فقال عليه السلام بل قولى أنت فقلت لا يكون أشد حالة على الميت من وقت خروجه من داره يحزن أولاده خلفه بقولوا وداده واماه وقمر لوالده ابنتاه فقال عليه السلام هذا شديد فما أشد منه قلت لا تكون حالة أشد على الميت من حين يوضع في لحده ويفشى التراب عليه ويرجم عنه اقرباؤه وأولاده واحبوه ويسلمونه الى الله تعالى مع قله فيأتيه منكر ونكير في قبره فقال بأم المؤمنين ما أشد منه قالت قلت والله ورسوله أعلم قال عليه السلام يا عائشة ان أشد حالة على الميت حين يدخل عليه الفاسل في داره ليفسده فيخرج غائم للشباب من أصابعه وينزع فيفس الغروس من بدنه وينزع صخرة المشايخ والفقهاء من رأسه ليفسده فعند ذلك تنادى روحه حين تراه عربا بالبصوت يسمعه كل الخلائق الا الثقلين تقول يا غسال اسألك بالله ان تنزع ثيابي برفق فاني الساعة قد استرحمت من مجاذبة ملك الموت واذا صب عليه الماء صاح كذلك يقول يا غسال لا تعذب ماءك حارا ولا تجعل ماءك حارا ولا باردًا فان جسدي محترق من نزع الروح فاذا غسلوه تقول الروح بالله يا غسال لا تمسني قويا فان جسدي مجروح بخروج الروح فاذا فرغ من غسله ووضع في كفنه وشد موضع قدميه ناداه بالله يا غسال لا تشد كفني رأسى حتى أرى وجه اهلى وأولادى وأقربائى فمن هذا آخر ما بقي لهم فانا اليوم أمأرفهم ولا اراهم الى يوم القيامة فاذا أخرج الميت من الدار نادى بالله يا جماعتي لا تعجلوا بي حتى اوع دارى وأهلى وأقربائى ومالى ثم ينادى بالله يا جماعتي تركت امرأتى أرملة فعليكم أن لا تؤذوها وأولادى يتيم فعليكم أن لا تؤذوهم فاني اليوم أخرج من دارى ولا ارى ولا أرحم اليهم أبدا واذا وضع على الجنازة يقول بالله يا جماعتي لا تعجلوا بي حتى سمع صوت اهلى وأولادى وأقربائى فاني اليوم أفرقهم الي يوم القيامة فاذا حل على الجبارة وحطوا بها ثلاث خطوات ينادى بصوت يسمعه كل شئ الا الثقلين وتقول الروح يا أحبائى ويا أخوانى ويا أولادى لا تفرحكم الدنيا كما فرحتي ولا يبلعنكم الزمان كما لبس بي واعتبروا بي فاني خلفت ماجعت لورثتي ولم يحملوا من خطيئتي شيئا وعلى الدنيا يحاسبني الله تعالى وانتم تستمعون بها ثم لا تدعون لي واذا صلوا على الجنازة ورح بعض أهله وأصدقائه من المصلى يقول بالله يا أخوانى اني كنت أعلم ان الميت ينسى في الأحياء ولكن لا تدعونى بهذه المرحلة قبل ان تدفوني حتى تطروا لي مكانى ويا أخوانى اني كنت أعلم ان وجه الميت أبود من الزمهرى في قلوب الأحياء ولكن لا يرجعوا بهذه المرحلة فاذا وضعوه عند قبره يقول بالله يا جماعتي ويا أخوانى ادعواكم ولا تدعوني فاذا وضعوه في لحده يقول بالله يا وارثى ماجعت مالا كثيرا من الدنيا الا

الرحيم وبرب الروح المؤمن فتخرج ببركة السمحة وفي الخبر ان ستة أشياء هم قاتل وستة أخرى تزيقها الاول الدنيا سم قاتل والزمه تزيقها الثاني المال سم قاتل والزكاة تزيقه الثالث السلام سم قاتل وذكر الله تزيقه الرابع المعصية سم قاتل والطاعة تزيقه الخامس جميع السمات سم قاتل وشهر رمضان تزيقها السادس جميع اللبائى سم قاتل وليلة القدر تزيقها ثم ان المبدأ وقع في نزع الروح ينادى مناد من قبل الله تعالى دعه حتى يستريح فاذا بلغت الي صرته نادم مناد دعه حتى يستريح فاذا بلغت الي حلقومه نادى منادى دعه حتى يستريح وتودع الاعضاء بعضها بعضا فتقول العين للعين السلام عليك الي يوم القيامة وتقول لاذن لاذن السلام عليك الي يوم القيامة وتقول لليد لليد السلام عليك الي يوم القيامة وكذا سائر الاعضاء ثم الروح الجسد فتفارقها فعند ذلك ينادى مناد من السماء ثلاث مرات يا ابن آدم أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركك أنت جئت المال أم المال جمعك يا ابن آدم انت قتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك الدنيا أم الدنيا قتلتك وفي رواية ان المبدأ اذا جبر لسانه عن الكلام يدخل عليه اربعة من الملائكة فيقول

الاول للسلام عليك يا عبد الله انا الموكل برزقك طفت الارض شرقا وغربا فاوجدت لك من الرزق لقمة فرجعت ثم يدخل عليه الثاني

تركته لكم فتذكروني بكثرة خيركم وقد علمتكم القرآن والادب فلا تنسوني من دعائكم *
وعلى هذا حكاية أبي قلابة رضي الله عنه وهي مروي في المناسم كان للقبور قد
انفتحت وامواتها قد خرجوا منها وقعدوا على شفير القبور وكان بين يدي كل واحد منهم
طبق من نور ورأى فيها بينهم رجلا من جيرانهم لم ير بين يديه شيئا من نور فسألته فقلت
مالي لأرى بين يديك نورا فقال الميت ان لهؤلاء اولادا وأصدقاء يهدون إليهم خيرا
ويتصدقون لأجلهم وهذا النور مما يهدونه إليهم وكان لي ابن غير صالح لا يهدوني ولا
يتصدق لأجل ولهذا لا نور لي وأنا خجل بين جبراني فلما انتبه أبو قلابة دعا ابنه واخبره
بما رأى فقال الابن اننا ثبت على يدك فلا أعود الي ما كنت عليه أبدا فاشتغل بالطاعات
والدعاء ولما تصدق عن أبيه فلما مضى عليه زمان رأى أبو قلابة مرة اخرى في منامه تلك
المقبرة على حالها ورأى نورا بين يدي ذلك الرجل أضوأ من الشمس أكثر من نور اصحابه
فقال لي يا أبا قلابة جزاك الله خيرا فقد نجوت من خجلة الجيران * وفي الخبر ان ملك الموت
دخل على رجل بالاسكندرية فقال من أنت قال انا ملك الموت فارتعدت فرائعه وهي
اللحم بين الجنب ولما كتف فقال ملك الموت ما هذا الذي اري قال خوفا من النار فقال له
أكتب لك كلاما تنجو به من النار قال بلى فدعا بصحيفة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
وقال هذه براءة من النار * وسمع رجل عارف رجلا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فقال امم
الحبيب في هذه فكيف رؤيته ثم قال الناس يقولون ان الدنيا مع ملك الموت لا تساوي
دائما وأنا أقول ان الدنيا بلا ملك الموت لا تساوي دائما لانه يوصل الحبيب الي الحبيب

﴿الباب الثاني عشر في ذكر المصيبة على الميت﴾

روى في الخبر أن من اصيب بمصيبة فخرق بها ثوبا أو ضرب بها صدرا فكأنما أخذ الرمح
وحارب الله تعالى روى عن النبي عليه السلام قال من سود بابا أو ثيابا عند المصيبة أو ضرب
دكانا أو كسر شجرة أو قطع شجرة بني له بكل شجرة بيت في النار ولا يقبل الله تعالى منه
سرفا ولا عدلا مادام ذلك السواد على بابه وضيق الله قبره وشدده عليه حسابه ولعمرة كل
ملك في السماء والارض وكتب عليه ألف خطيئة وقام من قبره عربا نوا من خرق على المصيبة
جيبه خرق الله دينه وان لطم خدا أو خدش وجهها حرم الله تعالى عليه النظر الى وجهه
الكريم وفي الخبر اذا مات ابن آدم واجتمعت الصياح في داره يقوم ملك الموت على باب داره
فيقول لهؤلاء ما هذا الصياح فوالله ما نعتت من أحد منكم عمرا ولا زقا ولا ظلمت
أحدا منكم وان كان صياحكم مني فأنا عبيد مأمور وان كان من الميت فهو مقهور وان كان
من الله تعالى فأنا من جاهلون بالله تعالى أن لي بكم عودة ثم عودة

﴿الباب الثالث عشر في ذكر البكاء على الميت﴾

قال للفقهاء أبو الليث رحمه الله النوح حرام ولا بأس بالبكاء على الميت والمبرر أفضل ان الله
تعالى قال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وروى عن النبي انه قال للنائحة ومن حولها
من مستمعها عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقال لما مات الحسن بن الحسن بن علي
انتمكت امرأته علي قبره سنة واحدة فلما كان رأس الحول رفم القسطاط فسمعوا صوتا من
من جانب القبر هل وجدتم ما فقدتم وستموا صوتا من الجانب الآخر بل اسأتم فأنصرفوا
وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما مات ابنه ابراهيم عليه السلام دمعت عيناه فقال

فؤاده يكتبان اعماله من خير وشرا لي مماته قال صاحب الجوهره بكل عبد حائفون وكوا وكاتبون خيرة لن يهملوا * له

الشمال أن يكتبها يقول له صاحب اليمين أمسك يدك فيمسك يده سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها وان لم يستغفر الله تعالى كتبها اسيرة واحدة فاذا قبض العبد ووضع في قبره يقول الملائكة المولكان به ربنا وكلتنا بعبدك نكتب عمله والان قبضت روحه فائذن لنا نضعه الى السماء فيقول الله تعالى السماء مملوءة من الملائكة فيسبحون ويكبرون وهللون تهليلًا واكتبوا ثواب ذلك لعبدى حتى يبعث من قبره وقد ورد أن العبد المؤمن اذا حضرته الوفاة ينزل اليه ملك الموت وتنزل معه ملائكة من السماء يبيض الوجه كان وجههم الشمس معهم أكفان من الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيحلون منه مد البصر ثم يجيئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ثم يقول اخرجني أيتها النفس الطيبة الى مغفرة من الله ورضوان فتسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها ملك الموت في يده ثم رفعها تلك الملائكة فيأخذونها ويحملهوا في تلك الأكفان والحنوط فيخرج منها رائحة طيبة كرائحة المسك ثم يصعدون بها الى السماء الاولى فيستفتحون الباب فيفتح لهم فيقولون ما هذه الرائحة الطيبة فيقولون لهم هذه روح فلان بن فلانة وهكذا حتى ينهبوا الى السماء السابعة ويقفوا بين يدي الجبار جل جلاله فترى ما أعد

له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله أليس قد نهيتنا من البكاء قال عليه السلام انما نهيتكم عن الصوتين لتفاجرن الاحقين وهو صوت النوح والغناء وعن خدش الوجوه وشق الجيوب ولكن هذه رحمة جعلها الله في قلوب الرحماء ثم قال عليه السلام القلب يحزن والعين تدمع وروى عن وهب ابن كيسان رضى الله عنه أن امرأ ابصر امرأة تبكي على الميت فنهاها فقال النبي عليه السلام دعي يا أبا حفص فان العين باكية والنفس مصابة والعهد حديث

باب الرابع عشر في ذكر الصبر على المصيبة *

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام أول ما كتب القلم في اللوح المحفوظ بأمر الله تعالى انى أنا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وخيرتي من خلقى من استسلم لتضائى وصبر على بلائى وشكر لنعمائى أكتبه صديقا وابنه مع الصديقين يوم القيامة وأدخله الجنة ومن لم يستسلم لتضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليخرج من تحت عمامتى وليطلب ربا سوائى * قال الفقيه رحمه الله للصبر على اليبلاء وذكر الله عند المصائب مما يجب على الانسان لانه اذا ذكر الله في ذلك المكان كان رضا منه بقضاه الله وترغيبا للشيطان وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه الصبر على ثلاثة أوجه الأول للصبر على الطاعة والثانى الصبر على المصيبة والثالث الصبر على المعصية فن صبر على الطاعة أعطاه الله تعالى مائة درجة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر عن المعصية أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة ما بين السماء والارض ومن صبر على المعصية أعطاه الله أجره بغير حساب

باب الخامس عشر في ذكر خروج الروح من البدن *

وفي الخبر اذا وقع العبد في التزع حبس لسانه ودخل عليه أربعة من الملائكة فيقول الاول السلام عليكم أنا موكل برزقك طلبت في الارض شرقا وغربا فما وجدت من رزقك لقمة دخلت الساعة ثم يدخل الثانى فيقول السلام عليكم وأنا موكل بمشربك من الماء وغيره طلبت شرقا وغربا فما وجدت لك شربة من الماء فغربت الساعة ثم يدخل الثالث فيقول السلام عليكم وأنا موكل بانفاسك طلبت شرقا وغربا فما وجدت نفسا واحدا من انفاسك ثم يدخل الرابع فيقول السلام عليكم وأنا موكل باجلك طلبت في الارض شرقا وغربا فما وجدت لك ساعة ثم يدخل عليه السكرام الكاتبون عن اليمين وعن الشمال فيقول من في اليمين السلام عليك أنا موكل بحسبك فيخرج صحيفة بيضاء فيعرضها عليه فيقول أنظر الى أعمالك فعند ذلك يفرح وينشط ويقول من في الشمال السلام عليك أنا موكل على السيئات فيخرج صحيفة سوداء فيعرضها عليه فيقول انظر اليها فعند ذلك يسيل عرقه ثم ينظر بمناوشة لا خفا من قراءة الصحيفة فيعمد الملك فيلقمها على الرسادة ثم ينصرف الملك فيدخل ملك الموت وعن يمينه ملائكة الرحمة وعن يساره ملائكة العذاب فنهى من يجذب الروح جذبا ومنهم من ينزع نزعاً ومنهم من ينشط نشاطا فاذا بلغت الخلقوم يأخذ ملك الموت روحه فان كان من أهل السعادة نادى ملائكة الرحمة وان كان من أهل الشقاوة نادى ملائكة العذاب فتأخذ الملائكة الروح فتخرج بها الى حضرة رب العالمين ان كان من أهل السعادة فيقول الله ارجعوها الى بدنها حتى تنظر ما يكون من جسده ثم تهبط الملائكة ومعهم الروح فيضعونها في وسط الدار فينظر من يحزن عليه ومن لا يحزن عليه وهو لا يطبق الكلام ثم تنفخ الجنائز الى قبره فيأمر الله تعالى أن يعود الروح الى جسده كما كان في الدنيا

الطيبة فيقولون لهم هذه روح فلان بن فلانة وهكذا حتى ينهبوا الى السماء السابعة ويقفوا بين يدي الجبار جل جلاله فترى ما أعد

الله طمان الخير والذم المقيم
أخرجهم تارة أخرى فينزولوا
بها الى الارض فاذا غسل الجسد
نادت الروح بصوت يسمعه
كل شيء الا الانس والجن
بالله عليك يا ماسل انزع ثيابها
برفق واذا صب عليه الماء
تقول يا غاسل لانفس يديك
على جسده بقوة فانه محروق
فاذا فرغ من غسله ووضعه في
كفنه دخلت بين الجسد
والكفن وما يتكلم أحد بشيء
الا ولميت يسمعه لكن منع
من للتكلم فاذا اراد الغاسل
أن يربط الكفن نادى لروح
فاله لا تربط الكفن حتى
أرى وجه أهلي وأولادي
وأقاربي لان هذا آخر رؤيتي
لهم فاني لليوم أظرفهم فلا
أراهم الى يوم القيامة واذا
خرجوا به من الدار نادى
بالله عليكم مهلوني حتى
أودعكم واذا رفع سرير
جنازته وخطوباه ثلاث
خطوات صراح صيحة
يسمعهما كل شيء الا الانس
والجن بالله يا اخواني
ويا أحاسي ويا أولادي
لا تملوا لي لذيذا فتفرم كما
غرتني وبلعبكم الزمان كما
هب بي اعتبروا لي لاني
خلفت جميع مامي لورثتي
ولا يحملون من ذنوبي شيئا
واذا وضع في قبره يأتيه
ملك من الجحشانه ويقول له
من ربك وما يدريك يقول

ثم يقول الله تعالى أعيدوها الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها

واختلفت الرويات فيه قال بعضهم يجعل الروح في جسده كما كان ثم يجلس ويدأل وقال بعضهم
يكون السؤال للروح دون جسده وقال بعضهم يدخل الروح في جسده الى صدره وقال
آخرون يكون بين جسده وكفنه وفي كل ذلك قد جاءت الآثار والصحيح عند أهل العلم
أن يقر للعبد بعذاب القبر ولا يشتغل بكيفية * قال الفقيه رحمه الله من أراد أن ينجو
من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويجتنب أربعة أشياء أما الاربعة التي يلازمها
فالحفاظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فان هذه الاشياء تضيء
القبر وتوسمه * وأما الاربعة التي يجتنبها فالكذب والحيانة والتميمة والبول على البدن *
وقد قل النبي عليه السلام استنزهوا من البول فان طامة عذاب القبر منه ثم يهبط الملك
الغليظان يخرجون الارض بمخالبهما وهما مسكر وكبير فيجلسانه فيقولان لمن ربك الى آخره
فان كان من أهل السعادة فيقول ربى الله ونبى محمد عليه السلام ودينى الاسلام فيقولان
له ثم نومه العروس ويفتحان له كوة عند رأسه فيعطر منها الى منزله ومقدمه في الجنة ثم
يرجم الملكان مع الروح الى السماء ويجعلان الروح في القاديل المعلقة بأعرش وروي عن
أبي هريرة رضى الله عنهما قال قال عليه السلام يقول الله تعالى لا أخرج عبدا من عبادى من
الدنيا وانا أريد أن اغفر له الا تقصت من مئى عمله بسقم في جسده أو بضيق في معيشته
أو بما يصيبه من غم فان بقي عليه من سيئاته شيء شددت عليه عند الموت حتى يلقانى ولا
سيئة عليه وعزى وجلالى لا أخرج عبدا من عبادى وانا أريد أن لا اغفر له الا وفيته بكل
حسنة عملها بصحة في جسده وفرح يصيبه وسعة في رزقه فان بقي من حسناته شيء هونت
عليه عند الموت حتى يلقانى ولا حسنة له قال ابو الاسود كنا عند عائشة رضى الله
عنها اذا سقط فسطط على انسان فضحكوا فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من مؤمن يشاك بشوكة الا كتب الله له بها حسنة وخطأ عنه بها
سيئة وقد قيل لا خير في من لا تصيبه الاسقام ولا خير في مال لا تصيبه النوب وفي الخبر
ان المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال على الآخرة نزلت عليه ملائكة من السماء
بيض الوجوه كأز وجوههم الشمس ومعهم كفن من اكناف الجنة وحنوط من حنوط الجنة
فيجلسون عنده مد البصر ثم يجيئ ملك الموت فيجاس عند رأسه فيقول اخرجنى ايتها
النفس الممثلة ارجى الى مغفرة الله ورضوانه قال عليه السلام فتخرج وتسيل من بدنه
كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونها ويضعونها على مافي ايديهم ويدرجونها في تلك
الأكفان ويخرج منها ريح كريه المسك وقل عليه السلام وما يصعدون على ملائكة لا قولوا
ما هذه للريح الطيبة فيقولون هذه ريح فلان فيذكرونه بأحسن اسمائه التي كان يدعى بها
في الدنيا وانا انتهبوا بها الى السماء استفتحوا فتفتح لهم ابواب السماء ويشيهمها من كل سماء
ملائكة حتى ينتهبوا بها الى السماء السابعة ثم ينادى مناد من قبل الله اكتبوا كتابه في عليين
وردوه الى الارض فانه خلق منها كما بينه بقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة اخرى قال عليه السلام فيردون روحه الى جسده وبأية ملكان
مهيان فيجلسانه فيقولان له من ربك الى آخره ثم يقولان له ما قولك في هذا الرجل الذي
بعث فيكم يعني محمدا فيقول هو رسول الله انزل القرآن عليه وأمنت به وصدقته فينادى
من السماء صدق عبدى فافرشوا له فراشا من الجنة والبسوه لباسا من الجنة وافتحوا له

دينى الاسلام فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له من أين بابا

لسماء صدق عهدي فافرشوا
 له من الجنة وألبسوه من
 الجنة واقتحوا له باليمن الجنة
 فيأتيه ريحما وريحانها وطيبها
 ويفسح له في قبره مد البصر
 ويأتيه رجل حسن الوجه
 والصورة والثياب طيب
 الرائحة فيقول له السلام
 عليك يا ولي الله أبشر بالذي
 يسرك هذا يومك الذي
 كنت توعده فيقول له من أنت
 فيقول أنا عمك الصالح
 فيقول الحمد لله رب أقم
 الساعة والمكان اللذان
 بآياتيهما متكررون نكير كاف
 الحديث أسودان أزرقان
 أعينهما كقدور الحاس
 وأصواتهما كالرعد يجيران
 آنيابهما في الأرض فتخرج
 النار من أفواهها ومناخرها
 ومسامعها مع كل منهما
 حمود من جديد لو اجتمعت
 عليه أهل الأرض ما حركوه
 وفي رواية أخرى لو ضربت
 به الجبال الراسيات للثابت
 وأما العبد الفاسق الفاجر
 الظالم للكاذب حاصي الله
 ورسوله شارب الخمر وتارك
 الصلاة إذا دعا أجله ينزل
 عليه ملك الموت ومعه
 ملائكة العذاب ثم إن ملك
 الموت يجلس منه مد البصر
 ويرسل إليه ملائكة السخط
 بأيديهم سياط من نار فعند
 ذلك يشخص العبد فيسلبون
 روحه من جسده سلبا
 ويجذبونها جذبا وينزعونها

بابا من الجنة قال عليه السلام وأتته من ريحها وطيبها ويوسع له قبره مد البصر قال عليه
 السلام يأتي رجل حسن الوجه والثياب طيب لريح فيقول له ابشر بالذي يسرك هذا يومك
 الذي كنت توعده فيقول له من أنت يرحمك الله تعالى ما رأيت في الدنيا أحسن منك
 فيقول له أنا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرحم إلى أعلى قال عليه السلام وإذا
 كان من أهل الشقاوة فإذا حضره الموت نزل عليه ملائكة من السماء ومعهم لباس من القنداب
 فيجاسون بعيدا منه ثم يجيء ملك الموت فيجاس عند راسه فيقول يا أيها النفس الطيبة
 اخرجي إلى سخط الله قال عليه السلام فتفارق روحه جسده فستخرج روحه من يده
 كما يستخرج السقود من العروق المبلول فإذا خرجت من جسده لم يبق شيء أنيه في السماء
 والأرض فيقسمه كل شيء لا لتقلين فيصعدون بها إلى السماء الدنيا فإذا وصلوها إلى
 السماء الدنيا أغلق دونها باب السماء فينادي مناد من قبل الرحمن ردوه إلى مضجعه فيردوه
 إلى قبره فيأتيه منكر وكبير باهول ما يكون من الأهوال وأصواتها كالرعد وأبصارها
 كالبرق الخاطف فيخرقان الأرض بآنيابهما فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا أدري
 فينادي من جانب القبر اضرباه فيضربه مقعقة من حديد لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقلوها
 ويشتمل منها قبره نارا فيضمه وتختلط أعضاؤه ثم يأتيه رجل قبيح لوجه منتن الريح فيقول
 جزاك الله شرا فوالله ما علمت بل كنت بطيئا على الطاعات ومريضا في معصية الله فيقول
 من أنت طارأت في الدنيا أسوأ منك فيقول أنا عمك الخبيث ثم يفتح له بابا إلى النار فينظر
 إلى مقعده في النار فلا يزال كذلك حتى تقوم الساعة ويقال يفتن المؤمن في قبره سبعه
 أيام والكافر أربعين يوما قال النبي عليه السلام من مات يوم الجمعة آمنه الله تعالى من فتنة
 القبر وفي الخبر عن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه إذا توفي الرجل ووضعت في قبره جاء ملك
 الموت وقعد عند رأسه وعذبه وضربه واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه إلا انقطع
 ويلتهب قبره ناراً ثم يقول قم يا ابن الله فإذا قد مستويا صاح بصيحة يسمعهما ما بين السماء
 والأرض إلا الجن والإنس يقول الملك لما فعلت هذا ولم تعذبني فقد كنت أقيم الصلاة
 وأؤتي الزكاة واصوم شهر رمضان فيقول أعذبك لأنك مروت يوما بمظلوم وهو يستغيث
 لك فلم تفته وصليت يوما ولم تتزه من بولك فبأن هذا الخبر أن نصرة المظلوم واجبة كما
 روي عن النبي عليه السلام من رأى مظلوما فاستغاث به ولم يفته ضرب في قبره مائة سوط
 من النار وروي عن النبي عليه السلام أربعة نفر يأتي بهم يوم القيامة على منابر من نور
 ويدخلهم في رحمة قيل من أولئك يا رسول الله فقال عليه السلام من أشبع جائعا أو جهز
 غازيا في سبيل الله أو أطاع ضعيفا أو أغاث ماله وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه
 أنه قال قل عليه السلام إذا وضع الميت في القبر وهب التراب عليه يقول أهله وأولاده
 وأسيده وشريفاه فيقول الملك الموكل التسمع ما يقولون فيقول نعم فيقول أنت كنت
 شريفا فيقول العبد هم يقولون ذلك ياليتهم يسكتون فيضفطه القبر فتختلط أضراسه
 وينادي في قبره وأعظماءه وأذل مقاماه وأندمتاه وأعنف سؤالاه حتى تدخل أول ليلة الجمعة
 من رجب من عامه ذلك فيقول الله تعالى أشهدكم باملائكتي أنني غفرت له سيئاته ومحو
 خطاياها بأحيائه هذه الليلة

نزهة قال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ضربة بالسيف أهون عليه من نزع واحدة فإذا بلغت الروح إلى حلقة القول لها الملائكة

تعالى الروح ان ترفرف وتروحول جسده وليعلمي الله عينها التي كانت تبصر بها في الجسد فلان تبصر شيئا ولا تسمع شيئا فاذا الحمد في قبره اذن لا اله الا انتزل وتلبس البدن الى نصفه فيسمع خفقان النعال ونفض الا يادي من للتراب ويصير في قبره قزعا مرعوبا مستوحشا ثم يدخل عليه منكر ونكير يخرج من أفواهها لبيب النار بيد كل واحد منها مقعة من حديد لوضرب بها الجبال الرواسي لقاب فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيخرج ذلك الشخص فرقة لم يزع منها قط ويقول أنا ربني فيضربانه بالمقعة فيقوم في الارض أربعين ذراعا ثم يجذبانه جذبا من الارض أسرع من طرفه عين ويقولان له من ربك وما دينك فيرد عليهم المقالة الاولى ويقول لا أعرف في رباعين كما فضيقتان عليه القبر كالرمح في لسان ثم تسلط الحيات والمقارب والقرودة والخنازير ودواب الارض تنهش لحمه تحشا ثم يفتح له بابا عند رأسه الى النار ويقولان له انظر ما أعد الله لك من العذاب ويدخل عليه لهما وشراهما ثم ياتي به رجل قبيح الوجه منن الرائحة فيقول له جزاك الله شر من أنت فزأبت أسوأ منك حالا في دار الدنيا فيقول أنا والثاني

الباب السادس عشر في ذكر الملك الذي يدخل القبر قبل منكر ونكير

روى عن عبد الله بن سلام يدخل على الميت ثم يقعد فيقول له اكتب ما عملت من حسنة ومن سيئة فيقول له باي شيء أكتب أين قلني ومدادى ودواني فيقول له ربيك مدادك وقلبك أصبعك فيقول على أي شيء أكتب وليس لي صحيفة قال عليه السلام فيقطع من كفنه قطعة فيناولها إياها فيقول هذه صحيفةك فاكتب فيكتب ما عمل في الدنيا من خير واذا بلغ سيئة استحي منه فيقول له يا خاطيء لم لا تستحي من خالقك حيث عملتها في الدنيا وتستحي مني الان فيرفع الملك حمودا فيضربه فيقول العبد ارفع في حتى أكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثم يأمره أن يطويها ويختمها فيطويها ويقول باي شيء أختمتها وليس معي خاتم فيقول اختمتها بظفرك فيختمها بظفره ويلامقها في عنقه الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وكل انسان الرثماء طائر في عنقه ويخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ثم يدخل بعد ذلك منكر ونكير كذلك واذا رأى العاصي كتابه يوم للقيامة فاذا أمره الله بالقراءة يقرأ حسناته فاذا بلغ الى سيئاته سكنت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول أستحي منك فيقول الله تعالى لم لا تستحي في الدنيا والاكن استحييت مني فيندم العبد ولا ينفعه الندم فيقول الله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه

(الباب السابع عشر في ذكر سؤال منكر ونكير)

في الخبر اذا وضع الميت في القبر أتاه ملكان أسودان أزرقا العينين صوتهما كالرعد وأبصارهما كالبرق الخاطف يخرقان الارض بانيابهما فيأتيانه من قبل رأسه فتقول الصلاة لا تأتياه من قبلي قرب صلاة صلاها في الليل والنهار حذرا من هذه المواضع ثم يأتيانه من قبل رجله فيقولان لا تأتياه من قبلنا فقد كان يمشي بنا الى الجماعة حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من يمينه فتقول الصدقة لا تأتياه من قبلي فقد كان يتصدق في حذرا من هذا الموضع فيأتيانه من قبل الشمال فيقول صومه لا تأتياه من قبلي فقد كان يجوع ويعطش حذرا من هذا الموضع فيستيقظ كما يستيقظ النائم فيقول ماذا تريدان مني فيقولان زيد منك توحيد الله فيقول أشهد أن لا اله الا الله فيقولان ماذا تقول في حق محمد عليه السلام فيقول وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقولان عشت مؤمنا ومت مؤمنا ثم الحكمة في سؤال المكين ان الملائكة طلعت في بنى آدم عليه السلام حيث قالوا اتجمل فيها من يفسد فيها الآلة لما قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة فرد الله عليهم قولهم وقال اني أعلم ما لا تعلمون فبعث الله تعالى ملكين الى قبر المؤمنين ليسالا الميت من ربك الى آخره فيأمرهم الله تعالى أن يشهدا بين يدي الملائكة بما سمعا من العبد المؤمن لأن أقل للشهود اثنان ثم يقول الرب يا ملائكتي قد أخذت روحه وتركته ماله لغيره وزوجته في حجر غيره وجاريته لغيره وضياعه لغيره فسأله في بطن الارض فلم يرض الا عني ولم يجب عن واحد الا عني فقال الله تعالى ربني ومحمد نبي والاسلام ديني ألم تعلموا اني أعلم ما لا تعلمون كما ذكر في الكتاب العزيز

(الباب الثامن عشر في ذكر الكرام الكائنين)

روى أن كل انسان معه ملكان أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات من غير شهادة الآخر

قبل ان يركبوا نكيره ملك يتلوا وجهه كالشمس اسمه رومان فيقدمه ويقول له اكتب ما فعلت من حسنة وسيئة فيقول له بأي شيء اكتب وليس لي فلم ولا دواة ولا مداد فيقول له الملك ربيك مدادك وقلمك اصبعك فيقول في اي شيء اكتب وليس معي صحيفة فيقطع له من الكفن قطعة ويناولها له ويقول له اكتب فيكتب ما عمله من الخير فاذا بلغ الى السيئات يستحي ان يكتبها فيقول له يا غاشي انت فعلتها ولم تستع من الله فكيف الآن تستحي مني ثم يرفع له صمدا وهم ان يضربه به فيقول له الميت امهني حتى اكتبها الى ان يكتب جميع السيئات ثم يأمر ان يخطمها فيقول بأي شيء اخطمها وليس معي خاتم فيقول له بطفرك فيخطمها بطفرك ويعلمها في عنقه الى يوم القيامة فاذا مره الله تعالى بقراءة هذا الكتاب فيقرأ الحسنة فاذا بلغ الى السيئات سكنت فيقول الله تعالى لم لا تقرأ فيقول يارب استحي منك فيقول الله تعالى عصيتني في الدنيا والآن تستحي مني فيندم العبد ولا ينفعه الاندم فيقول له تعالى خذوه فقلوه ثم الحجاب صاروه وفي الخبر ان العبد المؤمن

والثاني عن يساره يكتب للسيئات ولا يكتبها الا بشهادة صاحبه فان قدم يكون أحدهما عن يمينه والاخر عن يساره فان مشي يكون أحدهما خلفه والاخر امامه فان نام يكون أحدهما عند رأسه والاخر عند رجله وفي رواية أخرى خمسة أملاك ملكان بالليل وملكان بالنهار وملك لا يفارقه في وقت من الاوقات وذلك قوله تعالى له معقبات بين يديه ومن خلفه والمراد من المعقبات ملائكة الليل والنهار يحفظونه من الجن والانس والشياطين فلنكان يكتبان الحسنات والسيئات بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما فم ومدادهما رقبته وما يكتبان أعماله الى موته * وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام ان صاحب الجبين أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد سيئة وأراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب الجبين أمك فيجيبك سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتب وان لم يستغفر الله كتب سيئة واحدة فاذا قبض العبد ووضع في قبره قال الملاك يارب وكلتنا بعبدك نكتب عمله وقد قبضت روحه فاذن لنا نصعد الى السماء فيقول الله تعالى السماء مملوءة من الملائكة يسبحون فارجموا فسبحاني علي قبر عبدي وكبرا وهلا واكتبوا ذلك لعبدي حتى أبشعه من قبره وقال الله تعالى كراما كاتبين مما هم كراما كاتبين لانهم اذا كتبوا حسنة يصدقون بها الى السماء ويعرضونها على الله تعالى ويشهدون على ذلك فيقولون ان عبدك فلانا عمل حسنة كذا وكذا واذا كتبوا على العبد سيئة يصدقون الى السماء ويعرضونها مع الغم والحزن فيقول الله تعالى يا كراما كاتبين ما فعل عبدي فيسكتون حتى يسأل ثانيا وثالثا فيقولون الهنات ستار العيوب وأمرت عبادك بان يستروا عيوبهم انهم يقرؤن كل يوم كتابك ويرجون سترنا ويقولون كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون الآية فانما استر عيوبهم وأنت علام الغيوب ولهذا هموا كراما كاتبين

الباب التاسع عشر في ان الروح بعد الخروج ياتي الى قبره ومنزله

قال النبي عليه السلام اذا خرج الروح من بدن ابن آدم ومضي ثلاثة ايام يقول الروح يا رب ائذن لي حتى أمشي وأنظر الى جسدي الذي كنت فيه فيأذن الله تعالى له فيجيء الى قبره وينظر اليه من بعيد وقد سال من منخره ومن فم فيبكي بكاء طويلا ثم يقول أواه يا جسدي المسكين يا حبيبي أنذكر أيام حياتك هذا المنزل منزل الوحشة والبلاء والكرب والحزن والندامة ثم يمضي فاذا كان خمسة أيام يقول يارب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي فيأذن الله له فيأتي الى قبره وينظر من بعيد وقد سال من منخره ومن فم وأذنيه ماء صديد وقبح فيبكي بكاء شديدا ثم يقول يا جسدي المسكين أنذكر أيام حياتك هذا منزل الغم والحلم والخنة والديدان والمقارب قد أكلت الديدان لحمتك ومزق جلدك وأعضاءك ثم يمضي فاذا كانت سبعة أيام يقول يارب ائذن لي حتى أنظر الى جسدي فيأذن الله له فيأتي الى قبره وينظر من بعيد وقد وقع فيه دود كثير فيبكي بكاء شديدا فيقول يا جسدي أنذكر أيام حياتك ابن اولادك وابن اقرباؤك وابن زوجتك وابن اخوانك واصدقائك وابن رفقاؤك وابن جيرانك الذين كانوا يرضون جوارك اليوم يبكون على وعليك وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اذا مات المؤمن دارت روحه حول داره شهر افتنظر الى ما خلفه من ماله كيف يقسم أو كيف تؤدي دينه فاذا تم له شهر ردت الى حفرته فتدور بعد ذلك حتى يتم عليه حول فينظر من يدعو له ومن يحزن عليه فاذا تم الحول رفع روحه

بالحيل والتهار حذرا من ١٨ هذه المواضع فيأتيان من قبل وجليه مثقولان لأنأتيانهم من قبل لقد كان يمشي الى

الى حيث يجتمع الارواح الى يوم القيامة أي يوم ينفخ في الصور قال تعالى تنزل الملائكة والروح الاية ويقال معهم الروح والريحان ويقال الروح ملك عظيم ينزل لخدمة المؤمنين كما قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا الاية قيل معناه روح بني آدم وقيل الروح جبرائيل عليه السلام ويقال الروح روح محمد عليه السلام تحت العرش يستأذن ليلة القدر من الله في النزول ليسلم على جميع المؤمنين والمؤمنات فيمر عليهم ويقال للروح روح الاقرباء من الاموات يقولون يا ربنا ائذن لنا بالنزول الى منازلنا حتى نرى اولادنا وعيالنا فينزلون في ليلة القدر كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا كان يوم العيد ويوم عاشوراء ويوم الجمعة الاولى من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة القدر وليلة الجمعة يخرج ارواح الاموات من قبورهم ويقفون على ابواب بيوتهم ويقولون ترجموا عنا في هذه الليلة المباركة بصدقة أو بقلعة فانا محتاجون اليها فان بخلتم بها ولم تعطوني فاذا كروني بفاتحة الكتاب في هذه الليلة المباركة هل من أحد يترجم علينا هل من أحد يذكر غربتنا يا من سكن دارنا ويا من نكح نساءنا ويا من أقام في واسع قصورنا ونحن الآن في ضيق قبورنا ويا من قسم اموالنا ويا من استفل ايتامنا هل منكم أحدا يذكر غربتنا وصحفنا طوية وكتابتكم منشور وليس للميت في الاحد ثواب فلا تنسونا بكمرة من خيركم ودعاكم فانا محتاجون اليكم أبدا فان وجد الميت من الصدقة والدعاء منهم رجع فرحا مسرورا وان لم يجد رجم محزونا ومحروما وآيسا منهم وقد قيل أن ارواح في مجموع الحيوانات لا في جميع البدن لكنه في جزء من الاجزاء غير معين بدليل انه يخرج الواحد جراحات كثيرة فلابوت ويخرج الواحد جراحة واحدة فيموت لانها اصابته المكان الذي حل فيه الروح وقيل للروح حالة في جميع البدن لان الموت في جملة الابدان يدل عليه قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها أول مرة فان قيل ما الفرق بين الروح والروان قلنا هما واحد ليس بينهما فرق كما أن البدن مع الابدان واحد لكن الابدان تدب وتجيء والبدن لا يتحرك قط وكذا الروان يذهب وتجيء ولا يتحرك قط ثم موضع الروح في الجسد غير معين وموضع الروان بين الحاجبين فاذا زالت الروح مات العبد لاشك واذا زال الروان ينام العبد كما أن المساء اذا صب في القصة وضعت في بيت ووقعت الشمس عليها من كوة فسمعها في السقف ولم تتحرك القصة من موضعها فكذلك الروح سكنت البدن وشعاعها في العرش وهو الروان فيرى الرؤيا في المنام وهو في الملكوت وأما مسكن الروح بعد القبض فقل مسكنها الصور وفيه تقب بمد كل حيوان بخلاف الى يوم القيامة وان كان متنعما فيها وان كان معذبا فمناك ويقال أن ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر في عليين واوراح الكافرين في حواصل طيور سود في النار ويقال أن ارواح المؤمنين اذا قبضت رفعتها ملائكة الرحمة الى السماء السابعة بالاكرام والاعزاز فينادي مناد من قبل الرحمن اكتبوها في عليين ثم ردوها الى الارض قال فيردون روحه في جسده ويفتح له باب الى الجنة فينظر الى موضعه فيها حتى تقوم الساعة وان ارواح الكافرين اذا قبضت رفعتها ملائكة العذاب الى السماء الدنيا فتفتق دوتها ابوابها ويؤمر بردها الى موضع جسدها وبضيق قبره ويفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده حتى تقوم الساعة وعلى هذا قوله عليه السلام حتى انهم ليسمعون صوت نعالكم وانما منعوا من الكلام ومثل بعض الحكماء عن مكان الارواح بعد الموت

المساجد حذرا من هذه المواضع فيأتيان من قبل هنيهة مثقولان لأنأتيانهم من قبل لقد كان ينظر الى الطغاة كثيرا حذرا من هذه المواضع فاذا أتياه من قبل عيته تقول لأنأتيانهم من قبل لقد كان يتصدق في كثيرا حذرا من هذه المواضع فيأتيان من قبل شمله فيقول صومه لأنأتيانهم من قبل لقد كان يجوع ويمطش حذرا من هذه المواضع فيوفظ كما يوفظ الدائم فيقول ان له ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ان له كسب مؤثما بنام كسب العروس ثم ينصرفان عنه (تنبيه) اذا خرجت الروح من البدن ومضى للميت ثلاثة ايام تقول الروح يارب ائذن لي ان أنظر الى الجسد كنت فيه فيأذن لها فتجئ الى القبر وتنتظر من بعد فتري الماء قد سال من منخره وفيه فتبكي بكاء طويلا وتقول يا جسدي هذا منزل الوحشة والبلاء والائم والحزن والندامة ثم ترجع فاذا مضى خمسة ايام تأتي الى القبر فتجد الدم قد سال من فوالقيح والصديد من اذنيه فتبكي بكاء طويلا ثم تقول يا جسدك هذا منزل الهم والنم والدود والعقارب الان ياكل الدود لحمك ويمزق جلدك ثم ترجع فاذا مضت فقال

يكون على عليك الى يوم
القيامة وروى عن أبي هريرة
رضي الله عنه أنه قال اذا مات
الرجل المؤمن تدور روحه
حول إداره شهرا فإذا تم
الشهر جاءت الى قبره فتدور
حوله سنة فإذا تمت رفعت الى
يوم القيامة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا كان يوم
العيد ويوم العشر ويوم
الجمعة لاولى من شهر رجب
وليلة النصف من شعبان
وليلة الجمعة يخرج الاموات
من قبورهم ويقفون على
أبواب بيوتهم ويقولون
رحموا علينا في هذه الليلة
بصدقة ولو بالقمعة من خبز فاما
محتاجون اليها فاذلم يجدوا
شيئا يرجعوا بالحسرة وقال
أنس بن مالك ان الارض
تنادي كل يوم عشر مرات
يا ابن آدم غشي على ظهري
وتبكي في بطني وتأكل الحرام
وتمدب في بطني وتفرح على
ظهوري ونحزنو بطني وغشي
أمناعى ظهري وتبكي غامقي
بطني وغشي في الذور على
ظهوري وأصير في الظلمة في
بطني وغشي مع الخلائق على
ظهوري وتبكي وحيدا في بطني
وفي الحرام القبر ينادي كل
يوم خمس مرات يا ابن آدم أنا
بيت الدود يا ابن آدم أنا بيت
لوحة يا ابن آدم أنا بيت
الوحدة يا ابن آدم أنا بيت
القربة وقد ورد أن الشيطان

فقال أن ارواح الانبياء عليهم السلام في جنات عدن وتكون في العهد وأنة لاجسادها
والاجساد ساجدة لربها وأرواح الشهداء في الفردوس في وسط الجنة في حواصل طيور
خضر تطير في الجنة حيث شاءت ثم تأتي الى قتاديل معلقة بالمرش وأرواح ولدان المسلمين
في حواصل حفافير الجنة وأرواح ولدان المشركين تدور في الجنة ليس لها أوى الى يوم
القيامة ثم يخدمون المؤمنين وأرواح المؤمنين الذين عليهم دين ومظالم معلقة بالهواء
لا تمل الى الجنة ولا الى السماء حتى يؤدي عنها الدين والمظالم وأرواح المؤمنين المعمرين
تمذب في القبر مع الجسد وأرواح الكافرين والمنافقين في سجين في نار جهنم وتعرض
عليها غدا وعشيا وقيل أن الروح جسم لطيف ولذلك لا يقال الله تعالى ذو روح لانه
يستحيل أن يكون محلا كالأجسام وقد قيل أن الروح عرض وقيل ينشق من الهواء
وهذان القولان قولان من أنكر عذاب القبر روي أن اليهود أنوا الى النبي عليه السلام
فأثروا عن الروح وعن أصحاب الرقم وعن ذى القرنين فنزل في شأنهم سورة الكهف
ونزل في حق الروح قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي قيل معناه من علم ربي
ولا علم لي به وقيل أن الروح ليس بمخلوق لانه أمر الله تعالى وأمر الله تعالى كلام وقيل
معناه يكون من ربي كلمة كن وإن الامر على ضربين أمر التزام كأمرة بالعبادات كالصلاة
والصوم والحج والزكاة وأمر تكوين وهو أمر كن كقوله تعالى كن فكونا حجارة أو
حديدا أو خلقا وكقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وأما قوله
تعالى نزل به الروح الامين وقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قيل معناه في
سورة بنى آدم وأنه ملك عظيم يقرم وحده صفا * وأما قوله تعالى لا دم فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي الآية فمعناه اذا استوى خلق آدم عليه السلام ونفخت فيه الروح
وهذا اضافة خالق وقيل اضافة تكريم كما قال ناقة الله وبيت الله * وأما قوله تعالى
فنفختنا فيها من روحنا فاضافة تكريم فنفخت على ما بيناه وقيل معناه فنفختنا فيها من
روحنا يعني جبريل عليه السلام وعلى هذا قيل الروح روح عيسى ابن مريم لانه خلق من
نفخة جبرائيل عليه السلام وقيل معناه لرحمة قال تعالى وأدم روح منه

(الباب العشرون في ذكر الصور والبعث والحشر)

اعلم ان اسراييل عليه السلام صاحب القرن وخلق الله اللوح المحفوظ من درة بيضاء طوله
ما بين السماء والارض سبع مرات وعلقه بالعرش مكتوب فيه ما هو كائن الى يوم القيامة
ولامرافيل أربعة أجنحة جناح بالشرق وجناح بالغرب وجناح يستريح وجناح يغطي به
رأسه ووجهه مصفر من خشية الله تعالى فاكس رأسه شاخص نحو العرش وأحد قوائم
العرش على كاهله ولا يحمل العرش الا بقدرته لانه يصفر من خشية الله تعالى مثل
المصفر فاذا قضى الله بشيء في اللوح كشف الخطاه عن وجهه ونظر الى ما قضى الله من
حكم وأمر وليس في الملائكة أقرب مكانا من العرش من اسرافيل عليه السلام وبينه وبين العرش
سبعة حجب من الحجاب الى الحجاب مسيرة خمسمائة عام وابن جبرائيل وامر فيل سبعون
حجابا قد وضع الصور على نفخة الامين ورأس الصور على فوهة فينظر امر الله تعالى مني
بأنى فينفخ فيه فاذا انقضت مدة الدنيا دنا الصور من وجه اسرافيل فيضم اسرافيل
أجنحته الاربعة ثم ينفخ في الصور وقيل يجعل ملك الموت احدي كفيه تحت الارض

عليه الهنة يجلس عند رأسه ويقول اترك هذا الدين حتى تنجو من هذه الشدة وورد أن الميت يشهد عايشه وينفخ ربه فيه رح

فيقول له اسقني من هذا الماء فيقول له اترك هذا الدين وأنا اسقيك منه فان لم يجبه يجىء تحت رجله ويحرك الماء فيقول المؤمن اعطني من هذا الماء فيقول له قل كذب الرسول وأنا اعطيك منه فن أدركته بالثقة فأتاه يجيبه الى ذلك فيخرج من الدنيا كافرا نفوذ بالله من ذلك ومن أدركته السعادة بترك كلامه ويحكى عن الجلال أن المؤمن يسأل سمعة أيام والكافر يسأل اربعين يوما وقد ورد أن الباركر يا واحد لما حضرته الوفاة أنه صدق له وهو في سكرات الموت فاقنه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض بوجهه ولم يقل فقال له ثانيا وثالثا ولم يقل بل قال لا أقول فغشى على صديقه فلما كان بعد ساعة وجد ابوزكريا خفة ففتح عينيه وقال لم هل قلت لي شيئا فقالوا نعم مرضنا عليك الشهادة ثلاث مرات فأبيت وأعرضت بوجهك في المرتين وقلت في الثالثة لا اقول فقال له واحد ثم اناني ابليس في تلك الساعة ومعه قدح من ماء ووقف عن يميني وقال لي احتاج الى هذا الماء فقلت له نعم اني كنت في شدة نزوع الروح عطشان فقال لي قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه فقال لي الثالثة فقلت لا

السابعة والاخرى فوق السماء السابعة فيأخذ أرواح أهل السماء وأهل الارض ولا يبقى في الارض الا ابليس لعنة الله عليه ولا يبقى في السماء الا جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وهم الذين استنظام الله تعالى في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله الآية وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى خلق الصور وله أربع شعب شعبة منها في المغرب وشعبة منها في المشرق وشعبة منها تحت الارض السابعة السفلى وشعبة فوق السماء السابعة العليا وفي الصور من الابواب بمدد الارواح وفيه سبعون بيتا في واحد منها راح الانبياء وفي واحد منها ارواح الجن وفي واحد منها ارواح الانس وفي واحد منها ارواح الشياطين وفي واحد منها ارواح الحشرات والهوام الخلة الي تمام سبعين صنفا أعطاه الله اسرافيل عليه السلام فهو واضع على فمه ينتظر متى يؤمر فينفخ ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث قال حذيفة يارسول الله كيف يكون الخلائق عند النفخ في الصور قال عليه السلام يا حذيفة والذي تقسم يده ينفخ في الصور وتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته الي فمه فلا يطعمها والتوب بين يديه ليأبسه فلا يلبسه ولا يكوز على فمه ليشربه فلا يشربه

الباب الحادي والعشرون في ذكر نفخة الصعق ثم نفخة الفزع

وينفخ في الصور فيبليغ فزعه أهل السموات والارض الا ماشاء الله وتسير الجبال سير اوغور للسماء مورا وتجف الارض رجفا مثل السفينة في الماء وتضع الحوامل حملها وتذهل المراضع عن رضعاتها وتصير لولدان شيئا وتصير للشياطين حائرة وقد تناوت عليهم النجوم وكسفت الشمس وكشطت السماء من فوقهم ولتناس من ذلك في غفلة وذلك قوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم ويكون كذلك اربعين يوما * وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قرأ عليه السلام قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال أندرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال عليه السلام ذلك اليوم الذي يقول الله تعالى فيه لا دم عليه السلام قم وابعث من ولدك بعث النار فيقول آدم عليه السلام كم من كل ألف فيقول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فشق ذلك على القوم وغلب عليهم البكاء والحزن فقال عليه السلام اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم قال عليه السلام اني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وقال عليه السلام ابشروا فانما انتم في الامم كالشجرة في جنب البعير انما انتم جزء واحد من ألف جزء وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة على الانس والجن والبهائم والهوام في الارض فيما يتعاطون وبها يتراحمون واذخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ثم يأمر اسرافيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ فيقول أيها الارواح العارية اخرجي بأمر الله تعالى فيصعق ويموت أهل السموات والارض الا من شاء الله تعالى يقال لهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم كما قال الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء الآية وفي الخبر عن النبي عليه السلام ان الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات لم يكرمها أحدا ولا أنا احدها أن ارواح الانبياء يقبضها ملك الموت وأنا كذلك وأرواح الشهداء يقبضها الله تعالى والثاني أن الانبياء يغسلون بعد موتهم وأنا كذلك

والشهداء لا يفسلون والثالث أن الانبياء يكفنون وأنا كذلك والشهداء لا يكفنون والرابع أن الانبياء يسمون الموتى وأنا كذلك يقال مات محمد عليه السلام والشهداء أحياء لا يسمون موتى بل يقال أحياء والخامس أن الانبياء يشقون يوم القيامة وأنا كذلك والشهداء يشقون كل يوم الي يوم القيامة ويقال في معنى الامن شاء الله يعني يبقى اثنا عشر نفسا جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام وثمانية من جملة العرش فتبقى الدنيا بلا انس ولا جن ولا شيطان ولا وحش ثم يقول الله تعالى يا ملك الموت اني خلقت لك بعدد الاولين والآخرين أعوانا وجعلت لك قوة اهل السموات والارضين واني البسك اليوم ثوب الغضب فانزل بغضي وسطوني على ابليس عليه اللعنة فاذهبه الموت واحمل عليه مرارة موت الاولين والاخرين من الانس والجن اضعاقا مضاعفة وليكن مملك من الزمانية سبعون ألفا مع كل واحد سلسلة من سلاسل لظى فينادي مالكا ليقم ابواب النار فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليه اهل السموات والارضين لما تروا كلهم فينهى الى ابليس ويخرجه زجرة فاذا هو قد صمق وله خرخرة لو سمعها اهل السموات والارضين اصعقوا من تلك الخرخرة وملك الموت يقول يا خبيث لا ذنبك الموت اليوم كم من عمر أدركت وكم من قرن أضلكت قال فيهرب ابليس الى المشرق فاذا هو عنده ويهرب الى المغرب فاذا هو عنده فلا يزال الى حيث هرب ثم يقوم ابليس في وسط الدنيا عند قبر آدم عليه السلام فيقول يا آدم من أجلك صرت رجيا وملعونا ومطرودا فيقول يا ملك الموت باي كاس تسقيني وبأي عذاب تقبض روحي فيقول بكاس لظى وللسمير وابليس يقع في التراب مرة بعد مرة حتى اذا كان في الموضع الذي هبط فيه ولعن عليه وقد صبت عليه الزمانية بالكلايب فيأخذه الزمانية ويطعنونه فيبقى في النزع في سكرات الموت ماشاء الله

باب الثاني والعشرون في ذكر فناء الاشياء بامر الله تعالى *

وقرر ملك الموت أن ينفي البحار كما قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه فيأتي ملك الموت الى البحار فيقول قد انقضت مدتك فيقول البحر ائذن لي حتى أنوح على نفسي فيقول ابن أمواجي وابن عجائبي وقد جاء أمر الله فيصيح عليها ملك الموت صيحة فكان ماءها لم يكن ثم يأتي الى الجبال فيقول قد انقضت مدتك فتقول الجبال ائذن لي حتى أنوح على نفسي فتقول ابن سعوددي وأين قوتي وقد جاء أمر الله فيصيح عليها صيحة فتذوب ثم يأتي الى الارض فيقول قد انقضت مدتك فتقول الارض ائذن لي حتى أنوح على نفسي فتقول ابن ملوكي واشجارتي وانهارى وأنواع نباتي فيصيح عليها ملك الموت صيحة فتساقط حيطانها وتغور عيونها ثم يصعد الى السماء فيصيح فتتكسف الشمس والقمر وتتناثر النجوم ثم يقول الله يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول ألهي أنت ألهي الذي لا يموت بقي جبرائيل وميكائيل واسرافيل وحلة العرش وأنا عبدك لا ضعيف فيقول الله تعالى اقبض ارواحهم فية قبض ارواحهم ثم يقول الله يا ملك الموت ألم تسهم قولي كل نفس ذائقة الموت وأنت خلق من خلقتي مت أنت فيموت * وفي خبر آخر ثم يامر الله بقبض روح نفسه فيجىء الى موضع بين الجنة والنار ويجعل بصره الى السماء فينزع روحه فيصيح صيحة واحدة لو كانت الخلائق كلهم في الحياة لما نوا من صيحته ثم يقول لو علمت أن في نزع الروح هذه الشدة لكنت على قبض ارواح المؤمنين أشفق ثم يموت فلا يبقى أحد لا يموت ذلك الرجل حتى يجلس مكانك في الشمس فقال له قد جالس في هذه الساعة فذهب اليه ملك الموت وقبض روحه هناك

ومما يحكي عن أبي قلابة أنه ٢٢ رأى في المنام كأن جبانة قد انشقت قبورها وخرجت أمواتها وجلسوا عند

وفي خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا إلى ما شاء الله تعالى

❦ الباب الثالث والعشرون في ذكر ما يحشر الله من الخلائق ❦

في الخبر إذا أراد الله أن يحشر الخلائق أحياء جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وهزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ الصور من العرش فيبعث الله إلى رضوان فيقول يا رضوان زين الجنان ورتب الحلال لمحمد عليه السلام وأمتهم ثم يأتيون بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فأول ما أحيأ الله من الدواب للبراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه مرجا مرصعا من باقوتة حمراء ولجامه من زبرجدة خضراء والحلتان أحدهما خضراء والاخرى صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا إلى قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الأرض قاعا صافصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام مذهب المومنين من قبره إلى عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذي يحشر الله الخلائق بيدك فيقول له جبريل ناد أنت فانك خليلي في الدنيا فيقول أما أستحي منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت يا ميكائيل فيقول ميكائيل عليه السلام عليك يا محمد فلا يجيبه فيقولون ملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة أرجعي إلى البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادي اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلي إلى البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادي عزرائيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة قومي لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمن فينشق القبر فإذا هو جالس في قبره يتفقد التراب عن رأسه وحليته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول يا جبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول يا جبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرت لقدومك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل أسألك عن أمتي المذنبين لعلك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزقرني يا محمد ما نتخت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قابي وفرت عني فباخذ للتاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

❦ الباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ❦

له جناحان يطير بهما بين السماء والأرض ووجهه كوجه الإنسان ولسانه كلسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زبرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالسكوك البردي وناصيته من باقوتة حمراء ذنبه كذنب البقر مكمل بالذهب الأحمر ويقال هو في الحسن كالطائوس فوق الحمار ودون البغل وانما سمى البراق رافلا ن سيره وسرعته كالبرق فلما دنا للذي عليه السلام ليركب اضطرب وقال يا جبريل وعزة ربي لا يركبني الا الذي الهاشمي الابطيحي القرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبد الله فيركبه ثم يطلق إلى الجنة فيخبر ساجدا فينادي مناد ارفع رأسك وسل تعطى فيقول الهى ما وعدتني في أمتي فيقول أعطيتك ما ترضى كما في قوله تعالى وسوف أعطيك ربك فترضى ثم يأمر الله تعالى السماء بان تمطر فتعطر السماء ماء كسرى الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبت الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يسدل الله تعالى الأرض التي حمل عليها المعاصي فينصب عليها من جحيم جهنم

ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أشبع جائدا فيأتي

فبأني بارض من فضة بيضاء فينصب عليها من ماء الجنة وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض أين يكون الناس قال عليه السلام بأناثة سالتني من شيء عظيم ما سألني عنه غيرك أن الناس يومئذ على الصراط

باب الخامس والعشرون في ذكر نفخة الصور للبعث *

ثم يقول الله تعالى يا إسرائيل قم وانفخ في الصور نفخة البعث فينفخ وينادي أيتها الأرواح الخارجة والمظام النخرة والأجساد البالية والمروق المنقطعة والجلود الممزقة والشعور المنساقطة قوموا لفصل القضاء فيقومون بأمر الله تعالى وذلك قوله تعالى فإذا هم قيام ينظرون ينظرون إلى السماء قد مارت وإلى الأرض قد بدلت وإلى المشار قد عطلت وإلى الوحوش قد حشرت وإلى البحار قد سحرت وإلى النفوس قد زوجت وإلى الزمانية قد احضرت وإلى الشمس قد كورت وإلى الموازين قد نصبت وإلى الجنة قد أزلقت عسلت تقس ما أحضرت وذلك قوله تعالى قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقنا الآية فيجيهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيخرجون من القبور حفاة عراة * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأنون أقواجا فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بل القرب من دموع عينيه ثم قال عليه السلام أيها السائل سألتني عن أمر عظيم أنه يحشر يوم القيامة أقوام من أمي على أنني حشر صنفا أما الأول فيحشرون على صورة القردة وهم الفتان في الناس كما في قوله تعالى وللمتة أشد من القتل والثاني يحشرون على صورة الخنازير وهم أهل اللسحت كما في قوله تعالى صماعون للكذب أكالون والثالث يحشرون صميا متحيرين فيعلق بهم لباس وهم الذين يتجاوزون في الحكم كما في قوله تعالى وإذا حكم بين الناس أن تحكموا بالعدل أن الله نعمًا يعظمكم به أن الله كان معيما بصيرا والرايع يحشرون صابكا وهم المعجبون بأعمالهم كما في قوله تعالى إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا والخامس يحشرون يسيل من أفواههم اللقيح ويمضفون أنفسهم وهم العلماء الذين يخالف أقوالهم أفعالهم كما قال الله تعالى أتأمرون للناس بالبر ونفسون أنفسكم الآية والسادس يحشرون وعلى أجسادهم قروح من النار وهم المشاهدون بالور والسابع يحشرون وأقدامهم على جباههم مقودة بنواصيرهم وهم أشد ثقلنا من الجيفة وهم الذين يتبعون الشهوات واللذات والحرام كما قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة والثمان يحشرون كالسكارى يسقطون ميثا وشملا وهم الذين يمتعون حق الله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا من طيبات ما كتبتم الآية والثاسع يحشرون وعليهم سراويل من فطران وهم الذين لا يتحاشون عن الغيبة كما قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا والعاشر يحشرون خارجة أنفسهم من أقتانهم وهم أصحاب النعمة والحادي عشر يحشرون سكارى وهم الذين يحشرون كانوا يتعدون في المساجد بحديث الدنيا كما قال الله تعالى وأن المساجد لله والثاني عشر يحشرون على صورة الخنازير وهم للذين كانوا يأكلون الربا كمال قال الله تعالى لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة الآية * وفي خبر آخر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال إذا كان يوم القيامة ويوم الحسرة ولقدماة يحشر الله تعالى أمي في قومهم على أنني عشر فوجا أما الفوج الأول فيحشرون من قبورهم ليس لهم أيد

من الأرواح بعد الموت فقال إن أرواح الأنبياء في جنة عدن وأرواح الشهداء في وسط الجنة في حواصل طيور خضر يطيرون في الجنة حيث شاءوا وأرواح أولاد المؤمنين في حواصل عصافير الجنة وعند جبال المسك وأرواح أولاد المشركين يترددون ليس لهم مكان مخصوص وأرواح الذين عليهم دين ويأكلون أموال الناس بالباطل معلقة في الهواء لا تصل إلى الجنة ولا إلى السماء وأرواح فساق السكفار تعذب في القبر مع الجسد وأرواح المنافقين في صجين في نار جهنم وورد أن من أصيب بمصيبة فخرق ثوبا أو ضرب له صدرا فكأنما أخذ رمحا وحارب به مولاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من سرود بأبي على لمصيبة أو ثوبا أو خرق ثوبا أو ضرب له صدرا أو قاع له شعرة بنى الله بكل شعرة بيتا في النار وكأنا قتل سبعين نبيا ولا يقبل الله منه شيئا ما دام ذلك السواد على بابه وضيق الله على الميت قبره وشدد عليه حسابه ولعنته كل يوم ملائكة السموات والأرض وكتب عليه ألف خطيئة وقام يوم القيامة عربا ونام لعلم على خداه أو خدش وجهه حره الله تعالى

النظر إلى وجهه يوم القيامة ولا بأس بالكاء على الميت ولكن الصبر أفضل لقوله تعالى إنما في الصبر أجرهم بغير حساب وورد

ومما يحكي عن أبي قلابة أنه ٢٢ رأي في المنام كان جبانة قد انشقت قبورها وخرجت أمواتها وجلسوا عند

وفي خبر آخر يقول الله اذهب ومت بين الجنة والنار فيموت هناك ولا يبقى شيء غير الله فتبقى الدنيا خرابا الى ما شاء الله تعالى

❦ الباب الثالث والعشرون في ذكر ما يحشر الله من الخلائق ❦

في الخبر اذا اراد الله أن يحشر الخلائق احيى جبريل وميكائيل عليهما السلام واسرافيل وهزرائيل عليهما السلام أولهم اسرافيل فيأخذ الصور من العرش فيبعث الله الى رضوان فيقول يا رضوان زين الجنان ورتب الخلل ل محمد عليه السلام وأمتهم ثم يأذن بالبراق والتاج ولواء الحمد وحلتين من حلل الجنة فأول ما أحيى الله من الدواب للبراق فيقول الله تعالى لهم اكسوه فيكسونه مرجا مرصعا من باقوتة حراء ولجأه من زرجدة خضراء والحنان احداهما خضراء والاخرى صفراء فيقول الله تعالى لهم انطلقوا الى قبر محمد عليه السلام فيذهبون وقد صارت الارض قاعا صافصفا فلا يدرون أين قبره فيظهر نور محمد عليه السلام مئذيل العمود من قبره الى عنان السماء فيقول جبريل عليه السلام ناد أنت يا اسرافيل فانت الذي يحشر الله الخلائق بيدك فيقول له جبريل ناد أنت فانك خليلي في الدنيا فيقول أما أستحي منه فيقول اسرافيل عليه السلام ناد أنت يا ميكائيل فيقول ميكائيل عليه السلام عليك يا محمد فلا يجيبه فيقولون لملك الموت ناد أنت فيقول ملك الموت أيتها الروح الطيبة أرجعي الى البدن الطيب فلا يجيبه أحد ثم ينادى اسرافيل عليه السلام أيتها الروح الطيبة ادخلي الى البدن الطيب فلا يجيبه ثم ينادى عزرائيل عليه السلام يا أيتها الروح الطيبة قومي لفصل القضاء والحساب والعرض على الرحمن فينشق القبر فإذا هو جالس في قبره يتفقد التراب عن رأسه وحليته فيعطيه جبرائيل عليه السلام حلتين والبراق فيقول يا جبرائيل أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة ويوم الحسرة والندامة هذا يوم البراق وهذا يوم الفراق وهذا يوم التلاق فيقول يا جبرائيل بشرني فيقول الجنة قد زخرت لتقوم لك والنار قد أغلقت فيقول لست أسألك عن هذا بل أسألك عن أمتي المذنبين لملك تركتهم على الصراط فيقول اسرافيل وعزقرني يا محمد ما اتخذت صور البعث قبل قيامك فيقول الآن طاب قابي وفرت عني فباخذ للتاج والحلة فيلبسهما ويركب البراق

❦ الباب الرابع والعشرون في ذكر صفة البراق ❦

له جناحان يطير بهما بين السماء والارض ووجهه كوجه الانسان ولسانه كلسان العرب واضح الحاجبين ضخم القرنين رقيق الاذنين هما من زرجدة خضراء أسود العينين ويقال كالسكوك لدري وناصيته من باقوتة حراء ذنبه كذنب البقر مكال بالذهب الاحمر ويقال هو في الحسن كالطاوس فوق الحمار ودون البغل وانما سمى للبراق رافلان سيره وسرعته كالبرق فلما دنا للذي عليه السلام ليركب اضطرب وقال يا جبريل وعزة ربي لا يركبني الا الذي الهشي الابطمى للقرشي محمد بن عبد الله صاحب القرآن فيقول أنا محمد بن عبد الله فيركبه ثم يطاق الى الجنة فيخبر ساجدا فينادى مناد ارفع رأسك وسل تعطى فيقول الهى ما وعدتني في أمتي فيقول أعطيتك ما ترضى كما في قوله تعالى وليسوف يعطيك ربك فترضى ثم يأمر الله تعالى السماء بان تمطر فتطر السماء ماء كسرى الرجال أربعين يوما فيكون الماء فوق كل شيء اثني عشر ذراعا فينبث الخلق بذلك الماء كنبات البقل حتى تتكامل اجسامهم كما كانت في الدنيا ثم يسدل الله تعالى الارض التي حمل عليها المعاصي فينصب عليها من جيم جهنم ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة نفر يؤتى بهم يوم القيامة على منابر من نور فتدخل الجنة من أشبع جأفا فيأتي

فما فی بارض من فضة بیضاء فینصب علیها من ماء الجنة وروی عن عائشة رضی اللہ تعالیٰ عنہا قالت یا رسول اللہ یوم تبدل الارض غیر الارض ایں یکون الناس قال علیہ السلام بأمانة سالتنی عن شیء عظیم ما سالتی عنہ غیرک ان الناس یومئذ علی الصراط ﴿الباب الخامس والعشرون فی ذکر نفخة الصور للبعث﴾

الجنة حيث شاءوا وأرواح أولاد المؤمنین

فی حواصل مصافر الجنة

عند جبال المسک وأرواح أولاد المشرکین یرددون

لیس لهم مکان مخصوص

وأرواح الذین علیهم دین ویاکون اموال الناس

بالباطل معلقة فی الهواء لا

تصل الی الجنة ولا الی السماء

وأرواح فساق الکفار تعذب فی القبر مع الجسد

وأرواح المنافقین فی سجن

فی نار جهنم وورد أن من

أصیب بمصیبة فخرق ثوبا

أو ضرب له صدرا فکأنما

أخذ رمحا وحارب به مولاہ

وهو الذی صلی اللہ علیہ وسلم

أنه قال من سجد بآبائی

لمصیبة أو ثوبا أو خرق ثوبا

أو ضرب له صدرا أو قلع له

شعرة بنی اللہ بكل شعرة

یتتافی للنار وکأنما قتل سبعین

نبیاً ولا یقبل اللہ منه شیئاً ما

دام ذلك السواد علی بابه

ثم یقول اللہ تعالیٰ یا سراфіل قم وانفخ فی الصور نفخة البعث فینفخ وینادی ایتها الارواح الخارجة والمظام النخرة والاحساد البالية والمروق المتقطعة والجلود الممزقة والشعور المتساقطة قوموا لفصل القضاء فیقومون بأمر اللہ تعالیٰ وذلك قوله تعالیٰ فاذا هم قیام ینظرون ینظرون الی السماء قد مارت والی الارض قد بدلت والی المشار قد عطلت والی الوحوش قد حشرت والی البعائر قد سحرت والی النفوس قد زوجت والی الزبانية قد احضرت والی الشمس قد کورت والی الموازین قد نصبت والی الجنة قد أزلت علمت تقس ما أحضرت وذلك قوله تعالیٰ قالوا یا یولیدا من بعثنا من مرقدنا الآیة فیجیبهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فیکرجون من القبور حفاة عراة * وسئل رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم عن معنی قوله تعالیٰ یوم ینفخ فی الصور فتأثون أفواجا فبکی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم حتی بل القراب من دموع عینیہ ثم قال علیہ السلام أیها السائل سالتنی عن أمر عظیم انه یحشر یوم القیامة اقوام من أمی علی اثنی عشر صنفا أما الاول فیحشرون علی صورة القردة وهم الفتانون فی الناس كما فی قوله تعالیٰ وللمتقنة أشد من القتل والثانی یحشرون علی صورة الخنازیر وهم أهل السحت كما فی قوله تعالیٰ صماعون للکذب أکالون للسحت والثالث یحشرون همیا متحیرین فیعلق بهم اللداس وهم الذین یتجاوزون فی الحکم كما فی قوله تعالیٰ واذ حکم بین الناس أن تحکموا بالعدل ان اللہ نعماً یعظکم به ان اللہ کان معیماً بصیراً والراع یحشرون صابکاً وهم المعجونون بأعمالهم كما فی قوله تعالیٰ ان اللہ لا یحب من کان مختالاً فخوراً والخامس یحشرون یسیر من أفواهم القبیح ویضفون أنفسهم وهم العلماء الذین تخالف أفواهم أفعالهم كما قال اللہ تعالیٰ تأثمرون للناس بالبر وتنفسون أنفسکم الآیة والسادس یحشرون وهی أجسادهم قروح من النار وهم للشاهدون بالزور والسابع یحشرون وأقدامهم علی جباههم مقودة بنواصیهم وهم أشد تناناً من الجيفة وهم الذین یتبعون الشهوات واللذات والحرام كما قال اللہ تعالیٰ أولئک الذین اشتروا الحیاة الدنیا بالآخرة والذین یحشرون کالسکاري یسقطون یمیناً وشمالاً وهم الذین یتمنون حق اللہ كما قال تعالیٰ یا ایها الذین آمنوا أتعقوا من طیبات ما کتبتم الآیة والثاسع یحشرون وعلیهم سراويل من فطران وهم الذین لا یتحاشون عن الغيبة كما قال اللہ تعالیٰ ولا تجسسوا ولا یفتب بکم بعضا ولا تعاصروا یحشرون خارجة أنفسهم من أفتاقهم وهم أصحاب النمیمة والحادی عشر یحشرون سکاري وهم الذین یحشرون کانوا یتعدون فی المساجد بحديث الدنیا كما قال اللہ تعالیٰ وأن المساجد لله والثانی عشر یحشرون علی صورة الخنازیر وهم الذین کانوا یاکون الربا کما قال اللہ تعالیٰ لا تأکولوا الربا أضعافاً مضاعفة الآیة * وفی خبر آخر عن معاذ بن جبل رضی اللہ عنہ عن الذی علی الصلاة والسلام قال اذا کان یوم القیامة ویوم الحسرة ولقدماة یحشر اللہ تعالیٰ أمی فی قموهم علی اثنی عشر فوجاً اما الفوج الاول فیحشرون من قبورهم لیس لهم اید

النظر الی وجهه یوم القیامة ولا یأبى بالکاء علی المیت ولكن الصبر أفضل لقوله تعالیٰ انما یوفی الصابرون اجرهم بغير حساب وورد

وسلم انه لما مات وله ابواهم
دمعت عيناه فقال له عبد
الرحمن بن عوف يا رسول
الله ائبس قد نهيتنا عن البكاء
فقال انما نهيتكم عن الصوتين
الفاجرين الاحقين صوت
النوح والغناء ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم تدمع
العينان ويحزن القلب
وروى ان صهر رضى الله عنه
رأى امرأة تبكي على ميت
فاراد صهر ان ينهها عن البكاء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
دعها يا ابنا حفص فان العين
باكية والنفس مصابة ومن
على بن ابي طالب رضى الله
عنه انه قال الصبر على ثلاثة
أقسام الصبر على الطاعة
والصبر عن المصيبة والصبر
على المصيبة فمن صبر على
الطاعة اعطاه الله يوم القيامة
مئة درجة علو كل درجة كما
بين السماء والارض ومن
صبر عن المصيبة اعطاه الله
يوم القيامة مئة درجة علو
كل درجة كما بين السماء
والارض ومن صبر على
المصيبة اعطاه الله يوم القيامة
ثلاثة درجة علو كل درجة
كما بين السماء والارض وعن
ابن عباس رضى الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اول ما كتب القلم في
اللاوح لحفظ بآثار الله تعالى
اننى اتا الله لا اله الا انا ومحمد
عبدى ورسولى وخيرى من
خلقت من استسلم لقضائى وصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليخرج من تحت سماوى وليعبد ربا سوائى الدين

وسلم انه لما مات ولده ابراهيم دعت عيناه فقل له عبد الرحمن بن عوف يارسول الله ائبس قد نهيتنا عن البكاء فقال انما نهيتكم عن الصوتين الفاجرين الاحقين صوت النوح والغناء ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم تدمع العينان ويحزن القلب وروى ان صهر رضى الله عنه رأى امرأة تبكى على ميت فاراد صهر ان ينهها عن البكاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعها يا اباحفص فان العين باكية والنفس مصابة ومن على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال الصبر على ثلاثة أقسام الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على المصيبة فمن صبر على الطاعة اعطاه الله يوم القيامة مائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر عن المعصية اعطاه الله يوم القيامة مائة درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة اعطاه الله يوم القيامة ثمانية درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض ومن صبر على المصيبة اعطاه الله يوم القيامة ثمانية درجة علو كل درجة كما بين السماء والارض وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما كتب القلم في اللوح لحفظ باظر الله تعالى انى اتا الله الا انا و محمد عبدي ورسولي وخيرتي من خلقي من استسلم لقضائى وصبر على بلائى ولم يشكر نعمائى فليخرج من تحت سماوى وليعبد ربا سوائى الدين

﴿ فائدة ﴾ أربعة عشر لا يسألون في قبورهم المرباط والشهيد والصادق والميت بوضعه البعان والميت بالاستسقاء ومن داوم على قراءة تبارك كل ليلة والميت ليلة الجمعة ومن مات يومها والغريق والميت بالطاعون وكذا الميت بغير طعن في زمير الطاعون أن كان يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب لله عليه وكذا الأنبياء والملائكة ومن قرأ سورة الاحلاص في مرض موته وأما ضمة القبر فلا تنجو أحد منها. لكن الدوم من ضمة القبر كما تضم المرأة الشفوة قوله ضامة حنان وشفقة واه لا لكافر فيضمة ضمة عداوة وبضمة (فائدة) خسه لا تاكل الارض اجسامهم لا نبياء والعلماء والشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وقراء ٢٥ القرآن والمؤذن احسبنا الله

تعالى وقد نظموا بعضهم فقال
لا تاكل الارض جسما للنبي
ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لفارس قرآن ومحب
أذانه لاله مجري الفلك
(وقد ورد) ان سيدي محمد
لمهدي اذا ظهر ومكت في
الارض يفرج عنه المسيح
الدجال وهو كما خبر المصطفى

الذين يشربون الخمر ماتوا ولم يتوبوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى النار كما قال الله تعالى
انما الخمر والميسر والالصاب والازلام رجس من عمل الشيطان الاية وأما الفرج الثاني عشر
فيحشرون من قبورهم وجوههم مثل القمر ليلة البدر فيجوزون على الصراط كالبرق
الحافظ فينادي المنادي من قبل الرحمن هؤلاء الذين يعملون الصالحات وينهون عن
المعاصي ويحفظون لأصول الحس مع الجماعات ماتوا الى التوبة فهذا جزاؤهم ومصيرهم الى
الجنة والمغفرة وارضوان والرحمة والنعمة لانهم رضوا عن الله والله تعالى راض عنهم كما
قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

﴿ الباب السادس والعشرون في ذكر نشور الخلائق من القبور ﴾

يقال ان الخلائق اذا نشروا من القبور يقفون وقفا على المواضع التي نشروا عليها أربعين
سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بيم يعرف
المؤمنون يوم القيامة قال عليه السلام ان أمتي غر محجلون من آثار الوضوء * وفي الخبر
اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الخلائق من قبورهم فتأتى الملائكة الى قبور المؤمنين
ويعسحون التراب عنهم الا مواضع سجودهم فلا يذهب منها ذلك الاثر فينادي المنادي
ليس ذلك للتراب تراب قبورهم وانما هو تراب محاريبهم دعوا ما عليهم حتى يعبروا
الصراط ويدخلوا الجنة حتي ان كل من ينظر اليهم يعلم انهم خدامي وعبادي وروى عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام اذا كان يوم القيامة وبعث
من في القبور أوحى الله تعالى الى رضوان يا رضوان اني قد أخرجت الصالحين من قبورهم
جائمين عطاشا فاستجباهم بشواء وفاكهة من الجنان فيصيح رضوان يا أيها الغلمان ويا أيها
الولدان الذين لم يبلغوا الحلم فيأتون بطباقي من نور ويجتمعون عنده أكثر من عدد
قطر الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والأطعمة السمينية والأشربة
الذبيذة فاذا لقيهم أطعمهم من ذلك ويقول لهم كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام
الخالية وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال عليه السلام ثلاثة تعاضهم
الملائكة يوم يخرجون من قبورهم الشهداء وصائف شهر رمضان وصائف يوم عرفة وعن
حائشة رضي الله عنها قال عليه السلام يا حائشة ان في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد

(٤ - دقائق) فقوت من أطاعه أطعمه من الحيز ومن أنفاه يدخله الذي يسميه الجنة فتكون علي نار أو لم يطعمه
يدخله الذي يسميه نار فتكون عليه جنة وبيعت الله منه شيئا من تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر الصالح أن يظفر فتمطر وبقائه أن يقتل
الخضر عليه السلام وصلة قتله أن ينشره بالمنشار فلتقتين ويمشي بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول آتو من في يقول له الخضر ما أنت
ال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله عليه صفيحة من نحاس فلا يقدر أن يذبحه ثم أذل الناس قهر منه الى جبل بالشام يقال له جبل
الدخان فيقيعهم الدجال بمجنوده ويضيقهم ضيقا شديدا ثم أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء على أجنحة ملكين شرقي دمشق وبندادي

ايها الناس ما عنكم أن نخرجوا هذا الكذاب لحيت فينطقون اليه فيجدون عيسى فاذا صلاوا صلاة الصبح يخرج اليه عيسى فاذا رآه ولي
 هاروبا ينطق اليه عيسى ويقله بحجرة من الجنة تنزل منه من السماء ويكسر الصليب ويقتل الخنزير وتفتح كنوز الارض ويكثر
 المال وتهلك في زمانه سائر الملل الا الاسلام وتنزل الامانة في الارض وللشفقة بين الخلائق حتى يرعى الاسد مع الابل والفرع مع البقر
 والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم ثم أنه يسكن مدينة المعطى صلى الله عليه وسلم ويتزوج بأمرأة وتلد منه ثم
 يموت ويصلى عليه المسلمون ٢٦ ويدفونونه بجانب قبر المعطى صلى الله عليه وسلم فاذا انقضت مدة الدنيا فيضم امرؤ فليل

أجنحته وينفخ في الصور
 نفخة واحدة فتخرج
 الارواح من أهل السموات
 والارض حتى أن الرجل
 يرفع اللقمة الى فيه فلا
 يطعمها والثوب بين
 يديه فلا يلبسه والكوز
 على فيه فلا يشرب ولا يبقى
 في الارض الا ابليس لعنة الله
 عليه ولا في السماء الا الملائكة
 الاربعة المقربون وحمة
 العرش ثم يقول الله تعالى اني
 أجل لك بعدد الاولين
 والآخرين أعوانا وأعطيتك
 قوة أهل السموات
 والارض وأعطيتك من
 الربانية سبعين ألفا بيد كل
 واحد منهم سلسلة من
 سلاسل لظى وأرسلت الى
 ابليس لتذيقه الموت فيقول
 للسمع والطاعة ثم أن مناديا
 ينادي بأماناتك افتح أبواب
 النيران فينزل ملك الموت
 بصورة لوفظ اليها أهل
 السموات والارض لما نوا
 ويقول له ذق يا خبيث

وذهب وقصة قالت يا رسول الله ان هذه القصور قال عليه السلام لمن صام يوم عرفة
 وقال عليه السلام يا عائشة ان أحب الايام الي الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيه من الرحمة
 وان أبغض الايام الي ابليس يوم الجمعة ويوم عرفة يا عائشة من أصبح صائما يوم عرفة
 فتح الله تعالى عليه ثلاثين بابا من الخير وأغلق عنه ثلاثين بابا من الشر فاذا أفطر وشرب
 الماء استغفر الله له كل عرق في جسده يقول اللهم ارحمه الى طلوع الفجر وفي خبر آخر
 يخرج للصائت من قبورهم ويعرفون بريح أفواهم بصياهم يتلقون بالموائد والاباريق
 يقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روي الناس
 واستريحوا فيا كلون ويشربون ويستريحون والناس في الحساب وقد جاء في الخبر لا يبلى
 عشرة الانبياء والغزاي والعالم والشهيد وحامل القرآن والامام العادل والمؤذن والمرأة اذا
 ماتت في نقاسها ومن قتل مظلوما ومن مات يوم الجمعة أوليتها وفي الخبر عن النبي عليه السلام
 يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم امهاتهم عراة خفاة قالت عائشة رضی الله تعالى عنها الرجل
 والنساء معا قال عليه السلام نعم قالت واسوأناه ينظر بعضهم بعضا فضرب النبي عليه السلام
 يده على منكبيه وقال يا ابنة أبي قحافة اشتغل الناس يومئذ من النظر لشخص أبصارهم الى
 السماء يقولون أربعين سنة لا يأتى كلون ولا يشربون ويعرق كل واحد منهم حياة من الله
 تعالى فقام من يبلغ العرق قدميه ومنهم من يبلغ ساقيه ومنهم من يبلغ بطنه ومنهم من
 يبلغ صدره ومنهم من يبلغ وجهه والعرق يكون من طول الوقوف قالت يا رسول الله هل
 يحشر أحد كاسيا يوم القيامة قال عليه السلام الانبياء وأهل بيته وصائى رجب وشعبان
 ورمضان على الولاء وكل الناس جائع يومئذ الا الانبياء وأهل بيته وصائى رجب وشعبان
 ورمضان لانهم شباع لا جوع بهم ولا عطش وقال يسوقهم بأجمعهم الى أرض المحشر عند
 بيت المقدس في أرض يقال لها الساهرة كما قال الله تعالى فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة
 ويقال أن الخلائق في عرصات القيامة يكرنون مائة وعشرين صدا كل صف مسيرة أربعين
 سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين سنة ويقال أن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة
 روي عن رسول الله عليه السلام أن أمي مائة وعشرون صفا وهذا أصح وصفة المؤمنين
 انهم بيض الوجوه غير محجلون وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرونون مع الشياطين
 ﴿الباب السابع والعشرون في ذكر سوق الخلائق الى المحشر﴾

ويقول له ذق يا خبيث لا ذيقك الموت فهيرب منه الى المشرق فاذا هوعنده فهيرب الى المغرب فاذا هو عنده ثم يقف عند قبر آدم عليه
 السلام ويقول له يا آدم من أجلك صرت رجلا مملونا مطرودا ثم يقول يا مملك الموت بأى كاس تسقي الموت وبأى عذاب تقبض
 روحي فيقول ملك الموت بكاس لظى والسعيرو لربانية تصيب له السلاسل بالكلاليب ويطمنونه فيقيم على وجهه فتذهب قوته
 وبأخذني زرع الروح فتقبني له خرخرة لومعهم أهل السموات والارض لما نوا من شدتها ثم بأمر الله ملك الموت ان يقف في الأرض فيأني
 ملك الموت الارض ويقول لها قد انقضت مدتك اذهبي فتقول له الارض يا مملك الموت امهاني حتى أروح على نفسي فتروح لسان

وفصبح ابن ملوكي أشجاري ونماری وبنياني وقصوري ثم يصيح به الملك الموت صيحة واحدة فتساقط حيطانها وينور ماؤها
ثم تذهب كانتهم تكن ثم يصعد الي السماء ويقول لها قد انقضت مدتك فتقول يا ملك الموت اهلني حتى اروح على نفسي فيمهلها فتروح
بلسان فصيح ابن شمسي وقصري ونجومي وأفلاكي ثم يصيح به الملك الموت صيحة واحدة فتنتطوى كلبي السجل للكتب ثم يقول
الله تعالى يا ملك الموت من بقي من خلقي فيقول اللهم أنت اعلم بقي جبريل وميكائيل ورافاييل وحمل العرش وأبعدك الضعيف
فيقول يا ملك الموت اقبض روح جبريل فينتطلق اليه فيجده ساجدا أو راكعا فيقول له ٢٧ ان الله تعالى أمرني بقبض

روحك فيقول رب هو
على سكرات الموت فيضمه
ملك الموت ضمة بقبض بها
روحه ثم يأتي فيقول له من
بقي فيقول ميكائيل فيقول
قبض روحه فينتطلق اليه
ويقول قد أمرني الله بقبض
روحك فيقول رب هو
على سكرات الموت فيضمه
ضمة بقبض بها روحه ثم
يأتي فيقول من بقي وهو

اعلم فيقول بقي امرافيل
فيقبض الله من امرافيل
الصور فيضمه ضمة واحدة
بقبض واروحه فيقول من
بقي وهو اعلم فيقول حملة
العرش فيقول اقبض
ارواحهم فيقبضها ثم يقول
الله تعالى من بقي وهو اعلم
فيقول بقيت انت الهي الذي
لاموت وبقيت انا فيقول
الله تعالى أنت خالق من خلقي
خالقتك فت فيذهب الي
موضع بين الجنة والنار
ورقد فيه ويجعل بصره الي
السماء وبقبض روحه بيده

يقال يساق الكفار بأقدامهم ويساق المؤمنون بجنايبهم ومراكبهم كما قال الله تعالى يوم تمشر
المتقين الى الرحمن وفدا وتسوق المجرمين الى جهنم ورداه قال علي كرم الله تعالى وجهه بمحشر
المؤمنون ركبا على نجايبهم يوم القيامة يقول الله تعالى يوم القيامة يا ملائكتي لا تسرعوا
ينادي راجلين بل اركبهم على نجايبهم فانهم قد اعتادوا الركوب في الدنيا كان في الابتداء
صلب أيهم مركبهم ثم من بعد ذلك بطن أهم مركبهم تسعة شهور فحين ولدتهم كان حجر
أمامهم سنتين للرضاع مركبهم حتى اذا ترعرعوا ففتق أيهم مركبهم ثم الخيل والبغال والحمير
مراكبهم في البراري والسهل في البحار فحين ماتوا ففتق اخوانهم مركبهم وحين قاموا من
قبورهم لاعتشوم راجلين فانهم اعتادوا الركوب ولا يقدرول على المشي وقدموا لهم الازنائب
وهي الاضاحي فيركبونها ويقدمون على المولى عز وجل ولذلك قال عليه السلام عظمرا
ضحاياكم فانها يوم القيامة مطاياكم أي مراكبكم

باب الزمان والعترون في ذكر حروم القيامة

في الخبر اذا كان يوم القيامة يجمع الله تعالى الاولين والآخرين في صعيد واحد وتدنو
الشمس من رؤسهم ويشهد عليهم يوم القيامة حرها فتخرج عنق من النار كالظلم ثم ينادي
المادى يا متمر الخلائق انطلقوا الى الظل فينطلقون وهم ثلاث فرق فرقة المؤمنين وفرقة
المنافقين وفرقة للكافرين فاذا صار الخلائق الى الظل صار الظل ثلاثة أقسام قسم للحرارة
وقسم للبرودة وقسم للنور فلذلك قال الله تعالى انطلقوا الى الظل ذي ثلاث شعب لاية
والحرارة تقوم على رؤس المنافقين لانهم يحتززون من الحرارة في الدنيا كما قيل فيهم وقاوا
لاتنغروا في الحر قرن نار جهنم أشد حرا لو كانوا بفقهم والذخا ينفع على رؤس الكافرين
لاهم كما وافي الدنيا في النور وفي الآخرة في الظلمات فذلك قوله تعالى يخرجونهم من النور
الى الظلمات والنور يقف على رؤس المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا في الظلمات وفي الآخرة
في النور كما قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال الله تعالى
في صفاتهم يوم القيامة يوم تروى المؤمنين ولؤمنات يسمى نورهم بين أيديهم وبعامهم
بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية قال عليه السلام سبعة يظلهم الله في ظل
العرش يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ورجلان تحابا في الله
ورجل طلبته امرأة ذات جمال فقال اني اخاف الله رب العالمين ورجل ذكر الله تعالى خاليا

فيمكث أربعين سنة وهو يمالج نفسه ويصيح كل صيحة لو كانت الخلائق احياء لما اومن صيحة واحدة ويقول لو دلت أن تزع لروح
بهذه الشدة لكنت أشفق على ارواح المؤمنين ثم يموت ولا يبقى الا الله تعالى وتبقى الارض خالية ثم يتجلى الله تعالى ويقول
لمن الملك اليوم فلم يجبه أحد فكرر ثلاث مرات فيجب نفسه بنفسه الملك الله الواحد لا اله الا الله تعالى ان الله تعالى يجزي حملة العرش وهم يومئذ
ثمانية ارجاهم تحت تخوم الارض السابعة والعرش على أكتافهم ثم ان الله تعالى يجزي امرافيل عليه السلام ويعطيه الصور فيضمه على
فيه ثم يجزي الله جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وهم يكذون ولوز سبعا لئلا لا الآتة كان عهدنا أن نذيقنا مرارة

تساقفانا الآن استحي منه اذهبوا الى عيسى فياتونه فيقول الهي لاسألك سرهم أمي وأنا أسألك تعمي اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم فياتونه وهم يقولون واتحداه اشفع لنا عند ربك في فصل القضاء فينطق معهم حتى يأتي تحت العرش ويخرج ساجدا فيبعث الله اليه ملكا فيأخذ بعضده ويقول له يا محمد فيقول نعم فيقول أرفع رأسك وسل تعط فيقول الله عز وجل شفعتك فيهم فيرجع المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقف مع الناس ثم تنشق السماء الاولى فتزل ملائكتهم اقدرا أهل الارض من أنس وجن ورتين فيقومون من خلفهم حلقة ٣٠ واحدة ثم يزل أهل كل سماء على قدر ذلك من التضعيف ثم يزل الملك بامر الجبار رجل

جلاله في ظلم من الغمام والملائكة فيضع كرسيه حيث يشاء من الارض ثم ينادي فيقول يا معشر الانس والجن ان صحفكم ستقرأ عليكم فنرجد خير اقل بحمد الله تعالى ومن وجد شر فلا يلومن الا نفسه ثم ينطق ملك الى مالك خازن النار ويقول له سق جهنم الى الموقف فيقول مالك أي يوم هذا فيقول هذا يوم القيامة فيأمر مالك الربانية أن يجر وهالي الموقف وهي تسب وتريد أن تلمظ أهل الموقف ولا ملائكة يجذبونها عنهم بيد كل ملك منهم محمود من ارادوا اجتماع اهل الارض لم يقدروا ان يجركوه وهو بيد الملك أخف من الريشة واذا تكلم أحدكم تطاير الشر من شفته فيضعونها من شمال العرش أرضها من رصاص وسقفها من نحاس وحيطانها من كبريت أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت

﴿ الباب التاسع والعشرون في ذكر قرب الجنة ﴾

قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وفي الاخبار اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى يا جبرائيل قوب الجنة للمتقين وبرز الجحيم للغاوين فنصير الجنة الى عيين العرش والجحيم الى يسار العرش ثم يعد الصراط على النار وينصب الميزان ثم يقول الله تعالى أين صهي آدم وأين خليل ابراهيم وأين كليمي موسى وأين روعي عيسى وأين حبيبي محمد فتقوا عن عيين الميزان ثم يقول الله تعالى يا رضوان افتح أبواب الجنان وبأمالك افتح أبواب النيران ثم يجيء ملك نزع الحلال وملك المذاب بالانغال والاسلاسل وانواب من القطار وينادي المنادي يا معشر الخلائق انظروا الى الميزان فانه يوزن عمل فلان بن فلان ثم ينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فذلك قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر

﴿ الباب الثلاثون في ذكر عظم الساعة يعني دهشتها ﴾

في الخبر روي أن أعظم ساعة ترد على العبد في الدنيا عند خروج روحه اذا شخصت عيناه وانشر منخره وتساقط شفتاه ولحيته وعرق جبينه وانسدت أذناه وانمقد لسانه فلا يجيب جوابا ولا يرد كلاما فغارت عينه واسترخت مفاصله وانقطعت أوصاله وجفاه أحبابه وتفرق عنه أقرباؤه وودعه الملاك فبقي متحيرا قد تغير عقله ويمكن الشيطان من اختلاسه وتلك الساعة عظيمة عليه وقد أغلق باب التوبة عنه فافضل ما يكلم به العبد في ذلك الوقت كلمة الشهادة وأما أعظم ساعة ترد عليه في الآخرة فذا تنفخ في الصور ويبعث من في القبور وتعلق المظلم بالظالم وكان الشهود الملائكة والسائل هو الله

والف عام حتى احمرت وألف عام حتى اسودت فهي الا سوداء مظلمة مزوجة بفضب الله تعالى لا يهدأ لها ولا تعالى بمحمد هراولو ان جرة منها سقطت في الدنيا لاحت من المشرق الى المغرب ولوان ثوبان ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لما ت الخلائق من شدة حره وتدهوي سبع طباق جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فالطبقة الاولى لهذه هذه الامة يهذبون فيها بقدر أعمالهم فمنهم من يهذب قدر لحظة ومنهم من يهذب ساعة ومنهم من يهذب يوما ومنهم من يهذب يوما ومنهم من يهذب سنة والطبقة الثانية يهذبون بالطبقة الثالثة لا يساري والطبقة الرابعة لها بائين والطبقة الخامسة

للمجوس والطبقة السادسة لبعده الاضام والطبقة السابعة للمنافقين فمن كان في الطبقة الاولى ينادى يا حنان يا منان ومن كان في الثانية ينادى ربنا غلبت علينا شقوتنا ومن كان في الثالثة ينادى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومن كان في الرابعة ينادى ربنا ظلمنا انفسنا ومن كان في الخامسة ينادى ربنا اخرنا الى اجل قريب ومن كان في السادسة ينادى ادعوا ربكم يخفف عنا بومامن العذاب ومن كان في السابعة ينادى يا مالكة لبض علينا ربك قال انكم ما تكون وقيل ان السكا خازن النار ينادى في الطبقة الاولى ويل للمكذبين وفي الثانية فويل لهم عما كتب ايديهم وفي الثالثة ويل لكل اثمهم وفي ٣١ الرابعة ويل لكل همزة

لمزة وفي الخامسة وويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة وفي السادسة فويل للفاشية فلو بهم من ذكر الله وفي السابعة وويل للطغففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون اعذا الله منها بمنة وكرمه آمين ﴿ تنبيه ﴾ ورد أن عصاة المؤمنين اذا دخلوا النار يعذبون فيها لحظة يعلم الله مقدارها ثم يموتون فيها حتى لا يحسوا باللم العذاب وتلك الامانة كرامة

لهم وفي الخبر ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أبكك يا جبريل فقال يا محمد ما جفت لي عين من يوم خلق الله جهنم فقال له صف لي جهنم فقال يا محمد أرضها الرصاص وستفها النحاس وحيطانها الكبريت * حكى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بفتى وهو يصلى على صخرة وحوله دم رطب ردم بابس فقال له عيسى عليه

تمالي والعذاب في جهنم والنعم في الجنة ووضعت كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وصارت الولدان شبيا وقال ان كانت الا صيحة واحدة الاية وسبق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الاية ويقال يشهد عليهم سبعة شهود المسكن قال تعالى يومئذ تحدث أخبارها الاية والثرمان كما قال في الخبر ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا على ما تمعمل شهيد واللسان شاهد كما قال في سورة النور يوم تشهد عليهم ألسنتهم الاية والاعضاء شاهدات كما قال الله تعالى وتكلمنا ايديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون والمسكن الحافظان كما قال الله تعالى وان عليكم لحافظين كراما تبين ما تعملون والديوان يشهد كما قال الله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والرحمن يشهد قال تعالى انا كنا عليكم شهودا الاية فكيف يكون حالكم يا عاصي بعدما يشهد عليك هؤلاء الشهود

﴿ الباب الحادى والثلاثون في ذكر تطاير الكتب يوم القيامة ﴾

حكى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا وله في كل يوم صحيفة جديدة فاذا طويت وليس فيها استغفار فهي مظلمة واذا طويت وفيها استغفار يكون لها نور يتلأأ (قال الفقهاء) رحمه الله تعالى ما من أحد في الدنيا الا عليه ملكان موكلان من الله تعالى بحفظانه ليلا ونهارا ويكتبان أعماله خيرا وشرا هرزا وجدها قال الله تعالى وان عليكم لحافظين الاية ويرفع له كل يوم كتاب وفي كل ليلة كتاب وتجمع كتب كل سنة في ليلة نصف شعبان وي طرح لفوكلامه ولفو عمله ويجمع كتاب كل سنة في سجل فاذا كان أجله ووقع في التزعج تجمع تلك السجلات مع بعضها فاذا خرجت روحه طوى وعلق على عنقه وختم عليه وجعل معه في القبر وهذا معي قوله تعالى (وكل انسان أؤمناه طائره في عنقه) أى قلناه ديوان عمله وانما خص للعنق لانه موضع القلادة والوطوق وما يزين ويشين (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى لعنطة كتابا ويقال له (اقرأ كتابك) الذى أملت في الدنيا (كفى بنفسك اليوم لمليك حسيبا) واذا جمع الله الخلائق في عرصات القيامة وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كالتناج وينادى من قبل الرحمن يا فلان خذ كتابك يا ممبلك يا فلان خذ كتابك بشمالك يا فلان خذ كتابك من

السلام يا قى ما لدى أصابك قال يا روح الله دخل على خوف جهنم فاشتق قلبي ولحمى وجلدى وسائر جوارحي فهذا الدم يسيل منها فرجع عيسى وجمع الناس فقال هذا من أبناء الدنيا خاف النار فاشتق قلبه فكيف حال من دخلها أعاذ الله منها بمنة وكرمه ثم ان أمة محمد صلى الله عليه وسلم يخرجون من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم وآخر من يخرج من النار رجل يقال له جهينة وقيل هناد فيقول لربه اذهب فادخل الجنة فيباني اليها فيخيل له انها قد امتلأت فيرجع فيقول رب وجدتها ملكة فيقول له اذهب فادخل الجنة فان لك الدنيا عشر مرات وهو أدنى اهل الجنة منزلا فان دخل بقول اهل الجنة عند جهينة الخبر ليقين * ويحكى ان كان

نباشا أو مكافا * ومما حكى من بعض الصالحين أنه قال رايت رجلا حدادا يخرج الحديد بيده من النار ويقلبه باصبعه فقلت في نفسي هذا رجل صالح فندوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا سيدي بحق من عليك بهذه الكرامة أن تدعولي فبكي يا أخي ما أنامن النوم للصالح ولكن أحدتك يا مري اتى كنت رجلا كثير المصايب والذنوب فوقف على امرأة من أجل النساء قالت هل عندك شيء له فقلت لها هدى معي الى البيت والادفع لك ما بكفيك فتركتني وذهبت ثم عادت وقالت وقله لقد أوحىني الوقت الى رحمت ٢٢ اليك فاخذتهم وضيتهم الى البيت ثم أحسنهم وتقدمت اليها فاذا هي تضرب كمال عفة في

الريح فقلت لها سم ذلك الاضطراب فقال خوفان من الله عز وجل أن يرانا في هذه الحالة فاذا تركتني ولم ترضي لا أحرقتك الله بناره لافي الدنيا ولا في الآخرة فتركتها ودفعت لها اما كان معي فخرحت من عندي وقد أغني على فرايت في النوم امرأة أحسن منها وقالت لها من أنت قالت أنا أم الصبية التي جاءتك وهي من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن يا أخي لا أحرقتك الله بناره لافي الدنيا ولا في الآخرة فانتهت فرحاً مسروراً فمن ذلك اليوم تركت ما كنت عليه من المعاصي ورجعت الى الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم أخبرني جبريل ان في النار كهوفاً ومغائر أعدت لقاطع الرحم وعاق الدبه ثم يفتح باب الجنة عن يمين للعرش وهي سبع جنات جنة الفردوس وجنة المادي

وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار اليعقين ولها ثمانية أبواب بين كل باب وباب مسيرة الف عام وعلى الى كل باب جند من الملائكة يدخلون على أهل الجنة ويقولون سلام عليكم يا صبرتم فنعيم عتي الدار أرضها من ذهب وزاها من الملك وحصباء وها من الياقوت ليس فيها شمس ولا قمر ولا نور هاهن نور العرش أكملها دأثم واذا كل أهل الجنة منها شيئاً يخرج رشحاً كالمسك واذا شر وارشح من أذنهم مسك وليس لاهل الجنة أدبار لان الأدبار جمعت في الدنيا للأنط والجنة لا غائط فيها ولأن رجلا من أهل الجنة يصبغ في البحار المالحه لمذبت ولو أخرج أصبعه من أنفه لم يصبغ بالدماء والشمس والقمر وقد ورد ان العبد

المؤمن يترج بيمين عوراء وعلى كل حورية سبعون حلة كحلة بالدري مخ سافها من ورأها كجبرى للشرب الاحمر في
الرجاحة البيضاء كلاً في الى واحدة وجدها بكر اول ذكر لا يتنى وله في كل دعة شهوة ولدة ولو وجدها هل الدنيا لغشي عليهم من
شدة حلاوتها وفي الحديث أن الحور العين يأخذن أيديهن بأيدي بعض ويغسبن بأصوات لم تسمع الخلائق أحسن منها نحن الراضيات
فلا نخطأ أبداً نحن المقيات فلا نظمن أبداً نحن للناعمت فلا نيبس أبداً نحن الخالدات فلا تنفئ أبداً وحكي من ابن مكيبن الدين الاحمر
أنه رأى حوراء في منامه فكلمته فقعد ثلاثة أشهر كلما يسمع كلام أهل الدنيا يتقيأ من ٣٣ قبحه وكل حوراء مكتوب

فمما على صدرها ثم اذا أراد
الله تعالى أن يرضى بين عباد
ه قال من يدهى للحساب
البهايم والوحوش فيقضى الله
بينهم للجماء من ذات القرن
فيذا فرغ من ذلك قال لهم
كونوا تراباً فمذ ذلك يقول
للكافر يا ليتني كنت تراباً
يدهى بالماء فيقول لهم
ما شغلكم عن عبادتي
فيقولون يا ربنا ابتليت بالرق
فاشتغلنا بخدمته سادتنا عن

الى اهلها سروراً وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول باليتي لم أوت كتابه وقوله تعالى وأما
اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدهو ثبوراً ويصلى سعيراً وكل حسنة عملها في بطن كتابه
وكل سيئة عملها في ظهر كتابه وأما من اوتى كتابه بشماله يكون في العذاب ولو كان له حسنات
وذلك للكفر لأن الحسنة مع الكفر لا ثواب لها ومن صفة للكافر أنه يكون جسده مثل
جبل حراء وأبي قبيس وهما جبلان بمكة وط رأسه تاج من النار ويلبس حلة من نحاس ذائب
وفي عنقه حجرة فتشتمل فيه النار وتقل يده الى عنقه ويسود وجهه وتزرق عيناه فيرجع الى
اخوانه فاذا رأوه فزعوا ونفروا منه فلا يعرفونه حتى يقول أنا فلان ابن فلان ثم يجرونه على
وجهه الى النار فهو لاء الكفار الذين يثرون كتبتهم بشمالهم فلا يأخذونها بشمالهم ولكن
يأخذونها من وراء ظهورهم كاردى عن النبي عليه السلام أن الكافر اذا دعى للحساب باسمه
يتقدم ملك من ملائكة العذاب فيشق صدره ثم يجز يده اليسرى من وراء ظهره من بين
كتفيه ثم يعطى كتابه

﴿الباب الثاني والثلاثون في ذكر نصب الميزان﴾

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ينصب الميزان يوم القيامة على عمد طول كل
عمود منها ما بين المشرق والمغرب وكفة الميزان كاطباق الدنيا طولها ومرضها واحد
واحد للكفتين من بين المشرق والمغرب وكفة الحسنة والاخرى عن يساره وهي كفة
السيئات وبين الميزان كالحبال من أعمال الثقلين مملوءة من الحسنات والسيئات في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة قال دايه السلام يؤتى بالرجل ومعه سبع وسبعون سجلاً كل
سجل مد بصره فيه خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ويخرج له قرطاس مثل الأنملة
وفيه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فيوضع في كفة أخرى فترجع عن
الذنوب كلها وذلك قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه يعني رجعت موازين حسناته بالخير
والطاعات على سيئاته فهو في عيشة راضية أى عيش في الجنة يرضاه ثم قال وأما من خفت
موازينه قامه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية

﴿الباب الثالث والثلاثون في ذكر الصراط﴾

قال النبي عليه السلام ان الله تعالى خلق على النار جسراً وهو الصراط على متن جهنم
مدحضة نزقة عليه سبع فاطر كل قطرانة مسيرة ثلاثة آلاف سنة ألف منها صمود وألف

(٥ - دقائق) ما شغلكم عن عبادتي فيقولون يا ربنا أعطيتنا المال فاشتغلنا به عن طاعتك فيدعى سليمان عليه السلام
فيقول الله تعالى هذا أعطيتهم مالا أكثر مما أعطيتكم وما شغلهم ذلك عن طاعتكم ثم يأمرهم الى النار وقال بعض الصالحين أن أربعين سنة
ما يغنى شيئاً الى طلوع الفجر ثم يدعى باليتي فيأتى كل قتيل قتل في سبيل الله أو داحه تشعب دافيجل الله وجهه مثل نور الشمس
ثم ترفه الملائكة الى الجنة ومن قتل قتيلاً ظلماً قتل به في دار الآخرة فاذا فرغ الله تعالى من حساب الخلائق يجعل الله ملكاً على
صورة العزير وملكاً على صورة عيسى ابن مريم وينادى مناد تسمع الخلائق جميعاً صوته ألا تلتدع كل أمة ما كانت تعبد فتتبع
اليهود الملك الذي على صورة العزير والنصارى الذي على صورة عيسى الى أن يدخلهم النار ولم يبق في الموقف الا المؤمنون وفهم

منهم هبوط أدق من الشعرة وأحد من السيف وأظلم من الليل كل قطرة عليها سبع شعرة كل شعرة كالريح الطويل عدد الانسان يجلس العبد على كل قطرة منها ويسأل مما أمره الله تعالى به في الاولى بحاسب على الايمان فان سلم من الكفر والربا فيها والا تردى في النار وفي الثانية يسأل عن الصلاة وفي الثالثة عن الزكاة وفي الرابعة عن الصوم وفي الخامسة عن الحج والعمرة وفي السادسة عن الوضوء والغسل من الجنابة وفي السابعة عن ر الوالدين وصلة الرحم والمظالم فان نجح منها فيها والا تردى في النار قال وهب انه عليه السلام يدعو يارب سلم سلم أمي أمي فيركب الخلائق الجسر حتى يركب بعضهم على بعض والجموع تضطرب كالسفن في البحر في الريح للعاصف فتجوز الزمرة الاولى كالبرق العاصف والزمرة الثانية كالبرق العاصف والزمرة الثالثة كالطير المسرع والزمرة الرابعة كالفرس الجواد والزمرة الخامسة كالرجل المسرع والزمرة السادسة كالماشية والزمرة السابعة قدر يوم وليلة وقال بعضهم قدر شهرين وبعضهم قدر سنة وستين وثلاث سنين حتى يكون زمن آخر من يمر على الصراط قدر خمس وعشرين ألف سنة من سنى الدنيا وروى ان الناس يمرون على الصراط والنيران تحت أقدامهم وفوق رؤسهم وعن ايمانهم وعن شياهم ومن خلفهم وقدامهم وذلك قوله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذرنا الظالمين فيها جثيا) والنار تعمل في أجسادهم وجلودهم ولحمهم حتى يجوزوها كالفرس سوادا الا من نجح منها ومنهم من يجوزها لا يتخفى شيئا من أهوالها ولا يناله شيء من نيرانها حتى اذا جاوزها يقول أين الصراط فيقال له قد جزته غير مشقة برحمة الله تعالى وقد جاء في الخبر أنه اذا كان يوم القيامة نجي أمة فاذا صعدت على الصراط التفت اليهم عليه السلام فيقول من انتم فيقولون نحن أمتك فيقول هل كنتم على شريعة فيقولون لا فيقبرأ منهم ويتركهم فيقولون في جهنم ثم تأتي أخرى فيقول عليه السلام هل كنتم على شريعة فيقولون لا فيقولون نعم سلكتم طريقه فان اجابوا بنعم جازوا الصراط والا وقعوا في النار وبعد الدخول في النار يحتاجون الى شفاعة النبي عليه السلام وفي الخبر ياتي قوم يقولون على الصراط ويقولون من ينجينا من النار ولا يتجاسرون على المرور عليه فيبكون فياتي جبرائيل عليه السلام فيقول لهم ما منعكم ان تدعوا الصراط فيقولون نخاف من النار فيقول جبريل كنتم في الدنيا اذا استقبلتم مجرا همينا كيف كنتم تعبرون فيقولون بالسفينة فياتي جبريل

وامته ففهم من يجوز كالبرق الخاطف ومنهم من يجوز كالريح العاصف ومنهم أمرع من الخيل ومنهم من يجوز على ركبته ومنهم من يجوز كالطير ومنهم من يجوز ماشيا ومنهم من يسقط على وجهه في النار ذكر العلماء أنه لا يجوز أحد على الصراط حتى يسأل على صبيح قناطر الأولى يسأل فيها عن الإيمان بالله وعن شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا جاءهم إلهها جاز ويسأل في الثانية عن الصلاة فإذا جاءهم أمانة جاز وفي الثالثة عن صوم شهر رمضان فإذا جاء به تاما جاز ويسأل في الرابعة عن الزكاة فإذا جاءهم أمانة جاز ويسأل في الخامسة عن الحج وللعمرة فإذا جاء بهما تامين جاز وفي السابعة وليس في القناطر أصعب منها عن مظالم الناس فإذا نبجوا من هذه القناطر وخلصوا منها يشربون من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فإذا شربوا منه زال عنهم التعب

والشفاء والطعام ماؤه أشد بياضاً من اللبن وريحاً أطيب من المسك كبرائه عدد نجوم السماء من قرب منه شربة واحدة لا يطفئ بعدها
أبد طوله مسيرة شهر وعرضه كذلك على أركان الصحابة لاربعة أبوبكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين فمن كان يبغض
واحد منهم لم يبغضه الآخر ويطرد عنه من بدل وغيره وهذا الحوض يختص بنبينا صلى الله عليه وسلم دون غيره من سائر الأنبياء
صلوات الله عليهم أجمعين قال الشيخ الشيباني نعمنا الله به في منظومته وحوض رسول الله حقاً أهله الله دون الرسل ماء مرد الدشرب منه
المؤمنون وكل من * سقى منه كأساً لم يجد بعده صداء أبوابه عدد النجوم وعرضه * ٣٥ كمول شهر في المسافة حددا *

وقيل أن أكل نبي حوض الا
صالحا خوضه ضرع ناقته
وورد أن الانبياء يقبأهون
أجمع أكثر وأرد أن تتلقاهم
الملائكة يقولون أهلا بكم
ويطلقون بهم الى الجنة
فيدخلونها جردا مردا على
حسن يوسف وعلى طول
آدم ستون ذراعا بالهشمي
والعرض سبعة أذرع في سن
عيسى وأولاد ثلاث وثلاثين
سنة وقيل أنهم يدخلون
الجنة ويقولون بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذي
صدقنا وعده وأورثنا
الارض تنبأوا من الجنة
حيث نشاء فنعم أحرار العاملين
والذين زيدا أن المرأة تقول
لزوجي الجنة وعزة ربي
سأرتي الجنة شيئا أحسن
منك مطهرين من البول
والغائط والخبث والمني
والخايط والنساء مطهرات
من الحيض (فائدة) قال النبي
صلى الله عليه وسلم أن في
الجنة بابا يقال له باب الضحى

عليه السلام بالمساجد التي كانوا يصلون فيها كهيمة السقن فيجلسون عليها ويمرون الصراط
فيقال لهم هذه مساجدكم التي صليتم فيها جماعة وفي الخبر أن الله تعالى يحاسب عبدا فترجع
سيئاته على حسنة فيأمر الله تعالى به الي النار فإذا ذهب يقول الله تعالى لجبرائيل عليه
السلام أدرك عبدي واسأله هل كان يجلس مع العلماء في الدنيا فغفر له بشقاقهم فيسأله
جبرائيل فيقول لا فيقول جبرائيل عليه السلام يارب أنك عالم بحال عبديك فيقول أسأله
هل أحب للعلماء فيسأله جبرائيل عليه السلام فيقول لا فيقول أسأله هل جلس على مائدة
مع العلماء قط فيسأله فيقول لا فيقول هل سكن في مسكن سكن فيه عالم فيسأله فيقول
لا فيقول لجبريل عليه السلام سله هل أحب رجلا يحب للعلماء فيقول نعم فيقول الله تعالى
لجبريل عليه السلام خذ بيده وأدخله الجنة فإنه كان يحب رجلا في الدنيا وكان ذلك لرجل
يحب العلماء فغفرت له بركة ذلك الرجل وعلى هذا جاء في الخبر ينحسر الله تعالى يوم القيامة
مساجد الدنيا كالابل قوائها من الدر وأعانقها من الزعفران ورأسها من الملك الأذفر
وظهرها من زبرجد أخضر يركبها أهل الجماعة والمؤذنون يقودونها والائمة يسقونها
فيعبرون في عرصات للقيامة فينادى بأهل العرصات ما هؤلاء من الملائكة المقربين ولا
من الانبياء المرسلين بل هؤلاء من أمة محمد الذين يحفظون صلواتهم مع الجماعة ويقال ان
الله تعالى خلق ملكا يقال له درائيل له جناحان جناح بالمغرب من ياقوته حمراء وجناح
بالمشرق من زبرجدة خضراء مكل بالدر والياقوت والمرجان ورأسه تحت العرش وقدماه
تحت الارض السابعة فينادى كل ليلة من رمضان هل من ادع فيستجاب له هل من سأل
فيعطى سؤله هل من تائب فيتاب عليه هل من مسنفر فيغفر له حتى يطلع فجر

باب الرابع والثلاثون في ذكر النار *

في الخبر أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي عليه السلام فقال يا جبرائيل صف لي النار فقال
ان الله تعالى خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احترت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ثم
أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي فهي سوداء كالليل المظلم لا يطفأ لها بها ولا تخمد جمرها
قال مجاهد ان لهم حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال فيهرب أهل الدار الي النار من
تلك الحيات والعقارب فتأخذ بشقاهاهم فتكشط ما بين للشر الى الظفر فما ينجم منها الا
الحرب الي النار وروي عن عبد الله بن عباس عن رسول الله عليه السلام ان في النار حيات

فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى وورد أيضا أن في الجنة
بابا يقال له لبان لا يدخله الا العاقون (تنبيهات) الاول ذكر العلماء أن الخلائق تقوم من قبورهم على حالتهم التي كانوا عليها في الدنيا
الكبير والصغير صغير والطويل طويل والقصير قصير فادخلوا الجنة دخلوا شابا * الثاني اذا استقر أهل الجنة في الجنة
وأهل النار في النار يؤتى بالموث كعش أملح حتى يقف بين الجنة والنار وينادى مناد يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيقولون
بأجمعهم هذا الموت فاذبحوه حتى لا تموت أبدا وينادى مناد يا أهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هذا الموت لا نذبحوه وعسى الله أن
يقضي علينا بالموت فنستر بح من العذاب قال فيذهب بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا أهل الجنة خلدوا بلا موت ويا أهل النار خلدوا

بلاموت فحينئذ يفرح أهل الجنة بالغلود فيها ويقيم أهل النار بطول العذاب فيها واختلف فيمن يذبحه فتيل يحيى بن زكريا وقيل جبريل عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما فبينما أهل الجنة يتلذذون ويقنعون فيها واذا النداء من قبل الله عز وجل انطلق يا جبريل الى الجنان واثنان بحظيرة القدس لا ضيف فيها محمد اصل الله عليه وسلم وامته فينطلق جبريل الى الجنان ويطوفها طولا وعرضا فلم يجد شيئا فأتى الى ساق العرش ويقول يا رب طفت الجنان كلها فاوجدت شيئا فيقول الله عز وجل انطلق الى جنات عدن وانظر في أعلاها ٣٦ فنها ركن من أركانها فينطلق جبريل الى جنات عدن فيطوفها فاذا هو بحجة

مثل اعناق الابل فتدليغ أحدكم لدفة يحد ألمها أربعين خريفا وروى عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من تلك النار لولا أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعت منها بشيء فقال مجاهد أن ناركم هذه تنهوض من نار جهنم روى في الخبر أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام الى ملك النار بأن يأخذ من النار فيأتي بها الى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعاما قال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار قال جبرائيل مقدار حمرة قال مالك يا جبرائيل لو أعطيتك مقدار حمرة لذاب سبع سموات وأرضين من حرها قال مقدار نواتها قال لو أعطيتك ما تريد لم تنزل من السماء فطرة ولم ينبت في الأرض نبات ثم نادى جبرائيل الهى كم أخذ من النار قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها فاخذ جبريل منها مقدار ذرة وضماها في النهر سبعين مرة ثم جاء بها الى آدم عليه السلام فوضعها على جبل شاق فذاب ذلك الجبل ثم رد النار الى مكانها وبقي دخانها في أحجار وحديد الى يومنا هذا فهذه النار من دخان تلك الكرة فاعتبروا منها يا مؤمنون قال النبي عليه السلام ان أهون أهل النار عذابا من له نملان من النار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل فيسحقه جيرانه وأضراره جر وشفاها جر ولهب النار يخرج من أحشاء بطنه من قدميه وأنه يرى نفسه أشد أهل النار عذابا وأنه من أهون أهل النار عذابا قال طاهر ان أهل النار يدهون مالكا فلا يرد عليهم جوابا أربعين عاما ثم يرد عليهم فيقول انكم ما كنون بني دائمون ابدا ثم يدعون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فلا يجيبها مقدار ما كانت الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله اخسوا فيها ولا تكلمون قال النبي عليه السلام فوالله ما يتكلم للقوم بعدها بكلمة واحدة وما كان بعد ذلك الا زفير وشهيق في السار واصواتهم تشبه أصوات الجبرأولها زفير وآخرها شهيق قال جبرائيل عليه السلام والذي بعثك بالحق نبيا لو أن مثل ثقب ابرة فتحت منها جهة المشرق لاحترق أهل المغرب من شدة حرها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لاموا من حرها لما يجدون من تنهاتها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى في كتابه وضع على جبل لذاب الجبل حتى يبلغ الأرض السابعة والذي بعثك بالحق نبيا لو أن رجلا من أهل النار يعذب بالمغرب لاحترق من المشرق من شدة عذابه حرها شديد وقرها بعيد وحطبها الناس والحجارة وشراها الحميم والصيد وثيابها من قطران

من الدر الأحمر مشرفة على الجنان كلها ولها باب من مسجد أعنى من ذهب أحمر فلا يقدر أن يصفا أحد الا الذي قال لها كوني فكانت قصورها عالية وأشجارها باسقة فطوفها دانية وأطيارها ناطقة وأنهارها متدفقة تسبح من له الجلال والبقاء قال ابن عباس رضى الله عنهما واذا ملكك عظيم قائم على تلك الجنة لأمر الله ذلك الملك أن ينزع قدمه من مكانه لما وسعته السموات والأرض قال فيدون منه جبريل ويقول السلام عليك يا عبد الله فيرد عليه السلام ويقول من تكون أنت من الملائكة أنا جبريل رسول رب العالمين فيقول الملك سبعان رب العالمين منذ خلقني الله تعالى ما سمعت هذا الاسم ثم يقول له وما تريد يا جبريل فيقول اريد أن اعمل حظيرة للقدس بأمر الله

تعالى فيقول الملك يا جبريل هل خلق الله تعالى جنة غير هذه فيقول نعم خلق سبع جنات غير هذه فيقول من (باب) خازنها فيقول رضوان فيقول الملك لجبريل من يحملها معك فيقول ما معي أحد بل أنا حملها وحدي فيقول الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهذا وعدني ربي فيقول جبريل أين مفاتيحها يا أخي فيقول في شدقي اليمين منذ خلقني الله وخلقته قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن مفتاحا منها أخرج من مكانه لما وسعه السموات والأرض فاذا أخذ جبريل عليه السلام المفتاح يضع جناحه تحتها وأمر الله تعالى ربح الصبا أن يعينه على حملها فيحملها بصورها وقباها وغرفها ومداثنها وأشجارها وحورها وولدانها حتى يضعها تحت عرش الرحمن وبين جنة عدن فيأتيه النداء من قبل الرحمن يا جبريل انطلق واثنى محمد وامته وجميع

الانبياء والرسل وادعهم الى ضيافتي وكرامتي قال فينطلق جبريل الى الجنات وينادي بصوت يسمعه القريب والبعيد يا حيي يا محمد الله بقرتك السلام ويخصك بالتحية والاکرام ويدعوك أنت وامتك وسائر الانبياء والرسل الى ضيافته فيقوم النبي صلى الله عليه وسلم علي قدميه وينزل من قصره ويأتي الى أبيه آدم عليه السلام والى الخليل وسائر الانبياء والامم ثم يقدم للنبي صلى الله عليه وسلم نخب رأسه من باقوته وعنقه من زمرده وصدره من ذهب ورجلاه من مرجان ثم يصب على رأسه قبة الكرامة ويشر لواء الحمد ويركب آدم والخليل وطائفة من الانبياء والرسل عن يساره ويسيرون في موكب ٣٧ واحد صفا واحدا

والاشجار ينادي بعضها

بعضا نهنوا عن طريق وفد

رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تقسدون عليهم صفوفهم

وروي ابن عباس رضي الله

سهما عن النبي صلى الله عليه

وسلم أول ما يرون بقصر

من فضة طوله ألف عام

وعرضه كذلك فيمرون عليه

أسرع من طرفة عين ثم يظهر

لهم قصر ثان من ذهب طوله

ألف عام ومثل ذلك عرضه

فيمرون عليه أسرع من

طرفة عين ثم يظهر لهم قصر

ثالث من زمرد أخضر طوله

ثلاثة آلاف عام وعرضه

كذلك فيمرون عليه أسرع

من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر

رابع من ياقوت أحمر طوله

أربعة آلاف عام وعرضه

كذلك فيمرون عليه أسرع

من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر

خامس من ياقوت أصفر

طوله أربعة آلاف عام

وعرضه كذلك فيمرون

عليه أسرع من طرفة عين ثم

يظهر لهم قصر سابع طوله سبعة

آلاف عام وعرضه مثل ذلك من زمرد

فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم

يظهر لهم قصر ثامن من طين أبيض

طوله ثمانية آلاف عام وعرضه مثل ذلك

فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر تاسع من جوهر

طوله تسعة آلاف سنة وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر عاشر من جوهر

طوله مسيرة عشرة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر

الباب الخامس والثلاثون في ذكر النار

له سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء وروي عن رسول الله عليه السلام أنه سأل جبريل عليه السلام أكانت أبوابها كابوابنا هذه قال لا ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من بعض من الباب الى الباب مسيرة سبعة مائة سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه سبعين ضعفا قال عليه السلام من سكن هذه الابواب قال أما الباب الاسفل ففيه المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون واسمه الهاوية والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم والباب الثالث فيه المصابئون واسمه سقر والباب الرابع فيه ابليس ومن تبعه والجوس واسمه لظى والباب الخامس وفيه اليهود واسمه حطمة والباب السادس منه النصارى واسمه سمير ثم أمسك جبريل فقال عليه السلام يا جبريل لم لا تخبرني عن سكان الباب السابع فقال يا محمد أنساني عنه فقال بلى قال يا محمد أهل الكبائر من أممك الذين ماتوا ولم يتوبوا فخر النبي عليه السلام مفضيا عليه فلما أفاق قال عليه السلام يا جبريل عظمت مصيبتني واشتد خوفي أيدخل احد من أممي النار قال يا جبريل نعم يدخل أهل الكبائر من أممك ثم بيكى رسول الله عليه السلام وبيكى جبرائيل لبيكاته وقال عليه السلام يا جبريل لم تبكى أنت وأنت الروح الامين قال جبرائيل أخاف ان أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي ابكاني فوحي الله تعالى يا جبرائيل ويا محمد اني أبعدتكم من النار ولكن لا تأمنوا من عذابي

الباب السادس والثلاثون في ذكر جهنم

روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها في يوم القيامة وحولها سبعون ألف صف من الملائكة كل صف أكثر من الثقلين يجرونها بأزمته واجهنم أربع قوائم ما بين كل قاعة وقاعة ألف عام ولها ثلاثون رأسا وفي كل رأس ثلاثون ألف فم وفي كل فم ثلاثون ألف خرص وفي كل خرص مثل جبل أحد ألف مرة وفي كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا وفي شفتيه سلسلتان من حديد لكل سلسلة منها سبعون ألف حلقة ويمسك كل حلقة مالا يعد من الملائكة فيوثق بها عن يسار العرش وهو قوله تعالى أيا ترمى بشر كالقصر

يظهر لهم قصر سابع طوله سبعة آلاف عام وعرضه مثل ذلك من زمرد فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر ثامن من طين أبيض طوله ثمانية آلاف عام وعرضه مثل ذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر تاسع من جوهر طوله تسعة آلاف سنة وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر عاشر من جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف عام وعرضه كذلك فيمرون عليه أسرع من طرفة عين ثم يظهر لهم قصر

يُعالى فإذا دخلوا ذلك المرج ورأوا أعداء الله لهم من النعيم المقيم والكرامة في ذلك المرج فرحوا واستبشروا في حادثة القدس مجد كل واحد منهم المجد على قصره ثم ينزلون عن الخيل وللنجب وينظرون ما أعد الله لهم من النعيم المقيم ثم يخرجون من ذلك المرج إلى مرج أوسع منه ويجلسون على الكرسي والمنابر والأشجار من فوقهم ما في الشجرة ذهب وأوراقها مثل كل شجرة الدنيا بين كل شجرتين من الشجر سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف ممرير من الذهب طول كل ممرير ثمانية ذراع فإذا أراد العبد المؤمن ٣٨ أن يطلع فوق ممريرها يتقاصر حتى يبقى مثل ذراع وإذا جلس فوقه عاد إلى أصله

❦ الباب السابع والثلاثون في ذكر سوق للناس إلى النار ❦

يساق أعداء الله إلى النار وتسود وجوههم وتزرق أعينهم وتختم أفواههم فإذا انتهوا إلى أبوابها استقبلهم الزبانية بالأغلال والسلاسل فتلك السلسلة توضع في فم الكافر وتخرج من دبره وتفل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في صدره وتزع من بين كتفيه وبعد بالسلاسل ويقرن كل آدمي منهم مع الشيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربهم الملائكة بمقاعع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ثم قالت فاطمة يا رسول الله أألم تسأل من أمتك كيف يدخلونها فقال عليه السلام تسوقهم الملائكة إلى النار فلا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا تختم أفواههم ولا يقرنون مع الشيطان ولا توضع عليهم السلاسل والأغلال فقال يا رسول الله كيف تقوم الملائكة قال عليه الصلاة والسلام أما للشيخ والشاب فيؤخذان بالاحية وأما النساء فبالقواضب والناصية فسكن من ذى شبية من أمتي يقبض على شيبته ويقاد إلى النار وهو ينادى واشيباته واضعافه وكمن شاب من أمتي يقبض من الاحية ويقاد إلى النار وهو ينادى واشيبابه واحسن صورته وكمن امرأة من أمتي يقبض على ناصيتها تقاد إلى النار وهي تنادى وافضيحتاه واهتك ستره حتى ينتهي بها إلى مالك فإذا نظر إليهم مالك يقول للملائكة من هؤلاء فما ورد علينا من الاشقياء أعجب من هؤلاء لم تسود وجوههم ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم فنقول الملائكة هكذا أمرنا أن نأتيهم على هذه الحالة فيقول لهم يا معشر الاشقياء من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام وروي في رواية أخرى لما قادتهم الملائكة ينادون والحمد لله رأوا ملكا نسا اسم محمد عليه السلام من هيبته فيقول لهم مالك من أنتم فيقولون نحن من أمة محمد عليه السلام فأنزل القرآن ونحن من بصوم شهر رمضان فيقول مالك ما نزل القرآن الا على محمد عليه السلام فإذا سمعوا اسم محمد عليه السلام صاحوا باجمعهم نحن من أمة فيقول لهم مالك اما كان لكم في القرآن زاجر عن المعاصي فإذا وقعوا على شفير جهنم ونظروا إلى النار وإلى الزبانية قالوا يا مالك إذن لنا نبي على أنفسنا فيأذن لهم فييكون الدموع حتى لا يبقى شيء من الدموع في أعينهم فييكون دما فيقول مالك ما أحسن هذا البسكاه لو كان في الدنيا خشية من الله ما مستكم النار اليوم

الاول فإذا أراد ان يمسي به مشي وإذا اشتهي ان يطير به طار به بين الاشجار وإذا أراد ان يأكل من النار قطع منها ما أراد ❦ تنبيه ❦ وقد ورد في الخبر ان على كل ممرير سبعين فراشا وغارق من اللندس والاستبرق حول كل ممرير سبعون خادما في يد كل خادم قدح من ذهب في كل قدح سبعون لونا من الشراب ولكل ولي سبعون حورية على كل حورية سبعون حلة يتمتع ولي الله بكل ما أراد منهن قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقد ورد ان أهل الجنة يأتهم ملك يقرع أبوابهم فنقول الحور من هذا فيقول ملك من عند الله جئت لسميكن بهدية صلاة الصبح التي كان يصلونها في الدنيا فيقنعن له الباب فيدخل الملك فيقول للسلام عليكم ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم قد كنتم في الدنيا

ترفعون صلاة الصبح فيضع الملك مائدة من الذهب عليها سبعون صحيفة عشرة من فضة وعشرة من ذهب (باب) وعشرة من در وعشرة من عقيق وعشرة من ياقوت وعشرة من زبرجد وعشرة من مرجان في كل صحيفة ستون لونا من الطعام ليس لونها شبه الآخر ولا يختلط به وعليه خبز أبيض من اللبن وأحلى من الشهد لم تحس أبدا بكل ذا بقدره من يقول للشيء كن فيكون مغفرة بمعدل من اللندس الاخضر باكون فيها من ذلك الطعام ما يشتهون فيجدون في كل لقمة لذة أحلى من الاولى فإن الرجل من أهل الجنة يجرد في كل لقمة ما يتمناه في دار الدنيا وقال بعض العلماء ان جميع الانبياء والرسل باكون من جهة النبي صلى الله عليه وسلم باكل من جهة مع أمة تكريما وتثنيافا وقد ورد ان جميع أهل الجنة مائة وعشرون صفوا وأمة محمد صلى الله عليه

وسلم غانوص صفا ثلثا أهل الجنة ثم ان الملك الذي جاء بالهدية يسلم عليهم بخروج فاذا كان وقت الظهور فكذا والعصر كذلك ثم ان الرجل من أهل الجنة يجمع تلك الأطباق والاواني ويردأ ببطيها الملك فيضحك الملك ويقول لهم تفعلون هذا كما كنتم تفعلون في الدنيا تاكلون الهدايا وتردون الاواني الى صاحب الهدايا بان أهل الدنيا كانوا فقراء محتاجين الى ما يشترون لكم فيه واما هذه فهي هدية من عند الغني الكريم الذي لا ينقص ملكه ولا تنفخ خزائنه فلكم الاواني وما فيها ومن كان في الدنيا يرفع أكثر من الخس فرائض من نوافل وعبادات بدفع له الحق جل جلاله أكثر من الخس هذا بافاذا فرغوا من ذلك ٣٩ يقول الرب جل جلاله مرحبا

الباب الثامن والثلاثون في ذكر الربانية *

قال منصور بن صرار بلغني ان ملكا لئار له أيد وأرجل بمعد أهل النار وبكل رجل ويد يقوم ويقعد وينزل ويسلسل من أراد فاذا نظر ملكا الى النار أكلت النار بعضها بعضها من خوف ملكا وحروف البسملة تسعة عشر حرفا وعدد رؤساء الربانية كذلك ياخذونهم بأيديهم وارجلهم لانهم يعلمون بارجلهم كما يعلمون بأيديهم فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار بيد واحدة وعشرة آلاف بيد أخرى وعشرة آلاف باحدى رجليه وعشرة آلاف بالرجل الاخرى فيلقى في النار أربعين ألف كافر دفعة واحدة لما فيه من القوة والشدّة ورئيسهم ملك خازن النار وعثمانية عشرة مثله وهم رؤساء الملائكة تحت يد كل منهم من الخزنة مالا يصحي عددهم الا الله وأعينهم كالبرق الحماطف وأسنانهم كبياض قرن البقر وشفاهم تس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم وما بين كفتي كل واحد منهم مسيرة سنة لم يخاف الله تعالى في قلوبهم من الرحمة والرأفة مقدار ذرة يغوص أحدكم في بحار النار مقدار سبعين سنة فلا تضره النار لان النور يغلب على النار ونعوذ بالله من النار ثم يقول ملك الربانية ألقوهم في النار فاذا ألقوهم في النار نادوا باجدهم لا اله الا الله فترجع عنهم النار فيقول ملكا يمار خذهم فتقول النار كيف آخذهم وهم يقولون لا اله الا الله فيقول ملكا بذلك أسر رب العرش العظيم فتأخذهم النار فمنهم من تأخذه الى ركبتيه ومنهم من تأخذه الى حلقه فاذا قربت من وجوههم يقول ملكا لا تحترق وجوههم فانهم سجدوا عليها للرحمن ولا تحترق قلوبهم لانها معدن للتوحيد والمعرفة والايمان وطامسا عطشوا في رمضان فييقون فيها ما شاء الله

* الباب التاسع والثلاثون في ذكر أهل النار وطعامهم وشرابهم *

قال لئى عليه السلام أهل النار سود الوجوه مظلمة أبصارهم ذاهبة عقولهم رأس كل واحد منهم كالقبة وأبدانهم كالجلال وعيونهم زرق وقامتهم كالطود وشعرهم كالنصب ليس لهم موت يموتون ولا حياة يحيون لكل واحد منهم سبعون جلدا من الجلد الى الجلد سبع طباق من النار وفي أجوافهم حيات من النار يسمعون صوتها كصوت الوحوش وبالسلاسل والاغلال يطرقون وبالمقامع يضربون وعلى وجوههم يسحبون قال عليه السلام مساكين أهل النار يتنادون باربنا أحاط بنا العذاب وهم مسجونون فيها مغلولون بغلالها ان سكتوا

من تلك القوا كما يشترون فاذا فرغوا من ذلك يقول الله مرحبا بعبادي وزواري باملائكتي اسقوا عبادي فتاتيهم الملائكة بملابس من حلل الجنة مختلفة الالوان معلقة بغير نور الرحمن فيكسى كل واحد سبعين حلة كل حلة ملونة سبعين لون ليس فيها حلة تشبه الاخرى وان الرجل من أهل الجنة يقبض على السبعين حلة كما يقبض على ورقة من شقائق النعمان فاذا فرغوا من ذلك يقول الله تعالى مرحبا بعبادي وزواري باملائكتي خذوا عبادي فتاتيهم الملائكة بخلاخل من الذهب والفضة فيخاخلونهم الى نصف المساقين قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا سقط الخلاخل يسمع له طنين من مسيرة خمسمائة عام لم يسمع السامعون اقوي منه ولو مع أهل الدنيا رنين ذلك الخلاخل لما تواكلهم شوقا الجنة فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وزواري

بالملائكة ختموا عبادي فتأتيهم الملائكة بخواتم من الذهب والفضة والثؤلث والياقوت والوبرجد والعقيق والدر والجواهر
الابيض اوفصوصها من الجواهر الاحمر والزررد الاخضر فيختم كل انسان بعشرة خواتم مكتوب على كل خاتم آية من كتاب
الله تعالى تدل على خلودهم في الجنة مكتوب على خاتم الابهام سلام عليكم بطيتم فادخلوها خالدن ومكتوب على الخاتم الثاني سلام
قولا من رب رحيم ومكتوب على الخاتم الثالث وقالوا الحمد لله الذي صدقناه وعده وأورثنا الارض تنبؤا من الجنة حيث نفاء
فتم أجر العاملين ومكتوب ٤٠ على الخاتم الرابع الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ومكتوب

على الخاتم الخامس ان المتقين لم يرحموا وان صبروا لم ينجو وان نادوا لم يجابوا ينادون بالويل والثبور والصغار مقرنين
في سجون مخلدين نادين طويل عذابهم ضيق مدخلهم سائل صديدهم بادية عن رأتهم متغيرة
ألوانهم الاشقياء يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اكشف عنا العذاب
انا مؤمنون قل عليه السلام مساكين أهل الدار خاق الله لم جبالا يقال لها معدو فيصعدون
على وجوههم ألف عام حتي اذا صعدوا فذقتهم الجبال في قدر جهنم خامرين قال عليه السلام
مساكين أهل النار اذا استغاثوا بالمطر ترفع سحابة سوداء فيقولون الغيث جاء من الرحمن
فتمطر عليهم حجارة من نار تقع على رؤوسهم ثم تخرج من أدبارهم ثم يسألون الله تعالى
ألف سنة أن يرزقهم الغيث فتظهر سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر فتمطر عليهم
حيات كأمثال أعناق الابل فمن لدغته لدغة لا يذهب عنه ألفا الف سنة وهذا معنى قوله
تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال عليه السلام مساكين أهل النار
ينادون مالكا سبعين ألف سنة فلا يرد عليهم جوابا فيقولون ربنا أن مالكا لم يجيبنا
فيقول الله تعالى يا مالكا أجب أهل النار ثم أن مالكا يقول ما تقولون يا من غضب الله عليكم
يا أهل النار فيقولون يا مالكا اسقنا شربة ماء نستريح بها فقد أكلت للنار لحومنا وعظامنا
وانضجت جلودنا ومزقت عظامنا وقطعت قلوبنا فيسقيهم شربة من الحميم ان تناولوه
بالايدى تستأطت الاصابع فان بلغ الوجوه تناثرت العيون والحدود فاذا دخل البطون قطع
الامعاء والكبد قال عليه السلام مساكين أهل النار اذا استغاثوا بطعام يجاء لهم بالرقوم
فاذا جيء بالرقوم يأكلونه غلى مافي بطونهم وغلى دماغهم وأضراسهم ويخرج الالب من
أفواههم وتتساقط أجسادهم بين أقدامهم قال عليه السلام مساكين أهل النار يلبسون ثيابا
من قطران اذا وضعت على الابدان انسلخت الجلود والاشقياء في النار عمي لا يبصرون
بكم لا ينطقون سم لا يسمعون وكل جائع يشتهي الطعام الا أهل النار وكل فار يشتهي
اللباس الا أهل النار وكل ميت يشتهي الحياة الا أهل النار فانهم يتنمون الموت

باب الاربعون في ذكر أنواع العذاب على قدر أعمالهم

قال النبي عليه السلام ينجو من النار من اتمى بعد ألف وستين سنة قوم سامن من اللحوم
مهلزون من الدين كساء من الثياب عراة من اللطايعات المملون يملون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم من الآخرة غافلون أى جاهلون وهم أهل الاسواق والهوى يكتسبون من

على الخاتم الخامس ان المتقين في جنات ونعيم ومكتوب
على الخاتم السادس ان
أصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهن ومكتوب على الخاتم
السابع وتلك الجنة التي
أورثتموها بما كنتم
تعملون لكم فيها فأكهة كثيرة
منها نأكلون ومكتوب على
الخاتم الثامن ان المتقين في
جنات ونهر الى مقدر
ومكتوب على الخاتم التاسع
سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار ومكتوب على
الخاتم العاشر لا يمسم فيها
نصب ومهم منها بمخرجين
فاذا فرغوا من ذلك يقول الله
مزوجل مرحبا بعبادي
وزواري بالملائكة توجوا
عبادي فتأتيهم الملائكة
بتيجان من الذهب الاحمر
مكلاة بالدر والجواهر
فيتوجون بها لكل تاج منها
أربعة أركان على كل ركن
ياقوته هراء لوعلت ياقوته
منها في سماء الدنيا لتلب

نورها على نور الشمس والقمر فاذا فرغوا من ذلك يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وزواري بالملائكة أطيبوا
عبادي فتسير الملائكة الى طيور الجنة فيمسكونها ويغمسونها في المسك الاذفر والعنبر والطيب ثم أن تلك الطيور ترفرف على رؤوسهم
فيطيبونهم من أولهم الى آخرهم فاذا فرغوا من ذلك يقول الله تبارك وتعالى مرحبا بعبادي وزواري بالملائكة اطربوا
عبادي قال فتذهب الملائكة فتحضر مغاني من الحور العين والمزامير معلقة في أغصان الشجر كل شجرة تحمل في كل غصن
سبعين ألف مزمار وتربح من تحت العرش فتدخل في تلك المزامير فيسمع لها انبات لم يسمع السامعون أحسن منها ثم يقول الله
تعالى لاجور العين اطربوا عبادي كما تزهوا أممهم عن المطربات في الدنيا لاجلي ولتذو بذكري وسماع كلامي

فاسمعوهم أصواتكم محمدى وثالثاً فنغنى لهم الحور العين ونحوهم تلك المزامير فتطير أهل الجنة فرحاً بذلك السماع في حضرة
الوصال ويتواجدون في محبة الاتصال فإذا هموا من الوجود وشبهوا من المطريات بقولون ربنا كن في الدنيا محب ذكرك ومجامع
كلامك العزيز فيقول الله تعالى لهم لكم عندي ما تشتهي أنفسكم وأنتم فيها خالدون ثم يقول الله تعالى الملك الموكل بحظيرة القدس
يا كروب قرب المنبر لمبادئ فيقرب الملك منبراً من ياقوته حمراء ارتفاعه ألف عام وله من الدرج بعدد الانبياء والمرسلين فمن ذلك
يصعد كل نبي علي درجته ويصعد النبي صلى الله عليه وسلم علي درجة الوسيلة ونحوها ٤١ الانبياء والاصفياء

والصديقون والاولياء
والشهداء والاعمالون
وجميع الامم من أهل الجنان
على كسبان المسك والعنبر ثم
ينادي المنادي يا ابراهيم
فهم واخطب بامتك فينهض
الخليل قائماً علي قدميه ويقرأ
الصحف التي انزلت عليه الي
آخرها ثم يجلس فاذا النداء
من العلي الاعلى يا موسى
فيقول لبيك يارب فيقول
فهم واخطب بامتك فيقوم
ويقرأ التوراة من أولها الي
آخرها ثم يجلس فاذا النداء
من قبل الله تعالى يا عيسى فيم
واخطب بامتك فينهض قائماً
ويقرأ الانجيل الي آخره
ثم يجلس فاذا النداء من قبل
الله تعالى يا داود قم وارق
المنبر واسمع أحبائي عشر
سور من الزبور فينهض
قائماً علي قدميه ويقرأ الزبور
بترسيم صوتنا فيطرب القوم
من صوت داود طرباً عظيماً
ويبكون من ذلك الصوت
وهو يعدل ترسيم مزمارا

أى مال شاموا ولا يبالي الله تعالى من أى باب يدخلون النار قال الله تعالى يا موسى لورايت
نافض العهد والامانة يسحبون علي وجوههم لئلي النار فاذا طرحوا في جهنم صار كل عضو
منهم في مكان وكل عرق في مكان وقلوبهم في مكان وقال ويل لنا قاض العهد والامانة مصلوباً
علي شجرة الزقوم والنار تندخل من دبره وتخرج من فمه واذنيه وعينه وقاله تعالى يا موسى
لورايت نافض العهد والامانة قد قارنه الشيطان في السلاسل والاغلال معلق بلسانه يسيل
دماغه من منخرية لانام طرفه عين ولا يجد راحه طرفه عين حتى أن الكافر يطلب الامان
بالموت من العذاب وكذا نافض العهد يطلب الامان بالموت وكذا الثاني وآكل الربوا تارك
الصلاة يعذبون في النار حقاً قال الله تعالى يا موسى لو كان ماء البهار مداداً والاشجار أقلاماً
والانس والجن كتاباً خلصت الاقلام والانس والجن كتاباً خلصت الاقلام وفنيت الجن
والانس ونقدت البحار كلها قبل أن تكتب عدد حجب جهنم وذلك قوله تعالى لاثنين فيها
أحقاباً لا يزوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمياً وغساقاً جزاء وفا قال النبي عليه السلام لجبرائيل
ما الحطب قال جبرائيل عليه السلام أربعة الاف سنة قال عليه السلام السنة كم شهراً قال
أربعة الاف شهر قال عليه السلام أشهركم يوماً قال أربعة الاف يوم قال عليه السلام
واليوم كم ساعة قال سبعون ألف ساعة وكل ساعة سنة من سني الدنيا وروى عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يخرج من
النار شيء اسمه حريش يتولد من المقرب رأسه في السماء السابعة وذببه تحت الارض السفلى
فينادي سمعين صرة أين من بارز الرحمن وأين من حارب الرحمن فيقول جبرائيل عليه السلام
ماذا تريد يا حريش فيقول أريد خمسة أين من ترك الصلاة أين من منع الزكاة وأين من شرب
الخمر وأين من أكل الربوا وأين من يتحدث بمحدث الدنيا في المساجد فيجمعهم في فوه ويرجع
بهم الي جهنم نعوذ بالله من المشقاة

﴿الباب الحادى والاربعون في ذكر حال شارب الخمر﴾

روي عن أبى نبي كعب قال قال النبي عليه السلام يؤتى يوم القيامة بشارب الخمر وللشكوز
معاق في عنقه والطنبور في كفيه حتى يساب علي خشبة من النار فينادى المنادى هذا فلان
بن فلان من موضع كذا يخرج ريح الخمر من فمه فيتأذى أهل الموقف حتى يستغيثوا الي
الله من نتن ريحهم ثم يكون مصيرهم لئلي النار فاذا طرحوا في النار ينادون ألف سنة واعطاشه

(٦ دقائق) فاذا أفاقوا من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله هل سمعتم صوتاً أحسن من هذا فيقولون لا ياربنا
ما طربنا ما عاننا صوت أطيب من هذا فاذا النداء من قبل الله تعالى يا حبيبى يا محمد ارق المنبر وافرأ طه ويس فيرقي المنبر فيقرأها
فيزيد في الحسن علي صوت داود وعليه السلام سبعين ضمة فيطرب القوم والكرامى من تحتهم وقناديل العرش وكذلك الملائكة
تموج من الطرب وكذلك الحور العين والولدان لا يبق ذى روح الا طرب من صوت النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول الله
تعالى هل سمعتم قراءة أنبيائي ورسل فيقولون نعم ياربنا فيقول لهم أنريدون أن تسمعوا قرأ ربكم أفيقولون بجمعهم
أما شوقنا الي ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهم فبعد ذلك يلو الرب جل جلاله سورة الرحمن وفي رواية سورة الانعام فاذا

سمعوا قراءة الحق جل جلاله فأبوا عن الوجود وطربوا لأملاك والحجب والستور والقصور والأشجار وصفت
الأوراق وغردت الأطيوار وتماوجت الانهار طرباً بالقراءة العزيز الجبار واهتز العرش طرباً ومال الكرسي عجباً لم يبق في
الجنة شيء الا واهتز حينئذ واشتياقاً الى الله تعالى وفي الخبر أن أهل الجنة يمتنون أنهم لا يأكلون ولا يشربون اذا سمعوا قراءة
الرب جل جلاله بل يريدون التلذذ بذلك لحسنه وحلاوته فاذا أفاقوا من الطرب يقول لهم الرب جل جلاله يا بني هل بقي لكم
شيء فيقولون نعم لنناظر ٤٢ الى وجهك الكريم فمند ذلك يقول الرب جل جلاله يا كرب ارفع الحجاب بيني وبين

عبادي فرفع الملك
الحجاب فتهب عليهم
ريح منها انصقلت ثيابهم
وتهللت وجوههم وصفت
قلوبهم وسعدت أبدانهم
ولميت خيولهم وغردت
أطيوارهم وقدهاء أن أهل
الدنيا الوراء ما في الجنة لما تو
شوقاً اليها ثم يقول الله جل
جلاله يا كرب ارفع الحجاب
الاعظم بيني وبين عبادي
فاذا رفع الحجاب عن وجهه
ينادي من أنافيقه ولو أن
الله فيقول الله تعالى أنا السلام
وأنت المسلمون وأنا المؤمن
وأنت المؤمنون وأنا
المحبوب وأنت المحبوبون
هذا كلامي فاسمعوه وهذا
نوري فتأهده وهذا
وجهي فانظروه فينظرون
الى وجه الحق جل جلاله بلا
واسطة ولا حجاب فاذا
وقعت أنوار الحق على
وجوههم أشرقت وجوههم
ومكثوا ثلثمائة سنة
شاخصين الى وجه الحق جل

﴿ الباب الثاني والاربعون في ذكر الخروج من النار ﴾

ثم ينادون فيها يا حنان يا منان ألف عام وإيقوم ألف عام ويا أرحم الراحمين ألف عام فاذا
أنفذ الله تعالى فيهم حكمه وقضاه أمر جبريل عليه السلام فيقول يا جبرائيل ما فعل المعاصون
من أمة محمد فيقول جبرائيل الهي أنت أعلم بحالهم مني فيقول انطلق وانظر ما حالهم فينطلق
جبرائيل الى ملك وهو على منبر من نار في وسط جهنم فاذا نظر ملك الى جبرائيل عليه
السلام قام نمظماً له فيقول يا جبرائيل ما أدخلك هذا الموضوع فيقول ما فعلت بالمصاة من
أمة محمد عليه السلام فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم قد أحرقت لأنار أجسادهم وأكلت
النار لحومهم وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألا فيها نور الايمان فيقول جبرائيل عليه السلام
ارفع الحجاب حتى انظر اليهم فيأمر ملك الخزنة فترفع الحجاب عنهم فاذا انظروا الى جبريل
عليه السلام وانظروه من أحسن الخلق علموا انه ليس من ملائكة العذاب يقولون من هذا

جلاله سبحانه من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (فائدة) وروية الحق سبحانه وتعالى ثابتة بالكتاب والسنة العبد
والاجماع أما الكتاب فقوله تعالى وحوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وأما السنة ففي البخاري ومسلم أنك سترون ربكم كما ترون
القمر ليلة البدر ومن زعم أن الله لا يرى يوم القيامة اوجدها وشك فهو كافر لتكذيبه الكتاب والسنة وفائدة رؤية الله تعالى
في الجنة زوال الشكوك ألا ترى أن من دخل داراً لم يصاحبها غاف أن يكون منه غير ارضاه فاذا حصلت لهم الرؤية من
زبهم عز وجلية ولو أن الهنا ماعبدناك حق عبادتك أتأذن لنا في السجود فيقول الله عز وجل هذه دار ليس فيها ركوع ولا سجود
وأنما هي دار جزاء وخلود وأنا الآن قد وهنتكم الي ضيافتي وكرامتي قد حصل الوعد الذي وعدتكم وقد أدانت لكم

ولا خيام ولا غرف ولا أنهار
ولا حور ولا ولدان الا حور
لله عز وجل سجدة فيقول
في سجودهم أربعين عاما
لا يعلمون شيئا ثم يقول
الله تعالى يا عبادي ارفعوا
رؤسكم بالتكبير والتهليل
والتهليل والتحميد
والثناء على رب العالمين
فيخاطبهم الحق جل جلاله
بليد الخطاب ويتأديهم
السلام عليكم يا صفياء
السلام عليكم يا معشر
الاحباب للسلام عليكم
يا أوليائي كما أخبر الله
سبحانه وتعالى بقوله سلام
قولان رب رحيم تتوا على
ما شئتم فيقولون ألهنا
وسيدنا ومولانا تمنى
رضاك عنا فيقول الله جل
جلاله يا عبادي رضائي
ادخلتكم جنتي وأسكنتكم
حوراي ومتمتكم النظراني
جوى الكريم ورضيت
عنكم فهل أنتم راضون
عني قال الله تعالى رضى الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن
حشي ره وفي رواية
الطبراني رحمه الله تعالى قال
إذا قال الله تعالى تمنوا على
يقولون ربنا وماذا تمنى
عليك وقد ادخلتنا جنتك
وأحللنا دار كرامتك
فيقول الله عز وجل لم اليوم
أحل عليكم رضواني فلا
أسخط عليكم أبدا ولا

العبد الذى لا يأتى أحد قط أحسن منه فيقول مالك هذا جبريل عليه السلام كان يأتى محمدا
بالوحي فاذا سمعوا ذكر محمد عليه السلام صاحوا بأجمعهم يبكون ويقولون يا جبريل أقرئ
محمدا منا السلام وأخبره بسوء حالنا قد نسينا وتركنا في الدار فينطلق جبريل حتى يقوم بين
يدى الله تعالى فيقول الله تعالى كيف رأيت أمة محمد فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم
فيقول الله تعالى هل سألوكم شيئا فيقول نعم يا رب سألونى ان اقرأ محمدا عنهم السلام واخبره
بسوء حالهم فيقول الله انطلق اليه فيقلعه فينطلق جبريل عليه السلام الى النبي باكيا وهو في
الجنة تحت شجرة طوبى في خيمة من درة بيضاء ولها أربعة آلاف باب لكل باب
مصراع من ذهب ومصراع من فضة بيضاء فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما بك يا نبي
يا جبريل فيقول يا محمد لو رأيت ما رأيت لبكيت أشد من بكائي قد جئت من عند عصاة امتك
الذين يمدبون وهم بقرونك السلام ويقولون ما أسوأ حالنا وأضيق مكاننا وبصيحون
يا محمد اثم يقول جبريل اسمع صياحهم وهم يقولون يا محمد اثم فيسميهم النبي صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك لبيك يا نبي فيقول النبي صلى الله عليه وسلم باكيا فيأتى عند العرش والانبيا
خلقه ويخر ساجدا فيثنى على الله تعالى ثناء لم يكن أحد مثله فيقول الله تعالى يا محمد ارفع
رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيقول عليه السلام يا رب الاشقياء من امتي قد نفذ فيهم
قضاؤك وحكم أسرك وانتفعت منهم فشفعنى فيهم فيقول الله تعالى قد شفعتك فيهم فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم مع الانبياء ليخرج كل من كان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
فينطلق النبي صلى الله عليه وسلم الى جهنم فاذا نظر مالك الى محمد عليه السلام قام تعظيما له
فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم لما حال أمتي الاشقياء فيقول ما أسوأ حالهم وأضيق مكانهم
فيقول النبي صلى الله عليه وسلم افتح الباب وارفع الطبق فاذا نظر أهل النار الى محمد عليه السلام
صاحوا بأجمعهم وقالوا يا محمد اثم اخرجت النار جلودنا وحومنا وقد تركتنا ونسيتنا في النار فيمترد
لهم بأني لا أعلم حالكم فيخرجون منها جميعا وقد صاروا احما فداك عنهم النار فينطلق بهم الى هر عند
باب الجنة يسمى نهر الحياة فيقتلون فيه فيخرجون منه شبيا جردا مردا مكحلين كان وجودهم في
القمع مكتوب على جباههم هؤلاء عتقاء الرحمن من النار فيدخلون الجنة فيعمرون فيها فيمدون
الله ان يحور عنهم ذلك الخط فيمحوه منهم فاذا رأى أهل النار ان المسلمين قد خرجوا من النار قالوا
يا ليتنا كنا مسلمين وكنا نخرج من النار وهو قوله تعالى ربنا لا تتركنا وما كنا نعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يأتى يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح فيقال يا أهل الجنة هل
تعرفون هذا فيقولون نعم فينظرون فيعرفون انه الموت ويقال يا أهل النار هل تعرفون هذا
فيقولون نعم فينظرون فيعرفون انه الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلودوا ولا
موت فيها يا أهل النار خلودوا لا موت فيها فذلك قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
وفي الخبر اذ اجىء بهم من زفرة زفرة فتجثوا كل امة على ركبهم من الخوف والذهشة رهو قوله
تعالى وتري كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون فاذا نظروا الى
النار وهموا وازفيرها كما قال الله تعالى سمعوا لها تغيظا وازفيران من مسيرة خمسمائة عام فيقول كل واحد
نفسى نفسى حتى الخليل والكلبم الاحبيب فيقول امتي امتي فاذا قربت يقول يا نار ايقني المعلنين
وبحق المتصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصابرين ارجعنى فلا ترجع فيقول جبريل عليه السلام لها
بحق التائبين ودموعهم وبكاهم على الذنوب ارجعنى فترجع ويجهاد بدموع المصاة فترش عليها فتخمد
يزالون في كل وشرب مائة ألف عام ثم يأتون الى ضيافة النبي صلى الله عليه وسلم وهي خمسون ألف عام ثم يأتون ضيافة ابي بكر الصديق

حتى يصير كثر الدنيا تطفأ بالماء والتراب وفي الخبر إذا كان يوم القيامة تحشر الخلائق في المحشر ويحياهم بهم بمجنهم مفتوحة أبوابها فتحيط بأهل المحشر من قدامهم وأيمانهم وثمانتهم فيستغيثون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى جبريل عليه السلام فيقول الله يا محمد لا تخف اتقض غبار رأسك فينفض فيصير الله غبار رأسه سحاب مطربق على رؤس المؤمنين ثم يقول الله يا محمد انقض غبار لحيتك فينفض فيصير الله من غبار لحيتك سترًا بينهم وبين النار ثم يأمره بأن ينفض غبار بنفسه فيصير الله تعالى من غبار نفسه بساطًا تحت أقدامهم ويمنع عنهم نار لظى بركنه عليه السلام * جاء في الخبر يؤتى بعبد يوم القيامة فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به إلى النار فتكلم شجرة من شجر عذبه وتقول يا رب أذن رسولك محمدًا عليه السلام قال أي عين بكت من خشية الله تعالى حرما على النار فأتى بكيت من خشيتك فأجر في منها فيغفر الله تعالى له ويستخلصه من النار ببركة بكائه من خشية الله في الدنيا ثم ينادي المذابي نجافان ابن فلان ببركة شجرة واحدة

الباب الثالث والأربعون في مقدار الجنان السبع *

قال وهب إن الله خلق الجنة يوم خلقها عرضها كعرض السماء والأرض وطولها ليلته أحدًا لا الله فإذا كان يوم القيامة ذهبت الأرض السبع والسموات السبع وصار موضعها عذبة في الجنة فتقسم إلى حديسع أهلها * والجنان كلها مائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام أنهارها جارية وأنهارها متدلية فيها ما تشتهي النفس وتلك الأعين فيها أزواج مطهرة من الحور العين خلقهن الله من نور (كأثر الأياقوت والمرجان * فيهن قاصرات الطرف) عن غير أزواجهن فلا ينظرن إلى أحد سواهم (لم يطمعنهن أنس قبلهم ولا جان) كلاً أصابها زوجها وجدها بكرًا وعليها سبعون حلة وكل حلة طالون حملها أخف عليها من شجرة في بدنها يرى مخ ساقها من وراء لحها ومظلمها وجلدها كبري الشراب الأحمر من الزاج الأخضر والشراب الأحمر من الزاج الأبيض رؤسهن مكللة بالدر مرصعة بالياقوت

الباب الرابع والأربعون في ذكر أبواب الجنة *

قال ابن عباس رضي الله عنهما للجنان ثمانية أبواب من ذهب مرصع بالجواهر مكتوب على الباب الأول لا اله الا الله محمد رسول الله وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والأسخياء والباب الثاني باب المسلمين الذين يحسنون الوضوء وأركان الصلاة والباب الثالث باب المزينين بطيب أنفسهم والباب الرابع باب الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والباب الخامس باب من يقطع نفسه عن الشهوات ويمنعها من الهوى والباب السادس باب الحجاج والمتمسرين والباب السابع باب المجاهدين والباب الثامن باب المتقين الذين يفضون أبصارهم عن المحارم ويعملون الخيرات من بر الوالدين وصلة الأرحام وغير ذلك وهي ثمان جنات أولها دار الجلال وهي من نوء أبيض وثانيها دار السلام وهي من ياقوت أحمر وثالثها جنة المأوى وهي من زبرجدا أخضر ورابعها جنة الخلد وهي من مرجان أحمر وأصفر وخامسها جنة التنعيم وهي من فضة بيضاء وسادسها جنة الفردوس وهي من ذهب أحمر وسابعها جنة عدن وهي درة بيضاء وثامنها دار القرار وهي من ذهب أحمر وهي قصبة الجنان وهي مشرفة على الجنان كلها ولها بابان ومصرعان مصرع من ذهب ومصرع من فضة ما بين كل مصرعين كين السماء والأرض وأما بناؤها فلبنة من ذهب ولينة من فضة وطبها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران وقصورها اللؤلؤ وغرفها البواقيت وأبوابها الجوهر وفيها أنهار نهر الرحمة وهو يجري في جميع الجنان حصباؤه

وهي ستة آلاف سنة وماتم للرجال من الضيافة والكرامة يتم للنساء ولكن بين النساء والرجال حجاب من نور ولا ينظر بعضهم إلى بعض ثم يقول الله تعالى يا ملائكتي ادخلوا عبادي سوق المعرفة فيدخلونهم فيأتي الرجل صاحبه فيقول له أن أنت فيقول في الجنة للفلانية في الحبل الفلاني فيتمتعون ثم ينظرون في ذلك السوق فيجدون فيه حملا باجنحة فتقول لهم الملائكة من اشتيتي مسكن يطير فلأخذ من هذه الحبل فيلبسها فيطير فيلبسوها ويطيرون إلى انتهاء ما أرادوا ثم يقول يا ملائكتي قدموا لمبادئ التجائب فتقدم لهم الملائكة خيلا من ياقوت أحمر مروجها من ياقوت أخضر مكللة باللؤلؤ وفوق كل فرس غلام خلقه الله في تلك الساعة لا وليائه ويقدم للنساء نجائب من الذهب مروجها من ياقوت أخضر ثم يرخي بينه وبينهم حجاب ويقول ارجعوا إلى منازلكم فأتى عكم راض فاذا دخل المؤمن منزله تنلقاه الحور العين وتقول له طال شوقي إليك يا دلي الله الحمد لله الذي جمع بيني وبينك فيقول لها من أين تعرفين وما رايتني قبل هذا فتقول له إن الله قد خلقني لك وكتب اسمك على صدرى وخاقى الغلمان وكتب اسمك على صدورهم أحسن من الشهامة اللؤلؤ

يخرجن من أبواب القصور فيقولن لهم رضوا إن ادخلن منازلن فيقبلن لاندخلن حتى نرى ساداتنا فيجولن رضوان إلى أعلى الجنان فنظروا حوراء إلى سيدتها وهو لا يعلم فإذا وجدته يصلي في ظلام الليل ترحم وتقول له استندم بخدم أزع تحصد من جد وجدوه من خسرن من ياسيدي رفع الله تعالى درجاتك وتقبل طاعتك وجمع بيني وبينك بعد صبر طويل فإذا وجدته غافلا حزنت ثم رجعت إلى منازلهن اه سم يسرون إلى منازلهم ويدخلون القصور فتقول المرأة لزوجها ما أشد حسنا لك اليوم وما أكثر نور وجهك فيقول لها انظرت إلى وجهي فوق نوره على وجهي ويقول لها الرجل وأنت والله قد عظم حسنك وناور وجهك فتقول له كيف لا بنور وجهي وقد وقع عليه نور ربي فتهب عليهم نسمة ريح من تحت العرش فتفرق شعورهن وتنثر المسك والعنبر عليهم وهم مثل ذلك في كل يوم جمعة فاشي أحب إليهم من يوم الجمعة وهو يوم المزيد فان الرجل من أهل الجنة إذا رأى صورة وأعجبته صار مثلها وزالت عنه الصورة التي كان فيها بقدره الله تعالى

اللوأ أشد بيضاء من الثلج وأحلى من العسل وفيها نهر الكوثر وهو نهر نبينا محمد عليه السلام أشجاره الدر والياقوت وفيها نهر الكافور وفيها نهر التسليم وفيها نهر السلسيل وفيها نهر الحقيق المختوم وراء ذلك أنهار لا يحصى عددها وفي الخبر عن لابي عليه السلام أنه قال ليلة أسرى بي إلى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت فيها أربعة أنهار من ماء غير آسن ونهر من لبن لم يتغير طعمه ونهر من خمر لا يفسد ومن عسل مصفى كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى الآية فقلت يا جبرائيل من أين نحبي هذه الأنهار وإلى أين تذهب قال جبرائيل عليه السلام تذهب إلى حوض الكوثر ولا تدري من أين نحبي فسل الله تعالى أن يعلمك أو يريك قدما ربه فإذ ملك فلم على النبي عليه السلام وقال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني ثم قال افتح عينيك ففتحت فإذا أنا عند شجرة ورأيت قبة من درة بيضاء ولها باب من ياقوت أخضر وقوله من ذهب أحر لو أن جميع ما في الدنيا من الانس والجن وقفروا على تلك القبة لكانوا مثل طير جالس على جبل فرأيت هذه الأنهار الأربعة تجري من تحت هذه القبة فلما أردت أن أرحم قال لي ملك لم لا تدخل في القبة قلت كيف أدخل ولها مقبول قال افتحه قلت كيف أفتحه قال مفتاحه في يدك قلت وما هو قال بسم الله الرحمن الرحيم فلما دونت منه قلت بسم الله الرحمن الرحيم فافتتح القفل فدخلت في القبة فرأيت هذه الأنهار تجري من أربعة أركان القبة فلما أردت الخروج من القبة قال لي ذلك الملك هل نظرت ورأيت قلت نعم قال لي انظر ثانيا فلما نظرت رأيت مكتوبا على أربعة أركان القبة بسم الله الرحمن الرحيم ورأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم ونهر اللبن يخرج من هاء الله ونهر الخمر يخرج من ميم الرحمن ونهر العسل يخرج من ميم الرحيم ففعلت أن اصل هذه الأنهار الأربعة من البسملة فقال الله يا محمد من ذكرني بهذه الاسماء من امتك فقال بقلب خالص بسم الله الرحمن الرحيم سميته من هذه الأنهار الأربعة ثم أن الله تعالى يسقي أهل الجنة يوم السبت من ماء الجنة ويوم الأحد يشربون من عسلها ويوم الاثنين يشربون من لبنها ويوم الثلاثاء يشربون من خمرها وإذا شربوا سكروا وإذا سكروا طاروا ألف عام حتى ينتهوا إلى جبل عظيم من مسك أذفر خالص يخرج السلسيل من تحته فيشربون منه وذلك يوم الأربعاء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا إلى قصر منيف وفيه سرور مرفوعة وأكواب موضوعة كما في الآية فيجلس كل واحد منهم على سرير فينزل عليه شراب الزنجبيل فيشربون منه وذلك يوم الخميس ثم يطر عليهم غيم أبيض ألف عام جواهر يتلق بكل جوهرة حوراء ثم يطيرون ألف عام حتى ينتهوا إلى مقعد صدق وذلك يوم الجمعة فيقعون على مائدة الخلد فينزل عليهم رحيق مختوم بخاتم المسك فيكسرون غناتهم ويشربون قال عليه السلام وهم الذين يعملون الصالحات ويحبسون المعاصي

فصل في ذكر أشجار الجنة

قال كتب رضى الله عنه سألت رسول الله عليه السلام عن أشجار الجنة فقال عليه السلام لا تيس أغصانها ولا تتماقظ أوراقها ولا يفي رطبها وإن أكبر أشجار الجنة شجرة طوى أصلها من در ووسطها من ياقوت وأغصانها من زبرجد وأوراقها من سندس وعليها سبعون ألف غصن أغصانها متصلة بساق العرش وأدنى أغصانها في السماء الدنيا ليس في الجنة غرفة ولا قبة ولا شجرة إلا فيها غصن منها يظل عليها وفيها من الثمار ما تشتهى الأنفس نظيره

وقد ورد أن الرجل من أهل الجنة يدخل عليه الملك ومعه ألوان مثل الحلال مطرزة بالذهب مكتوب عليها أسماء من أمناه الله تعالى ويقول

له انظر يا ولي الله الي هذه ٤٦ الحبل فان أعجبك فهو لك وان لم تعجبك انقلبت الى الشكلى الذى تريده وسمى الولي

في الدنيا الشمس أصلها في السماء وضوءها واصل الى كل مكان قال على رضى الله عنه أبقنا من الاخبار أن أصل اشجار الجنة من الفضة وأوراقها بعضها من فضة وبعضها من ذهب ان كان أصل الشجرة من ذهب تكون أغصانها من الفضة وان كان أصلها من الفضة تكون أغصانها من ذهب واشجار الدنيا أصلها في الارض وفرعها الى الهواء لانها دار الفناء وليس كذلك أشجار الجنة فان أصلها في الهواء وأغصانها في الارض كما قال الله تعالى قطوفها دانية أى غمرتها قريبة كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الايام الخالية وتراب أرضها مسك وعنبر وكافور وأنهارها لبن وعسل وخمر وماء صاف واذا هبت الريح يضرى الورق بعضه بعضاً فيخرج منه صوت مسموع أحسن منه وبإسناد عن على رضى الله عنه أنه قال عليه السلام أن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحبل ومن أسفلها خيل ذات أجنحة مسرعة ملجمة مرصعة بالدر والياقوت لانزوت ولا تبول فيركب عليها أولياء الله تعالى فتطير بهم في الجنة فيقول الذين هم أسفل منها يارب بماذا بلغ عبادك هؤلاء هذه الكرامة فيقول لهم هؤلاء الذين كانوا يصلون وأنتم تأمنون وكانوا يصومون وأنتم تقطرون وكانوا يجاهدون وأنتم تقعدون عند نساءكم وكانوا ينفقون أموالهم في سبيلى وأنتم تبخلون وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كما قال الله تعالى وظل عذو وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ونظيره في الدنيا الوقت الذي قبل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يغيب الشفق وبحيط سواد الليل بالدنيا فانه ظل ممدود كما قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى قبل طلوع الشمس وبعد غروبها الى أن يدخل سواد الليل روى عن النبي عليه السلام أنه قال ألا أنبئكم بساعة هي أشبه ساعات الجنة وهي الساعات التي قبل طلوع الشمس ظاهراً ومدود ورحمتها عامة وبركتها كثيرة

باب الخامس والاربعون في ذكر الحور

في الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال خلق الله تعالى وجوه الحور من أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر وخلق بدنهن من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القز ومن أصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران والطيب ومن ركبتيها الي ثدييهما من المسك ومن ثدييهما الى عنقها من العنبر ومن عنقها الى رأسها من الكافور ولو بزقت بزقة في الدنيا لصارت مسكاً مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من السماء الله تعالى وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خوام وفي رجليها عشرة خلاخل من الجوهر والؤلؤ وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عليه السلام ان في الجنة حوراء يقال لها الميئة خلقت من أربعة أشياء من المسك والكافور والعنبر والزعفران عجن طينتها بماء الحياة وجميع الحور أشقاء لازواجهن ولو بزقت في البحر بزقة لعذب ماء البحر من ريقها مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربه وفي الخبر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال عليه السلام ان الله تعالى لما خلق جنسة عدن دعا جبريل فقال له انطلق اليها وانظر الى ما خلقت لمبادئ وأوليائي فذهب جبريل وطاف في تلك الجنات فاشرفت عليه جارية من الحور اللعين من بعض تلك القصور فتمسكت الى جبريل فاضاعت جنسة عدن من ضوء ثنائياها وجبريل ساجد فظن أنه من نور رب العزة

وليلاته والى الله بالطاعة وأولاده بالمغفرة وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الجنة ليل أو نهار فأجاب النبي عليه الصلاة والسلام ليس في الجنة نهار أبداً ما فيها الانوار وانهم في نور للعرش أبداً ليل ونهار وأن للعرش سقف الجنة كما أن للسماء سقف الدنيا والعرش نوره يتلأل وهو مخلوق من نور أخضر ومن نور أحمر ومن نور أصفر ومن نور أبيض فمن نور العرش صفت الالوان في الدنيا والآخرة والشمس وضع فيها الحق جل جلاله قدر الخردلة من نور العرش فاشرفت لها الدنيا وعلامة الليل أن أبواب القصور تفتح وترخي الستور وتسبح الابطار الواحد القهار وتسلم عليهم الملائكة وتأتيهم بالهدايا وتتحف من الحق سبحانه وتعالى وتزورهم اخوانهم في الله تعالى وأولادهم وأقاربهم الذين دخلوا معهم الجنة وقد ورد أن المؤمن اذا خطر له أن يرى صاحبه يعيش به للسرير أمرع من القفرس الجيد فيتلقى مع صاحبه في ميدان الجنة فيتحدثان ويتفرجان في تلك البساتين ثم يرجع كل واحد الى قصره وفي كل قصر غرفة مشرفة لكل غرفة سبعون باباً منها مصراع من الذهب على كل باب من تلك الابواب شجرة ساقها من المرجان لسلك شجرة فنادته

زمردا وشجرة أخرى تحمل
ياقوتاً وفوق تلك الأشجار
طيور خضر كل طير قدر
الناقة تسبح الله تعالى على
الاعصان فإذا أكل الرجل من
ثمار الجنة وشرب من أنهارها
تنزل له تلك الطيور وتقول
يا ولي الله أكلت من ثمار الجنة
وشربت من أنهارها فكل
ممن أنه يطير طير من تلك
القصور إلى أن يقع بين يديه
بقدره الله تعالى بعضه

مشوى وبعضه مقلى وبعضه
مطبوخ وبعضه حامض أي
أي من ذبائل ومن معه من
نساءه ومن الحور العين حتى
لا يقولوا لأعظامه فيعود كما
كان ويقدم يسبح الله تعالى
على ألفين بقدره من يقول
لشيء كن فيكون وقصور
الجنة وغرفها قطعة واحدة
صناعة الملك الملام ليس
فيها قطع ولا وصل فيدخل
الولي تلك للقصور ويتفرج
فيها مقدار سبعين عاما
ويوجد فيها بساتين وفي
تلك البساتين خيل بكل
فرس منها لون مشرق
وجناحان من الذهب ولها
يدان ورجلان فتقول
الفرس للرجل من أهل الجنة
ركبني يا ولي الله فركب
المؤمن من تلك الخيول فكما
ركب واحدة من تلك
الخيول افتخرت به على
أصحابها وبركب معه من

فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك فرفع رأسه فنظر إليها فقال سبحانه الذي خلقك
قالت الجارية يا أمين الله أتدري لمن خلقت قال لا قال ان الله خلقني لمن أتر رضا
الله تعالى على هوى نفسه وعلى هذا جاء في الخبر أن النبي عليه السلام قال رأيت في الجنة
ملائكة يديون قصورا لبننة من فضة ولبننة من ذهب فبناؤهم كذلك فلما كفوا عن البناء
قالوا قد تمت نفقتنا قلت ما نفقتكم قالوا ذكر الله لأن صاحب القصور يذكر الله تعالى فلما
كف عن ذكر الله كفتمنا عن بنائه وفي الخبر ما من عبد يصوم رمضان إلا زوجة الله من
الحور العين في خيمة من درة بيضاء مجوفة كما قال الله تعالى حور مقصورات في الخيام أي
مخدرات مستورات فيهن وعلى كل امرأة منهن سبعون حلة ولكل رجل سبعون ميرا
من ياقوتة حراء وعلى كل سرير سبعون فراشا ولكل فراش امرأة ولكل امرأة ألف وصيفة
مع كل وصيفة صحفة من ذهب تطعمها زوجها مثل ذلك وهذا كله لمن يصوم شهر
رمضان سوى ما حمل فيه من الحسنات

باب السادس والاربعون في ذكر أهل الجنة ونعيمها

في الخبر ان من وراء الصراط صحراء فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينا ماء انفجرتنا
من الجنة أحدها عن الجن والآخرى عن الشمال والمؤمنون حين يجوزون الصراط وقد
قاموا من القيور قاموا الى الحساب ووقفوا في الشمس وقرأوا الكتب وجاوزوا للنيران
وجاءوا الى تلك الصحراء شربوا من إحدى العينين فإذا بلغ ماء العين الى صدورهم خرج
كل ما كان فيهم من غل وغش وحسد وزال عنها فإذا استقر الماء في بطونهم خرج كل ما
كان فيها من فساد وداء وبول فيطهر ظاهرهم وباطنهم ثم يجيئون الى العين الأخرى فيقتلون
فيها قصير وجوهرهم كالقمر ليلة البدر وتطيب نفوسهم وقلوبهم وتطيب أجسامهم كالمسك
فينتهون الى باب الجنة فإذا حلقتهم من ياقوتة حراء فيضربونها فتستقبلهم الحور بصحائف
في أيديهن فتخرج كل حورية الى صاحبها فتعانقه وتقول له أنت جيتني وأنا راضية عنك
وأحبك أبدا وتدخل معه بيته وفي البيت سبعون ميرا على كل ميرا سبعون فراشا وعلى
كل فراش حورية عليها سبعون حلة يري مخ ساقها من لطائف الحلال ولوان شعرة من
شعر نساء الجنة سقطت الى الأرض لاضاعت لاهل الأرض قال النبي عليه السلام حلل
الجنة تلالاً لا شمس ولا ليل فيها ولا نوم لأن للنوم أخوال الموت وسور الجنة سبع
حوائط محيطة بالجنان كلها الأولى من فضة والثاني من ذهب والثالث من زبرجد والرابع
من لؤلؤ والخامس من در والسادس ياقوت والسابع من نو وتلالاً وما بين كل حائطين
مسيرة خمسمائة عام وأما أهل الجنة فهم جرد مرد مكحلون ولرجال شوارب خضراء فاج
بلج ولا يكون ذلك للنساء تليهن عن الرجال وفي الخبر ان أهل الجنة يكون على كل
واحد منهم سبعون حلة كل حلة تالون في كل ساعة سبعين لونا وبرى وجهه في وجه
زوجته وترى هي وجهها في وجه زوجها وصدرها وساقها في صدره وساقها لا يترقون ولا
يمتخطون وليس بهم شعر الا الحاجبان وشعر الرأس والعين وعن أبي هريرة رضى الله
تعالى عنه والذي أنزل للكتاب على نبيه ان أهل الجنة يزدادون كل يوم جمالا وحسنا كما
يزدادون في الدنيا شبابا وهر ما يطي الرجل قوة مائة في الاكل والشرب والجماع فيجامعها
كما يجامع أهله في الدنيا حقبا والحب ثمانون سنة لا مئ ولا مئاة وكل يوم يجد مائة

أراد من نساءه وخدمه فتسببهم مسيرة سبعين عاما في ساعة واحدة فبينما هو سائر في تلك للقصور إذا شرفت عليه حورية من

فصورها فيرفع بصرة اليها فتعجب ويوقع لها في قلبه حب عظيم فيقبل على نفسه بالووم ويقول أنلا أحشق فتقول الحورية يا ولي الله نحن من الذين قال الله فيهم ولدنا من زيدا ولا يزال سائرا في وسط الجنة فيجد قهرا من نور وفيه شجرة من جوهر حملا خيل وورقها حلل تمر كل ثمرة مثل شقة الراوية أحلى من العسل فاذا أكل الثمرة بقي الحب تخرج من وسط كل حبة جارية وغلام ثم ينظر بين تلك القصور فيرى أنهارا من ماء غير آسن وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه وأنهارا من خمر لذة لا تشار بين وأنهارا من عسل مصفى وعلى تلك الأنهار قباب من الياقوت وقباب من الزمرد وقباب من المرحان فيها خدم بين حور وولدان فيقولون يا ولي الله طالع شوقنا إليك فيمكث ٤٨ في نعيم ولذة مع كل زوجة من أزواجه تتمتع بحملها وتتمتع بحملها مكتوب اسمها على صدره ومكتوب اسمه على صدرها ويرى وجهه في نور وجهها وترى هي وجهها في نور وجهه فينأهم كذلك وإذا علا ثمة من عند الله تعالى يدخلون عليهم بهدية ويقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فيأكل هو وزوجته الأدمية لأن نصف الهدية لها بما جاهدت في طاعة الله تعالى قال بهضم أن في الجنة نهر يسمى للعرفك يبيت على شاطئ ذلك النهر الحور العين ثم يأخذن أيديهن بأيدي بعض ويفتنين جميعا فتتزين بجمرة ملوئي تلك الأصوات يقلن نحن الخالدات فلا يفتنى أبدا نحن الناعمات فلا نبئس أبدا نحن الراضيات فلا نخطأ أبدا نحن المقييات فلا نطعن أبدا نحن السكاسيات فلا نمرى أبدا نحن لضاحكات فلا نبكي أبدا نحن الصحيحات فلا نسقم أبدا طوبى لمن كان لنا وكنا له وقد سئل حماد بن

طعام قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فاذا أكل ولي الله من الفاكهة ما شاء واشتاق الى طعام امر الله تعالى ان قدموا له الطعام فيأتونه بسبعين طبقا وسبعين مائدة من در وياقوت على كل مائدة ألف صحيفة من ذهب كما قال الله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهية الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون وفي كل صحيفة ألوان من الطعام لم تفسد النار ولم يلبخه الطباخ ولم يعمل في قدور للنحاس وغيره ولكن الله قال لها كوني فتكون بلا تعب ولا نصب فيأكل ولي الله من تلك الصحائف ما شاء فاذا شبع نزل عليه طيور من طيور الجنة كالبيضان في الأعظم فتقوم أجنتها على رأس ولي الله وتقول كل لحما طريا يا ولي الله أنا كذا وكذا وشربت من ماء السابيل ومن ماء الكافور ووعيت من رياض الجنة فيشتاق ولي الله الى لحم تلك الطيور فيأمر الله تعالى ان تقم على أى لون شاء فتكون شواء فيأكل ولي الله تعالى من لحومها ثم يرفع طيور باذن الله تعالى كما كانت فالجنة لا ينقص طعامها وان أكل منه لا ينقص منه شيء نظيره في الدنيا القرآن يتعلمه الناس ويعلمونه وهو على حاله لا ينقص منه شيء قل عليه السلام ان أهل الجنة ياكلون ويشربون ثم يخرج من أجسادهم ربح كريح المسك وهكذا الى أبد الأباد

﴿يقول الراجي غفر ربك الودود﴾ * الشيخ محمد أدريس مسمود *

الحمد لله على نعمه والشكر له على مواهب كرمه والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلقه

وعلى آله وصحبه ما أضاء نور في أفقه (أما بعد) فقد تم بحمد الله تعالى طبع

كتاب دقائق الاخبار في ذكر الجنة والنار بحسب الهوامش

بالدور الحسن في البيت ونعيم الجنان وهو كتاب يرقى

القلوب القاسية ويحماهم على الأعمال الراقية وذلك

طبع بالمطبعة التجارية السكبري

سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م

تم بحمد الله

سليمان من أى شيء خلافت الحور العين قال من النور وقال غير من الزعفران يباضن كباض الثور ووصفوا لهن كصفاء الياقوت فذلك قوله تعالى كما نهن الياقوت والمرجان وبروي عن الطبراني أنه قال لعبد الصالح مسير قال فعام فاذا اراد الرب جل جلاله أن يرسله كتب اليه كتابا مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الحي الذي لا يموت الى العبد الذي صار حيا لا يموت من العز الذي صار عززا لا يذل من الغنى الذي لا يفتقر الى العبد الذي صار غنيا لا يفتقر يا عبيدى زنى فاني مشتاق إليك فربك ذلك العبد على نجيب من نجيب الجنة ويسير الى زيارته عز وجل فاذا اراد به صرف الى منزله مر على طريق غير الطريق الذي جاء منه فيمر على قناطر من جوهر أحر وذلك لما لا يعلمه الا الله لو أن الله تعالى يهديه الى منزله لتاه من عظيم ما حصل له من النور قال الله تعالى ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الآتية

Dr. Ibrahim Muhammad

كتاب

Qisa al-anbiya'

قصص الانبياء

(المسيح) بالعرائس

تأليف

الإمام العالم العلامة

أبي إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النطاي

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

و بهامشه مختصر روض الرايين في مناقب الصالحين للامامة اليا فمي

نفع الله تعالى به ومته في الفردوس مع اهل قرره

بسم الله الرحمن الرحيم

طبع على نفقة

محمد بن عبد الله

« بيدان الازهر الشريف بمصر »

مطبعة العلوم الادبية

لصاحبها محمد بن عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله العظيم المنان *
الرحمن الرحمن * الذي
خلق الانسان * وزينه
بنطق اللسان * وفضل
من شاء من عبادِه وهداه
الى طريق الايمان وشرف
هذه الامة بالصلاة
والصيام وتلاوة القرآن
وجعل منهم الاولياء
والاصفياء والشهداء
والصالحين اهل العرفان
واولى الفضل والايمان
شرح لهم صدورهم وغفر
لهم ذنوبهم وهداهم الى
صراط مستقيم صراط الله
العزيز الممان وانهم عليهم
بانامه وجاد عليهم
باكرامه وسقاهم من
كؤس محبته فانتعش من
شراب قربه القلوب
والايمان * ووعدهم
بالتظرف وجهه الكريم
فتوجههم بتساج الوقار
والبهيم من حل رضائه
الوان فسبحان من فضله
عظيم وجوده عظيم طاقته
قديم وهو الباقي وكل من
عليها فان (احده) على
طول الازمان واتوب اليه
واسئله غفره استغفارا
يوجب الغفران واشهد
ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الرحمن
الرحمن * وأشهد ان

الحمد لله حق حمده والصلاة على عبد واهله (قال) الاستاذ أبو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم التلملي رحمه الله تعالى
هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة بالقرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان
* (باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في قصصهم تعالى اخبار الماضين على سيد المرسلين) *
قال الله تعالى ولا تنقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى
صلى الله عليه وسلم اخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة امور ارى حكم (الحكمة الاولى) منها انه اظهر
لنبوته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يختلف الى مؤدب
ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيه الا تقطاع على علم اخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طالب شيء
من العلوم الى ان كان من امره ما كان منزل عليه جبريل عليه السلام ولفته ذلك فاخذه يحدث الناس باخبار
ما مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه اعاقا لموافقا صدق بما يوحى
الله اليه واخبره اياه بذلك فآمن به وصدق به وكان ذلك سيجزة له ودليلا على صحة نبوته ومن كان منهم
عدوا فعاند احسده وجحدوا وانكر ما جاء به وقال كما اخبر الله تعالى وقالوا اساطير الاولين اكتبتم اففي تلى
عليه بكرة واصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبي عليه السلام قل انزل الذي يعلم السر في
السموات والارض (والحكمة الثانية) انما ناقص عليه القصص ليكون له اسوة وقدوة بمكارم اخلاق
الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما اخبر الله تعالى عنهم واثى عليهم ولتنبى امته عن امور
عوقبت اُمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتعلم الله بذلك معالي
الاخلاق فلما امثل امر الله تعالى واستعمل ادب الانبياء اننى الله عليه فقال تعالى وانك اولى خلق عظيم
وذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه
القرآن (والحكمة الثالثة) انما ناقص عليه القصص نبيته واهله واعلاما بشرفه وشرف امته وعلو قدرهم وذلك
انه لما نظر الى اخبار الامم قبله علم انه عوفى هورا من كثرة ما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم
في السرائع ورفع عنهم الانفال والاعلال التي كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى
واسخ عليكم نعمة طاهرة وباطنة ان النعمة ظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج قال تعالى يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما ناقص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل امته وعلم
ان الله خصه هو وامته بكرامات لم يخص بها احدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه
لا يفتر عبادته به اداء لشكره حتى تورمت قدماه فيل يرسول الله ليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا كون عبد اشكر انما افتخر عليه السلام فقال بشت الخبيثة اسمحة (والحكمة الرابعة)
انه لما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتذكيرا لانه ذكرا لانبياهم ونوابهم والاعداء وعقابه

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله خير الخلق من أنس وجان * اللهم فصل وسلم على هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان * (أما بعد) فهذه فوائد جلية عظيمة نقلت عن كتاب روض الراحين في مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم في الدارين فيذكرهم تنزل الرحات * ونحل البركات * وقد أوردت فيها من أخبار السادات ومناقب القادات ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات * لينزل عن مطالعها المهتموم والفكر وبطرب سامعها لحاسن تلك السير فمعها يمشي الأبدان ومطاعتها تزيد الأخران * وهذا وإن الشروع في ذلك ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بآياته وإن يحسن لنا في زمرة أهل ولائه (فتنها ما حكى عن سيد ذي النون المصري رضي الله عنه) قال ركبت البحر مرة وركب معي شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كبسنا فيه مال

ثم ذكر في غيره وضع محمد برداياه عن صنع الإعداء وحثمهم على صنع الأولياء فقال تعالى لقد كان في يوسف وأخوته آيات للسائين وقال لقد كان في قصصهم عبرة لأولئنا لا بآيات وقال وهدي وه وعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشئ رحمة الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العالم بذكر القصاص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه نقص عليه أخبار الأنبياء والأولياء الماضين أحياء لذكورهم وأزدهم ليكون الحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتا له تعجبل جزاء في الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم عليه السلام في إبقاء الثناء الحسن فقال واجعل لي لسان صدق في الآخرين والناس أحاديث ينقل ما مات ميت والذكر يحيمه وقيل ما انتفى الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا بذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المرزوق قال أنشدني الدريدي

وأنما المرء حديث بعده * فكبح حديثا حسنا لمن وعي

(يجلس في صفة خلق الأرض) قال الله تعالى الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرهما كثيرة في القرآن (واعم) أن الكلام في نعمت خلق الأرض على سبعة أبواب

(الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها)

روى الراواة بالفاظ مختلفة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضفاف طباق السموات والأرض ثم نظر إليها ظهريية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فغلا وارفع منه زبد ودخان وبحار وأرعد من خشية الله فن ذلك اليوم برعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى إلى السماء وهي دخان أي قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الأرض فاول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكتبة فخلق الله الأرض من تحتها فذلك سميت أم الفري يعني أصلها وهي قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الأرض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا يوفي إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه إحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب باسطين باضتين على قرار الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا السبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها بحمائه غام فوضع بين سنام الثور إلى أن فاستقرت عليها قدماه وقرن ذلك الثور خراجة من أقطار الأرض وهي كالسكة تحت العرش ومنع ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فأتى نفسا من البحر واذ ارد نفسه جزر ولم يكن لفوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كما غلظ سمع سموات وسبع أرضين فاستقرت فوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه يا بني إنما تك مغتال حبة من خرد فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله الآية * روي أن لقمان قال له هذه الكلمة افطرت من هيبتها مرارات ومات وكانت آخر مواعظته فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكتبه بلهوت وأنبههم موت فوضع الصخرة على ظهر دوسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الربيع والربيع على القدرة ونزل الدنيا وما عليها أحرفان من كتاب الله تعالى قال لها الجبار كوني فكانت فذلك قوله عز وجل أنما أمرنا الشئ إذا أذناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء

الشعراء لا تخضعن لخلق على طمع * فان ذلك تنص منك في الدين

واسترق الله ما في خزائنه * فان رزقك بين الكاف والذون

فتمش كل من كان في
المركب فلم يوصل الى
الشاب ليعشه وب من
المركب حتى جلس في
البحر فقام له الموج على
مثل السرير ونحن ننظر
اليه من المركب ثم قال
يا مولاي انت هؤلاء
انتم موتى وانى اقسم عليك
يا حبيب قامي ان تامرى
دابة من هذا البحر ان
تخرج رأسهم او فيهم كل
واحدة منهم جوهره
قال ذوالنون فأتى الشاب
كلامه حتى رأينا دواب
البحر قد اخرجت
رؤسها وفيهم كل واحدة
منهن جوهره تفلأ
وتلمع كالبرق ثم وب
الشاب قائما من البحر في
الموج وصار يشي ولم يتبل
قدماء وهو يقول يا لك نبد
واياك نستعين حتى غاب
عن بصرى قال ذو النون
فوجداني ذلك على السباحة
وتذكرت قول النبي صلى
الله عليه وسلم لا يزال في
أمتي ثلاثون رجلا قلوبهم
على قلب ابراهيم خليل
الرحمن كلما مات واحد بدل
الله مكانه واحدا (وحكى
عن سيدي ابراهيم
الخواص رضي الله تعالى
عنه) أنه قال طاب لبي
ننسى في وقت من
الاقوات بالخروج

واستغن بالله عن دنيا الملوكة كما * استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كتب الاحبار ان ابليس تغفل الى الحوت الذي على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أندري
ما على ظهرك يا بني ايمان الامم والدواب والشجر والجبال وغـيرها لو تقضيتا أرائي فقيمتم عن ظهركم اجمع لكن
ذلك أرى بحال قال فهم لوتوا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منجزة فوصلت الى دماغه فخرج
الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت قال كتب الاحبار فوالذي نفسي بيده انه لينظر اليها
ونظر اليه انهم يشي من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذي أقسم الله تعالى به فقال بن والقلم وما
يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكلم على الماء كما تتكلم الفينة على الماء فارساها الله تعالى بالجبال وذلك
قوله تعالى والجبال رساها وقوله تعالى والجبال اوتاد او قوله تعالى وألقى في الارض رماوي أن تميم بكم يعني
لكيلا تتحرك بكم * قال علي بن أبي طاب رضي الله تعالى عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب
تجمل على بني آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الجبال فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فافقها
وخلق الله تعالى جبالا غيا من زبرجدة خضراء خضراء من الماء منة فقال لجبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذي
أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذالقرنين أقي على جبل قاف فرأى حوله جبالا اصغارا فقال
لهن انت قال ان قاف قال فخيرني ما هذه الجبال التي حولك فقال هي عروفي فاذا اراد الله ان يزلزل ارضه أمرني
فحركت عروفا من عروفي فترزله الارض المتصلة به فقال يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله تعالى فقال ان شأن
ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتمضي دونه الا وهما قال فخيرني يا بني ما يوصف منها قال ان ورائي ارضا
لمسيرة بحماتها عام من جبال التاج بحلم بعضها بعضها من وراء ذلك جبال من البرد مثلها لولا ذلك الثلج والبرد
لا تحترق الدنيا من حرجهم قال زدني فقال جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله تعالى ترعد فرائضه
فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدي الله تعالى منكس رؤسهم لا يؤذن لهم في الكلام
الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعني لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن
سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما خلق الله تعالى الارض جملت تميم فخلق الجبال
وألقاها عليها فاستقامت فمجيبت الملائكة من شدة الجبال فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال
نعم الحديد فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقال يارب هل من خلقك شيء أشد
من النار قال نعم الماء فقال يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقال يارب هل من
خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

* (الباب الثاني في حدود الارض ومساقتها واطباقها وسكانها) *

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل ارض الى التي تليها مسيرة
خمسمائة عام وهي سبعة اطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها يخرج
الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصرف الرياح في الارض الخالصة خاق وجوههم مثل وجوه بني آدم فافواهم
مثل افواه الكلاب ويديهم كأيدي الناس وارجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المزمز واسماهم
كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أبواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها
حجارة الكبريت التي أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ان فيها لاودية من كبريت لو ارسلت فيها الجبال الزواصي لا تسمع قال وهب بن منبه هي مثل
الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة

* أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزني قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرئ قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص النشيري قال حدثنا علي بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا اردت الحج إذ دفت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابي ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجلا وهو يقول في بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمصيتي بخالفتك ولكنني عصيتك إذ عصيتك بحبلى وخالفتك إذ خالفتك لشعوتي فلا أن من عذابك من ينقذني ويحبل من أتصل إذا انقطع حبلك عني وإذنوباه وأغوائه بالله قال منصور فأبكاني والله فوضعت فمي على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطراباً شديداً ثم سمعت الصوت فوضعت حجراً على الباب لأعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فإذا بالكفان أصابحت وعجوز تدخل لدار بأكية وتخرج بأكية فقلت لها يا هذه ما هذا الميت لك فغالت اليك عني يا عبد الله لا تجدد على أحزاني فقلت اني اريد هذا لوجه الله الكريم املكك تستودع عني دعوة فاني منصور بن عمار واعط اهل العراق قالت يا منصور هذا ولدي قلت فسا كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى سب ما يكنى فيه له ثلاثا لثاني وثلاثة لثالثا وكان يقطر عليه وكان يصوم النهار ويقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ في بكائه وتضرعه فرجل في هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبيبي يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيا رحمه الله تعالى (وقال) منصور بن عمار ودخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلي صلاة الخائفين فقالت لنفسي ان لهذا الفتى لساناً عظيماً لله من أولياء الله تعالى فوقت حتى فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد علي فقلت له ألم تعلم ان في جهنم دايا يسبحي الظى زعاعة للشوى تدعون من ادبر وتولى وجمع فارعى فشوق شهقة وخزم فمشيا عليه فلما أفاق قال زدني فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة الآية فخره هيتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوباً بابل الذرة فهو في عبشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيت في المنام جالسا على سرى بر وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتاني ثواب اهل بدر وزادني فقلت له فمال لانهم قتلوا بسيف الكفار وانا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب اهل النار كما مثل البغال لها انا ب كمثل الرماح لكل ذنب منها ثمانية وستون قناراً في كل قنار ثمانية وستون فرقان السم كل فرق منها ثمانية وستون قلة من سم لو وضعت قلة من ذلك السم في وسط الارض لمات جميع اهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شيء وفيها ايضا حيات اهل النار كما مثل الاودية لكل حية منها ثمانية عشر الف ناب كل ناب منها كالخلة الطويلة في أصل كل ناب ثمانية عشر الف قلة من السم لو امر الله حية منها ان تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل في الارض له دنته حتى يعود مياؤها الى النار الكافرة ثم تقطع مفاصله * والارض السادسة فيها داوود بن اهل النار وعاملهم وارثهم الخبيثة واسمها سجيين قال الله تعالى كلان كتاب الفجار لفي سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكناً لبليس وجنوده وفيها عشة في احد جانبيه مسموم وفي الآخر زهر يروقه احتوشته من المردة وعتاة الجن ومنها بيت سراياه وجنوده فاعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبني آدم وروى سلمة بن كهيل عن ابى الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السمات السابعة فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غد جعلها الله حيث يشاء * واما بمدرة الارض فكفاك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبادره و باموه الفنى الخبر انه بخسف به كل يوم مقدار رقامة فلا يباغ

الى بلاد الروم
 خوفت نفسي ان تكفي
 ذلك فصرت على نفسي
 الخاطر فلم تلتفت الى ذلك
 فخرجت باخترق ديارهم
 واجول انظارهم والعناية
 تكفيني والرعاية مخفي
 لا ألقى نصرايا الاغص
 بصره عني وتباعدني الى
 ان انبت مدينة من المدائن
 فرأيت على بابها رجلا
 لا يسين السلاح وبأيديهم
 آلات الكفاح فلما راوتني
 اتوا الى وقالوا طيب انت
 قلت نعم فقالوا ارجب المالك
 فحملت اليه فلما رايتي قال
 انت الطيب قلت نعم
 فقال المالك احمد له اليه
 وعرفوه بالشرط قبل
 الدخول عليها قال ابراهيم
 فاخبروني وقالوا ان للملك
 ابنة قد اصابها اعتلال
 أشد بد وقد أعيا الاطبا
 علاجها وما من طبيب
 دخل عليها وعالجها ولم يبرأ
 الا قتله الملك فانظر الى
 نفسك قبل الدخول اليها
 قال ابراهيم فقلت لا حول
 ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 ثم قلت ان الملك ساقى اليهم
 فادخلوني عايماً فاخبروني
 ومخبراً بي اليها فلما
 وصلت الى باب القصر
 اذاهى تنادي من داخل
 الباب ادنوا بالطبيب في
 وله سر عجيب فينبأنا

كذلك اذا شيخ كبير قد
فُتح الباب مبرعا وقال
ادخل وقد خلت فاذا ابيت
مدهس مفروش بانواع
القرش وبستر موضوع
ومن خلفه اثنين ضعيف
يخرج من جسد نحيف
قال ابراهيم فمدت من
داخل الباب متفكرا
واردت ان اسلم فتذكرت
قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا تبذلوا اليهود
والنصارى بالسلام
فامسكت عن السلام
فنادت من داخل البئر
اين سلام التوحيد
والاخلاص يا ابراهيم
يا خواص قال فنهجبت
من اجابها بمخبات
الضمائر ثم قالت يا ابراهيم
سألت رب العزة البارحة
ان يرسل الي وليا من
اوليائه يكون على يده
الخلاص فتوديت
سيحضر عندك ابراهيم
الخواص قال ابراهيم
فقلت لها هي خطر عليك
هنا الامم ذوات منذار
سنين وقد لاح لي الحق
المبين فهو المحيى
والانيس والمقرب
والجالس فلما رأوا حالي
رمقوني بالعيون ورموني
بالجنون فما دخل على
طبيب الا اوحشني ولا
زائر الا ادشني قال
ابراهيم فقلت وما لها

قهرها الى يوم القيامة وقال النبي عليه الصلاة والسلام بينا رجل يتبحر في برديه و ينظر في عطفه رقد
أعجبته نفسه فحسف الله به الارض فهو يتجاذل فيها الى يوم القيامة
(الباب الثالث في ذكر الايام التي خالق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى قل انتم لكتفرون بالذي خلق الارض في يومين الآية قال ابو اسحق قال شريك بيدي ابو
بكر محمد بن احمد الغطال قال شريك بيدي أحمد بن الحسين بن شاذان قال شريك بيدي ابراهيم بن يحيى قال
شريك بيدي صفوان بن ابي عمير قال شريك بيدي أيوب بن خالد الانصاري قال شريك بيدي عبد الله بن ابي
رافع قال شريك بيدي أبوهريرة قال شريك بيدي أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض
يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء
والنواب يوم الخميس وأدم يوم الجمعة

(الباب الرابع في ذكر اسمائها والقابها)

(قال) وهب بن منبه الاول من الارض تسمى اديا واثنائية بسيطة وثلاثة اتيال والارابعة بطيخة وال خامسة
متعققة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى (وأسماءها المذكرة في القرآن) فهي سبعة أيضا سماها الله فراشا
فقال الذي جعل لكم الارض فراشا وسماها قرا قال ام بن جمل الارض قرا وسماها رتقا قال اولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا سماءا طافا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها
مهادا فقال الم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعني بالنبات وسماها
كفنا فقال الم نجعل الارض كفنا قال خالد بن سعيد كنت امشي مع الشامي يظهر الكوفة فظن لي يوت
الكوفة فقال هذه كفنا الاحياء ثم نظر الى القبرة فقال هذه كفنا الاموات (ويحكي) عن عبد الله بن
طاهر لما قدم نيسابور صحبه من اراد الجوس شاب متطرب يدعى تحقيق الكلام واطهر مسئلة تحو ريق
الانفس بانارو كان يزعم ان الجسد كيف متين في حالة الحياة قاذمات فلا حكمة في دفعه والتسبب الى زيادة
ثقله وان الواجب احراقه واذا رماه فليل لبعض الفقهاء ان الناس قد اقتنوا بعقافة هذا الجوسى فكتب
الفقيه الى عبد الله بن طاهر ان اجمع بيننا هو هذا الجوسى لنسميه منه فاجتمعت وعنده عبد الله فلما تكلم الجوسى
بقائه تلك قال له الفقيه اخبرنا عن صبي تدعيه امه وحضنتها اياها الى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي
الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها ان يردوا اليها فاجتمعت الجوسى وأنشد في معاد لامية بين أبي الصلوات
والارض مقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

(وعنه) يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدرى ان الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق
فهي أمه وفيها نشأ فهي عشوه ومنها رزق فهي عشوه اليها يعود فهي كفاته وهي عمر الصالحين الى الجنة
(الفصل الخامس في ذكر ما بن الله به الارض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة باربعة اشهر قال الله تعالى ان عدة الشهر عند الله اثنا عشر شهرا في
كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها رزق باربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة تسرد واحدفرد
فلك ثلاثة السرد والعدة وذو الحجة والحرم والفرد رجب والا مكنة وزينها باربعة اشياء مكة والمدينة
وبيت المقدس ومسجد العشاير وزينها ايضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء باربعة اشهر
الحليل وهو سبي الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم اجمعين وهم أهل الكتب واصحاب
الشرائع وأولو العزم وزينها ايضا بال محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم ايضا باربعة على وقاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم (وروي) يز يد الرقائي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذي أوصلك اليه قالت
براهينه الواضحة وإياته
اللافتة فلذا وضع لك
السبيل شاهدت المدلول
والدليل قال ابراهيم فيبينا
أما أكلها إذا الشيخ
الموكل بها قد دخل عليها
وقال لها ماؤل طيبك
هذا قالت عرف العلة
وأصاب الداء وظهر على
يده السرور وقال بي بالبرور
قال ابراهيم فسار الشيخ
للكلام واخبره بمقالتهم
فصرت اتردد عليها مدة
سبعة ايام فقالت يا أبا
اسحق أر يد الهجرة معك
إلى بلاد الاسلام فقلت
وكيف يكون ذلك ومن
يتجاسر على الخروج من
تلك العساكر والجنود
فقلت يا ابراهيم لا تخف
ان الذي ادخلك على
وسائق الى هو الذي يخرجني
معك ولم يشرب بنا أحد
فقلت نعم انه على كل شيء
قدير فلما كان الغد خرجنا
من باب من الابواب
فخرجت عنا العيون بارادة
من يقول للشيء كن فيكون
فوالذي وفقها وهبها
ما رأيت أصبر منها على
الصيام والقائم وحيت
على عينها لذيق المنام
وجاورت بيت الله الحرام
مدة سبعة أعوام ثم قضت

صلاة الفجر فلما انقضى من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال يا أيها المسلمون من افتقد الشمس
فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقليل
يا رسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقان فقال أنا الشمس وعلى القمر وفاطمة الزهرة والحسن
والحسين الفرقان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتي يردا على الحوض وزنها أيضا بالصحابه وزينهم أيضا
باربعة ابني بكر وعمر وعثمان وعلى وعلم الخلفاء الراشدون والائمة المرضييون رضي الله عنهم أجمعين (وروي)
عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن
قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله ونها أيضا بأول المؤمنين وزينهم باربعة العلماء والفراء والفراء والعباد
وزينها أيضا بانواع الحيوانات والنبات والجمادات

*(الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها) *

اعلم ان الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي
الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخز النقي الحواري لم يصب الله عليها قطرة عين ولا وسم فيها ولا قصم
مستوية كالصواب المهند * والثاني الزلزلة قال الله تعالى انزلنازلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتي يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج
يا رسول الله قال القتل فلذا كانت أمي الربا كانت الزلزلة وان اجاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو وان اظهروا
الفاشحة كان الوباء والموت واذا منموا الزكاة قطروا ولولا البهائم لم عطروا وفي الحديث ان الارض
تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأنخذ بعضا من مئبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة
انكم رجفتم وان الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم احدثتم أشياء حتي اعجلتم
فهل اتممتموهن أو يفرعن من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وتري الارض بارزة يعني الفصل
القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذ رجحت الارض رجحا للغمسرون كما برج الصبي في المهد حتي ينكسر
كل شيء عليها فراقن بها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد
حتى تتخلى وتلقي ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألفت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال
تعالى اذ دكت الارض دكادكا وقال تعالى فدكتنا دكتا واحدة ويحك ان الربيع من خثيم كان اذا قرأ هذه
الآية أخذ يجلد ذراعيه ويقول بالحامه وبأدماه اين انما يومئذ

*(الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن) *

وهي سبعة أو ثمانية خاصة قال الله تعالى في الرعد والانبياء ولم يروا ذات الارض تنقصها من أطرافها يعني
ارض مكة والوجه الثاني ارض المدينة قال الله تعالى المن كن ارضي الله واسميتها فتم اجروا فيها يعني ارض المدينة
وقال تعالى وان ارض واسعة وقال تعالى وان كان والبستفزونك من الارض ليخرجنوك منها والثالث ارض
الشام وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعني بلاد الشام وقال تعالى ونحييها ولو طوا الى الاض
التي باركنافها للعالمين والوجه الرابع ارض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض أى ارض مصر
وقوله تعالى اجمعني على خزان الارض اني حفيظ علم وقوله فان ابرح الارض اي ارض مصر وقوله تعالى
ان فرعون علا في الارض وقال وبستخلمني الارض أى ارض مصر والخامس ارض المشرق فذلك قوله
تعالى ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى وما من دابة في
الارض الا عنى الله رزقها وقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر بطير يحياحيه الا امنا له يعني
الام في التصاوير امنا الحكم في التسخير وقال تعالى ولوان ما في الارض من شجرة أو قلام وقال تعالى الذي جعل

محبها وحلفت بربها وصار
باب المملق قبرا رحمة الله
تعالى عليها ونعمة بها في
الدنيا والآخرة آمين
(رحمك عنده يا ضاري الله
تعالى عنه) انه قال خرجت
من بلدي على عادي الى
سياحي طالبا مكة من غير
ركب ولا قافلة ففتت عن
الطريق فبينما انا وتجري
انا براهب نصراني قد
اقبل على واعترضني في
الطريق ثم قال لي يا راهب
المسلمين هل الى مرافقتك
سبيل فقلت له لا أمنك
عن مرادك فشدت ثلاثه
أيام لم نستطع فيها بطعام
فقال الراهب لا براهم
يا راهب المسلمين ما تحتاج
في أسرانا خيرا وقد مضنا
الجوع فهاات ما عندك
قال ابراهيم فتوجهت الى
الله عز وجل وقلت الهى
وسيدى ومولاى لا
تفجعني بين يدي عدوى
وعندك قال فما أتممت
دعئ حتى نزلت الامانة
عليها خبز ولحم وتبر وماء
فاكلنا وشربنا ومضينا
ثلاثة أيام أخر لم نأكل فيها
شيئا فلما اصبحنا ابتردت
الراهب وقلت له يا راهب
النصارى هات ما عندك
قال فتوجه الراهب الى الله
عز وجل واذا بما تدين

لكم الارض فراشا والسابع ارض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد ذلك ان الارض يرثها
عبادى الصالحون وقوله تعالى وأوردنا الارض نقيبا ومن الجنة حيث نشاء فنعمهم أجر الماعلين
(عجس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)

وترتيب الكلام في هذا الجاس أيضا على جمعة أبواب اقول وهب بن منبه كادت الاشياء ان تكون سبعة
فالسبع سموات والارضون والجلال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب
سبعة وهي السارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسبع بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجارة سبعة
وابواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث في السجن
بضع سنين واية تؤمك، صر سبع سنين وقال الملك اني ارى سبع سنين بقرات سيان وكرامة الله للهصطفى صلى
الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعامن المثاني والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن
آدم على سبعة أعضاء وخلق من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الى قوله
فتبارك الله حسن الخلقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه
الى قوله تعالى لكم ولا نعمكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

(الباب الاول في بدء خلق السموات)

بروى في الاخبار المشهورة الماثورة ان الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق
جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليم نظرة هيبه فصارت مائه ثم نظرا الى الماء فعلا
وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى
السماء وهي دخان أى قصد ثم فتحها بعد ان كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

(الباب الثاني في جواهرها واجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا وج مكشوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس
والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى ولله خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب
فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثالثة فذلك الى السابعة والسماء بعة بالمرش فذلك قوله تعالى
بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أني هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أصحابه وهم يتفكرون قال فيم أنتم تفكرون قالوا تفكر في الخالق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا
في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة وتفكروا في ان الله خلق السموات سبعما والارضين سبعما ونحت كل ارض
خمسة اعمام وبين السماء والارض خمسة اعمام ونحت كل سماء خمسة اعمام وما بين كل سماء بين خمسة اعمام وفي
السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يجاوز الماء كعبه

(الباب الرابع في أسماؤها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها الدنيا يابح والثانية ديقا والثالثة رقيق والرابعة فيلون والخامسة طفظاف
والسادسة سمساق والسابعة اسجافاقل وأما أسماؤها المذكورة في القرآن فسمية أولها البناء قال الله تعالى
والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع
طرائق والطريق قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والشدة قال الله تعالى وبينا فوقكم سبع أشدادا

والرق والفتق قال الله تعالى كانوا رتقا ففتقناهما ولدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان
(وروي) ان الملائكة قالت يا رب لو ان السماء والارض حين أمرتهما عصيانك ما كنت صانعا لهما قال
كنت آمر دابه من دوابي فتعلمها قالت يا رب فأين تلك الدابة قال في مرج من مرجي قالت يا رب فأين ذلك
المرج قال في علم من علمي قالت الملائكة سبحان ذي الباطن العزيم (وروي) ورد عن الضحاك بن مزاحم
الهمالي حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب في صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها
وأهلها وسكنها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا عبد بن
جبر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسمعيل بن بشر عن جويري عن
الضحاك ومقاتل قال خلق الله عز وجل سماه الدنيا وزينها وهي ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام
وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلي واسمها ارقيعا وبينها وبين السماء الثانية
مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقه وامر نازور يوح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب
والماطر يقول سبحان ذي الملك والمكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام
وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لوقيست شجرة بين
مناكبهم لما انفاست رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واسمها اقيديم وخلق الله فيها ملائكة
يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من نارج وبينهما رتق فلا النار تذيب النارج ولا النارج يطفى النار وهو يقول
يا من ألف بين النارج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء
الثالثة كلون الشية وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة دوو واجنحة الملك منهم له
جناحان وله اربعة اجنحة وله ستة اجنحة ووجوه شتى رافعون اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحي
الذي لا يموت أبدا صفوف قيام كانهم بنيان من رصوص لوقيست شجرة بين مناكبهم لما انفاست لا يعرف
أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة
عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها افيولون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة
السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماة أكثر عددا من السماء التي تليها الى الضعف وفي السماء الرابعة ملائكة
لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم في زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام
وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملائكة منهم في امر من اموره فينطق الملك ثم
ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي الى جانبه من سدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو
قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها الانحقوق
ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم
ركوع وسجود لا يعرفوا ابصارهم ولا يعرفونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق
عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام
وفيها جند الله الاعظم الا كبر الكروبيوت لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جندهم سبعون ألف
ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره الى أهل الدنيا رافعون اصواتهم
بالتسبيح والتسبيح واسمها عاروس وهي من ياقوتة حمران خلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة
عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبع مائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود
مثل قطر السماء وتراب الثرى والسبل والزمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات وسبع
أرضين وبخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم مائتا سماء واسمها الرقيب وهي من درة بيضاء ومن السماء السابعة

عليها كما كان على الاولى
من الخبز واللحم والتمر
والماء قال ابراهيم فلما
رايت ذلك قالت الراهب
وعزته وجدا لا آكل
من ذلك ما لم تخبرني فقال
الراهب يا ابراهيم لا صحبتك
حل نظرك على فعمرت ان
الذي عليه نفسي بحال وقد
ضيمت زمني في اتباع
الضلال فتوسلت الى الله
واعتمدت عليه بكرامتك
لديه ان لا يفضحني منك
فكن ما رايت وقرا قول
كما تقول واشهد ان لا اله الا
الله واشهد ان سيدنا محمد
رسول الله قال ابراهيم
فقرحت بذلك فرحمتك بدا
وسرنا حتى دخلنا مكة
شرفها الله تعالى فلما قضينا
ما كان علينا من فرائض
الحج اقمنا بها اياما قلائل
فلما كان بعض الايام
فقدته فقضيت الى الحرم
فوجدته قائما يصلي فلما
احسبني اسرع في صلاته
فلما سلم من الصلاة التفت
الي وقال يا ابراهيم قد آن
قاه الله تعالى فاحفظ حق
مرافقتي لك وصحبتك معك
ثم شق شقة فأتى رحمة الله
عليه قال ابراهيم فتأسفت
عليه اسفا شديدا ثم جهزته
ودفنته فلما كان الليل
رأيتني في المنام وهو في
أحسن صورة وعليه ثياب

الى مكان يقال له رهونا مسيرة خمسمائة عام زعاه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحمة الدرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وانوار شتى في جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافقوا صوابهم بالهليل ينظرون الى العرش لا يطر فون لوان الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بر يشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غظاها كغلاظ سبع سموات وسبع ارضين ومن السماء السابعة اليها كتابين سبع سموات وسبع ارضين والدرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

(الباب الخامس في ذكر انذام التي خاق الله الاشياء فيها)

روت الرواة ان الله تعالى ابدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق في يوم الخميس ثلاثة اشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الاولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام ذلك قوله عز وجل ففضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل ماء أمرها الآية

(الباب السادس في ذكر ما بن الله به السموات)

وهي عشرة اشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا واهجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فمهم نورا والسواكب قال الله تعالى اننا زينا السماء الدنيا ببن السواكب وهي على ضربين منها معلق كمناليق المتأدليل في المساجد ومنها مركب كتركيب الفص في الخاتم وهي مع كبرتها مخلفة الصور ما خاق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب (وفي بعض الاخبار) ما يكون من حيوان في الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفي خلق السواكب ثلها والعرض قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش (روى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش نثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا نأول قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وان ما بين الغائمة من قوائم العرش والد ثمة ثمانية ثلغها من الطير الممرعة ثلثين الف عام وارض يكس كل يوم سبعين الف لون من الزور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها في العرش كحلفة ملفاة في فلاة وار الله ملكا يسمى حقيق لث لث ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطره خطره هل يقدر أن ينظر الى العرش فراده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليها الملك طرفا مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ قائمه من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له في الاجنحة والقوة وأمره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة فلم يبلغ رأس قائمه من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليها الملك أوطرت الى ان ينفخ في الصور مع اجنحتك وقونك ما تبلغ ساق عرشى فقال الملك سبعان ربي الاعلى فانزل الله سبحانه وتعالى وسبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم (وقال) كتب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى شيئا اعظم مني فاهتز فوقع الله بحجة له سبعون الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا والملائكة أجمع فالت الحية بالعرش فالمرش الي نصف الحية وهي ملتوية به * والكرسي قال الله تعالى وسبع كرسية السموات والارض (وروي) علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكرسي اقواة طولها حيث لا يملها العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان (وروي) اسمه من مسلم عن

فقلت له ألت صاحب بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحاشد بدائم قلت له ما فعل الله بك قال يا ابراهيم أبتة بذنوب كثيرة فحداها عني حسن ظني به وجعلني كما صحيتك في الدنيا جارك في الآخرة رضى الله تعالى عنه وثقه بابه (وروي) ان غلاما كان لجمعة الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدي سيده ومانع الايام فسقط الماء من يده في الطشت فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاي والكاذبين الغيظ قال جعفر كظلمت غيظي فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب الحسنيين قال جعفر اذهب فانت حر لوجه الله تعالى ولك الف دينار من مالي وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم (وحكى عن بعضهم رضى الله عنه وثقه بابه) قال رأيت بعض المذنبين في النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسنتي وسبأتني فرحجت سبأتني على حسنتي فصرت متحيرا فبينما انا كذلك اذ وقعت

في كفة الميزان فرجحت
الميزان ثم سمعت قائلا
يقول وان كان مثقال حبة
من خردل أتيناها وكفى
بناحسين قال ثم حلت
الصرة فاذا فيها كف من
تراب كنت القيتة في قدير
مسلم فففر الله لي بذلك
وادخلني الجنة فانظر الي
كرم الله تعالى وحسن
لطفه بعبادِهِ (وحكى عن
بعض الصالحين رضى الله
تعالى عنه) ان ما كان في
دارا واحسن بناءها
وزينها وصنع فيها طاماما
ودعا الناس اليها وأجلس
على بابها العبيد والغلمان
يسألون كل من خرج
ويقولون هل رأيت عينا
فيه قولولا وهم لا يجنون
أحدًا من الدخول حتى
جاء أناس في آخر الناس
عليهم مرقات فلم ادخلوا
واكلوا من تلك الوثنية
تلقتهم العبيد والغلمان ثم
سألوهم هل رأيت عينا
فقالوا نعم رأينا عيين اثنتين
قال فخبسوه ورجعوا
للملك فاخبروه
بما قال هؤلاء فقال الملك
ما كنت ارضي بعيب
واحد فكيف ارضي
ببعينين ثم قال أئتوني بهم
فاحضروهم بين يديه
وسألهم عن العيين ماها
فقالوا تخرب الدار

أبى المتوكل الناجي عن ابى هريرة رضى الله عنه انه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما
ففتح الباب فاذا التمر قد اخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما
آخر فاذا هو قد اخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك ابو هريرة رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه
الصلاة والسلام ابصر لك ان تأخذ قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخر لك لحد فذهب
ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عبد الله انت صاحب القفل قال نعم ثم قال لا اعود ما كنت
اخذت منه الا لاهل بيت فقرأ من الجن فتركة ثم عاود فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ابصر لك ان
تأخذ قال نعم قال فاذا فتحت الباب فقل مثل ذلك ايضا ففتح الباب وقال سبحان من سخر لك لحد فاذا هو
قائم بين يديه فقال له يا عبد الله اليس قد عاهدتني ان لا تود فقال دعني هذه المرة فاني لا اعود فتركة ثم عاود فاخذ
الثنية فقال اليس قد عاهدتني ان لا تود ولا ادعك اليوم حتى اذهب بك الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا
تفعل فانك ان تدعني علمتك كما نادا قلة بالم يترك احد من الجن لاصغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى قال له لتفعلن
ان تركت قال نعم قال فهاهي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركة فذهب فلم يعد بعد ذلك
فذكر ذلك ابو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما علمت يا ابا هريرة هذانه كذلك صدق الخبيث
* والوحي والقلم قال الله تعالى وكل شيء احصيناه في امام بين و قال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال)
ابن عباس ان ما خلق الله تعالى لواح محن وظا من درة بيضاء دفناه من باقاة حمره كئنا به نور وقلمه نور عرضه
كباين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثمانية وستين نظرة منها يخاف ويرزق ويحيي ويميت ويفعل
ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شأن (وروى) ان اول ما خلق الله القلم فظهر اليه نظرة هيبية وكان طوله
كباين السماء والارض فانشق نصفين وقال كتب فذل يارب وما كتب قال كتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم
قال له اجر بما هو كان الي يوم القيمة (ويحكي) ان ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده معه وهو يقول
روح عنى بالبن الزيات فاشد يقول

الهم فضل والقضاء غالب * وكأن ما خط في اللوح

فانمس الروح وأسبابه * أيا س ما كنت من الروح

والبيت المعمور (روى) الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور يجيئ الكعبة وان في السماء اسما بجمرة من نور يقال له الحيوان يدخل
فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينفس فيه انفسا ثم يخرج فيتنفس انتفاضة فيخرج منه سبعون الف
قطرة من نور فيخاق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون ان يأتوا البيت المعمور فيصطلون فيه فيأونونه
فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة * وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة
المنتهى عنده جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء الابعة مما
يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعريتها تحت الكرسي واغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل
ورقة منها تفلل امة من الامم بنشأها ملك كائنه فراس من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله
تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم * والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من دخل الجنة حتى لا يموت ومنه لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا
يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال ابنة من ذهب وابنة من فضة بلا طها ملك اذ فروع حصباؤها للافوا
واليافوت ونزاجها الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان السماء اطأت وحق لها ان تظلم ليس منها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك ساجدا وراكع او قائم او قاعد

ويعت صاحبا فقال
الملك هل تعرفون دارا
لا تخرب ولا يموت
صاحبها فقالوا نعم فقال
الملك فإني قد كروا له الجنة
ونعيمها وشوقه إليها
وذكروا له النار وخوفه
منها ودعوه إلى عبادة الله
تعالى فاجابهم إلى ذلك
وخرج من ملكه هاربا
تائبا إلى الله تعالى نسائه
تعالى التوبة والمغفرة
(وحكى عن بعضهم رضى
الله تعالى عنه) ونفعا به
قال كان لي أخ في الله تعالى
وكان من الأولياء وكان
رجلا جريلا حسن الخلق
طيب الحديث وكان له زوجة
من أهل الخير والصالح
وكانت على قدمه فكانا
يشتهن في صنعة
المراوح والأطباق فكانت
أوده وأزوده وأتمس منه
الدعاء فكانت كلما دخلت
بيته فوجدت عنده
ريشاً من ريش الطيور
العاتية مثل الشفاه والنسر
والعقاب والظاوس
على سائر الجنوس الجيية
يشتهل بذلك الریش
صنعة المراوح فكانت
انهجب من ذلك فقلت له
يا أخى من اينك بهذا
الريش مع قلة خروجك
للجبال والادوية فقال
يا أخى ان الله سبحانه
وتعالى سيخبرني ملكا

يذكر الله تعالى لولم يولموا ما علم لصحتكم قليلا ولبيكن كثير او لخرجنى الى صحراء تنجرأون الى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآخرها)

اعلم ان الله تعالى وعد العلماء بسبعة أشياء أحدها ما أورق الله تعالى يوم تمور السماء وورا بمعنى تدور كدوران
الرحا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني ردى
الزيت والثاني أخبر أنها تصير وردة كالداهان قال الله تعالى فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان
والرابع الانشقاق قال الله تعالى إذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى إذا السماء انقطرت
والسابع المنظر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى وإذا السماء فرجت
والسابع الكشط قال الله تعالى وإذا السماء كسطت أى نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم
نطوى السماء كطي السجل للكتب الآية واحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذى السما * فليس سواه له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

(محاسن في ذكر خالق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبداهتهما وما دها)

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثغلة الأمين بقرأني عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثة مائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف
السلمي قال حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضى
الله عنهم ما قال بينهما وجالس ذات يوم من الأيام إذ أنا رجل فقال يا ابن عباس انى سمعت العجب من كذب
الاحبار يذكروا في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتف زعم قال وماذا قال قال زعم كذب الاحبار انه
يخبر بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما توران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس
شظية ووقت اخرى غضبا ثم قال كذب كذب الاحبار قالوا بل هذه هذو يد يداد خالها في الاسلام
والله تعالى اكرم واجل من ان يعذب اهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعنى
دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبيدنى أنى عليهم ما أنابا في طاعته فأنزل الله هذا الخبر وقبح حديثه
ما أجراه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من
الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ماشاء الله ثم انرفع رأسه ورعى بالود وقال الاحاديثكم
بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبد خلقهما ومصير امرهما قلنا
بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أنفق خلقه
احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمس من نور عرشه فاما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعو شمساً فانه
خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله ان يطمسها ويحولها قرا فانه خلقها
دون الشمس في العظم ولكن اعا يري صفرها من شدة ارتفاع السماء وما بداهة ان الارض فلو ترك الله تعالى
الشمس كما كان بدأ الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجري متى يعمل ولا متى
ياخذ اجرة ولا يدري الصائم الى متى يصوم ولا متى يفطر ولا يدري المرأة كيف تمتد ولا يدري المسلمون
متى رقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المديون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون
ومتى يسكنون راحلة لا بدانهم وكان الله انظر اعباده وارحمهم فارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه
على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عند الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل

من الملائكة ياتيني بذلك
 في كل جمعة لاجل المودة
 على القوت فلما كان في
 بعض الايام فقدته فحضبت
 اليه في بعض الاسواق
 التي كان يبيع فيها المراوح
 فلم اجده فحضبت الى داره
 وطرقت الباب فخرجت
 زوجته وقالت من بالباب
 فقلت لها فلان اخو
 زوجك يريد السؤال
 عنه هل هو غائب ام
 ضيف فقالت يا سيدي
 انه مقيم الا انه مشغول
 بذكر ربه عز وجل
 فقلت لها اني احب ان اراه
 فاني مشتاق اليه فحضبت
 وعادت الى وقالت
 ادخل فدخلت اليه
 فرأيت في بيت ميني له
 للعبادة وعليه اوار
 السعادة فلما رآني قام الى
 واعتنقني وسلم على سلام
 الحنين ثم جلسنا وتحدثنا
 ساعة فبينما نحن في
 الحديث ادا بمائدة
 وضمت بين ايدينا فيها
 من جميع الالوان فاكلنا
 من تلك المائدة فلما رفعت
 اذا بقدرح من ماء قد وضع
 بين ايدينا فشربنا منه فما
 اكنت احسن من ذلك
 الطعام ولا احلى من ذلك
 الماء فمرقت ان ذلك
 الطعام والماء من الجنة ثم
 سأته بمد ذلك عن سبب
 امتناعه عن الخروج الى

الخطوط فيه انما هو اثر الحوتم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها
 ثمانية وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها اثناثة وستين من الملائكة من اهل سما الدنيا قد تعلق كل
 منهم بمروة من تلك العرا وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في اقطار الارض وكنفى السماء ثمانين ومائة عين
 في المشرق من طينة سوداء ثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء وورعيلها كمل في القدر اذا
 ما شدد غليظها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعني حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع
 جديد ومغرب جديد ما بين اولها مطلعها واولها مغربها طول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعها مشرقا
 ومغربا قصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا واولها
 ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جهموا بذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك
 العيون كلها ثم خلق الله تعالى بمرادون سما الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكثوف قائم في الهواء باذن
 الله تعالى لا ينظر منه قطرة والنجوم كلها كنف في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في
 الهواء مستوكا به جبل ممدود ما بين المشرق والمغرب تحرى الشمس القمر والحسن في سرعة دوران الرحا
 من احوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى كل في ذلك يسبحون والملك في دوران العجلة
 في لجة غمرة ما ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء
 على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتن به اهل الارض حتى
 يمدونه من دون الله تعالى لانما شاء الله ان يمسحه من اوليائه واهل طاعته قال ابن عباس رضي الله عنه قال
 علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا ائت وامي يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد
 أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم قال الخنس فقال عليه السلام باعني هن الكواكب
 الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة اطالعات
 الجارات مع الشمس والقمر في الفلك واماسائر الكواكب فكما هم مغلفات في السماء كتميلق القناديل في
 المساجد وهي تدور مع السماء ودورانها بالتسميع والتفديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
 وان احببت ان تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك فحجرة
 وياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كلها سوى
 هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من احوال
 يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تورد السماء مورا يعني تدور دورانها وتسير الجبال سيرافاذا طلعت الشمس
 فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثمانية وستون ملكا تأسرى اجنتهم يجرؤون في الفلك
 بالتسميع والتفديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والنمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطل
 والنصر في الشتاء كان ذلك اوفي الصيف او ما بينهما من الحر يرف والريبع فاذا احب الله ان يبتلي القمر
 والشمس ويرى العباد آية من الايات يستعجبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس
 عن العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ما ذلك البحر وهو الفلك فاذا اراد الله تعالى ان
 ينظم لك الآيات يشدد خوف العباد وقمت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين ينظم
 النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهي من كسوفها فاذا اراد الله ان يجعل آية دون آية وقع النصف منها الارامات
 او انشقاقها في الماء ويقت سائر ذلك على العجلة وهو كسوفه ذلك كسوف اجلاء الشمس والقمر وذلك نحو يرف
 للعبان واستتاب من الله تعالى فاني ذلك كان صارت للملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على
 الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجروها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها

تسببه فبسم وقال يا خي
 وقم لي حكاية عظيمة
 فقلت وما هي فقال
 خرجت يوما ببيع المراح
 على عادي فمضيت الى
 اسواق بغداد فلم يفتح على
 بشي ولم يكن عندنا شي
 من القوت فخرجت
 ومضيت الى بعض
 الحارات حتى انتهيت الى
 حارة ليمض الوزراء فبينما
 انا مار بها اذ ابصرت جالسة
 في قصر عال مشيد الاركان
 فلما رأني ارسلت الى
 جارية من بعض جوارها
 كأنها قادمة من جبل فلما
 اقبلت على لم تهاني دون
 ان احتملتي فلم اشعر
 بنفسي الا وانافي وسط
 الدار فاحتملتي الجواري
 ثانيا الى ذلك القصر فاغشى
 على نفاها فظننت اني
 سرير من عاج مرصع
 بالياوقيت من زين بأنواع
 لذهب والفضة فذهشت
 من ذلك واذا بامرأة قد
 اقبلت على كأنها من
 الحور العين وعليها من
 الحلى والحلل ما لا أقدرا
 أصفه فلما دنت مني
 أغمضت بصري عنها
 فقالت مرحبا بك ضيافة
 ثلاثة ايام فتعجبت عند
 كلامها حيرة شديدة ادم
 اجد لي مخلصا اتخلص به
 منها فقلت لها لا بد من ذلك
 فقلت نعم فقلت لها يكون

في الفلك على مقدار ساعات النهار اوساعات الليل لئلا كان انهارا الكيل لا يزيد في طولها شي وقد اهلهم الله
 تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك
 السواد الذي يملوه فهو من عمر ذلك البحر وهو خروجهما من ذلك الماء فاذا خرجوها كلها اجتمعت
 الملائكة كلها فاحتملوا حتى يضموا على العجلة وذلك حين تتجلى للعالم حتى يحمده الله تعالى على ما قوام
 لذلك ويتعلقون بعري العجلة حتى يجرها باذن الله تعالى في لحظة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب
 ادخلوها من بعض تلك الديون فتسقط من افو السماء في المين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجيبت من خلق
 الله وما بين من القدرة فبالم يخاف أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لاسارة المتعجبين من امر
 الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احدهما بالشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة
 آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فاهل المدينة التي بالشرق من بقايا اعداء من نسل
 مؤمنهم الذين كانوا آمنوا به وعلية السلام واسمها بالمر بانية رقيشا وبالمر بانية جالبق واسم المدينة التي
 بالمغرب بالمر بانية برجيسا وبالمر بانية جابر سا نيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف
 رجل في الحراسة عليهم السلاح وهم الكراع لا تنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور
 والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج اصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين
 تطلع وحين تغرب من وراءهم ثلاث ايام لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منشك ونارس وتارو بل ومن وراءهم
 يا جوج وما جوج وان جبريل عليه السلام انطلق في اليوم ليلة أسرى في الى السماء فدعوت يا جوج
 وما جوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا ان يجيبوني فهم في النارع من عصي الله من ولد آدم وولدا بليس
 ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا بانوا فهم اخوانا في الدين
 من أحسن منهم فهم من المحسنين ومن أساء فهو مع المشركين ثم انطلق في الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين
 الله وعبادته فابوا على وكفر بالله وكذبوا برسله فهم مع يا جوج وما جوج وسائر من عصي الله تعالى في النار
 فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتسبح تحت العرش تستأذن
 من ابن آدم بالطلوع من مغربها أم من مطالعها وتكسي ضوءا وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل
 والنهار ثم يطابق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فينحدر
 حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر القجرع الصبح فاذا انحدرت
 من بعض تلك الديون فذلك حين يضي الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضي النهار
 فذلك مطالعها ومغربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة اشهر ثم اذا
 رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع والغروب الى آخرها عينا فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها
 ثمانية وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة فوضه على البحر السابعة مقدار عدة الليالي في
 الدنيا منذ خلق الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس اقبل ملك من الملائكة الذين قد
 وكروا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال
 أصابعه قليلا قليلا وهو يراعي الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبذل ان اقطار
 الارض وكفى السماء وبحارها ما شاء الله خارجا في الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح
 والتقديس حتى يبلغ غرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم
 يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكف يده ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التي تناولها من
 الحجاب بالمشرق ثم يقبضها عند المغرب على البحر السابعة من هنالك ظلمة الليل اذ انقل ذلك الحجاب الى

المشرق إلى المغرب فإذا انفتح في الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والهيك كذلك من مظاهما إلى غيرهما إلى ارتفاعهما إلى السماء السابعة إلى محبهما تحت الأرض حتى يأتي الوقت الذي يفتته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المأصفي في الأرض وبذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويهشوا المنكر فلا ينهي عنه أحد فإذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذنها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين تطلع فلا يؤذنها ولا يرد لها جواب حتى يحبسها مدة ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة إلا الله جل جلاله في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في الأرض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاة فيصلي وردة ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هاهو بالليل مكاه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيهم الظنون ويقول أخففت قراءه ثم قصر صلاتي أم قت قبل حين قال ثم يقول فيمودالي مصلاة فيصلي نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فإذا هاهو بالليل مكانه فيز يده ذلك انكرا ويخاطبه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتي وأخففت قراءتي أو قت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضا مثل وردة كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج إلى السماء فإذا هاهو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها من أول الليل فيشتق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيباحته الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادي بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتجهدون من أهل كل بلدة في تلك الليلة في مسجدين من مساجدهم يجأرون إلى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا ماتا لمهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الرب تعالى بأمر يكائن رجعا إلى منزركما فطلعا منه لا وضوء لكما عندنا ولا نور في مكانكما عند ذلك وجسلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاه يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادات العرش ومن فوقهم فيكون جميعا ليكنها لما لا حظهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعا من مغربهما قال فيبيننا المتجهدون يكونون ويضرعون إلى الله تعالى والنافلو في غفلتهم إذا نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فإذا هم بالآودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى إذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين يتنازع كل واحد منهما صاحبه استباحا فارتصارا هاهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها والأحبة عن نرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فاما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكأؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حمرة فإذا ما بلغ الشمس والقمر رسة السماء وهي منتصفهما جاء مهاجرا بل عليه السلام فيأخذ بقرنهما ويردهما إلى المغرب فلا يعرفهما من مغربهما من تلك البيوت ولكن فخرهما من باب التوبة فقال عمر بن أبي أنت وامي يا رسول الله وما باب التوبة فقال يا عمر خلق الله تعالى بالالتوبة خلف المغرب له مصرعا من ذهب مكللا بالدر والجوهر ما بين المهراراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى (٢) إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع

(٢) قوله منذ خلق الله تعالى الخ هكذا بالأصل وإسـله الدنيا فليجرحه مصححه

ذلك بعد أن أوصى إلى السجدة ذلك العصر وأرجع فقالت انادلك على بيت الماء أفضاه حاجتك وأخذ منك بنفسى فقلت لا يمكن ذلك إلا أن اتوصل إلى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني إلى باب مفتوح يتوصل منه إلى أعلاه ثم ففتحه وقالت امض ولا تقب عني فصعدت مسرعا إلى أعلاه ونظرت إلى الأرض فرأتها بعيدة فرفت بصري إلى السماء وقلت سيدى لا تخنى عليك أمرى الموت ولا مصيبتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فأقيت نفسي إلى الأرض فأرسل الله تعالى إلى ملك من الملائكة فاحتلمنى على جناحه فلم أشعر بنفسى إلا وأنا على باب دارى فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتى فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله أن لا أخرج من بيتى حتى أموت فذا أحدني بأخى قال فيخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وصار على ذلك الحل حتى مات رحمه الله تعالى وتوفاه

(و) حكى عن الأم ابى

عنه انه قال حججت
سنة من السنين الى بيت
الله الحرام وزيارة النبي عليه
الصلاة والسلام فبينما اناني
الطريق اذ سمعت صوتا
موزونا يخرج من كبد
محزون قال الجنيد
في قدرت الى ذلك الصوت
حتى اوقفتني بسلام كافر
فلما رايتي قال مرحبا بك
يا أبا الفاسم قال فحجبت
منه عجباً شديداً وقلت له
حبيبي ومن اعلمك باسمي
ولم ترني
قبل ذلك فقال التقت
روحى وروحك في
المحكوت فاعلمني باسمك
الحى الذى لا يموت ثم قال
بالله عليك يا جنيد اذا انا
مت ففلسني وكفني في
تيابى هذه واطلع على هذه
الراية وناد الصلوة على هذا
الفرى ب برحكم الله قال
الجنيد ثم ان الشاب عرق
منه العجين واشتد به
الانين ثم قال بالله عليك
يا جنيد اذ قضيت حاجتك
ورجعت فاقصد بغداد
واسأل عن درب الزعفران
واسأل عن والدتي وعن
ولدى وقل لهما أنت
الفرى ب يقرنكما السلام
ثم شق شقة ثياب رحمة
الله تعالى عليه قال الجنيد
فتأسفت عليه أسفا
شديداً ثم غسلته وكفنته

الشمس والقمر من مفرجهما ولم ينب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحاً منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم
الا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم رفع الى الله تعالى فقال ما من جبل بأنى انت وأمى بارسول الله
وما التوبة النصوح قال ان يندم المبد على الذنب الذى اصاب فيه يندم الى الله تعالى لم لا يعود اليه كلاً يعود
الى الضريح قال فينرهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم رد المصراعين ثم يثمن ما بينهما فيصير
كأنهم لم يكن فيما بينهما اصداً عتقوا واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للمبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها
الاسلام الا من كان قبل ذلك حسناً فانه يحجرى عليه ما كان يحجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم
يا نبي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ائماً ان تكن آمنت من قبلى الا وكيت في ايمانها خيراً فقال أبى بن
كعب بأنى أنت وأمى بارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أنى
ان الشمس والقمر يكسان النور والضوء بعد ذلك ثم يطعمان ويغفر لهما ما كانا يكرهان ذلك وأما الناس فانهم
مع ما راى من فظاعة تلك الآفة وعظمها ياجون على الدنيا سائر يحجرون فيها الا نهاراً ويغفرون فيها الا شجار
ويبنون فيها البديان واما الدنيا فلو تبيح للرجل منهم فيها ما لم يركه حتى تقوم الساعة لذ من طلوع الشمس
من مفرجهما الى ان ينفخ في الصور فقال حد يفة جداني فانه ذلك بارسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور
قال يا حد يفة الذى نفسى بيده لينفخ في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا طوحه ولا شرع فيه الماء
ولتقوم الساعة وقد اخذ ابن لفتحته من تحتها فلا يبشر بولادة ومن الساعة وثوب بين الرجلين فلا يبشر به
ولا يطو يانه ولا يبيما نه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع افعاله الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية وليأتينهم
بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين اهل الجنة والنار
وقبل ان يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما اسود بن لانور لهما مكدرين قد وقفا في
الزلزال والبالا يافرا انصهار عد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن تحافة الرحمن تعالى فاذا ثابا حذاه
العرش خراسا جدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا طاعتك وسر عتال المضى في
امر ك أيام الدنيا فلا تمنا بعبادة المشر كين ايانا فقد علمت انان ندعوهما الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك
فيقول الله تعالى صدقتما فى قد قضيت على نفسي ان ابدى وأعيدانى معيد كالى ما بديا ككاهمه فارجمالى
ما خلفتكاهم فيقولان ربنا ما خلفتنا فيقول خلفتكاهم انور عرشى فارجمالى فيهم من كل واحد منهما
برقة تكاد تحطف الابصار انورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدى ويعدى قال عكرمة فتمت مع
النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من مر الشمس والقمر حتى اتيناه فخرناه بنضاب ابن عباس وما
وجدوه من حديثه وما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما لما بين مبدئهما الى ما عادهما فقال كعب
الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدي وابن عباس حدثت عن كتاب حديث
الهمد بارحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فشى الى ابن عباس فقال
بلغني ما كان من وجدك من حديثي وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وانى استغفر الله من ذلك مع انى لم اقله من تلقاء نفسي ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدري ما كان
فيه من تبديل الكفار واليهود وانى حدثت ما حدثت عن كتاب حديث الهمد بارحمن ناسخ للكتب وعن
سيد المرسلين وانى احب ان تحذرتي بما حدثت به احباً بك من حديث الشمس والقمر فاحذ عك الحديث
فاذا حدثت بشئ من امر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كانت هذا الحديث
الذى تحذرتي به ممكن حديثي الاول قال عكرمة قوال الله لقد اعد لعاب ابن عباس الحديث وانى لا استقره في
قلبي بابا باغزاد شياً ولا نقص شياً ولا قدم شياً ولا أخر زادنى ذلك في ابن عباس رغبة لا حديث حفظ والله

وطامت على الرابية كانال

وباديت الصلاة على

الغريب يرحمك الله قال

اليجيد وادا بمجاعة قد

أقبلوا من كل فيج عقيق

كانهم البدور فصلينا عليه

ودفناه وانصرفت متحضر

عليه فلما قضيت حجي

رجعت الى بغداد ثم سألت

عن ذلك الدرب فأرشدت

اليه فلما دخلت الدرب

نظرت فاذا بصبيان يلعبون

في الزقاق فنفض من بينهم

غلام صغير السن حسن

الوجه فصيح اللسان فقال

يا أبا القاسم لك جدت

تخبرني بموت والدي قال

اليجيد فذهبت من كلام

السلام على صغر سنه

ومكاشفته ثم سلم على

واخذني يدى واتى الى باب

دارو طرق الباب فخرجت

لى عجوز عليها سما الخدير

والصلاح فسلمت على وهي

باكية العين حزينة القلب

ثم قالت يا جنيدي ابن مات

ولدى وقرة عيني فله

مات بعرفة فقلت لها لا

فقلت له له مات بمني

فقلت لها لا فقلت له له

مات بالمزدلفة فقلت لها لا

فقلت له له مات بالبادية

تحت شجرة غيلان فقلت

لهامهم قال فصاحت صيحة

عظيمة وقالت يا ولدنا الى

بيته أوصله ولا معنا تركه

ثم شبيت شهقة فارقت

اعلم * (بحسب في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة) *

(الباب الاول في ذكر جوده الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام) قال الحكماء خالق تعالى الخلق ليظهر وجوده ولولم يخلق لما عرف انه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة الحكمة لانما التأتى الا من قادر حكيم رافع قاته بحب عبادة العابدين ويهديهم عليا على قدر فضله لا على قدر أفضالهم وان كان غنيا عن عبادة خائنه لا تزدني ملكه طاعة المايطمين ولا تنقص من ملكه بمعصية ادا صين قال الله تعالى وما خافتك الجن والانس الا ليعبدون وايظهر احد انه لا نه محسن فوجد هم ليس من الهم وليتفضل عليهم فيما مل بعضا بالعدل وبعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة قال عز وجل وكان بالؤمنين رحيم قال تعالى ولا يزالون تحتلفين الا من رحم ربك ولذلك خافهم قال جعفر بن محمد الضحاك بن مزاحم اي للرحمة خلفهم وليجمدوه لانه يجب الحمد (و يروى) ان آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسميم والحسن والقبيح والاشود والأبيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى اني أحب ان أشكر (قال) ابو الحسن القتال خالق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للبرية وخلقك للامعة قال تعالى الله الذي خلقكم ثم زفركم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم زفركم لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار الفهم والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم * عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال وحي الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمك أن يأمن به فقلوا لا محمد ما خالفت آدم ولا الجنة ولا النار ولا قد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكشبت عليه لاله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى انما خلقناكم عبدا وانك الينا لاترجعون وقال علي بن طالب رضي الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فخلق آدم وعاء فيه لم ولا أهمل سدى فيلنوا * وقال الاوزاعي يلقى ان في السماء ملكا ينادي كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا لربهم اذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا ما ذا خلدوا له وجلسوا فنادوا كروا ما ذا عملوا وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاته الهى غيبت عني أجلى وأحصيت على عملى ولا أدري الى اي الدارين منقابي لقد اوقفتني وقفة الحزوين ابداما بقيتي (وقال) ابو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ان آدم بين البولي والبلى والبولى في جسده فهو في البولي فاذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأتى له السرور وهو بين البولي والبلى (وقال) بعض الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك في الدنيا ان ربك حالف لاملان جهنم من الجنة والناس أجمعين وان ابايس حالف فقال فبذلك لا غو ينوم أجمعين الاعبادك منهم الخالصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين ابايس مطروح ساء لاه والله اعلم

*(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصنفته) *

قال المنصورون بالفاظ مختلفة وهما من منفعة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى الارض اني خالق منك خلقا منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاه جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الارض اني أعوذ بعزة الله الذي أرسلاك أن تأخذ مني شيئا يكون فيه غدا للنا نصيب فرجع جبريل عليه السلام الى ربهم ولم يأخذ منها شيئا وقال يا رب استعاذت بك فكروها أن أقدم عليها فامر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله ان يأخذ منها شيئا فرجع الى ربهم ولم يأخذ منها شيئا فبعت الله تعالى ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها

شيأ فقال ملك الموت واني أعوذ بالله أن أعصي له أمراً فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها
 الاعلى ومن سبختها وطينها وأجرها وأسودها وأبيضها وسهلها وحزنها فكذلك كان في ذرية آدم
 الطيب والخبث والصالح والطالح والجيل والبيع ولذلك اختلفت صورهم وألوانهم قال الله تعالى
 ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت الى الله تعالى
 فأمره ان يحملها طينا ويخمرها فوجئها بالماء المر والعذب والملح حتى جاءها طينا وخمرها فلذلك
 اختلفت اخلاقهم ثم امر جبريل عليه السلام ان ياتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها
 ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فيبسط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المفرق بين الكروبيين
 وملائكة الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية
 فوجئت ماء اتسعت ورعرت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست في انهار الجنة كلها فلما خرجت من
 الانهار انظرا الحق سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فغطرت منها مائة الف
 قطرة واربعة وعشرون الف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله
 على نبينا وعليهم من نوره خلة وصلى الله عليه وسلم ثم طيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة
 حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم بعثها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم ركبها اربعين
 سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم ركبها اربعين سنة حتى صارت صلصلا كالجمادى وهو الطين اليابس
 الذي اذا ضرب به يمدك صلصل أي صوت ايمر امره بالصنع والقدرة لا بالطبع والحية فان الطين اليابس
 لا ينفذ ولا يتأني تصوي به ثم جعله جسدا ولفاه على طريق الملائكة التي تهبط الى السماء وتعود منه
 اربعين سنة فذلك قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر الاية قال ابن عباس الانسان آدم
 والحين اربعون سنة كان آدم جسدا لمقى على باب الجنة وفي صحيح الترمذي بالاسناد عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في تفسير اول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل
 والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على الوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلقني من راس آدم وجهته من راس الكعبة وصدرة
 وظهوره من بيت المقدس وغذيه من ارض اليمن وساقيه من ارض مصر وقدميه من ارض الحجاز و يده
 اليمنى من ارض المشرق ويده اليسرى من ارض المغرب ثم خلقني على باب الجنة فكلمني عليه السلام من الملائكة
 عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فرب به ابليس فراء فقال
 لامر ما خلقت ثم ضرب به يده فاذا هو اجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من
 الملائكة هذا خلق اجوف لا يثبت ولا يتناسك ثم قال لهم ارايتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلمون قالوا
 نطيع ربنا فقال ابليس في نفسه والله اني فضل هذا على اعصميه وان فضلت عليه لاهلكته فذلك قوله
 تعالى واعلم ما تدبرون وما كنتم تكتمون يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأمر ابليس من المعصية وقوله
 تعالى الا ابليس و استكبر وكان من الكافرين * وفي الخبر ان جسدا من عليه الصلاة والسلام كان ملقى
 اربعين سنة بمطر عليه مطرا حزنا ثم أمطر عليه الممرور سنة واحدة فذلك كثرت الهودم في اولاده وتصور
 غابته الى الفرح والراحة * وانشدنا في هذا المني أبو عوانة المهرجاني

يقولون ان الدهر بومان كله * فيوم محبتات ويوم مكاره
 وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وايام مكروه كثير البداه
 واشدني ابن الاعرابي فقال

روح الدنارحة لله عيلا
 قال الجنيد فظفر الفلام
 الى السماء وقال الهى
 وسيدى ومولاى لأمع
 أبى اخذتني ولأمع جدني
 خلقتني اللهم بهما الحقني
 ثم شيق شوقه فأت رحمة
 الله تعالى عليهم أجمعين
 * قل الجنيد فاخذت
 في غسلها وتجهيزها
 ودفعها رحمة الله عليها
 للمسلمين (وحكى عن
 السرى السقطي رحمه الله
 تعالى ونعم مآبه) قال كنت
 جالسا ببيت المقدس سنة
 من السنين عند الصخرة
 وكان ذلك في ايام العشر
 وأنا متحضر حزينا على
 التخلف عن الحج في تلك
 السنة وقلت في نفسي ان
 الناس قد توجهوا الى مكة
 ولم يبق الا ايام قلائل وأنا
 ههنا مقسم قال السرى
 فبكيت على فواتي وتخلفي
 عن الحج في تلك السنة
 فسمعت هاتفا يقول
 يا مري لا تبك فان الله
 سبحانه وتعالى يبعث لك
 من يوصلك الى الحج في
 هذه الساعة قال السرى
 ففألت كيف يكون ذلك
 وقد بقي ايام قلائل وأنا
 مقم ببيت المقدس بعيد
 عن مكة فقال الهاتف ثانيا
 لا تخف فان الملك القدوس
 يسهل عليك المسير قال
 السرى فوجدت شكرا

محسن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره ياتيك بالقلبات
وانشدني ابو بكر الصولي لابن المعتز
أي شيء يكون اعجب من ذا * لوتفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تسكال بالافزاع
* (الباب الثالث في صفته بنفخ الروح) *

قال العلماء فلما اراد الله ان ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فيه فقالت الروح مدخل بعيد
الفر مغالم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى ان قال في الرابعة ادخلي كرها
واخرجي كرها فلما أمره الله تعالى بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت
فيه مقدار مائتي عام ثم نزلت في عينيه * والحكمة في ذلك ان الله تعالى اراد ان يري آدم بده خلفه واصله
حتى اذا تابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا الهجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه عطس فحين فراغه
من عطاسة نزلت الروح الى فيه ولسانه فلنفثه الله تعالى ان قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك اول ما جرى
على لسانه فاجابه به عز وجل فقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خذتلك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت
الروح الى صدره وشرا سيفه فاخذ يبالغ في القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عبيداً وقوله
تعالى خالق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتبه الطعام في أول حرص دخل جوف
آدم عليه الصلاة والسلام * وفي بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له به يرحمك ربك يا آدم مديده
ووضعها على رأسه وقال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال اني اذ نبت ذنبا فقال من ابن عامت ذلك فقال
لان الرحمة للمؤمنين فصارت تلك سنة في أولاده اذا اصاب احدهم مصيبة او محنة وضع يده على رأسه
وتأوه ثم انشرفت الروح في جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروفا وعصبا ثم كساه الله تعالى لباسا
من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية في انامه لا يتذكر
به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النمر
ياقي الحوت في البحر فيخبره بما في البر ويخبره الحوت بما في البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء
النمر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلفا ورأيت اليوم شيئا ليزني مني وكري وليخرجك من البحر
فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشقه وصوره وختنه ومنطقه والبالسه
من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثيابه نور كشعاع الشمس ونور نبينا نصل الله عليه وسلم
في جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سريره وحمله على كتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به في سمواتي ليري
عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك رب بناسم عنا وأطعنا فحملته الملائكة على اعناقهم وأطافت
به السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شيء من اياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر
يقال له اليمون له جناحان من الدر والخواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل اخذ بلجامه وميكائيل
عن يمينه واسرافيل عن شماله وطفوا به السموات كلها وهو يقول ناسلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة
ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء في هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس اسماء الملائكة كلهم وقال
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم اسماء ذريته وقال ابن عباس واكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة
والقصعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كقائل الله تعالى فاذا سؤيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين واكثر العلماء على ان الامر بالسجود لا آدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة

لله عز وجل ثم جلست
ارتقب صدق الهاتف
فبينما انا كذلك اذ ابابرة
شبان قد دخلوا من باب
المسجد كان الشمس
تشرق من وجوههم
والنور يلهم من جباههم
يقدمهم شاب عليه هيئة
وجلالة وهم يشعرون خلفه
وعليهم لباس الشعر وفي
ارجلهم نعال الخوص
فدنوا من الصخرة ودعوا
الله عز وجل فامتلا
المسجد من انوارهم نورا
قال السري فتمت اليهم
وقلت لمن هؤلاء يكونون
هم الذين رحمني ربى
ورزقني صحبتهم قال السري
فدخلوا القبة واشاب قائم
يتاجري ربة ثم صلى كل منهم
ركعتين قال فدنوت من
الشاب لاسمع كلامه
ومناجاته فبكى وكبر وصلى
صلاة سلمت فنادى فلما
فرغ من صلاته جلس
وجلس اثلاثة بين يديه
قال السري فدنوت منهم
وسلمت عليهم فقال
الشاب وعليك السلام
يا سري يا صاحب الهاتف
الذي هتف بك اليوم
وبشرك ان لا يفوتك الحج
في هذه السنة قال السري
فكدت ان اصعق وامتلا
قائي فرحاً وسرواً ثم قلت
نعم يا سيدي هتف بي
الهاتف قبل ورودكم

دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم ونحمة لاسجود صلاة وعبادة فلما امرهم بالسجود
سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما سكن الله تعالى آدم الجنة كان يعيش فيها وحشيا لم يكن له من بجانبه وبؤاسه فالتقى الله تعالى
عليه النور فنام فاخذ الله ضلعا من أضراسه من شقه يسرى فقال له انصبري فخلق الله منه حواء من غير أن
آدم بذلك ولا وجود له لما ولأولم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم لبسها من لباس الجنة وزنها
بأنواع الزينة وجلسا عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لا آدم
يتمتعون علمه ما هذا يادم قال امرأه قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها
خلقت من شيء حتى قالوا ولما خلق الله تعالى قال لتسكن إلى واسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان
تقهرت كتمرها وان تركتها انتمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة في أن الرجل يزيدون على مرور الأيام
والاعوام حسنا وجسالا لاهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم حدة وجمالا والنساء يزددن على مرور
الأيام قبحا لانهن خلقن من اللحم والاحم يزداد على مرور الأيام فسادا * وفي بعض الاخبار أن آدم عليه
السلام لما رأى حواء مديده اليه افتالت الملائكة به يا آدم فقال ولم قد خلقها الله تعالى لي فقالت الملائكة
حتى تؤدى مهرها قال ومهرها قالوا ان تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن مجد قالوا
آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت * وروى سمعدين جبرين عبد الله بن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخاق جارية بعث اليها ملكين اصفين ملكين بالدر والياقوت
فيضع احدهما يده على رأسها ويضع الاخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا وربك الله ضيفة خلقت من
ضيفة المتقى عليها ما ان الى يوم القيامة

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه في ذلك)

قال اهل التاريخ لما سكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة اباح لهما نعيم الجنة كلها الا شجرة
واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا)
في هذه الشجرة التي هي شجرة الخنزة ما هي فقال على رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة
العلم وفيها من كل شيء علاقة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقليل هي الخنطة وقيل هي الكرمه
فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فأكلها ما هم بها عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن
لها مصيبة الله تعالى في ذلك حتى اكلامها ان كان وصول عدو الله ابليس اليها وتزبنته ذلك لها على ما ذكره
اصحاب الاخبار ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحواء فمنه الخنزرة من ذلك فأتى الحية
وكانت من احسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها اربعة قوائم كقوائم البهيرو وكانت من خزان الجنة
وكانت لابليس صديقه فسألها ان تدخل الجنة في فيها فادخلته في فيها وموتت به على الخنزرة وهما لا يملكون
فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعم والكرامة فقال طيب لو كان
خدا فاقنعت ذلك الشيطان منه فانه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال
يا رب لاه أنا عبد الله منذ كذا وكذا الف سنة ولم يدخلي الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الى الآن فادخله
الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتميد ثمانية سنة هنالك حتى
اشتهر بالعبادة وعرفوه به وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فشكك على

كنا قبل ان يمتد بك
الهايف في بلاد خراسان
قاصدين بغداد فقضينا
حوامينا وعزمتنا على
التوجه الى بيت الله الحرام
فاحببنا زيارة قبر رسول
الانبياء بالشام ثم بعد ذلك
نقصد مكة ثم عرفنا الله تعالى
وعظمها وقد قضينا
حقوقهم وزيارتهم واتينا
الى هنا زور بيت المقدس
قال السري فقلت له
يا سيدي وما كنت تصنع
بخراسان قل لاجل
الاجتماع ببراهيم بن آدم
وبمروفي السرخي
اخوانا خرجنا جميعا
نقصد مكة فجيئت الى
بيت المقدس وذهبا ههنا من
طريق البادية الى مكة قال
السري فقلت يرحمك الله
ان من خراسان الى بيت
المقدس مسيرة سنة فقال
بصري لو كانت الطريق
ألف سنة العبيد عبده
والارض ارضه والزبارة
لبنته والقصد اليه والبالغ
عليه والقوة والقدة له أما
ترى الشمس كيف تسير
من المشرق الى المغرب في
يوم واحد وفي تسير بقوتها
أم بقوة القادر وادارته فاذا
كانت الشمس وهي جاد
لاحساب عليها ولا عقاب
نقطس من المشرق الى
المغرب في يوم واحد فليس

بعباده ان يبلغ عظمة من
عباده من خراسان الى
بيت المقدس في ساعة
واحدة فان الله تعالى له
القدرة وخرق العوائد ان
يحب ويختار ثم قال يا يسرى
عليك من الدنيا والاخرة
واياك ان تصل الى ذل
الدنيا والاخرة فمات له
يا يسرى ارشدني الى عز
الدنيا والاخرة رحمك الله
تعالى فقال من اراد غي بلا
مال وعلم بلا تلم وعز بلا
عشيرة فلا يخرج حب الدنيا
من قلبه ولا يركن اليها ولا
يطعن قلبه حبها قال
العري ففقت له يا يسرى
بالذي خصصك بانواره
واطاعك على أسرارها ان
تقصد قال الحج الى بيت
الله الحرام وزيارة قبر النبي
عليه افضل الصلاة
والسلام ففقت له والله
لا افارقكم فان فراقكم على
أشد من فراق الروح
للجسد فقال بسم الله وخروج
يخرجت معهم من بيت
المقدس فلم ينزل نبي حتى
قال يا يسرى هذا وقت
الظهور فما تصلي ففقت بلى
وعزمت على التيمم بالتراب
فقال ان ههنا عين ماء
عذب فذلك بنا عن
الطريق فاذا بين ماء احلى
من الشهد فتوضأت
وشربت ثم قلت له والله
يا يسرى لقد مملكت هذا

باب الجنة ثلثمائة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فينبأ هو كذلك اذ خرج اليه الطائوس وكان
سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال لها يا الخلق الكريم من انت وما علمك فما رأيت من خلق
الله أحسن منك قال انا طائر من طيور الجنة اسمي طائوس فيكي ابليس فقال له الطائوس من انت وم
بكوك فقال له ابليس انا ملك من الملائكة الكرويين وانا بكيت ناسا على ما يفوتك من حسنك وكما
خلفتك فقال له الطائوس ايفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تقضي وتبيد وكل الخلائق يبدلون الا من تناول من
شجرة الخلد فانهم يخلدون من تلك الخلائق فقال الطائوس وابن تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال
الطائوس ومن بدا بإمكانها قال ابليس انا أدلك عليها ان ادخلتني الجنة قال الطائوس كيف لي باذلالك الجنة
ولاسيما لي الى ذلك لما كان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سأدلك
على خلق من خلق الله تعالى يدخلكم افانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو ودون غيره فانه خادم خليفة لله تعالى
آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها فان افيها سمادة لا بد لهما ان قدر على ذلك فإله الطائوس الى
الحية واخرجها بمكان ابليس وما سمع منه وقال اني رأيت بباب الجنة ملكا من الكرويين من صفته كيت
وكيت فهل لك ان تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحو
من مقاتله للطائوس فالتفت كيف لي باذلالك الجنة ورضوان اذراك لم يمكنك من دخولها فقال لها انحول
ريحا فنجعل بيني وبينك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ربحا ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل
ابليس الجنة أراه الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواه عليهما السلام
وهما لا يعلمان انه ابليس فراح عليهما نباحا حزنتهما فيكي وكان أول من نباح فقال له ما يكيك فقال ابكي عايكما
تموتان ففارقان ما انتا فيه من النعم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهم واتفقا لذلك وبكى ابليس ودعى ثم ان
ابليس أتاهما بعد ذلك وقداثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قل
كل من هذه الشجرة شجرة الجنة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس مانها كبر بكنا عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأنى ان يقبل منا فاقسم لهما بانته انه لهما من الناصحين فاعتزا بذلك وما كانا
بظنان ان أحدنا يخاف بالله كاذبا فبادرت حواء الى كل الشجرة ثم زنت لا آدم حتى أكلها (روي) يمدن
اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبا يعقوب سمعت
جدي يقول سمعت سميد بن المسيب يحلف بالله ولا يستغي آدم ما كل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء
سقتها الخمر حتى اذا سكر قادت اليها فاكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر جمع الخبائث وأم
الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لا آدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة ولا تأكل منها ولم
يستغنيا في قولهما بعبادة الله تعالى فوكهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهى عنه * وقال سمعت
الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الأشعث يقول سمعت ابراهيم بن ادهم
يقول لقد اورثتنا تلك الالة حزنا طويلا (وقال) الشبلي اول الدين دردي هذا ابونا آدم باع به بكف
من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) مما تبهت اياها
على ذلك بقوله ألم تنكب عن تلك الشجرة وأقل لك ان الشيطان لك عدو مبين (والثانية)
الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سواتهما وتماهت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فجح
آدم وصار هاربا في الجنة فتناخت شجرة العناب فاخذت بناصرته واداه ربه اغرا مني يا آدم قال بلى
يارب ولكن حياه منك ولذلك قيل كفى بالقصر حياه يوم القيامة * ويروي ان آدم لما بدت نسواته

وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطى بها عورته فزجرته الشجرة الجنة حتى رحمته شجرة
 التي فاعطته ورقة فغطى بها عورته وحواء يخصفان عليه - هامن ورق الجنة فكفا الله التين بان سوى ظاهره
 وباطنه في الخلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمنتين في كل عام (والثالثة) أو هن جلده وصبره مظلما بعد ان كان
 جلده كله كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنه لا يندكر بذاك اول حاله (والرابعة) أخرجه من
 جواره ونودى انه لا ينبغي ان يجاورني من عصافي فذلك قوله تعالى اهبطوا بهضكم لبعض عدو ولكم في
 الارض مستقر الآية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فبط آدم بسر تذب من أرض الهند وقيل
 على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بمجدة بدم من أرض الجحاز وابليس بالابله من
 أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية باصبعها والطاوس بارض بابل * ويقال ان الحكمة في
 اخراج آدم من الجنة انه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا اخرجهم من صلبه
 أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى اخرج آدم من الجنة قبل ان يدخله فيها وذلك قوله تعالى اني
 جاعل في الارض خليفة ولم يقل في الجنة * أخرني نازل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن علية قال
 سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلح من نسل الجنة - بابا بليس بالخطيئة الى الارض فلا
 ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادمننا في دار السياء حتى نرد الى الدار التي سببنا منها
 وقال الشاعر

يا ناظرا يرونوا به - ينفي راقدا * ومشاهد الالام غير مشاهد
 منك نفسك وصلة فاجتهد * سبل الرجا وهن غير قواصد
 تصل الذنوب الى الذنوب وترجي * درج الجنان بها وفوز المايد
 ونسيت ان الله أخرج آدم * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) المفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذا بمجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه
 حتى قرب احدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتبعهما جميع فسمى جمعا وتعارفا بمفرقة في يوم عرفة
 فسمى للموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التي بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضهم
 لبعض عدو قال انسان عدو الحية يشدح رأسها حيث يراها والطاوس عدو الحية عدوته تلدغها اذا
 امكنتها وابليس عدوهم جميعا وفيه اشارة الى ان الاحباب اذا اجتمعوا وتماوتوا على معصية أعقبت معصيتهم
 عداوة كما قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان
 فقال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى * وروي ان ابراهيم عليه السلام تقكر ذات ليلة من الليالي في أمر
 آدم فقال يارب خلقت آدم بيدك وتقيخت فيه من روحك وأسجدت له لانه لا تكنتك وأسكنته جنتك بلا عمل
 ثم بزلته واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فادعى الله تعالى اليه بالابراهيم فأعلمت
 أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وابتلاء بهواء الدنيا بمقاساة
 البرد والحرق فيها ولكن له بها عهدك ودواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمس ولا ظهرا قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سحر - جل حرقها ولاق (العاشرة) التعم والشقاء وذلك قوله تعالى ان
 هذا عدو لك ولزوجه فلا تخرجنكم من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التوب والنصب

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الخيض يروى انها
 لما توارت الشجرة قديم الشجرة قال الله تعالى ان لك على ان آدميك انت وبناتك في كل شهر مرة كما آدميت

ولم يكن هناء فتيهم وقال
 الحمد لله على لطفه بعباده
 قال السري فصلينا صلاة
 الظهور وسرنا الى قريب
 المصر فبانت لنا اعلام
 الجحاز ولاحت لنا
 حيطان مكة فملت هذه
 ارض الجحاز فقال
 وصلت الى مكة فاخذني
 البكاء ثم قال يا سري تدخل
 معنا فقلت نعم فدخلنا من
 باب الندوة فראيت رجلا من
 احدهما اكل والاخر شارب
 فلما نظرا تبسما وقاما
 فما نقاه وقال الحمد لله على
 السلامة فقلت له يا سري
 من هؤلاء فقال أما اكل
 فابراهيم بن أدهم وأما
 الشارب فهو الكوخى
 قال السري فسلمت
 عليهما ثم جلسنا الى ان
 صلينا صلاة العصر والمغرب
 والمشا بالحرم فقام كل
 منهم الى صلاته وقمت
 معهم بحسب طاقتي فغلاني
 النوم في المسجد ففنت فلما
 انتبهت لم أجدهم احدا
 فصرت كالمنون الهائم
 وطلعت عليهم في المسجد
 للحرام في مكة وفي فلم
 أجدهم احدا فرجعت
 باكيا حزينا على التخلف
 عنهم رضي الله عنهم اجمعين
 وحكى عن عثمان الجرجاني
 رضي الله عنه قال
 خرجت يوما من الكوفة

الطريق امرأة عجوز عليها
جبة من صوف وخمار من
مشروعي تشي وتقول الهى
ما ابد الطريق على من لم
تكن له دليلا وما أوحش
الطريق على من لم تكن له
أُنيسا قل عَمان قد نوت
منها وسلمت عليها فرددت
على السلام وقالت من انت
يرحمك الله فقلت لها عَمان
الجرجاني فقالت حياك
الله يا عَمان اين تريد فقلت
اريد البصرة لحاجة فقالت
يا عَمان هلا علمت صاحب
الحاجة بوجهها اليك ولا
يتعبك فقلت ليس ببني
وبينه تلك المعرفة فقالت
وما الذى قطعك عن
معرفة قلت كثرة الذنوب
فقالت والله ببس ما صنعت
أما والله لو وصلت حبلك
بجمله لم تسكت منه بأقوى
سبب وقضى حوائجك
من غير تب قال عَمان فلما
سمعت قولها بكيت وقالت
لهذا يريدك الدعاء فقالت
عانك الله على طاعته
وجنبك معصيته قال فلما
عزمت على الانصراف
اخرجت من جيبى
دراهم كانت معي
فقسمتها ببني وبينها وقلت
خذي هذه النفقة لتسعينى
بها على حالك فقالت يا عَمان
من أين لك هذه الدراهم
فقلت لها انى رجل اصرده

هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبيص ان هذا شيء كذبته الله تعالى على بنات آدم (الثانية)
نفل الحل (الثالثة) الطاق وألم الوضع قال الله تعالى حملة أمه كرها ووضعته كرها وحرقوا في الحبل ولا الزلة التي أصابت
حواء كان النساء لم يحضن ولكن حملات وكر يحملن سرا ويضهن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة)
نقصان عقلا عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات
عقل ودين أذهب للرجل الخازم من احدا كن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال ليس
شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلا وليس اذا حاضت المرأة لم تصل ولم يصم قلن بلى
قال فذلك نقصان دينها (السادسة) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ
الأنثيين (السابعة) تخصيهم بالعدة (الثامنة) جملهن تحت أيدي الرجال كيقال تعالى الرجال قوامون
على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا
يمكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن المهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي (الثانية عشر) ليس
منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشر) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشر) لا تعقد بهن
الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن * وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء * اولها عزله من الولاية
وكان له ملك الارض ومالك مياه الدنيا وكان خازن الجنة * الثانية أخرجه من جواره واهبطه الى الارض
* الثالثة مسح الله صورته فيه شيطانا بعدما كان ملكا * الرابعة غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه ابليس
لانه ابليس من رحمة الله تعالى * الخامسة جعله امام الاشقياء * السادسة لعنه الله * السابعة نزع منه
المعرفة * الثامنة أغلق عنه باب التوبة * التاسعة جعله مریدا أى خاليا من الخير والرحمة * العاشرة جعله
خطيب أهل النار * وعاقب الحية بحمسه أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بدمان كانت
أحسن للذئاب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعل اعدوة بني آدم وهم اعداؤها حايثا
يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألنا من مذبح حار بناه من ترك شيئا منهن خيفة منه فليس مني يعني
الحيات اخبرنا ابن (١) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال اخبرنا داود عن محمد بن ابي الاعين البمدي عن ابي
الاحوص الحنسي قال بينا ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية عشتى على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها
بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد
حل دمه

(*) الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه *

قال ابن عباس رضي الله عنهما لما هبط آدم الى الارض على جبل سردنبد وذر كان ذروته أقرب من
ذرى جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة
وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهاجته الملائكة واشتكت الى ربها فغطت قامته الى ستين ذراعا
وكان قبل ذلك يمس رأسه المسحوب فضلع وأخذ اولاده الصلح فلما نقصت قامته ذلك قال رب كنت
جارك في دار ليس لي رب سواك ولا قريب دونك اكل فيها رغدا وأسلك حيث احببت فاهبطني
الى هذا الجبل وكنت اسمع اصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعشك واجد ريح الجنة رطيبها
ثم اهبطني الى الارض وحططني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني راحة الجنة
فاجابه الله تعالى بمصيبك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما هبط الله آدم

من الجنة واستقر جالساً على الارض عطس عطسة فقال الله وما فعلك ارى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دماً هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالجمجم ففزع آدم من ذلك فزعا شديداً فذكر الجنة وما كان من الراحة ففزع فغشا عليه وبكى اربعين عاماً فبعت الله اليه ملكاً ففسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والنسي فاستراح كما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب ان آدم عليه الصلاة والسلام لما ابط الى الارض مكث ثمانية سنين لم يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتها من نعيم الجنة ثمانين سنة ولم يشربا اربعين سنة ولم يقرب آدم وحواء ما تسنة فلما اراد الله تعالى ان يرحم عبده آدم ففكده كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى فلتقي آدم من ربكلمات فتاب عليه الآية واختلاف في تلك الكلمات ما هي فقال ابن عباس هي ان آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلفني بذلك قال بلى قال ألم تنفخ في منى روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجني منها قال لمؤم مصيبتك قال اي رب ارايت ان انا نبئت واصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب ارايت ما تبته شيئاً بتدعته من تلقاء نفسي اوشى قدرته على ان تخلفني بذلك قال لا بل شئ قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يارب فكما قدرته على فاغفر لي * وقال مجاهد بن كعب القرظي هي قول لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فنب على انك انت التواب الرحيم لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لاله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين * وقال سعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية ثم انزل الله تعالى يا قوم انتم من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيهما اقتاديل من نور ثم اوحى الله تعالى الى آدم ان الى حرماً بحيال عرشي فانه فظف به كما يظاف حول عرشي وصل عنده كما يصلي عند عرشي فهناك استجب دعائك فانطلق آدم من ارض الهند الى ارض مكك بدار البيت وقبض الله ملكاً يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه محرماً وما تعدهما وز وقراراً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبتة وقصده من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفه فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم عن قال ائمني المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى ارض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس ان آدم حج من ارض الهند اربعين حجة على رجله فقيل لجاهداً يا أبا الحجاج الا كان يركب قال وادى شئ كان يحمله فولد ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها نلتها الملائكة يوم توبته بالحج وقبول التوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك شئ فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام فتناصرت الى آدم نفسه (وقال ابو الواليه خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجرة الجنة على رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض ببس ذلك الاكليل ونحات الورقة فنبت منه أنواع الطيب فذلك كان اصل كل طيب بالهند وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في اوديتها وكان اصله من الجنة فامتلا ما هنالك طيباً فمن ثبات بالطيب من الهند واصاله من ربيع آدم عليه السلام وربيحه من ربيع الجنة وانزل الله معه الحجر الاسود وكان اشد ابيضاً من الخبيز وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن ممر عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى

على رأسه حطاباً واحمله على رأسه وانيمة في اوراق المسامير وانيمة فمعه قالت نعم الكسب الجليل احبل ما نال الرء من كسب يمينه ولكن يا عثمان لو صححت محاسبة ذي الجلال وانكبت عليه حق الاتكال لكنتك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت يا عثمان اريد ان اريك كيف صححت معادتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فملت بلى فبسطت يديها وهممت بشقتها فاذا بداها فاعلموا ان دنائهم ففالت خذ هذه دانت يا عثمان فوالله ما طيع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو احببت مولاك لا غلاك عن الخلق وكنتاك ثم غابت عني فلم اراها فنعنا الله تعالى بها آمين (وحديثي عن بعض انصار الحين رضي الله تعالى عنه انه قال) كنت ملاحاً بنيل مصر اعدى من الجانب الشرقي الي الجانب الغربي فبينما انا يوم من الايام جالس في الزورق اذا تابشخ ذي وجه مشرق قد اقبل على وسلم على وقال تحملي الله فالت نعم ثم قال يا ايها تطمئني لله فالت نعم فطلع الزورق فسدنيته الى

مرقمة ويده عصا وركوة
فلما نزل قال اريد ان احملك
امانه قلت وما هي فقال
اذا كان في عندك الظاهر
تجدني ميتا تحت تلك
الشجرة ففساني وكفني في
الكفن الذي تجده تحت
رأسي وصل على وادفني
تحت تلك الشجرة فان
قبري بهي فاذا فرغت من
امري خذ هذه المرقمة
والركوة والمصا فاذا جاءك
من يطلمهم فادفهم اليه قال
فتعجبته منه ثم تركني
ومضى فبنت تلك اللبلة
متفكرات فلما اصبحت
انتظرت الوقت الذي قال
عليه الشيخ فلما جاء وقت
الظهور نسيت فما المهت
الاقرب المصير فسرت
اليه مسرعا فوجدته تحت
الشجرة ميتا ووجدت
كفنا تحت راسه فتفوح منه
رائحة المسك قال ففسلته
وكفنته فيه وصليت عليه
وحفرت تحت الشجرة
فوجدت قبرا مبنيا مرصا
فدفنته فيه ثم عدت الي
موضعي ليلا والمرقمة
والركوة والمصا معي فلما
طلع الفجر وبان الجو اذا
انا بشاب قد اقبل
فحدثت النظر اليه فرففته
وكان من بعض صبيان
الملاهي رقص وبني
وعليه ثياب رقاق وهو

الله عليه وسلم يقول لما هبط آدم من الجنة الى ارض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة
فبمس وتطير بارض الهند فبق شجر العمود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا
يا رسول الله المسك هو من الدواب ام من الشجر قال اجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر
فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جملة الله مسكوا وتساقط فينتفع به الادميون قالوا يا رسول
الله تاني يقع قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الارض الا فيها ارض الهند وارض
السعدى وارض التبت قالوا يا رسول الله العنبر انما هي دابة في البحر قال اجل كانت هذه الدابة بارض
الهند ترمي في البر فيمت الله اليها جبريل عليه السلام فساقتها وامامها فدفنها في البحر وهي اعظم ما تكون
من الدواب غلظها الف ذراع وانما ترمي به كما ترمي البقر اخشاها فربما يخرج من جوفها العنبر الف رطل
وخمسة مائة رطل ونحو ذلك ثم ادم وجد ضرر بان في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه
جبريل بشجرة تسمى يتون فامر ان ياخذ ثمرها ويصيره فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا اسام
ودله جبريل عليه السلام على شجرة الا هلياج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان بك بقرتك السلام
ويقول لك كل من هذه فانك لن تداءي انت يذرت بك دواء افضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي
في جوفك لم تخف منه وان خرج اخرج الماء كله وابراه فاكه ادم فبري (قال) اهل الاخبار ان ادم عليه
السلام لما هبط الى الارض واصاب جسده اذي الهواء واحس به اشتكى وحشة يجسده وكان قد
اعتمد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العري فانزل الله عليه ثمانية اذواج المذكورة
في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم امر ان يذبح
كبشاً منها فذبحه ثم اخذ صوفه فغزلته حواء وسجد ادم فجعل منه حبة لنفسه وجعل لحواء ذراعاً وخاراً
فلبسها وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فشاء اول من غزلت وادم اول من نسج ولبس الصوف
(عن) ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال انارجل حائك قال حرفتك
حرفة ابنت ادم عليه السلام وكان اول من نسج ادم وكان جبريل يعلمه وادم يهديه ثلاثة ايام وان الله
عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منك القبيح قابونا ادم
خصمه ومن أنف منك فقد أنف من ادم ومن لم ينك فقد لعن ادم ومن اذا كنك فقد اذي ادم وهو
خصمه يوم القيامة فلا تخافوا وأبشروا فان حرفتك حرفة مباركة ويكون ادم قائداً الى الجنة
(وعن) أبي امامه الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجسدون قلة
الاكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكير
والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثرت فكره قل طعمه وكل
من قل تفكره كثرت طعمه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب
من النار قالوا ثم ان ادم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال له جبريل ما الذي اصابك
فقال اجد في نفسي قلقا واضطرابا لا اجد الى العبادة منه سبيلا ولا في الجسد من الحى وجلدى يديسا
كدبيب النمل فقال له جبريل في ذلك يسمى الجوع قل وكيف الخلاص من ذلك قال سوف اهديك
الى ذلك فقاب عنه ثم جاء بثورين احمرين والبلاء يعني السندان والمطرقة والمنفخة والكبتين
ثم جاء بشر من جهنم فوقع في يد ادم فطار منه شرارة فوقت في البحر فدخل جبريل اليها واتى بها
فدفنها الى ادم فطارت منه ايضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان

فأكرم هذه جزء من سبعة من نار جهنم بعد أن غسلت بماء سبع مرات فلما جاء بها في المائدة نظمت النار فقال يا آدم اني اطايعك واني منتقمه من عصاة اولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انما ان تطيعك وليكني اسجنها لك ولا ولدك ليكون لك ولا ولدك فيها المنافع فسجنها في الحجر والحد يد ذلك قوله تعالى أفرأيت النار التي توروون أنهم الآتية ويروي أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق بك قال لا ذلك عصيت الله باني لم أعصه ثم أمره جبريل بالتحاذا لآلة الحرث فهو أول من عمل الحد بتم أناه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم ومئتان ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا في الدنيا وبها تنفني الفتنة أنت وأولادك الي ان تقوم الساعة ثم أمره ان يشد الثور بين ويكمر من الخشب ويضعه عليهم ففعل ذلك وجعل يحرق الأرض عليهم فهو أول من حرث الأرض وبكى الثور ان على ما قام به من راحات الجنة فقطرت دموعها على الأرض فنبت منها الجوارس وبلا فتبت منه الحنطة وراى ما فبت منه العنبر ثم كسر جبريل بين تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من سماء فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سئل وأفرك قال آكله قال لا يرعاه الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا يرعاه التنقية فلما نفاه قال آكله قال لا يواجهه الحجر بن وعلمه الطحن فلما طحن قال آكله قال لا يرعاه العجين ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لم تخل دقيقة فأمره جبريل ان يبيت النخالة في الأرض المستحصدة فنبت فيها ناسمير فلما عجز قال آكله قال لا فأمره ان يحفر حفرة يضع الحطب فيها ويوقع عليها نار فيقول ذلك ثم وضع عجينه عليه فجحز حتى جله خبز فجعلوا يأكل من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد آكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال هذا وعد الله الذي وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا وعدك ولزوجهك فلا يخرج جنسكما من الجنة فتشقي أما أن لك ان تأكل من كدينيك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام تشكا من طبعه ولم يدرك ما هو فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه وهو المعول وقال له احفر الأرض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبة ففتح الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبر من النايح وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه ثمرة فشر بها فاطمأن ثم انه بذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أبجده قال لا أدري فبعث الله اليه ملكا ففتق قلبه وديره ولم يكن قبل ذلك للطعام مخزج فلما خرج منه ما آذاه ووجد ريمه بكى على ذلك سبعة من سنة (قالوا) لما أنزل الله على آدم الحد ينظر الى قضيب من حديد ثابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر اشجارا فاقعدت وتبعه ما تفرق على ذلك الحد يد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مديدة فكان يهدل بها ثم ضرب الثور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي قال بالمداب بالهند (قالوا) لما هبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه معه من الجنة قطعة من ذهب فلذلك بقي الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الأرض ولا ناكله النار لانه من الجنة حمل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الأرض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها في الثمر وعشرة لها نوى وعشرة لا عشورها ولا نوى فاما التي هي في الثمر فالفواكه والوزر والفستق والبنديق والخشخاش والبلوط والشاه والبلوط والذرايح والمان والموز والماني لها نوى فالنوى والشمش والاجاص والعناب والقرسك والرطب والغيراء والتين والزعور والمفل واما التي لا قشر لها ولا نوى فالنفاح والسفرجل والكثير والعنب والتوت والتمين والارج

حزاب فاحتجت بناء
حائط سقطت منها
فخرجت الى موقف
البنائين لانظر رجلا لبناء
الحائط فنظرت الى شاب
نحيف ذي وجه نظيف
فجئت اليه ووقفت بين
يديه ثم قلت له يا حبيبي
انني اريد الخدمة فقال نعم
فقلت سر على بركة الله
تعالى فقال شرط اشترط
عليك فقلت وما هو قال
الاجرة درهم ورائي فقلت
نعم قال وان اذن المؤذن
تدعني اصلي مع الجماعة
فقلت نعم فسار معي الى
منزلي فخدم خدمة لمار
مثلا ولا احسن منها
فذكرت له الفداء فقال لا
فمرفت انه صائم فلما جاء
وقت صلاة الظهر وسمع
الاذان قال اشترط
يا سيدي فقلت نعم فجل
حزامه وتوضأ وضوأ
مارأيت احسن منه ثم
خرج الى الصلاة
مع الجماعة في السجدة
ثم عاد الى خدمته الى ان
سمع اذان العصر فقال
الشرط يا سيدي فقلت
له نعم فخرج وصلى العصر
مع الجماعة وعاد الى خدمته
فأقبت اليه وقلت له حبيبي
انني اريد الخدمة فقال نعم
العصر فما استريح فقال
سبحان الله انما كانت
خدمتي الى الليل قال فلما

والخروب والخيال والبطيخ (وقال) ابن جريج اهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آية فيها برزعر يشة
من عنب وريحان ففهرس آدم العريش فلما طعمت جاء باليس فدمرق ثم رها فقال له آدم وبلك اخرجني من
الجنة ولا تريد ان تحمل لي رزقا فقال له ان لي فيها حنائقا ولما حنقت قال تشوهاوا لكم سائرهما (وقال) ابن عباس
هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسفة وهي سيدة وياحين الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام اهل الدنيا
وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاها وانها راي اول البكرة وعليكم بالخمر البرني فكوه فانه يسبح في
شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما هبط آدم الى الارض كان اول شيء اكله من الثمار التي وقال
كعب بن اريقب ان ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لا تصح الماشية الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما هبط
الى الارض ورأى سميتا ولم يرفها احد غيره فقال رب املأ الارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك
ويقدسك غيري قال الله تعالى سأجعل فيهما من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدسني وسأجعل فيهما
بيو تارفع بذكري ويسبح فيها خلتي وبذكر فيهما السمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدي حق عبادتي
وسأجعل من تلك البيوت بيتا خصه بكراتي وأثره باسمي فاسميه بيتي وأطلقه بعظامي وعابه وضعت
جلالي وأجعل ذلك البيت حراما يحرم بعرته ماحوله وافوقه وما تحته فن حرمه بحرمة الله وجوب كرامتي
بذلك ومن أخاف اهله فقد خفر ذمعي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل
هذا البيت أول بيت وضع للناس يبين مكة مباركا يتوفى فيه شهيدا غيرا وعلى كل ضامري اني من كل فجع عميق
يرجون بالآية رجيحنا وبضجون باليكاء ضجيجنا ويرجون بالكبير عجيجه ان اعتمره لا ير يدعره فقد
وفدالي وزارني واستضافني فحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وان يسعف كل حاجته يا آدم تعمره
مادمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والالبياء من ولدك امة بدماء وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر
آدم بيده واخرج منه كل نسيمة هو خلقها الى يوم القيامة كالذر بنعمان عرف قرة برة بمكة ثم أخذ عليهم
الميثاق وكلهم وقال الست بر بكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وسئل عمر بن
الخطاب رضي الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح
ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء الجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج
ذرية وقال خلقت هؤلاء النار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال ان الله
تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة فدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل
النار حتى يموت على ذلك فهو من اهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله اوحى الله الى آدم بعد
ما تاب عليه يا آدم اني اجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة على واحدة لك واحدة بين وبينك
واحدة فيما بينك وبين الناس فاما التي في قفصك فلاتشرك بي شيئا واما التي لك فاجز بك بعملك
أحوج ما تكون اليه واما التي بيني وبينك فذلك الدعاء وفي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فأن
ترض لهم ما ترضي لنفسك فقال آدم بارب شملت بطالب العيشة والرزق عن التسبيح والعبادة واست
اعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ريكا فأسمعه اصوات الملائكة بالتسبيح
فهو اول داعن اتخذ آدم من الخلق فكان ذلك اذا سمع التسبيح في السماء يسبح في الارض
فيسبح آدم بتسبيحه (و يروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم لما اراد ان يهبط الى الارض يا آدم اني
منزلك انت وذريتك وارمينة على أربع قواعد الاولى فاني انقطع ما تصلون واما نية فاني افرق ما تجمعون
واما الثالثة فاني اخرب ما تبنيون والرابعة اमित ما تدون ولذلك قيل

جاء الابليل أخرجت له
 درهمين فلما رأهما قال
 ما هذا قالت والله ياسيدي
 ههنا من بعض أجرة ترك
 لاجتهادك في خدمتك
 فرامها الى وقال والله
 لا أزد على ما بيني وبينك
 شيئاً فرغبته فلم أقدر عليه
 فاختد الدرهم والداني
 وتوجه فلما كان الله أبيت
 الى الموقف فلم أجده
 فسألت عنه فقيل لي انه لم
 يات هنا الا من السبب الى
 السبب فلما جاء السبب
 جئت اليه فوجدته فلما
 رأيته تبسم فقلت له يا
 الله على الشرط الذي تعلمه
 فقال نعم وسار معي فخدم
 يومه كما أقدم وزاد على ذلك
 فدفعت اليه الاجرة
 فآخذها وسار فلما كان
 السبب الثالث أبيت
 الموقف فلم أجده فسألت
 عنه فقيل لي انه ضعيف في
 خيمة فلانة وكانت امرأة
 عجوزها خيمة في الجبانة
 وكانت مشهورة بالصلاح
 والعبادة قال فمرت اليها
 فوجدت الشاب بها وهو
 مضطجع على الارض
 وليس تحته شيء وتحته
 رأسه لبنة ووجهه يتها
 نوراً قال فسلمت عليه فرد
 علي السلام فقدت عند
 رأسه ابكي على صغر سنه
 وغرته ثم قلت له حبيبي
 لك من حاجة فقال نعم

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكوا يصيروني الى ذهاب

(* الباب السابع في ذكر هبوط ابليس من الجنة الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة *)

قال الله تعالى قال اهبطوا بعضكم لبعض عدوا الآية (قال الشعبي) انزل ابليس من السماء عليه عمامة ليس تحت
 ذقنه منها شيء اعور في إحدى رجليه نعل (وروي) ابن المبارك عن خالد بن حميد بن هلال عما كره ان ي
 خصر في الصلاة لان ابليس هبط متخصراً (وروي) حماد بن ثابت وحميد بن عبد الله بن عبيد بن عمير ان
 ابليس قال يارب اخرجني من الجنة من أجل ادم وان لا استطيعه الا بسطاطك قال فأتاك مساط عليه
 قال يارب زدني قال لا يولد له ولد الا ولدك مثله قال يارب زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم
 مجرى الدم قال يارب زدني قال اجلب عليهم بحيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدم وما يعدم
 الشيطان الا غرورا قال ادم يارب قد ساططت علي وان لا اتمتع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكنت به من
 يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنه بعشر امثالها وازيدها والسئنة بمثلها واحدة واحبوها
 قال يارب زدني قال لا يعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنوا من رحمة الله الآية قال يارب زدني قال
 التوبة لا تنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدني قال اغمر ولا ابالي قال حسي (وروي) ان
 ابليس قال يارب لعنتني واخرجتني من الجنة وجمعتني شيطانا رجلاً مذموماً مدحوراً وبشت في بني ادم
 الرسل وزلت عليهم الكتب فاسر لي قال الكهنة قال فما كتبتي قال الوشم قال فاحدثي قال حدثك
 الكذب قال فما قرأت قال قراءتك الشعر قال فما مؤذني قال مؤذنتك المزامير قال فما مسجدك قال مسجدك
 السوق قال فما بيتك قال بيتك الحرام قال فما طامعي قال طامعك بالمذموم كراسمي عليه قال فما شرابك
 كل مسكر قال فما مصاردي قال مصاربك النساء (وروي) مقاتل وجوير عن الضحك عن ابن عباس ان
 ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقه والغلمة فنكح نفسه فباض اربع بيضات فنهأ ذرته (وروي)
 اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغني ان ابليس تزوج الحية التي دخل في فيها حين كادهم عليه السلام
 بعد ما اخرج من الجنة فنهأ ذرته

(* الباب الثامن في ذكر ما روي من الاخبار فيه من تراءى له ابليس فراه عيا ماركه شفاهاً *)

يروى ان ادم التقى بابليس في ارض فلاة فلامه على صنيعه وقال يا ملعون اى شيء هذا الذي احدثت بي
 غررتني واخرجتني من الجنة وفلمتني ما فلمت قال فبكى ابليس وقال يا ادم انى فلمت بك ما تقول وانزلت
 هذه المنزلة فمن فعل بي ما انا فيه واحلني هذه المنزلة (وروي) ان ابليس تصور لفسرعون في
 صورة الانس يصصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفني فقال لا قال فكيف وان
 خانتني الست الغائل انا ربكم الاعلى (وروي) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال اى
 الاعمال احب اليك وابض الى الله تعالى فقال لا منزلة عند الله تعالى ما اخبرتك انى لست اعلم شيئاً
 احب الى وابض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (وروي) عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال ما من آدمى الا وقد عمل خطيئة ارفعها الا يحيى بن زكريا فاقانه ما عمل خطيئة ولا همها
 ولقد قال رب انى ابليس كما هو اعز مني عليه ان لا يكتمني شيئاً سأله عنه فاحسب الله تعالى الى ابليس
 ان انت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمني شيئاً يسألك عنه فتاه وقال يا يحيى انا
 ابليس امرني ربى ان اتيك كما هبطت الى الارض فظن اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وجقوا
 محفوراً باكوار كورهننا وكورهننا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك
 قال بها اخطف عقول بني ادم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال احركم البنى ادم حتى ينفى

فأكان في غدا تأتي ههنا
عند الضحى تجدي ميتا
ففسلني وكفني في هذه
الحمية وأخفر قبري بها ولا
أعلم بذلك احدا وافق
جيب هذه الحمية وأخرج
ما فيها وأمسكه عندك فإذا
دفنتي وفرغت من امرى
فصل الى هرون الرشيد
وادفع له ما تحبده في
الجيب وأقره في السلام
قال فلما كان الغد وصلت
الى تلك الحمية فوجدته
قد مات رحمة الله تعالى
عليه قال فتأسست
عليه أسفا شديدا
ثم أخذت في غسله
وتجهيزه وكفنته وصليت
عليه في الحمية وحفرت
قبره بها كما قال ثم فتقت
جسمه فرايت فيه يا قرة
تساوي الف دينار قال
فتعجبت من ذلك وقلت
والله أفره في الدنيا كل
نزهة قال فلما فرغت من
امره وانصرفت من عنده
انتظرت حرج هرون
الرشيد فلما خرج في موكب
تعرضت له في بعض
الطريق ودفعت اليه
الياقوتة فلما راها خرم تشيا
عليه فاحتشني الخدمة
وداروا بي فلما افاق قال
خلوانه ثم أخذ يدي
ومضي الى مجلسه رقة
ياخي ما فعل الله بصاحب
هذه الياقوتة فمات له مات

له قال فإي ساعة انت على ابن ادم اقدر قال حين عتلى شبرا ويرى قال فهل وجدت في نفسي شيئا قال لا قال ولا
على حال قال نعم قد علم اليك غلامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشمته اليك حتي اكثرت من عذرك
فتأملت عن وردك وعادتك فقال يحكي لاجرم لا اشبع أبدا فقال ابليس لاجرم لا انصح ادعيا ابدا وقيل
لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا في جنازه وخرج الناس وخلوا الموضع قال ابن عباس قال
على بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعه صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذ بها نف يهتف من زاوية البيت
يا علي لا تفعلوا محمدا فانه ظاهر مطهر قال فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويالك من أنت قال النبي صلى
الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذها انت اخبرني بما لي صوته غسله يا علي فان الهاتف الاول
كان الشيطان حسد محمد صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره من سلا قال علي جزاك الله خيرا قد اخبرني
أن ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم (ويحكى) ان قواما من بني
اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تفقه بين يدي الله تعالى حسبا كنت تقف قبل أن
عصيت ربك فقال انكم لا تطيعون رؤي بذلك فاحلوا عليه فوق وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه
ماتوا عن اخرهم (وبروي) ان رجلا كان يامن ابليس كل يوم الف مرة فبينا هو ذات يوم قائما اذ اتاه شخص
وأيقظه فقال قم فان الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت الذي اسفقت على هذه الشفقة فقال له انا ابليس
فقال كيف هذا وانا العنك كل يوم الف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهاد عند الله تعالى فيخشيت ان
تكون منهم فقتال معهم كما ينالون

(الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل)

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابني ادم باحق اذ قرأ بقر بآنا الى اخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين
واخبار الماضين ان حواء كانت تلد آدم توأمين في كل بطن غلاما واربعة اشيا فانه اولدته منفردا وكان
جميع من ولدته حواء بعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ولهم قابيل وتوأمته اقبانيا واخرهم عبد الغيث
وتوأمته أم الغيث ثم كثر الله في نسل ادم فكانت يا أيها الناس انقوار بكم الذي خلفكم من نفس واحدة الآية
(قال ابن عباس) لم يمت ادم حتي رأى من ولده وولد لده اربعين ألفا ورأى ادم فيهم ازرنا وشرب الخمر
والفساد واختلف الامم وفي وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى ادم حواء بعدهم بطهم الى الارض
بعثه سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقبانيا في بطن ثم هابيل وتوأمته ابودا في بطن واحد وقال محمد بن اسحق
عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يعشي حواء في الحمية قبل ان تهبط الى الارض فخلت له
بقايل وتوأمته فليجود عليهما وحاً ولا نصيبا ولا طلقا حين ولدتهما الطهارة لهنه فلما هبطا الى الارض واطمأنا
بها تفشاهما فخلت بهما بابل وتوأمته ابودا فوجدت فيهما الوح والنصب والطاق والدم حتي اذا شب
أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الاخر وزوج جارية هذا البطن علام البطن الاخر وكان الرجل
منهم يتزوج اى اخواته شاء الا توأمته التي ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا اخوانهم
وامهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقبانيا في بطن واحد وهابيل وتوأمته ابودا في بطن واحد وكان بينهما ستان
في قول الكشي وادركوا امر الله تعالى ادم ان يتكح ابودا اخت هابيل ويتكح هابيل اقبانيا اخت قابيل
وكانت اخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقا فذكر ادم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط
قابيل وقال هي اختي ولدت ممى في بطن وعى احسن من اخت هابيل فانما أحق به ان نحن من اولاد الجنة وهما
من اولاد الارض فانما أحق باختي فقال له ابوداهم الا تحل لك فابى ان يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره
بذلك وانه هو من رأيه فقال لهما آدم قد بقر باقيا بكم يقبل ربنا فبهاوا حق بها (وقال محمد بن عمار) سألت

تقيا أنفيا ثم قال يا بني ارم
 قيرد قال خرجت به الى
 قيرد فبقي بكاء طويلا
 وسألني الصبيبة فقلت له
 يا امير المؤمنين ان لي في
 ولدك عظة وعبرة ثم مضت
 من عنده حزنا على ذلك
 الشاب رحمه الله تعالى
 ورضي عنه (وحكى عن
 الاصمعي رضي الله تعالى
 عنه انه قال) حبيبت منه
 من السنين الى نيت الله
 الحرام وزيارة النبي عليه
 افضل الصلاة والسلام فبينما
 ان في الطريق اذا رجل
 اعرابي يده سيف عربض
 وروح طويل كان يقطع
 به الطريق لا خذاسباب
 المسلمين واموالهم فلما دنا
 مني اراد ان ياخذ ثيابي
 فاسرعت نحوه وسلمت
 عليه فرد على السلام ثم
 قال من ابن الرجل فقلت
 له فقير وعابر سبيل فقال
 ما صنعائك فقلت اقرأ
 القرآن واعلمه لاطفال
 المسلمين فقال وما يكون
 القرآن فقلت كلام الله
 عز وجل فقال اوله كلام
 فقلت له نعم فقال الاعرابي
 فاندشني من كلامه بيتا
 قال الاصمعي فقرأت بسم
 الله الرحمن الرحيم وفي
 السماء رزقكم وما توعدون
 فرمى الاعرابي سيفه ورحمه
 وقال ثوبا لاطاع طريق

سواء اضى فاصبح من النادمين يعني على حمله لاعلى قتله وروى عن الازري قال حدثني المطالب عبد الله بن
 الحزومي لما قتل بن آدم اخاه رجعت الارض بماء عليها اسمع اسمهم ثم شربت الارض دمه كما شرب الماء فناداه
 ابن اخوك ها بيل قال ما أدري ما كنت عليه وقيما فقال الله تعالى ان دم اخيك اينادي بي من الارض فلم قتل
 اخاك قال فابن دمه ان كنت قتلتك خرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب دما بعده ايسا (وعن) الضعيف
 عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وادم عكة اشك الشجرة وتغيرت الاطعمة ونحمت الفواكه ومز الماء
 وأغيرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاني الهنذ فادقا بيل وقد قتل هابيل فانشأ يقول وهو
 أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالآثم وان محمدا
 صلى الله عليه وسلم والانباء كلهم في النهي عن الشعر وسواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن
 لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سر ياني وانما يقول الشعر من تكلم بالمرية فلما قال آدم مرئيتني في
 ابنة هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم اشدت يا بني انك وصي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه
 الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى مرثبان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالمرية بالمرية والعربية بية وهو
 أول من ركب الخيل وتكلم بالمرية وقال الشعر فنظري في المراثية فانه هو سجع فقال ان هذا ليقوم شعر افرود
 المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعر افاضاد فيه ولا تنقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقا بيل اذ ذاق الموت هابيل - - فوا حزنا لقد فقد المييح

وما لي لا أجرد بسك دمع * وهابيل تضمه الضريح

وجاءت شهامة وطرائين * لها بلها وقابلها يصيح

لقتل ابن النسي بغير جرم * فقلبي عند قتله جريح

وجاورنا لعين ليس يفي * عدو لا يموت فنستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلك جميعا * بموت ليس بالثمن الريح

وما يفي البكاء عن الواكى * انما المرء غيب في الضريح

فارك النفس وانزل عن هواها * فاست مخلدا بعد الذريح

فاجابها ابليس لعنة الله شامتا بها

تنسج عن البلاد وساكنيها * ففي الجنة ضائقك التسميح

وكنت بها وزوجك في رخاء * وقلبك من اذى الدنيا مريح

فما زالت مكيدتي ومكرى * الى ان قاتك الثمن الريح

فلولا رحمة الجبار اضحي * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن ابى الجهم لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم اني فليل له حياك الله
 واصله حكك ولا يبكك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمسة سنين

ولده شيث ونفسيه هبة الله يعني انه خلف الله من هابل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق في كل ساعة منها وانزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصي آدم وولي عهده وأد قابيل فقتل له اذ ذهب فذهب طر بدا شر بدا فزاعمرعو بالآيا من راه فاخذ بيد أخته اقليم وذذهب بها الى عدن من أرض النين فاقى اليها يليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يحكم النارو يمد بها فانصب أيضاً أنت ناراً تكون لك ولعبيك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعندها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الارماه وكن لقابيل ولد أعمرى ومعه ابن له فقال ابن الاعمرى لايه هذا أوبوك قابيل فرمى الاعمرى اباد قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمرى انه أوبوك فرجع يده فطمه ثبات فقال الاعمرى وبل قتل أبي برميقي وقتلت ابني بلطمي قال بجاهد فمقلت احدى يدي قابيل الى نخذه واساقها وعلمت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حينما دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثجاج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات الاله من أنواع الطبول والمزامير والطناييروانهم مكوا في الالهو وشرب الخمر وانازنوا عبادة النار والالوان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي نسل سيث عليه السلام والله اعلم

(*) (الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام) (*)

ذكر أهل النار بنح وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعه الى شيث وأمره ان يخفي ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابل حسداً منه له حين خصه آدم بنح وبع اخته اقليم خاف عليه أيضاً ان يقتله حين خصه آدم بالدم فاخفى شيث وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به * وروي ابوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يمرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فاتهم رجل بزها وهو أضواهم نوراً فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده في عمره قال لا الا ان تز يده أنت من عمره فقد جف الغلم باعمر بني آدم وكان عمر آدم الف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاء اليه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجبت على يا ملك الموت قال ما فعلت بل انت استوفيت أجلك قال آدم قد بقي من عمري اربعون سنة قال انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيئاً فانزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم ان الله أكل لآدم الف سنة وأكل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى آدم فنسيت ذر يته وجحد فوجدت ذر يته فامر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتهدت عليه الملائكة لانه صفي الرحمن فدفنته الملائكة وشيئت واخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي اول قرية كانت في الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهين فلما اجتمعت عليه الملائكة بمات الله اليه بمنحوط وكفن من الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنته ففسلته بالسدرو والماء وترا وكفنته في ثلاثة ثياب ثم خلدوا له ودفنته ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قل شيث لجبريل صل على آدم فقال لجبريل تقدم انت فصل علي اييك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهي الصلاة واما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم * وقد اختلف في موضعه قبره فقال ابن اسحق في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة رقييل في غاراني قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير (وروى) ابو صالح عن ابن عباس انه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما اخرج من السفينة دفن آدم بيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليها السلام والله اعلم

ويطلبه في الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده ان لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعي ففرحت بذلك الرحاشد يدافها كان العام فذاني خرجت حاجبا الى بيت الله الحرام فيتناانا طائب بالبيت اذ رجل عليه سيما الخير والصلاح قد اقبل نحوى وسلم على وقال الست صاحبي بالعام الماضي فماتت ثم فقال انشدني من كلام الله عز وجل بيتاً ندينا قال الاصمعي فترأت عليه فورب السماء والارض انه الحق مثل ما انكم تنظنون قال فرفع الاعرابي راسه وقال يا اصمعي وما الذي الجاء الي هذا القسم ثم خر مغشياً عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ودفنه به امين (رحمكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) انه قال يينا النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف اذ سمع اعرابيا يقول يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فضى الاعرابي الى جهة الركن الباقى وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فضى الاعرابي الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبي صلى الله عليه وسلم

الاعراب الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيقي القد انما اب لكوفي اعرايا والله لولا صاحبة وجهك ورساقه قرك اشكوك الى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما تعرف نبيك يا خال العرب فقال الاعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما بانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت رسالته ولم ألقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عرابي اعلم اني نبيك في الدنيا وفي الآخرة قال فاقبل الاعرابي يقبل قدمي النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما يا خال العرب لا تقبل بي كما تقبل الاعاجم بلوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثني لأممكم ولأمتكم ولأمتكم بعثني بالحق بشيرا ونذيرا قال فبهط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام بقرئك السلام ويخصك بالجنة والاكرام ويقول لك قل للاعرابي لا يغرنه كرمنا ولا حلفنا فقد اتخذنا عليه القليل والكثير والتفتيل والقطير فقال الاعرابي

﴿باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام﴾

قال الاسما ذاق الله ادم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقه في أحسن صورة واقسم عليه فقال عز من قائل والذين انزلهن ووطورسيتين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واقفه المجد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمة غضبه واسكنته بعد خلقه الجنة بلا عمل وبالح له جميع الجنة الاشجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمره باللقين وجعله بالبشر جسمه خليفته في الارض وعرف الملائكة فضله عليها وامن اليه من اجله مع كثرة عبادته وعاب الملائكة بسببه وهو اول حامد واول نائب واول محبي واول مصطفى واول خليفة الله في الارض وهو المميز للارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيموت الناس من ذريرة هذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم

﴿مجلس في ذكر النبي ادر يس عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذا كرفي الكتاب ادر يس انه كان صديقا نيا (قال) اهل العلم يا خال الماضين وقصص النبيين هو ادر يس بن يرد وقيل ياريد بن مهلايل بن قين بن انوش بن شيث بن ادم واسمه اخنوخ وسعى ادر يس لكثرة درسه الكتب وصحف ادم وشيث وامه اشوت وكان ادر يس اول من خط بالعلم وأول من خط الثياب ولبس الخيط واول من نظري علم النجوم والحساب بماء الله اى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قاله بن عباس واكثر الناس انه سار ذات يوم فصابه وهيج الشمس فقال يارب اني مشيت في الشمس يوما فذا بفت فكيف بمن يحملها خمسة ايام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خففت عني حر الشمس فاحال الذي قضيت علي فيه فقال تعالى ان عبدى ادر يس سألني ان اخفف عنك ثقلها وحرها فاجبتني الى ذلك فقال يارب اجمع بيني وبينه واجل بيني وبينه خلة فاذن الله فكان ادر يس يساله وكان مما سأل ان قال اخبرت انك اكرم الملائكة على ملائكة الموت واهل كنههم عنده فاشفع لي اليه لئلا يخرجني فازداد شكرا وعباد فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذ جاء اجلها قال قد علمت ذلك ولكنك اطيب لنفسي فقال انا مكلمه لك وما كان يستطيع ان يفعل لاحد من بني آدم فذوقه لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه الى ملائكة الموت فقال له الى انك حاجة فقال له امل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بني آدم تشفع لي اليك لتؤخر اجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان احببت أعلمته اجله ومتى يموت فيتقد في نفسه قال نعم فنظري ديوانه فاخبره باسمه وقال انك كلمتني في انسان ما اراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال اني لا جده يموت عند مطلع الشمس قال فاني أيتك وتركتك هناك فقال له فانطلق فلا رالك تجده الاوقد مات والله ما بقي من اجل ادر يس شي فراجع الملك فوجده ميتا (قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فتهجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فاذن له فانا في صورة بني آدم وكان ادر يس يصوم الدهر فلما كان وقت انظاره دعاه الى طعامه فاني انا كل وفعل ذلك ثلاث ليال فأكبره وقال له في الليلة الثالثة اني اريد ان أعلم من أنت قال انا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك واصحابك فاذن لي في ذلك فقال له ادر يس لي اليك حاجة قال وما هي قال اقبض روحي فاحي الله تعالى اليه انا اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله عليه بعد ساعة قال له ملك الموت فما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لا ذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال لي اليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني الى السماء لانظر اليها والى الجنة فاذن لي في ذلك

هذا الغلام فقال بهواه
 الجاهلون فقلت للغلام
 كيف يأتيك هذا الصرخ في
 كل سنة أم في كل شهر أم
 في كل جمعة أم في كل يوم
 فقال يا مولاي إذا استولى
 داء الحية على القلب سري
 في الأعضاء وإذا استولى
 على الجوارح نشر بخار
 الحية على سائر الجسد
 فيطيش المسقل بذلك
 الحبيب فيحدث على
 القلب استتراقا وعلى
 البدن سكونا فيمتدده
 الجاهل جنونا قال عبيد
 الرحمن فقلت ان الغلام
 من اولياء الله تعالى فقلت
 للدلال كم من هذا الغلام
 فقال مائتا درهم فقلت
 ولك عشرون فوزنت له
 الثمن واخذت الغلام
 واتي به الى دارهم امرته
 بالدخول فاني وقائي
 يا سيدي ألك اهل فقلت
 نعم فقال ومن يستطيع النظر
 الى غير محرمه فقلت له قد
 ايجت لك ذلك فقال معاذ
 الله ولكن مهما كان لك
 من الخواص قضيتها وانا
 دون الباب قال عبد الرحمن
 فسكت عنه وتركته ثم
 اخبرته له النساء فقال
 اني صائم فلما كان الليل
 اخرجته له النساء فقال اني
 طواقام عندي في دهلج
 الدار فخرجت اليه نصف
 الليل فوجدته قائما يصلي

وعرضت عليها ما قالت بالامس فقال الصلاة يا لله امر عظيم وقتل النفس عظيم واهو ان ثلاثة شرب
 الخمر فشر بالخمر فانشى او وقع بالمرأه فزنا بها ففرها انسان فقتله قال الربيع بن انس وسجد للصنم فسحق
 الله الزهرة كوكبا وعلى رضي الله عنه والسدى والكلبي انها قالت لا تدركني حتي تملأني الذي تصعدان
 به الى السماء فقالوا تصعد بأم الله لا عظم فقاتلها انتا بعد ركي حتي تملأنيته قال احدهما الصاحبه تملأها فقال
 اني اخاف الله فقال الآخر فابن رحمة الله تعالى فلما هاذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فسحقه الله
 تعالى كوكبا (قال الاستاذ) فعلى قول هؤلاء هي الزهرة بعينها وقال آخرون هي هذا الكوكب الاحمر واسمها
 بالفارسية ناهيد وبالقطبية بارخت يدل على صحة هذا القول ما خبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناد عن علي
 ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى سويلاة لعن الله سهيلا ما كان عشرا
 باليمن ولعن الله الزهرة قائما فتننت ملكين هاروت وماروت (وقال) بجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال
 لي ارمق الكوكب يعني الزهرة فاذا طلمت فايقظني فلما طلمت انبسطت فلما انظر اليها سمعها ساها بدا فقلت
 برحمك الله سمعنا ما سمعنا فقال ان هذه كانت بيا فاني الملك مناهم ليا وكذلك قال ابن عباس
 وانكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للباد واقسم
 بها فقال تعالى فلا أقسم بالجنس الجارى الكائن وانما كانت التي فتننت هاروت وماروت امرأة تسمى
 زهرة الجاهل فلما زنت مسخها الله بها بالمارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المراءاة الموافقة
 لهذا الاسم فلمنها وكذلك سهيل الكاشان رجل فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق
 اسمه لاسم هذا الرجل لعله يدل عليه ما روى قيس بن عبيد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة
 فضأت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما مى هاروت
 وماروت بدما قار فالذهب هما بالصدع والى السماء فلم تطعهما انجبتهما فلما ماحل بهما فصدد الى ادريس
 عليه السلام فاخبره بارهما وسأله ان يشفع لهما الى الله تعالى وقال لا ارايتك يصعدك من العبادة
 مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى الله مالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب
 الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا عذاب الدنيا لانه ينقطع فمما يابل بعد ان (واختلف) العلماء على كيفية
 عذابهما فقال ابن مسعود وهما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كيلان اقدمهما الى
 اصول انخازهما وقال مجاهد ملى عجب نار اخملا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكبسان في
 السلاسل يضربان بسيطا الحديد (وروي) ان رجلا قصد هما لتعلم السحر فوجدهما معلقين
 بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما وبين الماء الاربع اصابع وهما يعذبان
 بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لاله الله فلما سمعا كلامه قال لاله الله الا الله من أنت قال رجل
 من الناس قال لاه ومن اى امة أنت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وبم محمد صلى الله عليه وسلم
 قال نعم فحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال الرجل وم استبشار كما قال انه نبي الساعة وقد نال انفضاض
 عذابنا (وروي) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بموتته تسأله عن شىء دخلت فيه من امر السحر وماتت به فالت عائشة لمرويا بن اخنوخ
 فرائتها تبكي حين لم يحد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتي رحمتها ثم قالت اني لا اخاف ان
 اكون قد هلكت ثم قالت كاننى زوج غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما
 آتراك به جهلته ياتيك فلما كان الليل جاء نبي بكين اسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن كثير
 حتي وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بارجلهما فقالا ما جاء بك فقالت أنتم السحر فقال اتما نحن فتنة فلا

ولم يشرب في فمها فرغ من
صلاة مسجده وبكى بكاء
شديدا فسمعه يقول
في مناجاته الهى اغلقت
المملك ابوابها وبابك
مفتوح لساائين * الهى
غارت النجوم ونامت
العيون وانت الهى القيوم
الذى لا ناخذك سنة ولا
نوم * الهى فرشت الفرس
وخلا كل حبيب بحبيبه
وانت حبيب المختارين
وانيس المستوحشين *
الهى ان طردتني عن بابك
قالي باب من اتجى *
الهى ان قطعني عن
جناحك قالي جناب من
التجى * الهى ان عذبني
فاني مستحق للعذاب
والنقم وان عفوت عني
فانت اهل الجود والكرم
ثم جلس ورفع يديه وبكى
وقال ياسيدي لك اخلص
الماء فون وبفضلك نجبا
الصالحون وبرحمتك
اناب المفسرون يا جميل
العفو اذني برد عفوك
وحلاوة مغفرتك فان لم
اكن اهلا لذلك فانت اهل
لذلك يا من هو اهل
اليتوى واهل المنفرة قال
عبد الرحمن قد خلعت
موضعي ولم اشوش عليه
فلما اصبح الصبح
خرجت اليه وسلمت
عليه وقالت له كيف تمت
البارحة فقال ياسيدي او

تكفري فارجمي من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت لا بول فقزعت
فلم اقل فرجعت فملا فقلت قلت نعم فقلالاهل رايت شيئا فقلت لم ار شيئا فقلالاهل نعم على شيئا فارجمي
الى بلادك ولا تكفري فايت فملا اذهي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشمر جددي وخفت
ثم رجعت اليهما فقلت قد فلت فقلالاهل رايت شيئا فقلت لم ار شيئا فقلالاهل نعم على شيئا فارجمي الى بلادك ولا
تكفري فاني على رأس امرك فقلت لا فقلالاهل اذهي الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبات فيه فرايت
فارسامهنا اجد يد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب حتى ما راه ففجئتهم فاقلت قد فلت قالا فارايت
قلت رايت فارسا مقنعا بالجد يد خرج مني وذهب في السماء فلم اراه قالوا صدقت ذلك ايمانك خرج منك
فاذهي فقلت والله ما أعلم شيئا ولا قالي شيئا فقلالاهل اني يد بين شيئا الا كان خذي هذا التمع فابذر به
فبذرت ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له انحصر في حصص فقلت انك تفكر ثم قلت انطعن فطعن ثم قلت
انخن فخن فلما رايت اني لا اريد شيئا الاكاس سقط في يدي فرجعت وتندمت والله بام المؤمنين ما فلت
شيئا قط ولا فله ابدا (قال) الاوزاعي بلغني ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا جبريل صف لي النهار فقال ان الله تعالى امر بها فاوقد عليهم الف عام حتى احترت ثم اوقد عليهم الف عام
حتى اسودت فبى سوداء مظلمة لا يطفأ هجرها ولا يخلد لها والذي بعثك بالحق لو ان ثوب من ثياب اهل
النار ظهر لاهل الارض لما تواروا جيموا ولو ان ذنوب من شرابها صب في ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو ان
حلمة من السلسلة التي ذكرها الله وضمت على جبال اهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا
دخل النار وخرج لمات اهل الارض من تنريحته وتشويه خلفه وعظمه فبكي النبي صلى الله عليه وسلم
وبكى جبريل لبكائه وقال اتبكي يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا
شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل اتبكي وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابلى
بما ابلى به هاروت وماروت فهذا الذي منعي من انكلى على نزاعي عند ربى فانك قد امنت مكره فلم
يزال يبكى حتى نودى يا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله تعالى قد امتك من غضبه فلا يذبحك وان فضل محمد
صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة
(مجلس في قصه نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه الاية وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن
اخنوخ بن برد بن هلال بن قينان بن انوش بن شيث عليه السلام وامه قينوش بنت راكيل وقيل
بنت كائيل بن مخزئيل بن اخنوخ ارسله الله تعالى الى ولد قاييل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن
عباس وكان بطنان من ولد آدم احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان في رجال الجبل صباحة
وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من اهل السهل في
صورة غلام فاتجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيئا مثل الذي يزرع به الرعاة فجاء منه بصوت لم
يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأتوه مستعين اليه واتخذوه عبدا يجتهدون اليه في السعة فتتبرج
النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتن
فجاء الى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحووا اليهم فزولوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن
تبرج الجاهلية الاولى (قال ابن عباس) كان آدم اوصى ان لا يناكح بنو شيث بني قاييل فجعل بنو شيث
آدم في مقارة وجهه فاعلمها حفاظا لئلا يقر به احد من اولاد قاييل وكان الذي ياتونه ويستغفر لهم بني شيث
فقال مائة من بني شيث صبايح لو نظرنا ما فعل بنو عمننا ينعون بني قاييل فقبضت المائة الى نساء السهل صبايح

والعرض على الملك الجبار
والتي بيخ غدا على الذنوب
والاوار ثم بكاء
طويلا فقلت له انت حر
لوجه الله تعالى فبكي وقال
باسيدي كان لي اجران
جر العبودية راجرا لخدمة
وقد ذهب عني احدهما
اعتقك الله من حر نار جهنم
قال عبد الرحمن فذمت
اليه نفقة فاني قبولها وقال
ان المكنتل بالارزاق حي
لا يموت ثم خرج هائما على
وجهه لا ادري اين ذهب
رضي الله تعالى عنه *
واشوقاه الى ارباب الفلوب
واحمرته على فوات
المطلوب * يحبوسا في
سجن الغفلة لو اشرقت
على وادي الدجى لرأيت
خيام القوم مضروبة على
شاطئ البحر كانوا قديما من
الليل ما به جود واسمعت
اطيار الشجرانهم على
اغصان احزانهم اترنم
بالحان والباسع حارهم
يستنفرون لذلم السهر
وصفا وقتهم من الكدر
وخلا بالحبوب وفازوا
بالمشاهدة والنظر شعر
هذا الحبيب مع المحبوب
قد حضرا
وساع الكل عمدا قدمضي
وجرى
وقد ادار على العشاق مخمته
صرفا بكاء سناها يخطف

الوجوه من بني قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال سئة اخرى لو نظرنا فقل اخوتنا
فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنوشيت كلهم فظفرت المعصية وننا كمدوا واختلطوا
وكثر بنوقايل حتى ملأوا الارض واكثر الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث
فيهم الف سنة للاحسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويخوفهم باسمه ويحذرهم سطوته كما اخبر الله تعالى بقوله
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي الا فراقا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا امة واحدة (وروى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان
نوحا كان يضرب ثم يلف في لبد ثم يلقي في بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من ايمان
قومه فيبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنته يتوكل على عصا فقال يا بني انظر الى هذا الشيخ اياك ان يفرك فقال يا ابني
مكثي من العصا فاعطاه العصا فقال ضمتي في الارض فوضعه فمشى اليه فضر به بالعصا فقال نوح رب
قدر ترى ما يصنع بي عبادك فان لم يكن في عبادك حاجة فاهدمهم وان لم يكن غير ذلك فصبهم في ان تحم
يا بني وبينهم وانت خير الخاكين فارحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن ولا يثبتس بما كانوا
يقولون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق في اصلاص الرجال ولا ارحام النساء مؤمن فستد ذلك دعا
عليهم وقال رب انهم عصوني الآية الى قوله ولا تذرن دواولا وسواعا ولا بنوت وبعوق ونسرا وقد اخذوا
كثيرا وهي امة اصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذرن الارض من الكافرين
ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يبدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تذرن الارض من الكافرين
ودمارا فاجاب الله دعاه وامره ان يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا الآية قال نوح
يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى اغرق اهل المعصية واربع ارضي منهم قال
نوح يارب ابن الماء قال يا نوح اني على ماشاء قد ير قال نوح يا ارباب وابي الخشب قال اغرس الشجر
فغرس الساج واثنى على ذلك اربون سنة وكفى في تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاقم الله تعالى
ارحام ناسهم فلم يولد لهم ولد فلما ادرك الشجر امره رب ان يقطع الشجر فقطعه وجفنتهم
قال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله اوزر على ثلاثة صور رأسه كراس الديك وجوفه كجوف
الطير وزينه كذنب الديك ما لا واجملها مطابقة واجمل اوابها في جنبها واجمل ثلاث طبقات
واجمل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب
هذا قول اهل الكتاب ثم بعث الله جبريل بل يلم نوحا صانعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب الحديد
ويهيى عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يعرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد
صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون الان اربون الى هذا الجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء ويضجكون منه وذلك
قوله تعالى واصنع الفلك زكاهم عليه ملا من قومه سخر واهته فيقول نوح ان تسخر واهنا فانا نسير خرمكم
كانت خرون فسوف تلهون من بانية عذاب يخزيه ويمل عليه عذاب مقيم وادعى الله الى نوح ان عجل
صناعة الفلك فقد اشدت غضبي على من عصاني فاستاجر نوح اجراء يعملون معه وأولاده سام وحام وياث
يتحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثمانمائة ذراعا وطولها
في السماء ثلاثمائة ذراعا هذا قول ابن عباس في رواية الضحاك وطلها بالغار داخلها وخارجها وشدها
بالدسر وهي مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات الواح ودرس وفجر الله له عين القار بجنب السفينة
تفلي غلينا نأحيى طالاها به فلما فرغ من صنع السفينة وحي الله اليه ان اهل فيها من كل زوجين اثنين من انواع
الحوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليه من البر والبحر والسهل والجبل وتدخل الله فوران

يا صمد كرناذ كر الحبيب
 لند
 بليت اسماعنا يا مطرب
 الغزرا
 ما ركب الحمى مالت
 ومعاطفه
 لاشك ان حبيب القوم قد
 حضرا
 وعندنا تنظر الاعلام قد
 رفمت
 يؤمهم على الوصول قد نشرا
 فجلس الانس للمحبوب
 يجهمه
 والكاس قد دار فيما بينهم
 سجرا
 ومن سقام تحلى لاشبهه
 حاشاه بشية شمسوا لقرأ
 ومن اناد فقيرا الامرد له
 سواء يكتبه من جملة الفقرا
 هذا السماع الذي تشفى
 الصدور به
 هذا الحبيب الذي قد حبرا
 الفكر
 صوفية عند ما مضت
 صدورهم
 ازال عنهم جميع الشك
 والكرا
 (وحكى عن جلد بن الفضل
 رضى الله تعالى عنه انه قال)
 رأيت شابا راقدا على
 الارض وقد افترش
 التراب تحته وهو بين اثنا
 شديدا قتلت لصاحبه
 اعدل بنا اليه فله عليل
 اقال ما هذا عليل هذا من
 الحبين وفي الظاهر انه من
 الجانين فقلبه بحب مولا

التنويرية بينه وبين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنوير فارق ربك انت ومن معك على الفلك واحمل فيها
 من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا فارقا التنوير رأى عذابنا وهو الاطرافان قلنا احمل فيهما من
 كل زوجين اثنين الاية (واختلف) العلماء في قوله تعالى وفارقا التنوير قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه يعني طلع
 النور ونورا الصبح وقال ابن عباس انجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنويرا وقال
 قتادة التنوير أشرف موضع في الارض وأعلى مكان فيه وقال الحسن أراد بالتنوير الذى يخبر فيه وكان تنويرا من
 حجارة وكان لا دم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء فمريم من التنوير فارقا ربك انت وأصحابك فنبع الماء
 من التنوير فملت بامراتها فخيرته واختلفوا في موضعه فقال سبحانه اهدنا ذلك في ناحية الكوفة (وروى)
 السدي عن الشعبي انه كان يخاف بالله ما فارق التنوير الا في ناحية الكوفة وقال اخذ نوح السفينة في جوف
 مسجد الكوفة وكان التنوير عن عين الداخل لما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه
 وقال مقاتل ذلك تنوير آدم وانما كان بالشام في موضع يقال له عين ورد وقال ابن عباس كان التنوير بالمند
 والفوران هو الفلجان فلما رأته نوح أيقن بزوال المذاب خمل من كل زوجين اثنين من انواع الحيوانات كما
 أمر الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر اربعين يوما وليلة فاقبلت الوحوش والطيور والدواب الى
 نوح حين اصابتها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من
 الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره ثعالب يس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح
 يقول ادخل فينفض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان ملك كله نزل به السنان فلما قالها
 نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما ادخلك باعد والله فقال ألم تقل ادخل
 ولو كان الشيطان ملك قال اخرج باعد والله قال ما اخرج وما كان بذلك ان تخافى معك وكان فيما يزعمون على
 ظهر الفلك (قال) مالك بن ساجان الهروي ان الحية والعقرب انيا تنوحا فغالا احملها فقال انكاسب الضر والبلايا
 فلا احاسك قالوا احملنا ونحن نضمن لك ان لا تضرا احدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهم اسلاما على نوح
 في الاماين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا مؤمنين بل يصراه (عن وهب بن منبه) قال لما امر الله تعالى نوحا
 ان يحمل من كل زوجين اثنين قل كيف اصنع بالاسد والبقر وكيف اصنع بالاناق والذئب وكيف اصنع
 بالحمائم والحرق قال الله تعالى له من الفى بينهم المدواة قال انت يارب قال فانأولف بينهم حتى لا يتضاروا خمل
 نوح السباع والدواب في الطبقة الاولى فافى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل
 وما لك بكمحموما وان طال عمره * لعمرك ما المحمود ومسمى الاسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من اولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة
 العليا شفقة عليهما لئلا يتلوا شيء * واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى واهلك الامم
 سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد ان ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا اراد ان
 تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله تجر اها ومرساها الاية * ومن آمن وما آمن معه
 الا قليل من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة الا نوح وامرأته ثلاثون من بنيه سام وحام ويافت رنساؤهم
 فجهيمهم ثمانية فاصاب امراة في السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نظفته فيجاء بالسودان (قال الكشي)
 أمر نوح ان لا يتربذ كرأتي مادام في السفينة فوئب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم
 اجعله عسرا وقال الاعمش كافوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاث كذئب له قال ابن اسحق كانوا عشرة سوي
 نسا ثم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافت وستة اناث ممن كانوا آمنوا معه وازواجهن جميعا وقال مقاتل
 كانوا سبعين ونوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسبعين نفسا نصفهم

منهون وهو اسرف بميله
 الجنون قال فتقربت اليه
 فاذا هو شاب نحيف الجسم
 وعليه جبة من صوف بالية
 وهو يقول يحيا لمن ذاق
 حلالة محبته كيف ينقطع
 عن خدمته ثم لم يزل يردد
 القول حتى غشي عليه
 فقلت لصاحبي والله ما هو
 مجنون وانما الجنون الذي
 لا يصل الى هذا المقام فلما
 افاق من غشيته قال ما بالكم
 تنظرون الى فلما مل دواؤه
 يشفى من الداء الذي تجده
 فقال الذي ابلى بالداء عنده
 الدواء والسكن الذي
 يتداوى به يمتحن قلنا بماذا
 يمتحن قال بترك الحرام
 وتحبب الاستقام ومراعاة
 الملك الامام والتمسك بالليل
 والناس نيام ثم بكى بكاء
 طويلا وبكىنا معه فقلنا له
 نحن اضيافك فادع لنا
 فقال است من خيل هذا
 الميدان فاقسمنا عليه فقال
 جعل الله قراكم المظفرة
 ومثواكم الجنة وجعل ذكر
 الموت في وعظكم على بال
 قال فانصرفنا عنه وقد
 عجبنا من استواء لفظه
 وعاشق قلوبنا بكلامه
 ووعظه بآهنا هذه حالة
 الحارين من حب الحبيب
 فكيف بك ايها الدافل
 اليب يدعوك مولاك فلا
 تحيب ويستحضرك في
 حضرة قرب به وانت في

نساء ونصفهم رجال وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسدا آدم معه وجه له من ضاحا جزا بين
 الرجال والنساء * قالوا فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر رآب بالرومية
 فلما دخل وحل معه من حل تحركت ينابيع الارض وتنفوط الاكبر وأمطرت السماء كافوا القرب كما قال
 تعالى فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر ربنا الثقي ماء
 السماء وماء الارض فيجعل الماء بئرا من السماء وينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء
 وبين احتمال الماء الفلك اربعين يوما وإليه تم احتمال الماء الفلك وكان كنهان بن نوح يخلف عن أبيه قال قيادة
 لم يركب في السفينة فناداه نوح بركان في منزل بابني اركب معنا ولا تكن مع الكفار بن قال سألوني الى جبل
 يصمى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وكان عهد كنهان الجبال انها تحصن من المطر فظن
 ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المتفرقين
 وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا (وروت)
 عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لورحم الله أحدا من قوم نوح لرحم المرأة
 أم الصبي وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت
 قلته فلما بلنها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبته ارفمته بيدها حتى ذهب
 بهما الماء فلورحم الله احدا منهم لرحم هذه قالوا طافت السفينة باعلا الارض كلها في ستة أشهر لا تستقر على
 شيء حتى أنت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم اسبوعا وقد رفع الله البيت الذي كان بحججه آدم صيانة له من
 الفرق وهو البيت المعمور وخبا جبريل الحجر الاسود في جبل أبي قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت
 في الارض تسير بهم حتى انتهت الى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه
 قال مجاهد تشابخت الجبال وتطارات لثلاثا بلهاها فلما فاقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لأم ربه
 الجودي فلم يفرق فارست السفينة عليه فذلك قوله تعالى واستوت على الجودي (وقال) ابن عباس استوت
 السفينة على الجودي وقد بادى على وجه الارض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والاشجار فلم يبق
 شيء من الحيوانات الا نوح ومن معه في الفلك والاعوج بن عتيق فذلك قوله تعالى وقيل بعد القوم الظالمين
 أى هلاك قال ابن عباس كان عوج بحيثجز بالسحاب ويشرب منه من طوله ويتناول الحوت من
 قرار البحر فيشويه به بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال لنوح احملني معك فقال اخرج باعد الله فاني
 لم أؤمر بمحلك وأطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ ركبتي عوج بن عتيق فلما استوت
 السفينة على الجودي قيل يا أرض ابلي ما لك اي انشقي ويا ماء اقلبي اى احبسى ما لك وغيض الماء اى
 ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الارض لانها آخر ما بقي في الارض من ماء الطوفان
 وبقي في الارض اربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن
 عباس قال قال الحواريون لميسي بن مريم عليه السلام لو بعثت انا رجلا شهد السفينة لجدنا عنهما فاعطاهم
 حتى انتهى بهم الى كتيب بن تراب فاخذ كفاهم ذلك التراب فقال ائذروني ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم
 قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكتيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاداهوا قائم بنقض التراب عن
 رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهلكم كما هلك قال لا بل مت وانتاب ولكني ظننت انها الساعة فمن
 ثم شبت فقال له جدنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع
 وكانت ثلاث طبقات فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الاناس وطبقة فيها الطير فلما كثرت
 أرباب الدواب اوحى الله الى نوح أن اغمر ذنب الفيل فغمزه فوقه منه خنزير وخنزيرة قبل على الزوت

الغيب الى متى انت تضع
عمرك وما نالت منه نصيب
الام تب علينا ووقفتنا
اطاعتك يا حبيب (وحكى
عن محمد بن ابي الفرج
رضي الله تعالى عنه انه قال)
احتببت في شهر رمضان
الى جارية تصنع الطعام
فرايت في السوق جارية
ينادي عليها بتمن يسير
وهي بصرة قالون تحبلة
الجهم باسيسة الجسد
فاشترتها رحمة لها واتيت
بها الى المنزل فقلت لها
خذى أوعية وامضي
معي الى السوق لنشتري
حوائج رمضان فقالت
ياسيدي انا كنت عند قوم
كل زمانهم رمضان فعلمت
انهم من الصالحات فكانت
تقوم الليل كله في شهر
رمضان فلما كانت ليلة
العید قامت لها دوى بنالى
السوق لشتري حوائج
العید فالتى بامولى اى
حوائج العید تريد حوائج
العوام أم حوائج الخواص
فقلت لها صفى لي حوائج
العوام وحوائج الخواص
فقالت ياسيدي حوائج
العوام الطعام المعهود في
العید وحوائج الخواص
الاعتزال عن الخلق
والشغل بدو التفريغ لخدمة
والتعجيد والتعجيد
باطاعة لملك الحیدو التزام
ذل العید فقلت لها انما

فاكله فلما كثرت الفأر في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك انه توالف في السفينة وحي الله تعالى الى نوح
ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من مخبره ستور وسورة فاقبل على الفأر فاكله فقال له عيسى
كيف علم نوح ان البالد قد يهتت قال بهت نوح غرابا يتيه بالخبر فوجد حقيقة فوقع عليها واشتغل عن
الرجوع فبدا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يال بالبيوت ثم بهت الحماة فجاءت بورق زيتون فغارها واطين
برجليها فلم ان البلاد رجفت قال فطوقها بالخضر التي في عنقها ودعا لها ان تكون في انس وامان فمن ثم
تألف البيوت فقالوا ليارسول الله لا تطلق به الى اهلهنا فيجاس معنا ويحدثنا قال كيف يتبرك من لارزق له
ثم قال له عبد بن الله تعالى فادترابا * قال هل اتا ربخ ارسل الله الفان ثلثة عشر يوما خلت من آب
ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتمة الف سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن اهبط آدم الى
الارض وركب نوح ومن معه في السفينة امشروا من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك
سمي يوم عاشوراء واقاموا في الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وامر
جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطيوف صاموا وشكر الله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت
قد اظلمت اعينهم في السفينة من دوام النظر الى الماء قمارا بالا كتحلل يوم عاشوراء الذي خرجوا
فيه من السفينة (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل تحلل يوم عاشوراء
لم تره عينه ابدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ في ناحية من ارض الجزيرة موضعا وابنى
هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابني فيها لم آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى سوق
ثمانين فوحي الله تعالى الى نوح انه لا يعود الطوفان الى الارض ابدا وعاش نوح بعد ذلك ثمانمائة وخمسين
سنة فكان جميع عمره الف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاله العلماء وكذلك
هو في التوراة وقالعون بن أبي شداد عاش نوح بعد الطوفان الف سنة الا خمسين عاما وقبله ثمانمائة وخمسين
سنة فقل هذا القول يكون مبلغ عمر نوح الف وثلثمائة سنة (و يرى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت
الدنيا قال كبئت لبابا ودخلت من احدها وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفا اوصى ابنه ساما وجعله
ولى عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفا دعا ابنه ساما وهو بكره
فقال يا بني اوصيك باثنين وانها لك عن اثنين قاما اللذان انهما لك عنهما فلا شرك بالله والكبر كان لا يدخل
الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وما اللذان اوصيك بهما فاني رأيتهما يكثران اللو ج الى الله
تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع
لخرقتمها حتى تبلغ الى ربها ولو جمعت لاله الا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع
وما فيها واوصيك بسبحان الله فانها صلوات الخلق وبها يرفعون

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمس عشرة خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمى بذلك كثرة نوحه على نفسه وكان اول نبي
من انبياء الشريعة واول داع من الله تعالى واول نذير عن الشرك واول من عذبه امتلأهم مدعوته واهلك
أهلها رض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى اوحى اليه بعد الطوفان اني خلقت خلقي وامرهم بطاعتي
فاتهموا بصيتي فاستد ذلك غضبي فعدبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع
خلقي في خلقت اني لا أعذب مثل هذا العذاب أحد من خلقي ودها ولكن اجعل الدنيا ولا بين عبادي
ثم اجز بهم بعامهم اذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل لما كبر الانبياء وشيخ
المرسلين وجعل معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحد من

طعام تنهى طعام الاجساد
 أم طعام القلوب فقالت لها
 صفيهم مالى فقالت اما طعام
 الاجساد فهو القوت المتداد
 وأما طعام القلوب فتك
 الذنوب واصلاح العيوب
 والتمتع بمشاهدة الحبوب
 والرضا بحصول المطلوب
 وحواسنجي الخشوع
 والتقوى وترك الكبر
 والدعوى والرجوع الى
 المولى والتوكل عليه في السر
 والنجوى ثم انها قامت
 تصلى فقرأت في الزكاة
 الاولى صورة البقرة الى
 آخرها ثم شرعت في آل
 عمران الى آخرها فلم تزل
 تحت سورة بعد سورة حتى
 وصلت الى سورة ابراهيم
 الى قوله تعالى يتجرعه ولا
 يكاد يسهقه ويأبته الموت
 من كل مكان وما هو بميت
 ومن ورأه عذاب غليظ
 قال فلم تزل تكرهه ذال الية
 وتسبى الى ان اغشى عليها
 وسقطت الى الارض
 فخركتها فاذا هي ميتة رجة
 الله تعالى عليها (وحكى عن
 الاصمعي رضى الله تعالى
 عنه انه قال) خرجت حاجا
 الى بيت الله الحرام من
 طريق الشام فبينما نحن
 سائرون اذ خرج علينا
 أسد عظيم هائل المنظر
 فقطع عن الركب الطريق
 فقالت لرجل بجانبى امانى

الرسول في الدعوة مثل ما بالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق من أمته من الضرب
 والشم وأنواع الاذى والجفاء ما لقي فذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل
 ثاقى المصطفى صلى الله عليه وسلم في الميثاق والوحي قال الله تعالى واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم معك ومن
 نوح وقال تعالى اذا وحينا اليك كما وحينا الى نوح والذين من بعده وفي البعث هو اذل من تنشق عنه الارض
 يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم واعطاه الفلك وعلمه صنفته وحفظه بما فيه واجراه فوق الماء وسماه
 شكورا فقال تعالى ذر يمن من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يا نوح
 اهبط باسلام منا وبركات عليك وعلى امم منك الآية (قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
 كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذر يتهم الباقيين فهو أول البشر واصل النسل (دروي) عن الحسن
 عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام وياث فسام ابو
 العرب وفازس والروم وحام ابو السودان وياث ابو الترك ويا جوج وما جوج (قال) عطاء ودعا نوح على
 حام ان لا يمدوا شعر ولده اناهم وحيثما كان ولده يكونون عبيدا لولد سام وياث ولده نبط نوح وذر يتهم
 الفلك قسم الارض بين ولده اثلاثا فيجعل سام وسط الارض وفيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة
 وسيحون وجيحون وذلك ما بين قيسون الى شرقى النيل وما بين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل
 غر في النيل وما بين مجرى ربح الجنوب وما وراءه الى سيحون الى مجرى ربح الدبور وجعل قسم يافث
 من قيسون لما وراءه الى مجرى الصبيا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذر يتهم الباقيين وتركنا عليه في الاخرين
 سلام على نوح في المالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى الى عاد اخاهم هود الى تتقون وهو عادي بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاذلى وكاوا
 يزولون اليمن وكانت منازلهم منها بالشعر والاحقاف كما قال الله تعالى واذا كرا عادا اذ اذكر قومه بالاحقاف
 وقد خلت النذر الاية وهو مال بقال لمارمل عالج وهو ما بين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشا
 في الارض وكثروا وقهروا اهلهما لنصل قوتهم التي اناهم الله تعالى وكان قد اعطاهم الله من القوة والمامة
 ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى واذا كروا اذ جاءكم خلفاء من بعد قوم نوح وزاد في الخلق بسطة اوى
 عظما وطولا وقوة وشدة (قال) ابو حنيفة النعمان كان طول كل رجل منهم ستمون ذراعا وقال ابن عباس
 ثمانين ذراعا وقال الكشي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا (وقال) وهب كان رأس
 احدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا اصحاب
 اوزن يبدونها من دون الله تعالى فيها صم يقال له ردى وصم يقال له ردى وصم يقال له ردى وصم يقال له ردى
 هودا نبيا وهو من اوسطهم نسبوا فاضلم حبا وهو هود بن عبدالله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص
 ابن ارم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحق ابن يسار وهود بن عابر بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح
 ولد لشلخ عابر بعد ان هضي من عمره ثلاثون سنة فامرهم هود ان يوحدا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها
 غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بنير ذلك قابوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة
 وبنا المصانع ويطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى ان ابنون بكل ريع آية تبتون وتتخذون مصانع
 لعلكم تختلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى اضر بهم
 ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلا رجم دبلوا ومن الله تعالى الفرج وكان طابهم ذلك من الله
 تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة ادبايتهم وكابهم بمخلفهم لمكة

هذا الركب رجل يأخذ

سيفا يردعها هذا الاسد
فقال اما رجل فلا أعرف
ولكني اعرف امرأته
من غير سيف فقلت وأين
هي فقام وقت معه الى
هودج قريب منا فنادى
يا بني انزلي وردى عنا هذا
الاسد فنالت يا ابت
ايطيب قلبك ان ينظر الى
الاسد وهو ذكروا ما انني
ولكن قل لابنتي فاطمه
تفرك السلام وتسم
عليك بالذي لا تأخذه سنة
ولا نوم الاماءت عن
طريق القوم قال الاصمعي
فوالله ما سمت كلامها
حتى رايت الاسد ذاهبا
أمامنا * هذو والله لا نأمن
الصالحين وامارة العارفين
نقمتنا الله تعالى بهم آمين
(دروى عن بعض
الصالحين رضي الله تعالى
عنه) انظر اى جارية
البادية وهى عشي وتفرح
واليس معها احد فقال من
اين اقبلت فنالت له من
عند الحبيب قل والى ابن
تريدن قالت الى الحبيب
قال فما استوحشيت وحدك
في هذه البرية فرفعت
صوتها ونادت بأعلاه يعلم
بلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما
يخرج فيها وهو معكم اينا
كنتم والله بما تعملون
بصيرتم قالت يا بطل من

عارف بجرمتها ومكانتها عند الله تعالى واهل مكة يؤمنون بالعماليق وانما سمو العماليق لان اباهم عماليق بن سام
ابن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت
الخبيري رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جردوا رقاوا جهزا ومنكم وفد الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا
منهم قيل بن عذروا فبين من هزال بن هزبل وعييل بن ضد بن عاد الاكبر ومن بن سعد بن عغير وكان مسلما
كنتم اسلامه وجه لامة بن الخبيري خال معاوية بن بكر ثم بعثوا ايضا لامة بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق
كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا أخوا له وأصهاره فقاموا وعنده شهر
يشربون الخمر وتغنيهم الجرادان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأوا
معاوية بطول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى
وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيقي والله ما أدري كيف أصنعهم فاستعجى أمرهم بالخروج الى
ما بعثوا اليه فيظنون انه ضيق مبي تقاضهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جردوا عطايا فاشكوا ذلك من
أمرهم الى قيتي الجرادتين فقالا له قل شرا غنيهم به ولا يدرون قاتله بل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر
الا يا قيتل ويحك قم فبينهم * لعل الله يمنحنا غنما
فتسقى ارض عادان عاد * قد أمسوا لا يبينون الكلام
من العطش الشديد فليس ترجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلام
وقد كانت نسأفهموا بخير * فقد أمتت نسأفهموا عيامى
وارالوحش يأتهم جهازا * ولا يخشى امادي سسها
وانتم ههنا فيما اشتبهتم * نهاركوا وليلكوا تمام
فنبج ردفكم من وفد قوم * ولا فلوا التحية والسلا
فلما غنمهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم عموكم يستغيثون من هذا البلاء الذي نزل بهم
وقد ابطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا
انكم والله لا تستسقون بدعائكم ولكن ان اطعمت نبيكم وانبت لى ربكم حقيتهم فاطهر اسلامه عند ذلك قال جلهم
ابن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف انه قد تبع دين هود عليه السلام
أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وامك من نمود
فانا لا نطليمك ما بقينا * ولسنا قاعلين لما تريد
أنا أمرنا لنترك دين وفد * ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتبع دين هود
ثم قال لمعاوية بن بكر وابيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عن مرثد بن سعد حتى لا يقدم منه ما مكة فانه قد تبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا الى مكة يستسقون لادبهم فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل
معاوية حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله شيئا ما خرجوا اليه فلما انتهى قام بدعوا لله وفدعا قد أخذوا
بدعوى نجيل يقول اللهم اعطني مؤلى وحدى ولا بدخاني في شي مما يدعوا به وفدعا وكان قيل بن عذروا رأس
وفدعا قد أمرهم أن يأمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيتلا ماسألك وأجعل سؤالنا مع والى وكان يختلف
عن وفد عاد لامة بن عاد ولم يدخل في دعوتهم فقال اللهم اني جئتك وحدى في حاجتى فاعطنى مؤلى وقال
قيل بن عذروا حين دعى واستسقى اللهم لم أجىء لمرض قادي به ولا لاسير فافادته اللهم اسق عاد ما كنت

مما سواه ومن طاب رضاءه
صبر على قضاء ثم غابت
عني فلم ارها رضي الله تعالى
عنها (وحكى عن المري
السقطي رضي الله تعالى
عنه انه قال) اقرت لisle
من الليالي فلم استطع
الغص فقلت في نفسي
اخرج الى المقابر لم اعتر
برؤية القبور والتفكير في
البعث والشور فيزول همي
وعني فخرجت اليها فسا
وجدت قبلي منشراحا ليها
فقلت ادخل الاسواق
لمني باختلاط الناس يزول
عني الابس فقامت ذلك ف
اشرح قبلي هنالك فقامت
ادخل المارستان وانظر
الى المرضى والجائين والى
اقامهم لمي اعتبر باحوالهم
فدخلت اليه فوجدت
قبلي مقبلا عليه فقلت لهي
وسيدى الي ههنا سيرتني
ولاجله من ماسى ايقظتني
فنودت في سرى ما تبنا
بك الى هذا المكان الا ولنا
فيه نبا وشان قال السرى
فقد سمت الى مكان
الجائين فرايت فيه جارية
مصفرة اللون متفيرة
ويدها مغلولتان الى عنقه
وحى مشمولة بذكر الله
تعالى قال السرى فقلت
للقيم على الجائين ماشان
هذه الجارية فقال جارية
اختل عقلها فحبسها

تسقيهم بالهنا ان كان هود صا دقا سقنا فاذا قد حله كنهنا فانشأ الله سبحانه ثلاثا واحدة بيضاء وواحدة حمراء
وواحدة سوداء ثم ناداه من السحاب الا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحاب الثلاث فقال قيل
اخترت السحابة السوداء فانما اكثر السحاب ماء فتاداه المنادى يقول اخترت يا قيل رماد رماد من المنيق من
آل عاد اعدا اولا ولدا تركه ولا والدا الا جعلتهم رما يمددوا بالو يد المهداو والمويدة هط من هزال بن
هز بل بن بكر وكاوا سكا نعمة مع اخوانهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الاخرة فساق الله السحابة
السوداء التي اختارها قيل عا فيها من النعمة الى عاد حتى خرجت عليهم من وادهم لقال له المنيق فلما
راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استجأتم به ربح فيها عذاب
ألم تدمر كل شيء بامر ربها أكل شيء مرق به وكان أول من أضر ما فيها وعرف اهدار ربح هلكة
امرأة من عاد يقال لها مهد فلما تبينت ما فيها من العذاب صاحتم فصعقت فلما أفاقوا لما رايت
قالت رايت ربحا فيها كمشب النار امامها رجال يقودونها (اخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين ابنا
محمد بن جعفر ابنا الحسن بن علوة انما فاسم ميل بن عيسى ابنا اسحق بن بشر اخبرني انثني بن الصباح
عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال اوحى الله تعالى الى الربيع المقيم ان يخرج على قوم ففتنتهم
له منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على منخر ثور حتى رجفت الارض مما يلي المشرق والمغرب قل فقال
الخرن ان يارب ان يطيقوها ولو خرجت على حاله لاهلك ما بين مشارق الارض ومغاربها فاحس الله اليها
ان ارجمي فاخرجني على قدر خمره الخاتم وهي الحلقة قال فخرجها الله عليهم سبعة ايام
حسوا ما داءة متتابة فلم تدع احدا من عاد الا هلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيدهم
من الريح الا ما بين جلودهم وتلبه الا نفس وانما من عاد لظن فتحملهم ما بين السماء والارض وتدمرهم
بالحجارة حتى هلكوا (قال) محمد بن اسحق والسدي بمس الله على عاد الربح المقيم فلما دنت منهم نظروا
الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فبادروا البيوت فلما دخلوها خلت عليهم الريح
فاخرجتهم منها فهلكوا فلما اهلكهم الله تعالى ارسل عليهم طيور اسودت لثامهم في البحر فالتهم فيهم (قال)
ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رط منهم احدثهم الخلعان وكان رئيسهم وكبيرهم
في ذلك الزمان تالوا حتى تقوم على رأس الوادي ففردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله
ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تفلع الشجرة العظيمة بدورها وتدمر عليهم يومهم وتقامهم فتتركهم
كما قال الله تعالى كانهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخاجان قال الى الجبل فاخذ بجانب منه فهزه
فاهتز يده ثم انشأ يقول

لم يبق الا الخلعان نفسه * يالك من يوم دهان امسه

نبات الوطء شديد بطشه * لو لم يحمي جنته وحبسه

فقال له هود ويحك يا خلعان اسلم تسلم فقال له ما لي عندك اذا اسلمت قال الجنة قال فما هو الا الذي اراهم
في السحاب كانهم البخت قال هود ذلك انما لك قال ان اسلمت ايقيدن ربك منهم فومى قال ويحك هل
رايت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رزيت فجهات الربح فالحفته بالسحاب واهلكته وافنى الله عادا
سوي من بقي من قومهم بمكة ونواحيها (اخبرنا) الحسين بن محمد الدينوري اخبرنا احمد بن محمد بن اسحق
السني اخبرنا ابو يعلى الموصلي اخبرنا اسحق بن ابي اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريري اخبرنا جعفر
بن سليمان الضبيي اخبرنا فرقد السبخي عن عاصم عن عمر واليجي عن ابي امامة الباهلي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام شراب وهو فيصحبون قرده وخناز يزويصحبهم

الجارية كلامه تنهدت
وانشدت تقول هذه
الابيات شعرا
ممشر الناس ماجئت
ولكن

انا سكرانة وقلبي صاحي
قد غلّمت بدى ولم آت ذنبا
غير هتكى في حبه
وافضاحي

انا منتونة بحب حبيب
استأجني عن بابه من
براح
فصلاحي الذي رأيتم
فسادي

وفسادي الذي رأيتم
صلاحي

قال السري فلما سمعت
كلامها اقلفتني وابكاني

وهيج لوعتي واشجاني
فلما رأيت دمي يتحدري على

وجهي قالت ياسرى
ما جهلت منذ عرفت ولا

فترت منذ خدمت ولا
قطعت منذ وصلت ولا

حجبت منذ وقفت واهل
الدرجات يعرف بعضهم

بعضا قال السرى فقلت لها
يا جارية اراك للحمية

تذكرين وللتوحيد
تظهرين فلن تحبين فقلت

لمن تعرف علينا باكرامه
وتحبيب الينا بانعامه وحاد

علينا بجزيل عطائه فهو
قريب الى القلوب مفرج

للكروب حلیم على من
عصاه يجيب لمن دعاه قال

خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة بيني فلان وليس ان علمهم الربيع المقيم التي اهلك عاداتهم
الخبر واكلهم الربا فاختارهم القينات وليسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة
حتى مروا بمعاوية بن بكر فزولوا عليه فيبناهم عنده اذا اقبل رجل على ذقوله في ليلة مقمرة من امصار
عاد فاخبرهم بهلاك عاد فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكاهم شكوا
فيما حذرهم به فقات همرلة بنت بكر صرق ورب الكعبة ومنور بن بفران اخي معاوية بن بكر معهم
قاوا وقد قيل لمرد بن سعد ولفان بن عاد وقيل بن عزمين دعوا عكة قد اعطيتكم مناكم فاخذوا ولا نفسكم
فقال مرثد اللهم اعطني ربوا صدقا فاعطى ذلك وقال قيل اختارنا بصبري ما اصاب قومي فقبل له هلاك
فقال لا ابال لاحاجة لي في البقاء بعد قومي فاصاب بالذي اصاب عاد من العذاب فهلك وقال لفان يارب اعطني
عمر اقبل له اختر لنفسك بقاء سبع بركات سدر من اطب عقر لا يمسا القطر او عمر سبعة انما اذهاض
انسرحولت الى نسر آخر فاستحق بقاء الامار واختر عمر النور فممر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين
يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها القوة فيديه حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى اتي
الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما بقي غير السابع قال ابن اخ لفان يا عم لم يبق من عمرك
الا هذا النسر فقال لفان يا ابن اخي هذا لبيد ولبيد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبيد طارت النور
غداة من رأس الجبل ولم ينقض لبيد فيها وكانت نسر ورلفان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبيد لم ينقض مع
النور قام الى الجبل لينظره فمهل لبيد فوجد لفان في نفسه وهما لم يكن يحده قيل ذلك فلما انتهى الى الجبل
رأى نمره لبيدا واقفا بين النور فاداه امض لبيد فذهب لينقض فلم يستطع فقط ومات لفان معه وفيه
جرى المثل اني ابدع لبيد وقال النافعة الذيباني

أضحت قفارا واضحي اهاما احتملوا * أخنى عليها الذي اخني على لبيد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول انرا ك الذي اخبر بهلاك عاد شعرا

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ما تلبهم السما

وسير وفتحهم شهرا ليسقوا * فاردفهم مع العطش العناء

بكفرهم بر بهم جهارا * على آزارهم عاد العفاء

الانزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم فقهر هواء

من الرب المهين اذ عصوه * وماتني النصيحة والشفاء

فقمي وابتنساي وام ولدي * لنفس نبينا هود فداء

انا والفسلوب مميات * على ظلم وقد ذهب الضياء

لنا صتم يقال له صمود * يقابله صدى الهباء

* قابره الذين له اناؤا * وادرك من يكذبه الشقاء

واني سوف الحق من آل هود * واخوته ادا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقي هود ماشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال ابو الطويل عامر
ابن وائلة سمعت عليا رضي الله عنه يقول لرجل من اهل حضر موت هل رأيت كتيبا حمر يخالطه مدره حمراء
واراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضر موت قال نعم يا امير المؤمنين انك لتنتعل على نعت رجل قد
راه قال لا واكنه قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا امير المؤمنين فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام
اخبرنا ابو عمرو احمد بن أبي العرابي ابا ناس النخعي بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام

أُنْبَا نَا الْفَضْلُ بْنُ بَحْيٍ الْجَنْدِيُّ أُنْبَا نَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ أُنْبَا نَا يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ عَطَا
عَنِ السَّائِبِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطَانَ قَالَ بَيْنَ الزُّكْرِ وَالْمَاءِ زَرْعٌ مِثْلُ قُبُورٍ تَسْعَةُ وَتِسْعُونَ نَبْأًا وَإِنْ قُبُورُهُ
وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَاسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ (وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى) كَانَ النَّبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا هَلَكَ قَوْمُهُ
وَنَجَّاهُ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ يَأْتِي مَكَّةَ هُوَ وَمَعَهُ يَبْدُونَ لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَمُوتُوا وَاللَّهُ أَعْلَمُ
﴿مَجْلِسُ فِي قِصَّةِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْيَاسِينَ خُودًا وَهُوَ مُؤَدَّبٌ بِنُوحٍ وَهُوَ أَخُو جَدِيدٍ
وَأَرَادَهُمَا الْقَبِيلَةَ قَالَ ابْرُحْمُوهُنَّ بِالْعِلَاءِ سَمِعَتْ مُنُودًا لِقَلْبِهَا مَاءً وَالْمَاءُ الْقَلِيلُ وَكَانَتْ مَسَاكِينُ
مُؤَدَّا الْحِجْرَ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِمْ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ وَالسُّدِّيُّ وَالسُّكُّبِيُّ
وَوَهَبُ بْنُ مَنْبِهٍ وَكُتُبٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ دَخَلَ كَلَامُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ مِنْ عَادَا الْأَوَّلِيَّةِ أَعْلَاهُمْ
اللَّهُ تَعَالَى وَانْتَضَى أَمْرُهُمْ عَمَرْتُ مُؤَدَّ بِدَعْمٍ وَاسْتَخْلَفُوا فِي الْأَرْضِ فَجَلُّوا فِيهَا فَيَكْتُمُوا وَغَمُّوا حَتَّى
جَعَلَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ الْمَسْكَنِ مِنَ الْحِجْرِ وَالْمَدَرِ فَيَنْهَدُهُمْ وَهُوَ حَيٌّ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ اتَّخَذُوا مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَانْجَتُوا
مِنْهَا وَجَاوَبُوا وَجُودَهَا وَكَانُوا فِي سَمْعَةٍ مِنْ مَعَالِيهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ
بَيْتِ عَادَ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَخَذُونَ مِنْ سَبِيلِهَا قُصُورًا وَتَنْتَحِنُونَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ
وَلَا تَهْتُمُوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِكِينَ فَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعَبْدُوا غَيْرَهُ وَأَفْسَدُوا فِي الْأَرْضِ فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ صَالِحًا نَبِيًّا
وَهُوَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ بْنِ آسَفَ بْنِ مَسْحُورٍ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَازِرٍ بْنِ مُؤَدَّ وَكَانَ أَقْوَمًا مَاعِرَ بَارِكًا وَصَالِحًا مِنْ أَوْسَطِهِمْ
نَسَبًا وَأَفْضَلَهُمْ حَسَبًا فَبَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَلَدَّ عَامَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَبِإِيَّاهُ عِبَادَتُهُ فَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنْهُمْ فَغَمُّوا
فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الدَّعَاءَ وَالتَّبْلِيغَ وَكَثُرَ عَلَيْهِمُ التَّخَوُّفُ يَفِي التَّجَذُّبِ سَأَلُوهُ أَنْ يَرِيَهُمْ آيَةً تَكُونُ مَصْدَقًا لِقَوْلِهِ
يَقُولُ فَقَالَ اللَّهُ أَرَهُمْ آيَةً لِيَتَبَرَّوْا ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيْ آيَةً نَزَلَتْ يَدُونَ قَالُوا نَحْرُجُ مَعَكَ إِلَى عِيدِنَا وَكَانَ لَهُمْ عِيدٌ
يَخْرُجُونَ إِلَيْهِ بِاصْنَاتِهِمْ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ فَدَعَاؤُهُمْ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ وَدَعَاؤُهُمُ الْهَكَ
اسْتَجِيبَ لَنَا لِنَعْتَقِدَ فَقَالَ لَهُمْ صَالِحٌ نَعَمْ فَخَرَجُوا بِإِذْنِهِمْ إِلَى عِيدِهِمْ ذَلِكَ وَخَرَجَ هَلْ مَعَهُمْ فَدَعَاؤُهُمْ وَدَعَاؤُهُمْ
وَسَأَلُوهُ أَنْ لَا يَسْتَجِيبَ لِصَالِحٍ فِي شَيْءٍ مَّا يَدْعُو بِهِ ثُمَّ قَالَ جَنْدَرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَوَّاسٍ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ
مُؤَدَّ بِصَالِحٍ أَخْرَجَ لَنَا مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ بَنَى الصَّخْرَةَ الْمُنْفَرِدَةَ عَنِ الْجِبَالِ فِي نَاحِيَةِ الْحِجْرِ يَقَالُ لَهَا الْكَاتِبَةُ نَاقَةٌ
مُخْرَجَةٌ جَوْافَةٌ بَرَاءَ عَشْرَاءَ وَالتَّحْرِجَةُ مَا شَاكَتِ الْبَيْتَ مِنَ الْأَبْلِ فَإِنْ فَعَلَتْ ذَلِكَ صَادِقًا لَنَا وَآمَنَّا بِكَ فَخَذَ
عَلَيْهِمْ صَالِحٌ الْمِيثَاقَ إِنَّهُنَّ فَعَلَتْ ذَلِكَ صَادِقَةً وَآمَنُوا بِهِ ثُمَّ رَدَّ صَالِحُهُمُ السَّلَامَ صَلَّى وَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ
فَتَمَحَضَتْ الصَّخْرَةُ تَمَحُضُ النَّوْجِ بُولَدَاهُمْ تَحْرُكُ الْمَضْبِغَةَ فَاصْدَعَتْ عَنْ نَاقَةِ عَشْرَاءَ جَوْافَةً بَرَاءَ
سَأَلُوهُ لَا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ جَنْدِيهَا اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَاءُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ثُمَّ نَجَّتْ سَبْعًا مِثْلًا فِي الْعَظَمِ فَأَمَّنَ بِهِ جَنْدَرُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ هَظْمٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَرَادَ أَشْرَافُ مُؤَدَّ أَنْ يَأْمَنُوا بِصَالِحٍ وَيَتَابَعُوهُ فَتَنَاهُمْ ذُو الْبُرْجَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَبِيدٍ
وَالْحَبِيبُ صَاحِبُهَا أَوْ تَنَاهَاهُمْ وَرِيَابُ بْنُ صَمْرٍ وَكَانُوا مِنْ أَشْرَافِ مُؤَدَّ وَكَانَ لَجْنَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ لَبِيدٍ
شَهَابُ بْنُ خَلِيفَةَ فَارَادَ أَنْ يَسْلَمَ فَنَاهَا وَأَنَّكَ الرَّهْطُ فَطَاعَهُمْ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مُؤَدَّ

وَكَانَتْ عَصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرِو * إِلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَا شُهَابًا
عَزِيزُ مُؤَدَّ كُلُّهُمْ جَمِيعًا * فَهَمَّتْ أَنْ تَحْيِيَهُمْ لَوَاجِبًا
لَا يَصِيحُ صَالِحٌ فَيَنْعَزِزُ * وَمَاعَدُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُرًّا
وَلَكِنْ الْغَوَاةُ مِنْ آلِ حَجْرٍ * تَوَلَّوْا بَعْدَ رَشْدِهِمْ ذُرًّا
فَلَمَّا خَرَجَتْ النَّاقَةُ قَالَ صَالِحٌ هَذِهِ نَاقَةُ هَاشِرٍ وَلَكِنْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ فَكَفَّتْ النَّاقَةُ وَمَعَهَا سَقَمٌ فِي أَرْضِ

السرى فماتت من حبسك
في هذا المسكان فقالت
حاسدون مبغضون
تماونوا على ورموني
بالجنون وهم أحق بهم هذا
الاسم فني واشتدت تقول
يا من رأي وحشي قاتني
بالغرب من وصله فانهشني
يا ما كفى لاخلوت من
سكني

دهري وياغدني على
الزمن

او حشني ما فقدت منه فقد

عاد باحسانه يقريني

وجدا يضاعلي منه طمنا

كذلك قد كنت حين

عرفني

حسبي من الكون من

شفقت به

احصيه مؤنس وياصحتني

وكنيت في غفلة فنبهني

وكنيت في رقدة فاية ظفني

قال السرى فماتت لهما

الاسم فماتت زع الاسم

يكفنيك فاسمعت يغنيك

فبينما نحن كذلك اذا قبل

سيدها فقال للمولك عليها

أن بدعة فقال قد دخل

عليها الشيخ السرى

فكلمها بكلام اصغت اليه

فدخل سيدها فرأى

السرى عندها نظمه وقبل

يده فقال يا سيدي لقد

رحمت ببركتك فقال له اي

شيء انكرت منها فقال

يا سيدي هذه جارية كانت

تقرب بالود فاعتجتني

فشربتها بجميع مالي وهو
عشرون نف درهم لفرط
حسنها وحسن ضربها
بالمود واملت ان اربح فيها
مثل ثمنها فدخلت عليها في
بعض الايام والود في
حجرها وهي تنفي وتشد
هذه الايات شعرا

وحفك ما نقضت الدهر
عهدا
ولا كدرت بعد الصغور ودا
مالت جوانحي والقلب
وجدا

فكيف اقر يا سكتي واحد
فيما من ليس لي مولى سواه
لقد صيرتني في الناس عبدا
قل فلما فرغت من غنائها
بكت بكاء طويلا ثم
ضربت بالدودي الارض
فكسرتة وجعلت تهيم
وتصيح وهي ذاهلة المقن
فانتهت بها بحجة الخلق ثم
كشفت عن حالها فلم اجد
لذلك اثرا قال السري
فلست لها يا جاريه اهكذا
جري عليك فاجابته بهذا
الكلام تقول شعرا

جاو بني الحق من جناتي
وكان وعظي على اساني
قر بني منه بعد بعد
وحصني منه واصطفاني
اجيت لما دعيت طوعا
مليبا للذي دعاني

وخفت لما جئت فيه
ما يوقع الحب بالاماني
قال السري فقلت لاسيدها
اطاعتها وعلى دفع ثمنها

ثمود ترعي الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولح يوم فاذا كان يوما وضعت رأسها في بئر بارض
الحجر يقال لها بئر الناقة فيرتفع الماء اليها ثم ترتفع رأسها الارقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها
فتنهجج ثم تروح عليهم فيجاءون من لبنها ماشاؤا بفشر يون ويدخرون ويلون او انهم لكن تصدر من
غير التاج الذي وردت منه لبنها لا تقدر ان تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال ابو موسي الاشعري
أثبت ارض ثمود فذرت صدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد
أخرج الله تعالى لهم من البئر وادخروا ماشاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا من ذلك في سعة وورعه وكانت
الناقة في الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقرةم ولهم وتهدى الى بطن الوادي
في حرد وحده فكانت كل المواشي تنفر من اذارأتما واذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب
مواشيتهم الى ظهر الوادي في البرد والحدة فضر ذلك مواشيتهم للبلاء والاخبار فكان مراتهم الجبال فكبر
ذلك عليهم حتى حملوا على عرق الناقة فاحتالوا في عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنزة بنت غنم بن مخلد
وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهمل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان
ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيايين ومهر وكانت غنية جميلة ذات
مواش كثيرة وكانت تمار المرأان من أشد الناس عداوة لصالح وكان ابن مخلد لا يفي عرق الناقة من كفرها بصالح
عاضرت بمواشيتهم وكانت صدوق عند ابن خلد لها يقال له صنيح بن هراوة بن سمد بن القطر يف بن هلال
فاسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فرضت اليد ما لها فاتفقه على من اسلم معه من اصحاب صالح عليه
الصلاة والسلام حتى تقدم الما فاطمعت صدوق على اسلامه فماتت على ذلك فاعطاهم لها بنده ودعاها الى الله
تعالى فابت عليه واخذت اولادها فبقيتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على اولادي فلما
الح عليها قالت حتى احاكت الى بني عمي وذلك ان بني زوجها كانوا مسلمين فابت ان تحاكمهم اليهم فقال
لها ودعها والله لتهطيه ولده طائفة أركاره فمأرت ذلك اعطته اولاده ثم ان صدوق وعنزة احتالنا في
عرق الناقة للشقاء الذي كتب عليهم فادعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الجنب فامرته بعرق الناقة وعرضت
عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج وجملة له نفسها ان
هو عرق الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا واكثرهم مالا واحسنهم بكالا فاجابها الى ذلك ودعت عنزة قدار بن
سالف من اهل قرح واسم امه قديرة وكان رجلا شرا زرق قصيرا ويزعمون انه كان زانية رجل يقال له
صفوان ولم يكن لسالف وليكنته قد ولد على فراشه فمالت له يا قدار اعطيك من بناتي ايا ما شئت على ان تعقر
الناقة وكان قدار عز يزاني قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبث اشقاها رجل عز يزاني
قومه مثل اني زمة قالوا فانطاق قدار ومصدع فاستمناوا بن استمناوا من ثمود فابهم سبعة نفر وكانوا
تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون فلقيم هدايات
بن مبلع خال قدارو عز يزان من اهل الحجر وزع بن غنم بن داعر اخي مصدع وخسعة لم نذكر اسماؤهم
فاجتهدوا على عرق الناقة قال السدي وغيره اوحى الله الى صالح ان قومك سيمكرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولدن شريك هذا غلام بعقرها يكون هلاكم على يديه فقالوا
لاجرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد تسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فنجحوا اولادهم وولد
للعاشر ابن قابي ابن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر ازرق احمر فبنت
بناتاسر يعا وكان اذ امر بالتسعة وراوه ندهوا على ذبح اولادهم وقالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل اولادهم فتقاسموا بالله لنبينهناه واهله قالوا انخرج فزرى الناس انا

ابن لك تمن هذا الجارية
 قال المري فقلت لا تمجّل
 وامكث في هذا المسكان
 حتى أتيك بشئها قال
 المري فوضيت الى منزلي
 وعيناي تذران بالدموع
 وقلبي بسبب حبهامودوع
 وصرت اتضرع الى الله
 تعالى واتوجه اليه وانوكل
 في قضاء حاجتي عليه فينبأ
 ان كذلك اذا قارع بقرع
 الباب فقلت من باباب
 من حبيب من الاحباب
 فنظرت فاذا هو شاب من
 احسن الناس وجها ومرة
 خادم على رأسه خمس بدر
 فقلت من انت رحمك الله
 فقال احمد بن المثنى قد
 اعطاني الجبار جل جلاله
 وما خل على بطنه ورزقي
 من الاله وال ما به عجز
 حمله الرجل ينبأنا اننا اذ
 هتف في هاتيك من قبيل
 الله عز وجل فقال يا احمد
 هل لك في ماملتنا فقلت
 وقد زال النوم عني ومن
 اولي بذلك فني فناداني
 ان احمل الى الشيخ المري
 خمس بدر يطيبها لمولى
 بدعة ليك اسرها من الرق
 ويحظى منها بالحق فلنا بها
 عناية ولطف ورعاية
 فحملت اليك هذا المال
 واطمنتك على الحال قال
 المري فسجدت شكرا
 لله تعالى واخذت بيد احمد

قد خرجنا السفر فأتاني الفار فكن فيه حتى اذا كان الليل وخرج معالي الى مسجده افتناه فبقته ثم نرجع
 الى الفار فكن فيهم ثم نصرف بعد ذلك الى رحا لنا فقول ماشهدنا مهلاك اهله وانا الصديقون فيصديقونا
 ويظنون ان قد خرجنا الى سفر وكنا صالحا ليناظم الميول معهم في القرية وكان يأري الى مسجد يقال له
 مسجد صالح بيت فيه في الليل فاذا أصبح اناهم ووعظهم وذكرهم فاذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه
 فلما دخلوا الفار واضمر وانهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه فقتل عليهم صخرة من الفار فقتلهم فانطلق
 رجال ممن كان قد اطاع على ذلك الفار فاهم رضى فرجموا يصيجون في الترية باعباد الله ما قنع صالح
 ان امرهم يقتل اولادهم حتى قتلهم فاجع اهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان
 تقاسم التسعة على تببيت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالذاب وذلك ان
 التسعة الذين عقروا الفار قالوا لهم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا نجعلنا قتله وان كان كاذبا الحننا
 بقتله فانوه لئلا يبيتوه في اهلهم فمتمهم الملائكة بالحجارة فلما انما على اصحابهم اتى اصحابهم منزل
 صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلهم ومهوا به فقامت عشرين
 دونه واخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كانت
 صادقا لمز يدوار بكم عليكم الاغصبا وان كان كاذبا فانت من وراء ما ترى بدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك
 (قال) السدي وغيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدارا ركان بسب في كل يوم شباب غيره في الجمعة ويشب
 في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جالس مع اناس يصيدون
 من الشراب فارادوا ما يعزجون به شراهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شرب به الناقة فاشتد
 عليهم ذلك وقالوا ما نصنع بالابن لو كنا نأخذ خذ الماء الذي تشرب به هذه الناقة فيه انا ما نأخذ حزننا كان خيرا لنا
 فقال ابن العاشر هل لكم ان اعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا
 كانت قد ملكت عمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حسدته فقاتل امرأة يقال لها قطام
 وكانت ممشوقة قد ار بن سالف ولامرأه يقال لها قبال وكانت ممشوقة مصدع من مهرج وكان قد ار
 ومصدع مجتهدان منهم كل ليلة بشر بن الحر فقاتلتهما ملكا انا كيا الليلة قد ار ومصدع فلاتا عليهما
 وقولا لهما ان الملكا حر بنة لاجل صالح وناقته ففحن لانا عليهما كذا حتى تمعرا الناقة فان عقرتها ما اطعنا كيا فلما
 أتياهما قاتلتهما هذه المغالة فقالا نحن نمقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قد ار ومصدع واصحابهما
 السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كن لها قد ار في أصل شجرة على طريقها وكن لها مصدع
 في أصل شجرة اخرى ثمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانظم به عضلة ساقها وخرجت أم غم
 وعذرة وامرت ابنتها وكانت من احسن النساء وجها فترامت لقد ار واسفرت له عن رجبها وحرصته على
 عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فارادها وطعن في ابنتها فزجرها وخرج اهل البلدة
 واقتسموها واكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سبعة من ذلك انطلق حتى أتى جبالا يعني يقال له
 ضوء وقيل اسمه قارة وروي ذلك مستند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب
 عن عمر بن خارجه فأتى صالح عليه السلام فقبل له ادركنا ناك قد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه
 ويمتدرون اليه ويقولون يا بني الله اعنا عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون
 فصليها فان ادركتموه قسمي ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما ارأوه على الجبل ذهبوا لياخذوه
 فاوحى الله الى الجبل فتضاو في السماء حتى مات له الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصل بكي
 حتى سالت دموعهم رغا نلا وانجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا

ومضينا الى المارستان وانا
بالوكل عليها بلقمت عينا
وشمالا فلما رأني قال
مرحبا ادخل عليها فانها
لطفنا وتوكلنا عند الله حرة
ومكانة قال فدخلنا عليها
فسمناها تقول شعرا
قد تصبرت الى ان
عيل في حبك صبري
وكنيت الوجد لكن
ليس يخفى فيك امري
ان تكن عني راض
لا ابالي طول دهرى
أنت لى خير انيس
يامنا سؤلى وذخرى
من برد يعتق رقى
ويذك اليوم اسرى
غيرك اللهم رنى
انت لى كاشف ضرى
قال فبيناهي تشد اذا قبل
مولاه وهو يسكى
ويتحب قال للمرى
فقلت له لابس عليك قد
اتيناك بالذى وزنته فى
الجارية بربح خمسة
آلاف درهم فقال لا والله
فقلت بربح عشرة آلاف
درهم فقال لا والله فقلت
بربح المثل فقال لا والله ولو
اعطيتى الدنيا بما فيها لما
قبلت منها شيئا ولكن هي
حرة لوجه الله تعالى قال
السرى فقلت له اخبرنى
ما الخبر فقال يا استاذى
أتانى البارحة آت فى النوم
ويخفى في المنام واغاظ
على في الكلام وقال تهين

في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار تابع الفصيل
اربعه نفر من التسمية الذين عقروا الناقة فبهم مصدع واخوه ذؤاب ولدهم رج فماده مصدع سبهم فانظم
قلبه ثم حر برجله فانزله والفقوا له مع لحم امه فقال لهم صالح عليه السلام انتم كنتم حرمة الله فابشروا بعذاب
الله تعالى ونقمة الله فوالله ما سمعنا من قبله من آية الا ذلك وكانوا يسمعون اليوم الا احد الاول
والاثنين اهون والثلاثة اوبار والاربعة اوجبار والخمسة مؤنس والجمعة العروبة والسبت شببار
وفيه يقول الشاعر

أومل ان اعيش وان يموي * بأول او بأهون او جبار

أو المردى دبار قالت افته * مؤنس أو عروبة او شببار

قالوا وكان عقرا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن رقت العذاب وآيته
انكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم الاربعاء ووجوهكم حمرة ثم تصبحون
يوم شببار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فاصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة
كأنما طليت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فاقبوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوه
ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من نمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
رجل منهم يقال له نقيل ويكنى اباهدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدر وعاليه ففسدوا على اصحاب
صالح يمدونهم ليدلوه عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم بابي الله انهم ليمدوننا
لندلهم عليك فندقلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فقاتوا اباهدب فكلوه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس
لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما نزل الله تعالى بهم من عذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا
عما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحو اليوم الثاني اذا
وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا ان العذاب واقع بهم فلما امسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحو اليوم الثالث اذا وجوههم
مسودة كأنما طليت بالفار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه
السلام من بين اظفارهم وخرج معه من آمن به حتى جاؤا الشام فنزلوا رمة فلسطين فلما أصبح النجوم تسكنوا
وتخبطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت كفاتهم لا تطاع ثم القوا أنفسهم بالارض فجعلوا يلقبون
ابصارهم الى السماء مرة تالى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحك من يوم الاحد
اتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ له صوت في الارض فغطت قلوبهم في
صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فاصبحوا في دارهم جائعين كأنهم يغنوا فيها ألا
ان نمود كفروا ربهم ألا بندا نمود ولم ينج منهم الا جارية مفعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فاطاق الله لها رجلا يهدمها ما عانت العذاب اجمع فخرجت كاسرع شئ يكون حتى
انت قرحا وهو وادى القرى حذما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عانت من العذاب وما صاب نمود ثم
استسقت من الماء فسقيت فلما بشرت بماتت (ودوى) ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما رآني صلى الله
عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احدنكم هذه القرية ولا تشر بوا من ما هو ولا
تدخلوا على هؤلاء المذنبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم ثم قال أما بعد فلا تسئلوا
رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سألو رسولهم الآية فبمث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا النج
وتصدر من هذا النج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين الفصيل

حبيبي
يا سرور السرور انت
سروري
يا حياة النفوس انت حياتي
وانبى انت نور لوري
قال السري ثم مضت حتى
غابت عن اعيننا ثم اتى
مولاها وصحبني وكذلك
أحمد بن المثنى برهة من
الزمان الى ان توفي سيدها
وبقيت انا وواحد بن المثنى
فمزمنا على الحج الى بيت
الله الحرام فبينما نحن
نطوف بالكعبة اذا بصوت
مفروح يخرج من كبد
مفروح وهو يشدو يقول
هذه الايات
قد تم تكتم بحجب
كيف لي منك بقر بك
فترقى بشؤاد
يشكى شدة بعدك
حيث يا نفس اذلا
يضر ربك ذنوبك
قال لي الفوجهارا
والرضا من عند ربك
قال السري قائمت
الصوت فاذا بامرأة
كالخيال ذاهلة العقل واليال
فلمسار اتي قالت السلام
عليك يا سري فقلت عليك
السلام من انت يرحمك الله
فقال لا اله الا الله وقع
التناكر بعد المعرفة انت
الى الال بحجوب وقبك
ملوب ثم قالت انا بدعة
قال السري فقلت لها

حبيبي بقرته خبها عنده الاما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحملها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم
تعرف الحبل ولم ين في بطنها (وقال السدي) خرج عمروذ بالرجال الى المسكر ونحاهم عن النساء ونحوه فامن ذلك
المولود ان يكون فسكت كذلك ماشاه الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم تأمن عليها احدان من قومه الا آزر فدعاه
وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم يترك الا ان ياتي بك فاقسمت عليك الا تدن من أهلك ولا
تواقها فقال آزر أنا أشجع على ديني من ذلك فارصاه بمجاذبته ثم سمعه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت
الي أهلي فظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال
ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال السكمان للنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة
فامر عمروذ بدم الغلمان فلما دنت ولادته أم ابراهيم وأخذها الخاض خرجت هاربة بخافة أن يطلع عليها
فيقتل ولدها فوضعه في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلقاء ورجعت فاخبرت زوجها بانهم اوانهم اقد
ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فاخذه من ذلك المسكن وحفر له سردابا عند نهر فواراه
وسد عليه بابا به بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف اليه فترضه (قال السدي) لما عظم بطن ام ابراهيم
خشى آزر ان يذبح فانطلق بها الى ارض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فانزلها في سرب من الارض
وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتمدها ويكتم ذلك من اصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك
السرب فشب فكان وهو ابن سنة كان ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة اسد طمع النباحين
ثم ذكر آزر لراحمها بان له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت ام ابراهيم الطاق خرجت ليلة
الى مغارة وكانت قريب منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام واصبحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت
عليه المغارة ورجعت الى بيتهم كانت تطامع في المغارة فتجده حيا بمص ابيه اياه قال ابو زريق كانت ام ابراهيم
كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته بمص ابيه ما به فقالت ذات يوم لا نظنن الى اصا به فوجدته
بمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسل ومن اصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل ام
ابراهيم عن حملها ما فعلت فولدت غلاما مات فصره ثم اوسكت عنه وكان اليوم على ابراهيم عليه السلام
في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمك ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى
ابيه آزر فاخبره انه ابنه واخبرته بما كانت صنعت في شأنه فمر آزر بذلك وفرح فرحاشد ابدا
(الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الي قومه
ومحاجته ايام في الدين والعلم اياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال اهل العلم) لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك
قالت ابوك قال فمن رب ابى قالت له عمروذ قال فمن رب عمروذ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها
فقالت ارايت الغلام الذي يحدث انه يغري دين اهل الارض فانه ابنتك ثم اخبرته بما قال لها فانا ابوه آزر فقال له
ابراهيم عليه السلام يا ابنا من ربى قال له اباك قال فمن رب امى قال انا قال فمن ربك قال نعم وقال فمن رب
عمروذ فاطمعه لطمه وقال له اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكننا به علمين ثم قال
لا بو يا اخراجني فاخرجه من السرب فانطاما به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل
والبقرة والغنم والخيول يراحمها فسأل اباها قال ما هذا فقال هذا ابل وبقرة وغنم فقال ما هذه بدم من ان يكون
لهارب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني وبرزقني واطممني وسقاني لربى
مالى اله غيره ثم نظر فاذا المشتري قطلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرائ الكوكب قبل القمر
فقال هذاربى فذلك قوله تعالى ولما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما اقل قال لا احب الا ولين

فلما رأى القمر بازغ قال هذا في فلما قل قال لمن لم يهدى في ليلا كوت من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغ قال هذا في هذا اكبر لانه رأى صواها اعظم فلما اقلت قال يا قوم انى يرى من تشرقون انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قالوا وكان ابوه يصنع الاصنام فلما اخبرهم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطىها ابراهيم ليبيعهم فيذهب ابراهيم عليه السلام فيناذي من يشتري ما يحضر ولا ينفع فلا يشتري احد منه فلما بارت عليه ذهب بها الى شهر فضرب رؤسها وقال لها اشترى كسدت استهزاء بقومهم وباعهم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه اياها واستهزأوه بها في قومهم واهل قريته فاجتمع قومهم في دينه فقال لهم المخرجونى في الله وقد هددنا الاكيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومهم نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليهم وعليهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا ابيه ازر الى دينه فقال يا بئتم لم تعبدوا الا سمع ولا تبصر ولا نفى عنك شيء الى آخر القصة فان ابيه الاجابة الى مادعا اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وظهر دينه فقال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآبائكم الا قدمون فانهم عدوا الى الارب العالمين قالوا فن تعبدوا ثم قال رب العالمين قالوا انى نمرود فقال لا الذى خلفني فهو يهدى الى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ غرور الجبار فدعا فقال يا ابراهيم اربأ الهك الذى يدعك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظم بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحى ويميت قال غرور انا احى واميت قال ابراهيم كيف تحى ويميت قال اخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمي فاقتل احدهما فاكون قد اتممتهم افعوه عن الآخر فارتكبه فاكون قد احييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله بانى بالشمس من المشرق فالت بها من المغرب فبهت عند ذلك غرور ولم يرجع اليه شيئا ولم تملكه الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يري قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضر عيدهم (قال السدى) كان لهم في كل سنة عيد يخرجون اليه ويحتممون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فجدوا لها تم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال ابو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضفاه الناس وثالله لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فسموه واهمته (وقال مجاهد) وقادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى افشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الالهة فاذا في البيت شهر مستقبل باب النهر صم عظم يليه اصغر من الى باب النهر واذ هم قد جعلوا طعاما فوضوه بين يدي الالهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا رجعتا وقد باركت الالهة في طعامنا كذا كذا فلما نظر ابراهيم الى الاصنام والى ما بين ايديهم من الطعام قال لهم على طريقتى الاستهزاء الا نأكلون فلما لم يجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرب بالبايعين وجعل يكسرهن بنفاس في يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فلقى في نفاس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جنذا لا اكبر لهم اللهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت الهتهم ورأوا هاتلك الحالة قالوا من فعل هذا يا كهنتنا انه من الظالمين قالوا سمعنا فى بذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى فطنه صنع هذا فبلغ ذلك غرور الجبار واشرف قومه فقالوا فتاوبوا على اعين الناس اللهم يشهدون عليه انه هو الذى فعل ذلك وكروا ان ياخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلمهم يشهدون بما نضع به ونعاقبه فلما احضره قالوا له انت فعلت هذا يا كهنتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا

ما الذى افادك الحق بهد

انفس اراكم عن الناس

فقال شعرا

افادنى كل النامى

وخص قلبي بالنمى

وقد ازال سیدی

عن باطنى نمل العنا

ان لم يدركنى بما

أرجو والا من أنا

قال فلما فرغت من كلامها

بكت واثبتت وهاجت

واضطربت ثم رفعت

رأسها وقالت يا سیدی

ومولای فاز اهل التقي

ونجا من اتقى وخاب من

حظله الطرد والاشقا

فاسالک يا سیدی الا ما

قربت الوصل واللقاء قد

توانبت عليك فخذنى

اليك فلا حاجة لى في البقا

ثم صرخت ووقعت الى

الارض فحركتها فاذا هي

ميتة رحمة الله عليها قل

فنظر اليها احد بن المنفي

فطار قلبه وحاربه ثم بكى

واثجب واهتز

واضطرب واصعد

الزفرات واطهر

الحمرات ثم صرخ ووقع

على الارض فحركته فاذا

هو قد مات قال السرى

فتمجبت من حالها

وقرب آجالها وأخذت

في غسلها وتجهيزها

ودفنها رحمة الله تعالى

عليها وتقمنا بها (وحكى

عن السرى ايضا رضى الله

هذه الاصلنام الصغار وحرأ كبر منها فكمسرها فاسألوهم ان كانوا ينظفون قال النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل قمله كبريهم هذا
 وقوله لملك الذي عرض اارة هي اختي فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم
 الظالمون هنا الرجل في سؤالكم اياه وهذه آفةكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول
 ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينظفون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم انتم
 الظالمون بمبادتكم الاثران الصغار مع هذا الكبريتم نكسروا على رؤسهم متصدعين في أمره وعلموا
 أنهم لا يطق ولا يتبطش فقالوا اندعمت ماؤلؤا ينظفون فلما انجحت الحجة عليهم لا ابراهيم عليه السلام
 قائلهم اقمه بدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولم يعبدون من دون الله فلا تغفلون فلما
 لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حر قوه وانصروا اللهكم ان كنتم قائلين قال عبد الله بن عمران الذي
 اشار عليهم يتحرق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شبيب الجبائي اسمه هيتون فخشف
 الله تعالى به الارض فهو يتجلى فيها الى يوم القيامة قال فلما اجتمع عرود وقومه على احراق ابراهيم عليه
 السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالخطيرة ذلك قوله عز وجل قالوا ابناؤنا فاقولوه في الجحيم ثم
 جموا له من أصاب الحطب واصناف الخشب حتى ان كانت المرأة تفرض فقول لان عاقا لله لا جمن
 حطب الا ابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض مناطق مم تحب انة لكان اصدا ابته تحت طين حطايو تحمله
 في النار التي يحرق بها ابراهيم احتسابا في دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجتمعون الحطب شهر راحتي اذا كثرت
 الحطب وجموا منه ما ارادوا اشعلوا النار في كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى اذا كان الطير يمر بها فيحترق
 من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا
 باشارة ابليس لمنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من الغائنه في النار من شدة حرها فتخذروا المنجنيق ووضوه
 فيه مديما مدلولوا صوت الله تعالى عليه فضجيت السموات والارض والجال ومن فيها من الملائكة وجميع
 الخلق الا القليلين ضجعا واحدة وقالوا اي ربنا ابراهيم ليس في أرضك أحد يعبدك غيره يحرق في النار قاذن
 لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم ان استمعنا شئ منكم اودعناه فليصره فقد اذنت لكم في ذلك وان لم يدع
 غيري قانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما ارادوا القاه في النار اناه ملك المياه فقال ان اردت ان احدث
 النار فان خزائن المياه والامطار بيدي وانه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم
 لا حاجة لي اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم ان أنت الواحد في السماء وفي الارض ليس في الارض أحد
 يعبدك غيري وروى المتمر عن ابى بن كعب عن ارقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أنفقوه ليلته
 في النار اياه الا أنت سمعناك رب العالمين لك الحدود لك الملك لا شريك لك ثم روى ابن المنجنيق الى النار
 في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما ليك فلا قال جبريل فاسأل
 ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحال حسبي الله ومنه الوكيل وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام
 اتخا نجا بقوله حسبي الله ومنه الوكيل قال الله عز وجل يا نازكوف بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدي) كان
 جبريل عليه السلام هو الذي ناداه باسما الله تعالى قال على بن ابى طالب رضى الله عنه وابن عباس لم يقل
 وسلاما مات ابراهيم من بردها ولم يكن حينئذ نار الاطعمت ظنت لها اني قال كعب الاحبار روي قتادة
 والزهرى ما انقزع أحد من الارض يومئذ بنار ولا احرق النار يومئذ شيئا الا نوافي ابراهيم عليه السلام
 ولم يبق يومئذ دابة الا اطعمت عنه النار الا الوزغ فذلك أمر الله صلى الله عليه وسلم بقتله وسما فوسقا
 قال السدي فاخذت الملائكة بضبي ابراهيم عليه السلام قاعدته على الارض قاذعين ماء وورد احمر

حججبت سنة من السنين
 الى بيت الله الحرام وزيارة
 النبي عليه افضل الصلوة
 والسلام فينا في الطريق
 اذا أنا بأسرة حسناء ذات
 جمال بديع فقلت لها يا
 جارية أين تريدين فقالت
 الى بيت الحبيب فقلت لها
 ان الطريق بعيدة فقالت
 بعيدة على كلان اودى
 ملالة واما على المشاق
 فهي قريبة ثم قالت انهم
 يرونه بعيدا ونراه قريبا
 قال فلما وصلت الى بيت
 الله الحرام رأيتها تطوف
 بالبيت فقالت يا مري أنا
 تلك الخادمة لولاي جثته
 بضمقى غملي بقوته هذه
 صفات قوم فارقوا ديار
 الله واخلعوا ثياب الزهو
 آثروا المحبوب بالنفوس
 والآثروا وقفوا بين يديه
 في حلل الانكسار هيجرو
 الراحة في الاوطان
 والاطوار فتهدرم خلمو
 ثياب الاصطبار ومزقوا
 ستر الاستتار وافشوا
 وجدهم مع كتمان الاسرار
 ناداهم بالغاية في الاصلاب
 والارحام حرام عليكم ان
 تنظروا الى غيري حرام
 وجمع لهم مجلس مناجاته
 وسبقاهم لذيق شراب
 مصافاته باهذا هل لك في
 هذا المجلس نديم هل لك في
 هذا الغرام غريم هل لك

في هذا الرج أليس هل

لك في هذه الروضة جليس
فإذا أردت إليها العبد رضا
الرب المطيب فتقرب إليه
بقاب منكسر وجسم
تخيف (قيل) إلا ما نزل
البلاء على أيوب عليه
السلام أنادطوس السماء
جبريل عليه السلام بأمر
الله عز وجل فقل له
يا أيوب سينزل بك ولأك
من البلاء والأهوال ما
يميز عن حملة الجبال فقال
أيوب ان دمت على
مواصلته الحبيب صابر
حتى يقال تعجب تعجب
فنودي يا أيوب استعد
لبلائك وصابر على نزول
حكى وقضائي وكان
السبب في ابتلائه أن
ابليس اللعين حسده
وتحيل عليه بأنواع الخيل
والمكر فلم يقدر عليه فقال
الحى عما سبب شكرك
أيوب لك وطاعة ما
وسدت له في الأموان
والاولاد والارزاق
والعافية فلو سلطتني عليه
وسابتني ذلك لما اطاعتك
طرفة عين فقال الله جل
جلاله ان هب قد سلطتك
عليه زانه ليقهره ذلك قال
قائل يوم ابتلاه باخذ
الاولاد فزادني الخدمية
واجتهد غاية الاجتهاد وفي
اليوم الثاني اخذ الاموال
فاحرقها ومزقها فقال

وترجس قالوا فاقام ابراهيم في النار سبعة أيام قال المنهل بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أبا قط أنعم
منى عيشا في الايام التي كنت فيها في النار (قال) ابن اسحق وعيره وبث الله ملك الظن في صورة ابراهيم عليه
السلام ففهم فيها الي جنب ابراهيم وهو يؤنسها فانه جبريل عليه السلام يقميص من حرير وقال يا ابراهيم
ان ربك يقول ما علمت ان النار لا تضرك احبائي والبسه القميص ثم أشرف عمرو من صرح عال ونظر الى
ابراهيم عليه السلام وما يشك انه قد هلك فراه جالسا في روضه ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار
تخرج من جوفها من الحطب فناداه عمرو يا ابراهيم كبير الهك الذي بلغت قدرته ان حال يدك وبين النار حتى
لم تضرك يا ابراهيم فهل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان اقتت فيه ان تضرك قال لا قال
فقم فخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام بمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال يا ابراهيم من الرجل
الذي رايت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظن أرسله الى ربى ليؤنسني فيما أنال
نمرود يا ابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فبما صنع بك حين آيت الاعداء ته
وتوحيدته انى ذابح نه اربعة آلاف بقره فقال له ابراهيم لا يقبل الله منك شيئا ما كنت على يدك حتى
تعارف الى دى فقال يا ابراهيم لا يستطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها فانه ذبحها وقر بها ومنع
الذباب عن ابراهيم ثم انه قال لا ابراهيم نعم الرب ربك يا ابراهيم (قال الشيبى) القى ابراهيم عايه
السلام في النار وهو ابن ست عشر سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولده سارة رضى الله عنها وهى
ابنة تسعين سنة وكان مذبوحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد اسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لا ابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من عمرو وما منهم قائل به لوط وكان
ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو اخو ابراهيم عليه السلام وكان له اخ ثالث
يقال له ناحور بن تارخ فهاران ابولوط وناحور ابونوبل وتنوبل ابولان ورفقا بنت تنوبل امرأة
اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وتمت أيضا
به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الا كبرعم ابراهيم عليه السلام وقال السدي كانت سارة بنت
ملك حران وذلك ان ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقى ابراهيم سارة وهى ابنة ملك
حران وكانت قد طمنت على قومها في دينهم فترجها ابراهيم عليه السلام على ان لا يضرها (قال ابن
اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثان ارض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط
وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى قائل لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل فمكث بها ماشاء
الله تعالى ان يمكث ثم خرج منها حتى قدم صمره ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهى برة
الشام وتزل لوط بالمؤنة فكان وهى من السبع على مسيرة يوم وليلة فبثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجبناه
ولوط الى الارض التي باركنا فيها للامان يعنى الشام فبركته ان بهت منها اكثر الانبياء وهى الارض المقدسة
وأرض الحشر والمنشور بها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيح الدجال بباب
لدوهى أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للنفى والغنى (قال أبى بن كعب)
ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس ثم يفرق في الارض والله اعلم

*(الباب الثالث في ذكر ولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول

اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة رزمزم) *

(قال اهل العلم بسير الماضين) لما نبى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابوه على فراق

سليمها وان شاء اطلقها وفي
اليوم انما انت فخر بليس في
جسده وهو في صلاة
التعجب فامسب الدود في جميع
بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى
في سره وعلايته وقال
الحمد لله الذي اصطفاني
خلقه من على بقضله
وسخيره ولم يشأني نفسه
قال ولم يزل ايوب ذاكرا
لربه حامدا وشاكرا ان
تمزق جسده وذاب لحمه
ودق عظمه ففسار الدود
يفدو في جسده وروح
وهو بالشكري لا يوب
وكان كلما سقط من جسده
دودة الى الارض يردّها
الى مكانها ويقول كفي
افئذه مائدة من جسدي
مدودة قال فنزل الامين
جبريل عليه السلام فسلم
عليه فلم يرد عليه السلام
لاستقباله انه عن الكلام
فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه
السلام فسأله عن عدم الرد
في أول مرة فقال يا اخي
يا جبريل ان الملك الودود
أرسل الى اضياف من الدود
لاطعمهم من لحمي على مائدة
عظائي فكان بعض اضيافي
على لساني فخشيت ان ارد
عليك السلام فتسقط من
مكانها فاكون سببا لمنع
قوتها وأطالب برزقها
وأكون عاصيا لربي وربها
(وحكى عن الامام محمد بن

قومهم واطهار البراءة منهم فقالوا اننا رآكم كرمات عبد من دون الله كقربانكم ايها المعبود من دون الله
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ايها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام
مهاجرا الى ربه فخرج معه لوط عليه السلام ونزوح ابراهيم عليه السلام وابنته عمه سارة فخرج بها لئلا تمس
الفرار بدبته والا مان على عبادته لرب حتى نزل حران فمكث بها ماشا الله ان يمكث ثم خرج منها مهاجرا
حتى قدم مصر وبها افروز من القرائنة الاول وكانت سارة من أحسن النساء واجملهن وكانت لاتصني
ابراهيم عليه السلام في شيء وبذلك اكرمهم الله تعالى قل فأتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة
من احسن النساء ووصف له حسنهما وجمالهما فاسر الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجهده فقال له هذه المرأة
منك فقال هي اخوتي وتخوف ان قل له امرأتى ان يقتله فقال له زينها وارسلها الى حتى انظر اليها فرجع
ابراهيم الى سارة عليها السلام وقال لها هذا الجبار سألني عنك فاخبرته انك اخوتي فلا تكذبي عنده
فانك اخوتي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيري غيرك ثم اقبلت سارة الى الجبار
وقدم ابراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه ورأها هوى اليها يتناولها بيده فبيست يده الى صدره فلما
رأى الجبار ذلك اعظم امرها وقال لها سرى بك ان يطاق يدى فوائله لا آذيتك فقلت سارة اللهم ان كان
صادقا فاطاق له يده فاطاق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) انه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد ان
يتناولها فيمس يده فاما رأي ذلك ردها الى ابراهيم وهوب لها هاجروها جاز بقطعة فقبلت الى ابراهيم
فلما أحسن بها ابراهيم انتقل من صلاته قال مهم فقلت كفي الله كيد القاجروا خدمتي هاجر قل محمد بن
سيرين كان! بوهريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت امك يا بني ما الهام
(وفي بعض الاخبار) ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها
من عنده الى وقت انصرافه اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جاز يقات
هيئة فوهبت اسارة لابراهيم فقالت انى اراها امرأة وضيفة لعل الله تعالى ان يرزقك منها ولد وكانت سارة
قد همت بالولادة حتى اسنت وقوع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام (روى) محمد بن اسحق
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقتنحت
مصر فاستوصوا بالهاجرا فان لهم زمة ورحم قال ابن اسحق فسالته الزهري ما الرحم الذى ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر ام اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك
الملك الذى كان بها واشفق من شره فنزل السبع من ارض فلسطين واحترف بها بيرا واتخذ بها مسجدا وكان
ماه تلك البرمعيها ظاهرا وكانت غنمه تردها فاقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم اهلها آذوه فيها
ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من ارض فلسطين بين الرملة وانيابا ببديقال لها قطة فلما خرج من
بين اظهريهم غضب ماه تلك الامين وذهب فقدم أهل السبع جميعا على ماصنه واولوا وقالوا اخرجننا من بين اظهرنا رجلا
صالحا فاقبوا اثره حتى ادركوه وسألوه ان يرجع فقال ما لنا برأجهم الى بلد اخرجت منه قالوا ان الماء الذى كنت
تشرب وتشرب معك منه قد نضب وذهب فاعطاهم سبعة اعز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا
أوردتموها بالبر تظهر الماء حتى يكون معينها ظاهرا كما كان قاشروا منها ولا تقرننها المرأة حائض فخرجوا بالاعز
قال فلما وقفت على البر تظهر الماء فكانوا يشربون منها وهوى على تلك الحالة حتى اتتها امرأة طامث فاعتزفت منها
فركبت معها الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلدة وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله
تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما اراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسوله
يامرونه بالخروج من بين اظهريهم وامرهم ان يبدؤا بابراهيم عليه السلام وببشره وسارة باسحق

ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر
 يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا ياكل الا مع ضيف مامكنه فلما رآهم في صورة الرجال سر بهم ورأى
 ضيو قالم بضيف مثلهم حسنا وجمالاً فقال لا يخرج هؤلاء القوم الا أنا فخرج جاء بمجل سمين حنيذ وهو
 المشوي بالحجارة ففر به اليهم فامسكوا ايديهم عنه فقال لهم الانا كلون فلما رأى ايديهم لا تصل اليه
 نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا تأكل طعاما الا بئمن قال فان لهذا
 عنما قالوا وما عنه قال تذكر اسم الله تعالى على اوله وتحملونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما
 السلام وقال بحق لهذا ان يتخذهم به خيالا ثم قالوا له لا تخن ولا تخزن الا ما ارسلنا الى قوم لوط وامرأة سارة
 قائمة بخدشهم و ابراهيم قاعد منهم فلما أخبروه بما أرسلوا بهو بشرو به اسحق ويعقوب فضحكت سارة
 واختلف العلماء في الملة الجالبة لضحكها منهي فقال السدي انما ضحكك سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم
 وقالت عابجا الاضيافنا هؤلاء انما نخدشهم بانفسنا نكرهم لهم وهم لا يكون طعامنا وقال قتادة ضحكك من
 غفلة قوم لوط وقرب المذاب منهم وقال مقاتل والكبي ضحكك من خوف ابراهيم من لؤنه وهم فيها بين
 خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكك تعجبا من أن يكون له ولد على كرسنها وسن زوجها وكانت هي
 بنت تسعين سنة و ابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدي قالت سارة لخير بل عليه السلام لما بشرها
 بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فاخبره عودا يا سافواه بين أصابعها فهاهنا خضر فقال ابراهيم هو الله اذ
 ذبيح وقال بجاهد وعكره فضحكك أي حاضيت في الوقت تقول العرب ضحكك الارنب اذا حاضت
 وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة اسحق وقد كانت حملت هاجر باماعيل
 فوضعتا معا فشب الغلمان فبينهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق
 اسماعيل فاخذه واجلسه في حجره واجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت
 الى ابن الامة فاجلسته في حجره وعمدت الى ابني فاجلسته الى جنبك وقد حملت ألا تضمرني ولا تسوقني
 وأخذها ما يؤخذ النساء من الغيرة فحملت لنفط من بضة منها ولتغيرن خلفها ثم تاب اليها فقبلها فبقيت
 متحيرة في ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها وانفي اذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة في النساء ثم
 ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا
 تما كنيني في بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يزولها عنها فوحي الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام
 أن يأتي بهاجر وابنها مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحو اليها خارج مكة
 ناس يقال لهم المالقي وموضع البيت يومئذ بوة حراء فقال ابراهيم عليه السلام لخير بل عليه السلام ههنا
 أمرت ان تضعها قال نعم فمضت الى موضع الحجر فانزلها فيه وامر هاجر أم اسمعيل ان يتخذع يشاتم قال
 ر بنا ان اسكنت من ذبيح واد غير ذبيح زرع عند بيتك المحرم بنالقيتموا الصلاة فاجعل أئدة من الناس
 تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات انهم يشكرون ثم انصرف قائمته هاجر وقالت الى من تكلمنا فجعل لا يرد
 عليها شيئا فقالت الله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيع نعمنا انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر
 شنة فيها ماء فنفذ الماء فعطشت وعطش الصبي فظرت اى الجبال ادنى من الارض فوضعت الصبي
 ونسجعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيئا ولم تر أحد ثم انها سمعت اصوات سبع الوادى نحو
 اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لئلا ينسبه ثم سمعت صوتا نحو المروة فصعدت ومارى يدالسي كالنسان الجهود ففى
 أول من سعي بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى
 استيقنت وجعلت تدعوا اسمعيل تسمى بالله قد اسمعتني صوتك فاعنني فقد هلك وهلك من معنى فاذا

در پس الشافى رضى الله
 تعالى عنه انه قال رأيت
 بمكة نصرانيا يدعى
 بالاسقف وهو يطوف
 بالكمبة فقلت له مالذي
 زهدك عن دين آباءك
 فقال بدلت خيامته فقلت
 كيف كان ذلك فقال وقع
 لى حكاية عجيبة ونكتة
 غريبة وذلك انى ركبت
 البحر فى مركب فلما
 توسطنا البحر كسرت بنا
 المركب فنجوت على لوح
 منها فما زالت الامواج
 تدفعنى حتى رمتنى فى
 جزيرة من جزائر البحر
 فرأيت فيها اشجارا كثيرة
 ولها ثمار احدى من الشهد
 والين من الزبدوريات فيها
 نهار عذبا فقلت الحمد لله على
 ذلك فها انا آكل من تلك
 الثمار واشرب من ذلك
 الماء حتى باتى الله بالفرج
 فلما ذهب النهار جاء الليل
 خفت على نفسي من
 الدواب والهوام فملوت
 شجرة وجلست على
 غصن من اغصانها فنت
 على ذلك الغصن فلما كان
 وسط الليل اذا دابة على
 وجه الماء تسبح الله تعالى
 بلسان فصيح وتقول لاله
 الا الله العزيز الغفار محمد
 رسول الله انبى المختار اوبى
 بكر صاحبه فى القار عمر
 مفتاح الامصار عثمان
 القتل فى الدار على من

هي يحبر بل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت امرأة ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من
وكذلك قالت وكما لي الله تعالى قال لقد وكما لي الى كرم كافتم جاء بها ولة - فطعامهم ما وشراهم ما حتى انتهى
الى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما تبع الماء أخذت
شنة لها وجعلت تستقي فيها وتندخره فقال لها جبريل عليه السلام انما اري وجعلت اسم اسميل تحبسها احبسا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عيننا مينا وقال لها جبريل لا تخافي الظما على
اهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها ما امان اياها الفلام سيجي وفيه نيا الله تعالى
ببنا هذا موضعه قالوا وموت رفقة من جرمهم نزل يد الشام فراؤا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير الحائم على
ماء قافرو في اذانهم بلقاء فقالوا لها جبران شئت كما ملك فانساك والماء ماؤك فاذا نبت لهم فنزلوا معها وهم اول
سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول تلبيتها

لهم ان جرماء عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك
فكانوا هناك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرمهم وأخذ لسانهم فغرب بهم
فهم اولاد العرب المتعرب * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزورها جروا بها فانزلت له واشترطت
عليه ان لا ينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدما را كبا ابراهيم فلما قدمها
ذهب الى بيت اسمعيل فقال لا مراثة ابن صاحبك قالت ليس هذا ذهب بتصيد وكان اسمعيل يخرج من
الحرم بتصيد ثم يرجع وكان مولدا بالصيد فخص بالفنص والقروسية والرمى والصرع فقال له ابراهيم
عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام او شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي اهل فقال لها
ابراهيم اذاجا زوجك فاقترئته مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابي فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل
اسمعيل فوجد ربح ابيه فقال لا مراثة اهل جارك احد فقال جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة
يشانه قال فاقال ذلك قالت قل اقترئ زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابي فظلمها وتزوج اخرى فلبث
ابراهيم عليه السلام ماشا الله تعالى ثم استأذن سارة ان يزورها اسمعيل فانزلت له واشترطت عليه ان لا ينزل
فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لا مراثة ابن صاحبك قالت ذهب بتصيد وهو
يحيى الان ان شاء الله تعالى فانزل بركة الله له اهل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت بالابن واللحم فدعاهم
بالبركة فلوجامت يومئذ - بخبز أو برأوشه وبرأوشه لمكان مكة اكثر ارض الله براوشه وبرأوشه ثم قالت له
انزل حتى اغسل رأسك وشمتك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت عنده شقة الابن فوضع قدمه عليه فبقى اثر
قدمه فيه ففسلت شق رأسه الابن ثم جعلت المقام الى شقة الابن ففسلت شق رأسه الابن فقال لها اذاجا
زوجك فاقترئته السلام وقولي له قد استقامت عتبت بابك فلما جاء اسمعيل وجد ربح ابيه فقال لا مراثة اهل جارك
احد قالت نعم جاءني شيخ احسن الناس وجهها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت
لرأسه وهذا موضع قدمي على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (قال) انس بن مالك رأيت في
المقام انرا صابغ ابراهيم عليه السلام وعقبه وخص قدميه غير انه ذهب مسح الناس بايديهم (واخبرنا) محمد
بن احمد بن عبدون قال اخبرنا محمد بن حمد بن بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هبة بن خالد حدثنا
أبو يحيى بن جابر بن مسطح القرشي قال سمعت مسافرا بن مشيئة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول اشهد
ثلاث مرات اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام باقوتان من باقوت الجنة طمس
الله نورهما ولولا ان طمس الله نورهما لأضامنا بين المشرق والمغرب

الله على الكفار فلي
مبعضهم لمة الملك الجبار
وما واد جهنم وبئس انقرار
فما زالت تقول هذه
الكلمات الى ان طلع
الفجر فلما همت
بالانصراف قالت لا اله الا
الله الملك المجيد محمد رسول
الله الهادي الرشيد أبو
بكر الصديق الصادق
الشريد عمر بن الخطاب
سورن حديد عثمان بن
عقان القليل الشهيد على
ابن ابي طالب ذوالباس
الشديد فلي بمبعضهم
الرب المجيد قال فلما رصرت
تلك الدابة الى البراد اراسها
رأس نامة ووجه وجه
انسان وقوائمها قوائم
وذئبها ذئب سمكة فخطفت
على نعلي منها فقلت الى
وقالت قف فوقفت لها
فقلت لي ما دينك فقلت
هادين النصرانية فقلت
بئس الدين ويحك يا خامس
ارجع الي دين الخنيفسية
فالك قد حلت بفناء قوم
منه وضمني الجن ولا ينجو
منهم الا كل مسلم قال فقلت
لها وكيف الاسلام فقلت
تشهد ان لا اله الا الله وان
محمد رسول الله قال فقلت لها
فقلت كل اسلامك
بالترضى عن ابي بكر وعمر
عثمان وعلى فقلت ذلك ثم
قلت لها من اخبركم بذلك
فقلت قوم حضر واعند

رسول الله صلى الله عليه

وسلم فسمعه يقول اذا

كان يوم القيامة تانى الجنة

فتنادي باسان طاق الهم

انك قد وعدتني ان تشيد

اركانى فيقول له الجليل

جل جلاله قد شيدت

أركانك ياى بكر وعمر

وعثمان وعيسى رضى الله

تعالى عنهم اجمعين ثم

قالتلى الدابة تريد ان

تكون عندنا و الرجوع

الى اهلك فاخترت

الرجوع الى اهلى فقالت

امكث مكانك حتى تاتيكم

مركب قال فكمت، كاني

ونزلت الدابة الى البحر فما

غابت عن عيني غير ساعة

واحدة حتى مرت على

مركب عظيمة وفيها ركاب

فاشرت اليهم فلوى معهم

فنظرت فانا في المركب انا

عشر رجل كلهم نصارى

فاخذهم بربهم بخيرى

وقصصتهم عليهم قصتي

فاسلموا كلهم فسلمت ان

لهؤلاء الاقوام سر اعظما

ابركتهم حصل لاسلام

ولنا اعل مقام والله الحمد

على التوفيق و بلوغ المرام

وانشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش

منزلة

وحرمة وبشارات و اكرام

فازوا بصحبة خير الخلق

واتصقوا

بوصفا فهم للناس اعلام

*(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم) *

(روت الرواة) عن ابن أبي طالب رضى الله عنه قال قال عبدالمطلب بن هاشم يئسا نانا في الحجر اذ انانى
أت فقال لي احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة
قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة انانى فقال احفر المصوفة قلت وما المصوفة فذهب
عني فلما كان من الغد رجعت الى مضجعي فسمعت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست
وغار ماؤها الماس مضمت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئس بستي الحجاج منه عند منجر قر يش عند نفرة
الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعه وأعرف انه قد صدق فقدا به بوله ومعه الحارث
بن عبدالمطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قر يش قاموا اليه فقالوا يا عبدالمطلب انما من نار
ابن اسمعيل وان لنا فيها حقا فشر كنا فيها ا فقال ما لنا بفعل ان هذا شي خصصت به دونكم وأعطيت به من
بينكم قالوا له فانصنا فانا غير اركيك حتى نخاصمك قال فاجملوا بيني وبينكم من شئتم اخصمكم اليه قالوا
كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت في اطراف الشام فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني عبد مناف
فركب من كل قبيلة من قر يش نفر قال والارض اذ ذاك مغاور خرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المغاور
نفد ما كان معهم من الماء حتى ايقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قر يش فابوا عليهم وقالوا
انا بمغازة وانا نخشى على أنفسنا ان يصيبنا هبل من اصابكم فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم قال لاصحابه
ما ذا ترون قالوا اننا نرى انك فامرنا بما شئت قال فاني ارى ان يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد
من القوة فكل من مات منا دون صاحبه وفنه في حفرة قال فحفر ووجدوا جاسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد
المطلب وما لنا لنضرب في الارض فمضى الله تعالى ان يرزقنا ماء فاربحوا ومن معهم من قر يش بنظروا
اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبدالمطلب الى راحلته فركبها فلما ان انهمت به اتت حجرة من تحت حوافر دابة
عبدالمطلب عين ماء عذب فكب عبدالمطلب وكبر اصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب اصحابه حتى رويوا
وملأوا اسقيتهم ثم دعا الغياثل من قر يش فقال هلم والى الماء فقد سبقنا الله تعالى واما كى نشر بوا وسقائم
قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبدالمطلب والله لا نخاصمك في زمزم ابدا ان الذى سقاك هذا الماء
في هذه الغلاة فهو سابقك زهزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى رافوا مكة وخلقوا بينه وبين زمزم ولما جن
الليل رأى عبدالمطلب في منامه كان قائل يقول له

يا أيها المداح احفر زمزم * انك ان احفرتها لم تندم

وهي تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجاج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبدالمطلب قال وابن موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعظم قال فقدا
عبدالمطلب ومعه ابنه الحارث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوتين اساف ونائلة الذين كانت
قر يش تعبدهما وتنجر عندهما فجاء بالمولد وقام ليحفر حيث امر فقامت قر يش اليه وقالوا والله لا تركك
ان تحفرها ووثنا ومنجر ناعنها وكانت قر يش حسدوه على ذلك لانهم اخبروا ان جرهما لاسكنت
مكة أو دعت في زمزم أموالا واساحدا لمصطفى صلى الله عليه وسلم لما خبرت ان الله تعالى باعث في هذه
القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكنوا عرفوا موضعه فلما أخبر بذلك عبدالمطلب نازعوه
في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له الامارات فكبر
فرفوا انه لم يخطئ فتنادى حتى بلغ الى عشرين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتما جرمهم ووجد فيهما سويقا
ودروعا فقال له قر يش يا عبدالمطلب انما لك في هذا شركه قال لا ولكن لضرب بالقداح عليه قالوا وكيف

وردت

آثار فضل لها في الذكر

احكام

وبده عمر الفاروق

صاحبه

به تكن في الاتفاق اسلام

وهكذا البرعنان الشهيد له

في الليل ورد وبالفرآن

قوام

وللاام على المضى منح

له احترام واعزازوا كرام

هم الصديقه لاختار قد

وضجوا

طرق الهدى وعلى

الخيرات قد داموا

عليهم من سلام الله عليه

ما اظير الناس يوم التث

اوصاموا

(وروى عن ابى سعيد

الخدري رضي الله تعالى

عنه) عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال دخلت

الجنة فبينما اطوف

برياضها وانما سارها

واشجارها ان رأيت

شجرة فضربت يدي الى

ثمره فاخذته فانما قلت في

يدي عن اربع قطع فخرج

من كل قطعة حورية لو

أخرجت طرفها لفتنت

أهل السموات والأرض

وان اظهرت كفها لقلب

ضوء الشمس والقمر ولو

تبسمت لمسلات ما بين

السما والأرض مسكا

فقلت لمن انت فقلت

نصنع قل اجعلوا للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا أنصفتم فيجعل قدحين اصفر بن للكعبة وقدحين اسود بن لمطلب وقدحين ابيض بن لفرش ثم اعطوا الفراح التي تضرب بها عند هبل وقام عبدالمطلب يدعوفخرج اسمهم الا صفران على الزاين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع عبدالمطلب وتخلف قدحاقريش قال فملق عبدالمطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب في الباب الفزائين الذهب فكان اول ذهب حلقت به الكعبة وكانت الرئاسة والتقدمة لعبدالمطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها واخرج منها ما اخرج ازداد بذلك في قريش عظما وجهاء ونزلة وعافت الحبيج المياه التي كانت بمكة ونواحيها واقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة ماؤها لكونهم انرا سمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنوعبدمناف على قريش وعلى سائر العرب والله اعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء امرها الى وقتنا هذا)

(اخبرنا) أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد القرأني اخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد المفرني بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن ابراهيم بن الفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان النخعي حدثنا أبو وهام حدثنا محمد بن زيا عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال النخعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يمردون اليه الى يوم القيامة هذا الكعبة الحرام وان الله تعالى اهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وانزل عليه الحجر الاسود وهو يتلأأ كأنه اولوة بيضاء فاخذ آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثمهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم المعصاة ثم قال يا آدم تخطى فخطي فانها برض الهند فكثرت هناك ماشاء الله ان يمكث ثم استوحش الى البيت فتيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاز حتى قدم مكة فافتيه الملائكة فقالت برحيمك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالتي عام قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار اسموعان فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فارحمي الله تعالى اليه انى معمروه بنى من ذر يتك اسمه ابراهيم أخذ خيلا أفضى عليه عمارته وانيط له سقايته وورثه حله وحرمه ومواقفه واعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بناءه نادى باليه الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فسمع ما بين الخفزين فاقبل من حجج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب اسالك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئا ان تلحقه في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك في شيء ابنته أمنا يوم القيامة (وروى الرواة) باسناد مختلفة ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الأرض كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاهم وتسيبهم ويأمنس انهم فيها الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنصفه الله تعالى الى ستة نذرعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من اصوات الملائكة وتسيبهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فانزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الا ان ثم قال يا آدم انى اهبط لك بيتا تطرف به كما تطرف حول عرشي وتصلني عنده كما كنت تصلني عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صانع عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى

لاني بكر الصديق رضي
الله عنه فقلت لها امضي الى
قصر بلاك ففعلت وقلت
لله نيلان انت ففعلت امر
بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه فقلت لها امضي الى
قصر بلاك ففعلت ثم قلت
لثالثة لمن انت ففعلت
للمختضب بدمه المقتول
ظلمنا وعدونا عثمان بن
عفان رضي الله تعالى عنه
فقلت لها امضي الى قصر
بلاك ففعلت وقلت لرابعة
لمن انت ففعلت ثم قلت
يا رسول الله ان سبب حانه
وتعالى خلفني على حسن
فاطمة وقد سماني باسمها
وزوجني لاسى بن ابى
طالب رضي الله عنه قبل ان
يتزوج بفاطمة الزهراء
بألف عام * فهم خلفاء
النبي صلى الله عليه وسلم
وانصاره وانيساعه وهم
حافون به يوم القيامة الى
دار الكرامة رضي الله
تعالى عنهم ورضي الله عنا
بهم آمين (وحكى عن رافع
ابن عبد الله رضي الله عنه
أنه قال) قال لي هاشم بن
يحيى الكنانى الاحدثك
حديثا رأيت به بعضي وسمعته
بأذن وشهدته بنفسي
ونفني الله به ففعلت ان
ينفك فقلت حدثني ذابا
الوليد فقال غزونا أرض
الروم في سنة ثمان وثمانين
وكان معنا رجل يقال له

الى آدم عليه السلام ان الى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لي بتافيه ثم حلف به كما رأيت الملائكة يحفون
بعرشى ففعلت استجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا
اهتدى اليه ففيض الله ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يصعبا قال
لذلك انزل لي هنا فيقول له الملك مكانك حتى أقدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مغاور
وقفارا ثم بنى البيت فلد افرع من بنه خرج به الملك الى عرفات فاراه الممارك كل التي فعلها الناس كلها
اليوم ثم قدم بمكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند فمات على نور * قال ابو يحيى بائع الف قال
لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند واندحج منه اربعين حبة على رجله فقلت
له يا ابى الحجاج الا كان يركب قال رى شىء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة ايام * وقال وهب بن منبه
ان آدم عليه السلام لما هبط الى الارض فرأى ساعتها ولم يرفعه احد اغريه قال يارب انا هذا في الارض عامر يسبح
بحمدك و يقدرك غيري قال الله تعالى انى سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي و يقدر سني وسأجعل
فيها نبوة ترفع بذكرى و يسبح فيها خلفي و يذكر فيها اسمى وسأجعل من تلك البيوت بيتا اخضعه بكرامتي
وأثره باسمى واسمه بيتي اناطه بعظمتي و عليه رضى جلالى ثم اجدل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته
من حوله ومن تحته ومن فوقه من حرمة بحرمته استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف اهله فقد ضيع ديني
وخفرتى و اباح حرمتي اجدله اول بيت وضع للناس يا نوحه شعا غرا وعلى كل ضامر يا نين من كل فصيح عميق
يضجون بالنبلية ضجيجا و يعجزون بالبكاء أججوا و يعجزون بالكبير عجبجوا فمن آثره لا ير يدغره فقد رند
الى وذرتى وضافني وحق على الكريم ان يكرم روفه واضيا فانه وانهم و يفضل و يسمف كلا محاجته
تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم بمره الامم والقرون والا نبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فكذا كان
بدنه أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم نت على ذلك الى ايام الطوفان فلما كان ايام الطوفان رفعه الله تعالى الى
السماء الرابعة ويست جبريل عليه السلام حتى خبا الحجير الاسود في جبل ابى قيس صياقله من الفرق فكان
موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بسد ما ولد له اسمعيل واسحق
عليهما السلام ببناء بيت له بعيد فيه و يذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في اي موضع يبنيه فسال الله عز وجل ان
يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليهم السكينة لتدل على موضع البيت
كما حدثت ممالك بن حرب عن خالد بن عرعر ان رجلا قام الى على بن ابى طالب رضي الله عنه فقال لا تخبرني
عن البيت اهو اول بيت وضع للناس فقال لا ولكن اول بيت وضع فيه البركة ووضع فيه مقام ابراهيم عليه
السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت انبا لك كيف بنى الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام ان ابن
لي بيتا في الارض ففاز بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهى ريج نجوح ولها رأسان
فاتبع احدهما صاحبته حتى انتهى الى مكة فطوقت على موضوع البيت كمنطوق الحجة وأمر ابراهيم ان
يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيتا وقال آخرون ارسل الله تعالى اليه سبحانه على قدر الكعبة فيجعلته تسير
معه الى ان قدم مكة فوقعت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ان على ظلم لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان
الذى خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالة على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل
واذ بآل ابراهيم مكان البيت الاية فاواضع ابراهيم وبننيه واسمعييل بنوا له الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا
واسمعييل عربيا فاهل الله تعالى احدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كذا يبنى هات
لي حجير اية ولله اسمعيل هالك خذ فبنينا الكعبة من خمسة اجبل طور سيناء و طور زيبا ولبان والجودي
و بنيت قواعده من حراء قال فبقى حجير فذهب اسمعيل ببنتيه ثم رجع فوجدته قد ركب الحجير في مكانه

فقال يا بخت من أهلك بهذا الحجر فقال له اتاني به من لم يكن لي اليك ثم قال ابراهيم لاسميد انني بحجر حسن
أضمه على الركن ليكون علما للناس فناداه ابو قيس يا ابراهيم انك عندى ودعة فهاك فخذها فاخرج
ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسميد من
بناء البيت وأعادوا دعاء ربهم فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسميد ربا بناتقيل منا
انك انت السميع العليم الي قوله تعالى وارنا مناسكنا كتب علينا انك انت الثواب الرحيم فاجاب الله تعالى
دعاهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية إلى منى فصلى بهما
الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم صلا حتى أصبح فصلى بهما أصبح ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى
إذا مدت الشمس جمع بين الصلوتين الظهر والعصر ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع
الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما إلى المزدلفة فجمع بين الصلوتين المغرب والعشاء
ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلا بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أقاض بهما
إلى منى فاراهما كيف يرمان الجار ثم امرهما بالذبيح وارهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أقاض بهما
إلى البيت فأوحى الله تعالى إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن تبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقلنا عليك الأذان
وعلى البلاغ فعلا نبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد نبأ ببيتا فخجوه وأجيبوا داعي الله فبمعهم ما بين السماء
والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابوا كل من آمن بالله ممن سبق في علم
الله تعالى اني حجج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (يقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمر واستقبل ابراهيم عليه
السلام الثمين والمشرق والمغرب والشام فعلى الحج فاجب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل واذن في
الناس بالحج باؤك رجلا وعلى كل ضامر اذ يئذ في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار
عليه السلام إلى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك قبل مبعده بخمس سنين
فهدمت قرى من الكعبة ثم بنوها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار
ان الكعبة كانت رضة فوق الغمامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جنة لرجل من
تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعادوه لسقيفها وكان بك رجل قبلي تجار فهاهم في أنفسهم بعض
ما يصبهوا وكان حية تخرج من بئر الكعبة فالتى بطرح فيها ما يمدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا
يهايونه وذلك انه كان لا يذنبوا منها احد الا كشرت فأنفخت فاهما فكاها وبها فبينما هي ذات يوم على جدار
الكعبة كما كانت تصنع فبث الله طائرا فاحتطفتها فذهب بها وقالت قرى من انا انزلوا ان الله تعالى قد رضى
ما أوردناه من عمارة بيته وان عندنا عملا رفيقا وخشبنا وقد كملنا لله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار
بخمس عشرة سنة فلما اجتمعوا امرهم على هدمها وبنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عمرو بن عامر بن عمرو بن
خزوم فنزلوا من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معاشر قريش لا تدخلوا في
بنائنا من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بنى ولا يبيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان
الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن المغيرة انا أبدا لكم في هدمها فاخذوا المول ثم قام عليها وهو يقول
لهم لانريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فترى بعض الناس به تلك الليلة وقاوا منتظرة فان اصاب
لم يهدم منها شيئا وردناها كما كانت وان لم يصعب شيء فقد رضى الله تعالى بما فعلنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا
على عمله فهدمها وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم إلى الأساس فافضوا إلى حجارة خضر كلهم السنة الأولى
أخذ بعضهم بيمض فاخذ رجل من قريش عتلة بين حجرين فمنه اليه فلما أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت

سميد بن الحارث وكان ذا
حظ من العبادة يصوم
النهار ويقوم الليل فان
سرا درس القرآن وان اثنى
ذكر الله تعالى فجمعت ليلة
خفتا فيها فخرجت انا واباه
نحرس القسوم وكنا
محاصرين العدو وعند
حصن من الحصون صب
علينا أمره فرأيت من
سميد من العبادة في تلك
الليلة وصبره على التعب
ما تعجب منه فلما طلع
الفجر قلت له رحمتك الله ان
لسفك عليك حقا فلورحمته
كان خير لك فبكى وقال
أخي انما هي اتقاس تعدد
وعمر يفي وأيام تنقضي
وانا رجل ارتقب الموت
قال فابكاني ذلك فقلت له
اقسمت عليك بالله ما
دخلت الخيام واسترحمت
فدخل ونام قليلا وانا
جالس ظاهر الخيمة
فسمعت كلاما في الخيمة
ولم يكن في الخيمة سواء
فتقدمت اليه فاداه هو
يضحك في نومه ويتكلم
بكلام فحفظت من كلامه
ان قال لا أحب ان ارجع
ثم مديده المنى كانه يلتبس
شيئا ثم ردها رديفا وهو
يضحك ثم قال والليالة ثم
وثب من نومه وهو يرتعد
فاخذتني إلى صدرى مليا
وهو يتلقت بيمننا وشمالا
حتى سكن وعاد اليه فهدمه

فجعل بها الى بكرتها

مكة بالمرها فلهوا أنهم قاتلوا الى الاساس وقالوا ان القبائل قد اجتمعت ليناها فجعلت كل قبيلة
تجتمع على حداثها ثم بنوا فلما بلغوا البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة ارادت ان تضمه في
صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فمررت بنوعبد الدار جفنة مملوءة وما تم
تعاقدوا هم وبنوعدي بن كعب على الموت وادخلوا ايديهم في ذلك الدم فسموا العمة الدم بذلك فكمشوا اربع
ليال او خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة ان ابا
امية بن النخعي كان حينئذ من قر يش كلها فقال لهم يا معشر قر يش اجمعوا بينكم فياخذ كل قبيلة من قبيلتي
يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان اول من دخل عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر
قال هلموا الى نو باقاتوا به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لناخذ كل قبيلة بناحية من اثواب ثم ارفوه
جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم نفي عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بينته
قر يش الى سنة اربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحنظليين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فدخلوا
البيت بالمنجنيق واخذوا ويربحون ويقولون

حظارة مثل القتيق المسزبد * ترمي بها عيذان هذا المسجد

وقال آخر منهم

كيف ترمي صنيع أم فروه * تأخذهم من الصفا والمروة

أم فروه قام منجنيق ثملت حيطان الكعبة بماريت به من حجارة بالمنجنيق وانما مع ذلك احترقت وكان
السبب فيه انهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت ثمارة هبت بها الى برج فاحترق باب الكعبة واحترق خشب
البيت (وقال الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن اذينة قال قدمت مكة مع أبي يوم
احترقت الكعبة وقد خلصت اليها النار ورايت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فملت ما صاب
الكعبة فشاؤوا الى رجل من اصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأسه فحمله
فطارط الريح به فضررت استار الكعبة ما بين الركنين الى الحجرة الاسود (وقال) بعضهم كان
السبب في ذلك ان امرأة كانت تبخر البيت فطارط شرارة من النار فاحترق البيت وكان اول ما تكلم
الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير
الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون الى موضعها يرجع
الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه من ثياب
وطيب عند الحجابة في خزانة البيت ثم أعاد بناه وقال اني اسماء بنت أبي بكر حدثني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما انشئت لولادة عهده قوموا بالكفر لوددت الكعبة على اساس ابراهيم فاني
في الكعبة الحجر وان قر يشا أعوزتهم النفقة فاخرجوا الحجر من البيت ولجعت لها بين يديها باعرا وباعرا
فامر بها ابن الزبير فجفف فوجدوا قلاعا مثل الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقالوا فبرقوا على اساسها
فبناها ابن الزبير وادخل فيها الحجر وجعل لها بين يديها من احدهما ونخرج من الآخر فكانت الكعبة
على ما بناها ابن الزبير الى سنة اربع وسبعين حتى قبل الحجاج بن يوسف ثم نفي عبد الله بن الزبير وولى
الحجاج من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير امر عبد الملك
واعادها الى بنائها الاول بشهد مشايخهم من قر يش في اليوم على ما بناها الحجاج الاما كان من قلع انظر ملى
صاحب البحر بن لمة الله الحجاج الاسود عام ارقم بالحجيج مكة فذهب به مع أسر من الحجاج الى البحرين

أخذوا في حسن أنعام من
القول الحسن مختلف
الالحان وهم يقولون هذا
ولي الله قد جاء فرحنا به
وسهلا فسرنا حتى انتهينا
إلى مجلس ذات امرأة من
ذهب وهاج مكالمة
بالجواهر تحفو ويكرسى
من البواقيت وعلى كل
سر يرجو إياه أحسن من
الشمس والفتل لا يستطيع
أحد من الخلق أن يصفها
وفي وسطهن واحدة عالية
عابهن في طولها وكملها
وجملها فقال الرجال هذا
مترلك وهو لا يملكها وهنا
مقيلك ثم انصرفا عني
فوثبت الجوارى إلى
بالترحيب والاستبشار كما
يكون من أهل الغائب
عند قدومه عليهن ثم
جملوني حتى اجلسوني على
السراير الأوسط إلى جانب
الجارية ثم قلن هذه
زوجتك ولك أخرى مثلها
وقد طل انتظارهن إليك
فكلمتها وكلمتي فقلت لها
وإني أنا فقلت في جنة
المأوى فقلت من أنت
فقال ما زوجتك الخلد
فقلت وإني الأخرى
فقال في قصرك الآخر
فقلت لها أقم اليوم عنك
وتحول في غد إلى
الأخرى ثم مدت يدي
إليها فردتها ردا رفيقا ثم
قالت أما اليوم فلا فاك

ثم أخذ منه ورد إلى موضعه وذلك على يد شيخنا أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن يحيى البرمكي النيسابوري
رحمة الله عليه

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افسل ما
تؤمر مستجدا ان شاء الله من الصابرين * واختلاف السلف من علماء المسلمين في الذي امر ابراهيم عليه
السلام بذبحه من ابنه بعد اجتماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب
من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى بن ابي طالب ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد
ابن جبير والقاسم بن أبي برة ومسروق بن ابي الاخدع وعبد الرحمن بن أبي سابط وابي الهذيل والزهرري
والسدي (روى) شعبة عن ابي اسحق عن ابي الاحوص قال افخبر رجل غدا عبد الله بن مسعود قال انا
فلان ابن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبح الله ابن ابراهيم
خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن اسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن ابيه عن جده قال قال موسى
عليه السلام يا رب يقولون يا له ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال ان ابراهيم لم يعدل في شيئا قط
الاختراني عليه وان اسحق جادلي بالذبح فهو بغير ذلك اجود وان يعقوب كله اذنه بلا زادني حسن
ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن ابي اسحق عن ابي مبصرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر ان رغبت
ان تأكل معي وانا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحق ذبح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال
الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو ابوالطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب
والشعبي ويوسف بن بهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرني السكبش منوطين بالسكبة (وروى)
عمرو بن عبيد عن الحسن البصري انه كان لا يشك في ان انذى أمر بذبحه من ابي ابراهيم عليه السلام
هو اسمعيل وهي رواية عطاء بن ابي رباح عن عبد الله بن عباس قال المفسدي اسمعيل وزعمت اليهود انه
اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الله
تعالى ابراهيم بذبحه من ابنه اسمعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى في قصة الحق عن ابراهيم عليه
السلام وما امر به من ذبح ابنه اسمعيل وذلك ان الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابي
ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراءه اسحق يعقوب يقول يا بني
واين ابن فلم يكن يا مريم بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعد وما وعده وما الذي امر به باسمعيل
قال محمد بن كعب القرظي فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لي عمران هذا
الشيء ما كنت انظر فيه واني لا اراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن
اسلامه وكان يري انه من علماء اليهود فساله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال له اي ابي ابراهيم
الذي كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود تعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم كما حسد
العرب على ان يكون ابوكم النبي كان امر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذي ذكرناه كان منه بصيرة على
ما امر به فهم يحسدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوه وقد روى عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلاً التولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يمهز عبد الله الى غيره * فما الرواة التي روت عنه
ان الذبيح اسحق فاخبرني ابو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي اراد ابراهيم ان يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذي فداه الله بذبح عظيم
اسحق واخبرنا ابو عبد الله اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان اخبرنا موسى

راجع الى الدنيا وسعته

ثلاثا فقلت لاحب ان ارجع فقلت لا بد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة ايام ان شاء الله تعالى ثم نهضت من مجلسها فنهضت اودعها فاتبعت ياحي ولا صير لي عنها قال هشام فقلبي البكاء وقلت هنيا لك يا سعيد جدد الله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عمالك فقال هل راي احد غيرك ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا اخي اكنتم ماسهت مني مادمت في الحياة ثم قام ففطر ونظيب واخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صامخ فقال الى الليل ثم انصرفت فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكهم يثنون عليه قال فقلت في نفسي لو يعلمون شأنه لنتافسوا في مثل عمله ثم مكث قائما يصلي الى آخر الليل ثم اصبح صامخا يقابل بلغ ما فعل بالامس قال ابو الوليد فانطلقت معه لا انظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقي نفسه في المهاد الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شيء عما كانوا

ابن اسمعيل انبا ثالمبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بن مريم فيقول يا رب صدقت نبيك وجدت بنفسه للذبح فلا تدخل النار من لا يشرك بك شيئا قال فيقول الله وعزتي لا أدخل النار من لا يشرك في شيئا واخبرنا ابو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسمعيل المزي عن قراءة عليه سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة انبا جدي ابو بكر ابن محمد بن اسمعيل بن خزيمه امام الائمة انبا ناعلي بن حجر انبا عامر بن حفص عن ابان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خشي بين ان يغفر للنصف ادي وبين اخي شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت ان يكون ذلك اعم لامتي ولولا الذي سقي اليه العبد الصالح لتهيجلت منها دعوتي وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعطي فقال ما وال الذي نفسي بيده لا تهيجلني قبل نزغة الشيطان الا هم من مات لا يشرك بك شيئا فاغفر له وادخله الجنة * وأما الرواة التي روت عنه صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي باسناده عن الصحاحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا ان الذبيح اسمعيل واسحق فقال علي الخبير ستظم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله اعد علي ما أفا الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نزل به ان سهل الله عليه امره هاليه بمن أحد ولد به قال فخرج السهم على عبد الله فتمتع احواله وقالوا له ائذ ولدك بمائة من الابل فقدها بمائة من الابل وانما ابني اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على انه اسحق فهو ان الله تعالى اخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال اني ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين يعني ولدا صالحا من الصالحين وذلك قيل ان يعرف هاجر وقبل ان يصيره ام اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بفلام حليم وعن رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ منه السعي وليس في القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسمعيل واما الدليل على انه اسمعيل فاذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبران قرني الكسب كانا معلمين بالكتابة الى ان احترق البيت فاحترق القرآن في ايام ابن الزبير والحجاج وهذا دليل على ان الذبيح اسمعيل

﴿ وأما قصة الذبح وصفته وفعل ابراهيم عليهم السلام ﴾

قال السدي باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى الشام هار بار بينه كما قال تعالى وقال اني ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله ان هب له ابنا صالحا من سارة فقال رب هب لي من الصالحين فلما نزل به اضرافه من الملائكة المرسلين الى المؤمنين بشروه بفلام حليم فقال ابراهيم لبشر به هو الله الذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك الذي نذرت قربانا الى الله تعالى وكان هذا هو السبب في امر الله خليله ابراهيم عليه السلام يذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لا سحقت انطلق تقرب قربانا الى الله تعالى واخذنا سكيننا وحبلنا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابي ائن قربانك فقال يا بني اني اري في المنام اني اذبحك اى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا ابي افعلم ما تقوم ستجدني ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيقعد من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند اهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل منه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادته به وتعظيم حرمانه ارى في المنام ان يذبحه فلما أمر بذلك قال لا يبايني خذ الحبل والمذبة ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لئلا يحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب نبيرا خبره بما أمر به وقال

وغيرها حتى غربت الشمس فجاه سهم في منجره فخرصر بها وأنا أنظر اليه وهو يصحك فضجت الناس وبادروا اليه فاخذوه وجاؤا به الى الخيام وقدمت رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيئاً لك يا سيد ماذا تنظر الليلة باليتي كنت معك قال هشام فضض على شفقتي السلي وضحك في وجهه وقال الحمد لله الذي صدقنا وعدده قال فصيحيت يا عبد الله لمثل هذا فليعمل العامة لو فاستمعوا الخبركم بأعجب مما رأيتموه من اخيكم هذا فقبل الناس باجمعهم فاخبرتهم بحكايتهم وما كان منه فمأرايت باكياء كالسيوم ثم كبرنا تكبيراً اضطراب له العسكري وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسامحة نجاه وقد وضعناه لتعلمي عليه فقلت صل عليه ايها الامير فقال بل يصلي عليه الذي عرف من أمره ما عرف فصاينا عليه ودقناه في موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح الامامون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن في ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى

يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك الالكية فقال له ابنه الذي اراد ان يذبحه يا ابت أشددر باطلي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها دمي فينقص اجري وتراهمي فتعجزن واشتد شفرتك واسرع بر السكين على حلقه فيكون اعون للموت على فان الموت شد بدقانه انيت أمي فاقرأهماني السلام فان رأيت ان ترد قضيي اليها فاقبل فانه عسى ان يكون اسلي لها عني فقال له ابراهيم نعم العون يا بني أنت على ما امر الله به فقبل ابراهيم ما أمره الله ثم انما قبل عليه يقبله وقدر يبطه وهو يبكي والابن يبكي حتى استتبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يحز عولم يعمل السكين شيئاً قال السدي وضرب الله تعالى صفة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا ابت كني على وجهي فانك ان نظرت الي وجهي رحمتي وادركت على رقة تحول بينك وبين امر الله فقبل ابراهيم ذلك فذلك قوله تعالى فاما الساموا وله الجبريم ثم انه وضع السكين على فقهه فالتفت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا الالكية هذو يذبحك فداء لبايك فانجهاد وانه فظن ابراهيم عايه السلام فاذا هو بحرييل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقرن فكبير الكبش وكبير ابراهيم وكبير ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة فذري فيها اربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذي فدي به عن ابن ابراهيم عليهم السلام هو الكبش الذي قر به ايل بن آدم فتقبل منه فاسل ابراهيم ابنه وأخذ الكبش واتى به المجر من هني فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لما في بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وحش يعني يدس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابيه انه كان يقول ما فدي اسمعيل الا بكبش من الاروى ابط عليه بنبر وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس قال كان وعلا (وروى) ابو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن دجال قالوا لمأري ابراهيم في المنام ان يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم افقت عند هذا آل ابراهيم والام افقت احداهم ابدا فقتل هم الشيطان رجلا فاني أم الغلام فقال لها اتدري اين ذهب ابراهيم بانك قالت ذهب به ليحطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به مني وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن في امثال طاعة به وفي استلامه لا مر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هار باحتي أدرك الابن وهو يمشي على أنرايه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال تحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما ير يد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قاله فليعمل ما امره الله به فسمما وطاعة لا مر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله اني لا أرى الشيطان قد جاءك في منامك يارك بذبح ابنك هذا فمر فاه ابراهيم فقال له اليك عني يا ملعون فوالله لا مضين لا مربي فرجع اليك لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم واهله شيئا ما أراد وقد امتنعوا منه بون الله وتأييده (وروى) ابو الطيقيل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسايقه فسيقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى حجرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ادركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لا مر الله تعالى فنهذه قصة الذبح وقال أمية بن ابى الصلت الثقفي في ذلك شعرا

ولا ابراهيم الموفي بنذر * احتسابا وحامدا لا جزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * لو رآه في معشر اقتال

عليه وتقدمه في الدارين
 آمين (حكى عن أنى
 به توب الطبري رضي الله
 تعالى عنه) انه قال خرجت
 في سفر اريد الشام فوقف
 في التيه اياما حتى اشرقت
 على الهلاك فيها انا كذلك
 اذ رايت راهبين سائرين
 كلهما قد خرجا من مكان
 واحد يريدان ديرا لهما
 بالقرب قلت ليهما وقلت
 لهما اين تريدان فقالا
 لا ندرى فقلت لهما من
 اين اقبلتما فقالا لا ندرى
 الا اننا في ملك و بين يديه
 قال فتسجبت من ذلك
 وقلت في نفسي ان هذين
 الراهبين متحققان التوكل
 دونك فقلت لهما اتاؤنان
 لي في الصحبة ممكنا فقالا
 ذلك اليك فسرنا حتى
 اُسسينا قاما الى صلاتهما
 وقت الى صلاة المغرب
 فتيممت وصليت فلما
 نظرا الى حين تيممت
 وصليت تسجبا من ذلك
 فلما فرغا من صلاتهما
 بحث احدهما في الارض
 فانتجرت عين ماء والى
 جانبه طعام موضوع
 فذرت تسجبا من ذلك
 فقالا لى اذن وكل واشرب
 قال فاكلنا وشربنا
 وتوضأت للصلاة ثم غار
 الماء وذهب الطعام فلما
 كانت الليلة الثانية فل
 الثاني كما فل الاول فلما

* ابني انى نذرتك لله شحيطا قصير فذلك حالى
 واشدد المضد عند جذبى للسكين جبى الاسير للاغلال
 وله مدينة تحايل فى الاحرام غلام جبينه كالسلال
 بينا يخلع السرورىل عنه * فذكر به بكيش حلال
 فخذ ذا فدالابنك انى * للذى قد فلما غير قالى
 ربنا نزع النفوس من الامر له فرجة كحل المسقال
 * (الباب السادس فى هلاك الخمر وذن كتمان وما حل الله تعالى به من تقدمه وقصة الصرح) *

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فاقى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وانا هم المذاب
 من حيث لا يشعرون (روت الرواة) باسنا مختلفة ان اول جبار كان فى الارض الخمر وذن كنعان وكان
 الناس يخرجون اليه و يتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم بمتار مع من يتار وكان الخمر وذا ما مر به
 الناس قال لهم من ربكم قالوا انت حتى مر ابراهيم فقال لهم من ربك قال ربى الذى يحى ويميت قال انا حى
 و اميت قال ابراهيم قال الله بانى بالشمس من المشرق فأتها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير
 طعام فرجع ابراهيم الى اهله ثم بكى مبأعفر فقال لا تخزن من هذا فأتى به اهلى فطيب به قلوبهم
 حين ادخل اليهم فاخذ ابراهيم منه قاتى به اهله فوضع متاعه ثم نام فقام امرأته الى متاعه فتجسسته فاذا هو
 باوجود قيق رأته فاخذته وصنعت منه طعاما فله الاق قد متة اليه وكان عهد اهله ان ليس معهم شى ولا عندهم
 طعام فقال لهم من اين هذا فقال من الطعام الذى جئت به فلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان
 الخمر وذا الجبار لما حاجة ابراهيم عليه السلام فى به قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلاننى حتى اعلم
 من فى السماء فبنى صرحا عظيما عاليا بابل ورام منه الصو والى السماء لينظر الى اله ابراهيم فبازعم قال
 ابن عباس ووهب كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين
 ثم عمدا الى ربة افرام من النور فلما بها الجم والخبز وراحا حتى شبت واد تفتحت ثم قف فى تابوت ومعه
 غلام وقد حمل قوسه ونشاب وجعل لذلك التابوت بابان وبابان اسفلهم ثم ربط التابوت بارجل
 النور وعلق الاجم على عصافوق التابوت ثم خلى عن النور وفطار وصعدت طمعا فى التاجم حتى امدت
 فى الهواء فقال الخمر وذا لفته افتتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قر بنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر
 فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال اري الارض
 مثل الحبة البيضاء والجبال كالذخا وطار النور وارتفعت حتى حالت الى ربح بينها وبين الطيريات
 فقال لفلانم افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء
 مظلمة ونودى اليها الطاغى الباغى ابن تريد قال عكرمة قاهر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فماد
 اليه السهم فتلخا بالنم فقال كفت شغل اله السماء واختلوا فى ذلك السهم من اى شى تلوخ فقال عكرمة
 من سمك فى بحر ملق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بهمهم اصاب السهم طائرا
 من الطير فتلخ من دمه ثم أمر الخمر وذا غلامه ان يصوب المصا وينكس الاجم ففعل ذلك فقبطت النور
 بالتابوت فسحمت الجبال خفيق التابوت والنور ففرغت وظنت انه امر حدث فى السماء وان الساعة
 قد قامت فذلك قوله تعالى وقدم بكر واكمهم وغند الله مكرم اى جزاء مكرمهم وان كان مكرمهم ليرول منه
 الجبال وقرأ على وعمرو وابن مسعود وان كان مكرمهم ليرول منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى ارسل ريحا
 على صرح الخمر وذا فلقت رأسه فى البحر فخر عليهم الباى وانقلب بيوتهم واخذت الخمر وذردة وتبليت

كانت اللبلة القائمة قال لا
يا مسلم الآية نوبك قال
محمد بن يعقوب
فاستجيت من قولهما
وداخلني هم شديد وامر
غريب وقلت في نفسي
المهم اني اعلم ان نوبني لم
تدع لي عندك جاها ولكن
أسالك بحجة نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم ان لا
تفضحني عندهما ولا
تشتهر بهما بدين نبيك محمد

صلى الله عليه وسلم قال فاذا
بدين ماء قد انفجرت
وبطعام كثير الى جنبها
فالكلنا وشرب بنائم حمدنا الله
تعالى على ذلك قال فم نزل
على تلك الحالة حتى بلغت
النوبة الثالثة فلما ظهر الماء
والطعام غلبني البكاء فلم
استطع رده فاصابهم اميل
ما اصحابني وارتفعت
اصواتنا بالبكاء فلما فرغنا
قال لا ما يبكيك فقلت اني
رجل مسرف على نفسي
وليس لي عند الله من الجاه
والمنزلة ما يباهني هذه
الكرامة فقال لا وكيف
ظهر لك فقلت انما
توسلت اليه بحجة نبيك محمد
صلى الله عليه وسلم ان لا
يفضحني معكما فاستجاب
لي فقال قد عرفنا ان دينه
هو الحق وهو عندنا عظيم
فامدد يدك فاننا نشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله قال فاصلما وخرجننا

ألسن الناس حين سقط صرح الفزع فتكلموا ببلات وسبعين اسما فاذلك سميت ابل لتبيل
الاسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وانا هم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك ان
الله تعالى بعث الى الفريز ملكا ارأمن حتى انرك على ملكك قال فهل رب غيبي فجاءه الثانية والثالثة فابى
عليه فقال له انك اجمع جموعك الى ثلاثة ايام نجتمع الفريز جموعه وجنوده فامر الله تعالى الملك ان يفتح
عليه اباما من البعوض فتعل فطاعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعث الله تعالى على الفريز
وقومه فاكلت لحومهم وشرب دماهم فلم يبق منهم الا العظام والفريز كما هو لم يصبه شيء من ذلك
فبعث الله اليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت الى دماغه فبكثار بمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق
فأرحم الناس به من جمع يديهم يضربهم مارأسه وكان جبارا ربما مائة سنة فمذبه بالقدار بمائة سنة كمدمة ملكه
ثم ان البعوضة اكلت دماغه واهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

(الباب السابع في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكور ابراهيم وولده)

قال الله تعالى استجبين من امر الله رحم الله وبركاته الآية قال اهل العلم باخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة
مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجابرة من ارض كنعان في جيرون في مزرعة اشترتها ابراهيم
عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بماتت دفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج
ابراهيم بامرأة من الكنعانيين يقال لها قطورا ابنة بيطان فولدت له ستة نفر يشان وزمران
ومدان ومذاواشنيق بن وشوخ وتزوج ايضا بامرأة اخرى من العرب اسمها حيجون بنت اهيوب فولدت
له خمسة بنين كيسان وفريخ وهايم ولوطان ونافس فكان جميع بني ابراهيم مع اسحق واسماعيل ثلاثة
عشر وكان اسمعيل بكهرا وكبر اولاده فانزل اسمعيل بارض الحجاز واسحق بارض الشام وفرق سائر
ولده في البلاد فقالوا لابراهيم يا ابانا انزلت اسحق معك واسماعيل بقرية واورنا ان نزل بارض القرية
والوحشة قال بذلك امرت ثم علمهم اسماء من اسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

(الباب الثامن في ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام)

قال اهل التاريخ والسير ان اراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام ارسل الله اليه ملك الموت في
صورة شيخ هرم قال السدي باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيئهم فبينما هو يطعم
الناس اذاهو بشيخ كبير عشي في الحادة فمات اليه بحمدا وفرح به فلما اتاهم قدم اليه الطعام فجعل الشيخ
ياخذ اللقمة ويريد ان يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة في اذنه مرة ثم اذا ادخلها في فيه وحصلت في
جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه ان لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت
فقال للشيخ حين رآى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال انكم انت قال كيت وكيت
فغضب ابراهيم فوجد عمره يز يد على عمر ابراهيم بسنتين فقال له ابراهيم انما بيني وبينك سنتان فاذا بلغت
عمرك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم الاله اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك
الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيلا مائة وخمسة وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة جيرون

(الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام)

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلالا وهو سيد الفتيان (روي) في الحديث انه قيل
لنبي صلى الله عليه وسلم يا سيد البشر قال ذلك ابراهيم وهو ابو الضيفان وكان لا يتعدى ولا يتعشى الا مع
ضيفه ووراء مشي ميالين او كثر حتى يجد ضيفا فغاضا فماتة قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله
تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح ان الله تعالى ان يجبل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة

جميعا الى مكة شرفها الله
تمالى فقنا بها مدة
وخرجنا الى الشام ففترقنا
فوالله ما ذكرتهما الا
وعانت على الدنيا
وصغرت في عيني
(وانشدت شعرا في المعنى)
لما رأيتك حاضرا

في التلب زادني الحار
وبقيت فيك محيرا

والتلب ليس له قرار
فامزج كؤمى بالرضا

جهرا فغنمنا الصطبار
دارت على موسى الكلب

م فلاح نحو الطور ناد
لطفت فلما ذاقها ا

لاحباب نحو الحب طاروا
يدلوا اليه نقوسهم

وعلى خيول القوم غاروا
واليه في بحر الهوى

ركبوا وبالأرواح ساروا
طلبوه حقا بالحو

ب وعندما انظروه حاروا
هادوا به حتى لقد

أنست بقرهم الديار
ورأوا اشارات الهوى

لاحت لديهم فاستاروا
هذان راهبان لاح لها قدر

خرم ابرة من الايمان قرأنا
الطريق وسلكوا منبج

التصديق وانت يامسكين
عمرك قد انتضي ومضري

العصيان وزمانك قد ذهب
في الظمران وانت في

بحر الغفلة غريق وقد هبت
نسبات القبول والتوفيق

انت سكران بخمر المعاصي

في شعبي اسمعيل واسحق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمت على ثمانية آلاف نبي
اربعة آلاف من بني اسرائيل وهو الجليل له ان الصدوق في الاخرين فليس من نبي تحريم السنة الخالق كلهم
بتصديقه وتفصله تبجله كل امة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجمل الى لسان الصدوق في الاخرين وهو
المبتلى بازواج البلاء المشهود له بالوفاء قال الله تعالى وانا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمّن وقال ابراهيم الذي
وفي اي عامر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر
الآية ومعني الامة ان كان مسلما لاخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وانواع الفضل ما يجتمع في امة كإتقان
الكاعر ليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

وهو الذي اوتي رشفه من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى
الحق بلسان الحجة من صفه الى كبره قال تعالى وتلك حجةنا التي اتيها ابراهيم الاية واول من سماه الله حنيفا
مسلم قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما ويرا من دعاه الى يهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص
فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية وهو اول من اختن (قال) ابو منصور الخشاري حدثنا
ابو عباس الملقب اخبرنا عبد الحكيم اخبرنا ابن وهب اخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب اخبرنا ابن
سهمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال اختن ابراهيم عليه السلام
بالتقدم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (واخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحو به اخبرنا
محمد بن مخلد بن جعفر اخبرنا الحسن بن عاوية اخبرنا اسمعيل بن عيسى اخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن
الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم اول من اضاف الضيف وأول من نذر اذى بدو أول من لبس الثعالب
وأول من قسم النوى وأول من قاتل بالسيف وأول من اختن واختن على رأس مائة وعشرين سنة تم ميلاده
ختن نفسه في موضع يقال له التقدم بالتقدم وهو القاس وذلك انه كان وقع بينه وبين العملاقة وقمة عظيمة
فتفن من الغمر يقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم اصحابه ليدفنهم فيجل الختان علامة الاسلام فاختن
يومئذ بالتقدم وهو أول من اتخذ السراويل (اخبرنا) الحسن الدينوري اخبرنا احمد بن شداد بن عمر بن أحمد
القطان اخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان اخبرنا وكيع اخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال
أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اكرم اهل الارض على فان اسجدت فلا ترى الارض
عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه عاله ذلك فقال يا رب ما هذا قال الوفاة فقال يا رب زدني
وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وادنا مناسكنا فاستجب له وهو أول من ضجى
وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بمدد ربه حتى بناه قال الله تعالى واذبونا لابراهيم مكان
البيت الاية وهو أول من القى في النار في الله فجملت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله الموتى
بسؤاله حيث قال رب ارنى كيف يحيى الموتى الاية وهو الذي كان اذا فرغ من سارة واشتاق اليها
رفع اللحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسب حلة بيضا يوم القيامة ويوضع له
منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه السلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غلابة ما هو أول من
يكسب ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه
وأول من قلم أظفاره وأول من استحدو أول من تفل الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول
من تغمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر لله قال الله تعالى فامن له لوط وقال
انى مهاجرا الى ربى وجعل مقاما قبله للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعله اماما للناس
قال الله تعالى انى جاءك للناس اماما قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وابرمحمنا خير الانبياء

والفرشي رحمه الله تعالى اه
قال) كنت أصحب ابراهيم
ابن ادع رحمة الله تعالى
واسرح معه فسرنا في مامن
الايام نريد الحجاز فشدنا
ثلاثة ايام لم نستطع فيها
بطعام ولا شراب فقلت له
اعترف مبني من الجوع
يا يدي قال فرمق بطرفه
الى السماء بعد ان جلس
وجلست بجانبه فاذا
رغيغ سحجن - سنة طفي
حجري فرفع ابراهيم رأسه
الى بقال كل فاكلت نصفه
وشبهت ثم سرنا فمرنا
بمأفلة - حبسها الاسد عن
المسير فتقدم ابراهيم اليه
وقال له يا مسورة ان كنت
قد امرت فينا بشي فامض
الى ما امرت به والا
فانهب فولى الاسد هاربا
وسار القوم فقالوا له يا لله
عليك يا يدي الاماد عوت
لنا فجن تخوف في السقر
فقال لهم قولوا اللهم
احرسنا بعينك التي لا تنام
واكفنا بكفتك الذي
لا يرام وارحمنا بقدرتك
علينا فلا تهلكننا وانت
رجاؤنا قال عبد الله
فانعت رجلا من اهل
المأفلة بعد مدة فسألته
فقال والله منذ كنا ندعوا
بهذا الدعاء الذي علمه لنا
الشيخ مارا بنا سبعا وقال
الصائم ٧ ركب معنا ذلك

وأمنه خير الامم باع قلته تعالى ثم اوحينا اليك ان انبع ملة ابراهيم حنيفا
وصاه حليمنا بيا اوعا قال تعالى ان ابراهيم حليم اواه منيب الحليم السعيد الذي عاك نفسه عند الغضب
والاواه الذي يكسر التاره عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه بذهن مست وأر بمون خصه
من خصاله الى اكرمه الله بها (ويروي) ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم انك لمسلمات ممالك الى
الضفان وابك الى القر بان ونفسك الى التيران وقلبك الى الرحمن اتخذك خليلا (ويروي) اباودريس
الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتابا انزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأر بمة كتب
أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم
عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل وانز بور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فلما كانت صحيف ابراهيم
قال كانت أمه الاكله اليه الملك المبتلى المسلط المغرور ان لم يملك لتجمع الدنيا بعضها على بعض واسكني بعثك
لتدعي دعوة المظلوم فاني لأردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمل على العاقل ما لم يكن مغلو باعلى عقله أن
يكون له أربع ساعات ساعة يتاجي فيها به وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه
على ما قدم وأخر وساعة يحلوفها لحاجته من الحلال والحرام في المطم والمشر وغيرهما على العاقل ان
لا يكون ظاعنا لا في ثلاث تزود لماده ومؤقلماشه وذلة في غير محرم على العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا
على شأنه حافظا لسانه ومن علم ان كلامه مشر من عمله قل كلامه فالا يدرية والله عن كل بخور يغنيه
﴿جلس في بعض اخبار اسمعيل واسحق ابني ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجراني مكة واسكانه فيهما بمساكنهم اسمعيل وبلغ
النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قد قلنا ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج بامرأة
أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذ جاء
زوجك فافرنه مني السلام وقول له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسماعيل اثني عشر رجلا
ثابتا وقيذار واديبيل وبسام ومسمع وذمو ومساوح ورا وفيار بطور ونافس وقيدامون ثابت وقيدار
ابني اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الي العماليق وقبائل اليمن فلما
حضرت اسمعيل الوفا فاقصى الى اخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل
مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر امه هاجر (ويروي) عمر بن عبد الله بن زبانه قال شكنا
اسمعيل الى ربه تعالى خر مكة فادوحى الله تعالى اليه اني فاتج لك بابا من الجنة يخرجك عليك روحها الى يوم
القيامة وفي ذلك المكان دفن * واما حديث اسحق عليه السلام فانه نكحهم فقايت بتو يل فولدت له
عيسا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ولها قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقا في
بطن واحد فبلا من فلما ارادت ان تضع اقبل الغلامان في بطنها فاراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال
عيس والله لن خرجت قبلي لا اعتراض في بطن امي فاقبلتم افتاخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيسا
لانه عصا فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخر ابعقب عيص وكان يعقوب اكبرهما
في البطن ولكن عيسا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى امه وكان
عيس صاحب صيد فلما كبر اسحق وعصى قال ليعص يا بني اطعمني لحم صيد واقتر بمني ادع لك بدعاء
وعابه أي وكان عيص رجلا شمره ويعقوب رجلا جرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت امه الكلام
فمالت ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذهب كبير الغنم اشوهارا والبس جلد هام فقدمها الى ابيك وقل له انا
ابنك عيص فتمل ذلك واتي الى أبيه وقال يا ابتاه كل فقال من انت قال انا عيص فسمه وقال المس مس عيص

الرجل في مركب في البحر

فقصصت الربع وهاجت
 لا مواج واضطرب
 المركب خفنا من العرق
 خافت الناس وبكوا
 وضجوا فقال الرجل يا قوم
 معنا في السفينة رجل صالح
 كان من امره كذا وكذا
 فاسألوه ان يدعوكم فانوا
 اليه وهو قائم في ناحية
 للمركب يلقوف رأسه في
 الكساء قال فايقظناه وقلنا
 له يا سيدي ما ترى من
 حالنا وما نحن فيه من الشره
 والفرق فرجع رأسه الى
 السماء وقال انهم اربنا
 قسوتك وقد ترك فارنا
 حملك وعفوك قال فما
 استقم كلامه حتى سكن
 الرج وهده الموج وسارت
 السفينة فقال عبدالله فلما
 نزلنا من السفينة سرنا اياها
 فهلكت من الجوع
 وشكرت اليه فاخذنا المزود
 ورقى الى شجرة البلوط
 فلا المزود من اوراقها ثم
 اتى به الى وقال كل فاذا هو
 رطب جنى ما كالت الذي
 منه ولا اطيب قال
 وعطشت معه في بعض
 السباحات ليلا فشكرت
 اليه ذلك فقال لي امر رب
 فظننت الى دلو تدلى في
 الهواء وفيه ماء لم اذق
 اطيب منه طامنا ولا
 احسن منه ربحا فشربت
 منه حتى رويت فكنيت

والرجل يرحل بعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيسى فادخله فقال قدم طامنا فقدمه فاكل منه ثم قال له اذن
 متى قد نامته فدعا له ان يحول في ذريته الانبياء المولود ثم قام بعقوب من عنده وجاء عيسى بعده فقال يا بنت قد
 جئتكم بالصبي الذي اردته فقال يا بني قد سمعك اذكرك بعقوب فغضب عيسى وقال والله لا تلتذنه فقال يا بني
 قد بقيت لك دعوة فلم اذع لك بها فقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملككم احد غيرهم
 ثم ان ام بعقوب قالت ايمعوب الحق بخالك فكن عنده خشية عليه ان يقتله عيسى فانطلق بعقوب الى خاله
 وكان يسير في الليل ويكن في النهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو اول من سري بالليل فأتى بعقوب الى خاله
 وكان اسمحق امره ان لا ينكح امرأته من الكنعانيين وامره ان ينكح امرأة من بنات خاله لئان ابن ناهر وان
 يعقوب لما مكث عند خاله فخطب ابنته راحيل وكان لابنتان ليا ورحيل الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال
 له هل لك من مال فازوجك عليه فقال لا لكن اخدمك اجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صدقها
 ان تحمدني سبع حجيج فقال بعقوب تزوجني راحيل لانهم الصغرى ولا جاءها اخوك فقال له خاله ذلك يا بني
 وبينك فرعى له بعقوب سبع سنين فلما وفي لثمر طره دفع له ابنته الكبرى ليا وادخلها عليه لئلا فلما اصبحت
 وجد غير ما شرط فجهده بعقوب وهو في ناد من قومه فقال له غرتني وخدعتني واستحلت عني سبع سنين
 ودلست على غير امرائي فقال له خاله يا ابن اختي اردت ان لا يدخل على ذلك الدار والبلد وانا خالك
 والولدك متى رايت لناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهم لا خدمني سبع سنين اخرى حتى تزوجك
 الاخرى ون الناس يومئذ يحجون بين الاثنين الى ان يموت موسى وانزل التوراة فرعى له يعقوب سبع
 سنين اخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا اربعة اسباط روبيل وكان اكبرهم وهو وذو اوشة سمعون
 ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمي بنيامين لان امه راحيل
 ماتت في نفاسها وبامين بالمر بية التشكل وكان لئان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب ايتين يقال
 لاحدهما زلفة والاخرى بلهة فوطى الايتين بعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة اسباط فولدت
 زلفة ليعقوب دان ونفتالي وروبارون وولدت له بلهة جاد وشمعون وشمعون فكان بنو يعقوب اثني عشر
 رجلا لان من راحيل واربع من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماع الله تعالى
 الاسباط وسماهم بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط في كلام العرب الشجرة المثمرة
 الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من المعجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق
 خاله لئان وانصرف بولده وامراتيه وجاراتيه المذكورات الى منزل ابيه من فلسطين على تخوف شديد من اخيه
 عيسى فلم ير منه الا خيرا فانزل اخاه وناقاه وتلطفه حتى تركه البلاد وتوقف في الشام وصار الى السواحل
 ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده * وقال ابن اسحق تزوج عيسى بن اسحق بنت عمه
 نسيمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيسى فكل بني الاصغر من ولده وكان عيسى فيما
 يذكر سمي آدم لادامته ولذلك سمي ولده بني الاصغر قالوا وعاش اسحق بمدام ولده عيسى ويعقوب
 مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفعه ابناه عند قبر ابيه ابراهيم عليهما السلام في مزرعة جبرون
 والله اعلم

(*) مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام *

وهو لوط بن هاران بن تارح بن اخي ابراهيم عليه السلام وانما سمي لوط لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه
 السلام اى تعلق به ولصق ومنه حديث ابن بكرضي الله عنه حين ذكر عمر اهلهم غفرا لولده لوط اى
 الصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من امر لوط فيما ذكر اهل العلم باخبار الانبياء وذكر

بعسد ذلك اصوم في

الهاجر فلا اجوع ولا
اعطش فهذا كله ببركته
فقد در رجال ماتوا في
قولهم لغيرهم مجالا قد
سجلوا اميريات على
الوجنات (شهر)

لقد در رجال واصلوا الدهر
واستعذبوا الوجسد
والبريح والفسكر

فهم نجوم الهدى والليل
يرفهم

اذا نظرهم هم سادة بر
كل غدا قابله بالله مشتغلا
عن سواه وللذات قدا
هجرا

يمسى ويصبح في وجد
وفي فلق

مساكنه من المصيان
منذرا

يقول يا مدي قد جئت
معترا

بالذنب فاغفر لي يا خير من
عفرا

حمات ذباغظ لا اطيع له
ولما طع سبيدي في كل

مالما

عبيته وهو برخي ستره
كرا

يا طالما قد عفى عني وقد ستر
يا طالما كان لي في كل نائمة

اذا استنفت به في كربة
انصرا

واني اطلب ما جئت وقد
وافيت بابك يا مدي

معتبرا
لعل تقبل عذري ثم تجبرني

وهب في المبتدأ له ان شخص من ارض بابل مع عمه ابراهيم وثمانه تبعه على يده هاجرا معه الى الشام
ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح ابوا ابراهيم بخلاف ابراهيم في دينه ومقيا على كفره الى ان
وصلوا الى حران ومكثوا بها فالت تارح وهاور ابوا ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط
وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونان فرائعتما فقال لسان بن عاران بن عبيد بن عوج
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجوا وعودوا الى ارض الشام فنزل ابراهيم فلسطين
وانزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى ارض سدوم ومابيلها وكانوا اهل كفر بالله وركوب فواحش كما
اخبر الله عنهم بقوله تعالى ان اتوا ن الفاحشة ما سبكم بها من احدهم الم الذين انتم لتأتون الرجال شهوة دون
النساء بل انتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قيوم لوط وقال تعالى
انتم لتأتون الرجال وتخطون الـ بيل وتأتون في ناديتكم المنكر فكان قطعهم الـ بيل في ذكراهم التا و الـ
ان اتيتهم الفاحشة مع من ورد بدمهم واتيتهم المنكر هم ناديتهم قال النضر بن هوشم كانوا يجلسون في مجالسهم
على الطريق فيحدثون من مر بهم ويتضاطون في مجالسهم وينكح بعضهم بعضا في الطريق وقال مجاهد
كانوا يجامون الرجال في مجالسهم على الطريق وروى ابو صالح عن ام هانئ قالت سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا يجلسون على الطريق فيحدثون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر
الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينههم عن ذلك ويدعوهم الى عبادته تعالى ويدعوهم على اصرارهم على ما هم عليه
وامرهم بالتوب بزمته ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يترجمهم عن ذلك وعده ولا يزبدهم وعظه الاتعابا
وعتوا واستعجالا بهذاب الله تعالى وانكارا وتكذبا وبؤسوا له اننا بهذاب الله ان كنت من الصادقين
حتى سأل لوط ربه ان ينصره عليهم فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجاب الله دعاه وبث جبريل
وهيكايل واسرا فيل عليهم السلام بهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فقبلوا مشاة في صورة
رجال مردحسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فضيضوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما
فرغوا من ذلك واخبروا ابراهيم ان الله تعالى بهم هلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم في ذلك كما قال
الله تعالى فلهذا ذهب عن ابراهيم الزرع رجاء انه البشري يجادل في قوم لوط وكان جد الهياهم على ما ذكره ابن
عباس وغيره انهم لما قالوا انا اهلكوا اهل هذه القرية قال لهم انهم لكون قرية فيها اربعمائة مؤمن قالوا قال
أفتملكون قرية فيها ثمانية مؤمن قالوا لا قال أفتملكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أفتملكون قرية فيها
اربعة مؤمن قالوا لا قال أفتملكون قرية فيها اربعة مؤمن قالوا لا قال أفتملكون قرية فيها اربعة مؤمن قالوا لا
قالوا وكان ابراهيم يمدح اربعة عشر بامر لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن
عباس قال قال الله لا ابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال
لارسل ان في لوطا قالوا اشفاه فامنه عليه فقالت له الرسل نحن اعلنين فيم التنجينه والهاله الامر انك قتادة
في هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما اتوا الهاله والوطاني
ارض له يعمل فيها قال قتادة راو باعن حديثه ان الله تعالى قال له لا اهلكهم حتى يشهد عليهم لوط اربع
شهادات فأتوه فقالوا لا تخشع فترك اليلة فاطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال اوما بلغكم امر هذه القرية
قالوا وما امرها قال أشهد بالله انها الشرقية في الارض وما أعلم على وجه الارض اناسا أخبث منهم قال ذلك
اربعة مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط انه سيحتاج الى المداينة عن اضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك
قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا مني بهم وضاق بهم ذرعا وقال هاتوا يوم عصيب أي شديد (قال السدي)
باسندا فلما خرجت اللات لشكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بانوا سدوم افوا بنت لوط

يوم الحساب اذا قدمت

منكمرا

وقد انبت بذن راجيسا

كرما

اليك يا مسكين السادات

مفتقرا

ها قد تشفت بالهادي

النبي ومن

فاق النبيين والاملاك

والوزنا

تالله لو لم يكن في الارض

ما نبت

زرع ولا نزل الباري لها

مطرا

مق اسير الى ذاك الحناب

مق

احطى برويته اقضى بها

وطرا

صلى عليه اله المرحش

ماركضت

نوق وما زمزم الحادى لها

وسرى

(وحكى عن ابى سليمان

الداراني رحمه الله تعالى

ونقعا به) أنه كان يقول

في بعض مناجاته سيدي

لئن طالبتني بذني لاطالبك

بفوك ولئن طالبتني ببخلى

لاطالبك ببجورك وكرمك

ولئن طالبتني باساءتي

لاطالبك باحسانك ولئن

ادخلتني النار لخبرنا اهلبا

بعبثي لك فنىدى يا ابا

سليمان لاند خلك النار ولا

تعدبك به البابل ندخلك

الجنة لتخبرنا اهلبا بعبثنا

لك ولا تخبر اهل النار

تستقي الماء لهم اركان له ابتان اسم الكبير ريثا والاخرى غيثا فنالوا الهابا جارية هل من منزل قالت نعم
مكادكم لاند خلوحي آتيكم بفزعت عليهم من قومها ثم اتت اباه فقالت يا تاه أدرك نيتنا ناعلى باب المدينة
مارأت وجهه قوم قط احسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كاد قومهم انه أن يضيف رجلا
وقالوا خل عنا لنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولئك عن العالمين جاءهم لوط الى منزله ما يعلم منهم أحد
الاهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت ان في بيت لوط رجلا مارأت مثلهم حسنا
قط (قال ابو جرود الخال) فلما ان اتم الله الذي كان بين امرأة لوط وقومها اذا انتم الضيفان يقول رسول الله ص
لما جادعدهم بذلك الى الفاحشة تضاياف لوط فبلغنا ان الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما اخبرت امرأة لوط
قومها بضيفاز وجهه جاءه قومهم يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله
ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم قالوا أولئك عن العالمين
أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لعل ما نريد فلما لم يقلوا منه ما عرض عليهم
قال لو أن لي بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا يا رب الله نبيا بعده الا في شرف من قومهم ومنعة من عشيرته
وقال صلى الله عليه وسلم لآخر هذه الآية رحمه الله أخى لوط لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره
وغلق بابهم والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يمالجون تسود الدار فلما رأت
للملائكة ما في لوط من الكبر والنصب والتعصب بسببهم قالوا له لوط ان ركنك لشديد وانهم آتهم عذاب
غير مردود انارسل ركن ان يصول اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا لفتح الباب ودعنا واياهم
فتفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عفو عنهم فاقبل له فقام في الصورة التي يكون فيها قشر
جناحيه ووجه جناحان وعليه وشاح من درمنظوم وهو راق الثياب اجلى الجبين ورأسه حيك مثل المرجان كأنه
الثلج ياضا وقد ماله الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد
راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا
وهم يقولون نتجاه التجاه ان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا لوط جئتنا بقوم سحرة سحرنا كن
كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط ان ضيفا قد رسل به وانهم ارسلوا بهلاك قومهم قال لهم اهل الكوم
الساعة فقال له جبريل ان موعدكم الصبح أليس الصبح يقرب ثم امره ان يسرى باهله بقطع من الليل ولا
يألف منهم أحد الا امره فلما كان السحر خرج لوط واهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا لوط
نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت ارضهم
فاقتلع قرى قوم لوط الاربع وكان في كل قرية مائة الف فرهم على جناحه بين السماء والارض حتى
سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلدها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى
فجعلنا عاليها سافلها ثم اتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من
سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعداى عن يفعل كفلمهم * أخبرنا الحسين بن
محمد بن فنجويه أخبرنا نحمد بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى
أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأسمع العواصف والقواصف من الرعد فاختش
انها الحجارة التي اعدت لغوم لوط ابو من يفعل فلمهم واخبرنا ابو بكر بن محمد بن احمد بن عتيل القطان
اخبرنا ابو الفضل عبدوس بن الحسن بن منصور اخبرنا ابو حاتم الرازي اخبرنا ابو انان الحكم بن
نافع الحصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى ان اتى شبيب قاضي

حصى وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال ان رموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المندرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستجسسته قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فينتله قال وسمعت امرأة لوط الهرة فالتفت وقالت واقوموا فادركوا حجر فنتلوا فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين اي اليافقين في المذاب وقال تعالى انه مصيها ما أصابهم الا به (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت ابا روق يقول الا امرأته كانت من الغابرين اي خلقت فدخلت حجرا وكانت تسمى هلسقع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فأما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية اربعة آلاف فاحتلها جبريل على جناحه فقلها فلدك سميت المؤن فكانت اي المتقلبات واما القرية الخامسة فانها تسمى صغرة ونجت من المذاب لان اهلها آمنوا بلوط (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سلك بسماه ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا اصواتهم واصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لها او كلفتهما فتفتح ابواب الجنان او النيران فتجأها قال فاخبرني عن قوله تعالى امين قال ان الله تعالى انزل من السماء مائة واربعة كتب على انبيائه لم يأتعن عليها غيري (أخبرنا) عبد الله بن الحسين بن محمد النخعي أخبرنا ابو عثمان بن احمد بن سمان البراري أخبرنا عبد الله بن قطبة أخبرنا يثرب بن ثوبه أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا ابو بكر بن عياش قال سألت ابا جعفر اعذب الله النساء بالنساء من قوم لوط بهل رجالهم فقال الله تعالى اعدل من ذلك بل استعني الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا (أخبرنا) ابن فتحويه أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لجاهد بابا بالحجاء هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا للرجل بقي اربعين يوما وكان بمكة فجاهد حجر ليمصيه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا لا حجر ارجع من حيث جئت فان الرجال في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج اصابه الحجر خارج الحرم فقتله (عن مقاتل) عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا وديفالا يبالغون الى اربعين فاهلكهم الله جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنأمرن بالمعروف ولننهون عن المنكر اولدنهكم العقوبة جميعا

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص الآية قال سعد بن ابي وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثنا قال فانزل الله تعالى الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص عا وحينا اليك هذا القرآن الآية فندلهم الله تعالى في هذه الآية على احسن القصص واختلف العلماء في سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص احسن القصص فقال بعض أهل المعاني الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو اهلون عليه قال الشاعر

الحسين الجنة وهكان الاعداء
النار اخوان الجنة عروس
مهرها النفوس ولها تخضع
الرتاب والرقوس وهي تجلي
على اهلها الاسرار وتصفو
بها الا كدار وتروق ماني
ابكر الانكار وروحي للعارف
نور والجاهل نار اذا مزجت
نخرة الحبة على أهل الجنة
الوصال يتعمون فيها
بالغدو والاصال والحبيب
يتجلى عليهم بلا حجاب
وملائكة السرور يدخلون
عليهم من كل باب فالذين
يتلون كتاب الله عاوي لهم
وحسن مأب متكئين فيها
على الارائك نعم الثواب
(وحكى عن يوسف بن
الحسين رحمه الله تعالى) انه
قال سمعت ذا النور
المصري رضي الله عنه يقول
يا بنانا انا في شوارع مصر اذا
رايت جارية يسفرة عن
وجهها وهي تمشي من غير
خمار فقلت لها يا جارية أما
تستحي من الله تعالى فقالت
يا ذا النور وما يصنع الخمار
بوجه علاه الا صفرار قال
ذا النور فقلت لها عماك
تناولت شيئا من شراب
القوم فقالت اسكت يا بطال
شربت البارحة بكاس وده
مسرورة فاصبحت بحجة
نخورة قال ذا النور فقلت
لها يا جارية عسى فائدة
هناك أو وصية أحفظها

عليك بالسكوة حتى
يتهموك أنك مبهوت
وارض من الله باليسير من
القوت بين لك بيت في
الجفة من الياقوت قيل
أوحى الله تعالى الى نبيه
دارد عليه السلام يادارد
أحبني وأحب من يحبني
وحبيبي الى عبادي فقال
داود يارب كيف أحبك
وأحب من يحبك وأحبك
الى عبادك فقال تذكرني
لهم وتذكرهم لأني وتعالى
فانهم لم يبرفوا الى الا لجيل
والاحسان * قيل أوحى
الله تعالى الى نبيه الخليل
عليه السلام يا ابراهيم أنك
لي خليل وأنا لك خليل
فاحذر أن أطاع على قلبك
فاجده مشغولا بفيري
فينقطع حبك مني فانما
اختر الخبي من لو احرقته
بالتار لم يلفقت قلبه عني ولم
يشتمل بفيري فاذا كان
كذلك اسكنت محبتي في
قلبه فتوارث عليه الطائي
فقربه مني ووجهته بمحبي
قبي نعيم يمدد ذلك
عندي واهي شرف
اشرف منه لدى فوعزني
لاثنين صدره بالنظر الي
وذلك اني محب لمن احبني
(اخواني) اذا كانت محبته
سبقت للعبد بالعناية
القدسية كيف لا يسلك
العبد الطريق المستقيمة

ان الذي سمك السماء بنالنا * بيتا دعائه اعز وأطول

أراد عز بزة طوبى له واجراه الياقوت على الظاهر فان اراهي احسن القصص ثم اختلفت وانى وجهها ففروى مقاتل
عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان
حدثنا عن التوراة باحسن ما فيها فانزل الله تعالى نحن ننص عليك احسن القصص بمعنى ان قصص القرآن
احسن مما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصص احسن لنقصها في القرآن فتضمن من العبر
والحكم والعجائب والظن فمناصمت هذه القصبة ولذلك قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته آيات
للسائلين وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب وقيل مماها احسن القصص لحسن مجازة
يوسف واخوته وصبره على اذاهم واغصائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تلو طود معه وكرمه في العفو عنهم حيث
قال لا ترب عليكم اليوم بفقر الله لكم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن
والانس والنام والطيور وسير الملوك والممالك والعملاء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء
ومكرهن وحيلهن وفيها ايضا ذكر العفة والوحيد وعلم السيرة وتعبير الرؤى وآداب السياسة والمعاملة وتدبير
المناسبات فصارت احسن القصص لما فيها من الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خيري
الدنيا والعقبى قال اهل الاشارة سماها الله احسن القصص لسماها من ذكر الحب والمحبوب

(*) الباب الاول في ذكر تسببه عليه الصلاة والسلام

هو يوسف الصديق ابن يعقوب الصفي ابن اسحق الذبيح ابن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول
الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم
واختلقوا في معنى اسم يوسف فقالوا كثيرا الفقهاء هو اسم عبري فلذلك لا يجبر وقال بعضهم هو اسم عربي
سميت الاستاذ بالاسم الحبيبي يقول سمعت أبي يقول سمعت ابا الحسن الاقطع كان حكيمًا يسئل عن
يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمع افيد لذلك سمي يوسف

(*) الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة والسلام ولحيته ونعت خلقه وصفة صورته

قال الله تعالى فلما رأته ابكرته الآية (اخبرنا) ابو عبد الله العتي اخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان اخبرنا محمد بن محمد
ابن سليمان اخبرنا محمد بن حميد الرازي اخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال
حدثني عمارة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت ليلة أسري بي الى السماء
فرايت يوسف فقلت يا جبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأته يا رسول الله قال كان له ريلة يدير
واخبرني الحسن بن محمد اخبرنا احمد بن جعفر بن حمدان اخبرنا حامد بن سعدان اخبرنا أبي اخبرنا يعقوب
اخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى واهه شطر الحسن وعن
ابي اسحق بن عبد الله بن ابي فروة قال كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يري تلالا فوجهه على الجدران كما
يري نور الشمس والتمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله انى مثل لا تدور به بمزلة للذرفراد الانبياء
عليهم السلام نبيا انبيا واراد في الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار بمنزلة الشرف من تدبير اداء الكرامة
مقصدا بقصص البها وفي يده قضيب الملك وعن عيسى بن ميمون ان ماله وعن يساره سبعون الف ملك ومن
خلقهم امم الانبياء لهم زجل بالتمبيح والتمقيس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه جبال من نحول معه
حيثما حل فلما راآدم قال لحي من هذا الكريم الذي ابحت له ببجوحة الكرامة ورفته الدرجة العالية قال
يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتته يا آدم انجمله قال آدم قد اخجلت نفي حسن ذريتي ثم اآدم ضم يوسف الى

كما قيل ان الله اتي رسول

يا جبريل اقم فلانا وابط

فالحب بين يدي محبوب به

قام ولقد منه ما نزل وفي

حبسه هائم فما عليه من

الماثل واللام (شعر)

يا عادل القلب في صديقه

ولا ثم الصب في تصاييه

اترك ملامي وخر عن

عدلى

فالحب معي واست تدر به

وفي ضمه بري من لا يوح له

وفي فؤادي من لا اسميه

قد ادهش الطرف في

محاسنه

وحير القلب في معانيه

محبب القلوب تشم ه

مغييب والفرام بيديه

ووجهه حيث كنت

واجتهني

لاشي يخفيه او يواريه

ان جئته ضارعا فإلى ملي

يقول لتبكي في تماليه

ها انزلان ومنك مقرب

فخذ من الوصل ورد صافيه

(وعن ذي النون المصري

رحمه الله تعالى) انه قال

رأيت في ظهري الجنون

وباطنه الفنون فليت انه

محب مولد مفتون فومعته

يبكي ويقول في مناجاته

مولى قربت الحبين

وطردتني فما ذنبي

وخصصتهم بالوصل منك

وهجررتني فواكرني

وايقظتهم للقيام بين يدك

وانعتني فواندمي ولذتهم

صدره وقبله بين عينيه وقول يا بني لا تأسف فانت يوسف فاول من ساء يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف
من الجبل الثمينة وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى ايده وصوره ونفخ
فيه من روحه قبل ان يصيب المصيبة وقد كان الله اعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصي فرغ
ذلك منه واعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجبال الذي كان انزعه منه وذلك ان الله
تعالى احب ان يرى العباد ان قادر على ما يشاء فعطى يوسف من الحسن والجمال ما لم يعطه احد من الناس
ثم اعطاه العلم بما رزق بالربا وكان يحير بالامر الذي يرى في المنام انه سيكون كذا او كذا من قبل ان يكون ذلك
الامر عاده الله ذلك كما علم الاسماء كلها آدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف ابيض اللون جميل
الوجه جمدا الشعر ضخيم العينين مستوى الخلق غليظ الساقين والمضامين والساعدين بحمص البطن اقي
الانف صخر السمرة وكان بخندة العين خال اسود وكان ذلك الخلق يزين وجهه وكان بين عينيه شامة يضاء
كانها القمر ليلة البدر وكانت اهداب عينيه تشبه قوائم النور وكان اذا تبسم روى النور من ضوا حكة راذا
تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم بل احد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام
ويقول انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان احسن الناس واسحق هو الضاحك بالامبرانية
وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاء هن واعطى
يوسف من الحسن والجمال رصعة اللون ونقاء البشرة لم يعطه احد من العالمين وانه كان لي كل القول
والفواكه فترى حين يزدرد رها في حلقه وفي صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها احواء
(وقال زهير) الحن عشرة أجزاء ليوسف تسمة وواحد بين سائر الناس (وعن عبد الله بن مسعود عن
النبي عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف
من نور الكرسي وكسوت وجهك من نور عرشى وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان
يوسف من احسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وبدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال
نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو احسن في عيني
من القمر
(القول في القصة) *

قال اهل العلم بقصص الانبياء واخبار الماضين كان ابتداء امر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة
يعقوب لهوا يثارة على سائر ولده أن الله تعالى انبت ليعقوب شجرة في صحن داره فكان كلما ولد له ولد اخرج
الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع
يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد
له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شية فلما كبر وشب قال لايه يا بني الله انه ليس احد من اخواني
الا وله غصن الا انافا ع الله تعالى ان يختصني بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم اني اسالك
ان تهب ليوسف غصنا من الجنة فيفتخر به على جميع اخواته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه
قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقل ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته
قال فرأى يوسف في ابرى المنام وهو اذ ذاك صبي كان قضيبه غرس في الارض فلقى وتدلغ اغصانه وانما
من كل ثمرة ثم اتى باغصان اخوته ففرت حوله فلم تلمق ولم تفرع ولم تثمر واذا انصن يوسف اقصرها
واصغرهما فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طل على اغصان اخوته ثم هبت الريح فاقتلعت اغصان
اخوته من غصونها والفتها في البحر وثبت غصن يوسف في الارض قائما فاقبته فزعا مرعوبا فقال له ابوه
ما الذي هالك يا بني فقص عليه رؤياه فبأخوته فقالوا يا ابن را حيل لقد رأيت عجايبا يوشك ان تدعى انك

في المسحور بها جارك وما
لنذني فوالله لم يأتني
البكاء والتعجب قلت ذو
النون خرك مني ما كان
ساكما وهيح من شوقي
ما كان كمتنا فقلت يا فتى
ما هذا البكاء فقال يا
النون اخبرني سواد الثوب
يزول بالماء والاصارن
وسواد القلب يزول بماذا
قلت ذوالنون فقلت انا والله
في طاب ما انت في طلبه
وما رقت منه لا في الحيرة
والتيه وانشد يقول شعرا
راى سوادي فقلت وبلى
اشد منه سواد قلبي
طلبت منه لذلك غصلا

فقال لي ليس ذا بصعب
كذلك قلبي به سواد
قازدوت كر بالظلم كربي
(اخواني) سكتت مارالحبة
في القلوب فاستنارت
بانوار الحبوب قال بعضهم
سبعة اشياء لاتم معرفة
الزب الاله الاخلاص النية
للعز وجل وصدق العزيمة
مع الله والصدق في الله
والشوق الى الله وحسن
الظن بالله والخوف من الله
فهذه السبعة لاتم معرفة
الله الاله اكان المصباح لا
توقد الا بسبعة اشياء لا بد
منها الزاد والحجر
والحراق والكبريت
المرجعة والزيت والفتيلة
فبدون هذه السبعة اشياء
لا سبيل الى ايقاد المصباح

ولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسده بصر الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعني
الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثني عشر سنة الرؤيا التي قصها الله على يوسف في كتابه اذ قال تعالى
اذ قال يوسف لبيه يا ابت اني رايت احدهم كوكب الالة وكان يومه الى جانبه فينبأ يوسف قائم عند
أبيه ليلة من الليالي اذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فأتته من منامه فرأى
مرعوقا بالترمة يعقوب وضمه الى صدره وقيل بين عينيه وقال يا حبيب ابيه ما الذي اصابك فقال يا ابت رايت
رؤيا افزعني فقال يا بني خيرا رايت ما الذي رايت قال يوسف رايت كرا اواب السماء ففتحت وقد اشرق
منها النور فاستنارت النجوم واشرفت الجبال وزخرت البحار وعلت أوجها وأسبحت الحيتان بأنواع
اللغات ورأيت كافي ألبست رداءه اشرق الارض من حسنه ونوره ورأيت كان مقام خزان الارض
ألفيت بين يدي فينبأنا كذلك اذ رايت احدهم كوكبا انقضت من السماء ومعه الشمس والقمر فخرقا الى
سا جدين فقال ية وبياي لا تفصص رؤياك على اخوتك الالة ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتديك بك
واملك من تاول الاحاديث الالة قال فسمعت امرأة يعقوب قال يوسف لايه فقال لها يعقوب
اكنمى ما قال يوسف ولا تخبري اولادك بذلك فقلت نعم فلما أقبل الالاد يعقوب من مراعيهم اخبرتهم
بالرؤيا التي امرها يعقوب بكنمها فاتفقت اردد اجدوم واقسمت جلودهم غصبا على يوسف وقالوا ما نرى
بالشمس غيرا بينا ولا القمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا فقالوا ان ابن را حليل يربدان يتكلم عليه فيقول انا
سيدكم واتم عبيدك فحسده على ذلك فذلك قيل في الحكمة لانا نحن قارئ على صحيفة ولا شابا على امرأة ولا
امراة على سر (وروى) الحكيم بن ظهير عن اسمعيل السدي عن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله قال جاء
رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن التجموع التي راها
يوسف ساجدة مما اسمها اوهما فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه شي حتى نزل جبريل عليه
السلام فاخبره باسمها فاسل الى اليهودي ودعا وقال ان اخبرتك باسمها اسلم قال نعم فقال له جريان
والطارق والذبال وذو الكفتين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصباح والفيلق والضروح راها
يوسف في افق السماء ساجدة فلما قص رؤياه على أبيه قال اري شيئا مشتوا بحمد الله لك فقال اليهودي
هذه والله اسمها اوهما ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في الكواكب سبع سنين فلما كان من
امر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالحبة والقر بقسده اخوته
وحلم الحسد على ان تأمروا بينهم في ان يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما
بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى اذ قالوا ليعوسف وأخوه احب الى ايماننا ونحن عصبة ان ابانا انفى
ضلال مبين اى خطا بين في اثاره يوسف واخاه تلميذا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا ليحل لكم وجه
أبيكم وتكونوا من بعده قوماصالحين اى ثابتهين فاستعدوا لاتبوة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو
يهودا وكان افضلهم واعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقود في غيا بالقالب وهو البرغير المطوبة
يلتقطه بعض السيارة ان كنتم قاعلين قيل للحسن المجاهد المؤمن فقال للمائل ما انالك بني يعقوب ولهذا
قيل الاب جلاب والاخ سلاب فمن ذلك اجعوا رايهم ان يدخلوا على ية يعقوب ويكذوب في ارسال
يوسف معهم الى البرية فقال لهم رويل وهو اكبر ولد يعقوب ان اباكم لا يامنكم على يوسف ولكن انطلقوا
بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر التينا كيف نخرج ونلعب اشتاق الى ذلك فاقبلوا على يوسف وهو
قاعد يسبح فجعلوا يلعبون ويتضاحون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فاقبل عليهم
وقال يا اخواته هكذا لعبون في مراعيكم فقالوا نعم يا يوسف انك لورايتنا ونحن نلعب في مراعينا فغفرت ان

تكون معاش وقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يا اخوتاه اطلقوا الى ابي واسأله ان يرسلني
 معكم فاقبلوا الى يعقوب ووقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا ارادوا ان يسألوا حاجة فلما رآهم بين
 يديه وقفوا صفا وقال لهم ما حاجتكم قالوا يا اباك انك لا تأمننا على يوسف واذله لصحون نحو حله ونحو ظنه
 حتى زده اليك ارسله معنا غدا نبيع و يلبس في الصحره يا اباك فظنون فقال لهم يعقوب اني ليعجزني ان
 تذهبوا به وأخاف ان ياكله الذئب وانتم عند غفلون لا تشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك
 يعقوب لانه رأى في منامه كان يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئب قد شددوا عليه لياكلوه واذا
 ذئب منها يحسب عنه وكان الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلما رأى
 يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فذلك قال لهم واخاف ان ياكله الذئب (اخبرنا) الحسين
 ابن محمد بن فتحويه اخبرنا عبد الله بن شبة اخبرنا أبو نعيم وعبد الرحمن بن قريش اخبرنا محمد بن عمرو
 ابن الحكم الهروي اخبرنا مالك بن سليمان الهروي اخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن افع عن ابن عمر
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتنوا الناس بالكذب فيكذبوا قال بنى يعقوب لم يمانوا ان الذئب
 ياكل الانسان حتى انهم ابرهم فلما انهم وقال اني أخاف ان ياكله الذئب قالوا اكله الذئب فقال بنوه لن
 اكلا الذئب ونحن عصبة اى عشرة رجال اذا دخلوا سريرة فمغلوبون ثم قالوا يا بني الله كيف ياكله
 الذئب وفيما سمعوا ان اذ غضب لا يسكن غضبه حتى يصيرح فازاحاح لا تسعه حامل الا وضعت ماني
 بطنها وفيما هو اذا غضب شقق السبع نصفين فلما سمع منهم يعقوب ذلك اطمان اليهم
 واقبل يوسف حتى وقف بين يدي ابيه ثم قال له يا ابي ارسلي معهم قال او تحب ذلك يا بني
 قال نعم قال اذا كان غدا اذنت لك في ذلك فلما اصبح يوسف لبس ثيابه وشدد عليه منطقتة
 وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عبد يعقوب الى السلة التي حل فيها ابراهيم زاء اسحق فحمل فيها زادا
 ليوسف وخرج ليشيهمهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني اوصيكم بتقوى الله وبمحبي يوسف
 أسألكم بالله ان جاع فاطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولا تنكبوه ولا تتخذوه وكونوا متواصلين
 متراحمين قالوا نعم يا ابا انا لك ولد وهو اخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بمحبة اياه فقال نعم يا بني الله خالفتني
 مع اني خائف ان اكون قد ضيعته ثم انه اقبل على يوسف فآلمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال
 استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (وروى) السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جابر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن
 بحيرة عن كعب الاحبار وسعيد بن ابي عروة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض قالوا ارسل يعقوب
 يوسف مع اخوته فاخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية اظهروا له المداواة وضر به فجعل
 يستقيث بهم واحدا بعد واحد ثم يضر بونه فلما رى منهم رجاء واخذوا ما كان زوده يعقوب واطعموه
 الكلاب وضر به حتى كانوا يقتلونه وعطش عطشه شديدا فقال لهم اسقوني جرعة من ماء قبل ان تقتلوني
 فلم يسقوه فغند ذلك بكى الملا نكرا رحمة ليوسف فلما رأى يوسف ان ليس احد منهم يعطف عليه جعل
 يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما تصنع بانيك بنى الاكاه فلما عموا يقتله قال لهم يهودا كان ابن خالة
 يوسف واسمهم فيه رؤيا ليس انك قد اعطيتهم من موت فانا لا تقتلوه فغند ذلك اجتمعوا على القائه في الجب
 كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به واجهوا ان يحملوه في غيابة الجب فانطلقوا به الى الجبل ليرحوه فيه وكان ذلك
 الجب في الاردن بين مدين وصر وقيل بين طبرية والتسد على قارعة الطريق في وادي من اودية على ثلاثة
 فواضع من منزل يعقوب وكانت ثرا وحشة مظلمة اسفلها واسع واعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سمة

مصباح قلبك بمشاهدة
 ربك فلا بد من زناد
 الجماعة وحجج المكابدة
 وحراق الاشواق
 وكبريت المحبة ومسرجة
 التوكل وزيت الشكر
 وفتيلة الصبر ثم تعاق
 المصباح في سلاسل
 التضرب على ربك فغند ذلك
 يتوقد نور في قلبك (وحكى
 عن عبد بن احمد المقيدر حه
 الله تعالى) انه قال سمعت
 الجنيد رضى الله تعالى عنه
 يقول كنت قائما عند
 السرى السقطي رضى الله
 تعالى عنه ليلة من الايام
 قابضني وقال يا جنيد
 رأيت كافي ووقت بين
 يدى الله تعالى فقال
 يا سرى خلقت الخلق
 قادمي كلهم محسبي
 وخلقت الدنيا فرب مني
 تسعة اعشارهم وبقى
 العشر وخلقت الجنة
 فرب مني تسعة اعشار
 العشر وبقى عشر العشر
 فلم طعت عليهم ذرة من
 البلاء فرب مني تسعة
 اعشار عشر العشر وبقى
 عشر عشر العشر فقلت
 للباقيين لا الى الدنيا اردتم
 ولا الى الجنة طلبتم ولا من
 البلاء هر بتم فما الذى
 تريدون وما الذى تطالبون
 فقالوا انت المراد ولو قطعنا
 بالبلاء لم تحل عن المحبة

والوداد فقلت لهم اني مسلط

عليكم من البلاء والا هوال
مالاتقوم بحمله الجبال
انصرون على البلاء قوا وبني
اذا كنت انت المبلى لنا
قافل ماشئت بنا فاولاه
عبادي حقوا واحباي صدقا
(الخواني) البلاء موكل
بالجبن قد اضني منهم
الاجساد وتمكن من
القلوب فلا يزالون كذلك
حق يصلوا الى المحبوب
وانشد بعض السارقين
يقول شعرا
بني الله للاحساب بيتا
سأؤه
هجوم واحزان وحيلانه
الضر
وحصباؤه كرب وغم
وسفته
صفام وآلام يضيق به
الصدر
وادخلهم فيد واغلق بابها
وقل لهم فتفتح بيتكم لصبر
(وعن ابراهيم الخواص
رضي الله تعالى عنه) رفقةنا
به انه قال كان عتبة العالم
من الخواص المبرورين
بالاخلاص وكان يزورني
في بعض الايام ولليالي
وكان صائما الدهر قائم الليل
فبات عندي ليلة فندمت
اليه المشاء لينظر عليه فلم
يفطر عندي الا على الماء
فما صلي المشاء الا خيرة
احرم وقام يصلي الى
البحر فسمته يقول في

أسفلها لا يمكنه الصمود وكان ماؤه هاملجا وكان الجب من حفرة سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما
أرادوا ان يلقوه فيه جعلوا يدلون به في البئر فتملق بشعر البئر فزبطوا يديه الى عنقه وترعوا قريصه فقتلوا بالخير تاء
ردواعي قريصي استر به عورتى ويكون لي كفنا بعدد ما نى واطلوا يدى اطردها نى هرام الجب فقاواله
ادع للشس والفهر والاحد عشر كوكبا تلهمك وتقول في البئر بحبل فلما بلغ نصفهم اقتاموا الحبل
سقط فيموت فيه فاخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة لهما ثالثة وررهما الى يوسف فرفق عليه واوحى
يوسف بيكى فنادوه فظن انهم ارحمة لخطيئتهم فاجابهم فقه وان رضه خوه بالحجارة فيقتله فقتلهم بهم وذا وقال
لقد اعطيتهم منى ومثانا لا تقتلوه قالوا فلما أننى يوسف في الحب اضاه له الحب وعذب ماؤه حتى كان يضيئه
عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى اليه ملكا خال عنه قيده وكان ابراهيم حين انى في النار جرد من ثيابه
وقذف في النار عياقاته جبريل عليه السلام يقيص من حر راجحة فالسه اياه وكان ذلك الفقيص عند
ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
الفقيص في ثوبه يذوع منه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما أننى في الحب عرابا ناجاه
الملك وكان عليه التوءم يذافخرج الفقيص والبسة اياه وجعل رؤس به البهار (يروي) ان الملك اتاه بحفر جولة
من الجنة قاطعه اياه فلما لمسي يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عني استوحش
فقال له الملك قل اذا همت شيئا بصريح المستصرخين باغاث المستغنيين بالمفرج كرب المكروبين قدرتمى
مكاني وترفع حالى ولا تخني عليك شي من امري فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا خفوا
به وآنسوه في البئر ثلاثة ايام فلما كان في اليوم الرابع اتاه جبريل عليه السلام وقل يا غلام من طرحك هو انى
هذا الحب قال اخوف لاني قال ولم قال حسدنى على عزتي من ابني قل احب ان تخرج من هذا الحب قال نعم
قال قل باصنع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قريبا غير بعيد
ويا مؤنس كل وحيد ويا غابا غير مغلوب ويا اعلام الغيوب ويا حيا لا يموت ويا حي فوق لا يلاذ أن
سيحانك أسألك يا من له الحمد يا دبع السموات والارض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والاكرام أسألك
أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وان تجرد لى من امري ومن ضيقي فرجا ونجوى من حيث أحتسب
ومن حيث لا أحتسب ففعلها يوسف فجعل الله له من الحب محرجا ومن كيد اخوته فرجا اتاد ذلك من
حيث لا يحتسب وأوحى الله اليه وهو في البئر لتنبئ اخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون انك يوسف فذلك
قوله تعالى لتنبئهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست
سنتين ثم بعث وجمع الله بينهم وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) ابو عبد الله بنوري اخبرنا ابو العباس احمد بن
محمد بن يوسف الصرصى اخبرنا ابو جعفر محمد بن جبر الطاهري اخبرنا عمران القزاز اخبرنا عبد الوارث اخبرنا
يونس عن الحسن قال انى يوسف في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في اليهودية والملك والسجن
ثلاثين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمسة وعشرين سنة * رجعنا
الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ما أننى في الحب فلما ألقوه في الحب عمدوا الى سحلة من الفم
فدبحوها واطاخوا قريص يوسف بدما وشوها واكلوا لحمها حتى انهم رجعوا الى يعقوب وهو قائم على قارعة
الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخا رجلا واحدا ورفوا اصواتهم بالبكاء
فلم يعقوب انهم قد اصيبوا بمصيبة نداء وافردها جته وارتقدوا بين يديه وشدة واجويهم وبكاء فزع
يعقوب وقال ما لكم يا بني وأس يوسف قالوا يا ابانا اذهبننا نسقيك نتفضل وكذلك هو في قراءة عبد الله
وتركها يوسف عندمنا فأكاه الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا خصا دفين وهذا قريصه ملطخ بدمه فذلك

قوله تعالى وجاؤا بأبهم عشاء بيكون وانما فداؤ ذلك ليكونا في الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير ما مكروا
فقدوا والانتخاب الحاجة في الليل فان الحياة في البنين ولا تتذر في النهار من قبيح فداؤ فتتلعج في الاعتذار
فلا تقدر على اتصافه (روى) الشعبي قال جاءت امرأة الى شريح فجمعت تبكي فقال رجل ألا ترى الى هذه
المرأة المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء بيكون ثم انه أشد في معناه
أغرك من شيخ بكاء وممانته * أم الاحذية البيضاء للثفت مطلقه
فان بسني يعقوب جاؤا بأبهم * عشاء وهم يبيكون زورا وغشوقه
قال فلما قالوا يا ابا نانا هبنا نستيق اي نتفضل وتركنا يوسف عند متاعنا فكله الذئب الاية الى قوله بدم
كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذب بدال غير معجمة اي طرى فلما
قالوا لا لم يعقوب بكى كاه شديدا وقال لهم أروني قميصه فاروه فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذبا أحلم من
هذا أكل اني ولم يشق له جيبا ولا خرق له شفا وصاح صريحة وخروه فمشيا عليه فلم يبق الا بعد ساعة طوبى له
فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم اخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضمه على وجهه وعينه (اخبرنا) ابن
فتحويه اخبرنا احمد بن ابراهيم بن شاذان اخبرنا عبد الله بن ثابت اخبرنا ابو سعيد الاشج اخبرنا اسامة حدثنى
زكريا عن سنان عن الشعبي قال كان في قميص يوسف ثلاث آيات لما اجابوا به الى ابيه فقالوا أكله الذئب فقال
ابوه اني أكله الذئب لبشر قميصه وحين سمى نحو الباب ثقت قميصه من خلف فعرف الوزر انه لو كان
هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين أتى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح إخوة
يوسف من الغدر رجوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيت ما كان من تكذيب ابيكم لبارحة فان
اردتم ان يصدقكم ويخرجكم من الملامة فروا بنا على الحب فخرج يوسف منه وتفرق بين اضلاعهم ولحمه
ونجي به فقال لهم هوذا يا اخوتاه ابن العمد الذي بيني وبينكم والله لئن علمتم ما تقولون لأخبرن يعقوب عا
كان منكم ليه ثم لا تكون لكم عدوا ما بقيت فتكوه ثم انهم رجوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم
صادقين ان الذئب أكله فان الذئب اتونى به فمدوا الى حبالهم وعصيمهم فاخذوها وضموها الى الصخرة
فاخذوا واذابوا وشدوه وأوثقوه كذا فأم حوله الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له
يعقوب أقبل فاقبل الذئب يخطي القوم حتى وقف بين يدي يعقوب منكسرا رأسه فقال له يعقوب أما
الذئب كالت ولدى وقرعة عيني وحبيب قلبي ومرة تؤادى لغدا ورتنى حزننا طوبى لا لما عظميا قال فتكلم
الذئب وقال لا وحق شيدتك يا بني الله ما كلك ولدوا وان لحومكم ودماءكم معشر الانبياء لحرمة علينا وانى
لما ظلموك مكذبون على وانى لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أؤخلك ارض كنمان قال جئت
لاجل قرابة الى من الذئاب ازورهم واصلمهم فتعذلت قال يعقوب لا ولاده بل سؤات لكم انفسكم امر افصير
جميل وهو الذى لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان علي متصفون * قال ابن عباس انما كان سبب
بلاء يعقوب انه ذبح شاة وروصا ثم فاستطعمه جاره فلم يطعمه فاتت به الله تعالى بامر يوسف قال فكش
يوسف في الحب ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سبيارة
اي رفقة مارة من قبل مدين تر بدعصر فاخذوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قرب باب من الحب قال وكان
الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للراحة والجتازة وكان مؤهرا للحافذب حين التي فيه يوسف فلما
نزلت السبيارة ارسلوا رجلا من العرب من اهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى
وجاءت سبيارة فارسلوا رجلا من العرب قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشمية والدلاء
فوصل الوارد الى البئر فادلى دلوه اى ارسلها فتمعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورأه مالك بن دعر

تمنى في قاتلك محب وان
ترجى فإني لك محب ثم بكى
وشق شقمة عظيمة وخر
مشيا عليه فلما أفاق قلت
له يا عتبة كيف كانت
لياسك قصر صرخة
شظيمة ثم قال يا ابراهيم
ذكر العرض على امرع
الحاسين قطع اوصال
الحسين ثم غشي عليه فلما
افاق رفع رأسه وقال
يا سيدى أترك تعذب
من أحبك بالخير ان تبلى
قلبه بالحجر ان فسحها فافا
يقول حاشا ان يمدب
من أحببه واجتبه
واختره واصطفاه
وانشد يقول شعرا
في وصف حبك ما يغني
عن ألف
وفي حديثك ما يلبى عن
الذل
وما كنت كلى فكلى ذلك
محتمل
قالا امرك ليس الامر
من قبلى
وحق حبك ما قلبي
ينقلب
الى سدواك وما حسبي
بمترحل
ولوسف كنت دعى عمدا بلا
سبب
ليكن عين الرضا حقا بلا
ملل
(وعن ابن بكر بن عبد الله
رضي الله تعالى عنه انه قال

فتمت في العراق أياما بديدة

فلم أجد أحدا أرافقه فبينما
انساثر ذات يوم ذرات
خرقة من شهر لمبض
العرب فقصدها فأتا على
باب قلعة الخيمة فترسل
فلمست على من في الخيمة
فردت على السلام عيوز
من داخل الخيمة ثم قالت
من أين الرجل قلت من
مكة قالت وأين تريد قلت
الشام فقالت ابري سبحك
سبح البطالين هلا ثمة
زاوية تعبد الله فيها ثم قالت
هل تحسن شيئا من القرآن
قلت نعم فقالت اقرأ على
آخر سورة القرآن قال
فقرأتها فصرخت صرخة
عظيمة وغشي عليها فلما
أفاقتم قرأت على آيات
فاقشعر جسدي لفرامتها
ثم قالت اقرأ على ثانيا
ما قرأته قال فقرأتها
فلجتها مثل ملحها في
المرة الاولى ثم مكثت
طويلا فقلت في نفسي
أترى ماتت أم لا فرجمت
ذاهبا وتركته مقدار
نصف ميل فاشرفت على
واد فيه عراب فاجلست
غلاما ومعهما جارية
فقال لي احدهما أنت على
الخيمة الشمر التي في الغلاة
قلت نعم قال أيها حسن
يسمع قلت لا فقال ماتت
ورب الكعبة فضيبت مع
الغلامين حتى أتتهما إلى

فأرى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا شرابي هذا غلام ببشر أحسن ما به أصاب عبدوا مسروعه بضاعة
قال المفسرون أسمر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضناها
من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يجلبوا منهم فيه الشركه أن علموا حاله قال وكان هو ذا ياتي يوسف بالطعام
كل يوم سران إلى خوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجد في البيت فظن قائلوا هو مالك وأصحابه نزولا
ويوسف معهم فخرج بهوذا وأخبر خوته بذلك فأتا إلى مالك وقال له هذا عبدنا في مناوكتهم يوسف حاله
مخافا أن يقتلوه فقال مالك انما اشتريته منهم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظلم حرام لأن من الحرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة
واعتاق ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يتنون ما كان وزنه أقل من أوقية أر بعين درهمان غاما كانوا
يعدها عندا قانا مغ ارقية وزنه لأن أقل وزانهم وأصغرها يوزن أوقية أر بعين درهمان (واختلاف العلماء
في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقائدة والسدي عشرون درهما وأقدموها
بثمنهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنتان وعشرون درهما وقال عكرمة أر بعين درهما وأما باعوه بهذا
الدراهم كانوا فيه من الزاهدين لم يملوا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال إن السبب في استتراق
يوسف ويهم إيدان إبراهيم دخل مصر في بعض الأزمنة فلما خرج منها شيعة زهادهم وعبادهم حفاة مشاة
إلى أربعة فراسخ نظمها واجلا لا ولم يتجمل لهم إبراهيم فوحي الله إليه أنك لم تنزل أبادي وهم يشون معك
حفاة ولا عاقبك بأن يباع ولهم أولادك في هذه المدينة ثم إن مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه ليوسف
وهم أخوته يقولون لهم استوفوا منه ثمنه أبق سارق كاذب وقدر ثمننا اليكم عن عيو به فخله مالك على ناقلة
وساروا إلى مصر وكان طريقهم على قبراه فلما رأى قبراهم لم ينالك أن رمى نفسه عن الناقة إلى القبر وهو
يقول يا بني ابراهيم حل على عنك عقدة الردي وارقمي رأسك من الثرى وانظري إلى ولدك يوسف وماتى
بذلك من البلاء ما ملو رأيت ضمني وذلي لرحمتي يا مالهو رأيتني وقزعوقيه وشدونى وفي الحب
النفوس وعلى حر وجهي إلهوني وبالحجارة رجوني ولم رجوني وكما تبع العبيد باعوني وكما يحمل الأسير
حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر واصبرك الإله قال فافتقده
مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجد نصاح في القافلة إلا أن الغلام قد رجع إلى أهله فطلب القوم يوسف
فأروه فاقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد أخبرنا مولىك بأنك سارق فلم تصدق حتى رأياك فعمل ذلك
فقال والله ما بقت ولكنكم مكرتم على قبراهم فلم أملك أن رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده
وأظم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروي أنهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما منزلت
منزلا ولا تحلت الاستقبال لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت انظر إلى
غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا وقف فلما أقدموا مصر أمره مالك بن دعر أن
يفتسل فافتسل والبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطيعين من رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان
على خزان الملك الأعظم وكان الملك يوسف يذبح مصر ونواحيها الزيان بن الوليد بن ثروان بن أراثة بن قاراز بن
عمرو بن عملاق بن لاد بن سام بن نوح عليه السلام يروي أن هذا الملك مات حتى آمن يوسف وتبعه
على دينه ثم مات يوسف حتى ثم ملك بعده قايوس بن مصعب بن معاوية بن عمار بن السلاوس بن قاراز بن
غمر بن عملاق بن لاد بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف إلى الاسلام فآمن بالله
(قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تاتي قطيعا في السيرة وأدب يوسف من مالك بن دعر شرير دينارا وأوزج
نمال ونو بين ايضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة إلى مصر فدخلوا يوسف إلى السوق بمرضونه

للبيع فترافع الناس في غنمه وتزايدوا حتى بلغ غنمه وزنه مسكاً وورقاً حريراً قابلاً بقطعة من ثياب الخن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته اكرمي مئوادمي ان ينعمنا ونؤخذ ولدنا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * واخبرني ان فنجويه اخبرنا ان ابني شعبة اخبرنا ابو حامد المديني اخبرنا ابو هاشم الرقاعي قال اسم امرأة العزيز بكاء بنت فيوش قالوا فقال لها اكرمي مئوادمي ان ينعمنا ونؤخذ ولدنا واسمها راعيل قاله اسحق بن يسار * وكان اسم راعيل حساناً نعمة في ملك وديار (اخبرنا) ابو بكر الجوزقي اخبرنا ابو المباسد الدعولي سرحين اخبرنا علي بن الحسين الهلالي اخبرنا ابو نعيم اخبرنا زهير عن ابن اسحق عن ابني عبد بن عبد الله بن مسعود قال افرس الناس ثلاثة العزير بن حنن ففرس في يوسف وقال لامرأته اكرمي مئوادمي والمرأة التي انت موسى فقال لا يها يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني ارض مصر قال اهل الكتاب لما سمع ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزر دفرعون مصر وجملة على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بن يوسف الى منزله وقال لامرأته اكرمي مئوادمي فتأملت امرأة العزيز ورأت حسنة وجهه وقع حبسه في قلبها وعشقه فراودته اى طلبت منه متابعها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وراغبت اليا باب و قالت هيئت لك اى هلم تدعوا الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انى رأتى احسن مئوادمي يعني زوجك قطيفة سيدى انه احسن مئوادمي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فلتات عذبا نخفته في اهلك بعد ما اكرمني واتمنى فانا ظالمه ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهمهمه لولا ان رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشئ ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم افعل وكدت ولينتي * تركت على عثمان نيكى حلاله

واما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلاف اهل العلم في ذلك قاله السدي وابن اسحق لما راودت امرأة العزيز مرارة يوسف عن نفسه جاءت ذكره لمحاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقال له يا يوسف ما احسن شرك قال هو اول شيء ينتهون جسدي قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال هو اول ما يسيل في الارض قالت ما احسن وجهك قال التراب يا كاهل فلم تزل تأمره مرة وتعلمه اخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل بمجد شبق الشباب وهي حسنة جميلة حتى لان لها لما يرى من كنهها به ولم يخوف منها حتى خلوها في بعض البيوت وهمها (وروى) اسحق بن يسار عن جوير بن الضحاك ومقاتل جيماع بن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما احسن شرك قال هو اول شيء يبلى اذامت قالت يا يوسف ما احسن وجهك قال ربى تعالى صورنى في الرحم قالت يا يوسف قد انحلت جسمي بصورة وجهك قل الشيطان يعنيك على ذلك قالت يا يوسف الجنة قد التهمت ناراقم فاطفئها فقال ان اطفأها فمها احتراق قالت يا يوسف الجنة قد عظمت قم فاسقها قال من كان الفتاح يده فهو احق ان يقيم امنى قالت يا يوسف بساط الحر يرقد بساطك قم فاقض حاجتي قال ان اذهب نعيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فاسترك به قال ليس شيء يستتر من ربى تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدرى تشفى بذلك قال سيدى احق بذلك هي قالت اما سيدك فاسقيه كاس فيه زبيب الذهب فيتنازلحه ويتساقط عظمه ثم اقيه في الاستبرق والقيه في القيطون يعني الخزع لا يلم به احدهم من الناس وأوليك ما كاه قايله وكثيره قال فان الجزء يوم الجزء قالت يا يوسف انى كثيرة الدر والياقوت والذمير فاعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء قال يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهم ما فضر

فكشفت عن وجهها يجوز فاذهبي مئة فتمجبت من ذلك ثم قالت للجارية من هذان الغلامان فقاتلها شر يغان يجمعون وان هذه أختهم ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام احد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها في الغلاة فكانت تأكل في كل ثلاثة ايام مرة واحدة رضى الله عنها (اخواني) الي متى تشغلون بالذات الغايات عن النبايات الصالحات فبادروا الى الاوقات واسعدوا كوا الهفوات وكفوا عن الشهوات اما يتظلم منادي الشتات اما هن كم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النمار قطاهم بمقاطعة اللذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات (شعر)

حياتنا باطل غرور

وعمرنا ذاهب تصوير

واناس في غفلة نيام

وقد دعهم لها القبور

والعمر يضي وليس ندرى

مثل سنين بنا تدور

يا نفس ماسر فم حزن

لا تحسبي انه سرور

فاذكرى الموت واستعدي

له فقد جاءك النذير

بأحدى يديه إلى جنب يوسف و باليد الأخرى إلى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من غم يوسف إلى أن حل الهيمان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (و روي) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفرشها ويهيئها ربي تمهاها أن تكون له زوجة * وأما الرهان الذي رآه يوسف وكان سبب النصيحة وصرف الفاحشة عنها فاختلقوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن عطية عن إسرائيل بن أبي حنيفة عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى لولا أن رأى برهانه به قال مثل له يعقوب فضر به يده على صدره فخرجت شهوته من أماله وقال الحسن وبجهد وعزيمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بني يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما ننص من شهوته حين رأى صورة ابنته فاستحيته وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء (وقال السدي) نودى يا يوسف لا توقها أعما مثلك ألم تر أرقها مثل الطير في جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقتها مثله اذامات ووقع في الأرض لا يقدر ان يدفع عن نفسه ومثلك ألم تر أوقها معشر العنود الصعب الذي لا يعمل عليه ومثلك ان واقتها مثل العنود الذي يموت فيدخل النخيل في أصل قرنيه فلا يستطيع ان يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن عبد الاصفهاني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكوني أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصري ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصري أخبرنا جبر بن يعزب ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى ولقد همت به وهي لم تقع حل سراً وله وقع من همتها معد الرجل من المرأة قالوا كيف قد بدت فيما بينهم اليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هار باقرا فلما ذهب عنهم الزرع والرعب عادت وعاد فلما قدم منها مقدم الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهم اليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها واة وابو امرأته في الآية فقام هار باقرا فقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قدم منها مقدم الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهم اليس لها عضد ولا مصم مكتوب فيها ولا تقر بوا الزنا ان كان فاحشة وساء سبيلا فقام هار باقرا فقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قدم منها مقدم الرجل من امرأته قال الله تعالى الجبريل عليه السلام يا جبريل ادرك عبيدي قبل ان يصيب الخطيئة فاحطط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله في الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا الخالصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عمار الطبراني في حديثي أني قال حدثني علي بن وهيب الرضا حدثني أني عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أني عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى لولا أن رأى برهانه به قال قامت امرأة المؤمن إلى الصنم فظلمت دونه ثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت استحيي ان يرانا فقال لها يوسف استحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحيي ان يخلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا إلى باب البيت هاربا مما أراده فاتبته المرأة فذلك قوله تعالى ترأسه قال يا يوسف يعني تبادر يوسف ورأى إلى الباب اما يوسف ففرار من ركوب الفاحشة واما المرأة فطلب اليوسف ليتضى حاجتها التي راودته عنها فلما ركته فتمسكت بقميصه من خلفه فيجذبها إليها ما ماته من الخروج ففقدت اي خرقته وشئت قميصه من دبر أي من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا الفيا سيد هالدي الباب اي وجدوا زوجها فظفر عند الباب جالس مع ابن عم لراعيل فلما أرته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجهما اجزاء من أراد باهلك سواء يعني الزنا الا ان يسجن عم لراعيل فلما أرته هابته

رضي الله تعالى عنه) امر مرت إسكرا وهو ماتي على الأرض والنمر يطلق من فيه وهو يقول الله قال فنجبت من ذلك ورفعت بصري إلى السماء وقت الحى لسان يذكرك لا يكون هكذا ثم طابت ماء ففسلت له فسه وانصرفت فلما أفاق أخبر جماعة من الناس ان السري المكمل قد ملك كذا وكذا فخيّل الرجل وا حتى لام نفسه ووخها وقال ويحك يا قمى اذالم تستحي من الله ومن اولائه فمن استحيين ثم نام وثاب ثما كان فيه واتمم على نفسه ان لا يود قال السري فبت تلك الليلة متفكرا في اس ذلك الرجل فرأيت رب العزة في المنام وهو يقول يا مري انت طهرت فسه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من اجلك قال السري فلما اصبحت فرحت بذلك فرحاً شديداً ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته في بعض المساكن وهو قائم يصلي فلما فرغ من صلاته سلم على وقال جزاك الله خيرا قال السري فملت ما حالك فقال يا سيدي وكيف تسأل عن حالي وقد

او عذاب الله يعني الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ المص قبلي ان ياخذك فقال يوسف
 بل هي راودتني عن نفسي فليدت وفردت منها فاذا ركفتي وشقت قمرى قال نوب الشامي ما كان يوسف يريد
 ان يذكرها فلما قالت ما جزاء من اراد باعلاك سوأ غضب وقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها
 واختلفوا في هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك بن صديق المهدا انطقه الله تعالى بدل عليه
 حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة في المهد وهم صغار بن ماشطة بنت فرعون وشاهد
 يوسف وصاحب جريج الزاهب وعدي بن مرهم وقال الحسن وعكرمة وقناة ما كان صديقا ولكن كان رجلا
 حكما وله رأي وكان من خاصة الملك وقال السدي هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما
 اخبر الله تعالى عنه ان كان قريصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قريصه قد من دبر فكذبت
 وهو من الصادقين فلما رأى قريصه قد من دبر عرف خيانته فامرته براءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن
 ان كيدكن عظيم ثم اقبل على يوسف فقال يا يوسف اعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد من قائل لا مراة
 واستغفر لي الذنب انك كنت من الخاطئين أي من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما
 استصم كذبت عليه (قالوا) فشاخ أمر يوسف وراعيه وتحدث الناس بذلك وقال انسوة في المدينة وهن
 امرأة اساق وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدوا وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز
 تراودن عا عن نفسه أي عبد الله الكيماني قد شفعها حبا إلى دخل حبه في شفاف قلبها وهو حجاب به وغلافه انا
 لنراه في ضلال مبين أي خطأ بين حيث تراود عبد الله عن نفسه فلما سمعت راعيل يكبرهن أي بقولهن
 وحديثهن وقال ابن اسحق يعني بكيدهن وذلك انما قلته مكيا ام الزهراء يوسف لا يطلعن من حسنة وجهه
 فانخذت راعيل مائة ودعته ربيع امرأة منهن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله تعالى وأرسلت اليهن
 واعتدت لهن متكئا اعتدت أي هيأت لهن بحال الاطعام وما يتكبن عليه من الخمار والوسائد (عن ابن
 عباس) وسعيد بن جبير وقناة يعني هيأت طاماما وقراهن بدهنكا خفيفا غير ممرز وهو كل طعام نحير
 بالسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجار بطبخا وهو زوار زمانا وهو دوا أنت كل واحدة منهن سكيننا وقالت
 ليوسف اخرج عليهن وكانت قد جلست في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف
 فلما رأته أكرهته وهالتهن أمره وبعثن وقطن أي يدهن بالسكاكين الثلاثي منهن وهن يحسن أنهن يقطعن
 الارح وغيره (قال قناة) أين أي يدهن حتى أنفينها ثم أحسن الابالدم ولم يحدن من حزالا يدي لما شغل
 قلوبهن يوسف عليه السلام (قال وهب) بلغني أن سبعا من الاربعة امرأة منهن في ذلك المجلس وجدا
 يوسف عليه السلام وقلن حاش لله أي معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الاملاك كريم فقالت راعيل عند ذلك
 للنسوة فذلك الذي لمنني فيه أي في حبه وشغفي به ثم انما حدثت للميل الذي عندها فقالت ولقد راودته
 عن نفسه فاستصم أي امتنع واستعصى فمالت النسوة ليوسف أطع مولانا فقالت راعيل ان لم ينفذ
 ما أمره بسجنهن وليكونا من الصاغرين فاذا يوسف حين عاودته المرأة وتوعدته بالسجن على الخالعة
 السجن فقال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ولا تصرف عني كيدهن أصب إليهن أي أمل وأنا بعين
 وأكن من الخاطئين فاستجاب له ربه تصرف عنه كيدهن وهو الصبيح الملم لم يهدم أي العزيز وأصحابه من
 بهدما رواه النيات الدالة على براءة يوسف وهو وقت التقيص من دبر ونمخش الوجه وقطع النسوة أي يدهن
 ليسجنه حتى حين (قال السدي) وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا المبرأ الذي قد دفعني في الناس
 يمتد اليهم ويخرجهم اني راودته عن نفسه واستأطق أن أعترف بذنبي فأنما تأذن لي أخرجه فاعذر وامان
 تحبسه كما حدثني نفسه بدعائه براءة فمالتهم فعرض امرأته وذل الله تعالى جل ذلك الحبس أظهرها

حين قال لك وقطرنا قلبه من اجلك قال المري
 فمجيبت من ذلك وقالت
 من أخبرك بذلك فقال
 الذي طهر قلبي من سوءه
 وجاد على بغيه ورضاه
 (عن السري أيضا رضى
 الله تعالى عنه) انه قال
 دخلت الجبانة فرايت
 بهلول الجنون على قبر
 مترا على التراب فقلت
 له ما جوسك هنا فقال
 عند قوم اذا حضرت
 عندهم لا يؤذوني وانت
 غبت عنهم لا يفتنوني
 فقلت له يا هذا ان الحيز قد
 غلا فقال والله ما ألبس ولو
 صارت كل حبة بدينار
 عليان نعيمه كما أسرنا
 وعليان يرزقنا كما رزقنا
 (نقيل) ان رابعة الدودية
 رضى الله عنها امرت برجل
 وهو يذكر الجنة وما أعد
 الله فيها لاهلها فقالت له
 يا هذا الى متى تشغل
 بلا غير عن الواحد الفار
 ويحك عليك بالجار ثم
 الدار فقال لها اذهبي
 بالجنونة فقالت است
 بعنونة فترأى الجنون من
 لم يفهم ما أقول ثم قالت
 يا مسكين الجنة جنة من لم
 يكن الله انسه ويجلسه الا
 ترى آدم عليه السلام
 لما كان في الجنة رزق فلما
 تعرض له ابليس الاكل

وفزع بن صلاته ثم رفع
قراءة القرآن من أول الختم
إلى آخرها بقيمة اليوم كله
فلما مات كآخرة تراثها
في سوية يس قوله تعالى
إذ أني ضلال مبين فلما دفن
في قبره حضر إليه الملاك
فقال له مارك ومادريك
فقال أني آمنت بربكم
فاسموني قيل ادخل
الجنة قال يا ليت قومي
يؤمنون بما غفر لي ربّي
وجعلني من المكرمين فثنت
درهم من اقوام قاسوا
بناجون الحبيب والناس
في غفلاتهم فأموت
ويتحدلون أمثال الوجد
والفرام ويفرحون بالليل
إذا جن الظلام فهم في
جنت الخلد يتمتعون وإلى
وجه الحبيب ينظرون إلا
أن أولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون شعر
الله قوم يذكره استغلو
وفي حتى قر به لقد زلوا
ليس لهم غير ذكره فرج
فهم حين قاموا بهم حصلوا
من ذاق وصل الحبيب هام
ولم يكن منزل ولا طال
بروحهم في رحمة الله وحوا
وحققوا بحبهم وما جعلوا
قاموا بناجونه وقد علموا
أنهم لله إذ قد عملوا
قاسموا بواصب في هواه
وقد
لهم في رضاه ما حلوا (قيل
كان أبو بكر بدليستامي رحمه

فقال أني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة أبائي إبراهيم واسحق
ويacob إلى آخر الآية فارأى يوسف فظنته ودرايته ثم دعاها إلى الاسلام وأقبل عليهما وعلى
أهل السجن وكان بين أيديهم اصنام يعبدها من دون الله فقال الزاما للحجة يا صاحبي السجن
الرباب متفرقون خرام الله أو احد النهار ما تعبدون من دون الله فربهم رؤى ياها الما الخ عليه فقال
يا صاحبي السجن اما احديكا وهو الساقى فيسقي ربه خيرا يعني الملك ربه ودالي منزله التي كان عليها واما
الساقى الثلاثة قالها ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج واما الآخر فيصايب والساقى التي رآها في المنام
ثلاثة ايام يبقى في السجن ثم يخرج فيصايب فنا كل الطير من راسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمع
قول يوسف تليد السلام قال ما رأيت شيئا انما كنا نلب ونجرب تلك هذا فقال يوسف قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اى فرغ الامر الذي عنه تسألان (اخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد بن الوزان
اخبرنا علي بن عبد الله الصفار اخبرنا حمدين مهران عن ابي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر ما لم تهر فاذا عبرت وقت وان الرؤيا يجزى من ستة واربعين جزءا
من النبوة وأحسبه قال لا تقصصها إلا على ذي رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لا ولاء ولا عاب فقال
يوسف عليه السلام عند ذلك لذى علم انه ناج منهم وهو الساقى اذ كرتى عند ربك يعني الملك وقل له في
السجن غلثم محبوس ظالما فافسده الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة واكثر
المفسرين على ان البضع في هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه اصحاب ايوب البلاء سبع سنين
وعذب مختصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين (ودوى) يؤس عن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي يوسف ولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث يعني
قوله اذ كرتى عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا امر فرعنا إلى الناس (وقال مالك) بن دينار
ما قال يوسف الساقى اذ كرتى عند ربك فذبل لما يوسف اتخذت من دوني وكلا لا طين حبسك فبكى
يوسف وقال رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت اقلت فويل لآخوتي (ويحكى) ان جبريل عليه
السلام دخل على يوسف وهو في السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المذنبين ما لي اراك بين الخاطئين
فقال له جبريل عليه السلام باظاها الظاهر ين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت مني
ان استشفعت بالآدميين فوعزتي لا ألبثك في السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل ويل وهو في
ذلك راض عني قال نعم قال اذا لا ابالي (وقال كعب الاحبار) قال جبريل يوسف ان الله تعالى يقول لك
من خلقك قال الله تعالى قال فمن حبيبك الى ابيك قال الله تعالى قال فمن أسكنك في البئر والبسك وانت عريان
قال الله تعالى قال فمن نجاة من كعب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك أو اى الرؤيا قال الله تعالى قال
فكيف استنثت آدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكهني وهذه السبع سوى الخمس التي كانت
قبلها وذلك ان حبس خمس سنين قبل ان يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع
بالساقى وقال له اذ كرتى عند ربك بقى في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى
ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤى بالعجوبة فباله وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من
نهر بابس وسبع بقرات عجاف فابلت اعجاف ايمان فرحلت في بطون فلم يرها شيئا ورأى سبع
سنبيلات خضر قد افترج حبلوا فركت وسبعا اخر باسبات قد استجصبت فانارت اليا باسبات على الخضر
حتى غلبت اجمع السحرة والكهنة ومعبره وقصها عليهم وقال يا ايها الملا افنوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون أي تفسرون قالوا اضعاف احلام خاطئة مشبهة التأوى بل الباطل وما نحن بتاويل الاحلام بعلمين

وقال الذي نجاهمهما أي من الفتيين وهو الساقى وادكر إمدامة أي وتذكر حاجة يوسف بسد
حين قال ابن عباس إمدامة أي إمدتين أنا أنبتكم بكاو يله فارسون أي إلى السجن قال ابن عباس رضي الله
عنهما لم يكن السجنين في المدينة بعمود فأتى يوسف فقال أيها الصديق يعني فيما عبرت إيمان الزكي يا أبا عبد
هو كذا الصديق افتنان في مع بقرات سمان يا كاهن سميع عجاف إلى قوله لهم يمايون أي فضلك وعلمك
فقال له يوسف ترعون سبع سنين دأب إلى قوله وفيه بصرون فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بما أفقاه به
يوسف من تأويل رؤياه كأنهم أو عرف الملك أن الذي قال كأن فقال الملك اتقوا بالذي عبر رؤى باي هذه فما
جاء الرسول إلى يوسف أي أن يخرج معه حتى يمر في عذره ويراه ثم يمر في صحته من قبل النسوة فقال
لارسلوا رجع إلى ربي أي سيدك الملك فأسأله ما بال النسوة الثلاث قطعن أيدين إن ربي بيكرههن علم
قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه ما زالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا
الذي راوياً رأتى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجزت من أخى يوسف بكرمه وصبره والله
تعالى يقر له حين - عن عن البقرات الهمان والعجاف ولو كنت مكانه ما خيرتهم حتى اشتطت أن يخرجوني
ولو كنت مكانه ولبت في السجن ما لبثت لاسرعت لإجابة وبادرت ولم ألتع العذر والله أنه كان لحمايا
ذا أناة قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالة فدنا الملك النسوة الثلاث قطعن أيدين
وأمرأة العزيز فقال لهن ما خطبك إزارا وقد نرى يوسف عن نفسه فلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قال
أمرأة العزيز الآن حصي حصي الحق أنا راويدة عن نفسه وأنه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك
ليعلم أني لم أخنه بالغيب وإن الله لا يهدي كيد الخائثين فقال له لجبريل ولأحد من هممت به يا يوسف فقال
يوسف عند ذلك وما يرى نفسه الآية فلما تبين لملك عذره يوسف وعرف أسأله وكما يتدبره ودياته وعلمه
وعقله قال اتقوا إلى يوسف قال له أجب الملك الآن ودع الادل
السجين بدعاء يرف إلى اليوم وذلك أنه قال اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تنعم عنهم إلا بما رفقهم أعلم
الناس بالأخبار إلى اليوم في كل بلدة فلما أخرج يوسف من السجن كتب على يابه هذا أقبر الأحياء وبيت
الاحزان وتجرى بالاصدقة وشهادة الأعداء ثم أنه اغتسل وتطبخ من وزن السجن ولبث ثيابا جودا حسنا
وقصده إلى الملك قل وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلفه عز جاره
وجل ذنوبه ولا تغره فلما دخل على الملك قال اللهم أني أسألك بخورك من خيره وأعوذ بك من شره وبشر غره
فلما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالبرية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عبي اسمه ميل ثم أنه دعا
بالبرية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكما
كلم يوسف لسانا إجابة بذلك اللسان فتعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك
حدائقه وغزارة علمه قال في عنده أن هذا علم تأويل رؤى باي ولم نعلمه الكهنة والسحرة ثم أنفذ جاسده وقل
له أني أحب أن أسمع رؤى باي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان
غير عجاف ككشفك عين نهر النيل فطامن علك من شطاطه تشخب اختلافين ألبنا فبينما أنت كذلك تنظر
اليهن وقد أعجبك حننهن أن تضرب النيل فغار ماءه وبدا قره فخرج من حننه ورحله سبع برات
تجاف شعث غير ملصقات البطون ليس هن ضرور ولا اختلاف ولهن أدياب واضراس وأكف ككف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختالطن بالسمان واغتسبن السباع وأكلن لحمهن ومزقن
جلودهن وحططن عظامهن ومشحن فبينما أنت تنظرون وتدهج كيف غابنهن وهن مهزولن ثم يظهر فبين
سمن ولا زيادة بهذا كلهن إذ سمع سنبلات خضر وسبع أخضر وسوايا سبت في منبت واحد وقهن في

الله تعالى يقول في مناجاته
الهي استعجب من حبي
للأروانا عبد حقير وأعسا
عجب من حركتي وأنت
ملك قدير (وكان) يحكي بن
ماد الرازي يقول في
مناجاته الهي ليس العجب
من عبد ذليل يحب ربا
جليل بل العجب من رب
جليل يحب عبدا ذليل قال
بعض المارقين رضي الله
تعالى عنه الحب حب زرع
في أرض القلوب ويسقى
بماء العقول فيمتلئ حتى قدور
طيب الأرض وحمه وغوامه
والياء الطيب يخرج نباته
بأذن ربه والذي خبث
لا يخرج إلا نكدا (وعن)
أنس بن مالك رضي الله عنه
أنه قال ثلاثة ممن كن فيه
وجدهن حلالة الأيمان
أن يكون الله ورسوله أحب
إليه مماسه وأهله وأن يحب
المرة أخاه الله تعالى وأن يكره
أن يموت للكفر بعد أن
أنقذه الله تعالى منه كما يكره
أحدكم أن يذرف في النار
(وعن) أبي عريضة
الله تعالى عنه أنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الله تعالى يقول
يوم القيامة أين المتحابون
في جلالي اليوم أظلمهم في
ظلي يوم لا يظلل الا ظلي
(وقيل) كان لعبد الله
ابن الحسين جارية عجيبة
وكانت من أولاده الله تعالى

اثرى الماء فبينما انت تقول في نفسك ما هذا هؤلاء خضر شمراة هؤلاء سود يابسات والميت راحد
واصولهن في الماء اذهبت ربح فردت اوراق السرد اليابسات على الخضرة المشرات فاشملت فيهن
النار فاحرقهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتبهت مذعورا فقال له الملك
والله ماشان هذه الرؤيا وان كانت عجيبا بعجب مما سمعته منك فأتني في رؤياي أيها الصديق فقال
يوسف الصديق اني ارى ايها الملك ان تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين الخصبية وتبنى الاهرام
والخزائن وتحمل الطعام فيها بقصبة وسنبله ليكون باقى له و يكون قصبة وسنبله علما للدواب وتامر الناس
فيرفون من طعامهم الخمس فيكنيك الطعام الذي جمعه لاهل مصر ومن حولها ثم تاتيكم الخلق
من جميع النواحي فيسارون منك بمحرك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك
ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكني في الشغل فيه فقال له يوسف اجمعاني على خزائن الارض اني
حفيظ علم اي كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعني علم بني الجماعة وبلغه من يا بني فقال له
الملك ومن احق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم له ينال مكيين أمين (أخبرني) الحسين بن محمد بن
الحسين انه في من خلد بن علوية اخبرنا اسمعيل بن جعفر الرابقي اخبرنا الحسين بن علوية اخبرنا اسمعيل بن
عدي قال اخبرنا يحيى بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم تزل اجمعاني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله
اياه أخر عنه ذلك سنة فاقام عند الملك في بيته سنة وروى سفيان عن ابن سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال قال
الملك ليوسف اني اريد ان تخاطني في كل شيء غير اني اتفان ان تأكل مما في فقال له يوسف اني احق ان آف
بذلك منك لاننا بن بقوب اسرا ئيل الله ان اسحق ذريح الله ان ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك باكل
معه قال ابن عباس لما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاء الملك فتوجه بتوجه وقلده بسيفه وحلله
بجذاته وأمر له بسر من الذهب بكل بالدر والياقوت فضر ب عليه قبة من اتيق وكان طول السرير
ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة اذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون تمرقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا ولونه
كالبج ووجهه كقمر يرى فيه دن يارض ووجهه الناظر صفاء لونه ثم انطلق حتى جالس على السرير فدان
له الملوك ولزم الملك وقضى اليه امره مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن
قريب فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيرا كما كنت تريدين فني
فقلت له أيها الصديق لا تلجني فاني كنت امرأة حسنة نعمة كما رأيت في ملك و دنيا وكان صاحبي لا ياتي
النساء و كنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فقلت في نفسي فلما بقي بها يوسف وجدها عذراء فاصابها
فولدت له ابني افرام وميشائيل يوسف عليه السلام واستوفى ليوسف ملك مصر فقام فيهم العدل فاحببه
الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مك اليوسف في الارض يعني ارض مصر
يقبوا منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين وللبجتي في هذا المعنى
أما في رسول الله يوسف أسوة * لملك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في السجن برهة * قال به الصبر الجميل الي الملك
وكتب بعضهم الى صديق له هذه الايات

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروح به آخر الحزن

فلا تياسن قاله ملك يوسف * خرائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمان يوسف في ملكه وخلصت السنين الخصبية ودخلت المجدة جاءت بهول لم يمهدها الناس مثله

وقد قامت من هنامها
فاحسنت الوضوء وقامت
الى صلاتها فابها فرغت من
صلاتها خرت ساجدة
لله تعالى وهي تقول سيدي
يحبك لي الا مغفرت لي
قال فقلت لها ويحك لا
تفسي هكذا ولكي
قولي بحبي لك فقلت اليك
عني يا بطال فلولا حبه لي
ما املك راقا في واقفي
بين يدي وبجبه لي
اخرجني من ديوان
المشركين وكتبني في ديوان
المؤمنين قال عبد الله فقلت
لها انهي فانت حرة لوجه
الله تعالى فقلت مولاي
كان لي اجران فصارت لي
اجر واحد اعتق الله
جسدك من اتارنم قالت
هذاعق ولاي الاصر
فكيف عتق مولاي
الا كبرتم خرت ساجدة
لله تعالى فخركتها فاذا هي
ميتة رحمة الله تعالى عليها
فقلت هذه والله صفات
الحسين المتعلمة قلوبهم
بمحبة رب العالمين
وانشبت اقول شعرا
الحب فيه حلاوة ومرارة
وتسك وتمت بك بشائر
ما شاء يصنع بالحب قائما
حكم الهوى بيد الحبيب
الامر
لو كنت املك في الهوى
امر الذي

ومسامري

(وقيل) لمرض الحزين
كيف رأيت الحبة قال
وقفت على ساحل بحير
زاخر ليس له آخر وقرب
مني قارب من تقرب مني
شربا تقربت منه ذراعا
فركبت موافقة له وانابعا
له فاجابت الروح من دعاها
بسم الله بحرها ومرسها
فلما توسست للجنة
توعرت سبيل الحجة
فلما زلت حتى جئتني في جمع
بحر يحبهم ويحبونه فانا بين
البقاء والقاء حتى وصات
الى ذلك الفناء والهاشمين
حروف الحبة تمزوجة
تغمرا بلوغ المنسا
فيم المات وحاه الحبة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تظن طيب اللقا
وطول البقاء بدون القنا
حينما الوصال بعد النصال
فان تلقى نسرا تلقنا تلقنا
فلا تجزعن من الدكال
وحر الو بال فيه الهنا
ومت مثل مامات اهل
الهوى
فانوا اشتياقا فلناو المنى
وماضهم حين ناديتهم على
طور سينانانا
(وحكى عن ابى يزيد
البطامى رضى الله تعالى
عنه) انه قال كنت يوماني
في سياحتي متلذذا بخلوتي
وراحتي مستنقفا في

فاصاب الناس الجوع فلما كان بدا القحط نام الملك فبينما هو نائم ان اصابه الجوع فنهت الملك يا يوسف الجوع
الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط والجوع فلما دخل اول سنة من سنن الجذب هلك فيها كل شيء
اعده من السنين الخصبه فجعل اهل مصر يتابعون من يوسف الطعام فباعهم في اول سنة بالثمن ودم من الذهب
والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار لا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحق والحلال والجواهر حتى لم
يبق في ايدى الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة للمواشى والدراب حتى احتوى عليهم الجميع وباعهم في
السنة الرابعة بالعبودية والاماء حتى لم يبق عبد ولا امه الا اخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور
حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم في السنة السادسة بالادس فان الرجل كان يشتري بولده الحطة
والاشير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ولا ذكر ولا أنثى الا عاب اليه وباعهم في السنة السابعة برقابهم
وارواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا امه الا صار ملكا له وبعثه في السنة الثامنة بالاعمال اليه وباعهم في السنة التاسعة بالبراقيق
مارا ينال ملكا جل من هذا واعظم ثم قال يوسف الملك كيف رأيت صنع ربى فياخونى فاسترى في هذا
فقال له الملك الراى ربك وانما نحن لك تبع فقال يوسف فاني اشهد الله واشهدك انى قاتلت اهل مصر
جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم واولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام
فقتل له الخبوع وبيده خزائن الارض فقال انى اخاف ان شيعت انا نسي الخائف (وروى) ان يوسف
امر طباطبا الملك ان يحمل غنائه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليله واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع
فلا ينشئ الخائف ويحس الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملك غنائه نصف النهار وقصده
الناس مصر من كل ناحية يترجون فجلد يوسف لانه لا يمكن احدا منهم وان كان عظيم من اكثر من حل به
تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فزاحم الناس عليه * قالوا وصاب ارض كنعان وبلاد الشام من القحط
والشدة ما صاب سائر البلاد ونزل بمقرب من ذلك ما نزل بالناس فارسل نبيه الى مصر بطباخون الميرة وامسك
عنده بنيامين اخا يوسف لانه فيخاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منهم بالقرب من
ارض فلسطين من نور الشام وكانوا اهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لمسا اراد
الله تعالى ان يبالغ يوسف ما اراده قال ابن عباس وكان بين ابن قذوفه في الحب وبين ان دخلوا عليه ارض مصر
اربعون سنة فلذلك انكروه وقيل انه كان متزينا بزي فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير الساعلى
سرى ورفعه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك
انكروه قال بعض الحكماء المصيبة تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه
فعر فهم وهم لم يشكروا قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما امركم فاني
انكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا ننتار فقال لهم اكم عيون جئتم فنظروا
عورة بلادى فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو اب واحد شيخ كبير ضدنى الله في من
انبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكأنتم قالوا نحن كنهنا عشرين سنة فذهب منا اخ الى البرية فهلك منه امه فابونا
أحب الى ابينا ما قال كنهنا عشرين سنة فذهب منا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعر فهم وهم لم يشكروا
يقتل به قال من يعلم ان الذى تقولون حتى فقالوا يا ام الملك اننا ببلاذ لا نعرف فيها اقال يوسف فابونا باخيكم
الذى من ابيكم ان كنتم صادقين فاني ارضى بذلك قالوا ان ابانا نحن على فراقه وسرورده عنه قال فقصوا
بعضكم عندي رهينة حتى اأتوني باخيكم فاقتروا عيونا بغيرهم فاصاب القرعة شمعون وكان ابراهيم يوسف خلفوه
عنده فذلك قوله تعالى وما تجهزهم بحجازهم قال اتوني باخيكم من ابيكم الاية الى قوله والفاعلون فقال عند
ذلك يوسف لفتياه اى ابله انه الذين يكونون طعاما اجلا ايضا عنهم اى نحن طاماهم (قال ابن عباس) كانت

فكري سمانسا بذكرى
 اخذت في سرى بابا
 يرد امض الى درسمان
 واحضر مع الرهبان في
 يوم عيدهم واقربان فلنا في
 ذلك نيا وشايت قال
 فاستمذت بالله من هذا
 الحياطر وقالت است
 اخاطر فلما كان الليل
 اذاني الهاتف في المنام
 واعاد على ذلك الكلام
 فانتبهت من منامي مرعوبا
 وفي هذا الامر مفكرا
 مكروبا فتوديت جهازا
 يا بلور بلايس عليك انت
 عندنا من الاولاء الاختيار
 ومكتسوب في ديوان
 الابرار فليس زى الزهبان
 واشد من اجلنا الزارفا
 عليك في ذلك جناح ولا
 انكار قال ابو يز بدفت
 مسرعا من باكر وامثلت
 الاوار ولبست زي
 الرهبان وحضرت معهم
 في دير سمان فلما حضر
 كبيرهم واجتمعوا وانصتوا
 ارجع عليه المقام فلم يطق
 الكلام كان في فيه لجام
 فقال له القديس و
 والرهبان ما الذي يمنك
 عن الكلام ايها الزهبان
 فجن بقولك تهتدي
 وبذلك تهتدي فقال
 ما مني عن ان اتكلم
 وابتعدى الارجل بينكم
 مخددي وقد جاء لديكم
 متحننا وعليكم متسدي

بضاعتهم النمل والادم (وقال قتادة) كانت ورقا في رحلهم امهم يرفونها اذا لبوا الى اهلهم امهم يرجعون
 واختلف العلماء في السبب الذي قل ذلك يوسف به من اجله فقال الكبي يخوف يوسف ان لا يكون
 عندنا من الورق ما يرجعون به اليه من اخرى وقيل خشي ان يشق اخذ ذلك منهم على ايدها كانت
 الصنة سنة جذب وقيل رأى اوما اخذ من الطعام من ابيه واخوته مع احتياجه اليه فرد عليهم من حيث
 لا يملون تكروا وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحمهم على رد البضاعة ولا يستحلون
 امسا كما في رجوعهم اليه لاجلهم فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا انا قد مناع لي خبير رجل انزلنا اكرمنا كرامة
 لو كان رجل من ولد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا اتيتكم مصر فاقروا عليه مني السلام
 وفروا له انا يا يعقوب عليك وبدعوا كما اقبلنا ثم انه قال لهم ابن شمعون فوالو ان الملك ارتنه لانيه
 بنيامين ثم اخبر وبدا لقصه فقال لهم ولما اخبرتم بذلك فقالوا له انه اخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه
 بل ان الامر انتم ثم قصوا عليه القصص وقالوا يا ابا منع الكيل فارسل معنا اخانا يمني بنيامين نكتل واناله
 لحاظون فقال لهم يعقوب هل امنك عليه الا كما امنك على اخيه من قبل الآية (قال كسب) لما قال يعقوب
 فانه خبير حافظا وهو ارحم الراحمين قال الله عز وجل لا تدن على كرامك كلاما بعد ما توكلت على قالوا
 ولما افتحو ما عزم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم اي من طعامهم ردت اليهم قالوا يا ابا مني هذه
 بضاعتنا ردت اليانا غير امانا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بيز ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب ان ارسله معكم
 حتى تؤتون موثقا من الله لتأتيني به الا ان يحاط بكم اي تملكوا جميعا (وزوي) جو يبرعن الضحكك عن ابن
 عباس في قوله تعالى لتأتيني به الا ان يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يمني حتى تحلفوا الى
 بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ان لا تدنوا وبالحزم فقدموا ذلك فلما آتوه موثقا منهم قال يعقوب الله على
 ما تقول وكيل اي شاهد بالوفاء فلما ارادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا
 من ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم الذين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامت تمتدة
 وكانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما غني عنكم من
 الله من شيء ان الحكم الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم اوبى بهم وكان
 لمصر اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها كان يمني عنهم من الله من شيء صدق الله يعقوب عليه السلام
 فما قال الى قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في البكرة الثانية قالوا يا ابا العزير
 هذا اخونا الذي امرتنا ان تأتيك به قد جئناك به قال لهم احسنتم واصبرتم وستحمدون على ذلك عندي
 ثم انه انزلهم واكرهم ووضا فمهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين على مائدة وحده وحيد فبكى
 وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجاسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي اخوك هذا وحيدا فادبوا ثم اجاسه
 يوسف معه على مائدة فجعل يؤا كاه فلما كان الليل امرهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم
 على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا بنا معي على فراش قيات معه فجعل يوسف يضمه
 اليه ويشمر رجليه حتى اصبح فجعل روييل يقول مارا بنامل هذا فلما اصبح قال لهم اني لارى هذا الرجل
 الذي جئتم به ليس له اخ وانه قال له في اخضه الي ايكون منزله معي ثم ان يوسف انزلهم منزلا واجرى
 عليهم الطعام والشراب وانزل اخاه لاهمه فذلك قوله تعالى ادرى اليه اخاه فلما خلاه قال له ما لك قال
 بنيامين قال له وما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد فقدماه قال وما لم امك قال راحيل ذلت ليان بن
 ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما اسماءهم قال لقد اشتقت لاهم من امم اخ لي
 من امي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطررت ذلك الى حزن شديد فاما اسماءهم قال ابوا وخير

فقالوا اننا اياه اسقته الا نحن

فقال لا تقتله الا بديل
وبرهان فقالوا له افعل
ما تريد فجنح ما حضرنا الا
لنستفيد قال فقام كبيرهم على
قدميه ونادى يا ياجدى
بحق محمد عليك الا
ما مضت قائما على قدميك
لننظرك فقام ابو زيد
ولسانه لا يفتر عن التوبيخ
والتمسديس والتمجيد
فقال له اليك ياجدى اريد
ان اسألك عن مسائل فان
اجبت عنها اتبعك وان
عجزت عنها قتلك فقال
سل عما تريد من العقول
والمقول والله شاهد على
ما تقول قال فاخبرني عن
واحد لا نأله وعن اثنين
لاناث لهما وعن ثلاثة
لارابع لهم وعن أربعة
لاخماس لهم وعن خمسة
لاسادس لهم وعن ستة
لاسابع لهم وعن سبعة
لائمان لهم وعن ثمانية
لاناشر لهم وعن تسعة
لاعشر لهم وعن عشرة
كاملة وعن احد عشر وعن
اثني عشر وعن ثلاثة عشر
وعن اربعة عشر تسكوا
مع رب العالمين يا خبرنا عن
قوم كذبوا ودخلوا الجنة
وعن قوم صدقوا ودخلوا
النار يا خبرنا عن مستقر
روحك في جسدك وعن
الذاريات ذروا وعن
الحاملات وقرا وعن

واشكلى واحيا وخير ومن ان ورد ورأس وحيتم وعيتم قل فها هذه الاسماء قال اما بالافان اخى اجمعه
الارض واما اخي فانه كان بكر امي وابي واما اشكلى فانه كان اخي لابي وامى ومي واما احيا فانه كان حبيبا
واما اخير فانه كان خيرا حيث كان واما نبي فانه ناعما بين ابيه واما يوبه واما يورده فانه كان بمنزلة الورى في الحسن واما
رأس فانه كان منى بمنزلة الرأس من الجسد واما حيتم فانه اخى لابي امى واما عيتم فلورأيت غرة لعفرت عيني
وتهم سروري فقال له يوسف امحبا اذ اكون اخوك بدل اخيك ذلك الهالك فقال بنيامين امها ذلك رهن
يخداخاملك واكن لم يملك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال انى
انا اخوك فلا تبتمس بنا كانوا اعداؤنا ولا تملهم بشي من هذا ثم اذ يوسف اوفى لاختوته الكيل وحمل
لبنيامين بهيمة باسمه (قال كعب) لما قال له انا اخوك قل بنيامين فاني انلا افرقك قال يوسف انى قد
علمت باغنام الوالد فان حبستك زاد غنمه ولا يكتفى حبسك الا بما اشتهاك باسم فظيع فقال لا بأبلى اقل
ما تريد فقال يوسف انى ادس صاعى هراقى رحلك ثم نادى عليك بالمرقة ليتيم الى ركب بعد تمريك قال
اقل فلذلك قوله تعالى فلما جاوزهم ببغاياهم جعل السقاية في رحل اخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك
وكانت كسا من الذهب مككلا رصما بالجواهر جملها يوسف مككلا يكملها ثم نهضوا وتحملوا امهاتهم
يوسف حتى ظنوا ثم ان يوسف امرهم فادركوا وحسبوا عن المسير ثم اذ نه فذبت عنها العيرانكم لاسارقون
فوقوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم انا نحن من منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوفى كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل
لغيركم قالوا وما ذلك قال سقاية الملك فقد ناهوا لم نهم عليها غيركم قالوا ان الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كناسا رقينا وان الله قد علم ما نهم عليه من امر واحد اسوء واسا او اعان من امر ناهى هل اضرنا احدا وافسدنا
شيئا وانا قد ردنا الدراهم لمارجدا ناهى في رحل اهلنا فلو كنا سارقين ما ردنا ناهى وفي الحديث انهم لم يداخلوا مصر
كروا اتوا دواهم اثلاثا تناول من حرور الاس شيا فقال الرسول انه صاع الملك الا كبير الذي يتكفن
فيه وانه اتفنى عليه فلم يجده فحلفت ان تسقط من رائي عنده ووافضخ في مصر فن رده على فله حل بعين
طعام وانا به زعيم اى كليل قالوا ما زلتنا نمرق فقال للمؤذن واسمنا به فاجزؤا ذى جزاء من رجس في
رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك تجزى الظالمين قال الرسول
عند ذلك لا بد من تقتبش امة تتك ولتمت بيارحين حتى افقشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ ابو عيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه لانه لا الهة معه وكان يفتش امة تتهم واحد او احدا (قال قتادة)
ذكر لنا انه كان لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء احد الا استقر الله تعالى بما قد فؤهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال
ما ظن ان هذا الغلام اخذ شيا فقال اخوته والله ما تركت حتى تنظر في رحله فانه اطير به لنفسك ولا تشمتنا
فلما افنحو متاعا استخرجوا الصاع منه فلما اخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء
ثم اقبلوا على بنيامين فقالوا ابش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك
بلاء اخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منك بلاء ذهبت يا بنى الى البرية
فاهلكتموه ان الذى وضع الصاع في رحلي هو الذى وضع الدراهم في رحلكم ثم انهم قالوا اليوسف ان يسرق
فقد سرق اخاه قبل وهذا هو النمل الساكن عنده شر من جرهم واختاف العلماء في المرقعة قالى وصفها بها
يوسف قال سيد بن جبير وقادة المرقعة قالى وصفها بها يوسف انه سرق صنما لجلده انى امه من ذهب فكسره
والفاه في الطر بقى قال ابن جرير امه وكانت مسلمة ان يسرق صنما لجلده من ذهب فاخذته وكسره وقال
مجاهد جاء سائل يوم فمرق بيضة من البيت واعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فتاولها سائل فمروها
وقال وهب كان نجيا بالعلم من المائة لثغراء وقال الضحاك وغيره كان اول ما دخل على يوسف من البلاء ان

الجارات يمرأ وعن
المقامات امرأ واخبرنا
عن شيء تنفس في روح
وعن قبر موشى بصاحبه
وعن ماء لازل من السماء
ولا ينبع من الارض وعن
اربة لامن الجن ولا من
الانس ولا من الملائكة
ولا من ظهير آب ولا من
بلن أم واخبرنا عن اول دم
اخرج من الارض وعن
شيء خلفه انهم استمطه
وعن افضل النساء وعن
افضل البحار وعن افضل
الجبال وعن افضل
الدواب وعن افضل
الطيور وعن افضل الليالى
وعن الطامة وعن شجرة
لها اثنا عشر غصنا في كل
غصن ثلاثون فة في كل
ورقة خمس زهرات اثنا
منها في الشمس وثلاثة في
الظل وعن شيء حج الى
بيت الله الحرام وليس له
روح ولا وجبت عليه
فرضة واخبرنا كم نبي
خلفه الله وكم رسول منهم
وغير رسول وعن اربعة
اشياء مختلف طعم اولوها
والاصل واحد واخبرنا
عن النقيير القليل والقتدير
وعن السعيد والابيد والطام
والرم واخبرنا عما يقول
الكلب في نبحه وما يقول
الحمار في نهيته وما يقول
النور في نعيه وما يقول
الفرس في صهيله وما يقول

عمته بنت اسحق كانت اكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها باكبر وكانت راحيل
أم يوسف ماتت فحضرته عمته وأحبه حباً شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما توارث وع وبلغ سنواً وقع حبه
في قلب يعقوب فأتاها وقال لها يا أخاه - لمجي الى يوسف فواته ما أصبحته ساعة واحدة فماتت لها يا بئس كنه
فلما ألع عليها يعقوب قالت دعه عندي أيا ما أنظر اليه لعل ذلك يساعني عنه ففعل ذلك فلما أخرج يعقوب من
عنده أهدمت الى منطقة اسحق فخرمت يوسف بها تحت ثيابهم إنما قالت وقدت منطقة اسحق فأنظر وا
من أخذها فأنهت فلم توجد فلما فقهشوا أهل البيت وجدوا مع يوسف ففأت والله انه ليس له اصل صنع فيه
ما شئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم في السارق فأتاها يعقوب فآخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك
لا أستطيع غير ذلك فامسكته بهمة المنطقة فمأزق عليه يعقوب ياخذ منها حتى ماتت فهو الذي قال اخوته ان
يسرق فندم في أخ له من قبل فامر ها يوسف في نفسه ولم يبد لهم قال انت هم مكانا والله اعلم بما تصفون قال
الرواة لا خلو على يوسف واستخرج الصواع من رجل بنيامين دعا يوسف الصواع فنقرهم ادناه من ان ذنم
قال ان صاعى هذا يخبرني انكم كنتم اتي عشر رجلا وانكم انطقتم باخ فيتموه فلما سمع بنيامين ذلك قام فوجد
ليوسف وقال ايها الملك سئ صواعك هذا عن أخي أجي هو فتمزق ثيابه حتى وسوف تراه فقال بنيامين
اصنع في ما شئت فانه ان علم بسوق يستغذي قل قد خل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضا فقال بنيامين
أيها الملك اني اريد ان تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فله في رحله فتمزقه ثم انه قال ان
صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي الذي سرقني وقد رأيت مع من كنت قل وكان بنو
يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب وويل وقال ايها الملك والله لن لم تتركنا وترك اخانا لا يصح صيغة
لا يبقى في دهر امرأة حامل الا انك ما في بطنها وقامت كل شر في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو
يعقوب ان اغضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لا يتهتم الي جنب رويل ومسه فقام
الغلام الى جنبه فسه فمك غضبه فقال رويل ان في هذا البيت شيء من ولد يعقوب فقال يوسف من
يعقوب فغضب رويل وقال ايها الملك لا تذكر يعقوب فانه امر ائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله قال يوسف انت اذا ان كنت صارت قادراً فلما أراد يوسف ان يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه
وانه أولى به منهم واحبسه زراً الا لا يسبل لهم الى تخليصه منه سأله ان تخليصه لهم ويطلقه وانه واحد منهم
بدله فقالوا ايها العزيز ان له ابشيهذا كبيرا كافا بحبه فخذ احدا مكانه اننا نراك من الحسنيين قال يوسف ما ذا الله
ان تأخذ الاخذ وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تخبرنا عن الكذب اذا اذالظالمون ان اخذنا بربنا بسقيم
فلما استأمروا به خصلوا لنجيا اي خلاصتهم بعض متعاجرين متعاجرين فقال كبيرهم عني في العقل وهو
شبه من عن مجاهد وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو رويل لئلا يملوا ان اباكم قد أخذ عليكم موثقة من
الله في هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم في يوسف اي من قبل هذا أقصرتم في شأن يوسف فلن ابرح
الارض يعني ارض مصر حتى بأذن لي ابي فارجم الى النار فانا جزه النار أويحكم الله لي وهو خير الحادين
ارجعوا الى ابيكم فنقولوا يا ابا انان انك سرق وما شهدنا الا بما علمنا اني نحن رأينا سرقته معه وما كنا لنعيب
حافظين حين سئالك ان ترسله معنا ولو ائنا لنعيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا وأسأل القرية يعني وأسأل
اهل القرية التي كنا فيها والعمير التي اقمنا فيها يعني قوه اصحبهم من اهل كنعان وانا لصادقون لك في قولنا
فوجدوا الى يعقوب بذلك الاول فقال يعقوب بل سوات لكم انفسكم أمراً فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه
عن الله ان يأتيهم جميعاً يعني يوسف وبنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا إسحاق اعلى
يوسف وذلك انه لا ياتيه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال

يا فتى يا يوسف والانسف اشهد الحزن (وروي) سمع من جبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنط امة من الامة عند المصيبة الا الله وان الله راجعهم الى الامامة محمد صلى الله
 عليه وسلم الانرى الى يعقوب حين اصابه على ابنه اصابه من الحزن لم يسترجع اعاقا قال يا اسفا على يوسف
 (وقال الحسن) كان بين خروجه يوسف من عندي الى يوم الانفاد عشرين سنة لم تحب عينه من الدهر
 وما كان على وجه الارض اكرم على الله تعالى من يعقوب فلما اشكوا بكى قال له ولده الله تفتؤ تذكر يوسف
 حتى تكون حرصا اى مر يضاد اذهب العقل من الهمة او تكون من الهالكين فقال يعقوب لما راى غلظتهم
 وجفوتهم انما اشكوا بي وحزنى الى الله اياكم وفى الحديث ان يعقوب كبر وضم حتى سقط حاجباه
 على عينيه وكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه قمت شهت وفنت ولم تباع من السن ما بلغ انك فـ
 بلغك ما رى فقال طول الزمان وكثرة الاخران فاحسب الله تعالى الى يعقوب اشكوى الى خلقى فقال يارب
 خطيئة اخطأتها فاغفرها لى قال قد غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكوا بي وحزنى الى الله
 (اخبرنى) الحسين بن فضويه اخبرنا احمد بن الحسن بن محمد اخبرنا الحسين بن ايوب اخبرنا عبد الله بن
 ابي زياد اخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السبط سمعت ابي يقول بلغنا ان رجلا قال ايعقوب ما الذى
 اذهب بصرى قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك قال حزنى على اخيه فاحسب الله تعالى اليه
 وعزنى وجلالى لا كشف ما بك حتى تعرفنى فقال عند ذلك انما اشكوا بي وحزنى الى الله فاحسب الله
 تعالى اليه وعزنى وجلالى لو كانا ميتين لم اخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليهما لا نكم بدمع شاة
 فقام بياكم مسكين يستظم فلم يطمعوا منها شيئا وان احب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فاصنع
 طما وادع اليه المساكين فصنع طما م قال من كان صائما فليطعمه ليلة عند آل يعقوب (وقال) وهب بن
 منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لما عاقبك وحسبت عنك يوسف عشرين سنة قال لا يا لهي قال لك
 شويت عنقا وقتوت على جارك واكملت ولم تلمعه ويقال ان سبب ابتلاء يعقوب بفقد يوسف اذ كان له
 بكرة ولد لها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تحور فلم يرجعها يعقوب فاحسبه الله بذلك فابتلاه بفقد اعز
 ولده اليه ثم ان يعقوب قال ابيه يا بني اذهبوا فتحسبوا من يوسف واخيه رلا نيا وامن روح الله الاية قال
 السدى لما اخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفله احسنت نفس يعقوب وطعمه وقل له يوسف (وروي) انه كان
 رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف قال لا وانه والله حى برزق (وروي) انه رأى ملك
 الموت وقد زاره فقال له السلام عليك ايها الكظيم فاقسم جلدته وارتمت فرائصه ورده عليه السلام ثم قال
 له من أنت ومن أهلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسي بابي كيلا يدخل على احد واشكوا بي وحزنى الى
 الله فقال له يا بني ان الله الذى اتيه الاولاد وامل الأزواج وافرق بين الجماعات قال فانت انا ملك الموت قال
 نعم فقال له ملك الموت انشدك الله الاخيرتي هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرنى عن
 الارواح انقبضها بجموعة او متفرقة ورحا رحا قال انقبضها ورحا رحا قال فهل مرت بك روح يوسف في
 الارواح قال لا قال فيجئني زائر امداعا فقال يا بني الله ما جعلك الاسلاما فان الله تعالى لا يملك حتى يجمع
 بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التى عليها قرار الارضين وما اذن الله فى زيارتك الا لا بشرك
 وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت اعلمتك ما اذا اقبلت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزيزا فقال
 يا اسرائيل الله هل تذكر الجارية التى اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين يوسف اقل من عامك
 الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فاجل ذلك اقبلت بفقد الولد وهل تعلم ما اذا اقبلت بفقد ابصر
 قال لا قال امرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشو بها في يوم كذا وشور كذا ففرغتم العابد العبد الصالح بك

وما يقوله
 تسبحة وما يقول
 الناقوس في فقيره واخبرنا
 عن قوم اوحى الله اليهم
 لاهن الجن ولا من الانس
 ولا من الملائكة واخبرنا
 أين يكون الميسل اذا جاء
 النهار وأين يكون النهار
 اذا جاء الليل * فقال ابو
 يزيد هل بقي مسأله غير
 هذه المسأله فقال لا فقال
 ان فسرتمسا لكم واجبت
 عنها تؤمنوا بالله ورسوله
 محمد صلى الله عليه وسلم
 فقالوا نعم فقال اللهم أنت
 الشاهد على ما قولوا (وما)
 سؤالكم عن واحد لا تاني
 له فهو الله عز وجل
 (وما) سؤالكم عن اثنين
 لاثالث لهما فهو الما ليل
 والنهار لقوله تعالى وجعلنا
 الليل والنهار آيتين (وما)
 سؤالكم عن ثلاثة لا رابع
 لها فهي العرش والكرسي
 والسم (وما) سؤالكم عن
 اربعة لا خامس لها فهي
 الكتب المنزلة وهي التوراة
 والانجيل والابورم الفرقان
 (وما سؤالكم) عن خمسة
 لاساس لها فهي الصلوات
 الخمس المقروضات على كل
 مسلم ومسلمة (وما)
 سؤالكم عن ستة لا سابع

الجديات بماء من السماء
 المسميات في كتابه العزيز
 ولقد خلقنا السموات
 والارض وما بينهما في ستة
 ايام (وأما) سؤالكم عن
 سبعة ايام لانهم لم يفسروا
 السموات السبع لقوله
 تعالى الذي خلق سبع
 سموات طباقا (وأما)
 سؤالكم عن ثمانية ايام
 سؤالكم عن تسعة ايام
 فهم التسعة رهط الذين
 يمسدون في الارض لقوله
 تعالى وكان في المدينة تسعة
 رهط يمسدون في الارض
 ولا يصلحون (وأما)
 سؤالكم عن عشرة كاملة
 فهي فروض مكة التي
 وجبت على الحاج وهو
 محرم لقوله تعالى فخصيما
 ثلاثة ايام في الحج وسبعة
 اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
 (وأما) سؤالكم عن احد
 عشر فهم اخوة يوسف عليه
 السلام (وأما) سؤالكم عن
 ثلاثة عشر فهي رؤية
 يوسف عليه السلام لقوله
 تعالى اني رأيت احد عشر
 كوكبا والشهس والنجم
 (وأما) سؤالكم عن قوم
 كذبوا وادخلوا الجنة فهم
 اخوة يوسف وجاؤا على
 قيصه بدم كذب (وأما)
 سؤالكم عن قوم صدقوا

وهو صام ما انظره ناسا بوع فاشتم قنار الشوى فلم تأطمه شيئا فمئذ ذلك اعتق يعقوب من كان يحضره من
 العبيد والاماء وامران يذبح كل يوم من اغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك
 منه وشكره عليه وانا انقرج فمئذ ذلك قال يعقوب يا بني اذهبوا ففتحهم وامن يوسف وأخيه الى قوله
 تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكرنا ان نبي الله يعقوب عليه السلام عايناه الله تعالى في طول
 بلائه ساعة قط من ليل او نهار فمئذ ذلك خرج اخوة يوسف راعين الى مصر وهذه كفرة فكذبوا يوسف
 يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا العزير اى المالك بلغة مصر معنا واهلنا الضرع وجمنا بفتحهم اعزجة أى
 قليلة دية لا تنفق في عن الطعام لا يتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال
 ابن عباس كانت دراهم رديئة يوقا لا تنفق الا بوضيمة وقال ابن ابي مليكة رضى الله عنه كانت خلفة الفرائز
 والحيال رثة المتاع وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت امة الاعراب الصوف واليمن والافطوق وقال
 الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلق ايف لنا الكيل وتصديق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال
 الضحاك لم يفرقوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا انهم لم يعملوا انهم مؤمنون وقال عبد الجبار بن السائب
 سفيان بن عيينة هل حرم الصدقة على احد من الانبياء سوى نبينا صلى الله عليه وسلم فقال سفيان
 ألم تسمع قول الله تعالى وتصديق علينا اراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وانا حرمت على نبينا
 عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف يحيرهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم يوسف واخيه اذا تم جاهلون
 واختلف الهماء في السبب الذي حل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر
 بلائه ومحنة فقال محمد بن اسحق ذكرنا انهم لما كبروا بهذا الكلام غلبته نفسه وادركته الرقة فارض دمه
 باكيهم لحلم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكي لاختوته ان
 ملك بن دعر قاتلني وجدت غلاما في بطن حاله كيت ريكيت فابته من قوم بكذا وكذا درهم فمالوا له
 ايها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاعترض يوسف من ذلك ما امر بقتلهم فقتلهم ليقول لهم فليهو ذواهم يقول
 كانت يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فبكى ان اذا اخبر قتل بنيه كلهم ثم انهم
 قالوا ان انت فملت بذلك فابته استننا الى ايضا فانه يمكن كنا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال
 لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب ابيه اليه وذلك ان يعقوب لم يقل ان ابنك
 سرق كتب الى يوسف كتابا بن يعقوب امرايئيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى
 عزيز مصر المظهر العدل والموفي الكيل اما بعد فانا هل بيت موكل بالبلاد فاما جدى فاجل بالتمر وذفندرت
 يداه ورجلاه والقي في النار فنجيهم الله بردا وسلاسا واماني فشدت يداه ورجلاه ووضعته السكين على
 قناره لئلا يذبح ففداه الله بذهب عظيم وأما أنا فكان لي ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى السيرة
 ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكلا الذئب فذهبت عيناي مني بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر
 وكان اخاه من امه وكنت أنسى به فذهبوا به ثم رجموا وقالوا انه سرق وانك حبستهم لذلك وانا هل بيت
 لا تسرق ولا تفسد ارقا فان ردته على والادعت عليك دعوة تدرك السابح من ولدك فلما قرأ
 يوسف الكتاب لم يملك نفسه من البكاء وعيل صبره فظهر لهم امره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل
 اخاه بنيامين هل لك ولد نعم قال ثلاثة بنين قال فاسمهم قال سميت الاكبر سميت يوسف قال ولم
 قال خيرة لك ولذكرك قال فاسميت الثاني قال ذكرا قال ولم والذئب سبع عاقر قال لا ذكرك به قال فما
 سميت الثالث قال دما قال ولم قال لا ذكرك به فلما سمع يوسف هذه المألة خنته العبرة ولم يملك ان قال
 لاختوته هل علمتم ما فعلتم يوسف واخيه اذا تم جاهلون قالوا له انك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال

يوسف لاخوته هل علمتم ما قلمتم يوسف واخيه كسف عنه العطاء ورفع عنه الحجاب فمرفوه فقالوا المثل
 لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي (وروي) جو يعرن الضحك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف
 هل علمتم ما فاعلم الالية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان نياحه اللؤلؤ المنظوم فلما ابصروا نياحه شبهوه بيوسف
 فقالوا له مستقيمين انك لانت يوسف (وروي) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يرووه حتى
 وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليه مقبب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لاسارة مثلها
 شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له انك لانت يوسف قال انا يوسف
 وهذا اخي قد من الله علينا بان جمعنا بعد ما فرقت بيننا انا من بقى ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
 ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجبر بهمهم اليه فقالوا ان الله قد آثرك الله علينا وان كما لخطاين فقال
 يوسف وكان حليما كريما فرفقا لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين (قال) لاسدي وغيره
 فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل اخي من بعدى قالوا ذهبت عينا فاعطاهم قيمته (قال)
 الضحك كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ربيع الجنة لا يقع على ميت ولا على سقيم الا يصح
 وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لاراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بتمريض
 هذا فانفوه على وجه أبي يات بصيرا وانوني باهلكم اجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان
 قال ايوح يعقوب اني لاجدر بريح يوسف لولا ان تغفدون اى تسفون (وروي) ان ربيع الضبا استأذنت
 ر بها ان تأتى يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشرى بالقميص فاذا نزلها فاقته بها قال ابن عباس وجد
 يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال بحاجه ذلك انه هبت ريح فصفتت القميص فاحتملت
 الصبار ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رباح الجنة الا ما كان من ذلك
 القميص فمن ثم قال اني لاجدر بريح يوسف لولا ان تغفدون فقال له بنو بنيه والله انك انى ضللك القديم فلما ان
 جاء اليه وهو يزعم ان يعقوب قال ابن مسعود جاءه البشير من بين يدي المير وقال المدي قاله يوسف
 اذا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته ان يوسف اكمل الذنب فاعطاني اليوم قيمته لا خير ذلك
 حتى فافرحه كما احزنه (قال) ابن عباس حمله هوذا وخرنخ ماشيا حلسرا خافيا ووجه ليدور حتى انا اباه
 وكان معه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى بالغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما اناه بالقميص
 الفاء على وجهه فارتد بصيرا قال الضحك رجع اليه بصره بعد المعمر بقرته بعد الضحك وشبابه بعد الهرم
 وسروره بعد الحزن (عن) ابي هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام اكرم اهل الارض على
 ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن ياتي يعقوب فاذا نزل فجاه فقال له يعقوب يا ملك الموت
 أسألك بالذى خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لائم قال له ملك الموت
 يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قل لي اذا الم عرف الذى لا ينقطع ابدا ولا يحصيه احد غرك قال
 فدعاها يعقوب في تلك الليلة فلم يطاع النجر حتى طرحوا القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند
 ذلك ألم اقول لكم انى اعلم من الله مالا تسمعون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خطاين قال
 سوف استغفر لكم في الالية (قال) اكثر المنعمين آخر ذلك الى السجدة من ليلة الجمعة وافق ذلك ليلة
 عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسجد لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة
 بالبحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعى على يوسف رقة صبرى عنه واغفر
 لولدي ماجنى على اخيه يوسف فادعى الله اليه ان قد غفرت لك ولهم اجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل
 ليلة جمعة في نصف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فتحويه اخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبه اخبرنا

وادخلوا النار فهم اليهود
 وقالت اليهود ليست
 للتصارى على شئ وتالت
 النصارى ليست اليهود على
 شئ فهم جدوا وادخلوا
 النار (وأما) سؤالكم عن
 مستقر الروح في الجسد
 قالها تكون بين اذنك في
 صورة اوجه (وأما) سؤالكم
 عن الذبايات ذروا فى
 الرياح الاربعة (وأما)
 الحاملات وقرا فى
 السحب (وأما) سؤالكم
 عن الجارية يسرا
 فى السفن الجارية فى
 البحار (وأما) سؤالكم
 عن المسمات أمراهم
 الملائكة الذين يقسمون
 على الناس أن زناهم فى ليلة
 النصف من شعبان (وأما)
 سؤالكم عن اربعة عشر
 تكلموا مع رب العالمين فى
 السموات المسموعة
 والارضون السبع لقوا
 تعالى فقال لها والارض
 انما طوعا أو كرها قالنا
 اتينا طائعين (وأما)
 سؤالكم عن قبر مشى
 بصاحبه فهو حوت يونس
 عليه السلام (وأما) سؤالكم
 عن شئ تنفس بغير روح
 فهو الصبيح (وأما)
 سؤالكم عن ما نزل من
 السماء ولا نبع من الارض
 فهو الذي يمتنع بالقميص
 الى سايان عليه السلام فى
 قارورة وكان من عرق

أربعة لآمن الجن ولآمن
الانس ولآمن الملائكة
ولآمن ظهور الرب ولآمن
بنيان ام فبى كرش
اسمى ولآمن ناقة صالح وآدم
وحواء (وأما) سؤالكم
عن شىء مخالفه الله ثم انكره
فبوصوت الحمار كما قال الله
تمالى ان انكر الاصوت
لصوت الحمار (وأما)
سؤالكم عن أول دم اهرىق
على وجه الارض فهو دم
هابيل لما قتله قابيل (وأما)
سؤالكم عن شىء مخالفه
الله واسمته مظه
فبوقيد النساء
لنقوله تعالى ان كيدكن عظيم
(وأما) سؤالكم عن شىء
اوله عود وآخره روح فبى
عصا موسى عليه السلام
لنقوله تعالى ويماتكن ليعمىكن
يا موسى الآية (وأما)
سؤالكم عن أفضل النساء
فبحواء أم البشر وخريجة
وعائشة وآسية ومريم ابنة
عمران (وأما) سؤالكم عن
أفضل البحار فبىحسون
وجيحون والفرات ونيل
مصر (وأما) سؤالكم عن
أفضل الجبال فبىالطور
(وأما) سؤالكم عن أفضل
الدواب فبىالحبل (وأما)
سؤالكم عن أفضل الشهور
فبشهر رمضان (وأما)
سؤالكم عن أفضل الليالى
فبيلة القدر (وأما) سؤالكم

احد من اى السفر بن ثوبان البصري اخبرنا انه سئل عن رجل يذبح الاربعاء فى يوم الجمعة بن حديد البغدادي اخبرنا
اسحق بن زيار وابن خمر عن رجاء بن ابى سلمة عن عطاء الخراساني قال طاب الخواص الى الشهاب ابى
منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاختوته لا تشرى بى عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى
(وروى) ان يعقوب قال للشيخ لمسا اخبرني دجاجة يوسف كيف يوسف قال لانه ملك مصر فقال يعقوب
ما صنع بالملك على ايدى دين تركته على كل دين الاسلام فقال يعقوب الا ان تمت النعمة (وقال الثوري) لما
اتى يعقوب يوسف عليه السلام عانى كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا بى بكيت على حقي
ذهب بصرك ألم تعلم ان القيامة تجتمعنا قال بلى يابى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيجعل بني ويسبك يوم
القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي رحالة وسأله ان يأتيه بأهله والولد اجمعين ففأبى
يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الا كبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في
أربعة آلاف من الجنود وركب اهل مصر معهم ما يتلقون يعقوب وكان يعقوب عشى متوكئا على يده وذات نظر
يعقوب الى الجنود والناس فقال هو ذا هذا فرعون مصر الا كبر فقال لا هذا ابنيك فلما دنا كل واحد منهما من
صاحبه ذهب يوسف يده بالسلم فتمعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فباته يعقوب
بالسلام فقال السلام عليك يا ذهب الاحزان فلما ذوا على يوسف آوى اليه أبوه ورفعهما على العرش
وابوه يعقوب وخاتمه ليا سمى الخالة كما سمى العم أبافي قوله تعالى قالوا نمد لك والدة ابائك ابراهيم واسماعيل
واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحميقا للربو يا ذاك قوله تعالى
وخر والله سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يدعوا السجود وضع الجباة على الارض فلما رأى
يوسف أبوه واخوته قد خروا له سجدا اقبل وعند ذلك جلده وقال يا بى هذا ذوابل رؤى بى من قبل قد
جعلام ربى حفلا لى (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم ثمان وسبعون انسانا مابين رجل وامرأة
وخرجوا مع موسى ومقاتلهم ستائة وخمسة وبعضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهربى
والزهي وكانت الذرية الف سبعون مقاتلة وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما
دخل مصر ورأى يوسف وملاكته فسكن يطوف يومان في خزانة فمأوى خزانة فمأوى خزانة فمأوى خزانة فمأوى خزانة
بعضه فقال له يابى لقد تريت بعدى لك كل هذه القرايطس وما حملت بطاقة منها تكتب الى كتابا فقال
يوسف هذه القرايطس كلها لك كنت كل انا قد شوقى وكثر حنيني أخذ ورقة حتى اكتب اليك يا بى فيمنعني
جبريل ان اكتب اليك فتركها في هذه الخزانة حتى بلغ هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني
ربى فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليك قالت أخفى ان يا كلك الذنب فملا خفتني هذه العقوبة لاجل
تخوفك من غيري (وروى) صالح المري بن زيد القاسمي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما اجمع ليعقوب
شمله ولولده نجما فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فقامت بالشيخ يعقوب ويوسف قالوا بلى قالوا فان
عفو عنكم فكيف لكم ربى بك فاستقام أمرهم على ان ياتوا الشيخ فاقوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه
قاعد فقال يا أبا أبنائك على أمر لم نألك بئله قط ونزل بنا أمر لم يزل بئله قط والانباء ارحم البرية فقال
ما بكم يابى فقالوا ألسنت تلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فاما قد عفو عنا
قالا بلى قالوا فان عفوكم لا يعني عنا شيئا اذا كان الله تعالى لم يعب عننا قال فاستار بدون يابى قالوا زيدا ندعوا
الله لما فاجأه الوحي من عند الله هل عد الله عنا فان اجابك بانه قد عفا عنا جميعا فارت أعيننا واطمانت
قلوبنا والافلاقرت لنا عين في الدنيا ابدأ فقام الشيخ واستقبل القعدة وقام يوسف خلفه وقاهوا كلهم
خلفهم اذلة خاشعة من فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهم السلام فلم يحجب فيهم قربان من عشرين سنة قال صالح

عن الطامة فهي يوم القيامة
 وأما سؤالكم عن شجرة
 لها اثناعشر غصنا في كل
 غصن ثلاثون ورقة في كل
 ورقة خمس زهرات اثنان
 في الشمس وثلاثون في ظل
 فهي السنة والاغصان هي
 الشهور والاوراق هي الايام
 والخمس زهرات هي
 الخمس صلوات في اليوم
 والليله (واما) سؤالكم عن
 شئ حج الى البيت الحرام
 وطاف وليس له روح فلا
 وجب عليه فريضة
 فهي سفية نوح
 عليه السلام (واما) سؤالكم
 عن اربعة مختلف طمعها
 ولونها والاصل واحد فهي
 العيان والاذنان والاذن
 والشمس والعين ماله والاذن
 حاض بماء القم حلوا
 (واما) سؤالكم عن النقيير
 والقتيل والغطير فالنقيير
 القرعة التي في ظهر النواة
 والقتيل هو الذي في باطنها
 والغطير هو القشر الذي
 فوقها (واما) سؤالكم عن
 السيد والبد فهو شعر
 الضأن والمز (واما)
 سؤالكم عن الظم والرم
 فهي الزم الماضية قبل آدم
 عليه السلام (واما) سؤالكم
 عما يقول الحمار في نهيقه
 فانه يرى الشيطان ويقول
 لعن الله الحمار (واما)
 سؤالكم عما يقول الكلب

المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى ابشرك بانه قد اجاب دعوتك في
 ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد اعدت موائعهم بمالك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد
 موافاته اباه ولده اربعة وعشرين سنة باغبط حال وادعائش وانما راحة وأدوم سلامه ثم حضرته الوفاة
 فلم احتضر جمع بين بنيه وقال ما بعدون من يمدى قالوا بعد الملك رالف ابوك ابراهيم واسماعيل واسحق ثم
 قال يا بني ان الله اصطفى اكرم الذين فلا تعين الا وانتم مملوون ثم انه اوصى الى يوسف ان يحمل جسده الى
 الارض المقدسة حتي يدفنه عند ابيه واسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في نابوت
 من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظما اهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص ذرفاني
 يوم واحد وكان عمره اربع مائة سنة وسبعا واربعين سنة لانها ولد في بطن واحد وقبر في قبر واحد (قال)
 فلما جرم الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تسير فياه وكان موسما عليه في ذلك الدنيا ونعيمها وعلم أن
 ذلك لا يدوم له ولا يلدن من فراقه فاراد انهم الجنة اذ هو افضل منه فتأقت نفسه الى الجنة فتعني الموت ودعاه
 ولم يمتن نبي قلبه ولا يبدد الموت فقال الرب قبا آتيتني مني الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الاية (وروي)
 ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومهم من بني اسرائيل وهم عسانون رجلا واعلمهم بمحضور اجله ونزل
 أمر الله تعالى به فقالوا يا بني الله يحب ان تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجه من بين أظهرنا والى
 ما يؤل اليه امرنا وديننا فلما قال لهم ان امركم يستقيم على ما اتم عليه وتستقيمون على دينكم الى ان يبعث
 رجل جبار عات من القبط يدعى الر بوبية فيقهركم ويذبح ابناءكم ويستحي نساءكم ويسومكم بسوء العذاب
 فتعد ايامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل
 طوال جمد الشعر آدم اللون فينجيكم الله ان ابدى القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمى ابنه
 عمران ويسمى عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم
 امركم ما دام يصرخ فبك هذا الديك فازاول هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولا يتبع حتى اذا انقضت مدة
 ولايتنا وأذن الله تعالى بولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويودالى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء
 ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فشنار الوارعون الخال الان سكن صراخ الديك فوجموا وكنابوا
 واغتوا وجرى اركان دينهم واظلال ما ذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا ذلك واجبن الى ان صرخ
 ذلك الديك فاستبشروا وتصعدوا وفرحوا واستبشروا بالفرح والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان
 قد اوصى الى اخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صمدود من
 رخام وذلك انه لما مات نشاح الناس عليه كل حبيب ان يدفن في محلتهما سايرجون من بركته حتي هو ابنة تال
 ذراوا ان يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر المساء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكون كلهم فيه
 شرعا واحد اذ قالوا ذلك وكان قبره في النيل الى ان حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني
 اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بارض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فذلك تنقل اليه يوم موثا الى
 الشام من قبل ذلك فيهم (وروي) يوسف بن عمران عن ابي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 باعراني فارمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم متنا فاحسنت سبل حاجتك فمال ذقة زحما وعذرة
 تحلبها أهلى فقال صلى الله عليه وسلم اعجز هذا أن يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا لارسول الله وما عجوز
 بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماءهم ان
 يوسف لما حضرته الوفاة اخذ علينا موتنا من الشان لنخرج من مصر حتي ننقل عظامه معنا قال موسى فمن
 يعلم موضع قبره قالوا فاجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال لبني على قبر يوسف ففالتا به وتطبني
 حكى قال وما حكك قالت ان اكون معك في الجنة فذكره ان يعطيهما حكما فاجحى الله اليه ان اعطاهما حكما ففعل

الجنة ومفتاح السموات ما هو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال ابو يزيد سألني عن مسائل كثيرة فاجبت عنها وقد سألكم عن مسألة واحدة فلم يجبهوا عنها اعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا او عجزت عن ذلك فقال ما عجزت ولكن أخاف ان لا توافقوني فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت، لناسمعهنا ووافقناك عليه فقال فتباح الجسنة والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوا واسلموا عن آخرهم وحسن السلامهم وخرجوا من الدير وخرجوه وبنوه وسجدوا وقطعوا زمانهم فقالك نودي ابو يزيد شددت من اجلنا زارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زار (إخواني) انظروا الى هؤلاء كما هم قد كانوا كفرا في ظلمات العمى فانهم قد هدوا الى نور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركتها وما أنجع حركتها فرطوا بالسجود بها للخالق بركة احسانها وتقفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا

منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز اكثر امن قول لا اله الا الله فانها حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وقال بعض الصحابة من قال لا اله الا الله خلاصا من قايه ومدها بالاعظم غفر الله تعالى له اربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة وحروف لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون حرفا فمن قال لا اله الا الله مجده رسول الله كفر الله بكل حروف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا اخواني كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجدوا الاستكرار هاشمكم تفوزوا برضوان ربكم (يعني وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه) انه قال لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه ف نظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا عليه لا اله الا الله مجده رسول الله فقال يا رب وهل خالفت خلقا أعز عليكم مني فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هوني من ذنوبك بمنته آخر الزمان بالآيات والبرهان

وصفت لنا فقال لهم شدد ألتسم تعلمون ان ملكا الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزر برد والياقوت والذهب والفضة رأى بحرفيه أوائل فوكوا به من كل قوم رجالا يخرج اليكم مافي كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى مافي ايدي الناس من ذلك فخذوه سوي ما ياتيكم به أصحاب المادين فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها الا ما تعلمون اكثروا أعظم مما كلفتم به من صنة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك في الدنيا كتابا أمرهم ان يجمع له مافي بلاده من الجواهر والياقوت والذهب والفضة وأخذوا موضعا كيا أراد ووصف لهم فقال معاوية يا بالاسحق كم عدوا أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شدد قال كانوا ثمانين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الغلة والفاخرة ففخرجوا في الصحاري ليجتذروا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا في ارض ابن من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة بقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التي أمرنا بها فخذوا بقدر ما أمرهم به من الارض والطول ثم جدوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التي فيها الماء فاجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعو الاساس من صخور الجزع الخناجر وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والحلب فلما فرغوا من وضع الاساس واجروا فيها القنوات ارسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ثم منهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفرغاتها فقدموا كل ذلك الى أولئك النصارى والوزراء فقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شدد فقال له معاوية يا بالاسحق اني لاحسبهم اقامه وافي بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين اني لاجد في الثمرات انهم اقاموا في بنائها ثمانمائة سنة فقال معاوية ثم كان عمر شدد صاحبها قال كان عمره مائة سنة فقال له يا بالاسحق انما اخبرتنا خبر عجبنا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما علم الله تعالى ان ارم ذات العمدان اجل الماد التي تحتها من الزر برد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزر برد والياقوت غير هذا قال التي لم يخفق مثاها في البلاد (قال كعب) انهم لما أتوه واخبروه بقرائهم منها قال انطلقوا فاجدوا عليهم احصنا واجدوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم ويكون في كل قصر من تلك القصور زير من زيراني ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فاخبروه بالفراغ عما أمرهم قال فامر الف وزير من خاصته ان يهيئوا أسباغهم ويعدوا على النقلة الى ارم ذات العمدان وأمر رجلا ان يسكنوا تلك الاعلام وان يقيموا فيها اليهم ونهارهم وأمرهم بالاطعام والادراق وأمر الملك من اراد من نسائه وخدمته ان يتجهزوا الى ارم ذات العمدان فقاموا في جماعتهم ثمانين سنة ثم سار الملك بن اراد الى ارض ابن وخلف من قومه كثيرا سار به فلما استقبل وسار اليها يسكنها وبلغ منها مائة رضاء وبقي بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صحيفة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم يدخل شدد ولا من كان معه ارم ذات العمدان ولم يقدرا حذبتهم على الدخول فيها حتى الساعة فذه صفة ارم ذات العمدان انه سيد دخلها رجل من المسلمين في زمانك هذا يرى مافيها فوجدت بعاين ولا يصدق فقال له معاوية يا بالاسحق هل تصفه لما قال نعم هو رجل احمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحاري فيقع على ارم ذات العمدان فيدخلها ويحمل مافيها وكان الرجل جالسا معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال له هو ذلك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فأسأله عما حدثت به فقال معاوية يا بالاسحق ان هذا من خدمي ولم يفارقني قال قد دخلها والى سوف يدخلها وسيد دخلها أهل هذا الدين في

آخر الزمان فقال معاوية يا أبا جحى أمد فضلك الله على غيرك من العلماء ولعله اعتيبت من علم الأولين والآخرين
 ما لم يطله أحد فقال يا هيراني ومن الذي نفس كذب بيده ما خلق الله في الأرض شيئا إلا وقد فسر في التوراة
 لعبد موسى تفسيره وإن هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا وداو كيدا (قال الشعبي) أخبرنا غفل العدياني
 عن رجل من حضرة وت يقال له بسطام أنه وقع على حفرة شداد بن عادي في جبل من جبال حضرة موت مطل
 على البحر قال كنت أصبغ في صباي إلى أن اكتملت بمقبرة في جبل من جبالها وإن الناس تهيب ودخلها فلم
 أحفل بما كنت اسمع من ذلك فبينما أنا في نادى قومي إذ انشدوا حديث تلك المقبرة وأطنبوها في ذكرها
 ووصفوا موضعا فقلت لمؤني أني غير متبته من هذه المقبرة حتى أرشاه أهل فيم كن يساعدي فقال فتى منهم
 حديث السن أن أبا جحى كفت يا ابن أخي أتخسر على ذلك قال عندي ما عند رجل من شدة الجاش وقوة
 القلب فميا ناشمة وحملنا معنأروا عظمة مؤلمة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا وقد رعل حملهم فمخينا
 نحو ذلك الجبل الذي فيه المقبرة ومن مشر فاعلى البحر في المكان الذي يركب منه أهل حضرة موت البحر
 فلما انتهينا إلى باب المقبرة حزننا علينا ثانيا بنا وأشعلنا الشعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الأدوات
 من الماء والطعام فإذا مقبرة عظيمة عرضها عشرين ذراعا وطولها علو نحو خمسين ذراعا فبينما هو بنا في
 طريق أجلس مستوفيا فاضينا إلى درج عادية عرض الدرجة عشرين ذراعا في سلك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا
 على نزول تلك الدرجة فقلت لصاحبي دلم إلى يدك في كنت أخذ بيده حتى ينزل فأنزل وقام في لدرجة
 تملفت بطرف الدرجة وتشبث حتى يتناول رجل على عنقه فلم نزل كذلك وذلك دأبا لمائة يومنا حتى
 نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فاضينا إلى ازج عظيم مخروفي الجبل في طول مائة ذراع وعرض أربعين
 ذراعا وسكن في السماء قدر مائة ذراع وفي صدره سرير من ذهب بنضد بصوف الجواهر وفوقه رجل عادي
 عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج روضه وهو موضعت على ظهوره كهيئة التانم وعليه سبعون حلة
 بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلال فضبان الذهب والنفضة وإذا ذلك الازج بضء من
 ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا إلى فضاء بل درما هو وإذا على رأس السرير لوح من ذهب
 عظيم فيه كتابة مالمها مثل وهي كتابة كاتب عاد كتبها في زمانه مخوفة تلك الكتابة في اللوح حفرنا
 ودنا من ذلك الرجل ومسنا تلك الحلال فصارت ريمار بقيت فضبان الذهب قائمة نجمتها فكانت مقدار
 مائة رطل فحملناها في أنزلنا وأردنا فقلع شئ من تلك الجواهر المنضد بها السرير فقلع قدر عظيمها فلو أنها
 فتركناها وهجم علينا الليل ونحن في ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذي كان يدخل
 من ذلك الثقب فبينما ليلتنا في ذلك الازج وطفت الشعة التي كانت معنا فلما أصبحت قلت لصاحبي ما تري
 قال أما الرجوع من حيث جاء فلا سبيل إليه لارتفاع هذه الدرج وأنا لا نستطيع صعودها لاسيما والشعة
 قد طفت ولكن لم بنا لزم هذا الضوء الذي نراه في هذا الثقب فاني أرجو أن يخرج منه إلى الفضاء إن شاء
 الله تعالى فقلت له لمري إن هذا هو الرأي فنضينا معا معنا من تلك الفضبان التي من الذهب وحملنا معنا
 ذلك اللوح الذي كان عند رأس السرير ويوسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نتمشي في طريق ضيق مقدار مائة ذراع
 حتى خرجنا منه إلى كهف في ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حفر بذلك الكهف البحر فجعلنا على باب
 ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتمون ببقية الماء والطعام الذي كان معنا لما كان اليوم الرابع نظرا إلى مركب قد
 أقبل في البحر فلو حان إليه فطر البنا له فارس لوانا الفارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا إلى
 الفارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح إلى بقسطنطين ثم انفسنا عتلى إلى
 العود إلى ذلك السرير بماء إلى الثقب فركبنا قاربنا وسرنا في البحر نحو المكان الذي خرجنا منه فخرقنا علينا مكا

خير الامم قال فلم يخلق الله تعالى حيوانا ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجني بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب ومهرها فقال تصلي على صاحب هذا الاسم . ثمة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يارب ان غمت ذلك تزوجنيها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام بالمرأة على النبي صلى الله عليه وسلم فزوج الله بها وقال بعض الصوفية رضى الله تعالى عنه كان لي جار مسرف على نفسه بالمعاصي فلما مات رأيته في المنام وهو في دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت الحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع الحديث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا في ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يمدب فخزنت على ذلك وبكت ثم رآته بعد ذلك في النور والرحمة قالت فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبي صلى

فما لنا ان نرزق منه الا ما غدا نأخر جمنا وان اللوح مكث عندي حول لا أجدا حد انقروا لي حتى انا نارجل
من اهل بيته حميري كاربجس قراءة تلك الكتابة فاخر جمنا الى اللوح فقرأوا فانه مكتوب هذه الايات
اتسبب من ايها المفسر بالامر المديد أنشاد ابن عاصم صاحب الحصن العميد
وأخو القنوة والياً * ساء وانك الحشيد دار اهل الارض طرا * لي من خوف وعيد
ودمكت انشرق النور * ب بسلطان شديد وبفضل الملك والند * فيسه والعميد
جاء فاهود وكنا * في ضلال قبل هود فسد عانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد
فصه سيدنا وزادنا الاهل من محمد فأنقنا صوحه تهـ وى من الافق البعيد
فتوافينا كزرج * وسط يدها حصيد

(قال دغفل) سالت علماء حمير عن شداد وقلت انما صيب وقد ثامن ارم ذات العباد فكيف وجدني تلك
الغارة وهي بحضرة وت فقالوا انك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة تلك المدينة ملك من بعده من يدين
شداد وقد كان ابوه خلفه على ملكه بحضر موت فامر بحمل ابيه الى حضرة موت فحمل بطليما بالصبر والكافور
ثم أمر بحرق تلك الغارة فحُفرت واستودعها فيها على ذلك السرير الذي من الذهب والله اعلم
(*) (محاسن في ذكر قصة اصحاب الرس)

قال الله تعالى واد وعود واصحاب الرس اختلف العلماء من أهل النفس والاصحاب الاقاصيص فيهم فقال
سعيد بن جبيرة الكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم في بعض بكل اخبر بطائفة من حديث اصحاب
الرس ان اصحاب الرس بقية عمود قوم صالح وهم اصحاب البر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى وبر
معلقة وقصر مشيد وكانوا بنجاح النمامة نزولا على تلك البر وكل ركية لم تطل بالحجارة والاجر فهي رس وكان
لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان يرضعهم جبل يقال له فوج مصعد في السماء ميلوا وكانت العنقاء تبيت به
وهي كاعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء الطول عنة واكانت في ذلك الجبل تنقض على
الطير فتاكلها فجاءت ذات يوم واعوذها الطير فقضت على صبي فذهبت به فسميت عنة مغرب لانها
تغرب بما تأخذ منهم انقضت على جارية حين ترعرعت فاخذتها فقصتها الى جناحين لها صغيرين سوى
الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلا واسلمها عليها آية تدع بها
فاصابتها صاعقة فاحترق فلم يزلها انز بعد ذلك فضر بت بها العرب مثل في اشعارها وحكمها وأمثالها ان
اصحاب الرس قتلوا نبيهم فها هم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغني انه كان رسا اما احدهما فكان اهله
اهل بد وعومود واصحاب غم ومواس فبعث الله اليهم نبي فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى
فقتلوا الرسول وجاهدتهم اثنى حتى اغتصبهم وكانوا يقولون الهنا في البحر وكانوا على سفيرة وكان يخرج اليهم من
البحر شيطان في كل شهر خروجه فيخرجون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم ائلى اربأ ان خرج الهكم
الذي تدعون وتعبدونه الى اطاعني انجيوني الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فاطعوه على ذلك العهد والمواثيق
فانظروا حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستقيمة على رأسه مثل
الناس فقاموا نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الى الولى اليه وقال له انني طوعا وكرها باسم الله الكريم فقتل عند
ذلك من على اخوته فقال له الولى انني راكبا عليهم اثنى يكون النجوم من امرهم على سلك فاني الحوت وانت به
الحيتان حتى أفضوا به الى البرية فبحرته وبجره فمارا وذلك سخره وبه وكذبوه ونقضوا العهد فبعث
الله اليهم رجلا فقاتلهم في البحر ومواسهم جميعا وما كانوا على كون من ذهب وفضة وآية فاني الولى الصالح
الى البحر واخذ الذهب والفضة والاواني فمها على اصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك

النسل (وأما لاخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس يصبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم في
الاقتلوه وذلك النهر يمتدح اذر بيجان بينها وبين ارمينية فاذا قطعت فمد برد اخات في حد ارمينية واذا
قطعت مقبل وخذت في حد اذر بيجان وكان من حولهم من اهل ارمينية يعمدون الاثرن ومن قدامهم من
اهل اذر بيجان يعمدون النيران وهم كانوا يعمدون الجوارى والذاري فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة
قتلها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع في كل يوم ليلة حتى يبلغ اصناف
الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا برقاذا خرج من حدهم بقف ويدور ثم يرجع اليهم فبعث الله
تعالى اليهم ثلاثين نبيا في شهر واحد فقتلهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وابده بنصره وبعث معه واياهم فشد
في الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نال بدوه وكان في اوان وقوع الحلب في الارض وكانوا عند ذلك
أحوج ما يكونون الى الماء فخننهم في البحر وانصب ما في اسفله واتى الى عيونهم من فوق فسددها بعث الله
اليهم خمسمائة من الملائكة اعوانا له ففروا ما بقي في وسط نهرهم ثم امر الله جبريل فنزل فلم يدع في ارضهم عينا
ولا نهرا الا ايسره باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى الموائس فامسها فقة واحدة وامر الرياح الاربع
الجنوب والشمال واليدور والصلبا فضمت ما كان لهم من مطاع والقي الله تعالى عليهم الغيات ثم خففت
الرياح الاربع بذلك المتاع اجمع فرمته في رؤس الجبال و بطون الاودية وأماما كان من حلي ونبر وأنية
فان الله تعالى امر الارض فابتلعت ما أصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يموروث اليه ولا ماء
يشربون ولا طعاما ياكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار في جبل له طريق من
خلفه فنجوا وكانوا احدى وعشرين رجلا واربع نسوة وصبيون وكان عدة الباقى من الرجال والنساء
والذاري ستمائة الف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صاراعلاها
أسفلا فعد القوم عند ذلك مائة من النصارى فخرجهم بقاء وزرع ماشية وبجمله قليلا قليلا يطغوا فاجابهم الله
تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا في من ديارهم ويقاربهم الا
اعانوه وصدقوه وعصوه فلم الله منهم الصديق فاطن لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فاقام اولئك القوم في
طاعة الله طاهرا باطنا حتى مضوا وانقرضوا حدث من بعدهم من اسلافهم قوم اطاعوا الله في الظاهر
وناقدوا في الباطن واملى الله الى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معا صيهم اكثر من طاعتهم وخالفوا اولياء
الله فبعث الله عليهم من فارقههم وخالفهم فامر ع فيهم الفذل وبقيت منهم شريعة فسلط الله عليهم الطاعون
فلم يبق منهم احدى بقى نهرهم ومنازلهم وما فيها ما بقي علم لا يسكنها احد ثم اتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها
وكاوا صالحين فاقاموا فيها مائة سنة ثم احدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته واخوته وزوجته فيبيت
معهما جاره واخاه او صديقه يبتلس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال
النساء حتى شبقت واسف في الرجال بالرجال فبعثت للنساء شيطانة في صورة امرأة وهي الدهان بنت البليس
وهي اخت الشيطان وكانافي بيضة واحدة فشبت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعاهن كيف يصنعن فاصل
ركوب النساء بعضهن بعضا من الدهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة في اول ليالهم وخسفناي آخره
وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا احسب منازلهم اليوم مسكونة (وروي) على بن
الحسين زين العابدين عن ابيه عن جده عني بن أبي طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من اشراف بني تميم
يقال له عمر اناه فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن اصحاب الرس وفي أي نصر كانوا وان كانت منازلهم
ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وماذا اهلكوا فاني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم
ولا أجد خبرهم فقال له امير المؤمنين على رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا

يحدثك به أحد بني كان من قصتهم يأختمهم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب
 درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت نبتت لنوح عليه السلام بعد الطوفان
 واتخاسموا أصحاب الرس لانهم رسو وانبيهم في الارض وذلك قبل سلايمان بن داود عليهم السلام وكان لهم
 اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الارض
 نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قري أكثر سكانا وعمرانا منها وكان اعظم منازلهم اسفندباد وهي التي
 كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمرود بن كمنان فرعون ابراهيم
 عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من
 طلع تلك الصنوبرة فتنبت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والآنهار فلا يشر بون
 منها لاهم ولا أنامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة لهننا فلا ينبغي لاحد ان ينقص من حياتها
 وشر بون هو أنامهم من نهر الرس الذي عليه قرأهم وقد جدلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيداً يجتمع
 اليه أهلها ويضر بون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يتون بشياه وبقر فيذبونها
 قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها
 في الهواء وحال بينهم وبين النظر للماء خروا وسجدوا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها ان ترخي عنهم
 وكان الشيطان يحجى فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم
 فطيبوا نفساً وقرؤا عيتاً فيرفون عند ذلك رؤسهم وشر بون الخمر ويضر بون المماز فيكونون
 على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قر بهم الظلمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم
 فيضر بون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر بابا كل
 باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج المراقق ويضر بون الله الذبائح أضفافا ماقربوا
 للشجرة التي في قراهم فيجى ابلبس عند ذلك فيحرك الصنوبرة ثم يكشديدا ويتكلم من جوفها كلاما
 جهور يا بعدم وبنيهم باكثر ما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح
 والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيدعون الشرب والمماز ويكونون على ذلك اثنا عشر يوما
 وليلة بعد اعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا
 من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمانا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم بربوبية
 فلا يذبحونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من
 الرشد والصلاح حضر عند قر بهم المعظمى وقال يارب ان عبادك ابوا تصديقي ودرعوني اليهم وما ارادوا
 الا التكذيب والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فاي بس شجرهم اجمع وارحم قدرتك
 وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فها هم ذلك وخضهم وانصارا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا
 الرجل الذي زعم ان رسول رب السماء آلهتمك لصرف وجوهكم عن الله وفرة قالت بل غضبت عليكم
 آلهتمك حين رأت هذا الرجل يعيبيها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسناتها وبهأها
 وجهها لكي تضلوا لها فتتصر وامنهم فاجموا امرهم على قتله فاتخذوا مثل بيت واتخذوا أنابيب طولا
 من رصاص واسمة الافواه ثم انهم أرسلوه الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البراج ونزحوا
 ما فيها من الماء ثم حفروا في قمرها بئرا ضيقة العين عميقة فرشوا فيها انبيهم والقوا على فيها صخرة عظيمة ثم
 أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا ان ترخي عنا الهتنا اذ ارأت اننا قلنا من يقع فيها ويصد عن
 عبادتها وانا دفناه تحت كبريها يتشقى فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم

القوم فتمت قاتلانا برجل
 لم أراح حسن منه وجهه ولا
 أنف من ثياب ولا اطيب
 منه رائحة وهو يرفع قدما
 ويضع قدما حتى دنان
 والدى ثم كشف الازار
 عن وجهه ومريده عليه
 فدا ابيض يلوح منه نور ثم
 ولي راجعا فتملقت بشوبه
 وقلت من انت الذي من
 الله على والدى بك في هذه
 البرية قال قديم وقال انا
 محمد رسول الله صاحب
 القرآن كان والدك مسرفا
 على نفسه وكاكثر الصلاة
 على فلما نزل به ما نزل
 استعاذ بي فاعتقه وانا
 غياث من اكثر الصلاة
 على فانتبهت فرأيت وجه
 أبى ابيض يلوح منه نور
 ساطع (اخواني) اكثروا
 من الصلاة على هذا النبي
 الكريم فان الصلاة عليه
 تكفر الذنب العظيم
 وتهدي الى صراط مستقيم
 وتقى قائلها من عذاب
 الجحيم ومحظى بالجنة مدار
 النعيم (وعن عبد الرحمن بن
 جعفر) رحمه الله تعالى انه
 قال كنت بالبصرة اصلى
 الخمس في مسجد بجوارى
 وكان ذلك المسجد يعرف
 بالخشابين وكان فيه امام
 مفرج يدعى باب سعيد
 وكان رجلا مشهورا بالخير
 والصلاح وكان يتكلم في

بسلام لا يفهمه احد
نفرجت في بعض السنين
حاجا الى بيت الله الحرام
وكانت سنة شديدة الحر
فكنت اسبق الركب حتى
يلحقني رفاقي فميت ليلة
من الايام الى على عادي
وكنت عادلا عن الطريق
فسار الركب ولم يشربني
فصرت ناءا حتى طامت
الشمس وانتهت وانا لا
ادري كيف الطريق
فرفعت طرفي الى السماء
وقلت الهى وسيدى الى
ههنا خلعتي وعن يمينك
قطعتي فايضرك لو وصلت
ثم سرت حتى عيت من
المسير وقوي على حرا ليجير
فايسست من الحياة
وانطرحت على كتفي من
رمل انتظر الموت فينا انا
كذلك ادا شخص بنا داني
باسمي ففقت ونظرت فاذا
هو الشيخ ابوسعيد قال
فلمت عليه فرد السلام
على ثم ناولني رغيفا سخنا
فاكتبته فاستدري ثم ناولني
ركوة فيها ماء احلى من
الشهد وبارد من النايح
وايض من اللبن ثم ربت
منها وغسلت وجهي
فادت روحي ثم قال
اتبعني يا عبيد الرحمن
ففرحت بذلك فقال البث
ههنا فالركب ياتيكم بعد
ثلاثة ايام ثم ناولني رغيفا

ويسمعون انبيهم وهو بقول سيدى ومولاي ترى ضيق مكاني وشدة كربى فارحم ضعفى ركفى
وقلة حيلتى وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوى حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه
السلام انظر عبادى هؤلاء الذى غرم حلمي وامنوا بكى وعبدوا غيرى وقتلوا رسلى وانا المنتقم من
عصائى ولم يخش عقابى وانى حلفت بمنزلى لا جملتهم عيرة ونكالا للمالين فيبناهم في عيدهم اذ غشيتهم ربح
عاصف حمراء فتجبر وافياها وزعر وامنها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر
كبرت فتوقدوا اظلمتهم سجدا به مسوداء قالت عليهم حجرا كائنة بالثوب فاذا ابداهم يكادوب الرصاص
في النار فتعود بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم للاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله اعلم

(مجلس في ذكر قصة نبي الله ايوب وبلائه عليه السلام)*

قال الله تعالى واذا كر عبدنا ايوب اذا نادى ربه بالآية وقال تعالى وايوب اذا نادى ربه انى مسني الضر
وانت ارحم الراحمين قال وهب وكعب وغيرهما من اهل الكتب كان ايوب رجلا من الروم
وركان رجلا طويلا عظيم الرأس جمده الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين
والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبلى الصابر وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص
ابن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط
عليه الدنيا وكان له الغنية من ارض الشام كلها اسهاها وجعلها وما كان فيها وكان له من اوصاف المال كله من
الابل والبقر والغنم والخليل والحير مالا يكون لرجل افضل منه في المدة والكثرة وكان له بها خمسمائة
فدان يقيمها جميعا لعبد لكل عبد امرأة ولد ومال ويحمل آلة كل فردان اثنان ولكل اثنان ولد من
الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله اعطاه اهلا ولدا من رجل ونساء وكان امرأ قتيار حيا بالمساكين
يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤدبا لحقه قد
امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما اصاب من اهل الفتي من الغرة والغفلة والتشاغل والسهر وعن
أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قسما توبه وصدوقه وعرفوا فضله رجل من اهل اليمن
يقال له اليقن ورجلان من اهل بلاده يقال لاحدهما مالك ولا تخرط اظرف وكانوا كهولا (قال وهب)
ان لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله في القرية والفضيلة وان جبريل
هو الذى يتلقى السلام فاذا ذكر الله تعالى عبد انجز لقاءه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة
المقر بين والحافين من حول العرش فاذا اشاع ذلك في الملائكة المقر بين صارت الصلاة على ذلك العبد
من اهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان
ابليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد ومن هناك وصل الى آدم حين
اخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك بصدم الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن اربع
وكان يقعد في ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو جودته محبوب
عن جميع السموات الى يوم القيامة الامن استرق السمع قاتبه شهاب مبین قال فسمع ابليس تجاوب
الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد وصد سر بها
حتى صدم في السماء موقعا كان يقفه فقال يا الهى انظرت في أمر عبدك ايوب فوجدته عبدا أنعمت عليه
فشكرك وعافيته خدمك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لنضر بته بلاء ليعفرن بك
وليذنبنك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عداؤه حتى بلغ الارض ثم جمع عماريت

الشياطين وعظماهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فاني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو
المصيبة العارضة والفتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفر يت بن الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت
تحولت أعصارا من نار فاحرقتك كل شيء آتى عليه فقال له ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق
يؤمل الابل وذلك حين وضعت رؤسها ونبتت في مراعيها فساكنها ابليس فأت الابل فاحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها
أعصار من نار تنفخ فيدير باح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يجرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها
فما فرغ منها حمل ابليس على قوده منها في صفة راعها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلي فقال له
يا أيوب قال ليك فقال هل تدري ما الذي صنع بك الذي اخترته وعبدته بالكل ورعاتها فقال أيوب انها
مالا أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطبخت النفس اتى ومالي للفتاة
وان وال فقال له ابليس فان بك أرسل اليها فآرامن السماء فاحترقت كلها وبقي الناس مهوتين وقوا
علما يتمجدون منها فثمهم من يقول ما كان أيوب بعد شيئا وما كان الا في غرور ومنهم من يقول لو كان
اله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل
فشمت به عدوه وفتح به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني عرابا
خرجت من بطن أمي وعرابا أعود الى القبر وعرابا أأحشر الى رب ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك
الله وتفرح حين قبض عرابيه فهو أولى بك وبما أعطاك ولعلم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك
مع تلك الارواح وصبرك شهيد مع الشهداء ولكنك علم فيك شرا فاحرك وخلصك من البلاء كما يخلص
الزوان من القمع الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائبا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة اني لم أكلم
قلبه فقال عفر يت بن عظمائهم عندي من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذور روح الا خرجت
مهجة نفسه فقال له ابليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا انقاسطها صاح صوتا ماتت
منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متعملا بقهر مان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم
يصلي فقال له مثل قوله الاول و رد عليه أيوب مثل ما قال في التوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه
فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفر يت بن عظمائهم عندي من القوة ماذا شئت
تحوط ربحا عاصفا فنشف كل شيء آتى عليه حتى لا يبقى منه شيء فقال له ابليس فأت القدارين
والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من القدارين واستوى في الحرث وأولادهم تنوع فلم يشعر واحدا
هبت ريح عاصف فنشفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متعملا بقهر مان
الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فاجابه أيوب بمثل جوابه الاول نجل
ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلب انتهى اليه بهلاك ماله من ماله
حمد الله وأحسن الشاء عليه ورضي بالنضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له من المال
ابليس انه قد أفنى ماله ولم يزل منه شيئا ولا يخرج في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصدمه سرير ما وقف
الموقف الذي كان يقفه وقال له ان أيوب برى منك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال
فهل أنت مسلطي على ولده فانها الفتنة المضرة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها
صبرهم فقال الله تعالى لا انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدوانه حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم
في قصرهم فلم يزل يزلله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يتأطج بجدره بضها بضها فرمهم
بالخشب والحنثل حتى ملهم كل مثله ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسبين ثم ان ابليس انطلق
الى أيوب متعملا بالمعلم الذي كان يلهمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من

من ذلك الرغبة الفسة
شيعت فاقام الرغبة
عندى ثلاثا فام الى ان جاء
الركب واجتمع برفاقه
فلما وقفنا برفاقه
الشيخ وهو واقف عند
الصخور مشغول بالدهاء
فما فرغ سمعت عليه فرد
على السلام وقال لك
حاجة يا عبد الرحمن فقلت
يا سيدي اريد دعاءك فدا
ثم نزلنا من الجبل ولم اره
بعد ذلك فلما قضيت الحج
وسرت الى البصرة انيت
الى مسجد له لا نظره فلما
نظرته قام الى وسلم على
وصاحفي وعصر على يدي
فجهت منه ان اكتم سره
قال فلما اقيمت الصلاة
وفرغنا سالت المؤذن عن
غيبه الشيخ في ايام الحج
عن المسجد فحلف المؤذن
ان الشيخ اباعد لم يكن
قطع الصلوات الخمس في
المسجد ابدا ولا ساعة
واحدة قال عبد الرحمن
فلما تانه من الخواص
الابدال السادة الرجال
اعاد الله علينا من بركاتهم
وصالح دعواتهم في الدنيا
والآخرة آمين
(وعن عبد الصمد
البيضاوي رضي الله تعالى
عنه انه قال كنت اتجسس
من بغداد الى بلاد اليمن
واحج في كل سنة فيبنيانا

في بعض السنين في الطريق

بين مني وعرفة اذ رايت شابا حسن الشاب نقي الانواب كان على وجهه قنديلا من نور وهو راقد على الرمل وتحت راسه حجر وهو بعالج سكرات الموت قال فقصدت اليه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت لك حاجة يا الشاب فقال نعم تقيم عندي ساعة حتي اقضي نجي والحق برني فقلت بالذي تريد قال اذا انامت فوارني في التراب وخذ هذه المضادة وروح الى صنعا واليمن واسأل عن الدرب الفلاني وقل لاهلي عثمان يقرئ السلام ثم غاب عن الكلام ساعة طويلة حتي حسيب انه مات ثم افاق بذلك وهو يقرأه الاية هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم شق شقة فارق الدنيا رحمه الله تعالى عليه قال عبد الصمد فسلته وكفنته ووجهه بضي وبثلا ثم صليت عليه في جماعة ثم دفناه واخذت المضادة معي فلما وصلت الى صنعا لم يجن سأت عن الدرب فاشدت اليه فخرجت الى عجوز وبنت ففتمت اليهن تلك الودية فلما راوها جدوا في البكاء والتعجب ثم خرت المعجزة من مشيا عليها فلما افاقت قالت ان

دماغه تاخيره بذلك وقال يا ايوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قاربهم القصر وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دموعهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتي رقى ايوب لذلك وبكى وقبض قبضة من التراب فانغمس اليأس الفرصة منه لذلك فصعد سريره بالذي كان من جزع ايوب مسرورا ثم لبث ايوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا اليأس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقه اليأس خاسرا دليلا فقال يا الهي انما هو على ايوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما ممتته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فيل أنت مسلطي على نفسه ويذنه فاني لك زعيم اني ابتليته في جسده لينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انما لك فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ايس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا على عقله وكان الله أعلم به انه لم يسلط عليه الراحه ليعظمه الثواب ويجعله عبرة للصائرين وذكرى للماعدين في كل بلا نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانتفض عدو الله سريرا فوجد ايوب ساجدا فقبل ان يرفع رأسه اتاهه من قبل الارض في موضع وجهه ونفخ في منخر به نفاخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فوقه الى قدمه ثم اكبل مثل اليات الغنم ووقفت فيه حكمة لا يملكها ولا يماسك عن حكمها فكنا بظلمه حكي سقطت كلها ثم حكمها بالمسوح الخشنه حتي قطعها ثم بالنفخ اراوا الحجارة الخشنه فلم يزل يحكمها حتي نزل لحمه وتقطع وتغير وانفق خارجا هاهل القرية فجأوه على كناعة وجماؤه عر بشا فرضه خالق الله كلهم غيرا ثم اتهمهم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام وكانت تخاف اليه بما يصاحبه وتكرمه فلما رأى أصحابه الفلانة ما ايقلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتكادونه فلما طبل به البلاء انطاخوا اليه وهو في بلائه فيكتمه ولا موه وقالوا له اب الى الله من الذنب الذي عوقبت به (قال) وكان حضر معهم فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم ايها الكهول وكنتم احق بالكلام لا سنانكم واكنتم قد تركزتم من القول احسن من الذي قلتم ومن الراي اصوب رايتهم ومن الامراجل من الذي ائتمت وقد كان لا يوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذي وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من اتمصصتم وحرمة من اتمكتم ومن الرجل الذي عتبت وانتم همتم ألم تعلموا ان ايوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من اهل الارض في يومكم هذا ثم انكم لم تعملوا ولا أطاعكم الله تعالى على انه يخطط شيئا من امره منذ اتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع عنه شيئا من الكرامة التي اكرمه الله بها ولا ان ايوب غير الحق في طول ما صاحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى ببني الدين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكن كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس هو من الله بهذا المنزلة الا انكم اخيتموه على وجه الصحة لكان لا يجبل بالحكم ان يذل أخاه عند البلاء ولا يبره بالمصيبة ولا يبره بما لا يملك وهو مكروب حزين ولكن به رحمه وبكى معه ويستغفر الله ويحزن لحزنه وبدله على رشد امره وليس يحكم ولا رشيد من جهل هذا قاله انهم الكهول فقد كان لكم في عظم الله رجلا له يذ كر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان الله عباد ألسنتهم خشية من غيري ولا يكف رانهم لهم الفصحاء الذبلاء البلاءه الا لئلا العالمون بالله وآياته ولكنهم اذ ذكروا عظيمة الله انقطعت ألسنتهم واقشمت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظم الله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استغفروا استبوا والى الله تعالى بالأعمال الزاكية الصالحة يبدون انفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم يراهم يبدون انفسهم مع المفرطين المنصرين وانهم لا كياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون الله الكثير ولا يرضون له بالقبيل ولا يبدلون عليه

بالاعمال فمهرعون مفرعون خاشعون مستكينون فقال ايوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الاذن من الكبير والصغير في زمت في الذنب اظهره الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة قال اجمل الله اعمد حكما في الصبر المستقط منزله عند الحكاه وهم يرون من الله تعالى اورا الكرامة ثم ان ايوب اقبل على الثلاثة وقال اتيتموني غضبا بارهين قبل ان تستهواوا بكم قبل ان تضربوا كيف بكم قلت لكم تصدقوا عني يا امير الامل الله تخلصني وقر بواي قر بازال الله بقه ليها ويرضى عني وانكم قد اخرجتكم الله لكم رطنتكم نكم دعوتهم بحاسنكم فهناك بغيرهم وتزيم ولونظرم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبواستقرها الله عليكم بالامانية التي اليكم المفاو قد كنت فيما خلا الرجال توفرتي وان المسودع كلامي معروف حفي متصف من خصمي فاصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم فانت اليوم اشد على من مصيبتني ثم انه اعرض عنيهم واقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لا ي شيء خلفتني ليني ان كرهتني ما خلفتني باليني كنت حبيضة الفتني امي اويليتي قد عرفت الذنب الذي اذنت العمل الذي عملت نصرت وجهك الكريم على لو كنت امتني والحققتي باآتي فلما ريت كان اجمل لي يا لمي املكم ان لا تريب دارا للمسكين قرارا لليتيم ويا اربا لارولة قمي الي اناعود ذليل ان احسنت فلما لك وان اسأت فيبدك عقوبتي جعلتني لليلاء غرضا للسنة نصبة الفسد وقع على بلاد سلطته على حمل الضعف عن جملة فكيف يحمله ضمني الي نقطه اصا بمي فاني لا ارفع الا كلة من الطعام الا يدي جرمافا بيلغان في الاعلى الجهد مني الي ان اقطت لهواني وخبر ابي فسا بين اذني من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دناي لبسيل من في الي تساقط شعري عني كعسا احرق بالنار وجهي وحدثني متدليتان على خدي وورم اثنى حتى ملأ في فم اذ دخل فيه طعاما لا اغصني وورمت شفة ابي حتى غطت العليا اثنى والسقى ذقي وتقطعت اعمالي في بطني واني لا دخل الطعام فيخرج كما دخل احسه ولا ينفعني وذهبت قوتي رجلى فكاهما قد دبستا ولا يطبق حلهم او ذهب المال ففشرت اسأل بكفي وبطمني من كنت اعوله للامنة الواحدة فيمن بهاء على وبميتي الي هلاك اولادي ولو بقي واحد منهم اعاني على بلاني ونفعني قدماني اهلي وتعني ارحامي فتذكرت لي مكارف ورغب عني صديقي وقطعتي احمالي مجججت حقوقي بنسبت صناعتي اصمخ فلا يصرخوني واعتذر فلا بدروني دعوت غلامي فلم يجيني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وارقتكاه هو الذي اذني واداني واهاني واقامني وان سلطاك هو الذي اسقني واحمل جسمي ولوان ربي نوح الطيبة التي في صدري فاطلق اساني لانكم على وفي ولو كان ينبغي للعبد ان يحاج عن نفسه لرجوت ان ياقيني عند ذلك ما لي ولكه الغاني وتخلي عني فو براني ولا ارادو يسموني ولا اسمعه ولا انظرالي فرحني ولا دنا مني ولا دنا في فاتكم براءتي واخاصع من نفسي فلما قال ذلك ايوب واصحابه عند دافاته غمامة حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودى يا ايوب ان الله تعالى يقول لك هالنا قد دعوت منك فلم ازل منك قر يافتم قابل بدرك وتكم براءتك وخاذع عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبارك فلا ينبغي ان يخاصمني الاجبار على ولا ينبغي ان يخاصمني الامن بمجمل الزمان في فم الاسود والجدال في فم العنقاء والاحم في فم النسيان وبكيل مكيال من النور ويزن مقيلا من النور ويصر صرة من الشمس ويرد من اسفدمتتك نفسك امر اياي بلغ بمثل قوتك ولو كنت اذمنتك نفسك ذلك ودعوتك اليه تذكرت ابي مرام رامت بك اوردت ان تكررتي بضعفك ام اردت ان يخاصمني بغيرك ام اردت ان تحاججني بخطبك ابن كسنت مني يوم خلقت الارض فوضعت على اسم اهل علمت باي مقدار قوتها ام كنت ممنى بباطرافها ام تلم ما بهد زواياها ام على أي يشهد عن ذكر الله ولا

فاخبرها بنجره فقلت هو والله ولدى عهنا وهؤلاء اخوانك ترك اهل رحمة وخدعه وذهد في لنديا وخرج سالعا على وجهه لا تدري اين ذهب خزانك الله عن ولدى خيرا المي ان كنت لا ترحم الا المحمدين فمن لك مصربين وان كنت لا تقبل الا على المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا الظالمين فمن للاصمين وان كنت لا ترحم الا الحسنين فمن للخطائين انت اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وعن ابى الاشهل السبح رحمه الله تعالى ونفعنا به قال رايت غلاما بطريق مكة وهو قائم يصلي عند بعض الاميال قد اقطع عن القافله فوقعت انظر اليه فاطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انطلمت عن الركب لك رفيق يؤنسك حتى تلجته فيكي وقال نعم فقلت واين هو فقال امامي وخفي وعن يميني وعن شمالي فقلت انه عارف فقلت له امك زاد فقال نعم فقلت واين هو فقال في قلبي اخلاصى لربي فقلت له فهل لك في مرافقتي فقال الرفيق يشهد عن ذكر الله ولا

احب احدا يشأني عن
 ذكر الله تعالى طرفة عين
 فقلت من أين تا كل فقال
 الذي غدا في ظلمة
 الاحشاء صغيرا يكفل
 برزقي كبيرا فتي احتجبت
 الى طام حضر بين يدي
 فقلت له هل من حاجة
 فقال نعم اذارا بنى بعد هذا
 اليوم فلا نيكفي فقلت
 بالله أسألك يا سيدي ان
 تدعوا لي فقال حببك الله
 عن كل مصيبة وشغل
 عما يقر بك اليه فقلت
 يا سيدي فإني للفناء بعد
 ذلك اليوم فقال ما بقي لقاء
 بعد هذا اليوم فان كنت
 من اهل القرب فاطلبي
 غدا في منازل المقر بين ثم
 غاب عن عيني فلم أره رضى
 الله تعالى عنه وتغلبت آمين
 (وعن ملاك بن دينار
 رضى الله تعالى عنه) ان قال
 كان لي جار مسرف على
 نفسه لا يعرف يومه من
 أمسه فاجتمعت الجيران
 الي يشكوه فاحضرته
 وقلت له ما هذا قد كثرت
 عصيانك فاما ان تتوب
 واما ان تخرج من هذا الحبل
 فقال اني ملكي لا اخرج
 منه فقلت له تشكوك الى
 السلطان فقال انا من
 أصحاب السلطان فقلت
 ندعوا الله عليك فقال ربي
 ارحم منك من همض من
 عندي فلما كان الليل

شيء وضعت اكرافيا بطنك جل الماء الارض ام حكتك كانت الارض على الماء غداه أين كنت
 في يوم رفعت السماء مستغاث الهواء لاهم التي تمسكها ولا تمسكها ام تائم من تحتها لعل يبلغ من حكتك أو تحجري
 وتسير نجومها ام هل بارك ينفذ ليها ونهارها أين كنت في يوم سجدت البحار وابتعدت الانهار
 اقتدرت حبست امواج البحار على حدودها ام قدرت فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين كنت
 في يوم صب الماء على التراب ونصبت شواخ الجبال هل لك ان تطبق حملها ام كنت تدرى كم مقدار
 ما فيها من الماء الذي انزلته من السماء هل تدرى كم بلدة أهلكتها وكم من قنطرة احصيتها وقسمت
 الارزاق ام قدرتك تثير السحاب وتنفث الماء هل تدرى ما مصوات الرعد ام من اى شيء لهب البرق
 وهل رأيت عمق البحر ام هل تدرى ما بعد الهواء ام هل تدرى أين خرابه النهار بالليل واين طريق
 النور وبأى لفة تمسك الاشجار أين خزائن الخراج واين جبال البرد ام هل تدرى من جعل العقول في
 أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذات الملائكة الملكة ومن قهر الجبابرة بجزوته
 وقسم ارزاق الدواب والعباد يحكته ومن قسم للسيد ارضها وعرف الطير ما شها وعظها على افراخها
 ومن اعق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لا تنقسم بالاصوات ولا تنهاب السلاطين
 أبحكك عظمت عليها أماتها حتى اخرجت لها طامسا من اجوافها وأثرها بالمدش على نفوسها ام
 يحبك بعصر العقاب الصيد البعيد واضحا في ما كن الدار أين انت يوم خافت البهائم مكانا في منقطع
 التراب والواو تياح ملان الجبال والقرى والعمران انياها كانت اشجار الصنوبر الطوال ورؤسها كانت
 الجبال وعروق اخادها كانت عمد النجاس أنت ملأت جلودهم الحما أم انت ملأت رؤوسهم ما غفل
 لك في خلقهم من شرك ام لك بالقوة التي غلبت ما يدان ام هل يبلغ من قوتك ان تضع يدك على رؤوسها
 ام تقعد على طريق فتجسسها او تصدها عن قوتها أين انت يوم خلقت التين وزرقة في البحر وممكنه
 في السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنجزاه يثوران خانا اذناه مثل قوس المجداب يثور من ماله بكانه
 اعصار البجاج جرد فيحرق ونفسه يلتهم وزبد جمر كمثل الصبحور وكان ضرب اسنانه اصوات
 الصواقر وكان نظره عيشه لمع البرق عر به الجيوش وهو تمك لا يفرغه شيء ليس فيه منصل زبر
 الحديد عنده مثل الثبن والنحاس عنده مثل الخيوط لا يفرغ من الشاب ولا يخشى وقع الصبحور على
 جسده ويطير في الهواء كأنه عصفر فيفهاك كل شيء عر به هل أنت اخذته باحبولك وواضع اللجام
 في شدقه هل تحصي عمره ام هل تعرف اجله أم تعرف رزقه ام هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا
 تخرب فباقي من عمره ام هل تطيق غضبه حين ينضب أم تأمره فيه طيك تبارك الله أحسن الخالقين
 فقال ايوب عليه السلام قصرت عن هذا الامر الذي ورد على لبت الارض انشقت لي فذهبت ولم
 أنكم بشيء يسخط ربي حين اجتمع على البلاء إلهي قد جعلتني لك مثل العدو وقد كنت أعرفني وتعرف
 نصحتي وقد علمت ان كل الذي ذكرت صنع يدك وتبديل حكمتك واعظم من هذا لو شئت علمت أن
 لا يهزلك شيء ولا تخفي عليك خافية ولا تغيب عنك غائبة من هذا الذي يظن ان يسر عنك سرا وأنت
 تعلم ما يخطر على القلوب وقد علمت منك في بلائي هذا لم أكن اعلم وخفت ان يكون امرا اكثرها
 كنت اخاف انما كنت اسمع بصوتك فاما الآن فهو نظار العين انما تكلمت حين تكلمت لتسخرني
 وسكت حين سكت لترحمي كلمة زلت عن لساني فان أعود وقد وضعت يدي على فمي وعرضت على
 لساني والصلقت بالتراب خدي ودرست فيه وجهي لصغاري وسكت حين اسكتني خفياتي فاغفر لي
 ما قلت فان أعود اشيء تكرهه عني فقال الله تعالى يا ايوب فقد فيك حكي وسببت رحمتي غضبي اذ

رؤفت يدي الى السماء في وقت الاسحار و اردت ان ادعوا عليه فتهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من اولياءنا قال مالك فقم من ساعتي و طرقت عليه الباب فخرج و ظن اني جئت اليه لاخرجه من محله فخرج و هو يبكي و يعتذر و يقول يا سيدي السمع والطاعة انا اخرج من المحل فقلت له لا بأس عليك يا جئت لك لهذا رأسا جئت اليك لاخبرك بما كان مني اني رفعت يدي و اردت ان ادعوا عليك فتهتف بي هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من اولياءنا قال فيبك الرجل بكاه شديدا و تاب من وقته و ساعته فاصبح الناس يزورونه و يتبركون به و كثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة في العام القابل فيينا انا في المسجد الحرام وقت الظهيرة مستظل بجائط و اذا بمجموعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد و بينهم رجل ملقى على السراب فنامته فاذا هو صاحبي و هو يسال سكرات الموت قال مالك فيجلبس عند رأسه ابكي ففتح عينيه فرأني ثم قال يا مالك ان تري مولاي يهفوا عن تلك الذنوب و السيئات و يرحم

أخطأت فندغفرت لك ما قاتت رحمتك و رددت عليك اهلك و مالك و مثامهم معهم لتكون لمن خلقك آية و تكون عيرة لاهل البلاء و عزاء للصائرين فاركض برجلك هذا مغسل بارد و شراب فيه شفاء و قرب عن أصحابك قربا و استغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فاركض برجلك فامعجرت له عين و دخل فيها فاغسل فاذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه خرج و جلس فاقبلت امرأته فمابت تلتسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدة كالوالدة فثرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم الرجل المبتي الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذ ارايتيه فقالت نعم و كيف لا أعرفه فبسم و قال ها أنا هو و فرفته لما ضحك فاعتقته (قال) ابن عباس و الذي تقمي يده ما فارقه من عنقه حتى مر به ما كل ما كان لهما من المال و الولد و ذلك قوله تعالى و أيوب اذا نادى ربه اني مسني الضر الية * و اختلف العلماء في وقت ندائه و مدة بلائه و السبب الذي قال لاجله مسني الضر (حدثنا) الامام ابو الحسن محمد بن علي بن سهل املاء في شهر ربيع الاول سنة اربع و ثمانين و ثلثمائة اخبرنا ابو طاب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر اخبرنا يحيى بن أيوب العلاف اخبرنا محمد بن ابي مريم اخبرنا دايع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان نبي الله أيوب ابلت في بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب و البعيد الارجلين من اخوانه كانوا يدوان اليه و يروحان فقال احدهما لصاحبه و الله لقد اذنب أيوب ذنبا ما اذنيه أحد من المالمين فقال له صاحبه و ما اذراك قال منذ ثمانى عشرة سنة له في البلاء لم رحمه الله و يكشف ماله فلم اراح الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ما أدري ما تقولان غير ان الله تعالى يعلم اني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكر ان الله تعالى فارجع الى بيتي فاذنك في عنهما اكرهه ان يذكر الله تعالى الا في حق قال و كان يخرج لحاجته فاذا قضى حاجته امسكت امرأته يده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطأ عليها و ذلك ان الله تعالى اراد الى أيوب في مكانه ان ركض برجلك الالية فاقبطنته فذهبت لتنظر ماشائه فاقبل عليها و قد اذهب الله تعالى عنه ما اصابه من البلاء و هو احسن ما كان فلما رآته قالت له هل رأيت نبي الله المبتي فقال اني انا هو و كان له انذر ان اندر للقمح و اندر للشمير فبعت الله تعالى سمحبتين فلما كانت احداهما على اندر القمح افرغت فيه الذهب حتى فاض و افرغت الاخرى في اندر الشمير الورق حتى فاض (و يروي) ان الله تعالى امطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثوا منه في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما تري قال بلى يارب و لكن لا غني لي عن فضلك و رزقك و رحمتك و من يشبع من نعمتك (و قال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة في من به لبي اسرائيل سبع سنين و اشهر اختلفت فيه الدواب و قال و هو لم يكن يا أيوب اكلة و انما كان يخرج منه مثل ندي النساء ثم يتفقا قال الحسن و لم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا احد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تحنمه و تأتبه بطعام و تحمد الله معه اذا حله و أيوب على ما به لا يفتقر عن ذكر الله تعالى و الثناء عليه و الصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من اقطار الارض جزعا من صبر أيوب فاجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم اعياني هذا العبد سألت ربي ان يسلطني على ماله و ولده فلم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا و اواءه على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا الإمرأته و قد انفضحت من ربي فاستعنت بكم لتبينوني عليه فثألوا له أين مكرك أين علمك الذي أهلكك به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فاشير و اعلي قالوا اشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجه من الجنة من أين أتيت قال من قبل امرأته قالوا فثألك و أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيه و ابليس احد يقربه غير هاهنا اصبتم فانطق

هذه العبرات فقد فارقت

اهلي ووطني وخرجت
من ذلك المكان حياهم منك
وانت مخلوق فكيف
اقف غدا بين يدي الخالق
جل وعلا ثم نفس وشقي
شهقة نفس رحمة الله تعالى
عليه آمين (وعن الجنيد
رضي الله تعالى عنه) انه قال
عزمت على الحج الى بيت
الله الحرام في بعض
الاعوام فركبت ناقتي
ورجعت نحو الكعبة شرفها
الله تعالى وعظماها فلو
عنتها وردته نحو
القسطنطينية فردتها
مرارا وهي تمود فقلت في
نفسي لله في ذلك سر خفي
فاطلمتها وقلت اهي
وسيدي ومولاي ايس
لى حيلة ان كنت تريد
ان تردني عن بيتك فالامر
اليك قال فجمعت الناقة
تسير سيرا جيبا لما حتى
دخلت القسطنطينية فلما
دخلت البلد رأيت الناس
في هرج ومرج فسالت عن
الخير فقال بعض الناس ان
ابنة الملك قد ذهب عقلها
وهي يلتمسون لها طبيباً
يدوايم فقلت في نفسي
وعزة ربي لهذا صرفني عن
يدينه في هذا العام قال الجنيد
فقلت لهم قد حضر
الطبيب ففعلنا ما أنت
تدأوها فقلت لهم انه ان
شاه الله تعالى قال فاخذوا

حتى اذ امرأته وهي تطلب الصدقة فتقبل لها في صورة رجل فقال أين بلاك يا أمة الله فالتت هو ذاك
بحك قروحه وتتردد الدواب في جسمه فلما سمع منها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها
ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ابوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك
لا ينقطع عنه ابدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فانها باسجة وقال لها اذبح
ايوب هذه لي وسير قال فجاءت تصرخ وقالت يا ايوب الى متى يذكرك ولا يرحمك أين المال أين
المساوية أين الولد أين الصديق أين نورك الحسن قد تهرى وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى
وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها ايوب انك عدو الله فتفخ فيك فاجيبته
وبلك أرايت ما يمكن عليه مما كنافيه من المال والولد والصحة من انعم به علينا قالت الله قال فك
معتابه قالت ثمانين سنة قال فندك ايتانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قالو بلك والله ما عدلت
ولا انصفت ربك الا صبرت في هذا البلاء الذي ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنافي الرخاء والله ان
شفاني الله لاجل ذلك مائة جلدة كما أمرتني أن اذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرباك الذي تأتني به على
حرام لا لأتوق بما تأتني به شيئا بعد ان قلت هذا قاعز في عني لا اراك فطردوها فذهبت فلما رأى ايوب
امرأته وقد طردوها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسني الضر ثم رد الامر
الي ربك وسلم فقال وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الالية فركض
برجله فبعت عين ماء فاعتسل فلم يبق من دائه شيء ظاهر الاسقط انزه وأذهب الله منه كل ألم وداوكل
سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وافضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فبعت عين أخرى
فشرب منها فلم يبق في جوفه ماء الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجدت بالفتنة عينا وشمالا فلا يرى
شيئا كما كان له من أهل وولد مال الا وقد ضاعه الله تعالى فخرج حتى جالس على مكان مشرف ثم ان
امرأته قالت أرايت ان كان قد طردني الى من اكلته أودعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتا كاله
الد باع فوالله لا رجوع اليه فرجعت فلم تر الكناساة ولا الحال التي كانت تعدها وقد تغيرت الامور فجمعت
تطوف حيث كانت الكناساة وتبكي وايوب ينظرها قال وهايت صاحب الحيلة ان تأتني فتسألها فاسأل اليها
ايوب فدعاها وقال لها تريدين يا أمة الله فبكت وقالت ارد بذلك المبتلى الذي كان منبذوا على هذه الكناساة
لأدري أضع أم ما ذفلي به فقال ايوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلي فهل رايته فقال وهل
تعرفينه اذا رايته قالت وهل يخفي علي ثم انها جمعت تنظر اليه وهي تبكي وقالت اما الله كان اشبهه خلق الله
بك اذا كان صحيحا قال فانأوب أمرتني أن اذبح لابس فاني اطعت الله وعصيت الشيطان فرد على
ما ترين (وقال) كذب كان ايوب في بلانه سبع سنين وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد
يوما واحدا فلما غلب ايوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة نبي
آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مركب الناس له عظم وبها وجمال فقال لها انت صاحبة
ايوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال اناله الارض وانال الذي صنعت بصاحبك ما صنعت
وذلك انه عبد الله السما وتركني واغضبني ولوسجدي سجدة واحدة ردوت علي كما كان لي كما من مال وولد
فانهم عندي ثم اراها اياهم في بطن الوادي الذي لقبها فيه (قال وهب) وقد سمعت انه قال له الوان صاحبك
اكل طعاما لم يسم عليه ادوف ما هو فيه من البلاء والله اعلم واراد عدو الله ان ياتي به قبلها ورايت في بعض
الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجد لي سجدة واحدة حتى ارد عليك الاولاد والمال واغافى
زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها وما اراد فقال لقد اراد عدو الله ان يقتلك عن دينك ثم ان ايوب

يدى وأتوا بي إلى هناك
واختبروه بما كنت فاشترط
على شروطاً فامتنعت
واستعنت بالله ثم ادخمت
نحرى فسمعت خشخشة
الحديد وقائلاً يقول
يا جنيد تحب ذلك الشاة العينا
وأنت تحبها نحو الكعبة
قال الجنيد فطش عني من
ذلك الكلام ثم دخلت
فرايت جارية لم ير الراءن
احسن منها وهي مقيمة
بالحديد ومسالفة فنلت
لها ما هددت ففالت
يا طبيب القلب صملى
صفة أنحوها من الكروب
قال الجنيد ففالت لها قولى
لا إله إلا الله محمد رسول الله
فرغمت صوتها يقول لا إله
إلا الله محمد رسول الله
فتمسكت بالأسل
والأسل من أفلأربى
ابو هذلك قال ما أحسنك
من طبيب أسالك بالله
عليك أن تدبرني بما
دأبت به أنتى هذه قال
الجنيد فقلت له قل لا إله
إلا الله محمد رسول الله ففالت
واسلم وحسن إسلامه
ثم أنت أمها واسامت
واسلم كل من كان في البلد
معهم قال الجنيد فمزمت
على التوجه ففالت الجارية
لا تهمل يا سيدى بالخروج
فاني سألت الله أن يتوفاني
رأيت حاضر حتى تنف
على غسلى وتصلى على تم

اقسم أن عاف الله ليضر بنهمائة جلدة فقال عند ذلك من في الضر من طمع ابليس في سجود حرمتي له ودعته
أيادى وإياى إلى الكفر قالوا ثم إن الله تعالى رحم رحمة أمراذيل اب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها
واراد أن يبرى يوب فامر دان أخذ جماعة من الشجرة بلغ ثم قضيب خفا فاطافا فيضربهم اضر به واحدة
كما قال تعالى وخذ يدك ضعفا فاضرب به ولا تحث الأية وقد كانت امرأ يوب تتكسب وتعمل للناس
وتجيبه بقوة فلما طال عليها البلاء وسمعت الناس تلمسهم لها أحد الخمس يوما من الأيام ما تطعمه فما
وجدت شيئا فجرت قمران من رأسها بفاعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فاحبرته فقال عند ذلك مسني
الضر وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه وإسائه فغشي أن يساعن الذي كروا وتذكر وقيل إنما قال
ذلك حين وقعت الدورة من نخذه فآخذها وردها إلى وضعها وقال لها كلي ففد جعلني الله طامعا ففضته
عضة زاد الله على جميع ما قامى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من
بيد لا يقدران على الدومنه من نثر رجمه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في أيوب خير أم أبا بلاء
بأمرى قال فاسمع أيوب شيئا كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء أصابه جزع من تلك
الكلمة ففند ذلك قال مسني الضر ثم قال اليوم ان كنت تعلم أني لم أبت ليلة شيمان قط وأنا أعلم بمكان جأنا
فصدقني فصدقه وهما يسهران ثم قال اليوم ان كنت تعلم أني لم أتحذق قيصا قط وأنا أعلم بمكان عريا فاصدقني
فصدقه وهما يسهران ثم سجد الله وقيل معناه مسني الضر من شمانية الأعداء يدل عليه ما روى أنه قيل له بد
ما عوفي ما كان أشد عليك في ثلاث قال شمانية الأعداء وأشد بعضهم في معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فمهنون غير شمانية الحساد

ان المصائب تنفض أيامها * وشمانية الأعداء بالرصاد

(وقال الجنيد) في هذه الآية عرفه فافقه الدال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفتنا ما به من
ضر وأبداه أهله الآية (واختلف العلماء في كيفية ذلك فقالوا قوم لما بجلى الله أيوب في الدنيا مثل له أهله
فما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا وأما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة وقال وهب كان
له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه باعياهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول
ابن مسعود وابن عباس وقادة وكعب قالوا أحياءهم الله تعالى وآتاهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية
(وذكر) أن عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل وإن الله بعث بعدد بشر
ابن أيوب نبيا وسماه ذالكفل وأمره بالدعاء إلى توحيد الله وأنه كان متهما بالشام طول عمره حتى مات وكان
بلغ عمره خمسا وتسعين سنة وإن بشرا أوصى إلى ابنه عبدان وإن الله تعالى بعث بعده شيعيا عليه السلام
والله أعلم * (مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة البيع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور (روى)
الاعمش عن المنال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث أن نبيا من الأنبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل وبصوم
أنهار ولا يعضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم أنه أعاده مثل قوله الأول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال
له اجلس ثم أنه أعاد قوله الثالث فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تعضب قال نعم ففالت
ذلك النبي فاجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يعضب فجاءه الشيطان في صورة إنسان
ليتعضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضرا بشديد فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل
إليه رجلا فقال لأرضي بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لأرضي فخرج إليه فآخذ بيده وانطلق معه
حتى إذا كان في السوق خلاه فذهب فسمي ذا الكفل وقال بعضهم ذالكفل بشر بن أيوب الصابري

تشهدت وخرت ميتة
فلمناها ودفناها رحمة
الله تعالى عليها (وعن أبي
بكر بن الفضيل رضى الله
تعالى عنه) قاله سألت
بعض أصدقائي وكان
أصله روميا عن سبب
اسلامه فاستمع أن يحدثنى
فأزات أقسم عليه حتى
حدثني قال نزل بنا عساكر
المسلمين فحاصرونا سنة
من السنين فخرجننا اليوم
وقالنا هم يقتلونا هنا جماعة
وقتلنا منهم جماعة وامرؤا
منا جماعة وامرنا منهم
جماعة كما هي عادة الماسكر
في القتال فامرت انا
وحدى من المسلمين عشرة
رجال وكان لى فى الروم
المزلة فسلمت المشرة الى
علماني فقيدهم وحملهم
على البغال حتى تركهم فى
السجن عندى فبينما انا يوم
من الايام جالس بقصرى
اذ جاءنى بعض علماني
وقال ياسيدي ان احده
الموكلين قد اخذ من احد
المأسورين مالا وتركه
يصلى قال فلما سمعت
ذلك احضرت الموكل بهم
وقلت له اخبرنى ما الذى
اخذته من هذا السيد حتى
تركته يصلى فقال لم
ياسيدي انه فى كل وقت
صلاة يدع الى دينار ذهبا
فقلت هل معه شئ من
ذلك فقال لا ياسيدي

الله بعد ابيه رسولا الى ارض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى امرهم بالجهاد فكفوا عن
ذلك وضفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره ان نصلى الله تعالى ورسوله
فلوسأت الله ان يطيل اعمارنا ولا يمتلنا لاذ شئتكم بعدة ونجاهد اعداءه فقال لهم بشر لقد سألتونى
عظيما وكنتونى شظيما ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى امرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وامرتنى أن اجاهد
اعداءك وانت تعلم أنى الاله لك الاقمى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم بهنى فلا تؤاخذنى
بجريمة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعموك من عتوبك قال فارحمى الله تعالى اياه يا بشر
انى سمعت مقالة قومك وانه أعيايتهم ماسألونى طولت اعمارهم فلا يتون الا اذا شاءوا فكأن
كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى
فسمى ذا الكفيل ثم انهم تولدوا وكثروا ونما حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنفصت مدينتهم وتأذوا
بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى اجدلهم فارحمى الله تعالى الى بشر أماعلم قومك أن اختيارى
لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى اجدلهم فأتوا بأجلهم قال فذلك كثرت الروم حتى يقال ان
الدينار درهم خمسة أسداسها للروم وسدسها لاهلهم فسبوا الى اجدلهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم
عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفيل مقبلا بالشام حتى مات وكان عمره خمسا
وتسعين سنة والله أعلم

(مجلس فى ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى والى مدين أفاعم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب
بن صيفون بن عياف بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن بلشجر بن
مدين بن ابراهيم واسمه بالمرىانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أممى فذلك
قوله تعالى أخبارا عن قومه واننا نراك فىنا ضعيفا أى ضربا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر المتلف (وقال قتادة) بعثه
الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس
وتطفيف للمكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استندراجا منه
لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من امة غيره ولا تنقصوا المكاييل والميزان الآية ونظيرها فى
الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك انهم كانوا يجلسون على
الطريق فيخبرون من قصد شيبا باليومين به انه كذاب فلا يفتك عن دينك وكأيت وعدون المؤمنين
بالذل ويخوفونهم (قال السدى) وأبوروق كانوا عشارين (قال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق
(وقال) النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بنى خزيمة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته
ولاشئ الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه
ثم تلا ولا تقدموا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى
فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان بما نهم عنه شعيب وعذبوا
لاجله قطع الدنياير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلنا لك تأمرك أن نترك ما يعبد آبؤا الى قوله الحليم
الرشير أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للبعشي أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز
الكريم (قال ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم وقل صلاحهم دعا
عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله تعالى دعاه ففهم فاعلمكم

بالرجة وهي الزلزلة عن الكبي ويقال بالصيحة وبذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهي ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذوا بنفاسهم فدخلوا في اجواف الميوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هرا إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فظلمتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فتنادى بعضهم لبعض فاجتمعوا تحت السحابة اهلهم الله عليهم نارا ورجعت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقل فيصار وارمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثين كان لم يفتوا فيها وقال تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغني ان رجلا من اهل مدين يقال له عمرو بن جلم لم ارأى الظلة فيه المذاب اقشمر جلده وقال يا قوم ان شعبيا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد اني ارى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على حنانة الوادي فانه ان يرى فيها ضياء غدا * الا الرقيم يشي بين انجاد وشعير وعمران كاهنان لهم والرقم كاب لهم قال أبو عبيد الله البجلي أبو جاد وحطبي وهوزوكلين وسعفص وقرشت أمماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة في زمن شعيب كمن فقالت أخت كلن تبكيه حين هلك

كلن هدد ركني * هلك وسط الحلة
سيد القوم أناه السحابة نارا وسط ظله
جملت نارا عليهم * دارهم كالمضجحة
قال الله تعالى الذين كذبوا شيعيا كان لم يفتوا فيها الذين كذبوا شيعيا كانوا هم الخاسر بن أي لهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة

(مجلس في ذكر صفى الله ونحيبه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على ابواب)

(الباب الاول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى واذا كرفى الكتاب موسى انه كان خالصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن بصهر ابن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال اهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولدي يعقوب لاوى وقدمضي من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح ثابته بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهت ثم ان قاهت بعد ان مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح قاهي بنت معين بن تنو يل بن الياس فولدت له بصهر بن قاهت فنكح بصهر بن قاهت سميت بنت يتادم بن بركا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له عمران وقدمضي له من عمره ستون سنة وكان عمر بصهر مائة وسبعما وأربعين سنة فنكح عمران بن بصهر نجيب بنت شعور يل بن بركا بن يشمان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن اسحق بن نجيب وقيل ناجية وقيل بوخييل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وجماعة ثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقدمضي من عمره سبعون سنة والله أعلم

(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

(قال اهل التاريخ) لمات الرمان بن الوليد فرعون صرا لارل صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولي يوسف خزائن ارضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك

يضرب الارض بيده فيظهر له ذلك الدينار قال فتعجب من ذلك واحببت ان اعرف حقيقة هذا الرجل فلما كان من الغدا حضرت الموكل به ولبست ثيابه وكنت نفسي بذلك فاجاء وقت صلاة الصبح أوه الى بانه ير بد الصلاة ويدفع الى الدينار على عادته فشرت اليه وقلت له ما أخذ الا دينارين فقال نعم فاطلمته يصلى فلم افرغ من صلاته ضرب الارض بيده ودفع الى الدينارين فازددت تعجبا من ذلك فلما جاء وقت صلاة الظهر أوما الى كالمرة الاولى فقلت له ما أخذ الا خمسة دنانير قال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى خمسة دنانير فلما جاء وقت صلاة العصر اشار الى كعادته فقلت له ما أخذ الا عشرة دنانير فقال نعم فلما فرغ من صلاته دفع الى العشرة دنانير فلما جاء وقت المغرب اشار الى فشرت اليه لا أخذ الا خمسة دنانير فقال نعم فلما فرغ دفع الى ذلك فلما جاء وقت العشاء الاخرة أوما الى فقلت له لا أخذ الا عشرة دنانير بن دينار فقال نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرة بن

دينار وقال اطلب ما شئت

فان سيدي غني كريم لا
يبدل على بئس الله قال فبت
تلك الليلة متفكرافي امره
فاجاب بما ارادته منه وقد
دخلني منه هبة و امر عظيم
وعلمت انه من اولياء الله
تعالى فلما اصبحت دعوته
لاحضوره عندي ثم اكرمه
وفككت قيوده و البسته
ثوباجسنا وعظمته و جعلته ثم
قامت ليا سيدي هل لك في
الاقامة عندنا في بلادنا
وانت في اعز مكان و اكرم
محل و نكرمك غاية الاكرام
أو الرجوع الى بلادك
فاخار الرجوع الى بلاده
فاحضرت له زادا و حملته
بنفسي على بئل و انقذت
معه من اصحابي و غلمانني
عشرة رجال و اوصيتهم
بإصماله الى بلاده معظما
مكرما وان لا يمتدحه
عارض ولا يؤذيه أحد
و يمتثلوا جميع ما امرهم به
و يفعلوا جميع ما يخافه ثم
احضرت دواة و قرطاسا
وجعلت له علامة بيني
وبينه و قلت لبلدانه اذا وصل
الى بلاده سالما يكتب تلك
العلامة في القرطاس خوفا
عليه في الطريق ثم ردعته
و حلت به نفسي فقال لي
توفاك الله على احب الاديان
اليه فوالله يا ابن الفضيل
ما استم كلامه حتى وقع في
قلبي حب الاسلام قال

بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الربيع بن اراثة بن رومان بن عمرو بن قازان بن عملاق بن
لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام و داغي من قابوس و اكبر و افجر و امتدت أيام ملكه و أقام
بنو اسرائيل بمذوفاة يوسف عليه السلام و قد انشروا و كثر و ا و هم تحت المائلة و هم على بقايا من
دينهم مما كان يوسف و يعقوب و اسحق و ابراهيم شرعوا فيه من الاسلام و تمسكون به حتى كان
رعون موسى الذي بعثه الله اليه و قد ذكرنا اسمه و نسبته و لم يكن فيهم فرعون أعتى على الله و لا أعظم
فولوا و لا أقسى قلبا و لا أطول عمرا في ملكه و لا أسوأ مملكا لبي اسرائيل منه و كان يذمهم و يستعبدهم
و جدهم خدما و زحوا و صنفهم في اعماله فصنف يبنون و صنف بحرثون و صنف يتولون الاعمال النذرة
و من لم يكن اهلا للعمل فلبه الجز بة كما قال الله تعالى يسوء و انكم سوء العذاب و قد استكبح فرعون منهم امرأة
يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنهم ان خيار النساء للمعدودات و يقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد
ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يعلم من اهل مصر الثلاثة
آسية و حزقيل و مريم بنت تاهم و سى التي دامت موسى على قبر يوسف عليه السلام قال فرعون فيهم و هم
تحت يده عراطو يلا يقال انه ار بائسنة يد و هم سوء العذاب فلما اراد الله ان يفرج عنهم بعث موسى عليه
السلام و كان به ذلك على ما ذكره السدي عن رجاله ان فرعون رأى في منامه كان نار اقدابات من بيت
المقدس حتى اشتعلت على بيوت مصر فاحرقته و احرق القبط و تركت بني اسرائيل فعدوا فرعون الكهنة
و السحرة و المعبرين و المنجمين فسلهم عن رؤياهم فقالوا يولد في اسرائيل غلام يسلب الملك و يغلبك على
سلطانك و يخرجك و قومك من أرضك و يبدل دينك و قد اظلام زمانه الذي يوجد فيه فامر فرعون يقتل
كل غلام يولد في بني اسرائيل فجمع القوابل من النساء من اهل مملكته و قال لمن لا يسقط على ايديكم غلام
من بني اسرائيل الا قتلته و لا جارية الا تركتها و وكل من وكل من وكله و كن بفعل ذلك قال مجاهد لقد بلغني انه
كان يامر بالقصب فيسحق حتى يحمل امثال الشفار ثم يصف بهضه الى بعض ثم يؤتى بالحبال من بني اسرائيل
فيوقن عليه فجرح اقدامه حتى ان المرأتين نضع ولدها فيقع من بين رجلها فتقتل و تنقي به حد
القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها و كان يقتل الغلمان الذين في وقته و يقتل من يولد بعدهم و يعذب
الحبال حتى يعضن ما في بطونهم و يمسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون
و قالوا له الموت قد وقع في مشايخ بني اسرائيل و انت ذبح صفارهم و نيمت كبرهم فيوشك ان يقع العمل
عليه فامر فرعون بذبح اولاد سنة و تركهم سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبح فيها احد فترك و ولد موسى
في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون امه عالانية آمنة فلما كان في العام الذي امر فيه بقتل الولدان
حملت بموسى فلما ارادت وضعه حزنت من شأله و اشتد غمها فاروح الله تعالى اليها أن ارضعه فاذا اخفت
عليه فالقيه في اليم الى قوله المرسلين فلما وضعت في خفية قارضته ثم انها اتخذت لها نابتا و جعلت مفتح
النابت من داخل و جعلته فيه قال مقاتل و كان الذي صنع النابتات بوب حزقيل مؤمن آل فرعون و قيل انه كان
من ردى ف اتخذت ام موسى النابت و جعلت فيه قطنا ملحوا و وضعت فيه موسى و صرته رأسه ثم الفته في
النبيل فلما فملت ذلك و توارى عنها اناها الشيطان فوسوس اليها فقالت في نفسها ماذا صنعت فاني لاذبح
عندي و رأيت و كفتته كان أحب الى من ان القيه يردى في البحر و ادخله الى دراب البحر ثم عصمه الله تعالى
وانطاق الماء بموسى يرفقه الموح مرة و يحفضه اخرى حتى ادخله بين الاشجار عند اذ فرعون الى روضة
هي مستقى جوارى فرعون و كان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون في داخل بستانه فخرجت جوارى
فرعون يفتسلن و يستقين فوجدن انابوت فاخذته و ظنن ان فيه مالا فحملته على حالته حتى ادخلته الى آسية

وكان مسيرة بلده من بلادنا
 خمسة ايام ذهابا وخمسة ايام
 ايابا فلما كان يوم السادس
 قدم على اصحابي وغلمانى
 ومعهم القرطاس بخطه
 والملازمة التى كانت بينى
 وبينه فساألهم عن سرعة
 مجيئهم فقالوا لم يخرجنا من
 عندك وهو معنا وسلكنا الى
 بلادهم في ساعة واحدة من
 غير تعب ولا نصب فلما
 رجعنا سرنا في الطريق
 خمسة ايام بالجهد والتعب
 والنصب فقلت عند سماع
 ذلك منهم أشهد أن لا اله الا
 الله وأن محمدا رسول الله وأن
 دين الاسلام حق ثم
 خرجت من بلاد الروم الى
 بلاد الاسلام وصار امرى
 الى ماترى والحمد لله وحده
 (حكي عن بعضهم غفاله
 عنه) أنه قال كان في
 زمن خلافة معاوية بن أبي
 سفيان رضي الله تعالى عنهم
 امرأة عذوبة وكانت لها
 ثلاث بنات فضاق الحال
 عليها وشهد بها الفقر
 فبكت بناتها يوما من الايام
 من المالجوع فقالت المرأة
 لبناتها اصبرن حتى اطلب
 لكن شيئا من عند القاضى
 من بيت الالمعين قال
 فصبيرت بناتها عند سماع
 ذلك منها الى الصباح ثم
 مضت الدتن الى بيت
 الماضى فلما وصلت
 استأذنت في الدخول

لما فتحت رأت فيه الغلام فأنى الله تعالى عليه بحبه منه فرحمته آسية وحبته حياشيد فلما سمع الذبا حون
 بامر اقبالوا على آسية بشغارهم ليذبحوا الصبي فقالت آسية للذبا حين انصرفوا فان هذا الابن يدعى بني اسرائيل
 فانا آنى فرعون واستوهبه اباه فان وهبلى كتمت قد احسنتم وان امركم بذبحه فلا ولمكنتم ثم اتت به فرعون
 وقالت قرة عينى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فقال فرعون قرة عينك اما انافا لحاجه لى فيه قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والذي يملف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهواه الله تعالى به كما هدى
 به امرأته واسكن الله تعالى حرمة ذلك قال فازدان بذبحه وقال انى اخاف ان يكون هذا من بني اسرائيل وان
 يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تنزل آسية نكاهه حتى وهبه لها فلما أمنت آسية أرادت
 ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلقة القبط مو الماء وشى الشجر
 فمرب فقيل موسى (اخبرنا) ابن فتحويه اخبرنا محمد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علو بانه اخبرنا اسمعيل بن
 عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جو بير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر
 استظالوا على الناس وعملوا بالماصي ووافق خيارهم اشراهم ولم يامروا بالعرف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله
 عليهم القبط فاستضعفوه ومساومهم سوء العذاب وذبحوا ابناءهم قال ابوالياس قال وهب بلاني انه ذبح
 في طلب موسى سبعون الف ولد قال ابن اسحق عن ابن عباس ان ام موسى لما قارت بولدها وكانت تالمة من
 الفوايل التي ركان فرعون بحبالى بني اسرائيل مصا في لأم موسى فلما ضربها نطق ارسلت اليها ام موسى
 فقالت نزل بي منازل فلينفني حرك اباي فتاة لم نعلم فالت قبالة فلما وقم موسى على الارض اخذاه
 نور بين عيني موسى فارتش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها يا هذ ما جئت اليك حين
 دعوتني الا في رأي قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء
 مثله فاحتفظي لابنك فاني اراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الى بابها
 ليدخل على موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تقبل ما تصنع به خوفا على موسى
 فلقت موسى في خرقه والفتة في التور وهو مسجور وكان ذلك الها ما من الله تعالى لها لما أراد الله بعبد موسى
 فدخلوا فاذا التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها ابن فقالوا لها ما دخل عليك هذه العالبة قالت
 هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع اليها عقلها فقالت أخت موسى ابن الصبي قالت
 لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت فوجدته قد رجدل الله تعالى عليه النار بردوا سلاما فاحتمله
 (قال اسحق) بن بشر عن جو بير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ثم ان ام موسى لما رأت الخاح فرعون
 في طاب ولدان خافت على ولدها فقذف الله في نفسها ان تذبحه لتابوا ثم تذق في البر وهو النبل فانطلقت
 الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها التجار ما تصنعين بهذا التابوت
 فقالت اخبأ فيه ابناي وكرهت ان تكذب قال ولم قالت اخشي كيد فرعون قال فلما اشترت التابوت وحملته
 وانطلقت النجار الى الذبا حين ليخبرهم امرها فلما بال الكلام أمسك الله لسانه فلم ينطق فجعل يبشر
 بيده فلم تدرا لئامه ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضر بوه فضر بوه واخر جوه فلما اتهم النجار الى
 موضه رد الله عليه لسانه فالتكلم فانطلق ايضا بالامانة فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى بلسانه وبصره
 فلم يطق الكلام ولم يضر شيئا فضر بوه واخر جوه فوقع في وادي هوى فيه حيران فاشهد الله تعالى عليه ان
 رد له لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيثما كان فلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
 فخرته ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فامن به وصدق فانطلقت ام موسى به والفة في البحر وذلك بعد
 مالهضمة ثلاثة اشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان

لها كل يوم ثلاثة حايات ترفعهما اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها اطباء من مصر
والبحر فتنظروا في امرها فقالوا ايها الملك اننا نرى برأها لان من قبل البحر شيء وخذمنه شبه الانسان
فيؤخذ من ريقه ويلطخ به برصها فبأمر من ذلك وذلك في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا في ساعة
كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان في يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه
امراته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون وجوارها حتى جلست على شاطئ النيل مع جوارها
يتلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك اذا قبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون
ان هذا النيل في البحر قد تملأ بالشجر اتوني به فاقتدر من كل جانب بالبن حتى وضموه بين يديه فلما لجوا
فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كره فلم يقدروا فدنت منه آسية فأتت في جوف التابوت نور الميرة
غيرها للامر الذي أراد الله تعالى من اكرامها وهذا يتلوهما فالتفت التابوت فاذا هي بصبي صغير في هذه
والنور بين عينيه وقد جمل الله الرزة في ابهامه يمض منه البياض الفلقى الله تعالى بحجة موسي في قلبها وأحبه فرعون
وعطف عليه واقبلت بنت فرعون عليه فلما اخرجوه من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من
ريقه فلطخت به برصها فأتت فقبلته وضمته الى صدرها فالتفت الفؤاة من قوم فرعون ايها الملك اننا نظن
ان المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا المرم في البحر أو قلته فهم فرعون يقتله فاستوهبته منه
آسية فوجهها ثم انه قال سميه سميه موسي لانه وجد بين الماء والشجر قالوا ثم انم ام موسى قالت
لا اخته وكانت تسمي مريم قصيه اى اتبعي اثره واطا بيه هل تسمين له ذكر ام احمى هو ام قد اهلكته دراب
البحر ونسيت وعاد الله فصرت به على جنب اى عن يميني وروحم لا يشمرون انها اخته وكانت آسية قد ارسلت
الى من حولها من كل اشيء بما ابن اختها له ظئرا ترى به يميني فجدل كما اخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل لديها
حتى اشفقت آسية ان تمنع من اللبن فيعوت فاجزأه ذلك فامرت به فاخرج الى السوق لتجمع عليه الناس
ترجوان تصيب لاطفا يقبلها وياخذ نديها ووضع منها فلم يقبل ندي امرأة فذلك قوله عز وجل وحررنا
عليه المراضع من قبل فقالت اخت موسي حين اعياهم امره وأعيال الظفيرة هل اذكركم على اهل بيت يكفون له لكم
وهمل تاصحون فاخذوها وقالوا لها ما يدريك بصحهم له ولملك قد عرفت هذا الغلام فلدنيا على أهله فقالت
ما اعرفهم وانما نصحبهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبته في ظفيرة الملك ورجاء منفعة فتركوا فانطلقت الى
أما فاختبرتها بالخبر فأتت فلما وضعت على نديها في حجرها نزل اللبن من نديها حتى ملأ جنبه فاطلق البشير
الى آسية يبشرها ان قد وجد نالاً بك ظئرا فارسلت اليها فأتى بها فلما رأت ما يصنعها قالت لها امك شي عندي
ترضى ابني هذا فاني لم احب شيئا مثل حبه قط فقالت لا استطيع ان ادع ابني وولدي فضيعه وان طابت
نفسك ان تعطينيه فاذهب به الى بيتي وولدي فيكون معي ولاولى له الاخيرا فملت والافاني غير تاركة بيتي
وولدي وتذكرت ام موسي ما كان الله وعدها فاعتسرت على امرأ فرعون وايقنت ان الله سبحانه وتعالى
ممتيز وعده فرجعت بانها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسي عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها
وذلك قوله عز وجل فردناه الى امه كي تفرغ عنها ولا تحزن فلما اجابت به امه الى بيتها كادت تقول هو ابني
فمصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربنا على قلبها لتكن من المؤمنين وابنته
الله نباتا حسانا وحفظه فلما اترعرع قالت آسية لام موسي احب ان تربي ابي فوعدتها يوم اترها اليه فقالت
آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابني بهدية وكرامة فاني باعته بما بينه منكم
ما تصنع كل قهارمته منكن فلم تزل الهدايا والتحف تتدفق به من وقت ان اخرج من بيت امه الى ان دخل على
امرأة فرعون فلما ان دخل عليها اكرمته وفرحت به وعجبها ما رأت من حسن اثرها عليه ثم قالت لها انطلقى

فدخلت وسلمت على
القاضي فرد عليها السلام
ثم قال ما حاجتك يا شريفة
فقالت له ياسيدي اني
ثلاث بنات وقد تركتهن
بالجوع ورجعت اليك لملك
ان تصدق عليا بشيء من
بيت مل المسلمين قال فلما
سمع القاضي كلامها قال
لها غدا اعطيك شيئا قال
خفرت من عنده وجاءت
الى البنات وهن يبكين من
شدة الجوع فقالت لهن
يا بناتي طيبن قلوبكن فقد
وعدنا القاضي بانها في غد
يتصدق عليا وان شاء الله
تعالى غدا ارجع اليه كما قال
وايتيك بشيء من عنده قال
فبقيت تلك الليلة مستبشرات
فلما أصبح الصباح ذهبت
والدتهن الى بيت القاضي
فوجدته جالسا على باب
داره فسلمت عليه فرد
عليها السلام ثم قالت له
ياسيدي كنت وعدتني
بالامس بشيء وقد جئتك
طامعة في طلبه فلما سمع
كلامها اشتتمها ونهرها وقال
اذهي عني فرجعت المرأة
محزونة باكية وجاءت الى
خرابة كانت مجاورة لبيتها
فدخلت اليها وبكت بكاء
شديدا وقالت الهى باى
وجه ارجع الى بناتي وبأى
عين انظر اليهن وبأى
لسان اجيبهن وطال
بكاؤها وزاد تضربها
واتحباها قال وكان بالبلد

نصراني يقال له سيدوك
 وكان ذاملا كثير غلمان
 وكان قابله رقيقا بالاسلام
 فمضي مارا بتلك الحربة
 فسمع بكاء المرأة ونحيبها
 فطاش عقله وقال لبعض
 غلمانها اتوني بهذه المرأة
 فذهب غلمانها اليها
 واحضروها بين يديه فظفر
 اليها ودموعها تجري على
 خدها فقال ما يبكيك ايها
 الشريفة فقلت ان لي
 ثلاث بنات وقد تركتهن
 بالجور وقصعت عليهن
 قصصتها فقال سيدوك
 لعلها ان اعطوه الف دينار
 وبدله من القماش قال
 فاعطوها ذلك فاخذتهم
 المرأة ودعت له بالاسلام
 وذهبت الى بناتها فامترت
 لهن بدنان من ألوان
 الطمام ودخلت اليهن
 فاكلن وشعن ثم قالت
 انهم ارزقهن من نعمائك
 في الجنة فصلت لبناتها
 من ألوان الثياب قال فلما
 كان الليل راي القاضي في
 منامه كان القيامة قد
 قامت ثم اخذ القاضي
 ومضى به الى الجنة وجي
 به الى قصر على البناء وهو
 من ذهب احمر شراريفه
 من الدر الابيض يضي
 بين كل شراطين جارية من
 الخور الصين اشرق من
 الشمس وابهى من القمر
 فلما رآوه صاحوا في وجوهه

به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون اخذه ووضعوه في حجره فتناول موسى حلية فرعون حتى
 جنبها ونصف منها بعض شمرات وكان فرعون طوبى بل الحية وقال انه اطعم وجهه (وفي بعض الروايات) انه
 كان يلبس بين يدي فرعون وبيده قضيب صخر فضرب به على راس فرعون فنضب غضبا شديدا ودار تطير منه
 وقال هذا عدوى اطلبوب فاسر الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسمي الى فرعون
 وقالت له ما يدالك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل فقال له انما هو صبي لا يعقل وانما صنع
 هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امراتك فبه الحق واضع له حليما من الذهب والياقوت واضع له
 جمران اخذ اليها ياقوت وهو يعقل فاذبحوه وان اخذ الجمره علمت انه صبي ثم انه وضعت له طافية للذهب
 والياقوت وطافا آخره الجمره فهدموسي بده على انه باخذ الجواهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام
 يده الى الجمره فقبض على جمره ووضعها في فيه فجاءت على اسنانه فاحرقه وذلك الذي قال في قوله تعالى واحمل
 عقدة من لساني يفقهوا قولي ففعلت له آسية لا تزي الى قوله وانه صبي لا يعقل فكيف عن قوله وصرف الله عنه
 ذلك السوء فلم يزل عزبزا مكروما في بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه
 (ويروى) انه سئل ابليس هل احببت احدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له
 وكيف ذلك قال لان الله تعالى قال ولقيت عليك محبة مني فقامت ان احبته

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام)

قال كمب الاحبار كان هرون بن عمران نبي الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم بكلمة جؤدة وعلم
 وكان اطول من موسى وكان على اسمه شامة وعلى طرف لسانه ايضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران
 رجلا آدم اللون حداد طويلا كانه من رجل ازدي شنوة وكان بلاءه ان موسى عدة وقيل وسرعة وبجلة
 وكان ايضا على طرف لسانه شامة سوداء

(الباب الرابع في قصة قتلة القبطي وخروجه من مصر ووروده مدينا)

قال اهل التفسير يبلغ موسى بن عمران اشده كان يركب مراكب فرعون ولبس ما يلبس فرعون وكان
 يدعي موسى بن فرعون وامتنع به عن بني اسرائيل كثير من الظلم والسحر التي كانت فيهم ولا يعلم
 الناس ان ذلك الامن قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاءه موسى
 قيل له ان فرعون قد ركب مركب موسى في اثره وادركه القيل بارض يقال لها منصف فدخلها فنصف النهار
 وقد اغلقت اسواقها وليس في طريقها احد وهي التي قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من
 اهلها فبينما هو يمشى في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان احد عمران بن اسرائيل والاخر من آل فرعون
 كما قال الله تعالى فوجد فيهما راجلين يقتتلان هذان من شيعته وهذان من عدوه الآية والذي من شيعته يقال له
 السامري والذي من عدوه من رجل من القبط كان خبازا لفرعون واسمه قاتون وكان قد اشترى حطب الاله طبخ
 فبخرا السامري ليحمله فانتقم السامري فلما راه موسى استهانه السامري على القبطي فقال لموسى القبطي
 دعه فقال الخباز لموسى انما اخذته في عمل ابيك وابنى ان يخلى سبيله فنضب موسى فبطش به وبخاض
 السامري من يده فنازع القبطي فوكزه موسى فقتله وهرب لا ير بدقله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فضفي
 عليه قال موسى هذان من الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فقوله انه
 هو العفور الرحيم (وقال يهوب) اوحى الله الي موسى بن عمران وعزقي وجلالي لو كانت النفس التي قتلت
 اقررت لي طرفه عن اني اله خالق رازق لا زلتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تنفري ساعة واحدة
 اني اله خالق رازق قاتل ولا سقتل موسى القبطي لم يجرها الا الله تعالى والاسرائيلي فلما قتله اصبح في المدينة

وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والانصرة لسيدك النصراني ثم طردوا الغاضى واخرجوه من الجنة وأروه مقامه في النار قال قاتله الغاضى فزعا مرعوبا وهو يقول يا ويلته على ما فرطنى ثم خرج من وقته وسرعانتي جاء الى بيت سيدك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدك النصراني وقال من الباب فقل للغاضى فرجع الغلام وأخبره وولاه ان الغاضى بالباب فأنزله بالداخل فدخل فلما رآه سيدك رحب به واجلسه وقال ما حاجتك في هذا الليل فقال له الغاضى هل علمت من خير في هذه الليلة فقال سيدك انى بت في هذه

الليلة سكران فى اين لى فعل الحبر قال فلم يصدقه الغاضى وقال الذى علمته في هذه الليلة بشي بألف دينار فقال سيدك حرصا على هذه القضية اخبرني حتى ابيك قال فاخبره الغاضى بما رآه من منامه وما وقع من الغاضى فلما سمع سيدك النصراني هذه الروايات قام على قدميه واغتنل ولبس ثوبا جديدة وجلس بين يدي الغاضى

خائفا يتقرب الاخبار فانوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا نرخص لهم في ذلك فقال فرعون اثبتوا بقاؤه ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم ان يقضي بغير بينة ولا يثبت ذلك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فيبناهم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعونى فصادف موسى وهو نادى على ما كان منه بالامس ففكره الذي رآه فغضب موسى فشدده وهو يزبدان يطش بالفرعونى وقال للاسرائيلي انك افرى مبين ففر الاسرائيلي من موسى وظن انه يبشش به من أجل انه اغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما قبل انصره ومد يده ظن انه يريد قتله فقل له يا موسى اتر يدان تفتان كما قتلت نفسك بالامس الآية واما قال ذلك مخافة من موسى وظن ان يكون موسى اراده ولم يكن اراده وانما اراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فاخبرهم باسمع من الاسرائيلي وذكر ان موسى هو الذى قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العذر العاقل احرى عليك من الصدوق الاحق ويشد في معناه

ان الالباب اذا تزايد بنضه * احرى عليك من الصدوق الاحق

قال فلما اخبر فرعون بذلك أرسل المذبحين وامرهم بقتل موسى وقال لهم اطالبوه فانه غلام لا يهتدى الى الطريق فطالب موسى في نيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة قال له حزقييل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان ازل من صدوق موسى وآمن به (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقييل مؤمن آل فرعون وحبيب التجار صاحب بس وعين بن أبي طالب كرم الله وجهه والجنة وهو افضلهم قال فجاء حزقييل مؤمن آل فرعون فاخبر موسى بما امر به فرعون من قتله واخصر طريقه فاباح حتى سبق المذبحين اليه فاخبره الخير فذلك قوله تعالى وجاءه رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملائكة نزلت بك لقتلك فخرج اناى لك من الناصحين فحجر موسى ولم يدر اين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فأتبعه فهدها الطريق الى مدين (ويروى) عن سيد بن جبيرة عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال وبقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طام الاورى الشجر فواصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقول لتزى من بطنه

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شبيب ابنته اياه)

قالت العلامة لما انتهى موسى الى ارض مدين في ثمان ليال نزل في اصل شجرة واذ تحتمها زهرى الى قال الله تعالى ولما ورد مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراةين تذران اى تحبسان اغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء لانا امرتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا واشبههم ستمينا اغنامنا من فضول حاجتهم وما بقي من حياضهم او نواشيتهم كبير تعيننا شيئا (ويروى) حماد بن سلمة عن ابي حنيفة عن ابن عباس قال اسم ابى امرأة موسى الذي استأجره ثبرون صاحب مدين ابن اخى شبيب النبي عليه السلام واسم احدى الجارتين ليا وبقا حنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما قال ذلك لموسى رجهم وكان ذلك بعزى راسها صخرة عظيمة وكان الثفر من الرجال يحتمهون اليها حتى يرفوها عن راسها وحكى الاستاذ ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الواعظ ان تلك البئر غير التي تسمى منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرجع موسى الصخرة عن راسها واخذ دلوا لهما وقال لهما قدما عنكم فكفي لهما اغنامهما حتى اروها فرجعت الى ابيهما سر بما قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب انى لما نزلت الى من خير فقيل ان ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء

ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا
رسول الله ارسله جاءنا
بالحمدى ودين الحق
قال فخرج الماضي من
عنده با كبحزب فاناظر
ياخى الى البخل كيف
جعل القاضي من اهل النار
لبخله وجعل النصراني
من اهل الجنة بكرمه وختم
له بالخير والاسلام اعجب
هذا وما احسنه (وحكى
عن دى النون المصرى
رضي الله تعالى عنه) انه قال
بينما انا على شاطئ
النيل اذ رأيت عقربا
يشى فاخذت حجرة
واردت قتله فهرب منى
مسرعا حتى وقع فى البحر
فخرجت اليه ضفدعة
قوبت المقرب على ظهرها
ثم عادت به حتى طابت
الى الجانب الآخر وانا
انظر اليها فتجيت من
ذلك وتبعته فلما نزل
المقرب عن ظهرها سار
حتى اتى الى مكمل فيه
رجل ثامم سكران وقد اتى
اليه اثنين عظيم يريدان
يلدغه فاسرع اليه ذلك
المقرب ولدغ الاثنين فقتله
فازدت تعجبا ثم حمدت
الله سبحانه وتعالى وجئت
الى ذلك الرجل فايقظته
فقام من نومه فزعا مرعوبا
فلما راى اثنين ولى هاربا
فقلت له لا تخف قد كفيت

انسانا. ينظر الى خضره امعنه من شدة الجوع لنظرها وماسأل الله تعالى الا اكلمه وقال ابو جعفر محمد
الباقر لعنه قالوا انه ختاج الى شق مرة قالوا انما رجعت الى ابيهم فقال لهما ما اعجلكم وانتم عروا حكا ليلية
قالوا وجدنا رجلا جالسا فى حرمنا فسلمنا غنا ما فقال لاحدنا ما نهي قاديته الى فجاءته احداهما راعي التي
تزوجها موسى وهى تمشى على استحياء فقالت له انى يدعوك ليجزبك اجبر ما سميت لنا فقام موسى
فتقدمته وهو يليها اى يديمها فبعت ربح فالصقت ثوب المرأة بردفها فذكره موسى ان يري ذلك منها فقال لها
موسى امشى خلفى ودليني على الطريق قاءا اخطات فارمى قدامى بمحصاة حتى اتمج منها فابني بمقوب
لا تنظر الى اعجاز النساء فنمت له الطريق الى منزل ابيها ومشت خلفه حتى دخل على شبيب فسال شبيب
موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما راعي التي كانت
الرسول الى موسى يا ابت استاجر ان خيرى مستاجرت القوى الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم
أصدق النساء فراسة امرأتان كنههما نفر ستافى موسى قاصا نهما احداهما امرأة فرعون حين قالت قرعة عين
لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شبيب حيث قالت يا ابت استاجر ان خيرى مستاجرت القوى الامين
وانما قالت القوى الامين لانه ازال الحجر العظيم الذي لا يرفه الا اربابون رجلا فقال لها ابوها بك انك
عرفت قوته فلما علمك باماته فاخبرته بامرهما موسى من استنابها رايه الطريق فازداد فيه شبيب رغبة
فقال انى اريد ان نكحك احدي ابنتي هاتين على أن تاجرني ثمان حبيج الى قوله من الصالحين اى فى
حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال له موسى ذلك بيني وبينك ايا الاجلين قضيت الآية (وروى)
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاجلين قضى موسى قال اكلمها وافضلها وروى انه قال
قضى اوقامها وتزوج بصغيرهما

*) (الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبنه امرها) *

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ان شمعيا امر ابنته ان
تاتيه بمصا عليه موسى فستعين بها في رعايته فجاءته بمصا وكانت ثلاث العصا ودية عنده ودفعها اليه ملك
على صورة رجل فزدها عليها شبيب وامرهما ان تاتيه بمصا اخرى فبالزالت ترجع وتاتيه بها بهمينها لانها
كانت كلما ردتها الى مكانها وادارت ان تاخذ غيرها سقطت فى يدها فلما زالت كذلك حتى اخذها شبيب
واعطاها موسى فلما اعطاها اباهان دم على ذلك لانها كانت ودية عنده فقال له شبيب رد على العصا فاقب ان
يردها عليه فتنازعوا الى ان شرطوا على انفسهما ان يرضيا حكم اول رجل يدخل عليهما فانهما ملك يمشى
فتجما كياهما فقال ضمها على الارض فن حملها فى له فوضعا موسى على الارض فعالجهم الشيخ فلم يطق حملها
فاخذها موسى بيده فرفعها فلما راى شبيب ذلك تركها له وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شبيب ماشا
الله ثم استأذنه فى الانصراف فاذ له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من الهى تكون معك تدرك بها السباع
عنك وعن غنمك وكانت عصا الانبياء يومئذ عند شبيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت
في يده فخرج بهما فقال له شبيب ردوها وخذ غيرها وذلك ان شمعيا كان قد اخبر بالمراد بالعصا ولم يدرك شبيب ان
صاحبها هو موسى فزدها موسى الى البيت قالها هاوزبها لياخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك
مرارا فقال لشبيب الم اقل لك خذ غيرها فقال موسى قدر دنتها مرات فكلمنا ذلك وثبت حتى تصير في يدي
فلم شبيب ان ذلك امر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجها ابنته ورعى له موسى عشرين سنين
وولد لموسى اولاد من ابنة شبيب * قالوا ولما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شبيب
يزوره في كل سنة فاذا كل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال)

شرفه ثم قصصت عليه
 القصة فاطرق راسه ساعة
 ثم رفعها وقال يارب هكذا
 تفعل عن عصاك فكيف
 بمن اطاعك ثم قال وعزتك
 وجلالك ماعينك بعد
 هذا اليوم ابدنم ولي ثانيا
 الى الله تعالى رحمة الله تعالى
 عليه (وحكى عن ذي النون
 المصري ايضا رضى الله
 تعالى عنه انه قال بينا انا
 طائف بالبيت الحرام سنة
 من السنين اذ نظرت الى
 شاب فى الطواف من
 احسن الناس وجهه عليه
 مدرعة من الصوف وهو
 يضحك فى طوافه ويقول
 يا مولاي هذه حضرة من
 يفخر بمزك ولا يباس
 بسواك قال ذو النون
 قد نوت منه وسلمت عليه
 وقت حبيبي ومن الذي
 تنفى بهذا الكلام وانه
 يتخرف فقال يا عم انظر الى
 صاحب هؤلاء العبيد
 والامان فنظرت قائلا
 بشاب جميل وهو يمشي
 ويتختر في مشيه واثابه
 تجر على الارض فقات له
 يا حبيبي ومن يكون هذا
 الشاب فقال يا عم هذا عبد
 لا يملكك يفخر بكونه عبد
 وانا عبد الملك المنال الذي
 امير مكة عبده والاطمين
 واهل السموات
 والارض تحت قضاياه

مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما
 قدم مكة عبدالله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شىء من الجنة
 وضمه الله للناس وعن اول ما وضع في الارض وعن اول شجرة غرست في الارض فسل عنها فقال
 عبدالله اما الشىء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا اترك الاسود واما اول ما وضع
 للناس في الارض فبئر بروهت باليمن بردها وراح الكفار واما اول شجرة وضعه الله الى في الارض
 فاله وسجدة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فلى هذا القول انما اقتطع
 موسى عصاه من تلك الشجرة فاطمى الله فيها قرنه ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب
 الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يرضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله
 وماعلى بها ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس فاسأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه
 ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يرضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسميل
 وعصا موسى حيث ألغافا فصارت نعبا * وقال أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان
 طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها الناس صاغرا عن كبرالى أن
 وصلت الى شعيب فاقطعها موسى واختاب العلماء في اسمها فقال سميد بن جبيرة اسمها مسار وقال مقاتل
 ابن سليمان اسمها نقة وقال ابن حبان اسمها غايت وقال آخرون اسمها علق

(الباب السابع في صفة الما رب التي كانت في الموصى)

قال أهل العلم باخبار الماضين كان امصا موسى شميذان ومجمن في أسفل الشبتين وسانا حديد في
 أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قترضى شميذها كالشبتين من نار تضيءان له بعد
 البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمد على قدر قمر البئر وبصر في رأسها شبه الدلو فيستقي بها
 واذا احتاج الى الطعام ضرب الارض بها فيخرج مايا كل يومه وكان اذا اشتى فأكه من الفواكه
 غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتى موسى فأكتها وأعرت له من ساعتها ويقال
 كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فاورقت وأعرت وأطمت وكان يأكل منها
 اللوز وكان اذا قابل بها عدوه يظهر على شميذها تينان يفتانان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب
 المرتقى وعلى الحجر والشوك فتخرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينه ضرب بها
 عليه فاتفق وبدا فيه طريق منفرد وكان يشرب من احدى شميذها العمل ومن الاخرى اللبن وكان
 اذا أعيا في طريقه ركبها فتجمله الى أى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق
 وكانت تقا تل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيطيب وبطيوبه واذا كان في
 طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا
 وكذا وكان يهش به على غنمه ويدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضمه على عاتقه
 وعلق عليها اجهازه ومتاعه ومخلاته ومقاعده وركابه وطعامه وشربه قال ابن حبان قال شميذ موسى
 حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه مرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا لمنت مفرق الطريق فخذ على يسارك
 ولا تأخذ على يمينك وان كان السكائبها أكثر فان هناك تيننا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه
 فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها
 ذات الشمال فلم تظمه فخلها على مانيده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا بالتين قد جاء فقامت العصا
 فحار به فقتلته وانت فاستلفت الى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية

وقدره قال ذو النون
قد نوت من ذلك الشاب
المعجب بنفسه وقلت له
يا هذا كم تتختر وتأت عبد
لامير مكة وهذا الشاب
متأخر وهو عبد مالك
السهوات والارض
ويحسك تأخر عنه فهو
احق بالقدوم منك
فطوبى لك لو كنت مثله
قال غطاف الشاب
صاحب المدرعة الصوف
وطاف الشاب الآخر
وذهب الى بيته وقد أثرت
فيه المنة فاشترى نفسه
من سيده امير مكة وتصدق
بجميع ماله وما عاكه يده
ولبس مثل ما كان على
الشاب صاحب المدرعة
الصوف وأقبل يطوف
بالبيت في اليوم الثاني قال
ذو النون فلما رأى قال
يا سيدي أأمر في فقلت
من أنت رحل الله قال أنا
الذي كنت بالامس افتخر
بعبودية امير مكة فانا اليوم
أفتخر بعبودية ملك
السهوات والارض ثم قال
يا سيدي اترى مولاي
يقباني على ما كان مني من
تلك الذنوب قال ذو النون
فقلت نعم أبشر فانك اليوم
حبيب رب العالمين أما
علمت انه ملك يدعو
المدرين عنه فكيف
بالمؤمنين عليه فقال الشاب
الا كنت طيبت قلبى بمدما

والثنين مقتولا فلم موسى ان في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فنهذه ما ترب موسى اذا كانت في
يده * وأما إذا ألغاهما فرى انها كانت تغلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على
أربع قوائم فصير شهابها فساو فيه انواعا عشر نارا بخرسا لناصر ينف وصرير يخرج منه الهب النار
ويصير محجها عرفالها كأمثال النار تلتهب وعيناها لثعنا يكيلع البرق تهب منها رياح السموم فلا
تصيب شيئا إلا حرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكرواء فتبتلها حتى ان الصخور في جوفها لثقة مقع وتغر
بالشجر فتقتصمها بأنيابها وتحطمها وتفتتها وجعلت تلتطم وتترجم كأنها تطلب شيئا ناكه وكانت تكون
في عظم الثعابين وفي خفة الجان وابن الحية وذلك وافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع
فأذا هم ثعابين مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فأنها حية تسمى

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله إياه في الطريق وارساله الى
فروع واستماتته باخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فروع لتبليغ الرسالة)

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسيرة لا بداء لمساورد موسى أرض مدين
وأنى عليه من يوم مروه تسع سنين قال له شعيب ابى وهبت لك كل البقاء وأبقى من نتاج أغنامي التي تضمها
في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك ميرة موسى وصلة ابنته صغوراء امرأة موسى قال فوحي الله الى
موسى ان اضرب بعصاك الماء الذي في مستقي الأغنام ففعل موسى ذلك ثم تنى الاغنام من ذلك الماء فما
أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبقى وبقائه فلم يشيب أن ذلك رزق ساقه
الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أمم الاجالين
وأرقاها * فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه
امراته وراغما وهى في شهرها لا تدرى أن تضع ليلانا هارا فاتفقوا في بركة لتسام عادلا عن المائدان والعمران
مخافة الملوك الذين كانوا بالاشام وكان أكبرهم يومئذ طوب اخيه هرون واخرجه من مصر ان استطاع اليه
سبيلا فسار موسى في البرية غير عارف بطريقها فلما جاوز المسير الى جانب الطور الايمن الغربي في عشية شاتية
شديدة البرد واطلم عليه الليل واخذت السماء ترعد وتبرق وتطر واخذ امرأته التلق فمد موسى الى زنده
فقدحه فلم ينور فتجبر وقام وقد ان لم يكن له عهد بمثل ذلك في الزند واخذ يتأمل ما قرب وما بعد تخيرا رضيحرا
ثم اخذ يتسمع طويلا لم يسمع حسا او حركة فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نورا خصبه نارا
فقال لاهله امكنوا انى آنست نارا لملى آتيكم منها بقى ارجو اجد على الراهدى يعنى من يداني على الطريق
وكان فضل الطريق فلما أتاه رأى نورا عظيما يمتد من عنان السماء الى شجرة عظيمة عنك واختارها واني
تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتجبر موسى وارعدت فرائضه حيث رأى نارا عظيمة
ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة
الا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكرا حاجته الى النار فرجع
اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى انظر فلم
يراحدا فنودى انى ان الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم امره به تعالى فتداده ربه ان ادن واقر
فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهية خفق قلبه وكل لسانه وضعت بنيه وصار حيا كيت الا ان
روح الحياة تردد فيه من غير حراك وارسل الله اليه ملكا يشد ظهره وبقوى قلبه فلما تاب اليه عقله
نودي فاخلع نعليك انك بالواوى المندس طوي وكان السبب في أمره مجمل عليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله
الاصبهاني قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا الجالى قال حدثنا عيسى بن نواس

كان انصدع فجزاك الله عني

خيرا قال زولنون فلما كان
اليوم الثالث طلبته فلم
اجده فاستعنه فقال لي
رجل امض معي الى بيته
فحضيت معه الى بيت
الشاب فوجدته قسما
فتأخفت عليه أسفا
شديدا ووسأت عنه فقتل
لي انه دخل بيته أمس
ولم يجد حماره وبكى على نفسه
طويلا ليلته هذه فاصبح كما
ترى قال زولنون وعظماه
فاصعدا امره ولم يبق احد
بمكة حتى حضر جنازته من
الرجال والنساء والولدان
بغير داع لهم وخرجوا
يشيرون جنازته فلما دفناه
وانصرفا من عنده اخذني
البكاء والنحيب عليه فلما
كان الليل رأيته في المنام
وهو في احسن صورة
وعليه ثياب من السندس
والاستبرق فلما رأيته قام الى
واعنتني وقال يا سيدي اما
تعرفني قلت بلى ما فعل الله
بك قال غفرتي ونحو زعني
وقال يا سيدي هذه جنتي
وقد ابعتها لك فدونك ما
شئت فانا اليوم في مقعد
صدق عند ملايك مقدر
الايام اتقنا به وبعبادك
الصالحين آمين (وحكى عنه
ايضا رضي الله تعالى عنه)
انه قال ركبت في مركب
بمنة من السنين الى بيت

عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فاخلع نمليك قال كان ثمان جلد حار ميت
وفي بعض الاخبار غير مديوح (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نمليك كي تمس راحة قدميه الارض
الظيمة فتقله بركبته لانها قد تستمرت مرتين وقال سعيد بن جبيرة قال قاله ذلك لان الحفوة من انارات التواضع
والاحترام فقل له طأ الارض خائفا كما تدخل النكة لتجبر على الخروج من بركة الوادي وقال اهل الاشارة النمل
عبارة عن المرأة وذلك تاويله في المنام فقل له قرع قلبك من شغل اهلك ثم قال له تعالى تسكنة لقلبه وادهاها
لدهشته وما تلك يمينتك يا موسى قل هي عصاي الالية فقال الله تعالى آلفها يا موسى فالعاق فاذهي حية
تسمى قد صارت شعبا تهاقم او تحجبها عرفا لها في ظهرها وهي تترسها الزباب وهي كإساءة الله أن تكون
فراي موسى امرافطيا فبلى موسى مديرا ولم يعقب فناداه تعالى ان يا موسى اقبل ولا تخف منك من
الآثمين سنيدها سبيتهم الاول اي ردها عصا كما كانت ويثان ان الحكمة في امر الله تعالى اياها بالقاء العصا
قبل ان يصل الى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى اذ اراد اعل تلك الحالة عند فرعون فلما اقبل موسى
قال له خذها ان كانت عصاك ولا تخف لانه كان ادعى الملك فقال هي عصاي فنيه على ذلك وكان على
موسى جبسة من صوف فلفه على يده وهولها هائب فتودي ان احمر يدك خضمره عن يده ثم
ادخل يده تحت لحبيها فلما ادخل يده قبض قاذي عصاه على يده وبين شعبتها حيث كان بعضها
ثم قال له ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال في جيبك لانه لم يكن
للموسى سم واسع فضاق عليه فادخل يده في جيبه ثم أخرجه قاذي نور تلهب يكل عنه البصر ثم ردها
فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذا انك بهان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال
له اذهب الى فرعون انه طغي فقال موسى رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلوني واخي هرون هو
افصح مني لسانا الى قوله يكذبون فقال له يا موسى اني اوقتتك موقعا لا تجعل بعدد احد عليك ساطانا
دوني ولا ينبغي لمن يدلك ان يسمع كلامي وانت في اقرب الاماكن نبي وعلى موسى بوشة مدرعة من
صوف فنخلها بنخل من صوف ونياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكله
وبهداياه ويقوله يا موسى اطلق رسالي وانت بعني وسمعي ومعك قوتي وبصري بميثاق الى خلق
ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وعبدوني وغرته الدنيا حتى جدد حقني وانكرت نوبي
وزعم انه لا يعرفني واني احذق بعز وجلالي لولا الحجة والقدرة لالتان جعلتهما بيني وبين خلقي لبطشت
به بطشة جبار ينفضه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلوانت للاحاء
لخصبته وللارض لبلاتته وللجبال لكدكته وللبحار لغرقته ولكن - قط من عني وهان على وصنر
عندي ووسعا حلمي واما انني عنه وعن جميع خلقي وحق ذلك وانا خالق الغني والفقير لا غني الا من
اغنيته ولا فقير الا من افقرته قابله رسالي وادع الى عبادتي وتوحيدي والاخلاص لي وحذرت نعمتي
وباسي وذكروا آياتي واعلم انه لا يوم لنضي شيء وقل له فباين ذلك قولنا له تذكر او ينشئ به بحله
في خطابك اياه ولا يروعك ما أبسته من لباس الدنيا فان ناصيته يسيدي ولا يطف ولا ينطق ولا يتنفس
عن شيء الا بعلمي واخبره بان من العفو والمغفرة اسرع مني الى النضب والمقوبة وقل له اجب ربك
فانه واسع المغفرة وقد اهلك في طول هذه المدة وفي كل ما تدعي الربوبية دونه وتصعدن عبادته وفي
كل ذلك عطر عليك السماء وينبت لك الارض ويا بملك انما فية حتى لم تهرم ولم تستقم ولم تنفقر ولم تغلب
ولو شاء لعاجلك بالنقمة واسلبك ما عطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم امسك الكلام عن موسى سسبة أيام
بلالها ثم قيل له بعد سبع ايام اجب ربك يا موسى فيما كلمك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله تعالى

الله الحرام وكانت ممي
زوجتي وكانت حاملا فيبنا
نحن سائر من اذ كسرت
بنا المركب فنجوت أنا
وزوجتي على لوح من
ألواح السفينة فيبنا نحن
على ذلك اللوح اذاها قد
ولدت غلاما فصاحت
بني يا رجل ادر كني فاني
عطشانة فقلت أما ترين
حالا وما نحن فيه من
الغرق ثم رفت بصري الى
السماء واذا برجل صالح في
الهواء وبيده سلة من
ذهب فيها ركة من باقوتة
حمراء فيها ماء اشدياضا
من اللبن وبرد من النالج
واحلى من العسل فقال لي
هاك اشرب فاخذتها منه
وسقيت المرأة وشربت
فاذا هي اطيب رائحة من
المسك فقلت له من انت
يرحمك الله فقال عبد من
عباد الله تعالى فقلت له بم
وصلت الى هذه المرتبة
فقال تركت هواي لهواه
فاسكنني في الهواه ثم غاب
عن بصري فلم اره رضى
الله تعالى عنه ونعمنا به
آمين (وحكى عن بعضهم
رضى الله تعالى عنه) انه قال
كان عند نار رجل حداد
كان يدخل يده في النار
ويخرج بها الحديد المحمى
ولم تحس النار فقصدته
رجل لينظر صدق ذلك
الامر فله ادخل البلد سأل

بصيرا فقال الله تعالى قد اوتيت سؤالك يا موسى فجاهد بنفسك واخيك وكان قد خطر في قلب موسى
ان فرعون في باس عظيم وجند كثير واذا واهي وحيدان في بلدان فقال الله تعالى له انك اجدان عظيمان من
جندى وامامك اسمع وارى وابصر كما اكون مكم فلا تستغفمقان ولا تستقلان ولوشئت ان اتيه
بجنود لا قبل له بها فمات ولكن لم يزل ذلك الشقي الضعيف الذى قد أعجزته نفسه وجنوده ان الفضة القليلة
ولا قليل معنى تغلب الفضة الكثيرة باذنى ولا بهيجنكز بئته ولا بهولنك: عدته فلو شئت ان ازبلكا من
زينة الدنيا وهيجتها ما بهيت فرعون وملاذ انظروا اليها ويلم ان مقدرة تعجز عما آتيتك: فملت فلا
تأسفا عما ازوبه عنك اامن متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى في اواليانى وأصفى انا اذودهم عن نعيم الدنيا
ولذا كما يذو الراعى الشقيق غنمه عن المرائع الرديئة لكي تستكوا نصيبكم من كرامتى فى الاجل واعلم
انه لايزن بن احد من عبادى بزيته هي ابلغ من الزهد في الدنيا وهي زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه
في تلك المدة مائة ألف كلمة واربعة عشر الف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى
عليه السلام هم عرفنا ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام الخلق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة
واحدة وهي السمع وانى كنت اسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحي كلها فمرت انه كلام الله
تعالى (قالوا) ولما صمد موسى الجبل لما جاة الله تعالى صار الجبل عتيقا فلما نزل موسى عنه عادالى حالته
الاولى فلما رجع موسى بشيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده واراد ان يختبئه فامر الله تعالى ملكا
فدبده ولم يزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا في خرقة وناله الى موسى فاخذ حجرا من حلك
أحدهما بالآخر حتى حده كالمسكين من الحديد فثقت به ابده ثم ان الملك عاجل المقطوع من الختوت فقتل فيه
فيرا من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل اهل موسى مقيمين في ذلك
المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من اهل مدين ففرقهم فاحتلمهم وردهم الى مدين فكانوا
عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوزه بنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبش بهم
شعيب الي مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما ابته الله الى مصر لاعلمه بالظربى وكان الله
تعالى يهديه ويبله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا
ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونملين ركن بظل صائموا بيت قائما ويستعين بالصيد ويقول الارض
حتى ورد مصر فلما قرب من مصر اوحى الله تعالى اليه لا تخف ولا تتزعزع ثم اوحى الله تعالى الى اخيه
هرون بشره بقدم موسى وبخبره انه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وامره ان يرم
السبت غرة ذى الحجة متذكرا الى شاطئ النيل ليأتى موسى تلك الساعة قال فخرج هرون واقبل
موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفقوا ان كان يوم ورود الاسماء وكانت لفرعون
أسد تحرسه في غيضة محيطة بالمدينة من حوايلها وكانت ترد الماء غيا وكان فرعون اذ ذاك في مدينة
حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بساتين وانهار ذات مزارع وارض واسعة في
ربض الكل سور سبعون الف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة نولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها
وسقاها بالنيل واسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اخذها جندا من جنوده تحرسه ويجمل
خلال تلك الغيضة طرقات فاضى بمن سلكها الى ابواب المدينة معلوما ليس لتلك الابواب طرق غيرها فن
أخطأها وقع في تلك الغيضة فتأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يوما كله ثم
تصدمع الميل قال فلما اتى موسى هرون وكان يوم وريدها فلما راها الاسد مدت أعناقها ورؤوسها
اليها وشخصت ابصارها نحوهما وقذف الله في قلوبها الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على

عن الحداد فدل عليه فلما

نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما تصفه فأموله الرجل حتى فرغ من صنته فتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل اني ضيفك في هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فضي به الى منزله وتشي معه وبات هو وابوه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل في نفسه لعله استترمني في هذه الليلة فبات عنده ثانيا ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخى انى سمعت ما كرمك الله به ورأيت به يا أخى عليك ثم نظرت الى اجتماعك فلما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخى انه كان لى حديث عجيب وامر مطرب غريب وذلك انه كان لى جارة جميلة وكانت بهما ولما فرادتها عن نفسها مرأى عديدة فلم اقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة فحط وجذب وعدم الطعام وعم الجوع الا نام فيبينا أنا وبما من الايام جالس ببيتى وادا بفارح يقصرع الباب خرجت لا نظرا اليه فاذ بها واقفة بالباب فقالت

وجوهها يطأ بعضها باضحا حتى اندست في الغيضة وكان لها اساسه يسوسون واداة يدورونها اى بفرونها وبسلطونها على الناس فلما اصابها ما اصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشروا من أين أنوا ثم ان موسى وهرون انطاما في تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو اقرب ابوابها الى دتر فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد ليل ذى الحجة يوم فانام عليه سبعة ايام فبكاهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدري ان من هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها الرب العالمين وأهلها عبيده فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يقصص بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذي فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولوا وتايت عجايبا من رجاين هما عندي أعظم واشنع وانفع مما صابنا في الاسد وما كانا يقدران أن يقدمنا على ما قدم عليه الاسد خر عظيم واخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسمه ناداه سار موسى بأهله نحو مصر حتى أناها ليلاً فتضيف أمه وهي لا تعرفه فأتاها في ليلة كانوا ياكلون فيها الطفيل فترى في جانب الدار جأه هرون فلما ابصر ضيفه سأل عنه أمه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه فلما قدسوا وتحدثوا سأل هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تدارقا قال له موسى يا هرون انطاق معي الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعنا اليه فقال له هرون سمعنا وطاعة فقامت أمهم واصاحت وضجت وقالت أنشدك الله ان لا تذهب الى فرعون فيقتلكا فابيا عليهما ومضيا لمر الله تعالى فانطلقا اليه ليلاً فابيا الباب والتمس الدخول عليه ليلاً ففرعا الباب ففزع فرعون وفرح البواب فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابي في هذه الساعة فاشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون واخبره بما سمع وقال له ان هانا اننا نجنونا يزعم انه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لاسم الله تعالى حتى قدم مصر على باب فرعون هو واخوه هرون يلتسان الاذن عليه وهما يولان انار رسول رب العالمين فمكتفا بافتانيتين بدوا الى اباه ويروحان وفرعون لا يلم بهما ولا ينجري أحدا نخبه بشأنهما حتى دخل عليه بطاله يلعب معه ويضحك فقال له اباه الملك ان على بابك رجلين يقولان قولاً عجيباً يزعمان ان لهما إلها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فادخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فابيا فرعون فقالا انار رسول رب العالمين وقال تعالى فقالوا له قولاً لينا له يتذكر او يخشى (وروى) عمرو بن عبديع عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعذرا اليس له يتذكر او يخشى فقالوا له انك راو ما عداوا بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر او يخشى وعيدكما وهو عندي لا يتذكر ولا يخشى قال لكيل يقول أهلكته قبل ان اعذرا به قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقعوا عنده دعاه موسى بدعاء وهو لا إله الا الله الحليم الكريم لا إله الا الله العلى العظيم سبحانه رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرك بك في تحرة وأعوز بك من شره واستعين بك عليه فاكفني بما شئت قال فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف من الله خوفاً وتقس كريمة وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فأتاه فرعون ففرقه فقال له ألم تر بك فينا وليداً ولبنت فينا من عمرك سنين وفعلت فمكتك التي فقامت وأنت من الكافر بن متعالي ديننا هذا الذى هو الا ان تعبيه قال موسى فمكتها اذا وأنا من الضالين اى من

شديد فهل لك أن تطعمني
لله فقلت لها ما تملين ما أنا
فيه من حيك وما أنا فيه
من أهلك فطاعمك إلا
أن مكنتني من نفسك
فقلت الموت ولا مصيبة
الله تعالى ومضت إلى منزلها
فلما كان بعد يومين عادت
إلى وقالت لي كرامة الأولى
فاجبتها مثل جوابي الأولى
فدخلت وقعدت في
البيت وقد اشرفت على
الهلاك فلما جملت الظلم
بين يديها ذرفت عينها
بالدموع ثم قالت هذا الله
فقلت لا إلا أن تمكيني
من نفسك فقامت ولم
تأكل منه شيئا وخرجت
من عندي إلى منزلها فلما
كان بعد يومين إذا بها
تقرع الباب فخرجت
إليها وهي واقفة بالباب
وقد قطع الجوع صوتها
وقصم ظهرها فقلت
يا أخي اعينني الحيسل ولم
أقدر على التوجه لأحد
غيرك فهل لك أن تطعمني
لله فقلت ما لم تمكيني من
نفسك فاطرقت رأسها
ساعة ثم دخلت وقعدت
في البيت ولم يكن عندي
طعام فقامت واضرمت
الزار وصنعت لها طعاما
فأما تجهز الطعام ووضعت
بين يديها تداركني لطف
الله تعالى وقلت في نفسي

الخطيئة ولم أر بذلك القتل ففترت منكم لما خفتكم فوهب لي ربى حكما وجملي من المرسلين ثم أقبل
موسى بنكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال تلك أمة عنما أعلن عبدت بني إسرائيل أي اتخذتهم
عبدا انتزع إياهم من أيديهم فاسترق من شئت وقتل من شئت أي أعاصيرني اليك ذلك قال فرعون
ومارب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من مائه
الأنتم من أنكرتم لما قال موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الأولين قال فرعون أن رسولك الذي
أرسل اليكم ليجنونكم يعني ما هذا بكلام رجل صحيح العقل أفرع منكم إني إله أغري قال موسى رب المشرق
والمغرب وما بينهما إن كنتم تعلمون ثم قال فرعون لموسى إني اتخذت إله أغري لا يملك من المـجـونين
قال ألو جئتكم بشيء مبين تعرف به صدقي وكذبك وحقى وباطلك قال فرعون فأت به إن كنت
من الصادقين قالنى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين فأتته فأهاقه ملائكة ما بين جانبي القصر واضعة لحيها
الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجا من مدينة مصر رأسه
توجهت نحو فرعون تأخذه قافض منها الناس وذعر منها فرعون ونوب عن سريره وأحدث حتى قام
من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيها يزعمون لا يسئل ولا يتم خط ولا ينصدع أسسه ولا تصيبه
آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم إلا في كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما ياكل المولى لا يكون
له نمل فيحتاج إلى القيام وكانت هذه الاشياء مما ميزه أن قال ما قال لأنه ليس له من الناس شبيهه
(قالوا) فلما قصده الحية صاح يا موسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع إلاما أخذتها وأمكتها عني وأنا
أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فمادت عصا كما كانت ثم أن موسى نزع يده
من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور شاطِع
في الماء تكل عنه الأبصار قرأ ضاء ما حولها ودخل ضوءها البيوت ورؤى من الكوى ومن وراء
الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأولى قاو أفهم
فرعون بتصدقه فقام إليه هاما وجلس بين يديه ثم أنه قال له بنيائ أنت إله أعبد إذا أنت تابع لعبد فقال
فرعون لموسى أمهلني اليوم وغدا فاحي الله لموسى أن قل لفرعون أنك أنكمت بالله وحده عمرتك في
ملكك ورددتك شابطا يا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هاما فآخبره فرعون بما وعد
موسى من ربه فقال له هاما والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ثم قال له
هامان أنا أردك شابا فاني بالوشم تخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فذلك كرهه صلى الله عليه
وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورأه على تلك الحالة هاله ذلك فاحي الله تعالى إليه
لا بهولك ما رأيت فانه إن بليت إلا قليلا حتى يعود إلى حاله الأولى (وفي بعض الروايات) أن
موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأتيا على عجوز من أقرابه أمهما
وكان فرعون وجه الطاب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل أما في دارها وجاء الطلب إلى الباب والعجوز
منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليها فقلت منهن
سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فله الله موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكابة
العصا فيهن ثم أن العجوز أمنت بهما وصدقتهما

الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم

يوم الزينة إلى القضاء للمعاقبة

قالت العلماء بأخبار الانبياء أن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتياه من سلطان

ناقصه عقل ودين تمنح
من طامع لا قدرة لها عليه
وهي تنزد للمرة بعد المرة من
ألم الجوع وأت لا تنهى
عن مصيبة الله تعالى ثم
قلت اللهم أني تأب اليك
مما كان مني أني لأقربها
في مصيبة أبدأ فدخلت
اليها وهي تأكل فقلت لها
كلي ولا روع عليك فانه
لله سبحانه وتعالى فلما
سمعت ذلك رفعت رأسها
إلى السماء وقالت اللهم ان
كان صاذا خرم عليه النار
في الدنيا والآخرة قال
فتركتهما كل وقت لازبل
النار وكان ذلك في زمن
الشتاء فوقت بجرة على
قدمي فلم تحرقني فدخلت
اليها وأنا فرح مسرور
وقلت أبحري فان الله
تعالى اجاب دعاءك فرمت
اللغة من يدها وسجدت
شكرًا لله تعالى وقالت
اللهم أرني مرادى فيه
فقبض روجي هذه
الساعة فقبض الله روجها
وهي ساجدة رحمة الله
تعالى عليها ونعمتها وهذا
حديثي يا اخي والله
سبحانه وتعالى اعلم
بالصواب

(وحكى عن بعضهم عفا
الله تعالى عنه) انه قال كان
في بني اسرائيل رجل عابده
في كهف في الجبل لا يراه

الله تعالى على السحر فقال للملائكة انه انما امر ان قالوا اقتلوهما فقال لهما
الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال للملائكة
من قوم فرعون أرحمه وأخاه وابنت في المداين حاشر بن ياتوك بكل ساحر علم وكانت لفرعون
مدائن فيها سحرة معدة للامم إذا حزته (قال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله
تعالى في اليد والعصا ما رأى انال اناب موسى الابن هو مثله فآخذ غلمانا من بني اسرائيل فبث
بهم الى قرية يقال لها الغرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان في الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم
ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بثت الى السحرة فجاء بهم ومعهم معهم فقال له ماذا صنعت فقال
له معهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا نظيفه سحرة الارض الا ان يكون أمر من السماء فانهم لا طاقة
لهم به ثم ان فرعون بثت الى الشرط في ملكه فلم يتركوا في ملكه سحرا الا أنابوه واخلفوا في عدة
السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رؤساء القوم
وسبعون من بني اسرائيل (وقال الكشي) كانوا سبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذي يعلمهم السحر رجلا من
بجوسيين من أهل نينوى (وقال) كتب كانوا اثني عشر ألفا وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال
عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الأقاويل ما روي ان فرعون جمع
السحرة ومم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اخذ منهم
سبعائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمهم قلة مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن
جرير يوحنا وقال عطاء كان رأس السحرة باصبي مدائن الصبيد وكانا آخرين فلما جاءهم رسول
فرعون قال لا مهماد لنا على قبر أبنائنا فتلها عليه فأتاه وصاحا باسمه فاجابهما فقالا ان الملك وجه الينا
رسولا لنقدم عليه لانه أتاه رجلا ليس معه سلاح ولا رجال ولها عز وفضل وقدر الملك زرعنا من
عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلى الحديد والخشب والحجارة فاجابهما
ابوهما وقال انظرهما ذاهبا نانا فاذا قدرتم ان تسلا المصاف سلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو قائم
فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكتابيه ولا للملك ولا للبرع أهل الدنيا ثم
انهم انياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصصهما العصا قالوا ثم الله واعد موسى غدوة يوم الزينة
وكان يوم سوق لهم عن سبعة بن جبر عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم
من السنة وهو يوم النبروز وكان يوم عيد لهم فاجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم كان معهم بالمقات بالاسكندرية ويقال بلغ نوب الحية الجزيرة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم
ان السحرة قالت لفرعون أني لنا لاجرا ان كان نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذالم المفربين يعني
في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه اخوه هرون حتى أتيا الجمع
وفرعون في مجلسه مع اشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تنفثوا على الله كذبا
فيسحقكم بهذا وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ماذا يقول ساحر
فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا التاجوى فقالت السحرة لنا بينك اليوم بسحر نمرذله
وقالوا بزة فرعون نال نحن الغالبون وكانوا قد جاءوا بالعصى والخيال يحملها استوزيرا فلما ابوا الا الاصرار
على السحر قالوا لموسى امان ناتي وامان نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصمكم
قالة واقادى حيات كذالك الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضهم بعضا تسمى ذلك قوله تعالى يخيل
اليه من سحرهم انها تسمى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لمصيا في أيديهم ولقد

يتوضأ منها و يشرب منها
و يقتات من نبات
الارض وكان يصوم النهار
و يقوم الليل لا يقتر عن
الدابة و عليه انوار السعادة
فسمي به موسى عليه
السلام فقصده بالنهار
فوجده مشغولاً بالصلاة
والاذكار ثم قصده بالليل
فوجده مشغولاً بتسجدة
الجليل فسلم عليه موسى
عليه السلام و قال له يا هذا
ارنني بنفسك فان المولى
كرم فقال يا بني الله اخاف
ان اؤخذ على غفلة فيمضي
نحيي فاكون مقصراً بخدمة
ربي فقال له موسى عليه
السلام هل من حاجة الى
مولك يا هذا فقال نعم سله
ان يطعني رضاه ولا
يشغاني باحد سواه حتى
يتضى نحيي و القاد قال فلما
صعد موسى عليه السلام
الى مناجاة ربه واستغفر
في لذة كلام خالقه نسي
كلام العباد فقال الله
عز وجل يا موسى ما قال لك
عبدى العابد فقال موسى
يا رب انت اعلم بما قال فقال
الله تعالى يا موسى اذهب
اليه وقل له بتعبك ماشاء في
الليل والنهار فانه من اهل
النار الماسية قبله من الذنوب
والا و نازقناه موسى عليه
السلام واخبره بما قاله

عادت حيات و معاصي هذه فلما حدث نفسه بذلك اوحى الله اليه لا تخف انك انت الاعلى و اني
ما في بينك تلقف ماصنوا و انصاعنوا كيد ساحر و لا يفلح الساحر حيث اتى ففرح موسى ثم انه انقضى
عصاه من يده فاذا هي ثمان مئين كاعظم ما يكون من الثمان مائة اسود مد لهم يدب على ارجع قوائم قصار
غلاظ شداد و هو اعظم و اطول من تحت عظم و له ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه
وعنقه و كله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه و قصمه و يكسره و امه الصخور الصم الصلاب
و يطحن كل شيء و يصرم الحيطان و البيوت نفسه ذار و عينان لتهتان ناراً و منخران يهتجان سموماً
و على مرفقه شمر كمال الزماح و صارت الشيطان له فاسمته اثنا عشر ذراعاً و فيه انياب و اضراس لها
خبيخ وكشيش و صريف و صرير فاستمرضت ما ألقت السحرة من حبالهم و عصيهم و هي تخيل في أعين
الناس و عين فرعون انها تسمى فجعلت تلفقها و تبلمها و احدا و احدا حتى لم ير في الوادي الا قايلاً و لا كثيراً
ثم ألغوا و انهم قوم فرعون هاربين متقلبين فترجوا و اتضا غطوا و وطى بهمهم بضاحتي مات منهم
يوئذ في ذلك الزحام خمسة و عشرون ألفاً و انهم فرعون فينهمز فرعون متخوفاً مرعوباً باذاباعقه و قد
استطلق عليه بطنه من يومه ذلك ربعانة مرة فصار يحصل له ذلك ربعين مرة في كل يوم و ليلة على
الدوام الى ان هلك فلما انهمز الناس و عابن السحرة ما عابوا قالوا ليهضمهم لو كان ساحراً ما غلبنا و لا خفي
عليه امره و لو كان سحراً فان حبالنا و عصينا قال في السحرة سجداً قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
و هرون و كان فيهما اثنا عشر مبعوثين شيوخاً قد انحنت ظهورهم من الكبر و كلوا عملاء و رؤساء و كان
رؤس السحرة خمسة نفر ساور و غادور و حفظ و خطاط و مصفا و هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من
سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك اسف و قال لهم متجداً آمنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر الى قوله تعالى اسعدنا ابداً بقى قالوا ان نؤثر على ما جاءنا من البينات الاية فقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف و صلبهم في جذوع النخل و هو اولى من فعل ذلك فاصبحوا سحرة كفرة و امسوا
شهداء بررة و رجع فرعون مغلوباً بهمزوماً مكسوراً ثم انى الاقامة على الكفر و التماهى في الشر
فتابع الله عليه الاية و اخذه وقومه بالسنين الى ان انت اهلهم ثم ان موسى عاد راجعاً الى قومه و اعصا
على حالها حية تنبته و تبصيص حوله و تلويذه كيالو ذالك الكلب الالوف بصاحبه و الناس ينظرون اليها
و يتعجبون منها و قد ملأ رعباً فلم يزل العصا على هيئة الحية و الناس يتحدثون و ينظرون اليها و يتضاغفون
و يتضاغظون حتى دخل موسى عليه السلام عسكره بني اسرائيل فاخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت
اول مرة و شئت الله على فرعون امره و لم يجد الي موسى سبلاً و اعزل موسى مدينته و لحق بقومه و عسكره
و كانوا يجتمعون الي ان صاروا ظافرين

﴿ الباب الثاني عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته

ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من اصحاب فرعون نجاراً و هو الذي صنع لام موسى التابوت حين ولدته
والقته في البحر و قيل انه كان خازناً لفرعون قد خزله مائة سنة و كان مؤمناً خالصاً بكنهه ايمانه الى ان
ظهر موسى على السحرة فظهر حزقيل امره فاخذ بومئذ و قتل مع السحرة صلباً و هو الذي ذكره الله
في الفرقان في قوله تعالى و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابق الائمة ثلاثة لم يكفروا بالله طرفه عين حبيب التجار مؤمن آل بس و حزقيل مؤمن آل فرعون
و على مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم و هو افضلهم و اما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون

وخطاياها فقال العابد
مرحباً ببقائه وحكمه
وكل شيء به من قدرته ثم
بكى وقال يا موسى وعزته
وجلاله ما برحت عن بابه
ولو طردني ولا حلت عن
جنبته ولو احرقتني ومزقني
ثم انشد يقول من الذنوب
لوقطعتي القرام ارباراً
ما ازددت الى لذتك الا

حياً

مازالت به أسير وجد
وضني

حتى يقضى على هواي نجوا
قال فلما صمد موسى عليه
السلام الى المناجاة قال
إلهي انت اعلم بما قال
عبدك العابد فقال الله
عز وجل يا موسى اذهب
اليه وبشره انه من اهل
الجنة وقدا ركبته الرحمة
والمنة وقيل له تلقيت
قضائي بالصبر والرضا
ورضيت مني بالصبر
الحكم والتضاضا فلوملات
ذنوبك السموات
والارض والفضا وملا
جميع الاقطار انقبت اليك
واما العزير النصار قان
ففرح موسى عليه السلام
واخبره بما قاله امرئ السلام
فتخ العابد ساجدا لله
تعالى وحده به في ارضه
سجوده حتى قضى نحبوه
رضي الله تعالى عنه ونعمنا
به وغفر له اوله آمين

وكانت مؤمنة من امان الله الصالحات الا انها كانت مع بنات فرعون تخدمن وكان من قصتها ما اخبرنا
به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى في مدينت
برائحة طيبة فملت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها
كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون اني قالت لا بل
ربي ورب ابيك فقالت لها الاخيرين بذلك اني فلما اخبرته دعاهوا بولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي
وربك الله فامرهم من نخاس فاحي وأمرهم بولدها ان يلقوا فيه فقالت له اني اليك حاجة فقال وما
هي قالت تجمع عظامي وعظام يدي فتدنها قال ولا ذلك لمالك علينا من الحق ثم أمر بولدها فالتفوا
واحدوا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولد اصديا رضيعا فقال اصبري يا امه فانك على الحق
فالتقت في التنور مع ولدها ففسل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد اربعة عيسى بن مريم
وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى
قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بنى اسرائيل
وكانت مؤمنة مخلصه وكانت تعبد الله سر آحتي انها كانت لتعمل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في
مركزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى ان قتل فرعون امرأه حزقييل وكانت آسية مطلومة من
كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقييل كيف تمذب وتمتذب فلما اقتلت الماشطة عاينت آسية
الملائكة وقد عرجت بروحها لما اراد الله تعالى من كرامتهم او ما اراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقاً
في قنبيها كذلك اندخل عليها فرعون وجعل يحرقها بنجور الماشطة امرأة حزقييل وما صنع بها فقالت لآسية
الويل ليك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها الملك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبك فقالت
ما اعتراني جنون والى كنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها
الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت انك تكفري به موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة
فرعون فيما اراد فابت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما فعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فهدت بين
اربعة اوتاد ثم مازالت تمذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد عن ابن
عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها التذخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فاشكت
اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم يجد للعذاب المسالى ان ماتت في عذاب
فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الاية فارحى الله اليها ان ارمى رأسك
فقلت فرأت البيت في الجنة من در فضحك فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في

الباب الثالث عشر في بناء الصرح

قل الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لآية قالت الهامان كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل
باب من ابواب الملك واللة لمط والتمرة والتنعيم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى
استمدهم فمعدوه وادعى الربوبية فنبهوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود
والشوك والعدة والعدد وكان قد بلغ من حجة جسمه واعتدال طبيعته وخائنه وقوة تركيبه وبنيت انهر بما
لبث أو بعين يوم اولية لا يخرج منه شيء الامرة واحدة وهو مع ذلك ياكل ويشرب ولا يبرق ولا يتخط
ولا يتنحج ولا يسل ولا يخذل وجمع في بطنه ولا ترمد عينا ولا يمرض ولا تصيبه آفة في نفسه ولا كراهة
قالوا بلغ من املاء الله تعالى له انه كان يركب كل صمب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون

اربعاً مائة سنة لا يرى مكرها ولو كان في تلك المدة أدرك جوع يوم اوحى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسم فلم يسه سوء ولا مكره ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبهم فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعداً ونازلاً مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدرجهم فلباغين من أمر موسى ما عين لم يزد ذلك الا عدواً واستكباراً وعلم من قومه العرب والحرف فخاف عليهم ان يؤمنوا بموسى ويحبوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد اركانه فقال لوزيره يا هاما ابن لي صرحاً لم يبلغ الاسباب اسباب السموات قاطع الى إله موسى وانى لا ظنته كاذباً فامر هامان ببنائه فجمع له العمال والقلة ولم يترك احداً يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاحياء ممن يطبخ الأجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامر فلم يزل يبني الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدرجهم منه وأتاه الأمر على ما يريد الى ان فرغ منه في سبع سنين فانرفع ارتفاعاً لم يبلغه بانيان أحد من الخلق من ذنخاق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاحوى الله تعالى اليه ان دعاه وما يريد فاني مستدرجه وآخذة بنته وانى يبطل كل ما عمله في ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يلمسه الا الله تعالى فلما أنم بنائه بمش الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضرباً فقطعت ثلاث قطع فوقت قطعة منه في البحر وقطعة في الهند وقطعة في المغرب قال الضحاك بمش الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقتل به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفى ألف رجل قالوا لم يبق احد ممن عمل فيه الأصابه موت او حريق او عاهة فسامن نجار واحد او بناء الا يستيده واما الذين كانوا يطبخون الأجر والجص فاتهم احترقوا عن آخرهم واما القارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تنفعه شيأ فعمز على قتال موسى وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم نام عسكر فرعون قالوا لموسى انك لاساحر وانت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتريته ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألفتك أمك في اليم قبجك وبفضالك لمساغمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنذك فرعون من الفرق استدركك من الموت فأتوك وكفلك ودباك واتخذك ولداً ثم فرت منه أباً كافراً وجنحه عدواً محارباً فاستنمعتين عنك حتى تردك الى عبادته وخدمته وانذيتك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقدم انه لا يبغي عنهم مجاهمة موسى لمسايق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتهلام الله بالماذب واللايات

الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابلى الله بها فرعون وقومه حين

دنا هلاكهم اظهاراً لقدرته والزما لحجته

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس ولفى البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من اثمارهم (قال قتادة) اما السنون فكانت يباديتهم ومواسمهم واما نقص الثمرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى فارسنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) في ذلك الطوفان ماهو (قال) ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طفي فوق حروثهم فأهلكوا وقال الضحاك هو الفرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذر يبع الجارف وروى

رضي الله تعالى عنه) انه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة اريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فاذا بشاب حسن الثياب نظيف الثوب في بعض أرجاء المسجد ساجداً لله تعالى وهو يحمد بالكبكاه فلم أشك انه ولي لله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول فاذا هو يقول عليك يا ذا الجلال ممتددي طوبى لعبد تكون مولاه طوبى لمن بات خائفاً وجلالاً يشكوا الى ذي الجلال لواه وما به علة ولا سقم اكثر من حبه لمولاه اذا خلا في الظلام مبتهلاً أحابه الله ثم لباه قال ولم يزل يكرر من قول عليك يا ذا الجلال ممتددي وهو يبكي وانا ابكي شفقة عليه ثم ذكر كلاماً طامعاً وسمع قائلاً يقول هذا الجواب لبيك عبيد فانت في كني وكل ما قلت قد سمعناه صوتك تشفق ملائكتي وذنبك الآن قد غفرناه قال فقلت لعل هذه الرقية والجماع المذكورين في حالة النوم او في غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك في لبيك وبارك فيك من انت ترحمك الله فقال راشدين

سلمان فمرته لما كنت

اسمع من امره وخبره
أو كنت غني لعماء فلم أقدر
على ذلك حتى يسره الله
تعالى لي فقلت له هل لك
ان تصحبني فقال هيأت
وهل يانس الخوفاين من
يتلذذ بنا جوارب المعلنين
او والله لو خرج على عصرنا
هذا أحد من أصحاب
النبيات الصالحة لقالوا
هؤلاء احزاب لا يؤمنون
يوم الحساب ثم غاب عن
بصري فلم أره فاشتقت
مرافقته ثم سألت الله تعالى
ان يحمله بي في قبيل الموت
فلما كان بمضى الاعوام
خرجت جاحا الى بيت
الله الحرام فادبه في ظل
الكعبة واذا بنفر يقرؤن
عليه سورة الانعام فلما
نظر الى تبسم وقال هذا
لطف العلماء او تواضع
الاولياء ثم قام لي واعتنقني
وسلم على وقال هل سألت
الله تعالى ان يجمع بيننا قبل
الموت قلت نعم فقال الحمد
لله على ذلك ثم قلت له
بحرك الله اخبرني عما
رايت تلك الليلة وسعدت
فشبهك شهقة فظننت انه
قد اتفق حجاب قلبه
وخرمه شياعليه ثم تفرق
النفر الذين كانوا يقرؤن
عليه فلما افاق قلت يا أخى
ما هؤلاء النفر الذين كانوا
يقرؤن عليك فقال هم نفر

ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلة أهل النين أرسل الله الطاعون على
أبكار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهن باقية وقال ابو قتادة الطرافان الجري فهم اول من
عذب به بقى في الارض والجراد والقمل (واختلفوا) في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن
عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحظرة وروى عن أني طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدي
وقتادة والنكبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر بن
قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن اسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة
الحسن والقمل يفتح القاف وجزم الميم وقال ابو عبيدة هو أنثان وهو ضرب من النفران قال ابو العالية
أرسل الله الجنان على دوابهم فأكاه حتى لم يبق منها شيء ولم يقدر واعلى المير قال أمية بن ابى الصلت الثقفى
أرسل الذر والجراد عليهم وعذابا فاهلكتهم ديورا

(باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم
في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله فملوا بمقهورا انصرف
موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فامر فرعون قومه ان يكفوا بني اسرائيل بالاطية تون فكان
الرجل من القبط يحجى الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشوي واغلف دواني
واسق لي ونجى القبطية الى الكريهة من بني اسرائيل فكفها بالاطية و لا يطعمونهم في كل ذلك
خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكلوا لانفسكم ما تأكلون فمشكوا ذلك الى موسى
فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والماقية للمعتقين قالوا يا موسى
او ذينامن قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئنا كئنا نطعم اذا استعملونا من قبل ان تأتينا فلما جئنا استعملونا
ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم بعني فرعون والقبط يستخلفكم في الارض يعني
الشام وصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التواذي على الكفر والاقامة على المر والظلم
دعا موسى ربه فقال يا رب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبني وعنتا وان قومه يتضامونك
واخلقوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلهم لهم نعمة ولقومي عظة ولن ابدعهم من الامم اعتبارا فتابع
الله عليهم الآيات المفصلات بعضهم في اثر بعض فاخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم
الطوفان وهو الماء ارسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مشبكة بخطة بعضهم في بعض فاملاوت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم من جالس منهم
غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه اراضيهم وركد
فلم يقدر على ان يجر ثور ولا يعملوا شيئا حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الذباب فؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى
ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى اشر ما كانوا عليه فابست الله
تعالى لهم في تلك السنة من السكلا والزروع والثمار ما لم يثبت قبل ذلك فاعتشت بلادهم واخصبت فقالوا
هذاما كنا نتني وما كان هذا الماء الا نعمة او اوما برسنا ان لم نطر فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله
عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وراق أمجراهم وزهرها حتى انها كانت لتاكل الاعواب
والثياب والامعة وسدوف البيوت والخشب والمساير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد
بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فمجهج وارضجوا وقالوا

من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون موسى في كل عام ثم ودعى وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرق ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه (وحكى عن عبد الله بن الأحنف رضي الله عنه) ان قال خرجت من مصر اريد الرملة ان يارة الشيخ الزبدي رضي الله تعالى عنه فأتاني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل ادلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصبر وفان فيدشخا وشابا جرحه اعلى حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لا تغترب باقي عمرك قال فمرت اليهما حتى دخلت عليهما وانا جائع عطشان وابس على ما يستترى من الشمس فوجدتهما مستبطين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلماني فقلت اقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتاني فرفع الشيخ راسه وقال يا ابن الاحنف ما اقل سمعك حتى تفرغت الدنيا ثم اطرق راسه فقلت بين ايديهما حتى صلبنا الظهر والعصر فذهب عني الجوع والمطش والصب فسلمت للشباب عظمي بشيء ياسيدي اتفق به فقال نحن اهل المصائب ليس لنا

يا موسى ادع ابا ربك بما عهد عندك انك كشفت عن الجرد لؤي بن لك وارسلمن معك بني اسرائيل فانتطوه عهد الله وميثاقه فسال موسى ربه فكشف الله عنهم الجرد بعدما قام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فاشاد الى المشرق بالامضاء ذهب الجرد من حيث جاء كان لم يكن (فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجرد)

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجرد يقول اللهم اقطع الجرد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ باقواهم عن ما يشاء وأزرقنا انك أنت سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله هلاكه وقطع دابرهم فقال نعم الجرد ترحوت من البحر (قال ابن علانة) وحدثني من رأى الحوت ينثوه باسناده عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجرد مكتوب جند الله الاعظم * وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجرد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغم لذلك فارسا راكبيا الى اليمن وراكبيا الى الشام وراكبيا الى العراق يسألون هل رأوا شيئا من الجرد اولا فاتهوا راكب الذي دخل النجف بقبضة من الجرد فلما في يده فلما آه كبر لانهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها سائة في البحر وأربائة في البر قال شيء هلك من هذه الامم الجرد فاذا هلك الجرد تنابح مثل النظام اذا قطع سلكه * وباسناده عن أبي اسامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سالت ربهما أن يطعما لحم لادم له فاطمهما الجرد فقلت اللهم أعشه بفريضه وتابع بينه بفريضه فقلت يا أبا المضيء ما الشيع قال الصبوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك تصيبا مفرضا قال تعالى وأنا مختزن من خلقي جندا هو الجرد فقال ابليس وأبا جندى النساء هن شبكتي التي لا تخطيء أبدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي كان يقول كان ببيت رجل صالح يذكرانه رأى رجلا صالحا راكبيا على جرداة قال وعليه خفان طو بلان أظنه آخرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول يده هكذا فحينما أشار استأق الجرد الى ذلك الموضع فبينما ان ذلك الرجل ملك الجرد قال فاقم قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك ان موسى أمر أن يمشي الى كتيب أعفر بقرة من قرى مصر تدعى عين سمس فشى موسى الى ذلك الكتيب وكان مهبطا عظيما فضر به بعصاه فانها لعل عليهم القمل فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فاكلها وحلحس الارض كلها وكان يدخل بين نوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يا كل أحدهم الطامام فيميت قلا حتى ان أحدهم لبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم رفع فوقها الطامام فاذا صعد اليه ليا كاه وجده ملي قلا قلا أصبوا ببلاده كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشداهم وأبشاهم وأشفاهم عيونهم وحواجهم ولزمت جلودهم كانوا الجدري عليهم ومنعتهم النوم والفرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سميد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فسكان الرجل يخرج عشرة أفقزة الى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أفقزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر اربأ أيها العالم اما تتوب ولانود قاعد لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في اقطار الارض واطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد ودعوا الى أخبث أعمالهم وقالوا كتنا تملأ أحق ان نسقيك أن مرسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل

ثلاثة ايام بلباها لم آكل
ولم اشرب فلما كانت
عشية اليوم الرابع قلت في
نفسي لا بد من سؤالهما في
موعظته أنفع بهما فرفع
الشاب رأسه وقال عليك
بصحبة من يذكرك الله
تعالى ينظره ويمطك بلسان
فملا بلسان قوله ثم اتفت
فلما رما خزنت على فراقهما
رضي الله تعالى عنهما ونفعنا
بهما وبركانهما آمين

(وحكى عن ذى النون
المصرى رضى الله تعالى عنه)
أنه قال وصفي رجل من
انساده باليمن من الخائفين
سما على المجتمعين وهو
بصلاح الناس معروف
وباللب والحكمة والخشوع
موصوف قال فخرجت
حاجا الى بيت الله الحرام
وزيارة النبي عليه الصلاة
والسلام فلما قضيت حجاجي
قصدت زيارته لاسمع
كلامه وأنفع بمعرفته
وكان معي جماعة يطلبون كما
أطلب من البركة والدعاء
وكان في جملتهم شاب عليه
سمي الصالحين ومنظر
الطائفين مصفر اللون من
غير سقم أعشى العينين من
غير رمد محب الخلوة ويانس
بالوحدة كانه قريب عهد
بمصيبة فقل له ان رفق
بنفسه فلم يجب وأنشد
يقول مشرا

الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن وترسل معه بني اسرائيل ففداها لك ررنا وحرورنا وأذهبوا والناس
أن يفعل أكثر من فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبدا ولا تنبئه فدعا عليهم موسى بدماء فاه واشهر في عافية
وقبل اربعين يوما فوحى الله تعالى اليه وأمره ان يقيم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالصالى
أذناه وأقصاه واعلاه وأسفله ففعل ذلك ففتت به له الضفادع بالتيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضها
وأوسع أذناها أقصاها ثم انما خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا نحو باب المدينة فدخلت
عليهم في بيوتهم وبنته وامتلأت منه أنفيتهم وآبنتهم وكان أحدهم لا يكشف فو بالاناء ولا طعاما
ولاشربا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم ان يتكلم فتنب الضفادع في
فيه وكان احدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه
ركاما حتى لا يستطيع ان ينصرف الى شقه الا يمن ولا اليسر وكان احدهم يفتح قاذلا كتبه فتنسقه الضفادع
فيه وكانوا لا يعجزون شيئا من المعجز الا انشدت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تنسب في
نيرانهم فتطفئ اوف طعامهم فتغده فلقوا منها اذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع
برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وطاعت فجعلت تغرق أنفسها في القصور وهي تنفوس في
التناير وهي مسجورة قائلها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم
أمرهم حتى كانوا يلجئون وصارت المدينة وطرقها ملوثة عجينا من كثرة ما يطبخونها باقدامهم وأروحت البقاع
كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكروا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا
نعود فاخذ على هذا عهدهم وهو ان يقيمهم ثم ان موسى دعار به فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروي ان
موسى امر ان يمتف بصاه ويميل ففعل ذلك فانتشع ما كان منها حيا فلقق بالنيل وارسل الله على الميتة ريحا
ففتحت عن مدينتهم بدماء ما قامت عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فاه واشهر في عافية وقيل اربعين
يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم وذلك ان الله تعالى
أمر موسى ان يذهب الى شاطئ البحر فيضرب بهم عصاه ففعل ذلك فسالت عليهم النيل دما وصارت مياههم كلها
دما وما يشقون من الانهار والآبار الا وجدوه دما حمر عبيطا فشكروا ذلك الى فرعون وقالوا اناءنا ابلينا
بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجال على الاناء الواحد
القبضى والاسرائيلي فيكون ما يلى الاسرائيلي ماء وما يلى القبضى دما عبيطا وكان القبضى والاسرائيلي
يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبضى دما وماء الاسرائيلي ماء عذبا وكانا يقولان الى الجرة التي فيها ماء
فيخرج للاسرائيلي ماء وللقبضى دم حتى ان المرأة من آل فرعون نالت الى المرأة من بني اسرائيل حين يجدها
المطش فتقول اسقيني من مائك نتسكب لها من جرتمها او تصب لها من قربتها فتعوي في الاناء دما حتى انها
تقول لها جملتي في فيك ثم تجبه في في فناخذ في فيها ماء فاذا نجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع
والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه المطش في تلك الايام حتى
انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماءؤها ملحا جاجا ومرا زعاقا فكشوا في ذلك سبعة
ايام لا ياكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن اسلم) كان الدم الذي سلط عليهم العراف فلم اجبروا
من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لار بك يكشف عنا هذا الدم فتؤمن بك وترسل مملكتي
اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك ان موسى امر ان يضرب النيل بعصاه فضر به
اخرى فضر به فتجول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان الايات قال يوفى البكالى ابن امرأة مكسب الاحبار مكث موسى في آل فرعون

أهل العاذلون في الحب ممل
 حاش لي عن هواه اني اسلا
 كيف أسألو وقد زابد
 وجدى
 وتبدلت بعد عزي ذلا
 قيل تبلى فقلت تبلى
 عظامي في هواكم وحبكم
 ليس يبلى
 حبكم قد سري لوسط
 فؤادي
 من قديم الزمان مذ كنت
 طفلا
 قال ولم يزل الشاب في جهلنا
 حتى انتهنا الى الميت
 فسألنا عن منزل الشيخ
 فأرشدنا اليه فطرقنا عليه
 الباب فخرج الينا كانه
 قد خرج من القبور فلما
 جاسنا بين يديه بدأ الشيخ
 الشاب بالسلام والكلام
 والمصافحة وأبدى له البشر
 والترحيب من دوننا فقال
 الشاب يا سيدي ان الله
 جعلكم أطباء للقلوب
 ولا وجع الذنوب وان في
 جرحا أغفل وداه تمكن
 واضل فان قدرت ان
 تلطف ببعض مرأهك
 فافل وانشد بقوله شرا
 ان داه الذنوب داه عظيم
 كيف لي بالخلاص من داه
 ذنبي
 هل طيب مناصح لي فاني
 أعجز الخلق والاطباء طي
 أهواخجتي وطول حزني
 من وقوفي اذا وصلت لربي
 وانقطع الجواب مني ولما

عشرين سنة بعد ما غلب الدهرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والنمل وقال
 اصحاب الاخبار لما بدس موسى من ايمان فرعون وقومه نوراً لم لا يردا دون الا الظمان والكفر
 والتمادى والكبر دتا عليهم وأمن هرون عليها السلام وهو ربنا انك آيت فرعون وملاؤه زينة
 وأهوالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
 يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجاب الله دعاءهما كما قال الله تعالى قد اجيبتم دعوتكما فاستقيما
 ولا تيمانن الآتية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من اثار الدنيا وزهرتها وزينتهم من الذهب والفضة
 والياواقيت وأنواع الحلي والجواهر المالا يحصىه الا الله تعالى وكان اصل ذلك المال مما جمعه يوسف
 عليه السلام في زمانه أيام الفجط فبقى ذلك في يد القبط فاوحى الله الى موسى عليه السلام ان مورث
 بني اسرائيل ما في ايدي آل فرعون من العروض والحلي وجواهرهم لهم جهازا وعيادا الى الارض
 المقدسة فاجمل لذلك عندنا تمكث عليه أنت وقومك تشكروني وتذكروني وتعظموني ذلك
 اليوم وتعبدونني فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستيروا لعيدكم من آل
 فرعون الحلي وأنواع الزينة فانهم لا يمنون عنكم لئلا يحل اليهم في ذلك الوقت لما ذفت في قلوبهم
 لكم من الرعب فنعمل موسى ذلك كما امره الله تعالى فامر فرعون بزي نقاهله وولده وما كان في خزانته
 من أنواع الحلي فاعيرت لبني اسرائيل لما اراد الله بذلك ان ينفى عن موسى وقومه افضل اموال
 اعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجلا لطفامنهم بهم وافضالا عليهم فلما دعاهم موسى عليهم مسخ الله
 الاموال التي بقيت في أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظي سمعنا
 عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التي اراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والنمل والمصا واليد البيضاء والطمس ولفق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه
 دعا بحرطة فيها أشياء مما كان اصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا اموال فرعون
 فاخرج البيضة مشقوقة نصفين وأنها لحجر والجوزة مشقوقة وأنها لحجر والحصى والعذسة (وروى)
 محمد بن اسحق عن رجل من اهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصروعة وأنها لحجر وقال لقد رأيت
 انسانا وما شككت انه انسان وانه لحجر وكان ذلك المسخ في ارقائهم دون احرارهم اذ العبيد من جملة
 أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذي يدي بني اسرائيل من الحلي والجواهر وأنواع الزينة
 وقال ابن عباس اول الآيات المعصاة آخرها الطمس قالوا بلغنا ان الدنا نير والدرهم صارت حجارة منقوشة
 كهيئة اصحابها وانصافا وثلاثا وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فراق البحر لهم)

قال الله تعالى و اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون قال العاصم باخبار الانبياء اوحى الله
 تعالى الى موسى حين اراد اظهاره على عدوه ان اجمع بني اسرائيل كل اهل اربعة بيوت في بيت ثم
 اذبحوا اولاد الضأن واضر بوا بدماها على الابواب فاني مرسل على أعدائكم عذابا واني سائرل
 الملائكة فلا تدخل بيوتا على بابها الدم وسأمرها ان تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم واموالهم
 فتسلمون اتم وليكون هم ثم اخبروا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنفي بهم الى البحر
 فياتيك أمري فامر موسى بن اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تنجولون هذا الدم
 على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لم يرسل العذاب عليكم فنسلم وتسلمون فقالت لهم القبط فما يرفكم
 ر بكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فاصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كاهم في ليلة

خطب

فقال له الشيخ دل عماداً
لك فقال الشاب ياسيدي
ما علامة الخوف من الله
تعالى فقال ان يؤنسك
خوفه من كل خوف قال
نفر الفتى فمشى عليه فلما
أفاق قال يرحم الله متى
ييقن العبد خوفه من الله
تعالى فقال اذا ازل العبد
نفسه من الدنيا منزلة العليل
فهو يحتمى من الطام خفاة
طول السقام و يصير على
غصص الدوام خفاة طول
الضني قال فصاح الشاب
صريحة وغمى عليه فلما
أفاق قال ياسيدي ما علامة
الحب لله تعالى فقال الشيخ
ان درجة المحبين رفيعة
فقال الشاب احب
ياسيدي ان تعصم لي
فقل الشيخ ان الله
سبحانه وتعالى شق لهم
عن قلوبهم فابصروا بتور
القلوب الى جلال عظمة
المحوب فصارت ارواحهم
روحانية وفلوبهم نورانية
وعقولهم سماوية تسرح
بين صفوف الملائكة
الكرام وتشاكل الامور
الباقين والاعيان فمدوده
مبالغ استغاثتهم لاطع مافي
جنته ولا خوف من ثاره قال
فشبه سمة ثقات رحمة
الله تعالى عليه فبكي الشيخ
عليه بكاء شديداً وقال

واحدة وكانوا سبعين ألفاً فاشتغلوا بدفنه وبعاً نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه
متوجهين الى البحر وهم سبائهم ألف وعشرون ألفاً لم يدفنه من سبعين سنة لسكره ولا ابن عشرين
سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وبن موسى على الساقفة وهو ن على المقدمة فصار فرغ القبط
من دفن أبكارهم وبلغهم خروجه في اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من
أبنائنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا أن ساءوا بانفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم فنأدى فرعون في
قومه كمال الله تعالى فارسل فرعون في المدائن حائرين ان هؤلاء لشر ذمة قليلون وانهم لنا
لناظرون واننا ليلجح حائرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف وسبعمائة
ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جرير ارجع ارجع فرعون في ارموسى
وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف مسرع كل ملك النرجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدم
وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان ادم سبى سائر الالوان وذلك حين طامت الشمس واشرفت
كيا قال الله تعالى فالتهمهم مشرقين فلما تراءى الجمعان وراى بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا
ياموسى ابن ماعودتنا من النصر والظفر هذا البحر عامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خائفنا ان ادركنا
قتلنا ولقد اوزينا من قبل ان اتينا ومن بعد ما جئنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والذاقة للمتقين وقال عيسى ربكم ان يهلك عوكم ويستخلفكم
في الارض فينظر كيف تعملون

(فصل) قالوا ولما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وارادوا ان يسيرا وضرب الله عليهم النية فلم يدروا
اين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسالهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه
السلام لآلات بمصر اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فضعوه في الارض
المقدسة فذلك نالنا هذا الامر فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموه فنام موسى بنادي انشد الله كل من يعلم
موضع قبر يوسف الاخبرني ومن لا يعلم صمت اذناه عن قولي فكان يمر بين الرجلين بنادي فلا سمعان
قوله حتى سمعته عجبوا منهم فغالت له ارا ذلك ان ذلك عليه اعطيت ما لك فاني عليها وتال حتى استاذن
ربي فامر دبه ان يعطيها لها فاعطاها ذلك فغالت له ان اريد ان لا تنزل غرة من الجنة لانزلنا معك قال
نعم قالت فاني عجزوز كبيرة لا استطيع ان امشي فاحملي فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف
هذا الماء فادع الله ان يحرسه الماء فدعا الله تعالى فحرسه عنه فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجوه وهو
في صندوق من مرمر فيجمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى امر
موسى ان يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعاه به ان يؤخر طوعه حتى يفرغ من امر يوسف ففعل
فمن ثم تحمل اليه ودعاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من قبل نبيهم ذلك * اخبرني الحسن بن محمد بن ابي
عن ابن ابي موسى الاشعري عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم بغرابي فاكرمه
فقال له عليه السلام تعاهدنا فانا الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله رحلها
واعترى محلها اهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غير هاهنا فقال عليه السلام ان
عجزوا ببني اسرائيل كانت احسن مشيئة من هذا واذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى
البحر حاجت الربيع وعادت ترمى موج كالخيال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله ابن امرت فقد غشنا
فرعون والبحر اماننا فقال دوسى ههنا فحاض يوشع بن نون الماء فجعلوا يجرؤ لموارح فارد ابتله الماء
وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزين مؤمن آل فرعون يا كليم الله ابن امرت قال ههنا فكبج فرسه

وتوجه نحو الشام فلم أره
 رضى الله تعالى عنه ونقمنا
 به أمهين (وحكى عنه أيضا
 رضى الله تعالى عنه) أنه
 قال كان لى مسجد وكان
 بجانيه جدار ممرطى كنت
 أعرف منه أخذ أموال
 المسلمين فلما حضرته الوفاة
 أتوا به الى مسجدى لاصلى
 عليه فامتنعت من الصلاة
 عليه وقالت خذره عني
 وصلوا عليه فى أى مسجد
 كان بعيدا عن مسجدى
 فاخذوه ومضوا به من
 عندى فلما كان الليل
 رأيت الشرطى وعليه
 ثياب خضر وهو يتخترق
 الجنة قال الجنيد فقاتله
 ألسن الذى طردتك
 بالامس فقال نعم فقاتله
 أخبرنى بحالك فقال لما
 كان من امرى ما كان
 وطردتني وامتنعت من
 الصلاة على دخل عندى
 رعب شديد فلما مضوا
 من عندي سمعت قائلا
 يقول لا تخزن فانك قادم
 على كريم فزال ما كان
 عندي من الخوف فلما
 وقعت بين يديه جمات
 اعتماني عايته فقال الله
 عز وجل يا عبدى ما قال
 الجنيد فقلت يا سيدي
 انت اعلم بمقاله فقال لله
 عز وجل وعزى وجلالى
 ان كان قد طردك الجنيد
 فمقد قبلتك فانأقرب

ففيه وترجمه الذى فيه وقال أما هذا فتياك الذى افتيت ثم جدل راس فى فيه من حمار البحر مخافة ان
 يسيد تلك الشهادة وفي الحديث ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما مضت احدا
 من الخلق ما مضت رجلا من امانا حدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين انى ان يسجد لا دم الاخر
 من الانس وهو فرعون حين قال انار بك الاعلى ولو اربيتى يا محمد وانا اخذ من حمار البحر وأدسه في
 فيه مخافة ان يقول كلمة التوحيد فيدحه الله ثم قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت النظام البحر قالوا
 ماهذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد اهلك فرعون وكل من كان معه غرقا قالوا لموسى ان فرعون لا يموت
 ألم تر انه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شىء مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر قالوا على
 نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظرا ليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم نجيك ببدينك لتكون لمن
 خلفك آية فيقال انه لو لم يخرج منه الله بدينه لشك فيه بعض الناس فلما جاز موسى ببني اسرائيل البحر راى على
 قوم يعكفون على اصنامهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كالحما ألهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
 متبرماهم فيه بابل ما كانوا بهماون (اخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء بهودى
 الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بهم نبيكم خمس وعشرين سنة حتى قتل
 بعضهم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت اقدامكم من حمار البحر حتى قاتم يا موسى
 اجعل لنا الها كالحما ألهة فلما غرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين
 عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثناعشر ألفا الى مدائن فرعون وهى يوهة خالية من أهلها فداها لك
 الله عظامهم وروسهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والمهرمى فامر على
 الجندين بوضع بنون وكالب بن بوقا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكثروهم فخلوا
 من ذلك ما استفلت به الحول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من
 جنات وعيون الى قوله تعالى فاكين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون
 استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بن معه من المسلمين غانمين شاكرين

(الباب السادس عشر فى قصة ذهاب موسى الى الجبل ليقاها به وصفا ليقاها

الله تعالى له الا لواح وانزاله التوراة وما يماق بذلك) *

قال الله تعالى واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمنا بها بعشر وقال فى موضع آخر اذ واعدنا موسى اربعين ليلة
 قال العلماء بقصص النبيين وسير المناضلين ان موسى كان وعد بنى اسرائيل وهو بعصر اذا خرجوا منها وذلك
 عدوم ان يأتهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله تعالى فرعون وقومه واستغنى بنى اسرائيل
 من أبديهم وأمنهم من عدوهم فلم يكن لهم كتاب ولا شريعة يتنبهون اليها قالوا يا موسى اتنا بالكتاب الذى
 وعدتنا به فسال موسى به ذلك فامره الله ان يعصم ثلاثين يوما ثم يطهرو ويظهر ثيابهم ويأتى طور سيناء
 ليكله ويظهر ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل انكسر خلوف فيه فتمسك به بعد خراب
 (قال ابو العالمة) اخذ من لحاء الشجر قصه فقاتل له ثلاثا ثم انكسر انكسار من فيك رائحة المسك فافدتها
 بالسواك فاحى الله تعالى اليه أن صم عشرة ايام أخر وقال له أسمعك ان خلوف فم الصائم اطيب عندى
 من رائحة المسك كانت فتنهم فى العشرة الايام التى راها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى واعدنا
 موسى ثلاثين ليلة ذ القعدة وأعلمنا بعشر يعنى من ذى الحجة (اخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن ابى هريرة
 ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذ القعدة لقوله تعالى واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأعلمنا بعشر أى من
 ذى الحجة فتم ميفات ربه اربعين ليلة فلم مضت اربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه ليقاها به فلما

المطرودين وأغزو عن
 المذنبين أهضوا بعدى إلى
 الجنة برحمتي وإن أرحم
 الراحمين اللهم أرحمنا كما
 رحمتهم وأرحم جميع المسلمين
 (وحكى عن أنى العباس
 الخضر عليه السلام) أنه
 قال كنت بصنعاء اليمن في
 مسجد عبدالرزاق الواعظ
 وكان من كبار العلماء
 والأولياء سمعته ما يقول
 فنظرت إلى شاب مفرد
 بناحية من المسجد فدخل
 بنفسه واضعاً رأسه بين
 ركبتيه قايت إليه وكرهته
 وقلت يا هذا لم لا تحضر
 مجلس عبدالرزاق وتسمع
 منه ما يقول فقال قد
 سمعت من الله عز وجل
 فادعني ذلك فقلت له إن
 كنت صادقاً فإنا فقال
 إن سمعت ألف مرة فانت
 الخضر عليك السلام ثم
 غاب عن بصري فلم أره
 فقهر الله تعالى به آمين
 (وحكى عن عبد الله
 التستري رضى الله تعالى
 عنه) أنه قال غزا والدي
 سنة من السنين مع
 المجاهدين في سبيل الله
 تعالى فلما كان بين الصنفين
 وقع المهر الذي كان تحتهم
 فمات فقال والدي يارب
 اعزني إياه حتى أرجع من
 مجاهرتي إلى قبري فليس
 معي غيره قال فلم يسم كلامه
 حتى قام المهر في الحال حياً

أنى طور سيناء كلمه ربه ونجاهه وقر به وادناه فكانت تعالى وقر بنه نحياء (قال رهب) كان بين الله وبين
 موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها الإحجاباً واحداً فتخلى موسى الكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته
 وطعم فيها فقال رب أرني انظر إليك (قال السدى) لما كلم الله موسى غاص الحبيب البليس في الأرض حتى
 خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال إن مملكك الشيطان فتندلك سأل الرؤية فقال
 الله تعالى إن تراني وليس يطيق البشر النظر إلى في الدنيا من نظراً إلى مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت
 للنظر إليك ولأن انظر إليك ثم أموت أحب إلى من أن أعيش ولا أراك فقال لما نظر إلى الجبل وهو
 أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك أن الجبال لما علمت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاطت
 وتشاخت رجاء أن يتجلى الله لها وجعل زبير يواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن
 وخصه الله بالتجلى قال الله تعالى فإن استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (واختاف
 العلماء) في معرفة التجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحالك أظهر الله تعالى من نور
 الحجب مثل من خزانة نور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل
 إلا كهم الحياض حتى صار دكا وكذا قال السدى ما تجلى إلا قدر الخضر يدل عليه ما روى ثابت عن
 أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى
 من الخضر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار
 الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى عن
 سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نوراً قدر درهم فجعل الجبل دكا
 قال أبو بكر فذهب إذ ذلك كل ماء وافق كل جنون وبرى كل مريض وزال الشوك عن الأشجار
 واخضرت الأرض وازهرت وخمدت نار الجوس وخرت الأصنام لوجوهها قال السدى ما تجلى للجبل
 إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس تراءى وقال سفيان ساخ حتى وقع في البحر قال عطية
 العوفي صار رملاً لا وقال الكبي جملة دكا أى مكسراً جبالاً صغاراً * وإلا ساند عن أنس بن مالك
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته
 ستة أجيال فوقعت ثلاثة في المدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت ثلاثة بمكة نور رثير وحراء
 وخرموس صمغا قال ابن عباس مغطى عليه وقال قتادة ميتا وقال الكبي خر موسى صمغاً يوم الخميس
 يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدي لما خر موسى صمغاً قالت الملائكة ما لاین
 عمران وسؤاله الرؤية (وفي بعض الكتب) أن الملائكة السماوات والأرض أتوه موسى وهو مغطى
 عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطعمت في رؤية رب العزة وقال وهب
 لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فاحاطت بالجبل
 الذى عليه موسى وأمر الله تعالى الملائكة السماوات أن يرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل
 ناحية فمرت به الملائكة الملائكة سماء الدنيا كثيراً مثل البقر تنبع أفواههم بالنسيج والتقدیس
 بصوت عظيم كهوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى الملائكة السماء الثمانية أن اهبطوا على موسى
 فهبطوا عليه مثل الأسود لهم لجم بالتبسم والتقدیس ففرع موسى مماً رأى وسمع واقشعت كل
 شعرة في جسده فقال ندمت على مسأتي فهل يتنجى من مكاني الذي أنا فيه شيء إن خرجت احترقت
 وإن قدمت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سئلت فتأيل من كثير ما رأيت ثم هبطت
 الملائكة السماء الثالثة كأثال النور لهم قصف ورجف ولجم شديد وأفواههم تنبع بالنسيج

بإذن الله تعالى لي فقرا
والذي عليه فلما رجع قال
يا ربدي خذ السرج عن
المهر فملت يا ربدي انه
عرقان حتى يستريح فقال
يا ربدي انه عارية فلما
أخذت السرج عنه وقع
المهر في الحال ميتا وهذا
من بضع كراماته رضي الله
تعالى عنه (وحكى عن
بعض الصالحين نعمنا الله
تعالى بهم) انه قال كان
عبدنا رجلا نباش كانت
يسرق الاكفان من القبور
فأنت امرأة من المتعبدات
فصلى عليها كثير من الناس
وصلى النبش معهم
وخرجوا الى قبرها
والنباش معهم ليسرف قبرها
فلما جن الليل اتي النبش
الى قبرها وازل اليها قاطنهما
الله عز وجل وقالت
سيحان الله رجل مغفور له
ياخذ كفنا امرأة مغفورها
فقال النبش ان الله غفر لك
فكيف غفر لي فقالت ان
الله غفر لي ولمن صلى على
قال فخرج النبش من
عندها وتاب الى الله تعالى
وحسنه توبته ببركته
ولزم العبادة حتى مات رجلا
الله تعالى عليه وعلينا وعلى
اموات المسلمين آمين
(وحكى عن عبد الواحد
بن زيد رضي الله تعالى
عنه) انه قال بينا نحن
جلوس ذات يوم في مجلسنا

والقدس والتبليل كلجيب الجيش العظيم ألوانهم كلب النار ففرع موسى عليه السلام واشتد فزع
وأبس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا بن عمران حتى ترى ملاصبر لك عليه ثم هبطت
عليه ملائكة السماء الزايدة لايستبهم شيء من الذين مروا به ألوانهم كلب النار وسائر خلقهم كالنلج
الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقدس لا ينفار بهم شيء من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه
ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولهم مثلهم ولم يسمع مثل
أصواتهم فأتا جوف موسى فغار اشتد خوفه وكثر بكائه ثم قال خير الملائكة وكبيرهم يا بن عمران
مكانك حتى ترى بمض لا تصير عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن يهبطوا على عبيدي الذي
أراد رؤيتي فاعترضوا عليه فهبطوا وفي بكل ملك منهم حربة طوييلة تلهب ناراً أشد وضوءاً من الشمس
ولباسهم كلب النار وإذا سبحوا وقصدوا جاء بهم كل من كان قلبه من ملائكة السموات كلهم يقولون
بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبداً لا يموت وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما سارهم
موسى رفع رأسه بصوته يسبح معهم ويبيكي ويقول رب اذكروني ولا تنس عبدك لأدري هل أخلص
مما أنا فيه أولان خرجت احترق وتان مكثت احتقرت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا بن
عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فأصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء
السابعة قال الله تعالى أرواياه فلما بدأنوا العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة ورفعت ملائكة
السموات أصواتهم جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب المزة بدأ لا يموت بشدة أصواتهم فارتج
الجبل وانكد وخر موسى صمقاً على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذي كان موسى عليه وجهه
كهيفة الغبة لئلا يحترق مرسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله ويقول أمنت
بأنك رب وصدقت بأنه لا إله الاك وحده لا شريك له فقال له ملائكة الخلق قلبه فأعظمت وأعظم ملائكة
أنك رب الارباب والالهة وهلك الملوك لا بعد لك شيء ولا يقوم لك شيء ثبت اليك الحمد لا شريك
لك أنت رب العالمين (قال السدي) حفر حول الجبل بالملائكة وحفر حول الملائكة بالار وحفر حول
النار بالملائكة وحفر حول الملائكة بالنار ثم تجلى به للجبل (أخبرني) الحسن بإسناده عن عمرو بن ديلم
اللازمي قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صاه ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتقطرت
الجبال وصار قبا كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة
فاتخذ منها نعمة ألواح طول كل لوح منها شجرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التي اتخذ
منها الألواح من زمردأ خضراء ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاءها فصارت جميعاً
نورا وصار النور قلماً أطول من اثنين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم
فكتب الله في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً وذلك يوم الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله
موسى أن يأخذها بقوة ويقرئها قومه فوضعت الألواح على السماء فلم تنطق حملها القمل العهد والمواثيق التي فيها
فقال تبارك كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقاً يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى
جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيلبسها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل
هذه الألواح بما فيها من النور والبيان واليهود واليهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمد الله بملائكة
يحملونها بمد كل حرف من التوراة فجعلوها حتى لبسوها موسى وعرضوا الألواح على الجبل فانصدع لها
الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها وضرب الله مثلاً في القرآن فقال تعالى
لأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم

اذ قد تمها نال الخروج للفرجو
 في سبيل الله تعالى وقد
 امرت اصحابي ان يتبعوا
 فقرأ رجل منهم في مجلسنا
 ان الله اشترى من المؤمنين
 انفسهم واموالهم بان لهم
 الجنة فقلت نعم فقال غلام
 يا عبد الواحد اشهر اني
 بعته نفسي ومالي بان لي
 الجنة فقلت له يا غلام ان
 حد السيف اشهد من
 ذلك وانت صغير السن
 يخاف عليك ان لا تصبر
 وتعجز عن ذلك فقال
 الغلام يا عبد الواحد اباع
 الله تعالى بالجنة ثم اعجز
 اشهد الله اني بعته نفسي
 ومالي في سبيله قال
 عبد الواحد فنعجبنا من
 ذلك وقتلنا صبي يعقل
 ونحن لا نقل نخرج من
 عندنا وتصدق بجميع ماله
 في سبيل الله الا فرسه
 وسلاحه وثقته فلما كان
 يوم الخروج كان اول من
 طلع علينا هو فقال السلام
 عليك يا عبد الواحد فقلت
 وعليك السلام يا حبيبي
 ربح اليوم سرنا وهو معنا
 يصوم النهار ويقوم الليل
 ويخدمنا ويخدم دوابنا
 ويحرسنا اذا نمنا حتى
 اتهمنا الى بلاد الروم فبينما
 نحن جلوس اذ به قاصف
 وهو ينادي واشوقه الى
 العيتم المرضية فقال اصحابي
 لعل هذا الغلام وسوس

يتفكر ونكأ زل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك
 عند صلاة العصر فقبض موسى على الاواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فذلك
 قوله يا موسى اني اصطفيتك الالية وقوله تعالى وكنت ناله في الاواح الالية
 (فصل في نسخة امير الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى بنبيه وصفية في الاواح
 وهي معظم التوراة واعياها مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار ابيه ورسوله موسى بن
 عمران ان سبحني وقد سني لاله الا انا قاعدتي ولا تشرك في شدينا واشكر لي ولوالديك الى المصير
 احبيك حياة طيبة ولا تقتل النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باظهارها والارض برحبها
 ولا تخلف باسمي كاذبا فاني لا اظهر ولا ازكي من لا يعظم اسمي ولا تشهد بما لا يبي سمعك ولا تنظر
 عينك ولا يقف عليك قلبك فاني اوقف اهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة واسألم عنها ولا تحسد
 الناس على ما آتيتهم من فضلي ورزقي فان الحاسد عدو مني ساقط لسمتي ولا تزن ولا تنسرق فاحجب
 عنك وجهي واغلق دون دعوتك ابواب السموات ولا تذبح لغيري فانه لا يصمد الي من قربان
 الارض الا ما ذكر عليه اسمي ولا تنفجرن بحيلة جارك فانه اكبر مقاما عندي واحب للناس
 ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره نفسك فهد نسخة العشر الكلدات وقد اعطاها الله جميعها لحمد
 صلي الله عليه وسلم في ثمان عشرة آية وهي قوله تعالى في سورة بنى اسرائيل وقضيت بك ان لا تدبوا
 الاياله الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها في ثلاث آيات من سورة الانعام وهي قوله
 تعالى قل تاملوا اهل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (اخبرنا) ابو عمر محمد
 القرطبي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى موسى الاواح نظر فيها
 فقال يارب لندا كرمتي بكرامة لم تكرم بها احدا من الملائكة قبلي قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
 برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكمن من الشاكرين اى بقوة وجد ومحافضة وتموت على حب
 محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال احمد الذي اثبت اسمه على عرشي قبل ان اخاق
 السموات والارض بالفي عام وانه نبي وصفي وخيرني من خاقي وهو احب الي من جميع خاقي وجميع
 ملائكتي فقال موسى يارب ان كانت محمد احب اليك من جميع خلقك فهل خافت امة اكرم
 عليك من امتي قال الله تعالى ان فضل امة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلتي على جميع الخلق
 قال يارب ليتني اراه واراهم قال يا موسى انك لن ترام ولو اردت ان تسمع كلامهم اسمعتك قال
 يارب فاني اريد ان اسمع كلامهم قال الله تعالى يا امة محمد فاجبتنا كلنا من اصواب آياتنا
 وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والاك لا شريك لك فقال الله تعالى يا امة محمد
 ان رحمتي سميت غضبي وعفوي سرق عقابي قد اعطيتك من قبل ان تسألوني وقد اذنتك
 من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تعصوني من جاء يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله
 وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت
 بجانب الغربي اذ قضيتا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور
 اذ ناديتنا (اخبرنا) ابو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال اخبرنا ابو العباس محمد بن اسحق المصراع
 قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المافري عن ابيه ان كعب الاحبار راى حبرا
 من اليهود يكي فقال له ما يكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار انشدك الله لن اؤخرك عما

الواحد فقلت له يا حبيبي
وما هذه العيئة المرضية
فقال الغلام يا سيدي اني
عقوت قليلا فرايت في
منامي كأنه قد اتاني آت
فقال لي اذهب الى العيئة
المرضية ثم اخذ يدي
وهجمني على روضة فيها
ماء غير آسن واذا على شاطئه
ذلك النهر جوار عليهن
من الحللى والحلل مالا اقدر
ان اصفه فلما رايتني
استبشرن بي وقلن هذا
زرج العيئة المرضية فقلت
السلام عليكن افئكن
العيئة المرضية فقلن نحن
خدمها واماؤها امض
امامك فضيت امامي فاذا
بهن من ابن لم يتغير طعمه
في روضة فيها من كل زينة
وجوار حدين رايتهن
فتنت بحسنهن وجمالهن فلما
رايتني استبشرن وقالن
هذا زوج العيئة المرضية
فقلت السلام عليكن
افئكن العيئة المرضية
فقلن وعليك السلام يا ولي
الله نحن خدمها واماؤها
امض امامك فضيت
امامي فوصلت الى خيمة
من درة بفضاء وعلى باب
تلك الخيمة جارية تاملهم امن
الحلى والحلل مالا اقدر ان
اصفه فلما رايتني استبشرت
بي وتادت من في الخيمة
ايضا العيئة المرضية هذا

أبكاء لتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام
ان موسى نظر في التوراة فقال اني أجد أمهم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
و يؤمنون بالكتاب الاول والاخر و يقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى
رب اجعلهم امتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله
المنزل على موسى ان موسى نظر في التوراة فقال اني اجد امهم هم الحامدون رعاة الشمس هم الحكمون اذا ارادوا
مرا قال انقله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم امتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال له الخير نعم قال كتب
أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة يا كون كفاراتهم
وصدقاتهم وكان الاولون يخرجون صدقاتهم بالنار غير ان موسى كان يجمع صدقات بني اسرائيل فلا يجد
عبدا ملوكا ولا أمة الا لشراء من تلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر والقاء ثم دفنه كي لا يرجعوا
فيه وهم المسجونون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم امتي قال
هي أمة محمد يا موسى قال الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة
فقال اني أجد امه اذا أشرف أحدكم على شرف كبير الله تعالى واذا هبط الى واحد الله تعالى الصعيد
لهم طهور والارض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث
لا يجدون الماء غرا يحجلين من آثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخير نعم قال كتب
أنشدك الله هل تجد في التوراة ان موسى نظر فيها فقال يارب اني أجد أمة اراهم أحدكم بحسنة ولم يعلمها
كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشر الى سبعمائة ضعف واذا هم بسبئة ولم يعلمها لم يكتب عليه واذا عملها
كتبت عليه سبئة مثلها فاجعلهم يارب امتي قال هم أمة محمد يا موسى قال الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل
تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مرحومة اصفياهم يرثون الكتاب
فمنهم ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال
هم أمة أحمد يا موسى فقال الخير نعم قال كتب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر
في التوراة فقال يارب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصطفون
في صلاتهم صفوف كصفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد
ومنهم من لا يرى الحساب الامثل ما يري الحرمن وراء الشجر فاجعلهم امتي قال هم أمة محمد يا موسى
قال الخير نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
قال موسى يا ليتني من اصحاب محمد فوحي الله تعالى اليه بثلاث آيات برضى بهن فقال تعالى يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين
وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى بكل الرضا (وقال ابن عباس) لما
صار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له به ما تبغني قال جئت ابنى الهدى قال وجدته يا موسى قال
موسى يارب اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرني ولا ينسانى قال فاقى عبادك أفضي قال الذى يقضى
بالحق ولا يتبع الهوى قال اى عبادك اعلم قال الذى يبنى علم الناس الى علمه فسمع الكلمة هنيهة الى
هدى ارتد عن ردى (وقال عبد الله بن مسعود) لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا
في ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله رب الولديه
لا يمشى بالغميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من ذنبي وما غير وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ
بك من وسوسة نفسي وأعوذ بك من سوء عملي قال قد كتبت ذلك يا موسى قال موسى يارب اى الاعمال

من تلك الخيمة ودخلت اليها فاذا هي قاعدة على سرير من ذهب احمر مكن بالدر والياقوت والجوهر فلما راها افتنت بها فغالت مرحبا بك يا ولي الله قد دنا لك القدوم علينا قال فتقدمت لاعناقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك ان تعاتقي لان فيك روح الحياة ولكن انت تقطر اللبلة عندما ان شاء الله تعالى قاتبتك من منامي وليس لي صديق واحد عنها قال عبد الواحد فافرح من كلامه حتى اقبلت عليه اسرعة من المدوخل الغلام فيهم قد دنا تسمة رجال قتلهم وهو العاشر فجننت اليه وهو يتشخط في دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد خفرت عليه وانشدت يا من يماق دنيا لا يفاء لها عسي ويصبح مفرورا وغرارا هلا تركت لذى الدنيا معانقة

حتى تعاق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغى جنات الخلد تسكنها فيبغى لك ان لا تامن النارا وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه انه

احب اليك ان اعمل به قال تذكركي ولا تنساني قال اى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يغير قلبه ولا يزني فرجه وؤمن في خلق حسن قال فامى عبادك شر عملا قال فاجر في خلق سيي جيفة بالليل يطال بالنهار قال فله ارجع موسى الى قومه وقد اتاهم بالتوراة اذ ابا ان يقبلها ويعملوا بما فيها من الاثام ولا غلال التي كانت عليهم فيها وكانت شر يمة تهيئة لفرسانه جبريل ففعل جبريل على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ فرقه فوق رؤسهم من النظة مقدار قامة ارجل وقال ابو صالح عن ابن عباس امر الله تعالى جبريل ان يجل فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم من الظلة فذلك قوله تعالى واذاخذنا من اقبكم برؤسنا فكم انظور وقوله تعالى واذا نطقنا الجبل فوقعهم كانه الظلة وقال عطاء عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبست نار من قبل وجوههم وانهم البحر ملحان خلفهم وقيل لهم خذوا ما اتيناكم بقوة واسموا فان قبلتموه وفلمنتم ما امرتكم به ولا رضى ختمكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتمكم بهذه النار فلما راوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا واطعنا ولولا الجبل ما اطعناك وروي قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تشاء نور رب العالمين وانصرف الى قومه اربعين ليلة ليراها احد الامات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدى وجهه ولا حد خفافان يموت (واخبرني) ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن ابي شعبة قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الفرزدق بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السامى قال حدثنا الحسن بن ابي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تكلم الله موسى كان يصير احد ذلك ديب الخلة في الميلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (واخبرنا) ابو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن شعبة قال حدثنا ابو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زبد بن اسلم عن ابيه ان موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا اشده

﴿ باب في ذكر قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم المعجل ﴾

قال أهل السير واصحاب التواريخ لما اهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميعات ربي واتيك بكتاب فيه بيان ما نأتون وما تنذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم اخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلقاء اني لانصيب شيئا الا حي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان هذه الفرس لشا ناعظيها واخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل المعجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوهم امد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيولهم قوم فرعون ربحها فضخت في اثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين امر بذيبح اولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذ ولدت الغلام انظلمت به سرا في جوف الليل الى صحراء او واد او غار في جبل فاخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى ينخلط بالناس وكان الذي ربي السامري جبريل عليه السلام فجعل يعص من احد ابهاميه سمنا ومن الاخر عسلا فنم عرفه ومن ذلك الوقت اذ اجاع الطفل يعص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل السامري وعلا بلونا تسقيه اللبن بالقدرة والعشى

قال أصابني علة في ساقى

سنة من السنين فكنت
 التحمل عليهم الصلاة ففتمت
 عليهم من الليل فاجهدني
 وجمي منها فجلست ثم
 لففت ازارى في محرابي
 ووضعت راسي عليه ونمت
 فبينما انا نائم اذ اناجارية
 تدق الدنيا حسنا وهي
 تحضر بين جوار من بنات
 حتى وقفت على راسي
 والجوارى من خلفها
 ثم قالت ليضحين ارفعنه
 ولا توقظنه فقبلن نحوي
 واحتملني وانا انظر
 اليهن في منامي ثم قالت
 للجوارى الاتى معها
 افرض له ودمه وسدنه
 قال عبد الواحد قمرشن
 تحتي سبع فرش لم أرهن في
 الدنيا لملا ووضن تحتي
 مرافق خضرا حسنا ثم
 قالت الاتى حملني اجملنه
 على الفراش وبدأت
 فجلست على الفراش
 وصرت انظر اليهن متعجبا
 مما تأمر به من شأني ثم
 قالت أين العلة فاشمرت
 اليها فوضعت يدها عليها
 وقالت قم شفاك الله ابي
 صلاتك غير مضرور
 فاستنظت من منامي كاني
 والله قد نشطت من عقال
 فاشكوت بذلك اليوم
 بهذه العلة ابدأ ولا ذهبت
 عن قلبي حلاوة منطقة
 وحنن لها قم الى صلاتك

حتى كبر واختلط بالناس فذلك عرقه دون سائر بني اسرائيل لانه هو الذي رياه (١) وكان ابو عمرو
 السكندر يري فقال دابة موسي وفرعون دابة موسي ازا هل بهشت وفرعون ازا هل دوزخ ودابة سامري
 وجبريل دابة جبريل ازا هل بهشت والسامري ازا هل دوزخ ودقال قتادة والسدي كان عظيم من عظماء
 بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة واسكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمات
 وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمي واسمه ونجا وقال ابن عباس اسمه موسي ظفرو كان رجلا
 منافقا قداظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسي ليقامت ربه
 وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة واعيا الله بعشر حتى صارت اربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع
 اليهم افتقدوا وقالوا ان موسي اخلفنا الوعد فاعتننا السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدو الابل
 يوما والهمار يوما وكان موسي قد وعدهم اربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتقدوا فاتهم السامري
 وقال لهم ان موسي قد احتبس عنكم فيذين لكم ان تتخذوا الهافان موسي ليس يرجع اليكم وقتة فليمنات
 فيذين لكم ان تتخذوا الهافان غاطم فيهم السامري لانهم يوم عبره موسي البحر مروا على قوم من العمالقة هم
 يمكنون على اصنام لهم فنالوا موسى اجمل لنا الهامكا لهم الهة الاية فاعتننا السامري فلما كان
 ذلك اليوم وخرج موسي ومضي من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حلياء كثير من آل فرعون
 حين أرادوا الخروج من مصر بهلة العيد واحل الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلياء يدي بني اسرائيل
 فلما خرج موسي قال هرون لبني اسرائيل ان حلي القبط الذي استمرغوه منهم غيصة ولا يحمل لكم
 قاجمهم جميعا واحفروا له حفرة وادفنه فيها حتى يرجع موسي فيري فيه رايه ففعلوا ذلك فجاء السامري
 بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال له هرون يا بني الله هل اقدفنا فيه فظن هرون
 انه من الجلي بر يده ما يريد اصحابه فقال له اقدف ففدقها في الحفرة على الحلي فصارت عجلا جسده له خوار
 (وقال ابن عباس) او قد هرون نارواهم ان يقدفوها فيه فذف السامري تلك القبضة فيها فقال كن
 عجلا جسده له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك ان السامري قال له هرون اأنتى ما في يدي
 وهو يظن انه من تلك الحلي فقال نعم ويقال ان الذي قال لبني اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامري
 فصدقه وجمعها ودفنها اليه فصاع منها عجلا في ثلاثة ايام ثم التى فيه القبضة فجثا رجا خورة ثم لم يبد
 وقال السدي كان يخور ويمشي فلما اخرج السامري العجل وكان من ذهب مرصع بالجواهر كحسن ما يكون
 وقال هذا الحكم واله موسي فنتى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليهم واخلف
 الموعد وفي بعض الروايات ان السامري لما صاع العجل وقذف القبضة فيه أشمر العجل وعدا وخار فصار له
 لحم ودم ويروي ان ابليس خاف وسطه ويقال ان السامري جعل وعثر العجل الى حائط وحفر في الجانب
 الاخر في الارض واجلس فيه انسانا فوضع فيه دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الحكم واله موسي
 فلبس السامري على اوغاد بني اسرائيل وجها لهم حتى اضلمهم وقال لهم ان موسي قد اخطأ ربه فانا كرمه
 أراد ان يريك انه قادر على ان يدعوك الى نفسه بنفسه وان لم يبعث موسي لاجلته منه اليه وانه قد اظلم اليكم
 العجل ليكنكم من وسطه كما كلم موسي من الشجرة قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انما سمى العجل لانهم
 تيجلوه قبل رجوع موسي اليهم (وقال الحسن البصري) اسم عجل بني اسرائيل الذي عبده به موت قالوا
 فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري افتقدوا به غير اثني عشر الفا وكان مع هرون ستائة الف فمكفوا عليه

(١) قوله وكان ابو عمرو الخ عبارة فارسية معناها دابة موسي وجبريل عليهم السلام من أهل الجنة
 ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اه

غير مضرور وهذا من مناقبهم عفا الله تعالى عنهم ونعمنا ببركاتهم (وحكى عنه ايضا رضي الله تعالى عنه) انه قال سألت الله تعالى ليلة من الليالي ان يربني رفيق في الجنة فقبل لي يا عبد الواحد رفيق في الجنة ميسونة السوداء فقلت واين هي فقيل لي في في فلان بالكوفة فخرجت الى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل لي هي امرأة عجوز نجونه ترعى غنات فقلت اريد ان اراها فقالوا اخرج الى البساتين فذك تراها فخرجت فاذا هي قائمة تصلي وبين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها الاتباع ولا تشري ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأيته أوجزت في صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن زبد ليس الموعد هنا فقلت لها ارجعك الله فمن اعلمك باسمي فقالت يا عبد الواحد أما علمت ان الارواح جنود مجدة فما تارف منها اختلف وما تباكر منها اختلف فقلت لها عفا عني فقالت واعجبوا واعظوا عظم قالت مامن عبد اعطى شيئا فابتغي اليه ثانيا الا سلبه الله حب

يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيئا قط فقال لهم هرون يا بني اسرائيل أما فتنتم بهوان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا امرى قالوا لن نبرح عليه عا كافرين حتى يرجع الينا موسى فقام هرون فيمن معه من المسلمين واقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين ان يتولاه موسى فرقت بين بني اسرائيل وكارله هاهنا طيبا وقال قتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفقرة قبلكم (اخبرني) الحسن بن سافاه عن راشد بن سعيد قال لما وعده الله موسى ان يبين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وانعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الهام من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال انا قال انت وعزتك فنتقم ان هي الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا ابا النبين يا ابا الحكم اني رأيت في قلوبهم فيسرتهم فلما رجعه وسي من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع الملقط حول العجل وكانوا يزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى اصحابه السبعين بما اخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قال في الحلة فقال له موسى لم لا يكتنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به الى الانواح من يده فكسرت فصمعة عاة بكلام الذي كان فيها الاسد سها ثم اعيدت له في لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الماعان كالحبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يبق الا الواح فلما عاين اثنى عشر القام فكسرها (عن عليم الدار) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قر بيامن ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية اما ان في غارها غير ان راضا من الواح موسى وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا الفت عليها من ركها وان تذهب الايام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل بيتي بماؤها ولا وقتها كما ملكت جورا وظلما قالوا انما راى موسى ما صنع قومه من بعده عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمنه وخيمته بشماله وكان هرون قد اعترلهم في اثني عشر القام يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذا رأيتهم ضلوا ان لاتنبهن انصصيت أمرى هلا قتلهم اذا علمت اني لو كنت فيهم لما تلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآكية قال المفسرون كان هرون اخا موسى لانيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقية واستنطافه عليه لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بذوائي اني خشيت ان قاتلتهم ان يصيروا حز بين يقولوا بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اى ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى اقبل على السامري وقال له ما خطبك يا سامري اى ما أمرك وشأنك فقال السامري بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول يعني أخذت ترابا من اثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتا في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي زينت لي قالوا فلما علم بنو اسرائيل انهم اخطوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا اني لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا نكون من الخاسرين فقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بانحازكم العجل قالوا له فاكشيه نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم اى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف توب قال فاقنوا انفسكم اى ليقتل البرى المجرم ذلك يعني القتل خير لكم عند بارئكم قال ابن عباس ان ابي الله ان يقبل توبة بني اسرائيل الا بالخال الذي كرهوا ان يقاتلوه حين عبدوا العجل وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمرة الله فجلسوا في الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيف والخنجر فكان

وحشة ثم اشدت تقول

يا واعظ اقم لاحتساب

يزجر قوما عن الذنوب

تنبى وانت السقيم حقا

هذان المنكر العجيب

لو كنت اصليحت قبل هذا

عيبك اوتيت من قريب

تتمى عن النفي والخذلي

وانت في النفي كالرب

قال عبد الواحد فدهشت

عند سماع ذلك وقلت لها

يا ميمونة اني ارى هذه

الاغنام مع الذئاب ترعى

ولا اذنت تخاف من الذئاب

ولا الذئاب تأكل الغنم

فقلت اليك عني يا بطال

فاني اصليحت ما بيني وبين

سيدي فاصالح ما بين

الذئاب وغنمي قال فضئت

من عندها وقلت من اطاع

الله اطاع كل شيء نعم الله

تعالى هم وغفر لنا بركاتهم

واسرارهم ومددهم آمين

(وحكى عنه ايضا رضي الله

تعالى عنه) انه قال اشتريت

غلاما للخدمة فلما كان

الليل طلبته فلم اجد

ورأت الابواب مغلقة على

حالم فلما اصبحت اذا به

قد اعطاني درهما مكتوبا

عليه سورة الاخلاص بقلم

القدرة الربانية فغلت له

يا غلام من اين لك هذا

فقال يا يدي لك عندي

في كل يوم مثل هذا بشرط

انك لا تطبني في الليل

الرجل يرى اخاه وابنه واباه وقرية وجاره فلم يكتفه الا امضاء امر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف تصنع
فارس الله ضبابا وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى
قائه او اتاهه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى الماء فلما كثرت فيهم القتل
وبادع القتل سبعين ألفا دعا موسى وهرون ربهما وجزعا ونضرا وقال يا رب هلكت بنوا اسرائيل
البقية الباقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشف
السحابة عن القتل اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما رضيك أن أدخل النار والموت
الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى فتاب عليكم انه هو التواب
الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى أن يرد العجل بالمرد ويحرقه ثم يذروه في النيل فمن شرب ماء من
عبد العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل ثبت على شارب الذهب فكان علما لجرمه
فاخذ موسى العجل فذبحه ثم برده بالمرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامري بالبول عليه استخفافا به
وتصغيرا له ثم ذراه في الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا الآية قالوا
ثم ان موسى أمرهم بالشرب من ذلك الماء فشرخوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت
شفاههم فاقرروا بحب العجل وعبادته وقالوا يا موسى ان قد ندمننا على ما صنعنا وتبين الى الله فلو أمرنا أن نقتل
نفسنا للقتل تو بننا قتلنا فقل لهم فاقبلوا أنفسكم ثم ان موسى هم بقتل السامري فأوحى الله تعالى اليه
لا تقتله فانه سحى فلم يمت موسى وقال له فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعد ان تخلفه
أى بعداك في القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخطووه ولا يقر بوه فصار السامري وحشيا
لا يألف أحدا ولا يؤلف ولا يدنو من الناس ولا يسأ أحد منهم فمن مسه قرض ذلك الموضع بالناز
وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس وفي بعض الكتب
أنه ان مس أحدنا من غيرهم أو واحدا منهم حملا فلما في الوقت قالوا نعم ان الله تعالى أمر موسى أن يأتيه
في ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذر واليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطقوا
معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الاستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه
أن يختار من الشباب عشرة فاخترهم فاصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر
فصاروا اثنين وسبعين رجلا فقال إنما أمرت بسبعين رجلا فليتخاف منكم رجلان فتشاوروا على ذلك
فقال موسى ان من قدمه بل أجر من خرج ففعل يوشع بن نون وكالب بن يونا فأمر موسى السبعين أن
يصوموا ويظهروا ويظهروا أنوهم ثم خرجهم الى الطور رابعات ربه وذلك قوله تعالى واختارهم موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتي الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما داموا الى الجبل وقع عليه عهود الغمام حتى
تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنو وكان موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور اطاع
لا يستطيع احدهم بنى اسرائيل ان ينظر اليه ف ضرب بوجه الحجاب ودنا للقوم حتى دخلوا في الغمام وخرروا
سجدا وسجدوا لله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمر وينهى واسمهم الله تعالى اننى أنا الله
لا اله الا أنا ذكركم من أرض مصر فاعيدوني ولا تتبدوا غيري فلما فرغ موسى من الكلام
وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا ان تؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من
السماء فأحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جنودا من السماء فلما سمعوا أحدهم ما توأبوا وائلة فذلك
قوله تعالى واذ قتلتم يا موسى ان تؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا
قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وياى أنهم سكتا بما فعل السفهاء منا يا رب كيف أرجع الى

بني اسرائيل وقد اهلست خياريهم ولم يزل موسى ينادي ربه حتي احياء الله له جميعا رجلا بعد رجل
ينظر بعضهم بعضا كيف يحبون فذلك قوله تعالى ثم لبثنا منكم الاثنية (اخرى) الحن
بسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح من االى الجنة سبعون كانوا كالسبعين الذين
وفوا وامنع موسى الى ربههم وافضل

(باب في قصة قارون حين عصي ربه واستكبر وأورثه ماله

الطغيان والبطر حتي اهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم الاثنية قالت العلماء باخبار القداماء قارون كان
ابن عم موسى لانه قارون بن بصهر بن قاهت بن لاوي بن يثوب وهو موسى هوان بن عمران بن قاهت
هذا قول أكثر العلماء (وقال ابن اسحق تزوج بصهر بن قاهت سبعين بنت ماوي بن بركيا ابن
يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن بصهر وقارون بن بصهر فنكح عمران بن يثوب بنت شهو بل ابن
بركيا بن يقشان فولدت هارون وموسى ابني عمران فوسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون
عمه لانيه وأمه على قول الآخر بن ابن عمه وعاليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بني اسرائيل بعد
موسى وهرون وافضلهم واجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل
أقرب للتوراة منه والسكن عدو الله نافي كما نافي السامري فبقي على قومه كما قال تعالى فبقي عليهم واختلفوا
في معنى هذا البني قال ابن عباس رضي الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني اسرائيل حين كانوا
بمصر (واخرى) الحسين بسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبقي عليهم
قال كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبني عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب
زاد عليهم في انياب شيئا وروى شيبان عن قتادة قال بقي عليهم بالسكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان اغني
اهل زمانه واثراهم كما قال الله تعالى وآتينا من السكون زمانا فمنا نحن له الاثنية أي لثقل وتبيل بهم اذا حملوها
لثقلها واختلف المتسرون في عدد العصبة في هذا الموضع فقال مجاهد بن العشر إلى الخمسة عشر وعن قتادة
ما بين العشرة إلى الأربعين وعن عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين
اثنائه إلى العشرة وقيل خمسون (وروى) جري عن خيشة قال وجدت في الانجيل ان مفتاح خزان
قارون وقرستين بفلأرا عجله ما بين يدهم مفتاح على اصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان
ايما ذهب يحمل معه مفتاح كنوزه وكانت من حديد فلما انقلت عليه جعلها من خشب ففتلت عليه فجعلها
من جلود البقرة على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على اربعة وبعثا واختلفوا في سبب
جمع تلك الاموال ف قيل كان عنده علم السكيميا قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم السكيميا فلم
يوسع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخذعهم قارون حتى اضاف
علمه الى علمه وفي الخبر ان الله تعالى علم موسى السكيميا فلم يوسع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخذعهم قارون حتى اضاف
سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالنصرف في التجارات والزراعات وسائر انواع
المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الاموال ما اخبرنا الشافعي بسناده عن أبي الحواري قال سمعت
اباسمان الداراني كان يقول تبدي ابليس لفارون وكان قارون قد أقام على جبل اربعين سنة يتعبد حتى اذا
غلب جميع بني اسرائيل في العبادة بعث اليه ابليس شراطينه فلم يقدر وعاليه فتقدم هو له وجعل يتبعه مع قارون
وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه بخضع لاقارون وقال له ابليس يا قارون قد رضيت بهذا الذي نحن فيه
لا تشهد ابني اسرائيل جماعة ولا تود لهم مريضا ولا تشهد جنازة قال فاحدره من الجبل الى البهية فكانوا

كل ليلة وبأى بد صلاة
الصبح بذلك الدرهم
الاسكوب قال شككت على
ذلك مدة من الزمان فيبينا
ما جالس يبيت اذ جاني
بعض اصحابي وقال يا ابن
زيد ما غلامك هذا فانه
نباش القبور قال ففهمني
ما سمعته منهم وقالت لهم
اسكوباني احفظ في هذه
الليلة فلما صليت العشاء قام
ليخرج والابواب مغلقة
فاشار بيده فافتتح له كل
باب اشار اليه واذنا نظرا اليه
فتمتته ومضيت خلفه حتى
بلغ ارضا فلاة فزعم ثيابه
وليس مسحا وصلى الى
النجم فلما فرغ من صلاته
رفع رأسه نحو السماء وقال
يا سيدي الكبير هات اجرة
سيدي الضعيف فوقع عليه
من السماء درهم فاخذته
فتحيرت في امره ودهشت
من حاله ففتمت وتوضأت
وصليت واستغفرت الله
تعالى مما كاد مني ونويت
عتقه ثم طلبته فلم اجد
فانصرف حزينا متحيرا
وما كنت اعرف تلك
الارض فيبينا اناه متحيرا اذا
بقارس قد اتى على فرس
اشبه فقال يا عبد الواحد
ما سبب جالوسك ههنا
فاخبرته بقصتي فقال
لا تتعرض اترى من يملك
وبين يملك فقلت الله اعلم

يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قدر ضيقتا ان نكون هكنا كلاك على بني اسرائيل فقال له قارون فاي رأى عندك قال نكتب به ما نريد بموافتقتك ونعطى قال فلما كتب يوموا وتم بدا يوموا مجلس ابليس ونزكه ففتحت على قارون واب الدنيا فبلغ ماله اخيرا ابن فنجو به باسناره عن المديب بر شر بل قال ان مقلته لتنوء بالصخرة وكانت ار بمائة ثمن في اربعين خزانة فصارت في اثرو وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال انشدني ابوالعباس سهل بن غنم المروزي عن بعضهم وعدتني وعدك حتى اذا * تسلسل ما قلت بصابون جئت من التيسل بناله * تسلسل ما قلت بصابون

فبني قارون وطفي وتجبر حين استغنى واثرى حتى هلك فضايرة للنا بر بن وغلة لا يقين وكان اول طغيانه وعصيانه انه تكبر واستطاع على الناس بكثرة الاموال وكان يخرج في زينة وهيته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينة الآفة قل مجاهد خرج على براذين يبض عليها سر وج الارجوان وعليها المصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خرج في سبعين انفا عليهم المصفرات قال وكان ذلك ازل يوم ظهرت المصفرات في الارض * فيما كان في يذ كرلى عن وقال انه خرج على بغلة شبيهة عليها سر ج من الذهب عليه الارجوان ومعه الف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية يبض عليهن الخيل والتمياج الحر على البغال الشهب تسمى أهل الحسرة والجاهله مثل الذى أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لودحظ عظيم فانكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به واتقوا عما نهاكم عنه فان توأب الله خير ان آمن وعمل صالحا وما يلفاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلفاها الا الذين صبروا ولا يوفى بهذا الكف الدار الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام ان يأمر قومه ان يملأوا في اديبتهم خيوطا رابعة في كل طرف خيط اخضر لونه يكون السماء فقال موسى يارب لما أمرت بني اسرائيل تملق هذه الخيوط الخضر في اديبتهم فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في غفلة وقد اردت ان اجعل لهم علما في ثيابهم ليدكرونى به اذا نظروا اليه وذكروا اله السماء ويمامون في منزل منها كلامى فقال موسى يارب افلا تلمرهم ان يحمدوا لاديتهم كما خضر افاق بني اسرائيل تحرق هذه الخيوط قال له موسى ان الصغيرة من امرى ليس بصغير وان لم يطعموني في الامراض لم يطعموني في الامران الكبير قال فدعى موسى بني اسرائيل ثم قل لهم ان الله امركم ان تملأوا في اديبتكم خيوطا خضر كالون السماء لئلا تروا بكم اذ ارايتهم وها فعملت بنوا اسرائيل ما امرهم به واستكبر قارون فلم يطعه وقال ما يفعل هذه الا الارباب يبيدكم لئلا يتنيزوا عن غيرهم فكان ايضا من بنيهم وعصيانا (قالوا) فلما انقطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي راسة المذبذبة بيت القربان لهرور فكانت بنوا اسرائيل ياتون بهم فدمهم فبدمونه الى هرون فيضمه على المذبح فتنزل نار من السماء فتاكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى ان الرأية والرسالة ولهرور الحبارة واست انا في شيء من ذلك وانأقرأ للتوراة منكنا ولا يصيرلى على هذا فقال موسى والله ما جعلتها نافي هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك في ذلك حتى ترى بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فن أصبحت عصاه خضراء فهاحق الحبارة فجعلوا العصى وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فخرهم ما موسى والفادافى القبة التي كان يبد الله فيها ووجهوا البحر سون عصيهم حتى اصبحوا قاصبحت عصاه هرون قد اهتزت ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من قبل فقال قارون والله ما هذا باعجب مما صنعت السحرة وذهب قارون مضاضا واعتزل موسى تابعا وجعل

موسى يدار به للرافة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يز يد كل يوم الاعتذار بحالته ومما داة
لموسى حتى انه نى دارا وجعل بلها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملا من
بنى اسرائيل يقدون عليه ويرودون فيطمعهم الطامام ويحدونونه ويضا حكونه قال ابن عباس ثم ان الله انزل
الزكاة على موسى فلما اوجب الله الزكاة عليهم اتي قارون موسى فصالحه عن كل الف دينار واحد
وعن كل الف درهم درهم يا حدو عن كل الف شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته
وحسبه فوجده كثيرا فتمسح نفسه بذلك فجمع بنى اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسي قد امركم بكل شيء
فاطعموه وهو الآن يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا له انت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال امركم ان تحبوا
بفلاة الينى فنجعل لها قارون الف درهم مقييل الف دينار ومقييل طستامن ذهب وقيل حكما وقيل
فاسترحنا منه فانوا به لاجل قارون الف درهم مقييل الف دينار ومقييل طستامن ذهب وقيل حكما وقيل
لها انا آمونك واخلفك بنسبتي على ان تقذف موسى بنفسك غدا اذا حضر بنوا اسرائيل فلما كان من الغد
جمع قارون بنى اسرائيل ثم اتى موسى فقال ان بنى اسرائيل اجتمعوا وينظرون خروجك لتأمرهم وتنههم وتبين
لهم اعلام دينهم واحكام شرعهم فخرج اليهم موسى ومعه من ابراهيم من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال
فيما قال يا بنى اسرائيل من سرق قطعا يده ومن افترى جلده ناه اثنين جلده ومن زنى لربلس لامرأة جلده ناه سائة
جلده وان كاره لامرأة رجعتا حتى يموت فقال له قارون ان كنت انت قل وان كنت انا قل ان انا قل ان بنى اسرائيل
يرغمونك انك تجرت بفلاة قل انا قل انهم قال ادعوا فان قالت فهو كما قلت فدعوا فلما جاءه قال لها موسى
يا فلانا فلما قلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليهم اوسا لها بالذي فلق البحر لموسى وبنى اسرائيل وانزل التوراة
على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها بالله بالتوفيق وقت في نفسها الان احدث اليوم توبة افضل
من ان اؤذى رسول الله فمالت لابل كذبا ولكن جعل لي قارون جملا على ان اؤذيك بنفسى فلما تكلمت
بهذا الكلام سقط في يده قارون ونكس رأسه وسكنت الملا وعرف انه قد وقع في مهاكة فخر موسى ساجدا
لله يبكى ويقول يا رب ان عدوك هذا قد اتانى واراد فضيحتي وسبى اللهم ان كنت رسولا فاغضب لى
وسلطنى عليه فارحى الله تعالى اليه ان ارفع رأسك وامر الارض بما شئت تطمك فقال موسى يا بنى اسرائيل ان
الله تعالى قد بعثنى الي قارون كما بعثنى الي فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليمتزل عنه فاعترعوا عن
قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذهم الى جنوبيهم ثم قال يا ارض خذهم الى اقصاهم
ثم قال يا ارض خذهم الى اقصاهم ثم قال يا ارض خذهم الى جنوبيهم ثم قال يا ارض خذهم الى اقصاهم
ويتاشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار انه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك
لا يلتفت اليه لشد غضبه عليه ثم قال يا ارض خذهم فاطمعت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى
يا موسى ما أظفك استغاثوك سبعين مرة فلم تنهم ولم تزحمهم أما وعزى وجلالى لا اوبى ادعوا والوجدونى
قرى يا حبيبا قال قيادة ذكر لنا ان الله تعالى ينسبهم في كل يوم قامة وأنه يحلجل بهم فيها لا يبدون
قمرها الى يوم القيامة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءته عليه قال احمد بن محمد بن الحسين
أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير واحد بن وائس قالوا أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد
عن همام بن دثينة قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني رجل يتختر في برديه
وينظر في عطفه وقد اعجبته نفسه اذ خسف الله الارض فهو يتجاجل فيها الى يوم القيامة * قالوا
فما خسف الله قارون وصاحبه الارض أصبحت بنوا اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى اعمى

أخذت في الاعتذار اليه
فاخذ الفلام عينه يده
وروضها مكنتها ورمقها
الى السماء فاذا هي أحسن
ما كانت ثم أخذ يدا بنى
وتقل عليها فاذا هي كما
كانت فلما رأيت ذلك منه
قلت هذا نباش النور
لانبش القبر ثم ذهب
الغلام عن بيتي فخرت على
فراقه ولم أدر أين ذهب
رضى الله تعالى عنه

(وحكى عنه رضى الله تعالى
عنه) انه قال ركبت في
مركب سنة من السنين
ومعى جماعة من التجار
فثارت علينا ريح شديدة
حتى طرحتنا الى جزيرة
من جزائر البحر فاذا رجل
فيها يهد صنفا فلما رأناه
قلنا له يا رجل ماذا تعبد
قاوما الى الصنم فقلت له ان
ان الهك هذا مصنوع وما
هو باله يهد فقال الرجل
واذهبون انتم قلنا تعبد
الها في السماء عرشه وفي
الارض بطشه وفي الاحياء
والاموات قضاؤه قدرته
تقدس اسماءه وجلت
عظمته وكبرياؤه فقال بمن
اعلمكم بهذا قلنا وجهنا اليها
رسولا كبريا أخبرنا بذلك
فقال وما فعل بالرسول قلنا
لما دى الرسالة قبضه الملك
اليه واختار له من لده قال
وهل ترك الرسول عندكم

من علامة لذلك قلنا ام

ترك عندنا كتابا يسمى
قرأ فقال اتوني بكتاب
الملك فانه ينبغي ان تكون
كتب الملك حسنا قال
فاتيانه بالمصحف الشريف
فقرأنا عليه سورة فلم يزل
يبكي حتى ختمنا السورة
ثم قال ينبغي لصاحب هذا
الكلام ان لا يصي ثم سلم
وحسن اسلامه فلعنا
شرائع الاسلام وسورة
من القرآن فلما كان بض
الليالي صلينا العشاء واخذنا
مضاجعنا فقال يا قوم هذا
الاله الذي دلتوني عليه
اذ اجن عليه الليل ينام كما
تنامون فقلنا لا يا عبد الله
هو حي قيوم لا تأخذه سنة
ولا نوم فقال يس العبيد
اتم تنامون ومولاكم لا ينام
قال فاعجبنا كلامه فلما
اصبحنا قلت لصاحبي
هذا قريب عهد بالاسلام
فاجموا له دراهم ينفقها
فجعله ذلك فلما راها قال
ما هذا قلنا دراهم تنفقها قال
لا اله الا الله دلتوني على
طريق اسسكها ولم
تسلكوها اني كنت أعبد
صما من دونه ولم يضيئني
وانا لا أعرفه فكيف
يضيئني الآن وانا اعرفه
فدعينا من كلامه قال عبد
الواحد فلما كان به ثلاثة
ايام قيل لي انه في سكرات
قال فانتبذ اليه وقلت له هل

دعاني قارون ليستبد بداره وامواله وكنوزه فقالته موسى حتى خسف الله بداره واوله الارض
واوحى الله تعالى اليه اني لا اعيد الارض لاحد بعدك ابدا فذلك قوله تعالى فخذ ثمنه بداره الارض
لها كان له من فؤده ينصره ومن دونه الله وما كان من المنتصرين فله ساحات تقمة الله بقارون حمد
الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وانذروه بأمر الله كما اخبر الله تعالى ان قال له قومه لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين اى لا تبطل ولا تأسر وابتغ فبما ذكر الله الدار الآخرة الآتية وندم الذين كانوا يمتنون
مكانه بالامس وماله وحاله كما قال الله واصبح الذين آمنوا مكابه بالامس يقولون ويكأن الله يستط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فتجلى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه
واما من من كل بلاد ومحنة واهلك اعداءهم فروع وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون
وهامان ولفندجهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الايات

(باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب

الى ان بلغ من امرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفته لا ابرح حتى يبلغ مجمع البحر بن ارامضى حقا قال الاستاذ الامام
اختلف العلماء في السبب الذي قصده موسى لاجل الخضر فروى الحسن بن عمار عن الحكم بن عينة
عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من اهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس
ان نوحا ابن امارة كعب يزعم عن كعب ان موسى عليه السلام الذي طلب العلم انما هو موسى بن
ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثني ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى
نبي بني اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان في عبادك احده واعلم مني فدلى عليه فقال الله عز وجل
انم في عبادي من هو اعلم منك ثم تمت له مكان الخضر عليه السلام واذ له في لقائه وروى هرون بن
عنترة عن ابيه عن ابن عباس قال سال موسى ربه فقال يارب اى عبادك احب اليك فقال الذي
يذكرني ولا ينساني قال فاعى عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال يارب اى
عبادك اعلم قال الذي يتبعني علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تنهيه الى هدى انترده عن ردي
قال فهل في الارض احدا علم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال ابن اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة التي بقلت عندها الحوت وجعل الحوت علمه وادبلا وقال اذا حياه هذا الحوت فان
صاحبك هناك وكان قد تزود سكا ملحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه
على مصر واستقرت بهم الدار انزل الله عليهم المن والسوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله
من الخير والنعمة انجزهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم
تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألوه فنبهكم افضل اهل الارض واتم
تقرؤ التوراة فلم يترك نعمنا نعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اذها فقال له رجل منهم من نبي
اسرائيل قد عرفنا الذي نقول فهل على وجه الارض احدا علم منك يا نبي الله قال لا قال فغضب الله عليه
حيث لم يرد العلم اليه فبث اليه جبريل عليه السلام فقال له يا موسى ما يدريك ان ابن اضع علمي لاني
عبدا جمع البحر بن اعلم منك فقال موسى ربه ان يريه اياه فادعى الله اليه ان اثبت البحر فانك تجد
على شاطئ البحر حوتا فخذوه وادفعه الى فقال ثم ازم شاطئ البحر فذا اثبت الحوت وهلك منك فم
نجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفئا يقصد ان يجمع البحر بين لفنا والخضر عليه السلام ومعهما
حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفته اى لصاحبه يوشع بن نون ابن افرام

حوادثه و قد مدت عند
رأسه فلما بقي اليوم فتمت
فرايت روضة خضراء
وفيها قبة عظيمة وفي القبة
سريرون وعلى ذلك السريرون
جارية حسنة اسمها أرا حن
منها وهي تقول بالله لا ما
عجلتم به فنداشت دسوقي
اليه فاستيقظت من منامى
فوجدت الرجل قد فارق
الدنيا رحمة الله تعالى عليه
ففسلته وكففته وصلينا
عليه ودفناه فلما تمت رأيت
في المنام في تلك القبة على
السريرون والجارية بجانبه
وهما يقرآن هذه الآية لمثل
هذا فيعمل العاملون رضى
الله تعالى عنهم اجمعين
وقمنا بهم آمين (وحكى
عن ذى النون المصري
رضي الله تعالى عنه) أنه
قال بينما أنا أسير في نواحي
الشام اذ وقعت على روضة
خضراء وفيها شاب يصلى
تحت شجرة تفاح فتقدمت
اليه وسلمت عليه فلم يرد على
السلام فسلمت عليه ثانيا
فاوجز في صلاته وكتب
باصبعه في الارض هذا
الشعر

منع اللسان من الكلام لانه

ككف البلاء وجالب

الآفات

فاذا نطقت فكنت لربك

ذاكرا

لأنه واحد في الحالات

ابن يوسف عليه السلام لا يروح اى لا يزال اسير حتى يبلغ مجمع البحر بن يعنى بحر فارس والروم مما يلي
المشرق قال فتأذى بن كعب هو اقر بنية وقال نحو بن كعب طبعنا وامضى حقبا دهرنا زمانا
طويلا فذهبوا ومعهما الخبز والماء وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحر بن ليلا
قال معقل بن زياد وهى الصخرة التى دون نهر الزبى قال وعندهما عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب
ذلك الماء شيئا الا عاد حيا فمما اصاب الهكتر وح الماء ورده اضطررت في المسكن وعاشت ودخلت
البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعنى موسى وفاتا مجمع بينهما يعنى البحر بن نسيا تركا حوتها وانما كان
الحوت مع يوشع وهو الذى نسيه بذلك عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه عرف النسيان لهما
والمراد به احدهما كما قال تعالى يخرج منهما المائت والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فانخذ
الحوت سبيله في البحر سرى باى مذهبا ومسلكا واختلافوا في كيفية ذلك فروى ابى بن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصارة كوة فلم يلبثهم فدخل موسى الكوة على اثر
الحوت فاذا هو بالحضر عليه السلام وقال ابن عباس راي ارجنا حية في الطين حين يقع في الماء وجعل
الحوت لا يسر شيئا من البحر الا يديس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن ابى بن كعب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وخضرا وسهما فانما فاضطر به الحوت في المسكن فجرح
منه وسقط في البحر هار فانخذ سبيله في البحر سرى باى مذهبك الله تعالى عن الحوت جرحه الماء فصار عليه مثل
الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه ان يخرج به بالحوت فانطلقا بنية يومهم ما وليتهما حتى اذا
كان من الغد قال موسى اغتاه انا غداه نال الآية وقال فتأذى بن كعب طبعنا وامضى حقبا دهرنا زمانا
البحر ثم سلكه جمل لا يملك منه موضعا الا صار ماء جامدا نظر بقايا باسا وقال الكلبى توحى يوشع بن نون
من عين الحياة فانضج على الحوت الملح من ذلك الماء وهو في المسكن فماشى ونسب في الماء فجعل يضرب
بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب الا يديس قال الحكيم كان لموسى عليه السلام خمسة سفن
الاول سفن الحرب وهو قوله تعالى ففرت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفن الطور وهو قوله تعالى فلما اتاناها
نودى ان بورك من في النار ومن حولها الآية وقوله تعالى فلما اتاناها نودى من شاطئ الوادى لايمن الآية
والثالث سفن الضلالت وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى والرايع
سفن الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول نومه فاذهب انت ورك فانا لا لايه والخاص سفن النصيب
وهو قوله تعالى لغدا عيننا من سفرنا هذا نصيبا وذلك لما لى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة
ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فانه وتذكر ان رأيت اذ اوتينا الى الصخرة فاني نسيت
الحوت اى تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فاني نسيت ان اذكر امر الحوت وما نسا نيه الا الشيطان
ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد ادى شي اعجب من حوت كان دهرامن الدهور
يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من اثر
جرى الحوت اخذود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحر بن
واذا هو بالحضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أي نطلب فارتدا فارتما على آثارهما الذي جا آمنه
قصصا أي يقصان الاثر فوجدنا عبدا من عبادنا يعنى الحضر عليه السلام

(فصل في ذكر جمل من أخبار الحضر عليه السلام واحواله)

واسمه مليا بن ملكا بن قانع بن عابر بن شالح بن ارغش بن سام بن نوح وانما لقب بالحضر كما أخبرنا
به ابو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءته عليه قال أخبرنا ابو حامد احمد بن محمد بن الحسين الشمرى

قال ذوالنون في كبريت بگاه

شديد انتم كبرت باصبعي
في الارض

وامن كاتب الاسدي

ويبقى الدهر ما كبرت يداه

فلا تكتب بخطك غير شي

يسرك في القيامة ان تراه

قال فصاح الشاب صيحة

فأت رحمته الله تعالى ففتت

لا غله فاذا بتائل يقول

خل عنه فان الله تعالى

وعده ان لا يتولى امره الا

الملائكة قال ذو النون

رضي الله تعالى عنه ثلث

الى شجرة فركت عندها

ركمات ثم أتت الموضع

الذي مات فيه الشاب فلم

اجزله اتراولا وقست له على

خبر رضى الله تعالى عنه

ونقمته به وبكره أمسين

(وعن مالك بن دينار رضي

الله تعالى عنه) انه قال

كنت ماشيا في اربعة البصرة

يوما من الايام فرايت

جارية يمين جوارى المولى

راكبة ومعهما خادم وغلمان

قائمت اليها وقلت ايها

الجارية ابيدك مولاي

فقلت الجارية ولو باعني

مولاي كان مثلك يشتري

فقلت نعم وخير امك قال

فضحك وامرتني ان

احملهم الى بيت مولايها

خفت منها فلما دخلت

الى مولاي اخبرته بذلك

فضحك وامر ان ادخل

فدخلت اليه وسلمت عليه

قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبا ناعبد الرزاق أنبا ناعبد الله بن حامد الوراق قال أنبا ناعبد بن عبدان قال أنبا ناعبد الازهر قال حدثنا ناعبد الرزاق قال أنبا ناعبد مر عن مام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر لانه جالس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء واخبرنا ابو نصر محمد بن علي بن الفضل الخرازمي قال أنبا ناعبد بكر محمد بن الحسن القمصار قال أنبا ناعبد بن يوسف السلمي قال أنبا ناعبد بن يوسف القرياني قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمى الخضر لانه اينا صلي اخضر حوله

﴿ فصل في بدء امر الخضر عليه السلام ﴾

يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يري به الى السماء بنهاه على الوراق وجبريل عر به اذ جدر راحة طيبة فقال يا جبريل هذه الراحة الطيبة قال انه كان ملك في الزمان الاول له ميرة حسنة في اهل ملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال اصحاب الاخبار وكان ابوهم ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤد به وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان عر به فاعجب به حاله فانفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه في المنزل وابوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشوا واخذ من العالما بدشماله وعبادته فقالوا لايه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لملنا ان رزق اولادنا فرض عليه ابوهم التزويج فاني لم اورد في فرض عليه فرضي فزوجوه جارية يمين بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها اتي بخبرك بما امر ان انت سمعتي صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان افقيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة قالت وما ذلك قال اتي رجل مسلم لست على دين ابي وليست النساء من حاجتي فان رضيتني ان تقمي معي على ذلك وتابعيني على ديني فذاك اليك وان انت ابيت لحقت باهلك فقالت المرأة بل اقيم معك فلما أنت عليها مدة قالوا لايه ما نظن ابنك الا عاقرا لا يولد له ولد فلهذا قال ابوهم فقال ما ذلك بيدي وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فودت عليه مثل ما ردد عليه الخضر فحكى ابوهم زمانا ثم دعا ابنته اليه فقال له احب ان تطلق امرأتك هذه وازوجك امرأة غير هالودا ربما ترزق منها ولدا ففكره ذلك الخضر وألح عليه ابوهم حتى فرق بينهما وزوجها امرأة غير هالودا فبدا فرض عليها الخضر مرة تلو الاخرى فرضيت ولة اقيم معك فلما زما ثم ان اباه استبسط الولد منه فدعا وقال له ليس بولدك فقال ليس ذلك يدي وليكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها انت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غيري وليست تلدين عند ابي فقالت امسني منذ صحبتك وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنته وغيره ونعفه ففزع من ابيه ولم يمس على نفسه منه فخر ج من عنده فقام على وجهه ولم يدرك احد من خلق الله تعالى ابن توجه فندم ابوهم على ما فعل فارسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى خائفة فانظروا في طايه فادركه منهم عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم اني اقول لكم شيئا واحدا فان كنتموه عني فان كنتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان ابيت ذلك وافقيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بمشيت اتي في طايه احد اعيركم قالوا نعم فقال لهم اذا قموا اكمروا امرى ولا تخبروا ابي انكم رايتوني وقولوا مثل قول نظر انكم الذين ارسلهم في طايه فلم يروني لانكم رايتوني عني اودعيت في اليه قلني وصرت اتم واخذني يدي قال فخلوا عنه وصر فوا فلما دخلوا على ابيه قال سمعتم منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال امرا مالا به علم ومالي به خير والسمعة قالوا بل قد ظننا به وان شئت اتيك به فقال لهم ارجعوا في طلبه وانوني به وان الخضر خاف ان يظفروا به فانحز زمن ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لمره فقتلهم ابوهم قال وان اباه دعا بالمرأة التي يري قال لها

قلت بئى جارى بك فقال
 مولاهما فليبقى اياه عنهما
 فقلت نعم قيمتها عندى
 نواتان موسوستان قال
 فضحك وقال كيف يكون
 عنهما عندك هذا القدر
 فقلت لكثرة عيوبها فاعمال
 وما عيوبها فقلت ان لم
 تمطر ذفرت وان لم تنك
 بخرت وان لم تمشط
 وتدهر مات وان عمرت
 هربت ذات حبيض وبول
 واقذار وحزن ورغم واكدار
 واملها لا نودك الا لنفسها
 ولا تحبك الا لتنعيم الانبي
 بعدهك ولا تصدق في
 ودك ولا تخلف عليها
 احدا بمالك الارائه مثلك
 وانا اجذبون ماسالت
 من الثمن في جارى بك
 هذه جارية خلقت من
 سلاسل الكفور ومن
 المسك والغبر والنورلو
 مزج بريقها الجاج لطاب
 ولو دعي بكلها ميت
 لاجاب ولو بدا مصعبها
 للشمس لا ظلمت وكففت
 ولو بدا جبينها فى الظلمات
 لا نارت واشمقت ولو
 واجهت الاقلاق بحليها
 وحللها لتعطرت
 وتزخرفت نشأت بين
 رياض المسك والزعفران
 وقضبان الياقوت
 والمرجان وقصرت في
 خيام النعم وغذيت بما

أنت صنعت هذا باني حتى هرب فتعلمها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر
 الذى أنكر روى بالخضر ما يؤمنني أن يقبلي كما تنسمة فهرب حتى أتى قرية فآذا المرأة الهاربة أيضا
 في تلك القرية فكانت تحتطب فقلت يوما باسم الله فسمها الرجل الهارب قال لها من أنت فأخبرته خبرها
 فقال يا هذه انا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن تزوجك وتبدي الله حتى نموت فماتت نعم ثم
 امها انطلقنا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فالتحذا بيتنا من نصب رمكنا فيه ورزاقه فلأنه أولاد
 فنال له الرجل اذا مات فاذنيتي في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لأحب أن تكون قبورنا
 مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصي ان يهدم عليه البيت ثلثات الرجل فدفعته امرأته ثم انه بلغ فرعون
 زمانهم اثم يوحدون الله و يعبدونه أنجى بالمرأة الى حضرته فامرها ان ترجع عن دينها فابت فامر بقدر
 من نحاس فملئت ماء وغلي غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فلما أحضروا قال له ارجعي عن دينك والا
 الفتيك أنت واولادك في هذا القدر فابت عليه فامر بولدها الاكر قال فيه ففتخ فيه وكذلك الثاني وكان
 في حبيره ابن رضيع فارادوا الفداء ففرقت المرأة ونازعتهم في شأنه فنكحهم الغلام الرضيع وقال لها صبري
 فالتجيري ما في الجنة فله أرادوا ان يلقوها في القدر فالتهم الى البيك حاجة يسيرة قالوا ما هي قالت اذا ارميتوني
 في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا بيتنا واهدموه علينا فافعلوا ذلك فلما امرى برسول الله صلى الله
 عليه وسلم وجدرا متحطبة فقال ما هذه يا جبريل فأخبره بقصتهم وقال هذه را محتهم وروى ان جبريل عليه
 السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومنا أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارهم فضر بهم
 الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانقلت منهم رجلا ن على لوح من الواحها فضر بهم الامواج حتى أسندتها
 الى جزيرة من جزائر البحر فخرجوا يجولون في الجزيرة فاذا هم بالخصر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو
 قائم يصلي فجالسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من انتما قالان نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في
 هذا البحر لطالب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة وقد قمنا الى هذه الجزيرة فقالا اختارا ان شئنا ان تقياني
 هذا الموضع تبدينا الله تعالى وتانيكما ارزاقكما وان شئنا ان نكفركما قال لا تردنا الى منازلنا
 فقال لهما على أن تعطيناني عهد الله وميثاقه على انكما لا تخبران بشيء مما رآنا فاعطياه العهد
 والميثاق على الكتمان فانظر فاذما سحائب تمر قد عاهن وسالهن فقلت كل واحدة منهن ان يدب كذا وكذا
 فدعا نبي تر يدب لهما فقال لهما احمل هذين حتى تضعيهما على سطوحيهما فسدطت السحابة وانشقت
 لهما ثم رفعتهما وهضت حتى وضعتهما على سطوحيهما ففرم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم
 الآخر على اذاعته فنزل من سطوحه وخرج من باب الانطاق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك
 فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنتك في موضع كذا وكذا وصنع بي كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال
 فلان كان رفيقي فبهت اليه وسالهما قال فقال أمر كوكب البحر فقد ركبتا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة
 وصرنا على لوح من الواحها فنزل الواج تضر بنا حتى صرنا الى الداحل فخرجنا من البحر فلم نزل
 نميش من الشجر ونبات الارض والثمر ترغمنا ارض وتضمننا أخرى حتي انتهينا الى منازلنا فقال له
 الغادر ابعث همى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا كذب فامر بالرجل الكاتم فحس وتوعده
 بالصاب ان وفي صاحبه بما قال وأوعده الغادر بالصواب ان هو كذب ولم يأت به فبهت معه رسلا فركبوا البحر
 حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا وشية فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا الكذب خلق
 الله ما رأينا ما قال شيئا فصلبه وخبى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يملون المعاصي حتي غضب
 الله عليهم قال جبريل عليه السلام في معنى الله تعالى اليهم فادخلت جناحي تحتها واقتلمتها فرفعتها حتي سمع

الذي لا يخافهم ولا

تبدل ودها فانها حينئذ
احق برفع القم من
جارية هذه فقال الملك
يا اخي فابن التي وصفت
قلت الموجودة النش
القرية الخلط في كل زمن
فقال ما قيمتها برحمتك الله
قلت اليسير المبدول لتيل
الخطير المامول وهو ان
تتفرغ ساعة في ليالك
فتصلي ركعتين تخلصهما
لربك وان تدع طعامك
فتؤثر جائعك وان ترفع عن
الطريق حجرا وقذرا وان
تقطع ايامك بقلة البغاة
وان ترفع همك عن دار
الغرور والغفلة فتعيش في
الدنيا بمن الفناعة وتأتي
الى الموقب آمنا غدا تنزل
في الجنة دار النعيم في جوار
المولى الكريم مخلدا فتألف
الملك يا جارية اسمعت ما
قال شيخنا هذا فاقالت نعم
قال اصدق ام كذب
فقال بل صدق ونصح
فقال مولاه انا فانت حرة
لوجه الله تعالى وضيعة
كدا وكذا صدقة عليك
واتم اهل الجوارى والخدم
أحرار لوجه الله تعالى
وضيعة كذا وكذا صدقة
لكم وهذه الدار وما فيها
صدقة وجميع مالي في سبيل
الله ثم مديده الى ستر خشن
كان على بعض اوابه
فاخذته وخلع جميع ما كان

اهل سماه الدنيا باح الكلاب وصيها ح الديوك ثم امرني فقلبتهم فجاءتهم هوى عن فيها حتى انتهت الى وجه
الارض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاعنة ثم انطبقت الارض عن فيها فلم ينج
منهم غيرهما فجدلادوران في حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه ولما ان كثر ذلك قال
الرجل ايتم المرأة قد رايت ما اصاب الذوم وانه لم يفلت غيري وغيرك فباى شيء نجونا فاخبرني وانا
أخبرك فمأهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاما قصتهما واحدة وانما بينهما الكتمان
فقال له ل لك ان تزوجيني نفسك ونحرج الى مدينة من هذه المرائن فاكتب عليك واكتبسعين على
حتى ينضي من امرنا ما يشاء فعملت فذهبوا الى مدينة فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هي
ذات يوم قاعدة تمرح رأس بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله نمن من كثر بالله
ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك لربا غيرا ربي فقالت نعم هور ربي ورب
ايك ورب كل شيء فحبطت الجارية بقود خات على ايها وقالت تعلم ان فلانة تقول قولاً عجيبياً تقول كذا
وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي يلقى عنك فذات هوما بك قال فهل أحد يقول بقولك
قلت نعم ابل وصبيتي فبنت اليم وامتنعهم فاذاعهم يقولون قولاً واحداً فمالهم ان لا تفكر على ماتم عليه
حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فامر بقدر من نحاس عظيمة فطأت ماء ثم أشعل تحتها
حتى اضطر الماء ندعا بالصبي ففرض عليهم واحد او احدى ليكفروا فاقوالا يكفروا فاخذهم وطرحهم
في القدر ثم انه دعوا بالزوج وعرض عليه الكفر فاني فانه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقاً
فان انت رجعت الى ديننا والالتقيناك في القدر فقلت له اصنع ما انت صانع ثم انها قالت له ان لي اليك حاجة
قال وما هي قلت اذا صنعت ما أنت صانع فمر ببنتان يحفر في حفرة ثم تأمر بالقدر فتدمل عا فيها ثم
ياون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يمد علينا التراب ثم يمد علينا البيت ففعل ذلك ففذه
الرائحة رائحة المسك تسطع من بينهم الى يوم القيامة ففذه قصة الخضر مع ابيه بدء امره وكان في
زمن افر يدون الملك ابن القباء على قول عامة اهل الكتب الاولي وقيل انه كان على مقدمة ذى القرنين
الاكبر الذى كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذى قضى ببيت اليعاقبة وهو كان احتقرها ابراهيم
عليه السلام لما شربته في صحراء الاردن وان قوماً من اهل الاردن ادعوا الارض التي احتقرها فيها ابراهيم
عليه السلام فحكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذى القرنين الذى كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد
وانه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذى القرنين ومن معه في بحانه فخذ
وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذى القرنين الذى كان على عدا ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام
على مقدمته هو افر يدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه
على دينه وهاجر معه من ارض بابل (وروي) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان الخضر هو
أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذى ايمته الله نبياً في أيام نأشئة بن اموص ملك بني
اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وادلى بالمدل بالصدق لان نأشئة بن اموص كان في عصر كرفشت بن
كراشت في أيام بختنصر وبين افر يدون وكرفشت من الدهور والازمان مالا يحصىه ذوعلم بايام الناس
واخبارهم * وقد صرح الخبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى
ابن عمران الذى امر بطايعه ولا يقبأس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق
بالأمور الماضية والباقية وموسى بن عمران اثناني في عصر متوشعر الملك وكان متوشعر الملك ملك امد
جده افر يدون فدل هذا على خطا ما قاله ارميا بن خلفيا لان ارميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى

فلم أرأت الجارية ما فعل
مولاه قالت لا عيش لي
بدك يا مولاي ثم رمت
كسوتها ولبست مثل
مولاه وخرجت معه
فودعهم مالك ودعاهما
واخذ طريقه فتمبداحتي
جاء الموت ولقهما على
حال العبادة عفا الله عنهما
ونقمنا الله بهما آمين
✓ وحكى عن جعفر بن
ساجان رضي الله تعالى عنه
انه قال مررت انا ومالك بن
دينار بالبصرة فبينما نحن
تدور بها اذ مرنا بقصر واد
يشاب جالس مارايت
أحسن منه وجهاً وهو يامر
ببناء القصر ويأمر افعلوا
كذا واصنعوا كذا فل
مالك اما تري يا جعفر الي
هذا الشاب وحسن
وجهه وحرصه على بناء هذا
القصر ما شوقني الى ان
اسأل ربي ان يخلصه
فيجعله من شباب الجنة ثم
قال يا جعفر ادخل
بنا اليه قال فدخلنا اليه
وسامنا عليه فرد علينا
السلام وكان لم يعرف ملك
ابن دينار فله اعرفه قام اليه
وقال هل من حاجة
يا مولاي فقال مالك كم
تويت ان تنفق على هذا
القصر قال مائة ألف درهم
فقال مالك الانطع بي هذا
المال قاصرف لمستهجفه

وبختصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم الا ان يكون الامر كما قال من قال انه كان على مقدمة في
القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فغرب من ماء عين الحياة فخذل ولم يبعث في أيام ابراهيم ومن بعده
الى امام ناشئة بن اموص فبعث حينئذ نبيا والله اعلم والصحيح انه نبي موحى بحجوب عن الابصار (وروى)
محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبيد الله بن سوار قال اخضر من ولد قارس والباس من بني اسرائيل يلتقيان
في كل عام في الموسم واخبرني محمد بن القاسم اخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال اخبرنا ابو بكر احمد بن محمد
بن يعقوب قال اخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي اخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار قال ان اخضر والياس لا يزالان حزين في الارض مادام القرآن فيها فان ارفع القرآن ماتا
واخبرني ابو عمرو والمراني اخبرنا ابو احمد محمد بن علي الرازي اخبرنا ابراهيم بن اسحق الانساطي اخبرنا
ابو همام الوليد بن شجاع السلمي اخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض اهل العلم
عن انس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال
يا انس انطلق يا بصير ما هذا الصوت قال فانتقلت فاذ رجل يصلي ويقول اللهم اجماني من امة محمد المرحومة
المنفورة والمهتاجة لهما انتاب عليهما فاقبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق
فقل له اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمسك بالام ويقول لك من انت فاقبته فاعلمته بما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لي اقري رسول الله صلى الله عليه وسلم في السلام وقل له اخوك اخضر يقول
لك ادع الله ان يجماني من امة المرحومة والمنفورة والمهتاجة لهما انتاب عليهما (رجعنا الى حديث موسى
وفناه) قالوا فانتهي موسى وفناه الى اخضر وهو قائم يصلي على طائفة خضره على وجه الماء وهو متشح
بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال اخضر واني بارضك السلام فقال انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال
نعم قال يا موسى لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي ارسلني اليك لاتبكم واتعلم من علمك ثم
جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال اخضر يا موسى خطر ببالك انك اعلم
اهل الارض ما علمك وعلمي وعم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا اقل من الماء الذي حملته
الخطافة بمنقارها فلذلك قوله تعالى فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا اى نبوة وحكمة وعلمناه من
لدنا علما (وقال ابن عباس) كان اخضر يعلم علم الغيب فعلم له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
قالا انك ان تستطيع معي صبرا لا نعلم الا انك اعلم الباطن علما علمته الله تعالى وكيف نصبر على ما لم نخط به خبرا بقي
على ما لم تعلمه قال موسى سستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فان اتيتني فلا نسألكني عن
شيء علمته مما تنكره حتى احدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا ليعبران بليتسان سفينة بركان فيها
فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال اصحاب السفينة هؤلاء لصوص وامروهم بالخروج منها
فقال صاحب السفينة ما هؤلاء لصوص والكني ارى وجوههم وجوه الانبياء وقال ابن بكعب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا عثمانيان على ساحل البحر اذمرت بهما سفينة فكموهم ان يحملوهم
فمروا اخضر فحملوهم بغير نول فلما دخلوا في البحر اخذ اخضر عليه السلام فاسا فخرق لوحا من السفينة
حتى دخل الماء فحشاها موسى ثم وبه قال له اخرقتها لتغرق اهلها او قد حملونا واحدا والينا فخرقت سفينتهم
ما هذا جزاؤهم من اذ جعلت شيئا امرأى عجيبا منكرا قال اخضر الم اقل انك لا تستطيع معي صبرا قال موسى
لا تواخذني بما نسيت ولا تهرقني من امرى عسرا بني لا تكفني ولا تضيق علي امرى (قال ابن عباس) لما
خرق اخضر السفينة تجى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت اصنع بصاحبة هذا الرجل كنت في
بني اسرائيل اتلوا عليهم كتاب الله غدوة وعشية وأمرهم فيطيعوني فقال له اخضر يا موسى اتر يدان اخبرك

واضح من لك على الله تعالى

قصرا خبرا لك من قصرك هذا بولده وخدمه مكرلا بالدر واليا قوت مرصا بالجواهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يد ولا يبنيه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب ياسيدي قامني الى اللية الى غد فقال تم قال جعفر فبات مالك متفكرا في الشاب فلما كان وقت السجود دعا الله تعالى فاكثرت من دعائه فلما اصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فاما عابن مالك بن دينار قال ما تقول بالامس فوال تعال قال نعم فاحضر المائل وقتها وحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ضمنه مالك ابن دينار لفلان بن فلان اني ضمنت لك على الله قصرا بديل قصرك بصفته كما وصف والى يادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المائل قصرا في الجنة أفسح من قصرك في ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فاما سي مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أنى على الشاب اربون يوما حتى وجد

بما حدث به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانظروا عيشان حتى أنيا ليلة فاذلما بثمان عشرة فيهم غلام هو اظفرهم واضو فرم وجهه قال ابن عباس كاد غلاما بلغ الحلم وقال الضحك كان غلاما يعمل الفساد فاذى منه ابواه وقال الكلبى كان الغلام يسرق للناع بالليل فاذا أصبح لجأ الى ابويه فيجملان دونيه شفقة عليه ويقولون لقد بات عندنا واختله وفي اسمه فقال الضحك كان اسمه حسودا وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم ابيه ملاس واسم أمه رحمة قال فاخذته الخضر علي السلام فقتله واختلقوا في كفة فقتله قال سعيد بن جبيرة اخذه فاضجده ثم بجمه بالسكين وقال الكلبى صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية اخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فقتلها فمات فلما اقبله قال موسى اقامت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذب ولم تستوجب القتل بغيرة نفس لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامه قال فضضب الخضر واقطع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظام كتفه مكتوب كافر لا يؤمن بالله بدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا احمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لم تستطع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقى (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الزوان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حماد قال بات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لوليت مع صاحبه لا بصر العجب العجيب ولكن قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحني قد بلغت من لدني عذرا فانظروا عيشان حتى أنيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين وهي ابعادرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليهما ينسب النصراني قالوا فوافياها قبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافهم فابوا ان يضيفوهما فاوا كانوا أهل قرية لما وقال قة في هذه الآيات شر القري لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا لم نجدوا ملك اللية في تلك القرية قري ولما ولا ماوي وكانت ليلة باردة فلدجوا الى حائط على شارع الطريق يري يدان ينقض أي يكاد ينهدم يسقط ولم يكن عبر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفي بعض الاخبار ان سملك ذلك الحائط ثلاثين ذراعا بذراع لك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أي سواه وقال ابن عباس هدمه وبناه وقال سعيد بن جبيرة مسح الجدار وسواه بيده ومنكبته فاستقام فقال له موسى لو شئت لا اتخذت عليه أجرا ليكون لداقوتا ولفنة على سفرتا اذا استضيفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بيني وبينك سانبك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا ثم اخذ سيفه فقتل اما السفينة فكانت لساكين يعملون في البحر الاية قال كعب وغيره كانت لعمرة اخوة زمي لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها من ابهم خمسة منهم يعملون في السفينة في البحر وخمسة لا يطيقون العمل فاما العمال منهم فاحد منهم كان مجذوما وانثى أعور وانثى اعرج والرابع آرد وال خامس مجوم لا تقطع عنه الحى الدهر كله وهو اصغرهم والخمسة الذي لا يطيقون العمل اعنى واصم واخرس ومقدم ومجنون وكان البحر الذي كانوا يعملون فيه ما بين فارس الى بحر الروم (ويروي) عن عكرمة قال قلت لابن عباس في قوله اما السفينة كانت لساكين كانوا امساكين والسفينة تساو الف دينار فقال ان المساكين مساكين وان كان معه

الفسديار ولذا قيل ان المسافر وماله على قلة الاموال في الله تعالى قدرت ان اعياها قطعا لطمع الخاطمين فيها ودفعا
لشرهم وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واوراهم اي امامهم قال الله تعالى من وراءهم جهنم ومن وراءهم
برزخ الى يوم يثوبن اي امامهم وقيل خلقهم لانه كان رجوعهم في طريقهم علي . ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم
الله تعالى الخضر خبره وكان ياخذ كل سفينة غصبا وكذلك كان يقرؤها ابن عباس فخرقتها وعبثها
كيلا يتضرر لها ذلك الملك واختلفوا في اسم ذلك الملك فقال اكثر العلماء اسمه جلندى وكان كزبرا وقال
ابن ابي حنيفة كان اسمه منواه بن جلندى الاردني وقال شبيب الحبائلي كان اسمه هدر بن بدر وقيل كان لهذا الملك
ثلاثة وستون قصرافي كل قصر امرأة قال فلما جاوزوا الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها واما الغلام فكان
ابواه مؤمنين فخذنيانا فيملئنا ان يرهقهما بنشاهما طمعا ناوكره واقهيهما لهما وقيل خشى ان يدرك فيدعو
ابويه الى الكفر فيجيباه ويدخلهما معه في دينه لفرط محبتهم له وقيل خشى على الغلام ان يعمل عمل الفساق
فيتما فلان ابواه يدخلان النار فارادوا ان يبدلهم اربها خيرا منه زكاة وصلاحا واقرب رحما قال ابن
عباس يعني واصلا للرحم وبرا بالديه فابدهما الله جارية مقيمة ادركت يونس بن متى وتزوجها
نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدي الله على يديه امة من الانام (واخبرنا) عبدالله بن حامد قال اخبرنا
حامد بن احمد قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن يحيى بن الحرث اخبرنا عبد الوهاب بن فليح اخبرنا ميمون بن
عبدالله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه في هذه الآية قال ابدلها جارية فولدت سبعين نبيا
وقال ابن جرير ابدلها بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة في هذه الآية قد فرح به ابواه حين ولد
وحزننا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلا كهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضا
فيما يحبه * وأما الجدار فكان لاملايين يتيمين في المدينة واسمها اصرم وصريم وكان تحتها كنزها
واختلفوا في ذلك السكز ما هو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صاحبها مدفونة تحتها فيها علم وقال
الحسن وجعفر بن محمد كان لهما من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالفدر
كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يصب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن
بالحساب كيف يجيع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لاله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك السكز ما لا يدل عليه ما اخبرنا ابو بكر الحشاشي المزكي
اخبرنا ابو الحسن احمد بن قيدوس الطرائقي اخبرنا عثمان بن سميد اخبرنا صفوان بن صالح الدمشقي
اخبرنا يزيد بن مسلم الصنعاني عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى وكان تحتها كنزها قال كان زهدا وفضة وكان ابوها اسمه كاشع وكان صالحا
تقيا آمينا فخطا اصلاح ابيهما ولم يذكرهما صلاحا وكان بينهما وبين الاب الذي حفظاه سبعة آباء
(اخبرنا) عبدالله بن حامد بن محمد قال اخبرنا بشر بن موسى اخبرنا الحارثي اخبرنا سفيان اخبرنا
محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال ان الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده ورلد ولده
وبقته التي هو فيها والدوريات التي حوله فما زلن في حفظ الله وسنته وعن سميد بن المسيب
انه كان اذا رأى ابنه قال يا بني لا تزيدني في صلاتي من اجلك اني احفظ فيك ويتلو هذه الآية
(اخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلفت وذهب عقلها فتوحشت
وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحصر على
الصلاة والطهور فبينا أنا قائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا فالتفت
فقلت أختي قالت أختك فقلت لبيك فتمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من

محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة فآخذها مالك فاذا في ظهره مكتوب بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم مالك بن دينار قد وفينا الشاب الفصير الذي ضمنته له وزيادة على ذلك بسبعين ضمنا قال فتعجبت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا بالباب مسدود والبيكة في الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالأمس فاحضرنا الغاسل وقلنا انت غسلته فقال نعم فقال لك خدتنا كيف صنعت فقال الغاسل يا سيدي انه احضرني قبل موته وقال اذا غسلتني وكففتني اجعل هذا الكتاب بين كففي وبدني ففعلت ذلك ودفنته معه قال فاخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل وقال له يا سيدي والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثير البكاء والتعجب ثم قام شاب آخر وقال يا مالك خذ مني مائتي ألف درهم واضمن لي مثل ما ضمننت للشاب المتوفى فقال مالك هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم ما يريد فكان مالك كاهنا ذكر الشاب بكى وقال هتأله ودعاه بالرحمة رحمة الله بهم

ابن السماك رضى الله عنه)
انه قال كان محمد بن سليمان
ابن موسى الهاشمي من
انتم بنى امية عيشا
واكرهم بالاعطاء نفسا
وكان منهم مكافى شهوات
نفسه من اصناف اللذات
في الملوك والشرب والملبس
والطيب والجواري
والعلماء ليس له فكرة ولا
همة الا في الذي هو فيه من
ذلك وكان شابا جريلا وجهه
كاستدارة القمر وكانت
نعمة الله سابعة عليه فكان
يستغل كل حول نحو ثمانية
الف وثلاثة آلاف دينار
ذهباً يصرف كل ذلك فيما
هو فيه من عيشه ولذته
وكان له مستشرق عال
يقعده في شرف على الناس
وله ابواب مشرعة الى
بساتينه وقد ضرب قبة
من عاج مطلية بالفضة
والذهب وهو على سريره
عليه غلالة من قصب وعلى
رأسه عمامة مكالبة باللاكي
ومعه في تلك القبة نداءؤه
وجلسائه وقد اوقف على
رأسه الخدم والعلماء في
مجلس خارج القبة بحيث
يراهم فانما اشبهى سماع
القيان بنظر نحو الستارة واذا
اراد سكوتهم او ما يريد نحو
الستارة فهذا كان دأبه الى
ان يذهب الليل فتخرج
الندماء ويخلو مع من شاء

عشر بن سنة فقلت يا اخي خيراً فقلت خيراً يا اخي بت الليلة فان اتى في منامي فقال لي السلام عليك
يا حبة فقلت وعليك السلام فقال لي ان الله قد حفظك بك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك
بابك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان ابا بكر وعمر
رضي الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أليك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختياري
أحدهما فاصبر على ما انا فيه والجنة واسم الله الواسع الفضل خلفه لا يتماظمه شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما
لي قالت فقيل لي قد جمعهم الله لك ورضي عن أليك وجدك بحبهما ابا بكر وعمر فان لي فان الله اذهب
ما كان بك (ويحكي) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه
أكرمه وخلى سبيله فقيل له بما دعوت حتى تحرك الله قال قلت يا من حفظ السكين على الصديقين لاصلاح
أيهم احفظني منه لاصلاح آبائي فاراد بك ان يلبغا أشدهما ويستخرجهما كثرهما المذنبون تحت الجدار
وما فعلته عن أمري وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل لم استطع عليه صبراً ويقال لمسا عاب موسى
على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسباً بحاجتنا قال له ياموسى أتولمى على خرق السفينة
مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألفتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف حفظك الله وتولمى على قتل
الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطي بغير أمر وتولمى على ترك أخذ الجرة في إقامة
الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسباً لاجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا
ما كان من قصة موسى وقذاه وقصدهما الخضر حيث كانوا في التيه فلما فارق موسى الخضر رجعى الى قومه وهم
في التيه (ويروى) عن علي بن ابي طالب وغيره انه موسى لما اراد فراق الخضر قال له الخضر اتودعك الله ثم قال
له موسى أوصني فقال له الخضر لا تكن مشافى غير حاجة وياك واللاجاجة ولا تنضحك من غير عجب
ولا تميز الحاططين بخطاياهم وياك على خطيتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غدا (وروى) أو امامة الباهلي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينا الخضر يمضي في
سوق من أسواق بني اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمننت بالله وما ينضي
الله من أمر سيكون مامى من شيء أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فاني أرى الخير
في وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمننت بالله وما ينضي الله من أمر سيكون مامى من شيء
أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمننت بالله وما ينضي الله من أمر
سيكون مامى من شيء أعطيكه الآن تأخذ بيدي وتدخلني في السوق فتبني علي قال الرجل وهل يكون
مثل هذا قال الحق أقول انك سألتني بعظيم سألني بوجه ربى وقد أجبته فكذلك بيدي وأدخلني السوق
فبني فآخذ بيد الخضر فادخله السوق فباعه باربع مائة درهم فلبث عند الميتاع أياماً لا يستعده له في شيء
فقال له الخضر استمعاني فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فثم
فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا سبعة نفر في يوم تام فقام ونقلها في
ساعة واحدة وأمد الله تعالى على نقلها بك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض
لارجل سفر فقال للخضر انى أراك أمينا صالحاً ناصحاً فآخذني في أهلى قل نعم ان شاء الله تعالى
فاستمعني في شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لي لبناً اريدك لقصر لى
ووصفه له ثم خرج اسفاره فلما قضى حاجته ورجع من سفره انهو بالخضر عليه السلام قد شيد بنياناً به
على ما اراد فان راد منه تعجبا وقال له من أنت قال انا للملوك الذى كنت اشترى ببنى فقال له سألتك بوجد الله
أن تخبرني من أنت فقال للخضر ان هذا القوم هو الذى أوقعتني في اليهودية أماناً فأسألك انما الخضر

سألني سائل بوجهه بنى ان اعطيه ولم يكن مهي شيء اعطيه فامكثته من نفسي حتى باعني وبلغني ان من
سبب بوجه الله ورسالة وهو يقدر على قضاء حاجته وقت يوم القيامة بين يدي ربه وليس على وجهه لحم
ولا جلد الا عظم يتمتع قال فيكي ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له يا بني انت وامى شفقت
عليك ولم اعرفك فاحكم على في مالى واهلى وان احببت ان اخلى سبيلك فملت تال نعم بل احب ان تمولى
سبيل اعبد ربي وكان الرجل كافرا فاسلم على يديه واعطاه ربه امة دينار وخلي سبيله فارح الله اليه قد
نجيتك من الرق واسلم الكافر على يدك واعطاك مكن كل درهم دينارا انه لم ان لا يخسر احد في معاملتي
فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله اعلم

(باب في ذكر قصة عاميل قاتل بنى اسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى واذا قال موسى انومه ان الله يا مكرم ان تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قاتل بنى اسرائيل
اسم عاميل لم يذمن قتلته واختلفوا في قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى كان في بنى اسرائيل رجلا كثير
المال وله ابن عم مسكين ولا دار له غيره فلما طالت عليه حياته قتلته ليرثه وقل بدضهم كان تحت عاميل ابنة
عم له مالها في بنى اسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتلها بن عم لها لئلا يحيا فلما قتلته حملته من قرية الى قرية
اخرى فالفاه هناك وقل عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له انا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قاتل على
باب سبط جري الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتلته الفان لم يجتمع له وضمه على
باب رجل منهم ثم اصبح بطاب ناره ودمه ويدعيه عليه وقيل الفاه بين القرينين فاختصم اهلها وجاء
اولياؤه الى موسى واتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسالوه القصاص فالفهم موسى عن ذلك فوجدوا ولم
يكن لهم دينه فاشتبه امر القاتل على موسى ووقع بينهم قتال واختلف وذلك قبل نزول التسمية في التوراة
فالفهم موسى ان يدعوا الله ليعينهم امر ذلك القاتل فقال موسى ربه فالفهم ربه ذبح البقرة فقال لهم موسى
ان الله يا مكرم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هذه واجهنا لك لنسالك عن القاتل ففاما ربه ذبح قره واعاقوا
ذلك لتباعد الامر بين في الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين اى من المشركين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة امر من الله تعالى قد لزمهم سواه
الوصف فقالوا ادع لنا ربك يمين لنا ما هي ولوانهم عمدوا الى ان ذبحوا بقرة فنجوها لاجرائهم منهم لكنهم
شدوا الامر على انفسهم فشد الله عليهم واعاقا كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب
فيه على ما ذكره السدى وغيره ان رجلا في بنى اسرائيل كان بارا بابيه وبلغ من بره ان رجلا اتاه
بلاؤة فاتباعها بخمسين الفاً وكان فيها فضل وربح فقال البائع اعطني ثمن اللاؤة فقال ان ابي قائم
ومفتاح الصندوق تحت راسه فاهملنى حتى يستفيظ واعطيك الثمن فقال لا يظ اباك واعطى المال
فقال ما كنت لا فمسل واسكن ازيدك عشرة آلاف وانظرنى حتى ينتبه ابنى فقال الرجل انا احاط
عني عشرة آلاف ان ايقظ اباك وعجلت النسيب فقال انا ازيدك عشرة الفاً ان انتظرت انتباهه
فقال قبلت ففعد ولم يوقظ اياه فلما استيقظ ابوه اخبره بذلك فدعاه وجزاه خيرا وقال له احسنت
يا بنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
القصة انظر واماصع الله به لا رجل البر (وقال ابن عباس وهب وغيرهما من اهل الكتاب) كان في
بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجة فاقى بالمجلى الى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه
المجلى لا بنى حتى يكبر ثم مات الرجل وشبهت المجلى في الفريضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل
من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالده وكان يتهم الليل ثلاثة ثلاث بصلى لنا وبنام لنا ويجلس

فاذا اصبح اشغل بالظفر الى اللما بين بالظفر
وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والوداد والمضحكة ويشتر كل يوم من انواع الطيب والشمات وما يكون في اوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فينبأ هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجرى بخلاف ما يسمع من مطر بانه فاختذت بقلبه وصار ولها عما كان فيه فاقوا الى جسانه ان امسكوا ثم اخراج راسه من بعض طاقات القصر الى جهة الحساء يسمع الذى وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بفالمانه ان اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظوره وتعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قفم في المسجد يتاجى ربه عز وجل قال فاخرجوه من المسجد وانطقوا به حتى ارقنوه

الشيء الحسن وقال علي بن أبي طالب من ايس انما صغراء قل همه لا والله تعالى يقول صغراء فاقع لونها
تسر الناظر بن قالوا ادع لبارك يبين لمانهي اسأبة أم عاملة ان البقر تشابه علينا واننا شاء الله لم يتدوّن
الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وائم الاول لم يستنوا ما قبلت منهم الى آخره لا بد قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تغلب للزراعة ولا تسقي الحرت مسامة برية من السيوب
لا شبة فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها اصلها وقال عبد بن كعب لا لون فيها يخالف
من ظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الا ان جئت بالحق أي بالوصف ثبات البام البين فطلبوها
فلم يجدوها بكل وصفها الا عند الفتي البار بامه فاشترت وهامته بل مسكها ذهابا وقال السدي اشترتوها
بوزنها عشر مرات ذهباً فذبحوها وما كانوا يعلمون من غلوئها وقال القرطبي وما كانوا يذبحونها
باجتماع وصفها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفساً بغير عايل وهذه الآية اول الفصه فاذ انتم فيها أي
فاحتلتهم فيها والله يخرج أي مظهر ما كنتم تكتبون أي تخفون فلما ضر بوه يعني القتل بمعضها أي
بعض البقرة واخلفوا في هذا البعض ما هو قال ابن عباس ضر بوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو
المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقوال لان المراد من احياء الميت
كلامة واللسان آلة قال سعيد بن جبير يجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان
عجب الذنب أساس البدن الذي ركب عليه الخلق وهو أول ما خلق الله وأخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها
وقال عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقال السدي بالبضعة التي بين كتفها وقيل ياذنبا ففعلوا ذلك فقام
القتيل حياً باذن الله تعالى واوداجه تشخب وما وقال قتاني فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك
يحيي الله الموتى كما احيى عاد هود و نوح و يريك آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لم يكن تغفلون قالوا فلما
كان من أمر عايل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن توجه الى الارض المقدسة ببني اسرائيل لينظر
الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمه الدية فان علموا قاتله
سألموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسة رجلا من شيوخهم وصغارهم ثم ليأخذوا بقرة حولية
ويذبحوها بطن واد يسميهم ثم لتضع الخمسون رجلاً أيديهم عليها ثم ليحلقوا بالله العظيم رب السموات
والارض أي بني اسرائيل واسحق ويعقوب واسمه عيل انما قتلناه ولا علمنا له قاتلاً فاذا حلقوا
برؤؤهم دمه وأودأته الى أوليائه فلم يلزم موسى يقضي بالفسامة بينهم الى امات وكذا بنو اسرائيل
حتى جاء الاسلام فنقض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفسامة والله أعلم

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقران والتأبوت والسكينة وصفة الارال التي كانت

تأكل القران وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهدنا لينا ان لا تؤمن لرسول حتى ياتنا بقران تأكله النار الآية
(انباتاً) محمد بن حمدويه بسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى ان يتخذ مسجداً
لجاعتهم وبيت قدس للتوراة والتأبوت والسكينة وقبلاً للقران وان يحمل لذلك المسجد سرادقات
باطنها وظواهرها من الجلود الملبسة عليها وان تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القران وحبالها
التي تلبسها من اصواف تلك الذبائح وعهد اليه ان لا يغزل تلك الحبال خاض ولا يدبغ تلك الجلود وجنب
وامره ان ينصب تلك المرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها اربعون ذراعاً ويجعل فيها
اثنى عشر رقماً مسرجاً فاذا انتفى وصارت اثنى عشر رجلاً جعل على كل جزء بمافيها من المعد سبطان
أسباط بني اسرائيل وامره ان يحمل سدة تلك المرادقات ستائة ذراع في ستائة ذراع وان ينصب

وعقبي الكافرين النار
نار واني انار المجرمين في
عذاب جهنم خالدون
لا تفر عنهم وهم فيه مبادون
في ضلال وسرور
يسحبون في النار على
وجوههم ذرقوا من سقر
يود المجرم لو يفتدي من
عذاب يومئذ بدينه
وصاحبته واخيه وفضيلته
التي تؤده ومن في الارض
جميعاً ثم ينجيه كلامه الطي
نزاة الشوى تدعو من ادير
وتولى وجمع فارعى في جهد
جديد وعذاب شديد
ومنت من رب العالمين
وما هم منها بمخرجين قال
فقام الهاشمي من مجلسه
وعانى الشاب وبكى على
نفسه وقال لعلنا نانصر فوا
عني وخرج الى سخن داره
وقعد على حصير مع الشاب
ينوح على شبابه ويندب
نفسه هذا الشاب ينظر الى
ان اصبح وقد عاهد الله
تعالى ان لا يدعى مصيبة
ابدافا فاصبح اظهرت وجهه
وامر بالفضة والذهب
والجوهر وانواع الملابس
فباعها كلها وتصديق بها
وقطع الاجور عن نفسه
ورد الضياع لم تطعه وباع
ضياء وعبيده وجواريه
واعق من اختار التقي
وتصدق بجميع ماله كله
ولبس الصوف الخشن
واكل الشعير ابد التعم

بافخر المالك
وازم المجد
بحي الليل وبصوم
حتى كان يزوره الصالحون
والابرار ويقولون له
ارفق بنفسك فان المولى
كريم يشكر السير ويفو
عن الكثير فيقول يا قوم
دعوني فان اعرف بنفسى
ان جرمى عظيم عصيت
مولاي بالليل والهار
ويبكى ويبكى البكاء ثم
خرج حاجا على قدميه
حافيا ماعليه غير خيشة
ومامه غير ركوة فجرب
حتى قدم مكة وقضى
حججه فاقام بها الى ان
توفى الى رحمة الله تعالى
وكان يدخل الحجر بالليل
ويبكى على نفسه ويقول
باسمى ذهبت شهواتى
وبقيت تبهاتى قالوا لى
يوم المالك والى لم تزل
لى من صحبتى اذا شرت
لملوه من فضائلى
وختاى اى ثم اشد يقول
شرا

عصيتك جاهلا يا ذا المالى
ففرج مارتى من سوء حالى
الى من يرجع المملوك الا
الى مولاه يا ولى الموالى
فانك اهل مغفرة وعفو
وتواب ومنضال التوال
(وحكى عن عبد الله بن
مهران رضى الله تعالى عنه
انه قال) حج الرشيد
هرون رحمة الله تعالى سنة

فيه سبع قباب سبعة منها مشبك بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من
فضة طوله اربعون ذراعا وعليها اربعة سدوت من نياح محلات الباطن الاول سدنس اخضر
والثاني ارجوان احمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها
التي تمد بها من صوف القربان وان يحمل سدها اربعين ذراعا وان ينصب في جوفها موائد من فضة
مر بسة يوضع عليها القربان سبعة كل مائدة منها اربعة اذرع في اربعة اذرع كل مائدة منها على
اربعة قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة اذرع لا يتال الرجل منها الا قائما وامر ان ينصب بيت المقدس
على عمود من ذهب طوله سيمون ذراعا يضعه على سديك من ذهب احمر طوله سيمون ذراعا مرصع
بانواع الجواهر وان يحمل اسفله مشبك بقضبان الذهب والفضة وان يحمل حبالها التي تمد لها من
اصواف القربان وان يحمله مصبوغا بالوان من احمر واصفر واخضر وان يلبس سبعة من الجلال حلالة
الباطن الاول منها سدنس اخضر والثاني ارجوان احمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من
الحرير الاصفر وكذلك اثواب نحوها وسائرهما من الديباج والوشى والظاهرة غاشية من جلود القربان
وقاية من الاذى والسدى وامره ان يحمل ستمته سيمون ذراعا وان يقرش القباب بالفضة الاحمر وامره
ان ينصب فيه تابوتا من ذهب كتبوا الميثاق مرصع بالوان الجواهر والياقوت الاحمر والاشهب
والزمر والاخضر وقوامه من ذهب وان يحمل ستمته سبعة اذرع في اربعة اذرع وموله قائمة موسى
وان يحمل له اربعة ابواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه
هرون وباب يدخل منه اولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وامر الله بنيه موسى
عليه السلام ان ياخذ من كل محتمل فيها من بني اسرائيل مثقالا من ذهب فينقعه على هذا البيت ان
يحمل باقي ذلك المسال الذي لا يحتاج اليه من الحلى والحمل التي ورثها الله بني اسرائيل وموسى واصحابه من
فرعون وقومه دفينا في ارض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بني اسرائيل ستمائة الف وسبعة
خمسين رجلا فاخذ منهم ذلك المسال واحصى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لدخان لها ولا تحرق
شئنا ولا تطفأ ابدا لتا كل القرايين المتقية وتسرع القناديل التي في بيت المقدس وهي من ذهب مملوءة
بسلاسل من الذهب منظومة من الياقوت واللازلي وانواع الجواهر وامره ان يضع في وسط البيت
صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون لتلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى اخاه
هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تا كل القرايين المتقية وتسرع من القناديل
واوصانى بها وانى قد اصطفيتك بها واوصيتك بها فدعا هرون ابنه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفانى
موسى بامره واوصاه به وانه قد اصطفانى له واوصانى به وانى قد اصطفيتك به واوصيتك به وكان
اولاد هرون هم الذين يولون سدنة هذا البيت وامر القربان والنيران فشرىوا ذات ليلة حتى ملوا ثم
دخلوا البيت وامر جوار القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فاخرقتهما
وموسى وهرون يدفنان عنهما النار فلم يبقا عنهما من امر الله شئنا فارضى الله تعالى على موسى هكذا اقل
عن عصائى ممن يعر فى فكيف اقل عن لا يعر فى من اعدائى وهذا آخر القصة والله اعلم

(باب في ذكر مسير بني اسرائيل الى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب

الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى واذا قال موسى لغومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الايات اختلفت عبارات المفسرين في الارض المقدسة ما هي فقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال

منازل هي ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدي هي ارجاء وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبض الاردن وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هي الشام كله

(فصل في فضل الشام واهله) قال يزيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوي لاهل الشام قيل يا رسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليهم عن عبد الله بن خولة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال وللانزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم ارض فارس والروم وارض حمير وحتى تكونوا اجناداً ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يا رسول الله اختر لي ان ادر كنتي ذلك فقال اختر لك الشام فانها صفة الله تعالى من بلاده وايها يجتبي صفوته من عباده يا اهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لي بالشام واهله وقال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخبير عشرة اجزاء فجعل منه تسعة اجزاء في الشام وواحد في العراق وقسم الله الثمر عشرة اجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحد بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم ونزل حصن تسماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدرية وقال السكبي صمد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فسا ادر ك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فلذلك قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم يعني كتب الله في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهب الله الله لكم مساكن وقال السدي امركم ان تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن بورا)

قال الله تعالى وانزل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسخ منها الآية واختله وافيها فقال اكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعور بن ابدن مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلعام وهي مدينة الجبارين وسُميت بلعام لار ملكها رجل يقال له باقي بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدي والسكبي وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بني كنان من ارض اشام اتي قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليجر جناتنا بلادنا ويقتلنا ويحلبنا بني اسرائيل وانا قومك وبنوعك وجيرانك وليس لنا منزل وانت رجل محاب الدعوة فقدم اليها واشرعنا في هذا الرجل العدو والذي قد ارقه ما فادع الله ان يرد عاموسي وقومه فقال لهم بلعام وياكم هذا بني الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف ادعوا عليهم وانا اعلم من الله ما علم وانني ان فعلت ذلك ذهبت دنياي واخرتي فلم يزلوا به حتى قال لهم اصبروا حتى استأمر ربّي وكان لا يدعوا حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه اني قد أمرت ربّي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أوامرنا فاني لم يوجب فقال قد أمرت فلم يوجب لي شيئاً فقالوا لو كرره انك تدعوا عليهم لكان كما فعل في المرة الاولى فلم يزلوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتقوا فاتفق فقالوا ابعدهم اهدوا اليه اهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام ابن باعوراء لما اتي ان يدعوا على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيئاً الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصفى الي رايها فانطلق عشرة من عظامهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب ملوأة ورقاقا وسوها

فقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعون وخروج بهلول المجنون رضي الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به حتى اذا أقبلت هوداج هرون الرشيد كلف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال ليك يا بهلول ليك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا ابن ابن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعني على حمل وتحت رحل رث فاطرد ولا ضرب وكان متواضعا في سفره فتواضع في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خيرا من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يا بهلول فانشد

فهب ذا أن ملكك
الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس تري مقيلا جوف
قبر
ويشون التراب عليك
هذا قال فبكى هرون ثم
قال احسن يا بهلول هل

غيره فقال نعم يا ميسر

المؤمنين رجل اتاه الله مالا
وجمالا فاتفق من ماله
وعف في جماله كتبه الله
تعالى في ديوان الارباب فقال
أحسنتم يا بهلول سر مع
الجزرة فقال ارادوا الجزرة
على من أخذها منه فلا
حاجة لي بها فقال يا بهلول
ان كان عليك دين قضيناها
فقل يا ميسر المؤمنين
لا يقضى دين بدن اراد
الحق الى اهله رافض دين
تسك بنفسك قال يا بهلول
ان كرا لينا حاجة فنجري
عليك ما يكتيك فرفع
اليهلول رأسه الى السماء ثم
قال يا ميسر المؤمنين اتاوانت
من عيال الله فحال ان
يذكرك وينساني فاسئل
هرون السجاف ومضني
فله اقضي حجيجه وانى اوان
الحجج ثانيا يخرج هرون
الرشيد حاجا وحلف ان
لا يبيع الاماشيا الى مكة
فقرش لمن جوف العراق
الى النجى لبيد من فراه
فاستند يوما الى ميل وكان
قريب من المشي فبينما هو
كذلك اذا بمعدون الجنون
قد عارضه في الطريق

وأشد يقول

هب الدنيا واتيك

اليس الموت يأتيك

هاتضع بدا الدنيا

وظل ينسبل بكفيك

الا طالم الدنيا

لها فاقبلت على صاحبها والحت عليه حتى قالت له ارجع الى ربك قال آله ان يؤن لك في دوازتهم
والدعاء على عدوهم فقل به حتى استجاب فلم يحب اليه بشي فقالت له انه قد خربك في الدعاء عليهم فلم يلبث ان
لك لهم لك قالوا فركب ان الله موجود الى جبل يظلمه على عسكر بني اسرائيل يقول له حسان وكانت مراكب
البياد الاولين الا ان قالوا عليه باغير بعد حتى رضيت به فنزل عنها ووضر بها حتى ازلها فقامت فركبها فلم تدر
به كثير حتى رضيت به فضر بها حتى اذ انزلها اذن الله تعالى له في الكلام حجة عليه فقالت له ويشك بالعلم
اين تذهب الاتري ان الملائكة اسمى تردني عن وجهي هذا اذهب الى نبي الله واوليائه الذين يدعو عليهم فلما سمع
ذلك خر ساجدا فلم يزل يركبها مضطرا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاءه الشيطان وقال له انض لوجهك
فان ربك يستجيب لك ولولم يزد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب ان الله ودخل الله سبيلها
فاظلمت به حتى اشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعوا عليهم بشي من امر الا صرف الله به لسانه الى قومه
ولا يدعوا قومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه انه ربي ما تصنع يا بهلام انما دعوا لهما
وتدعوا علينا فقال هذا اولاهك منه شيئا قد غلبني الله عليه قد ندم لسانه فوقع على صدره فلم يحل به فقال
لزمه قد ذهب في الدنيا والاخرة ولم يبق الا المبكر والحيلة فامر انكم واحتملوا النساء ووزنوهن
واعطوهن السليم ثم ارسلوهن الى المسكرين فيه ويشترين واهرن واهرن لا تمنع امرأة تسلم من رجل
ارادها فاتهم لوزن رجل منهم كذبت وهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المسكرات امرت من الكنعانيين
اسمها كبشها بنت حور يا رجل من عظماء بني اسرائيل يقول له زمرني بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب
ابن اسحق بن ابراهيم فقام اليها واخذ يدها حين اعجبها حينما رآها ثم رقب على وسى وقال انى سألوك
ان تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقر بها قال والله لا اطيعك في هذا ثم انه دخل بها فبقيته
فواقها نزل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكار ففجأص بن يزار بن هرون صاحب موسى
رجلا قد اعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان ثابحا حين صنع زمرني بن سلوم باصع فجاءه والطاعون
يجوس في بني اسرائيل فاخبر اخيرا فاخذ حربه وكانت حينئذ كاهنا ثم دخل عليها القبة وهما متصانعا
فانظماهما في حربه ثم خرج بهما رافعا يديهما الى السماء والحرية قد أخذها بذراعه واعتمد برقبته على
خاصرته واسند الخربة الى خचितه وكار بكر الهزار وجعل يقول اللهم هكذا فعلت عن بصيكتك فرفع الطاعون
عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فبين ان اصحاب زمرى المرأة الى ارقله فجأص
فوجدوه قد املك الله منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هناك بعث بنو اسرائيل لنيه من كل
ذبيحة دبجوه الخصرة والذراع والنجى لاشماله بالحر يدعى خاصرته واخذها اياها بذراعه واستناده
اياها الى خचितه واليكبر من كل أمواهم لم كان بكر الهزار بن هرون في بهلام انزل الله تعالى واتل عليهم نبأ
الذي آتاه آيات الاية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبامام ادع الله على موسى والاقبلت فقال انه من أهل
ديني ولادعون ليهم فجيء بحشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على اتان له ليدعوا عليه فلما عاب عن عسكرهم
قامت به الا تارن ووقت فضر بها فقالت له مضربني وانما سمورة فلا تضلمني وهذه ذراعتي قمعتني ان
أمتى فرجع فاخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صابيتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل
المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب يا ذنب رقتني في التيه
قال بدعاه بهلام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاصبر دعائي عليه ان تنزع منه الاسم الاعظم
والايمان فاسأله الله ما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كجمامة بيضاء وازل الله تعالى هذه الآية
(وقال آخرون) هونبي من بني اسرائيل يقال له بهلام أوتى النبوة فرشاه قومه على ان يسكت فتعلم وتركهم

كما ضحكك الدهر

ركذلك الدهر يسبك

قال فشوق هروا الرشيد

شهقة واغشى عليه حتى

فاته ثلاث صلوات فلما

افاق طلب مسعدون فلم

يجده رحمة الله تعالى عليهم

اجمسين ونفينا بهم

وبيركاتهم آمين (وحكى

عن نبي الله سليمان بن داود

عليه السلام انه قال) بينا

انا جالس على سريرى ملكى

شاكر الله على ما ازلانى

من النعم اذ اوحى الى ان

اخرج الى ساحل البحر

القبلى فترجى بمن خلقى

الله تعالى قال سليمان عليه

السلام فخرجت ومى من

الانسر والجن والوحوش

والطيور وما أشبه ذلك فلما

وصلت الى الساحل

نظرت فيما تشاهلا فلم أرى

شيأ فقلت لعقريبت من

الجن غص فى هذا البحر

والقني بما يجده فيه

فغاص القريبت ورجع

بعد ساعة قائى بانى الله

غصت مصيرة كذا وكذا

فلم اصعل الى قاعه ولا

نظرت فى شيئاً فقال سليمان

عليه السلام لعقريبت آخر

غص فى هذا البحر وانقضى

بما تجده فغاص العقريبت

ورجع بعد ساعتين وقال

مثل ما قاله الاول فتعجب

سليمان عليه السلام من

على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمر وزيد بن أسلم وأبورو ق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبى الصلت
النهدي كانت عمة أمه كاتى ابنه أمره قسراً بالكتب السابعة يعلم الله تعالى من سل رسه ولا فى ذلك
الوقت ورجان يكون هو ذلك الرسول ولما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك
فلما رجع مر بعتى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبياً ما قتل اقر باه ثلث امات أمية أنت
اختا فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن وفاة اخيهما قالت بينا هو ارقاذا ناه رجلان فكشطا
سقف البيت ونزلا فتعده احدهما عند رجله والاخر عند رأسه فقال الذى عند رجله للذى عند رأسه ارعى
قان وعى قال اركا قال زك قالت فسألته عن ذلك فقال خير اربى ثم قطرت عينه ثم غشي عليه فلما افاق قال

كل عيش وان تطاول دهرًا * صائر أمره الى ان يزولا

ليتني كنت قبيل ما قد بدالى * فى قلال الجبال ارعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يومًا قبيلا

ثم قال لهارسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعرا تلك بالان تشدى شعرا خيك فانشده

لاك الحمد والنعمة والفضل ربنا * فلا شىء اعلى منك جدا ولا مجد

ملك على عرش السماء مهيمن * اعزته وتمت الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلا وانشده حتى أنت على آخرها ثم انما انشدته قصيدة التى يقول فيها

عند ذى العرش يرضون عليه * يعلم الجور والكلام الخفيا

يوم ثانيه وهو رب رحيم * انه كان وعسده ماتيا

يوم ثانيه مثل ما قال فردا * لم يذر فيه راشدا وغويا

أسعد سعادة انا ارجو * أم مهان بما كسبت شقيا

رب ان تعف قلة عاقت ظني * أو تعاقب فلم تعاقب بري

ان أوأخذ بما اجترمت قاني * سوف ألقى من العذاب فريا

فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعرة ركم قلبه فانزل الله تعالى فيه وائل عليهم نبأ الذى آتته آياتنا لا ية وقال
سعيد بن المسيب نزلت فى أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق
وكان قد ترفى في الجاهلية وليس للمسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئت
به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا علمها فقال اني صلى الله عليه وسلم است علمها وليكنك اخوات
فيها ما ليس منها فقال ابو عامر مات الله الكتاب مناني من انظرته طربدا فربدا وحيد اخرج الى الشام وارسل
الى المنافقين اعدوا القوة والسلاح ما ينو الي مسجد فاقني ناهب الى قيصر واتى بمحمد بن جراح مجدا واصحابه
من المدينة فذلك قوله تعالى وارسلوا الى حارب الله ورسوله من قبل بني انتظار الحية فأتى في الشام
طربدا وحيد افر يدومهم من قال انما انزلت في البعوس وكان رجلا قرا عطي ثلاث دعوات مستجابات
وكان له امرأة وله منها ولد فذات له اجمل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فأتى بدين قالت ادع الله ان
يجعل لي اجمل امرأة في بني اسرائيل فدعا فاجبت اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها
رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نابحة فذهبت فيها دعوات فجاء بنوها فقالوا ليس لنا
على هذا قرار ولا صبر صارت امنا كلبة نابحة وان الناس يميروننا بها فدفع الله ان يردوا الى الحال التى كانت
عليها فدعا الله فصار كذا كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

*(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم

حين بعثه اياهم الى ارض كنعان جواسيس له ولقومه

قال الله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً الآية وذلك ان الله تعالى وعده موسى ان يورثه وقومه لارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم القمالة من ولد عملاق بن لاوذين سام بن نوح ووعد الله ان يهلكهم ويجعل ارض الشام مساكن لبني اسرائيل فلما استقرت لبني اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى ارضهم من ارض الشام وهى الارض المقدسة فقال يا موسى انى قد كتبتم الكمداراً وقراراً فاخرج اليها وجاهدن فيها من العدو فاني صايركم عليهم اخذهم قومك اثني عشر رجلاً من كل سبط نقيباً يكون كفلاء على قومه بالواقعة اأروا به فاخترهم موسى من كل سبط نقيباً وأمره عليهم وهذا هو اسمهم من سبط روبيل شوع بن ذكور ومن سبط شمعون شوق بن حورى ومن سبط يهوذا كالب بن يوفنا ومن سبط جاد جاد بن يوسف ومن سبط رايون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن مائيك ومن سبط يافاي حي بن وقى ومن سبط دان حمل بن وكيل بن حجل ومن سبط لاوى خولان بن مليك ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميساحي بن موسى ومن سبط بنيامين نظم بن زفون ثم ناسار بنى اسرائيل قاصداً لارضهم فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتجسسوا الاخبار لعلهم يعلمون حالها وحال اهلها فلحقهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل في ذكر رجل من اخبار عوج بن عنق وحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً بالذراع الاول وكان عوج يجتاز السحاب ويشرب منه اثناءه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه انى نوحا في أيام الطوفان فقال له احملنى معك في سفينةك فقال له اذهب يا عبد الله فاني لم آمر بك فطيق المساء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبته وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله في يده موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر الاسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدى وهدمه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانفتحت فوقت في عنق عوج بن عنق فطرقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة اذرع وطول عصاه عشرة اذرع وقفز الى فوق عترة اذرع فلما اصاب منه الاكبه وهو مصروع في الارض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فمات ووقع على نيل مصر فحسره سنة قالوا وكانت امه عنق هي احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت اول من بقى على وجه الارض وكان كل اصبع من اصابعها طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين في كل اصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقدمها خربة من الارض ولما بلغت بنت الله اليها أسودا كالهيلة وذئاباً بنورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلواها واكواها (قالوا) فلما افهم عوج بمعنى اصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب اخذها لثلاثة عشر نقيباً وجمعهم في حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتلنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجل فقاتله امرأته لا تقبل بل خل عنهم حتى يخنروا قومهم بمأراً ففعل ذلك وخلق سبيلهم فجدلوا يعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم وخشبته يدخل في قشرة الزمانة اذرع حجبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم فقتلوا وارتدوا عن نبي الله ولكن اكتبوا شأنهم واخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فاخذ بعضهم على بعض الميثاق

ذلك فقال العنق بن ياني

الله خصته مثل ما غاصه
الاول مرتين فلم اجد شيئاً
فقال سليمان عليه السلام
لا تصف بن برخيا وزيره
اهض في هذا البحر وانني
بناقيه قال ففأصاف
في البحر ساعة وانه بقية
عظيمة من الكافور
الايض لها أربعة أبواب
باب من الدروباب من
الياقوت وباب من الجوهر
وباب من الزر جسد
الاخضر والابواب كلها
مفتحة ولم يدخل فيها
قطرة من الماء وهي في مكان
عميق فوضها بين يدي
سليمان عليه السلام فظفر
فيها فاذا في وسطها شاب
جميل حسن الشباب
تنظيف الانواب قائم يصلي
فدخل سليمان اليه وسلم
عليه قائلاً ما انزلك الى قاع
هذا البحر فقال ياني الله
احدك يقتضي قال نعم
فقال كان لي اب مقعد
ووالدة عمياء فقت في
خدمتها سبعين سنة فلما
حضرت وفاة والدي
قالت عندما هو الله اطل
حياة ولدي في طاعتك ولما
توفي والدي قال عندما هو
الله استخدم ولدي في
مكان لا يكون للشيطان
عليه سبيل فاجاب الله
دعاهما فخرجت يومان
الايام اريد الزهرة فجيئت

بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجدوا اخيه من قشور دماهم واخبروه بما ارادوا ثم انت
 النقباء نكسوا العهد وحمل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم واخبرهم بما ارادوا من حلم
 الارجلين منهم ونيا بما قالوا وهما يوشع بن نون بن افرايم في موسى وكاب بن يوفنا خن موسى على اخته
 مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من اخيها ميس رموا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا امتنا في ارض
 مصر اوليتنا نمت في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضه فنكون نساونا واولادنا واموالنا غنيمة لهم
 وجعل الرجل منهم يقول لا يحيا به تعالىا نجعل عيلنا رثينا ونصرف الى مصر فذلك قوله تعالى
 اخبرار عنهم قالوا يا موسى ان فيها اقوما جبارين الاية قال فتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس
 اقربهم مثله واذن لن يدخلها حتي يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض
 المقدسة التي كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذي انجاكم من آل فرعون وفق لكم
 البحر هو الذي يملأكم وبطاعكم عليهم فلم يقولوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه امره وهما بالانصراف
 الى مصر فخرج يوشع بن نون وكاب بن يوفنا الى القوم وهما الاذان اخبر الله عنهما بالتوفيق والعصبة
 في قوله تعالى قال رجالا من الذين يخافون انهم الله عليهما بالتوفيق والعصبة ادخلوا عليهم الباب يعني باب
 مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فاما ربناهم خبرناهم فكانت جسامهم
 عظيمة قوية وقلوبهم ضيقة فلا تخشعهم وعلى الله فوكلوا ان كنتم ومنين فاراد بنوا اسرائيل ان يرجعوا
 بالحجارة وعصوهم وقانونا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا
 قاعدون وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحيا به يوم الحديبية حين صعدن البيت اني ذاهب
 بالهدي فتاحره عند البيت فاستشار اصحابا به في ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندي انا والله لا نقول لك
 كما قال قوم موسى لموسى فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكننا نقول انا معك مقاتلون
 والله لنقاتن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضمت بحرا لحضنته ولو تسمنت جبلا لعللناه ولو
 ذهبت بنا الى ركة الغاد يعني مدينة الحديدة لتبعناك فلما سمع ذلك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تابعوه
 على ذلك فشقوا لذلك وجه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان اكون صاحب هذا المشهد احب
 الى من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنوا اسرائيل ما فعلت من معصيتهم بيهيم ومخالفتهم امر ربهم سوي
 يوشع وكاب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم
 الماسقين اي العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وادعى الله تعالى الى موسى
 الى متى يعصاني هذا الشعب والى متى لا يصدقون بهذه الايات لا هلكنهم جميعا ولا جعلن لك شعبا
 اقوى واكثر منهم فقال موسى الهى لوانك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد فالت الامم الذين سمعوا
 ذلك انما قتل هذا الشعب من اجل انه لم يستطع ان يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم في البرية وانك طوبى ل
 صبرك كثيرة نعمك وانت تغفر الذنوب وتحفظ الاياه على الابد ابنا وبناء لا بناء فاعفر لهم ولا توبقهم فقال
 الله تعالى لموسى اني قد غفرت لهم بكاءك ولكن بعد ما سميتهم قاسية وادعوت عليهم خلعت بعزتي لآخر من
 عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكاب ولا تيهنهم في هذه البرية اربعين سنة
 مكان كل يوم من الايام التي تحب سوايها سنة وكانت اربعين يوما لياتيهم حتفهم في هذه القفار وما
 انعم الذين لم يصنوا في لم يعملوا الخير ولا الشر فانهم بدخلوا الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانهم احرموا
 عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض متحيرين فلاناس على القوم القاسية فلبثوا اربعين سنة في ستة
 فرائس وكانوا سمانا ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسرون جادين حتى اذا هم امسوا فاذا هم بالموضع الذي دمه

الى ساحل هـ البحر
 فنسظرت الى هذه القبة
 موضوعة على ساحل
 البحر فردخلها لانظر
 ما فيها فاقتحمها ملك من
 الملأئكة وانزلها في قاع
 هذا البحر كما نري باني الله
 فقال سليمان في اى
 زمان كان قال في زمان
 ابراهيم عليه السلام فغيب
 سليمان عليه السلام التاريخ
 فوجدته الف سنة واربع مائة
 سنة وهو شاب لم يشب
 فغيب سليمان عليه السلام
 من ذلك وقاله فاطماتك
 وشريك في هذا البحر
 فقال باني الله يا بني طائر
 اخضر كل يوم في منقاره
 شئ اصغر من رأس
 الانسان فاكاه فاخذ فيه
 طعم كل نعيم في دار الدنيا
 فيذهب عني الجوع
 والهطش والحر والبرد
 والنوم والوحشة فقال
 سليمان احب ان تكون معنا
 او ترجع الى موضعك فقال
 ردى الى موضعي باني الله
 فقال سليمان رده الى آصف
 الى مكانه فرده الى مكانه
 فقال سليمان انظر واكيف
 استجاب الله تعالى دعاه
 والديه فاحذروا عقوق
 والديكم يرجعكم الله ثم مضى
 سليمان عليه السلام متحجيا
 من ذلك والله اعلم وحكى
 عن الشيخ عبد العزيز
 الديريني رضى الله تعالى

أرسلوا وسبقوا الموضع الذي هم فيه فارتحلوا ومات أولئك القهقارة العشرة الذين أفسدوا الخير وكل من دخل التيه من جاوز عشرين سنة مات في تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أحد أريحا معي قال قال نذخلها أبدأ لها هلكوا ونصبت أربور سنة ثمانت النواشي من ذراريهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم

باب في ذكر النعمة التي أنعم الله على بني إسرائيل في التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك

كرامة لبيده وصفيه موسى عليه السلام

قال الله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها والدلائل يقع على الواحد التي أنعمت عليكم أي على أجدادكم وأسلافكم وذلك أن الله تعالى ملق لهم البحر وأخرجهم من آل فرعون وأهلك عدوهم وزرعهم أرضهم وديارهم وأما لهم وأنزل عليهم التوراة فيها بيان كل شيء يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنين إلى مفازة لا ظل فيها ولا نبت فأنزل الله تعالى عليهم غمامة يضيء رقيقة ليست يغم المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأطاعهم وكانت تسير بهم إذا ساروا وتدور عليهم من فرهم إذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظلناه عليهم غمام يعني في التيه تقيهم حر الشمس ومنها أنه جعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل فلم يكن ضوء لهم فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فابن الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلنا وفيه فقال مجاهد هوشى كالصمغ يقع على الأشجار وطمه كالشهد وقال الضحاك هو البربخين وقال وهب هو الخمر الزقاق وقال السدي كان عسلا يقع على الشجر من الليل فياكون منه وقال عكرمة هوشى أنزل الله عليهم مثل الرب الملبث وقال الزجاني المن ما عين الله به مما لا تعب فيه ولا تعب قال النبي صلى الله عليه وسلم الكفاة من المن وهو ما شفاء للعين قالوا وكان الله ينزل هذا المن لكل ليلة يقع على الأشجار ثم مثل الثلج لكل إنسان منهم صاع لكل ليلة فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلواته فادع الله ربنا لعلنا يطعمنا اللهم فداء موسى فأنزل الله عليهم السلوى واختلنا وفيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني وقال أبو المألية ومقاتل هو طير آخر يمشي عليه فامطر به السماء في عرض ميل قدر ربح في السماء يمشي على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل أنه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيرا سمينا قد تمطر به وزغبه وكانت الرياح تأتي به إليهم فيصيحون وهو في معسكرهم وقيل أنه كان ياتيهم فيترسل إليهم فيأخذونه بأيديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال الأوزج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لا تتم * ألد من السلوى إذ ما نشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وليتمة فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وإنزادنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لقد تخفروا لقد فساد وفسد ما ذخروا وقطع الله عنهم ذلك قال الله تعالى وما ظلمونا أي أضررنا بالمصيبة ونخلنا من الأمر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبة في العقب (أخبرنا) شبيب بن عبد الله أخبرنا أبي بن عبد الله قال أخبرنا أحمد بن الأزره قال حدثنا روح بن عباد قال حدثنا عون بن عبد الله عن حلاس بن عمرو عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم

في جماعة من أصحابي فأنتمينا إلى قبري في بعض البراري كنت أعرف صاحبه وكان من أوليائه الله فلبست عند قبره ابني فسألني بعض أصحابي عن ذلك فقلت اتفق لي مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك أنه عرض لي حاجة في بعض البلاد فوافرت لها فادركني الصلاة فعدلت عن الطريق إلى المسجد الذي كان يصلي فيه فصليت خلفه فإذا هو يلحن في قراءته فتشوش بالي من ذلك وقلت في نفسي سرا أقيم عند هذا الفقير أعلمه وأترك حاجتي فهذا أولى فلما سلمنا من الصلاة التفت إلى وقال يا عبد العزيز الحق حاجتك التي جئت بطلبها وأما عليك من التلح والتهلم فمجيبت من مكانة فته على وخرجت في الحال مسرعا إلى حاجتي كما أشار فلما وخت البلد وجدت صاحبي الذي عند حاجتي يريد السفر ورجله في الركاب كما قال فلما رأيته رجلا وترحبتني وقضى حاجتي وسافرت فارتدت تعجبا من ذلك فلما لبث الأمد يسيرة ونوفى إلى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضي الله عنه آمين (وحكى عن الشيخ ابن بكر الشبلي رضي الله تعالى عنه) أنه قال

وكانوا ينفقوا واربعين رجلا
فقلت لهم يا قوم ان الله تعالى
قد تكلم بارراق السباد
فقال عز من قائل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب
فتوكلوا على الله واعتمدوا
ثم تركتهم ومضيت وقاموا
ثلاثة ايام لم يفتح عليهم شيء
فما كان اليوم الرابع وحمت
عليهم وسبهم يوموا
الله تعالى قد ابرح السبب
للمعاد فانه هو الله
لحم الارض ودولا ومشوا
في ما لبسوا ركوا من رزقه
فانصروا الى اصدوح يه
فليخرج من اربابهم شي
من التوب فابعد رزقا
رجلا هيرا منهم
ومشي في شوارع بغداد
يتبع الله عليه سبي فحده
اجوع واعياه الغش
جلس عند دكان طبيب
نصراني عليه من الناس جمع
كثير وهو يصف لكل منهم
دواء فنظر النصراني الى
الفقير وقال ما بك وما عليك
فكره الفقير ان يشكو الجوع
الى نصراني ثم مديده اليه
ايجهما فلما جسم النصراني
قال انا اعرف علك هذه
وعندي دواؤها ثم التفت
الى غلامه وقال له امض
الي السوق واتني برطل
خبز ورطل شوى ورطل
بخلوى ففني الغلام الى

تحن اني زوجها ومنها انهم عطشوا في التيه فقالوا يا موسى ان ابن نمرود فاستقي لهم مومي فارحى الله اليه
اراضرب بصالح الحجر واختلف العلماء فيه فقال رهب كان موسى يقرع لهم اقرب حجر في ارض
الحجارة فيمنعهم عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اني عشر سبطا سم تسبل كل عين في جدول السبط
الذي امر بههم فقالوا ان فقد موسى عصاه متناطشا فاحي الله تعالى اليه لا تفرعن الحجارة بالمصا
ولكن كلها تطمك لهمم يمترون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التي
ليس فيها احجارة فامر موسى ان يحمل معه حجرا خفيئا نزل القاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا
بمينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رايت الرجل
ثم اختاروا في ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيا مر بعاث لرأس الرجل امر ان يحمل
خفيه فكان يضعه في مخلاته فذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضر به بصاه فيتفجر عيونها كما ذكرنا
فسقام قال اوروو كان الحجر من الكبدان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة يدع من كل حفرة
عين ما دعب فاخذونه فاذا فرغوا واراد موسى حمل بضربه بصاه يذهب الماء وكان كل يوم يسقي ستانة
افد من جمع الاجناس وقل سيد بن جبيرة هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليفتسل فقر الحجر
بثوبه الماء وقف الحجر اناه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لا ترف هذا الحجر في فيه
قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه
الله مما قالوا الآية وهو ما اخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قل كانت يد اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سواة بعض وكان
موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما مع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قل فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه
على حجر ففر الحجر بثوبه فجث في أثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى انظر ثوب اسرائيل
الى سواة موسى فقالوا والله ما موسى من باس دل فقام الحجر بعد ما نظرا اليه بنو اسرائيل فاخذ ثوبه
وظف بالحجر ضربا فله أبو هريرة والله ان اثر ضرب موسى بالحجر ستة اوسبعة قال عبد العزيز
النكتاني كان موسى ضرب الحجر اثني عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ندى المرأة
ثم يتفجر بالانهار المنطردة فذلك قوله تعالى فانتجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) انهم قالوا لموسى في
التيه من اين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم اني عليهم حتى لا تز بدعى الابام ومرورا لعاوم الاجدة
وظرافة ولا تخافى ولا تبلى وتنبوا علي صيائهم فكانوا على ذلك زمانا طويلا والله اعلم

﴿باب فتح اربحاء ونزول بني اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء بين تولى حرب الجبارين وبين كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اربحاء موسى
ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم من بني اسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها
بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلهم موسى ببني اسرائيل فقام فيها ماشاء الله ان يقم ثم قبضه
الله تعالى ولم يعلم احد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق واقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار
الانبياء ان عوج بن عنق قتله موسى وقل آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يصر اليهم الا
بعد موت موسى وهلاك من كان ابى المدير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليها السلام في التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال العددي أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام اني متوف هرون فئت به جبل كذا وكذا
فانطاع موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم يمر مثلها وبيت ميني وفيه سر ير عليه فرش واذا

السوق رثاه بذلك فقال

خذ زادوا عليك فنال
الغدير للنصراني ان كنت
صادقا في حثك فله الماله
باربعين رجلا مثل فنال
النصراني ان له الماله من
السوق مائة وعشرين
رطلا من ذلك فضي الغلام
الي السوق فاني بذلك جيمه
على حمل فقال النصراني
اذهب بذلك الى اصحابك
فذهب الفقير والحمل معه
وتبعه ما النصراني من ابيد
ليخبر صدق ذلك الفقير
ولما دخل الفقير الى اصحابه
بالدرة وقب النصراني
خلف طرفة بنظر اليهم
فوضع الفقير ذلك بينهم
ثم نادوا للشيخ ابي بكر
الشبل خضر وسالم عن
ذلك فاخبرهم فقصة
مع ذلك النصراني فقال لهم
الشبل انتم رؤا ناكلوا
طعام نصراني بغير مكافاة
فعاوا وما مكافاته قال ان
تدعوا له بالاسلام قبل ان
تاكلوا طعامه قال فدعوا له
بالاسلام وهو يسمع فلما
راى النصراني امساكهم عن
انظام مع حاجتهم له ترك
الطاقة وقطع الزاد ودخل
اليهم وقال يا شبل امدد
يذك فاني اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله وحسن اسلامه
وصار من جملة اصحاب
الشبل رضي الله تعالى

مريح طيبة فلما نظروا الى ذلك اعجبه وقال يا موسى اني احب ان اقام على هذا السرير فقال نعم عليه
ال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب على قل له موسى لا تخف انا كبرك رب هذا البيت فم
الي يا موسى ثم مضي فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فنام موسى ما خد هرون الموت فم اوجده
سما قال يا موسى خذ عنتي فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما
سبح موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون قالوا قتل موسى هرون وحسنه لحنناياه فقال موسى ويحكم
هرون اخي ووزيري فيكنف اقله فلما اكثر واعليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فزل السرير حتى
اروا اليه بين السماء والارض فصدقه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون في التيه ومات هرون
ل موسى وكانا خرجا في التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفن وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا
ن هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلت لحنناياه وكان محببا في بني اسرائيل فنصر موسى الى ربه
شكا الى ربه فلقى من بني اسرائيل فاحى الله اليهم ان اطلق بهم الى قبه فاني باثمه حتى يخبرهم انه مات
يا ولم تقتله فاطلق بهم الى قبر هرون فنادوا بهرون فخرج من قبره بنصف التراب عن رأسه فقال له ان قتلتك
لا والله ولكني مت فماد وانصر فورا والله اعلم

ذكر وفاة موسى عليه السلام

ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستمطه فلما كرهه اراد الله ان يحب اليه الموت ويكره
له الحياة وكان يوشع بن نون يقدوا اليه وروح فيقول له موسى يا بني الله ما حدث الله اليك فيقول له يوشع
يا بني الله الم احبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسألك عشيء مما أحدث الله اليك حتى تكون انت
ي تبدي به وتذكره ولا يذكرك شيئا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب الموت قال الاستاذ
سناده حدثني عبد الصمد بن عقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام انه ضاق
في اسرائيل ذراعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه انبياء فيكونون اعداؤه فلما مال الناس اليهم وجد
رسي في نفسه غيرة فاماهم الله لكرامته في يوم واحد واختلاف في صفة موت موسى عليه السلام حدثنا
وسعيد بن عدي بن عبد الله بن حمدون بسنده عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك
موت الى موسى فقال له ارجع ربك فلما لم موسى عين ملك الموت ففقاها قال فرجع ملك الموت الى الله عز
وجل فقال يا رب انك ارسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقا عيني فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى
فوالله الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على مؤخر فشاوارت يدك من شمر فانت تعيش امدد
شجرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم موت قال فلات من قريب قال يا رب قاذني من الارض
فقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند
كثيب الاحمر قال سمعت ابا سعيد بن حمدون يقول سمعت ابا جابر الشمرقي يقول سمعت محمد بن
ي يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يردها
كل مبتدع ضال (وفي حديث آخر) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان ياتي الناس
انا حتى اتي موسى ليقتضه فلطمه ففقا عينه فوالله ملك الموت امدد ذلك خفية (قال السدي) في خبر ذكره
ن اني مالك راى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني وعن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب
ي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم اني سمعنا يوشع بن نون اذ اقبلت روح سوداء
ما نظروا اليها يوشع ظن انها الساعة فقال يا قوم اظن انها الساعة واتى بالتميم بموسى فبي الله فانس من تحت
التميم وترك التميمي في يدي يوشع فلما جاء يوشع بالتميم اخذته بنو اسرائيل وراة الماقتلت نبي

عنهم اجمعين ونفعا بهم

آمين (وحكى عن بعضهم
رضى الله تعالى عنهم ونفعا
بهم) قال رأيت عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم
تسعة من الاولياء احباب
الخطوة فتيهم فالتفت
الى احدهم وقال اين تريد
فقلت لهم ان اسير معكم اين
تسيرون لحى فيكم فقال
احدهم انك لا تقدر على
المسير الى الموضع الذي
نقصه فانه لا يصل اليه
الا من بلغ عمره اربعين
سنة فقال لا تخردعه امل
الله يرزقه قال فسررت
معهم والارض تداوي من
تحتنا طايا والحب يقول
للاشفاق هنيئا فلم نزل اسير
حتى اتينا الى مدينة
مبنية بالذهب والفضة
واشجارها متما نقسة
وانهارها رائقة وفواكهها
فائقة قال فدخلنا هاواكلنا
من عمرها ثم اخذت معي
ثلاث نقاحات فلم يمدوني
من اخذها فسالتهم عند
الانصراف عن هذه
المدينة فقالوا هذه مدينة
الاولياء فاذا اراد الاولياء
الزهوة ظهرت لهم تلك
المدينة اينما كانوا فدخل
فيها احد قبيل الاربعين
غميرا قال فلما رجعتنا
ودخلنا مكة اعطيت
الداماني نقاحا فخذها
فلاذني اصحابي وقالوا اردو

الله تعالى والله ما قبلته ولكنه انسل مني فلم يصدقه وارادوا قتله فقال لهم اذلم تصدقوني فاخرونى ثلاثة
ايام فدعا الله فأتى كل رجل من كان بحرسه آت في المنام وأخبره ان يوشع لم يقتل موسى وانما قدر نعمته
الينا فتكروه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقتضي حاجته فمر به من الملائكة فمروهم فاقبل اليهم حتى
وقف عليهم فاذا هم يحفرون قبرا لم ير شيئا قط أحسن منه ولم ير مثله قط في الحاضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم باملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نخفنه لسيده صالح كريم على ربه فقال موسى ان
هذا السيد لمن الله بمنزلة عظيمة ما رأيت كايوم أحسن منه مضجعا فمات الملائكة يا صفي الله انجب
ان يكون لك قال ردودت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تنففسا
فاضطجع فيه ثم توجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تنففسا فاضطجع فيه ثم توجه الى ربك ثم تنفس اسهل نفس تنففسا
فاموت فجفاة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروي) ان يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال
كيف وجدت الموت يا بني الله قال كشاة تلخوه في الحياة (ويروي) ان موسى لمسامت قاتت الملائكة
بعضهم بعض مات صني الله موسى بن عمران فمن الذي يطعم في البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة
عشرون منها في ملك افرديون ومائة سنة في ملك منوجهر (قال الاستاذ رجعتنا الى قصة حرب اريحا وخبر
الفتح) قال فلما انقضت اربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبره انه نبي الله وان الله قد
امره بقتال الجبارين فصعد قوه وبابا وفتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الايثاق فأطاع مدينة اريحا
سنة اشهر فلما كان في الشهر السابع تفخروا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسمعت سور المدينة قد خلوها
وقالوا الجبارين هزموهم وهجموا عليهم ورجعوا ليقولهم فكانت العصاة من بني اسرائيل يحتمون
على عنق الرجل يضربونها لايه طعنوها وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس ان تعرد
وتدخل ليلته السيت فخشى يوشع ان يهزموه فقال اللهم اردد الشمس على اوانه قال للشمس انك في
طاعة الله وانني طاعة الله فسأل الشمس ان تعقب والقمر ان يقيم حتى ينقضي من اعدائه قبل غروب الشمس
فردت له الشمس وبذلك الى ايام ساعة واحدة حتى قتلهم اجمعين (اخبرنا) احمد بن عبد الله بن حنبل
الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فأتيت في عنة
خرزاور أيت في بدعها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فملت غاما هذا فقالت انه يكره للمراة ان تشبه
بالرجل ثم حدثني ان اسماء بنت عميس الخدمية حدثتني ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله
اوحي الله اليه فيجلبه بشو به ولم يزل كذلك حتى ادبرت الشمس تقول غابت واواردت ان تغيب ثم ان نبي
سرى عنه فقال اصلي تباعلي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت
بلقت نصف المسجد * قائمتم ارسلك الملك الارامنة وكاوا حصة فارسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلهم
على يوشع وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوكة حتى اهل بطوهم الى ثنية حوران ورماعم الله ابحجار البر فكان
قتله البرد أكثر من قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوكة الخيمة واخذوا في غار قمر يوشع فاخرج
وصاهبهم ثم نزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتبعهم ملوك الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلبهم
جميع ارض الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تزل النار قاقوا
تعالى الى يوشع ان فيها غنولا فامرهم ان يبايعوك فبايعوه فالتصقت درجتي يده فقال له لم ما عندك قال
برأس ثور من ذهب مكل بالذرية الاقوت والحوهر كان قد غله فجعله في الفربان وجعل الرجل معه فيجاء
انما فارقت الرجل والفربان عن ابن هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزائي من الانبياء فاما
للقوم لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرا أو هو يربدان يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه و

ما اعطيت الى مكانه
فكنت كلما جئت اكلت
من تلك التفاحه وهي
لاتغير فرجت الى اهلي
وقد بقي منها تفاحه
واحدة غير التي ادخرتها
انعمي فماتتني اخوتي
وقالت ابن الذي تحببنا
به من سفرك فقلت لها
وما الذي اتخفك به وانا
بيد عن الدنيا وعن الراحة
فغير الحال فقالت اخوتي
فان التفاحه فقلت واي
تفاحه فقالت يامسكين
وانته لقد ادخلوني تلك
المدينة واما بانث عشرين
سنة واما انث فلتمرها الا
بعد ان طردوك وانا والله
جذبت اليها جسده
وخطوت اليها خطوه قال
فتعجبت من كلامها
وقلت يا اخوتي ان البلد
الكبير منهم قال لي لم يدخلها
احد قبل الاربعين غيرك
قالت نعم يا اخوتي من
المردين واما المرادون
فيدخلونها ولا يرضون بها
ومسي شئت اريتكها
فقلت قد شئت فقالت
يامدينه احضري فوالله
لقد رايت تلك المدينة
بمينها وهي تسدلى عليها
وتدفع اليها فهدت بها
وقالت ابن تفاحك قال
فداقبط على من التفاح
شيء كثير فضحكتم
وقالت من عنده هذا الملك

آخر قد اشترى غنا او خلفات وهو ينتظر اولادها قال قد نامن القوم صلاه لصر او قري يامن ذلك فقال
للسمس انت ماموره وانا مامور اللهم احبسنا على ساعه فحبست له ساعه حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت
الغنيمة فجهات النار فلم تاكلها فقال ان فيكم غلوا غلبا يعني من كل قبيله سنكم رجلا فلما يومه ولتصقت يد
رجل بيده فقال فيكم الغلول انتم غلتم قال فاخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فالفوه في الغنيمة وهي بالصعيد
فجهات النار فاكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك ان الله تعالى رأى عجزنا
وضعفنا ومهولنا قالوا ثم امرهم الله ان يدخلوا ارياء متواضعين مستقرين خافضين رؤسهم وذلك قوله
تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم
سبعة ابواب سجدا أى متواضعين وقولوا حطة أى خط عنا خطايانا قال وهب انهم اذ بوابا بينهم
وكان توبتهم اذ ان ذوا دخول ارياء فلما فصلوا من التيه احب الله ان يستقدم من الخطيئة قال ابن عباس
حطه قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب انفراسك خطاياكم ستر بدالحسين احسانا يقول الذين
ظلموا قول لا غير الذي قيل لهم وذلك انهم دخلوا فترحن على انسابهم وقالوا خطا سقا يا بني حطه حرام
استخفا فاباى الله تعالى فزلنا على الذين ظلموا ارجز من السماء اى عذابا من السماء كما كانوا يفسقون وذلك ان
الله تعالى ارسل عليهم طائفة اولية فهاك منهم سبعون الفا في ساعة واحدة ثم رفع الله عنهم ورحمهم قالوا
فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم نوفي الله نبيا يوشع ودفع في جبل افرايم وكان عمره مائة
وعشرين سنة وتديده امر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعاً وعشرين سنة

﴿ محباس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامر بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام ﴾
قالت العلماء باخبار الماضين وامور الالام السالقين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل
كالب بن يوفناختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين انتم الله عليهم قال الله تعالى قال رجلان من
الذين يخافون انتم الله عليهما فاحسن الخلافة حتى يقضيه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه
يوساقوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتنون به وكانوا من شفهم
به باتوته وينظرون اليه ويقولون له اياها العبد الصالح حاشا لنسلم عليك وهو يستحي ان يردم فلما اكثر ما خاف
الفتنة فقال الله ان يغير صورته مع سلامة وجوارحه فصا به الجدرى فصارت مجرورا لموجا فلبث فيهم
مائة واربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله اعلم

﴿ ذكر خير حزيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بئث الله تعالى الى حزيل الى بني اسرائيل
نبيا وحز قيل بن بوري وبلغت بابن العجوز وانع القابن العجوز لان امه سالت الله تعالى الولد وهي
عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي احيا الله تعالى به القوم الذين
خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فاحياهم الله تعالى بسدموتهم بدعوته في قوله تعالى ألم ترالى
الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال) أكثر المفسرين كانت قرية يقال
لهاد اوردان قرية قبل واسط وقبع الطاعون فخرج منها طائفة هارابن من الطاعون بقيت طائفة
فهلك أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا
ان اصحابنا كانوا احزم منا لوصفنا كما صنعوا البقيةنا ونحن وقع بها الطاعون فانيه لنخرجن الى الارض
التي لاوباء فيها فوق الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا فيج فلما نزلوا المكان
الذي يمتون فيه الجذاة والحياة اذ انهم بلك من اسفل الوادى وآخر من اعلاه بنادهم كل واحد منهم ما ان

يحتاج الى تفاحك قال
 فاستجرت نعمي والله
 عند ذلك وما كنت
 اعرف ان اخق من اكابر
 الاولياء رضى الله عنهم
 وتغننا بهم في الدارين
 وامدنا من مددكم
 واتقاهم الظهرة امين
 (وحكى عن الشيخ ابى
 الربيع الماتى غفا الله عنه)
 انه قال سمعت بامراة من
 التعميدات الصالحات في
 بعض القرى اشهر امرها
 وكان من دأبان لانزور
 امرأة فدعت الحاجة الي
 زيارتها للاطلاع على
 كرامتها فلزنا القرية التي
 هي بها فذكرنا ان عندها
 شاة تحلب لبنا وعسلا
 فاشترينا قنحا جديدا لم
 يوضع فيه شيء ثم مضينا
 اليها وسادنا عليها وقلنا لها
 نريد هذه البركة التي ذكرت
 لنا منك من هذه الشاة
 فالت حبا وكرامة ثم
 احضرت لنا الشاة فلبناها
 في ذلك الفصح ثم شربنا
 فوجدنا داءا بارعا لا يلا
 وصف فلما رأينا ذلك
 سألنا المرأة عن قصة هذه
 الشاة فذات انهم اخبركم بها
 وذلك انه كان لنا شويبة
 ونحن قوم فقراء ولم يكن
 عندنا غيرها فقال لي
 زوجي وكان رجلا حيا
 امضى بنا حتى نذبح هذه
 الشاة في هذا اليوم وهو

موتوا فانا اجبرنا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من
 أهلها على حمار له رماه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطعن العبد برمح فجرحه يقول
 لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * فاصبح امام السارى
 فرجع الرجل لمسمع من قوله به الله (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه قال اذا سمعتم باؤا بائي ببلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك
 ومقاتل والكلبي انما فرغ هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا
 الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واسئلوا وقالوا للملك ان في الارض التي
 نأتمها الوياه فلاننا هي حتى ينقطع الوياه عنها فاسل الله عليهم الموت فلم اراوا ان الموت قد كثرت فيهم خرجوا
 من ديارهم فراراً من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وانه موسى قد ترى معصية عبدك فارهم
 آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فانا
 جبرما وماتوا وبهم كونهم مائة رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحو وأروحت
 اجسادهم فخرج اليهم الناس فحجزوا عن دفنهم فخطر واعلهم حظيرة دون السباع فتركهم فيها واختلوا في
 مبلغ عددهم فقال علماء الحرس اني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس وهوب كانوا اربعة آلاف وقال
 والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال ابو مالك ثلاثة ايام وقال السدي بضاًة ثلاثين
 ألفاً وقال ابن جرير اربع ايام وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفاً قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت
 اجسادهم وعربت عظامهم وتنظمت اوصالهم فرعلهم حزيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا
 متعجبا فوحي الله تعالى اليه يا حزيل ردأر انك كيف احبي الموتى قال نعم يا رب فاحياهم الله حيا هذا قول
 السدي وجماعة من المنسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزيل فلما احياهم بذلك بكى حزيل وقال
 يا رب كنت في قوم يمدونك ويزكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت احببت هؤلاء فيمدون بلادك
 ويبدونك قال الله تعالى أو تحب ان اقبل ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جدلت حياتهم اليك فقال لهم
 حزيل احياوا باذن الله تعالى فماشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم
 وقالوا يا الله نادنا واسترحنا ونحن فيه فوحي الله الى حزيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا انهم
 ودوا لما ماتوا استراحوا وأرى راحة لهم في الموت ايظنون اني لا أقدر ابعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا
 فان فيها اقواما متوافقا ثم فوحي الله تعالى اليه يا حزيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت
 ومزقت الطير والسباع فنادى حزيل ايها العظام ان الله بارك ان تهودي وتكتمى اللحم فاكدست جميعا
 اللحم وهد اللحم جلودا ودماء وعصبا وعروقاً فكانت اجسادا فنادى ايها الارواح ان الله تعالى بامرك ان
 تهودي الى اجسادك ففأوا جميعا وعلهم ثيابهم التي متوافقها وكبروا تكبيرة واحدة (وروي) منصور بن
 المتدبر عن جماعة انهم قالوا حين احياهم الله تعالى بركهم بركا عظيما وبناوهم بمكة لاله لا انت فرجهم الى قومهم وتناسلوا
 بعد ما احياهم الله وغشوا وادهر اوفرون انهم كانوا موتى سجدة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا لا عار بما
 مثل الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه يوجب ذلك السبط من اليهود ذلك
 الربح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبيعة
 اجالهم ليوفوها ولو كانت اجال القوم قد جدت ما بدوا بعد موتهم فلما احياهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال
 وقاتوا في سبيل الله واعلموا ان الله سمع علم

﴿ باب في قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعلماء من أصحاب الاخبار يقض الله تعالى حزيقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى تصبروا الاوان وعندها من دون الله عز وجل بعث الله تعالى اليهم الياس بيا وهو الياس ابن يس بن فحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت لانيه بعد موسى يبعثون اليهم بتجديده ما نذروا وضياعوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان وضع بن نون السفيح ارض الشام وملكها وادعى ان اسرائيل وقدم اليهم فاحذسبظ منهم بمالك ونواحيها وعمر سبط الياس بعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قذضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يبدون صفا يقال له بل وكان طوله عشرين ذراعا وكاله اربعة وجوه وقال ابن اسحاق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الامراة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال امومه الا اتقون ائذنون بعل وتذرون احسن الخالقين قال جليل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يعبدونه ولا يحيمونه الى ذلك الاما كان من امر لاجب انك الذي كان يملكك فانه آمن به وصنقه وكان ليس يقوم امره ويسدده ويرشدده وكان للاجب امراة يقال لها ربييل وكان يستخفها على رعيته فاستجاب عنهم في غارة ارضها فاكنت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وترك كايترك وتجلس كما تجلس في مجلس القضاء وتقتض بين الناس وكانت قتالة للانيه وكان لها كتاب رجله ومن حكمهم يكتم ايمانها وكان قد خلاص من بين يديها ثلثة نبي كانت تردق كل واحد منهم اذ ابعت سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة وقويكن على وجه الارض فاحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلهم كلهم بالاشتيال وكانت ماهرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمرتها وبناتها وكانت الجنية في جانب قصر الملك وامراته وكان يشرقان على تلك الجنية يستره فيهما وبياكلان ويشربان ويقبلان فيها حينما كان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامراته اربل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنية وتحمل على غصمها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسناتها ويقولون ما احسرى ان تكون هذه الجنية لاهل هذا القصر ويتعجبون من امر الملك وامراته كيف لم ينصباها لم تزل امراة الملك تحفل على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته والملك يتم اهان ذلك فلا تحب اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طال غيبته اغتامت امراته اربل ان تتم لها الخيرة على العبد الصالح مزدكى في ان تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تر يدبه مقل على عبادته وربه واصلاح مديته فجهت اربل جساما من الناس وامراتهم ان يشدرا على مزدكى بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألتهن من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فاحضرت مزدكى وقاتله بانها عاتك انك شتمت الملك واغتبه فانكر مزدكى ذلك فقامت البينة وشهدوا بالزور عليه بمحضرة الناس فامرت بقتله وبخل واخذت جنيته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر اخبرته الخيرة قال ما اصبحت خيرا ولا وفقت ولا ارانا فلحق به هذا ابدا وانا كذا عن جنيته لا اغنيه وقد كنت تتره فيم وقد جاورنا ونعوم بنامد زمان طويل فاحسن اجواره وكفتمنا عنه الاذى لوجوب حقنه علينا فبعث بشا اجوار واجلته على اجترارك عليه الاسفك وسود راك وقلة تفكرك في العواقب فقالت امراة غضبت لك وحكمت بحكمت

اعطفت لافا غاها الموموم
مع امانة لتخصيص عن
تساقوا تحريضا للمريد
على تفتيب قلوبهم اذ
يعيب القلوب يحصل كي
حبيب محبوب من الانوار
والاسرار ولذة العيش
بتدومة الملك القدر
ولمضى في ذلك طامات
قوة طاب معسدة
فتضيا قلوبكم يعط
ساعتكم رضي الله تعالى
عنه آمين ﴿ وحكي
عن بعض اصحاب
المرى السعفي
رضي الله تعالى عنه ﴾ انه
قال كان للمرى السعفي
تفسيذة وكبت امراة
صالحة وكان لها ولد عن
انهم فيهته لاهل يومنا الى
الرجبة فزى الصبي في
لها ففرق تخف لاهل على
نفسه وثى الى المرى
استقى قذمه بذلك
فغتم وقال قومه بانق
أمه وكان معهم الجنيذ
فحكم المرى السعفي مع
أم الصبي في علم الصبي وعر
ارضا فقات امراة
يا استاذي وأنى شىء
تريد بذلك فقال له المرى
ان ولدك قد غرق فقات
ان الله عز وجل لم يقبل
ذلك ثم قالت قوموا بنا
فقاموا معها حتى اتوا
الى النهر فقالت المرأة

فاستحققت نفسي والله
عند ذلك وما كنت
اعرف ان اخي من اكابر
الاولياء رضى الله عنهم
ونقمنا بهم في الدارين
وامدنا من مددهم
وانفاسهم الطاهرة آمين
(رحمى عن الشيخ ابى
الريبع المني فقال الله عنه)
انه قال سمعت بامرأة من
المتعبدات الصالحات في
بعض القرى اشهر امرها
وكان من دنانير لآزور
امرأة فذعت الحاجة الي
زيارتها للاطلاع على
كرامتها فنزلنا القرية التي
هي بها فذكروا ان عندها
شاة تحب لبنا وعسلا
فاشترينا قدحا جديدا لم
يوضع فيه شئ ثم مضينا
اليها وسألنا عليها وقلنا لها
تري هذه البركة التي ذكرت
لا منك من هذه الشاة
فما لت حبا وكرامة ثم
احضرت لنا شاة خلبناها
في ذلك القدح ثم شررنا
فوجدنا دنانير وعسلا كما
وصف فلما رأينا ذلك
سألنا المرأة عن قصة هذه
الشاة فذات ثم اخبركم بها
وذلك انه كان ناشو يهية
ونحن قوم قراء ولم يكن
عندنا غيرها فقال لي
زوجي وكان رجلا صالحا
امضى بنا حتى نذبح هذه
الشاة في هذا اليوم وهو

موتوا فأتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الاصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من
أهلها عنها على حماره ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطعن العبد برمح فمات
لن يسبق الله على حمار * ولا على ذئب منة خطار * قاصد صبح انه امام الساري
فرجع الرجل لما سمع من قوله بهيمة (وروي) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه واذا وقع وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك
ومقاتل والكلبي انما هو هؤلاء من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا
الى قتال عدوهم فخرجوا فمكروا ثم جبنوا وكروها الموت واتسولوا وقالوا للملكهم ان في الارض التي
ناتيناها الوباء فلانا ناتيها حتى ينقطع الوباء عنها فارسل الله عليهم الموت فلما رأوا ان الموت قد كثرتهم خرجوا
من ديارهم فراروا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب وابنه موسى قدر ترى مصيبة عبادك فارهم
آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمتك وقضاءك فلما خرجوا قال الله لهم وموتوا فأتوا
جميعا وماتوا بهم كثرهم وموت رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة ايام حتى انفجروا وأروحو ابرؤحت
اجسادهم فخرج اليهم الناس فمجزوا عن دفتهم فخرطوا عليهم حظيرة دون السباع وتركهم فيها واختلقوا في
مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس وهب كالأربعة آلاف وقال مقاتل
والكلبي ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثة آلاف وقال السدي بضماو ثلاثة
ألفا وقال ابن جرير اربع اربعين ألفا وقال عطاء بن ابي رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقبليت
اجسادهم وعريت عظامهم وتنظمت اوصالهم فرغ عليهم حز قيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا
متعجبا فوحي الله تعالى اليه يا حز قيل تريد أن ترى كيف أحيي الموتى قال نعم يا رب فاحياهم الله جميعا هذا قول
السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حز قيل فلما اصابهم ذلك بكى حز قيل وقال
يا رب كنت في قوم يمددونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيمددونك بلادك
و يمددونك قال الله تعالى وأوحى ان ذلك قال نعم يا رب قال الله تعالى قد جددت حياتهم اليك فقال لهم
حز قيل احيوا باذن الله تعالى فماشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا بأصايبهم
وقالوا يا ايلاد مننا واسترحنا نمأخذ فيك فوحي الله الى حز قيل ان قومك - ضجوا من البلاء وزعموا انهم
ودوا وماتوا استراحوا وأوى راحتهم في الموت ابظنون أني لأقدر ابرهمهم بهذا الموت فانطلق الى جبانة كذا
فان فيها اقواما متوفاتهم فوحي الله تعالى اليه يا حز قيل قم فنادهم وكانت اجسادهم وعظامهم قد تفرقت
ومزقهم الطير والسباع فنادى حز قيل ايها اعظم ان الله ابارك ان تمودي وتكتمى اللحم فأكنت جميعا
للحم و بمدنا لحم جلود ادماء وعصبا وعروفا فكات اجساد ادي ايها الارواح ان الله تعالى ابارك ان
تمودي الى اجسادك فقاء واجمدا وعليهم نياهم التي متوا فيها وكبروات كبيرة واحدة (وروي) منصور بن
المتبرع عن مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبجناك اللهم ربنا وبمحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم وتناشوا
بمدنا احيائهم لله وغشوا واهرا يعرفون انهم كانوا موتى سجناء للموت على رجوعهم لا يلبسون ثوبا بالاعاد مرما
مثل الكفن حتى ماتوا لا جالهم التي كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد في ذلك السبط من اليهود تلك
الريح قال قيادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصرهم في الجهاد فاماتهم الله عقوبة لهم ثم نبشهم لبقية
آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم قد جاءت باسماؤهم بمدتهم فلما احيائهم الله تعالى امرهم بالجهاد وقال
وقاتلوا في سبيل الله وانتموا وان الله سمع علم

﴿ باب في قصة الياص عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياص لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحاق والعملاء من اصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله اليهم في التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياص نبيا وهو الياص ابن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضميوا من احكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ تفرقون في ارض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح ارض الشام وملكها وها بني اسرائيل وقدم اليهم فاختد سبط منهم بمالك ونواحيها وعم سبط الياص فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل واضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يبدون عنما يقال له بل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحاق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الامراة كابو ابعد زهران ودون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أن دعون بعلًا وتذرون أحسن الخالقين قال خمل الياص يدعوهم الى الله تعالى ولا يطعمونه ولا يجيبونه الى ذلك الاما كان من أمر لاجب انك الذي كان بمالك فانه آمن به وصدقه وكان الياص يقوم امره ويسدده ويرشدده وكان للاجب امرأة يقال لها ربيلا وكان يستخلفه على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة او غيرها فكانت تبرز بين الناس كايبرز زوجها وترك كايترك ونحو ذلك في مجلس القضاة ونقض بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كتاب رجل مؤمن حكيم يكنى ايمانه وكان قد خلاص من بين يديها اثناثة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قبلهم وكانت في نفسها غير مضمخة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بني اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتتيال وكانت ماهرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بني اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنيته يعيش منها ويقبل على عمرانه ويزينها وكانت الجنيته الى جابت قصر للملك وامراته وكان يشر فان على تلك الجنيته يترها فيهما وبياكلان وبشر بان ويقيلان فيها حينما كان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكي وامراته ان يبل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنيته وتحنان على غصبتها لمعت الناس يذكرون الجنيته من حسننها ويقولون ما حيرى ان تكون هذه الجنيته لاهل هذا القصر ويتجنبون من امر الملك وامراته كيف لم ينصباها لم تزل امرأة الملك تحنان على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنيته والملك ينصباها من ذلك فلا تحمد اليه سديلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتمت امرته ان تزل امرته الى الحيلة على العبد الصالح مزدكي في ان تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تر يدبه مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجعلت اربيل جمعا من الناس وامرته ان يشهدوا على مزدكي بالزور انه يسب لاجب الملك فاجابوها الى ما سألهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك ان يقتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فانكر مزدكي ذلك فقامت البينة فشدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل واخذت جنيته غصبا فغضب الله عليهم يقتل العبد الصالح فله اقدم الملك من العفر اخبرته الخبر فقال لها أصبت خيرا ولا وفقت ولا ارانا تفلح بعدها بدوا ان كان عن جنيته لا غيباء وقد كذا تنزه فيها وقد جاوروا محرم بنامئذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففتنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا ففجعت بنا الجوار وما حمله على اجترأك عليه الاسفك وسوء رأيك وقلة تفكيرك في العواقب فقالت انما اغضبته لك وحكمت بحكك

نفسها وزوجها ولكن
اطلقت لظانها الموم
مع ارادة التخصيص عن
تترا وتحرر بض المريد
على تطيب قلوبهم اذ
بطيب القلوب يحصل كل
طيب محبوب من الانوار
والاسرار ولذة العيش
بعمادة الملك القنار
والمعنى في ذلك لما طابت
قلوبنا طاب ما عندنا
فطيبوا قلوبكم بطب
ما عندكم رضي الله تعالى
عنها آمين ﴿ وحكي
عن بعض اصحاب
السرى السقطي
رضي الله تعالى عنه ﴾ انه
قال كان للسرى السقطي
تلميذة وكانت امرأة
صالحة وكان لها ولد عند
المعلم فبعته الملم يوما الى
الدجلة فنزل الصبي في
الماء فغرق تخف الملم على
نفسه وأتى الى السرى
السقطي فاخبره بذلك
فاغتم وقال قوموا بنا الى
أمه وكان مهم الجنيته
فحك السرى السقطي مع
أم الصبي في علم الصبر وعلم
الرضا فقلت المرأة
يا أستاذي وأى شيء
تريد بذلك فقال لها السرى
ان ولدك قد غرق فقات
ان الله عز وجل لم يقبل
ذلك ثم قالت قوموا بنا
فقاموا معها حتى انتهوا
الى النهر فقالت المرأة

ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا في الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذا استضافنا ضيف في ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقرى به هذا الضيف فاحتجنا لذيبحها فقلت له يارجل هذا ضيف وقدمنا بنا كرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال تخاف ان تبكي عليها صبرنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجار فاخذها ومضى فلما اراق دمه افرقت من أعلى الجدار وزارت الينا فحببت اهما قد اقبلت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلم فيها ففات له يارجل رأيت عجا وذكرت لك قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى بدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتهجبتا من ذلك ثم قلت يا ولادي ان شويتنا هذه ترعى في قلوب المريدن فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تهرت قلوبهم تهرت لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك

فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك "مفوعن رجل واحد فتحفظن جواره فقالت قد كان ما كان فبعت الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقرمه وامر ان يخبرهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه بين اظهريهم ظمرا وقد آلى على نفسه انهم ان لم يتوبوا من صنعمهم ويردوا الجنة على ورنه مذكروا لايهاكم بما يعني لاجب وامر أنه في جوف الجنة أشرف ما يكون يسندك دمها ثم بدتهم جيفةتين ملفاتين فيها حتى تهرى عظامها عن لحومها ولا يئمن بها الا قايلا قتل فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه في امره وامر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له الياس والله ما أرى ما تدعوننا اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكهم عبد والاولوان الاعلى مثل ما نحن عليه يا كلون وبشر يون وبتهون تملكين ما ينقص من دنائهم ولا من أمرهم الذي تزعم انه باطل شيء وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم يتذنب الياس وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بأمره رفضه وخرج عنه فلحق بشواحق الجبال وعاد الملك الى عبادة بلل فارتقى الياس الى اصعب جبل واشمخه فدخل منة ارافيل انه بقى فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوي الى الشامب والكهوف وياكل من نبات الارض وثمار الشجر وهمي طليعه وضوء عليه الميرون يتوقون اخباره ويحتشدون في اخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلا فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظهم منهم فامر الله تعالى ابن الملك لاجب وكان احب اولاده اليه واعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى ينس منه فدعا صمنه بهلا وكانوا قد فتقوا بهل فمظموه حتى انهم سموا ديتهم به فقالوا لها بليل وجعلوا له بعاثة سادن فوكلوه به وجعلوا هم امناه وجعل الشيطان يدخل في جوف الصمن فيكلمهم باواع الكلام والار بعائة يصنعون باذاتهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويدملون بها ويسمونها الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك ان يشفوا له الى بلل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه فلم يجيبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يكتفه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يجتهدون في التضرع اليه والمر يض لا يزداد بذلك الا ما وجهه فلما طال عليهم ذلك قالوا لاجب ايها الملك ان في ناحية لشاة آلهة اخرى وهى في العظم مثل الهك فابست اليها الانبياء يشفون لك اليها فلما بها ان تشفع لك الى بلل فانه غضبان عليك ولولا غضبيه عليك لكان قد اجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لا شيء غضب على وانا اطيعه واطاب رضاه ولم اسخطه ساعة قط قالوا من اجل انك لم تتفعل الياس وفرطت فيه حتى نجاسه الما وهو كافر بالهك بهيد غيره فذلك الذي اغضبه عليك قال لاجب وكيف لي ان اقتله في يوم هذا وانا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لي الياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصده فلو عرفت ابني تهرغت اطلبه ولم يكن لي هم ولا شغل غيره حتى آخذه واقتله واربع الهى منه وارضيه قال ثم انه بعث الار بعائة نبي ليشعروا الى الالهة التي بالشام ويسألوا هان تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فرفع الله عز وجل الشيطان الولوج في الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبره بذلك فقال الملك وكيف لي ان اقتل الياس في هذا اليوم قال فخرج ار بعائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى الله اليه ان يبط من الجبل ويعارضهم ويستوقعهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني ساصرف عنك شرهم وألغى الرب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلم افيهم استوقعهم فلما وقفوا قال لهم ان الله ارسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا ايها القوم رسالتي بكم كتيلةوها صا حاكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألسنت تعلم لا لاجب اني انا الله لا اله الا أنا الهى امرائيل الذي خلفهم ورزقهم وراحهم واماتهم فلا يحملك جهلك وقلة عقلك على ان تشرك بى وتطالب الشمامه لابنك من غيرى ممن لا يمكن ان لا تقسم شيئا الا ما شئت واني آليت باسمى لا اغيظنك بى ابنك ولا اميتته من فوره

المعلم ههنا فصاحت به
ابني تخدعنا جابها من الثبر
لبيك يا أماء فبزلت
وأخذت بيده ومضت
الى منزلها فلنقتت السرى
ابني الجنيد وقال أى شيء
هذا فقال الجنيد أقول
ان هذه المرأة مراعية ل
الله عز وجل عليها وهذا
حكم من كان مراعيًا لله
عز وجل عليه فلم يزل
لا تحوت حادثة حتى تعلم
بها فلما كان دأبها ذلك لم
تسكن حادثة الا علمتها
فانكرت ذلك وقالت ان
ربى لم يفعل ذلك وهذا من
صدقها مع مولايها رضى
الله تعالى عنها ونقمتها بها في
الدنيا والآخرة وأمدنا
من مصدريها آمين
وحكى عن مالك بن
دينار عن الله عنه انه قال
خرجت حاجا الى بيت
الله الحرام سنة من السنين
فبينما انا في الطريق واذا
بشاب يشي بلا زاد ولا
راحلة فسلمت عليه فرد
على السلام فقلت ايها
الشاب ومن أين أنت
قال من عنده فقلت والى
اين قال اليه فقلت برأى
ازاد والراحلة فقال عليه
فقلت له انى لا تطلع
الا بالمال كل والمشرى فويل
مك شيء قل نعم قد
تزدت عند خروجي

هذه احق تعلم ان احد الانبياء له شيا دوني فلما قال لهم ذلك رجعو واوقفوا ملكا وانه مرعبا فلما اساروا الى الملك
ووصلوا اليه قالوا له ما قال لهم الاس واخبروه بان اياس اخط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد
قشفت وقحل وتمط شعره وبس جلد عليه جبة من شعر وعباءة قد خلها على صدره بخلان فاستوقفنا فلما
وقفنا صار معنا فذفل في قلوبنا الرعب والهيبه وتقطعت السنن ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد فلم
نقدرا ان نكلمه ونراجمه ولا أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام اياس فقال لا يجب لا نتفع
بالجباة مادام اياس حيا ما الذى منكم ان تبطشوا به حين اقبتموه وتوقفوه وتأتون به واتم تعلمون انه طليعى
وعدوى قالوا له قد اخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه و البطش به قال لا يجب اذا ما نطق اياس بالملك
والخدمة ففيض لخمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والباس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه
وان يطهروه بانهم قد امنوا به هم ومن وراه في ليلتين اليرم ويقتربهم ويمكمن من نفسه فيأتون به ملكهم فانطقوا
حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه اياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم يتادون باعلى أصواتهم ويقولون
يا بنى الله ابرزلنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنتك وصددتنا لك ولا كنا لا يجب وكذلك جميع قومه
مقرون بذلك ويقولون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنتك واجبتك الى
مادعوتنا اليه فلم ايتنا فانت نبينا ورسول ربنا فقم يا اظهرنا واحكم بيننا فانت انتقاد الى ما امرتنا وتنهي عما
نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا ركل هذا كان دكرامهم
وخديعة فلما سمع اياس مقالتهم وقع في قلبه ايعانهم وخاف الله واشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم
يجهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لوانى دعوت الله تعالى فسالته ان يعلمنى
ما فى نفوسهم ويطمئن على حقيقة امرهم وكان ذلك الها ما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما
يقولون فاذنلى فى البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفهم وارهم بنار تحرقهم جميعا فاستمع قوله حتى
حصروا بالارمن فوقهم فاحرقوا أجسادهم وقالوا بل لا يجب وقومنا الخير فلم يرتدع عن ضمير السوء واحثال
تأنيبا من اياس ففيض لهم فنة اخرى مثل عدد اولئك واقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا حتى
واقوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا بنا دون يابى الله اننا نؤذ بالله وبك من غضب الله وسخطه
انلسنا كاذبين اتوك قبلنا اولئك فرقة نافقوا وخالفوا فصاروا اليك ليكر وباك من غير رأينا ولوعلمنا بهم
لفتنناهم والاكن قد كفاك الله امرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانقم لنا ولك منهم فلما سمع اياس مقالتهم دعا الله
بدعوته الاولى فاطر عليهم نارافرحروا جميعا عن آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجهه كما
وعده الله تعالى على لسان نبيه اياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك
اصحابه تأنيا ازاد غيظا الى غيظه واراد ان يخرج فى طلب اياس بنفسه الا انه شغله عن ذلك مرض ابنة
فوجه نحو اياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امراته رجاء أن يأس اليه فينزل معه واظهر للكاتب انه
لا يريد بالياس سوا ولا مكروها وانما اظهر له ذلك ليطاع عليه من ايمانه وكان الملك مع الاطاعة على ايمانه
مفضيا عنه لاهو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة بالامور فلما وجهه نحو دارسل
معه فنة من اصحابه وعهد اليهم دون الكاتب ان يوقفوا اياس ويأتوه به ان اراد التخلف عنهم وان جاء
مدهم انساب الكاتب واما مكاتبه لم يوحشوه ولم يروعه وطمأنه اظهر للكاتب الاذبة فقال له انه قد أتى ان
اتوب واتنظ فقد اصدا بتنا بلا يمن حريقى اصعدنا والبلاء الذى فيه ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة اياس
ولست آمن ان يدعو على وعلى جميع قومي فنهلك بدعوته فكبر رسولنا اليه واخبره ان قد تبنا وتبنا وانه
لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضائنا وخلعنا صنامنا الا ان يكون اياس بين اظهرنا يا مرننا وبنما

فقلت وما هي فقال قوله
 تعالى كهيص فقلت وما
 يعني كهيص فقال أما
 قوله كف فهو الكفى وأما
 الهاء فهو الهادى وأما
 الياء فهو الذى يادى وأما
 اللين فهو العالم وأما الصاد
 فهو الصادق فمن صحب
 كافيسا وهاذا وهو ديا
 وعالم وصادقا فلا يضيع
 ولا يخشى ولا يحتاج إلى
 الزاد والراحلة قل مالك
 فلما سمعت منه هذا
 السلام نزلت قميصى
 لألبسه فأتى أن يقوله
 وقل يا شيخ العرى خير
 من ثياب النني حللها
 حساب وحرامها عقاب
 فكان إذا جن الليل برع
 وجهه نحو السماء ويقول
 يامن لا تنفخ الطاعات
 ولا تضرب أئمة اصبلى
 إلا ينفخك واغفرلى ما
 يضرك فلما أحرم أناس
 والبوا قلت له لم لا تلبس
 فقال يا شيخ اخاف أن
 أقول ليك فيقول لا ليك
 ولا سديك لا اسمع
 كلامك ولا انظر اليك
 ثم مضى وغاب عن بصرى
 فأرايته إلا بنبى وهو يركبى
 ويقول إن الحبيب الذى
 يرضيه سقى دوى
 دمي حلال له في الحل
 والحرم
 والله علمت روحى لمن
 عشقت

و يخبرنا بما رضى ر بنقال ثم انه امر قومه ان يهزوا الاصنام وقل له اخبر الياس بان قد خلطنا آلهتنا التي كما تعبد
 وقد اهلنا امرها حتي ينزل اليها فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان ذلك كله مكر من الملك قال فانطلق
 الكاتب والثقة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه الكاتب فعرف الياس صوته فناقت نفسه اليه
 وانس به وكان مشتتا لئانه فأوحى الله تعالى الى الياس عليه السلام ان ابرز الى اخيك الصالح فاقفه وجدد
 منه الهدى وبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه
 وقص عليه قاته وقل انى طائف ان رجعت اليه واستمع منى ان يقتلنى فامرني بما شئت ان افعله وانتهى اليه
 ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته وان شئت جاهدته معك وار شئت ارسلتني اليه بما تحب فاباه
 رسلك وان شئت دعوت بك بحمل لئانه امرنا فارجع فخرج فأوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك
 منهم مكرو وكذب ليظفروا بك وان لا يجب ان اخبرته رسله انك قد لقت هذا الرجل ولم يات بك اليه فانه
 يتهمه ويعرف انه قد داهن في امرك ولم يامن ان يقتله فانتاق معه فار اطلقك معه عذره وبراءته عند
 لا يجب وانى ساسفله عنك كما وضائف على ابنه البلاء حتى لا يكون له عثم غدرته ايمته على شرحال فاذ مات هو
 فارجع انت ولا تقم عنده قل فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لا يجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه
 الوجع واخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لا يجب واصحابه عن الياس ورجع الياس مسالما الى مكانه فلما
 مات ابن لا يجب وفر غوا من امره وقرع زعمه انبى لا الياس وسأل عنه الكاتب ابى من الذى جاء به فقال له
 ليس لى به علم وذلك انه قد شغفني عنه موت ابنك والجنوع عليه ولم يكن احببك الا قد استوفيت منه فاطرق عنه
 لا يجب وترك لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق الى
 العمران والناس فزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامراة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن مرقى ذي النون
 فاستخفى عنده دامة اشهر ويونس ابنه ابوه ثم دعوا لودرضه وكانت ام يونس تحبده بنفسها وتواسيه بذات
 يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عايبها قال ثم ان الياس عليه السلام ثم ضرب البيوت بعد عوده في الجبال
 ودوحها فاحب الاحوج بالجبل فمدا الى مكانه في الجبال فيجزع ام يونس لفرافقه وأوحشها ففقدته ثم لم
 يلبث الا قليلا حتى مات ابنه يونس حين قطعت فقامته عظمت مصيبتها به فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى
 الجبال وتطوف فيها حتي عثرت عليه ووجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجمت بعدك بموت ابني وعظمت
 به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمى وادعرك تعالى الى ابني ويجبر مصيبتى
 فأتى قدر كتمه جنى لم اوفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد
 وأمر أعمل بما امرنى ربى به ولم يامرني بهذا فخرجت المرأة وتضرعت فغطف الله قلب الياس عليها فقال لها
 وبتى مات ابنك فقالت منذ سبعة ايام فانطلق الياس عليه السلام معها واسار سبعة ايام حتى أتى الى منزلها فوجد
 ابنه اىونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فاحيا الله يونس بن مرقى فلما عاش وجلس وب
 الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال تصييا قومه ضائق الياس بذلك ذرعا واجهده البلاء
 فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجود باليأس ما هذا الحزن والجنوع الذى انت فيه الست
 امينى على وحي وحجيتى فى ارضى وصفوتى من خلفى فاسألنى اعطك فأتى ذوالرحمة الواسية والفضل العظيم
 قال ياس عليه السلام تيمنى وتلحقتنى بآبائى فأتى قد ملئت منى امرا ئيل وملوتى وابغضتهم فيك وابغضونى
 فأوحى الله اليه باليأس ما هذا اليوم الذى اعزى منك لارض واهلها وانما قوامها واصلها بك واشباهك
 ولكن سألنى اعطك قال الياس فان لم تمننى بالمهى فاعطنى ثارى من بني اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأتى شي
 تر يدان اعطيك باليأس قال فكتمتني من خزائن السماء بعد سبع سنين فلان شى وعليهم سحابة الا بدعوى ولا

قامت على راسها هجوما

عن القدم
بالأثم لا تاني في حواء
فلو عاينت منه الذي
عابت لم تطرف باليت
قوم لو بمرحاة
لله طافوا لا غنام عن
الحرم ضحى الحبيب
بنفسى يوم عيدهم
والناس ضحوا بنش الشاة
والغنم
للناس حج ولا حج الى
سكني تهدي الاضاحي
واهدى مهجتي ودمي
تم قال اللهم ان الناس لم يحوا
وتقربوا اليك بضحاياهم
وهديهم وايس لى شىء
اتقرب به اليك سوى
نفسى فتقبلهم انى ثم شق
شهقة فخر ميتا رحمة الله
تعالى عليه واذا بقائل يقول
هذا حبيب الله هذا قليل
الله قتل بسيف الله قال
فجبرته وواريته بالزباب
ثم بت تلك اليلة متفكرا
فى امره فرايته فى المنام
وعليه زياب من السندس
والاستبرق فقلت له ما فعل
الله بك فقال فقال قتلنى
كما فعل بالشهداء يوم بدر
فهم قتلوا بسيف الكفار
وانا قتلت بمحيط المالك
الذى بز الجبار قال فنهجبت
منه رضى الله تعالى عنه
(وحكى عن الهول رضى
الله عنه انه قال) بينما انانى
يوم من الياهم مار فى شوارع

تمطر عليهم سبع سنين قطرة الاشفاعى فانهم لا يذلمهم الا ذلك قال الله تعالى يا ايها الناس ان انا ارحم بعبادى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فربع سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين ولكننى اعطيتك ثلث سنين اجعل خزان المطر بيدك ولا انشر عليهم سجابة الابدعوتك ولا ازل عليهم قطرة الاشفاعك قال يا ايها الناس فبأى شىء اعيش قال اسعزلك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تنحط قال يا ايها الناس قد رضيت فامسك الله امطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشي والدواب والهرام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياش على حاله تخفت من قومه بموضع ينساق فيه الرزق ويأتيه حينما كان وقد عرفه بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه ويأتى منهم اهل ذلك المكان سرا قال ابن عباس اصاب بني اسرائيل الفحط ثلاث سنين ومتر اليات فمر الياس بيمجوز فقال لاهل عرك طعام فقالت نعم شىء من دقيق وزيت قليل فجاءته بشىء من الدقيق والزيت فدعا عليهم بالبركة ومهم ما فبارك الله في ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لاهلنا أين لك هذا قالت من رزق من حاله كذا وكذا ووصفته بصفتها فمرقوه وقالوا لهذا الذي ايس ثم اتهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله اعلم

﴿ قصة اليسع عليه السلام ﴾

ثم ان الياس اتى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يسمى اليسع بن اخطوب وكان ضرفا واهفت امره فدعاه فوفى من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وأمن به وصدقه وزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد اسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس عليه السلام انك قد اهلك كثيرا من الخلق ممن لم يصونى سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله اعلم ان الياس قال رب دعنى اكون الذي ادعوا لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي اصابهم امهم يرجعون عمام عليهم من عبادة غيرك فقبل له ثم جاءه الياس الى بني اسرائيل وقال لهم وبذلك انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون ان تعملوا ان اصنمكم التي تدعونهم دون الله نفى عنكم شيئا فخرجوا باصنامكم هذه فان استجاب لك فذلك كما تدعون وان هم لم تفعل لعلم انكم على باطل وغرور فزعمت عنها ودعوت الله تعالى انكم ن يفرج عنكم ما تم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا ورمهم وانهم قد دعوا فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا ايها السلام ما قد هلكنا قانع الله فندع الله الياس ومعه اليسع عليهم السلام باعرج مما هم فيه وان يسعوا فخرجت سجابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فقبلت نحوهم وطبقت عليهم السم الا فنى ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم واحيت بلادهم فان فسكوا الى الياس هدم الجدران وعمد البذر وقالوا يستجاب لنا حبوب فاحس الله تعالى اليه ان يارهم ان يبذروا الملح فى الارض ففعلوا فبنت الله لهم نه الحصى وامرهم ان يبذروا الزرع فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا الهود ولم يزعوا عن كفرهم ولم يلقوا عان ضلالتهم واقاموا على اخبت ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه ان يريحه منهم فقبل له انظر يوم كذا وكذا فخرج الى موضع كذا وكذا فاذا اجاءك شىء فاركبه ولا تبعه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي امر بالخرج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به

الفرس فاداه البسع بالباس ما قامنى به فذهب اليه كساده من الجوالا على فكان ذلك علامة على استخلافه
ايه على بنى اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهريهم وقطع عنه لذة
المطعم والمشرب وكما الريش وكان انسيما له كياسا يا ارضيا وسلطا الله تعالى على لاجب الملك وامرأته
وقومه عدوهم وقصصهم من حيث لا يشعرون به حتى رهبهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكى فلم
تزل جيفتاها ملقائين في تلك الجنة حتى بايت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله البسع عليه
السلام وبمئة نبيا ورسولا الى بنى اسرائيل وارضى الله تعالى اليه وابده بمثل ما يده عبده الياس فامنت
به بنو اسرائيل وكانوا يظهرونه وينتهون الى رايه وامره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى ان فارقه قسم البسع
(اخيرا) ابو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن ابي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام
يصومان شهر رمضان ببيت المقدس وبوفيان الموسم في كل عام (واخبرني) ابن فتحويه عن رجل من
اهل عسقلان انه كان عشي بالاردن عند نصف النهار قرأ رجل فقال يا عبد الله من انت فقال انا الياس
قال فوقمت على رعدة شديدة فقلت له ادع الله ان يرفع عني ما جرد حتى افهم حديثك واعقل عقلك فنادى
بثان دعوات وهن يا ابراهيم يا احسان يا ممان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسر يا نيسة افهمهما وقيل هما
يا هياشمر يا هياشمر يا هياشمر ما كنت اجد وضع كفه بين كفتي فوجدت بردها بين يدي فقلت يا هياشمر
اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الى قال فقلت له فكيف من الانبياء اليوم احياء
قال اربعة اثنان في الارض واثنان في السماء اما الذين في السماء فبعيسى وادريس عليهما السلام واما الذين
في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عربش
وصالى شاطي الفرات ورجلان بالصبيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كله اذهب الله واحد
منهم جاء باخر مكانه وهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يطرون قلت فالحضر اين يكون قل في جزائر
البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت اين قال بالموسم قلت فما يكون حديثك قل ياخذ من شعري واخذ من
شعره قل وكان ذلك حين جري بين مروان بن الحسك وبين اهل الشام القتال قلت فاقول في مروان بن
الحسك قال رجل جبارعات على الله تعالى والقاتل والمقتول الشاهد في النار قلت فاقول في مروان بن
برموج ولا رميت بسهم ولم ضرب بسيف وانا استغفر الله من ذلك المقام ان اعود الى مثله ابدأ قال احسنت
فهكذا فكأن فينا انا وادع اعداءنا اذ وضع بين يديه رغيفان اشديا من التاج ما كلت انا وهو رغيفا
وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقدرت باقي الرغيف الاخر فارتأت احدا وضعه ولا رأيت احدا
رفعه قال وله ذقة تعري في وادى الاردن ورفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت
له اني اريد ان اصحبك قال انك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له اني خلوا لزوجتي ولا عيال قال تزوج
واياك والنساء الاربعة الناشزة والخمسة والملاعة والبرزة وتزوج ما بدالك من النساء قال فقلت اني
احباب الفاكه قال فاذا رأيتني فقد لفتني اني اعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم
حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما ادري كيف ذهب وهذا اخر القصة

﴿ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واسمه ايل وادريس وزا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد كبر البسع قال لو اني
استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتي انظر كيف يعمل فيجمع الناس ثم قاله ان يتكفل لي
بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا ينفضب فقام اليه رجل شاب تزود به الميرون فقال انا
فرده ذلك اليوم وقال مثلما في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال انا عملت ذلك فاستخلفه

يلعبون بالاوز والجوز
واذا بصي ينظر اليهم وهو
يبكي فقلت في نفسي هذا
الصبي يبكي تحسرا على ما في
أيدى هؤلاء البصيين ولا
شيء مما تقدمت اليه
وقلت له يا ولدي ما يبكيك
أشترى لك من ذلك ما
تأمن به مع البصيان قال
فرفع الصبي رأسه وقال
يا قليل العقل ما الالب
خلفتنا فقلت له يا ولدي فلما
ذا خلفنا فقال لاهل والمعابة
فقلت له من أن لك هذا
بارك الله فيك فقال من قوله
تعالى افحصتم انما خلفناكم
عنا وانكم لا تبالون
قال البهلول فتعجب من
كلام الصبي على صغر سنه
وقلت له يا ولدي أراك
سكنا فغظني فاندبني وقول
شعرا اري الدنيا تجهز
بانطلاق مشيرة على قدم
وساق فلا الدنيا باقية
بجي ولاحي على الدنيا
بباقى

كان الموت والحدان
فيها الى نفس الفتى فرسا
سباق فيامرور بالدينا
روايدافنها خذل نفسك
بالوفاق قال ثم روى بطرفه
الى السماء وأشار اليه بكفه
ودعه وتجرى على خده
وخر من شيا عليه فرقت
رأسه الى حجر ومسحت
التراب عن وجهه فلما ذق

قلت له يا ولدي ما نزل بك

وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بهلول فاني رأيت امي توفد النار في صفار الحطب قبل السكار فقلت لها لم لا توفدين النار في السكار فقط فقلت يا ولدي لا توفد السكار الا بالصغار واني أخشى اذا كون من صفار حطب جهنم قال البهلول فمشي على ساعة وانصرف النمل من بين يدي فلما افقت نظرت الى الصبيان فلم أر الصبي بينهم فسألهم من يكون ذلك الصبي فقالوا أو ما نعرفه فقلت لا فقالوا هذان اولاد الحسين بن علي ابن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ونفنا بهم وبانفسهم الطاهرة وحكي عن حبيب العجمي رضى الله تعالى عنه انه قال كان لي زوجة سيئة الخلق كنت أخشاه اسوء خلقها فعالت لي يوما من الايام ان المفتح عليك فلا دخل ايننا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى اجبانة مهووما مغموما فصررت أصلى الى الشاه ثم أتيت الى البيت خجيلا من تويخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين اجرتك التي

قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم فقال دعوني واباه فانادي صورة شيخ كبير فقبر حين اخذوا ضججه لافئالة وكنت لا انام طليل والنهار الانالك اللومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل ينص عليه القصص ويقول انت بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وقلوا وقلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت الفائلة فقال له اذا رحت فاني آخذك بحفك فافانق ابراح الى مجلسه فلما اجلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يرد وقام يتبعه فلما كان المد جعل يقضي بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى الفائلة وأخذته ضججه اباه فدق الباب فقال من هذا فقال ابنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قدمت فاني فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقلك واذا متت جددوني قال فافانق فاذا رحت فاني وفاتته الفائلة فراح واقبل وجعل ينظره فلما رآه فشق عليه العباس فقال ليهض اهله لا تدع احدا يقرب هذا الباب حتى اقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلما باذن له احد فلما رآه نظر فاذا كوفي البيت فتدبره فلما فاذا هو في البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستنظر الرجل وقال يا فلان ألم أترك ان لا تاذن لاحد على فقال اما من قبلي فاما انتي فاطر من قبل من اتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما كان فانه واذا الشيخ معه في البيت فقال له انام والحصى بيا بك ففرقه فقال له يا بد والله ما لجاك الى هذه العمال فقال له انك اعيتني في كل شيء اردت بك ففعلت معك ما تري لا غضبك فمصصك الله مني فسمى ذالك الكفل لانه تكفل بامر توفيه (اخبرنا) ابن فضال قال حدثنا عمر بن المغيرة عن ابي هاشم (اخبرنا) ابن الفضل قال اخبرنا الامام عمن عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سميد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لم اسمعه الا مرة او مرتين لم احدث به سمعته منه اكثر من سبع مرات يقول كان في بني اسرائيل رجل يقال له ذوالكفل لا يزعم عن ذنب عمله فاتبع امرأة اعطاها ستين دينار على ان تعطينه نفسها فلما اقدم منها مقدم الرجل من المرأة ارادت وبكت فقال لها ما يبكيك فعملت من هذا العمل فاني ما معني فقلت لا ولكن حملتني عليه الحاجة فقال لها ذهبي ففعلت لك ثم انه قال والله لا انصلي اليك بعد هذا قط ابدا فماتت من ليلته فقيل مات ذوالكفل فوجدوا على باب داره مكتوب بان الله تعالى قد غفر لذي الكفل * وقال ابو موسى الاشعري ان ذالك الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل به لرجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب

﴿ مجلس في قصة عيسى وشمويل وهو اسمعيل بالبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على ابواب كثيرة ﴾

قال الله تعالى ألم تر الى انزلنا من بني اسرائيل الاية

﴿ فصل في سياق الاية وقصة النصبة ﴾ قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليه ببعيد الياس عليهم السلام واستخلفه على بني اسرائيل وكان فيهم ماشاء الله ان يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخاف فيهم الخوف ظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كبارا عن كبار فيه الكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويرحفون به معهم الا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قديرك لهم في ارض اقحوم فكادهم فيها ذكروا جميع القربا على صخرة ثم يبرئ فيه الحب فيخرج الله ما ياكل منه هو وعياله ويكون لاحد من الزبوة فيعصر منها ما ياكل هو وعياله سنة فلما كثرت احداثهم وعظمت ذنوبهم تركوا ما عهد الله اليهم ساط الله عليهم المعلقة وهم قوم كانوا يسكنون

غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظاهر واعلى بنى اسرائيل وغلبوه على كثير من اراضيهم وسبوا كثيرا من ذرارهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضر بواعليهم الجزية واخذوا ثورتهم وبقوا على اضطراب من امرهم واختلاف من حالهم يتداولون احيانا في غيرهم ورضلا عنهم فسلط الله تعالى عليهم من ينقم له منهم اربع جموع الى التوبة احيانا ويكفهم الله شره بنى عليهم حتى اتم الله فيهم طالوت ملكا وورده عليهم ثورتهم فانظم امرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل امر بني اسرائيل في بعضها الى السامرة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويتملك عليهم الى ان تبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام اربعمائة تسعة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر امرهم في ما كد شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رايه فلما مضى من وقت قيامه بامرهم مدة بمات الله شمويل نبيا **(القول في بدء امر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم)**

قال وهب بن منبه كان لاني شمويل امرأنا ان احداهما عجزوا عاقر لم تلده ولد ارضى امر شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة اولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من اعيادهم اقامه واقبه شرائطه وقربوا القرابين فحضر ابو شمويل وامرأناه واولاده العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم اخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة انصبا وله عجز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهم ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغى فقالت ام الاولاد للمعجز الحمد لله الذي كثرتي بولدي وقلالك فرجت المعجز وجوماشد يدان فلما كان عند السحر عمدت الى تمهيدها فقالت الالههم بهلك وسوءك كانت مقالة صاحبتي واستطالتم على بنهمك التي اتمتها عليها وانت ابتدأتم بالنعمة والاحسان فارحم ضمى وارزقني ولدا تقيارضا واجعله لك ذخرا في مسجدم من مساجدك يمدك ولا يكفرك ويطعمك ولا يجحدك فازاحمت ضمى ومسكنتي واجبت دعوتي فاجعل لي علامة اعرف بها قول دعائي فلما أصبحت حاضيت وكانت قبل ذلك قد نيست من الحياء فيجعله الله علامة لاسأله فلم يهازوها خملت وكتبت امرها واتي بنوا اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاه وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم فكانوا يسألون الله تعالى ان يبعث لهم نبيا يشرح عليهم ويحاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبيبة فلما علموا بحملها تهيجوا من امرها وقالوا ما حملك هذه الانبي لان الياسات لا يحمدن الا بالانبياء كساراة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وابشاح امرأة زكريا حملت بيجي عليه السلام فاخذوها وحبسوهن في بيت رهبة ان تلد جارية فيبدها بفلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فيجمل المرأة تدعو الله تعالى ان يرزقها ولدا كرا فولدت غلاما وسمته شمويل بل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام اسلمته ليعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعث الله فيه نبيا اتاه جبريل عليه السلام وهو قائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يابن عليه احد افدعاه جبريل بلحن الشيخ باسمويل فقام الغلام فزاعر عو بالي الشيخ وقال يا ابيه ادعوتي فذكره الشيخ ان يقول لا فيزع الغلام فقال يا بني ارجع فتم فرجع الغلام فقام ثم ادعاه جبريل ثانيا فاقبته الغلام وقال ادعوتي يا ابيه فقال الشيخ ماشاك قال اما دعوتي قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل ليك انا طوعك فامرني بمشئت اقبل ما تامرني به فقبل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال ليك انا طوعك فامرني بامرك اقبل ما تامرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك قبلهم رسالتي بك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحده املك ذلك اليوم الذي تاهت

ستاجرني كرم واستحيت ان استعجله في الاجرة قال فسكنت عني فكشمت على ذلك الحال يا اما وانا ذهب الى الجبانة واضل الى الليل وارجع فلما طال عليها الحسالت قامت على وقالت اطلب اجرتك منه او اجر نفسك لنفسه فمسر على ذلك ووعدها باز افضل ذلك ثم خرجت الى عادتي فلما جاء الليل رجعت الى منزلي خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة فوزو حتى فرحة مسرورة فنهجيت من ذلك فلما دخلت البيت انت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك بمات الينا ماتت الكرام الى الفقرا وقال رسول الله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجدي العمل فان مستاجر لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدا ما فيقر عيننا ويطيب نفسنا ذهبت الى بيت اخرفي لدار واحضرت منه كياما ملوأة دنانير ذهب احر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها اذرين من بمات الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كرم يده خزائن السموات

عليها ضربها فيه فلا احد اليوم اشد منهم اعضدا ولا ملاذا فانطلق الى عبي فقال له انك كنت خليفة الله على عباده
ودينته فممت زمانا بامر دحا كما يكتبنا به محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ورق عظمك وذهبت قوتك
وفنى عمرك وقرب أجالك وصرت اقفر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل فقيرا اليه عطمت الحدود وجرت بين
الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات واضعفت حكم الحق حتى عز الباطل واهله وزل الحق وحزبه وظهر
للمنكر وخفى للمعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك
ببئس ما ختمت به عمالك والله لا يحب الخائين بلغة هذه الرسالة وقم بعد بالخلافة فلما بلغه شمو بل هذه
الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاب الله عبده عيى ووبخه عليه ما نه كان له ابان شبان فاحدث شيئا في
القربان لم يكن فيه وذلك انه كان مسواط القربان الذي كانوا يوطونه به كلا بين فسا أخرجا كان للكاهن
الذى كان يسوطه فجعل ابنا دكلا لب فوحى الله الى شمو بل ان انطلق الى عبي فقال له منك حب الولد ان
تزوج ابنيك ان يحد ثاني قراني وان يصياني فلا تزغن الكهنة منك ومن ولدك ولا هلك بك واباها فخير
شمو بل عبي فزع فزعا شديدا وسار اليهم عدوهم ومن حولهم فارعى ابنيه ان يخرجوا بالناس فيقا تلا ذلك
المد وفخر جاوا خراجهم مما التابوت فلما تاهوا للقتال جعل عبي يتوقع ما ضيع القوم فجاءه رجل وهو
قاعد على كرسيه فاخبره بان الناس قد انهزموا وان ابنيك قد قتلوا قال فاقبل التابوت قال ذهب به العدو
قال فشقي ووقع على قفاه من كرسيه فسات فلما بلغ ما حكمهم ابلاف الخبر ان التابوت قد سلب وان عيسى
قد مات فسات كذا فاما مات الاله والوزير واخذ التابوت مرج امر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم
عدوهم فقالوا لشمو بل ابعت لنا ملكا نتقاتل في سبيل الله وذلك بعد ما دبر شمو بل امرهم عشرين سنة فلما لهم
الذل والهوان والقتل والاسبي من عدوهم بشؤم وصيتهم سألوا نبياهم شمو بل ان يبعث لهم ملكا يقاتلهم
في سبيل الله وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك واطاعة الملوك للانبياء وكان الملك هو الذي
يسير بالجيش ويقال العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له امره ويشير عليه ويرشده وياتيه بالخير من
عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمو بل نبيا فلبثوا اربعين سنة في احسن حال ثم كان من امر
جالوت والامة ما كان فسألوا شمو بل عليه السلام ان يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ائتمروا لي الملك الذي
اسرائيل من بعده موسى اذا قالوا النبي لهم ابعت لنا ملكا نتقاتل في سبيل الله يعني شمو بل وهو بالهبرانية اسم عيل
ابن بلي بن علقمة بن ماجد بن عموص بن الزهر بن ضون بن علقمة صاحب عموص بن عزريا وقال مجاهد هو
شمو بل بن هلقا فارلم ينسبه اكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبياهم هل
عسينتم ان كتب عليكم القتال لا تقاتلوا فاجابوا بقص الله في كتابه قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا لآلئته فلما اخذ شمو بل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سال الله تعالى
ان يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت واثيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

ذلك تغير لونها وارتدت
ونابت الى الله تعالى ما كان
منها وقسمت ان لا تعود
الى ذلك ابد رحمة الله تعالى
عليهما ونقمتا بهم اجمعين
ووحى عن عطاء بن
الارزق رضي الله تعالى عنه
انه قال قد دفنت الى زوجتي
درهمين لاشترى بهما
دقيقا ولم يكن عندنا شيء
بقنات به في ذلك اليوم
فخرجت الى السوق
لشراء الدقيق فرأيت مملوكا
في السوق يبكي فقلت له
ما يبكيك فقال يا سيدي
ان ولاى دفع لي درهمين
لاشترى بهما شيئا فسقطا
من يدي وخاف ان ارجع
له خائبا فيضر بني قال عطاء
فحزنت عليه ودفنت له
الدرهمين فاخذها ووضي
الى حاجة ثم توجهت الى
المسجد فصرمت اصلي الى
وقت المغرب وانتظرت
شيئا فلم يفتح على بشي
فخرجت من المسجد عند
الفروب وجلست في
السوق على دكان صديق
لى وكان نجارا فلما رأى
الجراب مبي قال خذ هذه
النجارة في جرابك ليجي
بها التنور قال فاخذت منه
شيئا من النشارة في الجراب
وذهبت الى البيت خائفا
من شرها فطرحته
الجراب في البيت

قال الله تعالى وقال لهم نبياهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الاية قال المسمرون ان شمو بل لما
قالوا له ابعت لنا ملكا نتقاتل في سبيل الله سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاقى بعضا وقرن فيه دهن القدس
وقيل له ان صاحبكم الذى يكون ملكا طوله هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل
عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادمن به رأسه ومملكه عليهم ثم انهم قاموا
انفسهم بالعصا فلم يكونوا مثملها وكان طالوت بطولها واسمها بالهبرانية سادل والهبرانية شادل بن قيس بن
أفيل بن صارو بن نحور بن افيح بن انيس بن بياامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه

السلام وكان رجلا باغيا بل الادم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدي يقولان كان سفاه يستقي على حماله من النبل فضل حمارة فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمرا لني طالوت فارس له وغلامه بطلبها ثم اريت شمو بل عليه السلام فقل ان الغلام طالوت لودخا اعل هذا النبي فالتاه في امر الحمر ليرشدنا و بدعوا النافيا بخير فقال له نعم فدخل عليه فبينما هما عنده يدكر ان لا خبز الحمر انش الدهن في القرن فقام شمو بل وقاس طالوت بالحصا فكانت على طوله فقال لشمو بل قرب رأسك الى فذهبه بدهن القدس ثم انه قال له انت ملك بني اسرائيل وقدامي ربي ان املك عليهم فقل طالوت انا فقال نعم فان اوما علمت ان سبطي اذني اسباط بني اسرائيل قال بل قل اوما علمت ان بيتي اذني بيت بني اسرائيل قال بل قال فباي آية نال باية انك ترجع وقد وجد ابوك الحمر فكان كذلك ثم ارشوه بل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا نعم فاجابهم امير اهل الجيش فقالوا اني يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال واخافوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط ملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وعرون وسبط الملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليه السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط الملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا يعملون باعظيا كانوا يشكون النساء على ظهور الطريق فنهروا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا انكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا اني يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ومع ذلك انه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمو بل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول في قومه والقوة وانما سمي طالوت لبطوله ولذلك كان يفوق الناس رأسه ومنه كبره وقال ابن كيسان بالجبال وكان طالوت اجهل رجل في بني اسرائيل واعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع علم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبينهم ان آية ملكه ان ياتيكم النابوت الالية

﴿قصة النابوت وصفته وابتداء امره الى انتهائه﴾

قال اهل التفسير واصحاب الاخبار ان الله تعالى اهبط نورا على ادم عليه السلام من الجنة حين اهبط الى الارض فيه صور الانبياء من اولاده وفيه بيوت بهدو الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من باقوة حمراء اذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا اول من يقبضه من امته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يمينه ابراهيم الخليل وعلي عليه السلام مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن وراءه ذو النورين اخذته عجزته مكتوب على جبينه بار من البررة ومن بين يديه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وشاهر سيفه على عاقبه ومكتوب على جبينه هذا اخوه وابن عمه ابي طالب من عند الله وحوله عمره ومن خلفه والخلفاء والنبلاء والكبراء الخضر انصار الله وانصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان النابوت نحو امان ثلاثة اذرع في ذراعين وكان من عود الله شاذ الذي يخذ منه الاشياط مموه بالذهب وكان عند ادم عليه السلام الى ان مات ثم عند اكير له فلما مات اسمعيل كان عند ولد قيدر قازع فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فاقطع النابوت فكان يمنع عليهم ويقول انه وصي ابي ولا اعطيه لاحد من الامم قال فذهب ذات يوم ليطلع ذلك النابوت ففسر عليه فتعده فناداه مناد من السماء مهلا يا قيدر فليس لك الى فتح هذا النابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحها الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب

المشاء ثم جلست في المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تحبز خبزا ذا رائحة مقرحة فتعجب من ذلك وقلت من اين انما هم هذا الدقيق ثم دخلت وانما يجب ثم قلت اين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذي في الجراب ثم قالت لي زوجتي من هذا اليوم لا تشتري الا منه لانه دقيق طيب قال فيحدث الله تعالى على لسانه بمباركته وكرمه وفضله (وحكى عن شقيق الباجي رضى الله عنه انه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين وماؤه فزلت الفادسية فبينما انظر الى الناس وزيتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من احسن الناس وجهه وهو متوشح بربوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد ان يكون كالا على الناس في طريقهم والله لا مضين اليه وامتنعته واربحه فدانت منه فلما رآني قال يا شقيق

الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم ثم تركي
ومضي فقلت في نفسي ان
هذا الامر عظيم قد تكلم
علي مافي نفسي ونطقي
اسمى ما هذا العبد صالح
واشتهل الحنفية واستحله مما
كان في فاسرعت نحو دقل
الحقبة وغاب عن عيني
ولما نزلنا وافضت اذ به قائم
بصلي واعضاؤه تضطرب
ودموعه تجري فقلت هذا
صاحبي فضيت اليه
وصبرت حتى فرغ من
صلاته واقبلت نحوه فلما
راني مقبلا قلت يا شقيق
أقرأ قوله تعالى راني لفار
لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدي ثم تركي
ومضي فقلت ان هذا الفتى
لم الابدال قد تكلم على
ما في سرى من ربي فلما نزلنا
الى منى اذا بالقي وقفت
على البئر ويدد ركوة ويد
أن يستقي بها فسططت
الركوة من يدني البئر وأنا
أنظر اليه فزق طرفي الى
السماء وقال
انت ربي انا ظلمت من
الماه
وقوتي اذا عدت الطعاما
ثم قل اللهم مالي سوا هذا فلا
تدمرني اياها قل شقيق
فوالله لقد رابت البئر قد
ارتفع ماؤها فمد الفتى يده

امراييل الله فخل قذارا تابوت على عنقه وخرج بر يدارض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما
قرب قذارا صر التابوت صر قسمه ما يعقوب عليه السلام فقال لبنيه اقيم بالله لقد جاءكم قذارا بالتابوت
فقوموا نحو دقل فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قذارا سمى اليه باكرًا وقال يا قذارا اري
لوك متعة يروق لك ضحية أأرغتك عدوأم أنيت بمصيبة بعد ايك اسمعيل قال ارهني عدو ولا أنيت
دمصيبة ولكن ائذل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضوء فركني قال يعقوب افي بنات
اسحق قال لا ولا كس في امر ينة الجرهمية وهي الامامية فقال يعقوب ليخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم
لم يكن الله ليخرجه الا في امر يبات الطاهرات يا قذارا وانا بمشرك بمشارة قال وما هي قال اعلم ان الامامية
قد رلدت لك الباحة غلاما قال قذارا وما علمك يا ابن عمي وانت بارض الشام وهي بارض الحرم قال يعقوب
قد علمت ذلك لاني رأيت ابواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالنهر المودور بين السماء والارض ورأيت
الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فلمت ان ذلك من اجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قذارا رفع
التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى اهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه
وسلم قاوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه الزرة ومنا من معاه
وكان عنده الى ان مات ثم تدار لته انبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد
تكامل امر التابوت في يافيه وكان فيه مائة كرا لله في كتابه وفيه سكة من ربهكم (واختلافوا في السكة) ما هي فقال
علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه السكة ربح خرج حقه فلما راسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد
لها رأس كراس المرأة وذنب كذنب المرأة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء
بني اسرائيل في السكة رأس امرأة كانت اذا صرخت في التابوت صرخة ابتوا بالنصر وجاءهم الفتح
(وروى) السدي عن ابي مالك عن ابن عباس قال هي طشت من ذهب ألجئة يفرل فيه قلوب الانبياء
(وروى) بكاء بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هي روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا في شيء فتجبرهم ببيان
ما يريدون وفيه نماز آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصاه موسى ورضاض الاواح وذلك ان
موسى لما اتى الاواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقي فجعل له في التابوت وكان فيه ايضا الوحان من التوراة
وقف من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل ونملا موسى وعمامه هرون وعصاه قاوا وكان التابوت عند
بني اسرائيل اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضرو القتال اقاموه بين ايديهم يذفتمون به على
عدوهم فلما عصوا وافسد واسلط الله عليهم الماعلة فملبهم على التابوت وساء لهم اياه وذلك في اليوم عيسى
الكاين الذي ربي شمويل وقد ضمت القصص فيه وكان جازالت يوم سي قوم التابوت صغيرا فلما ذهب
التابوت اختل أمر بني اسرائيل الي ان بعث الله طالوت لما كملوا لود الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان
ايه ما كمل ان يا نيك التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت ان القوم الذين سموا التابوت أتوا به قرية من قري
فلا طين يقال لها الرزد وجملوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الند واد الصنم
تحتهم فاخذوه وجعلوه فوقه وهر واقدم الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد سقطت يد الصنم
ورجله واصبح ما في تحت التابوت فاصبحت الاصنام كماه من كسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه
في ناحية من مدينتهم فاخذاهل تلك الناحية وجمع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس
قد علمتم ان الله يبي اسرائيل لا يقوم له شيء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله
على اهل تلك القرية فارسا يبيت الرجل صبيحا فخرضه الفارس صبيح ميتا وقد اكلت ما في جوفه فاخرجوه منه الى
الصحرى ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرزه هناك اخذ له اسورا وقلوب لبيع فاخرجوه ووضعوه في بيت

وتوضأ وصلى اربع ركعات ومال الي كتيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه في الركوة ويحركه ويشربه قل شقيق فقبأت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا اخي اطعمني من فضل ما انعم الله عليك فقال يا شقيق كم تري نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فاحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذم منه ولا اطيب رائحة فشربت ورويت واقمت اياما لم اشته طاماما ولا شربا ثم مضى فلم اراه حتى دخلنا مكة فرائته ليلة ن الليالي وهو في جنب قبة اشرباب وهو قائم يصلي بحشوع وانين وبكاء ولم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما راي الفجر جالس في مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلي صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سهما ثم خرج فقبضه فاذ له حاشية وموال وهو على خلاف ما رايته في الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسمعون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال

فبكث فيهم عشرين وسبعة اشهر لا يدنو احد منه الا احرق واصابهم في المدينة الاقات والمهايات وفي مواشيهم الموت وفي نسايتهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امر آمن نساء في اسرائيل من اولاد الانبياء فذالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فاخرجه عنكم فانوا بهجلة باشارة تلك المرأة خلو عليهم التابوت ثم علقوها على نورين وضر واجنوبهم فاقبل الثوران يسيران وكل الله بهم ما ربعة من الملائكة يسوقونهم ما فلم ير التابوت بارض الا كانت مقدسة فاقبلوا حتى وقفا على ارض فيها احصاء ابني اسرائيل فكسر برئهم ما وقع خذلها ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى ارضهم فلم تدر بنوا اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحدهم الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة اى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته في دار طالوت فاقر وابعاك قال الله تعالى ان في ذلك لآية لکم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وصا موسى في بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله اعلم

باب في قصة سمو بل حين اوحى الله اليه ان يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت

مع بني اسرائيل وصفة من الابطال

قال الله تعالى فله انفصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الاية قال فلهما اوحى الله الى سمو بل عليه السلام ان يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير طرمه او امر يض لمرضه ارض برضه او ممذورا مذكروه وذلك انهم لما راوا التابوت قالوا قد اتانا التابوت وهو نصر لاشك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لاحاجه لي فبارى لا يخرج معي رجل نى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتمل بها ولا رجل عايد دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعن الا الشابات النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرجهم بكاه في حرس شديد فشكوا فاقه المياها بينهم وبين عدوهم وقالوا المياها لا تحملا فذبح الله تعالى الى ان يجري لنا نهر ا فقال لهم طالوت يا سمو بل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مخبركم ليري طاعتكم وهو اعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذوب يقال له ادمي فمن شرب منه فليس بي اى من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطمعه لم يشرب به فانه نى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده ودهمل الكف ومن ففتح الغين اراد الماء الواحدة فشر بوا منه الا قليلا منهم (قال السدي) كانوا اربعة آلاف وقال غيره كانوا ثمانمائة و بضة عشرة رجلا وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر اتم اليوم على عدة اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوزعه الا مؤمن قال وكانوا اربعة وثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فن اغترف شرفة بيده كما امر الله تعالى قوي قلبه وصح ورجع ايمانه وعبر النهر رسالما وكفته تلك الفرقة الواحدة لشر به وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا على شاطئ النهر وجنبوا عن الماء العدو ولم يشهدوا النتيح فلما ساجوا والنهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا بى الذين شربوا وخالفوا امر الله تعالى لاطانة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصر فواعن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون اى يملكون و يوقنون انهم ملاقون الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت او كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الاية ومروا قاصدين الجهاد

باب في ذكر امر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنود قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والخبرون بالفاظ مختلفة ومما ينقله عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا ابودارد ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود

اصفرهم واحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أباه ما قد فتن بمقلاعى هذه شيئا إلا أصبته برص رسته فقال أبشر يا بني
 فإن الله قد جعل رزقك في هذا ففسك بعني في ملة لعلك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أباه اندر دخلت بين الجبال
 فأبت أسد دارا أيضا فركبته وقبضت بأذنيه فلم يهني فقبضت على فكبيه ففطرت به برأسه وعذب إلى أمته
 يدي من غير سكين ولا ضرب بحد يد وتراه هناك مقتولا فقال له أبو داود بشر يا بني فإن هذا خير أعطاك الله
 ثم تأه يوما آخر وقال يا أباه أتى لأمشي بين الجبال فاسبح ثيابي حتى جبل إلا أصبح ممى قال أبشر يا بني فإن هذا
 خيرا أعطاك الله وسيسكن لك شأن عظيم قال فلم ير أصلا غرة بني إسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت
 أرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلى ابرز إلى من يأتاني فإن قتلني فلنكني ما كنى وإن قتلته فليكنك شق
 ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابني وناصفته ما كنى في هاب الناس قتال جالوت
 فلم يجبه أحد فسأل طالوت بينهم شمو بل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه دهن القدس
 وشبه تنور من حديد وقيل له أن الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيقتل الدهن حتى
 يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الأكايل ويدخل في هذا التنور فيه أو لا
 يقتل في فيه فدعا طالوت أشد بني إسرائيل وأقرباهم فخرج بهم فلم يوافقهم منهم أحد فادعى الله إلى
 شمو بل عليه السلام أن في ولدنا يشن بقتل جالوت وأنى أريد أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه
 فصل الخطاب وهو راعى الغنم فقل لا يشا يمرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا يشا وقال له اعرض
 على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا ثم أله السوارى وفيهم رجل بارع فجعله يرعهم على القرن والتنور فلا
 يرى شيئا ويقول لذلك الجسم ارجع فرددته على التنور فادعى الله تعالى إليه أن لا تأخذ الرجل على صورهم
 ولكننا نأخذهم على صلاحهم وقولهم فقال لا يشا بل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمو بل رب قد
 زعم أنه ليس لك ولد غيرهم فقال كذب فقال شمو بل يا يشا إن ربك كذب قال صدق الله يا بني الثمان إلى ابنا
 صغير ابق له داود استعجيت أن يراه الناس لنصر قاعته وحقارته وخلقه في الغنم برعاه واهو في شعب كذا
 وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سعة ماصفرا أزق العينين فدعا طالوت ويقل خرج إليه فوجدوا
 وادى قد حال بالماء بينه وبين الزريرة التي كان يتزوج إليها فوجدته يحمل الغنم شاتين بعيرهما السيل
 ولا يخوض بهما الماء فلم يراه شمو بل قال هذا هو ولا شك فيه هذا برحم الله ثم فوارحم الناس فدعا فوضع
 القرن على رأسه ففاض واجلسه في التنور فلاؤه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجه
 ابنتي وأجري حرك في ملكتي قال نعم قال فهل لغيت من نفسك شيئا تنفوي به على قتله قال نعم أنا راعى الغنم
 فيجى الأسد والنمر والذئب لياخذ شيئا فأقوم إليه وأقبضه وأفتح لحية عنه وأخرقه ما لي ففاه فلم اسمع
 طالوت منه ذلك رده إلى عسكره فرد داود عليه السلام في الطربى بحجر فناداه يا داود أحماني فأتى حجرا هرون
 الذى قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاة ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود أحماني فأتى حجرا موسى عليه
 سلام الذى قتل به ملك كذا وكذا فاحم له في مخلاة ثم مر بحجر آخر فقال أحماني فأتى حجرك الذى تقتل به
 جالوت وقد خباني الله لك فوضعه في مخلاة فلما أتصافوا للقتال برز جالوت وسال المبارزة فانتدب له داود
 وكان طالوت أعطاه فرسا ورعدا وسلاحا فركب فرس ولبس السلاح وصار قليلا فوجد في نفسه زهوا
 فانصرف وعاد سريرا إلى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك
 فقال له داود أن الله تعالى أن لم ينصرنى فإني عني هذا السلاح شيئا فدعني أقاتل كما أريد فقال له طالوت
 أفل من أريد فاخذ داود عليه السلام مخلاته فقتله هاوا أخذ الفلأع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من
 أشد الناس وأقوام وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزعم أن لها أثر طل حديد وكان له فرس ابني مشله

محمد بن علي بن الحسين
 بن علي بن أبي طالب
 رضي الله تعالى عنهم
 وتقمنا بهم في الدنيا
 والآخرة آمين (وحكى
 عن أبي عبد الله الجوهري
 رضي الله تعالى عنه) أنه
 قال كنت سنة من السنين
 في عرفت فلما جن الليل
 كنت فرأيت ملكين نزلا
 من السماء فقال أحدهما
 لصاحبه كم وقف على هذا
 الجبل في هذه السنة من
 الحجاج قال ستائة ألف
 نفس فلم يقبل الله تعالى
 منهم غير ستة أنفس
 فهم هم أن الطم وجهي
 وانوح على نفسي فقال له
 ما فعل الله بياقي الجمع قال
 نظر الله إليهم حتى لا يحب
 سعيهم فوهب لكل واحد
 من الستة مائة ألف ففقر
 الله بسطة أنفس لستائة
 ألف نفس وذلك فضل
 الله يؤتيه من يشاء والله
 ذو الفضل العظيم قال عبد
 الله فحدثني الله تعالى
 وزال ما كان عندي
 (وحكى عن الشيخ أبي
 الفوارس شاه بن
 الشجاع السكرماني عفا
 الله عنه) أنه قال خرجت
 يوما للصيد والنزهة
 وكنت يومئذ ملك كرمان
 فاهممت نظري في صيد
 رأيت بهرست في طلبه حتى
 وقعت في بركة مفقرة

عسكري أحد فيمنما أنا
كذلك إذا شاب جميل
الخلفة راكب على سبع
وحوله سبعاء كثيرة فلما
رأني السباع ابتدرت
إلى فزجرها الشاب
فتأخرت عني فلم على
وقال يا شاه ماهذه النكاح
عن الله تعالى استغلت
بدنيك عن أخراك
وبذلك عن خدمة
امولك إنما أعطاك الدنيا
فتستعين بها على خدمته
جماعتها ذريعة إلى
الاستغناء عنه فلما سمعت
ذلك منه طاش عقل
ودهشت في نفسي فيمنما
هو يحدثني إذ خرجت
يعجز يدها كوز فيه ماء
فتناول الشاب منها وشرب
ودفع الباقي إلى فشر به فلما
رأيت أنه من ذلك ولا
أحلى منه ثم غابت المعجوز
عن عيني فتعجب من
ذلك وقلت للشاب من
أين هذه المعجوز فقال
يا شاه هذه الدنيا وقد
وكلمها الله تعالى على
تخدمته في فكما احتجبت
إلي شيء حضرت لي به
حين ينظر ببالي ثم قال
يا شاه أما بلنك أن الله
تعالى لما خلق الدنيا قال
لها يادنيا من خدمتي
قاخديه ومن خدمك
فاستخدميه قال شاه

في الشدة والقره وعظم الخلق فلما برز جالوت إلى داود الذي أتى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز إلى قال نعم
وكان جالوت راكباً على فرس أبق وعلية السلاح التام فقال له يا بني تأتيني بالسيف بالرمح بالدرع كما أتى الكلب
بالجحر قال نعم أنت أشرم من الكلب قال لا جرم لا نفس من لحم بين سماع الأرض وطير السماء فقال داود بسم
الله وبسم الله لحكم بين السباع وخير السباع وأخذته جبراً منها وقل بسم الله إبراهيم ووضعه في مقلاة واحدة
محجراً ثانياً وقال بسم الله السحق ووضعه في مقلاة ثم أخرج ثالثاً وقال بسم الله يعقوب ووضعه في
مقلاة قال فصارت الإحجار أمثال كاهـ جراً واحداً وأداره بالدرع ورعى به في خروا الله الربع حتى
أصاب الحجر انف البضة فخالط دماغه وخرج من فقاؤه وقتل من ورثته ثلاثين رجلاً وبقوا منه من بعدهما
خرج من فقاؤه تكسر ونفتت بأذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته
منه قطعة ومث ذلك صار كرامة للأنبي صلوات الله عليهم وسلم يوم بدر حين حثا الحمية من التراب فانهزم الجيش
وخرج جالوت قتيلاً واسرع داود عليه السلام فحضر رأسه وانزع من يده خاتمه وأقبل برأسه مجرد
حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله
رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾
قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم نجاه داود إلى طالوت وقل له انجز إلى ما وعدتني
وأعطني امرأتين فقال له طالوت أريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي شاكك بها فقال داود لطلات
ما شرطت على صداقاً وليس لي شيء فتحك في الصداق بما تريد واقرضني مهرها وعلى الآداء والوفاء لك به
فقال طالوت اصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا نقلمه ولا نجزله ما وعدته فله أرى طالوت ميل
بني اسرائيل إلى داود احسن ثناءه عليه وقال لا حاجة لابنتي في المال ولا اكلفك ما لا تطيق أنت رجل
جريء وفي جبالنا ماء من المشرقين فانطلق فجاءهم فاقبلت منهم مائتي رجل وجئتني برؤسهم وزوجتك
ابنتي فاتاهم داود عليه السلام وجعل كل واحد قتل منهم رجلاً احضر رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رؤسهم ثم
جاء بهم إلى طالوت وأقامهم بين يديه وقال له ادفع إلى امرأتين فزوجهم امرأتين وأجرى خاتمه فيهما كما قال
الناس إلى داود عليه السلام واحبه بنو اسرائيل واكثر وامن ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فاراد قتله
(قال وهب ابن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتكئون على العصي ويفرزون في اطراف العصي ازجة
من حديد وكان داود عليه السلام جالساً في ناحية البيت فدخل طالوت فرماد بالمصا بغتة ليقته بها صبراً
فلما احس داود بذلك حاد عن رميته وامال نفسه من غير أن يرح من مكانه فانكزت العكازة في الجدار
فقال له داود اردت قتلي قال له طالوت لا بل اردت ان افن على ثباتك عند الطعام و ربط جاشك للارقان
فقال له داود عليه السلام افلقتني على ما قدرته في قال نعم ولكنك لملك فزعت قال له ما الله ان اخاف الا الله
ولا الجأ إلا إليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انزعهم من الجدار وهرزهم هارزة منكروة وقال له انبت لي كما
ثبت لك فابق طالوت بالهلاك فقال له انشدك بالله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك وما كان هذا
القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تحوير وتخدير فقال داود لطلات ان الله قد
كتب في التوراة جزاء السبئية سبئية ماها واحدة والبادي اعظم قال طالوت افلا تقول قول هابيل لنسب ط
إلى يدك لتقتلني ما أنا بيا سطر يدك اليك لا قتلك اني اخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك
لوجه الله تعالى فلبث طالوت زماناً بر يد قتل داود عليه السلام فعمز على ان ياتيه ويقتله في داره
فاخبرت بذلك بت طالوت زوجة داود اخبرها رجل يقال له زوالميين فقالت لداود انك لمتول الليلة

قال ومن يؤمني قالت ابني قال وهل اجزمت جرم ما قلت حدثني من لا يكذب ولا عليك باس ان تغيب الليلة
حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك لاستطرح خروجه لاركن اني برك من حجر فاقته به وضعه
في مضجعه على السرير وسجده ودخل تحت السرير بر قال ندخل طالوت نصف الليل واراد ان يقتل
داود فلم يجده فقال لابلته ابن بعلك قالت هوانم علي السرير فضر به بالسيف فقال الخمر فلما وجد رجع
الخمر قال رحم الله داود ما كان اكثر شره بللخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يقتل شيئا فقال ان رجلا
طلبت منه ما طلبت فخلق ان لا يدعي حتى يدرك ناره ثم انه استقر بحجابه وحراسه واغلق دونه الابواب
قال فاني داود ذات ليلة وقد هدأت العميون واعمي الله عن الحجاب وفتح الله الابواب فدخل عليه وهوانم
على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ
طالوت وجد السهام فمرها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر في كف عني
لوشاء لوضع هذا السهم في حافتي وما نال بالذي آمنه فلما كانت الليلة لثالثة اذ داود ثانيا واعمي الله عنا عين
الحجاب فدخل وهوانم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذي كان يوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب
به وقطع شمرات من لحيته وشيا من هذب ثيابه ثم خرج وهرب وتواري فلما اصبح طالوت ورأى
ذلك سأل على داود العميون وشهد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام
يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم اقتل داودا فاراك وهو ماش وكان داود اذا فرم يدرك فركض
طالوت في اثره واشتد داود في الجري فدخل غار فوحى الله الى المنكبوت فذبت عليه بينا فلما انتهى
طالوت الى الغار ونظر الى بناء المنكبوت قال لو كان ههنا لخرقت بيت المنكبوت فتركه ووضى فلما مضى خرج
داود من الغار واطلق الى التيجل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فظن العلماء والمعباد على طالوت في شأن
داود فجعل طالوت لا ينهه احد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني
اسرائيل على عالم ويطلق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى اتى بامراء
تعلم الاسم الاعظم فامر خبازة بقتلها فرحمها الخباز وقال لانا نحتاج الى عالم نتركها ووضع الله
في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور
فيبكي وينادي أشهد الله عبدا يعلم توبته الا أخبر في بها فلما اكثر عليهم بكاء ناداه مناد من القبور يا طالوت
أما نرضى انك تقتلنا أحياء حتى نؤذي اموالنا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز وقال له ملك اسم الملك فقال
هل تعلم لي في الارض عالما سأل هل من توبة فقال له الخباز ايها الملك هل تدري ما الملك قال لا قال ما الملك
الاكمل ملك نزل قرية عشاء فصاح النديك فظلمه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديك الا ينجسوه فلما
اراد ان ينام قال لصاحبه اذا صاح الديك فاقظني حتى ندخل فقبل له وهل تركت ديكيا سمع صوته وانت هل
تركت عني في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال رأيت ادراكك على عالم الملك فتهل قال
لا اتوقع منه الخباز بلا عمن واخبره ان المرأة قالما عتده فقال له انطاني بنات اليا - اليا هل من توبة وكانت تعلم
الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فبقيت رجلاهم وعلمت نسأهم فلما بلغ طالوت الباب دل
له الخباز انما ان رأتك فرغت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألسنت اعظم الناس عليك منه
انجيئك من القتل وأوفئك عندي قالت لي قل ليك حاجة هذا طالوت يسأل هل من توبة فلما سمعت
بذلك ردغشى عليها من الفرق فلما عتقت قال لها ان لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة قالت لا والله
هل من توبة واسكن هل تملكون قبره شويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانتقلوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه
صالت عنه دركمين ثم انها نادت يا صاحب القبر اخرج شويل عليه السلام من القبر ينفذ ان تراب عن راسه

فلما نظر الى اثلاثه المرأة والخباز والمالك فقال لهم اقامت القيامه قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل
له من توبة فقال له شمول ما قامت باطالوت بمدى قال لم أدر شيئا من الشر الا ذمته وقد جئت اطلب التوبة
قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما علم لك من توبة الا ان تتخلى من مملكتك وتخرج أنت وولدك
تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمول
عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف ان لا يتابعه ولده فيبكي حتى ذهب
اشقار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارايت لو دفت الى النار اكنتم تنقذوني قالوا نعم
نفذ كما بقدرنا عليه قال فانها النار ان لم تقولوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقال ذلك فذكر لهم القصة
فقالوا وانك لم تقول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بملك قد طابت انفسنا بالذي سألت فتجهز
باولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شهد بهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود
يبدشه بقوله له قد قتلنا عدوك فقال داود ما كنت بالذي تحيا بدمه فضرب عنقه

﴿ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾

قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الآية قالت الامماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت
أنى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بمدقن داود جالوت بسبع
سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الاعلى داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل
وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب في ذكر نسبته ﴾

هو داود بن ايثان بن عوفيز بن يعوز بن سلهمون بن يحنون بن عيمينوذوب بن ردم بن حصرون بن بارص
ابن يهوذ بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صاوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب في ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بسنده عن سميد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم زرقه العينين بمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط
الشعر ابيض الجسم طويل اللحية فيها جدودة حسن الصوت واخلاق طاهر القلب نقيه

﴿ باب في ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامة ﴾

حين أعطاه الله النبوة والملك

(فنها) اهل نزل عليه الزبور بالبرانية ماؤه وخمسون سورة في خمس من هذا كرم ما يكون من مختصر وأهل
بابل وفي خمس من هذا كرم ما يلقون من الروم من أهل أيرن وفي خمس منها موعظة وحكمة ولم يكن
فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زورا (ومنها) الصوت الطيب والنفحة الطيبة
المديونة والتزجيع والالخان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنجا بحيث
يعرق الحبوب ويفيق النمل عليه وكان اذا قرأ الزبور زلزال البرية فيقوم وتقوم معه علماء بني اسرائيل خلقه
وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنون الوحوش
والسباع ويؤخذ باعناقها وتظله الطيور مضطربة ويركد الماء الجارى ويسكن الريح وما صنعت المزامير
والبرايط والصنوج لاهل صورته وذلك ان ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعقار به الانرون
مادها كم نقالوا له مرنا باشت فقال اهلنا يصرف الناس عن داود الامباضه وبجاده في مثل حاله فيؤا
المزامير والميدان والاورار والملاهي على اجناس أصوات داود فسمها سقاء الناس قالوا اليها فاغزواها

انتراب على راسي وناديت
الاقالة الاقالة فسمتها قاتلا
يقول قد اقلناك فانيت
رفاقي فلما رايتي قالوا ما
بالك بملك الحالفة فقلت لهم
انى كنت مهجورا
وصولحت ثم قصصت
عليه ما رايت فلما سمعوا
ذلك قالوا ونحن نصالح كما
صولحت فرموا مسلحهم
جماونا بها الى الله تعالى
ثم أحرمتنا وقصدنا مكة
شرفها الله تعالى فمشينا
ثلاثة ايام حتى انتهينا الى
قربة فيها امرأة عجوز
عميساء وكانت من
الصالحات فخرجت اليها
وقالت افيكم فلان
السكردي فقلنا نعم
فاخرجت نيا با وقالت ان
ولدى مات عن قريب
وخلف هذه الثياب
فجاءني النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام وقال لي
اعط هذه الثياب لفلان
السكردي هو واصحابه
قال فاخذنا ثيابا وسرنا
من عندها حتى دخلناه مكة
والحمد لله على ذلك
(وحكي عن الامام
أبي القاسم الجنيد رضى
الله تعالى عنه انه قال
كنت جالسا بعدد
انظر جنازة لا صلى
عليها وأهل بعدد في
طرقهم جلوس ينتظرون

آثار الدلال ولا نسك
يسأل الناس فقلت في
سرى لو عمل هذا عملا
يصرون به نفسه عن
السؤال كان خيرا لعلها
انصرفت الى منزلي وكان
على شيء من الورد في
الليل من الذكر والصلاة
والبكاء وغير ذلك ففعل
على جميعه وسمرت سهرا
شديدا ثم غابني النوم
فكنت فرايت في نومي
ذلك الفقير وقد جاءوا به
في خوان ممدود وقالوا
لى كل لحمة فقد اغتبت به
وكشفوا لى عن الخوان
فقلت انا ما اغتبت به انما
قلت في نفسي شيئا فقيل
لى ما انت ممن يرضي منهم
بمثل هذا اذهب اليه
فاستجله مما كان منك
قال الجنيد فاصبحت ولم
أزل مترددا عليه حتى
رأيت في موضع ظاهر
البلد وهو يلتقط من الماء
ما يتساقط من اوراق
البقل فانبت اليه وسامت
عليه فرد على السلام ثم
قال لا تعد الى مثلها
يا أبا الناسم فقلت
استغفر الله العظيم فقال
اذهب غفر الله لى ولك
ثم ولي فلم أراه رضى الله
تمالى عنه ورضي عنايهم
اجمعين آمين (وحكي عن
الجنيد باضراى الله تعالى

ويقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا يصمى له الوحوش
ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلما اوتيت نعمته فقال الهى ما هذا فوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة
وهذه وحشة المعصية يا داود ان الخطيئة هى التي غيرت صوتك وحالك فقال الهى أربس قد غفرتم لى قال
بلى ولكن ارتفعت الحالة التي بيني وبينك من الورد والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد بن احمد بن
حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على
داود القرآن فكان يامر بدرايه ان تخرج فكان يقرأ القرآن قبل ان تخرج دابته وكان لا ياكل الا من عمل
يده قال الاستاذ الامام أرباب القرآن الزبور وبالاستاذ اخبرنا ابو بكر الجوزقي عن ابى موسى الاشعري
قال قل لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت اما والله يا رسول الله
لو علمت أنك تسمع لمجربتك لخبير (واخبرنا ابو بكر) قال أخبرنا ابو العباس بالاستناد عن البراء بن عازب
قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوت ابى موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها)
تسخير الجبال والظلمة يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داودنا فضلا يا جبال اوبى معه
والظلمة رأله الحديده قوله تعالى اناس اخبرنا الجبال معه يدبجن بالشي والاشراق ويقال ان داود عليه
السلام كان اذا تحال الجبال فسبح الله تعالى جملة الجبال تحجوا به بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه
ليلة من اليا لى لا عبدن الله تعالى عبادة لم يعده أحد بمثابةها فصعد الجبل لما كان في جوف الليل
داخلته وحشة فأوحى الله تعالى الى الجبال اراىنى داود قاصطتكم الجبال بالتسبيح والقدس
واظهار فقال داود في نفسه كيف يد مع صوتي مع هذه الاصوات فمط عليه جبريل عليه السلام
واخذ بمضمه حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفجر له البحر فاقبى به الى الارض فوكزه برجله
فانفجرت له الارض فاقبى به الى الحوت فوكزه برجله فاقبى به الى الصخرة فوكزه الصخرة برجله
فانقلعت فخرج منها دودة تنشق فقال له جبريل اذربك يد مع تنشيش هذه الدودة في هذا الموضع (قوله)
تعالى يسبحن بالمشي والاشراق قال المفسرون يبنى صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين المشاهدين
قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمذخر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة
وفصل الخطاب بالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس
بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المني علم الحكم والنظر في القضاء كان لا يتشبع في القضاء بين
الناس وقال على ابن ابي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو
عبد الله قال سمعت زيار يقول فصل الخطاب الذى أعطى داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن
الاعمش عن أبى صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايامان عن الشعبي قال
سمعت زيار يقول فصل الخطاب الذى أعطى داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو أول من
قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له لم يعرف الحق من المبطل في الحاكمة اليه (وهو ماروى)
الضحك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالجرة والفلك ورأسها عند محراب
داود عليه السلام حيث يتجأكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة
مفصلة بالجواهر ومدرسة بفضبان اللاؤ الرطب فلا يحدث في السما حاصل الاصلصلت السلسلة فيعلم
داود ذلك الحادث ولا يسعها ذوعاها الا برى وكان علامة دخوله قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم
يسجدون بأكتفهم على صدورهم وكانوا يتجأكم كونه اليها فن اعتدى على صاحبه وأذكر ما له من
حق أنى السلسلة فمن كان صادقا محمدا مديده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما ينالها فكانت

الكوفة في بعض اسفار
فرايت دارا كانت لبعض
الرؤساء عليها اثر النجم
وعلى بابها عبيد وغلمان
بعض اروقها جارية تنفي
وتشهد هذا الايات
الابادار لا يدخلك حزن
ولا يبيت بساكنك
الزمان

فهم الدار انت لسكل
ضيف

اذا ما الضيف اعوزه
المكان

قال الجنيد فررت بمد
ذلك بدمية فاذا بذلك

الباب مسدود والجبع
مبدوود وقد ظهر عليها

كابة الذل والهوان وعلى
ذلك الباب مكتوب

هذان البيتان
ذهبت محاسنها وبارت

شجونها
والدهر لا يبقى مكانا

سالم
فاستبدلت من انساها

بوحش
بمد السرور بها عزاء دائما

قال الجنيد فسألت عن
خيرها ففيل مات صاحبها

وصار امرها الى ماترى
قال الجنيد ففزعت الباب

الذي كان لا يقدر احدا
يصل اليه فكنتي جارية

بكلام ضيف فقلت لها
يا جارية اين بهجة ذلك

المسكان وانواره واين

فيهم الى أن ظهر فيهم المبكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء
بتردها أنكرها فتحا كما الى السلسلة فعمل الرجل الذي كان عنده الجوهرة أن يده لانتال السلسلة
فعمد الى عكارة له ففكرها ثم ضمها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر مره غريمه عند السلسلة فقال
صاحب الجوهرة ان لي عندك ودية فقال خصمه ما أعرف لك ودية فان كنت صادقا فتناول
السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمبكر قم أنت أيضا فتناولها فقال صاحب الجوهرة الزم أنت عكارتى
هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم أن هذه الودية اتيت
يديها قد وصلت اليه فقمب منى السلسلة فديده فتناولها فتيجب القوم وتفكر وافيهما فاصبحوا وقد
رفع الله تلك السلسلة وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين
يتحا كان اليه يقول ما أوحىكم انى معاملة بنى اسرائيل كانت تأخذ بحق الظلم فتجره الى الحنى جرا
(ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذا كر عبد ناداود ذا الابد يعنى القوة في
العبادة انه أواب أى تواب مسيح مطيع وكان يصوم يوما ويقط يوما يصوم النهار ويقوم الليل
وما مرت بمساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة
المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن
عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس بخرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون الف رجل وقال
السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس
أن رجلا من بنى اسرائيل تمدي على رجل من غنائهم فاجتمعوا على داود عليه السلام فقال المتمدى
ان هذا قد غصبني بقرتي فقال داود الرجل عن ذلك فيجحد ووال الاخر البينة فلم يكن له بينة
فقال له داود قوما حتى أنظر في أمركا فقاما من عنده فاوحى الله تعالى اليه في منامه أن يقتل الرجل
الذى تمدي فقال هذه رؤيا ولست أتعجل حتى أتبين فاوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال
هذه رؤيا فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فارسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد
أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بيعة فقال داود نعم ولذا لا نقض أمر الله فيك
فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك انى والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت
ولد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبه بنى اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك
قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه انف رجل من الانبياء
وعلى يساره الف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى انه ما فر ولا انحاز من عدوله قط
(ومنها) الا نة الحديده وكان سبب ذلك ما روى في الاخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان
من عادته أن يخرج الى الناس متسكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في
داود واليك هذا أى الرجل هو فينبني عليه ويقول خيرا فبينما هو كذلك يوما من الايام اذ قبض الله له ملكا في
صورة الادميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع
داود ذلك فقال ما هي يا عبد الله قال ان داود يا كل ويطعم عياله من بيت المال قال فنبهه لذلك وسأل الله
تعالى أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فينفق منه ويطعم عياله قال له الحد يدفعارق يده مثل
الشع والعجين والطين المبول وكان يصرفه بيده كين يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب بمحديد
وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح خفية لانه
كان يبيع كل درع منها بربعة آلاف درهم فيما كل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين

قصاده و زواره فبكت
الجارية بكاء شديدا
وقالت يا شيخ كانوا فيه
على سبيل العارية فتم قتلهم
الاقدار الى دار القرار
وهكذا حالة الدنيا ترحل

من سكن اليها وتعي من
أحسن اليها قالت فقلت
لها يا جارية مروت في
بعض الاعوام على هذا
القصر فممت فيه جارية
تفنى بصوت شجي فبن
تلك الجارية قال فبكت
وقالت هو انما لم يبق احد
من أهل هذا الدار غري
فالويل لمن عرفته الدنيا
فقلت لها يا جارية كبت
يقر بك القرار في هذا
الموضع الخراب فقالت
يا شيخ ما أعظم جفاك اما
علمت أن هذا منزل
الاحباب كيف افارقه
ثم جمات تقول هذه
الآيات

قاوا اتقي وقوفاني ما زلهم
ونفس مفاك لا في تحملها
فلمت والهلب قد ضجت
اضالهم

والروح تنزع والاشواق
تبذلها
منازل الحب في قاي مظمة
وان خلا من نعيم الوصل
منزلها

فكيف انزكها والقلب
يتمها
حبا بمن كان قبل الموت

فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألله الحديد أن اعمل سابقات أى دروعا
كواهل واسعات وقد روي في السرد أى لا تحمل المسامير وقافا فملقى ولا غلاظا فتكرس الخاق فكان يقول ذلك
حتى اعتد من ذلك مالا (وروي) أن أنفاس الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من
ذلك ولم ير ما هو فايد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القبيص
هذا للرجل الخراب فلم لفان ما يرا به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل انالك نبا الخضم اذ تسوروا الخراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف
العلماء باخبار الانبياء في سبب امتحان الله تعالى لنبه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم
كان سبب ذلك انه نبي يومان الايام على ربه تعالى منزلة آباءه ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه
بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيهم من الفضل مثل لذي اعطاهم (أروي) السدي والكلبي ومقاتل عن
أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين
الناس ويوما يتأمل فيه بنفسه ويوما لمادة ربه وقرأة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم
واسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يا رب أرى الخيرة قد ذهبت به آتاني الذين كانوا يفتي فاحرني الله تعالى
اليه انهم اقبلوا بلال لم يبتل بها احد فصبر واعطيا ابي ابراهيم عليه السلام بنار النمر وذو نبيح واده وابتلى
اسحق بالنبيح وابتلى يعقوب بالخرن وذهب بصره على يوسف بانك لم يبتل بشي من ذلك فقال داود عليه
السلام يا رب فابتلي كما ابتليتهم واعطني كما اعطيتهم فاحرني الله تعالى اليه انك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا
فاحتس على الصبر فلما كان في اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه واغلق بابا وجعل يصلي ويقرأ
الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حين فوقت
بين يديه ثم بدله ليأخذها (وفي بعض الروايات) ليذهبها الى ابن له صغير فلما أهوى اليها طارت غير
يمد يد غير أن نفيسه من نفسها فامدت اليها ليأخذها فنحتت فيفترها فطارت فوقت في كرة فذهب
ليأخذها فطارت من السكوة فنظر داود أين تقع فبيعت لهما من يصيدها فظفر الى امرأة في بستان على
شط بركة فتغلغل هذا قول الكلبي وقال السدي رآها فتغلغل على سطحها فراها امرأة من احسن النساء
خلفا فحجب داود من حسنهما وحانت منها الثمالة فابصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى
بدنها كله فزاد بذلك إعجابها فسال عنها فقيل له هي سابع بنت شائع امرأة أورياء بن حنان وزوجها في
غزة ابنة ابيه مع اوب بن صور بن ابيان اخت داود فكتب داود الى ابن اخته اوب صاحب بيت البلغاء
ان ابنت أورياء الى موضع كذا ركنا وقمعه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع
اني مرأته حتى تفتح الله على يد به أو يستشهد فبعت به ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود
أيضا ان ابنته الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه باسا فبعته ففتن في المرة الثانية فلما انتصت عدتها
تزوجها داود فهي ام ليلان عليه السلام وقال آخرون ان سبب امتحانه ان نفسه حدثته ان يطبق قطع
يوم فيرمق نافذة سيئة وعن الحسن اخبرنا شبيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر اربعة اجزاء
يومنا سائمه ويوما لمادة ربه ويوما لغضاه حوائج المسلمين ويوماني اسرائيل يذاكرهم يذاكرونه
يسألهم ويسألونه فلما كان يوم نبي اسرائيل ذكرنا افعالوا هل يابى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا
فاضمر داود في نفسه انه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد
وانكبت على التوراة فينهلها ويقرأها وهو بحمامة من ذهب فيها كل شيء حسن قد وقفت بين يديه قاهوي

قال العجيد فتركتهما وهضيت وازداد قلبى تولا او وقع سره في قاي موقعا وانما اعجبني قولها لانها ذكرت صفة الحب والحبوب وصددت في الوصف الذى ذكرته وصددت على منازل الاحباب ولازمتها على ما هي فيه من شغل الحال وتجدد احزان الفراق سبحانه من قور العباد بكاس الموت (وحكى عن ابراهيم الخواصر رضى الله تعالى عنه انه قال) خرجت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزارة النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا امشي اذ عارضني عارض في طريقى يفتنى الخلوة والخروج عن الطريق ايجادة فخذت طريقا غير الطريق التى كنت ماشيا فيها فهدرت امشي ثلاثة ايام باليالها ما خطر على كرامطام ولا شراب ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت الى بركة خضراء فيها من كل الثمرات والرباحين ورأيت في وسطها بحيرة فلما رايتها قالت هذهجنة وصرت متعجبا فبينما انا كذلك اذا بنفر قد اقبوا على سيماهم بمال الكهيين وعابهم المرقعات الحان

الى الله ياخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غيران فؤسده من نفسها ما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغسل فاعجبته خلقها وحنم افئدا رأت ظله في الارض جلالت جسدها بشمر فافزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب اليه الاسرى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع فقتل فاصيب نخلهم ادار وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما اخبرنا فعادة عن الحسن بن عباد داود عليه السلام قال لى اسرايلى حين لك والله لاعدلان فيكم كرم بيتن قابلى (وقال ابو بكر) بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فاعجب بعبادته فقال هل في الارض احد يعمل على فاناه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعباد يا كل العبادة فان أعجبت ثانيا وكنتك الى نفسك فقال داود يارب كل الى نفسى سنة فقال امها لكثير قال فشرها قال فاه لكثير قال فابوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشانك بها قال فوكى الحراس ولبس الصوف ودخل الحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته اذا وقع الطائر بين يديه وكان امر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بالمرأة اوريا لم يلبث الا بيرا حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فلبيا ان يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنهما الحراس ان يدخلوا عليه فتدورا الحراب وهو يصلي فاشعرا لا وهما بين يديه جال ان فذلك قوله تعالى وهل انا لك نبا الخضم ان تدوروا الحراب اذ دخلوا على داود فزق منهم حين هجاء عليه في محرابه فبئرا انه قالوا لا تخف خصما بنى بضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط ارشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا اخى له تسع وتسعون درجة ولى نيجة واحدة وهذا من احسن التمر يض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب ففعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بالغباب كاظهاه والنعاج والبقرة وهو كثير فشى اشعارهم فقال اكفلمها وعزنى في الخطاب قال الضحاك اعطينها وتحول الى عنما واجامها كنى اى نصبى وعزنى في الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كرا أصبح في وان حارب كان ابطش منى فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدي) باسناده ان احدها لما قال ان هذا اخى له تسع وتسعون نيجة قال داود لا آخر مائة قول قال ان الى تسعا وتسعين نيجة وله نيجة واحدة فاريد ان اخذها منه واكمل ناعجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لا بدعك ان رمت ذلك ضر بنا منك هذا وهذا بين طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل يا داود انت احق بضرب هذا منى حيث كارك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لا ورياه الامراة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهاذ وجه الآية الا ان داود حكم قبل ان يسمع كلام الخصم الاخر قالوا نعم ان داود نظر فلم ير احدا فمرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود انهما قتلاه اى ابتليناه وقال سميد بن جبيرة انما كانت فتنة داود بالظفر لالاستاذ رحمه الله تعالى ولما همد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولما كنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه اقاويل الساف الصالحين من أهل التفسير في قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحارث الاعور بن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصص اص ممتددا صحتة جدته حذین لعظم ما ارتكب وجليل ما احتبب ينى ما كتب من الوزر والاثم يرمى من قد رفع الله محمله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتزبد المراسين في هذه القصة ان لا ذنب انما كان تمنى ان تكون لامراة اوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فانفق له غزوة فارسل اوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يحزن عليه ولم يتوجع له كما

فاتوا الى وسلموا على

فقلت وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته ثم وقع
في خاطري سؤالهم عن
كونهم من الجن أم من
الانس وان البقرة بقعة
غريبة فقال قائل منهم
قد جرت بنتا مسئلة
واختلفنا فيها ونحن
نفر من الجن قد سمعنا
كلام الله من نبيه محمد صلى
الله عليه وسلم ليلة من
الليالي فسلبتنا منه كلامه
جميع الدنيا وقد قبض الله
لنا هذه البقرة في هذه
البرية قال ابراهيم فقلت كم
بيني وبين اصحابي وهل
حضر هذا الموضع غيبي
فقالوا ان هذا الموضع لم
يحضر اليه ادمي قبلك غير
شاب من اصحابك وتوفي
هنا وهذا قبره ثم اشاروا
الى شفير تلك البحيرة
فرايت قبرا حولها يا حنين
وروضة خضراء لم أر
أحسن منها ثم قالوا
اندرى كم يدرك وبين
اصحابك فقلت الله اعلم
فقالوا مسية سنة قال
ابراهيم فمجيئ من ذلك
فقلت اخبروني عن الشاب
صاحب هذا القبر فقال
قائل منهم بينما نحن قعود
على شفير هذه البحيرة
ننذاكر الحبة ونجاور
فيها اذا نحن بشخص قد
اقبل الينا وسلم علينا
فرددنا عليه السلام وقلنا

كان يمزج على غيره من حننه اذ اهلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأة فأنابه الله على ذلك لان ذنوب
الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنوب داود ان أورياه كان قد خطب تلك المرأة
ووطن نفسه عليها فلما غاب في غرانه خطبها داود فترجعت منه لحلاله فغتم لذلك أورياه ما شديدا
فأتى الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطاها الا الاول وقد كان عنده تسعة وتسعون امرأة اول ذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه وبما يصدق ما ذكرناه
ما قيل عن المفسر بن المتهدم من ما أخبرناه به بقيل بن محمد الفقيه الماعري عن ذكرنا بن أنس بن مالك قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظرا الى المرأة قطع على بني اسرائيل
بمثاها وصي صاحب البلقاء اذ احضر المدفون قدم فلان بن يدى التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان
يستصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينزيم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل المسكن
ليتصا عليه قصته ففطن داود وسجد فشكيت أر بعين اربعة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دعوته حول
رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده زنا داود زلة هي أبعد ما بين المشرق والمغرب رب
ان لم نرح ضحك داود وتغفر له ذنبه جملت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام
بمداد أر بعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود عسيت ان الله قادر
على ان يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف يغفلان يعني أورياه اذا جاء
يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود قال جبريل ما سألت ربك عن ذلك واثن شئت لافعلن قال
ثم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فشكيت ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي
أرسلني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله بمكايوم القيامة فيقول له بلي دمك الذي عند داود فيقول هو
لك يا رب فاقول انك في الجنة ماشئت وما تشهيت وعوضا عن دمك * أخبرنا ابن فتحو به بإسناده عن كعب
لاخبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا
في صورتها فمرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه فخر ساجدا أر بعين يوما
لا يرفع رأسه الا الحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يمود فيسجد تمام أر بعين يوما لا يأكل ولا يشرب
وهو يبكي حتى نبت الشب حول رأسه وهو يناوي به تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده
يسبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخالق بين القلوب الهى
خايت بيني وبين عدوى ابليس فلم أتبه لفتنته اذ زل في قدمي سبحان خالق النور الهى يبكي الشكلى على ولدها
اذا فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه وسخه والخطيئة
لازمة الى ان تذهب عن سبحان خالق النور الهى لم أنمط ما وعظمت به غيبي سبحان خالق النور الهى
أمرني ان أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور
الهى خلفتني وفي سابق علمك كان ما ما صائر اليه سبحان خالق النور الهى الوليل داود اذا كشف
عنه انطاء فيقال هذا داود الخطاى سبحان خالق النور الهى بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر
الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهى باي قدم أقوم أمامك يوم زل اقدام الخطاين يوم
القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهى مضت النجوم وكنت أعرفها باسمها فتؤنسني فتركتني
والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور الهى امطرت السماء ولم تنظر حولي واعشبت الارض ولم تشب
حولي بخيئتي سبحان خالق النور الهى انا الذي لا أطيق حرقه منك فكيف أطيق حرق نارك سبحان
خالق النور الهى انا الذي لا أطيق صوت ردك فكيف أطيق صوت جهم سبحان خالق النور الهى

فقال له من مدينة ساور
فقلنا له متى خرجت منها
فقال منذ سبعة ايام فقلنا له
وما الذي اخرجك منها
واخرجك من وطنك
فقال سمعت قوله تعالى
واينبوا الى ربكم واسئلوا
له من قبل ان ياتيكم
العذاب ثم لا تنصرون
فقلنا له ما معني الانابة وما
معني التسليم وما معني
العذاب فقال الانابة ان
يرجع بك منك اليه ولم
يذكر التسليم في الاصل
ولله اراد ان العبد يسلم
نفسه لله تعالى ويعلم انه
اولي به ثم قال والعذاب
وصاح صيحة عظيمة
ومات رحمة الله عليه
فوار بناه بالتراب وهذا
قبره رضي الله تعالى عنه
قال ابراهيم فتعجبت مما
وصفه لي فدنوت الى
قبره فوجدت عنده باقة
نرجس كأنها رجا عظيمة
و مكتوب على ورقة منها
هذا حبیب الله قتيل الغيرة
وعلى ورقة أخرى صفة
الانابة قال ابراهيم فقرأت
لهم ما هو مكتوب على
النرجس وفسرته لهم
فوقع بهم الطرب فلما
اذقوا قالوا قد وجدنا
جواب مسئلتنا فوقع
النوم على ما انتهت الا
قربان من اصحابي بسجد

كنت تتر الخطاين بخطايهم وأنت شاهد حيث كانوا بسجد خالق النور الهی رق القلب وجمدت
العين من حمة الحرق على جسدي بسجد خالق النور الهی الطير تسبح لك وانه العبد الخاطيء
الضميف الذي لم اعوصت - بسجد خالق النور الهی ابو اليل لادرم - الذنب العظيم ارى اصاب
ولا علم به بذلك بسجد خالق النور الهی انا المسنفت و أنت المنيث فما يدعوا المسنث الا المنيث بسجد
خالق النور الهی اسألك باني ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ان تطهني في سبوح خالق النور
اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني فانك ارحم الراحمين بسجد خالق النور الهی
اني اعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتّر بسجد خالق النور
الهی اني اعوذ بك وبوروجه الكريم من ذنوبي التي أوبقني بسجد خالق النور الهی فرت اليك
من ذنوبي واعتزفت بخطيبي فلا تخليني من القاطنين ولا تخزني يوم يهينون بسجد خالق النور الهی فرغ
الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيبي الزم لي من جلدي بسجد خالق النور قالوا
فاذا الداء اجتمع انت فظلم انا انت فسق او مظالم انت فتنصرو لم تحبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح
صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى يارب الذنب الذي أصبته فندوى ياد اودا فرغ راسك فقد غفرت لك
فلم يرفع راسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب بن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداماني قد
غفرت لك فقال يارب كيف وانت لا تغلم احدا فقال اذهب الى قبر اوريا فناداه وانا أسمعه نداءك فتجمل
منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح وجلس عند قبره ثم ناداه ياد اوريا فقال
ليبك من هذا الذي قطع علي الذنب وبغضني قال انا داود قال ما جاء بك يا بني الله قال جئت أتحمل لما كان
مني اليك قال وما كان منك الى قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وانت في حل فاحيي الله تعالى
الي داود عليه السلام ألم تعلم اني حكم عدل لا أقضي الا بالحق الا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق
داود اليه فناداه ياد اوريا فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود قال يا بني الله ما حاجتك
أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فملت بك ذلك الا لمسكان امرأتك واني قد تزوجتها قال
فسكت اوريا ولم يحبه فدعاه فلم يحبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل لي ثم الويل لداود
بسجد خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود بسجد خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة بسجد خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم بسجد خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب
على وجهه مع الخطاين الى النار بسجد خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يقربه
الى باينة مع الظالمين الى النار بسجد خالق النور قال فاتاه النداء من السماء ياد اود قد غفرت لك ذنبك
ورحمتك ورثيت اطول مكانك واستجبت دعاءك وأقات عثرتك قال يارب كيف لي ان تغفو عني
وصاحي لم يغفو عني قال ياد اود وان يغف أولم يغف فانا أعطيه يوم القيامة ما لم نرعيته ولم نسمع أذناه
فاقول له قد رضيت عبيد فيقول يارب من أين هذا ولم يغف عني فاقول هذا عوض من أجل عبيد
داود فاستوهبك منه فيهلك فقال له داود يارب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل
فاستغفر ربهم وخر را كما أوأاب ففقرنا له ذلك وانه عندنا في وحسن ما ب وروى أبو معشر عن محمد
بن كعب ومحمد بن قيس قالوا في قوله تعالى وان له عندنا للربني وحسن ما ب ان أول من يشر السكاس يوم
القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسن محمد بن محمد بن علي أخبرنا بكر احمد بن معقل أخبرنا
عمر بن محمد اشرفي قال انظر السكبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن

فوجدت في وطاني باقة
نرجس فبكشت معي
سنة كاملة لم تنمير فلما
كان بعد مدة يسيرة
فقدتها فتأسفت عليها
اسفا شديدا ورجعت
با كيا حزينا وحكي
عن بعضهم رضي الله
تعالى عنه انه قال رأيت
في منامي كان اهل القبور
قد خرجوا من قبورهم
الى ظاهر المقبرة فاذا هم
يلتقطون شيئا لا ادرى
ما هو فترجب من ذلك
ورأيت رجلا منهم جالسا
متفردا وحده لم يلتقط
معه فدنوت منه فسلمت
عليه وسألته الذي
يلتقطه هؤلاء فقال
يلتقطون ما بهيدي
المسلمون من القراءة
والصدقة والدعاء فقلت
له لم لا يلتقط معهم فقال
اني غني عن ذلك فقلت
له باي شيء انت غني
فقال بخدمة يقرأه اولدي
بهديها لي في كل يوم
وليته فقلت وابن هو فقال
شاب يبيع الزلاية في
السوق الفلاني قال فلما
سئلت من نومي
ذهبت الى السوق فاذا
اشاب جالس يبيع
الزلاية وبحرك شفتيه
فاتيت اليه وقلت له باي
شيء تحرك شفتيك فقال

محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كاني تحت شجرة والشجرة بقراءة سورة ص فلما بلغت الشجرة
الي السجدة سجدت فسمعتهم يقولون في سجودها اللهم كتب لي بها أجرا وحاطت عني برزقا وارزقني
بها شكرا وقلها من كما نقبلها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفوجدت انت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال انت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فوجدت مثل قول الشجرة (قل وهب بن منبه) اذ داود
عليه السلام لما ناب الله عليه بكى على خطيئة ثلاثين سنة لا ترفاله دمة ليل ولا نهارا وكان اصاب
الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يني أربعة ايام فجل بوميا للفضاء
بين الناس ويوميا لنساءه ويوميا يسبح في الفيا في الجبال والغار والواحد ويوميا يخلو في داره وفيها
أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم
سياحته يخرج الى الفيا فيرفع صوته كرامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحش حتى
يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجي الى الجبال فيرفع صوته كرامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة
والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجي الى الاحل فيرفع صوته كرامير فيبكي وتبكي
معه الحيتان ودواب البحر والثير والماء والسباع فاذا أسي رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى
مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها الحار يب فيسقط
له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها ويحجى الرهبان اربعة آلاف راهب عليهم
البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك الحار يب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح
فيرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ
يضطرب فاجي ابنه سليمان عليه السلام فيجمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه
ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه ببكاء أهل الارض ودموعهم امد لها
(أخبرنا) ابن فتحويه عن عثمان ابن أبي عاتكة انه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانه الهى
اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحى الاهى أتيت أطباء
عبادك ايدأوني فكلمهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم خذ الدمع في وجه داود مثل خذ الماء في الارض
أخبرنا ابن فتحويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما اصاب داود الخطيئة فرغ الى العبادة فأتى
راهبا في قلة جبل فدأه بصوت عال فلم يجبه فلما اكثرت عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يتنادى
قال انا داود نبى الله قال صاحب القصور الحنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات انزلت
الجنة بهذا لانك انت قال داود فمن انت قال انا راهب راغب عز ومتروك قال فمن ايسر ومن جليلك
قال اصدراه ان كنت تريد ذلك قال فيخال داود الجبل ويرقى الى القلة فاذا هو ميت مسجى فقال له هذا ايسر
هذا جليلك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فاذا
فيه انا فلان بن فلان ملك الملوك عشت اثم عام وبنيت الف قصر واثم مدينة وهزمت الف عسكر
وتزوجت الف امرأة واقتضيت الف بكر فيبدا اثم في ملكي اذا انى ملك الموت فاخذنى واخرجني
ما كنت فيه فهذا التراب فراشي والودود جيرانى قال فخر داود عليه السلام من شيا عليه * وعن نافع بن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يموتون داود عليه السلام فيظنون انه مريض
ومابه الا الحياه والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما ناب الله على داود كان يبدأ اذا دعا

فيسفر لخطاين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر لخطاين فمسك ان تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخطاين ثم يقول تماوا الى داود الخطيئة ولا يشرب شرابا ولا وهو مزج بدموع عينيه وكان يحمل خبز الشعير الياس في قصده ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذريه الملح والماء فيأكله يقول هذا اكل الخطاين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل وبصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يارب اغفرت لي قال نعم قال فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفرني الى وللخطاين الي يوم القيامة قال فوتم الله خطيئته في يده النسي فارتفع بها عما ولا شرابا لا يبكي اذا رآها وما قام خطيئة في الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليرأسم الخطيئة (واخيرا) عبد الله بن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام اذا ذكر عقاب الله تعالى تخامت اوصاله ولا يشده الا الابن فاذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن ابي عبد الله البجلي) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه الى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ﴿باب في ذكر خروج ابن داود على ابيه وما كان من امرها﴾

قال وهب وغيره من اهل الكتب ان داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت الى ان كان من أمره وامراة أورياه ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالثوب منها استخفت به بنوا اسرائيل واستضعفوه واجتمع اهل الزيف من بني اسرائيل وذهبوا الى ابن داود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقلوا له قد كبر ابوك واشتغل بخطيئته وتو به وضاعت حقوق الناس وضعف امر الملك فلم يزالوا به حتى يذهبوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن الى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين اظهريهم مع ابن اخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فاشار قومه على ابنه ان يقتل اباه فلما بلغ ذلك داود أرسل اليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بآب قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت انت بني اذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول ان كان الله تعالى قد اذن لك في هلاكه فلا تبشره انت فانه لا يحمل في الآخرة حدوده منك فقبل منه ذلك فكشف عن قلب أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فجارب ابنه فنهزمه ووجه في طلبه قائد من قواده وأوصاه ان يتوقى حنقه ويتألف في اسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فربض بها وكان الغلام زاجمة فعلق غصن من أغصانها بشعره فجذبته ولحقه القائد فقتله مخالفا لامر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتذكر لئلا تذكر له بأس شديد في ملاقاته العدو ففكره داود ان يقتله فتركه لاجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت اوصي ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي الي ان قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع الى قومه سنتين

﴿باب في قصة اصحاب السبت﴾

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر ان يمدن في السبت الآية (قال) ابن عباس وهب بن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها يالة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وامرهم ان يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمن داود عليه السلام فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك ويخرجون من الماء خراطيمهم حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى اذا مضى السبت تفرقوا ولزم مقر

مفكراتهم رحمة الله تعالى
عليهم اجمعين ورحمتنا
والسلام على آمين بحمد سيد
المرسلين (وحكى عن صالح
المرى رضى الله تعالى عنه
انه قال (اقبلت ليلة جمعة
الى الجماع فمرت على
مقبرة فجلست عند قبر
هناك فغلبنى النوم فميت
فرايت في منامى كان اهل
القبور قد خرجوا من
قبورهم وقصدوا حفلا
يحدثون واذ انشاب عليه
نياب داسة جالس بجانب
القبور وهو عافى فريدا
بنفسه ثم لم يلبث الا ساعة
حتى اقبلت الزلزلة
بايديهم اطباق من نور
مقطعة بمناديل من نور
فاخذ كل واحد منهم طبقا
من تلك الاطباق ودخل
في قبره الا هذا الشاب
فتمالت به وقلت له يا عبد
الله مالي اراك حزينا وما
هذه الاطباق فقال هذه
صدقات الاحياء ودعاهم
لموتاهم فأتيتهم كل ليلى جمعة
وبويعاني بكاء شديدا
وذكر ان له والدة قيد
اشتغلت عنه بالدنيا
وتزوجت وتركته وقد
تخاف له الحزن والبكاء
والنحيب اذ ليس له من
يتذكره قال صالح فسالته
عن منزل والدته ابن هو
فوصف لي الموضع فلما

البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيتهم حيث انهم يوم سبهم شرعا وهم لا يستيقظون
لا تأتيتهم كذلك نيلهم الآية (سمعت ابا العاصم) قال سمعت ابي يقول سئل الحسن بن الفضل
هل يجدي كتاب الله الحلال لا ياتيك الا قوتوا لحرام ياتيك جزا فقال نعم في قصة داود عليه السلام
وأهل ايلة اذ تأتيتهم حيث انهم يوم سبهم شرعا ويوم لا يستيقظون لا تأتيتهم قال فمعد رجال منهم فحرقوا
الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فخرجوا تلك الانهار فارتبزل الموج
بالخيل الى الحياض فلا تطلق الخيل منها لبعدها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقل انهم
كانوا ينصبون الجبال والشخص يوم الجمعة يخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيتهم يوم
السبت كثيرا وفي غير يوم السبت لا تأتيتهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا رطب في ذنبه خيطا ثم ربطه
الى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد فاخذته فشواه فوجد جداره ريع الحوت فقال له يا بلان
انى اجد في بطنك ريع الحوت فابكره فاطلع الجدار في نوره فاذا هو في بيته فقال له انى اري الله سيعذك
فلما رأى العذاب لما اخذه اخذ في السبب الاخر حتى تهرى المرأوا العذاب لا يزل عليهم اخذواوه لمحوها
وأكلوا وباعوا ذنورها وكثرت امواتهم ولم تنزل عليهم عتو بقت قلوبهم ونجبروا ونجروا على الذنب
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا انما احرم ذلك على آباء الانهم قتلوا ابناءهم فلما فعلوا ذلك
صار اهل تلك القرية وكثروا نحو من سبعين الف ثلاثة اصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك
ولم ينه وصنف انهم كوا الحرم فكان الذين نهوا العاصم فلما ابي الجرهمون يقول النصيحة قال
الناهون والمساكون والله ليجرحن من القرية ولانساكنكم في قرية واحدة ثم قدموا القرية
بينهم بجدار ومكثوا على ذلك سنين فلهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم
على المصيبة فخرج الناهون ذات يوم من باهم والجرهمون لم يفتجروا باهم ولا خرج منهم أحد فلما
أبطأ تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعهم قد مسخوا قرعة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا
به أنحيب الذين ينهون عن السوء واخذوا الذين ظلموا بعذاب بئس أى شديد بما كانوا ينسفون
فلما اعتوا عما نهوا عنه قلنا لم كونا قرعة خاسئين أي صاغرين نظيره قوله تعالى لمن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل ايلة ويسمى بن مريم بنى كفار أصحاب المائة
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم ورأوا أنهم قد مسخوا عرفت القرعة انسياهم
من الانس ولم تعرف الانس انسياهم من القرعة فحمل القرد بأنى تسديه من الانس فيشتم ثيابه ويبكى
فيقول له الرجل ألم انتمكم فيقول القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قرعة والشيوخ خنازير
فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج ماسوخون من المدينة وعادوا على وجوههم متحيزين
ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم
يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ودمرا فذهب في البحر فاذا كان يوم القيامة أعادهم الله تعالى الى
صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو النصر عن أنى سعيد الحذري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة
على وجه الارض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قرعة ألم تسمع قول الله
تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من يد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام والحرب)

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكان في الحرب اذ نشئت فيه غم الفوم وكنا لحكمهم شاهدين

اصبحت ذهبت الي بيت
والدة الشاب وطرقت
عليها الباب فكلتني من
خلف الستر فقصت
عليها القصة فلما سمعت
ذلك بكيت بكاء شديدا
ثم قالت يا صالح خذ هذه
الاناب درهم فتصدق بها
على ولدي وقرعة عيني وانالم
انسه بقية عمري ان شاء
الله تعالى قال صالح
فقصه صدق عليه بتلك
الدراهم فلما كانت الجمعة
الاخرى اقبلت اريد
المسجد على العادة فالتيت
المقبرة واستندت ظهرى
الى القبر فسمعت فاداب الناس
قد خرجوا من قبورهم
واذا بالشاب عليه ثياب
بيض وهو فرح مسرور
فقبل نحوى حتى دفاني
وقال جزاك الله عني خيرا
يا صالح قد وصلت الهدية
قال صالح فقلت له انتم
تعرفون يوم الجمعة فقال
نعم وان الطيور يعرفون
يوم الجمعة ويقولون ليوم
الجمعة سلام سلام اللهم
ارحنا برحمتك واغفر لنا
وللمسلمين (وحكى عن
ذى النون المصرى رضى
قال الله تعالى عنه) انه
بينما انا سائر فى واد من
الادوية اذ مررت على واد
كثير الاشجار والنبات
من خضرتها وانماره
وكثرة عشبه وازهاره

(قال ابن عباس وقادة) كان الحارث زرعاً وقال ابن مسعود وشريح كان الحارث كرماً قد تدلت
عاقبده اذ تفشت فيه غنم القوم رعيته ليلافا سنده والنفس بالليل والهمل بالهار وهما بهما الرعى
بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى علينا منه شئ قال ابن عباس وقادة أن رجلين دخلا على
داود أحدهما صاحب غنم والاخر صاحب حرث فقال صاحب الزرع ان هذا افلست غنمه ليلافا
فوقمت فى حرثى فلم تبق منه شئاً قال له داود اذهب فان الغنم لك فاعطاه رقاب الغنم بالحارث فمرا
على سليمان فقال لها كيف قضى بينكما فاخبره فقال سليمان لو اويت أمرى لكانت قضيت بغير هذا فاخبرنا
بذلك داود فدعا فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهم قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث
سنة فيكون له نسائها وصوفها ومنافها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فلما كان العام
المقبل وصار الحرث كرهته يوم أكل فيدفع الى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه (وقال) ابن مسعود
وشريح أزرعيا نزل ذات ليلة بحجب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضايا
وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن
بين ثمن الاغنام وثمر الكرم تفاوت قال فمرا سليمان وهو ابن احدي عشرة سنة فقال لها ما قضى
بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فمدا الى داود فاخبره بذلك
فدعا سليمان وقال بحق النبوة والابوة الا ما أخبرني بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام
الى صاحب الكرم لينتفع بنسائها وصوفها ومنافها ويهمل الراعى فى اصلاح الكرم الى أن يعود
كرهته ثم يده له صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك
قوله تعالى ففهمنا عا سليمان وكلنا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يمتف
الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على ان كل مجتهد نصيب

(باب فى قصة تاسع خلاف داود ابنه سليمان عليه السلام وذكر بعده امر الخاتم)

قال ابو هريرة رضى الله عنه انزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام فمختما بخاتم من
ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فاروحى الله تعالى اليه ان سل عنها ابنك سليمان فان هو اخرجها فهو
الخليفة من بعده قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا واجلس سليمان بين ايديهم
وقال يا بني ان الله تعالى انزل على كتابا من السماء فيه مسائل وامرني ان اسألك عنها فان اخرجتها
فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبي الله عما بدا له وما توفيق الاب الله قال داود يا بني ما اقرب
الاشياء وما ابعدا وما أنس الاشياء وما اوحشها وما احسن الاشياء وما اقبحها وما اقل الاشياء
وما اكثرها وما القائن وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبته الرجل
جد آخره وما الامر الذى اذا ركبته الرجل دم آخره فقال سليمان عليه السلام اما اقرب الاشياء
فالاخرة واما ابعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وما انس الاشياء فمجسد فيه روح واما اوحش
الاشياء فمجسد لا روح فيه واما احسن الاشياء فلايمان بعد الكفر واما اقبح الاشياء فالكفر بعد
الايمان وما اقل الاشياء فالفريقين واما اكثر الاشياء فالشك واما القائن فالتائبان فالسماء والارض
واما الساعيان فالشمس والقمر واما المشتركان فالليل والنهار واما المتباغضان فالموت والحياة واما
الامر الذى اذا ركبته الرجل جد آخره فالخلم عند الغضب واما الامر الذى اذا ركبته الرجل دم آخره
فالحدة عند الغضب قال ففكروا الخاتم فاذا اجاب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال القسيسون
والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسألة فان اخرجها فهو الخليفة من بعده فقال سليمان عليه السلام

سألوني وما ترفيقي الابائهم فقالوا له ما شئ الذي اذا صاح صليح كل شيء من الانسان واذا فسد قد
كل شيء من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصره للمير فحمد الله تعالى واتى عليه ثم قال ان الله
تعالى يامرني ان استخلف عليكم سليمان قال فضجعت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف
علينا وفيما من هو افضل منه واعلم فيلج ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بني اسرائيل
وقال لهم انه قد بلغني مقالكم كانوا في صهيون فاني عصا اثمرت فان صاحبها ولي هذا الامر بدي قالوا قد
رضينا فاجاؤا بعصيمهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان
بعصاه فكتب عليها اسمه ثم ادخل بيتا واطاق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤساء اسباط
بني اسرائيل فلما اصبح صليح بهم الفرة ثم اقبل ففتح الباب فاخرج عصيمهم كعبي واما عصا سليمان فقد
اورقت واثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأي ذلك داود حمد الله وحمل
سليمان خلفه ثم سار به في بني اسرائيل فقال ان هذا خليفتي عليكم من بدي (قال وهب بن منبه) لما
استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يا بني اياك والحزل فان نعمه قليل ويهيج
المدواة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانها
غلبان كل شيء واياك وكثرة الغيرة على اهلك من غير شيء فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا
براء اقطع طمعه عن الناس فان ذلك هو الفتن واياك والطمع فانه الفقر الحاضر واياك وما يعتذر
منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استعطت ان يكون يومك
خيرا من امسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء وتردد على عالم ولا تعار في الدين واذا
غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارح رحمة الله فانها وسعت كل شيء (قالوا) نعم ان
سليمان بعد ان استخلف اخفى امره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس واقبل على العلم والعبادة ثم
ان امرأته قالت له ذات يوم يا ابني انت وامي ما اكل خضالكا واطيب رائحتك ولا اعلم لك خضلة
اكرها الا انك في ونة ابي فلودخلت السوق فمرضت لرزق الله ارجوت ان لا ينجيك الله فقال
سليمان اني ما علمت علاقط ولا احسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يدر عو شي
فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى الى ساحل البحر
فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان اعينك وتطبخني شيا قال نعم قال فاعانه فلما فرغ اعطاه الصياد
سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم اهن شق بطن احدهما فاذا هو بخاتم في بطنها فاخذها وصره في
ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاه بهما الى امرأة فقهرت امرأته بذلك فاخرج الخاتم
وابسه في اصبه فمكثت عليه الطير والرياح ووقع عليه بها االك ثم يابث ابودان مات فلما مات
حمل المرأة وابها الى اصطخر والله اعلم

باب في ذكر وفاة داود عليه السلام

(قال الشيخ ابو يزيد) سمعت الشيخ ابا عمر والثغفاني يروى ان داود عليه السلام كانت له
وصيفة تملق الابواب كل ليلة وتأتيه بالماضي ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة فانغلت
ذات ليلة الابواب وجاءت بالماضي ثم ذهبت لتنام فرائت رجلا قائما في وسط الدار فقلت له ما اذ لك
هذه الدار فان صاحبها رجس غور خذ حذرک قال لها انا الذي ادخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال
فلما سمع داود ذلك وكان في الحراب واقفا يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فاتاه فقال داود
ما اذ لك هذه الدار في هذا الوقت بغير اذن فقال له انا الذي ادخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له

وشربوا من كؤوس شرب

اذا قامت ملك الموت قال نعم قال اجبت داعيا فمال بل ناعيا فقال دارد عليه السلام فها لارسالت الى قبل ذلك واودنتي لاستعد للموت فقال كم ارسالت اليك فلم تنته، قال ومن كانت رسالتك التي ارسالت الي فقال ياداد ابن ابوك ايشا وابن امك ابن اخوك وابن جارك ابن قهارمك ابن فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال اما علمت اهم رسلي اليك وان الذنوب تبلك (قال) الاستاد رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرء يمني اخاه حتى يكونه وقد يرجوا الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظله بعض الشعراء فقال

واذا حلت الي القبور جنازة * قاعلم بانك بعدها محمول

واذا وليت امور قوم مدة * قاعلم بانك عنهم معزول

وقال اهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه اربعين سنة وقدم في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

(مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به)

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وحكمته وعلمه وملكه ودين سائر اولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام اعظم ملكا من ابيه داود واقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تنبها من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله تلك الحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه مابين الشام الى اصفطخر وقيل انه ملك لارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذوالقرنين واما الكافران فالفرزدق بن كعمان وبختنصر

(باب في صفة حليته عليه السلام)

(قال وهب بن منبه وكعب الاحبار) كان سليمان ابيض جسيما وضيقا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب الياض وكان خاشعا متواضعا يحافظ المساكين ويحياهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان ابوه في ايام ملكه يشاوره في كثير من امور مع صغرسنه ووفور عقله وعلمه صلى الله عليه وسلم

(باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من انواع المناقب والمواهب وغير ذلك) قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فض لنا على كثير من عباده المؤمنين وقال الله تعالى اخبرنا عنه رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى انك انت الوهاب فاجاب الله دعاه رآ كرمه بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولا بعده فنهى تسخيرنا له الريح كما قال عز وجل فمسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب اي أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من اصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاة لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسبح ملك في ناحية من الارض الا اتاهه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بمسكوكه فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سر يرثي يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد انما صاف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا اقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا في غدوته وشهرا في روحته الى حيث اراد كما قال تعالى وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكروا ان رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا بكتبه بعض اصحاب سليمان اما من الجن او من الانس نحن نزلناه وما بنيناها ومبيناها

ثم انشد يقول

قد كان لي دمع فافتيته

وكان لي جفن فادميته

وكان لي جسم قابليته

وكان لي قلب فاضيتته

وكان لي باس يدى ناظر

أرى به الخلق قاعميته

عبدك اصحى سردي ومثما

لوشيت قبل الموت اصغفته

ثم قال مخاطبا له تعالى

سدي بهم فالحقني

ولما وفيتهم وفني

قال ذوالنون فقلت سدي

أوصني بوصية انتفع بها

فقال عليك بتقوى الله في

السمر والمال نية فان من

احبه الله شوقه الى لقاءه

فان له يوما يتجلى فيه على

أوليائه ثم غاب عن بصري

فلم اره ثقتما الله تعالى بهم

وإدومهم وعدنا من مدغم

آمين (وحكى عن الواطى

رضي الله تعالى عنه) انه

قال بينما انا سائر في البادية

ذ رأيت اعرا يا جالسا

متفردا بنفسه فدوت

منه وسلمت عليه فرد على

السلام فاردت ان اكله

فقال استعمل بذكر الله

تعالى فان ذكره شفاء

القلوب ثم قال كيف يفتر

ابن آدم عن خدمة خاله

ورازقه وكيف يشغل عن

ذكره والموت في انزه

وكيف يستعين بغيره وهو

ناظر اليه ثم بكى فبكيت

معه شفقة عليه ثم قالت له

يا حبيبي مالي اراك وحيد
فقال ما انا وحيد والله معي
وما انا بفرد والواحد
يؤنسني ثم قام ومضى
مسرعا وقال سيدي ان
اكثر خلقك مشغول عنك
بقريك وانت عوض عن
جميع ما فات مني يا احب
كل غريب ويا مؤنس كل
فريد وجمعني بمشي وانا
خلفه فالتفت الى وقال
ارجع عاكف الله الى من
هو خير لك مني ولا تشغلني
عن هو خير لي منك ثم
غاب عن بصري فلم اراه
رضي الله تعالى عنه وشفقنا
به ومدنا من مدره في الدين
والدنيا والآخرة آمين
(وحكى عن ذي النون
المصري ايضا رضي الله
تعالى عنه) انه قال بينما
أنا في الطواف اذ لعل نور
ملحق بعنان السماء
فوجدت من ذلك النور
قائمة طوافي وأسندت
ظهري الي الكعبة متفكرا
في ذلك النور فسمعت
صوتا شجيا بنعمة ذي
خشية فنبعت
الصوت حتى أوقعتني
بجارية متعلقة بأسناد
الكعبة وهي تبكي وتشد
وتقول

انت تدري يا حبيبي
من حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والماله

وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائجون ان شاء الله تعالى فباتوا الشام قال وكان
فيما بلغني تمر بمسكرة الريح الرخاء تهوى به الى حيث اراد وانها لتمر بالمزرعة فلا تحركها واخبرنا
الحسن بن محمد بن فتحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب
الريح يوما فمرت بجزر فظفر اليها الحرات وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح
كلامه والفته في اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى اتى الحرات وقال له اني سمعت قولك وانما
نزل اليك لئلا تمنى ما لا تقدر عليهما تبديعة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال
له الحرات اذهب الله همك كما اذهبت همي (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام
بساطا فرسخا في فرسخ دها في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه
وحوله ثلاثة آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحوولهم الناس وحوال الناس الجن والشياطين وتظلم الطير باجنحتهم لئلا تقع عليهم الشمس وترفع
ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الزواجر ومسيرة شهر من الروح الى الصباح (اخبرنا)
ابن فتحويه باسناده عن محمد بن كعب القرظي قال بلغني ان عسكرا سليمان عليه السلام كان مائة
فرسخ خمسة وعشرون منها الانس وخمسة وعشرون منها الجن وخمسة وعشرون منها اللوحوش وخمسة
وعشرون منها لاطيور وكان له الف بيت من القوار يرعى الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبع مائة امرأة
فيأمر الريح العاصفة فحمله وبأمر الرخاء فتنير به فأوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض
اني قد زرت في ملكه انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا اجبت به الريح اليك فاخبرتك به (ومنها)
تعليم الله له كلام الطير حتى التل كما قال الله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه)
باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لد
والملوت وابنوا الخراب وصاحت فاخته عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا
الحلق لم يخافوا صاحب طائرس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كأيدين تدان وصاح هدهد فقال
أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح
الطيوطى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت كل جديد قال وصاح خطاف
فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول فهو اخيرا تجوده من ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبجان ربى الاعلى مله
سمانه ومله أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبجان الحى الذى لا يموت
اذا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يابس العشارين والحدة تقول كل شيء هالك
الا وجهه والظا تقول من سكت سلم العتاة تقول ويل لمن الدنيا همه والبازي يقول سبجان ربى
الاعلى وبجمده والضفدع تقول سبجان ربى القدوس والمصفور يقول سبجان المذكور بكل مكان
(واخبرنا ابن مبيون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سلمان عليه السلام فقال أتدرون
ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى باسناده عن صالح المري عن الحسن قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك اذا صاح اذكروا الله يا غافلون (وروى) عن جعفر بن محمد
الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا بن آدم عش
ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم

قد كنت الحبيب حتى
ضاق بالكتبان صدرى
قال ذوالنون فلما رأيتها
وسمعت ذلك بكيت
فقال الهى وسيدى
ومولاي يحبك الاما
غفرت لى فقلت لها
يا جارية اما تتقين الله فى
مثل هذا المقام تتكلمين
مثل هذا الكلام وتقولين
يحبك لى من ابن عرفت
انه يحبك فقلت اليك عني
ذا النون اما علمت ان الله
سببنا وتعالى اقواما
يحبهم ويحبونه فهو احبهم
قبل ان يحبوه اما سمعت
قوله تعالى فى كتابه العزيز
فسوف ياتي الله يقوم بحبهم
ويحبونه فسبقته بحبته
لم قبل محبتهم له قال
ذوالنون فقلت يا جارية
من ابن عرفت انى ذو
النون ولم ترى قبل ذلك
اليوم فقلت اليك عني
يا بطل جالت القلوب في
ميدان الاسرار ففرقت
بك العزيز الغفار قال ذو
النون فقلت لها يا جارية
مالى اراك ضيقة البدن
نخيلة الجسم وما بك سقم
فانشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل
تطاول سقمه فدواه داه
كذمان كان للبارى محيا
بهم يذكروه حتى يراه
ثم قالت يا ذا النون انظر

المن مبهضى آل عبد واذا صاح الخفاف قرأ الحمد لله رب العالمين وعبد الضالين كما عيدها الفارى
(وقال فرقد السنجي) مرسلان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه
انذرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله أعلم قال انه يقول اكلت نصف عمرة فملى الدنيا الغناء
(وأخبرنا) ابو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن ابيه قال كن مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفرة فمررتا بشجرة فيها فرخا حمامة فأخذناهما فجاءت الحمامة ففرخها فقلنا نحن فقال ردوها انى موضعها
(وروى) أرقية باضتى طريق سايان عليه السلام فقال الذكر لاني ألم أهلك ان تبنيض في طريق
سايان الملك لوركب إلينا لحطم بيضنا فقلت الانثى ويحك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فسمع سليمان
قوله فبعث إليهما جنيا حين أرادان ركبا وقال اجعل بيضهما تحت رجلك وإياك أن تصيبه بشيء
فأمر سايان في موكبه وجارزها قالت الانثى ألم اقل لك ان نبي الله ارحم بنا من ذلك فقال الذكر
لاني عندى الملك هدية قالت وما عندك قال عندى جرادا ادخرته لولدى فقلت الانثى عندى تمر
ادخرتها لولدى قال فأخذنا التمرة والجريدة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو عسريره في مجلسه
فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما مسح يده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على
رأس الثور من مسح سايان عليه السلام إياهما * قال ومر سليمان بموكبه على غلة فقالت الغملة سبحان
الله العظيم ما أعظم ما أوتى آل داود فتبسم سايان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا انبئكم بخبر
هو أعجب من هذه الغملة قالوا بلى قال تقول انقوا الله في السر والمالينة والنصف في النفي والفقير والمدل
في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بغلة
عرجاء ناشرة جناحها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا
تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجموا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى)
(وحكى) ان غلة دبت على سليمان فجعلها ورمى بها فوقت الغملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش
اما علمت انى امة من ائمة عبده فنشى على سليمان فلما افاق قال انشئى بها قوتها فأنها فقالت له جادى
رفيقى وبدنى ضعيف واخذتنى ورميتنى فقال لها سيمان اجعلنى في حل فانى لم أقصد ذلك فقالت
بشرط ان لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين احد
بجهاك الا بذلته له قال قد علمت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصد وادي النخل) قال الله تعالى
وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يؤذون أى بحس اولهم على آخرهم حتى اذا
اتوا على وادى النخل الاية قال الشعبي وكعب وغيرهما من اهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان
اذا ركب حمل اهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هم له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخازن يحمل
فيها اثنا عشر الحديد وقودا عظاما بسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين الدواب امامه فيطبخ
الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والرياح تنوى بهم فساروا
من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان
هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم اتى ارض الحرم فرأى حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فاوحى الله تعالى الى البيت
ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من انبيائك وقوم من اولئك مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندى ولم
يذكروك بحضرتى وهذه الاصنام تعبد حولى من دونك قال فاوحى الله تعالى اليه لا تبك فانى سوف

فلم أر أحداً فرد عليه وجهي نحوها فلم أرها ولم أدر أين ذهبت فأنسفت على فراقتها وتولت إلى الله تعالى بها فرايت بركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نعمنا الله بها (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) امسك النيت عن بغداد سنة من السنين حتى كاد اهلها ان يهلكوا فاعتزلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى ان يسقيهم غيثاً فلم يسقوا وكان ذلك في ايام خلافة هرون الرشيد رحمه الله تعالى عليه فيعام بلوذن ويتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من اهل الخير والصلاح والعبادة قد أقبل من ظاهر البرية أشعث اغبر لا يلبث اليه ومعه ثلاث بنات عذار كانهن الاقار فوقف ببنته في الطريق فر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال يا قوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له يا شيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالى ان يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم

املؤك وجوها سجدالى وانزل فيك قرآجدردا وابت منك في آخر الزمان نبيا هو احب الانبياء الى واجمل فيك عباداً من خاني يمدوني وافرض على عبادى بريقة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النور الى اوكارها ويمنون اليك حين الدابة الي ولدها والحمامة الي ايضا واطهره من الاوثان وعبد الشيطان ثم امر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه ويصلى فيه ويقرب عنده قرباناً فقبل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقرة وخمسة آلاف نور وتشترى اربع شاة وقال لمن حضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبى عربى يعطى النصر على جميع من نواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبة مسرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا اخذه في الله لومة لائم فطوى ابن ادركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه يابى الله قال قريب من اربع عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى اتى على وادي السهر واد من الطائف فتى على وادي النمل فقامت نملة تشمى وكانت عرجاء تتكادس وكانت مثل الذب الباطم وقال اشبهى كانت ذات جناحين واختبأت في اسمها فاخبرت ابن بيوتة بانماذ عن الضحك قال كان اسم نملة سليمان طاحية وقيل خرمن فنادت لسليمان في موكبها يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهما يشمرون وكان لا يتكلم خلق الاحملاء الى بيع والفته في مسامع سليمان قال فمات سبع سليمان كلامها من ثلاثة ايام فبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتيتني بها فتودها فقال لاحذرت النمل هل سمعتنى ظالم اما علمت انى نبى عدل فلم قامت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يا نبى الله اما سمعت قولى وهما يشمرون مع انى ما اردت حمام النفوس وانما اردت حمام الدلوب خشيت ان يصين ما عطيت فينتن ويشغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظمي فقلت له بالنملة هل علمت لم سمى ابوك داود قال قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لك سلمى ركنيت الى ما اوتيت بسلامة صدرك وحق لك ان تلحق بابيك داود ثم قالت اندري لم سخر الله تعالى لك الربيع قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ربيع فقديم ضاحكنا قولها متعجبا وقلب رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت على وعلى والدي الآية (اخبرني) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل اربعة من الدواب المهدده والصرذ والنحلة والناملة ومنها قصبة العنقاء في اثبات القضاء والقدر (اخبرنا ابو محمد بن عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تاتين كذا وتفعلن كذا فقلت والله رب السماء والارض انما لخصص على المهدي واكن قضاء الله ياتى الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لاجيلة في القضاء فقلت العنقاء استأومن هذا فقال لها سليمان ان الاخبرك بالسبح المذبح قالت بلى قال انه ولد الائمة غلام بالدرج وجارية بالشرق هذا ولده لك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في ارفع المواضع بقدره الله تعالى وهو لها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقلت العنقاء يا نبى الله اوقد ولدهذان الولدان المذكوران قال نعم الائمة قالت فهل اخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم ابيهما قال بلى اسمها كذا وكذا واسم ابيهما كذا وكذا فقلت العنقاء يا نبى الله انما ابطال القدر وافرقت بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفتم اليوم بمرث العنقاء وكانت في كبر الجمل عظاما ووجوها وجه انسان ويدها يدانسان وندابها ندى امرأة واصبعها كذلك فخلعت في الهواء حتى اشرقت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وابصرت الجارية وهي في مهدا وقد اجلوها فاخست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة في الجزيرة شجرة بالية

لا يتأله اطرا لا يجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على الف غصن كل غصن كاعظم مايكون من شجر الارض كثيرة الورق فالتخذت لها وكرفى وسط الشجرة عجيبا واسما ضيحا وطيبا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيا بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها حتى يتم امرها وهي تعدو الى سليمان ونروح الى وكرها فلم سليمان بذلك ولم يبد له ابلق الغلام مبلغ الرجال وصار له كامن ملوك الدنيا كان يلهم بالصيد ويحببه ويطببه فصار لا يفر ليل ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لا هيا بالصيد لم يزره عنه حتى نال منه مثلا طويلا وأمر أعظما فقال بولما اصحابه كل صيد البر والوايه وما زانته قد نلت منه فلور كبت البحر فانال من صيده فانه كثير الصيد وكثير المجانب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو اكثر شئ من خلق الله صيدا وعجيب فامر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيا السفن وجعل يأخذ من كل شئ يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والعلماء والجواري والطباخين والحجابين والدواب والبراة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون ما يريد ويستعمله من المالاى وركب السفن وهرى البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شئ غير ذلك حتى سار به ميرة شهر فارسل الله تعالى على سفينه ربحا خفيفة فضر بها وساقها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية رهي ميرة خمسين سنة فى منتهى تحسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركبت سفينة باذن الله تعالى واصبح الغلام فرأى سفينه راكدة فاخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق فى وسط جزيرة فى البحر فى لون الزعفران طويل لا يدري ابن منتهىها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء فى رأس الجبل ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورفق فى عرض اذن الفيلة تنفوح بربع الاقحوان ليس لها مرة ييضاه الساق فقال لاصحابه انى ارى عجيبا ارى جبلا شاهقا فى وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طول ولا عرض ولا ارى شجرة فيها كل حسن قد اعجبني منظرها ثم انه حرك سفينه وجاء بها الى الجزيرة اتى فيها الجبل وأرسلها عندها وقال لاصحابه اقيموا ههنا حتى امضى وابصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى فى وسطها هل عمارة او انرا دمي فى تلك الجزيرة واتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا فى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا غير بها آدمى قبله ثم ان صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهى لانها اخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها احد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكر فى أمر السفينة اذا حس حديث الآدميين فاخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر احدا فنظرت فى أصل الشجرة فاذا بالامام ورفقته فمعجبت منهم لمسرات من حسنهم وجههم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وان الغلام لما بلغ اصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من عظم تلك الشجرة ورفقته فى السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد اخرجت رأسها للنظر الى السفينة فحانت منه التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها فى عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجيبا من عظم جلالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح اجنية انت أم انسية قالت لا والله انان خيالا لانس فمن انت فاقهم بما لغته فمالت لا ادري ما تقول وما انت الانى ارى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وانى لأعرف شيئا غير العنقاء وهي امى التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتصبغ عيني بتمثالها فلما العنقاء فنالت هي فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تعدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وترقم عنده الى الليل ثم تبحثنى وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه ملك عظيم على ما تصفه لى امى العنقاء عن ملكه وانها تخبرني انه احسن الناس رجلا وانم خلقا منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسبي

الصالح فطأ به وفجده
ساجدا في الصحراء في
الماء والطين لله رب العالمين
فهلوا للنبات ما بال أيكن
لمرفع رأسه فذات ان من
عادته اذا سجد لله عز
وجل لا يرفع رأسه الا
بعد ثلاثة ايام قال فاخبروا
ارشد بذلك فبكى وقال
اللهم اني اسألك واتوسل
اليك بحجرة الصالحين
عندك ان تهنيأ لهم وان
تفيض ثلثي ثمان ركعتهم في
الدارين وجميع المسلمين
بالرحم الراحمين وحكى ✓
عن مالك بن دينار عفا الله
عنه انه قال يا امسك التيت
عنا سنة من السنين
نخرجنا الى الصحراء نعال
الله تعالى ان يسقينا غيثه
حق خرج معنا كبرنا
واغمرنا واولادنا لم يكتب
فلم نزل ندعو او ننصرع الى
الله تعالى وهم ومنون على
دعائنا ولم يزد النهار الا
صحوا ولا الشمس الا
حرا فعل الناس ومضوا
الى حوائجهم حتى صرت
انا ورفيقي في الصحراء
فجلسنا بمسجد خرب
هناك فبينما نحن جلوس
اذ اقبل علينا غلام أسود
عليه خرقتان قديمتان
تساوى قيمتهما درهمين
فدخل المسجد وصلى
ركعتين فلما سلم قال
لهمي وسيدى ومولاي

دولته واني لمن طافائه وعمر يؤدي اليه الحجاج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى غلام ساعة فالت
الحجارة ما يبكيك قال وجدتك في مثل هذا الموضع الذي لا انس فيه ولا أحدا من تلك الدنيا عدد الداجر
والمدركهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء والرغد واللذة الحسنة مع الارواح يتعاقبون
ويقتسمون ويتوالدون الاولاد مثل خلدك وخلقي أرايت ان حاجت الربيع فانهجك من وكرك من
منك ان تقبى في البحر وان وقت في البحر فن ذا الذي يخرجك قال ففزعنا الجارية من قوله قالت
وكيف لي ان يكون معي انسى ذلك بحدثي بمثل حديثك ويخففاني عما ذكرت فقال لها الغلام اولاهم ان
ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخره الربيع والطير هو الذي رحلك وساقى اليك لا كون لك الفواصدا
وانسا واني لمن اراد للملك فالت الجارية وكيف تصير لي وأصير لك وان المنقاء هذه تروح وتجيء
وتخضع لي صدها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثري من جزعك وحشتك وبكائك على المنقاء ليلتك
هذه فاذا جاءت اليك وقت لك ما يحيين وما تردين وما شأئك فاخبرها بوجدتك في نهارك ثم انظري
ما يكون من ردها عليك فاخبرني بذلك ففعلت وان المنقاء رجعت اليها فوجدها بها باكية حزينة فقالت لها
يا بنية ذلك فقالت الوحدة والوحشة قتلني واني لمزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخفي ولا تحزني
فاني استأمر سليمان عليه السلام ان آتيه يوما يوما لا آتيه فيكون ذلك أسألك فلما أصبحت اخبرت الغلام
بجوابها فقال لها وأتصيرين على ذلك لا راكبي سائرا من دواب هذه فرسا وأبقربطنه واخرج ما فيه
وطايبه بطيب معي وادخل اناني جو فوفى والقي على رأس سفينة هذه فاذا جاءك المنقاء تقوين لها أرى
عجبا أرى خلقه ملغاة على كوثل هذه السفينة فلوا خبطة فتمتبا وحملت بها الى مكانت معي في وركي فانظر اليها
وأنس بها كذا احب الى من تراب كونك عندي نهارا وان مساكك عن اخبار سايمان واخبار المسلمين
فلما رجعت المنقاء وجدت على حالها وكان سايمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام
يوما والقد و يوماف قالت لها يا بنية انني الله قد اشتعل عني اليوم بالحكم بين الاثنين فلم اصل اليه قالت
لها اني لا أريد ان تتخلفي عنه نهارا المكان اخبار سايمان واخبار المسلمين واني أرى عجبا في البحر أرى
شيئا مرقما فاهو قالت لها المنقاء هذه سفينة قوم سيطرة راكبين في البحر قالت فما الذي ارادك على
رأس هذه السفينة قالت دابة ميمية ألغوها قالت فاحتملها الى لاساناس بها وانظر اليها فانقضت المنقاء
فاختطفقت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أمها ما حسنه وضحكك
ففرحت المنقاء بذلك وقالت يا بني لو علمت ان كنت انيك بمثل هذه منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها
عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولا مسها وانقضها واحبها من ساعاتها وفرح كل
واحد منها لصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه خبر اجتماعهما من قبل الربيع
وان المنقاء راحت وكان مجلس سليمان يوما فجلس الطير وحكمهم فجلس سايمان عليه السلام للطير في
مرتبة ودعا بعرفاء الطير وامرهم ان لا تدعوا طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم امر
عرفاء الجن ان يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان الجزائر والهواء والمغارات والقفلات
والامصار وحشروا اليه وامر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيأتهم ثم كل دابة تدب
على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا في انفسهم تشهد بالقدان نبي الله قد امه عظيم فاول سهم قد خرج
في تقديم الطير سهم الحد أو كانت الطير لا تتقدم الا بالسهم وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحداة
تدعي على زوجها وكان قد جدها ولدها فقالت يا بني الله انه سقدني حتى اذا احتضنت يبضي وأخرجت
ولدي جججديه فقال سليمان لذكره اتقول فقال يا بني الله انها لا تمتنع من الطير وهي تحوم البراري فلا

فقال النخاس وماتصنع

بهذا الغلام يا مالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وما شؤمه ومكره فقال النخاس خذه وارحنه منه قال ذلك فاحذته بعشرين ديناراً فقال النخاس يا مالك هذا نثن كثير في هذا العبد فقال مالك والله انه قليل في ثمنه وانى راغب فيه ثم اخذته بيده فقلت له ما اسمك يا غلام فقال ميمون قال فلما مضيت من عند النخاس قال الغلام يا مولاي ماتصنع بي فقلت له لا خذمة فقال والله لم اخذم أحداً من الخلقين وانما خدمتني لله رب العالمين فاحاك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حلتى على ذلك ما رأيتك منك بالأمس في المسجد الحطب الذي بالصحرى قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما اقبلنا الى مسجد كان قريبان المنزل قال يا مولاي تاذن لى ان اصلى في هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلس على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهى وسيدى ومولاي كانت المعاملة بينى وبينك سرا والآن قد علم القلوب قايضى اليك الساعة ثم شق شقة

الشمس وفاته صلاة له صر ولم يلب احد بذلك هيبه له فاغم لذلك وقال ردوها على فردوها فمقرها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقي منها مائة فرس ثمانى اى الناس من الخيل العرب فبى من نسل تلك المائة (وقل كمب) كانت الافر اس أربعة عشر فامر بضرب اعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله مائة كاربعة عشر يومه الا ن ظلم الخيل يقتل الحرس فلما عقر الخيل لا جاز ان الله تعالى مكانها خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره رضاء كيف يشاء وغدوها شهر ورواحها شهر وكان يدومان ايلياء فيقول في اصغر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من ارض الرقاق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى النهر بمدينة بلخ نحوها لريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متغلا بلاد الترك ثم جاوزها الى ارض الصين ثم عطش يمينه على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض الهند ثم خرج منها الى مكران وكمران ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما ثم غدا منها فقال بكسر ثم رجع الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان قد امر الشياطين قبيل خروجه من الشام الى العراق ان يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان اذ قال للمليك * قم في البرية فاحددنا عن الفند

وجيش انجيش انى قد ابحت لهم * بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الايات منقورة في صخرة بارض كسكر أنشأها بعد اصحاب سليمان ابن داود عليهم السلام

ونحن ولا حول سوى حول بنا * نروح الى الاوطان من ارض تدمر

اذ نحن ونحننا كان امر دواحننا * مسيرة شهر والنهد ولا تخر

اناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبي المطهر

لهم فى معالى الدين فضل ورافة * وان نسبوا يوما فمن خير مدبر

متى ركبوا الريح المطيعة اسرعت * مبادرة عن شهرها لم تنصر

تظللهم طير صفوا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تنقر

رجعنا الى القصه وقال قوم من العلماء منى قوله تعالى فطفق مدحا بالسوق والاعناق حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميمم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها واعناقها من النار قال وهي رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن ابي طالب كرم الله وجهه ثم ان الله امر الملائكة الموكلة بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر في وقتها (حدثنا) ابو عبد الله عقال الانصارى باسناد عن على بن ابي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الله تعالى ان يخلق الخيل قال لا ربح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجله عز الاوليان ومذلة لاعدائى رجلا لا اهل طاعتى فقات الريح الهى وسيدى ومولاي انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقك عربيا وجهك الخرمقة ودانصيتك والغنائم تجوع على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجهك ظهرك بلا جناح فانت للطلب وانت للهرب وسأجعل على ظهرك رجلا لا يسبقونى ويحمدونى ويكبرونى فتجبونى اذا سبجوا وتملأنى اذا هالوا وتكبرونى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تبيجة ونجدة ونجدة وتكبره يكبرها صاحبها فتسمها الا تجيبه بتلها قال فلما سمعت الملائكة صفقتها ونظروا خلقتها قالوا ربنا نحن ملائكتك تسبحون ونحمدك فاذا لنا فخلق الله لهم خيالا فاعانها كاعناق البخت فلما ارسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه

عليها صل فليل له بوركت من دابة اذ بصمك اذل الله المشركين واذل بك اعدائهم وملأ بك اذانهم وارعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شيء قال له اختر من خاني ما شئت فاختار القوس فليل له اخترت عزك وعز ذلك خلدا ما خدوا وابقا ما بقا وبكرت عليك وعليهم ما خلفت خلفا احب الى منك ومنهم (وبنها) قوله تعالى واسلمنا له عين الفطر اذ باع عين النحاس اسلمت ثلاثة ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن وانما ينفع الناس اليوم بما اخرجه الله لسليمان عليه السلام (وبنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس وطير والوحوش والسياطين بمولاه ما شاء كما قال الله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربهم ومن يزغ منهم عن امرنا ندقه من عذاب السعير وذلك ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فنزاع عن امر سليمان ضرر به ضرر احرقتة فما علمت له الشياطين بامره واحذوه له الحسامات والطواحين والقوارير والصابون واشياء كثيرة واحترقوا له نهر الملك والقوات ربه بين خافقين وقصر شيرين ومما عملوا له النياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من ينفسون له الاية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا فغصون في البحار ويستخرجون انواع الاكاثي والدور والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكاوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وانواع الجواهر الثمينة من المعادن وعم اول من فعل ذلك

﴿ حديث القبة ﴾

قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم امواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما في قمر البحر فامر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسى ملسكه ثم دعا رأس الفواصين فقال له اختر لي من اصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فلما اختار من المائة ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لي من اسماكك عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قمر البحر وتاتيني بالخبر قال سمع وطاعة لك يا بني الله فغاص البحر وابعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رايت قال يا بني الله رايت الامواج اوحيا فاعتراني رايت مملكة عظيمة فقال لي اين تريد فقلت لان نبى الله سليمان ارسلى انظر له قمر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقر عليه هني السلام وقل له ان قوموا ركبوا هذا البحر منذ اربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصالحونه فسقط من احدهم قدوم فهو يتجلى في البحر ولم يبلغ قمره بعد فرجع اليه واخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولما سمعوا كان قصد قال فيبدها وعلى شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تضر بها الامواج في اجرة البحر فاراضها وقال للفواصين غوصوا في اثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انتح لها بابان بمصرعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب ابيض من اللين وكان رأسه قطر ماء خفاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن انت ام من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما رأى فقال يا بني الله كانت لي والدة وكنت من امر الناس بها اطعمها واسقيها يدي ولا اترك شيئا من صنائع البر الا صنعتها فلما حضرتها الوفاة سألتها ان تدعوا لي فرفدت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت برولدي فارزقه العباد في موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدقمتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعيتي نفسي ان ادخلها فلما دخلتها انطبقت على ابوابها وتراخت الامواج وكان هذا آخر عهدى يا بني الله فقال له سليمان فن ابن مطعمك ومشر بك فقال يا بني الله اذا كان الليل جاء في طائر ابيض في

قال مالك فدخلت اليه فوجدته يعض حك في موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كأنهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فلما على وقلا عظام الله أجزنا وأجرك في ميعون ثم أعانني أحدهما كفتنا جديد ايفوح منه رائحة المسك قال مالك ففسناناه وكفناه وصلينا عليه ودناها رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بي قد انقطعت عن الركب وصرت وحدي في البرية ولم ادر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذا لاح لي شخص امامي فاسرعت نحوه فاذا هو غلام لابنات بدارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشي ويتجسس كأنه في صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا ابراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله

من ابن عرفني ولم ترق

قيل ذلك اليوم قتال
ما جهات منذ عرفت ولا
قطعت منذ وصلت
قال ابراهيم فقلت له
مالذي اوصلك الى هذه
البرية في مثل هذه السنة
الكثيرة الحر قال يا ابراهيم
ما امنت بسواه ولا راقت
أحدا غيره وأني منقطع
بالكلية مقره بالربوبية
قال ابراهيم فقلت من اين
المأكول والمشروب فقال
تكفل في الحبوب قال
ابراهيم فقلت له يا غلام أما
تخاف من بسد السبيل
وطول المشقة فانشد يقول
شعرا

من ذا يخوفني بالبرأ قطعه *

الي الحبيب وقد قدمت

إيمانا

الحب افاقني والشوق

أزعجني

فلا يخاف بحب الله انسانا

فان اجوع فذكر الله

يشبعني

ولا أكون بحمد الله

عطشان

وان ضمعت فوجدني فيه

بحماني

الى الحجاز ومن اقصى

خراسان

قال ابراهيم فتعجبت من

كلامه على صغر سنه فقلت

له بالله عليك يا غلام

ما عرك فقال اثنا عشرة

سنة فقلت والله لقد

منقاره شيء ابيض فيدفعه الى فاكاه فهو يفيتني من الطعام والشراب فقال له سليمان ومن اين تمرق
الليل والنهار وانت في ظلمة هذا البحر قال يا بني الله في القبة خيطان خيط ابيض وخيط اسود فاذا رايت
الخطيب الابيض زائدا علمت انه النهار واذا رايت الخطيب الاسود زائدا علمت انه الليل فقال له
سليمان هل لك في صحبتنا رغبة قال يا بني الله ان تشأ تاذن لي ان اعود الى قبتي فاذا نزل
فانطلق ودخلها وانطبق عليه بها وتزاورت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله
تو الى يعملون لما يشاء من محارب و جفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع
الجفنة الواحدة طعام الف رجل فيجتمعون عليها يكون بين يديه وقدر راسيات ثابتات لا تزول يسع
القدر الواحد عشرة جزر

﴿ قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء ﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قواري عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها الف سقف ما بين كل
سقفين عشرة اذرع في كل سقف جميع ما يحتاج اليه من الساكن والقباب والمرافق اسفلها اغلظ من
الحديد واعلاها راق من الماء يري من داخلها ما وراء خارجها من صفاته ونفائمه والشمس بالنهار والقمر
بالليل وعلى السقف الاعلى قبة يضاه عليها علم ابيض يتضي به في الليل الداجي المسكر كاه يتلا *
شماعه مد البصر وبها من الاركان نفرك على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من
الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه واوليائه علوا وسفلا يحمل الریح الى حيث يشاء وكانت تلك
المدينة له مستقرا كالبحر وبشرى وبنام ويتبع بهار في اسفلها امرايط واصطبلات وأواخي
خليله ودوابه (ومما) عملوا له كرسى ملكه

﴿ صفة كرسى سليمان عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم انا بى يروى ان نبى الله سليمان عليه السلام امر الشياطين
بانخاذ كرسى يقعد عليه للفضاء وامر ان يعمل بديعهم ولا بحيث لوراءه بطل او شاهد زور ارتدع وبهت
قال فعملوا له كرسيا من انياب الثيالة وفصوصه بالياقوت والياقوت والياقوت والياقوت والياقوت والياقوت
باربع نخلات من الذهب شماريخها بالياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طواسن من
ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بمض وجعلوا من جانب الكرسى اسدين
من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار الكرم
من الذهب الاحمر والنخذا وعناقيد هامن بالياقوت الاحمر بحيث يظل عريش السكروم والنخل الكرسى
قالوا وكان سليمان ان اراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى ورجله فيها
ويدور دوران الریح المصرة وتنتشر تلك النور والطواق يس أجنحتها ويسط الاسدان ايديهما
ويضربان الارض باذانهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعد هاسليمان فاذا استوى باعلاها اخذ النسران
اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانها عليهما ثم تناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر
من أعمدة الكرسى التوراة وفتحتها سليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال ونجس
عظماء بني اسرائيل على كرامى الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهى الف كرسى على عينية ونجس
عظماء الجن فيجلسون على كرامى الفضة عن يساره وهى الف كرسى حافين به جميعا ثم نزلهم الطير
وتقدم الناس اليه للقضاء فاذا قال بالبينات وتقدمت الشهود لافامة الشهادات دار الكرسى بجميع
ما فيه وما حوله دوران الریح المصرة قال معاوية لثوب بن منبه ما الذى كان يدبر ذلك الكرسى قال لميلان

من ذهب وذلك الكرسي مما عمله له صخر الجني قالوا فإذا دار الكرسي بسط الاسدان ايديهما وبضر بان
الارض باذانها ما وينشر النسران والطاوسان اجنحتها فتنزع عنهن الشهود ويدخلن من ذلك رعب
شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسي سلايمان عليه السلام وعجايب ما كان فيه فلما توفي سلايمان
عليه السلام بعث مختصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد عليه ولم يكن له علم
بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة الصلي رفع الاسديده التي فُضرب ساقه ضربة
شديدة وقهارمها دخل مختصر فلم ينزل ويرج وتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بانطاكية حتى
غزاهم ملك من الملوك يسمى كدش بن سداد فهزم خليفة بمختصر ورد الكرسي الي بيت المقدس فلم
يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره
ولا يدري أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿ صفة بنيانه وبده أمره ﴾

قال الله تعالى سبحانه الذي اسري بيده ليلامن المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الايمه وقال تعالى ونحيثناه
ولو طأ الى الارض التي باركنا فيها للمالين قيل بالمياه والاشجار والنهار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من
تحت اصل الصخرة التي ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق في الارض وذلك قوله تعالى
باركنا فيها للمالين وروى خالد بن معدان عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من انهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت
مزاحم ومرح ابنة عمران رضي الله عنهما ينظنان حتى أهل الجنة الى يوم القيامة * وأما بده بناء بيت
المقدس وصفة بنائه على ما ذكره اهل البصرة بالسيرة بالسيرة هو ان الله تعالى بارك في نسل ابراهيم حتى جعلهم
في الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بارض فلسطين وهم يزدادون
كل يوم كثرة فتعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عددي بني اسرائيل كم فامر بدهم وبعت بذلك عرقا
وتقياء وأمرهم ان يرفوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يقدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل
عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت اني وعدت بابك ابراهيم يوم امرته بذبح ولده فصبروا ثم امرى
بان ابارك له في ذريته حتى يصيروا عدد نجوم السماء واجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فارتد أن تعلم
عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانا قد اقسمت لابنيتهم بيلة يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك
بهم وكثرتهم فاختاروا اما ان ابتليكم بالجوع والفتنة ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوك ثلاثة اشهر
أو الموت ثلاثة ايام فجمع داود بني اسرائيل واخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخبرهم فيه فقالوا انت اعلم
بما هو ايسرنا وانت نبينا فاطمنا اغريان الجوع لاصبر لنا عليه وتسليط العدو وأمر فاضح كان ولا بد
فالموت لانه يده لا يمد غيره فامرهم داود ان يجهزوا والموت فغسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرزوا
الى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذاري والاهلين وامرهم ان يضجوا الى الله تعالى ويتضرعوا
اليه لانه رحيمهم فارسل الله اليهم اطعوا فاهلك منهم في يوم وليلة الوفا كثيرة لا يدري عددهم ولم يفرغوا
من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما اصبحوا في اليوم الثاني خرد داود عليه السلام ساجدا لله تعالى
يقول الى الله تعالى ويقول يارب انا آكل الخبز الحامض وبنو اسرائيل يضرسونني اذنبت وبنو
اسرائيل يعاقبون فما كان من شيء فني انزلوا وانشى عن بني اسرائيل فاستجاب الله دعاهم وكشف عنهم
الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالكين سبيلهم ففهم ففهمدها وارتقا في سلم
من ذهب في صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبني اسرائيل ان الله تعالى قد من عليكم ورحمكم

فانتم اذني متعلم
فلا تملكون اني متعلم
أعرف الهوى
هو بك طافلا حيث لا
واني على صغر محب متيم
أثبت اليه ما غير راكب
أعلم
وات بما في القلب والمر
زرت
تملمت بالاستار والتمير
ويشد ويقول شعرا
السكبة وهو يكي
بالمستار بالتمير
الموت فلما دخل مكة اذا
الله أن يجمعي به قسبل
أين ذهب الفلام فسال
تقع من على الراحلة ولم در
ورقي يقول لي أحذر أن
الاراني وسط الحجاج
سنة من الزوم فالتفتت
وحرك شفتيه فاخذتني
أصحاني قال فظنر الى السماء
نم سأتك بالله ان تدعوا
الحجاج بالاراهم قلت له
فهل أنت منقطع عن
أخذ من الطاعة بنصيب
والواصل من أخذ من
أخذ من الطاعة بنصيب

فوجدوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال أمركم ان تتخذوا في هذا الصييد الذي رحمكم الله فيه مسجد لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذكرا لله تعالى فاخذ داود في بنائه فلما أرادوا ان يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير مختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم في بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تهجرونى عن حقى فقالوا يا هذا ما من أحد من بنى اسرائيل الا دله في هذا الصييد حق مثل حقك فلما تمكن ابلج الناس ولا نصبا يقنايه فقال أنا أعرف حقى وانتم لا تعرفون حقكم فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك والا اخذناه منك كرها فقال لهم اتجدون هذا في حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقل لارضوه فقالوا بك ناخذ منه يا بنى الله قال خذوه بمائة شاة فعدل الرجل زدى يا بنى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدى قال بمائة بعير قال زدى يا بنى الله فاعسا تشتري لله تعالى والله كريم لا يدخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتمك اعطاك قال تشتريه بخائض مثل زدى يتوانى ولا يعنى قال نعم فقال الرجل انت تشتري لله تعالى فلا يدخل قال سل ما شئت قال انت اكرم على الله بنى ولكن ابنى حوله جدارا مشرقا ثمائة ذهب اربان شئت ورقا قال داود هين فقلت للرجل الى بنى اسرائيل وقال لهم هذا هو الثواب الخاص ثم قال لداود يا بنى الله لان يغفر الله لى ذنبا واحدا أحب الى من كل شىء وهبت لى ولكي كنت اخبئكم فوجدوا في بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك اخبار بنى اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا وقالوا حتى اتى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفك الدماء واست بانيه ولكن ابنك املكه بمالك اسع سليمان اسع من سفك الدماء واقضى آتاهه على يد يهو ويكون صيته وذكره واجره لك باقيا فصolver فيه زمانا الى ان توفي داود عليه السلام واستخاف سليمان فامر الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وارسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلور والابيض الصافي من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفايح وجعلها اثني عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يفوصون في البحر ويستخرجون انواع الدر وفريق يقطعون انواع الرخام وفريق يفوصون على الجواهر وفريق يابون بالمسك والعنبر وانواع الطيب من اماكنها ففى شىء من ذلك لا يخصه الله تعالى ثم انه احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها الواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعملونها فقصوت صوتا شديدا لصلاحتها ففكر سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا بنى الله ليس في الجن اكثر نجار بالاولا اكثر علما من صخر العفر بيت فارسل اليه من ياتيك به فطبع سليمان بختاته طابعا وكان يطبع للشياطين بالجاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بختاته مع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه احد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فارسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو في بعض جزائر البحر فارواه الطابع فلما نظر اليه كان اذ يصق خوفه فاقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان ربه عما احدث العفر بيت في طريقه فقالوا يا بنى الله انه كان يضحك في بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما مضيت بتمردك على و ترك الجى الى طاعتي حتى صرت تسخر من الناس فقال يا بنى الله انى لست اسخر منهم غير ان ضحكى كان تعجيبا عما كنت اسع وارى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا و معه بقلة بر يدان

بك الى هذه البرية وهي
 تمة فقال يا ابا اسحق
 قد سالت
 وحرم
 بيت اليه
 وحركته قذا هو قد مات
 رحمة الله تعالى عليه
 فنامت لذلك ومضت
 الى رجل لا تحذله منه
 كفنا واسمعت برفيقي
 حتى ساعدني على تحييزه
 فاتيتم اليه فلم نجده
 فتعجبنا من ذلك وسالت
 عنه من الحجاج فلم يخبرني
 به احد ففرت انه مستتر
 عن عين الناس وما راه احد
 غيري فرجعت الى مكاني
 ولم افتر عن ذكره فلما جن
 الليل نمت فرايت في المنام
 وهو في ورك عظيم وعليه
 نور ساطع وعليه من
 الحلى والحال ما به جزع
 وصفه الواصفون قال
 ابراهيم فقلت له ائت
 صاحبي بالامس فقال نعم
 فقلت له والله لقد طابت
 لاسلامك وأكفنتك فلم
 أجده فقال يا ابراهيم ان
 الذي اخرجني وبجبه
 شوقي وعن أفعلى غربي
 هو الذي كفني وما
 اوجني قال ابراهيم
 فقلت له ما فعل الله بك بعد
 ذلك قال اوقفني بين يديه
 وقال ما بينك قلت انت
 نبى قال الله عز وجل

أنت عيسى حقا ولا
أحجب عنك كل ما تريد
فقلت سيدي أريد أن
تشفعني في القرن الذي
مات فيه فقال الله عز وجل
قد شفعتك فيه قال يا إبراهيم
م صافحي فاستيقظت
من منامي فرحا مسرورا
فلما أصبحت قضيت
ما كان علي من فرائض
الحج ولم يفرق قلبي عن ذكر
السلام وسرت في حلة
الحاج والناس يقولون
يا إبراهيم أزعجت الناس
منهم طيب ترائخك قال ولم
تزل رائحة الطيب تفرغ
من يد إبراهيم حتى مات
(وحكي عن إبراهيم
الخواص رحمه الله تعالى)
انه قال كنت سائرا في
طريق مكة على الوحدة
فلت عن الطريق فكتبت
أسمى يوسى ولبقي حتي
أدركني المساء فاعتمت
لذلك غملا شديدا لا أجل
الوضوء وقد المساء وكانت
ليلة معة فسمعت صوتا
ضميغا هو يقول لي يا أبا
اسحق قدوت منه
قازا هو شاب حسن
الشباب نظيف الانواب
فسامت عليه فرد على
السلام فوجدته مطرحا
على الأرض وليس فيه
حركة وعند رأسه راحين
مختلفة الألوان فمجيته من
ذلك وقتله ما الذي اني

يسقيها وجرة يريدان يستقيها في البئلة وملا الجرة ثم اراد ان يقضي حاجته وشد البئلة باذن الجرة فنفرت
البئلة وكسرت الجرة فضجكت من حق الرجل حيث توهم ان الجرة تحبس البئلة ومرت ايضا رجل
آخر وهو جالس عند مكاف يستعمل في اصلاح خيل له فسمعه يثرط عليه ان يصلحه بحيث يبق معه
اربعة سنين ونهي تزول ملك الموت اليه من قبله فضجكت من قلة عقله ورجله ومرت بهيوز تنكهن
وتثير الناس بالابشرون من امور الغناه وقد كنت غفيرة رجليا دفن في موضع فرأشها ذهبيا كثيرا في
الدهور الخالية فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهي لا تعلم مكانه ثم تعثر الناصر بالمرحاه
فضجكت منها ومرت رجل في بعض المدن وكان بهاء فيما قبل فاكل البصل فبرأ من داء فصار يطب
الناس وكان لا ياتي به احد يساله عن علة الامر به باكل البصل وانه لا اضربه حتى ان ضرره يصير الى
الدماع فضجكت منه ومرت في بعض الاسواق رأيت اليوم بهاء افضل الاوىة بكال كيلا ورأيت
العامل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضجكت ومرت بناس قد جلدوا ببشرون الى الله ويسانونه
الرحمة والمغفرة فل منهم قوم فقاموا ورجلا آخرون فجلسوا ورايت الرحمة قد نزلت عليهم واخطأت اثنين كانوا
من قبل وغشيت الذين جافوا فضجكت فمجي الانضاء والقدر لئلا يه سليمان هل علمت من كثرة تجاربك
وجولائك في البजार شيئا ينحى لي هذه الجوارح قليل و يسهل نحتها وانيها بلا هيوت قال نعم يا بئس
الله اعرف سميرا البيض كاللبن وقال له السماوان غير اني لا اعرف معدنه الذي هو فيه وليس في الطير
شيء احيل ولا اهدي من العقاب فالمر بفراخه ان تجمل في صندوق من تلك الجوارح فانه ياتي بذلك
الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى اولاده قال فان سليمان بفرخ العقاب أن تضم فيه
صندوق من حجر منها يوما ولية فحجب عن افراخه ثم مسرعوا جأ بالبحر بعد يوم ولية فثقب به
الصندوق حتى وصل الى افراخه فوجده سليمان مع العقاب فقرأ من الجن حتى انوه منه بقدر ما علم ان
فيه الكفاية واستعمل ذلك في ادوات الصناعات فعمل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجب به عمل في نقش
الخواص ونصب الجواهر الى اليوم وهو من عزيز قالوا فبني سليمان المسجد بالرخام الابيض والأصفر
والأخضر وعمد من الما الصافي وسقته بالاح الجواهر النفيسة وفصص سقفه وحيطانه باللاكن والياوقيت
وانواع الجواهر وبسط أرضه بالواح النير مزج قدر يمكن يوجد يومئذ في الأرض بيت ابي ولا نوز من
ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالنهار في ليلة البدر فلما فرغ منه جمع اليه استبار بني اسرائيل وأتبعه
بناء الله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا لم يتخذ في الأرض قط
اعظم عيد من ذلك اليوم ولأطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزر الف جزور ومن البقر خمسة وعشرين الفا
وملوفة ومن الغنم اربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس انه بني بيتا وطن
حائطه بالجص وصفله فكان اذا دخله البار استبان خياله في ذلك الحائط ايض واذا دخله الفاجر استبان
خياله في ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن التفتور والحيلة ونصب في زاوية من زوايا
المسجد عصا ابليس فكان من مساهن اولاد الايديام يضره منها شيء ومن مساهن من غيرهم احترق به فلما
فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربا نا على الصخرة ثم قال اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك
على وجهك خيانتك على أرضك راكمتني به من قبل ان اكون شيئا فلاك الحمد اللهم اني اسألك لمن دخل
هذا المسجد خصالا ان لا يدخله احد يصلي فيه ركعتين تخلصا فيهما الا يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولا
يدخله مذهب الا تمت عليه ولا خائف الا امنت ولا سقيم الا شفيت ولا مجذوب الا خضبت واغنته واذا
اجبت دعوتي واعطيني طلبة فاجمل علامته ان تقبل قرباني قال فزرت نار من السماء فسدت ما بين

بك الى هذه البرية وهي

مقبرة فقال يا ابا اسحق قد نلت وفاتي وقد سالت الله ان يحضر عدي ولينا من اوليائه فرديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وهما امنتظرك فقلت له يا اخي ما الذي حبسك ههنا فقال يا اخي كنت عند اهل في عزة وسرور فخر على السفر واشهدت البرية فخرجت من مدينة شمشاط اريد الحج فوقعت في هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت لك والدان فقال نعم ولى اخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم وخطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فاني احببت ان اشم منهم رائحة أو اجدد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وانوابهذه الياحين فيبكيت وبكوا معي وصرت متحيرة في امره متفكرا في حاله ووقع حب الشباب في قلبي وانجذب اليه سرى فينيما أنا كذلك اذا قبلت حبة عظيمة وفيهم باقة ترجس لم ارا حسن منها ولا اذكي من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولى الله تعالى فان الله تعالى

الخالقين ثم امتد منها عاق فاحتمل القربان وصعد الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غرا بمختصر بني اسرائيل فحرق بيت المقدس والقي فودا الحيف وكبه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والياجر والياض الى ارض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامر الله تعالى

باب في قصة بلقيس ملكة سبا والهدهد وما يتصل به

قال الله تعالى وتنفذ الطير فقل ما لي لا اري الهدهد ام كان من الثائمين الآية قلت العلماء باخبارا قديما ان بني الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فميجوز للسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وامر الرابح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم اقام به ماشاء الله ان يقيم وقرب القربان وقضى المناسك وبشر اهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت في زبورهم ثم احب ان يسري الى ارض الجن فخرج من مكة صاحبها وسار نحو اليمن ثم نجح سهيل فوافي صنهه وقت لزال وذلك مسيرة شهر فأري ارضا بيضاء حسنة تزهر وانحضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدي فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يري الماء من تحت الارض كما يري احدكم كاسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجي الشياطين فيسلخونه كما يسليخ الالهاب يستخرجون الماء قال سعيد بن جببر لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر اجمع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عني البصر وروى قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كن من فحل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لساجا قال وجئتكم من سبا بنبايدين انا وجدت امرأة تملككم الآية وذلك انه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر بعينا وشمالا فأري بيتان بلقيس في الى الخضره فوق قفها فاذا هو به هذان الجن فوط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير يعفور من اين اقبلت والى اين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان اصحابك سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فاتها لما كمن كاه وتحت يدها اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف مقاتل والزميل هو القائد بلغة اهل اليمن فهل انت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال فاني اخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد التماسي ان صاحبك ليس به ان تاتي به بغير هذه المسالك فانطلق معه حتى اتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك انه نزل على عريما فقال الاناس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فقال الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) في بعض الروايات عنه وقت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو التمر فقال له الهدهد فقال اصلح الله الملك ما بدرى اين هو وما ارسلته الى موضع فنبص عند ذلك سليمان وقال لا اعذبه عذابا شديدا ولا اذبحته واختلف العلماء في العذاب الشديدا ما عوذ فقال اكثر

فلحقني من ذلك حال
وصحت صبيحة عظيمة
وغشي على فلما أفقت
وجدت الشاب قد فارق
الديار رحمه الله تعالى عليه
فقلت انا الله وانا اليه
راجعون ما هذه الاحنة
عظيمة كيف أصنع في
تحجيزه قال فإرسل الله على
النوم فتمت ثم أفقت الا
بعد ليلة وقد طلعت على
الشمس فنظرت لموضع
الشاب فلم أجده أنرا
فذهبت من ذلك ومرت
حتى دخلت مكة فلما
قضيت حاجتي توجهت
الى باب الشاب فاستقباني
نساء عليهن مرقعات وفي
أوثانهم امرأة عليها مرقعة
وثوب من شعر وبيدها
ركوة وهي لا تفت عن ذكر
الله تعالى فتألمت لما رايت
أشبهه بالشاب منها فقالت
يا أبا إسحق اني في انتظارك
لتحدثني عن اخي وقرة
عيني ثم بكيت وارتفع
بكاؤها فبكيت معها ثم
وصفت لها الشاب وما
كان عنده من الراحين
فلما بلغت قوله احببت
ان أشم منهم رائحة أو
أجد دبرهم عهدا قالت
احتسه قد باغ الشم ثم
سقطت الى الارض
ميتة فاحتوشها أهلها
وقالوا جزاك الله خيرا

المفسرين كل عذابه ان ينتفربشه وذبته ويدعه موطأ ثم يلقيه في بيت النمل فتادغه وقال الضحاك
لا تفتنه ولا شذن رجله ولا شمسونه وقال مقاتل لا طليته بالقطران ولا شمسونه وقيل لا ودعنه القفص
وقيل لا فارق بينه وبين الفه وقيل لا مئمنه من خميت اوليا بني سلطان ميين اي حجة وأخوة (وروي)
عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان في الفراع حجة قل ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على الهدهد
الساعة فرجع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصبة بين يدي احدكم فنظر عينا
وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلان نحو ايمن فانقض العقاب نحو يده فلما رأى الهدهد ان العقاب يريد
بسوءه ناشده الله وقال بحق الذي قاله وأدرك على الارحمتي ولا تنمرض لي بسوءه قال فولى العقاب عنه وقال
له وياك نكلك امك ان نبي الله سليمان قد حان ان يذكرك او يذبحك ثم طار متوجهاً نحو سليمان فلما
اتى الى المعسكر تلقاه النسر والطير كله وقالوا الهين غبت في يومك هذا فلقد تودعك نبي الله سليمان واخبروه
بما قال فقال الهدهد وما استنني نبي الله قولوا لي انه قال اوليا بني سلطان ميين فطار الهدهد والعقاب
حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد اتيتك به يا بني الله فلما قرب الهدهد منه
رفع رأسه وارضى ذننه وجناحيه بجرحها على الارض تواضعوا سليمان فهدس سليمان يده الى رأسه فجذها
وقال اين كنت لا عذبتك عذابا شديدا فقال له الهدهد يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع
ذلك سليمان ارتعد وغفا عنه (اخبرني الحسين) بن محمد الغنوي باسناده عن عكرمة فقال انما صرف
سليمان عن ذبح الهدهد بره وبالدبه ثم سأله مالد الذي ابطاك عني قال الهدهد ما اخبر الله به احطت بعلم
نخط به اي علمت ما لم تعلم به وجئتكم من سبأ بنياً يقين اني وجدت امرأة تملككم واوتيت من كل شيء
واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذاهذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدر بن البشرخ بن
الحارث بن قيس بن ضمعا بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ابو بلقيس الذي يسمى البشرخ
ويلقب بالهذاهذ ملكا عظيماً الشأن وكان ملك ارض اليمن كما هو كان يقول الملوك الاطراف ليس احد منهم
كفؤا لي واني ان يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها بجانة بنت الشكر وكانت الانس اذ ذاك
ترى الجن وتخاطبهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصدق هذا ما أخبر به ابن ميمونة
باسناده عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان احداً بوى بلقيس جنيافاً واذ لمات ابو بلقيس
ولم يخلف ولداً غيرها طاعت في الملك وطلبت من قومها ان يبيعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا
عليها رجلاً فملكوه عليهم وافتروا فرفق بين كل فرقة منهم استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان هذا الرجل
الذي ملكوه اساء السيرة في اهل مملكته حتى كان يبعده الى حرم رعيته بغير حق من فاراد اصحابه خلمه فلم
يقدر واعليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها غيرة فارسلت اليه وعرضت نفسها عليه فاجابها الملك الى ذلك
وقال ما منعتني ان ابذل لك بالخطبة الا لئلا يس منك فقالت لا ارغب عندك فانك كفو كريم فاجمع رجالي وقومي
واخطبني منهم فجمعهم وخطبهم منهم فقالوا لانراها تفعل هذا فقال اتاهي التي ابداً اتني واني احب ان
تسمعوا قولها فتشهدوا عليها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني احببت الولد ولم احببه منذ كنت ارغب
عن هذا والاعاءة قد رضيت له فزوجوه اياه فلما زفت اليه خرجت في اناس كثيرين خدمها وحشمتها حتى
غصت منازلهم ووزروهم فلما جاءته سقمة التمر حتى سكر ثم حرت رأسه وانصرف من الليل الى منزلها
فلما اصبح الناس ورأوا الملك قتيلاً ورأسه منصوب على باب داره علموا ان تلك المنة كجدة كانت مكرها
وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها انت احق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والارماق قلته ولكن
رايت قد عم فساد فاختذتني الحمية ففعلت به ما فعلت فملكوه واسنبت امرها في المملكة وروي ابن ميمونة

يا أبا اسحق لقد ارحمتها

مما كانت فيقال ابراهيم
فلم يبق احد في مدينة
شمشاط حتي حضر
جنازتها فلما دفنت اقامت
عند قبرها الى الليل فلما
نمت رأيتها في روضه
خضراء والشاب بجانبها
وهما يقرآن هذه الآية
لئلا هذا فيا مل العالمون
(وحكى عن الشيخ ابي
بكر الشبلي رضى الله تعالى
عنه) انه قال مرت
بمجنون في بعض الايام
والصديقات يرحمونه
بالحجارة وقد ادوا وجهه
وشجوا رأسه فجزتهم
عنه وهم يقولون دعنا نقتله
قانه كافر فقلت ومال الذي
تبين اكمن كفره فقالوا
يزعم انه يرى ربه
ويخاطبه قل الشبلي
فتمتم عنه وتقدمت اليه
فوجدته يحدث نفسه
ويضحك ويقول اجعل
منك ان تسلط على هؤلاء
الصبيان حتى فقال مالذي
يقولون عنى فقلت له
يقولون انك ترى ربك
وتخاطبه قال فصاح صيحة
وغشى عليه فلما افاق
قال يا شبلي وحق من
يتمني بحبه يهيم به بقربه
لو احتجب عنى طرفة
عين لانتظمت من الم بين
قال الشبلي فعرفت انه من
الخواص أرباب

بأسناده عن الحسن بن علي عن ابي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يقلح
قوما ولوا امرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

(صفة القصر الذي بنته بلقيس)

قال الشعبي روي ان بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل
اسطوانة خمسون ذراعا فامرت بها فنصبته على تل قريب من مدينة صنعاء وجمعت بين كل اسطوانتين
عشرة اذرع ثم جمعت فيها حقا منظومة بانواح الرخام والحجم بمضها الى بعض الرصاص حتى صارت كأنها
لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مر بامان آجر وجص في كل زاوية من زاوية بقية من ذهب مشرفة في
الهواء وفيما بين ذلك بحال حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة وجمعت فيه اى في
باب ذلك القصر مما يلي المدينة رخام من الرخام الأبيض والاخضر والاحمر وفي جوانبه حجر لحجها ونوابها
وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم

(صفة عرشها)

كان مقدمه من ذهب مفضص بالواقيت الحجر والزمرذ الاخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر
وله اربع قوائم قائمة من ياقوت احمر وقائمة من ياقوت اخضر وقائمة من زمرد اخضر وقائمة من دراصفر
وصفائح السرب من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مفلق وكان طوله ثمانين ذراعا في
ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أى مما احتاج اليه في الملك من الآلة
والعدة ولها عرش عظيم أى سر يرضخ حسن وجنتها وقومها يسجدون للشمس من دور الله وذلك
انها قالت لوزنهما ما كان يعبدوا آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت واين هو قالوا هو في
السماء وعلمه في الارض قالت فكيف اعبدوه والانا اراه ولست اعرف شيئا اشد من نور الشمس فهي اولى
ما ينبغي لنا عبادته فبذبت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها
اذا طلمت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدد سليمان قال له سليمان سننظر اصدقت أم كنت من
الكاذبين ثم امر الهدد دهم على الماء فاحتفروا الركبا وهي الاكابر التي لم تتطو بطن كل وادفروا
الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس
ملكه سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ان لا تهتوا على واتتوني مسلمين
قال ابن جرير وغيره ولم سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئا وكان بلغ الناس في كتابه وراقله
ملاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكتبون جملا
فلما كتب الكتاب طربه بالسك وخته بخاتمه وقال للهدد اذهب بكتابي هذا فاقه اليهم ثم تول
عنهم وكان قريابهم قانظر ماذا يرجعون اى يردون من الجواب فاخذ الهدد الكتاب واتى به الى
بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعاء على ثلاثة ايام فوافها في قصرها وقد غلفت الابواب
وأخذت المفاتيح فوضعتهم تحت رأسها ومضت الى فراشها فانها الهدد وهي ثامنة مستلينة على ظهرها
فالني الكتاب على نحرها هذا قول قتادة قال مقاتل حمل الهدد بمنقاره وطار حتى وقف على رأس
المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فالتقى الكتاب في حجرها وقال وهب
ابن منبه كانت لها كوة يعني طرفة مستقيمة للشمس ثم الشمس فيها حين تطلع فاما نظرت اليها وجدت
لها فاجاه الهدد الى تلك الكوة ففسدها بجناحيه فانقعت الشمس ولم تلم فاستبطأت الشمس فقامت
تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم

ياسيدي فما تلاوة الحجة
فقال يشبني لوقت طرت منها
قطرة في البحار الصارت
سهيماً ولو رضعت منها
ذرة على الجبال لجارت
هيباء منثوراً فكيف
بقلوب كثيرها العرام قلما
وزفيرها وزادها الهيام حرفاً
وتهيئتها ثم جعل يقول
شمرها

كشفت الحبيب لمن دعاه
ستورا

وسمته كاساً فاعتدا غشورا
واعتاده حر اللبيب ولم يرد
الاحبيب فنال منه

حبورا
يا فوز من كان الحبيب
نديه

وغدا ليه من الجميع مشيراً
فاذراً بيت محبة في سكره
خلع المنار رأيت معذورا
من ذابلق الصبر عن
محبوبة
حاشا الحب يكون عنه
صورا

(وحكى عن ذى النون
المعمرى رضي الله تعالى
عنه) انه قال مررت يوماً
في بعض الاسواق فرأيت
جنازة محمولة على أربعة
رجاله وليس معها أحد
فقلت والله لا مضين
مع هؤلاء كون خاسمهم
لاننا الاجر فضيت معهم
لما اتوا الى الجنة فقالت
لهم يا قوم ابن ولى هذه

تبع ابن شرار حبل الحميرى فمارات الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت
ان الذى ارسل هذا الكتاب هو أعظم ما كانها وقالت ان ملكا يكون رسلة الطير ملك عظيم ففرأت
الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قدمت على سرير ملكها وجمعت الملائكة من قوما
وهم اثنا عشر ألف قيل تحت بكل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب
فذا حزبا أمر اسفرت عن وجهها فلما جأوا واخذوا بحلهم قالت لهم بلقيس انى الذى الى كتاب
كريم أي شريف اشرف صاحب وقال الضحك سمته كريماً لانه كان محتوما يدل عليه ما خبرني به
ابو حامد الزواق باستاده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل
سمته كريماً لانه محمداً باسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه ان سليمان واه باسم الله الرحمن
الرحيم أن لا تعلموا على واثنون مسلمين ثم قالت يا أيها الملائكة اتفوني في امرى وأتسروا على فيما عرض لي
ما كنت قاطعة امر احق تشهدون أي تحضرون فقالوا يا محبيها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند
الحرب والامر اليك فانظري ماذا تأمرين تنجدين لاسمك طامعين فقات لهم بلقيس حين عرضوا
انفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها واجعلوا اعراساً أهلها أدلة أي أهانوا اشرفها وكبرها
لكي يستقيم لهم الامر فنصدق الله قولها فقال وكذلك يقولون اشدنى ابوالفهم الجديدي في هذا المعنى
قال اشدنى انى في معنا

ان الملوك بلاء حيثما حسلوا * فلا يكن لك في كسافهم ظل
ماذا تأمل من قوم اذا غضبوا * جادوا عليك وان ارضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واسمعتوك كما يستغل الكل
فاستغن بالله عن ابوابهم كرماً * ان الوقوف على ابوابهم ذل

قال الله تعالى تخبرنا عنها واني مرسل اليهم بهدياً وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست
الملائكة قوماً وجربت الامر وسامته انى مرسل اليهم الى سليمان وقومه بهدية اصانعه عن ملكي
واختبرها املك أم نبي فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يابا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان
تجده على دينه ثم انها اهدت اليه وصفاً ووصاف قال ابن عباس البستهم لباساً واحداً حتى لا يكون
يعرف اندكر من الانثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجوارى والبست الجوارى لباس الغلمان
واحتلوا في عددهم فقال الكبي عشرة جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة
وقال مجاهد مائة غلام ومائة جارية وقال وهب خمسة غلام وخمسة جارية وارسلت اليه ايضا بصفايح
الذهب واختلوا في كفيتهما وعددها (اخبرني) ابن ميمونة أيضاً باستاده عن ثابت ابن ابي ذر في قوله
تعالى واني مرسل اليهم بهدية قال اهدت له صفايح الذهب في أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان
امر الجن فهو له الاجر بالذهب ثم امر به فالقى في الطريق في كل مكان فلما جأوا وأروا مملتي في الطريق
في كل مكان قالوا قد جئنا نخدم شيئاً نراه ههنا مملتي لا يلتفت اليه فصرخ في أعينهم ماجأوا به وقيل كانت
اربع لبنات من ذهب (وقال وهب) ابن ميمونة وغيره من أهل الكتب عدت بلقيس الى خمسةائة
جارية وخمسةائة غلام فلبست الجوارى لباس الغلمان الا قبيبة والمناطق والبست الغلمان لباس الجوارى
وجعلت في مساكنهم مساكنهم من ذهب وفي أعناقهم اطواقاً من ذهب وفي آذانهم اقراطاً وشذوقاً مرصعات
بانواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسةائة فرس والغلمان على خمسةائة برزون على كل فرس سرج
من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضاً خمسةائة لبنات من ذهب وخمسةائة

الجنارة حتى يصلي عليها
 فقالوا يا شيخ كنا في الاجر
 سواء ليس قينا احد يعرفه
 قالوا والنون فتمنيت من
 ذلك عجا شديدا ثم
 تقدمت وصليت عليه
 وانزلناه في ليله وموارياته
 بالاقرب فلما هموا
 بالانصراف قلت لهم
 ماشأنا هذا الميت
 اخبروني بحاله فقالوا لا نعلم
 غير ان امرأة اكرتتنا
 لتحملة وهي في حقة بنا
 فبينما نحن في الحديث
 اذا قبلت امرأة عليا عليها
 سيما الخير والصلاح وهي
 ياكية العين حزينة القلب
 فلما وقفت على القبر
 كشفت وجهها وانشرت
 شعرها ورففت يديها الى
 السماء وهي تتضرع وتبكي
 ساعة وتدعو ساعة ثم
 سقطت الى الارض
 مفشيا عليها ثم افاقت بعد
 ذلك وهي تتحرك تلك ذو
 النون فقلت لها اخبريني
 بخبر هذا الشاب المتوفي
 وكيف الضحك بعد البكاء
 فقالت من انت يرحمك الله
 فقلت لها والذنون فقالت
 والله لولائك من اعيان
 الصالحين ما خبرتك بخبره
 ثم قالت يا اخي ان هذا
 الشاب ودي وقرة عيني
 وكان تائها بشاه لا ساء
 ثيابا عجا به لم يترك عبثة
 الا اركبها ولا مصيبة

لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت والمزهر والياقوت والياقوت
 وعمدت الى حقة فيمارة ثمينة غير متقوية وجوزع خزانة متقوية فتمت ودعت رجلا
 من اشراف قومه فقال له المنذر بن عمرو وضعت اليك رجلا من قومي اصحاب رأى وعقل وكسبت
 منهم كتابا باحة الهدية وقالت في الكتاب ان كنت نبيا فيز بين الوصائف والوصفاء واخيرا اني الحققة
 قبل ان تفزعها وانقب الدرة ثوبا مستورا لا يدخل خيطا في الخرزة ثم امرت بلقيس التملان فقالت لهم اذا
 كلمكم سليمان فكلوه بكلام فيه ثأيت وتحنيت يشبه كلام النساء وامرت الجوارى ان يبكوه بكلام فيه
 غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت الرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب
 فاعلم انه ملك فلا تجبه له منظره فان اعزمته وان رايت رجلا يشبه الطيف فاعلم انه نبي مرسل فتنهم كلامه
 ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا ثم ارى الهدهد ذلك اقبل مسرعا الى سليمان واخبره بالحركة فامر
 سليمان الجن ان يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم امرهم ان يسلطوا لمن موضعه الذي
 هو فيه الى تسع فراسخ وهذا واحد المينات الذهب والفضة وان يجملوا حول المية ان حيطا ناه شرفة
 من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم اى الدواب احسن مسارا اتيتم في البر والبحر فقالوا يا نبي الله
 انا راينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها اجنحة واعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة
 نأودها فقال شدوها عن بين الميذان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة والقوا لها عاوية فيها
 ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فقامهم عن بين الميذان وعن يساره ثم قصد سليمان
 في مجلسه على سريره ويوضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلا عن يساره وامر الشياطين ان
 يصفوا صافوا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحوش والسباع والطيور فاصطفوا
 فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما اقبل القوم ودنوا من الميذان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا
 الدواب التي لم تر أعينهم مثلها انزوت على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بسمهم من
 الهدايا (وفي بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما امر بفرش الميذان بلبنات الذهب والفضة
 واحمرهم ان يتركوا في طر يقهم على قدر اللبنة التي معهم فلما رأته الرسل موضع اللبنة خالبا وكل
 الارض مفروشة خافوا ان يتهموهم بذلك فطرحوا امامهم في ذلك المكان قال فلما جاءوا الى الميذان
 ورأوا الشياطين نظروا الى المنظر عجيب ففزعوا منهم فقبل لهم جوزوا فلا خوف عليهم قال فكانوا يعرون
 على كردوس كردوس من الجن والانس والطيور والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه
 السلام فطر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طاق وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم عا جابه وابه
 واعطوه كتاب الملك فلما انظر اليه وقرأه قال لهم ابن الحققة قاتلها وحرركا فجابه جبريل عليه السلام
 فاخبره بما في الحققة فقال ان فيها درة ثمينة بلا ثقب وخرزة متقوية موهجة الثقب فقال له الرسول صدقت
 فانقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لي بثقبها فساءل الانس فلم يكن عندهم
 علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فانزل اليها
 فلما اتت اخذت شجرة في فيها ومرت في الخرزة حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمان
 سلى حاجتك قالت ان نصير رزقي في الشجر قائم لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخط فقلت
 دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة خيطا في فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب
 الاخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت ان نصير رزقي في القوا كد قال لك ذلك ثم انه من بين الجوارى
 والتمسان بان امرهم ان يسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الانية باحدى يديها ثم

مولاه بلعاصي والاثام
خصل له ألم عظيم منذ
ثلاثة ايام فلما كان في معاناة
الموت قال لي يا ام سلمة ما لك
بالله الامانة وصيتي
اذا انا مت فلا تلمسي بوتي
أحد فانهم لا يترجون على
اسوه فملى وكثرة ذنوبي
ثم بكى وانشد بولس شرا
لي ذنوب شغلني

عن صابى وصلاتي
ترك جسمي عاليا
مات من قبل وفاتي

ليتني ثبت لربى
من جميع اللسعات
أنا عبد لاهى

منضبط في الخلوات
يحت جها بذنوبى
وعيونى قائلات

قد تواتت سياى

وتلاشت حسناى

قالت ثم بكى بكاء شديدا

وقال آه مما فرطت فى

جنب الله آه على قلبى

ما أقساه ثم قال بالله عليك

يا أمه اذا أنا مت فضى

خدي على التراب وضى

قدمك على وجهى وقولى
هذا جزاء من عصى مولاه
وترك أمره واتبع هواه
فاذا دفنتى فقفى
على قبري وارفى يدك
الى السماء وقولى اللهم انى
رضيت عنه فارض عنه
فقلت ما امرنى به وجميع
ما وصانى عليه يا ذا النون

تجمله في اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام ياخذ من الاناء يديه ويضرب به وجهه وكانت
الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام
يحد للماء على ساعده حذرا فبز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أمدونى بال فأتانى الله خير
مما اناكم بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل المفارقة والمساكنة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك
وليست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكنتني منها واعطانى ما لم يعط احد من المالمين فيها ومع
ذلك فانه سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم قال لعنذر بن عمرو يراؤهم ارجع اليهم بالهدية
فلما تبينهم يجتود لا تقبل لهم بها ولخرجتهم منها اذلة وهم صاغرون ان لم يأتوني مسلمين قالوا فلما
رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها قالت والله ما هذا بلك وما لنا به من طاقة
فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بموك قومى حتى انظر مامرك وما تدعوا اليه من دينك ثم ان
بلقيس امرت بمرسها فجعلت في سبمة ايات بعضها داخل بعض في آخر قصر من تصورها ثم
اغلفت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انما قالت لمن خلفت على ساطعها احتفظ بمقابلك
وسر يرملكي فلا تخاص اليه احدا ولا يراه حتى آتيك ثم انها امرت مناو ياتى في اهل مملكته ليؤذنه
بالرحيل ثم شخصت الى سليمان في اثني عشر الف قبل من ملوك اليمن تحت يدك قبل مائه الف مقاتل قال
ابن عباس وكان سليمان عليه السلام مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما
فجلس على سر يرملكه فرأى رهيقا رجلا يمامته فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال او قد نزلت
منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فاقبل سليمان على
جنوده وقال ايكم ياتيني بعرشها قبيل ان يأتوني مسلمين أي طائفتين خاضعتين واختلف العلماء في
السبب الذى لا جله امر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم انها اذا أسلمت حرم عليه
ما لها فاراد ان ياخذ سر يرها قبل أن يحرم عليه أخذها باسلامها (وقال قتادة) لانه اعجبه بصفته لما
وصفه الهدى فاراد ان يراه قبل ان يراها وقيل ليربها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتى
بها في عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى آتاك بك به قبل ان تقوم من مقامك أى مجلسك
الذى تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى نصف النهار واختلفوا
في اسمه فقال وهب انه كودى وقال شميم انه كوزان واتى عليه افوى أى قوى على حمله أمين
على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أر يدأسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب
الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به
نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بني آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو
أصف بن برخيا بن شهميان ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واداسل به
أعطى (أخبرنا) ابن ميعونة باسناده عن ابن عباس قال ارأصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله
تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فد سليمان عينيه فظهر نحو اليمين فبث الله الملائكة فجعلوا
السرير من تحت الارض يحدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدي سليمان
واختلف العلماء في الدعاء الذى دعا به أصف بن برخيا عند الايتان بالرش (فروي) عن عائشة رضى
الله عنها وعن ابيها ان الاسم الاعظم الذى دعا به أصف بن برخيا يا حي يا قيوم وروي عن الزهري قال
دعا الذى عنده علم من الكتاب يا لهنا واه كشيء الها واحدا لاله الا انت انتى بعرشها وقال بجاهد
يا ذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميعونة باسناده عن زيد بن اسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

سمعت صوتا بلان
فصيح وهو يقول انصرفي
يا أمه قد قدمت على كريم
ووجدته راضيا عني غير
غضبان فلما سمعت ذلك
ضحكت واستبشرت
وهذا حديثي يا أخي قانطر
إلى كرم الله تعالى ولطفه
بعباده المذنبين والله تعالى
أعلم (وحكى عن مالك بن
داود رضي الله تعالى عنه)
أنه قال رأيت بالبصرة
قوما يحولون جارة تليس
معهما أحد يشيم الخنازة
فسألت عن ذلك فقيل
هذا رجل كان سن كبار
المذنبين والصادق المسرفين
قال مالك فمرت معهم
حتى صلبنا عليه وأزله
في لحده وانصرف عنه
من كان معه ثم ملت إلى
ظل عند قبره فمئت فراءت
ملكين قد نزلوا من السماء
فشفا قبره ونزل أحدهما
إليه وقال لصاحبه اكتبه
من أهل النار فإني جارية
سلمت من المعاصي
والأوزار فقال له صاحبه
يا أخي لا تعجل عليه
واخبر عني فقال قد
اختبرت ما فوجدتها
مملوءة تين بالنظر إلى محارم
الله تعالى قال فاختبر سمعه
فوال اختبرته فوجدته
مملوءا بسماع الفواحش
والمنكرات قال فاختبر

قال الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان في جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر
من ما كن الأرض وهل يعبد الله أولا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فإذا هو
بالعرش قد حل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد إليه طرفه * وبأسناده عن مجاهد قال
حدثنا سهل بن حرب قال زعم ابن أبي بردة أن اسم الذي عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة
اسمه مابجا وقال محمد بن المنكدر أنما هو سليمان آناه الله علما وفقها قال له عالم من بني إسرائيل
إنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فقال سليمان هات قالت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله
أوجه منك فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت فعمل ذلك فعجى بالعرش في الوقت فلما
رأى سليمان العرش مستقرا عند محمولا إليه من أرباب الشام في قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة
قال هذان فضل ربى ليولني أشكركم أم أكره ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ألم ينفع بذلك إلا
نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة
المفقودة ومن كفر فإن ربي غني عن شكره كريم الفضل عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه
السلام نسكروا لها عرشها أي زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فنظر أنهددي
إلى عرشها فتمرفه أم تسكون من الجاهدين الذين لا يهدون إليه أراد أن يختبر عقلها وأعمال سليمان
على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد بن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يزوجها
سليمان ويستولدها فنفضي إليه أسرار الجن فلا ينفكون من تخيير سليمان وذريته من بعده فارادوا
أن يزهوه فيها فاسأوا إثنائه عليها وقالوا له إن في عقلم أشيا وان رجلها كحافر حار فاراد سليمان
أن يختبر عقلها بتكسير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقى قيل لها اهكذي
عرشك قالت كأنه هو فشبته به وكانت قدر تكبرته خلف سبعة أبواب مغلقة والمفتاح معها
فلم تفر بذلك ولم تنكر فلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شهبوا عليها فشبهت عليهم
واجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقاتلهم فقال سليمان وأوتينا العلم بالتلاها
وحيثما طأمة من قبلها أي من قبل بحيثها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره
وقال بعضهم هو من قول بلقى أسارات عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم صحة
نبوة سليمان عليه السلام بلايات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي متقادين
للكمطين لا مرك من قبل أن يشاك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك
أن سليمان لما قبلت بلقى تريد امر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصر من زجاج كأنه الماء يابضا
واجروا من تحت الماء والتي فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير
والجن والانس وأما امر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله سليمان ما سخر
و بلقى سبأ يتكلمها فتد غلاما فلا تنفك من اليهودية والسجدة أبدا فارادوا أن يكرهوه فيها
فقالوا أن رجلها رجل حار وانها شمراء الساقين لأن امها كانت جنية فاراد سليمان أن يعلم حقيقة
ذلك وينظر قدميها وساقها فامر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) أنما بني الصرح ليختبر عقلها وفيها
يعاينها بذلك كما فعلت بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليعر بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقى
قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبت لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقها ليجرعه إلى سليمان
فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقا قدما لأنها كانت شمراء الساقين فلما رأى سليمان
ذلك صرف بصره عنها وناداه انصرفي عردين قوادير وليس ثاء فلما جلست قالت له يا سليمان إني

فوجدته ملأوا بالخرص
وارتكب الحرامات قال
فاخبر يديه فقال
اخبرتهما فوجدتهما
ملأوا بين بقاؤل الحرام
وما لا يحل من اللذات
والشهوات قال فاخبر
رجليه فقال اخبرتهما
فوجدتهما في سعي
النجات والامور
المذمومات فقال اخبر
أخي لا تميل عليه
ودعني انزل اليه فنزل
الملك الثاني اليه ومكث
عنده ساعة وقال يا اخي
قد اخبرت قلبه فوجدته
ملأوا بالامانة فاكتبه
سعيدا مرحوما ففضل
الله عظم ورحمته وسعت
كل شيء قال مالك فالتفت
من منامي متعجبا مما رأيت
فسهنت قائلا يقول هذا

السلام

لأرادهم بداعن طاعتي
حكوا بأني لا جود برحمتي
حلمي أجل ولن يضيق
على الوري
من ذابح سد أرامري
ومشيتي
قال مالك ما حصلت هذه
السعادة هذا الرجل الا
بعناية ساقفة وما تحصل
هذه الحكمة عاص فلا تفر
الانسان بهذا قاله اصون
كلهم في خطر المشبهة بل
الطامون لا يدرون بماذا

اريد أن أسألك عن شيء قال سبي قالت أسألك عن ماء ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا
جاءه شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والاسأل الجن فان علموا والاسأل الشياطين
فالس الشياطين عن ذلك فقالوا ما هو ذلك أوامر بالخيل ان تجري ثم املا الآية من عرقها فقال لها
سليمان عرق الخيل فالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوب سليمان عن سريره وخرساجدا
وصفق فقامت وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شاءك
قال يا جبريل ربني اعلم قال قالت قال فان الله يا ربك ان تعود الى سر ربك فترسل اليها والى من حضرها من
جنودك وجنودها ففسدوا وتسالمهم عما سالتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قل لها
عماذا سالتني قالت عن ماء ليس من أرضه ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سالتني أيضا قالت
ما التك عن شيء الا هذا فالت الجنود فقالوا مثل قولها واناسم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب
ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدى والهدية والرسول والعرش والصرح
فاجابت رقا قالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر واسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء في
امرها بعد الاسلام فقال اكثرهم لما سلمت بلقيس اراد سليمان ان يتزوجها فلما علم بذلك كره لما رأى
من شدة كثرة شعر ساقها وقال ما قبيح هذا فالت الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فالت المرأة
لملأني حديد قط ففكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فالت الجن فقالوا لا ندرى ثم سال
الشياطين ففكره عليه وقالوا لا ندرى فلما الخ عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتي يكون كالفضة
البيضاء فانخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها
سليمان عليه السلام (اخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال
أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى
قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وافرأها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة
حصون لميز الناس مثلهما ارتفاعا وحسن زواحي سليمان وعبدان وبنيون ثم ان سليمان كان يزورها
في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها وقيم عندها ثلاثة ايام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى
الشام (وروي) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان بلقيس لما سلمت وفرغ
من أمرها اختار رجلان قومك حتى أزوجهك اياه قالت ومثلي ينكح الرجال يا بني الله وقد كان لي في
هكبي وقومي من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرري
ما أحل الله لك قالت زوجني ان كان ولا بد من تبع الا كبير لك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن
وساظ زوجها فاتبع على اليمن ودعا سليمان زو به أمير جن اليمن فقال له اعمل لذي تبع ما تستملك فيه
قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتي مات سليمان عليه السلام قال
فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فلك تهماه حتى اذا كان في جوف ايمن
صرخ بأعلى صوته يا هشر الجن ان سليمان نبى الله فقامت فارفوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى
حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالسنديني خط الحير يتنحنح بيننا مسلحين وانبين وبيننا صرواح
ومرواح وفقون وهندة وهندة ودولم وهذه الحصون كانت باليمن يحملها الشياطين لذي تبع ولولا صراخ
بتها لمارفوا بديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام
والله اعلم

باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام بأزواجه الجراد وخبير الشيطان الذي

أخذ خاتمته من يد وسب ذوال ملكه

قال الله تعالى وإتينا على كرسيه جسدا ثم أناب ورؤي محمد بن إسحق عن بعض العلماء ان سليمان أخبر ان في جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة فحمله الريح على ظهرها حتى نزل عليها فمجنونوه من الجن والانس فقتل ما نكحوا وسي ما فيها فاصاب فيما اصاب بنما لذلك الملك يقال لها جرادة من يرميها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على يده في الظاهر على خفية منه وقلة ثمة فاحبها حباً شديدا لم يحبه احدا من انساؤه وكانت منزلته عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلته لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدع الذي لا يرقأ فبانت اني اذكر اني وادرك ملكه وملكه وملكه وما كان فيه فيجزاني ذلك فقال لها سليمان فدا بذلك الله ملكه واطعمه من ملكه وملكه وملكه هو اعظم من سلطانه وهذا الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك وليكني اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلواك امرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي انا فيها اراه بكرة وعشيرة لرجوت ان يذهب ذلك حزني ويسلمني عن بعض ما أجد في نفسي فامر سليمان الشياطين ان يمثلوا له صورة ابني في دارها حتى تنكروا منه شيئا فثلموه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزنته وقصصته ووعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها انعدوا اليه في ولاندها فتسجد له ويسجدون له معها كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح اليه كل عشية تقفل معه مشي ذلك وسلمان لا يعلم شيء من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أي ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غالباً فاه فقه الي اني الله كبرسي ووق عظمي وقد عمرى وقد حان الذهاب مني وقد احببت أن أقوم بمقام قبل الموت أذكر فيه من مضي من أنبياء الله تعالى وأنبي عليهم بهمى فهم وأعلم الناس بعض ما يحجبون من كثير من أمورهم فقال أقبل فسمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فاذكر من مضي من أنبياء الله تعالى وأنبي على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحبك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكر أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً فلهما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال ليا آصف ذكرت من مضي من أنبياء الله تعالى فأنتيت عليهم خيرا في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتني أنتيت على بخير في صغري وسكنت عما سوى ذلك من أمرى في كبرى فما الذي أحدث في آخر عمرى فقال له ان غير الله يعبد في دارك أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال بالله والله والله اني راجو ان لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شيء بلذك ثم ان سليمان رجع الى داره فسكر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة ولاندها ثم انه أمر بتياب الطهر فأتى بها وهي تياب لا يفرطها الا الابكار ولا تسمى امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماذق فشرى ثم أقبل نابا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وعك فيه ثيابا نذلل الله تعالى وضرعا اليه يبكي ويدعو يستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغي لآل داود ان يعبدوا غيرك وان يقرؤا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذا يومه حتى أمسى

يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والوفو والمغفرة بموئته ورحمته وغفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه من (وحكى عنه ايضا عفا الله تعالى عنه) انه قل الى بعض اصحابي عن سبب توفي فقلت له كنت منه كما على شرب الخمر فاشتريت جارية جميلة فاستولتها فولدت لي بنتا نفيسة ذات حسن وجمال فاحببتها وشفقت بها لما كبرت وترعرعت ألفتني وألفتها فكنت اذا وضعت آتية السكر تجاذبي عليه وتهرب يقه على الارض فلما بلغ عمرها ستين ماتت فاكفوني الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت ملأوا بالخمر فلما تمت رايت كراهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكان قد حشرت معهم فبينما انا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفي فالتفت نحوه فاذا بعمان كانه نخله قد حلق لي وفتح فاه ليلقني ففررت منه مسرعا فرعا مرعوبا واذا بشيخ نقي الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس في طريقي فسلمت عليه فسر على

السلام فقلت له اجزني
واغني من هذا العيان
فقال الشيخ اني ضعيف
وهذا اقوى مني ولكن
اسرع في الحرب فعمل الله
تعالى في بصرك من تبيخك
منه ففررت هارباً حتى
صعدت على شرف من
شرف القيمة واشرفت
على طبقات النيران والسمان
في طلبي فكنت انما انا عطف
في النار من فزعني منه فصاح
صائح من النار يا عزيز
ارجع امت من اهلما فاطمان
قلبي لذلك ورجعت الى
الشيخ فقلت له يا شيخ
استمعت بك واستعجرت
فيك فآيت ان تحيرني من
هذا العيان فلم لم
تحيروني قال فيكي وقال
يا مالك ما بلك اني ضعيف
سر الى هذا الجبل فان فيه
ودائع المسلمين عني ان
يكون لك فيها ودعة
تصورك بحجرك من عدوك
وهو اقوى مني قال مالك
فسرت الى الجبل فانما هو
جبل عظيم وفيه كوات
مخرمة وسور معلقة على
كل كوة ستر من الذهب
لا حمر مرصع بالياقوت
والدر واللؤلؤ والجواهر
واذا ملك ينادي ارفعوا
الستور واشرفوا عليكم
فلعل ان يكون لهذا
البأس فيكم ودعة تحيرو
من عده قال مالك فرفت

ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها امينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد
اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو مطهر لان خاتمه
كان من ياقوتة خضراء اناه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوم امن الايام عندها كما كان يضمه عند دخول
مذهبه فانما الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخر فظنته سليمان لانها لم تنسك
منه شيئا فقال يا امينة خاتمي فناولته اياه فحمله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فكيفت
عليه الطير والجن والاناس والشياطين فخرج سليمان فاني يا امينة وقد تدبر من حاله ونفسه
ما كان معهودا منه عند كل من رآه فقل يا امينة خاتمي فقالت ومن انت قال سليمان بن داود
فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فمر
أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل ينف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول
أما سليمان بن داود فيجتئون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأي
شيء يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فسكان ينقل
الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا لم يمس باع احدي
السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فكثرت كذا ذلك أربعين صباحا عدا ما كان ذلك الوثني بعيد
في داره فانكر أصف بن برخيا وعلماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين يوما فقال أصف
يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم فقالوا نعم فقال لهموني حتى ادخل على نسائه
فأسألن هن انكرن منه في خاصة أمره ما انكرناه من عامة أمر الناس وعلايته فدخل على نساءه فقال لهن
ويحك هل انكرن من أمر سليمان بن داود ما انكرنا فقلنا أشد ما يدعي امرأة منا في دمه لا ينقل من
جنبه فقال أصف ان الله نالها راجعون ان هذا هو البلاء المدين ثم اخرج الى بني اسرائيل فقال ما في الخاصة
أعظم مما في العامة فلما مضت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ثم رقي البحر فقتل الخاتم
فيه فابتنه سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان المشاء أعطاه
السمكتين وكان من جهنمهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فدخل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في
بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه
فجعله في يده ووقع ساجدا فكيفت عليه الطير والجن والاناس والشياطين وأقبل على الناس وعلم
ان الذي دخل عليه ما أحدث في داره من عبادة الوثني فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه
ثم أمر الشياطين وقال اثقوني بصخر المارد فظلمته الشياطين حتى أتته به فنحت له صخرة فادخله
فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمره فقتل في البحر فهذا حديث وهب
بن منبه ﴿وقال السدي﴾ في سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها
جرادة وهي أنر سائه وآمنه عنده وإن اذا أراد أن يأتي حاجته أودخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأت
عليه أحد من الناس غيرهما فاجاء به يوم امن الايام وقالت له ان أخى يبنو وبين فلان خصومه وأنا أحب
أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فاعلم بقوله فاعطاه اخاه ودخل الخد فخرج الشيطان في
صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فساها لهن
تطيه خاتمه فقالت له لم تأخذه قال لا فخرج من مكانه نائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما
فانسك الناس حكمه واجتمع قراء بني اسرائيل وعلماءهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فذكروا لهن

ما أنكروا فعلموا من فدا سحرنا همدافان كان سليمان قد ذهب عقله وأهأ حكمه فليس لنا نصير على ذلك وبكى النسوة عند ذلك قال فاجلبوا عيشون حتى أتوه وأدقوا به وأخذوا عجم السهم ثم أشرقوا التوراة ففرقوها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال اني سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فضر به بمصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام لصيادون صاحبهم الذي ضر به وقالوا له بشما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكة حتى ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فثقت بطنه واجبل به سلهما فوجد خاتمه في بطن احداهما فاخذها ولبسه فرد الله عليه ملكه وبعاه وجاءت الطير حتى حامت عليه تعرفه القوم فجاءوا بدتزر ون اليه ماضوا فقال ماؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن يأنوا بالشيطان الذي أخذ خاتمه فأتى به فجعله في صندوق من حديد ثم أطبقه وأقبل عليه بفعل وختمه بخاتمه ثم أمر به فأتى في البحر وهو فيه كذلك إلى الساعة (وفي بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنوب والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما فقرر إلى الله تأثيلا من ذنوبك وأنا أقوم مقامك وأسير علك واهل بيتك بسيرك إلى ان يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك فقرر سليمان هاربا إلى ربه واخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت رآه الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا نمارا هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فأقام آصف في ملك سليمان وعلمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائبا إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسية وأعاد الخاتم في يده فثبت (وقيل) سبب ذلك ما أخبرنا شيخنا محمد العجلي باسناده عن سعيد بن المسيب أن سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه أن يا سليمان احتجبت عن عبادي ثلاثة أيام فلم تنظر في أموري وهم لم تنصف مظلوما من ظلموا وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كمار وبناه وقال في آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك لاجن فقال ما كان الله تعالى ليلط على نسائه ولعمري بالله أن يسلط الشيطان على نسائه أنبيائه بالباشرة وكيف يمتد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول اصح الأقوال واليق بالبيان الله تعالى واقرب إلى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان انه امر أن لا يزوج امرأة إلا من في اسرائيل فزوج امرأة من غيرهم فغضب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فغضبها سليمان فقالت له ان كرهتني على الاسلام قتلت نفسي فخاف سليمان ان تقتل نفسها فزوجها مشركا فكانت تبعد صنما لها من ياقوتة اربعة صباحا في خفية من سليمان إلى ان اسلمت فموجب سليمان يزول ملكه اربعة عشر يوما (وقال الشعبي) في سبب زوال ذلك ولد سليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم ليهض ان عاش له ولد لم تنفك مما نحن فيه من البلاء والهجرة فلبينا ان نقتله ولده ونجلبه فلم سليمان ذلك فامر السحاب ان تأخذ ابنه وامر اربعة فجعلوه وغدا ابنه في السحاب فامن مضرة الشياطين فمات به الله لتخوفه من الشياطين وموت الولد فأتى على كرسية وهو الجسد الذي قصه الله علينا بقوله والقينا على كرسية

على بوجوه كالآثار فصاح بعضهم على بعض أشرقوا كلكم فندقوا قرب منه الثعالب وهو محتجب في امره قال ماك فاشرفوا كلهم على فنظرت فإذا بنتي فيهم فلما رأنتي بكنت وقالت هذا ابني والله ثم أشارت بيدها إلى الثعالب فولى هاربا وموت يدها إلى فتملكت بها فجنبتني وادخلتني مكاء هي فيه كل عنه الوصف تحدثت لله تعالى على ذلك فقرات ابنتي قوله تعالى إلى بارئ الذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال ماك فبكيت عند ذلك وقالت لها انتم تسمرون القرآن فقالت انهم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعالب الذي اراد ان يهلكني فقالت يا ولدي هذا عملك السوء فوبته على نفسك حتى كاد ان يلقى في النار فلو انك لم تكن من اهلهما لوقعت فيها فقلت لها من هذا الشيخ الضعيف الذي استفتيت به فلم يفتني فقالت هذا عملك الصالح اضعفته حتى لم يكن له قدرة على ان يدفع عنك شيئا فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقامون ههنا حتى تقوم الساعة ننظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال ماك فانتبهت من منامي فلما

بسم الله تعالى

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال اهل النار يخ لبث سليمان في ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه فعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محارب وتغلب وجفان كلجواب وقدر راسيات وغير ذلك ويذهب من الشياطين من يشاء بطلق من يشاء يأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الي حيث احب قال فزيا لهم ابليس وهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا ما لنا طاقة لما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فارغا لا تحملون شيئا قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابنت الربيع ذلك سليمان فامرهم ان يحملوا ذاهبين وراجهن فجاهم ابليس فقال كيف انتم فشكوا اليه واخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجهن فقال لهم ابليس انامون بالليل قالوا نعم قال فانتم في راحة قال فابنت الربيع ذلك سليمان فامرهم ان يعملوا بالليل والنهار فزيا لهم ابليس فشكوا اليه انهم يعملون بالليل والنهار وانهم دائبون في العمل فقال كيف انتم قالوا لا طاقة لنا فيها نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فله قالوا نعم قال فتوقفوا الفرج وقد بلغ الامر منتهى فلم يلبثوا الا قليلا وقد مات سليمان عليه السلام (قال ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام محتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر يدخل فيه بطامه وشرابه فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء امره في ذلك انه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له بيت المقدس شجرة فبدا لها سليمان ما سمك فتقول اشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لا شيء انت فتقول اسكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس عليها في مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها اسكذا وكذا فينبأها هو يصلي يوما واذ رأى شجرة فتابته بين يديه فقال لها ما سمك قالت الخرنوبه قال ولا شيء نبتك قلت خراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كاد الله تعالى ليخرجه وأأبى أنت التي على وجهك ملاكي وخراب بيت المقدس فترعه وأغرسها في حائط لم قال اللهم غم على الجن موتى حتى تلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون في غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فبات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم ذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال عبد الرحمن بن زيد قال سليمان الملك الموت اذا أمرت في فاعلمني قال فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك وقد بقي لك سبعة فدا الشياطين فبنوا الصرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه الملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفي رواية أخرى) ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لا صحابي الله تعالى آتاني من الملك ما ترون وامر على يوم في ملكي صاف من الكدر وقد احببت ان يكون لي يوم واحد يصفوني الي الليل ولا اغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصره له وأمر باغلاق ابوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيئا بسوءه ثم أخذ المصايد ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ما اليه انظر شاب احسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذن وقد منعت من دخوله اأمنعك البواب والحجاب أما ههنا حين دخلت قصرى بغير اذن فقال أنا الذي لا يحجبني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشاً وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان

الجن وتبث الى الله تعالى فكان هذا سبب توبيخه والحمد لله على ذلك والله اعلم (وحكى عن بعضهم رضي الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما انا في الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول يا كريم اطفئ القديم فان قاي على العهد مقيم قال فتطأ برقبتي لعمامع ذلك حتى اشرقت على الموت فقصدت نحو قداما هي امرأة فباتت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقالت لها اسالك بالله العظيم ما العهد القديم الذي قلبك عليه مقيم فقالت يا هذا لولا انك اقدس على الجبابرة ما اظلمت على الاسرار انظر الي هذا الصبي الذي بين يدي فتظلمت فاذا يصبي ينطق في يومه ووجهه كالعرف ففانت خرجت من بلدي وأنا حامله به لاحتج هذا البيت فركبت البحر في سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ربيع فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ اخذني الطافي فوضعت هذا الصبي

رجل ملاح من رجال
السفينة قد وصل الي
وحصل مني على ذلك اللوح
فقال والله ما زلت احوالك
واماني السفينة وقد حصلت
معك الآن شككتني من
نفسك والا ريتك في
البحر فقلت يا هذا ويا محك
اما كارك فيما رايت
تذكر عورة فقال لي قد
رايت ذلك مرارا عديدة
ونجوت وانا بالي ثم اح
على فخذت منه وقلت له
مهلا حتى ينال هذا الصبي
فاخذته من حجري ورمي
به في البحر فلما رايت
جراهته وما فعل بالصبي
طار قلبي وزاد كربي
فرفعت طرفي الى السماء
وقلت يا من يحول بين
المرء وقلبه حل بيني وبين
هذا الفاسق فرعزته
وجلاله ما فرغت من
السلام الا ودابة عظيمة
من دواب البحر خرجت
راسها واخطفتني من على
اللوح وغاصت به في الماء
فحمدت الله تعالى على
ذلك وصرت وحدي على
ذاك اللوح فزاد شوقي الى
ولدي وقرعة عيني وبكيت
على فقده بكاء شديدا
وانشدت شعرا

قرة الدين حبيبى ولدى
ضاع منى لثاني جدلى
ان يكن جسمي غرقا فله

فمن اذن لك في دخوله فقال له ربى قال فارتمد سليمان وعلم انه ملك الموت فقال له انت ملك الموت قال نعم
قال فيم جئت قال لا قبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم اردت ان بصفولى ولا اسمع فيه ما يمني فقال
يا سليمان انك اردت يوما بصفؤلك فيه عيثك حتى لا يذكرك فيه شئ من ذلك يوم لم يخافني الدنيا فارض
بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما امرت فقبض ملك الموت روحه وحوه وتسكى على عصاه قالوا وكان
الشياطين يجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه دائما كان وكان للحراب بابان بين يديه وباب خلفه فقال
بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه
فدخل ذلك البصم ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان في الخراب الا احترق فذلك الشيطان فلم يسمع صوته
ثم رجع فلم يسمع فوقه بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا اخرج فاخبر الناس ان سليمان قد
مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدا ومناساته وهي المصالبة الحبة قدأ كاتم الارضة فلم يعلموا
منذ كم مات فوضوا الارضة على المصافا كانت منها يوما ليلة ثم حسبوا على ذلك النحور فجدود قدمات
منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج
الى الناس اطول صلاته قبل ذلك (وفي رواية ابن مسعود) فحكوا وادبوا نوله بدموته حولا كاملا
فايقن الناس ان الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلواتهم علوا الغيب امامه واموت سليمان
ولم يلبثوا في العناء والاذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكسين الطعام
لا تبتلك باطيب الطعام ولو كنت تشر بين الماء لسقيتك اعدب الشراب ولسكننا ننقل اليك الماء
والطين شكرا لك فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما ناتي به الشياطين والشياطين تسكن
اليها فلذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته الآية
(قال اهل النار يخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها ثمانون سنة وذلك
انه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك
من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان
ملكه سبع عشرة سنة * ثم ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم
ملك بعده ابنه آفيا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعترى به عرق النساء فطعم فيه الملك لضمقه وافتوت
ملك بني اسرائيل فزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله
عليهم الملائكة فزمتهم فقصروا والبحر حتى اذار كوا جميعا بعث الله عليهم الريح والامواج فضربت سفنهم
بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى التقت انفالهم
وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل وفودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا لمن اشاء كربين
ثم نزل نفوزهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فبهلهم الله تعالى ان يظهر فيهم الظلم
والفساد وقتل فيهم المصافي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله
عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم مختصر

(مجالس في قصة مختصر وما يصل به وغيره شياه وارهياه ودنياه وعزير عليهم
وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام)

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجمنا جنهم للاكافرين حصيرا
(قصة شياه عليه السلام)

قال محمد بن اسحق وغيره من اهل السير والخبار كان كما انزل الله تعالى على موسى خير نبي امراييل

ظلمت اشكوا باحترق
الكبد

يا الهى قدرى ما حل بى
فأفرغ الصبر على يدي
فاجمع الشمل وكري راحا
فرجائى فيك اقوى
عددى

قالت ثم بقيت يومى الى
الليل وحيد فدر يد فلهسا
اصبح الله بالصباح اذانا
بقلع بلوح فى البحر فازات
الامواج تقذفه والرياح
تسوقه حتى وصل الى فاذا
هو بسفينة عظيمة
فاخذوني من على ذلك
اللوح ووضعوني بينهم
فنطرت فاذا بولدى هذا
بينهم فتراميت عليه وقلت
لهم يا قوم من اين لكم هذا
العصبي فقالوا بينما نحن
سائر ونأزجت السفينة
بناظرة فاذا بدابة كأنها
المدينة العظيمة وهذا الصبي
على ظهرها يصعب ايامه ثم
حدثهم بقصتي وشكرت
ربى على ما نالنى وعاهدته
ان لا أبرح عن بيته ولا
ولا الهو عن خدمته وما
سالته بمد ذلك شيا الا عطي
اياه قال فحدثت ربي اليها
بتقفة فلم تقبلها وقالت
اليك عني احذرك بافضاله
وكرمه ونواله واخذ الرشد
من يد غيره فلم اقدر عليها
ان تاخذ شيئا فتركتها
وانصرفت عنها رحما الله
وتفنتا بها والمسلمين آمين

من احداثهم ومما فعلون يده كما قال الله تعالى وقضيت الى بني اسرائيل في الكتاب لنفسدن في الارض
مرتين ولتعلن علوا كبيرا الي قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان
الله تعالى يتجاوز عنهم تطمعا عليهم واحسانا اليهم وكان اول منازل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الاوقات
كما اخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام ان ملكا منهم كان يدعي صدقة وكان الله تعالى اذا ملكا ملكا
من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشدو يكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من امورهم
ولا ينزل عليهم كتابا وانما يامرهم ان يامروهم باحكام التوراة والنهي عن المماصى والمنكرات والدعاء
الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن ارضاء وذلك قبل مبعث ركب
ويحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكايه الخراب فقال ابشر فانه ياتيكم ركب
الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم
عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل فزل هو وجنوده
في سائمة الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة
فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في سائمة الف راية
واقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هاهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال ياني
الله هل اذكرك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبدونا سنحاريب وجنوده
فقال النبي لم يات وحى فبيناهم كذلك اذ اوحى الله تعالى الي شعياء عليه السلام ان انت ملك بني اسرائيل
فامر ان يوصى بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من اهل بيته وعترته فاقى شعياء صدقة
فقال ان ربك قد اوحى الى اد امرك ان توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على مملكك من اهل
بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقه اقبل على الله تعالى وصلي ودعا وبكى وقال ودعائه
وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الالهة القدوس
المقدس يارحمن يارحيم ياروف يا من لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بنبى وفعل وحسن قضائى في
بني اسرائيل وذلك كله كان منك وانت أعلم به منى سرى وعلائقك لى ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه
وكان عبد صالحا فوحي الله تعالى الي شعياء وامره ان يخبر صدقة الملك ان ربك قد استجاب له ورحمه
وقبل منه وقد أخر اجله خمس عشرة سنة وانجاء الله من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده
فاقضى شعياء اليه واخبره بذلك الملك له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخرساجد الله تعالى وقال
يا الهى واله الاباى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتنزع الملك من
تشاء وتنزع من تشاء وتنزل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر والظاهر والباطن وأنت
ترحم وتستجيب دعوة المضطربين أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله
تعالى الي شعياء ان قل للملك صدقة ان يا امر عبد من عبيده فياتي به التين فيجعله على قرحته فيشفي ففعل
ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع ببدونا هذا فقال الله لشعياء قل له انى
كفيتك عدوك هذا وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من
كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة يام لك بني اسرائيل قد كفلك
الله عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الخمس سنحاريب فلم
يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فادركه الطلب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مفارة
أحدهم يختصر فجلوهم في الجوامع ثم أنابهم ملك بني اسرائيل فلما رأهم خرساجد الله تعالى من

رضى الله تعالى عنه انه قال
كان عندنا رجل ولهان
بسمى قضيب البان وكان
لا يقدر احدا من بكاه من
عظم هيبة وحرمة وكان
كثير البكاء فبعضتني به
المقادير في خلوة فقلت له
يا اخى ما الذي اشغلك به
عن سواه ما كان سبب
تولمك وانفرداك عن
الناس فنظر الى نظرة
منكرة ثم بكى واصفر
لونه وغشي عليه فلما
افاق آتته بالكلام
ولاطفته بالخطاب وسأله
عن ذلك وأقسمت عليه
بالله ان يحدثنى عن سبب
ذلك فحدثني وهو يبكي
فقال يا اخى كنت اخدم
شيخا وكان من الابدال
لخدمته اربعين سنة فكان
يحجتها في العبادة فلما كان
قبل موته بثلاثة ايام دعاني
وقال لي يا عبد الله عليك
حق ولاك على حق ومن
تمام حق عليك ان تصنى
لما اقول لك وتحفظ وصيتي
فقلت نعم يا سيدي حبا
وكرامة فقال يا ولدى قد
بقي من عمري ثلاثة ايام
واموت على غير دين
الاسلام فاذا نامت فضعني
في تابوت بتياني واحمل
التابوت في الليل الى ارض
كذا وكذا من ظاهر البلد
وامكث حتى اطلع الشمس

حين طامت الشمس الى المصريم قل يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا انك لم تقتل بحوله وقوته
ونحن واتم غافلون فقال له سنجاريب قد اتاني خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل ان اخرج من
بلادى فلم اطع مرشدا ولم بلغت في الشقوة الا الله عقل فلو سمعت وعقلت ما غررتكم ولما سكن الشقوة
غابت على وعلى من معى قال فقال صدق اخي الله رب العالمين الذي كفاناكم ما شاء ان يكم ببقك ومن معك
لكرامتك عليه واسكن انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذابا في الآخرة وتخبروا
من وراءكم بما رايت من فعل ربنا بكم وبين معكم ولدمك ومن معك اهون عند الله من دم قرادة لو
قلت * ثم ان ملك بني اسرائيل امر امير جيشه فقتل في رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما
حول بيت المقدس وابلياه وكان يقطعهم كل يوم رغيفين من شبر لسلك رجل منهم فقال سنجاريب
للك ملك بني اسرائيل القتل خير من قتل بنات فاهل ما اردت فامر بهم الملك الى سجن القتل فاروحى الله
الى شعبيه ان قل للملك برس سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وايكرهوا وليجملوا حتى يبلأوا
بلادهم فبلغ شعبيه انك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم حتى قدموا
بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس واخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسجراته يا ملك
قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبهم ووحى الله اليه فلم تطمنا وهي امة لا يستطيعها احدوكان
في امر سنجاريب ما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بذلك سبع سنين
ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنة وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضي بقضائه
فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بني اسرائيل صدقة فخرج امر بني اسرائيل وتنافسوا
في الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغي والفساد ونبهم شعبيه فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون
قوله فلما قولوا ذلك قال الله تعالى اسماء عليه السلام قم في قومك يوحى على اسمك فلما قام الى اطاق
الله اسانه بالوحى فقال يا اسماء اسمى وباراض انصتي فان الله اراد ان يقضى شان بني اسرائيل الذين رباهم
بنعمته واصطفاهم لفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عبادته واستقبلهم بالكرامة وهم كالنم الضائفة التي
لا راعى لها قوسى شاردها وجمع ضالها وجبر كبرها وادواى من بعضها واسم من هزل بها وحفظ سميتها فلما
فعل ذلك بطرت فتناطحت كما شأها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كبر فويل لهذه
الامة الخاطئة الذين لا يدرون اجاهم الخير ام الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحار يذكر الا ترى
الذى يشبع عليه فيراجمه وان الثور يذكر المرح الذي يرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين
جاءهم الخير ومن أولو الالباب والعقول ليسوا ببق ولا حيران في ضارب لهم مثلا لم يسمود قل لهم كيف ترون
في ارض كانت خرابا وما تافقيت خرابا وما تظول لا لا عمران فيها وكان لهاب حكيه قوي فاقبل عليها
بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأبنت عليها غراسا من
الزيتون والريمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذراى حفيظا قويا يميننا
فانتظرها فلما اطامت جاء طمها اخرنوا فقال يست الأرض هذه ترى أن يهدم جدرانها وقصرها وينقض ما
نهرا ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة موان لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار
ذمتي وان القصر شرى بتي وان الهرم كذاني وان القيم نبي والراس هم وان الخروب الذى اطلع النراس أعمالهم
الحبيشة وانى قضيت عليهم قضاء هم على أنفسهم وانه مثل سر به الله لهم فمرهم بتقربوا الى بذي البقر والغنم وليس
ينالني اللجم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالقوي والكف عن ذبح النفس التي حرمتها فايدهم بخضوبة
منها وبنانهم مزلة بدمائهم ويشيدون الى البيوت والمساجد ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم

ومهم تأبوت بضوئها إلى جانب تأبوت أخذ التابوت الذي يأتون به رعبه إلى الزاوية وأخرج الرجل الذي فيه وأفل معه ما كان يحب عليك أن تفعله معي فقلت له يا بدي كيف هذا الحال فقال يا ولدي كان ذلك في الكتاب مـطـوـراً هذا ما جرى في الألوح المحفوظ فله الأمر من قبل ومن بعد لا يسئ عرما يفعل وهم يمشون قال فلما كان بعد ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه وأسود وجهه واندار إلى الشرق وانكب على وجهه فبكيت على ذلك بكاء شديدا ولحنتي عليه من الحزن ملا يعلمه إلا الله تعالى ثم أتى تدكرت وصية الشيخ فوضعت في تابوت فلما جاء الليل خرجته به إلى المكان الذي قال لي عليه فكنيت به حتى طامت الشمس فأذا بجماعة قد أقبلوا ومفهم تابوت فوضوه إلى جانب تأبوت الشيخ فتقدم رجل وهما يحمل ذلك التابوت فتمته عنه وقلت له لا سبيل لأخذه حتى تخبرني بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يا أخى أنا خادم هذا البترك الذى في هذا التابوت أربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام

أحضرني وقال يا ولدي لي

عليك حق ولك على حق
ومن عام حمي عليك ان
تحفظ وصيتي تصني لما
اقول لك قلت نعم فقال
يا ولدي بقي من عمري
ثلاثة ايام واموت على دين
الاسلام فاذمات فضة في
تابوت بنياني ليلوا وخرج
الي المكان فلاني نجد
تابوتاه وضوا عنضم تابوتي
بحبته وخذا لتابوت الذي
هناك وارجع به الى
الكنيسة وهم ما كان يجب
عليك ان تفعله معي فافله
مع صاحب ذلك التابوت
فانه كان من الابدال فلما
كان بعد ثلاثة ايام تهل
وجهه البتة والفرح ونطق
بالشهادتين ومات مساماً
فقلت ما مرني به واتيت
الي ههنا وهذا حديثي
يا اخي قال فحملت ذلك
التابوت الذي جاؤا به
واخذوا تابوت الشيخ
ومضوا به فجنحت بذلك
التابوت الى الزاوية
واحضرت القسرة
وفتحت لهم التابوت فاذا
فيه شيخ عليه نور ساطع
فاخرجنه من التابوت
ونزعت ثيابه وغسلته انا
والقسرة وصلينا عليه
ودفناه في الزاوية وكان
يومامشهوداً فهذا حديثي
يا اخي ثم خرجت بدمدفته
هائماً على وجهي من

والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء طبعته والعفو والمروءة خلقته والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحداً مهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجحيم والوارع به بعد
الجملة واشهر به بعد النكرة واكثر به بعد العلة واغنى به بعد الفقر واجمع به بعد الفقرة وأثاب به قلوباً
مختلفة واهواء مشتهة والمامتفرة واجعل امته خيراً ما خرجت للناس يا مروءة بالمروءة بنهون عن المنكر
بأبائي وتوحيدى بصلون قياماً وقداور كواسجوداً ويقانولون في سبيل الله صفوا وزحوا وخرجون
من ديارهم واموالهم اجزاء رضوان الله عليهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد في مسيرهم
وجحسهم بمضاجعهم ومقالبهم ومثواهم بكبرون ويهللون وبقدسون على رؤوس الاشرف وبطهرون
لى الوجوه والاطراف وبمقدون الكياب في الانصاف قربانهم دمهم وقرآنهم في صدورهم رهبان اللاليل
ليوث بالهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ بينهم شيعاء من مقاتله عدوا عليه
لقتلوه فهرب منهم فلقيه شجرة فانفقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذهم بة من ثوبه واراهم اياها فوضعوها
للمشارق وسطها فنفثوها حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها والله أعلم

﴿ قصة ارياه عليه السلام ﴾

فاستخاف الله على بني اسرائيل بعد قتلهم شيعاء رجالاً منهم يقال له ناشئة بن اهووص وبعث الله اليهم
الخضر نبيا ليدبره وياتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر ارياه بن خلفيه وكان من سبط هرون بن
عمران وانما سمي الخضر لانه جلس على فرة يضاء فقام عنها وهي تزو خضره فقال الله تعالى
لارياه حين يمشي الى بني اسرائيل يا ارياه من قبل ان اخلك اخترتك ومن قبل ان اصورك في بطن
أمك قد سمتك ومن قبل ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تباع السني نياك ولا مر عظيم
اجتبتك فذكر قومك نعمي وعرفهم احدثهم وادعهم الى فقال ارياه اني ضييعاً لم تقوى عاجزاً لم
تنصرتي فقال الله تعالى اناهك فقام ارياه بينهم خطيباً ولم يدبر ما يقول فاهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة بهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم في اخرها ان الله قال فاني اخلصك بعزتي وجلالي
ان لم يتنوا الا يقضن لهم فتنة يتجر فيها الحاييم ولا سلطان عليهم جباراً فاسيا البسه الهية وانزع من قلبه الرحمة
يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارياه عليه السلام اني مهلك بني اسرائيل يافث
ويافث هم اهل بابل وهم من ولد ايف بن نوح فلما سمع ارياه كى وصاح وشق ثيابه وحنأ الرماد على رأسه
فلما سمع الله تضرع ارياه وبكاء ناداد يا ارميا أشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يارب اهلكني قبل ان
أرى في بني اسرائيل مالا سر به فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اهلك اعداءه في اسرائيل حتى يكون
الامر في ذلك من قبل ان يفرح ارياه بذلك وطابت نفسه وقال والذي بعث موسى بالحق لا ارضي بهلاك
بني اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يذنبنا ربنا فبذنوب كثيرة
وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدوا فيها الا معصية وعاديا في الشر وذلك
حين اقترب هلاكهم وقل الوحي ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم مختصر فخرج في ستمائة
ألف راية يريد اهل بيت المقدس فلما فصل مختصر سائر الى الملك انى الملك الخبير فقال الملك لارياه انت
زعمت ان الله اوحى اليك فقال ارياه ان الله لا يخلف اليماد وانا به واثق فلما قرب الاجل واراد الله
هلاكهم بعث الله الى ارياه ملكا قد تمت له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له يا بني الله اني
استفتيك في اهل رحى وصلت ارحامهم ولم ازل اليهم محسنا ولا يزيد اكرامى اياهم الا استخفوا فاني
فاتني فيهم فقال له احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث الا اياماً ثم

سبب توبيخه فقال الله تعالى حسن الخائفة ونعوذ به من مكروه وغضبه وعقابه

يا يخرج من خلى سبيل الهدى وفاته منك بلوغ المرام

فمن اتى حصنك آت به فركبه في عزه لا يضام

كم صالح قد صفا قدمه في الليل يبكي بالدموع

السيحام وماله حظ سوى انه

اشفاه مولا بطول القيام ومكفر يب خاب ظنا وما

نال سوى التمسذنب والانتقام

وكم بعيد نال ما يرجي وحاز في عقابه اعل مقام

من لم يكن للوصل اهلا فلا يفقه القرب ولا

الاعتصام فسطوة الاقدار لا تمدي

فانتبهوا من نومكم يا نيام يا ايها المذنب قم واعتذر

وتب من الذنب وكسب الانام

الى متى انت ترى غادا ورائحا في اللهو طول الدوام

انب الى الله وتب واستقم من قبل ان تشرب كأس

الحمام فان تخف قبح ذنوب مضت

فلذبح الخلق بدر التام مجد المختار من هاشم افضل من حج ولي وصام

أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقدم بين يديه فقال له ارميا هو او ما ظهرت اخلاقهم لك بعد قال يا بني الله والذي يملك بالحق نبيا ما علم كرامة ياتيه احد من الناس الى اهل رحمه الا قدمته اليهم وافضل قال ارميا عليه السلام ارجع الى اهلك فاحسن اليهم وسل الله الذي يصلح عباد الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فكشك اياما وقد نزل مختصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففرغ منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارميا يا بني الله اني ما وعدك الله به قال اني برئ لوائي نعم اقبل الملك على ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس بضحك ويستبشر بنصر به الذي وعده فقدم بين يديه وقال له اما الذي اتيتك في شأن اهلي مرتين فقال له ارميا عليه السلام الم بان لهم ان ينتهوا من الذي هم فيه فقال له يا بني الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم في عمل لا يرضي الله تعالى فقال ارميا عليه السلام على اي عمل رايتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فضيبت لذلك واتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي يملك بالحق نبيا الامادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال ارميا يملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم قال فما خرجت الكلمة من فم ارميا تماما حتى ارسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة ابواب من ابوابه فلما راي ذلك ارميا صاح وبكى وشق ثيابه وثار الرماح على راسه وقال يملك السموات والارض ابن معيادك الذي وعدتني فنودي انهم يصيبهم الذي اصابهم الا بفتياك ودعاك فاستيقن ارميا عليه السلام انها فتياه وان ذلك السائل كان رسول ربهم فدار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل مختصر وجنوده بيت المقدس ثم امر جنوده ان يعلل كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقفذوا فيه التراب حتى ملؤهم ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبائا بني اسرائيل وامرهم ان يجتمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبي فلما أراد ان يقسم الغنائم في جندته قالت له الملوك الذين كانوا معه اهل الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقبل ذلك فاصاب كل واحد منهم اربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنايا وعزرايا وميشايل وسبعة آلاف من اهل بيت داود واحد عشر اقام سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنياامين وثمانية آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب واربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب ومن بقى من بني اسرائيل جعلهم مختصر ثلاث فرق فثمة اقره بالشام وثمة اسبيهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل احدثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بمثاعليكم عبادنا اولي بأس شديد يعني مختصر وجنوده * وكان بدء أمر مختصر على مازوي حجاج بن جرجع بن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبيرة قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بمثاعليكم عبادنا اولي بأس شديد بكى وفاصت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب اني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فاري في المنام انه مسكين ببابل يقال له مختصر فانطلق بماله وعياله وكان رجلا موسرا فقيل له ان تر يدلك اريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكرها ليس فيها أحد غيره فحبل بدعوا المساكين وبطلف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا اعطاه فقال هل بقي مساكين غيركم قالوا نعم مسكين فيج آل فلان من بض يقال له مختصر فقال له امانه انظروا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال مختصر فقال له امانه احموه ففعله اليه ومرضه حتى برى

طلائع الصبح وولى الظلام
(وحكى عن منصور بن
عمار عفا الله عنه انه قال)
كان لي اخ في الله تعالى
يتفقدني في شدتي ورخاى
وكان كثير المباداة والتمجد
والبكاء فلما كن بمديام
فقدته فسالت عنه فقيل
لي انه ضيف فسرت الى
بيته وطرقت عليه الباب
فخرجت الى ابنته وقالت
ما تريد فقلت لها قولى
لايك فلان اخوك يريد
ان يدخل اليك فدخلت
وعادت لى وقالت ادخل
فدخلت ليه فوجدته في
وسط الدار وهو مضطجع
على الارض وقد تغيرت
صورته واسود وجهه
وازرق عيانه وتصلت
شفاه فقلت له واخاف
منه ياخي اكثر من قول
لااله الا الله ففتح عينيه
ونظر الى ثم غشى عليه فلما
افاق قلت له ياخي اكثر
من قول لااله الا الله فعمل
كيا فعمل اولاً فقلت لانا
اكتر من قول لااله الا الله
وان لم نقلها لا غسلك ولا
كفتك ولا صليت عليك
ولا دفنتك قال منصور
ففتح عينيه ونظالي وقال
ياخي يا منصور كلمة حيل
بنى وبينها فقلت لاحول
ولا قوة الا بالله اعلى المظم
ثم قلت ياخي فابن الصلاة

فكده واعطاه نفقة ثم اذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى مختصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكى
لانك فعلت معي ما فعلت ولا جد شيئاً اجازيك به فقال جزأى شىء يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكاً
وملكت بيت المقدس انى طيبت ما اطلبه فعمل يديه ويقول له انسى مزى وبى ولا ينعم ان يعطيه ماسأله
الا انه برى انه يستمزي به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما بينك ان تطيبي ماسألتك الا الله
تعالى يريد ان ينفذ قضاءه فكتب له كتاباً وضرب الدهر ضرباته فقال يوما يصحون وهو ملك
بابل لو انا ارسلنا طليعة الى الشام قاواماضرك لو علمت قال فمن ترون قالوا فلانا فيمث رجلاً واعطاه مائة
النت فخرج مختصر في مطبخه ثم يخرج الى كل في مطبخه فلما اقدم الى الشام رأى صاحب الطليعة
أكثر اهل الارض فرساناً ورجالا جلداً فبكى ذلك في عينه فلم يصل ولم يسأله عن شىء وكان مختصر
دخل الشام ولم يزل يجاس بجاس اهل الشام ويسأله ويقول لهم ما نتمكن ان نقتل بابل فلو غزوتموها
لناتم منها شيئاً كثيراً فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاقل حتى ننتقد بجاس اهل الشام ونعرف
سرايرهم ثم ان الطليعة رجوا فاجروا ملكهم بما رأوا وكان مختصر رجوع معهم فجعل يقول لفراس
الملك لودعاني الملك لاخبرته عن الخبر الذى اخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعا فاجره بالخبر وقال
ان فلانا لما رأى أكثر اهل الارض كرا عوارجالاً جلداً كبر ذلك في عينه ولم يسأله عن شىء وانى لم ادع
مجلساً بالشام الا جلست فيه اسأل اهل فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سيد بن جبر قال
صاحب الطليعة لى مختصر فضحتى لك مائة الف دينار وترجع عما قلت فقال له لو اعطيتني بيت مال
بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته فقال الملك لو بمشاجرة خيل الى الشام فاد وجدوا
مساغ ساغوا والا أمسكوا ماقدروا عليه فقالوا ماضرك لو علمت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل
الرجل الذى اخبرنى بما اخبرنى فدعا مختصر فيمته ثم انتخب معه اربعة آلاف من فرسانهم فاطلقوا
فجاسوا خلال الديار فسبوا مشاه الله تعالى ولم يخرجوا لم يبقوا لمات صيحوون الملك فقالوا استخلفوا وملكوا
قالوا على رسلكم حتى تأتى اصحابكم فانهم فرسانكم فاهم لواحتى جاء مختصر بالى ومعه مائة الف دينار
فقدوا رأينا احداً احدى المالك منه فهذه النصفه الاولى فلما كوه على انفسهم (وقال السدى) باسنا نراه رجلاً
من بني اسرائيل رأى في المنام ان خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن ارمه من اهل
بابل يدعى مختصر وكانوا يصدون قصصه رؤى بهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت امه وكان قد ذهب
يخطب فجاه وعلى راسه حزمة حطب فلقها هم قعد في جانب البيت وبكده ثم اعطاه ثلاثة دراهم وقال له
اشتر بها طعاماً وشرباً فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمر واهواه به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم
الثانى قعد به مثل ذلك واليوم الثالث قعد كذلك ثم قال له الاسرائيلي انى احب ان تكتب لى اماناً اذ انت
ملكيت يوماً من الدهر فقال مختصر انى لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تجعل عندي لك يدا
فكلمته أمه فقالت ما عليك ان كان والى لم ينقصك شيئاً فكتب له اماناً فقال رأيت ان جئتك والناس حولك
قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة تعرفني بها قال ترفع صحيفةك على قصبه قاعرفك بها فكتب له اماناً
واعطاه اياه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدنى بمجلسه ويستشير في امره
ولا يقطع امرادونه وان الملك هوى ان يتزوج بنت امراة له هذا قول السدى * وقيل كانت بنت اخيه
لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بنت عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام في انى
عشر من الخواريين يعلمون الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم انة
أخت تعجبه ويريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة يفضيها لها وذكر الحديث في مثل

والعبادة والصيام والبركة والدعاء فقال كل ذلك كان لغرض الله تعالى وإنما كنت أفضل ذلك رياء للناس وسدمة حتى يقال على واذا ذكر به وكنت إذا خلوت بنفسي اغلقت الابواب وارخيت المتور وشربت الخمر وبارزت مولاي بالمأصبي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابني مرض اشرفت منه على الموت فقلت لا بد مني هذه ناوليني المصحف فانت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفت المصحف وقالت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق ما في هذا المصحف من كلامك القديم أن تمافني وتفرج عني وأنا لا أعود الى مصيبتك ابدا قال ففرج الله عني وعافاني فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللاذات والانساني الشيطان ذلك الهد الذي بيني وبين مولاي فصرت على ذلك الحال مدة من الزمان فوفقت في مرض آخر اشرفت منه على الموت فامرت اهلي ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طابت المصحف وقرأت فيه

يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدي) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال ليست أرضاها لك فبلغ ذلك امها خفدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فهدت حين جلس الملك على شرايه قالبت ابنتها ثيابا حمرا قاقا فاخذت وطيبتهما وابستهما من الحلى شيئا لا قيمة له من غايته وابستهما فوق ذلك كساء اسود وارسلتهما الى الملك وامرتهما ان تسقيه الخمر وان تمرض له فان راودها عن نفسها ابت عليه حتى يطيبها ماسأته ويكون الذى تسأله ان تاتى برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتمرض له فلما اخذهن بدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتيني برأسه في طشت فقال ويحك سليماني غير هذا قال ما تريد غير هذا فلما أبت عليه بعثت الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تسكهم حتى وضعت بين يديه وهى تقول اسهل لى لك ولما اصبحت الملك وادام يحيى يلقى قمارا بالتراب فأتى عليه فرقى الدم فوق التراب يلقى فأتى عليه ايضا واربع الدم فوق فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يلقى فبلغ - بنجار يب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد ان يبيت لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فانه يختصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمنت كلاما لها فبعتى فبعت بختنصر حتى اذا امنوا ذلك المكان ورآهم اهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وحاج صاحبها راودا الرجوع فخرجت اليهم عيجوز من عجنائز بني اسرائيل وقالت أين أمير الحند فأتى بها اليه فقالت له بلغني انك تريد الرجوع فجنرك قبل ان تفتح هذه المدينة قال نعم فقال مقامى وجاع اصحابى فلمست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرايتك ان لذلك على فتح المدينة تطعني ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتكتب عن أمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك اربعة اقسام ثم اقم على كل زاوية ربما تم ارفضوا أيديكم الى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام ففهم اذا فعلوا ذلك نطق سور المدينة فقاموا ذلك فقسا قسط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن عليه سبعين ألقا حتى يسكن للمساكن الدم قالت له كف يدك فاد الله تعالى اذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأناه صاحب الصحبة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر ان تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته في تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خرب به بختنصر ذهب بوجوه بني اسرائيل وسرايهم (قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سجنار يب قد مات فلاك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فافزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فميجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع اصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد احسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدل على لاعيرها له فجاه السجن وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا يجد له فتاوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له الم الذى منكم من اليهودى فقال له انى ربأ تانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره أن ينزع مني العلم الذى آتاني ويهلكني

القرآن العظيم لا

ما عافيتني وفرجت عني
وانا لا اعود الى معصية
ابدا فاستجاب الله تعالى
مني وفرج عني فمدت
الي ما كنت فيه حتى
وقعت في هذا المرض
فامرت اهل ان

يخرجوني الى وسط
الدار كما ترى ثم طلبت
المصحف لاقرأ فيه
فلم يبتين لي فيه حرف
واحد ففرت ان الله
سبحانه وتعالى غضب على
غضبا شديدا فوفيت
بصري الى السماء وقلت
الهي بحمرة هذا المصحف
الما فرجت عني وعافيتني
وانا لا اعود يا جبار
السموات والارض
فبينما انا كذلك اذ سمعت
قاتلا يقول ولا اري
شخصه شعرا

تقوب من الذنوب اذا
مرضتا
وترجع للذنوب اذ برئتا
اذا ما اضر مسك أنت
باك * واخبرت ما يكون
اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بايتا
اما تخشى هجوم الموت
يا ذا * وانت على الخطايا
قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد
اطفا عليك ولا خشيت

فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد احدثت حيث وفيت بعهده واجلالت علمه ثم قال هل عندك
علم بهذه الرؤيا وهل لك في تفسيرها قال نعم قال فاذن لي فاخبره برؤياه التي راها قبل ان يجزى بها
ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما اخبرنا عبد الله بن حاتم باسناده عن وهب بن منبه يقول ان مختصر
راى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدور من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه
من فخر ثم راى حجارا من السماء قد وقع عليه فذوقه ثم ربا الحجر حتى ملا ما بين المشرق والمغرب
راى شجرة اصلها في الارض وفروعها في السماء ثم راى رجلا يده فاس وسبع مناديا ينادي
اضرب جزءا ليمتد الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك اصلها قائما
فغيرهاله دانيال عليه السلام فقال اما الضم الذي رايت رأسه من ذهب فانت الرأس الذهب وانت
افضل الملوك واما الصدر الذي رايت من فضة فهو ابك ملكك من بعدك واما البطن الذي رايت من نحاس
فلك يكون بعد ابك واما ما رايت من الفخذ الذي من حديد فتتفرق فرقان في فارس تكونان
اسد الملوك راها الفخار فاكرمهم يكون دون الحديد واما الحجر الذي رايت قد وقع من السماء
وربا حتى ملا ما بين المشرق والمغرب فبني بيته الله في آخر الزمان فيفترق ملكهم كلهم ويربو
ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب واما الشجرة التي رايت والطير الذي علم والسباع والذباب
التي تحتها وما أمر بقطعهما فيذهب ملكك ويردك الله طائر اسرا عظيما فعلمك الطيور ثم يردك
الله ثورا فعلمك الدواب ثم يردك الله اسدا فعلمك السباع والوحوش وتكون منذ مسحك الله على
ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وهو يقدر على الارض ومن عليها واما ما رايت من ان اصلها قائم فان ملكك قائم فسئل بن
منبه كان مؤمنا لم لا فقال وجدت اهل الكتاب قد اختلفوا في ذاك ففهم من قلماتهم ومناوهم
من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا
شديدا فلم يقبل منه يومئذ توجه قالوا فلما ابرئنا ليعتصر رؤياه واخبرها اكرمها واكرم اصحابها وجعل
يقبل عليه ويستشير في اموره حتى كان اكرم الناس عليه واحبهم اليه فحسده الجوس على ذلك فشوا به وباصحابه
وباصحابه الى مختصر فقالوا له ان دانيال واصحابه ما يمددون الهك ولا يا كماون ذيعتك فدعاهم وسعاهم
فقالوا أجل ان نار بانعده واستانا كل من ذيعتك فامر باخذود فخذلهم وألقوا فيه وهم سنة وأنى مهم
سبع ضاريا لهم ثم قال انطلقوا لنا كل وشرب فذهبوا فاكوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم
جلوسا والسبع مفترس ذراعيه بينهم ولم يجدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء ووجدوا معهم رجلا
زائدا فمدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان
ملكاً من الملائكة فلطم مختصر لطمه فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم
رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما ردا الله عليه ملكه كان دانيال واصحابه اكرم
الناس عليه فحسدهم الجوس ايضا وشوا بهم ثانية وقالوا ليعتصران دانيال اذا شرب الخمر لئلا
نفسه أن يقول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم مختصر طما وشرا با كما وشربوا منه ثم قال للواب
انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضرب به بالطين فان قال أنا مختصر فقل له كذبت ان مختصر أمرني
فحبس الله عن دانيال واصحابه البول فكان أول من قام من القوم يبول مختصر فقام مدلا وكان
ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه الباب شد عليه فقال له أنا مختصر فقال كذبت ان مختصر
أمرني أن أقتل كل من يخرج أولاً ثم ضربه فقتله (وأما) محمد بن اسحق فانه قال في هلاك مختصر

غير ما قال السدي وذلك أنه قال بإسناد له أراد الله هلاك بختنصر قال لم كان في يده من بني اسرائيل رأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلتم من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله آمالي ومسجد من مساجده وهؤلاء اهل كائوا من ذراري الانبياء فظلموا وتمدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فاخبروني ما الذي يطعني الى السماء وأطلع عليهم اقاتل من فيها . أخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتعمل أولاً فتلتصقن من آخركم فشكلوا الى الله تعالى وتضرعوا فميت الله تعالى عليه بقدرته ليردضعه وهو بموضه دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتي عضت بام وما غدا فما كان يقر ولا يسكر حتي بضرب عظام دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من اهلها اذا انامت فتتوارأسي وانظروا ما الذي قتلني فلما ماتت شقوا رأسه فوجدوا البيوضه عاضه بام دماغه ليري الله الابد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى في يده من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى ابيالهم والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتي كانوا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد أحرقت التوراة وليس معهم عهد من الله فجدد الله نورانهم وردوا اليهم على لسان عزير وستذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكانت عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسين عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطين وكانت آية بيت المقدس التي حملها بختنصر الى بابل عنده وكان يحجها بلحوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطين قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهد ثم غابت فمجب من ذلك ونحير ولم يدركها فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتاويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعدا فأنجز وجمع ففرق فقال ما قوله وزن فخف أى وزن عملك في الميزان فخف ووعدا فأنجز أى وعد ملكك بالحرب فأنجز اليوم وجمع ففرق أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الي يوم القيامة فلم يثبت الا قليلا حتي اهلكه الله تعالى وضمف ملكهم وبقى دانيال عليه السلام بارض بابل الى ان مات بالسوس والله اعلم ﴿خير وفاة دانيال عليه السلام﴾

قال اهل الاخبار لما فتح الله السوس على يداني موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل ابو موسي ملكها سابور واحتوى على المدينة فنعم ما فيها واخذ اموال سابور وملكها وجعل يدور في الغرائن فيأخذ ما فيها حتي افضي الى خزانه منقولة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال ابو موسي الاشعري لاهل السوس ما في هذه الخزانة فاني اراها مختمه بالرصاص فقالوا له يا امير ليس فيها شيء ومن حاجتك فقال لا بد لي ان اعلم ما فيها فافتحوا بابها حتي انظر ما فيها فانسكروا القفل وفتحو الباب فدخل ابو موسي الخزانة فنظر فاذا هو بمحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكتاف منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتمجب ابو موسي من طول ذلك من كان معه ثم انهم شربوا الله فاذا هو يزبد على شبر فقال ابو موسي لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان اهل العراق اذا حبس عنهم المطر استسقوا به فسقون فاصابنا من قحط المطر ما كانت يصيب اهل العراق فارسلنا اليهم وسالناهم ان يدفعوه الينا حتي نستسقي به فاقبلوا علينا ففرغنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناهم الى بلدنا هذام استسقيناه ففسقنا في أيتنا من الرأي ان لا نرده اليهم فلم يزل مقبعا عندنا الى ان ادركه الموت فمات فمذه قصته وحاله قال فاقام ابو موسي الاشعري بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره

نفضت عهدا وأنت لكل معروف نسبنا قال منصور ابن عمار فقامت من عنده وخرجت رعيته تسكب العبرات عليه فواصلت الى بيتي حتي قيل لي انه قد مات ففسأل الله تعالى حسن الخاتمة فسمك من نفس مكر بها عند الموت بمدان كانت صوامع قوامه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الله وانا اليه راجعون اللهم انا نموز بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله (وحكي عن منصور بن عمار ايضا رضي الله تعالى عنه انه قال) رايت شابا في بعض الايام يصلي صلاة الخائفين فقلت في نفسي هذا الشاب لعله من اولياء الله تعالى فوقت حتي فرغ من صلاته فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا شاب الم تعلم ان في جهنم واديا يقال له لظى نزاعة للشوى تدعون من ادبر وتولى وجمع قاعى فشق شبهة وخرم شياعليه فلما افاق قال زدني يا منصور برحك الله فقلت يا اباي الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون

الله ما ارمهم ويقبلون
ما يؤهرون قال ففخرنا
ميتارحة الله عليه فكشفت
عن ثيابه لا غسله فوجدت
على صدره مكتوبا بقلم
القدرة فهو في عيشة راضية
في جنة عالية وقطوفها دانية
قال منصور فسلته وكففته
وصلبت عليه ودفتته ثم
نمت فرايته في المنام على
سرير من ذهب وعلى
راسه تاج من ذهب مكل
باللآلئ وهو في زينة
عظيمة فقلت له ما فعل
الله بك فقال غفر لي
وأعطاني ثوابا مثل ثواب
أهل بدر وزادني على ذلك
أضاضة فقلت له لئلا يفتخر
لأنهم قتلوا سيف الكفار
وأنا قتلنا محبة العزيز
الفقار رضي الله تعالى عنه
وفتوا والمسلمين ببركاته
(وحكى عن بعضهم رضي
الله تعالى عنه قال) كان
في قديم الزمان رجلان
أحدهما عابد والآخر
فاسق وكانا أخوين شقيقين
فكان العابد يتمنى أن يري
أبليس إمامه الله في محرابه
فتمن له يوما من الأيام
وقال له يا فلان اسفقا عليك
ضربت عرك في آتواب
نفسك وهوار بمون سنة
وقد بقي من عرك مثل
ماء ضي فانزلني إلى شوبات
نفسك ولذا أنا عشر بن
سنة ونوب بمدلك وعدا لي

يا فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه امر ذلك الرجل الميت فلما وصل
الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا كابر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهم عن
ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم
وهوني غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان يمد منه الملوك وجعل علي بن أبي طالب
رضي الله عنه يحدث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قصة دانيال من اولها الى آخرها الى وقت
وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك وامره ان يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب
عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ ابو موسى كتاب عمر امر اهل السوس ان يكفوا امهرهم الى موضع آخر ثم
امر بدانيال فكفن با كمان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من
المسلمين ثم امر بقر فخفله في وسط النهر ثم دفنه واجري عليه التهر فيقال ان دانيال عليه السلام
في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله اعلم (قال الامام تاج) رضي الله تعالى عنه فهذا
الذي ذكرت جميع امر بختنصر الذي جاء في التفسير الا ان رواية من يروي ان بختنصر هو الذي
غزا بني امراثل عند قتلهم يحيى غلط عند اهل السير والاخبار والمعلماء بامور المسلمين من اهل
الكتاب والمسلمين وذلك انهم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني امراثل عند قتلهم نبيهم
شعيا وفي عهد ارميا عليه السلام وهي الواقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فانما جاء وعد اولاهما
بهنا عليكم عبادنا اولى باس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا
ومن عهد ارميا وتخرب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا اربعمائة واحد
وستون سنة وذلك انهم يمدون من لدن نحر يب بختنصر بيت المقدس الى اخر عمراته في عهد
ابن حرسون شير بن اصيل ببابل من قبل يهن اسفندبار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد
عمراته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكهم ووضعه الى ملكته ثمانية وثلاثون سنة
ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثمانية وثلاثون سنة وانما الصحيح
في ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو امراثل بيت المقدس بعدما عمرت الشام
وعاد اليها ملكهم بعد خراب بختنصر اياها وسبهم منها فجمعوا يمدون الاحداث بعد مهلاك عزير
عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فبقوا يكذبون وفرقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من
أنبياءهم زكريا ويحيى وعيسى عليه السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى
بسبب نهي الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين اظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم
السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام
فلما دخل عليهم امر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنور ازادان صاحب القتل فقال له اني قد خلقت
بالهم لن انا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لا تقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكرى الآن
لا أجد أحدا أقتله فامرهم أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنور ازادان دخل بيت المقدس فاقام في
البقعة التي كانوا يقر بون فيها قر بانهم فوجد فيها دما بلى فسالهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه
فلم يقبل منا فإذ لك هو يقبل كما نراه ولقد قربنا منذ ثمانية وستة سنة قربان فقبل منا الا هذا قال
ما صدقتموني الخبر فقالوا له لو كان أول دمانا لقبل منا ولكنك قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى
فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنور ازادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم
فأمر بسبعمائة ألف من بينهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنور ازادان الدم لا يهدأ
قال لهم ويلكم يا بني اسرائيل اصدقوني قبل ان انفيكم واصبروا على امر ربكم فلقد طالما ملكتم في

فان الله تعالى غفور رحيم
فقال العباد اني لانزل الى
أخي في أسفل الدار ورافقه
على الآله واللب
والشهوات واللبذات
عشر بن سنه ثم اتوت بعد
ذلك وأبجد الله تعالى
العشرين الاخرى ولم
يمرف ان ذلك مكيدة من
بليس لعنه الله تعالى وقال
خوه المرف على نفسه قد
انبت عمري في الماضي
اناخي بدخل الجنة وانا
أدخل الدار والله لا قوم
ولا صمدن الى اخي
واوافقه على الطاعة
والعبادة باقى عمرى لعل
الله تعالى ان ينفرلى قال
فطلع الماضي على نية التوبة
فنزله العابد على نية المصيبة
فراقت رجل العابد فوق
على اخيه فأت الاثنان
خضر العابد على نية المصيبة
وحشر الماضي على نية
التوبة فآظرا اخي كيف
ختم للطائع وكيف ختم
للاماضي كما قال عليه الصلاة
والسلام الاعمال بخواتيمها
وقان انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرء ما نوى
فمسأل الله تعالى حسن
الخلة ونسأله الامان من
زوال الابعاد آمين (وحكى
عن مالك بن دينار عفا
الله تعالى عنه ونفما به انه
ل) د خلت جنة البصرة

الارض تقع لون ماشتم اعدقوني قيسل ان لا اترك منكم فافخ نار لاني ولاذ كرا الاقتله فاما
راو الجد وشدة القتل اصدقوه الحمر وقاوا ان هذا دم نبي منا كان ينها عن امور كثيرة من سخط
الله فلواننا طمناه فيها لكن ارشدلنا وكان يخبرنا بامرهم فلم تصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال
بنورازادان ما كان اسمه قال يحيى بن زكريا قال الاس صدقتموني بمثل هذا انتم منكم ربكم فلما
راى بنورازادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا
من جنس كردوس وابقي من بقي من بني اسرائيل ثم قال يحيى بن زكريا قد علم ربي ورك ماصاب
قومك من اجلك وماقتل منهم من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا يبق احدان قومك فهذا
دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنورازادان عنهم القتل ثم قال امنت بالذى امنت به بنو اسرائيل
وصدقت به وايقتت انه لا رب غيره فوحى الله تعالى الى راس من رؤس بقية الانبياء ان بنورازادان
حنون صدوق وحنون بالبرانية حديث الاعيان ثم ان بنورازادان قال لبني اسرائيل ان عدوا الله
كردوس امرنى ان اقتل منكم حتى تسيل دموكم وسط عسكره واني است استطيع ان اعصيه فقالوا
له اقل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا ثم امر باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر
والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر وامر بنقل اللذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من
مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا ان ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره
اسل لي بنورازادان ان ارفع عنهم القتل فقد بلغتني دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد افني
بني اسرائيل اوكد ان يفتينهم وهي الوقعة الاخيرة التي انزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بني
اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الايات فكانت الواقعة الاولى ليختنصر وجنوده
ثم رد لهم الكرة وكانت لهم البداية والى يسه وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقع لهم
من بعد ذلك قائمة ولا راية واقتل عن الشام ونواحيها الى الروم وليونانية الى ان تناسل بنو اسرائيل
وكثروا وانتشروا بعد ذلك واحداثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيءوا الحدود فسلط الله عليهم
باطلوس بن اسنايوس فغزب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم
الدلة فليسوا في امة من الامم الا وعلهم الصغار والدلة والحزبة والملوك وغيرهم وبقى بيت المقدس خرابا
الى ايام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله اعلم
(باب في ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلقوا في ذلك المار من كان
قال الله تعالى وقالوا والى بيع بن انس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه
وعبد الله بن حيدوعبيد بن حمير هو ارميا بن خلفيا وكن من سبط هرون بن عمران وهو الخضر
واختلفوا ايضا في القرية التي مر عليها فقال عكرمة وهب ونبدة والى بيع هي بيت المقدس وقال
الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدى هي سلما باد وقال الكلبي هي دير ساير اباد وقيل هرقل
وقيل هي قرية العنب وهى على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق
ابن يسار عن وهب بن منبه ان مختنصر لوطي الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل
وسبهم طار ارميا حتى خالط الوحوش فلما ولى يختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سببا بني اسرائيل
اقبل ارميا على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشى ايليائه فلما وقف عليها وعابن خرابها قال
انى يحيى هذه الله بهد موتها ثم ربط ارميا حماره بمجل جدد وادأى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه
الروح ما في عام يمات حماره وعصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العميون فلم يره احد وذلك ضحكى ومع الله

فأذا سمعوا من المجنون جالس بها فقلت له كيف أنت وكيف حالك يا سمعون فقال كيف حال من أمسى واصبح ير يدسفرأ بعيدا بلا زاد ولا رحلة ولا همهم ويقدم على ذلك الحالم بين العباد ثم بكى فقلت له يا سمعون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعاً من الموت ولكن بكيت ليوم ضي من عمرى لم يحسن فيه عملى وابكأت والله قلة الزاد ومد المسافة والعقبة الكؤود ولم ادرب ذلك اصير الى الجنة ام الى النار قال مالك فسكت منه كلام حكمة فقلت له يا سمعون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وانت اغترت يا مالك بما اغترت به الناس يزعمون انى مجنون وما بين من ثرت ولكن حب مولاي قد خالط قلبي واحشائى وجرى بين لحي ودمى وعظامى واوا الله من حبه هائم مشغول قال مالك فقلت له يا سمعون فسلم لا تخالط الناس ولا تخاطبهم فانشد يقول خذ عن الناس جانباً وارض بالله صاحبا قلب الناس كيف شهت تجردهم عقارباً (قيل) وكان سمعون لمجانون رضى الله تعالى عنه

السماع والطير من لحمه فله اضئ من موته سمعون سنة ارسى الله له كالى ملك من ملوك فارس عظيم بقال له يوشك فقال له ان الله يأمر ان تنقر بيقومك وتعمد بيت المقدس وابلياها وارضها حتى يهودا اعمرها كانا فالتدب الملك الف قهرمان (١) مع كل قهرمان ثمانية الف عامل وجعلوا يعمرونها واهل الله تعالى يختصر بيومضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم جميعا احدياً بل وردهم تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير احياله الله عينيه وسائر جسده ميت ثم احيى جسده وهو ينظر ثم نظرا لى حماره فاذا عظامه متفرقة ينظر لوح وسمع صوتاً من السماء ايتها العظام البالية ان الله يارك ان تجتمعى فاجتمعن بعضهن الى بعض وانصل بعضهن ببعض ثم نادى ثانية ان الله يارك ان تنكسى لحما وداودا ووجدا فكان كذلك ثم نادى اى الله يارك ان تحيا فقام حماره ينفض باذن الله تعالى وعمره اربع مائة وهو الذى يوجد في القلوات (اخبرنى) ابن فتحويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كب ولا حمار الا كلب اهل السمكف وحماره مائة الذى امانه الله مائة عام ثم يمته * وقال الذين قالوا ان المارك عزير ان يختصر المارب بيت المقدس قتل اربعين الف رجل من قراء التوراد والماء بها وقتل فيهم اربعين يروجه وكدان عزير يومئذ غلام قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فاقدمه مع سباى بنى اسرائيل الى ارض ابيهم وهون ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من ابل ان تحمل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ من رجلة فطاف في القرية فلم ير فيها احداً ولا شجرة حاملا فاكل من القمح واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل القمح في سلة وفضل العنب في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيى هذه القبة بعد موتها لم يشك في البيت ولكن قالها تجيبهم بل حماره يحمل جديد وتام فاما الله مائة عام ثم يمته فانا جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوماً او بعض يوم وذل ان الله تعالى امانه ضجى وحياته آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال او بعض يوم فقال لجبريل عليه السلام بن لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني اثنين وشراى بنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك ان الله تعالى لم يمت حماره فاحياه الله تعالى راسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فانظر فرأى حماره قائماً كهينة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظرا الى الرسن في عنقه جديداً لم يتغير وهذا قول الضحك وقادة وتقدير الالية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف نشرها وقال آخرون اراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعل لك آية للناس أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحك هاته عادى قرية وأولادها وأولاد اولادها فوجدهم شيوخاً وعجائزاً وهو اسود الرأس والحية (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال اى احياله عزير اربع مائة سنة ركب حماره حتى انى تحاته فانكر الناس وانكر منازلهم فانطلق على وهم منه حتى انى عزله فاذا هو بجوز عظيم مقدمه قدانى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امه له فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة وكانت عرفتة وعقلته فلما اصابها السكبر صابها الزمانة فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة احداً يذكر عزير او قد نسيه الناس قال هاتى انا عزير قالت سمعنا الله فان عزير مراد فندناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذلك فأتى انا عزير كان الله قد امانى دائة سنة ثم شئى قالت فان عزير اركان رجلاً مستجاب الدعوة يدعو للملأى يصير صاحب البلاد بالامانة والشفاعة فيما فيه الله تعالى ويشفيه قادم (١) قوله مع كل قهرمان ثلثمائة الف الخ كذا بالاصل وهو مملا يمكن عادة كذا لا يخفى اه مصححه

قال يا جارية صاحب هذه الدار حرام عبد فقلت له الجارية يا بل حرام فقال لها صدقت لو كان عبدا لا يستعمل آداب اليهودية وترك اللحم واللحس ثم تركها ومضى قال بشرأت إلى الجارية واخبرني بذلك فذهبت إلى الباب وسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فقبضته حتى لحقته ثم قلت له أنت الذي وقعت بالباب فقال نعم فقلت له أعد على ما قبضته فاعاد على قال شرفرت خدي على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وحي حافيا حتى عرفت بالحافي فقيل لي لم لا تلبس زليين فبناك من الحر والبرد فقلت ما صالحي مولاي الاحفائي قال فكان كذلك حتى مات رحمه الله تعالى عليه ونفعنا به وبركانه ومدا من مدده (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه انه قال) كان بغداد رجل من التجار كنت اسمه يتم في حق السادة انصوفية كلام قبيح ثم رايته بعد ذلك بعدة يسيرة قد صبحهم وانفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الاخر تبصهم قل نعم كان قاضي مهمنا بذلك صليت الجمعة يومان الايام بسجد

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه) قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة بني العقل والعلم والعمل به والاصابة في الامور واختلفوا في اسمه فقال محمد بن اسحاق بن يسار هولاء بن باعور بن تاخور بن تارخ وهو آذر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب بن كزبان اخذت ايوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خلة ايوب وقال الواقدي كان قاضي بني اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال محمد بن احمد بن اسود عظيم الشقين مشفق القدمين وروى الازاعي عن عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من اجل انك اسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومجمع ومولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وامان الحكيم كان اسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الخشاشي لفظا باستناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (واخبرني) ابن فتحويه باستناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا وانفق ماله انه كان حكما ولم يكن نبيا الا عكرمه فانه كان يقول ان لما كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الخشاشي عنه باستناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التمسك حسن اليقين احب الله فاحبه الله في عليه بالحكمة وذلك انه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء بالامان هل لك ان يحملك الله خليفة في الارض يحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على قسمه واطاعة فاني اعلم انه ان قبل في اعاني وعصمني فقلت الملائكة لم يال لقمان قال لان الحاكم يمشي بالعدل والكرها يغشاه الظلم من كل مكان ان اصاب فارجو ان ينجا وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا دليلا خيرا من ان يكون شرا فيا من تحير الدنيا على الاخرة فتمت الدنيا ولا تبقي له الاخرة فتمت الملائكة من حسن منطق فنام نومة فاعطى الحكمة فاقبته فحكمهم ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها واشترط لقمان فوهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال لداود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء واعطى داود الخلافة واطلى بالبلية والفتنة

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن) *

قال الله تعالى ولما آتينا لقمان الحكمة واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك اظلم عظيم الآيات (اخبرنا) ابو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده قال فبشبهه مولاه مع رفقة له الى بستان له لياؤه شيء من ثمره فجاء اوليس معهم شيء وقد اكلوا الثمرة واحلوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله ميتا فاسفني واباهم مله جميعا ثم ارسلنا لتقذفه فعمل فجعلوا يثبون الفاكهة وجعل لقمان يتفايا ماء نقيا فوفر صدقه من كذبهم قال فاول ما روى من حكمته انه بينا هو مع مولاه اذ دخل الخرج فاطال فيه المجلس فناداه لقمان ان طول المجلس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتضمد الحرقا الى الرأس فاجلس هو بنا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فحاطر أقواما على ان يشرب ماء بحيرة فلما ذاق عرف ما وقع فيه فدعا له من ماء قال له لئن لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كريك وابارئك ثم اجتمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على اى شيء خاطرتوني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف يستطيع

ان نحبس موادها فقال لفمان وكيف يستطيع شرها ولها مواد (اخرنا) ان فيجويه باستانده
 عن خالد الرعي قال كان لفمان عبدا حبشيا نجرا فول له سيده اذبح لانشاة فذبح له شاة فقال اعطني
 اطيب مضغتين ثم قال له اذبح لانشاة فذبح شاة فقال اعطني باخيت مضغتين منها فيجاءه باللسان
 والقلب فقال له امرتك ان تأبني باطيميا مضغتين فأتبنتي باللسان والقلب وامرتك ان تأتيني
 باخيتا مضغتين فأتبنتي باللسان والقلب فقل له انه اميس باطيم منها اذا طابا ولا اخبت منها
 اذا خيئا (واخرنا) عبد الله بن حامد باستانده عن محمد بن عجلان قال قال لفمان الحسك لم يس مال
 كصحة ولا نعم كطيب نفس (واخرنا) عبد الله بن اسناد عن ابى هريرة قال مر رجل بلفمان والناس
 مجتمعون عليه فقال له الست اميد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ
 بك ما رى قال صدق الحديث واداه الامانة وترك ملاي بعيني (اخرني) الحسين بن محمد عن
 أبيه قال قال لفمان ضرب الوالد ولده كلاما لازرع وعن عبد الله بن دينار أن لفمان قدم من سفر
 فلفاه غلامه في الطريق فقال له ما فعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت امرى قال فما فعلت امرأتي
 قال ماتت قال جدد فراشى قال ما فعلت اخي قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل اخى قال مات
 قال انقطع ظهري (اخرنا) الحسين بن محمد باستانده عن شقيق قال قيل للفران أى الناس أشرف قال الذى
 لا يبالي أن يراه الناس سيئا وقيل للفران ما أوجب وجهك قال تيبه من داعي النفس أو على الناقش (وروى)
 الحارثي عن سفيان الثوري قال قال لفمان لا نبهان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرون فلكن سفتك
 فيها تقوى الله وليكن حشوها إيمانك بالله وشرعها الله كل على الله فاملك تنجو ما ظنك ناجيا يابى كيف
 لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم يتقصون يابى خذ من الدنيا بلغة ولا تدخان فيها دخولا فتضر
 فيها باخرتك ولا ترفضها فتسكون عيالا على الناس وصم صيما يقطع شهوتك ولا تصم صيما ينعك عن
 الصلاة فإن الصلاة عند الله أعظم من الصوم يابى لا تعلم العلم لنهاي به العلماء وعارى به الله فها او ترأى
 به في المجلس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجملة يابى اختر المجلس على عينك فإن رايت قوما يذكرون
 الله فاجلس اليهم فانك انك عالم بفتحك علمك ويز يدوك علماء وان تكن متاهلا يعلموك وامان الله ان
 يطالمهم برحمته فتعك معهم واذا رايت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس اليهم فانك ان تكن عالما لا يفهم علمك
 وان تكن جاهلا يز يدوك جهلاء فامر الله بطالمهم بالوقفة فتعك معهم يابى لا تضع رك الاعتراعيه كما
 ليس بين الكعبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والافراج خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل مداخل
 السوء ينهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك اسنانه يندم يابى كن عبدا للاختيار ولا تكن خليلا
 للاشرار يابى كن امينا تكن غنيا ولا تر الناس انك تحشى الله وقلك فاجر يابى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
 ولا تحادلهم فيمنعوك حديثهم والصفهم في الدوال اذ اتركوك ولا تهجرهم فملوك يابى لا تطلب من الامر
 مندبر او لا ترفض منه مقبلا فان ذلك بقل الرأى ويزى بالمثل يابى ان تادبت صغيرا اتفتت كبير يابى اذا
 سافرت فلا تأمن على ديارك فان ذلك سر يع في اذارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا ان تكون في محل
 يمكنك فيه التمدد واذ فرقت من المنزل فارتد عن ديارك وسرهم ابدأ بعاقبة اقبل نفسك واياك والسفر في اول
 الليل وعليك بالتمريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وحفك وعمامتك وكذاك
 وسفانك وارترك رخيوطك وغرزك وتزد من الادوية ما تنفع به انت ومن معك وكن لا صرحا بل موافقا
 موافيا الا في مصيبة الله يابى اياك والتمتع فانه بالنهار شهرة وبالليل ربة يابى لا تأمر الناس بالبروتى نفسك
 فيكون مثلك مثل السراج يضيء الناس ويحرق نفسه يابى لا تحقرن من الامور صفارها ان الصغار غدا
 تصير كبارا يابى اياك والسكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعد ذلك يذهب حياؤك

بلغ آدم خذ
 بشر الحافى
 خارجا من الم
 فقلت في نفسي انظر الى
 هذا الرجل الموصوف
 بالزهد والورع لم يستقر في
 المسجد ساعة فقيمته حتى
 دخل السوق ووقف على
 الخبز واشترى بدرهم
 خبز ثم تقدم الى الشوى
 فاشترى منه بدرهم ثم اشترى
 بدرهم حلواء فقلت في
 نفسي لا ابرح عنه حتى
 انظر ماذا يصنع بهذا يخرج
 الى الصحراء فقيمته وانا
 اقول ير يدله والخضرة
 في زال عشي وانا خلفه الى
 قرب المصر حتى دخل
 مسجدا اخر باقية مريض
 فيجاس عند راسه وصار
 يطعمه لفة بمدقة وانا
 انظر اليه فقلت لا انظر
 ذلك المسجد وما حوله
 ففبت ساعة ثم رجعت
 الى المسجد فلم اجد بشرا
 الحافى فسألت المريض
 وقلت له اين الذى كان
 يلصق فقال بشر الحافى فقلت
 نعم واين هو فقال توجه الى
 بغداد فقلت كم بينى وبين
 بغداد قال اربعون فرسخا
 يعني مسيرة خمس مراحل
 قال فقلت لا حول ولا قوة
 الا بالله العلى العظيم ماهذا
 الذى فعلت بقسمي وليس
 منى شي اكبر من ما اركبه
 ولم اقدر على المشى فانا

وهؤلاء وجاهك وتهان ولا يجمع منك اذا حدث ولا تصدق اذا قلت ولا خير في العيش اذا كان هكذا
يا بني اياك وسوء الخلق والخصم وفلة الصبر فلا تقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس
عليها بحسب وانهم نفسك التودد في امورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك
فان من حسن خلقه وظهر بشره وبسطه حظي عند الارباب وراحبه الاخيار وراحبه الفقاريان في اتعاق
نفسك بالعموم ولا تشغل قلبك بالا حزان وياك والطبع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك بصف عيشك
وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان اردت ان يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك عما في ايدي الناس فان ما بلغ
الانبياء والصدوقون ما بلغوا الا بقطع طمعهم عما في ايدي الناس يا بني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل يا بني اجعل مروقك في اهلك ولا تضع في غير اهله فخير له فخير في الدنيا وتحرم
نوابه في الآخرة وكن مقتصدًا ولا تكن مبذرًا ولا تملك المال تكثر ولا تعطيه تبذره يا بني الزم الحكمة
تكرم بها واعزها تز بها وسيد اخلاق الحكمة دين الله عز وجل يا بني للحساد ثلاث علامات ينتاب
صاحبه ان غاب ويملق اذا شهد و يشتم فيه بالمصيبة ثم خير فلان الحكيم وما وصي لابنه انهم والله اعلم

﴿ مجلس في قصة بلوقيا ﴾

(اخبرنا) ابو بكر محمد بن عبد الله الخزرجي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل
رجل يقال له اوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه
السلام وامته في التوراه فخباه وكنتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة ابيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد
سليمان فلما مات والده اوشيا بقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده ففش يوما خزان والده فوجد فيها تابوتا
من حديد مقلدا بفعل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه
صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه اوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم واهله بخومة المسك فتمسكها
وقرأ ما فيها علي بن اسرائيل ثم اياه قال الولي لا يا بني انت الله فيما كتبت وكنتمت من الحق عن بني اسرائيل
فرده الى اهله فقال بنوا اسرائيل يا بلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبتنا قبره واخرجناه منه واحرقناه
بالدار فقال يا قوم لا تضربوا تتبع حظنكم وخسر دينه وديناه فالحق وانتم النبي صلى الله عليه وسلم وامته بالتوراة
قال وكان اسم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ يبلاد مصر فقالت له وما تصنع
بالشام فقال اسأل عن محمد وامته فاعلم الله تعالى اني برزقي الدخول في دينه فاذننت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد
الشام فبينما هو يسير اذا انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بميات كأمثال الابل عظام وفي الطول
ماشاء الله وهن يقبلن لاله الا الله محمد رسول الله فلما راينه قلن له ايها الخلق الخلق من انت وما اسمك فقال
اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل
قال فقال لهم بلوقيا ايها الحياء من انتن فقلن نحن من حياة جهنم ونحن نندب الكفار فيها اليوم لقيامه قال
بلوقيا وما تصنعن ههنا وكيف تعرفن محمدًا فقلن ان جهنم تروى وتزفر في كل سنة مرتين فتفتن الى ههنا ثم تعود
اليها فشددة الحر من حرها في الصيف وشددة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم درك من دركاتها ولا باب
من ابوابها ولا سرداق من سرداقها الا وقد كتب الله عليه لاله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجل ذلك عرفنا محمدًا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا ايها الحياء هل في جهنم مثلكن اوا كبرن فقلن ان
في جهنم حيات تدخل احدنا في انفس احداهن وتخرج من فيها ولا تشع ههنا مظلمها قال فلم بلوقيا عليهن
ومضى حتى اتي جزيرة اخرى فاذا هو بميات كأمثال الجذوع والواردى وعلى متن احداهن حبة صغيرة
صفراء كما مشيت اجتمعت الحياة حولها فاذا نفخت صر نحت الارض خوفا منها قال فلما رايتها ورأتها قالت
ايها الخلق الخلق من أنت وما اسمك قلت اسمي بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرني

الجزء ١٠ من تاريخ ابن كثير في
قال سجد الى الجملة الاخرى
حتى جاء يوم الجمعة ومعه
شيء يؤكله للمريض فلما
فرغ من اطعامه قال له
المريض يا ابن نصر هذا
الرجل صعبك من بئداد
في الجمعة الماضية وهو مقيم
عندي قال فظن الى بشر
كالمغضب وقال لم صحبتني
فقلت اخطأت يا سيدي
واسئلتك فترث الله العظيم عما
كان مني فقال بشر الخافي
قم فامش فشببت معه الى
قرب المغرب فدخل
بئداد قال ابن محلك من
بئداد فقلت في الحسل
الفلائي فقال اذهب ولا
تعد مثل هذا فشببت الى الله
تعالى وصحبته رضى الله
تعالى عنه ونقمنا به في
الدار بين آمين وحكي عن
بعضهم رضى الله تعالى عنه
انه قال دخلت الخلوة في
ايام جز بني وعاهدت بني
عز وجل ان لا اكل شيئا الا
بمدار بين يوما فمكثت
في الخلوة عشر بن يوما
فاشدد على الجوع والفاقة
والضرورة فخرجت من
الخلوة فسرت ولم اشر
بنفسى الا وانا في السوق
فبينما انا كذلك اذا بفقر
يتبعني على الله رطل خبز
ورطل شواء ورطل حلواء
فتعجبت من ذلك وهو يمر
على ولا يكلمني فقلت في

نفسى ان هذا
الرجل الثقیل کیف يتنى
هذه الشهوات العزیزة
واما طلب کسرة یا بسة لم
تحصل لی قال فلما کان بعد
ساعة حصل له ما تمناه
فجاءنی بذلك واعطانیة
وقال یا فلان اقدری من هو
الثقیل الثقیل الذی یخرج
من الخلو لاجل الشهوات
وینقض العهد یطلب من
الطبیبات والنفاثس ما یرد
علیه القوة ثم قال ان الذی
یطوی الاربعین یوما
یطویها بالتدریج ثم قال
لا تملأ لملأه ابدان ترکبی
ومضی فلم اره رضی الله
تعالی عنه وفتناهم اجمیع
وجمع المذنبین آمین
(وحکی عن الشیخ
المسمى بجوهـر الشکور
المدفون بعدن رضی الله
تعالی عنه) أنه کان ملوکا
ففتی فكان ینبع ویشتری
فی الاسواق الا انه کان
یحضر مجلس الفقراء
ويعتقدهم اعتقادا شديدا
وکان رجلا امینا فلما
حضرت وفاة الشیخ
المعارف بالله تعالی شیخ
الطریقة بعدن المدفون
بها اجتمعت علیه الفقراء
وقالوا یا سیدی من یکون
شیخا یدک فقال الذی
یقع علی راسه الطائر
الاخضر فی الیوم الثالث
بعد موتی عند اجتماع

اینها الحیة من انت قالت انا وکلة بالحیة واسمى تمایخا ولولای موكلة بهم انتلت بنی آدم کلم فی یوم واحد
ولکنی اذا صفرت صفرة واحدة وسمن صونی دخلن تحت الارض واکن یا بلوقیا ان لیت محمد صلی الله
علیه وسلم فاقتره منی السلام ثم مضی بلوقیا الی بلاد الشام فاتی بیت المقدس وکان بها احبر من احبارهم یسمى
عفان الخیر قاتله فلم علیه فقال له یا بلوقیا لیس هذا زمان امت ینک وینت قرون وسنون ثم قال
عفان الخیر یا بلوقیا انی فی موضع الحیة التی اسمها علم الخفان قدرت ان اصیدها رجوت ان ازال معک ملکاً فاجابها
ونحیا حیة طیبة الی ان یمت الله تعالی محمد صلی الله علیه وسلم فندخل فی دیننا فمن حرص بلوقیا علی الدخول
فی دین محمد صلی الله علیه وسلم قال انا انار یدک المکان فقام عفان واخذتا یوما من حدید ودع ل فیہ قد حین من
فضة فی احدهما حجر وفی الآخرین ثم سارا جمیعاً حتی انتهیا الی وضع الحیة ففتح باب التابوت وتنجیا
فجاءت الحیة تبغی الراحة فدخلت التابوت فشربت الایمن النحر فسکرت ونامت فقام عفان ودب الی
التابوت ونبأ خفیة فاغلق عابها باب التابوت وحصنه وأخذها وارجعها فلم یرا بشجرة ولا نبت الا کلهما
بأذن الله تعالی فرأى بشجرة یقال لها القرم فقامت باعفان من یاخذنی ویقطعنی یدقنی ویصر منی ودهنی
ویطلی به قدمیه فانه یخوض البحر السبعة فلا یتدل قدمه ولا یفرق فقال عفان ایاک له طلبت ثم انه قطع لک
الشجرة فذبحا وعصرهما واهو أخرجهما وجمعه فی کوز ثم خلی عن الحیة فطارت بن السماء والارض
وهی تقول یا بنی آدم ما أجرأ بکم ولن تصلوا الی ما یردون ذل فذهبت الحیة وسار عفان وبلوقیا
الی البحر فطیبا اقدامهما ثم دخلا فی الیم ومشیاً فی الماء کما کانا عشیان علی الارض حتی قطعا البحر الاول
ثم اتانیا فاذا بهما یجبل فی وسط البحر لیس بمال ولا متدار ترابه کالمسک علیه غمام أبيض فیه کف وفی
الکف سر برهن ذهب وعلی السر شراب مستنق علی قفاه ذو وفرة واضع یدیه الیمن علی صدره والشمال
علی بطنه کانتما ویلیس بناناً وهو میت وعلی رأسه تین وخامه بالشمال وکان هدا سلیمان بن داود علیه السلام
وکان ملکه فی خاتمه وکان خاتمه من ذهب وفصه من یاقوت أحمر مرع مکتوب علیه أربعة أطر فی کل
سطر اسم الله الاعظم وکان عند عفان علم من الکتاب فقال بلوقیا من هذا المیت باعفان فقال هذا سلیمان بن
داود یرید أن ناخذ خاتمه وملك ملکاً نرجو الحیة الی أن یمت الله محمد صلی الله علیه وسلم فقال بلوقیا
ألیس قد سأل رب هب لی ملکاً لا یتبنی لاحد من یدی فاعطاه اياه علی ماسال ولا ینال ملک
سلیمان الی یوم القیامة لدعائه فقال عفان یا بلوقیا اسکت ان الله معنا ومعنا اسم الله الاعظم ولکن أنت یا بلوقیا
اقرأ التوراة فتقدم عفان لیتزع الخاتم من ید سلیمان من أصعبه فقال التین ما أجراک علی ربک ان غلتما
باسم الله تعالی فحن نقابک بقدره الله تعالی قال وکما ففخ التین ذکر بلوقیا اسم الله تعالی فلم تعمل نفخت
التین فیهما شیئاً ودنا عفان من المربر لیتزع الخاتم من أصبعه فاشتغل بلوقیا بالظر الی نزول جبریل علیه
السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صیحه راجحت الارض والجبال ونزلت منها فاختلطت یماهما البحار
وهاجت والتطمت حتی صار کل عذب مالها من شدة صیحته وسقط عفان علی وجهه وسقط بلوقیا علی
وجهه ونفخ التین فخرج من بطنه شملة کانتها البرق الخاطف واحرق عفان وعادت نفخته فی البحر فامرت
النفخة بشیء الا احرقته ولا بماء الاسخنة وأغلته وأن بلوقیا لمسأرا العذاب ذکر اسم الله الاعظم فلم ینله
مکروه ثم تراه جبریل علیه السلام فی صورة رجل فقال له یا بن آدم ما أجرأک علی الله فقال له بلوقیا من
أنت برحمت الله فقال له أنا جبریل آمین رب العالمین فقال بلوقیا یا جبریل انما خرجت حباً ل محمد صلی الله علیه
وسلم ویدنه ولم أقصد الخطأ ولم أتمدد قال فبذلک نخوت ثم صعد جبریل علیه السلام الی السماء ومضی
بلوقیا فطی قدمیه بذلك الدهن فضل الطریق الذی جاء منه وأخذ فی طریق أخرى فـارو مضی ستة
أجرو وقع فی السامع فاذا هو بحزيرة من ذهب حشیشها الورس والزعفران وأشجارها الزیتون والنخل

الناس والفقراء عند قري
فيكون هو الشيخ عليكم
ثم توفي الشيخ إلى رحمة
الله تعالى فاجتمع الفقراء
عند قبره ثلاثة أيام
ينتظرون ما وعدهم الشيخ
رضي الله تعالى عنه
فيهم كذلك إذا بالخير
الاخضر قد وقع قريبا
منهم وارتفع فصار كل من
الفقراء يتمني أن يكون هو
الموعود به فبينما هم
منتظرون الوعد الكريم
وما يكون فيه من تقدير
العزیز العلم إذا بالخير قد
وقع على رأس جوهر ولم
يكن يحظر له ذلك ولا
لاحد من الفقراء فقام
الفقراء يزفونه إلى الزاوية
وينزلونه منزلة الشيخ فيبكي
جوهر وقال كيف أصالح
لذلك وأنا رجل سوق ولم
أكن أعرف طريقة
الفقراء على تبعات وبيتي
وبين الناس معاملات
فقال له الفقراء هذا من
الله عز وجل فآله يتولاك
ويعينك ويعلمك وهو
جولي الصالحين فقال لهم
جوهر فامهلوني حتى
امضي إلى السوق وأبرأ من
حقوق الناس فاجابوه
لذلك فذهب إلى السوق
ووفى كل ذي حق حقه
ورجع إلى الفقراء وترك
السوق ولزم الزاوية
والفقراء وصار جوهر

والرأى فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فأناب بلوقيا من بعض الشجر فتناول من
ثمراها فغالت الشجرة يا خايطي يا ابن الخايطي لا تأخذ مني شيئا فبقى متعجبا واذا بجذء الشجرة قوم
يقرا كضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطن فأمرا وأبلوقيا أحاطوا
به وأحذقوا من ورائه وهو باه سوا فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهاجوا به وأعدوا سيوفهم وقالوا
باجهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بني آدم فقالوا ما اسمك قال اسمي
بلوقيا وأنا من بني اسرائيل فقالوا نرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذي أوقفك علينا فقال أنا خرجت في
طلب نبي اسمه محمد صلى الله عليه وسلم وإن قد ضللت الطريق الذي أردتته ورأيت من الاهوال كذا وكذا
فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله في السماء ثم نزلنا إلى الارض وقالنا كفر الجن
ونحن ههنا مقيمون فنزولهم ونجاهدهم إلى يوم القيامة واستأثرت إلى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال
بلوقيا ملك الجن وكان اسمه صخرًا يا صخر أخبرني عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم
خلق لها سبعه أبواب وسبعة أسنة وخلق منها خازنين خدام في سماءها جبلت وخلفاء في أرضها سماءها ثمانية
فأما جبلت فانه خلق في صور أسود وتآملت في صورة ذئب ورجل الأسد ذكر والذئب أنثى وجعل طول
كل واحد منها مائة سنة ثم جاءه عام وجعل ذئب الذئب بمنزلة ذئب الأسد بمنزلة ذئب الحية
وأمرهما أن ينتفضا في النار انتفاضة فسقط من ذئب الذئب عرق ومن ذئب الأسد حية خيات جهنم
وعقارها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى
الله إليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فست من البنين أطعوا وأوابوا وحلم طبع ولم يتزوج فلنه أبوه
وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبومرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا وإننا لا نتبع مع الناس
والكنيتي أجل فرسي وأرقه حتى لا يعرف من رآك به واركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهيت إلى
أقصى أعمال على ساحل بحر كذا وكذا فإذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهم فأنك ستلقاهم هناك فادفع
الفرس إليهم وامش في حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فلم على الشيخ والشاب
ونزل عن الفرس ودفعه إليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبغ إليهما نصف النهار فقالا له
يا بلوقيا منذ فارقك الملك قال فارتعته من غدة قالا ما أسرع ما جئت قد أتيت فر سنا فقال بلوقيا ما مددت
إليه بدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالوا بل ولكن فرسنا أحس بك وبذلك ونفلك فطارا بين
السماء والارض ليربح نفسه منك فمك تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قال لا جاب بك في هذه
المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قال وأنت لا تعلم قال خذوا
عنه السرج والجام والبرقع فاذا الدرق يطار ويسجل من كل شرة قمته وله جناحان انفضا وتكسر من كثرة
الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله عجيب فقالوا عجايب الله لا تنقضي ثم سلم عليهم
فرضي فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدي يديه بالشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا
الله محمد رسول الله فلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق الخلق قال أنا بلوقيا وأنا من بني اسرائيل
من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال
فأجابك يدك مبه وطنتين قال في يد اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ولوسبق النهار الليل
أضواء السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولوسبق ظلمة النور لظلمة السموات والارض ولم
يكن ضوء أبدا وبين يدي لوح معلق فيه سطران ابيض وستران أسود فاذا رأيت السوداء بنقص نقصت
الظلمة واذا رأيت السوداء زددت الظلمة واذا رأيت السطران ابيض زددت النهار واذا انقصت
نقصت فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم

والفضائل ما يطول
ذكره فسيحان المنان
الكريم ذي العرش
الظيم فصبر على العبادة
حتى مات رضي الله تعالى
عنه (وحكي ان الحجاج
ابن يوسف الثقفي بعث
الى رجل من اهل الحدير
والصلاح والعبادة فلما
حضر بين يديه لم يمله
دون ان قال له انه اذ هربا
به الى الجبن وقيدوه
واكتبوا على قيده مخلد
فلما سمع ذلك الرجل
مقاله الحجاج تبسم وقال
انك تحتاج الى دسار كبير
يكون وزنه قطارا فقال
الحجاج ما صنع به فقال له
الرجل تبسم به فلما قلعل
هنا من شؤم فملك وقلة
عقلك وتجارتك على
مولاك وحلمه عليك قال
فاعتاض الحجاج عند ذلك
وامر السجنان ان يأخذه
ويقيده ويسلله وبنى
له بيتا ويضمه فيه ويسد
أبوابه حتى يموت فيه
فمضى به المجاز واحضر
له حداد ثم وضع القيد في
رجله وامسك عليه
بالرصاص فقال الرجل
عند ذلك حسبي الله لا اله
لا هو عليه توكلت وهو
رب العرش العظيم قال ثم
وضوه في البيت مقيدا
مسلا فلما جاء الليل

بلوقيا ومضى فاذا هو ملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ويد اليسرى في الارض وقدمه تحت الثرى وهو
يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلم عليه بلوقيا فقال له الملك ممن أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنت من
بني اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال غيايل قل يا بلوقيا أرى عينك في السماء
وتجلك في اداء قال احبس الربيع يميني وانشأ بشمال لولوفت شملتي عن الماء لخرت البحار كلها في
ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله واغرقت الدنيا ومن عليها وريدى نبتني في الهواء احبس الربيع عن
ولد آدم لان في السماء ريحا تسمى الهامة ولو ارسلتها لنسفت من في السماء ومن في الارض قال فسلم
بلوقيا وقضى فاذا هو باربعة من الملائكة احدهم رأسه كراس النور والاخر رأسه كراس النمر
والثالث رأسه كراس الاسد والرابع رأسه كراس الانسان فما الملك الذي رأسه كراس النور فانه
يقول اللهم ارحم البهائم ولا تمذبها وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف واجعل في قلوب بني آدم طهارة
والرحمة كي لا يكيدوه ولا يكفكوه من فوق طاقن واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة واما الذي رأسه كراس النمر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنا برد الشتاء وحر الصيف
واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي رأسه كراس الاسد
فيقول اللهم ارحم السباع ولا تمذبها وارفع عنا حر الصيف وبرد الشتاء واجعلني من اهل شفاعته سيد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واما الذي رأسه كراس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تمذبهم وارفع عنهم النار واجعلني من اهل شفاعته سيد محمد
صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو ملك قائم على جبل قاف وان
جبل قاف يحيط بالديان من ياقوته خضراء وذلك قوله تعالى والفرار الجيد فسلم بلوقيا على الملك
فقال له الملك من انت قال انا بلوقيا وانا من بني اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك واين تريد قال خرجت
في طلب نبي من العرب يقال له محمد وراست اري اثره ولا ادري باي بلاد انا فقال له الملك لا اله الا الله محمد
رسول الله فقد امرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا ايها الملك ما اسمك قال اسمي حزقيايل قال وما صنعت
هنا قال انا امين الله على جبل قاف وفي يده وتر مرة يعقده ومرة يحمله وعروق الارض كلها مشدودة
عليه والتر في كفسه قال فاذا اراد الله ان يضيق على عباده امرني ان امد الوتر واعاده وادرت
عروق الارض فضيق الدنيا على العباد واذا اراد الله ان يوسع عليهم امرني ان ارخي الوتر فافتق
عروق الارض فتسع الدنيا على العباد واذا اراد الله ان ينفوس قوما امرني ان احرك عروق تلك
الارض فمن اجل ذلك موضع يترد موضع يترزل وموضع لا يترزل وموضع لا يترزل قال بلوقيا ايها الملك
ما وراء قاف قال وراء قاف اربعمائة الف سنة الدنيا التي جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور وارضها ذهب
عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الهوا ولذلك خلفوا وبه امرو الى يوم القيامة قال بلوقيا
فاوراهم ايها الملك قل حجب ووراء الحجب عالم الله وقدرته قال بلوقيا اخبرني ايها الملك على اي شيء
هذا الجبل موضوع قال بين قرني نوح عليه السلام وهو موت وهو ابيض رأسه بالشرق ومؤخره بالغرب
بين قرنيه مسيرة ثلاثين الف سنة وهو اسجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا ايها الملك كم
الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هي قال تحت الارض السابعة فسلم
عليه باويا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه في السماء وأسفله في الماء عليه باب مقفل وعلى القفل
خاتم من نور وعلى الباب ملكان احدهما رأسه كراس النور والاخر رأسه كراس السكبيش

مضى السجن إلى الرجل
قسمه قائماً يصلي ويقرأ
ويدعوا الله عز وجل
فتعجب السجن من ذلك
فلما طلع النهار أتى السجن
إلى الرجل فلم يجدته ورأى
البيت على حاله والחסيد
ماقى على الأرض قال
فخاف السجن على نفسه
من ذلك فتوجه إلى عياله
وأولاده وودعهم واخذ
كفناه مضى به إلى الحجاج
وهو مصفر اللون موقن
بالموت فلما وقف بين يدي
الحجاج قال ما بالك بهذه
الحالة فقص عليه القصة
فقال الحجاج على الحداد
فحضر بين يديه فقال ما
صنعت بالرجل بالأمس
فقال صنعت به كذا وكذا
فقال الحجاج ما كان يقول
عند ذلك فقال السجن
سمعته يقول عند وضع
القيدين رجليه حسي الله
لا إله إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم
فقال الحجاج نعم إن الذي
احتسب به هو الذي
خلصه إنه على كل شيء
قدير (وحكى عن هرون
الرشيد رضي الله تعالى عنه)
أنه رأى رجلاً من أهل
الخير فسمعه يامر بمروق
وينهى عن منكر فشق
ذلك على هرون الرشيد
فاحضر الرجل بين يديه
فلما حضر أمر أن يحمل

وبدأه كبرن الثور وها يقولان لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام
وقالا بلوقيا إياها الخالق الخالق ممن أنت وما اسمك قال اسمي بلوقيا وأنا من بني إسرائيل من ولد
آدم فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ماعرفنا هائل كيف تعرفون محمداً
وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهـ ذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسم نيل فقال
بلوقيا فتجلى الباب حتى أجوز فقالا لا تخسن فتجوز الله ملكا في السماء اسمه جبريل عسى أن يقدر
على فتحة فدعا بلوقيا به قال فامر الله تعالى جبريل فزله إليه وفتح له ثم قال يا ابن آدم ما أجراك على
الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى إلى بحر بن بحر مالح وبحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح
جبلان ذهب وفي البحر العذب جبلان فضة وبينهما ملك على صورة النملة ومعه ملائكة على تلك
الصورة فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فأخبرهم بصفته ثم قال لهم بلوقيا من أتم
قالوا نحن أئمة الله على هذين البحرين لا يأتينيان ولا يبينان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الآخر قالوا
هذا كنز الله في الأرض فكل ذهب يظهر في الأرض من هذا الجبل الآخر وكل ماء في الدنيا من
ماء عذب أو ملح إنما هو هذين البحرين وماؤهما إنما يجيء من تحت العرش من قبل أن يتخلى الله
الملائكة والجبل الأبيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا
الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى بحر عظيم قالوا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت
عظيم يقضى بين الحيتان فلما نظر إلى بلوقيا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فلم عليه بلوقيا ثم قال له من أنت فأخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه
السلام ثم قال له يا بلوقيا إن لقيت محمداً فاقرته مني السلام فقال بلوقيا نعم إن شاء الله تعالى ثم أنه قال
أيها الحيتان أتى جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وماجد ما أكل وما أشرب قال فقال الحوت
الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما إذا أكلته تسير أربعين سنة لا تأكل ولا تشرب ولا تنجس ولا تطش
فأطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبداه رأى شابا يجري
على الماء كانه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة فآذاه وبأختر
عمر على الماء ضوءه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلفي فسار بلوقيا يوما وليلة
فآذاه هو بثالث كانه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله ألا ما وقعت على فوق
وقال بلوقيا ما ذا تستجلفني قال خشيت أن تفوتني كما صدر من أصحابك الماضين ثم قال له من
كان الأول قال إسرائيل صاحب الصور والثاني ميكايل صاحب المطر وأزاق العباد والثالث جبريل
أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فإذا تصنعون في هذا اليوم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه
فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وأمرنا أن نسوقها إلى جهنم ليمذب الله بها السكفار يوم
القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة
فقال بلوقيا أليكون في جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم إن في جهنم من الحيات ما تدخل هذه
الحية في أنف أحداهن ولا تشمر بها وتخرج من فيها ولا تشمر بها من عظم خلفها قال فسلم بلوقيا ومضى إلى
جزيرة أخرى فإذا هو بفلام أبيض أمر دين قبرين فلم عليه بلوقيا وقال يا شاب من أنت وما اسمك
قال اسمي صالح قال فما هذا العنبر قال أحدهما قبري والأخر قبر أمي وكانا صالحين فأتاهم هتانا فأتاهما
قبرهما حتى أموت فلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فآذاهو بشجرة عظيمة عليها طائر
واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقراده من لؤلؤ وبداه من زعفران وقوائمه من زمرود وإذا
مائدة موضوعة تحت الشجرة وتليها طامام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام

له بيت ويسد عليه بابه
ومناذره حتى يموت فيه
قال ففعلوا ذلك ممة فلما كان
بعد خمسة ايام قال بعض
جلساء هرون الرشيد
يا مولاي اني رايت
الرجل الذي امرت بسد
البيت عليه وهو يتختر
في بستانك الفلاني فقال
الرشيد علي يد فاحضروه
بين يديه فلما رآه الرشيد
قل له من اخرجك من
البيت قال الذي ادخلني
البيت ان قال ومن ادخلك
البيت ان قال الذي
اخرجني من البيت قال
فضحك الرشيد وقال هذا
تجيب قال الرجل وای امر
ربك ليس بهجيب قال
فيكي الرشيد وامر له
بالاحسان واركبه فرسه
من خواص خياله
وامر مناديا ينادي بين
يديه ويقول هذا عبد الله
مولاه فاراد هرون امانته
فلم يقدر ثم زاد في احسانه
واكرامه واحترامه وهذا
من بعض مناقبهم فقه
الله بهم امين (وحكى عن
الشيخ شاه ابن الشجاع
الكرماني رضي الله تعالى
عنه) انه كان له بيت تقرأ
القرآن وتصوم النار
وتقوم الليل وكانت يديه
الحسن والجمال فسمع بها
ملك كرمان فاتي اياها
ليخطبها منه فاستهله

فقال له بلوقيا من انت ايها الطائر قال انا بن طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما
اهبط من الجنة راني كنت معه حين افنى حواء واباح الله له الاكل وانا ههنا من لدن ذلك الوقت
فكل غريب وغار سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وانا امين الله عليها الى يوم القيامة
فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا انا كل منها قال كل فاكل حاجته
ثم قال له ايها الطائر وهل معك احد فقال معي ابو العباس يا بني احيانا قال ومن ابو العباس قال الخضر عليه
السلام فلما ذكر الخضر اذ به قد اقبل وعليه ثياب بيض فاخطا خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال
فسلم على لوقياسه له عن حاله فقال بلوقيا طاعت غيبتي وار بالرجوع الى امي فقال الخضر بينك وبين
أمك مسيرة خمسمائة عام وانا أدرك اليها في مسيرة خمسمائة شهر فقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة
سنة فانا أدرك اليها في مسيرة خمسة ايام فقال الخضر عليه السلام فانا أدرك اليها في ساعة واحدة ثم قال
غمض عينيك فمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عندهما فاما هون جاء في اليك قالت
طيرايض بطيرك بين السماء والارض فوضعت قدمي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل عارأى من العجائب
والاخبار فابتوهوا وكوتوها الى يومنا هذا فهاذ اما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البحر والبر
سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام ﴾

قال الله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سألوا عليكم منه ذكرا

﴿ باب في نسبه واسمه ﴾

قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيليبش بن بطر بوس بن هرمس بن هرودوس بن منطون بن رومي بن
الطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهي الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم
بعض القدماء ان الاسكندر هو اخو دارا بن دارا وذلك ان دارا الاكبر بن همن بن اسفنديار بن يستاسف
كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلامه وأنها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد
منها راحة كريمة فأمر ان يحمّل في زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة في مدارئها على شجرة يقال لها
سندروس فطبخت لها وغسلت عانها فاذ ب ذلك كثيرا من شتها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كما قالت نفسه
عنها ابنة تنها وعانها فردها على أهلها وقد عانت منه فولدت له في أهلها غلاما سمته باسمه واسم الشجرة
التي غسلت عانها اسكندر وس فهاذا أصل اسمه ثم خففت ففيل اسكندر وكنى بذي القرنين * واختلفوا
في سبب اسمه بذلك فقال بعضهم معنى ذلك انه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان في مقدم رأسه شبه
القرنين من لحم وقيل لانه رأى في المنام كأنه اخذ بقرني الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب
وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضر به على قرنه الا انهم دعوا على التوحيد فضر به على قرنه الا بسرو قيل
لانه كان له ذواتان حسنتان والثوبية تسمى قزاقيل ولانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل ابيه
وأمه وقيل لانه كان انقرض في وقته قران من الناس وهو حي وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه
جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم

﴿ باب في قصة ذكر بدو أمره وسبب استكمال ملكه ﴾

قال الله تعالى انا مكننا له في الارض وآتيناه من كل شيء سبيلنا فاتبع سبيلنا وقال قوم كان فيليبش اليوناني ابو
الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر اخو دارا الاكبر
وكان ابو هلامه نجد الاسكندر له ملكه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت
ملوك الروم يؤدون الاطاعة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاطاعة التي كان ابو الاسكندر يؤدوها الى ملوك

الشيخ ثلاثة ايام ثم اقبل
والدهما يطوف المساجد
لينظر رجلا فقيرا يزوجه
بها فيبناها وكذلك اذ رأى
غلاما حسن الوجه يصلى
ويحسن الصلاة فلما فرغ
من صلاته قال يا غلام هل
لك في زوجة تقرأ القرآن
وتصوم النهار وتقوم الليل
وهي جميلة نظيفة فقال
الغلام ومن يزوجني بها
يامدني فقل لنا ازوجك
بها فخذ بدرهم خبز وبدرهم
أدما وبدرهم طيبا والامر
مفروق منه ثم عقده عليها
ورجع الى بيته وأخبرها
بذلك فلما دخلت الى
بيت الغلام رأته فيسه
رغيفا يابساً على رأس
جرحه فلما رآه قالت
ما هذا فقال لها الغلام هذا
رغيف تركته من أمس
انظر عليه فلما سمعت
ذلك ولت راجعة فقالت لها
الشاب قد علمت ان بنت
شاه السكراني لا تفرح
بفقرى ولا ترضى ان
أكون لها بطلاقة ان
بنت شاه ليس خروجهما
من منزلك افقرى بل لضفة
يفتيك ولست انتجب منك
وانما العجب من والدي حين
قال لي قد زوجتك بشاب
عفيف فكيف يوصف
بالعفة من لا يعتمد على الله
سبحانه وتعالى الا مع
ادخاره رغيفاً قال فلما سمع

الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فنهزم
واسمعه لملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأأسى بذلك من نفسه القوة فأتى صبي على دارا
الاصغر ملك فارس فاستمتع من حل ما كاد أبوه يحمله اليه من الخراج والاناوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب
اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاناوة عن نفسه وعن ملك الروم فاجابه الاسكندر اني قد زبحت تلك
الدجاجة التي كانت تبني ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه
يؤنب بسوء صنيعه في امتناعه عن حل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفزي سدهم وأعلمه فيما
كتب به اليه انك صبي وأنا بنيت لك أن تلعب بالصولجان والكرة حتى يموت بهما اليك ولا تنفذ اليك ولا
تلبس به ولا تستعصي والابنت اليك من يا بني بك في وقي ولو كانت جنودك بعدد حب السهم الذي
يموت به اليك فيموت اليه الاسكندر في جواب ذلك أني قد فمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت في كتابك
من ارسال الصولجان والكرة وضعت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بارضك رأيت يحتمل على ملكك
وأضيفه الى ملكي وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السهم الذي بعثته الى كنظري الى الصولجان
والكرة ويموت الى دارامع كذابه صرة من خردل وألمه في الجراب انما بعثت اليك بذلك لان جنودى
مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لخاربه الاسكندر وأن
الاسكندر أيضاً تأهب للقائه ونادى في عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بانه خراسان مائى
الخزروا قتلوا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا ففرض له فارس من قرابته وأهل بيته ونفقته وقيل
ان أحدهما كان صنيعة فطمناه قايده من مركبه وأراد ابطمهما اليه الحظرة عند الاسكندر والوسيلة اليه
وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيراً ولا يقتل فاخرى بشان دارا فاسرع حتى وقف عليه فراه فوجد
بنفسه فزله اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يقط بقتله وان الذي أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به
فاتفق ثم قال سلمي عابداً لك فاستمعك به فقال له دارا ان الى اليك حاجتين احدهما أن تنتقم من الرجلين
الذين فككتا وسماهوا وبلادهما والثانية أن تزوج ابنتي روشك فاجابه الى الحاجتين وأمر بصلب
الرجلين وأن يادى عليهما اجزاء من اجزاء على ملكه وغش أهل بيته ونزوح ابنته روشك وكان ملك
دارا أربع عشرة سنة فلم يمتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل
الاسكندر محبة ما

باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره

الى البلاد والآفاق

قالت الملوك باخبار القدماء قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان في بلاد الفرس من
بيوت النيران وما كان بارض الهند من بيوت الارز وقيل الموايد وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام
والتوحيد (قال المرتضى) في سبب احراق كتبهم ان الجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب
بملا من الذهب على جلود اثنين ان فباع عددها اثني عشر الفا فحرقوها للحصول ذلك الذهب وبني اثنتي عشرة
مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراه ومرو وسمرقند ومدينة بارض اصفهان بنيت على مثال الجنة
ومدينة بارض اليونان يقال لها ميلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشك بنيت ارا ومدينة الاسكندرية
ثم انه رأى في منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى في منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا
(واختلف) الملوك في نبوته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدري أكان ذا القرنين نبيا أم لا
فلو صح الحديث لكان الخوض في هذه المسألة تكلمنا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا
صالحا وملا كعادلا قالوا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما

الشاب كلامها قال أنا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك أو لي فقلت تصديق به تلي مستحقة فاني لا اقيم في بيت فيه مالموم فاما ان تصديق به وامان اخرج اقامن البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التز به صرح من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد في الدنيا وترك الملك ودخل في طريق القوم رضي الله عنهم وقد تقدمت حكايته في هذا المجموع رضي الله تعالى عنه ونقمنا ببركاته في الدنيا والآخرة آمين (شعر)

فلو كان الناموس ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال
فالتأنيث لاسم الشمس عيب

ولانذ كبير فخر لللال
(وحكي عن سهل بن عبد الله تسترئى رضي الله عنه) انه قال أول ما رايت من العجائب والكرامات اني خرجت يوما من الايام الى موضع خالي ظاهر البلد التي كنت فاطنا بها فطاب لي المقام فيه ووجدت قلبي

قر بيمان الله عز وجل
خضرت الصلاة فارقت
الوضوء وكانت عادي في صباي تجدد الوضوء اكل

روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذوالقرنين رجلا من الروم ابن عجز من عجائزهم لبس لؤلؤه وغيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عباسا وكان عبد صالحا فلما استحكم له واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه اذا القرنين اتى قد ابتلىك جميع الخلائق ما بين الخافقين وجمعتك حجتى عليهم وهذا تاويل رويك واني باعثك الى أمم الارض كاهنهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمم ان بينهم ما عرض الارض وأمان بينهم ما طول الارض وثلاث أمم في وسط الارض وهم الانس والجن والياجوج والياجوج فاما الامتان اللتان بينهم ما طول الارض فامة عند غروب الشمس يقال لها ناسك وامة أخرى يحياها يقال لها منسك وهي عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما ما عرض الارض فامة في قطر الارض الايمن يقال لها هويل والاخرى يحياها في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى لذلك قال ذوالقرنين الهى انك قد تدبني في أمر عظيم لا يقدر عليه الا انت فاخبرني عن هذه الام التي بعثت اليها باي قوة اكبرهم وباي جمع وحيلة اكثرهم وباي صبر افسهم وباي اساس اناطهم وكيف لي بان افنه لغاتهم وباي سمع اسمع اقوالهم وباي بصرا أقدم وباي حجة اخاصهم وباي عقل أعقل عنهم وباي قلب رحمة أدير أمرهم وباي قسط أعدل بينهم وباي حلم اصبرهم وباي معرفة أفصل بينهم وباي علم أيقن أمورهم وباي بداسطو عليهم وباي رجل أطوهم وباي طاقة أحصيتهم وباي جند أفاهم وباي رفق أؤلفهم وليس عندي بالهالي شي مما ذكرت بقوم لهم ويقوين عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسهوا ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت رحم افعال الله تعالى ساطوكم ما حملته وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعي كل شي وأشرح لك فهمك فتفقه كل شي وأبسط لك اسنانك فتغتنق بكل شي وأفتح لك بصرك فتفتد كل شي وأحصي لك قوتك فلا يفوتك شي وأشد لك عضك فلا يهواك شي وأشد لك ركك فلا يفلبك شي وأشد لك قلبك فلا يفزعك شي وأشد لك يدك فتسطو على كل شي وأشد لك وطأك فتهلك كل شي وألبسك الهبة فلا يبرعنك شي وأسخر لك النور والظلمة وأجمع لهم اجندا من جنودك بهديك النور أمامك ونحوك بطك الظلمة من ورائك فلهما قيل لذلك حدثته نفسه بالسير والبع عليه قومه بالمام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم ان يبذلوه ليعبدوا طول المسجد أربع مائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض أساس حائطه أربع مائة وعشرين ذراعا وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم ان ينصبوا فيه "سورى" قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يتوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فضعتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المفتقر قدره وقطعته وه مثل قلامة الظفر ثم خالتموه بذلك الكبس وجماعه خشب من نحاس وودان من نحاس وصنم من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تمكثون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجماعه طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتي ذراع فيباين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيئا فهو له فقه وادلاك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف اعاليه واستقي المساكين فكان جندهم أربع مائة الف منهم من جندته ثمان مائة الف ومن جندته اربعة مائة الف ومن المساكين اربع مائة الف انطلق يوم الامة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالنون من غيرهم فمنها حارة (أخبرنا) عبد الله بن حاتم الاصفهاني بسنده عن ابن عباس قال قرأها النبي في كرب كما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية ووجدته تغرب في عين حامية فقلت ما تغربها الا حمئة فقال معاوية ذهب الله بن عمر كربت تغربها قال قرأها كما قرأها يا خير

الأمميين قال ابن عباس فاطات الجدال مدها فارسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تقرب في التوراة يا كعب قال أما العربية فأتيت أعلم بها مني وأما الشمس فأتى أبجدها في التوراة تقرب في ماء وطين وأشدك ما تزداد به تبصر او هو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد

بلغ المشارق والمغرب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد

فراي مغيب الشمس عند غروبها * في عين ذي خلب وثناط حرم

فقال معاوية ما الحلب يا كعب فقلت الطين كلامهم قال لما انطاقت الحرة قال وما الحرم قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصىه الا الله تعالى وقوة وبأس الاطباء قال الله وراي السنة مختلفة وأهواء مشبهة فذلك قوله تعالى وجد عندها قوما يعني ناسا فلما رأى ذلك كثرهم بالغالمة فنضرب حولهم ثلاث مساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فمدا إلى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأبصارهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فله اخوان واصحابوا ونحوهم فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوتهم فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فيجلمهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم ونحوهم والوزر أمامهم يقودهم ويبدله وهو يسير في ناحية الأرض البني وهو ير يد الامة التي في قطر الأرض البني التي يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأى بعقله ونظره فلا يحظى اذا عمل عملا فاطلاق يقود تلك الامم وهي تبته حتى اذا انتهى إلى بحرا وخضوة هيا سفتان ألواح صفار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع مامعه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتفاتها ثم يدفع إلى كل رجل منهم لوحا فلا يكتب ثمره فله ذلك دا به حتى انتهى إلى هاويل فعمل فيها كعمله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض البني حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس فوجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جودا كعمله في الاتيين الذين قبلها ثم كرم قبلا حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو ير يدنا ويل وهي الامة التي يحياها ويل وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كعمله فيها قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يحمل لهم من دنوا ستر وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكتبون في أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا إلى ما يشبه وحروهم (وقال الحسن) كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جرير جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فيها أهلها فقالوا ما نرى حتى تطلع الشمس فنراها ثم أنهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فتناوها فقالوا فذهبوا هار بين في الأرض وقال السكبي هم أمه يقال لها منسك حفرة عرا عرا عن الحق قال وحدنا عمرو بن مالك بن امية قال وجدت رجلا يسر وقد يحدث الناس وهم حوله متهمون له بجمعهم فسالته بعض من سمع حديثه فاخبرني انه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سالت عنهم فقيل لي ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومي وليلتي حتى صبحتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلتحن الاخري وكان صاحبي يحسن لسانهم فسالهم فقالوا لما اذا تنظر كيف تطلع الشمس قال فيينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة اصلصلة فتشقى على فوقت فلما افقت فت وهم مسحون على بالدهن فلما طلعت

ثم شاهد بدو صرت متحيرا فينا اننا كذلك اذ رأيت شيئا قائما يمشي على رجله فتوهمت انه آدمي فلما قرب مني اذا هو دب عظيم ومعه جرمة ماء قد امسكها بيده فلما دنا مني وضع الجرمة بين يدي فتجسست في نفسي عجباً شديداً وقلت من أين هذه الجرمة وهذا الماء قال فنتقى الدب وسلم على وقال يسهل نحن قوم من الوحوش قد انقلعنا إلى الله تعالى بعزم الحبة والتوكل على الله تعالى فيينا نحن فتكلم مع اصحابنا في مسألة اذنودنا الا ان سهلا يريد ماء لتجديذ وضوءه ففتمت من عند اصحابي ووضعت هذه الجرمة بين يدي وكانت قارعة واذا بملكين قريبين مني فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواه وانا اسمع خري الماء في الجرمة قال سهل رضى الله عنه فلما سمعت ذلك غشي على فلما افقت اذا الجرمة موضوعة ولم ادر ابن ذهب الدب قال سهل فنوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة اردت ان اشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادي يقول يسهل لم يؤذن لك في شرب هذا

الماء فتركها فإذا هي

تطرب وأنا أظـر

اليها متعجبا ولم أدرك

ذهب تلك الجرة عفا الله

عنهم ونعمنا بركاتهم آمين

(وحكى عنه ايضا رضى

الله تعالى عنه) أنه قال

توضأت في يوم جمعة

ومضيت الى الجامع وكان

ذلك في أيام البداية

فوجدت الجامع قد امتلا

بالناس وهم الخطيب ان

يرقى المنبر فأسأت الادب

ولم ازل اتخطى رقاب

الناس حتى وصلت الى

الصف الاول ثم جلست

فأذعن يميني شاب حسن

المنظر كانه من الملوك وعليه

أطيار من صوف فلما نظر

الى قال كيف ترى حالك

يا سهل فقلت بخيرا صلحك

الله قصرت متجبرا في

دعرفته لي ولم اعرفه فيينا

أنا كذلك اذا أخذني حرق

بول فازعجني ذلك

وصرت متجبرا في امري

فأرقت تحضبت رقاب

الناس ثانيا وان جلست

لم أستكن من الصلاة قال

سهل فالتفت الى الشاب

وقال يا سهل اخذك

حرق بول قلت نعم

يا سيدي قال انزع رداه

عن منكبيه وغطاني به وقال

قم اقض حاجتك واسرع

ليدرك الصلاة قال فظفرت

فأذا باب مفتوح وقائل

الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف الماء كهيئة القسطاط فلما ارتفعت ادخلوني سر بالهم أنا وصاحي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجدوا ما يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

(باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت الامماء باخبار القديما لما فرغ ذو القرنين من امر الامم الذين هم في اطراف الارض وطواف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس وبأجوج وما جوج فلما كان في بعض الطرق بقى مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له املة صالحة من الانس باذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم اشباه البهائم با يكون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تقتربها السباع يا يكون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح ما خلق الله في الارض وليس الله خلق يثمنون تمامهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلمت على من يثمنون من غائهم وزبادتهم فلا تشك أنهم سيملاؤن الارض ويخرجون اهلها منها ويظهرون عليها ويفسدون فيها وليست عمر بنا سنة منذ جدوا رهاهم الا ونحن نتوقع ان يطلع علينا ارضهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا اى جملا واجرا على ان نجعل يبتناو بينهم سدا حاجزا فلا يصلون اليينا فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيعبر اى قوائى عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فملة وصناعة يحسنون البناء والعمل والاملة قالوا وما تلك الاملة قال اتوفى زبر الحديد اى قطعه واحد تهاز برة اتوفى النحاس فقالوا من اين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سادسكم على معادنها قالوا فباى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو اشد ما خلق الله في الارض يا ضاهاو الذى قطع به سليمان اساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم ارقد على جامع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظيم ثم اذاب النحاس فجعله كطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بني وكيفية بنائه على ما ذكر اهل السير انه قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ ولما انشا في عمله حفرة له لاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نزع عليه الحديد ثم نزع الحطب على الحديد فلم يزل يجمل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوي بين الصدين وهما الجبلان ثم امر بالار فارسات فيها قال انه خوا حتى جعل يفرغ لقطر فيه وهو النحاس المذاب فيجملت النار تا كل الحطب ويسير النحاس مكان الحطب حتى انزم الحديد النحاس المذاب فصارت كانه برد حيرة من صخرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغيرته فصارت كانه نياطو بلا غطاء حصينا قال تعالى فاساطعوا ان يظهره اى يملوه وما استطاعوا (قول قتادة) ذكر لنا ان رجلا قال يا بني الله قد ارايت سدا يا جوج وما جوج قال انتم لي قال كالبرد الحبر طريفة سوداء وطريفة حمراء فقال له قد رايتا ويقال ان وضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض يثمنون بين الخزد مسيرة اثنتين وسبعين يوما وذكر ان الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام ان السد مفتوح فوجه سالما الترحان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين الف درهم ودرق سنة وأعطاه مائتي بيلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسماعيل صاحب أرمينية وكان بنفليس وكتب له - حتى الى صاحب السمرير وكتب له صاحب السمرير الى ذلك اللان وكتب له ملك اللان الى الازالى طاجند

يقول ج الباب يرحمك الله
 فولجت الباب فصرات
 قصرا مشيد البناء شاخ
 الاركان واذا بنحلة قائمة
 واذا بجانبها مطهرة مملوءة
 ماء احلى من الشهد واذا
 بنشفة معلقة وسواك الين
 من الحرير قال سهل
 فتعجبت من ذلك ثم
 حلت لباسي وارقت الماء
 واغتسلت وتذشت
 ولبست ابوابي فسميته
 يناديني ويقول ان
 كنت قضيت اربك فقل
 نعم فقلت نعم فخرج الرء
 عني فاذا انا جالس مكاني
 ولم يشر بي احد فصرت
 متفكرا في تعمي متعجبا
 مما رايت وصرت اكدب
 نفسي تارة واصدقها تارة
 فقامت الصلاة فصليت
 مع الجماعة ولم يكن لي شغل
 والا ذلك الفتى لا عرفه فلما
 رغننا من الصلاة قام
 فتبعته وانا امشي خلفه
 حتى دخلت الى درب
 فالتفت الى وقال يا سهل
 كانك ما ليقتت بما رايت
 فقلت كلا يا سيدي فقال
 ج الباب يرحمك الله
 فظنرت فاذا الباب بيمينه
 ثم ولجت النضر فوجدت
 النخلة والمطهرة والسواك
 المنشفة مبلولة فقلت آمنت
 بالله العظيم فقال يا سهل من
 اطاع الله اطاعه كل شيء
 اطاعه نجاهه قال سهل

في بلاد شاه ملك الخزر قاقام عنده حتى اخذ معه خمسين رجلا ادلاء فساروا خمسة وعشرين يوما الى ارض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حلوا معهم شيئا يشمون من الرائحة الزكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن تلك المدن فقالوا فندظن فيها يا جوج وما جوج فجهر بها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالبرية والفارسية يقرؤون القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لانهم هؤلاء القوم قلنا رسل امير المؤمنين فقالوا ومن هو امير المؤمنين قلنا من اولاد العباس ملك بال عراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ اوشاب وزعموا أنهم لم يبلانهم خبره ثم قا قوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع وادعرضه مائة وخمسون ذراعا وعضاداته مبيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضدة خمسة وعشرون ذراعا وبنية بلين من حديد مركبة في نحاس في سمك خمسة عشر ذراعا واذا وتمدن حديد طرفاه على عضدتين طولهما مائة وعشرون ذراعا قد ركب علي العضدتين علو كل واحدة مقدار عشرة اذرع في عرض خمسة اذرع فوق ذلك الابن الحديد المغيب في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنين بعضهم الى بعض منظومة كل واحدة في صاحبتهما فاذا الباب له صراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسة وعشرون ذراعا في ارتفاع خمسة عشر ذراعا قائمان هما في دورهما على قدر الدر بندو على الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة اذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية اذرع في استدارة اربعة اشبار والخلفة التي في السلسلة مثل حلقة المنيق وعرض عتبة اباب عشرة اذرع في طول مائة ذراع سوى مافي العضدتين والظاهر منها خمسة اذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرين فارس مع كل فارس مرز بقع من حديد وزن كل واحدة خمسون مثنا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء اباب الصوت فيعلموا ان هناك حفظة ويعلم هؤلاء ان اولئك لم يحنو اباب حدث فاذا ضربوا اصغفوا اليه بالادانهم فيسمعون من داخل دوبا و بالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لها عشر في عشرة ومع اباب حصننا طول كل واحد منهما مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عند في احد الحصنين آلة البناء التي تبنى بها السد من قور الحديد ومعارف من حديد وهناك بعض الابن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع نصف في عرض وشبر وسألنا هل هناك احد من اهل يا جوج وما جوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فانتهى الى جانبهم ركان مقدار الرجل في رأى اثنين شيئا ونصفا قال فلما انصرفنا احدث بنا الادلاء على نواحي خراسان فمدنا اليها فوقتنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان اصحاب الحصن هم زودنا اطعامهم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة الف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الري ورجعنا الى سمرن رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله اعلم

باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي اطاب عين الحياة

روى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رقائق ياتيه ويؤزره فيبينها ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رقائق هل حدثني عن عبادتك في السماء فبكي وقال يا ذا القرنين وما عبادتك عند عبادتنا ان في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوي قائما أبدا يقولون سبحان

فتمت عرت عيناى بالدموع

فسمحتهم ما وفحتهم فلم
الشباب ولا القصر فصر
وتحيرا على ما قاتني منه
رضى الله تعالى عنه وقمنا
بهو بدلوه واعاد علينا من
بركاته آمين وحكى عنه
أبضا غفى الله عنه انه قيل
لبعض اصحاب سهل
كيف كان حال سهل فقال
خدمته ثلاثين سنة فما
رأيت له وضع جنبه على
فراشه ليلا ولا نهارا وكان
يصلى الصبح بوضوء
الماء وهرب من الناس
الى جزيرة بين عبادان
والبحيرة وما فر من الناس
الا من رجل حج سنة
من السنين فلما رجع قال
لا خير لى سهل بن عبد
الله فى الموقف بعرفة فقال
له اخوه نحن كنا عنده فى
ذلك اليوم وهو جالس
بيننا فحلف بالطلاق
الثلاث انه رآه فى ذلك
اليوم بعرفة فقال له اخوه
سرنا اليه حتى نسأله عن
حكم ذلك التمين وعما
جري بينناى الاختلاف
فى ذلك فقاما اليه
وسلما عليه فرد عليهما
السلام فسالادعا جرى
بينهما من هذا الحديث
فقال سهل ما لكى فى هذا
الحديث حاجة فاشغلوا
بالله تعالى ثم التفت الى
الحائف وقال له امسك

القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدك حق عبادتك فبكى ذوالقرنين بكاء شديدا ثم قال انى احب
أن أعيش قابليغ من عبادته فقال رقابيل أو محب ذلك باذ القرنين قال نعم قال رقابيل قال نعم
عيناى الارض تسمى ذين الحياض فما من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو
الذى يسأل رب الموت فقال له ذوالقرنين حل تملون أنتم موضع تلك الدين فقال لا غيرا فالتجذرت فى السماء ان
لله فى الارض ظلمة لا يطؤها الناس ولا جان فخرج نفلان أن تلك العين فى تلك الظلمة فجمع ذوالقرنين علماء
أهل الارض وأهل دراسة الكتب أن آثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيها قرآن من كتب الله
تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتهم ان كان قبلكم من العلماء أن الله وضع فى الارض عيناها ما عين الحياة
فقات العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق فى الارض
ظلمة لم يطأها الناس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذوالقرنين أين وجدتها قال وجدتها فى الارض التى
على قرن الشمس فبعث اليها ذوالقرنين وحشد اليها الفقهاء والاشرف من الناس والملوك ثم سار يطلب
مغرب الشمس فسار اثني عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان رابست كظلمة الليل
فمسكروا لئلا يجمع علماء عسكره فقال انى ارى بدا رأسك هذه الظلمة فقالت العلماء أيم الملك ان كان
فبلك من الملوك والايام لم يطأ هذه الارض فلا تطأها فانما تخاف ان يفتتح عليك أمرتك وهو يكون فيه
فاد الارض ومن عليها فقال لا بد من أن أسلكها فأنالوا اليها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فانالونكم
انك ان ظلمتهم اظعرت آثار يدوم يسخط الله عليه لا يملكه واسك الخائف من الله تعالى فساد فى الارض
ومن عليها فقال ذوالقرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذوالقرنين أى الدواب بالليل
ابصر قالوا الخيل قال وأى الخيل بالليل ابصر قالوا لا ثالث قال وأى الاناث ابصر قالوا البكارى قال فارسل
ذوالقرنين فجمع له ستة آلاف فرس انى أبكارهم اتخذه من عسكره أهل الجاد والمقل ستة آلاف رجل
فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد رايه للخضر عليه السلام وجعله مقدمته فى الفين وبقى ذوالقرنين فى اربعة
آلاف رجل وقال ذوالقرنين لبقية عسكره لا ترحوا من همسكم كهذا لى اثني عشرة سنة فان نحن رجعنا
اليكم والا فارجموا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك ان أسلك الظلمة ولا تدرى كم سير فيها ولا يبصر بعضها
بعضا وكيف تصنع بالضلال اذا اصابنا فدفع ذوالقرنين الى الخضر عليه السلام خزيمة حراء وقال له حيث
يصيبكم الضلال فاطرح هذه فى الارض فاذا صاححت فارجع اليها اهل الضلال ابن صاححت قال فسار الخضر
بين يدي ذى القرنين برنحل الخضر ويحط ذوالقرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن
الخضر ان العين فى الوادى والنبي فى قلبه ذلك فقام على شفير الوادى ومكث طويلا ثم اجابته الخزيمة فطلب
صوتها فأتته اليها فاذا هى على جانب العين فترج الخضر نيا بها ثم دخل العين فاذا هى أشد بياضا من الابن
وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس نيا بها ثم أنذرهم الخزيمة نحو أصحابه فوقعت وصاححت
فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله واذا ذوالقرنين مرقا خطا
الوادى فمسكوا تلك الظلمة فى اربعين يوما ثم أنهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض
حمرار ملة خشخاشية فاذا هم بتصر مبنى فى تلك الارض طوله فرسخ فى فرسخ عليه باب فترل ذوالقرنين
بعسكره ثم أنه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديد قد وضع طرفها على جانب القصر من ههنا وههنا
واذا طائر أسود يشبه الخفاف مزوم ما بانته الى الحديد فملقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة
ذى القرنين قال من هذا قال ناذا والقرنين فقال الطائر يا ذوالقرنين ما كفك ما ورأى حتى وصلت الى ثم قال
يا ذوالقرنين حدثني فقال سل فقال هل كثير بناء الحصن ولا جحر فى الارض قال نعم فانتفض الطائر فانتفض
ثم انتفض فبلغ ثلث الحديد ثم قال باذا القرنين هل كثرت شهادة الزور فى الارض قال نعم قال فانتفض

الطائر ثم انسخ حتى ملأ الحديدة وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى دواقرين ذلك ففرق فراقا وبدأ
فقال الطائر لا تخف حدثني قائل قال هل ترك الناس شهادة ألائه إلا الله مد قال لا فانضم الطائر إلى ثلثه
ثم قال يا دواقرين هل ترك الناس غسل الجارية به قال لا فماد الطائر كما كان ثم قال إذا الفريين اسلك هذه
الدرج درجة درجة إلى أعلى القصر فاسلكوا دواقرين وهو خائف وجل لا يدرى على ما يهجم حتى
استوى على صدر الدرج فإذا سطع ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه إلى
السماء واضمأ يده على فيه فلما سمع خشخشة دواقرين قال من هذا فقال أنا دواقرين قال وإذا الفريين ان الساعة
قد قربت واني منتظر أمر ربي يا مرنى أن أنفخ في الصور ثم أن الصور ثم أن صاحب تصورا خذ شيئا من بين يديه
كأنه حجر فقال ياذا القرنين خذ هذا فان شيع هذا شيعت وان جاع هذا جاعت فخذوا دواقرين الحجر
ونزل حتى أتى إلى أصحابه فحدثهم بالمر الطائر وما قاله وما أورده عليه وما قال له صاحب الصور ثم جمع علماء
عسكره وقال اخبروني ما هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخذنا ما قال لك صاحب الصور فقال
دواقرين ان قال ان شيع هذا شيعت وان جاع جاعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا
حجرًا مثله ووضوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به دواقرين أنقل فوضوه ومامه آخر
ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به دواقرين أنقل فوضوه ومامه آخر ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به دواقرين
أنقل فلم يزالوا يضمون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجرا ثم رفعوا الميزان فقال بالآلف جميعا فمالت
العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسجس هذا أم علم لانهم فقال الحضر عليه السلام وكان
واقفا أنا علمه فاخذوا الحضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به دواقرين فوضعه
في احدي الكفتين واخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الأخرى ثم أخذ كفا من تراب
فوضعه على الحجر الذي جاء به دواقرين ثم رفع الميزان فاستوي فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقاوا
سبحان الله هذا علم يبلغه الله والله ودمضت معه ألف حجرا استقبله فقال الحضر عليه السلام أيها
الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر خلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله ابتلي خلقه بعضهم
ببعض فابتلى العالم بالمال والجاهل بالجاهل والمال بالجاهل والجاهل بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي
فقال دواقرين صدقت فاخبرني ما هذا الحجر فقال الحضر أيها الملك هذا مثل ضرب به لك صاحب
الصور ان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فاعطاك منها ما لم ينط احد من خلقه واطواك منها
ما لم يوطي لاحد من خلقه فلم تشيع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه انس ولا
جان فهذا مثل ضرب به لك صاحب الصور ان آدم لا يشيع ابداعا حتى يحيى عليه التراب ولا يعلو جوفه الا التراب
فبكى دواقرين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لاطلبت أن أرى البلاد بعد مسيرى هذا
حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطى الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من
معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دراهم ما هذا الذي تحتها أيها الملك فقال دواقرين خذوا منه فان من
أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئا ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا اذا هو
زبرجد فندم الاخذ والناظر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر
بوادى الزبرجد في مدأمره ما ترك منه شيئا حتى كان يخرج إلى الناس لانه كان راغبا في الدنيا وراكبها كنه ظفر
به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف كما همات في طريقه قبل
وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع إلى دومة الجندل وكانت منزله فقام بها حتى
مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثامنة من
ملكه فلما مات حمل إلى أمه بالاسكندرية ودفن هناك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه

بذلك أحد بعد ذلك
ثم مضى إلى الجزيرة
المذكورة هاربا من الناس
عفا الله تعالى عنه وتغنايه
وبكرته أمين (وحكى
عن خادمة رابعة المدوية
رضي الله تعالى عنها) انها
قالت كانت رابعة المدوية
تصلى الليل كله فإذا طلع
الفجر هجمت هجمة في
مصلها حتى يسفر الفجر
فكنت اسمها تقول اذا
وثبت من مرقدها وهي
فزعزة يانفس كم تنامين والى
كم تقوهم ينوشك انك
تأمين نومة لا تقومين منها
الا لصرخة يوم النشور
فكان هذا ما احتاجني مانت
رحمه الله تعالى عليها (قالت)
خادمته رضي الله تعالى
عنها لما حضرت وفاة رابعة
احضرتني ثم قالت يا فلانة
اذا أنا مت فلا تعلمي بي
أحد اكرهني في جيتي
هذه وكانت جيتهم شمر
كانت تقوم فيها اذا نامت
عبوث النائمين قالت
فكففتها فيها وفي خمار من
صوف فلما دفنتها رأيتها في
المنام وعليها حلة خضراء
من استبرق وخمار من
سندس أخضر فقالت لها
يارابية ما فعل الله بالجبة
التي نكفناك فيها والخمار
الصوف قالت انه نزعها
عني وأبدلت هذا الذي

أريته وطوبت أنكفأني

وختم عليها ورفعت في
 عليين ليسكن لي نوابها
 يوم القيامة قالت فقلت
 لمثل هذا فليعمل الداملون
 فقالت وما هذا عند الله من
 اكرامه لا ولياته بشيء
 فقلت لها مربي بأمر
 أقرب به إلى الله عز وجل
 فماتت عليك بذكر الله
 تعالى فانه يوشك أن تفتطلى
 بذلك في قبرك رضي الله
 تعالى عنها (وحكى عن
 أحد بن أبي الحواري عفا
 الله عنه) انه قال كانت
 لرابدة المدوية احوال
 شتى فكانت مرة يفلب
 عليها الحب ومرة يغاب
 عليها الانس ومرة يغاب
 عليها الخوف فكانت
 تشد في الحب هذا الشر
 حبيبي لا يعادله حبيب
 وما السواه في قلبي نصيب
 حبيب غاب عن مصرى
 وشخصى
 ولا يكن عن فؤادى لا
 يذيب
 وسمنتها في حال الانس
 أقول هذا الكلام
 واندد جلنك في الفؤاد
 محرنى
 وأبحت جسمي من اراد
 جلوسى
 فالحسم منى للجلايس
 مؤانس
 وحبيب قلبي في الفؤاد
 أنيدي

اسكنه دروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فلما ملك اليونانية عليهم فينا قبل بطليموس بن لوسوع
 وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعده وفاته إلى أن تحول الملك إلى الروم
 والمضاض واليونانية ولبنى اسرائيل بيت المقدس ونواحيها والديانة والرئاسة على غير وجهه الملك إلى أن
 خرب بلادهم القرس بالروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام بالله أعلم
 ﴿ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال عبد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد
 مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم زالوا يحدثون الاحداث ويعود
 الله عليهم بفضلهم ورحمته ويدهم فيهم الرسل ففرقا يكذبون وفرقا يقتلون فكان الله تعالى حتى كان من
 بعث فيهم من ابيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام
 ﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾

هو زكريا بن يوحنا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صدقة بن ناخور
 ابن سلوم بن سفاسط بن ابيان رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام
 ﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر نحرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك فى بطنى محررا فاطىء قال المفسرون هي حنة
 بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ
 بينهما ألف رمانا سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأخبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران
 بن سام بن نوح بن ميثان بن حزقيا بن ابراهيم بن عزاز بن امصيا بن ناس بن نوح بن بارض
 ابن يوسف فاط بن رادم بن ابيان رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصص في ذلك أن زكريا
 ابن يوحنا وعمران بن ماذن كانا متزوجين باثنين احدهما عند زكريا بن يوحنا وهي ايشاع بنت فاقوذ
 أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى است
 وعجزت وكانوا أهل بيت من الله فكان فينا هي ظل شجرة ان طارت طائر يطعم فراخها فحركت عند
 ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك على ان رزقني ولدا ان انصدق به على بيت
 المقدس فيكون من سددته وخدمه نذرا وشكرا لخدمته بمريم عليها السلام فخررت فى بطنها ولم تعلم ما هو
 فالت رب انى نذرت لك انى بطنى محررا أى عتق راعن الدنيا واشغالها خالصا لله تعالى وخادما لبيته
 المقدس حبا عليه مفرغا لعبادة الله وخدمته فقبل منى الكائن انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحررا اذا
 حرر ونذر جمل المحرر والمندبر في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا
 بلغ خزين أن يقيم ويبن أن يذهب حيث شاء وأن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفاقه من السدة
 ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمهم الامن في نسله محررا لبيت المقدس ولم
 يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكف ذلك ولا تصالح لما يصيبها من الحيض والاذى فخررت أم
 مريم ماني بطنها فلما قلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت رأيت ان كان ماني بطنك أني
 والاثنى عورة لا تصالح لذلك فوقما جميعا فيهم من ذلك بهلك عمران وحنه حامل مريم فلما وضعت اذا هي
 جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها نثى والله أعلم بما
 وضعت وليس الذكر كالانثى أى في خدمة لكيسة والعبادة فيها المورثه وضعتها واما عتقها من الحيض
 والنفس والاذى وانى سميتها مريم وهي بلغتهم العابد والخدمه وكانت مريم عليها السلام أجل النساء
 وأمثلهن في وقتها (أخرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقول

وزادني قليل ما راهم يلقى
اللائل ابكي أم لظول
مساقي

انحرقتني بالبار يا غايه
المنى
فاين رجائي فيك ابن
مخافي

قال زوجها ففات لها ليلة
من الليالي وقد فأت من
أول الليل باربعة ما رأيت
من يقوم أول الليل غيرك
فقلت سبحان الله منك
من يتكلم على ذلك انما
اقوم والله اذا ودبت للقيام
(قال) زوجها وجلست
يوما من الايام أكل وهي
جالسة بجاني فعمدت
تذكر احوال يوم الزيامه
فقلت لها دعنا نتمنا
بطامنا ففأت ليس أنا
وأنت ممن يتنص عليه
اطامم بذكر الآخرة
ثم قالت لي والله لست
أحبك حب الأزواج انما
أحبك حب الاخوان
فكانت اذا طبحت قدرا
قالت كذا يسدي فطامم
الا بالتسبيح ثم قالت لي
اذهب فتزوج فتزوجت
بثلاثة نساء فكانت
تطعمني الاحم وتقول لي
اذهب بقوتك الى اهلك
ونت تاتيها الجن بكل
ما تطالب وكانها كرامت
مخارقة حتى ماتت رحما

حسبك من نساء العالمين أرم مريم ابنة عمران وأسمة امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
صلى الله عليه وسلم واني أعيدها أي أجبرها أو أمتها بك وذريتهما من الشيطان الرجيم (أخبرني) عبدالله بن
حامد بأسناده وأخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن هرون بأسناده عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من مولود الا والشيطان يمسحه حين يولد فيستهل صاخرًا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول
أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيدها بك وذريتهما من الشيطان الرجيم (واخبرنا) شبيب بن محمد
بأسناده عن قتادة قال كل آدمي يطمن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمهم عليهم السلام جعل بينهما
حجاب وأصاب الطمئة الحجاب ولم ينفذ اليها منه شيء قال وذكر والناثما كالناثم يصيبان من الذنوب
كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى فيقول بها بقول حسن الهادرا جمعة الى التذيرة قال فيقبل الله الذيرة
اي مريم من حسنة وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلفها من غير زيادة ولا نقصان فكانت ثبتت
في المدة اليسيرة كما ثبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جرير ويأتيها رزقها رزقها نباتا حسنا
حتى تمت امرأة بالغة قالوا ولدت مريم اخذتها امها حنة فلعلتها في خرقه رحمتها الى المسجد وضمتها عند
الاحبار ابناه هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما في الحجية أمر الكعبة ففأت لهم دونك
هذه الذيرة فتنازع فيها الاحبار لاسها كانت بنت امامهم وصاحب قبا بهم فقال لهم زكريا انما احب بها
هناك لان عندي خالتيها ففأت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس واقر بهم اليها
اترك لأمها التي ولدتها ولكنا نفتقر عليها فنكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا
وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جبار قال السدي هو نهر الاردن قالوا افلامهم اي سهامهم وقيل
أفلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت افلامهم
ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدي بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كانه في طين وجرت
افلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهوم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار
ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها
زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واستضع لها حتى اذا انشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أي غرفة في
المسجد وجعل بابها الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطامها
وشربها وودنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرقها وجد
عندها رزقا أي فاكهة في غير حينها فأكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أني لك هذا
فتقول هومن عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجمعدها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها
زكريا من أين لك هذا فتقول هومن عند الله قال الحسن وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها وقال محمد بن اسحق
ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال
يا بنى اسرائيل تملعون والله أني لقد كثرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد
جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لم يجدوا من يحملها فتعارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم
على رجل صالح نجار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب بن مانان وكان ابن عم مريم خالتها قال فرقت
مريم في وجهه شدة فؤة ذلك عليه فقالت لا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا قبل يوسف يرزق
لمكنا منه فبأيتها كل يوم من كعبه بما يصاحبها فاذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أعاه الله تعالى وكثره فدخل
الهاراكر فأقبري عندها فضا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يا مريم أني لك هذا قالت هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبدالله بن حامد بأسناده عن جابر بن عبدالله أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما بطنهم طما محتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت

الله تعالى ونعمنا ببركاتهما

أحمد من شيئا فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فأتى جائع فقالت لا والله يا بني أنت وأمي فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ما بعثت إليها جارية لها برغيفين وبضعة لحم فاخذتهما معها ووضعتهما في حنفية وغطت عليه وقالت لا ترونهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين إلى شبعه من طعام فبعثت حسنا وحسبنا إلى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إليهما فقالت يا بني أنت وأمي يا رسول الله قد آتانا الله بشيء نخبأه لك قال فلهي ما فأتى به فكشف عن الحنفية فأتاهن مملوءة خبزا لحما فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فخدمت الله تعالى وصالت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي جعلك شديدة بريدة بنى إسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي رضي الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعا حتى شربوا وبقيت الحنفية كلها حتى قالت فاطمة رضي الله عنها أو أوسمت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا كثيرا كما أصل الحنفية رغيين وبضعة لحم والباقي بركة من الله تعالى

﴿ باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا يريه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت الملائكة يا زكريا انك انت والانياء لم أرأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق من يشاء كما في غير حينها قال ان الذي رد علي أن يؤتى مريم بالاكه في غير حينها من غير سب ولا فسأد أحد أماد رعى أن يصلح زوجتى وهب لي ولدا على الكبر فقطع في الولد وكان أهل بيته قد انقضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهناك اى فمقد ذلك دعا ذكر ياربه قال رب هب لي اى اعطى من لدنك ذرية طيبة تسلا قويا صالحا راضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعني جبريل وذلك ان زكريا كان الخبر الكبير الذى يقرب الفربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل احد حتى ياذن له بالدخول فيبنا هو في محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون ان ياذن لهم بالدخول اذا برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبدرك يحيى * واخلفو لم سبي يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى احيا به عفر امه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى احيا قلبه بالايان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى احيا به الطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمصيبة دليله فاخبرني به الحسن بن فتوح به باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد ياتي الله عز وجل الا قدمه بخطيئة او عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يعمل قال الائمة فكان شيخنا أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء احياء عند ربهم يرزقون قال النبي صلى الله عليه وسلم من هو ان الدنيا على الله ان يحيى ابن زكريا قتلته امرأة قال وسعمت بالمنصور الخ شاذي يقول قال عمر بن عبد الله المقدسي اوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام ان قل لى سارة وكان اسمها كذلك انى يخرج منك عبد الابهيم بمصيبة اسمه حتى فهمي له من اسمك حرة فوهبت له اول حرف من حروف اسمها الياء فصارت يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير اب كن فكان فوقه عليه اسم الكلمة لانه بها وجد وبخى اول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان امه كانت حامله به فاستقبلها مريم وقد حات بعيسى فقالت لها ام يحيى يا مريم احامل أنت فقالت لماذا تقوين هذا قالت انى ارى ماني بطني بسجد لاني طوك فذاك تصدق له وابعانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة اشهر وذلك مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة اشهر ثم قتل

بقول القرآن كلام الله

منزل غير مخلوق ثم قيل لي
 بأحمد قد سمعنا حيث شئت
 قد دخلت الجنة فاذا بهما
 الثوري رضى الله عنه
 له جناحان يطير بهما من
 شجرة الى اخرى وهو
 يقرأ هذه الآية الحمد
 لله الذى صدقنا وعده
 واوئنا الارض نبأه
 الجنة حيث نشاء فنعم اجر
 العاملين قال فقلت له
 ما فعل الله بعبد الرزاق
 الواظ قال تركته في بحر
 من نور في مركب من
 نور يراد به العزيز الغفور
 فقلت ما فعل الله ببشر بن
 الحرث فقال يخرب ومن
 مثل بشر بن الحرث
 ركبته على مائدة
 بين يدي الحليل وهو
 مقبل عليه ويقول له كل
 يا من لم تأكل واشرب يا من
 لم تشرب وتعم يا من لم تنعم
 فقلت ما فعل الله بمزوف
 الكرختي فقال تركته
 تحت العرش والحق جل
 جلاله يقول ملائكتهم من
 هذا فقالوا يا رب أنت اعلم
 فقال هذا مبسوف
 الكرختي سكران
 يحيى فلا يفيق
 الا بلقائي (وقال) الربيع
 ابن سليمان رايت الامام
 الشافعي رضى الله عنه
 فقلت يا ابا عبد الله ما فعل
 الله بك فقال اجلسني على
 كرسي من ذهب ونثر على

يحيى قيل ان يرفع عيسى الى السماء وسند كره قال سمعت بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم قال
 سمعت بن جبير السدي الذى يطيعه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخاق وقال عكرمة الذى
 لا ينضب وقال - قيان الذى لا يحسد وحصورا قال ابن عباس وان سمعوا وغيرهما هو الذى لا يأتى
 الذاء ولا يقر بهن فمول يعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك
 هو العين الذى لا بهالة ودليل هذا التاويل ما خبرني به ابن تاجويه باسناد عن ابي صالح عن ابي
 هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم لغى الله بذنوب قد اذنبه يعذبه
 عليه ان شاء او يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبييا من الصالحين ثم ارما النبي صلى
 الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فاخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المداينى الحصورا الذى
 لا يدخل في اللب ولا الباطل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبارقة قال رب اى يسدي قاله لجبريل
 هذا قول اكثر الناس بن وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يا رب الله لا لجبريل انى يكون لى
 غلام من أين يكون لى ولد وقد بانفى الكبير وامراتى عاقر لا تلد عقيم قال السكيتي كان زكريا يوم
 بشر بالولد ابن التين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان
 زكريا ابن عشر بن ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فاجيب كذلك الله بفعل ما يشاء
 فان قبل لم تذكر زكريا بذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة اكان شكاً في وجيه ام انكار قدرته
 وهذا لا يجوز ان يوصف به اهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قاله عكرمة والسدي ان زكريا
 لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله وانما هو صوت
 الشيطان يسخر بك ولو كان من الله ولا وحاه اليك خفية كما نادته خفية وكما نوحى اليك في سائر الامور فقال
 ذلك دفعا لوسوسة وفيه جواب آخر وهو انه يشك في الولد وانما يشك في كيفيته والوجه الذي يكون منه
 الولد فقال انى يكون لى ولداى كيف يكون لى ولد انجمنى وامراتى شابين ام ترزقه كذا على كبرها ام ترزقني
 من امرأة غيرهما من النساء فقال ذلك متخيلا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آية ان لا
 تسلكم الناس ثلاثة ايام وتقبل بكتيك على عبادتي وطاعتى لانه حبس لسانه عن الكلام واسكنه نهى عنه
 يدل عليه قوله تعالى واذا ذكر بك كثيرا وسمي بالمشى والابكار هذا قول قوم من اهل العلم وقال آخرون عقل
 لسانه عن الكلام عقوبة له والة الآية بعد ما شفاه الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة ايام الارزاق
 اشارة وعلى هذا اكثر المفسرين وقال عطاء اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الارزاق
 فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفي بعض الاخبار انه لم ولد يحيى رفع الى السماء فتعذى بانها الجنة حتى فطم
 ثم انزل الى ابيه وكان يضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة ابن الجناح قليل الشعر قصير الاصابع
 طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الفيرة قوي في طاعة الله تعالى وقد ساد الناس في عبادة
 الله وطاعته

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهد وجهده) * قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم
 صبيا قيل ان يحيى قال له آتاه به من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ماله ب قال خلقت وقال آخرون
 انه نبي صغيرا فكان يظ الناس ويقتلهم في اعيادهم وجمهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام
 يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وامره ان يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها
 مثلا امرهم ان يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله ثم

أسكنهم داراً له ودفع لهم سلا يتجرون فيه وبأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح فعمد العبيد إلى فض الربح بدفعه إلى العدو سيده وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل المصلّي كمثل رجل استأذن على ملك تاذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه لسمع مقالته وبقي حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت عينا وشملاً ولم يتم حاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فأشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم يؤذي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر كمثل قرم لهم حصن وهم عذوقاً أقبل عليهم عدوهم فدخلوا حصنهم فلم يقدروا عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يفتن عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثل كمثل الجنة لا تدع سموه يصل إليه وتستره (وإما سيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فظار إلى المجتهدين من الأبحار والرهبان وعليهم مدارج الشجر والصوف وبرانس الصوف وإذا هم قد خرقوا أراقبهم وسلكوا فيهم السلاسل وشد دوابها إلى سواربي المسجد فلما انقضى ذلك أتى إمامه فقال يا أمانه اجب لي مدرعة من شمر وبرانس من صوف حتى أتى إلى بيت المقدس وأمره أن يأتى مع الأبحار والرهبان فقال له إمامه حتى يأتي النبي الله ذكر بأعليه السلام فأومره في ذلك فلما دخل ذكر بأخبرته بما قال له يحيى فقال له ذكر بأبني ما بدعوك إلى هذا وأما أنت صني صني فقال له يا ابت أماريت من هو أصغر مني ذاق الموت قال بلى فقال لإمامه انسج لي نامدرعة من الشمر وبرانس من الصوف فقلت فمدرعة بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل بهد الله تعالى مع الأبحار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشمر لحمه فنظرات يوم إلى ما قد نخل من جسمه فبكى فوحي الله تعالى إليه يا يحيى أتيتك على ما قد نخل من جسمك وعزتي وجلالي لو اطلمت على النار اطلعت على الحديد فطلعت على المدوح فبكى يحيى حتى أكل الدهم لحم خدي بهو بدت للنظر ين أضراره فباغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبلت ذكر بأواجتمع الأبحار والرهبان فقال ذكر بألأنه يحيى ما بدعوك لهذا يا بني أغاسألت ربك أن يهلك لي لتقر بك عيني قال أنت امرتني بذلك يا ابت ومضى قال السالك قال ابن بين الجنة والنار عقبه كؤدا لا يقطعها إلا بالابا كون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد واجتهد وقام ففرض مدرعته فأخذته إمامه فقالت اتاذن لي يا بني إن اتخذ لك قطعتين من لب يدوار يا أضرارك وينشغان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتين من لب يدوار يا أضراره وينشغان دموعه فبكى حتى ابتلع من دموع عينيه ثم أخذته فمصرها فتجددت الدموع من بين أصابعه فنظر ذكر إلى ابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان ذكر يا إذا أراد أن يخطب بني إسرائيل التفت عينا وشملاً فإذا رأى يحيى لم يذكر الجنة ولا داراً فجلس يوماً يخطب بني إسرائيل فأقبل يحيى فقامت رأسه بهامه وجلس في غار القوم فالتفت ذكر بأعينا وشملاً فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثني حبيبي جبريل بن الله عز وجل أن في جهنم جبالاً يقال له الكران في أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق أنضب الرحمن تبارك وتعالى في ذلك الوادي جب قاته مائة عام في ذلك الجب توايت من نار في تلك التوايت صناديق من نار ثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال واغفلناه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائماً على وجهه فقام ذكر يا من جلس ودخل على أم يحيى فقال لها يا أم يحيى قومي فاطمي يحيى فاني قد تخوفت أن لأراه إلا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت في طلبه فمرت بفتيان من بني إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى ابنك تريد أن قالت اطالب ولدي يحيى ذكرت النار بين يديه فقام على وجهه فغضت أم يحيى والفتية معها حتى مرت برامع غم فقالت يا راعي هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا قال الملك تطلبين يحيى بن ذكر يا قالت نعم ذلك ولدي ذكرت النار بين يديه فقام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبه كذا ناقة أقدمي في النار إذا بصرد إلى السماء يقول وعزتك يا مولاي لا أدوق بارداً للشراب

رضي الله تعالى عنه (وحيكى
عن ابي يعقوب السوسى
تقننا الله ببركاته) انه قال
جاءنى بعض المرادين
بمسكة وسلم على وقال
يا سمنازي غدا عند الظهور
اموت فخذ هذا
الدنار فكفني بنصفه
واخذنى فى قسيرا بنصفه ثم
امض من عندى فلما كان
الغد عند الظهور جاءه طاف
سيمانم امدنحو القبيلة
فأتت رحمة الله تعالى عليه
فطارت فى وجهه ففتح
عينيه فى وجهي وهو
يضحك فقلت له يا أخى
أنت ميت ام حى فقال
بل حى وكل محب لله
فهو حى قال فتعجبنت منه
ثم اخذت فى غسله
وتكفينه ونجهزه ودفنته
رضي الله تعالى عنه
(وحيكى عن الشيخ
أبى على الروزبانى
عنا الله عنه) انه قال ورد
على جماعة من الفقهاء
فرض منهم رجل ومكت
فى مرضه اياما كثيرة فم
اصحابه من خدمته واشكوا
الى ذلك فخالفت نفسي
وحملت ان لا يتولى
خدمته احد غيرى
فصرت أخدمه بنفسى
أياما حتى مات رحمة
الله تعالى عليه ثم غسلته
وكفنته وصليت عليه
ولحدته فينبأ انا عند

حتى انظرالى منزلى منك فاقبلت امة فلما رأته رنت فمعاخذت براسه فوضته بين يديها وناشدته بالثقة ان
ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك ان تخلع مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك
الصوف فانه اقل فعملت ما نهاها بخت له عند ساق كل واستوى فذهب به النوم فلم يرقم لصلاته فنودى فى منامه
يا يحيى اردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب اقل عثرى وعزتك
لا اتظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامة ناوبنى مدرعة الشعر فقد علمت انك ستوردانى المم لك
فقدمت اليه امة ودفنت اليه المدرعة فماتت فذالها ذكرى يا يالم يحيى دعيها قال ولدى قد كشف له عن قناع
غفله ولن ينفع بالبش فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البراس على راسه ثم أتى بيت المقدس فيجمل بعبدة الله
مع الاحبار والرهبان حتى كان من امره ما كان والله اعلم

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك بني اسرائيل وكان
له امارة وهي ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيى
يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشغف وجهك وكان كثيرا ما يقولها مكتوب فى التوراة ان الزناة
يوقنون يوم القيامة ويرجمهم أنى من الجيف فأمرت يحيى فسيجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان
كثيرا ما يختلأ اليها بالليل فلم يهاو به يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجلت بنت لها واستقبلت بها زوجها
فقال لها لما فلت ذلك فقالت وجب لها عليك حتى فقال سلى ماشئت فقالت البنت استوتبت منك اهل
الحبس اصنع بهم ماشئت فظن ابوها انها ترحمهم تستريحهم فقال ابوها قد علمت فأمرت امها باهل السجن
فدروا عليها فلما مر بها يحيى امرت به فذبح واخذت رأسه فى طشت ثم حملت الطشت الى ابيها بامر أمها
وقالت ايا الملك انى قد ذبحت لك ذبيحة من اعظم ما وجدته ولو كان مثله الذى لذبحتم لك قال رماها قالت
يحيى بن زكريا فقال هلك واهلك ابوك فغير ما بهم من الدم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت رأوا بها
وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروي) سيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن
مريم رحي بن زكريا فى اثني عشر من الحواريين يملون الناس قال وكان يماهم وهم عنه تكاح بنت الاخ وكان
للملكم بنت اخ تدعيه يريدان يتزوجا وكان لها فى كل يوم حاجة عنده فبعضها لها فلما بلغ ماهاه بنهى
عن تكاح بنت الاخ قالت لا بنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتى فقولى حاجتى أن تدبج يحيى بن
زكريا فلما دخلت عليه سأله عن حاجتها فقالت حاجتك ان تدبج يحيى بن زكريا فقال سلى غيرها فقالت
ما سألك اى هذا فلما ابت عليه دعي يحيى بن زكريا ودعا بطشت فدبجه فيه فبذنت من دمه قطرة فلم تزل تلعن
حتى امث الله عز وجل بنحصر عليهم فجاءت عجموز من بني اسرائيل فسلمت على ذلك الدم فألقى الله فى قلبه أن
يقتل على ذلك الدم سبعين الفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدى) باستانة كان ملك
بني اسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويؤدى بجلسه ويستشير فى امره ولا يقطع امرادونه وانه هو أن يتزوج
ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيى فنهاه عنه وقال است ارضه هالك فبلغ ذلك أمها فخذت على يحيى حين
نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبسته ثيابا رقاقا واطيبتها والبستها
من الحلى والبستهم فوق ذلك كماه اسود وارساها الى الملك وامرته ان تستيبه وأن تدرضه لها فاذا راودها
عن نفسها أبت عليه حتى يطعمها ما سألها فاذا اعطاها ذلك ما لزمه أن يأنيها برأس يحيى بن زكريا فى طشت
فقبلت ذلك وجلت تسقيه وتدرضه فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فماتت لا امل حتى
تعمطنى ما سألها قال وما أنا ابني قالت ان تبوء الى رأس يحيى بن زكريا فى هذا الطشت قال يحكم سليمان
غير هذا قالت ما سألها الا هذا فلما ابت عليه بهت اليه فأتى رأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو

أضجاءه في قبره إذ نظرت

إلى عينيه فوجدتهما مفتوحين ثم أقسم وقال يا لي لا نصرتك بجاهي يوم القيامة كما نصرته في وحاتك فتمكيد خدمتي ثم أسبل عينيه رضي الله له في عنه ونفعا والمسلمين بركانه (وحكى عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما رايأزاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه أقيمت الصلاة فصلوا خلفه فدموه بلحن في فرائده فتغير اعتقادهم فيه فكشف عليهم الشيخ فلما ناموا ساط الله عليهم. الاحتلام فاحتلموا كلهم في تلك الليلة فخرجوا إلى البحر لينتموا فوضهوا ثيابهم إلى جانب البحر ونزلوا جميعا في الماء وكان ذلك في زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا أن الشيخ علم بحالهم فبيناهم كذلك إذ الشيخ قد أقبل وقال لهم انتم استوجبتم البلب ثم أخذ بأذن الاسد وقال له اما قلت لك لاتعترض لضيفاني فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم اتوا إلى الشيخ يتعذرون له

يقول لانه لولا ذلك فلما أصبح اذاده يفي قاهر بتراب ذلتي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يفي وبقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يفي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجار وب وبخنصر كما قدمنا ذكره في اخبارنا بختصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيى ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيرودس بسبب امرأة يقال لها هيروديا كانت امرأة اخ له يقال له فليقوس ليعقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيى واعلمه انها لانه لولا ذلك سلف في يديه وجزع جزعاً شديداً (قال كسب الاحبار) كان يحيى من اجل اللباس وجهه واحسنهم في زمانه فاحبته امرأته الملك الذي كان في زمانه حباً شديداً فارسالت اليه تراوده عن نفسه فارسل اليها انه لا علم له بالزنا والمك احق ان يطافرشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضباً شديداً وقالت كيف لي ان اقبله ولا يحجر الناس اني قد راودته فلم يزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا فارسلت اليه وهو قائم صلى في بيت المقدس في محراب داود من صرب عتقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الارض عتوبة لها بقتلها يحيى عليه السلام

﴿ ذكر معتل ذكر يا عليه السلام ﴾

(قال كسب الاحبار) فلما سمع زكريا ان ابنه يحيى قتل وخسف بالقوم انطلق هارباً حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا بني الله الى هنا فلما أتاهما انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق اليكسب الله حتى اخذ بطرف رداءه فاخرجه من الشجرة ليصعدوه ادا اخبرهم فذلك تصنع اليهود الحيوط في اطراف أردتهم لا يدرون لما امروا بذلك واخذوا الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم بليس لانه الله تعالى فقال لهم ما تلتسون قالوا انتم سبب زكريا فقال بليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا يصدقك قال فاني ان ريتكم علامة تصدقوني بها قالوا فاننا ياها فاراعم طرف رداءه فاخذوا المذشر وضربوا الشجرة ونشروها نصفين فساطط عليهم اخبث اهل الارض عجلنا مجوسياً فانتم الله به من بني اسرائيل بدم يحيى وذكر يا فقتل غطاءه بني اسرائيل وسبي منهم مائة وسبعين الفا (وقيل) ان السبب في قتل زكريا ان بليس جاءه الى محاسن بني اسرائيل فقتلهم بدم زكريا وقال ما احبكم احد غيركم يا وهو الذي كان يدخل عليها فطباوز كرها فرب رانبه مسقها وطم واشراهم فذلك واذا كثيرا الاشجار فتشبه له الشيطان في صورته راع فقال يا زكريا قد ادركوك فادع الله ان يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها واخرج بليس هذب رداءه منها فمرت بنوا اسرائيل بالشيطان فةالوا ياراعي هل رايت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هذب رداءه ففعلوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فالتفتين بالمشروط ولا فبث الله الملائكة فمسلوا زكريا وصالوا عليه ودفنوه وفي ان الشمس بكت على يحيى اربعين صباحا وكان بكافوا ان طلمت وغربت حمراء وروي ان يحيى الخبر سيد الشهداء يوم القيامة وقادهم الى الجنة والله اعلم

﴿ مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليها السلام وما يتصل به ﴾

قال الله تعالى واذا ذكر في الكتاب مريم اذا انبثت من اهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة ايام ومريم يومئذ بنت خمسة عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من الحريين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليماً نجاراً يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم بلبان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفذ مأواها وماء يوسف اخذ كل واحد منهما قنينة والطاقي الى المذارة التي فيها الماء فيسقطان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذي فيها فيه جبريل عليه السلام

وكان اطول يوم في السنة تراشده حرا نفد ساؤها فقالت الا تذهب بنا يا يوسف فذهب يوسف فقال ان عندي
اغصلا من ماء اكثني به ومن هذا الى غدة قلت واكثني والله ما عندي ماء فاخذت قلبها ثم انطلمت وحدها
حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم
ان الله قد بعثني اليك لاهب غلاما زكيا قلت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت نكيا اي مؤمنا مطمينا
قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه علمت ان النبي نورجة وخشية وهي تحميمه رجلا من بني آدم
قال عكرمة وكان جبريل عرض لها في صورة رجل شاب امر مضي والوجه جمد الله مرسى الخلق قالت
الحكمة انما ارسله الله تعالى في صورة البشر لتثبت مريم عليها ونزول على استماع كلامه ولو نزل
على صورته التي هو عليها لفزع وتفرقت منه ولم تنزل على استماع كلامه فلما استمادت منه مريم
قال انما انزل رسول ربكم بالانزال لكي قالت اني يكون لي غلام ولم يسنه بشي وبشرى انا قال كذلك
قال ربك هو علي هين الا في قوله قال لما انزل الله سمعت انضام الله فنفخ في جيب درعها وكانت قد وضعت
عنها فلما انصرف عنها لم تست مريم درعها وحلت بدمي عليه السلام ثم ملأت قلبها وانصرفت الى المسجد *
وقال السدي وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون في المسجد مادامت طاهرة فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها حتى اذا ظهرت عادت الى المسجد فيبناها في آتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا
مشرقا لانه كان في الشتاء في اقصر يوم في السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم
انبتت مكانا شرقيا فضربت من دونهم حجبا اي سترت وقالت ليعلموا اني جئت الجبل بيننا وبين قومها فيبدا
هي كذلك في تلك الحلة لا تعرض لها جبريل وبشرها بدمي ونفخ في جيب درعها قال وهب فلما استلمت
علي عيسى كان معها ذوقا بقلها فقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون
وكان ذلك المسجد يؤمن من اعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان
لخدمته فضل عظيم وكانا يلبان معالجته بانفسهما وتحميره وظهره وكان لا يعلم في زمانهما اشدا اجتهدا وعبادة
منهما وكان اول من انكر حملها ابن عمها يوسف النجار فلما راى الذي بها استعظمه واستعظمه ولم
يصدما يصنع من امرها وكره ان يرأى يتهمها كز صاحبها وعبادتها ورايتها وانها لم تنب عنه ساعة واحدة
واذا اراد ان يرأى الذي ظهر بها من الحمل فلما اشبه بذلك عليه كلمها فكان اول كلامها ياها ان قال
لها انه قد وقع في نفسي من امرك شيء وقد حرصت على ان اكنتمه فنبلي ذلك ورأيت ان الكلام فيه اشفى
اصدري فقالت له قل قولنا جبريل قال لما اخبرني يا مريم هل نبئت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبئت
سجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذر كرفت لم تعلم ان الله عز وجل انبت الزرع يوم
خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذي انبتته من غير بذر لم تعلم ان الله تعالى انبت الشجر من غير
غيث وبالفردة جعل الغيث حياة الشجر وبما خلق الله كل واحد منهما على حدة او تقول ان الله لا يقدر ان
ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انبائه قال يوسف هالاهذا قول هذا والسكى اقول ان الله
تعالى يقدر على ما يشاء ويقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم لم تعلم ان الله خلق آدم وامر ان ته غيرة كرولا
انتي قالي بلي فاما قلت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء ومن امر الله وانها لم يسعه ان يسأله عنه وذلك لما
رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفها كل عمل كانت تعمل فيه لمسا رأى من رقة
جسمها را صفرا لونها را كلف وجهها وتو بطنها وضف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس
وسمعت من اثنيات ان قيرداد عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسالت بعض
الربان فمال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد افصح فيها عيسى ودعا
الحق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس بدعون ان عيسى عليه

وبسقفون الله تعالى
فقال لهم الشيخ انتم
استفلمت باصلاح الظاهر
فختمتم الاسد ونحس
استفلمت باصلاح الباطن
فجأنا الاسد رضي الله
تعالى عنه ورضي عنا وعن
جميع المسلمين ببركاته
(وحكى عن بعضهم رضى
الله تعالى عنه) اشارة
لطيفة قال لما ذهب
ابراهيم خليل الرحمن عليه
الصلاة والسلام الى الخروز
امنه الله يدعوه الى عبادة
الله عز وجل عظم عليه ذلك
وجمع اهل ملكه
وخواص رعيته وقال لهم
ما تشيرون على به في امر
هذا الرجل الذي تجاروا
علينا وكسر الاصنام
وعطل ديننا بين الانام
فقولوا ما يدلكم فاني
راجع الى اقوال العائين
فقالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم ان كنتم فاعلين
قال فعمدوا الى فسالة
من الارض وحفروا
فيها حفيرا متعاما نادى
الخروز في اقطار ملكه
الا من اطاع الخروز
فليحطب حزمة من
الحطب المشيم لاحراق
ابراهيم قال فبادرت
اليه الباد من اقطار البلاد
فقاموا حولها كاملا
يجمعون الاحطاب الى ان

فقال قوم تسكبوه وتدعه في النار ونضرمها عليه واختلفوا في ذلك فاتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا راى لهيبها وعائنها يرجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا ابى فضموه في كفته وارموه في ذلك فانه يصمد به المنجنيق في الهواء ويوقعه في النار واتم تنظرون كيف يحترق قال فامخذ الخروز مكانا ممتدا من الارض مبنيا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما اوقدوا النيران كاد أن يضيء لها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى ان اطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار في الجو حرقه لهب النيران ثم اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظرا الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى السكابرين وقال اتى وجهي وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا - انا من المسلمين قال فوضوه في المنجنيق ورموه في الجو فضجبت ملائكة السماء وقالوا اهضموه وادعوا لاهنا عدوك فبل تخليلا ماترى

السلام لم يقتل دعي فيها وبعد ثلاثة ايام عرج به الى السماء فلا ينقطع ابدا لدهر منها وانه ينزل فيها والله اعلم ﴿ باب في ذكر ميلاده عليه السلام ﴾
 قالوا له ائمتنا مريم ودناها - ارحم الله تعالى اليها ان مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ايدى فيه اسمه قاير زي الى مضاع ناول بن فيه فتجرات مريم الى بيت خالتها اختها ام يحيى فلما دخلت عليها قامت ام يحيى واستقبلتها فلزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم شعرت اني حبلى قلت مريم رأت ايضا شعرت اني حبلى قالت امرأة زكريا فاني اجد ما في بطني يسجد ليا في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما واثبت بيت خالتها ارحم الله اليها انك ان ولدت بين اظفر قومك عيرون وقذورك وقذورك ولدك فاظمني من عندهم اى فاخرجني * وقال السكبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حلت من الزنا الا ان يتلم الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتلم اعلى حمار له ليس بينهما وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من ارض مصر في منقطع بلاد قومها ادركه مريم النفاق فاجلجها الى اصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال السكبي) لما كان يوسف ببعض اطراف ارض قنقار فاته جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تهابها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة اشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية اشهر وكان ذلك آية اخرى لانه لم يمش مولود لثمانية اشهر غير عيسى وقيل ستة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانباء الا ساعة واحدة لا الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فلتنه فالتها فالتت به مكانا قصيا اى بيد ان قومها وقال مقاتل حملته امه في ساعة وصور في ساعة وفي ساعة حين زالت الشمس من يوم اوهى بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل - يسبي قالوا لانه اشتد بها الخوض النخلة الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها عصف ولا كرايف ولا عروق فاحتشمتها الملائكة وكانوا صفا فاحرقوها اى يحيطون بها واكاثت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر باليتي مت قبل هذا وكنت نسيما من اى جيفة ملقاة فتودت ان لا تحزنى قد جعل ربك تحك سر يارهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزنى من قرأ بكسر الميم والناء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والناء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن امه ناداها ركلها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب باردا واشربت منه وفاتر اذا استعانه فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحك سر يارهزى النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بمديسة فتدلت غصونها واورقت واثمرت وارطبت وقيل لها هزى اليك بجذع النخلة اى حركه تساقط عليك رطبا جنيا فاطار بالريبع ابن خثيم الملقب به عندي خيم الرطب ولا المر بوض خير من السمل وقال عمرو بن ديين مادي للراة اذا عسرت عليها ولادتها اخبرها من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعض التمر ويحك به او لاد الصداية حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر عذبة الصغير ونهله السكبري قوا ثم ان يوسف النجار عمه الى حطب فجعله كالحظيرة حوا اليها بالمر منه اذ قد ضربها البر ثم شمل لها نار التصطلي بها ثم كسر لها سبع جورات كفت في خرجه فطمعها اياها فنحل ذلك وقد انصارت النار الى الميلا د وتلب بالجوز (قل وهب) فلما ولد عليه السلام اصيبت الاصنام كلها بكل ارض منكوسة على رؤسها ففزع الشياطين ولم يدروا لذلك فامروا مريم حتى حاوا ابو ابليس امه الله وغضب عليه وهو على عرش لهي لجة خضراء يتنزل

الأرض ونجى خليلك
ابراهيم فقال الجليل جل
جلاله يا ملائكتي كل ذلك
بين قرتي وانا اللطيف
الخبير ثم قال الله تعالى
يا جبريل ادرك خليلي
ابراهيم وسد له ما يريد فانا
اقرب اليه من حبل الوريد
قال فهبط اليه جبريل
وسرعا وهو صاعد في
الهواء قبل هبوطه الى النار
فقال السلام عليك
يا ابراهيم فقال وعليك
السلام يا جبريل فقال ألك
من حاجة فقال له ابراهيم
أنا لك فلا فقال جبريل
سل من اليه حوائجك
فقال ابراهيم عامه محلى
ينقى عن سؤالي فقال الله
تبارك وتعالى يا زكري
بردا وسلاما على ابراهيم
فصارت تلك البارجة نعيم
وجرت فيها عين من تسيم
وفرش فيها مهناد
النسيم ونودي بلسان
التفهم سلام قولاً من
رب رحم وكان من
أمره ما كان (فيا) آن
ظهور اشراق بهجة
المصطفى سيد الادم
طه المكرم صلى الله
عليه وسلم وايمت
اغصان الاسلام وأثمرت
وبزغت في ليل الشرك
شمس الايمان وظهرت
وولد سيد البشر وشاع

بالعرش يوم كان على المساء قاتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فرح من
ذلك ولم يرم جيماً منذ فرغهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم اشتائاً فاصلم فاخبروه انه حدث
في الارض حدث فاصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شيء اعون على هلاك بني آدم
منها لانهم كانوا يدخون في اجوافهم فتكلمهم وتبدروا أمرهم فيظنون انها هي التي تكلمهم فلما اصابها هذا
الحدث صفرها في أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يبدوها بعد هذا (واعلم) اننا لم نكن تأنيك
حتى أحصينا الارض وقتلنا البحار وكل شيء فلم نزد ما أردنا الا جهلاً فقال لهم ابليس فما يكون الأمر
عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك وأبث عنهم ثلاث ساعات فرأى فيهم بالمكان الذي ولد
فيه عيسى فلما رأى الملائكة محرقين بذلك المكان علم ان ذلك الحدث فيه قرار ابليس لانه الله أن
بأنبياءه من فوقه قال فاذارؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد ان يأتيه من تحت الارض فانا
أقدم الملائكة راسية فاراد ان يدخل من ينوم فتدعون ذلك بدل عليه حدث النبي صلى الله عليه وسلم
كل ابن آدم بطن الشيطان في جنبه باصممه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبته الله تعالى
عنه فذهب بطنه فطن في الحجاب * قال وهب فذهب ابليس لانه الله الي أصحابه فقال لهم ما جئكم
حتى احصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبحرها وخالقها والحوال على وكل هذا بقلبي ثلاث
ساعات ثم اخبرهم بولد عيسى وقال ما شتمت قلبه رحم اني على ولد لا على ولا وضمته الا وانا
حاضرها واني لارجو ان يضل به أكثر ممن يهدي به وما كان بي أشد على وعليك من هذا المولود
ثم انه خرج في تلك الليلة يؤمونه من اجل نجم طلع كانوا من قبل يتجددون ان مطلع ذلك النجم من
علامات مولود في كتاب دانيال فيخروا ريدونه ومهم الذهب والمز واللذان فروا ملك من ملوك
الشام فسالهم أين تريدون فاخبروه بذلك قال فلما مال المروالذهب واللبان اهدى تمويه بهذه الاشياء
قالوا تلك أمه لا الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم سيد اهل زمانه ولان
المريخ به الكسر والجرح وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يشفي الله به كل سقم ومر يرض
ولان اللبان دحانه به خن السام لا يدخلها وحال غيره وكذلك هذا النبي صلى الله عليه وسلم يرفع الله الى
السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فاذا
علمتم بمكانه فامضوا بذلك فاني راغب في مثل ما رغبت في من امره فانتظروا حتى قدموا على مريم
ودفعوا ما كان معهم من الهدية اليها عليها السلام وارادوا ان يرجعوا الى ذلك الملك ليماموه بمكانه
فلقمهم ملك قال لهم لا ترجعوا اليه ولا تملوه بمكانه انما اراد قتله فاصرفوا في طريق آخر وقال
محاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا حلوت مع عيسى عليه السلام حدثني وحديثه فانا شغاني
عنه انسان سمح في بطنى وانا اسمع والله اعلم

(باب في جوع مريم بابتها عيسى بعد ولادتها اليه الى جماعة قومها من بيت لحم) *

قال ثم ان جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها وبسر الله أسباب ولادتها
قال كللى يامرهم من الرطب واشرنى من الماء المذوب وقرى عينا وطبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا
فسألك عن ولدك وأولامك عليه فقولى انى نذرت للرحن صوماً أي صمتا وكذلك هو في قراءة ابن مسعود
وأنس وذلك انهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلان اكلم اليوم انسيا
فانت به قومها محله قال السكابي احتل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فاخذلما فيه اربعين
يوماً حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فانت مريم بحملها بعد اربعين يوماً فكلما عيسى في الطريق
فقال يا امه ايشى فنى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومبها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل

ذكره وانتشر وبلغ اشد

وامتوى اتاه المطوق بالزور
الامين جبريل عليه السلام
من الملك وقال له ياخذ
اجب الملك الجليل قد
اتيتك بالبراق لتلونا لسبع
الطبايق فقد ردك لحضرتك
الملك الخلاق وهانا في
ركابك فوضع النبي صلى
الله عليه وسلم قدما بالمسجد
الحرام وقدم بالمسجد
الاقصي والثلاث بثمان
السماء فتقدم وصلى بالانبياء
 والمرسلين صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين
ثم اخترق سماء بهمد
سماه حتى انتهى الى عرش
الامتواء واخترق الحجب
والاستار الى ان سمع
صريف القسمل على
صفحات اللوح المحفوظ
فندد ذلك وقف جبريل
عليه السلام فقال له اني
صلى الله عليه وسلم مابالك
تركتني فقال له جبريل
يا اكرم الخلق علي الله
تقدم على ربك وذرتي
فهذا مكاني متى تقدمت
قدر ذرة احرقني اوار
الهيئة وشعاع العظمة وما
منا الا مقام معلوم فلما هم
المصطفى صلى الله عليه وسلم
بان يتقدم وينزل جبريل
عليه السلام قال له امين
الوحى لك من حاجة الى
الله تعالى في هذا المقام كما
اقدم منك لابن ابراهيم

بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فظما عظيما يا اخت هرون قال قتاده كان هرون
رجلا صالحا من اقبية بني اسرائيل وابى هرون اخى موسى وكره ان يسمع جنازة يوم مات اربعون
الما من بني اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من افسق بني اسرائيل
واظهرهم سادا فشهروا به ما كان ابوك عمران امراسوه وما كانت امك شيئا اي زانية فمن أين لك
هذا الولد فاشتارت لم مريم الى عيسى اب كملوه ففضهوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيانا قال
وهب فانها زكريا عليه السلام عند منظرهما اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها
فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهوان اربعين يوما الى عبد الله اني الكتاب الالية تافق على نفسه
بالعبودية اول ما نكلمك تكذيبا للتصاري والزما لا حاجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت
قومها بعيسى أخذوا الحجارة زاروا ان يرموه فلما تكلم عيسى تركوه قالوا ثم يتكلم شي بهدا
حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر) *
قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وابوه امه وابوهما الى ربة ذات قرار ومعين قالوا كان ولد عيسى
به مضي اثنين واربعين سنة من ملك اغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين
ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت ملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها
لتيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بني اسرائيل خبر
المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث
الله ملكا الى يوسف الجبار واخبره بما اراد هردوس وامره ان يهرب بالملك وامه الى مصر واوحى
الله الي مريم ان الحقي بمصر فان هردوس ان ظفر بانك قتله فاذا مات هردوس فادجي الى بلادك
فاحتمل يوسف مريم وابنها على حماره حتى ورد ارض مصر وهي الى ربة التي قال الله تعالى وكونا هما
الى ربة ذات قرار ومعين (ذكر ابو اسحق الثملي) في التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام
هي دمشق وقال ابو هريرة هي الرملة وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس وقال كعب هي اقرب
الارض الى السماء وقال ابو زيد هي مصر وقال الضحاك هي عرصة دمشق وقال ابو العالية هي ايلياء
وقال الفزاز الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فاقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة فنزل السكتان
وتلغظ السنبلي اثر الحصادين وكانت تلغظ السنبلي والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبلي في
منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنا عشرة سنة (وروي) عن محمد ابن علي ابا قرظ رضي الله عنه انه قال
لما ولد عيسى كان بن يوم كانه ابن شهر فلما كان تسعة اشهر اخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب
واقدمته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قن
ابعد فرفع عيسى عليه السلام راسه فقال له هل تدري ما ابجد فملا به بالفضيب ليضربه فقال
يا مؤدب لا تنظر بني ان كنت تدري والا فاسألني حتى افسرك فقال له المؤدب فسر له فقال
عيسى الالف لاله الا الله رب العالمين بحجة الله والجميع جلال الله والدال دين الله هو زاهاهم جهنم وهي
الهاوية والوار ويل لاهل النار والراي زفير اهل جهنم حتى حطت الخطايا عن المستغفرين
كل من كلام الله غير مخلوق ولا مبدل اكلهاته سقاص صاع وبصاع والجزاء بالجزاء قرشت تفرشهم
حين تحشرهم أي تجدهم فقال المؤدب لاهم ابها المرأة خذتي ابنتك فقد علم ولا حاجة الى المؤدب
(اخيرا) الحسين بن محمد بن الحسين المعسر باسناده عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان عيسى اوسلته امة ليتمم فقال له الملم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال الملم مادري

قال عيسى الياه بهاء الله والدين سناء الله والميم مملكة جل وعلا والله أعلم
(باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلاً أحرماً لا إلى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط
وكان عيسى يمشى حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حلية ولا متاعاً ولا يلبس ثياباً ولا زقاً لا قوت يومه وكان حينما غابت
الشمس صف قدس به وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى بإذن الله وكان يخبر قومه
بما يأكون في بيوتهم وما يدخرون لند وكان يمشي على وجه الماء في البحر وكان اشمت الرأس صغير الوجه
زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة حر يصاعلى عبادة الله وكان سياحياً في الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا
قتله فرمعه الله إلى السماء والله اعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام في صباه إلى ان نبيه)

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى ان امه كانت نازلة في دار دهقان من ارض مصر انزلها بها يوسف
التجار حين ذهبهم الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوي اليهم المساكين فصرق الدهقان مال من خزانته
فلم ينهم المساكين فخرت مريم لصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن امه لمصيبة صاحب ضيافتها قال
لها يا امه انجبن ان ادله على ماله قلت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع المساكين في داره فقالت مريم للدهقان
ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا وعمدوا إلى رجبان منهم احد هما اعمى والاخر مقعد فحمل المقعد على عاتق
الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى انما ضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلامسه و
يقول ذلك ضرر بوا الاعمى حتى قام فلم يستقل قائماً هو المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا
احتمل على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوة المقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على
الدهقان ماله كله فأخذ الدهقان ووضعه في خزانته وقال يا مريم خذي نصفه فقالت اني لم اخاق لذلك قال
الدهقان فاعطيه لا ينك قالت هو اعظم مني شأنهم لم يلبث الدهقان ان اعرج لان له فصنع له عيداً فجمع عليه
اهل مصر كلهم فكان بطمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من اهل الشام ثم لم الدهقان هم حتى نزلوا
به وليس عنده يومئذ شراب فلما راى عيسى اهانته به ذلك دخل بيتهم بيوت الدهقان فيه صفان من جرار
قامر عيسى يده على افواهها وهو يمشى فكبا امر يده على جرة امتلأت شراباً حتى انى عيسى على
آخرها وهو يومئذ ابن اثني عشرة سنة (آية اخرى) قال السدي كان عيسى عليه السلام اذا كان
في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أنفؤهم ويقول للفلان انطق ففدا كل اهلك كذا وكذا ورفقوا
لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطق الصبي الى اهله فيسكن عليهم حتى يطموه ذلك الشيء
فيقولون له من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحسبوا عنه صبيانهم وقالوا لا نعلم بامع هذا الساحر فيجدهم
في بيت فجاء عيسى يطلمهم فقالوا له ليس ههنا قال لهم فاني هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون
ففتح عنهم فاذا هم خنازير فقتلهم في الناس فهبت به بنو اسرائيل فلما اخذت عليه امه حمله على حمار
لها وخرجت هاربة الى مصر (آية اخرى) قال السدي لما خرج عيسى وامه عليهما السلام يسبحان
في الارض اذ ترك بني اسرائيل ونزلا في قرية على رجل قاضياهما واحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت
جباراً عنيداً فعاه ذلك الرجل يوماً مفتاحاً بنا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن
زوجك اراه حزيناً فقالت لها لا تسأليني فقالت اخبريني لعل الله يفرج كربك عى بدى فقالت ان لنا
ملكاً يحمل على كل رجل منا نوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا
وليس عندنا سعة قالت فتقولى لا يهتم بشيء فانه قد احسن الينا وانى امر ابني ان يدعوله فيكفى ذلك
ثم قلت مريم لعيسى قل ان فعلت ذلك يقع شر قتلاتي لانه احسن الينا واكرمنا قال عيسى

فقال نعم يا سيد البشر فقال
وماهى فقال تسأل الله لى
عز وجل الامن من مكروه
وسخطه وعاباً قال فقدم
صلى الله عليه وسلم الى
مكان لم يصل اليه نبي
مرسل ولا ملك مقرب
فابتدأه بالتحية والسلام
زوال الجلال والاكرام ثم دنا
فتدلى فكان قاب قوسين
او أدنى فاوحى الي عيده
ما وحي فقال صلى
الله عليه وسلم
يا رب ابقى فقال الله عز
وجل يا محمد انى قدمت
على امتك بثمانية اشياء لم
امن بها على احدهن الامم
السابقة (الاول) انى لم
اخلق خليفة في السماء ولا
في الارض اكرم على
من امتك (الثاني) ان مائة
الف واربعة وعشرين
القامن الانبياء مشتاقون
اليك والى امتك (الثالث)
انى لم اعط امتك الكثير
من الاموال مثل ما سبق
من الامم لتلاطول عليهم
الحساب يوم القيامة رحمة
لهم وشفقة عليهم (الرابع)
انى لم اعط امتك القوة
بالاموال والاولاد مثل
الامم السابقة حتى كفروا
وجحدوا ونعتي (الخامس)
انى لم اطول اعمارهم
فتجتمع عليهم الذنوب
من كآفهم من غيرهم

امتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) انى اخرتهم الى آخر الزمان وجاهتهم آخر الامم حتى لا يطول مكثهم فى التراب (الثامن) انى لم افش سرهم كما اُفشيت سر الامم واخبرهم اليك والى امتك واه ليس بمدك نبى ولا قرآن وهذا كله ببركتك يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يارب ان عبدك جبريل سألنى ان اسالك ان تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع به ثانيا فى امره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب بالحدود امتنه مكرى فماد النبي صلى الله عليه وسلم انى جبريل وهو فرح سرور واخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة اعامه ثم قال يا محمد كل ذلك ببركتك وعيلى قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين

(وروي عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه) انه انى يوامن الالام الى المسجد للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقام

فقال له اذا قربت ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلى فقل ذلك فدعا عيسى فحول ماء القدور لماء ومرقا وماء الخواين سخرا ام ير الناس مثله قط فلما جاء الملك اكل فله شرب سئل من اين هذا الخمر قال له من ارض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد اتى بها من لك الارض وليست مثل هذه فقال له من ارض اخرى فلما خطب نبي الملك وشبهه عليه قال اخبرنى على الحق قل قنا اخبرك عندى غلام ماسأل الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فنجل الامم اخرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فأتى قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء سخرا لى استجاب له حتى يحى ابني فدعا عيسى وكابه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا بالى بعد ان اراه قال عيسى ان احييته تتركونى انا وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله فاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنى موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيا كلبنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى واهمه (آية اخرى) قال وهب بينا عيسى ياب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فوكره برجله فقتله فلفاه بين يدي عيسى وهو لم يطخ بالدم فطاع الناس عليه فتهموا به فاخذوه وانطلقوا به الى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا ادرى من قتله وما أنا بصاحبه فاردوا أن يبطشوا بنيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلام فقالوا له ماتريد منه قال اريد أن اسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فاخذوه واتوه الى مقتل الغلام فاقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتاني فلان على الذى قتله فقال بنوا اسرائيل من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى امه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له امه يا بنى الم انك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية اخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعد ما اخرجته من السكنا الى اعمال شتى فكان اخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسه ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلقات فمضى للرجل سفر فوال امسى المك قد تلبت هذه الحرفة وانا خارج فى سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلقات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذى يصنع به فاحب ان تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما يدمنك فقدم الصباغ والثياب كلها فى جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال اين هى قال فى الجب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها فى جب واحد لقد افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على الالوان التي ارادها فنجعل الصباغ يتصبغ وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فامن به هو واصحابه وهم الحواريون والله عز وجل اعلم

(باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هرودس)

قال وهب لما مات هرودس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام وحيى الله تعالى الى مريم بختبرها بعت هرودس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى واهمه عليهما السلام وسكننا فى جبل الخليل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم فى الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة اوحى الله تعالى اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويدوي المرضى والزمنى والمعيان والجانين ويقع

الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه فعمل ما اره به فاحبه الناس ومالوا اليه واستأنوا به وكثرت اتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمني في الساعة الواحدة خمسون الفا من اناس منهم ان عشي اليه مشي اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام واما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان * ودعاؤه الذي كان يشفي به المرضى ويحيي به الموات اللهم انت الهمن في السماء والهمن في الارض لا اله فيهما غيرك وانت جبار من في السموات وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك وانت ملك من في السموات وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك وانت حكيم من في السموات وحكيم من في الارض لا حكيم فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السماء وسلطانك في الارض كسلطانك في السماء أسألك بملكائك السكرام انك على كل شيء قدير

(باب في قصة الحوار بين عليهم السلام)

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد باننا مسلمون وقال الله عز وجل وإذا وحيت الى الحواريين أي اهتمهم ووقفهم أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلان الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأوليائه وأرضيائه وأنصاره وزراه وكانوا اثني عشر رجلا وأسماءهم شمعون الصفا والمسيح بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه وفيلبس وبرثولوماوس وتوما وماتى العشار ويعقوب بن حلفا واوليا الذي يدعي تداس وشمعون القناني ويهوذا الاسخر يوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم لم يسموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين بصطاء دون السمك فربهم عيسى فقال لهم ماتصنعون فقالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا نعيش من حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك قال ندعوا الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكره أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبي العربي قاتبه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه وقال السدي كانوا الاحسين وقال ابن اراطه كانوا اقصار بن سمواء بذلك لانهم كانوا بحورون الثياب أى يبيضونها (أخبرنا) ابن فنجو به باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اواجاعا قالوا ياروح الله جعنا فيضرب يده الى الارض سهلا كان أوجبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهم اواذا عطشوا قالوا ياروح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أوجبلا فيخرج الماء فيشربون فة الوياوروح الله من أفضل مناذاشتنا اطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنابك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاوا ويملون الثياب بالسكرا قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصبة فكانت القصبة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك اني أترك ماسكي وأتبعك فانطق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقدمت القصبة * قال الضحاك سمو الحواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله ابن المبارك سمو الحواريين لانهم كانوا رانين عليهم أنرا العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها وأصل الحوار عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحوار وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصاح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارية خاصة الرجل ومن يستعين به فيأينو به ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارية وحواري الى زبدي ثم ولاه حوار يعيسى ابن مريم عليه السلام فاما حوار يوهذه الامة فاخبرنا الحسين بن محمد الدينوري باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قر يش وهما ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحجرة وجعفر وأبو عبيدة ابن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطليحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

فاتته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام بقرآنك السلام ويخصمك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل ان يخلق السموات والارض بالنفى عام فكنت اسبجه واقدسه فيبينا انا على تلك الحالة اذا قبة من نور يضيئه تضيئه فجملة تمر من السحاب واذا بصوت منها يقول احد احد فرد صد فقلت يارب من هذا اخلق خلقته قبلى ام خلق تخلفه بعدى فقال الله عز وجل هذا خلق اخلفه في اخر الزمان وهوني مكرم اسمه محمد وامته خير الا نام فقلت يارب اسالك بحقه عليك ان تجلباني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك اذا بقبة اخرى تليها وهي تمر من السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يارب فقال رجل من امة هذا النبي يكون اول من يصدقه يسمى الصديق فلما بذلك الله يا محمد اقام ابو بكر

بأنطرك قبيل امتك
 باربعين عاما فلما بعثت
 بادر اليك وصددك
 فيستحق منك ان تصير
 له ساعة حتى يصلي
 معك وينال من بركتك
 ثم مضى جبريل عليه
 السلام فقام النبي صلى
 الله عليه وسلم واخذ
 بيد ابى بكر وعاهده
 انه لم يكن ليصل فرضا
 الا ان يكون خلقه
 رضى الله تعالى عنه وعن
 كل الصحابة اجمعين
 (وحكى عنه ايضا رضى
 الله تعالى عنه) انه قال
 بينما نحن جلوس
 بالمسجد واذا برجل
 اعشى قد دخل علينا وسلم
 فرددنا عليه السلام
 واجلسناه بين يدى النبي
 صلى الله عليه وسلم
 فقال من ينضربني حاجة
 في حب النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال ابو بكر
 رضى الله تعالى عنه
 ما حاجتك يا شيخ فقال
 انى اهل الارض يمكن عندي
 ما تقتات به واريد من
 يدفع لنا شيئا نقات به
 في حب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال فنضض
 ابو بكر الصديق رضى
 الله تعالى عنه وقال نعم
 انا اعطيك ما يذوق بك في
 حب رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال هل من

ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد بعثته
 الى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه ﴿

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها في سورة المائدة واذا قال الله
 يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدك اذ يدعك بروح القدس * واختلاف واقية فقال الرايع بن
 أنس هو الروح الذى تنفخ فيه الروح اضافة سبحانه الى نفسه تكبريا وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله
 والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنحننا فيه من روحنا وقال آخرون اراد بالقدس الطهارة
 أى الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحا لانه لم يتضمنه أصلا بل قد جعله روحا له
 الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل ونايد عيسى بجبريل عليه السلام
 هو أنه كان قريبه ورفيقه ويمينه ويسيره حينما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيدة
 ابن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك المعجائب (ومنها) تليق الله اياه الانجيل
 والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كقَالَ الله تعالى واذا علمت ان الكتاب أى الخط قليل الخطأ عشرة أجزاء
 فثلاثة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطاهر من الطين كقَالَ الله تعالى فغيره أنى قد
 جئتكم بآية من ربكم أنى اخلق اسك من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا ياذن الله وقال تعالى واذا نفخ
 من الطين كهيئة الطير ياذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا ياذن الله والله تعالى وحقيق غير
 الخفاش وانما خص بالخفاش لانه كأل الطائر خلفا فيكون أبلغ في القدرة لان له دنيا واسنانا ويد ويحيض
 ويطي (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا لانه من فعل الخلق عن فعل
 الله تعالى ولعلم أن السكالك لله عز وجل (ومنها) ابراه الاكهم والابرس كقَالَ تعالى وتبرى الاكهم
 والابرس ياذنى والابرس الذى به وضع والاكهم الذى ولد اعمى ولم يبرص واظلم ولم يكن في الاسلام أكهم
 غير قتادة وانما خص هذين لانهم ما عيا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فاراهم المعجزة من جنس
 ذلك (ويرى) أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فيقول هؤلاء قوم طلبوا للقضاء
 فطسوا عنهم بايديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا اخفنا عقاب القضاة فصنعنا بافئسنا ما ترى فقال انتم
 العلماء والحكماء والاخبار والافاضل امسحوا بعينكم بايديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام
 ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى ياذن الله قال تعالى واذا نخرج الموتى ياذنى وأحيائهم أمواتا منهم المآذر
 وكان صديقه له فارسلت أخته الى عيسى أن أذاك المآذر يموت فاتم وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فاتاه
 هو وأصحابه فوجدوه قد ماتت منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقى بنا الى قبره فاطلقت معهم الى قبره
 وهوى صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتني الى
 بني اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم أنى أحيى الموتى ياذنك فاحى المآذر فقام المآذر وخرج
 من قبره وبقي وزلده (ومنها) ابن العجوز وكانت القصة فيه ان عيسى مر في سياحته ومعه
 الحواريون بمدينة فقال ان في هذه المدينة كثرا من يذهب يستخرجهم لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه
 القرية أحد غير رب الا فتولوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فضى حتى دخل المدينة فوقف
 على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا
 أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى
 أضفتي ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما أنك لو فعلت ذلك زوجتك
 بنت الملك فقال له الفتى اما ان تكون مجنونا واما ان تكون عيسى بن مريم قال ان عيسى فاضافة وبات عنده
 فلما أصبح قال لا غدو ادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيامر بضر بك واخراجك فضى

حاجة اخرى فقال نعم ان
لى ابنة اريمن تزوج بها
في حياتي بحايي محمد صلى
الله عليه وسلم فقال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه انا
أتزوجها في حياتك حيا
في رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل من حاجة اخرى
فقال نعم اريد ان اضع
يدي في شعبة ابي بكر
الصديق رضي الله عنه
حيا في محمد صلى الله
عليه وسلم قال فنهض
أبو بكر رضي الله عنه
ووضع يده في يدي اباي
وقال امك الحيتي في حب
محمد صلى الله عليه وسلم قال
فقبض الاعمى بلحية ابي
بكر الصديق رضي الله
تعالى عنه وقال يارب
اسألك بحرمه شعبة ابي
بكر الا ما رددت على
بصري قال فرد الله عليه
بصره لوقتته فنزل جبريل
عليه السلام على النبي
صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد السلام
يقربك السلام ويخففك
بالتحية والاكرام ويقول
لك وعزته وجلاله لواقم
على كل اعمى بحرمه شعبة
أبي بكر الصديق رددت
عليه بصره وما تركت على
وجه الارض اعمى وهذا
كاه ببركتك وعلو قدرك
وشأنك عند ربك اللهم
شفعه فينا والمسلمين

التي حتى دخل على الملك فقال له جئت اليك اخطب ابنتك فامر بضربه فضرب وأخرج فرجع النبي الى
عيسى فاخبره الخبر فقال اذا كان غد فاذهب اليه واخطب ابنته فانه يتالك بدون ذلك ففعل النبي ما أمره
عيسى فبصره دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فاخبره فقال ارجع اليه فانه سقوف يولك انا زوجك
اياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وقضة ومافية من ذهب وقضة وزبرجد ففعل له اقبل ذلك فاذا
بعث معك احدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحث فيه شيئا ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقوا
بحكمي فال وما حكمكم فحكم بالذي سمعاه عيسى فقال نعم رضيت ابنت من يقبض ذلك قبضت معه رجلا
فسلم اليهم مائة مائة الملك فتهجب الناس من ذلك فلم يله اليه الملك ابنته فتهجب النبي من ذلك وقال ياروح الله تقدر
على مثل هذا وان كنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى اني آتيت ما ينبغي على ما ينبغي فقال النبي انا ايضا ادع
وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فاخذ عيسى يده وأتى به لصحا به وقال له هذا الكبر الذي قلت لك
فكان معه ابن العجوز الى ان مات ومرو به وهو ميت على سريره ففدا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من
على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله نقي وولده (ومنها ابنة العاشر رجل
كان باخذ المشركين له لأبيهم او قد ماتت بالامس فدعا الله زوجا فاشتت وبقيت ولدها (ومنها) سام
بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح وبعث لثامن شهدا السفينة فبعت لثامن فقام وأتى
تلا فضرب يده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه
الاعظم وضرب ابيه بعصاه وقال احيا بادن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف راسه فقال اقد
قامت الفياضة قال لا ولكي دعوت باسم الله الاعظم قال نعم بكرنا يشيرون في ذلك الزمان وكان سام قد عاش
خمسة مائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط ان يدينني الله من سكرات
الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزيز
عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام احيه والاخر فثابك بالارواح حيا كثيرا من حطب السكرم وكانوا
في ذلك الوقت يدفنون وتنام في صنابير من حجارة مطعمة فوجدوا قبر عزيز مكتوبا على ظهره اسمه
فمالوه ليقبضوه فلم يقدر ان يخرجوه من قبره رجعوا الى عيسى فاخبروه فثابكهم انا فبصرهم وقال لهم
انضحوا قبرهم هذا الماء ففعلوا ففتح الطبق فأتوا به عيسى وهو في كفة انه والارض لانا كل اجساد الانبياء
ثم أنه نزعت ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره بنبت ثم قال احيا عزيز باذن الله تعالى فاذا
هو جالس وكل ذلك تراه اعيانهم فقالوا يا عزيز ما تشهد لهذا الرجل يدعون عيسى فقال أشهد انه عبد الله
ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك ببقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره
فقام ميتا فآمن به عيسى بن مريم من آمن وعاد من كان الكلي كان عيسى يحيي الموتى يا حي يا قيوم (ومنها)
اخباره عليه السلام عن النيوب قال الله عز وجل اذ بارعنه وانه يك ما كانا كلين وما تدخرون في بيوتكم قال
السكبي لا أبرأ عيسى الا كاه والا برص واحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن اخبرنا ما كانا كل وما تدخرون
فسكان بخبر الرجل ما يا كل في غدائه وما يا كل في عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام الى الماء بروي انه خرج
في بعض سيا حته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لمي فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله
بصحة وبقين فمشي على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة وبقين فمشي على وجه الماء فداخله
العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء قال فانه مس في الماء فاستغاث بمي
فثنا وله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير يا خبير يا خبير خاطره فقال له عيسى افدوسمت نفسك
في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه ففعل الله على ما قلت ففعل الله ما قلت ففعل الله ما قلت ففعل الله ما قلت
التي وضعتك الله فيها فافقوا الله ولا يحسد بعضهم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الخشاشي باسناده عن معاذ

ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لمعلم العلم الذي ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا لا أنت يا رسول الله قال لا أنا قالوا يا رسول الله قد علمنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازدد خوافاً بقيتاً لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأن من أن يبلغ أحدا شأنه

﴿ ذكر حديث جامع في هذا الباب ﴾

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصحبته يهودي وكان مع ذلك اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركني في طعامك قال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الارغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحباه واكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته ما طامهما فقال لصاحبه اين الرغيف الاخر فقال ما كان الارغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم اطلقا فجاءه شجرة فقال عيسى لصاحبه لوانا بنتا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال اقل فباتا ثم احبهما بمطالفة في فلانها أعمى فقال له أرايت ان أنا عالجك حتي يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودي بالذي أراك الأعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرفا ذمها فعمد فقال له عيسى أرايت ان عالجك فمالك قال الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجله فقال صاحب عيسى ما رأيت بش هذا قط فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى بصيرا فعمد صحيفا من صاحب الرغيف الثالث خافه ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عنه عيسى فانطلقا حتي انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لاري جسر اولاً سقيفة ثمذ بحجرتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذي أراك الأعمى والمعمد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان الارغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظلمة رعى فدعا عيسى بطي فذبحه وشوي منه بعضا واكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبي بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبي يدعوا فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الاخر فقال ما كان الارغيف واحد ففرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجز لنا من بقرك هذه فجلا فقال ابعث صاحبك اليهودي يأخذه فانطلق اليهودي فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظاما ففرا فغوا قذف بمظامه في جده ثم ضرب به بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوارف فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من انت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فرمته فقال عيسى لصاحبه بالذي احيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معي الارغيف واحد فسكت ومضيا حتي دخلا قرية فنزل عيسى في اسفلها واليهودي في اعلاها فاخذ اليهودي عصا عيسى وقال انا الآن ابرى والمرضي واحي الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنا فانطلق اليهودي ونادى من يمتني طيبيا حتي أتى باب الملك فاخبر بوجهه فقال ادخلوني عليه فانا ابرته وان رايتهم قد مات فانا احياه فقيل له ان وجع الملك قد اعيى الأطباء فبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه فقال ادخلوني عليه فادخل عليه فاضرب الملك بمصاه فمات فيجمل بضرب الملك بالمصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يتم فاخذ لصاحب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقدرفع على الحشبة فقال لهم عيسى أرايتهم ولو احدثت لكم الملك هل تتركوني لصاحبي قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودي من الحشبة فقال يا عيسى انت اعظم الناس على منة والله لا افارقك ابدا فقال له عيسى أنشدك الله الذي احيا الظبي والعجى بعدما كانا هما واحيا هذا بدمامات وانزلك من على الجذع بعد ما صلبك كم كان معك من رغيف قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معي الارغيف واحد فقال عيسى لا بأس

(وما نفل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى) حدث ابو موسى الفضل عن ابيه قال سمعت زينب بنت سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدي وكان عادتيا اذا كنت عندها انها تجلس في عتبة باب بيت من بيوت القصر واجلس بازائها في الصدود في مجلس كان المهدي يجلس فيه اذا قصدنا وكان يقصصنا في كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتي يحببنها فقالت اعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهي على غاية من سوء الحال تستأذن في الدخول عليك وقد سالنها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرني قالت زينب فانتارت الخيزران الى وقالت ماتريد فقلت ما بصرنا دخوله فلا بد من قائدة اوثوب فدخلت المرأة فاذا هي اجمل ما يكون من النساء وكان من فوقت الى جانب الباب وسلمت وقالت انا مرنه بنت مروان بن عبد الملك

ابن محمد الهموي قالت
 زينب فكنيت متكئة
 فاستويت جالسة وقالت
 مرة قاتلك الله ولا حيالك
 ولا زارك ولا سلمك ولا
 سلم عليك والحمد لله الذي
 ازال النعمة عنك وهتك
 سترك واهانك بين الناس
 اتذكرين يا عدوة الله
 حين انك انساء في العباس
 يسالك بالله ان تكلمني
 اباك في دفن ابراهيم بن محمد
 فوثبت علي بن واسعه من
 اخشن الكلام واغاظ
 القول وخرجن على الحلة
 التي علمت بها قالت زينب
 فلما سمعت كلامي ضحكته
 فوالله ما اني حزن ثمرها
 وعلو صوتها بالهفوة
 ثم قالت اي بنية عبي اي
 شئ مانجرك من صنع الله
 حتى اردت ان تسيئيني
 والله لقد صنعت ببناء
 اهالك ما قد ذكرت
 ولكن حق على الله
 تعالى ان تكلمني ذليلة
 جائعة عريانة افكن
 هذا شكرك لله على
 ما اولاك ثم قالت زينب
 فالتفت ونظرت فاذا هي
 تبيكي فنادت الخيزران
 يا مرنه دخلت باذني فلا
 تخرجي الاباذني وصاحت
 بحجبها ردوها فرجعت
 وقالت ما ساقني الا الضر
 والجهد وسوء الحال قال
 فنهضت الخيزران ويا مت

فانطلقا حتى اتيا قرية عظيمة خربة فيها اكثر ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل
 لعيسى هذا المال لك فقال عيسى اجل واحدة لي وواحدة لك وواحدة للذي اكل الرغيف الثالث فقال
 اليهودي لعيسى انا صاحب الرغيف انك اكلته وانت تصلي فقال عيسى هي لك كلفا فاطاق عيسى وتركه
 ينظروا هولا لا يستطيع ان يحمل منهن واحدة لتفعل ما عليه فقال له عيسى دعه فار له اهل اهل لم يكون عليه فجعلت
 نفس اليهودي تنطلق الى المال ويكره ان يعصى عيسى ويهجره حمل المال فاطاق مع عيسى فبينما هو كذلك
 اذ مر بالمال ثلاثة نفر اولاه فقال انان دنهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فالتا بطعام
 وشراب ودواب فحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبها قال احدهما للآخر هل لك ان تقتله اذا رجع
 وقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذي ذهب في نفسه انا اجد في الطعام سافا اذا اكله ماتوا بصيرنا ان كله لي
 فقتل ذلك فلما رجع اليه او وصل قتلته ثم كلفا طعام الذي جاء به اليه ما اذا ناول عيسى عليه السلام به
 وعم حوله مقتولون فقال لا اله الا الله هكذا صنع الدنيا باهلها ثم ان عيسى احميا ما بذن الله فاعترى او امر واو لم
 يأخذوا من المال شيئا تطامعت نفس اليهودي صاحب عيسى الى المال فقال اعطني المال فقال عيسى خذ لك فبو
 حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فاطلاق عيسى عليه السلام في ومنها نزول
 المائدة قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
 قال انفقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروي
 قتادة عن جابر عن عمار بن بلير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك
 انهم سألوا عيسى طعما ما يكون منه ولا ينفد قال فقال لهم اني فاعل ذلك وامام عمة اكم لم تخبوا او تخونوا
 فان علمتم ذلك عذبتم قال فماضى يومهم حتى خانوا وخبوا وفي بعض الروايات ان بعضهم سرق منها وقال
 املنا ان ينزل ابد افرقت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى بنى اسرائيل صوموا ثلاثين
 يوما ثم سألوا الله ما شئتم يطعمكم ففصموا ثلاثين يوما فله افرغوا قالوا يا عيسى اتانا علمنا لا حد فضينا عملنا
 اطعمنا طامام وان صمتنا وجنا فافزع الله ان ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافتش الرماذم دعا
 الله تعالى فقال اللهم ربنا نزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة مائدة بمحملونها عليها سبعة
 ارغفة وسبعة احوات ووضعها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وروي عطاء بن السائب
 وغيره انه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية
 العوفي نزلت سبعة من السماء فيها طعم كل شئ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة
 وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كلن والسولي لبني اسرائيل وقال وهب انزل الله اقرصة
 من شميم وحيثنا فنيل لوهب ما كان ذلك يفتي عنهم من شئ قال بلى واكن الله ضاعف لهم البركة
 فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويحيى آخرون فيأكلون حتى اكلوا باجمهم وفضل وقال كعب
 الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال
 مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال اني منظرها عاكم كم سألتم فن اكل من ذلك الطعام ثم لم
 يؤمن بجملة مثله ولا لمئة وعبرة قلن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شهمون الصفا وركان افضل الحوارين فقال
 هل ملك طعام فقال همى سمكتان صغيرتان وستة ارغفة فقال عليهما فاطمهما عيسى قطعا صفرا وقال اقعدوا
 في روضة وترفقا فارقا لكل رقيقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وانزل فيه البركة فصارت خبز
 صحاحا وسككا صحاحا ثم قام عيسى عسى لخل يلقى في كل رقيقة ما حامت اصابعهم ثم قال كلوا باسم الله فجعل
 الطعام يكثر حتى بلغ ركهم فاكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا
 انك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة اخرى فانزل الله خمسة ارغفة وسكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى

فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا يحكم انما سحرا عينكم نحن اراد الله به الخير فنبه على بصيرته ومن اراد فتنه رجع الي كهره فـ... وجاؤا قد وهنوا زبوا ليس منهم عبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا لم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل مسوخ ويروى عن عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر بيتا ولا فقهه ضحكا ولا ذب ذبا عن وجهه ولا اخذ على افقه مرتين شيئا قط ولا بيت قط ولما سله الحواريون ان ينزل عليهم الموادصنونا قال اللهم انزل علينا ما نأمنه من السماء الآتية وارزقنا عليها طامانا ما نكل رأت خير الرازيين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غامقة من فوقها وغامقة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكي عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يره مثله قط ولم يجدوا ربحا أطيب من راحة ذلك فقال عيسى لهم احسنكم عملا يكشف عنها ويدكر اسم الله وبكل واحد منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازيين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلول ولا شوك فيها تسيل سيلان من الدم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا سمعوا رغبة على واحد منها يزبون وعلى الثاني عدل وعلى الثالث سن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله اأمن طعام الدنيا هذا ثم طامم الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن اقمته الله القدرة الغالية كما واما سالمكم بعدكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو انهم هذه الآية آتية أخرى فقال عيسى بسمكة احية باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلولها وشوكها ففزعو امنها فقال عيسى ما ليكم تسألون اشياء اذا أعطيتوها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم ان تعذبوا بسمكة عودي كما كنت باذن الله فمادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان آكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والمريض وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله واكلم الهناء ولا تفرم البلاء فاكلوا منها وصدر عنها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلي كلهم شعبان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هي كهيئةها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم ياكل منها يوهن من رضى الابري ولا زمن الاصح ولا مبتلي الا عوفي ولا فقير الا استغني ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم ياكل وكانت اذا نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والسكران والنساء يزدهن عليها فلبت أر بعين صاحبنا نزل ضحى فلانزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء القى طارت صعدا وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كثافة تامودا فوحى الله الى عيسى ان اجعل ما أدنى ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا انزلوا المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هلسكم فشمروا العذاب الله فوحى الله تعالى الى عيسى انى شرطت على المكذبين شرطن أن من كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا عذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تمذهبهم فاهم عداك وان تغفرهم فانك انت العزيز الحكيم فسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا بانوا من ليلتهم على انفرش مع نسائهم فى ديارهم فاصبحوا خنازير يسمعون فى الطرقات والكناسات وياكلون افاذورات فى الحشوش فلما راي الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين اهلهم فلما ابصرت الخنازير عيسى بكيت وجعات تطوف به فجعل عيسى يدعوهم

فما انتقمها فقال مالك فى اوضع شئ من الحال الذى نا فيه فقالت الخيزران لجوارها عليكن بالحلجلى سرعة فدخلوا بها لحمام وامبرت بعض لجسوارى بخدمتها ثم وافتها بالخام المذهبة والطيب ثم قامت اليها الخيزران واعتنقتها واجلسها فى المجلس الذى يجلس فيه امير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموادفجودت تاكل فوهى تلطمه الى ان اكثفت عسلت يديها ثم قالت له الخيزران فهل عندك احد ينتظرك فقالت مالى احد فقالت الخيزران فقومي فاخترى لك مقصورة من مقاصد يري فاسكني فيها عندي ولا تفرق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاخترت اوسدها وانزهها فحول اليها جميع ما محتاج اليه امن القفرش والملابس الحرير والريق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسما الضر واوردها الفقر مالا قدر عليه ولا يسئل ما فى قلبها الا المال احلوا اليها خمسمائة الف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي فى آخر الامر فقال ما بالكم فمضت اليه زينت واعلمته بجميع

بأيمانهم واحدا بعد واحد فيكون يشيرون برؤسهم ولا يقدرين على الكلام فاشوا ثلاثة ايام ثم
هلكوا (ومنها) ما روي ان عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان بكثير المرور به
فيجده جالسا فقال يا عبد الله اراك تسكن الجلس عند هذا القبر فقال ياروح الله هذه امرأة كان لي من
جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال افتجب ان ادعوك الله فيجيبها لك قال نعم فتوضا
عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا اسود قد خرج من القبر كانه جرح محترق فقال له من
أنت فقال يار - ول الله انا ر - لي في عذاب منذ اربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب
فاجبت ثم قال يا رسول الله قد مر علي من الهم المذاب مان ردتني الله الى الدنيا اعطيتني عهدا ان
لا اعصيه ابدا فادع الله لي فوله عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض فضى فقال
صاحب القبر يا رسول الله افقد غلظت بالقبر اعا قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك
القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى اترفها قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فاخذ
الرجل بيدها حتى انتهى الى شجرة فنام تحتها وضع رأسه في حجرها ثم بها ان الملك فظارها ونظرت
اليه و اعجب كل واحد منهم بما صاحبه فاشدرا اليها فوضعت راس زوجها عن حجرها وابتعت الفتى فاستبيط
زوجها فنفقدها فلم يجدها فظلمها فدل عليها فماتت بها وقال امرأتى فقال التي هي جاري فينا هم
كذلك ان طلع عيسى عليه السلام فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ما تقولين
قالت انا جارية هذا ولا اعرف هذا فقال لها عيسى ردي علينا ما اعطيناك قالت قد فعلت فسقطت
مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل اماته الله كافرا ثم بمته فامن وهل رأيتم امرأة
اماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الي السماء قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافئك
الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قاتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عز ورا حكيما (وروي) السكبي عن
أبي صالح عن ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاءه الساحر
ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة فقتلوه واهم فلما رأى ذلك رأس اليهود واهمهم فزع لذلك وخاف دعوته
روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم امن من سبني وسب امي فاستجاب الله
دعاه وسمع الذين سبوه واهم خذرا فلما رأى ذلك رأس اليهود واهمهم فزع لذلك وخاف دعوته
فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود ان
الله يبتضخكم فنبضو من مة الله غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعت الله تعالى اليه جبريل عليه السلام
فادخله خوخة وواروه في سقمها ورفعه الله تعالى من روزنه فامر رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال
له فلطيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقتله
فيها فاقني الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصابوه وقال وهب ان عيسى لما
أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحوار بين وصنع لهم طعاما وقال
احضروني الليلة في اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشامهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من
الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بشبابه فمعاظمو ذلك وتكلموا وقال الامن رد
على ما أصنع فليس مني ولا انا منه فاقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم انا ما صنعت بكم الليلة ما
خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي الا ليكون لكم في أسوة وانكم ترون اني خيركم فلا
يتعاضم بعضهم على بعض وليبدلن بعضهمكم أنفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم ولما الحاجة التي
اسئلكم عليها فتدعون الله وتجتهدون في الدعاء ان يؤخر أجلي فلما نصبوا أنفسهم للدعاء واداروا

دخلت عايبا فغضب غضبا شديدا وقال هذا
سجودك لله تعالى شكرا
على ما أنعم عليك فوالله
لولا انك حرمة لاحلفن
الا أنك ابدا فقلت
يا امير المؤمنين قد
طاب قلبها واعتذرت اليها
ونعمت منها الخيزران كذا
وكذا فسرته ذلك وقال
احملوا اليها من عندي مائة
الف درهم وقال لخادمي
على رأسه يا بني السلام
وقل لها اني ما سرت
بشيء من عند دهرري
كسر ودي اليوم بمقامك
عندنا ولولا احتشامك
لمرت اليك من لعل عليك
فاضيا لحفك قال فلما هضي
الخادم بالرسالة جاءت الى
المهدي وسلمت عليه
وقالت ما على امير المؤمنين
مني احتشام فاني صرت من
جواريه فقال امير
المؤمنين لا والله بل اعز
من ولدي قال فلم يزل المرأة
عند الخيزران حتى ماتت
رحمة الله تعالى عليها وعلى
الخيزران وتي امير
المؤمنين المهدي وجزارهم
الله تعالى عن دهرهم وفهم
وهكرم اخلاقهم خيرا
(ولا) حج امير المؤمنين
للتصور رحمة الله تعالى
عليه (عرض عليه
جوهر نقيس له قيمة

عظيمة التي فمرفه وقال

هذا كان هشام بن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام وما بقي من الامور بين غيره ولا بدلي منه ثم التفت الي حاجبه الربيع وقال اذا كان القدوصليت بالناس في المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب وكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج احدا حتى ترفعه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فائتني به فلما كانت الفسح اغلق الربيع الابواب وفعل ما امر به المنصور وكان محمد بن هشام في المسجد فرف انه المطلوب وايقن انه مأخوذ مقتول فيجبر وارتاب واضطرب فبينما هو على تلك الحالة از اقبل محمد بن زيد بن علي بن ابن طلب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالاك فقال لا شيء فقال قل ولك امان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال محمد بن زيد بن علي بن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وايقن بالموث وقال لا تخزع فاك است اتل ابني ولا جدى وابس

ان يحبوا الله على النعم حتى لم يستطيعوا دعاء نجعلهم ويقول سبحان الله ماتصبرون في ليلة واحدة ومينوني فيها فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرنا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى الغنم وجعل ياتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرون بي احكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات وليدعي بي احكم دراهم يسيرة وليا كان نعمي فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطالبه فاخذوا شمعوا احد الحواريين فقالوا هذا من اصحابه فجدد وقال ما لنا من اصحابه فتركوه ثم آخر فجدده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكي واحزنه ذلك فلما أصبح اناى احد الحواريين اولئك اليهود فقال لهم ما تجلبون لي ان دلتكم عليه فجددوا ثلاثين درهما فاخذوا ودعاه عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه ووربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون انت كنت تنجي الموتى وتبرئ الاكاه والابرص افلا تفك نفسك من هذا الحبل ويصعدون عليه ويدعون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما اتوا به الى الخشبة ليصلبوه اظلمت الارض وارسل الله الملائكة فخلوا بينهم وبين عيسى والقي شبهه عيسى على الذي دهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون انه عيسى وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فلذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها وابراهيم الخنون يكيان عند المصوب فانها عيسى وقال على من تبكيان فقالنا عليك فقال ان الله رفعني فلم يصيبني الا اخيرا وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقبيا يدور معه حيثما دارا فصعد عيسى الجبل فجاهه الملك فرفعه الى السماء والقي الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود انه عيسى فاخذوه وكان يقول لهم انى است عيسى انى فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكرنا ان نبي الله عيسى قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شهى فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرايلى يسمى اشوع بن قنديل والله اعلم

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام)

(قال وهب) وغيره من اهل الكتب المرافع الله عيسى عليه السلام ليث في السماء سبعة ايام ثم قال الله له ان اعداءك اليهود اعجبوك عن العهد الى اصحابك فنزل عليهم واوصهم واهبط على مريم الجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاهها ولم يحزن عليك احد حزنها فانزل عليها واخبرها انها اول من تلحق بك وامرها ان تجمع لك الحوار بين قنبرهم في الارض دعا الى الله تعالى وكانت قصة مريم الجلانية انها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى اناطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة سالحة وكانت تستعاض فلا تظهر فخطبها اشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا انها ترفعت بنفسها عنهم فلم يكن ذلك ترفعا وانما ارادت اخفاء علمها عنهم فلما سمعت بتجدي عيسى عليه السلام وبما كان يشغى الله على يديه من المرضى والزيني اقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما البسه الله من الهيبة استحييت واصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذوعاه بنية حسنة ولقد اعطاه الله ما رجاه وطوره بطهارتي فاذهب الله عنها ما بها وبرئت وطهرت فلما امر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة ايام من رفعه هبط عليها فاشتمل الجبل حين هبط نور انجمت له الحوار بين قنبرهم في الارض دعا الى الله ثم رفعه الله وكساه البرش واللبسة النور وقطع منه شهوة المطم والمشر بهو بطيرعه الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث امرهم فلذلك الآية التي اهابت فيها هي الآية التي تزخرها النصاري قالوا

فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومثي الى الارض التي باكل اهلها الناس وتوما زابيا الى ارض المشرق
وفيلبس ويهوذا الى القيرنان وأدريهية زبجي الى افسوس قرية أصحاب الكهف واليموقيين الى
أورشليم وهي ايلياه ارض بيت المقدس برتومايس الى اعراية وهى ارض الحجاز وشعمون الى ارض
بربر فاجتمع كل واحد من الحواريين الذين بينهم بحث اذنة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد
اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى بشمهم وبنوهم ويطوفون بهم فجمع ذلك ملك الروم
وكان صاحب رن فذيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه وقتلوه
وكان يجرمه انه رسول الله وقد احيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاعمال وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه
فكان طيرا باذن الله واخبرهم بالغييب وأراهم العجايب فقال ملك الروم فامنعكم أن تذكروا لي من امره فوالله
لو علمت خلقت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فأتهمهم من ايديهم فلما أتوه سالمهم عن دين عيسى
فاخبروه خبره فبإيدهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشعة التي صاحب عليها فأكرمها واصلها المسماة
وغزاني اسرائيل فقتل منهم خاتما كثيرا فمن هنالك كانت اصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت
مريم عيسى ولها ثلاث شرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اورشليم لمضى خمس وستين سنة من
غلبة الاسكندر على بابل ولا حدى ومحمد بن سنة مضت من ملك الاسكانيين وواحي الله اليه على رأس
ثلاثين سنة ووفيه من بيت المقدس الى ليلة اقدس من شهر رمضان وهو ابن ثلاثين سنة فكانت نبوته
ثلاث مئة وعاشت أمه مريم بعد وفاته ست مئة من الله أعلم

﴿ ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام ﴾

(قال) وهب أراد الله تعالى ان يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الحواريين فامر رجلين منهم يقال لاحدهما
شمعون الصفا والآخر يحيى أن يلتزما به ولا يفارقا فأتا فاطما فودعهما مريم الى ماروت ملك الروم بدعونه
الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه امر بشمعون واندراوس
فقتلوا وصلبوا متكسرين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحتهما الطلب خافا فاشتقت لهما
الارض فاباياهما واوقبل ماروت ملك الروم واصحابه فحفر واذل الموضع فلم يجدوا شيئا فردوا التراب على
حاه وعلمو اذ امر من الله تعالى فسال ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه به فاسلم كائن كرنا والله أعلم

﴿ ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان ﴾

قال الله تعالى وانه لم يزل الساعة فلا تترن بها الاكية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه
السلام في القرآن قال نعم قوله وكلوا واهلوا بكل في الدنيا واهلوا بما عندهم وكلوا بعد نزوله من السماء (أخبرنا)
أبو صالح شعيب بن محمد البهيقي بسنده عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة
له لالت أمهاتهم شتى ودينتهم واحدة وانى أولي الناس بعيسى بن مريم عليهم السلام لانهم لم يكن بيني وبينه نبي
ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمي وخليفتي عليهم فاذنوا بتموه فاعرفوه فانه
رجل مريوع الخلق الى الحرة والبيض مبط الشمر كأن رأسه نخل ولم يصبه بل ينزل بين مخمرين
فيكرم الصليب ويتلى الخزيرو يضع الجزية ويقيض المال ويهل من الرواح حاجا أو معتمرا أو مليا
بهم اجماعا ويتأهل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه المثل كها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله
رب العالمين ويهلك الله في زمانه سبع الف الفة السكناج والرجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتفع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث
في الارض أربعين سنة ويتزوج وولده ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفون في المدينة بمحج عمر
أقرؤا ان ستم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أى قبل

خلاصه ان شاء الله تعالى
واكن اعزنى فيها انصانع
بك من مكروهه وقبيح
فطرح رداه على وجهه
وغطى راسه ووجهه الى
قريب من الربع فقال
يا يا الفضل ان هذا الخبيث
جمال من اهل السكوفة
اكراني جماله فلما دفعت
اليه الاجرة هرب مني
واكرى جماله بعض اهل
خراسان ولى عليه شهود
واربدمنك ان توصله منى
الى القاضى ونسك جماله
عن الذهاب مسع
الاربعة رجلين وقال
لاتفارقاه الى القاضى
ومحمد قابض على الرءاء
وقد استتر به وجهه
وخرجوا اجماعا من المسجد
فلما بدوا من الربع قال
له محمدو ياك وما ينفعك
الفجور فقال يا ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد رجعت الى الحق
واعترفت لك فقال محمد
للسوريين انصرفا عنه فند
اعتزب بالحق فتركه
وانصرفا عنه فلما بعدا عنه
قال محمد اذهب الى سبيلك
فقيل محمد بن هشام بد
وراه وقال الله اعلم حيث
يجمل رسالك ثم اخرج
جوهر قيمته كثيرة وقال
لله تعالى يا ابن بنت

رسول الله صلى الله عليه

وسلم سرتي يقول هذا

فقال له اذهب بمتاعك

فنجن اهل بيت

لا تقبل على اصطناع

المعروف بكافة رضى الله

تمالى عنهم (وقيل

للحنيف ابن قيس)

عن تلمت الحلم قال من

قيس بن عاصم رايته

يوما من الايام قاعدا

بقناه داره متة لدا

بحمال سيفه يحدث قومه

فبينما هو كذلك اذ اتى

برجلين احدهما مقتول

والاخره كتوف فليل له

هذ ابن اخيك قد قتل

ابك قال فوالله ما انقطع

كلامه ولا غناظ ثم التفت

الى ابن اخيه وقال يا ابن

اخي ائت بربك ورميت

نفسك بسهمك وقتلت

ابن عمك ثم قال لا يبه

الاخر يا بني قم فادفن

اخاك وحل كفاف ان

عمك ودق الى امك

مائة ناقة دية ولدا

قائغا رية منا (وروي

عنه ايضا) انه جالس في

داره وما على المائدة ومعه

ولد صغير فجاءت جارية

بشفو وعليه شواء حار فسط

السفود منها فوقع على الولد

فمات من وقته فدهشت

الجارية وتبرولها فقال لا

باس عليك انت حرة

لوجه الله تعالى وهذا من

موت عيسى بيدها ابوه مرة ثلاث رات (واخبرنا) محمد بن القاسم الفريسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبط الله الى سبع عيسى يمشي في هذه الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوى لاني بكر عمر يحشران بين نبين (واخبرني ابي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يولك الله امة انا في اولها وعيسى في آخرها والمهدي من اهل بيتي في وسطها

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية

وذلك في ايام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون بنى رسل عيسى عليه السلام اذ ارسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض وروماض وقال زهير يحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فمزنا ثاثة اى ففوقنا برسول ثالث وهوشمون الصفار رأس الخوار بين في قول اكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمان (قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الخوار بين الى مدينته انطاكية فلما قربا من المدينته اتيا شيخا يرعى غنياه له وهو حبيب التجار صاحب يس فسلما عليه فقال من انتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوك من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال امة كما آية قال نعم نحن نرى المريض ونشفي الا كهمه والا برص باين الله فقال الشيخ اني ابنا مر بضا صاحب فراش مندسين الا قاطلني بنا الى منزلك فاطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعوا له ومسحاه يديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينته وشفي الله على يديهما كثير من المرضى وكان في مدينته انطاكية فرعون من القرعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه بطيحيحس وكان من ملوك الروم قالوا فاتهم الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نرى الا كهمه والا برص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيهم جثثنا قال جثثناك ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك اولنا الهوى اهلنا قالانم قل من قلامن اوجدك بعد عدمك واهلك قال قوم احتى انظر في امر كما فتيهم ما الناس فاخذوهما وضر بهما في الوق (وقال وهب) بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فانيها فلم يصلا الى ملسكهما وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبوا ذكرا الله تعالى فغضب الملك فامر بهما فحبسا ووجد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولا ن وضر بابعث عيسى رأس الخوار بين شهمون الصفار على انزهرهما لينصرهما فدخل شهمون البلد متكررا فجعل يباشر حاشية الملك حتى اتسوبا به فرفعه واخبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضر بهما ما حين دعواك الى غير ذلك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ا فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأيت الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشهمون استخبرهما ا فقال شهمون له ما من ارسلكما الى همنا قال الذي خلق كل شيء فقال لهما شهمون فصفاه بأجزاء فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شهمون وما آيتكما قالالا مانتعناه نرى الا كهمه والا برص ونشفي المرضى والزمني باذن الله قال قامر الملك فجيء بهلام مطروس العيين موضع عينيه كالجبلة فازالايده وان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فاخذا ببندقتين من الطين فوضعهما في حديقته فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال لشهمون الملك ان انت سألت اهلك حتى يصنع لك صنعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولأهلك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم ان

الجميع وقال يا ابن اخي خذ
الجميع وعد الى ابيك
واعتد لي من ابيك وعرفه
خطأ الرسول فقال يا امير
المؤمنين ان للوالد حق وله
امر مطاع وقد امرني ان
افعل شيئا قال معاوية ما
هو يا ابن اخي قال ان دفع
الي اثياب وقال بحسبي
عليك الاضربت بها
وجهه فقال معاوية يا ابن
اخى اطع والدك واروق
بهمك فتقدم السلام
ورمى بها وجهه برفق
وتوجه السلام اليه
واخبره بذلك وهو
من حمد اخلاقهم (وقيل
نزل بعض اللصوص الى
دار خلف بن ايوب وهو
قائم يسلي بالليل فجمع
الاصص جميعا في البيت
من قش وغبر وشده
وجعله على راسه وخاف
ينظر اليه ولا يملكه
ثم خرج الاصص من
البيت الى الحائط يريد
التنحوس فلم يقدر على ذلك
فقال له خاف يا ابن اخي
خذ المفتاح وافتح الباب
واخرج فلما كان محتاج الى
ذلك فقال امثلك والله لن
يؤذي ثم ترك ما كان اخذه
وتاب الى الله تعالى (وحكى
بعضهم) قال كان لعبد الله
بن الزبير ارض مجاورة
لارض معاوية بن ابي

الربع تحت الحناتيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك
وقته فمال قوم ذهب مغاضبا وهو من رواية الضحاك والوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى
وقومه يسكنون قلدطين فمزاجهم ذلك فسمى منهم تسعة أسباط ونصفوا بقي سبطان ونصف وكانوا اثني
عشر سبطا فيهم النبوة والملك فوحى الله تعالى ان شياؤا الذي أن سرالى حزقيا الملك رقب له يوجه ندياقو يا أمينا
فاني أننى الخوف في قلوب أولئك الأسباط حتى برسوا لواءه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى ركان في
ملككم خمسة من الانبياء فقال يونس ثمة قومي أمين فدا الملك يونس وامره ان يخرج فقال له يونس هل
أمرك الله بأخى قال قال هل يمانى لك قال قال فقال من غيرى أنبياء أقرباءه لاءه لاءه لاءه فخرج
مغاضبا للذي والملك وانومه فاني بحر الزم وكان أمره ما كان قال الحسن البصري انما غاضب به من
أجل أنه أمره بالسر الى قومه لينذرهم باسمه ودينهم اليه فأسأل به ان ينظره لياتها بالمشوخه صاليهم فقال له
الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن باخذ ناله بله من ان فيل له نبح والقول الاول وكان
رجلا في خفة ضيق فقال أعجاني رني ان أخذ نبي ذهب مغاضبا يروى شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد
حضرهم ان يمتو بوفاء له لتس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة
فكان من امره ما كان فبلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس رددت نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس
انما كانت رسالة يونس بمدان نذره الحوت بدليل هذا القول ان الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة
الصافات ثم أعياها بقوله وارسلناه الى مائة اب او يزيدون يقول اخرون بل كانت قصة الحوت بعد
دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا اليه اذ كذب عنهم العذاب بعد ما وعدهم به
وذلك أنه كره ان يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخاب فيما أوعدهم لم يعلم السبب الذي رفع به
عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا قال ولما ارجع اليهم كذبا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم
يأتهم وفي بعض الاخبار ان قومه كان من عادتهم ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب
للمداد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كبر ارجع الى قومي وقد آخفتمهم أوعدوكم فلم يلبس سبب
صرف العذاب عنهم لانه كان قد خرج من بين اظهريهم انزل العذاب قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بمث
الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم بدع وهم الى الله تعالى ثلاثا ثلاثين سنة فلم يؤمن به
الارجلان احدهما روى بيل وكان عالما احكاما والاخر تنوخا كان عبدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود
وغيرهما لما يس من ايمان قومه واعلمهم فقبل اما أمرع مادعوت على قومه ارجع اليهم فادعهم اربيعين ليلة
اخرى فان اجابوا بك والافاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سيماء ثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا
فيهم وقال اني بحزنكم العذاب الى ثلاثة ايام ان لم يؤمنوا قال لهم ان آية ذلك ان تنفروا انكم فلما اصبحوا
تغيرت الوانهم فقالوا ايمضهم فتنزل بك ما قال يونس وانما تنجرب عليه كذا فانظروا فان بات فيكم الليلة
فانتم امن العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا ان العذاب مصيحكم فلما كان ليلة الاربعين وراى يونس
تغير الوانهم علم ان العذاب نازل بهم فخرج من بين اظهريهم فلما اصبحوا تنفاهم العذاب (قال سعيد بن
جبير) كما يقضى التراب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن
عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب اغيبت السماء غما اسودها لئلا تدخن دخانا شديدا فيحبط حتى غشي مدنتهم
واسودت اسطحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك والعذاب فظلموا انبيهم يونس فلم يجدهوه فغذ الله في
قلوبهم التوبة والهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصيد بالفسهم وانهم وصديقاتهم ودواهم وابسوا
المسوح واطهروا الايمان والتوبة لله واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدته وولدها من الناس والدواب

الاعدمنى الله بقاءه ولا
اعده هذا الراي الذي
احله هذا الحار والسلم
فلما وقف معاوية على
الكتاب ناوله الى ولده
يزيد فلم يقرأه ثم لوجه
فرد فقال له ما به يا بني
اذا بليت بشي من هذا
هذا الداء فداهو بمثل هذا
لدراء وانا انوم لم نرفي
الحلم الا خيرا رضى
الله عنه (وحكى ان
المهلب ابن ابى صفرة)
مر بحى من اهل همدان
فراه شاب من اهل الحى
فقال هذا المهلب قالوا نعم
فقال والله ما يساوي
خمسة درهم وكان المهلب
رجلا عور فسمه المهلب
فلما كان الليل اخذ
المهلب في كمه خمسة درهم
وانى الى الحى فارتب
الشاب حين رآه فأتى
اليه وقال له افتتح
حجرك ففتح الشات
حجره فقب فيه الخمسة
درهم وقال خذ قيمة عمك
المهلب والله يا ابن اخي
لوقومتني بخمسة آلاف
دينار لا اتيتك بها فسمع
شيخ من اهل الحى فقا
والله ما اخطأ فيك من
جملكم سيدا (وقال احمد
ابن ابى داود) ما ريت
رجلا عرض على الموت
ورأى النطع مفروشا

كالفرخ الممطر (واختلفوا) في مدة مكث يونس في
بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة ايام وقال سبعة ايام
وقال الضحاك عشر ين يوما وقال السدى والكلبى اربعين يوما فلما اخرج الله منه يونس بطن الحوت انبت له
شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعله تختلف اليه فيشرب منها البنا فذلك قوله
تعالى وانبتنا عليه اى عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكي عليها فاروحى الله اليه انبكي على
شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يز يدون اردت ان اهلككم ثم ذهب يونس فاذا هو بفلام يرعى
غنا فقال من ابن انت يا فلام قال انا من قوم يونس فقال له ان اردت اليهم فقل لهم انك اذيت يونس فقال
الفلام ان كنت يونس فانت تعلم انه ان لم يكن لي دينة قتلت فرب بشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقرة
وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الفلام فرهم قال لهم يونس ان اجزاءكم هذا الفلام
فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الفلام الى قومهم قال للملك اني قد اذيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فامر الملك
بقته وقال كذب فقال ان لي بينة فارس سألوا منى احد يشهد فارسلوا معه رجالا فأتى البقرة والشجرة والشاة
وقال انشدكم بالله هل اشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة
والارض والشاة فاخذ الملك بيد الفلام واجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان مني قال فاقام لهم
امرهم ذلك الفلام اربعين سنة ثم انهم خرجوا يلزمون يونس فوجدوه ففرحوا به وامنوا به
فاقام لهم امرهم (يروي) ان يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل
وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فاروحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار ان
يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شي عملته يدي اعيش فيه
وأنتع بشتمه أنا وعيالي تامرني بكسر يونس فاروحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم نط
نفسه بكسره وانت طيت نفسك ووطئت على هلاك مائة الف او يز يدون من عبادي فضي يونس وهبط
واذا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للفلام وكانت الشاة التي كانت مع الفلام قالت لهم ان اردتم
يونس فاهبطوا الوادى فهبطوا فاذا هم بيونس فانبكوا على رجله يقبلونها وسألوه ان يدخل معهم
المدينة فقال لاحاجة لي في مدنتكم فبكوا والحوا عليه فاجابهم لا دخول فاني بمجلة من فضة واجلس
عليها لتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو يتأذى هذا مجلس الجبارين فوثب
يونس عن المجلة وجعل يمشى حتى دخل معهم المدينة فكثت مع اهله وولده اربعين ليلة ثم خرج ما نحا
وخرج الملك معه وصير الفلام الراعي لمساكن تلك المدينة كما ذكرنا فلم يزل اسأحين يمدان الله تعالى
حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله اعلم
(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال
النعمان بن بشير الانصاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا
يرتادون لاهليهم فيبنيهم عشون اذ اصابتهم السماء فواروا الى الكهف فنامت صخرة من الجبل عليهم
فانطقت على باب الكهف فاوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فإل الله
يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لي اجراء يملون عملا لي فاستأجرت كل رجل منهم
باجرة معلومة فبجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرت به بشارا صاها به فعمل في بقية نهاره كعمل
رجل منهم نهاره كله فزابت على من الاكرام ان لا انقصه شيئا مما استأجرت به اصحابا بلما اجتهد في عمله
فقال رجل منهم اتمطي هذا مثل ما عطيتني ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبتجسك شيئا من
شرطك انما هو مالي أحكم فيه بما شئت قال ففضب وذهب وترك اجرتة فوضعت حقه في جانب من

والسيف مسلولاً ولم
يكثرت لذلك ولا عدل
عما اراد الانبياء ان يجعل
وقد كان خرج على المعتصم
ولقد رايته وقد جرى به
أسيراً مكتوفاً وقد
اجتمع الناس من الراقق
والزواحي ينظرون كيف
يقنله المعتصم وكان المعتصم
قد جلس له مجلساً منكراً
واهر الناس بالدخول
ودخل جميع وحضر الياق
وفرش الطع وكان جميع
جميع الوجه تام الخلفة
عذب المنطق فرأه المعتصم
غير دهش ولا مكثرت لما
نزل به فاحب المعتصم ان
يستظفه ليعلم أين عقله في
ذلك الوقت فقال له المعتصم
ن كان لك عذراً بما كنت
به فقال اما انت يا أمير
المؤمنين فالحمد لله الذي جبر
بك الدين ولم يك شعث
للمسلمين وانار بك استار
الحق واخمد بك شهاب
الباطل وان الذنوب يا أمير
المؤمنين لتخرس الاسن
القصيدة وتصدع الافدة
الصريحة والله لقد كبر
الذنوب وعظمت الجريمة
وانقظمت الجعة وساء
الظن ولم يبق الا عفوك او
انتقامك وانت الى العفو
اقرب وهو بك اشبه
واليق واشدد يقول
ارى الموت بين السيف
والنطع كاملاً

البيت ماشاء الله ثم مر في بعد ذلك بقر فاشتريت به فنعيت به فبلغت ماشاء الله فمر في بعد ذلك شريح
ضميغ لا اعرفه فقال لي اني عندك حقاً فقلت له اذكره لي حتى اعرفه قال فذكره فقلت له اياك ابني
وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تدخر في ان لم تصدق على فاطمي حتى فقلت والله
ما سخر ان هذا لحقك ومالي فيه شيء فرفعها اليه اللهم ان كنت فملت هذا لوجهك الكريم فافرج
عنا فانصدع الجبل حتى ابصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب
الناس شدة فنجاه نبي امرأة تطلب مني معروفاً فقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت ثم انها رجعت
فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت وذكر ذلك زوجها فقال
لها زوجها اعطيه نفسك واغني عيالك فرجعت الى تشدني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون
نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهمت بها ارتعدت من تحتي فقلت لها ماشاءك
فقلت اني اخاف الله رب العالمين فقلت لها خفيته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركها واعطيتها ما تحب
بما كشفتها اللهم ان كنت فملت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تمارفنا وقال
الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي ابوان كبيران وكان لي غنم فكنت اطعم ابوي واسقيهما ثم ارجع الى
غنيي قال فاصابني يوما غيث فجدبني حتى امسيت فاتيته اهلي واخذت محاي فجلبت غنمي وتركها
قائمة مكانها ومضيت الى ابوي فوجدتهما قد ماتا فشقي على ان اوقفهما وشقي على ان اترك غنمي فها
برحت جالسا ومحلي في يدي حتى ايقظهما الصبح فسقتهما اللهم ان كنت فملت ذلك لوجهك الكريم
فافرج عنا مانحن فيه قال النعمان لكانني اسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان الجبل يطبق
ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم وادبين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي
فيه اصحاب الكهف قال كمبى قر يتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة
وقيل من رصاص كتبوا فيه اسماء اهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف
ثم ذكره اخبر اصحاب الكهف فقال اذا وى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتناه لنذكر رحمة قال اهل
التفسير واصحاب التواريخ كان امر اصحاب الكهف في ايام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام (واما قصتهم) فيقال لما ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة اتاه قوم من
احبار اليهود فقالوا له يا عمر انت ولى الامر بمد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد ان نسالك عن
خصال اخبرتنا بها علمنا ان الاسلام حق وان محمداً كان نبيا وان لم نخبرنا بها علمنا ان الاسلام باطل وان محمداً
لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا اخبرنا عن افعال السموات ما هي واخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي
واخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو واخبرنا عن انذر قومه لاهومن الجن ولا هومن الانس واخبرنا عن
خمسة اشياء مشوا على وجه الارض ولم تخلقوا في الارحام واخبرنا ما يقول الدراج في صياحه وما يقول الديك
في صراخه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول القنبر في صفيره قال فنكس عمر راسه
في الارض ثم قال لا عيب بعمرا اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وان يسان عمالا يعلم فوثبت اليهود وقالوا
نشهد ان محمداً لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لاهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا ابا الحسن اغث الاسلام فقال وما ذاك فاخبره الخبر فاقبل
يرقل في بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرا اليه عمر وثب قائماً فاعتقه وقال يا ابا الحسن انت لـكل
معضلة وشدة تدعي فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبي صلى الله عليه وسلم علمني
الف باب من العلم فتشعب لي من كل باب الف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه اني عليكم شر بطة اذا
اخبرتمكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتهم فقالوا انهم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا اخبرنا عن افعال

منهم وقال انها الامير نحن امراك ونحن والله جيع من أثار الطر يق فان رايت ان طعمها فنى كل كبد حراجر فامر باطعامهم فاضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وكرا ومن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل اخر وقال ايها الامير كنا امراك وقد صرنا اضياك فانظر ماذا يصنع مثلك باضيا ففعل سبيلهم وانعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض) على الحجاج اسرى فامر بقتلهم وقتل منهم جماعة ثم قال رجل منهم وقد عرض على القتل لاجزاءك الله عن السنة خيرا باحجاج قانا وان كنا قد اسأنا في الذنت فوالله ما احسنست في العفو فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز فاذا انعم الذين كفروا فغضب الرقاب حتى اذا اخنتهم وهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداءهم ذاقوله في الكفار فكيف في المسلمين وقال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولا نكفهم
اذا انقل الا عنق حمل
الغلاذ

فقال الحجاج تبأ لهؤلاء الجيف والله لو قالوا مثل

وفي يد الثااني جام من فضة ملو من ماء الورد وعلى يد الثاالث طائر فيصيح به فيطير الطر حتى يقع في جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بر يشه وجناحيه ثم يصيح به الثاالث فيطير فيقع في جام المسك فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بر يشه وجناحيه ثم يصيح به الثاالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفضر بر يشه وجناحيه على رأس الملك فيقع من المسك وماء الورد فبكت الملكة في ملكة ثلاثين سنة من غير ان يصيبه صداد ولا وجع ولا حي ولا لعاب ولا بصاق ولا خاظ فلما رأى ذلك من نفسه عتواطى ونجبر واستمصى وادعى الر بوبية من دين الله تعالى ودعا ليه وجوه قومه فكل من اجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه وبتابه قتله فأجابوه باجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا لم يدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه ادانى بعض بطارقه فاخبره أن عداكر الفرس قد غشيت بر يدون قتاله فاغتم لذلك عماشدا بر حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيه الثلاثة الذين كانوا عن عينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال كان دقيا نوس هذا كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يشرب فقالوا يا تليخا مالنا لا نأكل ولا نشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شئ منعتني عن الطعام والشرب والمنام ففألو اوما هو يا تليخا فقال اطمت فكري في هذه السماء فقلت من رفها سقنا فحفظوا بلا علاقة فمن فوق ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقرأها ومن زبها بالنجوم ثم اطمت فكري في هذه الارض من سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وبطها بالجبال الرواسي الا تليخا منهم ثم اطمت فكري في نسي فقلت من اخرجني جنتنا من بطن أبي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدرسا سوى دقيا نوس الملك فانكبت الفتية على رجليه بقولهنما وقالوا يا تليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فائسر علينا فقال يا اخوتي ما جدلي ولكم حيلة الا الحرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الراي ما رأيت فوب تليخا فبتاع عمرا بثلاثه قدارم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة اميال من المدينة قال لهم تليخا يا اخواته قد ذهب عننا ملك الدنيا وزال عنا أمره فازلوعن خيولكم وامشوا على ارجلكم اهل الله يحمل لكم من امركم فخرجوا فخرجوا عن خيولهم وامشوا على ارجلهم سبع فراسخ حتى صارت ارجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على اقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شرب ماء اولين فقال عندي ما يحبون ولكني أرى وجوهكم دجوه الملوك وما ظنكم الا هرا با فخيروني بقصتكم فقالوا يا هذا اذا دخلنا في دين لا يحمل لنا الكذب أفينجبنا الصدق قال نعم فاخبروه بقصتهم فانكب الراعي على ارجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فنفقوا الى ههنا حتى أرد الاغانى الى اربابها وأعدوا اليكم فوقعوا وفردوا وابل يسمي فتبعه كلب فونب اليه ودى قائما وقال يا على ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا اخال الله يود حسني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان اباي اسودا وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب أهل الكهف فقال ابن عباس كان ابر وقال مقاتل كان اصف وقال محمد بن كعب كان من شدة حرته وصفرته يضرب الى الخرة وقال الكلبي لونه كان ناعج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن علي وقال شبيب الجبائي كان اسمه حمرا وقال الأوزاعي نقوى وقال مجاهد قطور وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تفي (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن كلهم كان قطمير وقيل قطمير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يملهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسبه يتاوعا تليخا ومير طليوس وبيدوس وسادونوس ودانوس

مهم احذروا لكن اطفوا
سبيلهم (ولا) ولي الحجاج
الدراق قال على المرأة
الحرورية فلما حضرت
قال لها انت بلا مس في
وقصة ابن الزبير كنت
تخرضين الناس على قتل
رجالي ونهب اموالي
فقلت المرأة نعم قد كان
ذلك فالتفت الحجاج الي
وزرائه وقال ماترون فيها
قالوا نجل بقتلنا اضحك
المرأة فاعتاظ الحجاج
وقال لها على من
تضحكين قالت من
وزرائك فان وزراء فرعون
كانوا خيرا منهم فظفر
الحجاج الى وزرائه
فراهم خجلوا فقال
لها كيف ذلك فقالت
لانهم قالوا ارجئه واخاه
حين استشارهم في قتل
موسى وهؤلاء يستعملونك
في قتلي قال فضحك
الحجاج وامر لها ببطا
واطافها ولم يشوش عليها
(وحضر الهرمزان
الفارسي) بين يدي عمر
بن الخطاب رضي الله
عنه ماسورا فدعاه
عمر الي الاسلام فاني
فامر بقتله فقال بالأمير
المؤمنين قبل ان تقتلني
اسقني شر بقاء ولا تقتلني
ظلماتي قاتل بقدر من
ماء فلما صار القدر بهت

وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطير كذب أن رفوق الفيطي ودون السكركي وقال محمد ابن
اسحق الفاطمي الكلبي الصغير وقال ما في بيسانور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه ابو عمر
والجيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما انظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انما خاف ان يفضحنا هذا
الكلب ببيحه فالحوا علمه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرود
أقضى على رجله وتعلّى وقال بلسان طلق ذاق يا قوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتروكه ومضوا
فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال يا علي ما سمع ذلك الجبل وما اسم
الكهف قال أمير المؤمنين بأخا اليه واسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم (رجعنا الى
الحديث) قال واذا بقنا الكهف أشجار مشمرة وعين غيرة رقفا كلوا من الثمار وشروا من الماء وجنهم
الليل فاو الى الكهف ور بعض الكلب على باب الكهف ومديده عليه وأمر الله ملك الموت بقبض
أرواحهم وكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقبلانهم من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال
الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يلقبون في السنة مرة لا تاكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء
كان يوم قتلهم قال ابو هريرة كان لهم في كل سنة تقليد بان (رجعنا الى الحديث) قال وأوحى الله تعالى
الى الشمس فكانت تراور عن كهفهم ذات اليمين اذا طامت واذا غربت تقرر ضهم ذات الشمال فلهما رجوع
الملك قتيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل لهنهم انخذوا الهاغيرك وخرجوا هار بين منك فركب في غانين
ان فارس وجعل ينفوا أن أعاقبهم بشئ مما عاقبتهم باكثر مما عاقبوا به أنفسهم فانقضى بالبين فاني
نيام قال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ مما عاقبتهم باكثر مما عاقبوا به أنفسهم فانقضى بالبين فاني
بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجيس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لاهم الذي في السماء ان
كانوا صارقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثا وتسع سنين فنفع الله فيهم الروح وهموا من
رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد فعلنا هذه الليلة عن عيادة الله تعالى قوموا بنا الى العيين
فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انما أمرنا هذا المي عجب مثل هذه العين
قد غارت في ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت في ليلة واحدة قالوا فاني الله عليهم الجوع فقالوا أيكم
يذهب بورقكم هذه الى المدينة فانا بنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير
وذلك قوله تعالى فابتهوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فليظروا أن لا يكون طعاما أي أحلى وأجود وأطيب
فقال لهم تملخوا يا أخوتي لا ياتيكم أحد بالطعام غري والسكن أي الراعي ادفع الى ثيابك وخذ ثيابي فليس ثياب
الراعي ومرو كان يرعوا وضع لا يعرفوا طريق نكره حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه
لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويسبح عينيه ويقول اراني
ناظما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله اقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى
السوق فاذا هو بنحاز فقال له يا خبايا ما اسمك بديتكم هذا قال أنسوس قال وما اسمك بديتكم هذا قال عبد الرحمن قال
تملخا ان كنت صادقا فان امرى عجيب ادفع الى هذه الدراهم طما وما كانت دراهم ذلك الزمان الاول تملالا
كبارا فاجب الخبايا من تلك الدراهم فوثب اليهودي وقال يا علي ان كنت عالما فخيرني كم كان وزن الدرهم منها
فقال يا خبايا اليهود اخبرني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ان وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاث دراهم فقال له
الخبايا يا هذا انك قد اصابت كثرنا فاعطني بعضه والا زعيت بك الى الملا فقال تملخا ما اصابت كثرنا واتما هذا
من ثمن ثوب بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة ايام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون قتيانوس الملك
ففضب الخبايا وقال لا ترضى ان اصابت كثرنا ان تطيني بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعي

بن يدي الهرمزان قال انا
امن حتى اشرب هذا
القدح يا امير المؤمنين قال
نعم لك الامان حتى
تشرب هذا الماء فاني
الا نؤمن بده فارقا على
الارض ثم قال الوفاء
الوفاء يا امير المؤمنين
فقال عمره دعوه حتى
نتظر في امره فلما
وضع السيف عنه قال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان
محمد رسول الله فقال له عمر
انك اسلمت خير الاسلام
فما اخرك قال خشيت ان
يقال عني اني اسلمت خوفا
من السيف فقال عمر
لقد استحقق بها ما كان فيه
من الملك ثم ان عمر بعد
ذلك كان يشاوره في
اخراج الجيوش ويعمل
برأيه رضي الله تعالى عنهم
اجمدين (وقيل) سرق
شاب سرقة فأتى به الى
المأمون فامر بقطع يده
فربطت لقطع فانشد
يقول
يدي يا امير المؤمنين
اعيدها
بمفوك من عار عليها يشينها
فلا خير في الدنيا ولا
في نعيمها
اذا ما شمل فارقتها عينيها
قال وكانت ام الشاب
واقفة على رأسه فانكببت
عليه وبكت وقالت يا امير
المؤمنين ولدي وواحد

الريوية قد مات منذ ثمانية سنة وتوخر بي ثم امسكه واجتمع الناس ثم اهتم انوا به الى الملك وكان
عاقلا عادلا فقال لهم ما قصه هذا القتي قالوا اصحاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام
امرنا ان لا نأخذ من الكونز الا خمسه فادفع الي خمس هذا الكنز وامض سالما فقال ايها الملك
تثبت في امري ما صبت كنزا وانما انا من اهل هذه المدينة فقال له ات من اهلها قال نعم قال فتعرف
فيها احدا قال نعم قال نعم لنا فسمي له نحو من الف رجل فلم يرفوا منهم رجلا قالوا يا هذا
ما تعرف هذه الاسماء وليست هي من اسماء اهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة دار قال نعم ايها الملك
فابست ممبي احد افبست معه الملك جماعة حتى أتى بهم دار اربع دار في المدينة وقال هذه دارى ثم قرع الباب
فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال ايها الناس
ما بالكم فقال لهم رسول الملك ان هذا الملام يزعم ان هذه الدار داره ففضب الشيخ والتفت الى تلميذاته وتبينته
وقال له ما سمك قال تلميذا بن فلسطين فقال الشيخ اعد على قاعاء عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه
يقبلهما وقال هذا جدي ورب الحكمة وهو احد التفتية الذين حرروا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار
السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام اخبرنا بقصتهم وأهم سيحويون فانهمي ذلك الى الملك
فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تلميذا نزل عن فرسه وحمل تلميذا على عاتقه فجعل الناس
يقبلون بديه ورجليه ويقولون لا تأخذنا قبل باصحابك فاخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها
رجلان ملك مسلم وملك نصراني فركبا في اصحابهما وأخذوا تلميذا فلما صاروا قريبا من الكهف قال لهم
تلميذا يا قوم اني أخاف أن اخونى يحسبوني وقع حوافر الخيل والدواب وصاحبة اللجم والسلاح فيظنون
ان دقيانوس قد غشيهم فيبوتون جميعا فنفقوا قليلا حتى أدخل اليهم فاخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم
تلميذا فوثب اليه التفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجناك من دقيانوس فقال دعوني منك ومن دقيانوس
كم لبستم فلولا الشياطين ما وقع بعض يرمي قال بل لبستم ثمانية وتسعين سنة وقسمت دقيانوس وانفرض قرن بعد قرن
وأمن اهل المدينة بالله العظيم وقد جاءواكم فقالوا لعلنا عالجنا نردان تصيرنا نقتله لعلنا لم نال قال فماذا نرى بدون قالوا
ارفع يدك ونرفع ايدينا فزفوا اليهم وقالوا اللهم بحق ما أرى بتمام المعجائب في أنفسنا الا قبضت ارواحنا
ولم تطع علينا احد فقام الله ملك الموت فقبض ارواحهم وطس الله اب الكوف واقبل المسكن بطوفان
حول الكهف سبعة ايام فلا يجدان له بابا ولا منفذ ولا مملكة كانا حينئذ باطيف صنع الله الكريم وان
احوالهم كانت عبرة اراهم الله اياها فقال المسلم على ديني ماتوا وانابني على باب الكهف مسجدا وقال
النصراني بل ماتوا على ديني فانا ابني على باب الكهف وديرا فاقتتل المسلم المسكن فغلب المسلم النصراني فبني على
باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم ليتخذن عليهم مسجدا وذلك يهودى
ما كان من قصتهم ثم قال على كرم الله وجهه ليهودى سأتك بالله يهودى ارافق هذا ما في توراتكم فقال
اليهودى ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا يا ابا الحسن لا تسمني يهوديا فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله وأنك اهل هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان اصحاب الكهف فتيا ناموا مائة واربين ذوي
ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم فيرى عظيم وموكب واخرجوا معهم اهلهم التي كانوا
يمدونهم ان دون الله فنفذ الله في قلوبهم الايمان وكان احدهم وزير الملك فآمنوا واخفى كل واحد منهم
الايمان عن صاحبه فقالوا في انفسهم من غير ان يظهر بعضهم لبعض فخرج من بين اظهروه ولا القوم لولا
بصيرتنا عاقب بجرهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فراه جالسا
وحده فرجلان يكون على مثل امره من غير ان يظهر ذلك فجلس اليه ثم خرج الاخرين فاجلسوا
اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد بكم عن صاحب ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا

ناشدك الله الارحمت قلبى

وارادت روعى بالمعوقين
استحق العقوبة فقال
للمؤمن هَذَا حُدُودِ
الله تعالى فَعَدَاتِ يَأْمُرُ
الْمُؤْمِنِينَ أَجْعَلْ عَقْلُكَ عَنْ
وَلَدِي ذِي زَيْبَانِ الذُّنُوبِ الَّتِي
تَسْتَعْفِرُ اللَّهَ مِنْهَا قَالَ فَرَفَعَ
لِلْمُؤْمِنِينَ هُوَ عَقْلَانِ وَلَدَا
وَاطْلُقْ سَبِيلَهُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ
(وَعَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ) أَنَّهُ أَتَى بِرَجُلٍ
مِنْ بَنِي غَزْوَمٍ وَكَانَ مِنْ
أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْرِ فَلَمَّا
حَضَرَ بَيْنَ يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ
قَالَ أَلَيْسَ قَدْ رَدَّكَ اللَّهُ إِلَى
بَيْتِ الْمَرْءِ وَرَجَعَكَ إِلَى
سُوءِ الْمَرْجِعِ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ
رَدَّنِي إِلَى بَيْتِ الْمَرْءِ وَرَجَعَهُ
إِلَى السُّوءِ مَرْجِعًا فَأَنْتَ
أَخْبِرْ بِنَفْسِكَ فَقَالَ عَبْدُ
الْمَلِكِ اطْفِئْهُ وَامْرَأَتَهُ
بِحَارِثَةَ وَأَمَرَ عَلَيْهِ رَضَى
اللَّهُ عَنْهُ (وَقِيلَ) كَانَ
يُزِيدُ بِنِ الْمُهَلَّبِ وَالْيَا عَلَى
خُرَاسَانَ وَكَانَ حَسَنُ
الْوَجْهِ جَمِيلُ الصُّورَةِ فَكَثُرَتْ
مُدَّةُ وَأَنْصَرَفَ عَنْهَا وَتَوَلَّى
مَكَانَ قَبِيلَةِ بَنِي مَسْلَمٍ فَقَالَ
فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
كَانَتْ خُرَاسَانُ أَرْضًا إِذَا
يُزِيدُ بِهَا
وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْحَيَاتِ
مَقْتُوحٌ
فَبَدَلَتْ بِمَدَّةٍ قَرْدًا يَنْوُفُ

لبعضهم ليخرج كل فتين منكم فيخونوا ثم ليش كل واحد منكم امره الى صاحبه فخرج فتان
منهم فتوافقا ثم اتكأوا فذكر كل واحد منهما امره لصاحبه فقبلا وهما مستبشرين الى
اصحابهما فقالا قد اتفقتا على امر واحد واذاهم جميعا على الايمان واذاكف في الجبل قريب
منهم فقال بعضهم ليهض فأوروا الى الكهف ينشرونكم ربكم من رحمة ويهيي لكم من امركم مرفقا فدخلوا
الكهف ومعههم كلب صيدهم فناموا ثلثة سنة وتسع سنين قال وقد علم قلوبهم فطلبوهم فعلم الله عليهم آذنه
وكفهم فلم يعلم قدر راعا عليهم كلبهم وأمامهم رؤسهم وكذبوا في لوح فلان وفلان آذنه ملوكا فقد نام في يوم
كدي في شهر كذا من سنة كذا في كذا فلان بن فلان ووضوه واللوخ في خزانة الملك وقالوا ليكون لهذا
شأن وسأت ذلك الملك ورجاءه قد رن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين الثقفني بأسناده عن أبي جعفر
الباقر قال كان اصحاب الكهف سبعة وأربعين رجلا من بني اسرائيل وكان يبعثهم في حروبهم فخرجوا من اهل
الى المدينة فصاروا في الكهف ثمانية سنين وقالوا هرب بن ربنا جاءه حواري من اصحاب عيسى عليه السلام
فأتوا الى حرم قريش من تلك المدينة وأجروا من الحامي وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه
البركة ورد عليه الرزق فجعل يقوم عليه ويملأ به فتية من أهل المدينة فجعل يخرم خبر السماء والأرض وخبر
الأخرة حتى آمنوا به وسعدوه وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام ان الليل
لا يحول بيني وبينه أحرف يصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بأمره فدخل بها الحمام فعميه بها
الحواري وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا ابن الملك وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل
ذلك فحببه وابتهروا ولم يلتفت اليه ثم ساء حالهم فخرجوا من الكهف فأتوا الملك فطلبوا به فطلبوهم
فالتبس فلم يدر عليه فقال من كان يصحبته فسموا الفتية فالتبسوا وخرجوا من المدينة ثم رجعوا الى الكهف فدخلوا
وهو على مثل إيمانهم فذكر رؤسهم التمسوا فاطنهم فخرجوا من الكهف فدخلوا وقالوا
نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم بضرب الله على آذانهم فخرج الملك في اصحابه يطلبونهم
حتى وجدوهم فدخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يطق أحده ان يدخله
فقال تأسى اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بنى قال فابن عليهم باب الكهف وانزكهم فيه يموتوا عطشا
وجوعا ففعل ذلك قال يرب فتركهم بعد ما سددوا عليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم أن راعيا أدركه
المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخات فيه غنمي من المطر ولم يزل يدا له حتى فتح
الباب ورد الله اليهم وأراحهم من القدر حين اصبحوا (وقال) جلدن استحق مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم
الخطايا طرقت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وبذبحوا للطواغيت وفيهم قبا على دين المسيح معتمدون
بمادة الله تعالى وتوحيدهم فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال دقيانوس كان عبد الاصنام
وبذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين المسيح وكان ينزل قري الروم فلا يترك في قرية
نزلها أحد ابدن المسيح الاقتله حتى نزل مدينة صاحب الكهف وهي افوس فلما نزلها كبر ذلك على اهل
الايمان فاستخفوا منه وهرؤا في كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها ان يتبع اهل الايمان فيجدهم
اليهم ويأخذ شرطان كفارا أهلها وجعلوا يقتبسون أهل الايمان في اما كنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم
الى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فن القوم من
يرغب في الحياة ومنهم من يأتي أن يبدلوا غيرهم سبحا نه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان
بأنهم جعلوا يسمون أنفسهم بالذباب والقمل فيقولون ثم يقطعون ويربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة
من نواحيها كلها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان ففهم من اقر فترك منهم من
صالب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتنة حز نواحرناشد يدافاه واطلوا واشتغلوا بالبيع والتفديس

فبلغ ذلك قتيبة فطلبه
 فهرب الشاعر منه وهضى
 الى أم قتيبة فأخذ منها
 كتابا بالوصية به وقدم الى
 قتيبة فلما دخل عليه قال
 يارلدى باى وجه تلقانى
 قال بالوجه الذى التقي به
 ربي فان احبانه لى
 اكثر من احبائك لى
 ومخالف لى اكثر من مخالفتى
 لك قال فضحك قتيبة
 وترك سبيله وعفا عنه
 (واشرف المادون يوما
 من قصره) فرأى رجلا
 قائما ومعه فحمة يكتب
 بها على حائط القصر فقال
 لاحد غلمانه انزل الى
 ذلك الرجل وامسك
 يده وارقا ما يكتبه فقرأه
 فاذا هو هذا الشعر
 يا قصر جمع فيك اللؤم
 والشؤم
 متى بعش في اراك
 اليوم
 يوم بعش فيك اليوم من
 فرحى
 اكون اول من يرعك
 مرغوم
 فقال له ارجب امير المؤمنين
 فقال له الرجل سالتك بالله
 يا غلام لا تذهب بنى اليه
 فقال له اللعالم انه رالك من
 القصر فاخذه وراقفه بين
 يدى امير المؤمنين وقال
 وجدته كتب كذا وكذا
 فقال المادون وبالك

والدعاء وكانوا من اشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فكروا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات
 والارض ان ندعوك ونودعك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك
 والبلاء وانهم على عبادك الذين آمنوا بك فبيناهم على ذلك اذ ادركهم الهم والشرط وكا واقد دخلوا على مصلى لهم
 فوجدوا سجودا على وجوههم يكونون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن يجيبهم من دقيانوس وقتنه
 فلما راى امراؤك الكفرة قالوا لهم ما خلهكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفقوا بهم الى
 دقيانوس فقالوا لجميع الجميع وعدوا للفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويهصونك فلما مع ذلك أتى بهم
 تقيض أعينهم من الدمع مغفرة وجوههم في التراب فقال ما منكم أن تشهدوا الذبح الا لله الذى نعبدها فى
 الارض وأن تحملوا أنفسكم كثيركم ثم اتهم خير واما ان يذبحوا الا كتهنم كما ذبح غيرهم من الناس واما ان يقتلهم
 الملك فقل ملكا لميتا وكان اكرههم اذ لماله اله الا السموات والارض عظماني ندعوك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك ونسألك ونطلبك
 نفر بهذا الذى تدعونا ليه ابداءا لكانا نعد بئنا الذى له التحديد والتكبير والتدبير والتدبير من انفسنا
 خلاصا بديا ليه تدعونا ليه نسال النجاة والخير واما الطواغيت فلن نعبدها ابداءا صانع بنا ما بدالك ثم قال اصحاب
 مكس لميتا دقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا ذلك امر بهم فخرجوا ملبوسا كان عليهم من ملابس عظمائهم ثم
 قال لهم انكم اذا قلمت ما فقامت فاني ساؤخركم واقتراغكم فاجزلكم ما وعدتكم من العفو وبما ينبغي ان اعجل
 اكم ذلك لا تنى اراكم شيا باحد شيا فاسانكم فلا تحبوا اهل الكهف حتى اجعل لكم اجلا فتراجعوا فيه وعلمكم
 ثم امر بحماية كانت معهم من ذهب وفضة فترعت عنهم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى
 مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قرية منهم لبعض اموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم
 بادروا قدامه وخافوا فاقدم مدينتهم أن يذكروهم فاندروا أن ياخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا
 منها ويترددوا حتى تم بطلته الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له جالوس فيسكنون فيه ويعبدون
 الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس اتوه فقاموا بين يديه فيصنعهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل
 فتي منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فيصدق قوامها وانطافوا بما بقي معهم من نفقتهم وانتمهم كلب كان لاحد
 حتى اتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال ابن عباس هو بواليلام من دقيانوس وكانوا سبعة فقرأوا برأع معه كلب
 على ذنبهم وقال كلب مروا بكتب فتبعهم فطردوه فنبج عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون
 منى لا تخشوا جاني فاني أحب احاب الله فاما وحي احرسكم (رحمة الى حديث ابن اسحق) فلبثوا في
 ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والذبح وجعلوا نفقتهم التي في منهم يقال له تليخا فكان
 يتبع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من اجارهم واجملهم فكان تليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة
 يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كتياب المساكين الذين يستطيعون فيها ثم يأخذ
 درهمها فيطلق الى المدينة فيشتري طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكروهم
 بشي ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فاعلموا انهم قد اخطأوا فذبحوا للطواغيت
 ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تليخا بالمدينة يشتري طعاما وفرجع الى اصحابه وهو يبكي
 ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا وانهم سماع غلام المدينة ليذبحوا
 للطواغيت فلما اخبرهم بذلك فزعوا ووقوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتوذكرون
 به من الفتنة ثم ان تليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطمروا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا
 رؤسهم وأعينهم تقيض من الدمع حزنا على انفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا
 يتحدثون ويذكر بعضهم بعضا فبيناهم كذلك انضرب الله على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه
 بالوصيد باب الكهف فاصابه ما اصابهم فلما كان من الغد تقدم دقيانوس وانفسهم فلم يجدهم فقال لبعض

قومه لفسادها في شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لند كانوا يحسبون اني غضبان عليهم بحبهم ما جعلوا من
أمرى فاني لا اغضب عليهم اربابا وعبدوا الهتي فقل عظماة المدينة ما انت محقيق ان ترحم قوم ما مردة
عصاة مقيمهم على ظلمهم وممضيتهم قد كنت اجلت لهم اجلارولشاؤا لرحموا في ذلك الاجل والكرهم
لم يتوبوا فلهذا قالوا لذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى آبائهم فسلهم عنهم وقال اخبروني عن ابناكم المردة
الذين عصوني فقالوا لانه نحن فلم نصلح ولم نفتلنا بقوم مردة وانهم خالوا وناوا نطلقوا الى جبل يسمى الجولس
فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فآل في الله في نفسه ان يأمر بالكهف فيدع عليهم
واراد الله تعالى ان يكرهم ويحملهم آية لامة تتجلف بهم وان يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله
يمت من في القبور فامرد قيانوس بالكهف أن يدع عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتوا جوعا
وعطشا وليكون كفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن انهم ايقاظ يملون ما يصنع بهم وقد توفي الله
أرواحهم وفاة النوم وكاهم بساط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيه يقابون ذات اليمين
و ذات الشمال قال ثم ان رجلين ، مؤمنين كانا في بيت الملك دقيانوس يكتمان اسم احدهما تندروس
والآخر روباس اتفرا ان يكتبيا شأن الفتية وأنسابهم واسماؤهم وخبرهم في لوح من رصاص ويحمله
في تابوت من نحاس ويحملان التابوت في البنيان وقال لال الله ان يطلع على هؤلاء الفتية قوم مؤمنين قبل يوم
القيامة فيلم من فتج عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلوا ذلك وبنيا عليه بقبي دقيانوس ما بقي ومات
قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلقت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له
تندوسيس فلم املك بقي في ملكه ثمانية وثلاثين سنة فتعجب الناس في ملكه احزابا منهم من يؤمن بالله
العظيم ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فيكبر ذلك على الملك الصالح فشكل الى الله وتضرع اليه
وحزن حزنا شديدا لما رأى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق وانهم يقولون لاحياء الا
الحياة الدنيا وانما تبث الارواح ولا تبث الاجساد واما الجسد فيا كله التراب ونسوا ما في الكتاب
فجمل الملك تندوسيس يرسل الي من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا ائمة في الحق فنجحوا يكذبون بالساعة
حتى كادوا ان يحولوا الناس عن الحق وملة الحوار بين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فآغلقه عليه
ولبس مسح وجعل يحتمه مراد فادب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول اى
رب قد تدرى اختلاف هؤلاء فابث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد اراد
ان يظهر لهم الفتية اصحاب الكهف وبين الناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية
لا ريب فيها وانهم يستجييب امهده الصالح تندوسيس وانهم يتم نعمته عليهم ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي
اعطاه وان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيئا وان يجتمع من كان تبعد من المؤمنين فالقي الله في نفس رجل من
اهل ذلك البلد الذي به الكهف وكان اسم ذلك الرجل اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف
فيبني به حظيرة لغمه فاستاجر عاملين فجعلوا ينزعون تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على
فم الكهف وفتحوا عليهم باب الكهف وحجبتهم الله عن الناس فبرزعون ان اشجع من يرى ان ينظر اليهم
يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كاهم ناعما فلما نزعوا الحجارة وفتح باب الكهف اذن الله تعالى
ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فحين مسرة
وجوهم طيبة أنفسهم تسلم بعضهم على بعض حتى كانوا استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون
منها اذا اصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في
وجوهم ولا ارباشهم ولا ارباشهم شيئا يتكبرونه انهم كمنهم حين رقدوا يرون ان ملكهم دقيانوس في
طلبهم فلم اقصوا صلاتهم قالوا لتخليصا صاحب نفاقهم بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا عسائية أمس عندها

ما حاك على هذا فنال
يا امير المؤمنين انه لم يخف
عك ما حواه قصرك من
خزان الاموال والحلى
والحلل والظمام والشراب
والالتمسة والقبرش
والجوارى والخدم
فشررت عليه وانا في
غاية من الجوع والفاقة
فوقعت منه كرا في امرى
وقلت في نفسى هذا القصر
عامر عال وانا جائع ولا
قائدة في فيه فلو كان خرابا
ومررت به لم اعدم منه
رخامة أو خشبة أو مسارا
ايده واتقوت بشئنه او
ما علم امير المؤمنين ما قال
الشاعر
اذا لم يكن المرء في دولة
امرئ
انصب ولا حظ تمنى
زوالها وما ذاك من بفض
لها غير انه ربحى سواها فهو
يهوى انقائها
فقال الماهرون اغلام اعطه
الف دينار ثم قال هي لك في
كل سنة مادام قصرنا عامرا
(وانشد في المنى)
اذا كنت في امر فكن
فيه محسنا
فما قليل انت ماض
وتاركة
فكمدحت الايام ارباب
دولة
وقد ملكوا اضماف ما
انت مالكة

الجبار وهم يظنون انهم رقدوا كذب ما كانوا يرددون وقد خيل لهم انهم قد ناموا كما كانوا ينامون في الليلة التي اصبحو بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالا ربكم اعلم بلبثكم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم عليخا الختم في المدينة لندبحوا للطواغيت او تقتلوا قالوا فاشاء الله بعد ذلك فقل فقال مكسبنا يا اخوتاه اعلمو انكم ملاوقا لله فلا تنكفروا وابدعوا انكم اذا دعاكم غدا ثم قاتوا عليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنها اليوم وتلطف لثلاثين من اهل المدينة فاعطى كل واحد منهم دينا من اموالنا ووزدنا على الطعام الذي جئنا به أمس فان كان قليلا ردا صحننا جاعا فقل عليخا كما كان يفعل ووضع ثيابا به واخذ الثياب التي كان يتركها فيهم انهم اخذوا ورق من ثقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق عليخا خارجا فلما مر باب الكهف رأى حجارة موزعة عن باب الكهف فتمعج منها ثم رحنى إلى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوف ان يراه احد من اهلها فيعرف فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر بالبدل الصالح ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثة سنين فلما رأى عليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لاهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر عينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب ونحو الى باب آخر من ابوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له ان المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرين يتحدثون لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه انه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شرى اما هذه عشية أمس كس المسلمين ونحوون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانه اظن انهم اهل عالم ثم يري انه لم يتم فاخذ كساده وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين اهل سوقها وهو يسمع ناسا يحدون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا وراى انه حيران فقام مستندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما ادري ما هذا اما عشية أمس فليس على الارض احد يذكر عيسى الا قتل واما الان فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخشى ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة أعرفها فأتى أسمع كلام اهلها ولا اعرف واحدا منهم والله ما اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام للحيران لا يتوجه وجهه ثم انقلب في من اهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال افسوس فقال في نفسه اهل بي مساوا مرا اذهب عقلي وانتهى بحق الى ان ابادر الخروج منها قبل ان يصيبني شر فهاك هذا ما يحدث به عليخا اصحابه حتى يبين لهم ما هم فيه * ثم افاق وقال لو عجلت الخروج من المدينة قبل ان يقطن بي لكان اكس لي قد نامن الذين يبيعون الطعام ثم اخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بدي بهذه طعاما فاخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد اصاب كبرا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعدون يظنون انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا الى ملكهم دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتمرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد اخذتم ورقى فامسكتهموها فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شانك والله لقد وجدت كبرا من كنوز الارلين فانت تريد ان تخفيه معنا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه يخف عليك ما وجدت فقلت ان لم يفعل نات السلطان ونهلك اليه فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقفت في كل شيء كنت اخذهم ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع ان تسكنهم ما وجدت ولا اتقن في نفسك أن تسكنهم عليك فتجرب في نفسه راس يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وافرغ حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساده وطوقوه في عتقه ثم جعلوا يودونه في سلك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقبل اخذ رجل عنده كنز فاجتمع عليه

عمران صلوات الله عليه) انه خرج يومنا نحو الطور واذا هو رجل واقف على الطريق فقل الى ابن ياني الله قال الى المناجاة فقال لي اليك حاجة قال فهاهي قال قل له يكرمني بتدري حية من محبته فلما وقف موسي عليه السلام المناجاة نسي الرسالة من حلالة المناجاة فناداه ربه يا موسي نسيت حاجة عبيدي قال يا رب انت اعلم قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حقها ان تؤدي ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وانا لا أحب الخائنين يا موسي قد وهبت له جميع ما اراد فرجع موسي فلم يجد في مكانه فقال الهى وسيدي اين ذهب الرجل صاحب الحاجة فقال يا موسي هرب منك قال لم قال من احبنا لا ياتفت الي غيرنا قان اردت ان ترد يا موسي فادخل هذه الفيضة قال فدخل ونظر فاذا اسد ياكله فقال الهى ما هذا فقال هذا اصنعي باحبابي في دار لقنماء انظر يا موسي الى دار لقنماء فنظر فاذا بقية من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال يا موسي هذه له ونااله (وقيل في هذا الذي شعر) طال الله يتبقى فهل لي

في ف اصطباري

والاحشاء تقطع

كيف الفرار الى من لا فرار

له

موله الغلب للاحباب

منقطع يبكي الديار بدمع

هامل هطل

له من الجزع احباب وما

رجوا

(وقال ابراهيم بن ادم

نقمنا الله به) نزلت

مسجدا بالشام وكانت

ليلة شانية فقاتل القسيم

قم واخرج حتى اغلق

الباب فالت افي غرب

ابيت ههنا فقال القسرباه

يسرقون الفناديل

والحصر وقد حلفت ان

لا يبيت فيه احد ولو كان

ابراهيم بن ادم فقلت انا

ابراهيم ابن ادم فقال

كفى ما انت فيه حتى

تكذب ثم قال اخرج

وجعل يجرني من

رجلي على وجعي

حتى رماني خارج المسجد

بازاء حمام فرايت شابا

حسن الوجه بوق النارفي

تتوز ذلك الحمام فسمعت

عليه فلم يرد على السلام

حتى فرغ قال يا هذاني

اجير وخفت ان اشتفت

بالسلام عليك ان اكون

خائنا في عني قلت بكم

مهل كل يوم قال بدرهم

أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا يظرون اليه ويقولون والله ما هذا الذي من أهل هذه المدينة وما رأينا به
فيها قط وما نعرفه فاجل عليه ما يدرى ما يقول مع ما يسمع منهم فلم يجتمع عليه أهل المدينة ففرق ولم
يتكلم ولوقال انه من أهل المدينة لم يصق وكل من سببه ان اياه واخوته في المدينة وان حسبته في أهل المدينة
من عظماء أهلها وانهم سيئاته اذ اسمه واوقدا سبتين انه في عشية أمس كان يمر في كثير من أهلها وانه
لا يعرف اليوم من أهلها اذ احدثا فيها ما هو قاتم كالخيران ينظر متى ياتي به بض اهله فيخلصه من ايديهم فبينما هو
كذلك اذ قاطعته واطلقوا به الى رئيس المدينة ومديرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما ارموس
واسم الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به ظن عليه انهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فاجل فلفت بينا
وشمالا وجد الناس يسخرون منه كما يسخرون من الجنون والحيران فجل عليه يبيكي ثم رفع رأسه الى
السماء وقال اللهم اله السموات والارض افرغ على اليوم صبرا واولج ممي روحا منك تؤيدني به عند هذا
الجبار وجد يبيكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي باليتيم يملكون ما لغيت فيا اوني فتقوم جميعا بين
يدي هذا الجبار فانا كنت قد توافقنا ان نكون مالا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة ابدا يا ليت شعري
ما هو فاعلى هل هو قاتلي ام لا * هذا ما حدث به عليه اذ صاحبا به عن نفسه حين رجع اليهم فالتهم به الى
الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس فلما علم عليه انهم لم يذهب به الى دقيانوس افاق وسكن ما به فاخذ
ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال احدهما ابن السكز الذي وجدته يافتي فقال
ما وجدت كزواغا هذه الورق ورق آبائي ونفس هذه المدينة وضربها ولسكن والله ما دري ما شأني وما
ادري ما اقول لكم فقال احدهما من أنت فقال له عليه قال في ابوك ومن يمرق بها فانها بهم باسم أبيه فلم
يجدوا أحدا يعرفه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تبثنا بالحق فلم يدر عليه ما يقول غيابه نكس بصره
الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحق نقه عمدا لكي
ينفقت منكم فقام احدهما ونظرا اليه نظر اشديد وقال له انظر اننا نرسلك ونصدقك بان هذا مال أبيك
ولضرب هذه الورق ونفسها أكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب تظن أن تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمس
كما نرى وحولك سرة هذه المدينة وولادة أمها وخزائن هذه البلدة بايدنا وليس عندنا من هذا الضرب
درهم ولا دينار لا عذبتك عذابا شديدا ثم اوثقك حتى تعرفني هذا السكز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال له
عليه ان يثني عن شيء ما أسكنكم فان فلتتم صدقتكم عما عندي ففأوالا لانك شيا قال ما فعل بالملك
دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجهه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك
منزده طويل وهلك بسده قرون كثيرة فقال له عليه ما وجد من الناس أحدا يصدقني على
ما أقول لقد كنت فانية وان الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهو بنا منه
عشية أمس فبتنا فلما انتهينا خرجت لا شترى لاصحابي طعاما وأنجس الاخبار فاذا أنا كما ترون
فانطلقوا معي الى السكز الذي في جبل ناجلوس أرىكم اصحابي فلما سمع ارموس ما يقول عليه قال
يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الذي قاطعوا بنا معه مدينا أصحابا فانطلق
معه ارموس واسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب السكف لينظروا اليهم
وكان القيتة أصحاب السكف ظنوا أن عليه قد احتبس عنهم لانه لم ياتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي
كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون اذ سمعوا الاصوات
وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ايوتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك الى
الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بناتنا أخانا عليه فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى
يأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرائي السكف لم يشرعوا والارموس وأصحابا به وقوف على

باب الكهف وقد سبقهم تمليحاً فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه منهم أنهم سألوه عن شأنه
 فاخبرهم بغيره ونقص عليهم الحديث كله فرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بالله ذلك الزمان كله وإنما وقظوا
 ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبهت وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليحاً وأهوس
 فرأى تابوتاً من نحاس محتوياً تخافهم من فضة فنام بباب الكهف ثم عاد رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتحوها
 التابوت فوجدوا فيه لوحيين من رصاص مكتوبين بآياتهم ما كان مكسباً لنا وتلجوا ومرطونس وكشطونس
 وداسيوس ونكر يوس وبطيرنس كانوا فتية هر بوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم فدخلوا
 هذا الكهف فلم يعلم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وأكتبنا شأنهم وخبرهم ليبلغ
 من بددهم أن عثر عليهم فلما قرأه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البتة فيهم ثم رفعوا أصواتهم
 بحمد الله وتسبيحهم ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدواهم جلوساً مشرقه وجوههم ثم لبس ثيابهم فخرأروموس
 وأصحابه سجدوا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياتهم ثم قام بعضهم مضاً وأنباهم الفتية عن الذي لقوا
 من ملكهم دقيانوس ثم أن أرموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أعجل لملك تنظر آية
 من آيات الله تعالى قدام ظهرها لله في ملكك فأتعجل إلى فتية بعثهم الله وقد كان نوافهم منذ أكثر من ثمانمائة
 سنة فلما أتى الخراف من السدة التي كان عليها وقال أحذرك اللهم رب السموات والأرض قطرات على وجهي
 برحمتك فلم تطفئ النار الذي جعلته لا باني وللعبد الصالح نسطيطوس الملك فلما ناباه أهل المدينة ركبوا
 إليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخرروا وسجدوا لله
 على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله
 ويحمدونه ثم إن الفتية قالت لتندوسيس يستودعك الله ونقرأ عليك السلام ربحك الله وحفظك الله وحفظ ملكك
 وأعذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم إذ رجعو إلى مضاجعهم فناموا وفتي الله أرواحهم فقام الملك
 إليهم فجعل يبايعهم عليهم وأمر أن يحمل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا انهم
 نخل من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فارتكبوا كما كنا في الكهف على
 التراب حتى بمشأ الله منه فامر الملك حينئذ بتوايت من ساج فجعلوا فيها وحجبتهم الله حين خرجوا من عندهم
 بالراع فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عياداً
 عظماً وأمر أن يفتن كل سنة وقيل أنهم لما أتوا باب الكهف قال تمليحاً دعوني ادخل على أصحابي
 فأشروهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعنى إليهم مكانهم فلم يهتدوا إليه كاذباً بن أبي
 طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن
 يرأهم فقال إنك إن ترأهم في دار الدنيا أو أكل أربابهم أربعة من خيار أصحابك ليلهم رسلتك ويدعهم
 إلى الإيمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل كيف أمهم قال أبسط كساءك واجلس على طرف
 من أطرافهم أبا بكر على الثاني عمرو على الثالث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الربيع
 الرخاء المسخرة لاسلمان بن داود قال الله أمرها أن تطيعك ففعل النبي عليه الصلاة والسلام ما أمره به (١)
 خفيهم الربيع حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف فلما أنوا من باب الكهف فقلدوا منه حجراً فقام الكلب
 حين أبصر الضوء وهو وحمل عليهم فلما رأهم حرك رأسه وبص بصيصاً وبنيهم وأوامرهم أنه أن ادخلوا الكهف
 فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فناموا بأباجهم وقالوا وعليكم السلام
 ورحمة الله وبركاته فقالوا أني الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد
 رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما بعثتم فيهم أنهم جعلوا بأباجهم يتحدثون قائموا بحمد

١. أتفق الدرهم على أولاد
 خ لى في الله مات وتركهم
 قلت له لى سألت الله في
 حاجة قط قال نعم منذ
 عشرين سنة وما قضيت
 قلت له وما هي قال لم يفتني
 ان فتني على الزاهد بن
 وفاق على العابد بن يقال
 له ابراهيم بن ادم فتعنت
 على الله رؤيته واموت
 فقلت له ابشر يا اخي فقد
 قضيت حاجتك وما رضى
 لى بان انيك الاسحبا على
 وجهي فوثب من مكانه
 وعانقني وسعته يقول
 قضيت حاجتي فاقبضني
 فوقع بيننا (شعر)
 أبدى شواهده في قلب
 شاهده
 واني لشاهد هنيما يحاكيه
 الحمد لله لا بين ولا صلة
 هذا بيان معنى من معانيه
 (وقال عطاء الله رضي
 الله عنه) بمشأ عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه في
 غزاة وكنا اربعة آلاف
 فحاصرنا قلعة على جبل
 لا تصعد احدنا ليه رفيها
 بجوس وامرهم امرأة
 حسناء قال فطاعت على
 السور فنظرت الى عسكر
 الصحابة رضى الله تعالى
 عنهم فرأت شاباً مليحاً
 من العرب ون جميل
 فارساً شجاعاً يضرب
 بالسيف ويظمن بالراح
 قالت ياه ياه فقات

(١) قوله فحجبتهم الله مادامت السموات والأرض وعليكم بما بعثتم فيهم أنهم جعلوا بأباجهم يتحدثون قائموا بحمد

لها جاريته اما مالك قالت ان

حصننا قد فتح فقالت
الجسارية وكيف ذلك
فدالت سترين بعد ساعة
ثم ارسلت الى الشاب
هل أجسد اليك سبيلا
قال نعم بشرط ان
تسلمي الحصن الظاهر لنا
والباطن لله فقالت اما
النظار فاعرفه واما الباطن
فما هو قال قلبك تسلمه لله
وتقرين بوحدانيته
فارسلت اليه تعال
بمسرك فلما دخل
الحصن وعرض عليها
الاسلام قالت اني امرأة
كثيرة الهيبة هل في
عسكرك من هو اكبر منك
حتى اسلم على يديه قال نعم
فارتحلت مع العسكر ومعهما
اموال كثيرة حتى دخلت
عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فقالت هل ههنا
اكبر منك حتى اسلم على
يديه قال نعم محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهذا
قبره قالت لا اسلم الا على
يديه فجلست عند قبره
وقالت اشهد اراد الله الا
الله وان محمد رسول الله ثم
قالت خرجت من دار
الكفر غير اني اخشى
ان اقع بعد الاسلام
في المعصية فاسأل ربك
الذى ارسلك ان لا
اعصيه قال ثم وضعت
خدها على حائط القبر

صلى الله عليه وسلم وقيلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا بحمد صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا
مضا جهم وصادروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يعلم فيحيمهم الله تعالى
له انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح
الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم قال كيف وجدتموه وما الذي اجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا وفردوا
السلام باجهم وبلغناهم رسالتك فاجابوا وادابوا وشهدوا انك رسول الله عز وجل وادابوا على ما اكرمهم
بخر وجك وتوجه به رسالتك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بيني وبين
اصحابي واحبائي واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي واحب امتي واحب اصحابي

﴿ مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام ﴾

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه النخعي قال كان في الموصل ملك يقال له
زادانه وكان قد ملك الشام كلها ودار له اهلها وكان جبارا عتيا وكان بعد صنما يقال له افلون وكان جرجيس
عبد اهل الحامان اهل فلسطين قد ادركه يان حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال
عظيم الصدقة وكان لا يامن ولاية الا مشركين عليه مخافة ان يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل
معه مال يريد ان يهديه اليه لئلا يجبل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز في مجلس له وامر
بصنمه افلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يمدب من خالفه بانواع المذاب وقد ادركه نار عظمية فلم
يسجد لا فلون اني في تلك النار فاما رأي جرجيس عليه السلام ما يصنع فزع منه وماله واعظمه وحدث نفسه
بجهاده وألقى الله في نفسه بغضه رجا هذله فعمد الى المال الذي اراد ان يهديه له فقسمه في اهل ملته حتى لم
يبق منه شيء وكره ان يجاهده بل مال واحب ان يذل نفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك
لنفسك شيئا ولا لغيرك لانك ربا هو الذي عليك وغيرك وهو الذي خلفك ورزقك ويحييك ويميتك
يضررك وينفك واذا قال شيء مكن يكون وانك اذا عمدت الى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق
ولا ينفي عنك شيئا من الله فزنته بالذهب والفضة وجعلته فنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب
الملك له ان الله عن حاله وامره ومن هو ومن اين هو فقال جرجيس انا عبد الله وابن عبده وابن امته اذل عباد
وافقرهم اليه من التراب خلعت واليه اصير فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤي انزله عليك كما رؤي
أمرى على من حولي ومن هو في طاعتي فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم امره ثم قال له اني افلون الا صم
الابكم الذي لا ينفي عنك شيئا رب العالمين الذي قامت السموات والارض بامره أم تعدل طوفليا وما نال
بولايتك فانه عظيم قومك ما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان في بدء امره آدميا يأكل الطمام ويمشي
في الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى انبت له الريش وكساه الثور فصار انسانيا مسلما كما ما يا أرضيا بطير مع
الملائكة أم تعدل خلطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال ولاية الله تعالى فان
الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وامه آية لا تدرى أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها الله بكمهته
وقضاه على امته وما نال بولاية الله البار بيل وما نال بولايتك فانه كانت من شيعتك وعلى ملكك فاسلمها
الله مع عظيم ملكها حتى اقتضت عليهم السكاب في بيتها فانتمشت لهما ووافقت في دمه واقطعت الضماع
اوصالها فقال له الملك انك لتجدنا بشيء ليس لهما به علم فاننا بالرجلين الذين ذكرتهما حتى انظر اليهما
فاني انكر أو يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جدامك الانكار من قبل القرة بالله تعالى واما
الرجلان فلن نراه ولم يركب الا ان تعدل بهما ما نزل به فقال له الملك أم نحن فقد اعذرنا اليك وتبين لنا
كذلك لانك فخرت بأمور مجزأت عنهم اولم تات بتصديقهما ان الملك خير جرجيس بين المذاب وبين

السيود لا فلول فقال له جرجيس ان كان اولون هو الذي رفع السماء ووضع الارض فقد اصبحت ونصحت
لي والا فاحسب انيما النجس المأمور فلما سمع الملك غضب وشتمه وسب الهدهد وأمر بحشبة فصبغت له وجعل
عليها امشاط الحديد فخذش بها جسده حتى تقطع لحمه وجذده وعروقه. ووضح عليه في خلل ذلك بالخل
والخردل فجفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما راى الملك ان ذلك لم يقتله امر بستة مسامير من حديد
فاحيت حتى جمعت ثارافه من بهار اسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما راى ذلك انه لم
يقتله امر بخرص من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جله ارا امر به فادخل في جوفه واطبق عليه فلم يزل فيه
حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس اما يتجدهم هذا العذاب الذي تعذب به فقل
ان ربي الذي اخبرك به حمل العذاب عني وصبر ولا خج عليك فلما قال له ذلك ايقن بالشر وخافه على نفسه
وملأه رعبا رآه على أن يتجده في السجن فقال له الملا من قومه انك ان تركته طرية في السجن يكلم الناس
أوشك ان يبل بهم عليك ولكن مره بعذاب في السجن فبشمله على كلام الناس فامر به فبطح على وجهه ثم
اوتده في يديه ورجليه اربعة اوتاد من حديد في كل ركن منها وتدوا مر باسطوانة من رخام فوضعت على
ظاهرة ثم اندخل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتا تحت الحجر فلما ادركه الليل
أرسل الله تعالى اليه ملكا في ذلك أول ما ابده الله تعالى بالامساك به أول ما جاء به الوحي فقطع عنه الحجر
ونزع الاوتاد من يديه ورجليه واطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق
به ذلك فجاهده في الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فاني قد اجبتك بمدوي هذا سبع سنين
بهذبك ويقتلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد اليك روحك فانما كان في الفتلة اربعة ثقلت روحك
واوقيتك اجر كقلم بشر والوا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس
من اخرجك من السجن فقال اخرجني الذي سلطانه فوق سلطانه فلما قال له ذلك ملي غيظا ودعا باصناف
العذاب حتى لم يخل منها شيئا فلما اراها جرجيس أوجس في نفسه خيفة وجزعنا ثم اقبل على نفسه يما بها على
صوته وهم سمعون فلم افرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه فيهم وضوا سيفا على مفرق راسه
فشره حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم محمدا الى أجزائه ففقطوها قطعا وبغوا له سبعة اسود
ضارية كانت في جيب وكانت صفا من نصف عذابه فره وبجسده اليها فلما هوى نحوها امرها الله عز
وجل فخضعت برؤسها واعناقها وقامت على برانها فبقية الالم فظل يومه ميتا وكانت اول موته ماتها فلما ادركه
الليل جمع الله جسده الذي قطعه وضعه في بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وارسل الله له ملكا
فاخرجه من قبر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما اصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال ليك قال له اعلم
ان القدرة التي خلق الله بها آدم هي التي اخرجتك من قبر الجب اخرج فالحق بك ودك وبجاهده في الله حق
جهاده وموت الصابر ين فام بشم الملك واصحابه الآخرون الا وقد اقبل جرجيس وهم عكف على
عبد لهم قصصه فمرحوا جرجيس فلما مضوا ونظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما شيه هذا الرجل
بحر جرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقا الا ترون الى سكون ربه وقلة هيبت فقال جرجيس بل هو
أنا فيس القوم انتم قتلتموه فتلتموه فاحياكم الله تعالى بقدرته فلهما الى الرب العظيم الذي اراكم ما اراكم فلما قال
لهم ذلك اقبل بعضهم الى بعض وقالوا سحر سحر اعينكم فجدوا له من كان يبالد الملك من السحرة فلما جاء
السحرة قال الملك اكبرهم اعرض على من كبير سحر ك ما يسر عيني فقال ادع لي بشور من البقر فلما أتى به ثقت
في احدى أذنيه فانشئت باثنتين ثم تنفخ في الاذن الاخرى فاذا هو نوران ثم دعا ببذر فخرت وبذر وبذت
الزرع وحصدته داس وذرى وطحن وعجن وخبر كل ذلك في ساعة واحدة وهم برون فقال لهم الملك هل
تقدرون ان تمسخ لي جرجيس دابة فقال السحرة اى دابة تطالب أم سخر لك كلبا فقال اسأرا ادع لي بقدر من

عمر رضي الله عنه طوفان
مات وجوارحه مستريحة
من المصائب رضي الله
عنهم ورضى عناهم وقال
ذو النون المصري رضي الله
عنه (رايت في البداية
ظلا يلوح مرة وبنيب
اخرى والشخص مستور
عني فقلت بالله عليك
يا صاحب الظل الا ما
اظهرت نفسك لى
اراك قال فظهر قاذمي
امراة فقلت يا ذا النون
ما اكثر فضولك ما تصنع
بي فقلت انى احب
الصالحين فقلت لى
احببت سواء فقلت انى
احبكم تقربا الى الله تعالى
فقلت وائى فرق بينك
وبين عبدة الاصنام اذ
قالوا ما نعبد الا ليقربونا
الى الله زان قال فتعجب
من كلامها فينبأ نحن في
الحديث اذ قالوا جاءت
الخيل لنهب القافلة فبكى
الناس وهي تضحك فقلت
لها الناس يكون وانت
تضحكين فقلت ما
ضحكى الا من
مخافتهم من مخلوق
فقلت قـ وجب عليك ان
تسالى الله اذ قالت نعم ثم
رفعت طرفها الى السماء
وقالت بارافع السماء بلا
عماد يا من هو على فكرة
العباد بمحبة ما تعلم من

وما دى الاكثيهم مؤنة
 الا عارى قال فاشتم كلامها
 حتى اذهب الله الاعداء
 وجاء الامسان وذهب
 الردي ثم غابت عني
 فلم ارها رضي الله
 تعالى عنها (زقيل) انه
 كان في بني اسرائيل شاب
 مسرف على نفسه بالمعاصي
 فاخرجوه من بينهم
 فحضرته الوفاة وهو في
 خربة على باب البلد
 فاوحى الله تعالى الى
 موسى عليه وعلى نبينا
 افضل الصلاة والسلام
 يا موسى ان وليا من اوليائي
 قد حضره الموت في مكان
 كذا فاحضره وغسله
 وكفنه وصل عليه وقل
 لمن كان معك ان
 يصلي عليه فنادي
 موسى في بني اسرائيل
 فحضره فلما نظروا اليه
 عرفوه وقالوا يا بني الله هذا
 فلان العاق الذي
 اخرجناه فنعجب موسى
 من ذلك فاوحى الله تعالى
 اليه انهم صدقوا سكت لما
 حضرته الوفاة في هذه
 الخربة فترى عينا وشمالا
 يرادوا راي نفسه غريبة
 وحيدة دالية منكبره
 فرفع بصره الى وقال الهى
 وسيدى ومولاي عبد
 من عبيدك غريب في
 بلادك فسلوا علمت ان
 عذابي يزيد في ملكك

ماه فلما أتى بالندح نفت فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشر به فشر به جرجيس حتى أتى على آخره
 فلما فرغ من فعله الساحر ماذا تجد قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فمطف الله لي بهذا الشراب
 وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له اعلم ايها الملك انك لو كنت تقاسي رجلا منك
 اذا كنت غايه، ولا كنت تغايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام وقد كانت امرأة
 مسكينة من الشام قد سمعت بحجر جرجيس وما يصنع من الاعاجيب فاتته وهو في اشد ما فيه من البلاء فقات له
 يا جرجيس انا امرأة مسكينة لم يكن لي مال الا نوران كنت احرت عليهم فلما انا فاجبتك لترجي وتدعو الله ان
 يحيى لي نوري فلما سمع كلامها رقت عيناه ثم دعا الله ان يحيى لها نوريها ثم اذ اعادها عصولا لها ذهبي الى
 نوريك فاقرعهم ما به هذه العصور قولي لها احيا يا بن الله تعالى فالت له يا جرجيس ان توري قد ماتا منذ سبعة
 ايام ووزقتهم السباع وربني وبينهما ايام فقال لاولم يحدي منهم الاشياء سير اقرعته بلصافان ما بقومان
 يا بن الله تعالى فانطقت المرأة حتى انت مصرعما وكان اول شيء بدا لها من نوريها ذق احدكما وشعر
 اني الاخر فجمعت احدهما الى الآخر وقرعتهما بالاصصا وقالت كما امرها فقام نوران يا بن الله تعالى
 وعمت عليهما حتى جاءهم الخير بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من اصحاب الملك وكان
 اعظمهم عند الملك انكم قد وضعتهم اهرذا الرجل على السحر وانكم قد عدت به ودفلم يصل اليه عذابكم
 وقتلتموه فلم عت فل رأيتهم ساحرا يدركون نفسهم الموت او احياء ميتا فقل فقالوا له ان كلامك لكلام رجل
 قد صبا اليه فلم له استهواك اليه فقال امنت بالله واشهد اني برى من تمتقدون فقام اليه الملك واصحابه
 بالخناجر فقتلوه فلما رأى النور ذلك اتبع جرجيس اربعة آلاف آمنوا فعمد الملك اليهم فلم يزل يذبهم بالوان
 العذاب حتى أفتاهم فلما فرغ منهم قال لجر جرجيس هلا دعوت ربك فحياك اصحابك مؤلاء الذين قتلوا
 بجر ربك فقال لجر جرجيس ما حلى بني وبينهم حتى حانت اجالهم فقال له رجل من عظامهم يقال له تخليطس
 انك زعمت يا جرجيس ان الهك هو الذي يبد الخلق ثم يعيده واني سائلك امر ان فاته امنت بك وصدقتك
 وكفيتك نحن قوم حواسنا اربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها اقداح وصحاف من اشجار شتى فادع
 ربك يدش هذه الكرسي والوانى كما بدأها اول مرة وتد خضره فيعرف كل عود منها انبو وتت وورقه
 وزهره فقال له جرجيس امد سائل امر اعز براعى وعابك وانه على الله حين فدعا الله وزجل فلما برحوا من
 مكانهم حتى اخضرت تلك الكرسي والوانى كلهم واساخت عروقها وتباست باللحم وتشبث واورقت
 واظهرت وانمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم تخليطس الذي تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب نسك هذا
 الساحر عذابا بطل به كيدهم انه عمد الى نحاس فصنع منه صورة نوره لجوف واسم ثم حشاها نقط اورصا
 وكربا وزر نيزا ثم ادخل جرجيس مع الحشوف جوفها ثم اوقد على الصورة حتى التهمت وذاب كل شيء
 فيها واختلف جرجيس في جوفها فلما مات جرجيس ارسل الله بجحاص فاثملت السماء سحبا اسود فيه
 رعد وبرق وصواعق وارسل الله اعصارا لملا بلادم عجبا وقتا ما حنى اسود ما بين السماء والارض
 فمكثوا اياما معجزة ين في تلك الظلمة لا يفتصلون بين الليل والنهار وارسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي
 فيها جرجيس حتى اذا اقلها ضرب بها الارض ففزع من روحها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين
 وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف بكههم انكشفت الغمة واسفر ما بين السماء
 والارض ورجعت اليهم اقداسهم فقل له رجل يقال له طوفال لا ندري يا جرجيس ان كنت انت تصنع هذه
 الاعاجيب ام ربك قال كان ربك هو الذى يصنع فادع بهي اسموتنا التي في هذه القبور فان فيها امواتا منهم من
 تعرفه ومنهم من لا تعرفه فقال له جرجيس لقد علمت ان ما يصنع الله عنكم هذا العصفح ويربك هذه الاعاجيب
 الا لتكون عليكم حجة فتتوجوا بها غضبه ثم امر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات واقبل جرجيس على

الدعاء فابرحوا من مكانهم حتى نظر والى سبعة عشر اسنانا تسعة رجال وخمس اوة وثلاثة صبية وادافهم
 شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما لك فقال يا جرجيس اسمي نوبل قال في زمان كذا
 وكذا اخذوا فاقادوا وقد مات مندأر بمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الي ما فعل قالوا ما بقي من اصناف
 المذاب شي الا لوة عند موه به الا الجوع والعطش ففدوا بها ففدوا الي بيت تجوز تبس فقيرة كان لها
 ابن اعشى اصم اكم فمقد ففصروه في بيتها وكانوا يوصلونه من عندا طعاما ولواشر اقلما بلغ به الجوع
 قال له تجوز هل عندك من طعام او شراب فقالت لا والذي يخف به اعهدنا الطعام منذ كذا وكذا وساخرج
 لنس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدن قالت لا فذاعاها الي الله فصدفته
 ثم انها انطلقت تطلب لشيأ وكاد في بيتها دعمة من خشب يايسة تحم خشب البيت فاقبل على الدعاء
 فاحضرت تلك الدعمة وانبتت لكل فاكهة تؤكل او تعرف حتى كان ما انبتت اللوية واللياز وهو مثل البردي
 يكون بالثم وظهر للدعمة فرع من فوق البيت اظله من فوقه فاقبلت المجوز وهو وما شاءا كل رعدا الممارات
 الذي حدث في بيتهم من بعده قالت امنت بلذى اطاوك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفي ابني
 فقال لها ادنيه في فادته فبصق في عينيه فابصر ونفت في اذنيه فسمع فقالت اطلق اسماءه ورجليه رحمك الله
 فقال لها اخر به قال له يوما عظما وكان الملك قد خرج يوما يسير في مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال اني
 ارى شجرة يمكن ما كنت اعرفها به فقالوا ان تلك الشجرة نبتت بذلك الساحر الذي اردت ان تعذبه
 بالجوع فهو فاشا اديا كل وقد شبع منها واشبع المجوز الكبيرة الفقيرة وشفي لها ابنها فامر الملك بالبيت فهم
 بالشيجرة ارتطع فلما هوا به بطيها ابيس الله الشجرة وردها كما كانت اول مرة فتركوها وامر
 بجرجيس فبطح على وجهه وأوتله أربعة اوتاد وأمر بجعل قار قراسطوانا وجعل في اسفل اليجل
 خناجر وشفا راعه امر باربعين نورافنتضت باليجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع
 قامر بقطعة اذ تحرق فاهيت في النار حتى عادت رمادا فبقت بذلك الرمادو بعت معه رجلا ففدوه في البحر
 فابرحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يا بمر ان الله يملك أن يحفظ مفيك من هذا الجسد الطيب
 فاني اريد اعيدته كما كان ثم ارسل الله الرياح فاخرجه من البحر ثم جمته حتى صار الرماد صبرة واحدة
 كهيته قبل ان يذري فخر منه جرجيس من غير ان يضر رأسه فرجعه وارجع جرجيس وأخبر والملك خبر
 الصوت الذي سمعه والريح الذي جمته فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك مما نحن فيه
 ولولأن يقول الناس انك غافتي وقم نتي لا تبعثك وأمنت بك ولكي أسجد لافلور جدة واحدة واذهب
 لاشاة واحدة ثم اقبل ما يسرك فقل له هم مما شئت فعلت فاذ خلني على صنمك ففرح الملك بقوله وقام
 اليه وقبل يديا ورجليه ورأسه وقال له عزم عليك ان تظل هذا اليوم ولا تبث هذه الليلة الا في بيتي وعلى
 فراشي وفي كرامتي حتى تتريح ويذهب عنك وصب المذاب ويرى الناس كرامتك على فاختلي له بيته
 فظل فيه جرجيس حتى اذا ادرك الليل قام بصلي وبقرا أن بوروكان أحسن الناس صوتا فلما سمته امرأة
 الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكي فدعاها جرجيس الى الايمان قائمت به وامرها فكنمت
 ايمانها فلما ان اصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام لم يجد لها فلما سمعت المجوز بذلك خرجت تحم
 ابنها على عاتقها تو بخت جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه
 نظر واواذ بالاجوز وانها على عاتقها اقرب الناس اليه مقام فلما راها جرجيس دعا ابن المجوز باسمه ففطلق
 وأجابوه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقمهم عن عاتق أمه عيشي على رجليه ولم يكن يظا الارض قبل ذلك
 بقدميه قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذا الاصنام وهي بوعدت سبعون صنما على
 منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الفلام كيف ادعوا الاصنام فقال له قل لها

وليس لي رجاء الا انك
 وقد سمعت فيما انزلت
 تقول اني انا الفقير والرحيم
 اكان يحسن ان اردته
 يا موسى وقد توسل
 بن وتضرع الي وعزني
 وجلا لي لو سألني
 في المذنبين من اهل
 الارض لو بهتهم له وانا
 الغفور الرحيم (وروي)
 انه كان في بني اسرائيل
 ملك جبار وكان يكره
 الفقراء والصدقة ورادي
 في المدينة كل من تصدق
 بشي قطعت يده وكان
 في المدينة امرأة صالحة
 مات زوجها ومعهما
 ولدان فكانت تفرزل
 وتشتري كل يوم دقيقا
 وتعمل منه ثلاثة اقراص
 لها ولولدين فبينما هي
 على تلك الحالة اذ مر سائر
 يابها فاطنطه قرصها
 صدقة وقالت له لا اكل
 عند احد خوفا
 عليه من الملك فخذ
 ومضي فلم يكر في بعض
 الطريق اخرج قرص
 ليأكله فلم يصب اعوان
 الملك وقال له من اين انك
 هذا الرقيق فقال اعلمته
 امرأة فقبح عليه
 ورح به الى الملك واخبره
 بنصته فقال لعضوا به
 الى موضعها واتسوى
 بها والفقير يحسب

انه يريد ان يعطيها شيئا

عوض عنه فقنها
فاحضرها عند الملك
فقال لها اما سمعت
النداء ثم امر بفعل يدها
فقطعت وعلفت في عنقها
فجاءت الى منزلها واقامت
تعبدا لله وكانت صائمة
قائمة الى ان افطرت ونامت
وهي شاكرة لله تعالى
فلما اصبح الصبح
مر فقير وهل يامن
يتصدق بصدقة تنفقه
فعاطته قراصا من اقراص
اولادها فذهب وهو
يقول جزى الله عنى هذه
المراة خيرا كما انها
تصدقت على نفسها
احد خدام الملك فقبط
عليه واتى به الى
الملك فامر باحضارها
فحضرت بين يديه فامر
بقطع يدها الاخرى
فقطعت وباتت بمنزلها
واذا بسائل يقول من
يتصدق على الجائع
المسكين الذى طاف
هذه المدينة فلم يعطه احد
من اهله ولما واحدة قال
فلماسه ته اخرجت اليه
قرصا فاخذه وصهي فاذا
برجل من اعوان الملك
فقبط عليه واتى به الى
الملك فاخبره بالمراة
فقال هي لم تنته وامر
بقطع رجلها واقامت
تلك الليلة واذا

ان جرجيس يسألك ويزم عليك بالذي خلدك الاله اجبتبه ولم قال لها الملام ذلك قالت تدرج الى
جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله بخسف بها وبمنازها وخرج ايليس لئنه الله من خوف
صم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس اخذ بناصيته فخضع له وكله جرجيس فقال له
جرجيس اخبرني ايها الروح النجسة والخلق الملوون والذي يحملك على ان تهلك نفسك وتهلك الناس معك
وانت تعلم انك وجدتك تصيرن الى جهنم فقال له ايليس لئنه الله لو خيرت بين ما شرقت عليه الشمس وبين
ما ظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لا خيرت هلكته على ذلك كله وان له ليقع من
الشهوة واللذة في ذلك مثل جميع ما يلذبه جميع الخلق الملوون بجرجيس ان الله تعالى اسجد لايك آدم
جميع الملائكة فجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت انا خير منه قال لها هذا خلى سبيله
جرجيس فادخل ايليس من بومذجوف صم ولا يدخله بعدها فيما يذكر ونا ابدأ فقال الملك يا جرجيس
غررتني وخدعتني واهلكت آلهي فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعبر ولتلم انهم لو كانت آلهة لامتنت
معي وكيف تفك ويملك بآله لم تنفع نفسها بي وانما انخلوق ضعيف لآله لا انا ما يمكنني ربى فلما قال
هذا جرجيس اقبلت امراة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم افعال جرجيس والامر التي
ارام الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الالدعوة فيخسف بكم الارض كما خسف
باصنامكم الله ايها الاثوم في انفسكم فقال لها الملك ويحك يا سكندرة ما اسرع ما اضلك هذا الساحر ويلة
واحدة وانا قاصيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشيء فماتت له اما رايت الله كيف يظفره بك ويملكه
عليك فيكون له فلاح والحجة عليك في كل موطن فلما سمع كلامها امر به الملك عند ذلك فحملت على
خشبة جرجيس التي كان عاق عليها وحملت عليها الامشاط التي حملت على جرجيس فلما اناها قالت ادع
ربك يا جرجيس فيخفف عنى فاني قد اتمنى العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكك فقال لها
الملك الذي يضحكك قالت ارى ملكين فوقى معهم اتاج من حلى الجنة ينتظرون به خروجه روحى فلما
خرجت روحها زانها بذلك التاج ثم صعد بها الى الجنة فله اقبط الله روحها اقبل جرجيس على الدعاء
وقال اللهم انت اكرم مني بهذا الاله اتعطينى منازل الشهداء فهذا خراياى الذى كنت وعدتني فيه الراحة
من بلاء الدنيا اللهم انى اسألك ان لا تقبض روحى ولا ازل من مكان هذا حتى تنزل به فلامالكبر بن من
سطواتك وتعتك ملا قبل لهم حتى تشفى به صدرى وتفر به عيني فانهم ظلموني وعذوني فيك اللهم
واسألك ان لا يدعوا بى دى داع في بلاء وكرب فيذكرنى وينشدك باسمي الا فرجت عنه ورحمته وأجبتني
وشفعتني فيه فلم افزع من هذا الدعاء امطار الله عليهم نارافلما راوا ذلك عمدوا ليه فضر بوه باليهوف غيظا
من شدة الحرق ليقطيه الله بالهالة الرابعة ما وعدته ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها واصارت رمادا فحمل الله
من وجه الارض وجعل عليها ساقها فبكثرت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منبت لا يشمه
احد الاسم فمما شددوا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه اربعة وثلاثين الفا وامراة الملك قال
الاسماء وكانت قصة جرجيس في ايام ملوك الطوائف والله اعلم

باب في قصة شمسون النبي عليه السلام

قال الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله تعالى خير من انفس شهر (اخبرنا) ابو عمرو والرافى باسناده عن ابن
ابى نجيح اذ النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل ابس السلاح في سبيل الله الف شهر
فتمتجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من انفس
شهر التي ليس الرجل فيها السلاح في سبيل الله تعالى (اخبرنا) عبد الله الضبي باسناده عن وهب بن منبه ان
رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شهون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه

بأسائل يقول يا من يصدق
على الفقير المسكين الذي له
مدة وهو مسافر وليس له
قوت الا نبات الارض
فزحفت واعطته قرصا
فراه نديم الملك فاخبره بما
كان من المرأة فامر بقطع
رجلها الاخرى فاقامت
الى ان افطرت فلما جاء
الفجر زحفت الى
البحر لتوضا وكان
قريبا من بابها فاستيقظ
اولاها فلم يروها
فصاروا يحبون حتي
خرجوا من الدار
واذا بذئب واقف
على الباب فخطف
احدهما في فمه فلما رآته
امه زحنت خلف
الذئب فلم تلحقه فرجمت
وهي صابرة حامدة
شاكرة فأت الولد الاخر
صار يحبو الى البحر حتي
انقلب فيه ولم تدركه امه
فقالت اللهم
استودعكهما يا من
لا تخيب عنده الودائع
يا ارحم الراحمين قال فما
أنت دعاءها حتي فجعت
ابواب السماء وضجت
الملائكة بالتسبيح
والتقديس لله رب العالمين
فامر الجليل جبريل فنزل
اليها وقال لها يا ممة
الله امرني رب
العالمين ان ارد يدك
ورجلك وولديك ببركة

قد جماعته نذير او كان قومه أهل أرنان يبعد زيارتهم من دون الله وكان منزله منها على تحفة أميال وكان يفزوه وحده ويحاذهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب الاموال وكان اذا قال لهم انيهم بالحجة لا بلعاقم بغيرها وكان اذا قال لهم وقالوه فتمب وعطش انجز له من الحجز ما عذب فيشرب منه حتى يروي وكان قراء على قوة في البطش وكان لا يوفيه حديد ولا غيره هدم في الله الف شر بيب منهم حاجته ولا يقدر من الله على شيء فاحتالوا عليه وقالوا لاني الامن قبل امرته فاجعلوا له جملا على ذلك فاجابته وقالت انا والله اكم قاطعوها حبل ووثقا وقالوا لها انام فاونتي يدي الى عهتي ناتي فتاخذه فلما نام اوثقت يدي الى عنقه بذلك الحبل فلما اتيت من نومه جذبته بيدد وقع من عنقه فقال لها لم قلت ذلك فقالت له ارجب به قوتك مارأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم اني قرر بطانة الحبل فلم يغن عنه شيأ فارسلوا اليها بالجماعة من حديد وقالوا لها انا نام فاجعلها في عنقه فلما نام جازها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم قلت هذا قالت ارجب به قوتك مارأيت مثلك قط فهل في الارض شيء يغليك قال لا الا شيء واحد قالت وما هو قال ما لا يجزركه فلم تزل تساله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان امي كانت اخبرني ان لا يغلي شيء ابدا ولا ينظني الا شمر في فلما نام اوثقت يدي الى عنقه بشمر رأسه فاونته ذلك فبعثت الى القوم فجاءوا واخذوه فجدعوا الله وازنيه وفتقوا عينيه واوقفوه للناس بين ظهراني المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به واوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فامر أن يأخذ بمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهم جميعا فيجذبهم فاقامهم في المدينة من فيها فملكوا فيها هدموا ملكا أيضا امرته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده فاما واعد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله اعلم

(باب في قصة أصحاب الاخدود)

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود والنار ذات القود والاليت روى عطاء عن ابن عباس انه كان بجرجان ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل في الفترة قبل هوله النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما اكبر قال للملك اني قد كبرت فابست لي غلامه اعلمه السحر فيمت اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامري بلعمه السحر فذكره الغلام ذلك ولم يجد بدمان طاعة الملك وطاعة ابيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت ففقد الغلام عنده وسبح كلامه فاعجب به وكان يطيعي عند الراهب وباتي المعلم فيضرب به ويقول له ما الذي حبسك واذا انقلب الى ابيه يجلس عند الراهب فيضرب به ابوه ويقول له ما بطالك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا اتيت المعلم فقل لاهبه في ابي واذا اتيت اباك فقل حبسني المذموم وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فربها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فقلتها فلما رماها قتلها فاتي الراهب واخبره فقال له الراهب انت قتلتها قال نعم قال اراك لشاؤف قد بلغ من امرك ما اري ولك ستبقي فاذا ابتليت فلان تدل على فكان الغلام يرى الاكاه والارض وبشيئ الرض وكان للملك ابن عمه مكهوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاهد مع قائده وقال له انت قتلت الحية قل لاهبه فقتلها قال الله تعالى قل فمن الله قل رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدينا ولا تخرة قال ان كنت صادقا فادع الشنان يرد على بصري فقال له الغلام اريد ان رد الله عليك صر كؤن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارد عليه صر فرجع الى منزله بلا فتنة ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه ودخل له من فمل هذا بك فقال الله قال ومن الله قل رب السموات والارض فقال للملك اخبرني من علمك هذا فاني فلي بزل يذبه

الصدقة ثم اخذ يديها
ورجليها والصقها بقدره
من يقول للشيء كن فيكون
فقامت باذن الله تعالى ورد
الله تعالى عليها ولديها من
الذهب والبحر فبلغ ذلك
الملك فاحضر المرأة بين
تديه وتعجب في صنع الله
لعالي فقالت لان الذي
تصدقتم من اجله رد على
يدي ورجلي واولادي
فقام على قدميه وقال امننت
بالذي خلقتك وواك
وصار بعد الله تعالى حتي
توفاه الله هو والمرأة في يوم
واحد ووضعا في قبة من
الجنة وارفعت بهم الى
السما حتى خفيت عن
الابصار فقام الله
بهمما ويركاهما
في الدنيا والاخرة امين
(وقيل) كان ينفذ
رجل يعرف بابن الرومي
وكان له زوجة واولاد
فنزله بالناس جماعة عظيمة
فاقام القتي وعياله ثلاثة
ايام لم يصرفوا الطومار
واشتد بهم الامر فلما
كان في اليوم الرابع
قالت زوجته وكانت

حتى دله على الغلام فجاءه بالغلام فقال له الملك يا في قد بلغ من سحره ها اقباله الغلام اني لاشقى احدا
وانما يشقى الله فلم يزل يعذب حتى دله على الراهب فجاءه بالراهب فقيل له ارجع عن دينك قاني فدعا بالمشار
ووضعه في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقين ثم جىءه ابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك قاني فوضع
المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك قاني فدفعه الى نفر من اصحابه وقال اذهبوا
به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل
فقال اللهم اكفنيهم عاشت فرفج بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام بمشي الى الملك فقال له الملك
ما قبل اصحابك فقال كفايتهم الله فغاض الملك ذلك فدفعه الى نفر من اصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقوروى
السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاخذوه في البحر وغرقوه فذهبوا به الى
البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم عاشت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء بمشي الى الملك فقال له الملك
ما قبل اصحابك قال كفايتهم الله فقال الملك اقلته بالسيف فبنا السف عنه وقفا خبره في الارض وعرفه
الناس ونظوه وعلموا انه هو واصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا ان
تقبل ما امرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وانت على سريرك فصلبني على جرز وتربني
بهم وتقول بيلم الله رب الغلام فقبل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فاصابه في صدغه فوضع يده عليه
ومات فقال الناس لاله الا الله امانا بدين عبد الله بن السامر ولدين الادبته فلما آمن الناس برب العالمين
رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك واغاق ابواب المدينة واخذ افواه
السكك وخداخد ودوملاه فارأى عرض الناس عليه مرجلار جلال فن رجع عن الاسلام تركه ومن رجع
الفاه في الاخذود فاحترق وكانت امرأة قد اسلمت فين اسلم ولها اولاد ثلاثة احدهم رضيع فقال لها الملك
أترجعين عن دينك والا التيقنت انت واولادك في النار فابت فآخذنا بنها الا كبريا فلقني في النار ثم اخذنا لوسط
وقال ارجعي عن دينك قاني فالتقي ايضا في النار ثم اخذنا رضيع وقال لها ارجعي فابت فامر بالقائه في النار
فهرمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا ماله لا ترجعي عن الاسلام فانك علم الحق ولا بأس عليك
فالقي الصبي في النار واما على اثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا من وقوعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(أخبرنا) ابوالقاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم يمل معناه وقد تكلم ستة في المهدي يوسف الصديق عليه السلام وابن ماضطة بنت
فرعوز ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخذود (وقال سميد
بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب انهم وجدوا ذلك الغلام ينتجران
وهو واضع يده على صدغه فكلمنا مدته عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه
وقال مقاتل كان اصحاب الاخذيد ثلاثة واحد ينتجران بين وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار
أما الذي بالشام فانطياخوس الرومي احرق قوم من المؤمنين واما الذي بفارس فهو مختصر (وكانت
قصته) ما اخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن روي قال لما هزم المسلمون اهل الاسفندهار وانصرفوا
جاءهم نبي عمر فاجتمعوا وقالوا أي شيء يجري على الجوس من الاحكام فانهم لبسوا باهل كتاب وليسوا
من مشركي الرب فقال على كرم الله وجهه بل هم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابتهم وكانت الخرة
أحلت لهم فقتلوا ملكا من ملوكهم فغلبت على عقله فقتل اخاه فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندب
وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما الخرج منه فقالت الخرج منه انك تحط بالناس فتقول ايها الناس
ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات اذ اذهب هذا في الناس تناسوا حرمة عليهم فقام فيهم خطيبا فقال ايها
الناس ان الله احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجهم وماذا الله ان تؤمن بهذا ما جاءنا به اذن ولا انزل

علينا في كتاب فرجع الى اخته وقال ويحك ان الناس قد ابوا على فقالت بسط فيهم البوط فا بوا ان يقرأوا فقال لها ان الناس قد ابوا قالت فجرد فيهم السيف فا بوا ان يقرأوا قالت فجرد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تاب منك خل عنه ومن ابى فاخذفه في النار فخذ الاخدود واودقه فيه النيران وعرض اهل مملكته على ذلك فمن ابى فذقه في النار ومن اجاب خلى سبيله فانزل الله تعالى فيهم قتل اصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحرىق واما الذي في اليمن فهو يوسف ذونواس ابن مضر حبل بن تبع بن بشرخ الحميري وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحاق بن بشار عن وهب بن منبه ان رجلا كان يقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فاجابوه فخيرهم ذونواس بين النار واليهودية فا بوا عليه فاحرق منهم اثنا عشر الفا وقال مقاتل انما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكشي كان اصحاب الاخدود وسبعين الفا فلما قذفوا في النار خرجت النار الى اعلى شفير الاخدود فاحرقتهم وارفعت النار فوقهم اثني عشر ذراعا ونج ذونواس فسلط الله عليهم ارباطا الحبشى حتى غلب على اليمن فخرجهار باقا فتقدم البحر فاغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو ابن معد يكرب

أتعودنى كذاك نورعني * بأنهم عيشة اود ذونواس
وقدما كان قبلك في نيم * وملك ثبت في الناس راسي
فقدتم عهد من عهد عاد * عظيم قاهر الجيوت قامي
قامسي اهلله بلادوا وامسى * ينقل في اناس من اناس

﴿ باب قصة اصحاب القليل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك باصحاب القليل الى آخر السورة قال محمد بن اسحاق بن بشار كان من حديث اصحاب القليل ما ذكر بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حير يقال له زرعة ذونواس كان قد تهود واجتمعت معه حير على ذلك الا ما كن من اهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن السامر فدعاهم الى اليهودية فا بوا فخيرهم فاختاروا القتل فخذلهم الاخدود وصنف لهم اصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من القى في النار الارجلامن اهل سبا يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له ركض حتى اسجزهم في الرمل فاني قصير فذكر له ما بلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولسكتي اكتب ذلك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فسكتب له الى النجاشي بامر به بنصره فلما قدم على النجاشي بمث معه رجلا من الحبشة يقال له ارباط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخر بثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناولهم القتال فتفرقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهل كما جميعا فكان آخر امره به ودخلها ارباط ففعل بما امره النجاشي فقال زوجدن الحميري فيما اصاب اهل اليمن

دعيني لا بالاك لم تطيقي * لحاك الله قد انزفت ربيقي
بذا عزف الفيان اذا انتشبتنا * اذا نسقى من النجر الرجحيقي
وشرب النجر ليس على ارا * اذا لم يشككي فيها رفيقي
وان الموت لا ينهائاه * ولوشرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان * يتاطح جلده يبيض الانوق
وغدان الذي نبئت عنه * بنوه ممسكا في رأس نبيقي
لمتهمه وأسفله حروث * وجر الموجل اللثق الزليقي
مصاييح الصليط يلحن فيه * اذا عسى كرمضان البروقي

بنت عمه يا ابن عمي انا
وانت نصير على الجوع
فكيف الحيلة في هؤلاء
الاطفال فقال لها
تعرفين شذلا افسله
قالت نعم اعمد الى سوق
البنائين فلو عملت بنصف
درهم كان فيه قوت
الاطفال فقال حبا وكرامة
قال فاخذ قاسا وزنبالا
وخرج يطلب سوق
البنائين فوجد في طريقه
مسجدا مهجورا فدخله
وقال وعزتك وجلالك
لا عملت اليوم الا لك
وكان بوضوء صلاة الفجر
قال فاستقبل القبلة
ولم يزل راكعا
وساجدا يومه كله ففرا في
ذلك اليوم في صلاته سورة
الاخلاص احد عشر الف
مرة ثم صلى المغرب وهم
بالخروج فقال في نفسه
كيف امضي الى اهل وماذا
اقول لهم ان قالوا ماذا
عملت وعزتك وجلالك
لا زححت حتى اصلي العشاء
الاخيرة ولم يزل راكعا
وساجدا حتى صلى العشاء
الاخيرة ومضى الى منزله

فاصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهاب الحر يق
 وخلته التي غرست اليه * بكاذلهم يهصر بالمدوق
 واسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومه ضحك المضيق

قال فقام ارباط باليمن وكتب اليه النجاشي ارايت بمجندك ومن معك فاقام حينئذ ان ابرهه بن الصباح
 ساخطه في امر الحبشة حتى انصدع وصدعين فكانت معه طائفة ومع ابرهه طائفة ثم تراحنا فلما دنا
 بعضهم من بعض ارسل ابرهه الي ارباط انك لا تصنع شيئا فلا تاتي الحبشة بهنما على بعض ولكن
 اخرج الى فاينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فارسل اليه انك قد انصفت ثم انهما خرجا وكان ارباط
 جسيما عظيما زسيما في دهره حر به وقال ابرهه رجلا قصيرا حذر حليما وكان ذا دين في النصرانية وكان
 خلف ابرهه وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع ارباط الحربة فضرب بها رأس ابرهه فوقت
 على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فاندلك سمي ابرهه الاشرم فلما رأي عتودة ذلك حل
 على ارباط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهه وبايع النجاشي ما صنع ابرهه ففضب عليه وحلف لا يدع ابرهه
 حتى يجزا صيته وبطاه بلادهم انه كتب الى ابرهه انك عدوت على اميري فقتلته بغير اماري وكان ابرهه
 رجلا مادرا فلما بلغه قول النجاشي حلق رأسه وملا جرابا من زراب ارضه وكتب الى النجاشي ايها الملك
 انما كان ارباط عبدك وانا عبدك اختلفنا في امرك وكتب أعلم بالمر الحبة وأسوس لها وكتب أردته ان يتزل
 فاني فقتله وقد باغي الذي حلف عليه المال وقد حلفت لراسي وبعت به اليك وملا جرابا من تراب
 ارضي وبنته اليك ليعاد الملك فيبرقسه فلما انتهى اليه ذلك رضي عنه واقره على عمله وكتب اليه بان اثبت
 بين معك من الجند ثم اد ابرهه بنى كنيسة بصنعاء يقال لها الفليس ثم انه كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك
 بصنعاء كنيسة لم ين الملك مثلها قط واستمتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني
 مالك بن كنانة فخرج الى الفليس فدخلها ليلا فغدر بهاها وذاها وتفضيها للسكرية فبلغ ذلك ابرهه ويقال
 انه اناها ناظر اليها فدخلها ووجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فاقبل فدل هذا رجلا من العرب من
 اهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع بالذي قلت فبعث هذا فاحلف ابرهه عند ذلك ليعين الى السكرية
 حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة واخرج معه القليل فبلغ ذلك العرب فاعظموه ووظفوا به ورأوا
 جهادهم فاعظم عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نجرى اطاعه من قومه فقاتله فزهمه واخذوا نجرى به
 ابرهه فقال ايها الملك لا تقتلني فان استبقاه لك الى خيالك من قبلي فاحسبته وارجاه وارثه وكان ابرهه رجلا
 ثريا يخرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خنهم خرج اليه نقيل بن حبيب الخنهمي في قبيلتي خنهم وما شهران
 وناهش ومن اجتمع من قبائل اليمن فقاتلوه فزهمهم واخذوا نقيلا اسيرا فقال له ايها الملك اني دليلك بارض
 العرب فلا تقتلني وهانا انا انا على قومي بالسهم والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يده حتى اذا مر بالطائف
 فخرج اليه معمودين مغيث التقي في رجال من ثيف وقال له ايها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عند اخلاف
 وليس بيننا هذا الذي تريدني به الا انما نريد بالبيت الذي بمكة ونحن نبحث معك من بذلك عليه
 فبعثوا ابا رغلا مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا باليمن مسات ابورغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث
 ابرهه من الغم من رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه الاموال واصاب
 لعبد المطاب جدر رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي بعير ثم اد ابرهه بعث حناطة الحيري الى اهل مكة سفيرا
 فقال سل عن شريفهم ابنا اني ائت لقتال ما عجت لا اهدم هذا البيت فاطلق حناطة حتى دخل مكة فاقى
 عبد المطاب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلني اليك لاختريك لعلهم يأت القتل الان يقولوا انما اتى لهدم هذا
 البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطاب سنخلى بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت

فسمع ضحكك عظيما فظن
 في نفسه مشرا وقال ان الله وانا
 اليه راجعون غبت عن
 المرأة ومعها الاطفال وهم
 في شدة عظيمة من الجوع
 فليت شمري ماجرى
 عليهم ثم بكى بكاء
 شديدا وقرع الباب
 فخرجت اليه زوجته
 ممرعة وقالت له اهلا
 وسهلا وهي فرحة
 مسرورة ثم قالت ما كان
 يومك الا مباركا اشيع
 الله بذلك كما اشهرت
 بطوننا فدخل المنزل
 فصرأى فيه نورا عظيما
 قائمت فاذا بمائتين
 عظيمة على كل مائدة
 مندبل حسن فقال ما هاتان
 المائتان قالت يا ابن عمي
 انا جالسة في وقت
 الغروب وقد اجهدني
 الجوع والاطفال
 يتجوعون للمسوت واذا
 بطارق يطرق الباب
 فنهضت الي الباب
 ففتحته فاذا بغلام شاب
 وعليه حلان خضر اوتان
 ومعه اثنتان مهمامائتان
 فقال يا ايها الشابة هذا

خايله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو ميتة وحرمة وان نحل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله مالنا به قوة قال
فاطلق ممي الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بقله له كان راكبا عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قدم المسكر وكان ذو نفرة صديقا لعبد المطلب فاذاه فقال له يا زاهر هل عندك من غناء فيما نزل
بنا فقال غناء رجل اسير لايامن من ان يقتل بكرة او عشيبة واسكى سابعثك الى انيس سانس
القييل فانه صديق لي فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير وبعظم منزلتك وحظك
عنده قال فارسل الى انيس فاذاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يطعم الناس من
السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد اصاب له ملك مائتي بعير فان استطعت ان تنفق
عنده فانفق فانه صديق لي واني احب ما يصل اليه من الخير ثم ان اندس داخل على ابرهه هو وعبد المطلب
وقال لهما يا الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في
رؤس الجبال وقد جاءنا غيرنا صاحب لك حربا ولا يلائف عليك يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له
فيكفك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيدا فلما دخل عليه جلس بين يديه فاقامه وأجلسه معه على
السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له لترجمانه ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير
أصابها لي فقال ابرهه لترجمانه قل له ان كنت أعجبني حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له لم قال
حيث جئت الى بيت هودينك ودين آبائك لا هدمه لم نكن لي فيه وتكلمني في مائتي بعير أعيتهم فقال له عبد
المطلب قل لهما نارب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمينه منكم قال ما كان ليمينه مني فقال له أنت وذالك ثم أمر
له ابله فردت عليه قال محمود بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى ابرهه بهمرو
ابن ممدى كرب بن الدليل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بني كنانة وخو بلد بن وائلة
الهندلي وهو يومئذ سيد هذيل فمرضوا على ابرهه تلك الاموال تمامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فابى
ان يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فاخبر قريشا الخبر وأمرهم ان يتفرقوا في الشعب
ويتحزروا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من مرة الجيش اذا دخل قملوا ذلك ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة
فاخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو الهم سواك * يارب قانع منهم حماك

ان عدو البيت من عاداك * قانمهم ان يخز بواقراك

﴿وقال أيضا﴾

لا علم ان المزمع * منع رحله قانع رحالك وانصر على آل الصلابة * وبعباديه اليوم آلاك
لا يغلبن صلبيهم * ومحالهم ابداء محالكم جروا جرع بلادهم * والليل كي يسوءا عيالكم
عمروا حاك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالكم ان كنت تاركهم وكه * بمننا قامر ما بدالك *
ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهه بالندم وس وقد تنهبا لدخول
مكة وعي جبهه وهما اقبله وكان اسم القيل محمودا وكان من قبل النجاشي بعثه الى ابرهه وكان قبلا لم ير مثله
في الارض عظما وقوة وجما وقال الكلب لم يكن عندكم الا ذلك القيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تركب
فل ربك اصحاب القيل وقال الضحك كانت القليلة كثيرة وقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما واحد على
هذا التاويل لوقاي رؤس الآسي ويقال نسبهم الى القيل الاعظم قال فاقبل نقيل الى القيل الاعظم فاخذ
بأذنه وقال ابرك محمود اوارجح راشدا من حيث جئت فانك في بلاد الله الحرام فرك القيل قبشوه فابى ان
يقوم فضر يوه بالمول في رأسه فابى فادخلوا محاجرهم تحت مراقه ومرافقه ورفعه ليقوم فابى فوجهوه

١ (قوله وانما واحد الخ) المراد ان الافراد في الآية على هذا القول لوقاي رؤس الآسي

منزل ابن الرومي قلت نعم
قال هذه صرة فيها الف
دينار ذاق فيها ليم وقولي
له مولاي بقرئك السلام
ويقول لك زدي العمل
ازدك في الاجرة وهذا
عناؤه قالت فاخذت
ذلك منه وانصرف ثم
دخلت وكشفت المائدتين
فوجدت عليهما طاما
طيبا وخيرا كثيرا ونممه
عظيمة ما رابت مثلها قط
فبالتة يا ابن عمي عند من
عمات اليوم قلت له اعذر
ملك كريم ما رابت قط
اسخى منه ولا اكرم
عملت عنده شيئا يسيرا
فاعطاني هذا الخير الكثير
فقال يا ابن عمي اكلت انا
والاولاد فكل انت ونم
فقال ان علي صلاة فاذا
اديت صلاتي تمت ثم اقبل
الى الخراب ولم يزل راكبا
ساجدا حتى مضى من
الليل اكثره فقلبه النوم
فام فرأى في النوم كاه
واقف بين يدي الله
تعالى وهو يقول
يا ابن الرومي كيف
رايت ما ملتنا قلت خير

راجعا الى اليمن فقام يروى ثم وجهوه الى الشام فعمل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق فعمل مثل ذلك فصر فوه
الى الحرم فبركوا به وبنوا له قوما ثم ان ثعلبا خرج من عندهم وصعد في الجبل وارسل الله تعالى طيما من البحر
كالمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة ارجار حجران في رجليه وحجر في منفره امثال الحص والندس
فله اغشيت القوم ارسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابته فذلك
قوله تعالى طير ابايل اي متفرقة من ههنا وههنا قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور واكف
كاكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كروء السباع ولم تقبل ذلك ولا بدده وقال ربيع لها انياب
كانياب السباع وقال سعيد بن جبيرة خضر لها من قير صفر وقال ابو الجوزاء انشأها الله في الهواء في ذلك
الوقت ترميهم بحجارة من سجيل اي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاح الطير ورميهم بالحجارة
وبه الله رحا فضربت الحجارة فزادته اقرة فمات منها حجر على جنب رجل الاخر من الجانب الاخر
واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فخلهم كحصف ما كزل اي كزرع قد اكل حبه وبقي ثمنه فلما
رأت الحية ذلك خرجوا هاربين يبتدون الطريق الذي جاؤا منه ويسألون عن نقيل بن حبيب ليدهم
على الطريق فقال نقيل بن حبيب حين رأى ما نزل الله بهم من نعمة

ابن المقر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

(وقال أيضا في ذلك)

الاحيت عنا ياربنا * نعمناكم مع الاصباح عينا

ردية لو رأيت ولم تبه * لدى جنب المحصب مارينا

اذا لعدتني وحدثت امرى * ولم تأس على ما فات دينا

حدثت الله اذ عابت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا

وكل القوم يسأل عن نقيل * كان على للحيثان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر ان طير الايايل كانوا اقبلا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغر
مثل رؤس الرجال واكبرها كلاب البزل مارمت اصابته وما اصابته قتلت ونقيل بنقار الهم من بعض
تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق وبها يكون على كل
منهل وبه الله تعالى على برهة داء في جسده فيجعل تساقط انا له كلمة تسقط أكلة أكلة منها آلة وقبح ودم
فانتمى الى صنما وهو مثل فرخ الطائر فبات في من اصحابه فامات حتى انصرد صدره عن قلبه ثم هلك
وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جرى حديث اصحاب القيل هو ان فئة من قریش خرجوا تجارا
الى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي سندها حقف من أحقادهم يمة لآصاري تسميها
قریش الهيكل ويسميها النجاشي وأهل أرضهم الماسر خسان فزل القوم في سندها فجعلوا حطبا وأججوا
نارا واشتقوا لها فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم صائف فمجت الريح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق
الصربخ الى النجاشي فاخبره ودافس عند ذلك غضبا عليه فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ
أبو مسعود اثماني وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها انبياءا قلا وكان
لعبد المطلب خليل قال لعبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا تستغني فيه عن رأيك فأرايك فقال أبو مسعود
لعبد المطلب اعمد الي مائة من الابل فاجعلها هدياته تعالى وقدها له لا وابتها في الحرم امل بعض هؤلاء
السودان يعمر منها فيضرب رب هذا البيت فيأخذهم فقل ذلك لعبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا
عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعوق قال أبو مسعود ان لهذا البيت رباسيمتعه فقد نزل تبع ملك

(٢) (قوله أي سنك كل) لفظ فارسي معربه سجيل

المعاملة فقال يا ابن الرومي
قد زدت لك عشرة الاف
درجة وكتبت لك عشرة
الاف حنة ومحويت
عنك مائة الف سيئة فهل
انت عني راض قلت نعم
يارب فقال يا ابن الرومي
اسألك ان تغلبني على ما انا
فيه وعليه من قبل ان
تقبضني اليك فقال الله
تعالى اني مقدر الاجال
لا ازيد فيها ولا انقص
وقد بقي من عمرك
تسعة ايام قلت الهسي
احفظني حتي تنوفاني
مسلسا فقال حفظتك
قلت وعزتك لا زيد في
العمل فقال الله وعزتي
وجلالتي لا عطيتك براءة
من النار ولا سكنتك
جواربي في دار القرار قال
فانتهت من نومي
فحدثت زوجتي بما
رايت فحزنت حزنا
شديدا ثم اني اشتريت
لهاولا ولأدها متزلا يا وون
فيه وخادما يتخدم وودع
اخوانه واهله يوم التاسع
ومضي الى محرابه وصلى

الذين يصحرا هذا البيت أرادهم فمنه الله واجلاه واطم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطي
البيض وعظمه ونحله جزرا ثم قال أبو مسعود لمبد المطاب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيئا فقال أرى
طيرا بيضا ثلث من جانب البحر وحلفت على رؤسنا له فقال له هل تمر فها فقال عبد المطاب والله ما
أعرفها ما هي بنجارية ولا نمامية ولا عربية ولا شامية وانها نظير بارضا غير ونة قال ما قدرها
قال امثال ايعاسب في مناقيرها حصن كأنها حصي الجذب قد اقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها غصن الامم كل
فرقة طير فيودا حرا المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا خلت عسكر القوم ركبت فوق
رؤسهم فلما نوافت الرجال كما يحيا لهم أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم
صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبح عبد المطاب وأبو مسعود انخطا عن زروة الجبل فشيابرة
فلم يؤنسأ حنا ثم انها امشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بايت القوم سامدين فاعبرجوانا ما لمادوا من
مسكر القيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيقعجرها ويضع في دماغه فيبحر القيل
والدابة وتغيب الحجر في الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطاب أخذ فاسا وحفر حتى اعرق في الارض
فلما من الذهب الاحمر والجوهر الجديد حفر لصاحبه حمرة فلاحا ثم قال لا في مسود هات خاتمك واخبرك
فاختر فارشئت اخذت حفرتي وان شئت اخذت حفرتك وان شئت فها لك مما فعل له أبو مسعود اختر
لى على نفسك فقال عبد المطاب اني جعلت أجود المتاع في حفرتي فم ولكت ثم جلس كل واحد منهما على حفرة
ونادي عبد المطاب في الناس فرجعوا وأصابوا من فضلهم حتى ضاقوا بذلك ودعا وساد عبد المطاب بذلك
على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطاب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (قال الواقدي)
باسانيد غزا النجاشي اى ياطي اربعة آلاف الى اليمن فغاب عليها فأكراه ملوك واستدل الفقراء فقام رجل
من الحبشة يقال له ابرهة الاشرم أبو يكوم فدعا الى طاعته فاجابوه فقتل ارباط وغلب على اليمن فرأى
الناس يتجهزون ايام الموسم للحج بسال أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فها هو قالوا من
حجر قال فاكسوته فلما ما بان من ههنا من اوصاف فقال والمسبح لابن خير امرته فبني لهم بيتا بالرخام
الايض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له ابوابا عليها صفائح
الذهب ومساير الذهب ورصمها بالجواهر وجعل فيها يا قوتة حمرها وجعل لها حجبا وكان يوقد بالمنديل
و يلطخ جدرانها بالمرك حتى تغيب الجواهر وامر الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ومكث
فيه رجال يتعدون ويتسكنون فاهل نزيل الخنومي حتى كان ليلة من الليالي لم يرأ احدا يتحرك فجاءه بمذرة
فلطخ بها قبلته وألقى فيه الخيف فاخبر ابرهة بذلك فغضب ابرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك
غيفا لاجل بيتهم ثم ان قال لا نقضته حجرا احجرا ثم انه كتب الى النجاشي يخبره بذلك وبسالة أن يبعث
اليه بعمله محمود وكان فيه لم ير مثله في الارض عظما وجسما وقوة فيمنه اليه فنزا البيت كما ذكرنا الى أن قال
اقبلت الطير من البحر ايايل مع كل طير ثلاثة احجار حجرا ن في رجله وحجر في منقاره فذفت الحجارة
عليهم لا تصيب شيئا الا هشته وبعت الله سيلاني اليهم فذهب بهم الى البحر فلقاهم فيه وولى ابرهة ومن
معه هاربا فجعل ابرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم
فنجاروا القبيلة الاخرقة خذت فخصبت وهلك وهو اول رقت رؤي عليه الجدرى والحصبة وقال
أمية ابن أبي الصلت في ذلك

فيه ماشاء الله ثم جعل
وجهه الى الكعبة رضى
نحوه ولحق بر بهرحمة الله
تعالى عليه (وروى عن
بعض الصالحين رضى الله
تعالى عنه) ان اسسدا
دخل في قرية في بني
اسرائيل فاخذ مناصيا
فألفاه تلى ظهره واتى به
لى مكانه ليا كما فعلت
امه بذلك فبنته صائحة
مستغنية فبينما هى كذلك
اظهر فارس وعلوه ثوب
ابيض وعمامة بيضاء
وبعده رجع فقال
للأسد يا ابا الحرث
ضع الولد وامض
بسالم فلما سمع الاسد
ذلك منه اتى الولد عن
ظهوره ودخل مكانه ولم
يتمرض له بسوء فاستامه
للفارس من انت الذي
احببت ولدي فقال المالك
الموكل بالرحمة ارساني الله
عز وجل الى ههنا الاسد
لا خاص ولدك منه كما
رحمت يوم كذا وكذا
مسكينا وتصدقته عليه
بقرص من الخبز فقامه
بأفقه فقرحت المرأة ذاك

ان آيات ربنا بينات * ما عارى بين الا الكفور
حبس القيل بالفسح حتى * ظل يحبو كأنه معفور
حوله من رجال كندة فتان * مصاليب في الحروب صفور

غادره وقد تولوا سراعا * كاسم عظام ساقه مكسور

وقال الكلبي لما اهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا ابرهه الاشعث بن بكسوم فساروطا نريط فوقه ولم
شمر به حتى دخل على النجاشي فاخبره بما اصابهم فاستتم كلامه حتى رماه الصائر فسقط ميتا فارى الله
النجاشي كيف كان هلاك اصحابه (وقال الواقدي) كان ابرهه جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا في تاريخ عام القيل) فقال مقاتل كان أمر القيل قبل مولد النبي صلى
الله عليه وسلم باربع سنين وقال عبيد بن عمير والسكبي كان قبل مولده ثلاث وعشرين سنة وقال آخرون
كانت قصة القيل في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح
يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال حدثنا عبد المزي بن ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحوزاء
قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لنيات بن أسيم السكتاني يا غياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام القيل
ووقعت بي أمي على روث القيل ويدل عليه ايضا ما روى ان عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قاتل القيل
وسأله بمكة اعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله امر اصحاب القيل عظمت العرب قريشا وقانوا
أهل الله وإن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل اعلم واحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

الحمد لله الذي قص علينا في كتابه الحكيم من اخبار الانبياء والمرسلين ما به عبرة لكل ذي قلب سليم
ليستيقظ الغافلون ويعام الجاهلون والصلاة والسلام على من اظلمه على ما كان وما يكون وآله
ذوي العلوم اللدنية واصحابه المستضيئين بأنوار معارفه الالهية

*) (وبعد) * فقد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب قصص الانبياء الموسوم بالعراس الحاوي من
الاخبار نفائس النفائس للامام الفاضل والاوزاعي السكامل أبي اسحاق احمد بن محمد الدمشقي رحمه
الله وأذابه رضاء

وقد تحلث طرره وشيت غره بكتاب روض الراحين في مناقب الصالحين للإمام الياقني
رضي الله عنه وارضاه وجمال الجنة متقابه ومثواه وذلك عطمة العلوم الادبيه في سنة ١٣٤٤
من هجرة بدر الباه عليه وعلى آله واصحابه افضل صلاة وازكى سلام آمين

واخذت ولدا
وانصرفت (وروي) ان
النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الصدقة
لا تدفع البلاء المبرم
النازل من السماء (وروي)
عائشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال السجدة شجرة
اصلاها الجنة واغصانها
متدلية في الدنيا فمن تعلق
بفصل منها جره الى الجنة
وان البخل شجرة اصلاها
في النار واغصانها متدلية
في الدنيا فمن تعلق بفصل
منها جره الى النار (وقال)
صلى الله عليه وسلم البخل
بيد من الله بيد من الجنة
قريب من النار والسخي
قريب من الله قريب من
الجنة بعيد من النار اجارنا
الله منها ومن عذابها ومن
كل عمل يقر بنا اليها آمين



فهرست

(كتاب قصص الانبياء للعلامة ابي اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي رضي الله عنه ونفعنا به آمين)

صفحة	مصحف
	باب في ذكر بعض وجوه الحكمة في تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المُرسلين
٣	مجلس في صفة خلق الارض وفيه سبعة أبواب
	الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها
٤	الباب الثاني في حدود الارض ومسافتها واماكنها وسكانها
٦	الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض
	الباب الرابع في ذكر اسمائها واقبالها
	الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض
٧	الباب السادس في عاقبتهم او ما لها وآخر حالها
	الباب السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
٨	مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به وفيه سبعة أبواب
	الباب الاول في بدء خلق السموات
	الباب الثاني في جواهرها وأجناسها
	الباب الثالث في هيئتها وحدودها
	الباب الرابع في أمماها وألقابها
١٠	الباب الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
	الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات
١٢	الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
	مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما
١٧	مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
	الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة
	في خلق الخلق وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
	الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام
	والسلام وكيفيته وصفته
١٩	الباب الثالث في صفة نفخ الروح فيه
٢٠	الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
	الباب الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه
٢٣	الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه
٢٨	الباب السابع في ذكر هبوط ابليس امسه لله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة
	الباب الثامن في ذكر ما روي في الاخبار فيمن رأى له ابليس فرأى آياتا وكله شفاها
٢٩	الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل
٣٢	الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام
٣٣	باب في الخصائص التي خصه الله بها
	مجلس في ذكر النبي ادريس عليه السلام
٣٤	قصة هاروت وماروت
٣٦	مجلس في قصة نوح عليه السلام
٤٠	ذكر خصائص نوح عليه السلام
٤١	مجلس في قصة هود عليه السلام
٤٥	مجلس في قصة صالح عليه السلام
٤٩	مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمرود
	الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام
٥٠	الباب الثاني في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه الخ
٥٣	الباب الثالث في ذكر مولد اسماعيل واسحاق عليهما السلام ونزول اسماعيل وأمه هاجر الحرام وقصة برزمرم
٥٧	الباب الرابع في القول على بقية قصة برزمرم
٥٨	الباب الخامس في صفة بناء الكعبة الخ

٦٢ الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى
خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ولده
٦٣ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا ابراهيم بابنه
عليهما السلام
٦٥ الباب السابع في هلاك النمرود بن كنعان
وقصة بناءه الصرح
٦٦ الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر
الباب التاسع في ذكر وفاة ابراهيم عليه
السلام
الباب العاشر في ذكر خصائص ابراهيم
عليه السلام
٦٨ مجلس في ذكر بعض اخبار اسماعيل
واسحاق ابني ابراهيم عليهما السلام
٦٩ مجلس في قصة لوط عليه الصلاة والسلام
٧٢ مجلس في قصة يوسف بن يعقوب واخوته
عليهم الصلاة والسلام وفيه بابان
٧٣ الباب الاول في ذكر نسبه عليه الصلاة
والسلام
الباب الثاني في صفة يوسف عليه الصلاة
والسلام وحليته
٧٤ القول في القصة
٩٦ مجلس في قصة يوسف بن ميثان بن يوسف
مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد
وشداد وصفة ارم ذات العماد
١٠٠ مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس
١٠٣ مجلس في قصة أيوب نبي الله عليه السلام
١١٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
١١١ مجلس في قصة شعيب عليه السلام
١١٢ مجلس في قصة نجي الله موسى بن عمران
الباب الاول في ذكر نسبه
الباب الثاني في ذكر مولده
١١٦ الباب الثالث في ذكر حلية موسى وهارون
عليهما السلام
الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه

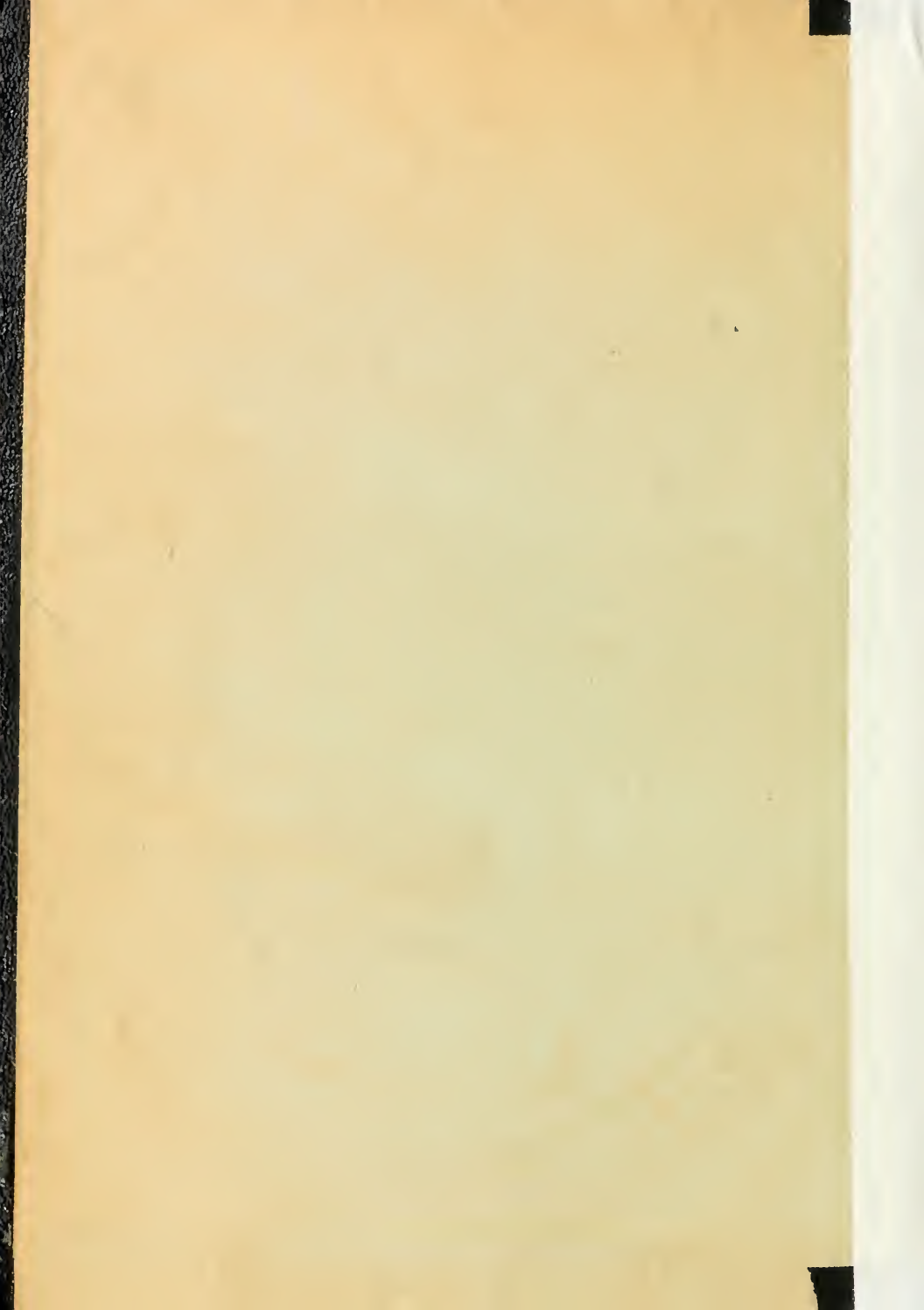
من مصر ووروده مدين
١١٧ الباب الخامس في دخول موسى مدين
وتزويج شعيب ابنة اياه
١١٨ الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى النخ
١١٩ الباب السابع في صفة المارب التي كانت
له فيها
١٢٠ الباب الثامن في خروج موسى من مدين
وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الي
فرعون
١٢٣ الباب التاسع في دخول اموسى وهرون
على فرعون
١٢٤ الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع
فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة النخ
١٢٦ الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن
آل فرعون وامراته وأولاده وهم مقتلهم
١٢٧ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت
مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
الباب الثالث عشر في بناء الصرح
١٢٨ الباب الرابع عشر في ذكر الايات التي
ابتلى الله بها فرعون وقومه
١٢٩ باب في صفة تنزيل هذه الايات وتفصيلها النخ
١٣٠ فصل في ماورد من الاخبار في الجراد
١٣٢ الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى
عليه السلام ببني اسرائيل وخبر فلق البحر
لهم
١٣٣ فصل في اسرائه ببني اسرائيل من
مصر النخ
١٣٥ الباب السادس عشر في قصة ذهاب
موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاه
الله تعالى له الاواح
١٣٨ فصل في نسخة العقر الكلمات التي
كتبها الله تعالى لموسى نبيه النخ
١٤٠ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون
مع السامري حين اتخذ لهم المعجل

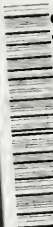
صحيفة	صحيفة
١٨٦ باب في قصه شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالسير الى قتال جالوت مع بني اسرائيل وصفه مهر الابتلاء	١٤٤ باب في قصة قارون حين عصا ربه الخ
١٨٨ باب في ذكر داود وخبر جالوت	١٤٧ باب في قصة موسي حين لقي الخضر الخ
١٩٥ مجلس في خلافة داود عليه السلام	١٤٨ فصل في ذكر جل من أخبار الخضر
باب في ذكر نسبه	١٤٩ فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام
باب في ذكر صفته وحليته	١٥٦ باب في ذكر قصة عاميل قتييل بنى اسرائيل وقصة البقرة
باب في ذكر ما خص الله تعالي به نبيه داود	١٥٨ باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة الخ
باب في قصه داود عليه السلام	١٥٩ باب في ذكر مثير بنى اسرائيل الي الشام حين جاوزوا البحر وصفه حرب الجبار بن الخ
١٩٣ باب في قصه داود عليه السلام	١٦٠ فصل في فضل الشام وأهله
١٩٨ باب في ذكر خروج ابن داود علي أبيه	ذكر قصة بلعام بن باعوراء
باب في قصة أصحاب السبت	١٦٣ باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسي ليكونوا كفلاء علي قومهم الخ
١٩٩ باب في قصه داود وسليمان في الحرب	فصل في اخبار عوج بن عنق
٢٠٠ باب في قصه استخلاف داود ابنه سليمان	١٦٥ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها علي بنى اسرائيل في التيه الخ
٢٠١ باب في ذكر وفاة داود عليه السلام	١٦٦ باب فتح أريحا ونزول بنى اسرائيل الي الشام
٢٠٢ مجلس في قصه سليمان عليه السلام	قصة وفاة هرون عليه السلام
باب في صفته وحليته عليه السلام	١٦٧ ذكر وفاة موسي عليه السلام
باب في ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك	١٧٣ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بنى اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
٢١٠ حديث القبه	ذكر خبر حزقييل عليه السلام
٢١١ قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء	١٧٥ باب في قصة اليا س عليه السلام
صفة كرسى سليمان عليه السلام	١٧٩ قصة اليسع عليه السلام
٢١٢ صفة بنيانه وبدء أمره	١٨٠ مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام
٢١٥ باب في قصة بلقيس ملكه سبأ والهدهد	١٨١ مجلس في قصة عيلي وشمويل الخ
٢١٧ صفة القصر الذي بنته بلقيس	فصل في سياق الآية ومقدمة القصه
صفة عرشها	١٨٢ القول في بدء أمر شمويل وصفه نبوته الخ
٢٢٣ باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام أبا زوجته الجراده وخبر الشيطان الذي كان أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه	١٨٣ ذكر قصة الملك طالوت واتبان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
٢٢٦ باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام	١٨٤ قصة التابوت وابتداء أمره الي انتهائه
٢٢٧ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به	

٢٦٣	مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم به	١٣١	قصة شعيب عليه السلام
٢٦٥	باب في ذكر مولده عليه السلام	٢٣٤	قصة دانيال عليه الصلاة والسلام
٢٦٦	باب في رجوع مريم بابنها عيسى عليه السلام بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم	٢٣٦	خبر وفاة دانيال عليه السلام
٢٦٧	باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر	٢٣٨	باب في ذكر الذي مر علي قريه الخ
٢٦٨	باب في صفة عيسى وحديثه عليه السلام	٢٤٠	باب في ذكر غمام قصه عزيز عليه السلام الخ
	باب في ذكر الايات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام من صباه الى ان نبى	٢٤١	مجلس في ذكر غزوة بخت نصر العرب وقصه يوحنا وخراب حضور
٢٦٩	باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هرودس	٢٤٢	مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواظله وحكمته ووصيته لابنه
٢٧٠	باب في قصة الحوار بين عليهم السلام		باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواظله المذكورة في القرآن
٢٧١	ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التي ظهرت علي يديه بعده بعثه الى ان رفع صلوات الله وسلامه عليه	٢٤٤	مجلس في قصة بلوقيا
٢٧٣	ذكر حديث جامع في هذا الباب	٢٤٩	مجلس في قصة ذي القرنين
٢٧٧	نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة ايام		باب في نسبه ولقبه عليه السلام
٢٧٨	ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام		باب في قصة ذكر بدو امره وسبب استكمال ملكه
	ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان	٢٥٠	باب في ذكر الحوادث التي كانت في ايام ذي القرنين بمد قتل دارا ووصف سيره الى البلاد والافات
٢٧٩	باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الي انفاكية وذلك في ايام ملوك الطوائف	٢٥٣	باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعاق به
٢٨٠	قصة يونس بن متى عليه السلام	٢٥٤	باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالي لطلب عين الحياه
٢٨٣	باب في قصة أصحاب الكهف	٢٥٧	مجلس في قصه ذكر يا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام
٢٩٥	مجلس في ذكر جرح سوس عليه السلام		نسب ذكر علي عليه السلام
٢٩٩	باب في قصة شمسون النبي عليه السلام		باب في ذكر مولد مريم عليها السلام
٣٠٠	باب في قصة أصحاب الاخدود	٢٥٩	باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام
٣٠٢	باب في قصة أصحاب الغيل وبيان ما فيهم من الفضل والشرف لسيدنا ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم	٢٦٠	باب في صفته وحليته عليه السلام
			فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده
		٢٦٢	باب في مقتله عليه السلام
		٢٦٣	ذكر مقتل زكريا عليه السلام









3 1761 05346844 3